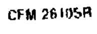
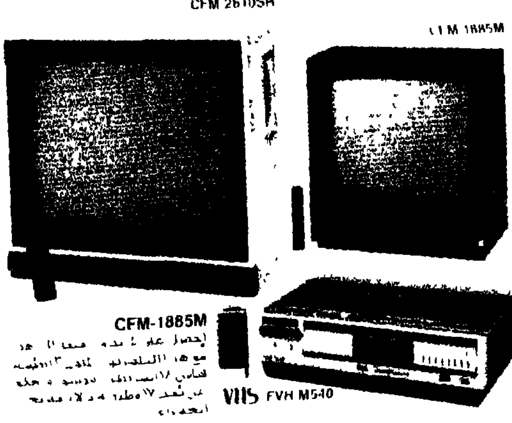

العربي




VHS FVH-D720 PAL/MESECAM

فيشر... إنّه عالم جديد مدهش.

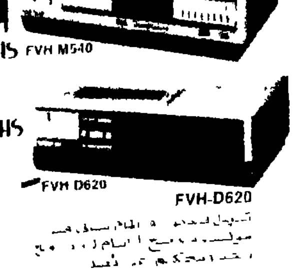
١٩٣٧ ـ السنة التي شهدت ولادة عالم جديد من التسلية مع اختراع أفري فيشر لأول نظام سمعي هاي فاي في العالم. ولقد استمر فيشر في الطليعة منذ ذلك الحين. كيف؟ بتقديمه لأنظمة ذات جودة عالية مهيّئة خصّيصاً "للعصر السمعي المرئي". مثل جهاز FVH D720. مسجل فيديو كاسيت VHS بال/ميسيكام الذي يحتوي على كل الميزات التي يتوقعها أكثر الأشخاص تطلباً من الأنظمة السمعية وأنظمة الفيديو. بث عادي خال من السويتش بالاضافة إلى ٦ طرق تشغيل خاصة. جهاز تحكّم عن بعد ١١ وظيفة لاسلكياً من أجل ضبط كامل لمشاهدة مريحة. بالإضافة إلى وثوق فيشر المشهور كلها في عرض واحد أنيق. مع فيشر، إنه حقاً عالم جديد مدهش.



CFM-1885M

CFM 2610SR

FVH-M540



FVH-D620



العدد ٣٣٢ السنة التاسعة والعشرون يوليو ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 332. July 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فاكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات: ترسل الطلبات إلى . قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د ك

ثمن النسخة:

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

بانتقال الدكتور عبدالمحسن صالح في مطلع شهر رمضان الماضي ، الثامن من مايو (ايار) الى رحمة مولاه ، فقدنا نحن في العربي - وفي مجلات ثقافية وعلمية عربية أخرى - رحلا من رحالات العلم العربي المصريين ، ليس فقط بمساهماته المشهودة بالكتابة في المجلات في الموضوعات العلمية ، وليس أيضا بكتبه الكثيرة التي أغنى ببعضها المكتبة العربية بشكل غير مسبوق ولكن أيضا بتواضع الرحل - رحل العلم - الواثق من نفسه وعلمه

ولنا مع المرحوم الدكتور عبدالمحسن صالح وقفة فهو الذي كان يمد العربي بالجديد العربي في مجال العلوم والاكتشافات الحديثة ، أصابه ما يصيب كثيرين من الكتاب الجادين فقد كتب الينا البعض منذ فترة ينقد إحدى مقالات الدكتور عبدالمحسن صالح قائلا انها قد نشرت من قبل واحتراما منا للعمل النقدي ورفضنا السماح لاي أحد أن يسطو في الماء العكر ، كتبنا بذلك للدكتور عبدالمحسن صالح ، وأرفقنا بكتابنا نسخة مصورة من الخطاب الذي تلقاه

وجاءنا الرد رفيعا مهذبا أضاف فيه مقولة جديدة (بأن العلم يتقدم ولا يؤلف ، وهو يختلف عن الأدب لأن الأدب مصدره العقل ، أما المصدر الذي نستخلص منه علومنا لطبيعة فهو الطبيعة ذاتها)

لقد كان عبدالمحسن صالح - بجانب كل تلك الغزارة في فهم العلوم - يتميز بأسلوب عرض ناجح ومحبب الى أفئدة القراء ، فقد استطاع تقديم الموضوعات العلمية التي تبدو لاول وهلة معقدة ، استطاع تقديمها بصورة مبسطة وبرع في ذلك الى أن أضحى قدرة ذاتية لا يدانيه فيها الا القليلون

وفي هذا العدد من العربي يظهر المقال الأخير الذي كتبه لنا المرحوم د عبدالمحسن صالح - بعنوان « كلاب تساوي وزنها ذهبا »

وقد سبقت هذا المقال مقالات أخرى كثيرة على مدى اكثر من ربع قرن على صفحات العربي نقدم بعضها قريبا في « كتاب العربي » حيث يكون واحدا من سلسلة الكتب العشرين التي أصدرها وكان آخرها كتابين في سلسلة عالم المعرفة التي تصدر بالكويت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أحدهما بعنوان « الانسان الحائر بين العلم والخرافة » والثاني بعنوان « التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان »

إننا نفقدنا لهذا الكاتب الكبير نرجو أن يعوضنا الباري بجيل جديد من الكتاب العرب العلميين ، ليس في الأسلوب والتناول فقط ، ولكن في كبر النفس المصاحب بالتواضع الذي لمسناه خلال تعاملنا مع الفقيد الكبير داعين لذويه وتلاميذه بالصبر .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر [illegible] النهاية لأمنا الأرض ؟!
- د. محمد الرميحي — ٨

■ [illegible] العقاد !
- د. فؤاد زكريا — ١٨

■ [illegible] في الأسد [illegible] الإسلامية
- أمين هويدي — ٢٤

■ [illegible] (قصيدة)
- د. عبد العزيز المقالح — ٢٨

■ سيمون دو بوفوار والسارترية
- د. احمد أبو زيد — ٣٠

■ [illegible] دائم [illegible]
- د. عبد الوهاب حومد — ٣٨

■ [illegible] !
- د. عبد الاله أبو عياش — ٤٤

■ [illegible] » [illegible] العالم [illegible]
[illegible] - أبو المعاطي أبو النجا — ٤٩

■ [illegible] ([illegible]) (قصة)
- سعد الدين ابراهيم محمد — ٥٤

■ الارهاب الدولي وارهاب الدولة
- وحيد عبد المجيد — ٥٨

■ ثلاث [illegible] ذهبا !
- د. عبد المحسن صالح — ٨٥

■ [illegible] من [illegible] الحياة
- د. عماد شمسي باشا — ٩١

■ [illegible] بين المرأة والرجل !
- د. ابراهيم أبو طاحون — ١٠٣

■ من [illegible] في [illegible]
- [illegible] هاشم [illegible] — ١٠٧

■ [illegible] العالمي
- عادل شريف — ١١٤

■ [illegible] في [illegible]
- [illegible] محمد [illegible] الصوري — ١٢٦

■ [illegible] - د. فيصل أيوب — ١٣٢

■ [illegible] (قصيدة)
- د. حسن فتح الباب — ١٤٣

فوق قمم جبال السروات ، تقع منطقة عسير حيث التاريخ وجمال الطبيعة الاخاذ وجهد انسان يتحدى ظروف البيئة ٦٨

■ العلم (قصة مترجمة)
- شوكت يوسف — ١٥٢

■ اسراقه (قصيدة)
- حسن توفيق — ١٨٦

استطلاعات ومقابلات

■ عسير [illegible] الحياة وسط السحاب وتحدي المستحيل
- محمود عبد الوهاب — ٦٨

■ وجها لوجه
الدكتور المهدي المجرة
- علاء الدين محسن — ٩٧

■ المخترعون الشباب في المدينة القديمة
- صلاح حزين — ١٤٤

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء — ٥
■ أصوات — ٢٣
■ أرقام [illegible] أموال الاغنياء [illegible] وسؤال حائر [illegible] للفقراء - محمود المراعي — ٣٦

المراسلات باسم رئيس التحرير - والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

■ منتدى العرب

- الجامعات العربية والفلسفات المعاصرة
- د. عبد القادر الشيخلي ٦٢
- المنهج العلمي والتطوير الاداري في دول مجلس التعاون
- إياد ابراهيم قطان ٦٤
- فلسفة الضحك
- د. خالد محمد نعيم ٦٦
■ [illegible]
- حسين احمد أمين ١١٢
■ [illegible] في الطب والعلم ١٢٠
■ [illegible]
[illegible] ١٢٢
■ سلامة [illegible] في سلامة [illegible] ١٢٤
■ [illegible]
[illegible]
- إعداد يوسف زعلاوي ١٥٦
■ قاموس العربي [illegible] ١٨٠

■ جمال العربية
- صفحة لغة الاشتقاق من المشتق
- محمد خليفة التونسي ١٨٢
- صفحة شعر أم كلثوم
للشاعر حسن صادق الرهاوي ١٨٤
■ من مكتبة العربي
- كتاب [illegible] حوفهم للمستقبلة
مدخل الى دراسة علوم المستقبل
- نهلة حمصي ١٨٧
- من المكتبة العربية السوق الداخلي
رواية جديدة لمحمد سكري ١٩٣
- منتدى العربي محاورات ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد (٣٢٩) ٢٠٠
■ [illegible] ٢٠٢
■ [illegible] ٢٠٤

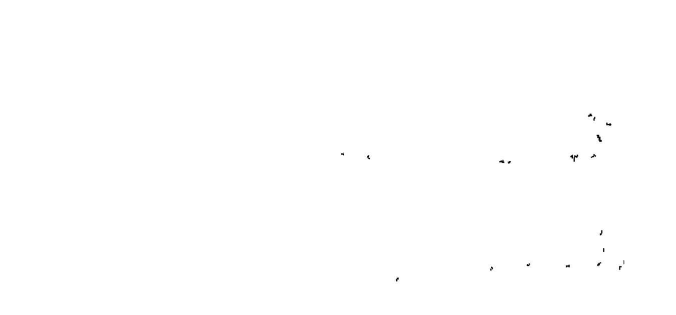
البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ حياة كاملة على التاسعة المضيئة الساحرة
- راجي عنايت ١٦٢
■ وباء جديد اسمه البوليميا أو مرض النهم
- د. عبدالكريم أبوشويرب ١٦٦
■ هو وهي ١٧٠
■ من الحياة ودفنت حبها وعادت مع دموعها
- منير نصيف ١٧٢
■ طب الأسرة ١٧٦
■ مساحة ود
شرح في حلم رائع
- محمود عبد الوهاب ١٧٩



بقلم الدكتور
محمد الرميحي



■ ما نعرف وما لا نعرف عن الأخطار النوويه .
■ الغيوم الملوثة بالإشعاع تسقط السياسة والجغرافيا أيضاً !
■ التستر على الحقائق المخيفة .. يؤجل الفزع ولا يلغيه !
■ غرائب خطيرة بيننا .. ونحن غافلون .. غافلون !

في صيف ١٩٧٠ وفي مدينة فودرى الياانية حدت ما يشبه المعجرة ، فقد استطاع المصورون الصحفيون لاحدى الصحف التي تصدر في تلك المدينة أن يحمضوا صورهم في المياه العادية لنهر (أوروب) الذي يشق المدينة ، ونشر الصحفيون تلك الصور الفوتوغرافية العادية التى حصلوا عليها نتيجة تظهيرها في تلك المياه . البعض استغرب تلك الوسيلة غير العادية في اظهار الصور ولكن عندما عرف السبب لم تكن الحادثة معجزة أو تنطوي على شيء منها . فقد تبين أن نفايات مصانع الورق المحلية التي تلقى في النهر قد لوثته بمجموعة من الكيماويات الى أن غدا النهر حوضاً كيماويا يستطيع المصورون اظهار صورهم الفوتوغرافية فيه !

وخلال العقد الماضي وربما قبل ذلك ، أصبحت صيحة التلوث والملوثات في الأنهار والبحار والأراضي والأجواء هي الشغل الشاغل للكثيرين في الدول المتقدمة ، حيث ان نطاق الدمار للبيئة هائل الى حد يقصر عنه الوصف



الدول النوويه وعدد المفاعلات المستخدمه في كل منها

إن تقدم البشرية في الاكتشافات العلمية منذ القرن التاسع عشر واكبه في نفس الوقت حطيم للبيئة بمقدار أكبر . وإذا نظرنا الى سلسلة الاكتشافات العلمية التي قدمت خدمات هائلة للانسانية فاننا نكاد نذهل من سرعتها . ففي سنة ١٧٩٨ اكتشفت الأمصال الواقية ضد الأمراض المعديه . وفي سنة ١٨٠٠ صنعت أول الة لجني الحصاد . وشهدت فترة ١٨٠٣ ـ ١٨١٤ صناعة أول القاطرات والبواخر البحارية . في سنة ١٨٠٦ تم اكتشاف اليود والمورفين واخترعت ماكينة الغزل الآلي وحصلت البشرية في عام ١٨٢٤ على الأسمنت وبعد عام على الألمنيوم وأول عيدان الكبريت . وفي عام ١٨٢٩ تم اختراع (التلجراف)

هكذا توالت الاختراعات والاكتشافات . وطوى التقدم العلمي الزمن في اكتشافه لكثير من الاختراعات فيما بين مرحلة الأبحاث المختبرية الى مرحلة الانتاج الوفير الى درجة أن الفترة التي قطعت بين الأبحاث المختبرية للراديو وبين انتاجه كانت

٣٥ عاما (١٨٧٥ ـ ١٩١٠) ، ولم تلبث أن تقلصت هـذه الفترة الى عشر سنوات (١٩٣٧ ـ ١٩٤٧) في حالة القنبلة الذرية وفي المائة والخمسين سنة الماضية انقلبت صورة الانسان رأسا على عقب وفي نفس الوقت ابتلى ـ كما قلنا ـ بتحطيم البيئة بشكل أكبر وأعمق فبعد أن كان الانسان في الماضي ـ والماضي القريب جدا ـ عاجزا أمام القوى الجبارة للطبيعة ، يخشى جبروتها أصبحت الطبيعة ـ تجاوزا ـ هي التي تخشى الانسان . ومن الأخطار الحقيقية الماثلة أمام أعيننا اليوم كثرة التأثيرات المختلفة التي يحدثها الانسان في البيئة فسرعان ما تنعكس سلبيا عليه

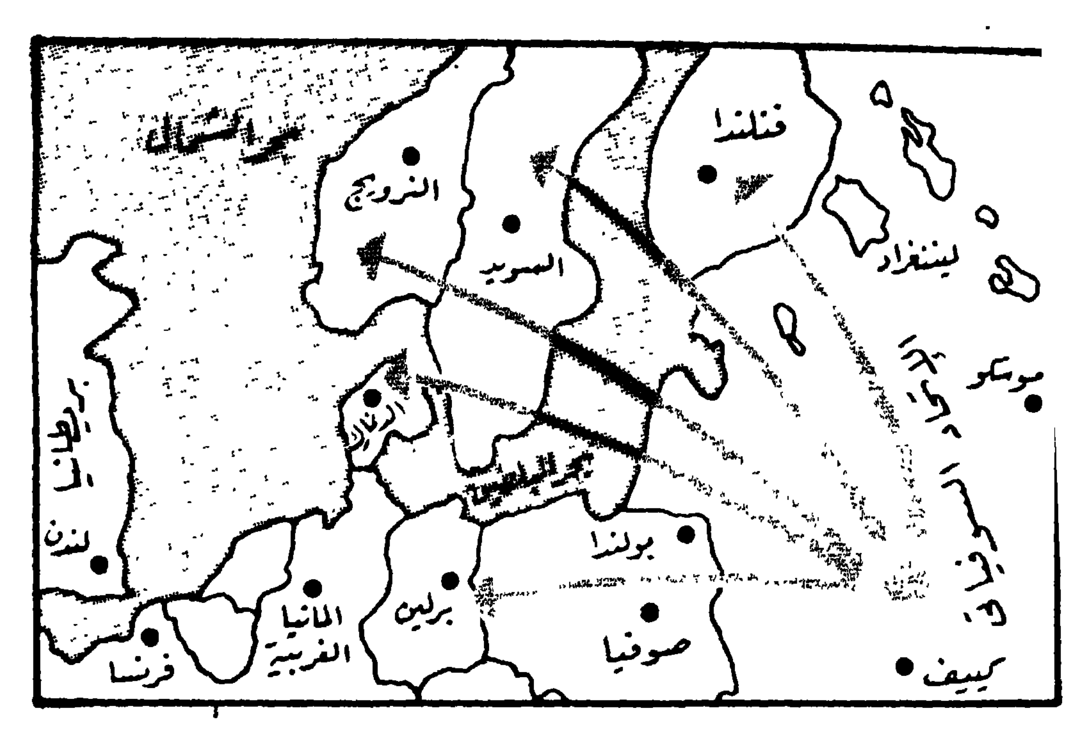
ترويض الطبيعة

☐ إن درجة تأثير الانسان على الطبيعة كبيرة جدا ، ويتنامى ذلك التأثير بسرعة بالغة سواء أكان ذلك على شكل اعادة توزيع المصادر الطبيعية أم استخدام عمليات تقنية جديدة ، تحمل الانسان لا يركن الى مستقبل امن بل يسيطر عليه الخوف من هـذا المستقبل

إن عصرنا ـ رغم هذا التقدم الهائل ـ محاصر بـالخوف ـ الخـوف من الاخلال بتوازن الطبيعة الذي أتاحه لنا استخدام التقنيات الحديدة ـ والخوف بالتالي على بقاء الانسان فوق هذا الكوكب فلم يعد هناك شك علمي بأن الطبيعة وحدة متكاملة ، ومحمل من العناصر ـ بعضها نعرفه وبعضها ما نزال نجهله ـ متكيفة بعضها مع البعض الآخر تؤثر وتتأثر وتترابط أجزاؤها في كل متماسك ، شأنها في ذلك شـأن الأعضاء والأجهزة في بدن الانسان أو أجزاء جسم الساعة ، ويقوم بين كل تلك العناصر توازن مستقر يسمح بمرونة قليلة ويتكيف نسبيا لدى حدوث أي تأثير طارىء ، أما اذا تجاوز التأثير حدود المقدرة النسبية للتكيف فان توازن الطبيعة هذا يختل وقد يصل به الأمر الى نتائج مفجعة

لقد أصبحت العلاقة المتبادلة بين العناصر المختلفة في الكيان الحيوي الأرضي حقيقة علمية ثابتة ـ شأنها شأن التمثيل الضوئي ـ والدورة البيويـولجية بـين التربـة والنبات ، أو عمليات دوران الكربون أو الأزوت في الطبيعة ، إنه نظام دقيق يحكم تناسق الكون ، كلما أوغلنا فيه تجلت لنا قدرة الخالق الذي جعل لكل شيء سببا ، وكلما عرفناه أكثر تبين أن نجاحات الانسان في العلم والتقنية تؤكد لديه في نفس الوقت ضعفه وعجزه الانساني ، ولعل أعمق وأوضح ما تتجلى فيه قدرة الانسان المحدودة في التعامل مع الطبيعة هو في السيطرة على ذلك (المولود النووي) ذلك الطفـل القوي العنيـد النزق ، والذي يبدو أنه ولد قبل أوانه . لقد بدأ عصر الذرة ولاتستطيع أية قـوة ـ الآن ـ ايقافها أو الحيلولة دون تقدمها وتطورها ، ولكن لابد من الاعتراف بالحقيقة المرة وهي أن البشرية بدأت غير قادرة على استخدام قوى الذرة بنجاح مطمئن بعد أن أيقظتها من سباتها أما السبب في ذلك فتدخل فيه عناصر كثيرة بعضها سياسي كأن يتهم الغرب الشرق (بالطفولة النووية) ، أو أن يتهم الشرق الغرب بنقص في المراقبة الدقيقة والصارمة وهي السمة اللصيقة بالنظام الشمولي ، ولوجهتي النـظر كثير من الأدلة التي تقبل أو ترفض

إلا أن ذلك ليس موضوعنا الآن



بعض المناطق الاوروبية التي وصل اليها الاشعاع

تلوث نووي

☐ منذ فترة قليلة نسبيا سمع العالم بالتعبير التالي (المفاعل النووي) أو استخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية ومنها المفاعلات الذرية المنتجة للطاقة الكهربائية ، وأصبحت هذه المهاد الذرية قادرة على اتمام عملية انشطار ذرات اليورانيوم لتكوين سيول من الاشعاعات ذات الفاعلية الاشعاعية والطاقة الحرارية التي يمكن استخدامها في شتى أعراض الصناعة الحديثة ، هذه الأقبية الحاضنة أصبحت في وقت قصير من الزمن المطلب الاول في الدول الصناعية والدول المتطلعة الى التصنيع ، فعلى سبيل المثال في كل من فرنسا وبلجيكا اليوم حوالى ٦٠٪ من الطاقة الكهربائية مولدة من مفاعلات نووية ، وفي المانيا الغربية حوالى ٣٦٪ من الطاقة الكهربائية مستمدة من نفس المصدر ، ويعد الاتجاه إلى بناء مفاعل نووي لدى بعض الدول في العالم الثالث علامة على التقدم ، حتى جاءت الحادثة الأسوأ ـ ولكنها ليست الأولى ـ وأعني بها حادثة انفجار المفاعل النووي في شرنوبل ـ الواقعة على بعد مائة وثلاثين كليومترا شمال مدينة كييف ، عاصمة جمهورية اوكرانيا وثالثة المدن الكبرى في الاتحاد السوفيتي .

ففي الساعات الاولى من صباح ٢٧ ابريل الماضي اكتشف العاملون في المحطة النووية تسرب الاشعاع وماتلا ذلك حتى اليوم شيء شديد الاختلاط من الدعاية السياسية المركزة والخوف الحقيقي من هذا المارد الجبار ، ورغم أن الاتحاد السوفيتي هو أول من استخدم المفاعلات النووية لانتاج الطاقة الكهربائية وهو ثالث منتج لها من هذا المصدر اليوم بعد الولايات المتحدة وفرنسا ، وقد كان هذا يستوجب مزيدا من الوعي بمواجهة أي احتمال للحوادث بالاستعداد المعقول ، الا أن الذعر والخوف قد انتشر في أوروبا والشرق الاوسط ووصل الى الولايات المتحدة ، لقد قام الاعلام الغربي من

جهته بتصحيح الحادث حتى أوصل عدد من قتلوا في الحادث فورا الى مايربو على ألفي شخص . وأن كل النساء الحوامل في منطقة الحادث قد نصحوا (سرا) بالاجهاض . حتى لو كانت المرأة الحامل منهم في شهرها السادس ! في الوقت الذي كان فيه الاعلام السوفييتي عن الحادث بطيئا ومترددا وغير متجاوب مع لهفة الرجل العادي في بلاد كثيرة ، مما جعل الرأي العام لعالمي أقرب الى تصديق مانشر في الغرب . ومن الملاحظ أننا نحن العرب ـ من خلال الصحف والمجلات ـ وجدنا انفسنا كالعادة منقسمين بين مضخم للحادث ناقل عن وسائل الاعلام الغربية مشكك في تقنية المفاعلات النووية السوفيتية برمتها . أو مدافع دون تبصر عن الحادث وكأنه شيء عادي يمكن أن يحدث في أي وقت !

وكلا الموقفين في نظري خاطىء

التأثير على الانسان

☐ لم يعد سرا علينا اليوم تلك النتائج والمضاعفات الخطيرة التي سببها تسرب الاشعاعات والنفصلات النووية من انفجار نووي او من مفاعل متفجر . فالذي يدرك طبيعة الأخطار على الانسان من جراء هذه الحوادث يصاب بالذهول . فالاشعاعات النووية تتسرب بنوعين من التأثير على الانسان . جسدي مباشر ووراثي ينتقل من جيل الى آخر . وثمة علاقة بين الجرعة المشعة ومدى الاصابة التي تحدثها . ويعرف المختصون أنه عند التعرض لـ ٥٠٠ وحدة إشعاعية (رم) فان معظم البشر يموتون فورا . وعند التعرض لـ ٣٠٠ وحدة إشعاعية ستحطم جهاز المناعة لدى الانسان . وعند التعرض لـ ١٠٠ وحدة يصاب الانسان بالغثيان والاسترجاع ونزيف دموي من الأنف (ظهور أعراض المرض الاشعاعي) . وفي معظم الحالات النادرة لأولئك الذين ينجون من هذه النسبة العالية من الجرعات الاشعاعية فانهم يعانون في وقت لاحق من موت بطيء من سرطان الدم أو أشكال أخرى من السرطان

افتراض المسافة بين مكان الانفجار ووجود الانسان ، وكذلك افتراض التأثيرات المختلفة عليه ما زالت في اطار التخمين العلمي أكثر منها في إطار التحقق الثابت . فالخبراء قد أثبتوا ـ خصوصا بعد دراسة تأثير قنبلتي هيروشيما ونجازاكي ـ أن تأثيرات خبيثة تظهر بعد عشرات السنين وربما في الأجيال اللاحقة مثل سرطان الرئة وسرطان الدم وسرطان العظام وسرطان الغدة الدرقية وأشكال أخرى قاتلة ومخيفة من الأمراض

وتختلف التقديرات أيضا حول الحد الأدنى من الاشعاع الذي يمكن أن يكون امنا عند التعرض له . ففي العشرينيات كانت التقديرات المفترضة أن ٣٧ رم (وحدة قياس إشعاعية) هي الحد الأعلى الآمن والمسموح به لتعرض الانسان . وفي سنة ١٩٣٨ ارتفعت ـ ربما لأغراض الدراسات النووية العسكرية ـ الى (٥٠ رم) ثم عادت الى الانخفاض في سنة ١٩٤٨ الى (٢٥ رم) ثم الى ١٥ رم في سنة ١٩٤٥ ثم الى ٥ رم فقط في ١٩٥٨ . وبعد أبحاث طويلة في الستينيات اعتقد العلماء أنه لاتوجد جرعة آمنة البتة من الاشعاع . أنه جرعة مهما كانت صغيرة لا بد أن تحمل معها مخاطرها ! غير تلك الجرعات التي يتعرض لها الانسان في بيئته الطبيعية

أضف الى ذلك أن الاشعاع النووي ليس ثابتا بمعنى أن خطره لا يقتصر على مكان جغرافي محدد . فقد ظهر ما سمي لاحقا « بالعنصر المنسي » وهي الغيوم والأبخرة التي قد تكون مشبعة بالاشعاع وتنتقل حسب سرعة الرياح واتجاهها من منطقة الى أخرى . فالكرة الأرضية بأسرها في هذه الحالة تبدو كقرية صغيرة مبنية من القش إن تأججت النار في بيت واحد أتت على القرية بأكملها

خطر سقط حدود

□ نتيجة لهذا كله فقد سقطت الحدود السياسية والجغرافية الأمر الذي أطلق الهلع الاشعاعي في العالم كله بعد حادث شرنوبل وأصبح هناك حقيقتان إضافيتان لما يعرفه العالم عن التسرب الاشعاعي ـ الحقيقة الأولى أن احتمال وقوع حادث نووي وقت السلم ربما يكون نادرا ـ ولكن هذه الندرة لا تعني عدم وقوعها كاحتراق حرئي أو كلي لقلب مفاعل نووي . والحقيقة الثانية أن الغيوم المشبعة بالاشعاع يمكن لها أن تسافر مدفوعة بالهواء الى عشرات الألوف من الكيلومترات كما حدث مع المفاعل السوفيتي المعطوب . فعندما عرف أن منطقة الإلزاس في فرنسا قد تأثرت بالأمطار المحملة بالاشعاع رفض جمهور باريس شراء منتجات الألبان والخضراوات القادمة من تلك المنطقة وانخفضت أسعار الطماطم والسبانخ الى أكثر من ٣٠٪

حادث شرنوبل أصاب بالهلع مناطق متعددة في أوروبا الشرقية والغربية بل بعض مناطق أمريكا الشمالية ـ وحتى اليوم لا يوجد تقرير معتمد عليه ونهائي يحدد الخسائر المباشرة والمتوقعة مع مرور الزمن !! من تلك الحادثة والتقارير المحايدة تقول انه قتل خمسة عشر شخصا مباشرة بعد الحادث . وهناك عشرون آخرون مصابون بحالات خطيرة من أعراض المرض الاشعاعي . وبعض الخبراء الغربيين يعتقدون أن هناك مائة ألف مواطن سوفيتي قد تعرض لنسبة مرتفعة من الاشعاع والمعروف أيضا ان حادث شرنوبل قد أضاف الى صيغ القاموس السياسي تعبيرا جديدا فيما يمكن تسميته (بلاجئي الغبار الذري) وهم أولئك الناس الذين هجروا منازلهم وتقدرهم بعض المصادر بمائة ألف مواطن وقد يبتعدون عن منازلهم لفترة ليست بالقصيرة

الكارثة السابقة

□ قبل حادثة شرنوبل بأكثر من اثني عشر شهرا نشرت مجلة (ساينس دايجست) في فبراير ١٩٨٥ تقريرا مطولا عن أخطار المفاعلات النووية . وكان الدافع الرئيسي لذلك التقرير ما حدث قبل ذلك بسنوات في المفاعل الكهرونووي الأمريكي في منطقة (ثري مايلز ايلند) القريبة من هارسبرج في بنسلفانيا في الولايات المتحدة . ففي ٢٨ مارس ١٩٧٩ تعطل أحد المفاعلات في صبيحة ذلك اليوم . وما إن عرف المواطنون الأمريكان بذلك حتى وثبت الحادثة وتفاعلاتها على رأس نشرات الأخبار وصدر صفحات الجرائد والمجلات . لقد كان ذعرا حقيقيا ضاعفه أن المسئولين العلميين في المفاعل لم يعرفوا على وجه الدقة سبب ما حدث من تسرب استتبع الحريق . وانتظرت مضطرة مجموعات من فرق الانقاذ المدربة لعدة سنوات قبل أن تتمكن من الدخول الى قلب المفاعل النووي . وقدرت نفقات تنظيف الاشعاعات النووية التي تسربت من الحادث بأكثر من مليار دولار ! وقدمت اللجنة التي كلفت بدراسة الأسباب وراء التسرب

تقريرها متضمنا اقتراحات في (٦ الاف خطوة) يجب على أصحاب المفاعل النووي أن يتخذوها لتحسين مستوى الأمان في مفاعلهم . أما الاقتراحات الاصلاحية فقد شددت على قضايا منها تدريب أفضل للعاملين ، ووضع خطط إخلاء للطوارىء

ودفعت بعد ذلك صناعة المفاعلات النووية في أمريكا ثمنا باهظا لوضع الدروس المستفادة من مفاعل (ثري مايلز آيلند) موضع التنفيذ ، فأنفقت ملايين الدولارات لتطوير المفاعلات القائمة والتي هي تحت الانشاء ، وشددت الشروط التي كانت موضوعة لبناء المفاعلات النووية فأوجبت التمهل حتى امتد ما كان يستغرقه بناء المفاعل النووي من ٧ الى ٨ سنوات الى أن أصبح من ١٠ الى ١٥ سنة ، وصار الاشكال الرئيسي الذي يواجه صناعة الطاقة النووية في الولايات المتحدة هو التكلفة التي أصبح رقمها في نطاق الأعداد الفلكية . ولم يقدم منذ ١٩٧٩ أي طلب جديد لبناء مفاعل للطاقة الذرية في الولايات المتحدة . واليوم (يقول التقرير الذي نشر في فبراير ١٩٨٥) إن دروس (ثري مايلز آيلند) ما زالت عالقة بالأذهان ، وصناعة المفاعلات النووية الأمريكية في حالة توقف ومدى خدمتها كبديل للطاقة يخضع لتساؤل كبير . وهي الآن تقدم فقط ١٣٪ من استهلاك البلاد للكهرباء ، والذي يقعدها عن أداء دورها ـ بجانب الكلفة الضخمة ـ ما يفرضه البيئيون من مستوى عال من الأمان يزيد التكلفة

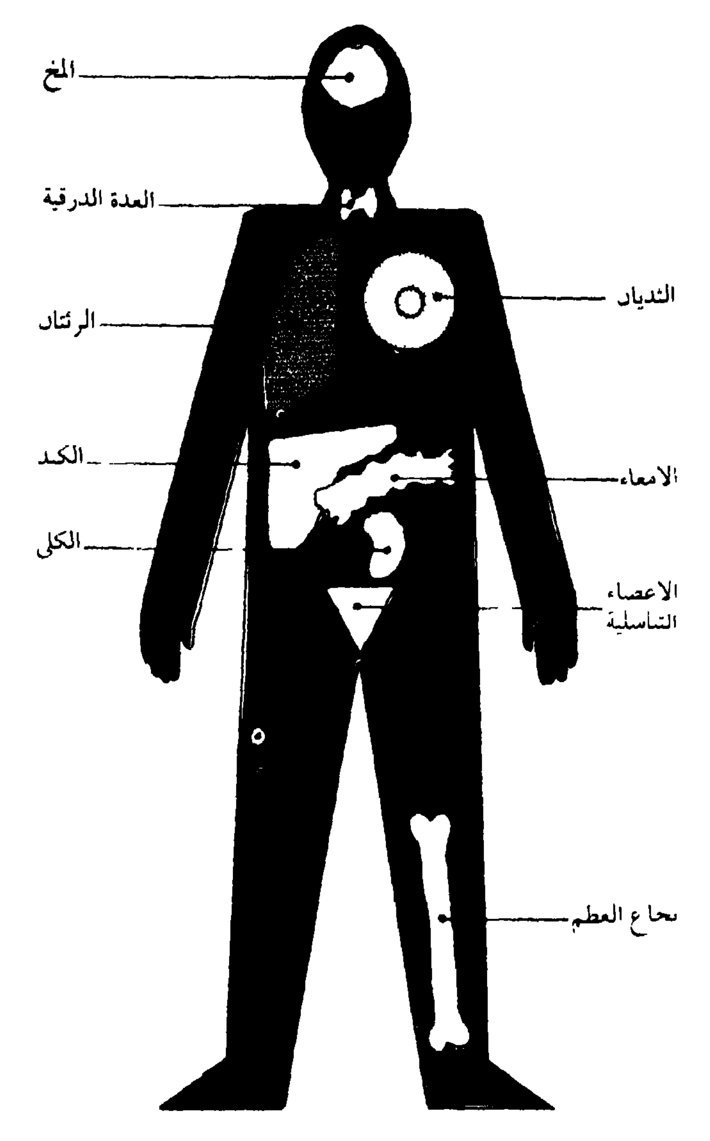
ويواجه العالم اليوم ـ في إطار المفاعلات النووية ـ معضلة أخرى هي التخلص منها بعد أن ينتهي عمرها العلمي ، فالمفاعلات النووية تأبى الهجر بمجرد انتهاء وظائفها . والتلوث الاشعاعي يبقى لمئات السنين بل بعضه لآلاف السنين ، وتقدر بعض الاحصائيات أن إحالة مفاعل نووي إلى التقاعد يكلف في بعض الأوقات ٣ بلايين دولار ! وإذا عرفت أن متوسط عمر المفاعل النووي لا يتجاوز الثلاثين عاما يكون تشغيله مجزيا فيها من الناحية الاقتصادية فان الأمر يصبح وكأنه كابوس مريع للأجيال القادمة

خبرة الانسان العملية في إحالة مثل هذه المفاعلات الى التقاعد والتخلص من إشعاعها ما زالت حتى الان محدودة ، وقد استغرقت وزارة الطاقة الأمريكية ثلاث سنوات كاملة بين (٧٤ ـ ١٩٧٦) لتفكيك مفاعل متوسط الحجم ، وكلفها ذلك حوالي ٦ ملايين دولار ـ بأسعار ذلك الوقت ـ لدفن النفايات المشعة في المقابر النووية

الخوف من هذه المخاطر قد أدى الى التوقف عن إكمال بناء مفاعلات أنفقت عليها حكومات وشركات أموالا طائلة

لذلك يبقى سؤال ملح هو هل من المنطقي أن نقوم نحن في الوطن العربي ببناء مثل هذه المفاعلات ، وهل توجد لدينا الخبرة ليس في البناء والتشغيل فقط بل في التسريح بعد ذلك لهذه المواد الخطرة والمشعة ؟

ما بين طهرانينا يوجد مفاعل نووي واحد هو مفاعل ديمونة في اسرائيل الذي يستخدم للأغراض العسكرية ، ولدى بعض الأقطار العربية مفاعلات نووية لأغراض



أعصاء الحسم الاكثر تعرضا للاصابة بفعل الاشعاعات النووية

البحث معظمها شيد بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي ، أما المفاعل النووي الاسرائيلي فهو الأكبر (٧٥ ميجاوات) وقد أنشيء بالتعاون مع فرنسا

ولا شك أن الخطر الاشعاعي في هذا المفاعل قائم حينما يستغل عسكريا أو حينما يتعرض لأي حادث عرضي وعلينا أن نحسب له ألف حساب

اليوم الأخير

□ منذ أن عرض من سنوات قلائل فيلم الرعب النووي المسمى (باليوم التالي) وقطاع واسع من الرأي العام العالمي قد نما لديه الوعي بالكارثة المحدقة بالانسانية

وفيلم (اليوم التالي) هو فيلم يتصور وقوع حرب نووية على إحدى المدن الأمريكية ـ وقد أجاد مخرجه (نيكلاس بيير) تصوير مشاهد مدينة أمريكية متوسطة الحجم وهي تنصهر تحت هجوم نووي ، الأجسام تتساقط والجثث مسلوخة بين الركام ، والسحب مفخخة بالجرعات الخبيثة ، هذا الرعب تكرر من جديد عندما

بتسرب الأحماض الادين عن كارثة شرنوبل ، صحيح أن النتائج لم تكن كما توقعها الكثيرون في البداية إلا ان ذلك يدق ناقوس الخطر بقوة لأبناء الانسانية جميعهم ، فليس هناك أحد على هذه الكرة الارضية بعيد عن كارثة من هذا النوع أو على الأقل بعيدا عن نتائجها غير المباشرة

وفي واقع الأمر أن التقنية الغربية أو الشرقية في هذا المجال النووي المتقدم متقاربة . ويجب ألا نخدع بالقول بأن التقنية السوفيتية متأخرة أو غير دقيقة ، فالتقارير المنشورة للخبراء تقول لنا بوضوح ان المفاعل في شرنوبل لا يختلف من حيث التصميم التقني عن المفاعلات الأمريكية أو الأوروبية ، وهذا يعني أن ما حدث هناك يمكن أن يحدث في اوروبا المزدحمة بالسكان ، وكذلك بالمفاعلات النووية في أي مكان من العالم الذي لا تكاد تخلو بقعة منه من مفاعل لأغراض السلم أو الحرب ، كما أن هناك حقيقة ثالثة اخرى فالذين انتقدوا الاتحاد السوفيتي على تقصيره المبدئي في الاعلان عن الكارثة عليهم قراءة كتاب « نيكلاس هلديارد » البريطاني المسمى (التستر)* والذي نشر في سنة ١٩٨١ . ففي فصل (الاشعاع) يفصل لنا الكاتب الحوادث الكثيرة التي تعرضت لها المفاعلات النووية في الغرب وتعرفها جيدا السلطات المختصة وتخفيها عن الرأي العام وهي تشكل خطرا مباشرا أو غير مباشر على الناس والحياة في بقاع كثيرة من العالم سواء في المصانع المتعاملة مع المواد الإشعاعية ، أو مناطق التجارب الذرية ، او مناطق دفن النفايات إنه عالم غريب ، حياة الانسان فيه تعد من أرخص الأشياء

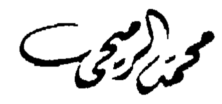
وبعـــــد

مع كل هذه المحاذير والمخاوف ما زال العالم يتقدم في إنتاج الطاقة الكهربائية من مفاعلات نووية ، وتقدر بعض التقارير أن العالم سوف يحصل على نصف الطاقة الكهربائية التي يستهلكها في سنة ٢٠٠٠ من محطات كهرودرية ، وما زال يحاول من جهة أخرى اخفاء النفايات الذرية في مدافن يتفنن الانسان في اصطناعها ، منها على سبيل المثال وضع النفايات الذريـة ذات الفاعليـة الاشعاعيـة طويلة المدى في ب خرسانة ضخمة ، وتغليفها بالرصاص والصلب ثم إسقـاطها وغمـرها في أعمـاق سحيقة من المحيط ، وبذلك يتم عزل الشيطان الاشعاعي النووي الرهيب

البعض يعتقد أن ذلك العزل يتم مؤقتا فقط ، لأن وجوه الطبيعة المتكاملة وتقلبها ظهرا لبطن ما يلبث أن يعيد بعض المواد ذات الفاعلية الاشعاعية الى البيئة

ان خطر التسرب الاشعاعي ـ كما يثبت كل يوم ـ خطر على الانسان والحيوان ، وعلى مستقبل البشرية جميعا فهل كتب علينا ان ننتظر « اليوم الاخير » ونحن نرتجف من الخوف او أن بمقدور الانسانية ان تتصدى بشكل حضاري لهذه المخاطر ؟

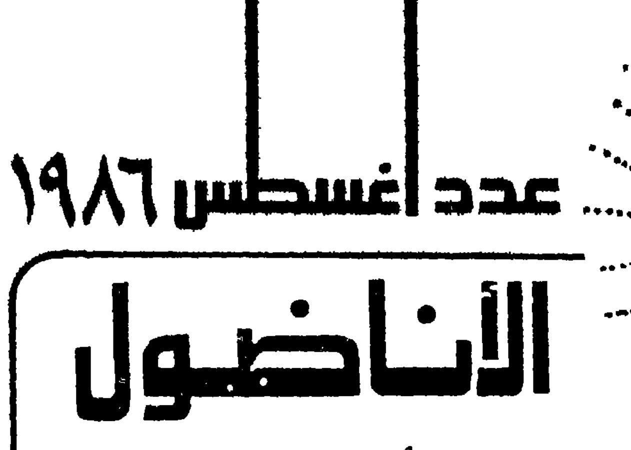
تلك اسئلة من الصعب الاجابة عليها الان !!



---

* Nicholas Hildyard "Cover UP"-New English Library.

اقرأ في العدد القادم من العربي



الأناضول متحف لكل العصور

استطلاع : سليمان مظهر

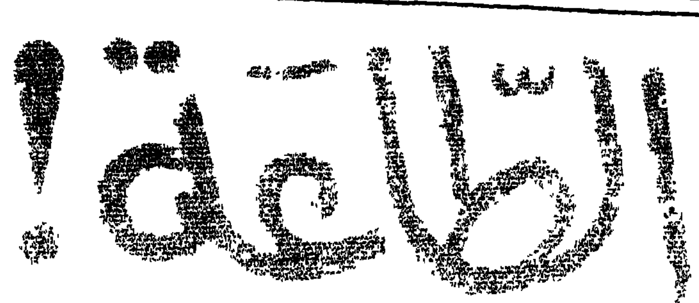
أضواء على : اتفاقية التبادل التجاري بين أمريكا و"اسرائيل"	الأزمة المالية العالمية ومشكلة الديون	مشاكل العمالة والأجور في البلاد النامية
د. وصل النقيب	د. يوسف سليمان الفاضل	د. رمزي زكي

- ينبوع من الايمان في أرض المعركة / د. عبدالعزيز كامل
- الطب النفسي عند العرب والمسلمين / د. احسان العمد
- هموم وراء قناع ضاحك ! / خالد القشطيني
- القاضي عاشق التتار ! / د. محمد المنسي قنديل
- وجهًا لوجه د. فاروق الباز وطارق حسيني
- تشالينجر المتحدي تتحداه الاقدار ! / طاهر سكر القيسي
- ذكريات مع خليل حاوي / د. عبدالعزيز المقالح
- الاثار الادبية والترجمة / عبدالرزاق البصير
- سقف التجديد ! / شوقي بغدادي
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر والبيت العربي.

واقرأ أيضًا للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. عبدالله العتيبي - د. حسن فريد أبو غزاله - عبدالرحمن حرتياني، عبدالقادر التلمساني - زهور دكسن - جليل العطيه - محمود مفلح

مرض عربي اسمه



بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

يقول علماء الاجتماع ان هناك قيما تعمل على تثبيت النظام الاجتماعي واستقراره وأخرى تعمل على تغييره وتبديله
فكيف ينظر الكاتب الى قيمة مثل قيمة « الطاعة » في نظامنا الثقافي والاجتماعي العربي ؟

لو تساءل المرء عن الصفة الأخلاقية التي يراد من الإنسان العربي أن يتحلى بها في كافة مراحل عمره ، وفي جميع الميادين التي يتعامل معها خلال حياته الخاصة والعامة ، لكانت هذه الصفة ، على الأرجح ، هي الطاعة . ان الطاعة ، في ثقافتنا العربية ، فضيلة الفضائل ، وهي الضمان الأكبر للتماسك والاستقرار في المجتمع ، وهي الدعامة الأساسية لاستتباب الهدوء والسلام بين الأفراد بعضهم ببعض ، وبين كافة المؤسسات التي ينتمي اليها الانسان العربي خلال مراحل حياته المختلفة والطاعة هي الفضيلة المفضلة ، التي كان يعتز بها التراث العربي في شتى عصوره ، وما زالت في نظر كتابنا وموجهينا ومعلمينا المعاصرين وساما على صدر كل من يتحلى به . انها ، في كلمة واحدة ، الفضيلة التي تبدو ، في نظر الثقافة العربية ، صالحة لكل زمان ومكان

فضيلة أم رذيلة ؟

والقضية التي أود أن أدافع عنها في هذا المقال تسير في الطريق المضاد لهذا التراث الاخلاقي والاجتماعي الراسخ ، المتأصل ، القديم العهد . ففي رأيي أنه اذا كانت هناك أسباب معنوية لتخلفنا وتراجعنا واستسلامنا أمام التحديات ، فان الطاعة تأتي على رأس هذه الأسباب . انها ، بغير تحفظ ، رذيلتنا الأولى ، وفيها تتبلور سائر عيوبنا ونقائصنا

وأستطيع أن أقول ان تنشئة الانسان العربي ترتكز ، في مراحلها المختلفة ، على تثبيت هذه القيمة



الخلفيه والاجتماعيه وعرسها بطريقة راسخه حتى تصبح ، في النهايه ، جزءا لايتجزأ من تركيبه المعنوي فمنذ سنوات العمر الاولى تعمل الأسرة على ان تكون العلاقة بين الاباء والأبناء علاقه « طاعه » ، وتقدم « طاعه الوالدين » على انها قمة الفضائل العائليه بل ان الأبناء حين يكبرون ، ينسبون نجاحهم الى « دعاء الوالدين » الذي حلت بركاته عليهم لأنهم كانوا أبناء « مطيعين » ويعمل تراث شعبي كامل على ترسيخ فكره الطاعة بين الأبناء والاباء وكأنها هي النموذج الأعلى للسلوك الاسري المثالي وحين يتكرر هذا النموذج عبر عشرات الاجيال ، تكون النتيجة الطبيعيه هي جمود المجتمع بأكمله وانعدام التجديد فيه ، وتفاخره بشعار رجعي متحجر هو « ونشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده ابوه !!

أما العلاقة بين الزوجين فان أساسها الذي تفرضه التقاليد،وتحاصر به المرأة من كافة الجوانب ، هو طاعة المرأة لزوجها ان الزوج هو الآمر ، وهو الممسك بالدفة ، أما الزوجة فان سيلا عارما من الأدبيات والتراث الشعبي والنصائح الموروثة يؤكد أن فضيلتها الكبرى تكمن في كونها زوجة « مطيعة » فاذا خالفت أوامر « الزوج القائد » أو حاولت الافلات من قبضته فهناك دائما بيت الطاعة ، أعني سجن التمرد

فصام

وحين ينتقل الطفل العربي من خلية المجتمع الصغرى ، أعني الأسرة ، ليبدأ في الاندماج في

مجالات أوسع وأكبر ، تجد بعد [illegible] من أوليه لإجراء ، على مفهوم [illegible] سلوب التعلم لا يسمح بالمناقشة [illegible] عن الشخصية المستقلة ، [illegible] التلميذ كائن مطيع ، [illegible] ولا يراد منه إلا أن يردد ما يلقنه [illegible] حقيقة عن ظهر قلب [illegible] من [illegible] الشائكة من البحث [illegible] التي تصدر عن [illegible] في كل عام ، والتي تدعو [illegible] في نظام [illegible] الملكات الابتكارية والإبداعية [illegible] الشخصية الاستقلالية والقدرة على [illegible] المعلم [illegible] الكتاب المقرر [illegible] الا بدور الحافظ [illegible] الالتزام بكل حرف في الكتاب [illegible] المؤسسة التعليمية دائما على [illegible] الطاعة في [illegible] الأدمغة [illegible] كلها [illegible] للمعلومات المحفوظة ، وتعطي [illegible] للتلاميذ المجتهدين » - وهي [illegible] لا يعني الا « الحافظين » - [illegible] أن تخلق فيهم أسئلة [illegible] الأمر [illegible] المعلم [illegible] في كل حقبة ، لا [illegible] في عقولهم الخيالي ، والأصالة [illegible] [illegible] الأسباب الحقيقية [illegible] على الذوق ، ومن تحدث في [illegible] حظوة وأحدث [illegible] الأبداعي لدى [illegible] [illegible] في صدره ، [illegible] من [illegible] حتى [illegible]

[illegible] في مرحلة الحياة [illegible] في الأساس .

على مبدأ الطاعة ، فعلاقته بالمسئول هي علاقة « رئيس بمرءوس » - وهو في ذاته تعبير يحمل دلالات بلغة محكمة « الرئيس » مشتقة من « الرأس » ، أي أن المسئول في أي موقع للعمل هو رأس العاملين فيه ، وهو أعلاهم مقاما ، [illegible] عقلهم المفكر وأهم الصفات التي تعبر عن تقدير المجتمع للموظف العربي ، والتي تؤهله للارتقاء في منصبه ، هي أن يكون « موظفا مطيعا » ، [illegible] (أي حتى [illegible] لحسابه) ولا [illegible] سواء مع العاملين ، حسبما تدل معظم « التقارير السرية » التي [illegible] عمل مرءوسيهم ، هو أن يكون [illegible] « [illegible] »

وفي السياسة والحكم

ولكن أهم الميادين التي يحرم فيها الإنسان العربي [illegible] مرحلة النضج ، هو ميدان السياسة والحكم [illegible] مبدأ الطاعة ، في وطننا العربي ، هو السائد والمسيطر بلا منازع

فالأنظمة الديكتاتورية المسلطة لا تريد من المواطن إلا أن يكون « مطيعا » لأوامر الحاكم ، وأداة « طيعة » في يده [illegible] هذه الدعوة إلى الطاعة شكلا [illegible] أجهزة الإعلام المأجورة أو المنافقة تصوير الحاكم بأنه مصدر الحكمة ومنبع الفكر السديد ، ومن ثم فإن كل ما على المواطنين هو أن يكلوا أمورهم إليه ويعتمدوا عليه ، فهو الذي يفكر بالنيابة عنهم ، وهو الذي يعرف مصلحتهم خيرا مما يعرفون ، وهو الذي يعفيهم من مشقة اتخاذ أي قرار . وفي مقابل ذلك فإن أي نقد أو اعتراض « [illegible] » يوصف بأنه « عصيان » . [illegible] لا يعتبر [illegible] الكبائر هي « شق عصا الطاعة » (لاحظ الارتباط في التعبير اللغوي التراثي ، بين « الطاعة » و « العصا » !) ، وجريمة الجرائم - [illegible] - هي « [illegible] المتقفين » ، أي محاكاتهم ومساءلاتهم في الأمور التي [illegible] للحاكم

ولكن دعوة الحكام الى الطاعة قد تتخذ طابعا غير مباشر، حين يصبح الشعار الذي يسود المجتمع هو «الانضباط والنظام»، أو حين يطلب الى الشعب الاستعاضة عن ديمقراطية النقد والمعارضة، بالاكتفاء بديمقراطية الموافقة»، أو حين تخنق كل صيحة احتجاج بحجة أنه «لاصوت يعلو فوق صوت المعركة». على أن أشهر هذه المحاولات المستترة لتأكيد مبدأ الأمر والطاعة في علاقة الحاكم والمحكوم هي تحويل هذه العلاقة الى رابطة عائلية، بحيث يصبح الحاكم «رب العائلة»، وينظر الى المجتمع كله على أنه «عائلة واحدة»، أو ما يسمى - في مصطلح العلوم الاجتماعية - باسم «النظام الأبوي» «البطريركي» (وكلمة بطريرك Patriarch الانجليزية مشتقة من اللفظ اللاتيني Pater ويعني الأب).

ذلك لأن السمة المميزة لعلاقة رب الأسرة بأفرادها هي أنها مبنية على الطاعة. وهكذا فإن الحاكم، حين يصبح «رب العائلة» او «رب الأسرة الواحدة»، يطالب لنفسه بحقوق الأب، الذي لايخضع لمحاسبة أبنائه، والذي تطاع أوامره، مهما كانت قسوتها، برضاء واختيار. والذي يسعى أن تقابل صرامته بالحب، لأنها تستهدف دائما صالح «العائلة». والأهم من ذلك أن «الأب» أو «الكبير» هو الذي جمع الخبرة والمعرفة والرأي السديد، وكل من عداه أقل منه قدرة. ومن ثم ينبغي أن يترك القرار له وحده. وعلى الآخرين أن يسعدوا بنعمائهم في الظل. لو بدا أن في قراراته ظلما او عدوانا، فإن ذلك يرجع الى جهلهم بمصالحهم الحقيقية، التي يعرفها «الرجل الكبير» خيرا من أي فرد من أفراد «الأسرة».

انتزاع جذور النقد

اما في الأنظمة التي تستولي على الحكم بانقلابات عسكرية، وما أكثرها في وطننا العربي، فإن مبدأ الأمر والطاعة يصبح هو المسيطر بلا منازع. ذلك لأن تكوين شخصية الضابط او الجندي المحارب في الجيش يعتمد اساسا على تعويده أن يصبح انسانا مطيعا، وانتزاع كل جذور النقد والتساؤل من شخصيته. فالجيش مؤسسة تقوم كلها على ترتيب هرمي تسود الرتب المختلفة فيه نظام صارم من الأمر والطاعة. ومن المؤكد أن هذا النظام قد أثبت فعاليته في المهمة الاساسية التي تضطلع بها الجيوش وهي القتال في سبيل الوطن، دفاعا أو هجوما، بدليل ان معظم جيوش العالم كانت ولا تزال تأخذ به. ولكن المشكلة الحقيقية تبدأ حين ينقل هذا النظام الصارم من ميدانه الأصلي، ويصبح أساسا لحكم مجتمع كامل، بحيث تغدو علاقة الحاكم بالمحكوم مماثلة لعلاقة الضابط الآمر بالجندي المطيع. ومثل هذه العلاقة تؤدي حتما الى تخريب عقل المواطن وضياع قدرته على المشاركة في حل مشكلات مجتمعه. وتولد لدى الحاكم احساسا متضخما بذاته، حتى ليتوهم أن الوطن كله قد تجسد في شخصه. وما أكثر ما يمكن أن يقال عن النتائج المأساوية المترتبة على تطبيق الأنظمة العسكرية الصارمة على مستوى المجتمع بأكمله، وتحويل مؤسسات الدولة الى نماذج مكبرة للثكنات



الحربية ونحن نحسنا ، تحقيقا لأهداف هذا الحديث ، أن ننبه الى ان مبدأ الطاعة هو القيمة الأساسية والفضيلة العسكرية لرجل الجيش ، وهو الذي يعده منضبطا حين يدار المجتمع بأكمله على النسق المطلق في المؤسسة العسكرية

ان الطاعة وباء لا ينفلت منه احد ، وإذا أطلقت لها العنان اصابت عدواها الجميع ذلك لأن كل من يفرض الطاعة على من هم دونه ، يجد نفسه مضطرا الى طاعة من علاه فلأن الذي يمارس سلطات دستورية على ابنائه وزوجته ، يجد نفسه خاضعا مقتدى في عمله ، ومقهورا بتكبيل الحرية على يد حكومته . وفي جميع الاحوال يظل التسلسل مستمرا . فلا احد يفلت من ذل الطاعة ، ولا أحد يتنازل عن [illegible] تمارس منعه وفرض أوامره على [illegible] حتى [illegible] نظل بطل جيش حرية [illegible] ولا [illegible] أو تتحرك لا تحت أعين [illegible] ولا [illegible] في لحظة واحدة ان يعصي أمرا لمن [illegible] في [illegible] امنه وسلامته

التمرد قيمة أيضا

وهكذا ففي كل مجال من مجالات الحياة نجد الانسان العربي مبدأ الطاعة مفروضا عليه ، يدفعه الى المسايره والخضوع والاستسلام ، ويقضي على كل امكانات التمرد والتمرد في شخصيته ان الطاعة تحاصرنا من كل جانب ، وتلازمنا في جميع مراحل حياتنا ، وتفرض نفسها حتى على من يدعون « الثورية » في مجتمعاتنا

على أنك حين تطيع ، لا تكون ذاتك ، بل تمحو فرديتك وتستسلم لغيرك وأكاد أقول أن أعظم انجازات الانسان لم تتحقق الا على أيدي أولئك الذين رفضوا أن يكونوا « مطيعين » فالمصلحون الذين غيروا مجرى التاريخ لم يطيعوا ما تمليه عليهم أوضاع مجتمعاتهم ، وأصحاب الكشوف العلمية الكبرى لم يطيعوا الآراء السائدة عن العلم في عصورهم ، والفنانون العظام لم يطيعوا القواعد التقليدية التي كان يسير عليها أسلافهم وهكذا فان كل شيء عظيم انجزته البشرية كان مقترنا بقدر من التمرد ، ومن الخروج على مبدأ الطاعة وأكاد أقول ان الانسان لم يكتسب مكانته في الكون الا لأنه رفض ان « يطيع » الطبيعة ويستسلم ـ كما تفعل سائر الكائنات الحية ـ لقواها الطاغية وهكذا فان الانسان الذي يعرف معنى وجوده هو ذلك الذي يهتف في اللحظات الحاسمة من حياته ٠ أنا متمرد اذن فانا موجود

□

سلامة الجيش

● كانت سلامة الجيوش العربية الاسلامية ، والابتعاد بها عن أية مغامرة خاسرة شرطا رئيسيا وأساسيا من تقاليد القتال ، وأمرا ردده الخلفاء دائما لقادة جيوشهم

وقد أوضح أحد الخلفاء المسلمين ، وهو عبد الملك ابن مروان هذا التقليد المهم من تقاليد القتال حين قال لأحد قواده « انت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي ان وجد ربحا تجر . والا تحفظ برأس المال ، ولاتطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك »

اقوال

■ ان الروائي يكتب باستمرار روايته الواحدة ! اذا حاول الروائي أن يكرر نفسه من خلال الموضوع ذاته ومن خلال نفس البناء ، فانه يحاول بذلك الانتحار

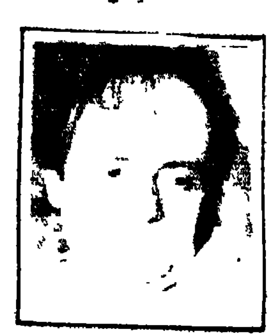
د. عبد الرحمن منيف


د. عبد الرحمن منيف

■ ان مهمة [illegible] نسف كل مفهومات اللغة الشعرية او شكل القصيدة فقط . بل عليه في المقام الاول ان يؤسس مفهوما جديدا للانسان نفسه

الشاعر أدونيس

(علي احمد سعيد)


ادونيس

■ نحن [illegible] ، نرفض مبدأ التقيد الكامل بالتراث [illegible] الشعري . ونرفض مبدأ الهدم الكامل والتأسيس من جديد ، نحن نسير في خط ثالث بين هذين المنهجين

الشاعر سميح القاسم

■ على العرب ان يفهموا شجاعة عنترة لا أن يحاربوا الطائرة بسيفه

جاك بيرك

مستشرق فرنسي


جاك بيرك

■ اننا بحاجة الى احيان كي نواجه تلك القطاعات التي تفرضها علينا الاسماء

خورخي لويس بورغيس

كاتب ارجنتيني

■ **حائزة نوبل حدث يتخطى الحدود الأدبية ، وله أبعاد أخرى لايتقنها العرب ، ولذلك فهم لم يحصلوا بعد على الجائزة .**

بيدرو مارتينير مونتافيس

مستعرب أسباني


سميح القاسم

*** تستطيع أن تقضم تفاحة بأسنان من ذهب ، ولكنك لاتقضمها بالطريقة التي تقضمها بها بأسنانك ، ولن تجد فيها المذاق ولا العصير اللذين تجدهما فيها اذا قضمتها بأسنانك .**

رسول حمزاتوف

كاتب داغستاني سوفييتي

العربي - العدد ٣٣٢ - يوليو ١٩٨٦



بقلم : امين هويدي

بالرغم من تعاملنا مع « اسرائيل » طوال هذه الاعوام ، وبالرغم من اننا قاسينا من هذا التعامل كثيرا ، الا اننا مازلنا في حاجة الى جهود مكثفة لمعرفة الطريقة التي تمارس بها سياستها

في هذا المقال عن الاستراتيجية الاسرائيلية في ظل التقابل والغموض يلقي الكاتب ضوءا على واحد من أهم جوانب السياسة الاسرائيلية

[illegible] ... فقط مجرد ... لا يعني ... التي ... اصحاب ... من اليهود [illegible]

يحدوهم تستطيع الازمة . في انها قطعة ارض يتنازعها صاحبا حق . ولكن الامور ليست بهذه البساطة . ثم يحدث ان السلطة العالمي في ظل قوانينه الحالية لا تميل الى الحسم « المسائل » ولكنه اميل الى التعامل من [illegible] . الأمر الذي يسمح بمبدأ التقسيم - تقسيم الارض والدول - ان نشبت . وفي ظل هذا التقسيم [illegible] الأمر الى اننا نجد من « اسرائيل » [illegible] [illegible] الأزمة . في الوقت الذي [illegible] « [illegible] » وهو يصنع الالغام ونحن الخبر يزداد الامر تعقيدا

الاستخدام والممارسة

في اطار سياسة الترابط تمكن ان نضع ابدا على [illegible] استخدام القدرة وممارسة الدبلوماسية ، [illegible] الترابط بين مسائل [illegible] والترابط [illegible] في ادارة [illegible]

[illegible] الازمة [illegible] ١٩٦٤ [illegible] التفاعل [illegible] الدولة الاقوى [illegible] الاقوى [illegible] الاخير [illegible] وفي ممارسة [illegible] « انطلاقة [illegible] » [illegible] الا [illegible] ذاتية [illegible] لتحرك [illegible] فاذا [illegible] جديدة [illegible] »

يحاول البعض ان يوجد تناقضا بين « نظرية كيسنجر في الترابط »، وبين نظرية بريجينسكي في التفاعل ، » على اساس ان الأول يتبع اسلوب الخطوة خطوة ، دون تحديد الاطار العام للعملية السياسية الكلية . بينما يرى الثاني ان من الضروري تحديد اطار عام اولا ، وتصور الهدف المراد . ثم تحريك العملية السياسية ضمن هذا الاطار ، ونحو الهدف خطوة خطوة . الا ان من يدقق في تصور الكيفية التي تدار بها « الازمة »، يجد انه يبدأ ذلك بالترابط سواء كان على مستوى العالمي او الاقليمي . ثم يبدل المحاولات . وبالمقابل في نقطة ما تحقق اغلب اهداف الاطراف المتصارعة في حساب التعادل في ميزان القوى »، او حتى اغلب اهداف الطرف الاقوى في حالة اختلال توازن القوى » ولا يمكن ايجاد من ان [illegible] « الترابط » في غياب تصور لاطار العام للعملية السياسية ، بل لا تمكن ان يكون هناك « ترابط »، لا في ظل [illegible] استراتيجية حدود معينة او في ظل ربط الاهداف بالنتائج ، وفي ظل القدرة على تحريك « الموقف السياسي »، بصفة مستمرة . وبالتالي « لا تعارض ابدا مع « الترابط »، بل هو مكمل له بفارق واحد ، هو ان الأول يتم بالتحرك الرأسي ، اما الثاني فيتم بالتحرك الافقي او الخارجي

والخلاصــــة .

* ان هناك ترابطا كاملا بين القدرة والقوة ، باعتبار ان القدرة هي محصلة مجموع قوى الدولة في المجالات المختلفة

* وان هناك ترابطا بين الدبلوماسية والقوة ، فالقتال لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية ، والكلام لا يمكن ان يستمر الى الابد ، فالكلام والقتال لحنان في لعبة الصراع ، اذا اقتصرت ادارته على احداهما كانت اداة عرجاء

* ان ادارة الترابط لا تعرف للون الابيض ولا اللون الاسود ، اذ تتسم بالمرونة دون التفريط ، فلا يجوز التساهل في حل قضايا فرعية ، الا اذا تم حل القضية الرئيسية ، معظمها

* وانه لا يوجد تعارض بين « الترابط » و « التفاعل »

في ادارة الازمة الاقليمية او العالمية فالعملية السياسية كلها تبدا في اطار الروابط ، حتى نصل إلى نقطه التفاعل ، باستخدام كل الوسائل المتاحة

وعلينا ان نتذكر دائما اننا في عالم لا تحل فيه الازمات ولكنه عالم يؤمن « بادارة الازمات » لتصل الى نتيجه هي وسط بين الانتصارات الكاملة ، والهزائم الكامله قطعة انتصار وقطعه هزيمة ، وحجم ايهما يتوقف على القوه والقدرة والمهارة في استخدامها

المرأة والدبلوماسية .

هذا عن « الروابط » و « التفاعل » فماذا عن « الغموض »؟ في مقال « لأبا ابان » وزير خارجيه اسرائيل الاسبق في « الجيروزلم بوست » ، بتاريخ ١١/١/١٩٨٥ قال بالنص الحرفي « يدعي الكثيرون بعد الغموض البناء الى هنري كيسنجر ، بينما كنت في الحقيقه صاحب هذا النعت حينما كنت ادافع عن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ امام الكنيست » والمقال كله يوضح في جلاء ان الغموض كان بناء بالنسبه لبلاده دون الاخرين ، وفي تقديري ان الاصح بالنسبه « لاسرائيل » هو تعبير « الغموض المتعمد »

وتبنى النظريه الاسرائيليه في الغموض في المحافل الدوليه على اساس ان الدبلوماسيه تتمتع لدى الرأي العام بالصفه التامريه ، فمن الخطأ اعتبار ان الاخلاف الدوليه تماثل الاخلاف الانسانيه ، وكثيرا ما نجد السفراء وذوو الاخلاق المثالية انفسهم وهم يخدمون بلادهم ، فانهم يقومون بذلك بطريقه ومستوى تتعارض تماما مع اخلاقهم المثاليه ، خصوصا فيما يتعلق بالدقه والمحافظه على الكلمة والوفاء ، وربما تتعرض المرء وهو تمارس السياسة لدحضه او في علاقاته الاجتماعيه الى النقد ، وربما محاسبته ، اوانه تذب او استمرأ التراجع عما وعد به ، ولكن الامر ليس كذلك في المحافل الدوليه

وتأكيدا لذلك ـ ومن باب الفكاهه ـ فان دبلوماسيا سئل حدثني حسلات مره عن الفرق بين الدبلوماسيه والمرأة ، فاجابه وهي تضحك « لا اعتقد ان هناك فرقا بينهما ، فكلاهما ناعم وخادع في نفس الوقت »

ولم يوافقها الدبلوماسي على طول الخط وقال لها « بل هناك فارق كبير بينهما ، فحينما يقول الدبلوماسي نعم ، فانه يعني ربما ، وحينما يقول ربما فانه يعني لا ، واذا قال لا فهو غير دبلوماسي اما المرأة فحينما تقول لا فهي تعني ربما ، فاذا قالت ربما تعني نعم ، واذا قالت نعم فهي ليست امرأة »

ويحكى ان ونستون تشرتشل حضر مواراه جثة صديق له قد مات،ولفت نظره انه نقش على القبر « كان دبلوماسيا ماهرا وعلى اخلاق عالية وعلق تشرتشل » على ذلك « هذه اول مرة ارى فيها رجلين يدفنان في قبر واحد »

وترتيبا على ذلك فان ابا ايبان يقول (لا نتوقع احد ان نتعامل في المجال الدولي بصراحة ، ولا يطلب ذلك ابدا من رجل الدوله ، فمكيافللي لا يؤيده الا القليلون في العلن ، ولكن ما اكثر من يقلدونه في السر ، وكل الحكومات تتخذ قراراتها بناء على مصلحتها ، ولكنها تدافع عن هذه القرارات باسم الاخلاق والمبادىء ، ان الصراحه والوضوح انما تعني الوصول الى الطريق المسدود ،

وبالتالي تؤدي إلى الحرب ، وتحتم الاتجاه الى المصالحة ، وحل المشاكل القابله للاتفاق ، وتأجيل المسائل المستعصيه الى ظروف افضل ، وهذا يعزز الاتفاقات الجزئيه والمؤقتة التى حلت محل اتفاقيات السلام العتيقة باختامها الشمعية ، داخل الملفات الانيقه المصنوعة من الجلد الفاخر ، وبالمثل هناك صعوبات تعترض الغموض ، سواء على المستوى الخارجي او الداخلي ، ولكن لابد ان نضع في حساباتنا ضرورة اللجوء الى توقيع نصوص يعتبرها الموقعون عليها انها تحقق اغراضهم في ظل تعارض سياساتهم ، وكل ما يستطيعه المرء هو وضع بعض المبادىء العامة ، مع تأجيل الخلاف على معناها لمفاوضات تتم في ظروف افضل ، وليس الفيصل هنا هو ان هذا هو احسن الحلول ، بقدر ما انه اجراء يحول دون استئناف الحرب مرة اخرى »

واذا اخذنا القرار ٢٤٢ الذي اشترك في وضعه أبا ايبان ، نجده يتفق مع هذه المفاهيم فهناك كثير

من النصوص الغامضة الانسحاب من اراض دون تحديد مدى هذا الانسحاب ، تحقيق سلام عادل دائم ، حدود امنة يعترف بها دون تحديد مفهوم للسلام او الحدود كل هذا ترك تحديده للمفاوضات عن قصد وسبق اصرار ، ويعلق أبا ايبان على القرار قائلا « ان مفهوم العرب الخاطيء في ان القرار سيؤدي الى حل بذاته ، ادى الى طريق مسدود ، حتى كسر السادات الجمود القائم بزيارته القدس ، لقد كان القرار ينادي بضرورة التفاوض ، وهذا ما جعلني اسميه بالغموض البناء الذي لولا صدوره لتفجر الموقف مرة اخرى بعد عام ١٩٦٧ »

وطبعا ، فان ابا ايبان يعني انه « غموض بناء » بالنسبة « لاسرائيل » !!

الغموض البناء

وقد تعودت ان استعرض جانبي التل ، ـ الجانب البعيد « اسرائيل » ـ ، والجانب القريب ، وهو جانبنا ، ثم اقف على قمة التل لأرى الحقيقة ساطعة دون غموض « بناء » او « غير بناء » ولكي اقف على مساعد الجانب القريب ازاء غموض الجانب البعيد ، رجعت الى مذكرات محمود رياض « البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط » الذي كان وزيرا لخارجية مصر وقت صياغة القرار ٢٤٢ ، اذ يقول في ص ١٤١ « زارني جولدبرج ـ المندوب الامريكي في الامم المتحدة ـ يوم ١٩٦٧/١١/١٢ ، مستفسرا عن موقفي بعد الايضاحات التي قدمت للملك حسين في واشنطن ، حول المشروع الأمريكي ، وكان الملك قد قابل الرئيس الامريكي جونسون ، وتلقى منه تأكيدات بانسحاب « اسرائيل » من جميع الاراضي العربية اذا قبلنا المشروع الامريكي ، فقلت له انك كنت تصر على وضوح كل خطوة ، والا نترك اي كلمة دون تفسير واضح انني افهمك في ذلك الحين وانني ارى ان المشروع الامريكي لايتحدث عن الانسحاب بوضوح وقد فوجئت بأغرب حجة سمعتها منه . فقد شدد اهمية استخدام لغة واضحة ، الا ان الامر قد يتطلب في بعض الاحيان شيئا من الغموض لتخطي بعض العقبات ، المهم ان يكون هناك توازن في الغموض » ، وهذا يؤيد اتفاق جولدبرج مع أبا ايبان على ان يكون القرار غامضا ، ثم ارجع الى الصفحة ١٥٢ ، فأجد ان مندوب فرنسا يقول « اذا رجعنا الى النص الفرنسي للقرار ـ الذي هو اصيل بنفس قدر النص الانجليزي ـ فاننا سوف نجد انه لا يوجد اي مكان للغموض ، حيث انه يتكلم عن « الأراضي المحتلة » وهو التعبير الذي لا جدال في تطابقه مع تعبير « اراض محتلة » في النص الانجليزي ، ونحن ايضا ممتنون لسماع ممثل المملكة المتحدة ، لورد كارادون ، وهو يبرز العلاقة بين تلك الفقرة من مشروعه ، وبين عدم جواز حيازة الاراضي بواسطة القوة . هنا نجد غموضا آخر يتجسد في الاختلاف بين النص الفرنسي والنص الانجليزي للقرار ٢٤٢ وفي ص١٥٧ يورد محمود رياض تعليق جمال عبد الناصر على مناقشة الموقف السياسي في مجلس الوزراء في ١٩٦٨/١١/١٨ « اننا سوف نتعاون مع يارنج رغم ايماننا بفشل مهمته ، وسنستمع الى الولايات المتحدة برغم انها تريد الان ان تجعلنا ندخل غرفة مظلمة ، اسمها التفاوض بشأن القرار ٢٤٢ ، اننا سوف نتعاون مع الشيطان نفسه ولو لمجرد اثبات حسن النية ، ولكننا نعرف من البداية أننا نحن الذين سنحرر اراضينا بقوة السلاح ، وهي اللغة الوحيدة التي سوف تفهمها « اسرائيل » ، فلتساعد امريكا « اسرائيل » في عدوانها ، ولتحاول كلتاهما ان تصفيا القضية الفلسطينية ، ولكنهما تعرفان جيدا ، اننا لم نهزم في الحرب ، طالما اننا نتفاوض مع « اسرائيل » ولم نوقع صلحا معها ولم نقبل بتصفية القضية الفلسطينية »

هذا هو ما قاله عبد الناصر في اجتماع مجلس الوزراء يوم ١٩٦٨/١١/١٨ الذي حضرته بصفتي وزيرا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة

انه ليس غموضا بناء ، اذن ، ولكنه غموض متعمد »؟ وان استراتيجيه « الترابط » اجراء معمول به على المستويين العالمي والاقليمي ، شرط ان يتم تحت مظلة « الترابط الكبير » ، بين ممارسة الدبلوماسية واستخدام القوة او التهديد المستمر باستخدامها ؟ □

نقوش يمانية

من جدارية الشهيد محيي الدين العنسي

شعر :
الدكتور عبد العزيز المقالح



النّقشْ الأول :

يكتبي دمي ،

يُوقعني في النقش شاهدا للعصر
شاهدا للنهر حف في بدء الربيع ماؤه
للشمس - ترفض الظلام - انطفأت قبل مجيء الفجر
للملايين احاع الخارجين كعظام من سواد القبر
للأرض التي أرادني كتابا ، وردة ، سعفا
ونخل الذي صنعني .
أرادني عرانا ، دمعة . قشا . صدى
وتسحا على شاطئ الفراغ

النّقشْ الثاني

كنت أخا للموت
كان الموتُ لي أخا
كنا نسير توأما من بلد لبلد .
من قارة لأخرى
حملته معي لنسجن ظلاّ مؤنسا
فارتعدت حجارة السجن
واحتفل السجان مدعور الخطا
وجلس التاريخ عند قدميّ
يحكي من الذي - غدا - سوف يحُز عنق بعضنا
أنا أم الجلاّد ؟
من الذي - غدا - يدفنه الصمتُ ،
ويرتدي ثياب العشق الطريد
اسمي أم الجلاد ؟ !



النقش الثالث

تكتبني دمي .
ترسم صورتي واسمي
وصورة الأرض التي أحببت
والمبادىء التي اعتنقت
والحرف الذي عشقت
والكوكب التي أقسمت في عيون الماء
في دم الأشجار
في مساحات الزمان
في شرايين المكان
في جدار السجن
في ظهيرة الميدان

النقش الرابع .

بعد ثوان مرة يسقط على جسدي
ويصعد الروح الكبير من أوجاعه
ويكتسي جرحي لون الورد
تكتب الدماء اللحظة ـ العصر
يسجل الزمان
يقرأ العالم في التراب ساعة الوداع
تحفظ الآفاق مايكتبه دمي
ومايقوله جرحي

كم تعرضت في سبيل بلادي ... وتعرضت للمنون مرارا
وأنا اليوم في سبيل بلادي ... أبدل النفس راضيا مختارا

وهذه القصة [illegible] هي المقدمة التي [illegible] الفكر والثقافة التي [illegible] الأدباء والمدرسين والمفكرين [illegible]

ولدت سيمون دوبوفوار في التاسع من يناير عام ١٩٠٨، في عائلة [illegible] على قدر [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] عام ١٩٢٩، كانت هي في

الحادية والعشرين من عمرها، وكانت بذلك أصغر من حصل على الأجريجاسيون في فرنسا، وجاءت تاليها بعد سارتر مباشرة الذي كان على راس القائمة، وقد ظل ذلك مدعاة لفخرها وزهوها طوال حياتها. واشتغلت بالتدريس في المدارس الثانوية، وحين ذهب هو الى مدينة الهافر، جاء تعيينها في مرسيليا، وهنا عرض عليها الزواج عسى ان يساعد ذلك على تعيينهما معا في مكان واحد ولكنها رفضت الفكرة، لانها كانت تعرف تماما انه لا [illegible] الزواج منها او من غيرها، ثم انهما لم يحبذا يوما فكرة الانجاب، وبذلك لم يكن ثمة [illegible] لان يربطا معا تلك الرابطة الرسمية [illegible] يعتقدان ان الزواج نظام [illegible] في [illegible] العصر» لقد [illegible] الفلسفة [illegible] [illegible] اعادة تشكيل الأسس [illegible] علاقة [illegible] مع العالم [illegible] حرية هي جوهر وجودنا». وقد ظلت [illegible] حتى [illegible] التدريس بعد [illegible] ولم تلبث ان حققت هي [illegible] يكفل لها حياة مستقلة، [illegible] بعد ان ظهرت في روايتها «المدعوة» في عام ١٩٤٣

محكومون بالحرية

هذه كلها حقائق معروفة عن حياة دوبوفوار، وهي حقائق ووقائع بسيطة ومألوفة في الحياة الباريسية، ولكن الأوضاع في فرنسا وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، واحتلال باريس، ووطأة الحكم النازي، وما تمخض عن ذلك من مشكلات، كانت كلها عوامل تدفع الى التفكير في مصير الانسان والمجتمع والعلاقات بين الناس، وتثير تساؤلات كثيرة حول الحرية والاختيار، وحول الالتزام والارادة، وحول الموت والحياة والسلطة الأخلاقي وغير ذلك، كما انها كشفت عن الهوة التي تفصل بين التفكير النظري والممارسة السياسية



سيمون دو بوفوار وسارتر

[illegible] الذي [illegible] الكاتبة من [illegible] المجتمع من ناحية ، [illegible] [illegible] الأخلاقي [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] في المجتمع ، [illegible] سارتر وسيمون [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] الذاتية [illegible] الأخلاقيات [illegible] مشكلات [illegible] الانسان المعاصر في [illegible] ، وفي كتاباتها في مجلة « العصور الحديثة » التي أسسها سارتر عام ١٩٤٥

[illegible] الاستاذ [illegible] ، وكان موضوعه هو الفيلسوف العقلاني الألماني لايبنتز صاحب نظرية (المونادات) او الجواهر الروحية ، وهي نظرية صعبة [illegible] الى الطبيعة والى [illegible] الميتافيزيقا واحيانا الموضوعات [illegible] العمل تحت اشراف استاذ مثل برنشفيج يكشف عن مدى جدية تفكيرها ، ثم خضعت لتأثير الوجودية التي [illegible] متأثرا بآراء

الفيلسوف الدينماركي كيركجور بوجه خاص ، وان كانت تبدو فيها بعض المعالم من فلسفة نيتشه ، وقد انعكس تأثرها بالوجودية في سلسلة من المقالات التي يغلب عليها الطابع الأخلاقي ، والتي نشرت في مجلة « العصور الحديثة » ثم ظهرت بعد ذلك في كتابين هما « نحو أخلاقية الغموض » (١٩٤٧) ثم « الوجودية وحكمة الشعوب » (١٩٤٨) ، ويقدم هذان الكتابان عرضا للمواقف والاتجاهات الشخصية التي تكمن وراء بعض اعمال سارتر نفسه ، كما أنهما يكشفان عن ضعف وقصور القيم الاخلاقية التقليدية ، وعن النظرة التشاؤمية ، الى الحس البشري التي تصممها الاحكام العامة الشائعة عن السلوك الانساني . والواقع ان سيمون دوبوفوار تعيد في هذين الكتابين النظر الى التصور الوجودي التقليدي للحياة ، وترى انه بدلا من الكلام عن (مسألة) الحياة فان الأحرى بنا ان نتكلم عن (غموض) الحياة وابهامها . فمعنى الحياة يتحدد وفق ما يحدده الفرد بنفسه لنفسه ، بما ان القيم الاخلاقية تحدد وجودها بقدر ما يبتكر الانسان منها لنفسه ، فليس للانسان طبيعة يمكن ان تحدد من هو وماذا يجب عليه ان يفعل ، وعلى ذلك كانت دو بوفوار ، وشأنها في ذلك شأن كل الوجوديين ، تعطي أهمية بالغة خالصة للفرد الانساني في بحثه عن المعنى وعن تكامله الذاتي ، في عالم لا يقدم اي تفسير مقبول للاشياء في ذاتها ، او تفسير اسباب وجود الاشياء تماما في ذلك الوجود الانساني ، فكل شخص يحدد ذاته بذاته ، بل ان هذا التحديد يتم لحظة بلحظة ، وهذا معناه ان صفة الانسان يتحدد تبعا لتصوره هو لنفسه ، وادراكه لذاته ، بعد ان يوجد هذا الانسان بالفعل . وعلى ذلك فالانسان حر بالضرورة ، وهو الذي يصنع نفسه أو يخلقها بهذه الحرية ، فالانسان « محكوم عليه » بالحرية لأن هذا هو ما هو عليه وليس في امكانه ان يختار بين أن يكون حرًا أو غير حر ، لانه مخلوق من الحرية ، وبقول اخر أوضح وابسط فان الانسان هو ما يفعله ، أي أنه حرية خالصة ، ولا توجد حرية غير تلك التي يملكها الانسان الفرد ، وحتى حين يتنازل عن حريته للمجتمع او الدولة أو لأي موسسة أو منظمة فانه يمارس في ذلك حريته في قبول حالة الذل والعبودية والاضطهاد

الحالة النسائية

تلك كلها آراء تشيع في كتابات الوجوديين ، وتظهر في ثوب أدبي في أعمال سيمون دوبوفوار الأدبية والروائية ، وإن كان بعض هذه الأعمال يعكس أيضا بعض جوانب تجربتها الذاتية في الحياة والمحيط الذي كانت تتحرك فيه ، كما نكتشف عن كثير من نواحي شخصيتها هي نفسها

يظهر ذلك بوضوح في روايتها (المثقفون ١٩٥٤) التي تعرف فيها القراء ما يشير الى عدد من كبار الأدباء والمفكرين الذين كانت على صلة بهم مثل سارتر وألبير كامي . وقد سبب ذلك كثيرا من الحرج وخاصة وأن هذه الرواية التي فازت بجائزة جونكور ، تشكل واقعي الى أبعد حد ما تعانيه المجتمع الباريسي المثقف . أو تجمع الصفوة الذي تنتمي اليه هؤلاء الأدباء من احباطات حول تطلعاتهم وآمالهم ، سواء كانت هذه التطلعات والآمال سياسية أم فكرية أم شخصية ، أي أنها تسجل المعضلات الكبرى التي تحيط بالوضع الانساني العام ، ومحاولات المثقفين بعد الحرب العالمية الثانية تحديد مكانتهم ووضعهم كمثقفين والانخراط في سلك العمل السياسي النشيط الذي قد يعمد أحيانا الى العنف وتعرض سلسلة الروايات التي أصدرتها في الأربعينات لبعض منطلقات النظرة الوجودية الى الحرية والانتحار ، والى الحياة والموت وما اليها ، فرواية « المدعوة » مثلا التي ظهرت عام ١٩٤٣ ، والتي تدور احداثها حول المشكلات التي تحدث بين زوجين ، وتعرض حياتهما الزوجية للدمار نتيجة لاقامة فتاة معهما لمدة أطول مما ينبغي ، انما تعالج في الحقيقة الفكرة الوجودية عن علاقة الفرد بالآخرين ، وإن ... على حساب ضمائر الغير أو ضمائر الآخرين ... ورواية « دماء الآخرين » (١٩٤٤) هي ... معالجة للمواجهة بين مفهومي الحرية ... ورواية « كل الناس فانون » (١٩٤٦) ... حول امرأة تخشى من فكرة الموت ... أن ... الحياة أثقل وأقسى ... النظرة الوجودية عن ال... ... المسرحية ... الأفواه المعطلة » (١٩٤٦) ، والتي تدور حول اتخاذ القرار بالتضحية ببعض الأفراد من أجل بقاء الجماعة في مدينة تحت الحصار . هي معالجة للمشكلة الأخلاقية عن القيمة النسبية للأفراد ، وكيف أن هذه القيمة تتحدد في ضوء علاقاتهم بعضهم ببعض من ناحية ، وفي ضوء (الفائدة) الاجتماعية لهؤلاء الأفراد من الناحية الأخرى ، وهكذا

ولكن الكتاب الذي ارتبط اسمها به أكثر من غيره ، وحمل شهرتها الى بقية أنحاء العالم ، هو كتاب « الجنس الثاني » ، كما أنه هو الذي ساعد الى حد كبير على بروز شخصية متمايزة لها ـ وإن لم تكن مستقلة تماما ـ عن سارتر ، وكان للكتاب تأثيره الفعال في قيام حركة التحرر النسائي بين الطبقات الوسطى في فرنسا ، وانتقال هذه (الثورات) بعد ذلك الى الدول الأخرى وعلى العكس من كل أعمالها الأخرى باستثناء كتابها عن « الشيخوخة » (١٩٧٠) فإن « الجنس الثاني » دراسة علمية تقوم على تجميع قدر كبير جدا من المعلومات والشواهد والبيانات التي تهدف الى توثيق تاريخ الاتجاهات والمواقف المختلفة ازاء المرأة ، وابراز وجهة نظر الكاتبة عن أن المرأة هي في كثير من الثقافات ضحية المجتمع الذي تحدد لها مرتبة ومكانة أدنى من مرتبة الرجل ومكانته ، وتشارك المرأة في ذلك شأن الشيوخ والعجائز ، الذين تحتلون هم أيضا مكانة ثانوية ، ويعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية

واهتمام دو بوفوار بالمرأة والشيخوخة نابع من اهتمامها بنفسها ، فلكي تكتب عن نفسها كان لابد أن تكتب عن حالة المرأة ووضعها بشكل عام ، وعن وضع الشيوخ والعجائز في المجتمع المعاصر ، فلقد كانت ترفض فكرة وجود طبيعة أنثوية فطرية ، ومن هنا جاءت صرختها التي تستشهد بها الكثيرات من أنصار الحركة النسائية هي أن « الانسان لا يولد امرأة ، وانما يتحول الى امرأة » بفعل الحضارة ووضع المجتمع أي أن المجتمع هو المسؤول عن طبع « الحالة » النسائية ، بسبب نظرته الى المرأة ومعاملته لها ، كما لو كانت متاعا أو شكلا من أشكال الملكية . والشيء نفسه يصدق على كبار السن ، وما تزخر به الشيخوخة من اهمال وفقر وامتهان . فقد ... ذلك الوضع لأن الطبقات المسيطرة في المجتمع ...

الطبقات الحاكمة ، لا ترى أي فائدة في الناس بمجرد أن يتخطوا تلك المرحلة من حياتهم ، التي كانوا فيها منتجين ومفيدين اقتصاديا ، فكأن المشكلة التي كانت تؤرق سيمون دو بوفوار على الصعيد الشخصي والعاطفي ، والتي درست من أجلها عددا كبيرا من « الحالات » ، لن يمكن فهمها إلا في ضوء الصراع الطبقي داخل المجتمع ككل ، كما أنه لن يمكن تغييرها الا عن طريق الثورة الاجتماعية الشاملة ، ولقد كان شبح الشيخوخة والخوف منها يطاردها منذ وقت طويل ، وقبل أن تصل الى تلك المرحلة فعلا بسنين كثيرة

بين اليسار واليسار المتطرف

الى جانب هذا كله كانت سيمون دو بوفوار تشارك بصورة فعالة ومؤثرة وخلال كل حياتها العاملة في كثير من القضايا العامة التي تتصل بأفكارها ومعتقداتها ، وتتخذ منها موقفا محددا واضحا يتفق مع فلسفتها ، ويتمثل ذلك في مشاركتها في المناقشات في المحاكمة الدولية التي أسسها الفيلسوف البريطاني برتراند رسل لمحاكمة الولايات المتحدة على دورها في حرب فيتنام ، والاشتراك في توقيع البيان الذي ينادي بحق الامتناع عن أداء الخدمة العسكرية في الجزائر ، ايام حرب الاستقلال عن فرنسا ، ورئاستها عام ١٩٧٤ للرابطة الفرنسية لحقوق المرأة ، ثم رفضها بعد ذلك الاشتراك في احتفالات الأمم المتحدة بعام المرأة سنة ١٩٧٦ على أساس أن مؤتمر المرأة في المكسيك كان يهدف الى دمج النساء في المجتمع « الرجالي » ، واستبدلت بدلا من ذلك مؤتمر المرأة النسائية الذي عقد في فنسين ، كذلك تدخل في هذا النشاط اشتراكها مع سارتر في مؤازرة كل حركات التمرد التي كانت تطالب بالحرية ، واشتراكها في انشاء جمعية الاختيار عام ١٩٧٣ ، للدفاع عن حق المرأة في الاجهاض وعدم الانجاب ... وغير ذلك كثير

ولقد كانت مواقفها دائما أقرب الى اليسار ، وأحيانا لليسار المتطرف ، وكانت ترد كل شيء في المجتمع الى البورجوازية ، ولذا كانت البورجوازية هي المستهدفة في اعمالها وكتاباتها الروائية . التي تعطي فيها للجماعة أولوية وأهمية مطلقة على الافراد الذين يؤلفون هذه الجماعة ، ويظهر هذا الميل الى اليسار واضحا في الرحلتين اللتين قامت بهما - ضمن رحلات أخرى كثيرة - الى الولايات المتحدة والصين ، وبدون الدخول في تفاصيل هذين الكتابين يكفي أن نشير الى أن رحلتها الى أمريكا ظهرت بعنوان « أمريكا يوم بيوم » بينما جاءت رحلتها الى الصين تحت عنوان « الزحف الطويل » وهذان عنوانان لهما مغزاهما العميق . ولقد كانت تحمل لأمريكا منذ زيارتها في الستينيات كثيرا من المشاعر المعادية ، والظاهر أنها لم تغير رأيها فيها قط ، فقد كتبت بعد هذه الزيارة بحوالي عشر سنوات تقول « ما ان تظهر حركة قومية أو نهضة في مكان ما ، وحتى الى أمريكا أنها تتعارض مع مصالحها الخاصة حتى تتولى تدميرها وسحقها تماما »

●●●

وأيا ما يكون الأمر ، فلقد كانت سيمون دو بوفوار تنظر الى نفسها والى أعمالها بكثير من التواضع ، وتقبل الرأي الآخر ، وتبدي استعدادها الى مراجعة نفسها ، على العكس تماما من سارتر ، وعلى الرغم من انها كانت تقول ان الفارق الجوهري الوحيد بينها وبين سارتر هو ان عقليته وتفكيره وآراءه تشكلت عن طريق القراءة والكتب بينما كان للتجربة الواقعية والناس دخل كبير في صياغة تفكيرها هي ، ومواقفها ، فانها لم تكن ترى نفسها من الشخصيات المهيمنة على الأدب والفكر في فرنسا ، وانها تشغل مكانا متواضعا اذا قورن دورها بدور سارتر ، ولكن يبقى بعد هذا كله أنها ظلت متمسكة حتى آخر حياتها بمبادئها في شجاعة لا تخلو من التحدي للمجتمع ، وقيمه وتقاليده المتوارثة ، كما ظلت أيضا تؤمن بأن الاختيارات الأساسية للفرد يجب أن تقوم على مبدأ الاعتراف بالمساواة في الحقوق والواجبات والمسؤوليات بين الرجل والمرأة ، وأن هذه المساواة ذاتها يجب أن ترتكز بدورها على الأساس الوحيد المشترك بين المجتمع وهو الوجود (الانطولوجي) بصرف النظر عن اختلاف الجنس ودفاعها الطويل المرير عن هذا المبدأ هو الجانب الذي سوف يبقى بعد أن تتوارى أعمالها الأخرى - ولو جزئيا - بمرور الزمن ☐

بقلم : محمود المراغي

وسؤال خاطئ للفقراء

بين الجيوش والاموال بين الأساطيل والسلع عابرة القارات بين العسكر ورجال البنوك علاقة قديمة

في القرن الماضي كان ذلك كله يتحرك في وقت واحد وفي اتجاه واحد

وعندما غزا رأس المال الأوروبي عالم الفقراء تحصن بالاستعمار فكان مقدمة له أو نتيجة على حد سواء

وباستمرار كان لحركة رأس المال أحد الشكلين . الاستثمار المباشر الذي يزرع أو يصنع أو يتاجر أو يفتتح مصرفا خارج الحدود او الاقراض الذي يتجه من الشمال الى الجنوب ، ومعه الوصاية والتدخل السياسي

أبغض الحلال .

في النصف الثاني من القرن العشرين استمر الشكلان ، وبرزت قوة مالية ضخمة هي قوة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومنذ الحرب العالمية الثانية كان هناك باستمرار خلاف حول انتقال رؤوس الأموال خصوصا اذا أخذت شكل الاستثمار المباشر

كان البعض يقول انه الاستعمار الجديد ، فمن خلال الأموال تتم السيطرة على السياسات

وكان البعض يقول بل انه الاعتماد المتبادل والتعاون الدولي الضروري فهناك أسواق تصدر رأس المال وأسواق توظف هذه الأموال والمنفعة للطرفين

وخلال الصراع بين الفكرتين آثرت دول كثيرة حديثة الاستقلال أن يكون ترتيب الأولويات لديها ، وحين تحتاج لتمويل أجنبي · الهبات غير المشروطة ، ثم القروض ، ثم الاستثمار

وكان لذلك منطقه فالهبات لا تضع قيدا ولا ترتب عبئاً والاقتراض يمكن أن يدار بادارة وطنية ووفق الصالح الوطني . أما الاستثمار الذي اعتبرته هذه الدول أبغض الحلال ، فهو في كل الأحوال يتيح فرصة لقدر من السيطرة الأجنبية والتأثير الخارجي

القروض أولا :

في السبعينيات ـ ودون حاجة لاستخدام الجيوش والأساطيل ، واعتمادا على « الفائض والحاجة » فائض بعض الدول وحاجة البعض الآخر ـ استمر تدفق رؤوس الأموال بأرقام قياسية ، بعد أن خلقت ثورة النفط أكبر تيار مالي عرفه العالم

كان ذلك التيار يسير في شكل دائري : نقود تخرج من الدول الصناعية للعالم الثالث سدادا لثمن النفط . ثم تعود الى العالم المتقدم في شكل فوائض ، أو ثمنا لسلع خاصة بالاستهلاك أو التنمية . . وتعود النقود ـ أو يعود جزء منها ـ الى العالم الثالث غير النفطي الذي اختلت موازينه ، وعاني عجزا لم يعالجه الا اللجوء الى العالم الخارجي .

كانت الحاجة هى عصر الجدب وكان الفائض ـ سواء فى الدول النفطية أو سوق العالم الصناعى ـ هو عصر الطرد

وخلال الخروج الكبير للأموال ، من العالم الصناعى الى الدول النامية برزت ظواهر مهمة

لقد تضاعف الاستثمار المباشر للبلدان الصناعية فى الدول النامية عدة مرات ، وبينما كان التدفق السنوى فى بداية الستينيات ـ ووفقا لدراسات صندوق النقد الدولى ـ (٢) مليار دولار . أصبح المتوسط فى السنوات (١٩٧١ ١٩٨١) ثلاثة عشر مليارا

زاد الاستثمار المباشر ، لكن أهميته النسبية تراجعت بشدة ، ليتقدم الائتمان المصرفى ، ولتحتل القروض مراكز الصدارة

لذا ، وحين تم حصر الاستثمارات والديون ـ طبقا لنفس المصدر السابق ـ فى عام ١٩٨٣ اتضح اللون السائد ، فالاستثمارات الأجنبية المباشرة فى الدول النامية غير النفطية بلغت فى نهاية ذلك العام (١٤١) مليار دولار بينما بلغ الدين الخارجى (٦٨٥,٥) مليارا وكما يعنى أن الاستثمارات المباشرة لم تتخط (١٧) بالمائة من التدفق المالى الوارد هذه المجموعة

ومزيد من التحليل يتضح أنه فى مجال الاستثمار المباشر كانت هناك خمس دول رئيسية تصدر رأس المال ، وخمس دول رئيسية تستقبل هذه الأموال

كانت هناك الولايات المتحدة الأمريكية التى تقدم نصف الاستثمار الجديد القادم من الغرب الى الدول النامية كل عام وكانت هناك الدولتان التقليديتان فى هذا المجال بريطانيا وفرنسا ثم كانت هناك ألمانيا الاتحادية واليابان وسجلت الأخيرتان أرقاما قياسية ، فنمت استثمارات اليابان فى الدول النامية بنسبة (٢١) بالمائة سنويا بينما نمت استثمارات ألمانيا الاتحادية (١٧) بالمائة سنويا وذلك فى نهاية ١٩٨٣

وعلى الجانب الآخر كانت هناك بلدان خمس ، حصلت وحدها على نصف الاستثمار المباشر فى ذلك العام ، وهى : البرازيل ، جنوب افريقيا ، المكسيك ، سنغافورة ، ماليزيا .

وبينما سجلت الاستثمارات المباشرة المنقولة من العالم الصناعى للعالم النامى (١٣) مليار دولار فى المتوسط خلال السبعينيات . بلغ عائد هذا الاستثمار (٢٦,٥) مليارا عام ١٩٨١ و (١٨) مليارا عام ١٩٨٣ .

أى أن العائد كان يفوق الاستثمار الجديد ، بما يجعل الميزان لغير صالح الدول النامية من وجهة النظر المالية

مفاضلة خاطئة :

فى التحليل النهائى نجد فروقا بين الاتجاه للاستثمار المباشر . والاتجاه للاقتراض ففى الحالة الأولى تكون الفرصة أوسع للاسهام فى التنمية ، وتكون الفرصة متاحة لربح أكبر ، ولكن فى ظل مخاطرة أشد ، ودرجة أكبر من الاندماج والتأثير فى اقتصاديات الدول المضيفة أما فى الحالة الثانية فالربح محدد ، والمخاطرة أقل ، والقرض فى معظم الأحوال يمول نفقات عامة واستهلاكية ، وعجزا جاريا ، ولايمول مشروعات تنموية انه يساند وضعا اقتصاديا وسياسيا لكنه لا يخلق بنية اقتصادية يشتد عودها حتى تستغنى عن الخارج

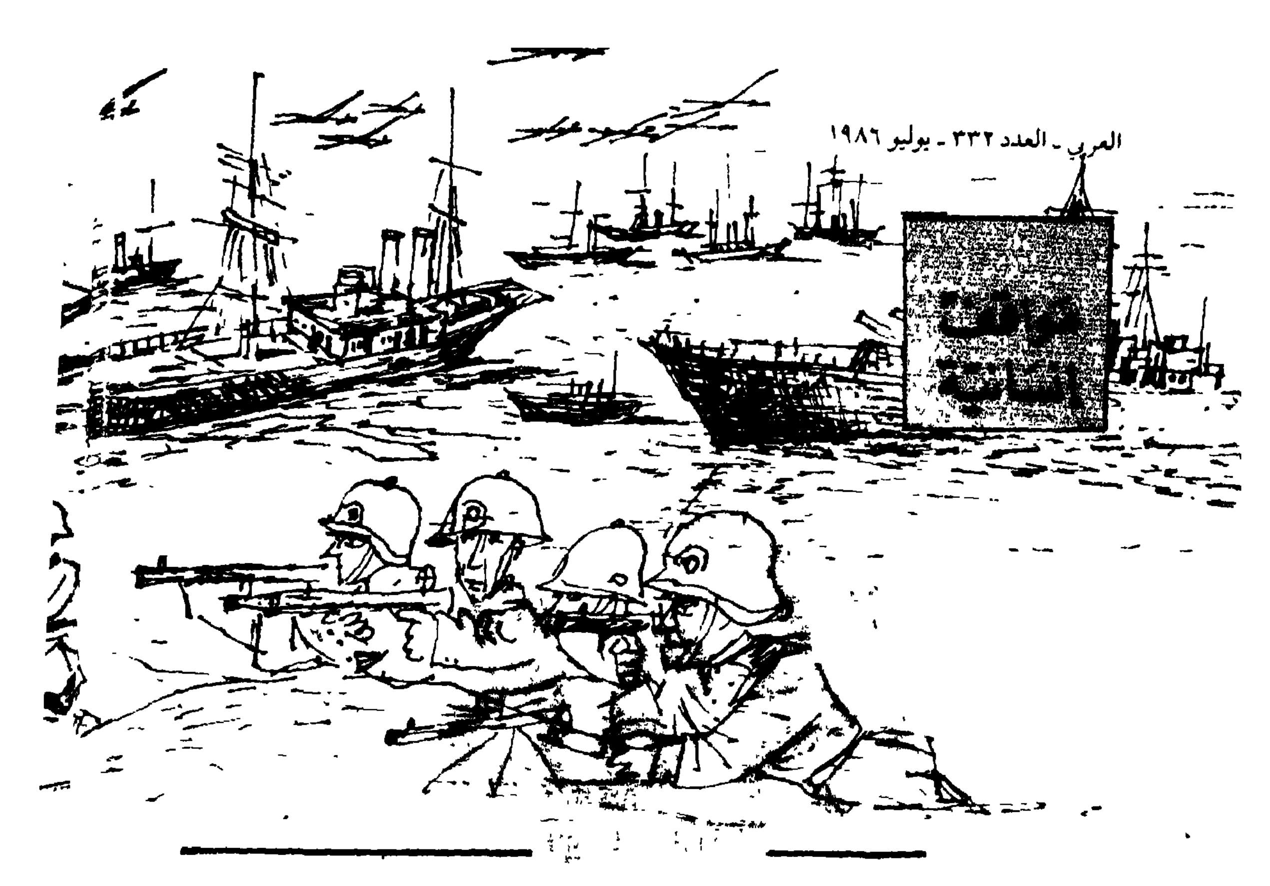
لقد تبدل الثوب من استثمار تحرسه المدافع الى اقتراض تحرسه المناورات السياسية

ولكن . بقى ما يحذر منه بعض رجال الاقتصاد فى المنظمات الدولية والدول الصناعية ، وهو أن تمويل المصارف سوف ينكمش ، والدول النامية سوف تواجه مأزقا اذا لم تبحث عن بديل فى المزيد من تشجيع رأس المال . .

وربما يسأل البعض وهل هناك ـ على صعيد القوانين والتعهدات والتنازلات ـ مايمكن أن تقدم منه الدول النامية المزيد ؟

لكن السؤال الأهم ، واذا كان المطروح عند هؤلاء هو المفاضلة بين الاستثمار المباشر أو الاقتراض . . السؤال الأهم هو أليس من سياسة أكثر رشدا ، تزيد اعتماد الدول النامية على الذات وتقلل احتياجها للغير ؟

أظن . أن تلك هى القضية وليست القضية استثمارات أو قروضا ؟ □



تظل دائماً جريمة

بقلم الدكتور : عبد الوهاب حومد

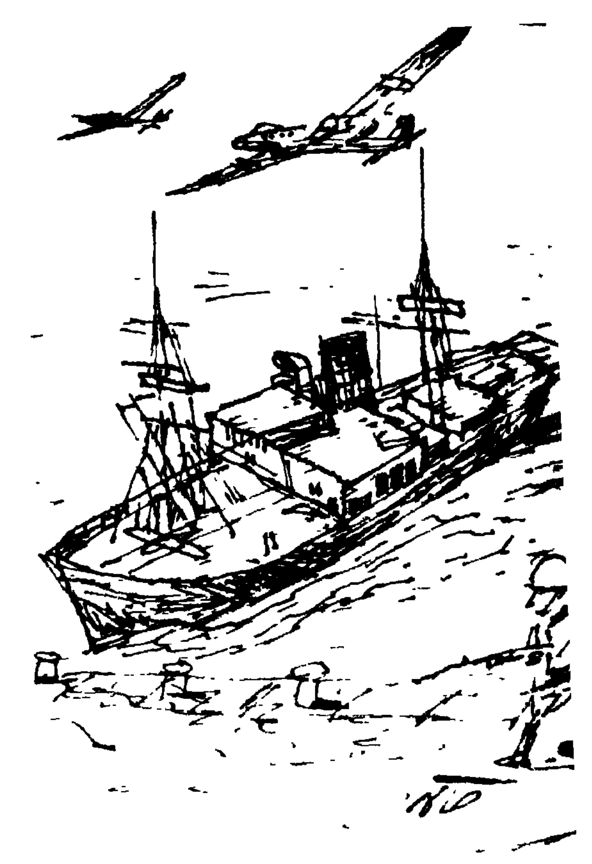
كيف يمكن ان يرى القضاء بعض الحالات التي يعتريها التناقض .. الشر والخير ، الفظاعة والرقة ، القسوة والوداعة ، الوحشية والحسنة والنذالة وحتى الاحترام ، يقابلها بعاطف وحنو ومحاولة استماع الى صوت الضمير ؟

هذه الحالات وغيرها تمر على شاشة ذكريات أحد رجال القانون الأوائل .. فيخبرنا عن قصة ما كان .. وما كان يجب أن يكون

[illegible] ، فصبيحة [illegible] عام ١٩٤٤ ، [illegible] في مقاطعة النورماندي [illegible] الاحتلال الألماني لفرنسا [illegible]

في [illegible] ، [illegible] الشمالي للبحر المانش ، تخترق عباب هذا البحر الضيق ، الذي يفصل جنوب انكلترا عن شمالي فرنسا ، لتفرغ على الأرض الفرنسية ما تحمله من مئات الألوف من الجنود ، وما يرافقها من عتاد حربي ضخم ، في أكبر غزوة بحرية في تاريخ البشر .. وكانت تحلق فوقها وتحميها آلاف الطائرات الحربية

ولم يكن القادة الألمان غافلين عما ينتظرهم ، لو



تمكن المهاجمون من تثبيت موطئ قدم لهم على الساحل الفرنسي . لذلك حاول « فون رونشتد » القائد الألماني قوته المتوسطة لصد الزحف الحلفاء ، [illegible] حاسمة على أعقابه ، [illegible] على أثر سحقهم من [illegible] هنا ، [illegible] استراتيجي من الماريشال « رومل » الذي اشتهر بلقب « ثعلب الصحراء » .

وتعرضت القوات الغازية الى هجمات معاكسة عنيفة من البر والجو ، والحقت بها خسائر مذهلة [illegible] المصفحات . تمكن الحلفاء من الوصول الى [illegible] واستعدوا على خمسين ميلا ، وارغموها على التقهقر . وبذلك بدأت نهاية الحرب العالمية [illegible] واضحة لكل عين . ذلك أن الجيوش السوفيتية كانت ، في ذلك الوقت ، ترحف نحو [illegible] . محطمة [illegible] الفولاذية أمامها . والآن [illegible] من الغرب تحطم « جدار الأطلسي » وتدق المعاقل حصينة . وأصبحت الجيوش الألمانية بين فكي كماشة

الصربة القاضية

وسارع القائد الألماني « فون كلوج » ، فأعلن [illegible] المحتلة مدينة مفتوحة . ليجنبها دمارا [illegible] . فحسب بذلك وضعا لتاريخ الخسارة ، خصوصا وأن العاصمة الفرنسية أصبحت مطوقة تماما من قبل الجيوش الحليفة ، وأن المقاومة الألمانية غدت فيها دون معنى

ولم يشأ الحلفاء أن يدخلوها وحدهم ، مجاملة للأمه الفرنسية ، فأحضروا جنرالا فرنسيا يدعى « لكلير » - كان التحق بديغول - على رأس قوات فرنسيه تتشكل في أكثريتها من العرب المغاربة ، وفتحوا له الطريق ، ليدخل مع الفرقة الأميركية الرابعه « محررا » عاصمه بلاده وقد جرت مناوشات صغيرة مع من بقي من الفلول الألمانية ما لبثت أن هدأت كما يهدأ كل يائس بعد ضربه قاضية

وهكذا تحررت باريس الجميلة يوم ٢٥ اب ، ودخلها الجنرال ديغول بقامته الفارعه وبدخوله هذا ، دخل التاريخ من أوسع أبوابه وانتهت مرحلة صراخه من الاذاعات الاجنبيه وانقض « رجال المقاومه » الفرنسيه على المعاونين الذين كانوا اعوان للمحتل الألماني ، يقتلونهم وينكلون بهم ولم تنج « المتعاونات » كذلك من غضب الجماهير المهتاجه فقد شاهدت عددا من هؤلاء المقاومين ، يجرون فتايين محروقتي الشعر ، وشبه عاريتين ، كما يجر الكلب الخروف وقد قرأت فيما بعد في كتاب لأحد المقاومين ، نشره بعنوان « مذكراتي أثناء الاحتلال » قصصا ألسنه مماثله ، كان صحبتها مدنيات وبريئات

وأقيمت لهؤلاء المتعاونين « محاكم شعبية » في منعطفات الشوارع او في مخافر الشرطه ، وكانت احكامها تصدر في نفس الجلسة وتنفذ فور صدورها والقاعدة المألوفه ، ان تكون العقوبه حكما بالموت وكان بين ضحاياها عدد من ضباط الجيش الفرنسي المحلي ، لذلك بادر الجنرال ديغول - رئيس الحكومه الجديده - الى إصدار أمر منع به تنفيذ أحكام الاعدام ، الا بعد أن نُصدّق عليها ومع ذلك فقد حدث ان حطم « العصاة » المرتجلين أبواب مراكز الاعتقال ، وانتزعوا بعض من أصدروا عليهم الحكم بالاعدام ، ونفذوا فيهم « عدالتهم الشعبية » وكانت أوقاتا قطيعة ، راحت فيها سوق الوشايه والوقيعة ، وكاد كل انسان معرضا الى أسوأ الاحتمالات

[illegible]

عصابة بوني ولافون

[illegible]

... بسبب الحس العام ... [illegible]

... بعض المتهمين ... وهو في هذه القضايا بتشكيله « مفوضي الجمهورية » والى جانبه ، الى [illegible] عدد من ... المحلفين وعددهم اثنا عشر ، والى يسار هيئة المحكمة قفص المتهمين ، وامامه طاولات المحامين ... وفي وسط القاعة - في مواجهة القضاة - قوس الشهادة . اما النظارة فلهم اماكنهم في أقصى القاعة ، جلوسا ووقوفا

وفجأة هبط على الناس جو من الرهبة والترقب حين اخذ المحلفون يدخلون الى مقاعدهم ... وازداد الجو رهبة ، وتسارعت ضربات القلوب ، حين دخل الرئيس ومعه المستشاران ... وامر الرئيس الحاجب بادخال المتهمين ، فسمع هم بابا صغيرا دخلوا منه ، ... واحدا في إثر واحد ، بين صفين من رجال الشرطة ، وهم في حالة ذعر وانكسار ، بادية لكل عين

... ن اسمي المحقق من تلاوة اسمائهم واعمارهم ... حاضرون ، سيهم الرئيس الى ان ... الى كل ما يتلى او يقال في الجلسة ... الاسئلة في هذه كثيرين منهم ، على ... ، لانهم ... في حالة ذهول قريبة من ... « مفوض الجمهورية » يعيد على مسامعهم ... تلك الاتهام مما اقترفوه من جرائم . في حق الوطن وحقوق الناس

ماخذ ومطاعن

ومن حيث المبدأ العام ، فليس من مطعن يوجه الى اشخاص الرئيس والمستشارين ، فهم قضاة من القضاء العادي ، اختيروا من بين زملائهم لمحاكمة المتعاونين مع العدو المحتل ... ولكنهم ليسوا قضاة القضاء العادي ، في هذه المحاكمات ، ذلك أن وضعهم الشرعي هو وضع « محكمة استثنائية » وكل حال القانون الحالي يمقتون أشد المقت هذا النوع من القضاء ، ولا يقبلون به ، ولا باحكامه ، وأقل ما يقولون فيه انه نوع من التصفيات الجسدية ، يتم تحت غطاء قانوني ، وفي اطار تشكيلات إجرامية مسرحية ، ليس من شأنها ان تقنع أحدا بنزاهتها

لذلك ، فانه يؤخذ على « مفوض الجمهورية » أنه اختير من قبل الحكومة ، وليس من قبل النائب

العام ، كعضو في النيابة العامة ومن المؤكد أن اختياره انما تم بناء على ما تمثله شخصيته من عنف ، وما يتمتع به من ذلاقة لسان وحضور ذهن ، وتشنيع ناد بالنقمة على المتهمين وفي الأحوال العادية ، فإن النائب العام يمثل المجتمع ، وينتصب خصما للمجرمين ، ولكنه خصم من نوع خاص ، مهمته أن يساعد على كشف الحقيقة ، لا أن يتشبث بأذيال الادانة بل إن من واجبه أن يبصر المتهم اذا وجده مظلوما ، ويخطىء الذين تستبد بهم عواطفهم الهائجة ، فيذهبون الى ان امثال هؤلاء « الادنياء » الخونة ، لا يستحقون محاكمة عادية عادلة ، لأنهم لم يكونوا عادلين في الأصل مع انفسهم ، وذلك انهم باعوا ضمائرهم ، وحطموا مشاعرهم ، فآذوهم في اجسادهم وفي ارواحهم وديسوا حرمة وطنهم ذلك ان عهد الانتقام الفردي قد طويت اعلامه ، منذ ان رسخت دعائم العدالة النزيهة ، واصبح مفهوما مقدسا ، ومن مسلماتها ، إجراء المحاكمة في جو من النزاهة والحياد ، في اشخاص القضاة وفي الاجراءات ذاتها ، وبصورة خاصة في صيانة حق الدفاع المطلق عن المتهمين وبعد ذلك يفصل القضاء في التهمة ، حسبما يرى انه العدل والقانون ، وبدون هذه الضمانات الدستورية ، تكون « العدالة » مختلا وبابا في غابة ولذلك قيل ، بان أصول المحاكمات الجنائية لا تتحقق الا في شعوب متحضرة

أما الجانب المظلم في تشكيل هذه المحاكم الاستثنائية ، فهم المحلفون ، أي القضاء الشعبي ، الذي يفصل في التهمة ، من جانبها الموضوعي . وهو قضاء قديم عرفته أثينا تحت اسم (Heliastes) وهو القضاء الذي حوكم به سقراط ، وقضى عليه بشرب السم ، لأنه جحد الآلهة وأفسد الشباب ، حين أراد أن يعلمهم الحكمة ، وعرفته روما القديمة ، [illegible] أهل حده ، ويرى بعض الفقهاء ، أن هذا القضاء يعود في بدء تشكيله الى فكرة دينية ، مؤداها الاحتكام الى عدالة الله وإرادته ، التي تختار قضاة المحاكمة بالقرعة ، لا بتعيين من أحد من الناس وهي بذلك تكون قد حلت محل أسلوب « المحنة »

وقد كان التشريع الفرنسي ، في تاريخ اجراء هذه المحاكمات عام ١٩٤٥ ، يحدد عدد المحلفين بثماني عشر محلفا ، ويكل اليهم وحدهم ، حق الفصل نهائيا في براءة المتهم أو إدانته ، وكانوا يصدرون أحكامهم بنعم للادانة ، ولا للبراءة فاذا انتهوا الى الادانة ، حددت هيئة المحكمة مقدار العقوبة ونوعها[١] ، وان قرروا البراءة ، وجب انهاء المحاكمة في الحال ، ولكن بعد هذه المرحلة ، صدر تشريع جديد خفض عدد المحلفين الى سبعة ، وألزمهم بالجلوس مع القضاة المهنيين ، ليناقشوا جميعا موضوع التهمة ، ويفصلوا في ادانة المتهمين أو براءتهم (المادة ٢٩٦ الجديدة من قانون الاجراءات الجنائية) ، وهذا الاصلاح متفق مع ما تحقق من اصلاحات جذرية في نطاق هذه المؤسسة ، في بلاد أخرى[٢]

ولقد أثير مداد كثير ، في الدفاع عن وجود القضاء الشعبي ، أو الغائه والخلاص منه ، والمطالبون بالغائه يأخذون عليه ، جهل أعضائه المطلق بالمسائل القانونية ، والفضائح المدوية التي أثارتها بعض احكامه الخرقاء

ويأتي تشكيل المحلفين ، في هذه المحاكمة ، صفعا على إبّاله ، فقد اختيروا جميعا من أعضاء « المقاومة السرية » أثناء الاحتلال ، ممن تعرضوا للتنكيل والقتل ، إما لأنهم شيوعيون أو يهود ، وإما لأنهم أعضاء أحزاب سياسية حُلَّت قانونيا ، واستمرت تعمل تحت الأرض ومن غير المقبول شرعا أو عرفا أن يكون الشخص خصما وحكما في قضية ، والقوانين الراهنة في مختلف البلدان ، تمنع القاضي من النظر في أية قضية اذا قامت قرائن على الشك في نزاهته أو حياده ، وإن من هذه القوانين ما يحرم على القاضي الانتماء السياسي ، حتى لا يكون له ولاءان ، يجعلانه موضع شبهة

(١) وهذا مخالف للتشريع الانكليزي ، فاذا كان القاضي مقتنعا بأن قرار الادانة الذي أصدره المحلفون ، جائر ، فان من حقه أن يلغيه ، ويرجىء المحاكمة الى موعد آخر

(٢) كالتشريع الألماني ، والتشريع الايطالي المعاصرين ، اللذين مضيا على ازدواجية القضاء المحترف والقضاء الشعبي

ملامح شخصية

[illegible]

يذكر انه تعاون مع العدو ، وشارك في جرائم قتل وتعذيب واعتقال عشر مسروح ، وارتشى واستلب الملايين بالقوة والتهديد ... الا أن القاعة شهدت ، فيما شهدت ، عددا من مآثره العربية ، حتى احست ان صورته قد تبدلت في العيون ، وأنه أصبح موضع عطف واسع ... فقد وقف على منصة الشهادة ، اشخاص فقراء شهدوا للافون بانه كان يعطيهم من جيبهم ، دون أن يطلب منهم أي مقابل ... ولكن الشهادة التي هزت العواطف هزا شديدا ، هي شهادة تلك العجوز اليهودية ... فقد اعتقل وحيدها ، [illegible] ... هذا الصعد هو لافون نفسه

[illegible] هذه الشهادة [illegible] في مرافعة محامية العملاق ... وفي عقبات ختام الجنايات [illegible] ومن تمكنهم الراسخ من عمق المواد الجنائية [illegible] وكأنهم يسرون الدهر ويشمون العطر ، ويسمعون [illegible] من حجهم أعواد [illegible]

القصص الجنائي

وكثير من اشتغل بالأدب يعلم ان القصص الجنائي نوع [illegible] من الخلالات الاصطناعية ، يعرف منه الأديب [illegible] اسماء « هوجو » مثل عملي ... وبطلها « جان فالجان » ليس الا حالة تقمص مستقة من لافون ، هذا

ولقد وفاه محاميه حقه ، حين أثبت للمحكمة أنه ضحية مجموعة من أقدار أليمة ، تضافرت عليه ،

في سلسلة حبارة . فوضعته على سطح منازل من حبوب احساد ، وحان حتى علمته ان سرقى [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وام [illegible] ، ليس [illegible] [illegible] وداف - هو [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] من [illegible] [illegible] وفي [illegible] [illegible] ، فخرج هاتما على [illegible] المطاف الى [illegible] [illegible] ، تحطمه [illegible] الى ان [illegible] [illegible] وهو في حالة [illegible] [illegible] ، فقد [illegible] فيه [illegible]

[illegible]

[illegible] ذات يوم على هذا [illegible] ، [illegible] لا [illegible] [illegible] هذا لافراح ، [illegible] الاماني [illegible]

[illegible]

[illegible] الى [illegible] [illegible] ، وهو [illegible] وخرج به الى [illegible] [illegible] الالمانيه - [illegible] في المخابرات [illegible] [illegible] في الحلم [illegible] على السعب

[illegible] ، وعلاقتهم [illegible] ، واقترح من [illegible] ، [illegible]

امام ابواب « المجتمع المحلي » على مصاريعها لسحبه صغيه ، لتوهج السلطه ، والقدره على التحكم باقدار الناس فكان من صواب [illegible] عدد من خاملات ألقاب النبالة ، ووقعت بعضهن على قدس السيادة ، وصيدة الموت ، بعد وجوههن الجميلة ، حسبه ان يقتل بعضهن من ساهدات الى سيهات

يأخــــذ ليعط

وسأله الرئيس ، ايها المتهم ، اين هذه الاموال ؟

واجاب في [illegible] واضحه ، لقد اخذت من الاغنياء يا سيدي الرئيس ، ما ليسوا في حاجة اليه . لاعطيه لمن هو محروم منه

وسأله الرئيس وهل لديك ما تضيفه الى اقوال محاميك ؟

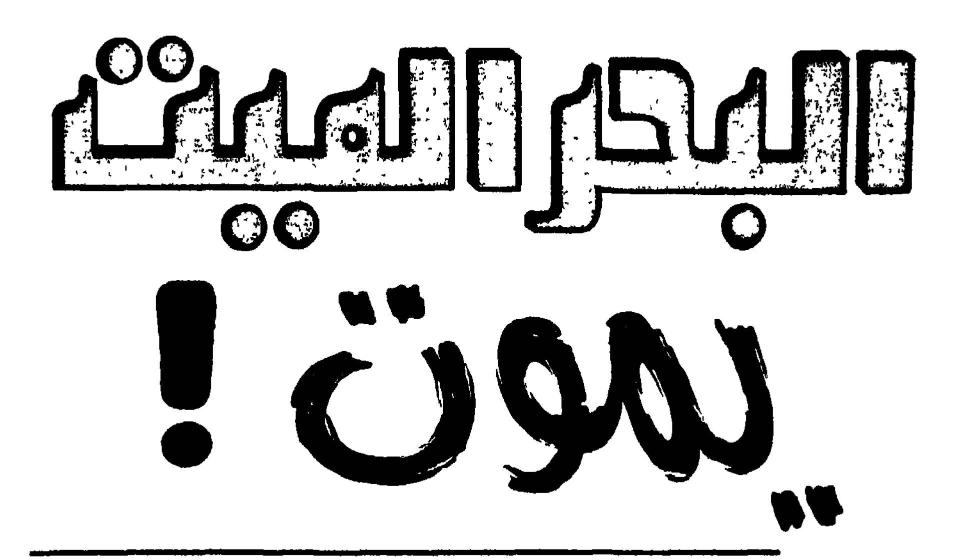
قال ، بلى يا سيدي اني حاكمت نفسي قبل ان تحاكموني ، وانا أعرف مسكم بما ارتكبت ، لذلك لن اطلب من محكمتكم شفقة ولا رحمة ولكني اؤكد لكم ، أن ما استلبته من مال أنفقته على المحتاجين اليه ، واحتفظت لزوجتي وأولادي بمزرعة صغيرة أسكنتهم فيها ، ليعيشوا سوياء مما تدره عليهم زراعتها وثمراتها فاذا حكمتم علي ، فاتركوا لهم هذه المزرعة ، حتى يشعروا أن لهم في هذا الوطن شيئا يمنحهم سرور الحاجه وهذه آخر توسلاتي الى هذا الوطن الذي ظلمني فظلمته

وصدر قرار المحلفين بالادانه . وقضت المحكمه باعدام المتهمين جميعا ومصادرة المال الحرام الذي اسلبوه ، وهو كل ما يملكون

وعلت في القاعة موجة عارمة من التصفيق وأضاف بحماه العدل دلك انه ليس من شأن الدوافع الخيره أن تمحو الجريمه التي تظل معاقبة والحكيم من اتعظ [ ]

قال حكيم :

« كن حذراً من الكريم ان أهنته ، ومن اللئيم إن أكرمته ، ومن العاقل إن أحرجته ، ومن الأحمق إن مازحته » .



بقلم : الدكتور عبد الاله أبو عياش

البحر الميت اسم أطلقه اليونانيون على البحيرة الداخلية المالحة في غور الأردن ، الفاصلة بين الأردن وفلسطين ، نظرا لانعدام الحياة المائية فيه،ومنذ أن حول العدو الصهيوني كميات كبيرة من نهر الأردن وروافده الى بحيرة طبريا بدأ منسوب المياه يقل في هذا البحر الداخلي فهل هذا فقط هو السبب في احتضار البحر ؟

يعد البحر الميت من الناحية الجيولوجية مجرد بحيرة داخلية تشكلت في أعقاب الحركات التكتونية التي أدت الى تكوين ما يعرف بالانهدام الافريقي . ويعتقد الجيولوجيون أن الأخدود الافريقي تشكل قبل حوالي ٢٥ مليون سنة ، نتيجة حركات أرضية واسعة ، امتدت من شمال سوريا عبر سهل البقاع اللبناني فغور الأردن ، شاملة خليج العقبة والبحر الأحمر وهضبة البحيرات في غرب افريقيا . ويعتقد أن منخفض البحر الميت هو أكثر المناطق انخفاضا في حوض التصريف لوادي الأردن . وقد حدثت عملية تدفقية من المرتفعات المحيطة به بشكل تدريجي ، مكونة هذه البحيرة ، [illegible] هناك منخفضات أخرى أقل اتساعا ، تشكلت خلال الحقبات الجيولوجية القديمة مثل بحيرة طبرية وبحيرة الحولة التي تلاشت بعد ان جففها العدو الاسرائيلي ، في الخمسينيات من هذا القرن

فالبحر الميت في واقع الأمر ليس سوى بحيرة داخلية تغذيها مجموعة من الروافد التي يعتبر نهر الاردن وروافده اهم مصادر مياهها،وترفده بالاضافة الى نهر الأردن مجموعة من الجداول والوديان ، أهمها وادي الموجب ووادي زرقاء ماعين الذي تغذيه بالمياه مباشرة مرتفعات الصفة الشرقية من الأردن

والبحر الميت بحيرة ملحية مركزة ، تصل نسبة ملوحتها الى حوالي ٣٠٪ ، ويعتقد بأن مياه البحر الميت

في الأصل هي مياه البحر المتوسط الذي كان يتصل به خلال احدى مراحل الحقبات الجيولوجية ، ومما يعزز ذلك وجود ترسبات من الملح الصخري التي يبلغ سمكها أربعة آلاف متر.

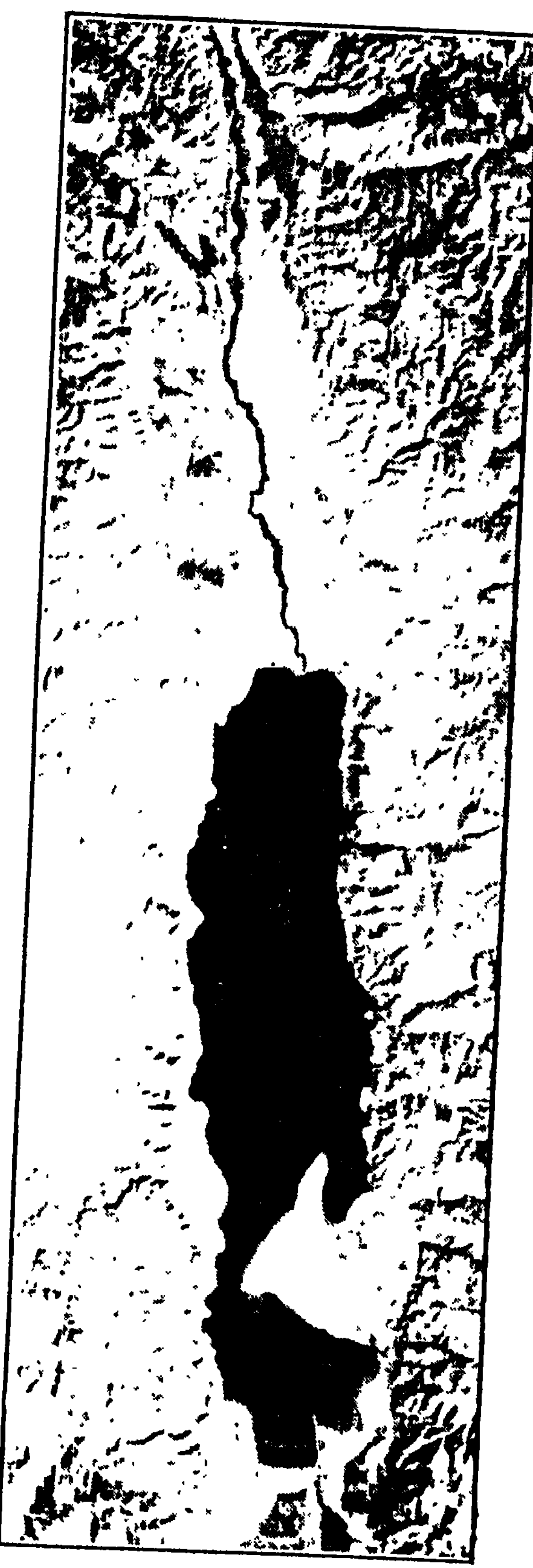
شكل البحر

يقدر مساحة البحر الميت عند منسوب ٣٩٣ مترا تحت سطح البحر بحوالي ١٠٥٠ كم٢ وكان أقصى طول للبحر قد وصل ٨٠ كم٢ ، بينما يبلغ أقصى عرض له ١٧.٥ كم

وقد اخذ طوله بالتناقص نتيجة الجفاف التدريجي لأجزائه الجنوبية واضمحلال مساحته ، وينقسم البحر الميت الى حوضين ينفصل بينهما اخفض من اليابسة يطلق عليه اللسان . فالحوض الشمالي تبلغ مساحته ٧٥٧ كم٢ او ما نسبته ٧٦٪ من اجمالي مساحة البحر ، اما الحوض الجنوبي فقد كانت مساحته ٢٤٣ كم٢ ، أو مايعادل ٢٤٪ من مجمل المساحة الكلية ويتميز الحوض الشمالي بان عمقه يصل الى حوالي ٤٠٠ متر ، بينما يعتبر الحوض الجنوبي ضحلا لايزيد عمقه عن عشرة أمتار .

والبحر الميت اسم أطلقه اليونانيون على هذه البحيرة المالحة نظرا لانعدام الحياة المائية فيها بسبب ملوحتها الشديدة ، وهناك أسماء أخرى أطلقت على البحر الميت منها بحيرة لوط نسبة الى النبي لوط وقومه واتباعه (قوم لوط) الذين خسفت بهم الارض على ما اقترفوه من فواحش وآثام ، واشير اليه أيضا باسم بحيرة زغر ، نسبة الى احدى بنات النبي لوط عليه السلام ، كما عرف أيضا بالبحيرة المقلوبة التي قلب سافلها أعلاها في عملية الخسف الالهي ، ومن الاسماء الأخرى بحر العربة نسبة الى وادي العربة وبحر الملح لشدة ملوحته

يتذبذب منسوب البحر الميت عبر العصور الجيولوجية نتيجة تغير الظروف المناخية في فترات الزحف الجليدي ، وفترات الدفء التي تبعتها ، وقد تعرض البحر الميت الى فترات جفاف أدت الى انخفاض منسوب مياهه ، فقد وصل منسوب مياهه قبل حوالي الف عام الى ٤٣٠ مترا تحت سطح البحر ، وهناك بعض الشواهد الرسوبية والأثرية التي



- البحر الميت صورة من القمر الصناعي

تعزز من صورة التذبذب الذي تعرض له مستوى المياه في البحر الميت

وقد أوضحت خريطة الفسيفساء التي اكتشفت حديثا في كنيسة أثرية في مدينة مأدبا جنوب عمان، والتي يرجع تاريخها الى حوالي عام ٥٦٠م، ان البحر الميت لم يكن يضم سوى الحوض الشمالي في ذلك التاريخ

ان التذبذب الذي شهده مستوى ماء البحر الميت عبر العصور المختلفة كان مرتبطا بعوامل طبيعية ناجمة بشكل رئيسي عن تزايد وتناقص كميات الأمطار الساقطة على حوضه التصريفي الا أن التذبذب الذي يتعرض له منسوب سطحه في الوقت الحاضر ناجم عن عوامل بشرية، تتمثل باقامة السدود والخزانات المائية، وتحويل مجاري الروافد وخاصة مياه نهر الأردن واستخدامها لأغراض الري والتوسع الزراعي

يذكر قسطنطين خمار في مؤلفه عن جغرافية فلسطين، أن البحر الميت هو أخفض نقطة عن سطح البحر، الا انه نتيجة تحويل مجاري نهر الأردن وروافده فقد تناقصت كميات المياه المتدفقة الى البحر الميت، وفي نفس الوقت بقيت نسبة التبخر عالية بسبب درجات الحرارة المرتفعة في منطقة غور الأردن والمعروف أن درجات الحرارة عند البحر الميت تزيد عن مائة درجة فهرنهايتية خلال فترة الصيف، وتشير احدى الدراسات الحديثة الى أن منسوب مياه البحر الميت انخفض الى حوالي ٤٠٠ متر دون مستوى سطح البحر، ومن المتوقع أن يستمر هذا التراجع في منسوب مياهه بحيث يصل الى ٤١٠ امتار مع مطلع التسعينيات من هذا القرن

استقرار . فتناقص

وقد تميز منسوب مياه البحر الميت بالاستقرار النسبي خلال النصف الأول من هذا القرن، نتيجة استمرار التوازن الطبيعي بين كميات المياه المغذية للبحر الميت وشدة التبخر على سطحه، وكانت كمية المياه المتدفقة للبحر من نهر الأردن تقدر بحوالي ١٢٠٠ مليون متر مكعب سنويا، هذا بالاضافة الى المصادر الأخرى التي كانت تزود البحر بحوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب، والتي تأتي بشكل رئيسي من الأودية الجانبية التي تصب فيه مباشرة، كوادي الموجب، ووادي زرقاء ماعين اللذين ينحدران من سفوح المرتفعات الشرقية

الا أن هذه الكميات من المياه أخذت بالتناقص في أعقاب شق قناة الغور الشرقية، وتحويل جزء من مياه نهر اليرموك لري أراضي وادي الأردن في الضفة الشرقية، كما أن قيام العدو الاسرائيلي بضخ المياه من بحيرة طبرية الى منطقة النقب أدى الى انخفاض حاد في كمية المياه الجارية في نهر الأردن

ولهذا فانه من المتوقع أن تنخفض كمية المياه التي تصل الى البحر الميت الى حوالي ٢٠٠ مليون متر مكعب، عند اكتمال السدود والخزانات على روافد نهر الاردن، مثل سد الملك طلال على نهر الزرقاء، وسد المقارن على نهر اليرموك

ونظرا لأن كمية المياه المتبخرة سنويا من سطح البحر الميت تقدر بحوالي ١٦٠٠ مليون متر مكعب، فقد كان هناك توازن دائم بين كميات المياه المتدفقة اليه والكميات المتبخرة منه، مما أدى الى استقرار منسوب مياهه قبل الخمسينيات من هذا القرن . ولكن التوازن تعرض لخلل شديد نتيجة التناقص المستمر في كميات المياه التي تصله، واذا استمر الوضع كما هو متوقع له فسيفقد البحر سنويا ١٤٠٠ مليون متر مكعب اضافي وهذا هو التفسير الذي يعزز الفرض القائل بان البحر في طريقه للاضمحلال

لقد أدى ذلك الى جفاف مساحات واسعة من البحر الميت، وخاصة في منطقة حوضه الجنوبي، حيث تتميز مياهه بالضحالة، وتشير البيانات الى أن منسوب البحر الميت انحسر خلال الفترة الممتدة من مطلع الخمسينيات حتى بداية الثمانينيات من هذا القرن حوالي عشرة أمتار، وانخفض منسوبه منذ عام ١٩٦٨ حتى نهاية السبعينيات حوالي خمسة أمتار، أي بمعدل نصف متر تقريبا في كل عام .

وقد كانت النتيجة أن مساحة الحوض الجنوبي انكمشت من حوالي ٢٤٣ كم^2 الى حوالي ٨٠ كم^2 فقط في عام ١٩٨٢، ومن المتوقع ان يختفي الحوض الجنوبي نهائيا مع مطلع التسعينيات القادمة .

يقول البروفسور يوفال نثمان، وهو واحد من أبرز العلماء الاسرائيليين . ـ

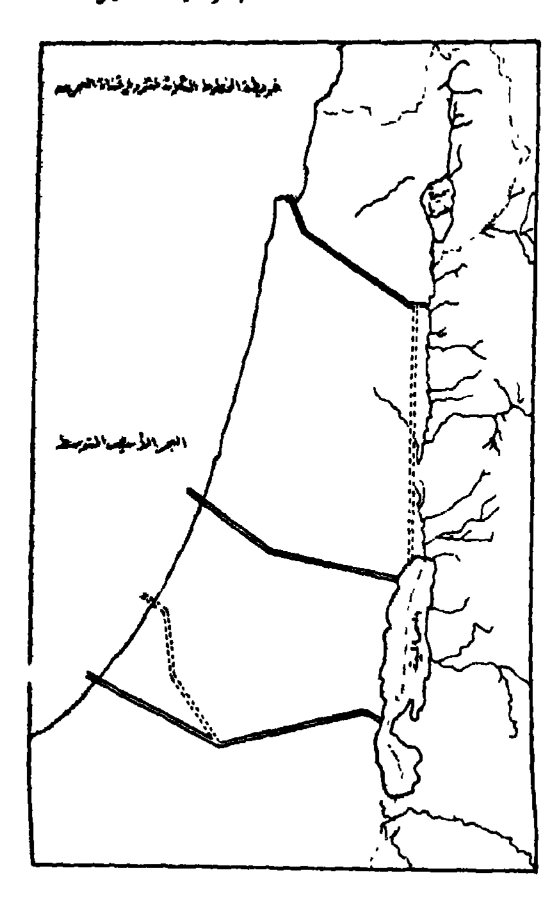
« وحلال الحمسينيات حولنا مجرى نهر الأردن . وحمصا بالتالي طاقة النهر التزويدية بنسبة النصف تقريبا ، وبموازاة ذلك يستغل الأردنيون مياه اليرموك الذي يساهم بنسبة ٤٠٪ من مجموع مصادر المياه في الأردن ، ومن المعروض أن توسع المملكة الاردنية استغلال مياه اليرموك ، وفي المرحلة النهائية لن يبقي من نهر الأردن سوى ٢٠٠ مليون متر مكعب في السنة . أي سدس الكمية التي كانت تتدفق منذ ٣٠ عاما ، ونتيجة هذا التحويل في روافد الأردن انخفض منسوب المياه في البحر الميت عن مستواه الأصلي (٣٩٣ مترا تحت سطح البحر) وبلغ الان عام (١٩٨٢) ٤٠٢,٥ مترا ، وفي تقديرنا فان مستوى البحر الميت سيصل سنة ١٩٩٠ الى ٤١٠ أمتار تحت سطح البحر »

الاضمحلال والذرائع

راحت اسرائيل - كعادتها - تستثمر ظاهرة اضمحلال البحر الميت من خلال ذرائع لاحياء مآربها الصهيونية القديمة وعلى الرغم من ان الاسرائيليين استغلوا الأمر وصوروه كأنه كارثة جديدة ، فقد أسهم العرب في تعميق ذلك واستفحاله ، نظرا لغيابهم الدائم عن مسرح الأحداث ، وخاصة في أوروبا والولايات المتحدة ، فالأطماع الصهيونيه في البحر الميت قديمة قدم مخططاتهم العدوانية والاستيطانية في الأرض الفلسطينية بشكل خاص والعربية بشكل عام ، فالاسرائيليون هم أول من حولوا مياه نهر الأردن نضخ مياه بحيرة طبريا الى النقب ، وهم أول من أنقص كميات المياه المتدفقة في البحر الميت

وقد أخذ الاسرائيليون بتوسيع دائرة الذرائع المتعلقة بظاهرة اضمحلال البحر الميت ، وراحوا يتحدثون عن ضرورة انقاذه وحمايته من الاضمحلال ، من خلال شق قناة تصله بالبحر المتوسط

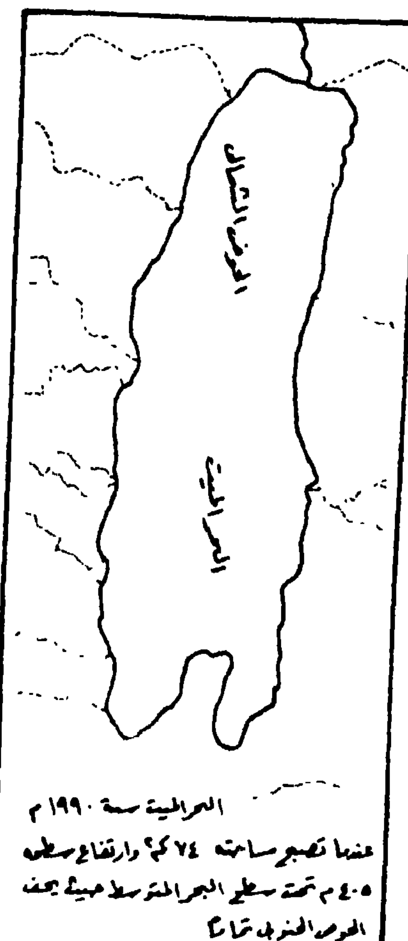
ويمكن من خلال هذه القناة احياء البحر الميت والمحافظة عليه من التلاشي ، وذلك بتعويضه عن كميات المياه التي افتقدها ، نتيجة العوامل التي أشرنا اليها ، الا أن المعروف أن هناك أهدافا أخرى كامنة

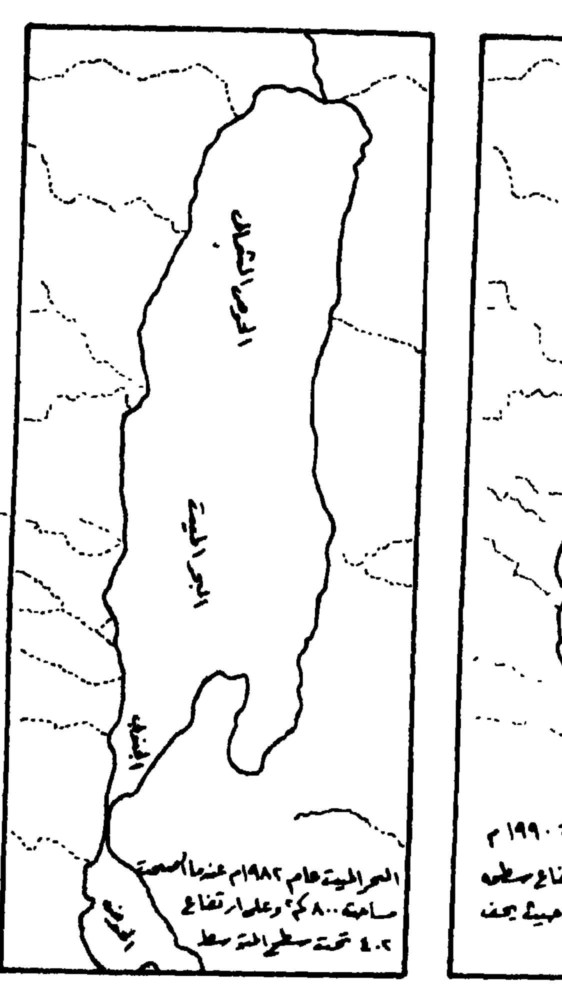


وراء الرغبة في احياء البحر الميت والمحافظة عليه .

ان فكرة شق قناة البحرين تعود الى منتصف القرن التاسع عشر ، على الرغم من أن الأدبيات الصهيونية تعزيها الى ملهم الصهيونية « هرتزل » في كتابه « الأرض القديمة الجديدة » ، ويمكن القول بشكل دقيق ان الفكرة الأولى لقناة البحرين عبارة عن مشروع استعماري بريطاني ، لربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر والمحيط الهندي ، فقد أرسلت بريطانيا في عام ١٨٥٠ بعثة الى فلسطين ، لدراسة امكانية حفر قناة موازية لقناة السويس ، وقد اقترحت البعثة برئاسة « وليام ألن » شق قناة من خليج حيفا عبر مرج ابن عامر الى بيسان في غور الأردن ، بحيث يتم غمر غور الأردن بالمياه البحرية بما فيه البحر الميت واستكمال المشروع حتى خليج العقبة عبر وادي عربة .

أما الدراسات الاسرائيلية الحديثة فقد اقترحت ثلاثة بدائل للقناة ، فالبديل الأول هو المسار البريطاني





الذي أشرنا اليه ، والبديل الثاني عبارة عن قناة تمتد من شمال اسدود على البحر المتوسط ، الى البحر الميت مباشرة جنوب تلة قمران ، ويقترح البديل الثالث مسارا اخر للقناة ، يبتدىء من شمال خان يونس على البحر المتوسط ، مرورا ببئر السبع جنوبا ، حتى البحر الميت شمال قلعة معدة التارجية ، وهو البديل الأكثر قبولا الذي تم تبنيه من قبل الأعلبية

وقد وضعت لقناة البحرين أهداف كثيرة يمكن ابراز أهمها

١ - توليد طاقه هيدروكهربية من خلال طوربينات ، قدرت طاقاتها الانتاجية بحوالي ٦٠٠ مليون واط والمعروف أن الارتفاع السريع لأسعار النفط بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ كان احد الدوافع القوية لعودة ظهور هذا المشروع بالشكل السريع الذي تم فيه ، وقدر الاسرائيليون أن الطاقة المولدة سوفر عليهم أكثر من ٦٠٠ مليون دولار سنويا ، وتقدر هذه الطاقة بحوالي ٢٢٪ من جملة استهلاك الطاقة في اسرائيل

٢ - احياء مشروع الوقود الريتي من الزيت الحجري ، الموجود في الجبال المطلة على البحر الميت ، الذي تقدر كمياته بألفي مليون طن .

٣ - احياء المشروعات السياحية على طول القناة من خلال انشاء بحيرات اصطناعية وبواد استجمامية وفنادق .

٤ - تحلية مياه البحر واستكمال مشروعات اعمار منطقة النقب .

٥ - استخدام القناة كسور وخندق أمني استراتيجي لحماية العدو الاسرائيلي من أي زحف عربي في المستقبل من الجنوب . □



ديروط الشريف

ذلك العالم القاسى العنيف

بقلم : أبوالمعاطي أبوالنجا

« ديروط الشريف » عنوان مجموعة قصصية للكاتب محمد مستجاب الذي حصل على جائزة الدولة (هذا العام) في مصر عن روايته « التاريخ السري لنعمان عبدالحافظ » وهي في الوقت داته اسم بلدة في صعيد مصر ، حرص الكاتب على أن يعرفنا في آخر صفحات المجموعة بلمحات عن تاريخها كما ورد في أحد المعاجم الجغرافية .

فما هي أهم الأسرار التي يبوح لنا بها مستجاب عن بلدته « الفنية » وناسها ؟

يثير هذا الحرص مجددا علاقة النص الأدبي بمكان وزمان معينين ، وأهمية هذه العلاقة في قراءتنا للنص الادبي والنفاد اليه !

ومع أن هذه القصية قد تغري بالانزلاق لمناقشتها في هذه المجموعة ، الا أنني أقاوم هذا الاغراء . . لأن اغراء آخر أشد يجتذبني اليه . فمع أن كل قصة من قصص هذه المجموعة تشكل وحدة فنية غنية ومكتفية بذاتها وثرائها ، الا أن قصص المجموعة كلها تتراسل فيما بينها ، وتكاد تنسج من هذه الوحدات المستقلة عالما واحدا مترابطا ، تتحاور صوره ومشاهده وأفكاره ، لتصنع لوحة شاملة من العنف القاسي الجميل !

موقعة الجمل

تلك هي القصة الثانية في ترتيب المجموعة ، وكنت أتمنى لو كانت هي القصة الأولى ، إذن لكانت العلاقات التي أزعم أنها موجودة بين هذه القصص ،

تبدو في تسلسل وترابط حيوي أخاذ . ولعله من العدل أن نعامل محمد مستجاب بالطريقة ذاتها التي يعاملنا بها ، فنقتحم قصصه بذات المفاجأة التي تقتحمنا بها هذه القصص . « فموقعة الجمل » تبدأ هكذا

« القيالة سحبت الناس والبهائم من الشوارع والجسور ، ألقت بهم على المصاطب ، وداخل الزرائب والبيوت

وصف الشيخ عبدالعزيز خليل طقس ذلك اليوم ، بأنه جهنم ، وقالت زوجته الوحيدة الباقية على قيد الحياة وهي مقعدة .

(الله هو اللطيف) » .

ويستمر الكاتب في تقديم لقطات مكثفة عما يفعله الحر بناس القرية في هذا اليوم الى أن يقول

« القرية كلها هجعت دون نوم تحت الحوائط وبجوار الأبيار ، ولم يكن في الجو نسمة يمكنها أن تزيح الحمل من فوق الصدور ، ثم مرق في مسالك القرية أحد الرجال وهو يصرخ

- صاحبكم وصل !

وفي ثوان معدودة تحلق الخلق حول المنزل الذي وصل صاحبهم اليه »

أي شيء أزاح الحمل من فوق صدور هؤلاء الناس وجاء بهم هكذا ؟

هذا ما لاتقوله القصة أبدا ، لا في البداية ولا في النهاية ، إنها فقط تصور ما يحدث في ذلك اليوم !

- « اخرج يا جمل »

لكن الجمل لم يخرج ، فدق الأقوياء الباب بعنف والباب كله فولاذ

- نهد البيت فوق دماغه

واندفعت الحجارة الضخمة من الخرسانة تهز الجدران والباب وبدأ الباب يتخلخل ، ثم انفتحت النافذة ، فتحها الجمل بنفسه

- أنا خارج على شرط

واستمر الصمت

- ما فيش حد يقرب من الأولاد !

تراجع الجميع الى الخلف وانفتح الباب خرج طفل يلبس قميصا زاهيا مشجرا ، كان وجهه مذعورا ، تبعته طفلة بجديلة تكبره بعامين ، كفها الصغيرة تلف في الهواء محاولة التشبث بأخيها .

بعد ثوان خرجت الأم صفراء كالزهقان

- اخرج يا جمل

صاحت أصوات مفزعة ، كاد الطفلان يعودان رعبا حينئذ تحركت بلطة سوداء صدئة واندفعت في سرعة إلى رأس الطفل ، ثم بلطة أخرى شرسة ، وانشرخ رأس الطفل ، وبلطة ثالثة لتتمرق رقبة الطفلة وترتمي إلى الخلف .. وامتدت يد غليظة الى الأم وحذفتها خارجا ربع متر ، وانزرق واحد إلى الداخل فسحب الجمل من رقبته وألقاه أرضا ، وانهالت البلط والفئوس ، وتلاحمت واستمرت تمرق !! »

هكذا تنتهي القصة التي بدأت بمخلوقات خامدة ترزح تحت وطأة حر قاتل ، وفجأة يصل رجل مجهول (لنا على الأقل) فيتحول هؤلاء القتلى الى قتلة . !

وتحت أقدامهم المندفعة في جنون الى منزل الجمل يسقط السؤال الذي بدا لنا مهما جدا في بداية القصة ، عمن يكون « الجمل » هذا ، وما فعلته التي حركت الحمل من فوق الصدور الهامدة ؟

ان حادث القتل الجماعي الذي تقوم به القرية ، والذي يصوره الكاتب بتكثيف وتجرد ، يلغي سؤالنا الغاء ، فما من أحد أمام هذا المشهد الفاجع أصبح يهمه أن يعرف ماذا فعل الجمل ؟ بل أصبح السؤال الأعظم كيف فعلها أهل هذه القرية ؟ ومن هم ؟ ومن أي نوع من البشر ؟ لعل هذا هو جوهر القصة

كلب السنط

وكأن الكاتب يضع بنهاية هذه القصة بكل هذه التساؤلات بذرة القصة التالية « كلب السنط » ، فبعد أن رأينا كتلة القرية ، وهي تمارس قتلا جماعيا ، يبدو الكاتب وكأنه ينتقي واحدا من هذه الكتلة . . . يقدم قصته هذه المرة بضمير المتكلم . . ومع أن هذا الضمير يغري بأحاديث النفس ، الا أن الكاتب يستخدم ذات الأسلوب أو المنهج في القصة السابقة ، فهو يضعنا وجها لوجه أمام حدث يقع في الحاضر ، ويقدمه بذات التكثيف والتجرد دون تدخل أو تعليق

« التقيت بامرأة أثناء عودتي من الطاحون ، بعد انحناءة طريق شجر الحمير ، أحسست بأنها ترغب في



دعودتي الى دارها ، فأوصلت اليها احساسا بعدم ممانعتي »

من هذه المرأة ، ومن هذا الرجل ؟

يجيب الكاتب من خلال الحوار بينهما . بهذه الطريقة « سألتني عن أبي فاشرت لها انه مات ، وأن أمي تزوجت ، قالت . خسارة ! ولم أدرك على من انصبت الخسارة ؟ على أبي أم على أمي . . »

ويستمر الحوار الذي يزداد من خلاله معرفة بواحد من هذه القرية من هذه الكتلة،وهي معرفه تثير التوحش والقلق بشأن اللقاء الذي يحثان الخطا اليه في كوخ المرأة خارج البلد . فالطريق الى الكوخ يمر بمكان تسكنه « عفريته » تتحدث عنها القرية كلها . . ولكن رعدة الخوف الذي تشمله وهو يمر بالمكان المسكون تتلاشى في رعدة النشوة التي تسري في أوصاله ، بعد أن وقفا أمام كوخ المرأة

وبينما هو واقف تحت شجرة سنط في انتظار أن تفتح المرأة باب كوخها ، يسقط كلبان من كلاب السنط فوق ملابسه ، فيخلع ملابسه في فزع ليتخلص منهما قبل أن يتسللا الى جسده

ويمتزج العرى بالخوف ، والرعشة بالجوع الذي يثيره ما تقوم به المرأة من اعداد لطعام أصرت على أن تقدمه له قبل أن تقدم له جسدها . كأنما لتمسح نفسها فرصة مواصلة الأسئلة . .

ـ لماذا مات أبوك ؟

ـ لا اعرف يقولون إنه مات في الحقل

ـ لماذا تزوجت أمك ؟

ـ لانها يجب أن تتزوج »

ويحاول أن يسكتها بشفتيه فتصر على ان تهديه مع النشوة كل الحقيقة

« أمك تزوجت الرجل الذي كانت تعرفه قبل أبيك »

« أبوك احترق وهو يسرق مزرعة أحد اليتامى »

ويصبح للعرى معنى اكتشاف الحقيقة ، وللتواصل معنى الوصول القاسي إليها ، وتصبح ذروة النشوة هي ذروة الألم حيث لا فكاك بينهما . . »

والقصة التي بدأت بواقعية جهمة مكثفة تنتهي بخيال ساحر مروع . فبذور خوفه من العفريته . . التي مر بمكان سكناها تنمو مع أحداث القصة ، وتتعملق وتتحقق ، حين يكتشف أنه يضاجع العفريته ذاتها التي تجسدت له في صورة امرأة وهل كان يمكن لغيرها أن يهديه مالم يكن يعرف ، أو ما لم يكن يريد أن يعترف به من حقائق عن حياته . وبذور خوفه من كلب السنط(الذي يمثل حقيقته)تنمو وتتعملق وتتحقق ، فيصبح هو نفسه في النهاية كلب سنط تمسك به المرأة العفريتة . وتلقي به خارج الكوخ ، وتسفر القصة الحوار عن قصة مونولوج عنيف لانسان يكتشف ذاته أو يحاول ذلك . فرد من هذه الكتلة ، التي مارست في القصة الاولى قتلا جماعيا مروعا

هل يريد الكاتب في هذه القصة المكتفية بذاتها أن يقدم لنا أيضا تفسيرا لحادث القتل الجماعي ، حين يقدم لنا أحد أفراد هذه الكتلة . . لاشعوره الفردي ، وقدره الاجتماعي القاسي الذي يبرر اشتراكه في حادث القتل الجماعي . . .

أيمكن أن يكون هذا بعض ما أراده الكاتب ؟ أم أننا نطارد السراب ؟ لماذا لا نقرأ القصة الثالثة ؟

كوبري البغيلي

في هـذه القصة نلتقي أمام « كوبري البغيلي » بالقرية كلها من حديد ، وهي تتجمع حول ضابط المباحث الذي أحضر غواصا ليبحث تحت الكوبري عن بلطة كانت أداة في الجريمة التي يحقق فيها ، فقد وصلته رسالة من مجهول تصف له البلطة وصفا ينطبق على تقديرات الطبيب الشرعي ، وتقول انها ملقاة تحت الكوبري ، لقد أقسم الضابط ليقطعن ذراعه اذا فشل في العثور على القاتل

القرية كلها تخرج هـذه المرة تتفرج على عملية البحث عن جزء من أسرارها فماذا يحدث ؟

« تنشق صفحة الماء عن رأس الغطاس ، فيخرج صرة من القماش ذات لون طيني ، مشرب بحمرة واهية ، صرخ جاهل هذه صرة ست سمعان !

وفي المرة الثانية يخرج الغطاس هيكلا عظميا صغيرا فتصرخ امرأة .

- يا صباي انه لصابر بن الشيخ مسعود ، ويصيح العمال

- انه لاس زرق ، ويبدأ في شرح أدلته

وقبل أن يصلوا الى قرار حاسم ، يلقى الغطاس بجمجمة لاتحتمل التخمين ، فقد كانت مقدمه الجمجمة (نصوى) حامله (سنة) ذهبية شهيرة

- يا حفيظ رأس سلمان العاري »

ويتوالى اكتشاف ما حلفته جرائم القرية القديمة والمخيفة التي لم يحقق فيها ولم يكتشفهـا أبدا ضابط المباحث حامل وسام الشجاعة ، ودون أن يعثر على البلطة المنشودة ، وتواجه القرية في مشهد فاجع ، تمترح فيه السخرية بالمرارة ، بالخوف من ماضيها الغارق في الاثم والجريمة ، ما نعرفه وما لانعرفه ، ما نحجوا في إخفائه عبر السنين ، يمتد وينتشر فوق كبري البغيلي ، تواجه القرية هنا ذاتها الكامنة الخفية ، كما واجه فرد منها في القصة السابقة ذاته العائرة ويواجه ضابط المباحث (الحاصل على نوط الشجاعة) عجزه وفشله !

وتصل السخرية في القصة الى ذروة مرارتها ، حين يتقدم الأهالي من الضابط ، كل واحد يطلب منه أن يبحث له عن قريب غائب ، أو طفل انقطعت اخباره من سنين . . ! ولا يجد الضابط سبيلا لايقاف هذه المهزلة ، الا بأمر الغواص ، بأن يكف عن البحث عن البلطة الملعونة .

هـل يمكن أن نقاوم اغراء الربط بين « موقعة الجمل » وبين هـذه القصص التي يبدو وكأنها كلها تحاول القاء الضوء على أولئك الذي ارتكبوا ذلك الحادث الفاجع في موقعة الجمل . .

هل هي قرية ملعونة ؟ وأي قدر هذا الذي يحيق بناسها ؟ هل هو قدر غامض مجهول ، أم هو قدر تاريخي واجتماعي يمكن أن يفهم ويحلل ؟!

بقية قصص المجموعة بترتيبها الذي أزعم أنه مقصود ، تلقى بالضوء على هـذا القدر في قصة « عملية خطف أميرة » نرى كيف يتجرع أطفال القرية تراث العنف ، حتى في ألعابهم المسلية ، فيشارك الكبار دون أدنى شعور بالمسئولية فظاظة أطفالهم ، وهم يعيشون بمتسول ضرير ، كجزء من ألعابهم التي يصبح من صميمها عملية خطف أميرة بنت عبلد .

وفي قصة « اعتيال » يتمثل هذا القدر في ذلك الفراغ الهائل الذي يلغي حياة الناس في ديروط الشريف ، فالعمل موسمي وشاق ، ولكنه خال من المعنى والهدف والقيمة ، وأكثرهم أجراء يعملون من أجل الكفاف ، ويشعرون بعمق الفراغ حتى وهم يعملون ، وفي هـذا الفراغ يصبح الناس مجرد حروف . يتحد حرف (خ) قرارا بقتل (ن) ، ويملي ارادته على (ص) ، (س) ، (ر) لتنفيذ القرار ، والثالث لم يكن موجودا لحظة اتخاذ القرار ، ولم يحاول مجرد مناقشته . ان أحدا لا يعرف كيف صدر القرار عن (ح) ، فقد كان الحضور في درجة



من البلاهة والذهول ، يجلسون فوق الدكه التي صنعها النجار (ح) ، دون أن يأخذ حقه عنها . . ووقف حرفان غير مباح لهما بالجلوس لصغر السن

منحنى آخر

في بقية قصص المجموعة «القربان» ، « عباد الشمس » ، « حبارنه » ، « الفرسان يعشقون العطور » ، « وذهاب فقط » ، ومع أن الكاتب لايزال يستخدم ديروط الشريف كسوطن لأحداث قصصه ، الا أن القرية هنا تتسع حدودها لتصبح على نحو ما معادلا للوطن ويصبح قدرها أكثر تعقيدا وشمولا ، فمى « الفرسان » و « الجبارنة » ، « وذهاب فقط » نرى وجوها مختلفة لمعنى عباب الحرية .

ماذا يحدث للقرية حين يصاب كل أهلها بلعنه الخرس ؟ كيف يحتالون للتعبير عن طاقاتهم واشباع حاجاتهم ؟ وماذا يفعلون بالرجل الذي يجيء ليفك عنهم تلك اللعنه ؟ بعد أن أصبحت الأوضاع غير الطبيعيه التي لجأوا اليها جزءا من طبيعتهم ، هذا ما يقوله القربان

وفي « الجبارنه » الى أي مدى يمكن أن يصل الناس حين يسلمون أمرهم لفرد مهما تكن قيمته أو حكمته ؟

وفي « ذهاب فقط » ماذا يكسب الانسان وماذا يخسر حين يصل الى حقه بقوة غيره ؟ إن الحديث عن هذه القصص الأخيرة بهذه الطريقة لايفيدها ولا يفيد القارىء ولكنه فقط يشير الى أننا هنا أمام مستوى آخر أكثر تعقيدا وشمولا ، وأن الكاتب هنا يصل الى مستويات فنية عالية ، تتجاوز قصصه السابقة ، بل تحقق مستوى رفيعا للقصة العربية

هل حان الوقت لنتحدث بإجمار عن فنية القصة القصيرة عند الكاتب محمد مستجاب ؟.

الموقف الذي يتم اختياره بعناية ، أو حتى خلقه ، هو غاية مسعى هذا الكاتب هو انجازه الكبير ، وحين يمسك بهذا الموقف «اللؤلؤة » فان كل شيء يبدو وكأنه قد تم انجازه..الموقف وحده له الحضور العظيم الطاغي . تظهر الشخصيات أو تختفي تثرثر بكلمة هنا أو كلمة هناك . . . تشارك أو تتفرج أو تلهو . ولكنها تستمد حضورها ودورها وقيمتها من الحضور الكبير للموقف . . والموقف يقوم عادة على رؤية ثاقبة تضيء كل ما حوله ، وعلى فكرة تستمد حياتها من حيويته . . . إن الكاتب لا يقول شيئاً عن البنت التي خرجت من بيت الجمل لتلحق بأخيها ولكن من منا لم يشعر بعمق ما أحست به من حركة يدها في الهواء لتمسك بأخيها دون أن تمسك به ! !

البلاغة التي يقدمها محمد مستجاب هي بلاغة الموقف ، بلاغة الحادثة التي تحدث ، وزمنه المفضل هو الحاضر وعبقرية عبارته هي في ذلك الايجاز الذي لايسمح لقارئه بالتقاط الانفاس ، حيث تلتقي دون توقع تلك الصور التي تتحدى المألوف والعادي ، ليس بغرابتها ، بل بما فيها من صدق الحقيقة الكامنة في داخلك ، وانت لاتراها ، ربما لقربها ، ربما لانك لاتريد

سخرية محمد مستجاب مريرة ، ولكنها ليست جارحة ، هي درعه الذي يهديه لنا ، لمواجهة ما في الحياة من قسوة ، قد يبدو علينا أحيانا أن نعايشها دون أمل في صلح قريب أو حتى هدنة . . . !

وحين تختصر الشخصيات الى مجرد حروف في قصة « اغتيال » تعبيرا عن امحاء الشخصية وتلاشي الارادة ، وحين يوصي الأب الكبير أبناءه في قصة « الجبارنة » قبل أن يموت بأن يقتنوا « حلوفا » ، وكنا قد عرفنا ماذا حدث لأبائهم حين اقتنوا جملا . . . . فان السخرية تصل الى ذروة عالية بإيجار لايرحم ولايقسى .

والخيال والواقع في قصص الكاتب وجهان لعملة واحدة ، فحين يصبح الرجل « كلب سنط » تلقي به خارج الكوخ المرأة التي كانت عفريتة ، لاتشعر بان منطق القصة يهتز ، أو بان الحقيقة الانسانية أو الفنية فيها تفقد مصداقيتها ، فواقعنا أحيانا يكون أغرب من الخيال ، وقد نحتاج الى شيء من الخيال لنفهم شيئا عن هذا الواقع .

ففي قصة « القربان » وهي واحدة من أخطر قصص المجموعة ، بل لعلها من أخطر القصص في أدبنا العربي الحديث ، يلوح أننا كنا في حاجة الى رؤية المستحيل الذي يحدث في هذه القرية ، لندرك كيف أصبح هذا الواقع الذي يحيط بنا ممكنا . □

العربي ـ العدد ٣٣٢ ـ يوليو ١٩٨٦

قصة قصيرة

عملية استنفار

« أ. ش »

بقلم : سعد الدين ابراهيم محمد

الشمس تعلن عن وجودها بقسوة . فى انتظار المركبة العامة ، نتلهى بمسح حبيبات العرق من على الجباه والأصداغ . كنت أشغل نفسى بالتطلع الى وجوه المارة أجد فيها بعض التأسى . وأحلم بمدينة فاضلة بلا أزمة مواصلات انتبهت الى نظرات مذعورة تبثها نحوى واحدة وسط سرب طالبات يعبر على الطريق . لحقت بزميلاتها وهمست اليهن . أخذن يتطلعن الىّ وجلات . . حاولت استرقاق السمع لأعرف سر التهامس والتحديق . . لم أتمكن الا من سماع كلمة (ألف شين) . . لما طال تحديقهن تحركت صوبهن لأستفسر ، عدون صارخات . تمتمت امرأة عجوز : ـ البنات أصبحن جن ، والسبب عدم الزواج !

أقبلت المركبة فهرولنا صوبها . اندسست بين الواقفين داخلها . . رائحة العرق ولفح الأنفاس يربكني . . . أعزى نفسى بأن ذلك قدر الكادحين . . بين الفينة والأخرى أستمع الى كلمة (ألف شين) تتردد هنا وهناك ، ولكنى أوهمت نفسى بأن ذلك محض خيالى المرهق .

هبطت من المركبة وأنا أشعر بالاختناق . . لم يبق الا مشوار صغير لأصل الدار الآمنة . . سأستلقى فى انتظار وجبة الغداء أستمع الى نشرة الثالثة بعد الظهر . لا لا أخبار الحروب والكوارث غير محتملة فى هذا الوقت .

طفل صغير يلعب أمام الدار . أعجبتنى براءته . لم أمنع نفسى من مداعبته فقد كنت أحلم بطفل مثله (لو تحسنت الحال وتزوجت سلمى) . حملت الطفل فى اعجاب بالغ أهم بتقبيله . . صرخت أمه التى ترقبه خلف الباب الموارب . ـ يا صاحب المروءة . ألف شين خطف طفلى ، خرج بعض الجيران يحملون العصى ويتصايحون . . أين هو ؟ أين هو ؟ . أسقط فى يدى ولم أجد أمام تجمهر الناس الا العدو . ما توقفت الا عندما استمعت الى صوت ينادينى باسمى يامحمود . . يامحمود . . فعرفت فيه صوت (كمال) صديق قديم . فسألنى عما حدث . شرحت له الأمر . . ضحك قائلا . حسبوك ألف شين ! قلت له : ـ ومن هو هذا الألف شين ، قال : ـ ألم تقرأ جرائد اليوم ؟

على الصفحة الأولى فى الصحيفة قرأت عنوانا : ـ هروب مختل العقل الخطير ألف . شين ثم جاء فى التفاصيل ـ (هرب من عنبر الحالات الخطرة أحد النزلاء الجدد ، وكان قد تم اعتقاله فى السوق الكبير حيث هجم على المارة . . نتج عنه اصابة بعضهم بجروح وبعد أن تبين للقوات [illegible]

● كاتب من القطر السوداني يعمل بالتدريس



احتلال قواه العقلية ، تم تحويله الى المستشفى . ولما لم تتمكن السلطات من معرفة اسمه اذ كان مضربا عن الكلام ، ولم يُعثر على أى بطاقات ثبوتية لديه ، صمته سلطات المستشفى تحت اسم ألف شين !

راحت قصة ألف شين فى أنحاء المدينة . صاحبتها ظاهرة توحس ، جعلت الناس يتفرسون فى وجوه بعضهم كل يظنه الاخر امتلأت حراسات البوليس بعشرات المشتبه بهم تم القبض على أغلبهم بواسطة المواطنين تطوعا

فى الأسواق يتجمع الناس بغتة ، ويقتادون شخصا الى المخفر بدعوى الاشتباه فطنت السلطات الى متاعب الناس (وبالطبع متاعبها هى ذاتها) أجرت اتصالا بأطباء المستشفى ، وحاولت جمع أية بيانات وكل ما يساعد على توضيح صورة ألف شين .

صدرت نشرة وزعت بكثافة علقت على أبواب المدينة وجدرانها أذيعت عبر الراديو والتلفزيون نشرت فى الصحف . وزعت على تلاميذ المدارس دواوين الحكومة . جاء فى تلك النشرات (ألف شين عمره - تجاوز العقد الثانى بقليل أو كثير لونه - يرجح أنه مائل الى السمرة ! عيونه - يرجح أنها عسلية ! طوله :- طويل ! ثقافته - يعتقد أنها محدودة ، مع وضع احتمال أنها ثقافة رفيعة ، ولكنه يخفيها فى الحسبان ! قوته - تكاد تكون خارقة . فقد صرع الكثيرين بضربات خاطفة . أى علامات مميزة - يدحض بشراهة أكول . يكون هادئا كالحمل الوديع ولكنه فجأة يتحول الى ثعلب ماكر أو وحش كاسر يضاف الى ذلك أنه عداء ماهر ولا يخلو من وسامة

طغت حكاية ألف شين على أخبار كرة القدم . وذكريات المقارنة بين الأسعار القديمة والجديدة . . تخللت أحاديث النسوة والرجال الأطفال انتشرت بينهم لعبة جديدة أطلقوا عليها (لو لاقيت ألف شين) فيها يلعب أحدهم دور (ألف شين) وبقية الأطفال يمثلون الناس . يقفون متتابعين فى شبه دائرة يهجم ألف شين على أى واحد منهم مباغتة ، واذا تمكن من طرحه أرضا يخرجه من اللعب تنتهى اللعبة اما بانتصار ألف شين على الجميع ، أو ينتصر عليه أحدهم ، فيصبح هو (ألف شين) ويلعب نفس الدور . .

فى الليل لايمكن أن يسير الفرد بجانب آخر الا ذ توثق من معرفته أصبحت البيوت تغلق على ساكنيها بعد المغرب . أصاب الكساد تجارة الملاهى والترفيه . . انكمش حجم السهارى المدينة فى حالة من السكون الذى يتطر العاصمة التى لا تأتى . . غموض رهبة دهشة كل يوم تر يزيد الأمور تعقيدا . . البيوت لا تفتح للطارقين فى المساء ، بعد أن كانت مشرعة كصديق يلاقيك بالأحضان الدافئة

فئة الشباب فوق العشرين مستهدفة بالاشتباه . ألح الناس على السلطات بتحرى الأمر ، حتى تتضح أكثر صورة (ألف شين) فتساعد على الاحتياط والحذر .

نُشرت فى الصحف وأُذيعت عبر أجهزة الأعلام مقالات وبرامج تطالب بالجدية والتعاون والحزم فى التصدى (لألف شين) . وقبل كل نشرة للأخبار تستمع الى عبارات تحريضية القبض على (ألف شين) ضرورة قومية (ألف شين) نحن لك بالمرصاد . سلم نفسك تسلم

طالبت جريدة (أنباء المدينة) فى مقالها الافتتاحى بالقبض على (ألف شين) حيا أو ميتا نشرت جريدة (أضواء المدينة) مقالا نادرا يذهب الى عدم المبالغة فى الحقد على (ألف شين) ويقترح الحب كوسيلة لترويضه . . . بدأت سلسلة من مقالات التأييد والمعارضة . . احتدم حوار بين الصحيفتين ، تمخض عن انشاء جمعية أصدقاء (ألف شين) هدفها استخدام العطف فى مواجهته . وقامت جمعية أعداء (ألف شين) .

هؤلاء يقيمون الندوات ، وأولئك يعلقون الملصقات المناوئة . تطالعك على جدران المدينة صورة جمجمة مكتوب تحتها لألف شين الموت والدمار ، بعد خطوات تطالعك لوحة مكتوب عليها (أنا) ثم صورة قلب ثم كلمة ألف شين .

بين اعلانات التلفزيون يطلع عليك اعلان يقول :- اذا صادفك (ألف شين) فجأة . . ماذا تفعل ؟ نحن نعرف . . تعال الى مدرسة القوة لتعليم فنون الكراتيه والمصارعة الحرة .

فى ندوة تلفزيونية بعنوان (ألف شين الشكل

والمصمون) تحدث مندوب السلطات عن الجهود التى تبذل فى سبيل القبض على (ألف شين) :ـ ان الأمر يتطلب التعاون . ونفقات هذه العملية باهظة بالنسبة لميزانية السلطات هنا تطوع مقدم الندوة وناشد أهل المدينه بالتبرع للمساهمة فى المشروع . . وتصدى المطرب (بلبل العريد) (الذى قدم أغنية قومية تحث على مطاردة ألف شين فى مستهل الندوة) وأعلن تبرعه باقامة حفل ساهر يعود دخله لصالح المشروع تحدث سياسى كبير عن ضرورة قيام حملة شعبية تتصدى لهذا المعتوه الهارب ! تحدث الطبيب الذى عاين حالة (ألف شين) فوضح سر اطلاق اسم (ألف شين) على المعتوه ، وقال انه اختصار لعبارة (أى شخص) وطرح الفنان التشكيلى عبدالتواب اقامة مسابقة فى الرسوم ، يصور فيها كل فنان وجه (ألف شين) حسب الأوصاف التى جمعت عنه والفائز هو الذى يكون رسمه أقرب الى الوجه الحقيقى .

التهمت الأيـام الأيام و(ألف شـين) يؤكـد وجـوده . حدة التـوحش تزداد وتتقص تبعـا للأخبار . تحمس الناس للقصية بعد حوادث ـ نادى الأصدقاء ـ ندوة كانت تقام فيه تحت اشراف أصدقاء (ألف شين) المفترض أن يتحـدث فيها بعض العلماء لاثبات أن الحب طريق للسواء النفسي . بدأت الندوة بتصفيق مشوب بالحذر تحدث سكرتير جمعية أصدقـاء (ألف شين) عنه كظاهـرة تستحق العطف لا اعلان الحرب . هنا قاطعه أحد المتحمسين من جمعية أعداء (ألف شين) صائحا ـ انها كلمة حق أريد بها باطل

ساد هرج ومرج . اتفقوا على مواصلة الندوة ، مع وعد بفتح حوار ديموقراطى فى نهايتهـا ، واصل المقدم .ـ الانسان الذي خلق فى أحسن تقويم ، فلنصبره حتى يتضح لـه الطريق القـويم صاح الصوت مرة أخرى ، مع ازدياد فى نبرة الحمـاس (البعض يسميها تشنجا) :ـ انها كلمة حق أريد بها باطل

لم يتمـالـك المتحـدث أعصـابـه . . وصفـه بالهمجية . وصفه الآخر بالرندقة . وصفـه هذا بالتلفيق . وصفه ذاك بـالعمالـة . . وصفه هـذا بالتحجر . . وصفـه ذاك بـالفسـوق . . علت

هتـافات :ـ يسقط أعـداء (أ . . ش) . . أعـداء (أ . . ش) أعداء الحياة ، جاوبتها هتافات :ـ الى الجحيم (ألف . شـين) . وكـل صـديق (لألف . . شين)

كـراسى تناثـرت . هـراوات (لايُعلم من أين جاءت) تهاوت . . دماء سيارات الاسعاف . . بيانات استنكار محايدة !

الشهور تسابق الشهور و (أ ش) بطاقة على أقمصة المراهقين والمراهقات . فى الحديث الهامس وسط المناجاة قريب الى أهل المدينة كظلهم ، بعيد عنهم كالسراب ، فريق (أ . ش) . . سمى أحـدهم طفله (أ . ش) ، النـاس لم تجـد الا السحرية من المسؤولين . . كثفوا من عملهم . . كونوا لجنة لمتابعة البحث عن (أ ش) . . انبثقت عنها بعض اللجان الفرعية منها لجنة للمـالية ، اقترح أحد أعضائها مشروع ادفع قرشا . . تسهم فى القبض على (أ . . ش) ولجنة أخـرى للثقافة مهمتها تكثيف الحملة بالتمثيليات والأغنيات التى تحث الناس على البحث عن (أ . . ش) . .

احتفلت المدينة بمرور عام على الصمود فى مطاردة (أ . ش) . . وُزعت الأوسمـة عـلى أعضـاء اللجان . ووضعت على عاتقهم مسؤولية القبض على (أ ش) . .

نشرت جريدة (أضواء المدينة) مقـالا يرمى الى التشكيك فى وجود (أ ش) ويقـرر أن (أ . . ش) أكذوبة اخترعناها وصدقناها

فى اليوم الثانى راجت شائعه تؤكد أن الصحفى صاحب المقال قد فصل من عمله ، دبجت « أبناء المدينة» مقالا مناوئا . . يحذر من وجود نزعـة (ألف شينية) بين صفوفنا . . وعلينا أن نكون على استعداد دائم لمواجهة (ألف شين) . .

بدأ التحقيق مع كل من هم فوق العشـرين . . وابتدع نظام الرقابة الاجبارية الذى يلزم كل شاب فوق العشرين بتسليم نفسه لأقرب مـركز شـرطة ، وبعد أن تؤخذ منه البيانات اللازمة يستدعى ليبقى تحت المراقبة لمدة لاتقل عن يوم . . أخذت الأيام تمر و(ألف شين) على أسطح المنازل . . فى ساحات الأحياء . . أمام المتاجر . وأسطورة تحكيها الأمهات للأبناء !! □



وإرهاب الدولة!

بقلم وحيد عبد المجيد*

« يبدأ التاريخ عند البعض من خلال انفجار قنبلة ، أو رصاصات رشاش أطلقها فرد واحد أو مجموعة أفراد، لتتجه الأصابع بعدها كي تشير الى أن الأمر ماهو الا عمل ارهابي »

لكن التاريخ يسجل لدى أهل البصيرة ، أن وراء الكثير من الأحداث والطلقات قصص ظلم عظيمة .

الكاتب في هذه المعالجة يوضح طبيعة الارهاب والعنف المسلح ، والظواهر المستجدة في هذا المجال

مد ان بدأ الاهتمام الدولي ، في اطار الأمم المتحدة ، بمعالجة الظاهرة المسماة « بالارهاب الدولي » ، وثمة حرص واضح على التمييز بين أعمال الارهاب التي تروح ضحيتها أرواح بريئة ، وبين الكفاح المسلح الذي تمارسه حركات التحرر الوطني في حدود تحقيق أهدافها المشروعة ضد المستعمر ،

ويظهر هذا الحرص في مختلف القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، منذ القرار ٣٠٣٤ في الدورة الثامنة والعشرين عام ١٩٧٣ ، وحتى القرار ٦١٤٠ الصادر في الدورة الأخيرة الأربعين في ٩ ديسمبر ١٩٨٥ ، ففي الوقت الذي أدانت هذه القرارات ، بصيغ مختلفة لكن متقاربة ، جميع أشكال

*باحث وكاتب من القطر المصري - يعمل في مركز الدراسات الاستراتيجية في جريدة الأهرام



الارهاب الدولي ، أكدت على شرعية الكفاح المسلح حركات التحرر الوطني ، وواكب ذلك تنامي الاعتماد عالميا ، وباستثناءات محدودة في شرعية العنف السياسي الذي تمارسه حركات التحرر ضد أهداف عسكرية للقوى المحتلة لأراضيها ، بينما تصاعدت الدعوة الى حجب هذه الشرعية عن هذا العنف عند التجاوز في ممارسته ، عندما يمتد الى أهداف مدنية ، وبصفة أخص عندما تكون هذه الأهداف خارج الأرض المحتلة

وبهذا التطور لم يعد الرأي العام العالمي ، في معظمه ، مستعدا لقبول الدعاوي التي تسعى لادانة النضال الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة ، ولذلك انصرف أعداء هذا النضال للتركيز على عمليات العنف المسلح التي تستهدف أهدافا اسرائيلية أو صهيونية خارج هذه الاراضي ، لجعلها المحور الرئيسي للظاهرة المسماة في اللغة الأمريكية والغربية عموما بالارهاب الدولي ، وهي الظاهرة التي باتت أخبارها تتصدر الصفحات الأولى في كثير من الصحف العالمية ، وتستأثر بأكبر قدر من الاهتمام الدولي

ظاهرة موضوعية . . لاذاتية :

ورغم أن هذه الظاهرة غدت عالمية الطابع ، لاتكاد تخلو منها منطقة على خريطة العالم بشكل أو بآخر ، وبدرجة أو بأخرى ، ومن جماعات لاتمت الى القضية الفلسطينية بصلة ، فاننا نجد أن عمليات العنف المرتبط بالصراع العربي الاسرائيلي هي التي تستأثر وحدها بالاهتمام الدولي الأكبر في هذه الأونة ، وقد أصبحت هذه العمليات ، التي جرت أحداث معظمها على أرض أوروبية ، تحت المجهر بغرض استخدامها للاساءة الى النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي ، وللموقف العربي برمته ، وأصبح سيف الاتهام بممارسة الارهاب أو بالتشجيع عليه أو بدعمه مسلطا على أعناق الفلسطينيين وبعض الاقطار العربية ، على نحو يتجاهل كلية الاطار الموضوعي للعنف الفلسطيني خارج الأراضي المحتلة ، فمن الثابت أن هذا العنف يتصاعد مقترنا بتزايد حالة الاحباط واليأس لدى الشعب الفلسطيني ، فقد ارتبطت نشأة هذا العنف ، في بداية السبعينات ، بتصاعد الاحباط الناجم عن هزيمة ١٩٦٧ ، ثم بدء الحصار العربي للثورة الفلسطينية عبر أزمة أيلول ١٩٧٠ .

وليس أدل على هذا الارتباط من تقلص العنف الفلسطيني خارج الاراضي المحتلة ، بشكل ملموس عقب حرب ١٩٧٣ بآثارها الايجابية على المعنويات العربية ، وبما أفرزته من آمال في قرب التوصل الى تسوية سلمية عادلة ، ولذلك فعندما انحسرت هذه الامال ، وعجزت القيادات العربية عن الافادة من نتائج حرب ١٩٧٣ سياسيا ، عادت ظاهرة العنف الفلسطيني خارج الاراضي المحتلة تدريجيا ، وخصوصا بعد صدمة كامب ديفيد ، ولكن لماذا العنف الفلسطيني وحده ؟! لماذا يتجاهل الغرب « ارهاب» الجيش الجمهوري الايرلندي ، في المملكة المتحدة ، وحركة الباسك في اسبانيا ، والسيخ في الهند . أو الأرمن وغيرهم .

ورغم دور الحركة الايرانية في أوائل الثمانينيات في تعزيز الاتجاه الى عالمية العنف المسلح من خلال تبنيها لفكرة « تصدير الثورة » في تلك الفترة ، لم يتصاعد العنف الفلسطيني بشكل ملموس الا بعد الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف ١٩٨٢ ، فقد جاء ذلك الغزو ، وما واكبه من مجازر وحشية ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني ، ليضيف زخما جديدا للواقع الموضوعي الذي يعزز العنف المسلح ضد مصالح « اسرائيل » وحلفائها ، وخصوصا الولايات المتحدة التي يحارب الاسرائيليون بسلاحها ، ويكادون

يعيشون على دعمها الاقتصادي ، ويحتمون بنفوذها الدولي ، و « الفيتو » الذي تمتلكه في مجلس الأمة

مأساة جيل :

ولعل أبرز دليل على مركزية دور هذا الواقع الموضوعي المرير وعمق تأثيره ، أن الشاب الذي بقي على قيد الحياة من المجموعة التي هاجمت مطار روما في آخر ديسمبر ١٩٨٥ ، هو من أبناء مخيم شاتيلا الفلسطيني ، الذي يعرفه العالم كموقع لاحدى أبشع المجازر التي تعرض لها المدنيون الفلسطينيون العزل عام ١٩٨٢

والسؤال الذي يطرحه هذا الحادث هو . من ذا الذي يملك عزل تأثير مأساة هذا الجيل الفلسطيني على مسرح لم يعد فوقه أبطال قادرون على احقاق الحق والعدل المفقودين في المنطقة ؟ وربما كان هذا ما يعنيه الأمين العام للامم المتحدة بيرير دي كويلار بقوله ان « الارهاب » يصدر عن أشخاص يائسين وفي ظروف يائسة والمعنى الشمولي واضح وهو ليس مقصورا على الفلسطينيين وحدهم .

ولذلك فمهما تعالت صيحات الادارة الامريكية وبعض حليفاتها عن مقاومة ما تسميه بالارهاب بقوة السلاح ، فالواقع أن جذور هذا العنف ليست موجودة في ليبيا ولا في أي قطر عربي آخر ، وانما في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، حيث يعيش أكثر من مليون فلسطيني في ظروف مأساوية ، تتسم بالاذلال والاستياء المتصاعد ضد اسرائيل وحلفائها فالأرقام تقول انه قد ولد نحو ٢ر١ مليون فلسطيني بعد حرب ١٩٤٨ ، التي كانت سببا في وجود المخيمات الأولى ، منهم أكثر من نصف مليون تحت سن الخمسة عشر عاما ، حيث لا يزال وعيهم يتشكل في ظروف أكثر مأساوية ، وتستقبل المخيمات في هذه الآونة الجيل الرابع من الفلسطينيين الذى ينتظر أن يشبوا في ظروف أكثر بؤسا مما هي عليه الآن ، ما لم يتم التوصل الى تسوية عادلة . إن قضية هذا الشعب اللاجىء المحروم هي الوحيدة التي بقيت بلا تسوية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

الآذان الصماء !

وبدون تسوية مقبولة فلسطينيا ، لن يكون امام أعداد متزايدة من هؤلاء الا ولوج طريق العنف ، فهو الطريق الوحيد المفتوح أمامهم لتجاوز حالة المهانة والهرب من حياة المخيمات الذليلة ، والشعور بالاحترام الذاتي والتحول الى فلسطينيين فاعلين أو « ارهابيين » باللغة الأمريكية ـ الاسرائيلية . وبالتالى فهم يشكلون موردا لاينضب من المتطوعين للقيام بأى عمل يضر « باسرائيل » وحلفائها ، حتى لو كان يضر بالقضية الفلسطينية احياناً أيضا على صعيد الرأى العام العالمي ، أو على الأقل لا يخدمها فى شيء .

ومن الصعب تصور أن هذا الواقع غائب عن الادراك الأمريكي والعربي عامة . فالعديد من الكتابات العربية بدأت تعترف مؤخرا بضرورة تسوية القضية الفلسطينية كشرط لحل مشكلة « الأرهاب » كما يسمونه،ومن ذلك مثلا التقرير الذى نشرته « لوموند ديبلوماتيك » فى فبراير الماضى بعنوان « كيف يفهم الغرب محاربة الارهاب » ، الذى توصل الى أن (العلاج الذى تقترحه الولايات المتحدة لا يرتقى الى مواجهة الأسباب الحقيقية « للارهاب » ، وانما يقتصر على محاولة اقناع « الارهابيين » بأنهم سيخسرون كثيرا ولن يربحوا شيئا كما قال ريجان) ، ومضى التقرير يقول : (أليس من المنطقي أكثر مساعدة الشعوب التى تكافح من أجل حقوقها لانهاء جذور « الارهاب » ؟ ان الدور الفلسطينى الخاص فى مجال العمليات الارهابية ينبغى أن يدفع الادارة الأمريكية للربط بين حل مشكلة الشعب الفلسطيني وانتهاء « الارهاب ») .

مائة تعريف :

لكن هذا الاتجاه الغربي ، الذي بدأ فى تفهم الاطار الموضوعى للعنف الفلسطينى ولو بشكل منقوص ، ولا يزال هامشيا للغاية فى ظل الحملة « المكارثية » الأمريكية على ما يسمى « الارهاب الدولى » ، ورغم أن هذا التعبير أصبح مستخدما على أوسع نطاق ، فليس ثمة اتفاق على معنى محدد له ،

فهي علم السياسة الغربي توجد له عشرات التعريفات ، وقد لاحظ أحد الدارسين مؤخرا أن هناك اكثر من مائة تعريف لما يسمى بالارهاب الدولي ، ورغم ذلك فهناك عناصر رئيسية تندرج في العديد من هذه التعريفات هي :

ـ أن الارهاب عمل من أعمال العنف والتهديد به

ـ انه فعل رمزي في الأساس ، أي يسعى لاحداث آثار وردود فعل كبيرة تتجاوز حجمه المحدود

ـ ان آثاره تقتصر على المجال السياسي فقط ، أي لا تمتد لاحداث أي تأثير على البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث فيها

ـ انه عمل لا وطن له ، ولا يخضع للحدود الدولية ، لانه يقوم على مطاردة الخصوم في كل مكان على خريطة العالم ، خصوصاً وأن عمليات خطف الطائرات التي تعتبر من أبرز أشكاله تتم في السماء الواسعه قبل الهبوط في موقع ما على الكرة الأرضية

لكن كل هذه التعريفات الصماء تضع كل العمليات التي تعتبرها ارهابية في سلة واحدة ، ولا تعترف بالواقع الموضوعي الذي يرتب فروقا جوهرية بين بعض هذه العمليات وبعضها الاخر ، وبالتالي فهي لا تميز مثلا بين الارهاب الذي تعرض له الشعب الفلسطيني على يد العصابات الصهيونية ، ولا يزال يتعرض له على يد الجيش الاسرائيلي في الاراضي المحتلة وخارجها ، وبين عمليات العنف الناجمة عن هذا الواقع المرير فكل هذه التعريفات تعجز عن التمييز بين نشاط يستهدف ابعاد شعب عن وطنه وقمع مقاومته الوطنية ، وبين نشاط مضاد يقوم به أصحاب الأرض الأصليون ضد المغتصبين ، ووفقا لها ولا يكون ثمة فارق بين النشاط الارهابي الذي مارسته الجماعات الفاشية من المستوطنين الفرنسيين في الجزائر ضد الاهالي ، وبين عمليات العنف المسلح التي قامت بها قوات جبهة التحرير الجزائرية ضد أولئك المستوطنين !

ارهاب الدولة :

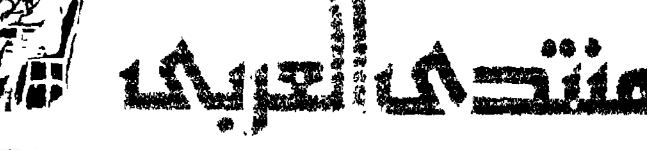
كما أن هذه التعريفات لاتنطبق في الغالب على الارهاب الحقيقي ، أو الأكثر خطورة بمعنى أدق ، وهو الارهاب الرسمي أو ارهاب الدولة ، وقد ظلت فكرة ارهاب الدولة موضع جدل وخلاف في اللجنة السادسة التابعة للأمم المتحدة ، لما يزيد على عشر سنوات ، فقد رفضت عديد من الدول الاقرار بوجود ارهاب الدولة بحجة غياب أساس قانوني لهذه الفكرة في القانون الدولي ، الذي يعرف الدولة المعتدية لا الدولة الارهابية ، كما كانت التعريفات الغربية القاصرة للارهاب سببا في تعطيل اقرار فكرة ارهاب الدولة لوقت طويل ، اللجنة السادسة توصلت بعد جهد كبير الى مشروع لادانة الارهاب الذي تمارسه الدولة بهدف تقويض النظام السياسي والاجتماعي لدولة أخرى ، وكذلك أعمال الارهاب التي تقوم بها الدول الاستعمارية ، وحظي هذا المشروع بموافقة الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الأخيرة الاربعين ، ليصبح قرارا دوليا معبرا عن وجهةنظر المجتمع الدولي .

وكان الكشف عن العمليات السرية الخطيرة التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في العالم الثالث عاملا مهما في إقرار فكرة ارهاب الدولة ، فلم تعد هذه العمليات خافية على أحد ، بعد أن تسببت في استقالة جون ماكماهون نائب مدير وكالة المخابرات الامريكية في العام الماضي ، بعد عجزه عن ادخال أي تغيير على النهج السائد في نشاط الوكالة ، منذ أن تولى وليام كيسي ادارتها قبل أكثر من خمس سنوات ، ويقوم ذلك المنهج على التركيز على العمليات السرية ـ أي الارهاب ـ على حساب عمليات التجسس التقليدية وجمع المعلومات ـ وهما صميم نشاط أي جهاز مخابرات .

وجاء العدوان الأمريكي على ليبيا مؤخرا ليثبت أن ارهاب الدولة أكثر خطورة ، وخصوصا عندما يكون نابعا من دولة عظمى ، ومعتمدا على ترسانتها العسكرية المدججة باحدث أدوات الدمار ، فاذا كان ثمة ما يبرر العنف المسلح الصادر عن أفراد أو جماعات مظلومة ، فليس هناك مجال للتسامح مع ارهاب الدولة التي يفترض أنها وحدة مسئولة في المجتمع الدولي ، وملتزمة بمباديء وميثاق الأمم المتحدة ، وخصوصا عندما يكون سلوكها الدولي هو المسئول عن تعرير الواقع الموضوعي الذي يفرض العنف الانتحاري الذي يطلق عليه « الارهاب الدولي » . □

العربي - العدد ٣٣٢ - يوليو ١٩٨٦







الجامعات العربية والفلسفات المعاصرة

بقلم : الدكتور عبدالقادر الشيخلي*

الفلسفة هي أرقى أشكال الفكر الانساني ، وهي من زاوية دعاتها التقليديين ، أم العلوم بيد أنها في المفهوم المعاصر ، تلازم العلم في مسيرتها بحركة دائرية لولبية ، تارة تتقدم عليه فيسترشد بخطاها المبهجة وآفاقها المعرفية ، من خلال الأفكار الكلية التي تطرحها ، وتارة أخرى تلهث وراء العلم ، مستفيدة من معطياته النظرية والعملية وهكذا نلحظ هذه الأصرة بعلاقة حميمة ليس بامكان احداهما الاستغناء عن الأخرى ، فالعلم يقدم الحلول الأكثر واقعية ، بعد تحليل المشكلات الكبرى الراهنة فيحفز الفلسفة على اعادة ترتيب أولياتها في ضوء الحقائق الجديدة ، وعلى الجهة الثانية فان الفلسفة تمنح العلم زخما للتقدم ، وتثير لدى دعاته ومريديه القضايا النظرية الكبرى

في ضوء ادراك هذه العلاقة الجدلية بين كلا النوعين من النشاط الفكري ، الفلسفة والعلم ، يفترض أن هيئات تدريس مادة الفلسفة في الكليات المتخصصة ، تمتلك أفقا واسعا وصدرا رحبا ، يعلو على الهموم الادارية للتدريس الجامعي ، ويتجاوز النطاق المحدود للعقليات التي يقومون بأداء وظائفهم العلمية فيها . واذا عرفنا أن الفلسفة يجب أن تكون في خدمة المجتمع ، وليست ترفا ، اذن لأدركنا جميعا العجز الذي يعاني منه قسم الفلسفة في الجامعة

ان مرحلة سرد ما هو مثار في الفكر الفلسفي المعاصر ، وعرض النظريات الفلسفية الكبرى ، سواء كانت بابلية أو سومرية أو هندية أو فرعونية أو فارسية أو اغريقية أو اسلامية أو مسيحية تنتمي للقرون الوسطى أو المعاصرة الخ يؤدي عرضا أكاديميا بحتاً ، مفاده اطلاع الطلبة على حقول الفلسفة وتاريخها ، والعمل على متابعة تطور قضاياها الكبرى ، غير أن للأساتذة وظيفة ثانية تتبلور فيما يلي .

* أستاذ بكلية الادارة والاقتصاد - الجامعة المستنصرية - بغداد

١ ـ اعادة النظر في مجمل التراث الفكري والفلسفي العربي الاسلامي ، لاستنباط ما هو صالح منه للحياة العربية المعاصرة ، بكل طموحاتها الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

٢ ـ تقديم سائر النتاج الفلسفي المعاصر ، من الشرق أو الغرب أو العالم الثالث ، بروح موضوعية نقدية ، ترمي الى التشبث بما هو ملائم لمجتمعاتنا العربية ، أما ماهو غير ذلك فيجري التنويه عنه بكامل الأمانة العلمية . ولعل اعتماد أي تيار فلسفي على الاتجاه العلمي ، أو توسله بالعقل ، أداة ومنهجا واضحا ، كاف للنظر اليه بقدر من الاحترام والترحيب

٣ ـ وفي النهاية سيكون لدينا زادان : زاد تراثي وزاد معاصر للتراث يربطنا بشخصيتنا الوطنية (القومية) المعاصرة ، تجعلنا نعيش الحاضر ونتجه نحو المستقبل بخطا محسوبة . والمسألة بعدئذ ليست في اجراء مراوحة بين التراث الصالح والمعاصرة الملائمة ، كما يدعو الى ذلك جمهرة من الكتاب والمفكرين ، باعتبار أنه ليس ثمة تناقض بين الاثنين . والحل الواجب الاتباع يتمثل في غربلة التراث الفكري مما يعني استخراج ما هو مناسب للحاضر ، هذه الحالة لن تثير مشكلة اندماجه بالمعاصرة ، ذلك أن الفكر الفلسفي العلمي المعاصر يجد جذوره في الفلسفات القديمة ، كما أننا لن نعدم أسسا له في الفلسفة الاسلامية (ابن رشد) ابن سينا (المعتزلة ، الخ) أما المعاصر من الفكر الفلسفي فما أكثره ، وما أعظم تياراته ، ويتعين الاقبال عليه بروح موضوعية نقدية ، روح سمحة مرحبة بما هو سليم منه بمعايير العلم والعقل ، كما هو حال اقبال اسلافنا في الدولة العباسية على ترجمة وتعريب الفكر الفلسفي الاغريقي ، على وجه الخصوص

ولا يعني ذلك تشكيل فلسفة تلفيقية أو توفيقية وانما تكوين فلسفة انسانية الشخصية والسمات ، علمية المنهج والمضمون

ان ما حصل في جامعاتنا العربية يتلخص في تبني أبرز اساتذتها ما هو سائد في الفكر الفلسفي المعاصر ، فالدكتور زكي نجيب محمود ، تبنى الفلسفة الوضعية المنطقية ، والدكتور عبدالرحمن بدوي اعتنق الفلسفة الوجودية ، والدكتور كمال الحاج ، انتهج الفلسفة الشخصانية ، وبعض أساتذة المغرب العربي تبنوا الفلسفة البنيوية ، وهؤلاء وغيرهم اعتنقوا هذه الفلسفات جملة وتفصيلا ، اذ نقلوا ما هو سائد في أوروبا وأميركا ، وحاولوا تطبيقه بسائر معالمه في مجتمعاتنا العربية ، وأسارع الى القول أن تبني الأفكار الفلسفية حق مشروع ، عملا بحرية الفكر ، كما ان اعتناق هؤلاء الأساتذة لهذه الفلسفات ليس جريرة يحاسبون عليها ، والموقف الأكثر صلاحا فيما أراه : مؤداه طرح القضايا الفلسفية من وجهة نظر طموحاتنا القومية ، وتبني الفلسفات التي تتلاءم مع خطط تنمية وطننا العربي الكبير ، خصوصا على الصعيد الفكري والثقافي

ان قسما من جامعاتنا أخفق في مستوى الأساتذة والطلبة ، فلم نسمع يوما أن أحد الأساتذة أضحى فيلسوفا ، غير أن السمع لم يتعد وجود شارح جيد ، كما أن الطلبة حينما يتخرجون في الجامعة لا يدركون العالم الرحب للفلسفة ، ومنهجها التحليلي ، وقدرتها الخلاقة على سيادة الفكر الانساني بأسمى صوره ، وهذا ما عجز أساتذة الفلسفة لدينا عن تقديمه ، فما أسباب هذا الاخفاق ؟

ثمة أسباب جوهرية ، الا أن المراقب يلاحظ أن هناك ثلاثة أسباب ، يمكن اعتمادها كعوامل في هذا الاخفاق ، وهي

أولا : التكوين العلمي الناقص لبعض الأساتذة : وعلى الرغم من أن بعضهم درس في أوروبا وأميركا ، الا أنه عاد بخفي حنين فكريا وابداعيا ، باستثناء الشهادة ، وتقول العرب ان فاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف تنتظر خيرا ممن لم يكن قد شغل كرسي الأستاذية ، الا بشهادة ربما نالها بالأقدمية الدراسية : أو اشفاقا لظروف اغترابه ، أو مساعدة من الغير في اعدادها : ومن جهة أخرى ، فان وجود أساتذة يفتقدون القدرة على الابداع يثبط همة الذين حازوا على هذه القدرة ، طالما كان الاثنان بالمركز العلمي نفسه ، وينالان الراتب ذاته ، طالما تنظر اليهما ادارة الجامعة أو الكلية بنظرة ادارية واحدة ، من حيث التمتع بالحقوق الادارية والمالية نفسها .

ثانيا ـ الحصار الفكري : ان الباحث العلمي في الأقطار العربية ، محاصر بثلاثة أنواع من السلطات : سلطة التقاليد المتمثلة في المجتمع ، وسلطة تراث

التاريخ وسلطه الدوله الحريصة على حرمان المواطن من حقوقه وحرياته الأساسية ، فاذا استطاع أن يفكر تفكيرا حسا لا قيود تحده الا قيد الحقيقه العلمية ، وهي حقيقة نسبية وليست مطلقة ، فان ترجمه الأفكار الحرة الى كتابات منشوره مهمة أشبه بمغامره ، قد لا يحسب لها حساب . وللأسف الشديد ان معظم الأساتذة ليس لديهم طموحات المسافرين في رحاب الفكر الذي أصاب بعضهم ، ودفع البعض الاخر حياته ثمنا لما يؤمن

ثالثا - فقدان التفاعل الجدلي بين الأستاذ والطلبه هذا الاحتكاك الضروري يجعل الأستاذ مقتدرا ، والطالب مبدعا ، وتحضرني هنا ، مقولة للفيلسوف المعاصر ، الفرد نورث هوايتهيد ، « ان حواري مع طلبتي صنع نصف فلسفتي »

ولا شك في أن الاخفاق في هذه الناحية كامن في أسلوب التلقين الذي يتلقى الطالب المعلومات والحقائق في ضوئه ، اضافة الى الأعداد الهائلة في كل قاعة في معظم جامعاتنا العربية ، الأمر الذي يساعد في تخرج الطالب ومعه كومة من المعلومات التي كان بالامكان استقاؤها من الكتب الخارجية ، بأقل من نصف مدة الدراسة الجامعية ، وينخرط الخريج في وظيفة اداريه ، وبعد سنوات من الخدمه العامة ، ينسى المعلومات التي استقاها في دراسته الجامعية ! فماذا ننتظر بعد كل هذا ؟ ! □

المنهج التعليمي والتطوير الإداري في دول مجلس التعاون

دول مجلس التعاون الخليجي هي دول صناعية تجارية غنية ، تتبنى مناهج تربوية تعليمية وأنظمة ادارية صممت خصيصا لمجتمعات زراعية موسمية فقيرة . ان انتاج النفط في هذه الدول يشبه تماما حزام الانتاج في مصانع العالم الصناعي . كما أن التجارة فيها تجارة عالمية خارجة عن حدود المنطقة منذ أقدم العصور . ويمكن تلخيص أهم خصائص هذين المحورين الاقتصاديين الأساسيين لدول الخليج العربي كما يلي :

١ - تشبه الصناعة النفطية في المنطقة أية صناعة في العالم الصناعي من حيث انها تعتمد على استمرارية الانتاج ، وضمان التسويق تحت أية ظروف ومعطيات محلية او عالمية ، وذلك لضمان استمرارية هذه الدول ورفاهية مجتمعاتها كذلك فان التعامل التجاري في هذه الدول منذ أقدم العصور مبني على قاعدة التصدير والاستيراد مع دول العالم وبالتالي يعتمد على المحافظة المستمرة على مستويات أداء عالية .

٢ - اعتماد هذه الدول على الثروة النفطية بشكل أساسي يتطلب اعتماد استراتيجية بعيدة المدى لتطوير صناعات مشاركة وبديلة للنفط وبالتالي تطوير قاعدة انتاج صناعية وتجارية موازية ، وعلى نفس مستويات الاداء العالمية . وبالتالي فان اعداد انسان الخليج العربي على المدى البعيد يتطلب اعداد اجيال صناعية ذات خبرات تكنولوجية واقتصادية على مستويات عالية ، وتتمتع بمرونة الحركة ، وتعددية الخبرات ، والقدرة على التغيير والاستجابة للتغيير بسرعة ودقة وحرية .

لقد كان من أكبر الأمراض التربوية التعليمية في المنطقة اضطرار دول الخليج العربي لأن تعتمد على مناهج تربوية تعليمية وانظمة ادارية عربية (على اعتبار أنها مناهج وانظمة مجربة) ، مصممة لدول غير صناعية .

ان أهم خصائص الدول العربية الزراعية الموسمية الفقيرة هي نشأة الآلة الادارية البيروقراطية بمعزل تام

عن متطلبات الصناعة والتجارة ذات المستويات الادائية العالمية ، وبالتالي اضطراب اهداف النهج التربوي التعليمي ، وتصميمها لاعداد الموظف البيروقراطي النسخي الملتزم بالاجراءات . ومن الأعراض المزمنة لهذه الامراض اجبار المحاور الاقتصادية الصناعية والتجارية على اتباع متطلبات الآلة البيروقراطية في تلك الدول بدلا من تصميم الآلة الادارية لتقديم الخدمات للصناعة والتجارة .

ويفسر هذا تعثر الصناعة العربية وتحملها لأورام بيروقراطية معقدة ومطولة . ويمكن تلخيص أهم الامراض التي تنجم عن تبني المناهج التربوية التعليمية ، والانظمة الادارية لتلك الدول من قبل دول صناعية تجارية كدول الخليج العربي كما يلي :

١ ـ غياب الخبرات الصناعية والتجارية ذات المستويات العالمية بين الخريجين بالاضافة الى غياب الخبرات التصميمية والتطويرية التكنولوجية والادارية بينهم .

٢ ـ اتجاه الغالبية الغالبة للخريجين الى العمل في الآلة البيروقراطية للدولة واستجابة الآلة البيروقراطية لرغباتهم وليس لحاجات الدولة الحقيقية ، وبالتالي اضطراب اهداف التوطين عن طريق توسيع قاعدة التوظيف في المراكز العليا والترقية السريعة في الآلة البيروقراطية .

٣ ـ تفريغ البنية التحتية الادارية والمهنية من المواطنين الخريجين وتكريس النظرة الاستخفافية من قبل الخريج المواطن لهذه البنية ، وعدم اتجاهه اليها ، وبالتالي ضياع فرصة تعرف المواطن الخريج على الحاجات الحقيقية للتطوير الاداري والصناعي والتي تكمن جذورها في البنية التحتية ومن ثم تكريس الانظمة البيروقراطية (المستوردة من مجتمعات موسمية زراعية) التي صممت لتحتمل الوقت الطويل والتعقيدات الادارية والمركزية المتسلطة ومستويات الاداء المحلية .

ان المناهج التربوية التعليمية والمناخ الاداري والبنية الاستشارية في دول الخليج العربي تقوم كلها على اعداد الاجيال في دول مجلس التعاون للعمل في بلدان زراعية موسمية فقيرة وليس في بلدان نفطية صناعية تجارية غنية .

ولذلك فانني ادعو الى دراسة شاملة وموضوعية لاعادة تصحيح مسار النهج التربوي التعليمي ، وسياسات التوطين واستراتيجيات التصنيع والتطوير الاداري ، وربط هذه المجالات الثلاثة في رؤية مستقبلية شاملة نحو اعداد انسان المستقبل الذي يمكنه ضمان استمرارية الدولة في الخليج العربي .

هنالك دول عربية قد تعطلت فيها الآلة الصناعية بنسبة ٤٠٪ بسبب اجراءات استيراد قطع الغيار !! ان دراسة بسيطة لطبيعة الاجراءات في دول الخليج العربي ستكشف حالة مزمنة من هدر ملايين الدولارات بسبب اضطرار الآلة الصناعية والتجارية لتحمل متطلبات الآلة الادارية البيروقراطية . ولكن دراسة ابسط ستكشف لنا أن استمرار النهج التربوي التعليمي والأنظمة الادارية على ما هي عليه سيضاعف هذا الهدر أضعافا مضاعفة في المستقبل .

اياد ابراهيم قطان

طه حسين
يرثي العقاد

يقول الدكتور طه حسين في مقطع من رثائه لصديقه عباس محمود العقاد : « أمثالك تموت أجسامهم ، لأن الموت حق على الأحياء جميعا ، ولكن ذكرهم لا يموت ، لأنهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضا ، وسيواري شخصك الكريم في أطباق الثرى ، ولكن القبر الذي سيحتوي شخصك لن يستأثر بك ، فلك في قلوب الذين يحبونك والذين ينتفعون بأدبك وعلمك ذكر لن يموت ، ولكنهم لن يستأثروا بذكرك ، وانما ستشاركهم فيه الأجيال التي تبقى بقاء الدهر » .



منتدى العربي
تعقيبات

فلسفة الضحك

من البداية أتفق تماما مع ما طرحه الأستاذ الدكتور الرميحي ، في حديث الشهر للعدد رقم ٣٢٩ لشهر ابريل ١٩٨٦ ، من أن الضحك ظاهرة حضارية ، واصلاح لمزاج الانسان ، وتوازن بين عناصر جسمه ، وان كنت أرى أن الضحك تنفيس ايجابي لطاقات عبثت أساسا لأمور أكثر جدية ، وهو كذلك تطور منطقي وحاسة اجتماعية رفيعة ، وهو منعش للنفس ، ومفيد للجسم ، لأنه يقوي الجهاز التنفسي ، وينشط الدورة الدموية ، وينعش الأعصاب ، ولا يرهق عضلات الوجه

وبعض العلماء يؤكد بأن (ظاهرة الضحك) تختلف في كل انسان عنها في غيره ، وقد اهتم (جورج ويليامز) - أحد أساتذة علم النفس الأمريكيين - بتحليل ظاهرة الضحك ، ومعرفة أنواعها وأهميتها في الدلالة على أخلاق الانسان ، مستندا الى مقولة للكاتب الانجليزي (كارلايل) ، حيث قال : « ان الضحك هو المفتاح الذي يوصلنا الى معرفة الانسان على حقيقته » - ذلك أنه ليس أبلغ في الدلالة على أخلاق الانسان من نوع ضحكته ، ومن التجعيدات والخطوط التي ترتسم حول فمه ، والانقلاب الذي يطرأ على سحنته وهو يضحك

ولقد أكد أحد المخرجين المسرحيين ، بأنه لايستطيع أن يعطي رأيا في ممثل قبل أن يسمعه يضحك ، لأن الضحكة - على حد قوله - أصدق مقياس لاخلاص الممثل لفنه ، ويعتقد البعض أن الضحك هو تكرير لفظة (ها) بترتيب السلم الموسيقي ، ولكن الواقع أن هذا الصوت يتشكل ويتنوع حتى ليعتذر حصر أشكاله وأنواعه ، وهو في كل شكل يدل الى حد كبير على أخلاق الانسان وطباعه .

ولقد فطن الأوروبيون الى أهمية الضحك ، بالنسبة للصحة العامة ، ولهذا يقول المثل الانجليزي (اضحك تسمن) ، وقيل (ان ضحكة واحدة كل يوم تغنيك عن الطبيب) ، وليس غريبا أن نعرف أن للضحك مضارا ، فقد قيل (كثرة الضحك تميت القلب) ، وهذه حقيقة لاجدال حولها ، والأدلة كثيرة على صدقها ، فقد مات أحد أفراد أسرة (كراسوس) الروماني من الضحك عندما رأى حمارا يأكل عوسجا ، ومات رجل عملاق ، كان يدعى (مارجيت) في عام ١٩٢٩ من الضحك ، عندما رأى قردا يحاول أن ينتعل حذاءه ، وعندما دخل (فيلومنيس) اليوناني منزله ، ورأى حمارا يأكل التين الذي أعده لطعامه ، ضحك وأغرق في الضحك حتى مات .

ومات الرسام اليوناني الشهير (دايكسيس) من الضحك كذلك ، عندما أخذ ينظر الى صورة عجوز شمطاء ، كانت من رسمه .

وليس الضحك - كما يدعي البعض - عادة بشرية ، كما أنه ليس مقصورا على الانسان ، فقد لوحظ أن بعض الحيوانات كالقردة والخيول والقطط والكلاب والأسود ، شوهدت ووجوهها متقلصة ، كما لو كانت تضحك ، على أن علماء النفس ،

يعتقدون أن الضحك يتصل بغريزة حيوانية ، وأن الأصل فيه يرجع الى شعور الانسان بالمرح والسرور عند رؤية الطعام . وهم يستندون في ذلك الى أن الأطفال لا يضحكون قبل الاسبوع السابع من عمرهم ، وأنهم - أي الاطفال - بعدئذ يضحكون لرؤ يتهم الطعام ، لا لشيء آخر على الاطلاق ، ثم يضحكون بعد الأسبوع العاشر من عمرهم ، اذا شاهدوا ذويهم يضحكون ، أليست هذه فلسفة ! ! . □

دكتور خالد محمد نعيم

أسئلة للمستشرقين حول الطريقة المدانية

اطلعت على ما عرض في مجلتكم الغراء حول « معضلات اسلامية » من كتاب الشهر في العدد ٣٢٩ ، شهر ابريل ١٩٨٦ ، والذي كان من بين مواضيعه مقال للمستشرق براون حول الطريقة المدانية بتونس ، وعلاقتها بالدولة ، ومن خلال هذا العرض تبين أن المستشرقين ما زالوا منذ نهضتهم المبكرة يمعنون النظر في الحضارة الاسلامية ، ويجدّون في البحث والتقصي عن رجالها ، وأتمنى أن تكون هذه الدراسة خدمة للحقائق التاريخية التي قدمتها الحضارة الاسلامية لصالح الانسانية

ولقد لاحظت أن مقال المستشرق براون حول الامام الشيخ محمد المداني القصيبي التونسي وأتباعه ، مقال يغلب عليه عدم المعرفة ، والتسطيح للفكرة التي كان يعيش لها المداني وأتباعه بتونس ، وعلاقة الشيخ بالاتباع ، وسبب انضمامهم للطريقة ، والجو السائد بين الشيخ والسياسيين الدستوريين فيقول « والنتيجة التي تحصل عليها بعد التقصي للجذور الاجتماعية للطريقة المدانية وبرنامجها للعمل توصل الى أن معظم أتباع هذه الطريقة من الفلاحين والفئات الفقيرة في المدن » وهذا خطأ ، فأتباع الطريقة هم من شتى الفئات في المجتمع التونسي ، الفلاح والتاجر والغني والفقير والطالب والمعلم ، والاستاذ والمدرس والموظف والقاضي في العدالة ، ولقد امتدت الى خارج الحدود التونسية .

ويترتب على خطأ الكاتب في حصر الأتباع بين الفلاحين والفقراء ، الوصول لنتيجة مفادها أن الاتباع للطريقة هو « بدافع الفقر والحاجة الملحة للأقوات التي تكفلها لهم الطريقة » والشيخ الذي لم يكن أفضل حظا منهم في حالته المادية ! ويؤدي ذلك الى استدراج القراء الى التشكيك في رجال الاصلاح ، واتهامهم بالتعاون مع الاستعمار الذي كان يقدم لهم ولاتباعهم المساعدات لضمان اقتصادهم ، ونطرح هنا بعض الأسئلة حول ما قدمه الكاتب بروان في دراسته للامام الشيخ المداني .

- ما هي المراكز الاقتصادية للطريقة المدانية التي كانت تضمن بها حاجات الاتباع ؟ وما هي الأعمال التي يقوم بها الاتباع في مقابل ذلك ؟

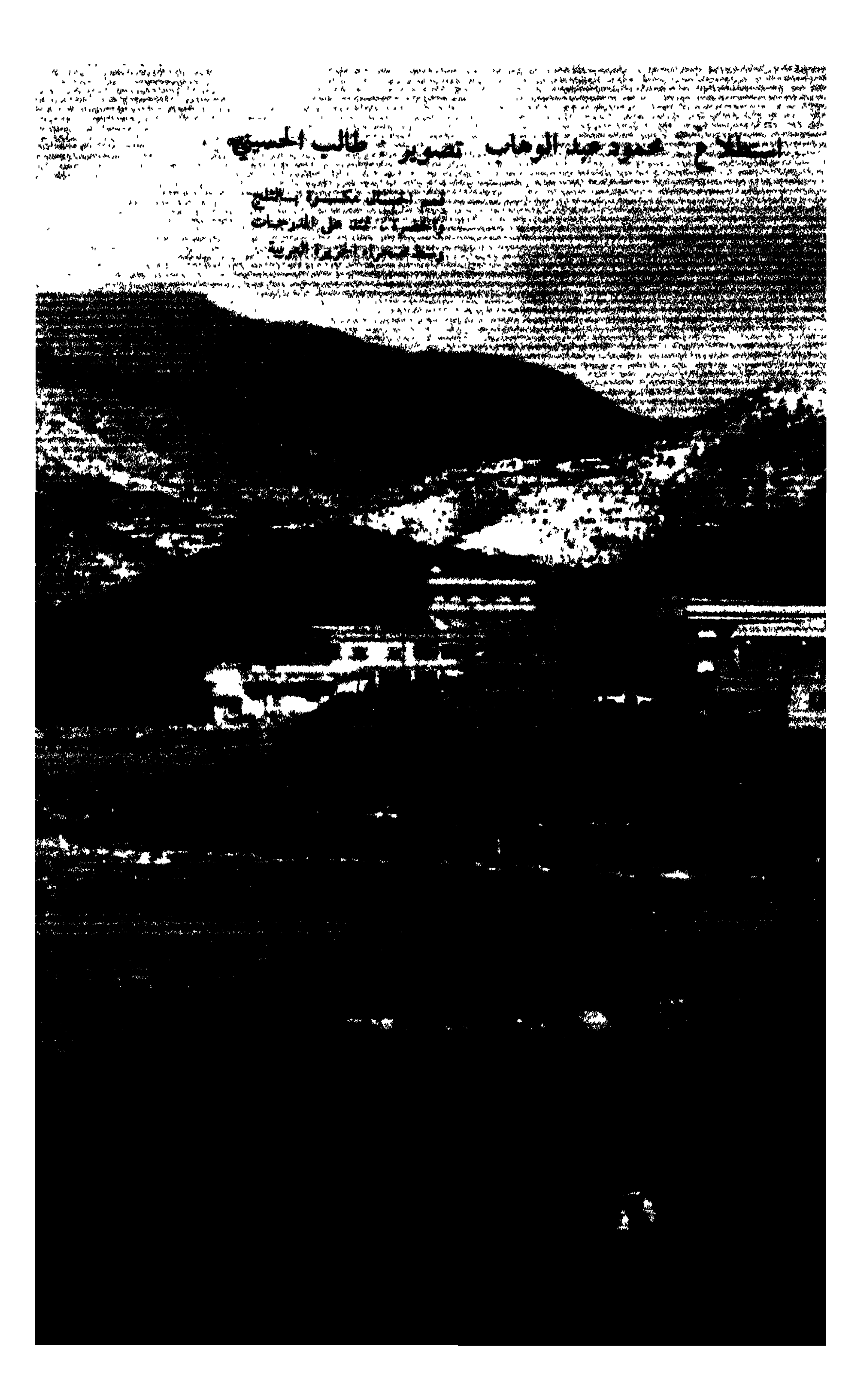
- من كان يمول هذه المؤسسات ؟ وكيف ؟

ثم يواصل الكاتب قوله « ان الطريقة واجهت صدمة سياسية واجتماعية كبرى بعد الاستقلال مباشرة ، حيث اتهم الحزب الدستوري الشيخ المداني وأتباعه بالتعاون مع الاستعمار الفرنسي » ولو كان كذلك لمحق هو وأتباعه من قبل الحركة السياسية

ولو ثبتت واقعة التعاون مع الاستعمار لقضي عليه وعلى أتباعه الذين تعددت فروعهم داخل القطر التونسي وخارجه بعد الاستقلال وتحت اشراف الزاوية المركزية التي يسير ادارتها ابن الشيخ ، الذي أسندت اليه أكثر من وظيفة من قبل الحكومة السياسية بعد الاستقلال .

محمد بن مبارك غرنوق


عسير



استطلاع: محمود عبدالوهاب تصوير: طالب الحسيني

قمم الجبال مكسوة بالثلج
والخضرة [illegible] على المدرجات
وسط خضرة الجزيرة العربية

« أمسكت انفاسي من الدهشة . . غير مصدق ما تراه عيناي . . فقد كانت الطائرة تهبط في مطار ينبسط وسط هضاب عالية تكسوها الخضرة وكرات الثلج البيضاء ، ولولا نداء قائد الطائرة باننا في الأراضي السعودية لظننت أن الطائرة أخطأت المسير » . .

فوق سطح البحر بـ ٣٥٠٠ متر ، ووسط تجمعات السحاب الابيض . تسير الحياة . تمشي في الطرقات وتمد أصابعك فتمسك هواء بارداً كالثلج . تقف على حافة الهضاب فترى السحاب وهو يهبط الى أسفل ، ويظلل القاطنين في الوادي وهم ينظرون اليه مثلما يفعل قبل الصعود

وعلى امتداد الطرق المحوتة وسط الهضبة ، وفي قلب المدن والقرى المشيدة في ظروف شديدة القسوة ، تشعر بايقاع التاريخ داخل نفسك : هنا عسير وتهامة

بلاد بني قحطان وعدنان أحداد العرب ومن وسط القرى الصغيرة المنتشرة على الهضبة خرج أبو هريرة وطفيل الدوسي وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم وبقدر تراث تاريخ المكان وثرائه . بقدر ما صنع أبناء الحاضر شراء اسابيا اخر - رغم كل الظروف القاسية مما جعل انجازهم هذا يقارب حدود المستحيل

الطريق الصاعد :

في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية تقع منطقة عسير ، وهي أكثر مناطق المملكة ارتفاعاً عن سطح البحر وفوق سلاسل جبال السروات التي تكون المنطقة ، قامت الحياة ونشأت منذ فجر التاريخ . وكان لتنوع تضاريس المنطقة واختلافها أثر واضح في اختلاف الحياة وشكلها ، واتصال السكان وحركتهم ونشاطهم ومنطقة عسير تنقسم جغرافياً الى قسمين أساسيين منطقه المرتفعات وبها مدينة أبها عاصمة المنطقة ومركزها الاداري ، ومنطقة السهول باتجاه ساحل البحر الأحمر وهي ما تسمى بمنطقة تهامة

وبين الجبل والسهل تنتشر الوديان ويتكاثر سقوط الأمطار . ويزدهر سفح الجبل وقمته بالزرع والخضرة ويورق السهل بالأشجار والمحاصيل وتدور حياة كاملة تتعانق فيها المتناقضات . الجبل والسهل . . اليابسة والبحر الصخر والزهر الرمال وكرات الثلج . الحياة بفطرتها ومظاهر التقدم . وقد كانت هذه المتناقضات وطبيعة الظروف الجغرافية للمنطقة وراء التنظيم الاداري لمنطقة عسير . فالمنطقة تمتد على مساحة ٥ آلاف كيلو متر طولاً في ٣ آلاف كيلو متر عرضا ، تنتشر عليها ٤٢٠٠ قرية موزعة على ٦٨ إمارة ، ويبلغ عدد سكانها زهاء مليون و ٢٠٠ الف نسمه . .

وكما قلنا فانه نتيجة لهذا الامتداد الواسع فان التنظيم الاداري جاء مراعياً هذه النقطة ، فقسم المنطقة الى ٨ إمارات مركزية كل إمارة من هذه الامارات يتبعها عدد من الامارات الأصغر بحيث يصبح هناك نوع من التسلسل الاداري في مراجعة الامارات للمستوى التنظيمي الأعلى والذي يتمثل في امارة عسير والكائنة بأبها عاصمة المنطقة كلها .
بالرغم من الامتداد الواسع للمنطقه فانه ليس متاحا أن تمد بصرك لكي ترى تجمعات سكنية على شكل قرى صغيرة على امتداد الهضبة كلها . ووسط طرق تلتوي داخل الهضبة تجد منظراً من أكثر المناظر ندرة . حيث يمكنك النظر الى أسفل والى أعلى فتجد عديداً من القرى ببيوتها المميزة ومدرجات الزراعة الخضراء تنتشر الى أسفل والى أعلى باتجاه الطريق الصاعد .

ولكي نقرب المنظر منك - عزيزي القارىء - فالمنطقة هي قمة جبال السروات ، ولأن هذه القمة مسطحة وليست هرمية فان شكلها العام يبدو أقرب ما يكون الى الهضاب . ومن هنا فانه يمكن للمرء أن يتخيل شكل القرى المنتشرة على امتداد الجبل من أعلى الى أسفل .

الحاكم والرعية بلا وسيط

في أول صباح لنا في أبها صحبنا مرافقنا الى مجلس الأمير . ولأن الصباح كان ما زال في ساعاته الأولى فطوال الطريق كان ذهني يتخيل المجلس .. متصوراً أن الحاكم الاداري للمنطقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سدر يبدأ يومه بجلسة مع كبار مساعديه وموظفي الامارة في اجتماع يومي . وظل هذا ظني حتى وصلنا الى مقر الامارة ورأيت المجلس وزادت الدهشة والعجب وسط قاعة كبيرة واسعة على جانبيها تمتد الارائك وفي صدرها مكتب صغير عادي أمامه مقعد على المكتب يجلس صاحب السمو الملكي وعلى الأرائك يحتشد الناس عامة الناس مواطنون ووافدون عرب وعجم أصحاب شكاوي وطلبات ومظالم

باب القاعة مفتوح بلا حرس ولا حجاب وفي مواجهة المكتب يقف طابور من حيرة شباب قبائل المنطقه بزيهم التقليدي ويتقلدون سيوفهم أسأل مرافقي بصوت هامس يقول لي أنهم « الفداوية » نسبة الى الفدائية وهم شباب القبائل الذين يجدون في وقوفهم حرس شرف وكوكبة فرسان تسير قبل أميرهم يجدون في هذا العمل التطوعي شرفاً لهم وفخراً تتيه به العشائر والبيوت والقبائل ، وهذا العمل لا يرتب لأفراده أية ميزة مادية ولا يمنحهم صلاحية ولا جاهاً . . . ولكنه يمنحهم بابا للفخر لا ينتهي .

واعترف بان التجربة كانت فريدة وجديدة بالنسبة لنا ، فقد انطلق زميلي المصور في التقاط عديد من الصور . وجلست أنا أرهف السمع وأحدق البصر شيخ عجوز يجلس فيقول:الأرض يا طويل العمر . أرضنا عرضنا اغتصبوها منا بالقوة . حتتك منذ ثلاثة أشهر فاحلتنا الى القضاء ، حكم القضاء لنا وأصبح حكما نافذاً لا يجوز نقضه ورغم ذلك لم يرفعوا أيديهم عن الأرض . فوق الورقة التي احتفظ عليها الشيخ مظلمته يضع الأمير (إشارة فورية الى مدير شرطة عسير لتنفيذ حكم القضاء اليوم وافادتي) ، ويصحب الشيخ واحد من (الفداوية) مع الورقة التي وضع عليها الأمير اشارته ويذهب به

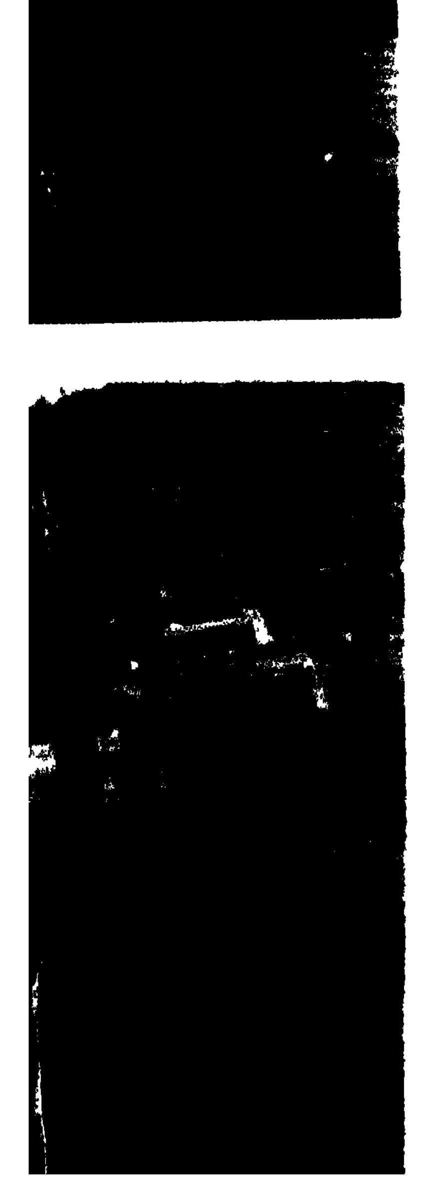


خريطة توضح موقع منطقة عسير في أقصى الجنوب وعلى البحر ، مما جعلها تحت تأثير حضارات اليمن وافريقيا

الى مكتب مدير الشرطة شاب آخر وافد من أقصى بلاد المغرب ، يتحدث بأسى المظلوم ثمانية شهور لم أقبض راتبي .. من أين آكل اذن . وليت الأمر مقتصر على همي الشخصي ولكن معي زوجة وطفل .. قلت لهم اذا كانت ظروف الشركة صعبة ـ وهذا يحدث في كل العالم ـ فليعطوني حقي وأجر عملي ليس أكثر وأعود الى بلدي .. ولكن لم يسمع لي أحد أطال الله عمرك .. وبهدوء شديد يهدىء الأمير من لهفة المظلوم صاحب الحق ، ويصدر أمراً باستدعاء صاحب الشركة نفسه اليوم الى مقر الامارة وأخذ حق العامل منه ، وبعد أن يغادر الشاب الى مكتب المسئول الذي سيتولى التنفيذ يصدر الأمير توجيهاً شخصياً لأحد موظفي دائرة العلاقات بصرف مبلغ من المال من جيب الأمير الشخصي للشاب لو تأخر سداد مستحقاته ويتوالى مرور أصحاب المظالم والشكاوي والحاجات ، وتحسم الأمور كلها في نفس اليوم واللحظة .. وينتهي المجلس ، وفي الطريق الى مكتب الأمير قلت لمرافقنا : كم أنا مندهش من التجربة التي تكفل أقصى درجات الاتصال بين الحاكم والرعية ، وفوق ذلك فهذا الحكم والبت السريع في المشكلات ليتجاوز بذلك كل أمراض

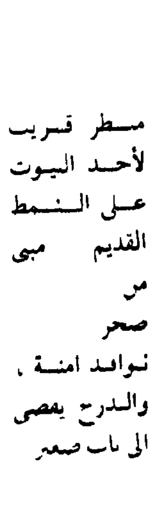


أحد أبناء منطقة تهامة بزيه التقليدي ، وقد عقد على رأسه عقد من الورد ، ورسم بالألوان كما هي العادة في المنطقة





مسطر قريب لأحد البيوت على النمط القديم مبنى من صخر نوافذ امنة ، والدرج يمضي الى باب صغير



بحيرة مدينة أبها واحدة من بحيرات كثيرة صنعها المطر . والى اليمين قرية قديمة مساكنها في الجبل العالي ، حيث الأمن ومدرحات الزراعة



الادارة (والروتين) ، ابتسم الأمير وقال ولماذا لاتقول لأننا ندرك أن العدل البطيء أكثر قسوة ومرارة من الظلم نفسه

من الجبل الى السهل

وداخل مكتب الأمير فيصل بن بندر فتحت أوراقي والقيت اسئلتي عن تجربة الحكم وعن مشاكل المنطقة وطبيعتها وخصوصيتها ، وبدأ صاحب السمو يجيب ويتحدث قائلا « في رايي الشخصي فاني اعتبر تجربة الحكم ونظام الادارة من خلال الاتصال المباشر هذا من انجح النظم الاداريه على الاطلاق ، وهو نظام متبع في كل ارجاء المملكه وعلى كافة مستوياتها بدءا من جلالة الملك المفدى حتى أمراء كل الامارات . ومن واقع خبرتي فان هذا النظام يتميز بميزتين مهمتين أولاهما : التعرف على مشاكل الناس على الطبيعة ، فليست كل المشاكل التي يعرضها الناس في المجلس أمورا شخصيه ،بل الغالبية تأتي لعرض مشاكل تتعلق بالخدمات العامة الأخرى ، والمرتبطة بحياتهم مثل مشكلات الطرق والمياه وتوافر الخدمات . الميزة الأخرى هي أن هذا النظام يكفل رقابه حقيقيه على اداء الموظفين العموميين

فطالما أن باب الحاكم مفتوح للكافة فان أي موظف لا يستطيع أن يتهاون ، ولا أن يضيع حقا لمواطن ولقد كانت هذه المجالس احد المصادر لتجميع المعلومات عن منطقة عسير كمنطقة لها خصوصيتها التي يلزم ادراكها قبل التخطيط لها ، فالمنطقه نتيجة ظروفها الطبيعية والجغرافيه تعتمد في نشاطها الاقتصادي الرئيسي على الزراعة التي يمارسها اناؤها على المدرجات وسفوح الجبال ، وتنتشر زراعات البساتين والحقول التي تشكل موردا رئيسيا للدخل وللحياة ، ونظرا لظروف المنطقه الطبيعية فانها تعتمد في زراعاتها هذه على الامطار وبعض الابار وهذا وحده يعني أن هناك مشكلة مياه . تمس عصب الحياة الرئيسية التي بغيرها تستحيل الحياة ، ومن هنا فقد بدأت مشروعات ضخمة لتأمين المياه وتدفقها ، ستنتهي جميعها بعد عامين في عام (١٤٠٨ هجرية) اذ تم التخطيط لانشاء مجموعة من السدود لحجز مياه الأمطار وتنظيم الاستفادة منها ، وعلى امتداد منطقة عسير تم انشاء ٤٩ سداً لحجز المياه عند الأودية ، منها سد يقام في منطقة (بيشة) وهو يعد من أضخم السدود المقامة في المنطقة العربية . واستمر الأمير في حديثه ولكن التحدي الحميمي الذي بدأنا تنفيذه هو عملية اقتصادية اجتماعية لاحداث تغير اجتماعي حقيقي في حياة الناس وأقصد بها « الحركة من الجبل الى السهل » فنقوم الان بانشاء قرى نموذجية . ونشجع نزوح السكان اليها ، ولكي تتضح فكرة هذه القرى دعني أوضح كيف كانت القرى تنشأ وتقام كان السكان يختارون موقعا على قمة الجبل حصينا ويسمح بالحد الأدنى للحياة ، وكلما كان المرتفع يشرف على الطريق الصاعد اليه كان أكثر صلاحية ، ويبدأ السكان بعد ذلك في اقامة بيوتهم ومدرجات الزراعة ، ومناطق الرعي وأبراج المراقبة ، هذه « الفلسفة » التي تحكمت في انشاء القرى في الأزمنه الماضية لم يعد هناك ما يبررها الان ، فلم تعد هناك عصبيه ولا صراع قبلي،واستقر الأمن والسلام بين الناس ، ورغم شبكة الطرق الهائلة والمشروعات الكبيرة التي اقيمت لشق الطرق في قلب الجبال . أقول رغم هذا فاننا بحاجة الى جذب السكان بقدر الامكان الى السهل حيث الأرض أكثر خصوبة ، وامكانية التوسع في الخدمات أكبر فشق طريق وتعبيده في سهل أيسر كثيرا من مثيله في جبل ولذلك فنحن قد بدأنا باختيار بعض المواقع التي سوف تصبح قرى جديدة ، وأقمنا فيها مراكز حضرية مثل المساكن والمدارس التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم بالاضافة الى المناهج الدراسية العادية ، وتبذل هذه المدارس مرتباً شهريا للطالب بالاضافة الى برنامج تغدية ، كما أقمنا وحدات صحية متكاملة ، وقدمنا كثيرا من الاغراءات التي تدفع السكان للتخلي عن ذكرياتهم حتى يتحركوا باتجاه السهل . وبالطبع هذا مشروع ما زال في بدايته ورغم كل النتائج الايجابية التي تظهر لنا الا أن الحكم عليه غير ممكن الآن لارتباطه بجزء مهم نسعى اليه وهو قبول السكان للفكرة ، والانسان بمنطقة عسير يتميز بصفات عديدة أورثتها له المنطقة بخصوصيتها وطبيعتها ، فهو صلب وشجاع ، وفيه أيضاً حدة واستعجال للأمور . . وهذه كلها صفات اعتقد أنها في صالح نجاح عملية


صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر

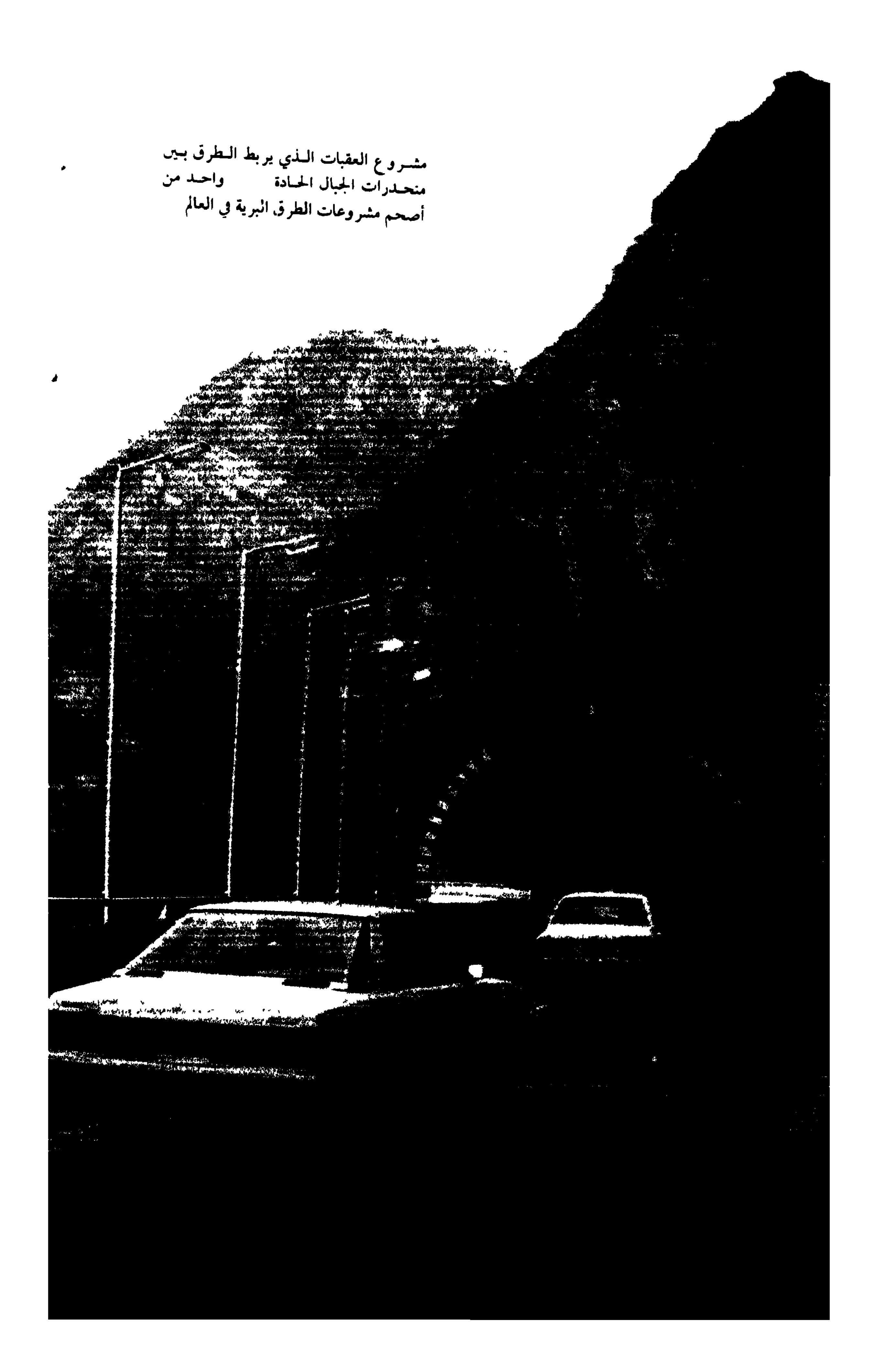
التعبر هده لأنها ستدفع انسان عسير الى أن يكون طرفا ايجابيا وفاعلا مما يدفع بالمشروع كلية الى النجاح .

الجغرافيا تحدد شكل الحياة :

الجغرافيا تصنع التاريخ مقولة صحيحة تماماً لدى دارس السياسة ، وأيضا لدى دارس الاجتماع فان الجغرافيا تسهم في صنع شكل الحياة والعادات الاجتماعية والتقاليد والنظام الاجتماعي بشكل عام فطبيعة أرض التجمع البشري هي التي تحدد النشاط الاقتصادي الأغلب للسكان ، ومن خلاله ومن خلال صاحب القدرة الأكثر تميزا في ترويض الطبيعة تتحدد المكانة الاقتصادية ، وبالتالي السلامة الاجتماعية ، ونشاط السكان وعائده ، ومدى كفاية هذا العائد في الاشباع ، وسد حاجات السكان ، وتصنيف المهن الرئيسية والمهن الهامشية ، والثقافة ، والعرف ، وما الى ذلك مما تتشكل منه العادات الاجتماعية وتترسخ وتستقر ومع استمرار الحياة وتطورها . . تتطور العادات وتتلاشى أو تتحدر ويصيبها ما يصيب الكائن الحي أو القيم المعنوية من بقاء أو تطور أو زوال . ولذا فاننا نجد أن عادات سكان ساحل البحر غير سكان الصحراء الخ .

ولقد كانت طبيعة منطقة عسير . الجبال العالية اعتماد الحياة على المطر ، نشاط السكان الزراعي، الرعي ، التناقض في الطبيعة بين الحياة على قمة الجبل حيث عسير ، والحياة في السفح عند ساحل البحر الأحمر حيث تهامة . كان لهذا الاختلاف أثر واضح في شكل الحياة الاجتماعية والتقاليد والعادات .

. سألنا الشيخ أحمد مطاعن واحد من رجالات أبها عمل في مناصب رسمية كثيرة ، وتولى بحكم وضعه القبلي في زمان مضى حل كثير من المشكلات بين القبائل ، والتوفيق بينها ، والرجل بحكم عمره وخبرته يمتلك رصيداً كبيراً من الذكريات والحكايات والشواهد ويتمتع بقدرة المحدث العذب . بلغة رقيقة وحس وبديهة حاضرة . . وفي أمسية طويلة صحبنا الرجل عبر ذكريات كثيرة من تاريخ العادات والتقاليد . يقول الشيخ « تبدأ حياة أي أسرة بالزواج . . ولأن القبيلة أو القرية كانت تتمثل في عدد محدود من أبناء العم أو الخال أو الأقارب ولم يكن بينهم أي خليط أو غريب ، كان الناس يعرف بعضهم البعض الآخر . فهذا يعرف أن ابنة فلان في سن زواج ، وان صفاتها كيت وكيت خصوصاً ان الحياة في ذلك الوقت كانت تتطلب اشتراك الرجل والمرأة في جميع شئون الحياة من فلاحة ورعي وفوق ذلك فقد كانت طريقة الرؤية الشرعية موجودة ومتاحة وكان الشاب يذهب بصحبة أمه التي تكون قد مهدت بالحديث الى أم الفتاة التي تخطر زوجها بدورها ، وهكذا تبدأ زيارة خاصة وسريعة للرؤية ، عندما تحظى البنت بالقبول ـ يذهب الشاب الى ولي الفتاة الذي يقابله بالحفاوة والكرم اللائقين ثم يعقد اجتماع صغير بحضورهما مع عدد محدد من الأقارب لكي يتفقا على المهر الذي كان يخضع لأخذ ورد ومساومة . وعند ليلة الزفاف يتحرك المعرس من قريته الى قرية العروس أو من بيته الى بيت العروس . مصحوباً بأهله وأصدقائه مدججين بالسلاح . . وعندما يقترب من منازل أهل العروس يقابلهم أهلها بألعاب شعبية ، ورقص ومبارزة حماسية ، ثم يصحب عروسه على جمل وتخرج أمامها صاحباتها يمسكن مجامر البخور ، وينثرن قطع النقود والحلوى أمامها . . ويقيم ولي العروس حفلة كبيرة يذبح فيها الأغنام للوليمة ، وعندما تصل العروس الى بيته تقابل بمثل ما سبق من مظاهر الفرح . . ثم



مشـروع العقبات الـذي يربط الـطرق بين
منحـدرات الجبال الحـادة واحـد من
أصحم مشروعات الطرق البرية في العالم



بسط التجار بصائعهم بجوار نافورة وسط المدينة
اليسار / المواطن السعودي الجديد هو الاستثمار الأبقى وهو يعمل ويتعلم في مركز التدريب المهني نامها

١

يقيم المعرس ولائم لمدة اسبوع . وقد كان من العادات أن يقوم بكسوة أهل العروس رجالا ونساء تعبيرا عن مودته لهم ومكانتهم عنده وقد تلاشت بعض هذه العادات ، وبقيت مظاهر الاحتفال والرقصات الحماسية والولائم الى يومنا هذا ولكنها تختلف من شاب الى اخر وفقا لقدرته المادية وكانت هذه المظاهر تتعدد وتتكرر عندما يتزوج الشخص للمرة الثانية . فقد كانت القبيلة تعد الزواج وسيلة التكاثر والانجاب ، والأبناء هم السند والقوة والكثرة وبالتالي فهم إضافة للقبيلة سواء كقوة عمل أو تعزيز للدفاع والحماية . وكانت القبيلة كلها تفرح بالمولود الجديد ذكراً كان أو انثى فكلاهما عضو عامل في الأسرة . . وكان عندما يولد لأحدهم مولود يذهب الى شخص آخر يعتز به في قبيلة أخرى ويسميه باسمه،ويدعوه مع بعض قبيلته لحضور ولائم احتفالات المولود وكان هذا يعد نوعا من المحالفة ، فيعتبر هذا الشخص وكأنه عقد حلفا مع قبيلة الشخص الذي سمي ابنه باسمه

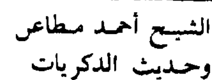
يأكل الضيف وحده

الا أن أكثر العادات الاجتماعية تعبيرا عن البيئة والتي ما زالت موجودة الى يومنا هذا ـ مع قليل من التطوير ـ هي العادات المرتبطة بالتكامل الاجتماعي ، فكان اذا هبط ضيف على شخص في القبيلة فهوضيف القبيلة كلها ، ويخرج ابناء القبيلة أو القرية لاستقباله على الطريق ثم يصحبونه الى بيت مضيفه حيث تقدم القهوة والشاي ثم يتناول الطعام وحده حرصاً على تكريمه ، ثم يأكل بقية المستضيفين بعد ان يفرغ هو واثناء جلوس الضيف للطعام يتناقش أبناء القرية أو القبيلة برئاسة أكبرهم في كيفية استضافته فيحدد شيخ القرية عددا من الأشخاص يتولون استضافته بعد أن يترك بيت مضيفه ، ويختار الشيخ عددا من الأشخاص لمرافقة الضيف في حركته وتجواله . كل هذا كي لا يكون الضيف عبئا على شخص واحد فيضيق الناس باستقبال بعضهم ويقل تواصلهم وتآلفهم فتقع الجفوة ويقل الترابط وغالباً ما تتحمل القبيلة كلها تكلفة الاستضافة التي تنفق من حصيلة العشور التي تستقطع من غله الأرض . حيث تأخذ القبيلة عشر انتاج البساتين والمزروعات وتحتفظ به في بيت مخصص لهذا الغرض،وينفق من هذه الحصيلة على إكرام الضيف أو حالات الاغاثة والكوارث أو عند الغزو أو أيام القحط ، كما ينفق منه على إطعام المساكين وأبناء السبيل أو غير ذلك من الدواعي الاجتماعية .

ومن العادات التي ما زالت موجودة الى اليوم . الأسواق للتجمع ولتكون اداة اقتصادية واجتماعية ، والاسواق تحتل مكانة مهمة للتجمعات السكانية المنتشرة على امتداد منطقة عسير الى الحد الذي سميت قرى وبلدان بأسماء أسواقها . بمعنى مدينة « خميس مشيط » تعني سوق يوم الخميس لدى آل مشيط . فقد كانت هناك قبيلة كبيرة تسمى « مشيط » وكانت تقيم سوقاً كل يوم خميس فسميت القرية التي تطورت بعدذلك الى مدينة باسم « خميس مشيط » ،وكذلك نجد « أحد رفيده » و « سبت تنومه » و « خميس البحر » و « ثالوث المنظر » ، وثالوث هنا هو يوم الثلاثاء . . وفي السوق يتم بيع كل شيء من حصر وفاكهة الى دواجن وأغنام وسمن وسيوف وخناجر وأسلحة وعديد من السلع التي تأخذ كل مجموعة متشابهة منها مكاناً محدداً تعرض فيه والى اليوم يمكنك أن ترى وسط الطرقات المعبدة وفوق الأرصفة ـ في يوم السوق ـ معروضات مختلفة ، وتأتي وظيفة أخرى للسوق وهو الدور الاجتماعي حيث يعلن الأمير فيها تعليماته أو توجيهاته كما يعلن الأشخاص عن مناسباتهم أو بيعهم وشرائهم فلان اشترى أرض فلان أو فلان سيتزوج ابنة فلان والعرس يوم كذا . وهكذا يؤدي السوق دوراً مهما في حياة الناس منذ القدم ، ويسير أهل القرى المتجاورة المختلفة الى أسواق القرى الأخرى للبيع والشراء أو للتعرف على أحوال مجتمعهم الكبير ، ومازال هذا الدور يمارس حتى يومنا هذا .

واستمرارا لتأثير البيئة على حياة الناس . فقد تأثرت بذلك الى وقت قريب طريقة بناء البيوت . فقد كانت تبنى من الصخر وعلى الواجهة صفوف متوازية من عوارض حجر الأزد كشكل جمالي من ناحية ، ومن ناحية أخرى كي تدفع هذه العوارض مياه المطر بعيداً عن البيت فلا تترسب عليه أو تنفذ اليه ، والبيت من الداخل هو مملكة الزوجة ، تتفنن




الشيخ أحمد مطاعي
وحديث الذكريات


سعيد الرلعي
مدير دائرة التخطيط

في صياغته ورسم النقوش على جدرانه بألوان زاهية تعدها من بعض المواد المحلية ، ثم عرف بعد ذلك شراء الألوان الجاهزة لتقوم الزوجة بالصبغ والنقش داخل البيت ، والبيوت القديمة تبنى من داخلها على شكل القاعات المتعددة الاستخدام . فتبنى القاعة وعلى جانبها أرائك يتم بناؤها من نفس مادة البناء (صخرا كان أو حجرا) وتفرش بالوسائد وتصبح القاعة مكان جلوس ونوم ويستغل الفراغ اسفل الأرائك الحجرية في وضع أغراض المنزل المختلفة

ورغم أهمية الابحار مع ذكريات الشيخ أحمد مطاعي وحديثه عن عادات المنطقة وتقاليدها الا أن الحاضر يصبح أكثر الحاحا وثراء ، ويشدنا اليه كي نحاول أن نتعرف عليه ، بعد أن أصبحنا متابعين ومدركين لحدود الصورة وهيكلها العام .

تحدي المستحيل :

أول ما يثير الانتباه في منطقة عسير . هو شبكة الطرق الهائلة . والقول الأقرب للدقة هو أن الطرق شقت في الجبل . . فالمنطقة كلها على قمة جبل صلد والتجمعات السكانية منتشرة على الجبل ، وطبيعة الجبل فوق هذا شديدة القسوة من حيث انتشار الأخاديد والوديان الصغيرة التي تجعل قمة الجبل (كأفعى تتلوى) انحدارات حادة أقرب مثال لتقريبها الى الذهن هو رقم ٧ أو رقم 77 باللغة الانجليزية فتمثل كل نقطة رئيسية موقع تجمع سكاني . ويهبط الطريق وينحدر بشكل رأسي وفجائي لتجد قرية أو مجموعة قرى أخرى . . ثم يصعد الطريق ليهبط ثانية . وهكذا في أكثر من موقع على امتداد المنطقة مما شكل عقبة اتصال رئيسية وابتدع السكان طرقاً عجيبة للانتقال والحركة،وظلت كلها محصورة في نطاق الطرق البدائية ، حيث تستحيل في كثير من هذه الأماكن حركة السيارات

ثاني الأشياء التي تثير الانتباه هي جمال الطبيعة . جبال عالية على سفوحها الأشجار ويتجمع حولك السحاب الأبيض ويحيط بك . وشلالات المياه المنهمرة من المطر والمنصبة فوق الجبل لتنحدر نحو السهل ، والغابات المنتشرة . منها ما اقتحمه الانسان ، ومنها ما زال خارج سيطرته لصعوبة الوصول اليها . وبين الحين والآخر تظهر بعض حيواناتها على البعد

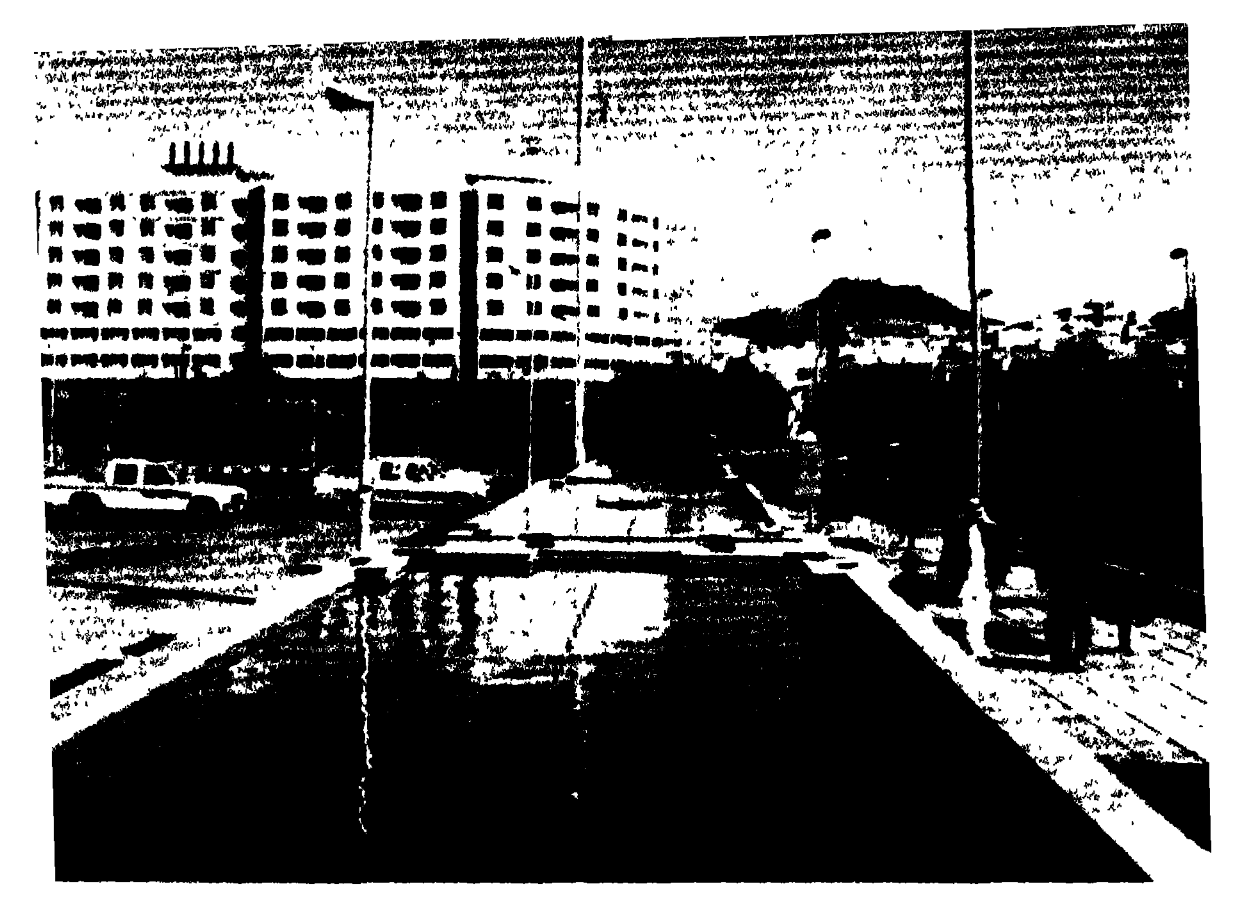
وتعد شبكة الطرق التي تم تنفيذها عبر الجبال الشاهقة والوديان العميقة اعجازاً حقيقياً سواءً من حيث كمية التنفيذ ومداه أو من حيث مستوى الأداء . ففي منطقة عسير يوجد ٧٣١٣ كم من الطرق المعبدة ويجري حاليا تنفيذ ١٠٠٩ كم وهذه كلها الطرق الرئيسية التي تربط بين أجزاء المنطقة غير محسوب فيها الوصلات التي تربط بين القرى ولا الطرق الداخلية في القرى ، والمدن

ورغم أن هذا وحده انجاز كاف الا أن الانجاز الحقيقي هو تنفيذ « العقبات » التي تربط القرى المختلفة والتي تقع على قمم ومنحدرات شديدة الوعورة والاستقامة الحادة في الانحدار وقد اجريت دراسات مختلفة كما يقول سعيد الرلعي مدير ادارة التخطيط في منطقة عسير ، واسفرت هذه الدراسات عن جدوى انشاء ثلاث عشرة عقبة مجموع أطوالها ٨٥٨ كم . وقد تم تنفيذ العقبات التالية : ـ

أ ـ عقبة الشعار ويبلغ طولها ٥٨ كم وتربط بين مدن محايل وابها وخميس مشيط من ناحية ، كما تربط طريق الطائف ـ أبها ـ جيزان ، بطريق مكة المكرمة ـ الدرب ـ جيزان ، وتخدم هذه العقبة ٨٠ الف نسمة ، وتشتمل العقبة على ٣٢ جسراً و ١١ نفقاً و ٣٧٥ عبارة وقد بلغت تكلفتها الاجمالية ٣٦٢ مليون ريال سعودي

ب ـ عقبة الجوة : وقد تم تنفيذ القسم الأول منها وطوله ٩٦ كم ويربط مدينة (بطاح) على مسافة ٩٠





صناعة السيوف والخناجر مازالت من الصناعات اليدوية الباقية ، والى أعلى منظر عام لمدينة أبها ، المباني الحديثة والطرق المرصوفة

كم جنوب خميس مشيط (بالمرشة) على سفح الجبل ، والقسم الثاني سوف يربط مدينة بطاح بمنطقة التنفو ثم بطريق الطائف ـ ابها ـ جيزان ، وقد بلغت التكلفة الاجمالية للجزء الأول ٥٣٥ مليون ريال ، وتقدر تكلفة المشروع الاجمالية بـ ١٦٤٨ مليون ريال ، وتتكون العقبة من ٢٨ نفقاً بطول ١٥٦٥م وعدد الجسور ٥٢ جسراً

حـ ـ عقبة تلاع وتربط قرية حوصة والقرى المجاورة بطريق أبها ـ الطائف المسافة الرئيسية فيها انحدار رأسي طوله ١٧٤٤ متراً تؤدي الى وادي الجوف ، ويخدم المشروع ٤٣ الف نسمة ويشتمل على ٤٢ جسراً و ١٩ نفقا .

د ـ عقبة ظهران الجنوب يبلغ طولها ١٩ كيلومتراً ، وتنحدر ٩٩٢ مترا ويحتوي على ١٢٧ جسرا طولها الاجمالي ١١٣٥٠ مترا وثمانية أنفاق

هـ ـ عقبة قرون الرر : يبلغ طولها ٦٧ كيلو متراً وطول المنطقة الوعرة ٢٩ كيلو متراً ومسافة الانحدار ١٤٩٥ متراً وتحتوي على ١١٢ جسراً و ٣٦ نفقاً .

و ـ عقبة حداد طولها ٤١كم ، تحتوي على ٥٢ جسراً و ٣٥ نفقاً وتخدم ١٨ الف نسمة يقطنون عشرين قرية .

ز ـ عقبة نصاب طولها ٣٦ كم تحتوي ٤٣ جسراً و ٣٦ نفقاوتخدم١٢ قرية يقطنها ١٩ الف نسمة .

حـ ـ عقبة آل عبيد . طولها ٥٥ كيلو متراً ، ويحتوي المشروع على ٩٥ جسرا و ٥٥ نفقاً وتخدم ٣٦ قرية يسكنها ٣٩ الف نسمة

ط ـ عقبة الساقين : طول الطريق ٥٦ كيلو متراً وتحتوي على ٢٥ جسراً وأربعة أنفاق وتخدم ١٥ قرية يسكنها ١٩ الف نسمة

وبخلاف العقبات التي ما زالت تحت التنفيذ فقد تم انشاء طريق الطائف ـ أبها ـ جيزان الذي يربط امارتين في السفح (الطائف وجيزان) عبر إمارة على قمة الجبل ، والطريق بالغ الصعوبة والانحدار والصعود فالامارتان في سفح جبل السروات الذي توجد في قمته مدينة أبها . . ويبلغ طول الطريق ٧٥٣كم ، استفادت منه ٤٢٠ قرية وحوالي ٤٠٠

الف نسمة ، والطريق معد بمستوى اداء عادي في وسط ظروف بالغه الصعوبة

سباق مع الزمـــــن :

عن شبكات الطرق الهائلة التي تقارب المستحيل وعن خطط التنميه القينا تساؤلات كثيرة أمام سعيد الزلعي مسئول التخطيط في منطقة عسير فقال

« هـذا الانجاز تحقق في خلال سته عشر عاماً فقط ، ففي عام ١٣٩٠ كان هناك ١٧٠كم فقط بلغت الان ٧٣١٣كم بالاضافة الى ١٠٩كم تحت التنفيذ ، بخلاف العقبات ، وهذا يأتي لايمان المخطط بأهميه تنفيذ مشروعات البنية الأساسية بأسرع ما يمكن ، وبأعلى مستوى اداء لكي يحقق التطوير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للسكان انطلاقا نحو تنفيذ خطط التنميه . فخلاف هذه الطرق هناك شبكة طرق زراعية تمتد لترتبط بين القرى داخل الجبل وبين مراكز الانتاج ومراكز التوزيع أما عن ملامح الانجازات السموبة أو مشروعات البنية الأساسية في القطاعات الاخرى فقد نجحنا في تطوير مراكز الخدمات الصحية - وذلك في اطار خطة عامة في جميع المملكة - لكي تقدم مراكز الخدمات من خلال المرفق الصحي الواحد الخدمات الصحيـة المتكاملة (علاجيه - تثقيفية - وقائيه) وخلال خمسة عشر عاما شهدت منطقه عسير تطوراً سريعاً في مجال الصحة فارتفع عدد اسرة المستشفيات من (٨٤) سريرا الى ١١٠٥ سرير ، وارتفع عدد المستشفيات من ٢ الى ٩ مستشفيات،وارتفع عدد مراكز الرعاية الصحية الأولية من ١٩ مركزا الى ٢٢٤ مركزاً صحيا وتحت التنفيذ ٦ مستشفيات منها مستشفيان جديدان سينتهي العمل منها خلال العام المقبل ، سعتهما ٨٠٠ سرير ، وبذلك سيرتفع عدد الأسرة بعد اكتمال المستشفيات الستة الى ٢٥٦٢ سريـرا وعـدد المستشفيات سيبلغ ١٤ مستشفى

وفي قطاع اخر هو قطاع الزراعة قدمت الحكومة قروضاً واعانات للمستثمرين والمزارعين بلغت أكثر من مليون ونصف ريال . . وكان نتيجة توسع الاستثمار في قطاع الزراعة والانتاج الحيواني . ان حققت منطقة عسير اكتفاء ذاتيا في البيض والألبان وبعض أنواع الخضر كما تم انشاء بعض الصناعات المرتبطة بالقطاع الزراعي مثل مشروع صوامع الغلال ومطاحن الدقيق فتم انشاء صوامع قمح لتخزين الناتج المحلي بسعة ٤٠٠٠ طن ومصنع أعلاف بطاقة ٦٠٠ طن يومياً ، ومطحن دقيق بطاقة (٣٠٠ طن دقيق و ٦٦ طن نخالة) يوميا ، ويرتبط بالزراعة واستثماراتها مشروعات مصادر المياه ، ويتضح الانجاز في مشروع تحلية مياه البحر وتوصيله الى جميع انحاء المنطقه عبر شبكة أنابيب ومحطات ضخ عبر الجبل الشاهق ، ومشروعات التحكم في مياه الأمطار حيث تعد منطقة عسير من أعلى مناطق المملكة من حيث معدل هطول الأمطار السنوى . ولذلك فقد تم انشاء ٤٩ سداً تبلغ طاقتها الاستيعابية ٢٩٨ مليون متر مكعب ، وتحت التنفيذ سد وادي بيشه الذي يعد من أضخم السدود في المنطقة العربية حيث تبلغ طاقته الاستيعابية وحده حوالي ٢٨٥ مليون متر مكعب

هــــذا الجمـــــال :

تعد منطقة عسير وبخاصة أبها ثاني منطقه سياحية في المملكة العربية السعودية بعد الطائف فضلا عن جوها اللطيف الخلاب والذي يمتاز بغرابته حيث يقضي الانسان أيامه فوق السحاب . . فانها تمتاز بهدوئها وبطافتها وقدر من الطمأنينة التي تشجع على السياحة الأسرية ولقد تطورت مفاهيم السياحة في العالم كله في الخمسين عاما الماضيه وأصبحت صناعه متكاملة تبدأ من جذب السائح وتنتهي بتوديعه عند السفر بعد أن يكون قد حجز مكانا للعام المقبل ، هكذا تدار الصناعة بكل اجراءاتها وعناصر تحويلها وهذا هو هدفها

عن السياحة وتطورها . واستثمار هذا الجمال الرقيق الرائع الذي وهبته الطبيعة للمنطقة التقينا بابراهيم أحمد السعيد مدير ادارة التطوير السياحي ليقول . « منطقة عسير فيها ثراء من المعطيات السياحية والتاريخية والتقاليد والمعمار (والفولكلور) الخاص بالمنطقة ما يجعلها مقصداً للسائحين ، ففي المنطقة خمسة أنماط مختلفة للبيئة . فمنطقة السهول الشرقية تمتاز بالواحات وسلسلة جبال السروات توجد بها الغابات والقمم العالية والغدران الجارية والمناظر

الرائعة التي تطل على وديان حصراء ، والى الغرب هناك تهامة وهي غنية بوديانها ومرارعها وسكان تهامة يمثلون نمطاً عربياً عير مألوف من حيث ملابسهم وطريقة بناء منازلهم على شكل الكوخ الأفريقي ثم منطقة السهول الساحليه ، وأخيراً شواطيء عذراء على امتداد البحر الأحمر .

ويتحلل هـذه البيئات انماط مختلفة للحياة الاجتماعية ، فسكان السهول لهم عاداتهم ، وسكان تهامة لهم تقاليد في البناء والزراعة . ولهم لغة خاصة بهم هي اللغه الحمْيَرية ، وهي من اللغة العربية حيث يمثل شكل الحروف فيها شكلاً واحداً ولكن النطق هو المختلف فمثلا سكان تهامة يستبدلون « الـ » التعريف بـ (ام) فيقولون (امسماء) بدلا من السماء و(اميت) بدلا من البيت وامصحراء وامبحر بدلا من الصحراء والبحر وهكذا ، ويختلفون أيضاً في موسيقاهم وطريقه بناء بيوتهم فايقاع الموسيقى عندهم مختلف ، الأمر الذي يجعل الجيولوجيين والانتربولوجيين يستخدمون هذه الشواهد مما فيها طريقه الملابس وشكل الزي ليربطوا بينها وبين بعض القبائل الافريقية ليدللوا على فكرة أن الجزيرة العربية كانت جزءا من أفريقيا قبل الانفلاق العظيم الذي نتج عنه البحر الاحمر المهم هذه المعطيات كلها تمثل مادة طيبة لجذب السائح الى المنطقة ، وقد تم الانتباه الى أهمية تطوير المنطقة والاهتمام بالسياحة مؤخرا فتم في خلال السنوات الاثنتي عشره الماضية انشاء مشروعات البنية الأساسيه طرق ، مرافق ، ملموبات الخ و بعيت مشروعات البنية العليا الخاصه بالاستثمار السياحي فأقيم ١٢ فندقا في أبها وخميس مشيط ، وهناك عدد آخر من الفنادق تحت الانشاء ، وجاء انشاء هذه الفنادق بعد اتجاه الحكومة الواضح نحو تنشيط السياحة ، وتنشيط الاستثمارات فيها ، ومن جهة أخرى وفي اطار مشروعات البنية العلوية قامت الحكومة بمشروع ضخم لاستغلال البيئة سياحيا ، وذلك بانشاء متنزه عسير الوطني ، وأهم أهداف هذا المشروع هو الحفاظ على البيئة وحمايتها وتنميتها سياحيا فتم تزويد المنطقة بكثير من وسائل الترفيه والترويح السياحي وبعض المشاريع المتعلقة بالاستثمار السياحي . ويضم حزام متنزه عسير الوطني مواقع

أ ـ السودة : غابة من أشجار العرعر وهي تبعد عن أبها ٢٣ كم متوسطها جبل (تهلل) أعلى جبال المنطقة ارتفاعاً ، يعيش فيها حيوان الوعل والنعام والجاموس الوحشي ، وبها عدد من المتنزهات ، وتتوافر بها شتى أنواع الخدمات من مياه وكهرباء ومعسكرات وأسواق تجارية و (سوفيهات) وأماكن متنوعة

ب ـ شعف ال ويمن : وهي منطقة ممتدة على الشريط الموازي لمنطقة تهامة وتمتاز بكثافة الأشجار وجمال الطبيعة وهي تضم جبالاً شاهقة الارتفاع .

جـ ـ الجرة متنزه يرتفع عن سطح البحر ٨ آلاف قدم ويطل على منحدرات تهامة .

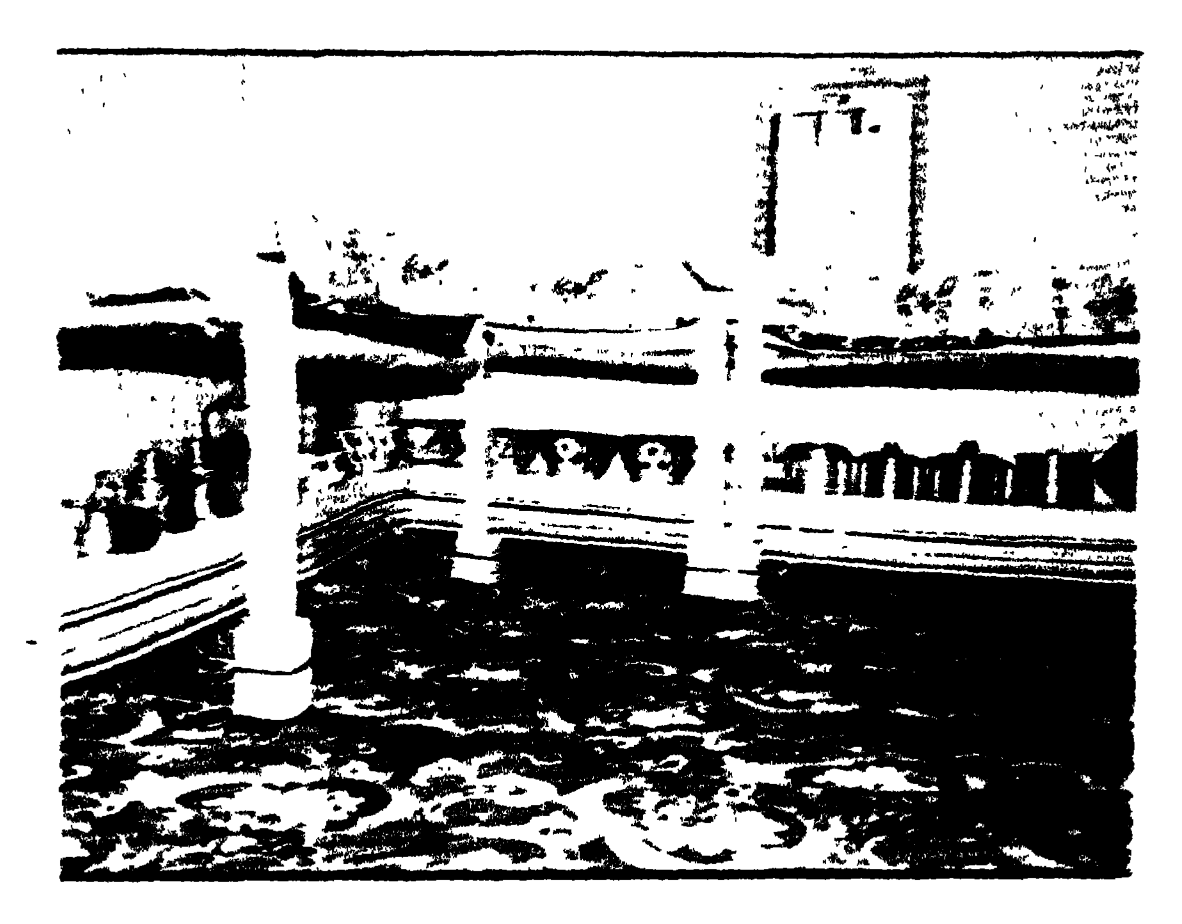
د ـ الحبلة ويعتبر الموقع سهل منبسط ثم هوة سحيقة في أسفلها منازل ومزارع قرية الحبلة .

والى غير ذلك من مواقع يضمها متنزه عسير الوطني

وقد سجل المتنزه تعاطيا كبيراً ومطرداً في عدد رواده من داخل المملكة وبعض مواطني دول الخليج ففي أول عام لافتتاحه بلغ عدد الرواد ٧٠ ألفاً وفي العام التالي ١٥٠ ألفاً ثم ٣٠٠ ألف . ثم مليوناً وأخيراً سجل في العام الماضي مليونين ونصف زائر

الاستثمار الأبقى :

الظاهرة الملفته للنظر التي لا تخطئها عين هي انتشار أبناء المملكه في أكثر من موقع من مواقع العمل المختلفة ، وفي منطقة عسير تبدو الظاهرة أكثر وضوحاً ولأن التعليم والاعداد والتأهيل هو الاستثمار البشري ، وهو الاستثمار الأبقى والأهم . . لأن هدف كل خطط التنمية هو تلبية حاجات البشر وتطويرهم ، وما ينفق في مجال اعداد القوى البشرية لايمكن حساب عائده نقدياً فقط ، فقد اولت المملكة رعاية خاصة ووضعت الحوافز لتشجيع التعليم والاتجاه الى قطاعاته المختلفة . ويبلغ عدد مدارس التعليم العام (ابتدائي ـ متوسط ـ ثانوي) في منطقة عسير ١٦٧٥ مدرسة للبنين والبنات يدرس بها ١٥٠ ألف طالب وطالبة ، كما يوجد ٩ معاهد علمية لتدريس العلوم الدينية و ٧ معاهد لاعداد المعلمين و١١ معهداً لاعداد المعلمات ومركز للتدريب



أحد البيوت القديمة من الداخل   أرائك واسرة ، وارفف من الجوص المجدول   والألوان من ابتكار وابداع ربة البيت

والاعداد المهني ، كما تم انشاء فرع لجامعة الملك سعود في أبها افتتح فيه كليتا طب وتربية ، وفرع لجامعة الامام محمد بن سعود تم فيه افتتاح كلية الشريعة وأصول الدين وكلية اللغة العربية وكلية التربية للبنات وقد بلغ عدد الطلبة والطالبات الملتحقين بالتعليم الجامعي ٥٠٠ طالب وطالبة

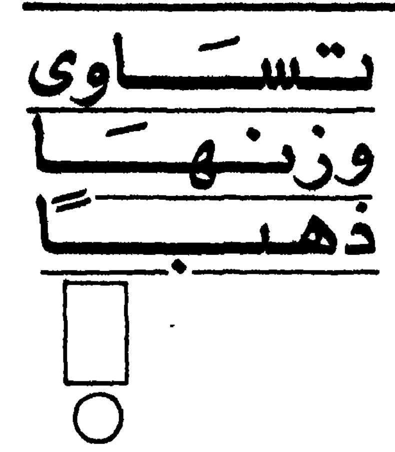
وفي مركز التدريب المهني نأبها صورة مشرقة أخرى حيث يقف الشبان السعوديون ليتعلموا مهنا وأعمالا فنية ، بعيدا عن مرض المكاتب لتحويل هؤلاء الشبان الى طاقة عمل منتجة ، وبالمركز أقسام للكهرباء والنجارة والبناء والسباكة الصحية ، والميكانيكا العامة وأساسيات الكهرباء وسمكرة السيارات والدهان والأعمال الانشائية وراديو وتلفزيون وميكانيكا سيارات ، وعندما انشيء المركز منذ ١٤ عاما كان به ٤ مدربين سعوديين فقط ، زاد عددهم الآن ليصبح ٤٠ مدرباً

ويضع المركز شروطا وحوافز للالتحاق به ، ونظام الدراسة بالمركز فترتان فترة صباحية ودورات مسائية وبينما يشترط المركز الحصول على شهادة الصف الخامس الابتدائي لطلبة الدورات الصباحية فانه يكتفي بالاستعداد والصلاحية لطالبي الانتساب للدورات المسائية ، وبالنسبة للاثنتين فانه يشترط أيضا اللياقة البدنية ، ويمنح المركز للمتدرب مكافأة شهرية قدرها ٦٠٠ ريال تزداد الى ٨٠٠ ريال بعد اجتياز نصف الدورة بنجاح ، كما يمنح مبلغا قدره ٢٠٠٠ ريال عقب التخرج مباشرة ثم ٣ آلاف ريال بعد سته أشهر من ممارسه العمل الذي تخصص فيه .

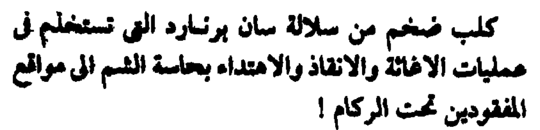
وقد بلغ عدد المتخرجين من المركز منذ افتتاحه ٣٥٠٢ طالب ، ويتدرب به حاليا ٤٠٠ متدرب موزعين على الأقسام المختلفة

وعندما دارت الطائرة واقلعت ظلت عيناي تحملقان في الخضرة وكرات الثلج وأخذت الصورة تبعد شيئاً فشيئاً حتى اصطدمت عيناي بصفرة الرمال . فأغمضتهما محتزناً في ذاكرتي البصرية صور الجبال الخضراء والسحاب الأبيض وانحيازاً حققه بشر يقارب المستحيل . □








كلب ضخم من سلالة سان برنارد التى تستخدم فى عمليات الاغاثة والانقاذ والاهتداء بحاسة الشم الى مواقع المفقودين تحت الركام !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

جذبت مجموعة من كلاب الشرطة المدربة انتباه عشرات الألوف من المشاهدين على ساحة ملعب كرة القدم ، وهى تقدم عرضا مثيرا ، بين شوطى مباراة أقيمت فى القاهرة بين منتخب شرطة دولة الكويت ومنتخب شرطة مصر العربية . . والحق أن هذه المجموعة من الكلاب أظهرت قدرات فائقة ادهشت الجميع ، فما هو السر الكامن وراء هذه الحاسة التى تفوقت فيها الكلاب على الانسان ومعظم انواع الحيوان ؟

تناثرت على ساحة الملعب عشرات الصناديق الصغيرة المعلقة ، والمتماثلة تماما فى الشكل والحجم والوزن ، وانطلق صوت من « الميكرفون » ليعلن أن واحدا من هذه الصناديق يحتوى على كيس صغير من « السلوفان » به مادة مخدرة ، ورغم ذلك ، فسوف يستطيع أحد الكلاب المدربة أن يهتدى الي هذا الصندوق دون غيره ، وبعد لحظات انطلق كلب نحو الصناديق ، وأخذ يشمها بأنفه واحداً تلو

الاحر ، ولم تمر ثوان معدودات حتى هجم الكلب على صندوق بعينه ، راح يعالجه بأسنانه ، وكأنما هو يريد أن يستحوذ على ما بداخله . وبقية القصة بعد ذلك معروفة ، فلقد حقق الكلب الهدف بدقه بالغة ، خاصة بعد أن فتح أحد رجال الشرطه الصندوق ، وأحرج اللفافة منه بما حوت !

وانطلق صوت معلقنا العميد حسن حميدة قائد سلاح الخيالة وكلاب الأمن والحراسة ليتساءل : هل هذا الكلب مدمن ؟ . والجواب : بالتأكيد نعم ، اذ لابد أن يعرف أولا رائحة المادة عن طريق شمها ، لكي يعرف بعد ذلك على المادة ذاتها ، حتى لو كانت في صندوق مغلق ، أو حقيبة محكمه ، أو مدفونة بجوار جدار حائط ، أو في أي مكان آخر لا يتوقعه انسان .. فشمام الهيروين من الكلاب يتعرف على مجاريء الهيروين ، وشمام الكوكايين على الكوكايين ، والحشاش على الحشيش .. الى آخر هـذه القائمة من السموم البيضاء والمخدرات !

« بصمة » كيميائية

والشيء ذاتـه صحيح في تعـرف الكلب عـلى مرتكبي الجريمة ، اذ يكفي أن يشم أثرا يحمل عرق المجرم ، فيقتفي أثره ، أو يخرجه من بين مجموعة من البشر ، وكأنما هو « يقرأ هويته » !

ونحن في هذا الوصف أو التشبيه لا نبالغ ، فلكل انسان رائحة عرق خاصة ، وهي لا تتكرر بين انسان وآخر ، حتى ولو كان ذلك بين توأمين متطابقين تماما ، فلقد تبين أن أنف الكلب المدرب يستطيع أن يفرق بينهما من رائحة عرق كليهما ، فهذه الرائحة تتوقف - الى حد ما - على ما نأكل ، وهي خليط من مركبات كيميائية مختلفة تتباين بين كل البشر ، ولهذا كان لكل انسـان « بصمته » الكيميـائية التي لا يشـاركه فيهـا انسان آخر ، ولا يكتشف هذه البصمة الا أنف كلب مدرب ، وكأنما هو أداة حية « مبرمجة » بكل روائح عالمنا ، وعليها يعتمد الانسان في اكتشاف أمور تعجز أدق الأجهزة وأكثرها حساسية عن تمييزها !

وطبيعي أن ذلك العرض الشيق الـذي صفق له الناس وتعجبوا ، ليس من قبيل التسلية ، أو مشاهدة لعبة مثل كرة القدم أو ما شابه ذلك ، بـل نحن في الواقع أمام حيوانات قد تساوي أصعاف ثقلها ذهبا ، لأن ما يقدمه الكلب الواحد من خدمات وافادة للبشر أكثر بكثير مما تقدمة مجموعـة من البشر لمجتمعهـا ، ومثال واحد قد يوضح ذلك .

وقد يثار هنا سؤال : كيف يستطيع أنف الكلب أن يستكشف وجود مادة مخـدرة ، خاصـة اذا كانت مغلفـة في ورق السلوفان بـإحكام ، بـالاضافـة الى الصندوق المحكم الذي توجد اللفافة بداخله ؟

مثل هذا السؤال قد يثار كثيرا ، ولقد تحـدى به رجل ألماني يمتلك كلبا يدعى « آجاكس » أحد أساتذة الجامعات هناك ، الذي كانت له اهتمامات كبيرة ، وبحوث كثيرة عن حاسة الشم عند الحيوانات عامة ، والكـلاب خاصـة ، فلقد اعتقـد الرجـل أن كلبـه يستطيع أن يقتفي أثر انسان يمشي على الأرض وهو يلبس حذاء من المطاط ، ولا شك أن مثل هذا الحذاء يمنع نفاذ أية رائحة من القدمين لتلتصق بالأرض ، ورغم ذلك فان « آجاكس » يستطيع أن يقتفي الأثر - ليس بـواسطة رائحـة العرق ، بـل بحاسـة أخرى غـامضة لا يعـرف العلم عنهـا شيئـا . وعليـه أن يكتشفها !

لقد كان هذا التحدي موجها الى البروفيسور وولتر نويهاوس من جامعة ايرلانجن بألمانيا ، ولقـد أوقعه بالفعل في حيرة ، ودفعه ذلك الى اجراء « تحريات » علمية دقيقة ، عله يتوصل الى تقديم البرهان الدامغ الذي يدحض به مزاعم صاحب الكلب آجاكس ، أو أي كلب آخر قد تسند اليه أمثال هذه القوى الغيبية الخارقة !

كانت أولى الحقائق التي قدمها نويهاوس أن كـل خطوة قدم عارية لانسان بالغ ، تترك عـلى الأرض كمية من العرق تقدر بحوالي أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام (٠٫٠٠٠٠٠٠٠٠٤ جـرام) .. ومع أن هذه الكمية تبدو لنا ضئيلة غاية الضآلة ، ولا أحد يستطيع اكتشافها بأية وسيلة متاحة ، الا انها مع ذلك تحتوي على ملايين الملايـين من الجزئيـات التي يتركها القدم العريان مع كل خطوة يخطوها ، وهذه كافية لأنف الكلب المدرب ليتتبع مسارها ، وكأنما هو « يراها » كعلامات واضحة على الطريق !

لكن . ماذا لو لبس الانسان حذاءً من جلد أو مطاط ؟

لا شك أن ذلك سيحول دون نفاذ جزيئات العرق بحرية ، لكن ليس بالصورة التى قد ترتسم فى عقولنا ، اذ ان افرازات العرق سوف تتركز فى الحذاء ، لدرجة ان الأنف البشرية تكتشفها من داخله بسهولة ، وبالتأكيد سوف تتخلل بعض جزيئات العرق المركزة الحذاء الجلدى ، حتى تصل الى الارض ، وتترك أثرها مع كل حطوة على هيئة ملايين الجزيئات التى يناسب تركيزها أنف الكلب (وهو تركيز ضئيل للغاية على أية حال)

ثم يذهب نويهاوس الى أبعد من ذلك ، فيبحث مسألة نفاذية تلك الجزيئات خلال طبقات من المطاط ذات أسماك مختلفة ، فوجد أنه يسمح بنفاذ جزيئات الرائحة بعد ثمانى دقائق اذا كان سمك المطاط فى حدود خمس مللمتر ، وبعد ٣٨ ساعة اذا زاد سمكه عشر مرات (أى حوالى ملليمترين) وطبيعى انه كلما زاد السمك ، طال الوقت ، لكن النفاذية لا بد سارية فى كل الأحوال ، لأن مكونات العرق المتجمعة والمركزة فى حذاء المطاط ، تستطيع ان تتخلل هذا الحذاء ، وتترك بصماتها على أى شيء يخطو الحذاء عليه ، وهذا يعنى انتفاء المزاعم المضللة التى تقول بأن الكلاب تمتلك حاسة غامضة تغنيها عن أنوفها الحساسة ، ولقد ثبت ذلك بالدليل العلمى الذى يوضح الغث من السمين !

ان مثالا واحدا قد يوضح لنا ذلك . . فمن ضمن المكونات الرئيسية لرائحة العرق حامض عضوى اسمه حامض البوتيريك (ويمكن ترجمته الى حامض الزبديك ، لأنه يتكون فى الزبد أو السمن المحروق) . . فالجرام الواحد من هذا الحامض يحتوى على حوالى سبعة آلاف بليون مليون جزيء ولنفرض أن الحامض يوجد فى العرق بنسبة واحد فى الألف (وطبعا يوجد بأكثر من تلك النسبة) ، ولنفرض أيضا ـ وعلى حسب تقدير نويهاوس ـ أن كل حطوة تخطوها القدم العارية تفقد أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام من العرق ، عندئذ ـ ومن خلال عملية حساب بسيطة ـ يتضح أن كل حطوة تترك على الأرض حوالى ٢٨ بليون جزيء من حامض البوتيريك وحده ، أما اذا كانت القدم محاطة بحذاء من المطاط ، فان العرق سوف يتركز فيها بمرور الأيام ، وسوف يتشبع به المطاط ، ومع ذلك دعنا نفترض أن كفاءة النفاذية هنا سوف تتضاءل الى واحد بالمائة فقط ، عندئذ سوف يترك الحذاء على الأرض مع كل حطوة حوالى ٢٨٠ مليونا من جزيئات الحامض ، ودعك من مئات أو آلاف الملايين من جزيئات مكونات العرق الأخرى التى لم نذكرها ، وهذا يوضح لنا أن الأثر يمكن تتبعه بأنف كلب مدرب على ذلك ، وبخاصة الكلاب البوليسية المنتقاة من سلالات معروفة .

شم البشر وشم الكلاب

وطبيعى أن يثار هنا سؤال آخر : ولماذا كانت حاسة الشم عند الكلاب أقوى من مثيلتها عند الانسان ؟ . وما هى حدود هذه الحاسة ؟

إن ذلك يرجع الى عدة عوامل ، منها مساحة الرقعة التى تنتشر فيها خلايا أعصاب الشم فى اعلى تجويف الأنف ، فهى فى الانسان لا تتعدى خمسة سنتيمترات مربعة ، فى حين أنها تصل فى كلب حراسة الأغنام الألمانى الى ١٥٠ سنتيمترا مربعا ـ على حسب ما يذكر دكتور ف ب . دروشر فى كتابه الممتع « سحر الحواس » ـ ثم يضيف الى ذلك مقارنة بين عدد الخلايا الحسية الخاصة بالشم عند البشر ، وفى بعض سلالات كلاب الحراسة والشرطة ، فحيث يوجد فى أنف الانسان حوالى خمسة ملايين خلية عصبية شمية ، يوجد حوالى ١٢٥ مليونا فى الكلب من سلالة داكشند ، وحوالى ٢٢٠ مليونا فى كلب الحراسة الألمانى ، وقد يستنتج البعض ـ من خلال عملية قسمة بسيطة ـ ان حاسة الشم عند هذا الكلب أقوى منها عند الانسان بحوالى ٤٤ مرة ، لكن ذلك لا يمثل الواقع على الاطلاق ، اذ أظهرت التجارب أن حاسة الشم عند بعض سلالات الكلاب الممتازة والمدربة على اقتفاء الأثر تفوق مثيلتها فى الانسان بحوالى مليون مرة !!

ان هذه النتيجة الغريبة لا تنبع من فراغ . ذلك أن حاسة الشم القوية عند الكلاب لا تعتمد فقط على مساحة الرقعة العصبية الشمية ، ولا على عدد خلايا

الشم ، بل تعتمد أيضا على الكيمية البيولوجية المذهلة التي تشتغل بها تلك الحاسة عند الكلاب ، خاصة اذا عرفنا أن حياتها كانت تعتمد أساسا على هذه الحاسة الفائقة قبل ظهور الانسان على هذا الكوكب بملايين السنين ، هذا بالاضافة الى حاسة السمع الحادة ، وحاسة البصر القوية ، ولقد عُوِّض الانسان عن ذلك بما هو أرقى من تلك الحواس ـ ملك العقل ليفكر به ويخطط ويدبر ، ثم يبني ويعمر ، وينشيء حضارات لم يمتلكها أي مخلوق آخر سواه ، ولهذا فقد حاء كل مخلوق لما هو له ميسر ، اذ لو تيسرت لنا حاسة الشم القوية ، كما تيسرت للكلاب ، فربما تصبح حياتنا جحيما ، لأن أنوفنا ستكشف لنا عن أسرار كثيرة وددنا لو ظلت عنا خافية !

والواقع أن الحياة قد يسرت لكائناتها تكوينات بيولوجية مذهلة ، لتصبح لها عونا في حياتها ، وتكون بمثابة العين التي تحدد لها معالم دنياها ، واللسان الذي تتخاطب به مع أترابها ، والأذن التي تدلها على مفردات عالمها الخفي عن حواسنا . فقد ترى ـ على سبيل المثال ـ فراشة ضعيفة البصر ، عديمة السمع ، عاجزة عن الحديث ، لكنها مع ذلك تمتلك قرني استشعار هما أعز ما ملكت في دنياها ، وبهما تتجنب انقراض نوعها من سجلات الحياة !

ان الميكانيكية البيولوجية التي تشتغل بها قرون الاستشعار في الحشرات ، لا تختلف في الاسس عن الميكانيكية التي تشتغل بها أنوف الكلاب والحيوان والانسان ، لكن الاختلاف يكمن في شدة الحساسية لروائح عالمنا . خذ مثلا أنثى فراشة الامبراطور التي امتلكت غدة صغيرة تحتوي على مادة عطرية طيارة تنتشر في الهواء ، لتجذب بها ذكورها من مسافات بعيدة . . ان وزن هذه المادة في الفراشة أقل من جزء واحد من عشرة ملايين جزء من الجرام ، ورغم ذلك تتطاير منها لعدة أيام ، وفي أحجام هائلة من الهواء ، لدرجة أن ذكر تلك الفراشة يستطيع أن يلتقط هذه الرائحة وهو على مسافة قدرت بأحد عشر كيلو مترا (في اتجاه الريح أو النسيم الذي يستقبله من ناحية أنثاه) ولتتصور بعد ذلك مدى التخفيف الهائل في جزيئات العطر الجنسي على مثل هذه المسافة الكبيرة ، ومع ذلك فان الجزيئات القليلة الواصلة الى قرني استشعار الذكور تشتغل بدرجات أتقن ، وكفاءة أعظم من كفاءة أنوف الكلاب ـ ربما بعشرات أو مئات الالوف من المرات ، ودعك من أنوف البشر ، ! فلا وجه للمقارنة لأنها في حدودها الأدنى

عود على بدء

لكن مما لا شك فيه أن المجال الذي تعمل فيه أنوف الكلاب أوسع وأشمل ، لأن مفردات لغة عالمها أعم وأضخم ، اذ لو استطاع الكلب أن يتحدث ، لما تردد في الافصاح عن معجزة الخلق التي يتمتع بها دون سواه من المخلوقات ، وعندئذ قد يعبر عنها بقوله في مقدوري ان أحدد وأتعرف على أنواع من الروائح بقدر ما يحتوي هذاالكوكب من بشر وحيوانات ـ بما في ذلك كل أفراد سلالتي ونوعي ، فكما أن لكل انسان منكم « مفردات » رائحة لا تتكرر بين فرد وآخر ، كذلك يكون كل فرد في كل نوع من عشرات الألوف من أنواع الحيوانات . انها محصلة ضخمة تساوي ملايين ، فكما يتعرف الانسان منكم على انسان آخر رآه أو سمعه ، فتنطبع له في الذاكرة صورة مرئية وصوتية ، وبحيث يستطيع الرجوع اليها كلما ظهر هذا الشخص على مسرح الأحداث ، كذلك أستطيع أن أرسم لكل كائن حي « صورة شمية » وكأني أرى بها تقاطيعه الدقيقة ، وبمقارنة ما احتفظ به في ذاكرتي مع الرائحة الأصلية ، أستطيع أن أستدل عليه ولو كان في بروج مشيدة !

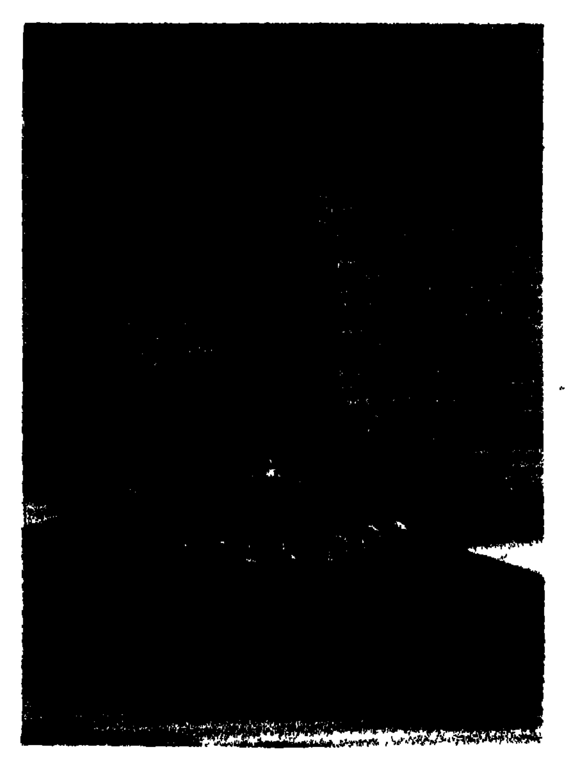
وهذا صحيح ، فكل التجارب والأحداث تؤكد ذلك . . يكفي مثلا أن تراقب كلبا أثناء نومه ، تجده أحيانا يحرك أذنيه ، أو يهز ذيله ، أو يرتعش بجسده ، أو قد يستيقظ بمجرد أن يمر صاحبه من مسافة عدة أمتار ، فلقد حملت النسمات لأنفه رائحة سيده ، أو قد ينطلق نحوه مسرعا كي يستقبله بحفاوة لا رياء فيها ولا نفاق !

ومنذ فجر التاريخ ، كان الكلب دائما حارسا أمينا ، وتابعا أليفا ، وحيوانا مطيعا ، وصديقا يفتدي صاحبه بعمره ، فيهجم على عدوه ، وقد يدفع حياته ثمنا لسيده حتى ولو كان السيد غير كريم مع كلبه ولهذا فما أكثر المواقف الرائعة التي قدمتها الكلاب ـ مواقف قد يصعب على العقل أحيانا تصديقها ، خاصة وأنها صادرة من حيوان ، وليس عيبا أن يلقى

الحيوان بعض المبادىء الطيبة للانسان ، فما أكثر عيوب سيد المخلوقات . من أجل هذا ضرب بالكلب المثل فى الوفاء والاخلاص والأمانة ، وتكفينا مثلا قصة كلب أهل الكهف الذى ظل حارسا لهم دون كلل أو ملل ، ثم ما أجمل هذا التعبير الذى ورد فى أحد النصوص الانجليزية فى شأن الكلب « انه يقف بجوار صاحبه فى الغنى والفقر فى الصحة والمرض انه يُقَبّل اليد التى لا تملك طعاما تقدمه اليه ، وعندما يهجره كل الأصدقاء ، لا يفعل الكلب ذلك ، بل يبقى على وفائه »

انجازات عظيمة . . وملكات فريدة

ولا شك أن هذا الاخلاص العظيم ، والولاء الشديد ، قد ساعد على تهيئة الكلب لا طاعة تدريبات الانسان ، ويبدو أن له ذاكرة عظيمة ، لأنه يستطيع التمييز بين أمور كثيرة . ولقد اهتدى الانسان الى بعض المميزات التى تسود بها سلالات من الكلاب على سلالات أخرى، ومن هنا بدأت عمليات تهجين واسعه ، تتبعها عمليات اختيار دقيقة لبعض الصفات المرغوبة ، فكانت هناك كلاب الحراسة ، وكلاب الشرطة ، والسباق ، والصيد ، والتدليل والحرب الخ الخ (شكل ١) وطبيعى أن تكون كلاب الشرطة من ذلك النوع الذى يتميز بحاسة شم فائقة ، فمنها من يستطيع أن يعرف ان كان صاحبه سيتوجه به الى شاطىء البحر ، أو أنه يسير به فى الاتجاه المضاد ، وهو يدرك ذلك دون أن تكون بينهما وسيلة تخاطب مباشرة ، فحاسة الكلب نحو رائحة البحر لا تخطىء ، والغريب انه يستطيع أن يتعرف على الماء المالح من العذب برائحة الشم (وليس بالتذوق ـ كما هو الحال عندنا) ففى هذا الصدد تذكر دائرة معارف « العلم والتكنولوجيا ـ العالم من حولنا » أن الكلب يستطيع ان يشم الملح فى وعاء أذيبت فيه ملعقةملح صغيرة فى خمسين لترا من الماء ! (حوالى صفيحتين ونصف) ، أو أنه يستدل على رائحةالخل اذا أذيبت منه ملعقة صغيرة فى خمسة آلاف لتر من الماء ! وبمقدوره أيضا أن يفرق بين العطور الطبيعية والتقليدية مهما بلغت دقة التقليد . فالناس مثلا لا تستطيع أن تتعرف على المسك الطبيعى



لقد اقيمت لبعض الكلاب التماثيل ، تخليدا للذكرى ، أو اعترافا بالجميل ، أو تقديرا لخدمات جليلة وهذا تمثال واحد منها ، فما قصتها ؟ راجع المقال

من أعظم الخدمات التى تقدمها كلاب الشرطة فى مصر خاصة ،وبعض البلاد العربية عامة ، هو الكشف عن مخابىء المخدرات وأوكارها ، أو تلك التى يحاول المهربون ادخالها عن طريق الموانىء والمطارات ، ولا شك أن عملية الكشف عويصة فيما لو اسندت لرجال الشرطة ، لأن المهربين يقومون بحيل ذكية ، وخدع متقنة ، مما قد يستلزم جهدا كبيرا ، ووقتا عصيبا ، وقد لا تخرج الشرطة أحيانا بنتيجة تذكر

خدمات مشكورة

وللكلاب بعد ذلك مجالات أخرى غير بوليسية ، من ذلك مثلا أنها تستخدم فى كل من هولندا والدنمارك لكشف أى تسرب لغازات الاحتراق من الأنابيب المدفونة تحت الأرض ، وعلى أعماق قد

تصل أحيانا الى عدة أمتار ، ورغم دلك فلديها القدرة على الاحساس بأى خطأ فى أداء تلك الأنابيب ، وعندئذ يقف الكلب فوق موقع التسرب ، ويبدأ فى النباح ، ليبدر المسئولين بالخطر ، أو قد يتوجه اليهم حيث كانوا ، والواقع ان مثل هده الكلاب المدربة تستطيع أن تكشف مالا تستطيع أدق الأجهزة اكتشافه .

وفى الكتاب السنوى « العمل والمستقبل » (١٩٨٥) يجىء دكر تدريب سلالة من الكلاب الألمانية على الكشف عن خامات بعض المعادن المدفونة فى باطن الأرض ، ولقد حققت فى دلك نجاحا مرموقا - على حسب ما يذكر البحث الذى نشره د بروكس من جامعة ميسى بنيوزيلاند !

وفى المسح الجيولجى الذى تقوم به فنلندا بحثا عن ثرواتها المدفونة ، يستعين آرسوكاما بأخذ الكلاب الألمانية المدربة فى تحديد مواقع خامات كبريتيدات المعادن ، ونظرا لنجاح هده الفكرة ، فقد اقتبستها كل من كندا والسويد فى البحث عن بعض الثروات

وتستخدم بعض الكلاب الضخمة من سلالة سان برنارد فى عمليات الاسعاف والانقاذ فى الكوارث الطبيعية (شكل ٢) ، كأن يحدث انهيار ثلجى يؤدى الى دفن بعض الأحياء ، فيتقدم الكلب المدرب ليشم الثلوج بأنفه ، ويحدد بسرعة وكفاءة مكان الضحية ، ويقال أن كلبا واحدا يدعى « سارى » قد تمكن من انقاذ خمسين شخصا دفنوا تحت الثلوج

ولا أحد ينسى - بطبيعة الحال - الكلاب التى يربيها الأفراد لحمايتهم ، فبقدر ألفة الكلب ورقته مع صاحبه ، بقدر ما ينقلب الى وحش كاسر اذا هاجمه أحد . أضف الى ذلك روعة مظهر كلب وهو يصطحب ضريرا ، فيرشده سواء السبيل ، أو يعبر به الطريق ، أو يصطحبه الى ناديه أو منزله دون تبرم أو ضيق . . وعى عن الذكر طبعا كلاب الصيد والحراسة الليلية وكلاب الرعاة والبدو الرحل وكلاب الاسكيمو التي سحروها لجر زحافاتهم على الثلوج ، كما شاركت هده الكلاب في مساعدة المستكشفين الأوائل (وما زالت) على التوغل فى ثلوج القطبين . . الى آخر هذه الخدمات التى تؤديها الكلاب عن طيب خاطر ، ودون أن يظهر عليها التمرد أوالتأنف أوالعصيان ، بل نراها دائماً تهز ذيولها لأصحابها ، علاة على تأكيد ودها وحبها وطاعتها وولائها !

وأخيرا . . فلقد بدأنا دراستنا هذه بوضع صورة تمثال كلب تخليدا لداكره ، وحان الآن الافصاح عن مناسبة تلك الذكرى التى نقشت قصتها على لوحة مثبتة بالتمثال المقام فوق قبر الكلب ، وعليها يجىء « تقديرا لبوبى » - حبا واخلاصا . . ففى عام ١٨٥٨ سار هذا الكلب وراء جثمان سيده الذى وورى الثرى ، ثم ظل الى جوار قبره دون أن يبرح هذه الساحة ، الى أن مات هنا عام ١٨٧٢ - لقد اقيم هذا التمثال باذن خاص من البارونة بيردت كوتس » .

ولا يزال هذا التمثال موجودا حتى الان أمام مقابر قرية جريفرايرز بجوار ادنبرة عاصمة اسكتلندا .

وربما كان بوبى المخلص يعتقد أن صاحبه سوف يعود ، لكن أن ينتظره طيلة ١٤ عاما ، حتى قضى نحبه بجواره ، فهذا ما قد يصعب تصديقه . ومما يؤيد هذا التفسير ، أن القصة داتها حدثت فى اليابان ، فلقد اعتاد كلب أن يصحب سيده استاذ الجامعة فى الصباح الى محطة القطار ، ثم ينتظره فيها حتى عودته آخر النهار ، لكن الأستاذ مات فى حادثة ، ولم يعد طبعا بالقطار ، فظل الكلب قابعاً فى المحطة ، لعل سيده يعود ، حتى مات بعد سنين عدة ، وأقيم له هناك تمثال دليلا على وفاء الكلاب ، وفى باريس تمثال آخر . . وربما هناك تماثيل أخرى ، وهى - على أية حال - لفتة طيبة من الانسان ، تجاه الكلاب التي تساوي وزنها ذهباً . □

■ ابحث أنت عن المعرفة . . . فالمعرفة لا تبحث عن أحد !

(أناتول فرانس)



بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

في هذا العقد الراهن يشهد عالم الطب حقبة زمنية متميزة ، يبدو انها بلغت من الخصب والانجاز والتطور درجات فاقت حدود الخيال ، حتى ليكاد يكون من الصعوبة بمكان ملاحقة خطواتها الحثيثة . . انها حقبة المكتشفات الحديثة التي غيرت وجه الطب ، وبدلت الكثير من مفاهيمه ووسائله

جهود مضنية واموال طائلة تبذل هذه الأيام في سبيل تطوير العديد من الاجهزة المستخدمه في تشخيص الامراض وفي الكشف عن مسبباتها ، وتسير هذه الجهود بصورة خاصة باتجاه البحث عن وسائل للتشخيص تتميز بالسرعة والدقة والوضوح ، كما تتميز بانها لا تسبب للمريض او المشتبه في مرضه اي ازعاج او الم

وعلى جهات اخرى تبذل جهود موازية لايجاد انواع جديدة من اللقاحات تستخلص من خلايا خميرة Yeast بعد اخضاعها للتكنولوجيا الوراثية . . الى جانب دراسات اخرى دؤوبة حققت وما تزال تحقق نجاحات متوالية في مجال القياس الخلوي Cytometry الذي يهدف الى فصل الخلايا البشرية المريضه او المصابة ، وعزلها عن آلاف الخلايا السليمة في غضون ثوان معدودة . ثم يأتي موضوع القلوب الاصطناعية وزراعتها في جسم المريض . وموضوع اطفال الانابيب . الى غير ذلك من المجالات الطبية المختلفة .

وعلى الرغم من ان الكثير من الأجهزة المتطورة ومن وسائل الكشف الحديثة قد تم طرحها

للاستخدام الطبي خلال السنوات القليلة الماضية ، الا ان تاريخا طويلا ومضنيا من الدرس والبحث والتجريب ، ومن السير في ارض شديدة الوعورة قد سبق التوصل الى هذه الاجهزة التي كان من حسن حظ جيلنا ان ينعم بها في مضمار الحفاظ على صحته ، وتأمينها من شرور المرض واخطاره

ولنأت الان الى شيء من الوصف والتفصيل لما سبق انجازه واجماله عن هذه الافاق الجديدة ، والانجازات الباهرة في عالم الطب .

النظر الى الدماغ .

على الرغم من توافر العديد من طرق الكشف التي تستخدم في تشخيص مختلف الأمراض التي تصيب الدماغ من التهابات او اورام او نزوف ، الا ان اكثرها يتصف بالقصور عن اداء المهمة المثالية ، ونقصد بالمهمة المثالية ، التشخيص الدقيق السريع الخالي من الاخطار والاخطاء الذي لا يسبب للمريض مزيدا من المعاناة والألم . ولعل هذه الامور التي عجزت وسائل التشخيص الحالية عن تحقيقها في مجال الأمراض العصبية هي ما حدا بالاوساط الطبية ان ترحب بتفاؤل كبير بالجهاز التشخيصي الجديد الذي طرح للاستخدام في العديد من المشافي المتقدمة .. والذي يعتمد في عمله على الموجات المغناطيسيه ، وقد اطلق على هذا الجهاز اختصارا رمز « MRI »



صور للقلب بواسطة الكاميرا غاما

اما طريقة استخدام هذا الجهاز في الكشف فتتم بأن يستلقي المريض داخل اسطوانة طويلة على شكل نفق ثم يحاط بمجال مغناطيسي ذي قوة كبيرة ، ثم تمرر عبر هذا النفق المغلق ذبذبات او نبضات خاصة تشبه الى حد ما موجات الراديو . . وعندما تصطدم هذه الذبذبات بالجزيئيات والذرات المكونة لجسم الانسان تحدث فيها نوعا من التبدل البسيط في الطاقة الكامنة يؤدي الى تحرر جزء منها ، ويُمكّن بالتالي من التقاطها وتسجيلها بواسطة الكمبيوتر . ثم يكمل الكمبيوتر العملية بأن يحصل على تسجيلات متتابعة ، ثم يؤلف بينها ليعطي صورة مفصلة وواضحة للمنطقة المطلوب دراستها وتصويرها ، ونستطيع بوساطة هذا الجهاز ان نحصل على صور لأي عضو من اعضاء الجسم تقريبا ، بل اكثر من ذلك نستطيع الحصول على صور غاية في الوضوح لشرائح او مقاطع غاية في الدقة من العضو المراد تصويره . . واستعير هنا وصف احد الاطباء في مركز « ألبرت اينشتاين » الطبي في فيلادلفيا للجهاز حين قال عنه.. انه يستطيع الدخول الى عمق الدماغ ليقطعه الى شرائح رقيقه من الأعلى الى الاسفل كما لو كنت تقطع شرائح من الجبن »

ان جهاز التصوير المغناطيسي « MRI » هذا هو من أحدث الابتكارات الحديثة في مجال التشخيص الشعاعي ومن ابرز ميزات هذا الجهاز انه يمكن الاطباء من النظر الى داخل الجسم ، والرؤية والفحص لكثير من الاعضاء التي لم تكن رؤيتها ممكنة من قبل دون الاستعانة بمشرط الجراح ومن المدهش حقا ان هذا الجهاز يمكننا من رؤية تفاصيل تعجز اعيننا المجردة عن رؤيتها وتمييزها حتى بعد اخضاع المريض للعمل الجراحي

وعلى الرغم من ان هذا الجهاز يمكن استخدامه - من الناحية النظرية - في تصوير اي عضو من اعضاء الجسم الا ان اغلب الدراسات الان منصبة على استخدامه في مجال تشخيص امراض الدماغ والنخاع الشوكي . ولقد اصبح من الممكن الان بفضل هذا الجهاز ، وبدرجة متناهية من الدقة ، تشخيص امراض مزمنة تؤدي الى تآكل او « ذوبان » بعض اجزاء من الجهاز العصبي ، وهي ما تعرف بالامراض الاستحالية Degenerative ومثالها مرض



اسطوانة جهاز الـ MRI

التصلب العديد M S وهو من الامراض كثيرة الانتشار في معظم بلدان العالم ، وكان من الصعب تأكيد تشخيصه قبل مرور سنوات عدة على الاصابة به كما اصبح من الممكن تشخيص الامراض العصبية الناجمة عن الأورام ولاسيما في مراحلها المبكرة الباكرة . اضافة الى السروف ونوع انواع اخرى من الالتهابات . ومن المؤكد ان هذا الجهاز سيحدث تبديلا جوهريا في كثير من المفاهيم الطبية السائدة ، كما انه سيطرح اسلوبا جديدا في العلاج ، لم يكن متاحا من قبل

جراحة بدون مشرط !

ومن المألوف حتى يومنا هذا ان تبادر الى اذهاننا صورة المشرط والدم كلما ذكرت كلمة جراحة او جراح ولكن يبدو ان العصر الذي نعيشه سيصيب هذه العلاقة ذات التاريخ الطويل بقدر غير قليل من التغيير صحيح ان المشرط سيظل الاداة التي لا غنى عنها في بعض العمليات ولبعض الاغراض ، ولكنه لن يكون ابدا الاداة الوحيدة في العديد من العمليات الأخرى وربما الدقيقة والخطيرة منها ، فحتى وقت قريب جدا كان لا مناص للمتخصصين في الجراحة العصبية ان يقوموا بفتح جمجمة الشخص المصاب اذا ارادوا اجراء عملية جراحية ما حتى ولو كانت العملية صغيرة او بسيطة نسبيا كاجراء عملية لإزالة خثرات من الدم متجمعة داخل الجمجمة ، او لاخذ عينة صغيرة من نسيج الدماغ لفحصها تحت المجهر ومعرفة نوع الآفة فيها ، او لاخراج تجمع قيحي من داخل الجمجمة في حال الاصابة « بخراج » دماغي

وعلى الرغم من ان هذه العمليات تصنف عادة في

زمرة العمليات الصغيرة او اليسيرة من الناحية العلمية الا انها كثيرا ما كانت تعرض المريض لكثير من المضاعفات التي تعقب العمل الجراحي وتضطره للبقاء اياما طويلة في المستشفى للتعافي من تلك العواقب .

أما الآن فيبدو ان الصورة آخذة في التبدل ، فلقد اصبح في مقدور الطبيب ، استخدام جهاز ليكسل (Leksell) المحسم ، لتحديد مكان الآفة بدقة متناهية ثم يقوم بعد ذلك بادخال قصيب معدني غاية في الدقة (لا يتجاوز قطره ٢ مليمتر) الى مكان الآفة دون الحاجة الى فتح الجمجمة وخلال هذا القضيب او الانبوب الرفيع يتم سحب الدم المتخثر او القيح المتجمع ، ويتم اخذ « العينة » المطلوبة من نسيج الدماغ لفحصها وتشخيص العلة فيها كل ذلك والمريض في كامل وعيه وتحت التخدير الموضعي البسيط ! ويسبق اجراء هذه العملية على النحو المذكور اخضاع المريض لتصوير قطعي بواسطة الكمبيوتر لتحديد مكان الآفة ثم يأتي جهاز « ليكسل » المحسم ليوجه القصيب المعدني الرفيع حسب زاوية وعمق محسوبين بدقة متناهية

نافذة على القلب :

وبالرغم من تنوع الوسائل المستخدمة في تشخيص امراض القلب من تخطيط كهربي له ، الى تسجيل وتحليل لأصواته ، ومن استعانة بالتصوير الشعاعي الى استخدام للموجات فوق الصوتيه لدراسة احوافه وصماماته ، الا انني لا اجد وصفا لوسيلة التشخيص الحديثة ادق من ان اقول انها الوسيلة التي فتحت (نافذة على القلب) . هذه الوسيلة المحدثة التي اصبح لها دورها الكبير ومجالها الواسع في تشخيص امراض القلب وعلله المختلفة . واعني بهذه الوسيلة كاميرا (الغاما - GAMMA) باستخداماتها المتعددة . اذ اصبح من الممكن بفضل هذه الكاميرا التقاط صور للقلب اثناء حركته ونبضه . وهذه الصور يتم التقاطها في حالات القلب المختلفة سواء كان يعمل في ظروف فسيولوجية طبيعية أو كان في حالة من فرط النشاط والفاعلية ابان ممارسة نوع من الرياضة او الجهد العضلي وبذلك يمكن تقييم كفاءة عمل القلب وقدرته على مواجهة درجات متفاوتة من الاجهاد . ويتم عمل هذه الكاميرا بان توجه الى جهة القلب ثم يحقن المريض داخل احد عروق ذراعه بمادة لها قدرة على اطلاق موجات خاصة تسمى موجات (غاما) وعندما تصل هذه المادة المشعة الى القلب عن طريق الدم تقوم الكاميرا بالتقاط موجات غاما الصادرة عن تلك المادة المشعة أثناء مرورها باجواف القلب المختلفة ، كما تقوم بحصرها وتسجيلها على شريط مغناطيسي خاص يتم تحليله في خطوة تالية بواسطة الكمبيوتر ، ثم تأتي المرحلة الاخيرة حيث يقوم الكمبيوتر بتحويل هذه المعلومات المسجلة على الشريط المغناطيسي الى صور ملونة ومتحركة ترتسم على شاشة الجهاز . . صور تبدو في غاية الوضوح حتى لكأننا ننظر الى القلب بالفعل من خلال نافذة مفتوحة ومع ما تمتاز به هذه الوسيلة التشخيصية من دقة ووضوح تجدر الاشارة الى السرعة التي تتم بها مثل هذه الدراسة ، حتى ان بعض المستشفيات تجريها دون ان تكون هنالك حاجة لدخول المريض الى المستشفى ، حيث تتم والمريض مايزال في عيادة المراجعة الخارجية . كما ان كاميرا الغاما هذه قد اغنت الطبيب في كثير من الحالات عن اللجوء الى استخدام قسطرة أجواف القلب ، هذا الاجراء التشخيصي الذي يحمل معه درجة ما من الخطورة وان كانت ضئيلة .

تفجيرات مجهرية داخل العين :

وكثيرة هي الأمراض التي تصيب العين والتي لا غنى فيها عن التدخل الجراحي بغية علاجها او الحيلولة دون تطورها واستفحالها . ومن هذه الامراض ما يصيب عدسة العين او بلورتها (Lense) ويؤدي الى فقدانها لشفافيتها ولمقدرتها على امرار الضوء من خلالها ، وهذا ما يعرف طبيا بالساد (Cataract) او ما يسميه عامة الناس « بالماء الابيض » . وغالبا ما يكون العمل الجراحي هو العلاج الناجع لهذه الحالة ، اذ يعمد مختص العيون الى ازالة هذه العدسة المريضة المتكثفة على ان يستعيض المريض عن عدسته هذه بنظارات طبية مناسبة . الى هنا والمشكلة محلولة والخطب هين

يسير ولكن الذي يحدث في بعض الاحيان ان يتكون ما يسمى طبيا بالساد الثانوي حيث تتكون كثافة ثانية مكان العدسة المزالة جراحيا من مادة وطبيعة مختلفة عن « الساد » الاصلي . وهذه الكثافة تحرم المريض من الرؤية كما لو كان لم يخضع لاي علاج سابق ، وكان الحل امام تلك الحالات الثانوية يتمثل في مزيد من العمليات ومزيد من الازعاج .
اما الان فالصورة مختلفة تماما . فمع ان الطب مايزال عاجزا - حتى يوما هذا على الاقل - عن منع حدوث الساد الثانوي عقب العملية الجراحية الأولى . . الا ان علاج هذا الساد اصبح سهلا ومضمونا وسريعا ولا يتطلب اكثر من زيارة لمختص العيون في عيادته - فقد اصبح بالامكان استخدام اشعة الليزر في العلاج . حيث يقوم الطبيب بتوجيه حزمة من هذه الاشعة عبر جهاز يسمى (Yag) الى العين المصابة بالساد الثانوي . وهذه الاشعة تعمل على احداث ما يمكن تشبيهه « بتفجيرات » موضعية غاية في الضآلة في عين المصاب يستغرق حدوثها اجزاء من الثانية وتؤدي الى احداث ثقوب وفجوات صغيرة ضمن تلك المادة المتكثفة ينفذ منها الضوء ويعود معها البصر . وهذا كله يتم دون جراحة ، ودون مشقة ودون التعرض لخطر الالتهابات وما يصاحبه من اخطار

ولا يقتصر استخدام اشعة الليزر على علاج مرض « الساد » وحده وانما تستخدم ايضا في علاج مرض الجلوكوما - هذا المرض الذي ينجم عن ارتفاع الضغط داخل العين والذي قد يتطلب تدخلا جراحيا بقصد احداث شق صغير في قرحية العين لتخفيف الضغط عنها ، وقد امكن الاستعاضة عن الجراحة بالاعتماد على الليزر في احداث ثقوب صغيرة في قرحية العين تحقق الشفاء وتقي من الاختلاطات ، ولا تفوتنا الاشارة الى الاستخدامات المتعددة لاشعة الليزر في علاج امراض شبكية العين وفي مجالات اخرى عديدة

الكشف عن اسرار الخلايا :

نعلم جميعا ان اجسامنا مكونة من اعداد لا تحصى من الخلايا التي تتنوع في اشكالها وصفاتها ووظائفها وتركيبها . وطالما ان تلك الخلايا هي اللبنات التي تشاد منها اجسامنا فهي اذن المسؤولة عن صحة نعم بها او عن مرض نعاني منه ، وما صحة الجسم الا من صحة الخلية وما مرضه الا من مرضها ، ومن هنا يبدو منطقيا لنا ونحن نسعى لكشف سر اي مرض او علة ان نوجه انظارنا ناحية تلك اللبنات الصغيرة والاساسية التي نسميها خلايا . وبتعبير آخر ينبغي أن نركز انتباهنا على المستوى الخلوي في سياق دراستنا لاي مرض وفي سياق سعينا لايجاد العلاج الناجع له . .

واعتمادا على هذه الحقيقة اصبح الاهتمام في الآونة الاخيرة منصبا على دراسة الخلايا ذاتها في اطار دراسة المرض بشكله الظاهري والسريري ، وقد قوي هذا الاتجاه وازداد وضوحا بعد ان تم تطوير جهاز خاص يمكننا من اجراء عملية مسح او « جرد » سريعة لاعداد كبيرة من الخلايا بغية انتقاء الخلايا المعطوبة التي هي مقصد البحث والدراسة ومن ثم فصلها ودراستها بمفردها ، ومقارنتها باخواتها من الخلايا السليمة ، ومعرفة اصل العلة ، ومن ثم العمل على ايجاد الوسيلة الناجعة لعلاج تلك العلة ومن هنا نكون قد اهتدينا الى وسيلة لعلاج المرض ككل ، هذا الجهاز الذي اعنيه والذي يقوم بمهمة فصل الخلايا المريضة وتمييزها عن سواها هو جهاز القياس الخلوي الذي يستطيع خلال ثوان معدودة فصل الخلية المطلوبة وعزلها عن آلاف الخلايا المحيطة بها ، وتتم العملية بكل مراحلها في زمن قصير جدا لا يزيد عن ثوان معدودة ، ولجهاز القياس الخلوي هذا استخدامات اخرى ، اذ يمكن بواسطته اجراء التعداد اللازم لنوع معين من الخلايا او قياس تركيز مادة كيميائية معينة كحمض الـ D.N.A داخل الخلية ، وللاستخدامين السابقين اهمية كبيرة في الدراسات الخلوية عموما .

لا احد في عصرنا الحاضر يجهل اهمية اللقاحات في عالم الطب او ينكر دورها العظيم في تاريخ الانسانية ، فقد استطاع الطب بفضل هذه اللقاحات ان يجعل العديد من الأمراض اثرا بعد عين ، كما استطاع ان يجعل امراضا اخرى تحت السيطرة التامة ، ولقد كانت الفكرة في هذه اللقاحات - وما تزال - قائمة على مبدأ حقن الجسم بالفيروسات او الجراثيم المسببة للامراض ، بعد ان يتم قتلها او اضعافها وتجريدها

من فاعليتها الناقلة للمرض فعندما تدخل هذه الجراثيم او الفيروسات ، ميتة كانت ام ضعيفة ، جسم الانسان تتولد فيه مواد كيماوية تسمى بـ « الاجسام المضادة » اعتمادا على ان هذه الجراثيم اجسام غريبة عارية تستفز الجسم لمقاومتها بوسائل دفاعه ، وهذا « الاستنفار العام » يظهر بتشكل تلك الاجسام المضادة التي تتصدى للعارض فتحاصره وتحبط عدوانه ، وتبقى هذه الاجسام المضادة مخزونة في جسم الانسان لفترات طويلة من الزمن قد تصل الى سنوات عدة ، وهنا يكون مثلها كمثل « الدورية » من الشرطة المسئولة عن حماية « الامن » واستتبابه ، حتى اذا ما تعرض الجسم لهجمة شرسة من الجرثوم او الفيروس المعني كانت تلك الاجسام المضادة واقفة على اهبة الاستعداد لمقاومته ودرء خطره

ولقد كانت عملية تحضير اللقاح نفسه ، واعني بها عملية قتل تلك الفيروسات والجراثيم او اضعافها عملية شاقة تستغرق وقتا طويلا وجهدا مضنيا ، ويبدو ان الوقت قد حان لتجاوز هذا الاسلوب التقليدي في تحضير اللقاح الى اسلوب جديد متطور سيحدث ثورة عظيمة في هذا المجال ، وهذا الاسلوب لم يعد في حيز الحلم او التمني بل لقد اصبح واقعا يوشك ان يخرج الى مجال التطبيق والانتاج في كثير من المخابر المتخصصة التي تنتظر موافقة الجهات الرسمية ليكون جاهزا قائما

والطريقة الجديدة التي نتحدث عنها تعتمد على مبدأ الهندسة الوراثية وتقوم على فكرة انه بدلا من ان ندخل الجرثوم او الفيروس بكامله الى جسم الانسان لتشكيل الاجسام المضادة له فانا نستطيع الاكتفاء بأن نحقن الجسم « بأجزاء » من ذلك الجرثوم فقط كالحقن بغلاف الجرثوم الخارجي او « بقطعة » منه مثلا ، وهذا حقن « الجزئي » يؤدي ذات الغرض الذي يؤديه حقن الجرثوم بكامله ، ويقوم بنفس الاثر في تكوين المناعة المطلوبة ، ولكن اهمية هذا الامر تكمن في اننا حين نقوم بحقن الجسم بالجرثوم الكامل فنحن نحقنه بعامل حي ... وبالرغم من اننا نكون قد قمنا باضعاف ذلك الجرثوم الا ان احتمال ان يسترد عافيته وقوته بعد ادخاله الى الجسم يظل احتمالا واردا ـ ولو بنسبة ضئيلة جدا ـ فنكون قد اسأنا من حيث نريد ان نحسن ، ونكون قد امرضنا من حيث نريد ان نحصن ضد المرض ، وهذا في حد ذاته كارثة كبرى ، اما الطريقة الجديدة التي تعتمد على حقن « جزء » من الجرثوم فقط فهي طريقة مضمونة ومأمونة العواقب . ولنشرح كيفية تحضير هذا « الجزء » من الجرثوم او الفيروس نقول ان الجهة المسئولة عن انتاجه وتركيبه هي الجينات الوراثية الموجودة في حمض الـ D.N.A. داخل الجرثوم ، فاذا استطعنا معرفة تلك الجينات الوراثية واستخلاصها من حمض الـ D.N.A. امكننا حينئذ تركيب المطلوب من الجرثوم الذي سنستخدمه في اللقاح . وهذا ما امكن التوصل اليه فعلا ، فقد احضر الفيروس المسئول عن التهاب الكبد وفصلت منه الجينات التي تنسج غلافه الخارجي فقط ثم دمجت تلك الجينات الوراثية مع خلايا خميرية معينة ، وسمح لتلك الخلايا بالتكاثر ، فكانت النتيجة ان اصبحت الخلايا الخميرية قادرة على انتاج اغلفة الفيروس اللازمة ، وبهذا نكون قد اصبحنا قادرين على زراعة هذه الاغلفة الفيروسية وبالمقادير التي نريد ، واصبح في مقدورنا ان نتصدى لمرض التهاب الكبد الواسع الانتشار بتحصين الجسم ضده منذ البداية بهذه الاغلفة الفيروسية

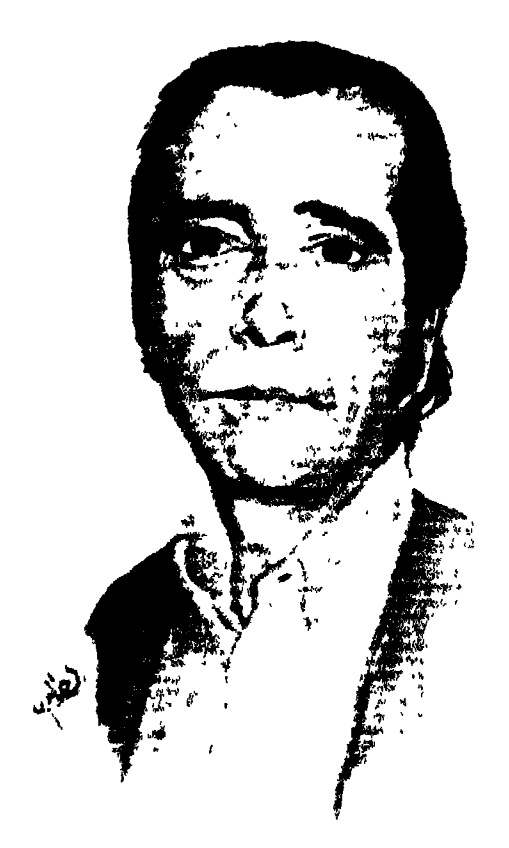
وهكذا فقد وضعت الهندسة الوراثية في ايدينا مفتاحا سحريا لتحضير العديد من اللقاحات لامراض كثيرة ، لقاحات تتميز بالسلامة وتخلو من اي خطر محتمل

هذه الامثلة ومضات ساطعة في عالم الطب ، فمعظمها قد استكمل مراحل التجربة والاختبار ليدخل مجال الخدمة العملية ، وبعضها يتهيأ لهذه الخطوة الرائدة . ولابد ان المواطن العربي قد رأى بعضا منها ، ومن هنا كانت اهمية اطلاعه على تفاصيلها فلعل هذه المعرفة تكون حافزا لاجيال شابة ومتقفية لاشعال ومضات اخرى على الطريق . □

■ ان الجيوش والأساطيل تنتصر في معظم الأحيان ، ولكن نصرها لا يدوم طويلا (ابراهام لنكولن)

وجهاً لوجه





الدكتور المهدي المنجرة ■ علاء الدين محسن

* إمـا الـوحـدة وإمـا الشتـات ، بحيث لا يـظل ثمـة وطن عـربي !
* نـحـن نـنـتـج مـالا نـسـتـهلك ، ونـسـتـهلك مـا لا نـنـتـج .
* لا مصـداقية للممـارسة السياسية في الـوطن العـربي في ظـل غياب الـديمـوقـراطـيـة والـتـربـيـة الـسـيـاسـيـة والـثـقـة بـالـنـفس .
* الـديمقراطية في الـوطن العـربي ستحققها الثـورة الفكـريـة ، وليس الانـقـلابـات وثـورات الـشـارع !
* الانسـان هـو الثـروة التي لا تنضب ، فلمـاذا لا نتجـه لاستثمـاره ؟

الدكتور المهدي المنجرة أحد أبرز الأسماء في مجال الدراسات المستقبلية ، ليس على الصعيد العربي فقط ، بل على الصعيد العالمي أيضا ، فهو رئيس اتحاد دراسات العالم المستقبلية ، وعضو في العديد من الهيئات والنوادي العالمية المعنية بالأبحاث المستقبلية ، اضافة الى عضويته في أكاديمية المملكة المغربية ، وقد صدرت له العديد من البحوث والدراسات في مجال تخصصه . واذا كان اسمه غير معروف جيدا في المحيط العربي خارج بلده المغرب ، فلأن مجال تخصصه « الدراسات المستقبلية » مازال هو الآخر شبه مجهول ومهمش عربيا . عنه وعن الدراسات المستقبلية ، والمستقبل العربي ، والنموذج التنموي العربي يدور هذا الحوار أما محاور الدكتور المنجرة فهو الزميل علاء الدين محسن ، وهو كاتب وصحفي عراقي ، ومراسل العربي في المغرب



كيف أصبح المهدي المنجرة باحثا مستقبليا ؟

* بدأ اهتمامي بالدراسات المستقبلية كنتيجة لاهتمام آخر يتعلق بالبحوث التربوية ومشاكل التربية ، وأعتقد أن ميدان التربية خير ما يصلح لتوضيح معنى الدراسات المستقبلية ، فقد أصبح واضحا الآن أن أي تغيير جذري في النظام التربوي ، يتطلب وقتا يمتد ما بين ١٥ الى ٢٠ عاما على الأقل ، أي جيلا كاملا ، فلو أدخلنا اليوم تغييرا على النظام التربوي ، فان البرامج الجديدة وعملية تكوين الأساتذة تستغرق وقتا طويلا قبل أن يعطي المشروع الجديد ثماره ، وتتخرج أول دفعة تكونت على أساسه ، ولهذا فان الاهتمام بالتربية يلزمك باجراء دراسات على مدى طويل ، أي مستقبلية

وفي ١٩٧٠ كنت أشغل وظيفة دولية في منظمة اليونسكو التي كان مديرها العام آنذاك هو « روني مور » الذي ابتكر قسما جديدا ـ ضمن المنظمة ـ يهتم بالبرمجة المستقبلية ، كانت وجهة نظر « مور » أن البرمجة السنوية للميزانية ، والتخطيط على مدى ثلاث أو خمس سنوات غير كاف بدون رؤية وتصور شمولي بعيد المدى وقد أدرت هذا القسم الجديد منذ انشائه ولغاية ١٩٧٤ ، فتعمق اهتمامي بالتخطيط بعيد المدى ، وفي الفترة نفسها تقريبا انشأ « نادي روما » للدراسات المستقبلية ، وبدأت بالعمل معه ، وكان ذلك عام ١٩٦٨ بالتحديد

ألم تكن مهتما بالدراسات المستقبلية فترة دراستك في الولايات المتحدة الأمريكية ؟

* لو شئت الدقة ، لقلت كلا ففي فترة دراستي هناك كان المغرب حلالها مستعمرا ، وتحت الحماية الفرنسية ، وكل مغربي آنذاك كان يتطلع الى استقلال بلاده ، ويعمل من أجل ذلك ، وهو عمل مستقبلي في عمقه ، وخاصة أننا في بداية الخمسينيات لم تكن لدينا فكرة واضحة عن تاريخ حصولنا على الاستقلال ، وهل سيتحقق في ١٩٥٦ أم ١٩٧٠ (استقل المغرب في ١٩٥٦)

أحلام أخرى

وقد حصلتم على الاستقلال ، فهل جاء مجسدا لأحلامكم ومشروعكم المستقبلي ؟

* ظهر الاستقلال في السنين الأولى لحصولنا عليه مجسداً لاحلامنا ، فبالنسبة لنا كان أي نظام يأتي بعد الاستقلال أفضل من الحالة السابقة للاستقلال ، أي

المغرب المستعمر .

الا أن جيلنا كانت له بالاضافة الى الاستقلال أحلام أخرى تتعلق بقطرنا وأقطار الوطن العربي الاخرى والعالم الثالث عموما ، ولم تتحقق ، فقد أصبح لنا نوع من الاستقلال السياسي ، وهو في واقعه غير تام ، اذ مازلنا وانا هنا لا اتكلم عن المغرب فقط ، بل عن الوطن العربي ايضا غير مستقلين اقتصاديا وثقافيا ، وهي اشكالية لا تزال مطروحة بالحاح الى اليوم ، بحيث ان السؤال الذي يستحق الاهتمام اليوم في الوطن العربي هو هل يمكن أن نكون مستقلين سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، ونحن نعيش البلقنة والفرقة والخصومات ؟

كنت أول طالب مغربي قبل الاستقلال يذهب للدراسة في أمريكا ، كيف حدث ذلك ، ولماذا لم تذهب للدراسة في فرنسا مثلما كان معتادا في المغرب انذاك ؟

* كان الاستعمار الفرنسي يحارب توجه المغاربة للتعليم ، ولهذا سعى والدي رحمه الله ليسجلني حتى في المدرسة الثانوية ، وكان ذلك في أواخر الثلاثينات ، فالفرنسيون لا يرسلون ... من أبنائه للدراسة في فرنسا

أسرتي لم تكن ثرية بحيث توزع أبناءها على أنحاء العالم ، كما لم تكن أسرة فقيرة ، وعلى أيه حال ، ففي ظل الاستعمار لم تكن للغنى قيمة ، فحتى لو كانت العائلة عنده ما كان بامكانها ارسال مساعدات مالية لأبنائها للدراسه ، ووجدت نفسي في « كورنيل يونيفرستي » بنيويورك مضطرا خلال سنوات دراستي الثلاث الأولى للعمل في المطبخ والمكتبة ، لأوفر نفقات عيشتي ودراستي ، ولم أحصل على منحه الا في السنة الثالثة

الشيء ونقيضه !

بالاضافة الى الدراسة الأكاديمية ، ماذا أعطتك مرحلة اقامتك بالولايات المتحدة الأمريكية ؟

* بدون شك فان تجربتي في الولايات المتحدة الأمريكيه قد أفادتني في حياتي كلها ، ولكن من يعيش النموذج الأمريكي من داخله يحتاج الى المحافظة على ذاتيته الخاصة وقيمه الحضاريه ، من جانب آخر أجد أن هذه المعايشة ـ خصوصا اذا كانت عميقة ، ولفترة طويلة نسبيا ـ تجعلك تخرج منها بانطباع مزدوج ، فأنت من جهه تجد في الولايات المتحدة الأمريكيه حرية تساعدك على البحث والدراسة والخلق والابداع والابتكار ، ولكن هذا يحدث متى كنت داخل أمريكا ، وتتعامل مع الأمريكيين في بلادهم ، لأنك ـ من جهة أخرى ـ اذا خرجت من أمريكا وعشت في بلادك ، أو أية بلاد أخرى ، فستكتشف لدى الأمريكيين نقيض تلك الحرية التي وجدتها لديهم وأنت تعيش داخل أمريكا ، ستكتشف أن الأمريكيين لا يعتقدون أن ثمه نموذجا أو تجربه أفضل من النموذج الأمريكي ، حتى ليصل الأمر الى درجة العجرفة ، فالأمريكي لديه مفهوم عن أمريكا ـ داخلها ـ مختلف عنه خارجها

ساهمت خلال دراستك في أمريكا في النضال من أجل استقلال المغرب ، ولكن الملاحظ أنك لم تخرج من هذه المرحلة ، وقد احترفت السياسة مثلما حدث مع أسماء مغربية أخرى أدت الدور نفسه

* احترفت ما شئت ومارلت مناضلا ، وهو شيء أقوله بكل تواضع ، فمن قبل كان نضالي ضد الوجود الاستعماري في بلادي وبقية أقطار العالم الثالث ، وقد تحررنا لاحقا من الاستعمار ، ولكني مازلت أناضل على صعيد الأفكار ، وهو نضال من النوع الذي لا حدود له في الزمان والمكان

ماذا تقصدون تحديدا بغياب التربية السياسية عربيا ؟

* التربية السياسية كما أراها تتجسد أولا في مفهوم المسؤولية ، والاعتماد على النفس ، مسؤولية الشخص والمجتمع ، أو مسؤولية حزب سياسي أو دولة وحكومة . ولا يمكن الحديث عن مسؤولية بدون وجود ثقة بالنفس .

وأظن أن الأزمة الحقيقة في الوطن العربي اليوم هي غياب هذه الثقة بالنفس

فالشخصية العربية تتنازعها الشكوك والعديد من المركبات الثقافية والحضارية ، ولعل ذلك من ملامح كوننا نعيش مرحلة انتقالية ، اذ بعد جيل على الأكثر أكاد أكون متيقنا من أن تغييرا سيحدث ليعيد الى الشخصية العربية الثقة بالنفس

انني أركز على الثقة بالنفس ، لأن غيابها يجعل من الصعب الحديث عن وجود أناس مسؤولين ، سواء على صعيد السياسيين ، أو على صعيد الحياة الديمقراطية أو شبه الديمقراطية ، كما يصعب الحديث عن وجود مصداقية للممارسة السياسية

وما سبب غياب الثقة بالنفس لدى الشخصية العربية في رأيك ؟

---

* انها نتيجة النموذج التنموي الذي اختير في الوطن العربي والعالم الثالث ، والمبني على تقليد الغرب ، وهكذا فهي في العمق نتيجة وجود نخبة اضطرت الى أن تقلد بطريقة عمياء أحيانا

وتحدث أحيانا انخفاض في أسعار النفط لماذا ؟ لأن أي مجتمع يبني نفسه ومستقبله في أواخر القرن العشرين ، على موارد طبيعية لا مستقبل له ، فمن بين تحديات المستقبل الحقيقية التي تواجهه هي كيفية توظيف الموارد البشرية باعتبارها الرأسمال الأهم

لنتأمل ما حصل بسبب هذه الأزمة في أقطار الخليج العربي ، فبين ليلة وضحاها انخفض الدخل القومي بنسبة ثلاثين الى أربعين بالمئة ، هل يمكن أن يحصل شيء مثل هذا في أقطار أخرى كايطاليا أو فرنسا واليابان ؟ كلا . لأن الثروة الحقيقية في البلدان المصنعة ليست الموارد الطبيعية ، بل الموارد البشرية ، واستخدام الطاقات البشرية بشكل خلاق عبر البحث العلمي والتقني ، والاهتمام بالميدان الثقافي الذي شجع على الابتكار والابداع .

وهكذا نرى أن مشكلتنا الآن هي في اعتمادنا على الموارد الطبيعية التي لها في النهاية حدود لا يمكن أن نتعداها

أضف الى ذلك أن الأموال تأتي للبعض بطريقة سهلة ومدهشة لدى البعض الآخر ، دون فهم حقيقي للحضارة العربية في عمقها لقد كان ضروريا دراسة الحضارة العربية بعمق ، وهو أمر لو تم لوصلت هذه النخبة الى استحالة استنساخها وتطبيقها في الوطن العربي

وليس فيما أقول أي موقف سياسي معادٍ للغرب بمفهومه الحضاري ، بل هو دعوة للابتكار وصولا الى حلول خاصة بنا لمشكلاتنا

فنحن الآن على أبواب نهاية القرن العشرين ، وبداية القرن الحادي والعشرين ، والتحديات الحقيقية التي تواجهنا لا وجود لها في برامج الأحزاب السياسية العربية ، أو في المنافسات الحكومية ، أو على مستوى الجامعة العربية الخ

مشاكلنا الكبرى آتية ، بل انني أرى بوادرها تلوح في الأفق ، بينما نحن نجهلها ونضعها في هامش اهتماماتنا ، هل السبب في ذلك خوفنا من الواقع ؟ لا أدري !

ان الوطن العربي اليوم بكل دوله وسكانه الذين يقربون من مئة وتسعين مليونا ، لم يصل دخله القومي في أعلى مستوياته ـ مع وجود النفط ـ الى الدخل القومي لدولة كايطاليا

وفي الوقت نفسه فنحن الذين نملك النفط وعدة موارد طبيعية أخرى ، لدينا أعلى نسبة أمية في العالم بأسره (٥٧٪) ، ولدينا أيضا تهميش مدهش للعنصر النسوي ، في حين أن ٧٠٪ من سكان الوطن العربي هم من النساء ، وبعبارة أخرى فان سبعين بالمئة من رأسمالنا البشري مهمش

لو فهمنا أن تحديات المستقبل ، تحديات القرن الحادي والعشرين ، هي الموارد البشرية والعلم والمعرفة ، لعرفنا أنها أشياء لا يمكن أن تشترى ، ولو امتلك الوطن العربي دخلا قوميا يوفر لكل مواطن خمسين ألف دولار في الشهر ، لماذا . ؟ لأنها ببساطة أشياء لا يمكن لها الا أن تنتج محليا

من جانب آخر يجب أن نعي حقيقة أن لا أمل لنا في امتلاك مستقبلنا بدون وحدة ، انني لا أتحدث هنا عن تلك الوحدة التي ما توقفنا عن الحديث عنها بصيغة عاطفية ، ولكنني أتحدث عن وحدة اقتصادية ، ان مجموع سكان الوطن العربي بمجموعه يقرب اليوم من عدد سكان دولة كأندونيسيا ، واذا ما تأملنا في ميدان

العلم والتقنية الحديثة ، كالاعلاميات وغزو الفضاء والميكروبيولوجية . الخ فنرى أنه من غير الممكن لمجموعة بشرية تضم أقل من ١٥٠ ـ ٢٠٠ مليون من السكان أن تتحرك في هذا الميدان ، فكيف يتحقق ذلك لدولة عربية لها ١٠ أو ٥٠ مليونا من السكان ؟ وهل يمكن لهذه الدولة أن تنافس ـ دوليا ـ بانتاجها اذا ما استمرت الحال على ما هي عليه اليوم ؟

اني لا أفهم لماذا لا يعطي المسؤولون العرب اهتماما كافيا لهذا المطور المستقبلي الواعي لأهمية الوحدة العربية ، باعتبارها الطريق الوحيد للبقاء ، هذا التجاهل لأهمية الوحدة يجعلنا نتساءل هل لنا ارادة في أن نكون موحودين في بداية القرن الحادي والعشرين أم لا ؟! وهل نحن ـ بالأحرى ـ موجودون اليوم أم لا ؟!

وللأسف يمكنني أن أقول ـ وبكل جدية ـ اننا غير موجودين ، فالوطن العربي له وجود تاريخي وروحاني وجغرافي ، ولكنه في الواقع العوبة ، ليس بين يدي القوى الكبرى ، ولكنه بالدرجة الأولى العوبة بين يدي نفسه

وقبل أن نبحث خارج الوطن العربي عن أسباب تفسر لنا ما نحن عليه ، يجب أن نفهم أن العالم سيحترمنا في اليوم الذي نبدأ فيه باحترام أنفسنا ، وهذا يعيدنا الى مشكلة الثقة بالنفس التي تطرقنا اليها من قبل

مستهلكون لا منتجون

لقد وضعنا اليد على جرح التنمية ، ان صح التعبير ، وهو موضوع يستحق أن نتوقف عنده مدة أطول ، أين تتجلى بالنسبة لك أيضا ملامح اخفاق النموذج التنموي في الأقطار العربية ؟

* نحن في الوطن العربي مستهلكون أكثر مما منتجين ، ونستهلك ما لا ننتج ، وننتج ما لا نستهلك

انا ننتج النفط ، الفوسفات والحوامض والزيتون ، بحيث ان سياستنا الفلاحية لم تعد مرتبطة باحتياجاتنا المحلية ، فأي نموذج تنموي هذا الذي لم يحقق لنا بعد عشرين أو ثلاثين سنة من استقلال الأقطار العربية اكتفاء وأبقى ثلثي سكان الوطن العربي أميين ؟

في عام ١٩٧٠ استوردنا بما يقرب من مليار دولار مواد غذائية ، وفي عام ١٩٨٠ وصل الرقم الى عشرين مليار دولار ، ولعله وصل اليوم الى أربعين مليار دولار ، لماذا تزداد استيراداتنا الغذائية ونحن نتوفر على أقطار لها امكانيات فلاحية هائلة كالسودان مثلا ؟ هذا الواقع هو محصلة أخطاء السياسة الاقتصادية ، وأخطاء فهْمنا للتصنيع ، باعتباره تصنيعا موجها للخارج ، وبعض المنظمات الدولية كالبنك الدولي لعبت دورا في ذلك ـ ربما عن حسن نية ـ ولكن النتيجة كانت أنه ليس بامكان أي اقتصادي جاد من الغرب أو الشرق الحكم على نموذجنا التنموي بالنجاح .

لقد قلدنا ـ بشكل فاشل ـ كل شيء في النموذج الغربي ، ونسينا شيئا أساسيا في هذا النموذج وهو الاهتمام بالانسان الذي لابد أن يكون له موقع أساسي في أي نموذج تنموي

الثورة الصناعية في أوروبا جاءت بعد ثورة سبقتها على صعيد حقوق الانسان ، وقد نسينا هذه الحقيقة ، وجاء تقليدنا وطنيا ، أخذنا الوظائف والمؤسسات والمناهج ، ونسينا أهم شيء ، بل غاية التنمية ، أي الانسان

فالانسان لا وجود له في التجارب التنموية في العالم الثالث ، الا باعتباره رقما في احصائيات تعطى اجر النسبة عن عدد التلاميذ في المدارس ، أو عدد الأسرّة في المستشفيات مثلا

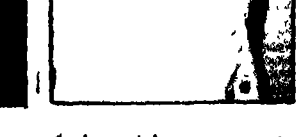
النموذج البديل

وبالمقابل هل في ذهنكم تصور (لسيناريو) أو نموذج تنموي بديل ؟

* لا يمكن لأي (سيناريو) أن يكون محصلة تفكير شخص واحد ، المشكلة في الوطن العربي بشكل خاص ، والعالم الثالث عامة ، هي في غياب المشاركة وضعفها ، وهو ما يؤدي الى غياب فهم وتصور لمطالب الشعوب

ولا أعني هنا بالمطالب الايديولوجية والسياسية ،





لكنني أعني المطالب التي تهم هذه الشعوب في حياتها اليومية على المدى القريب والمعاش.

مثلا ما هي مطالبها في قضية السكن ؟ وأي نوع من البناء تريد ؟ وهل تفضل السكن في المدن أم في البوادي ، وأي نوع من التربية تريد في المدارس ؟

في أقطار أخرى كايطاليا مثلا يمكنك أن تعرف بسهولة موقف ٤٦٪ من السكان ، من هذا البرنامج التلفزيوني ، أو من هذه النقطة أو تلك في البرنامج الحكومي الخاص بالتعليم.

أما في العالم الثالث فلا المعلومات ولا وسائل استطلاع الرأي متوفرة ، الأمر الذي يجعل السيناريو المطلوب بإلحاح هو ذلك الذي يحقق مستوى أكبر من المشاركة ، لكي تكون الاختيارات على اختلافها معبرة عن مطالب شعوبنا نفسها ، وليست مجرد نتيجة لتفكير نخبة تكنوقراطية بمساعدة خبراء من الخارج.

غياب وحضور الديموقراطية

ألا يحيلنا غياب المشاركة الى أزمة الديمقراطية في الوطن العربي ؟

* نحن في أزمة ديمقراطية منذ وقت طويل ، الا أن ما يدعو الى التفاؤل الآن هو أن جل المسؤولين في الوطن العربي أصبحوا واعين بهذه الأزمة ، وبينهم من حاول السير في تجارب شبه ديمقراطية ، وبينهم من لا يزال غير واع لأهمية السير في هذا الاتجاه ، ولكني أعتبر أن هذه مشكلة وقت فقط ، لأن الوعي السياسي في الوطن العربي اليوم ، وصل الى مستوى لا يجعلنا نتوقع استمرار غياب الديمقراطية لمدة طويلة.

وفي بداية التسعينيات - على أبعد تقدير - ستشهد تغييرا جذريا ، ليس ناتجا بالضرورة عن ثورات أو انقلابات ، لأن ثورة الشارع اما أن تنجح أو تجهض بالقمع ، في حين أن الثورة الحقيقية ، هي تلك التي في العقول ، وهي التي تملك القدرة على البقاء ، ورغم أن هذه الثورة الفكرية تستغرق وقتا وتتطلب نتائجها انتظارا ، الا أنني متفائل رغم ذلك بمستقبل الديمقراطية في الوطن العربي.

الوحدة والحلم الممكن

تحدثت عن الوحدة ، وأنا من جيل عاش خيبات كثيرة ، بحيث تبدو له هذه الوحدة حلما مستحيلا ، أنت كباحث مستقبلي ، هل تظهر لك الوحدة حلما ممكنا ؟!

* لا تقع الوحدة بين التشاؤم أو التفاؤل ، ولا بين الأحلام الممكنة أو المستحيلة ، انها خيار لا بد منه ، فإما أن تتحقق الوحدة - بمفهوم التعاون المبني على تكامل حقيقي ، ومصلحة مشتركة ، مثلما هو حادث الآن في أوروبا وجزء من أمريكا اللاتينية الوسطى ، وجنوب شرق آسيا - وإما أن يكون المصير هو الشتات التام ، بحيث لا يظل ثمة وطن عربي ، هذا ما أراه كباحث مستقبلي.

هل تقرب التكتلات الاقليمية ، كمجلس التعاون الخليجي الذي تحقق ، والدعوة الى وحدة المغرب العربي التي لم تتحقق بعد ، تقربنا من هذه الوحدة أم تبعدنا عنها ؟

* انني متفائل بهذا الصدد ، فنموذج مجلس التعاون الخليجي هو بداية ، ويعبر عن فهم على مستوى مصغر في الوطن العربي للمشكلة التي كنا تحدثت عنها ، واذا ما استمر المجلس على السير في الطريق الذي هو عليه الآن ، فسيكون مثالا جيدا ، لعل أجزاء أخرى من الوطن العربي تقتدي به.

وأنا لا أعتبر ان اشكال الوحدة الجهوية (من جهة) أو الاقليمية ، تتضارب مع وحدة الوطن العربي ، الا أنني أرى امكانية أن نسير على أكثر من طريق ، وأكثر من سيناريو ، فليس سلبيا أن تتعدد الطرق ، بل السلبية في أن لا نتحرك البتة ! □



بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون

سرطان الفم اصطلاح جامع لكثير من أنواع السرطانات التي تظهر في منطقة الفم لأفراد متقدمين في السن ، ويصاب الذكور بنسبة تزيد على أربعة أضعاف ما تصاب به الاناث . وهو أمر يتنوع حسب موقع الاصابة في الفم . الى جانب التوزيع الجغرافي والظروف الاجتماعية الخ .

والمقال التالي دراسة لانتشار هذا المرض بين الرجال والنساء .

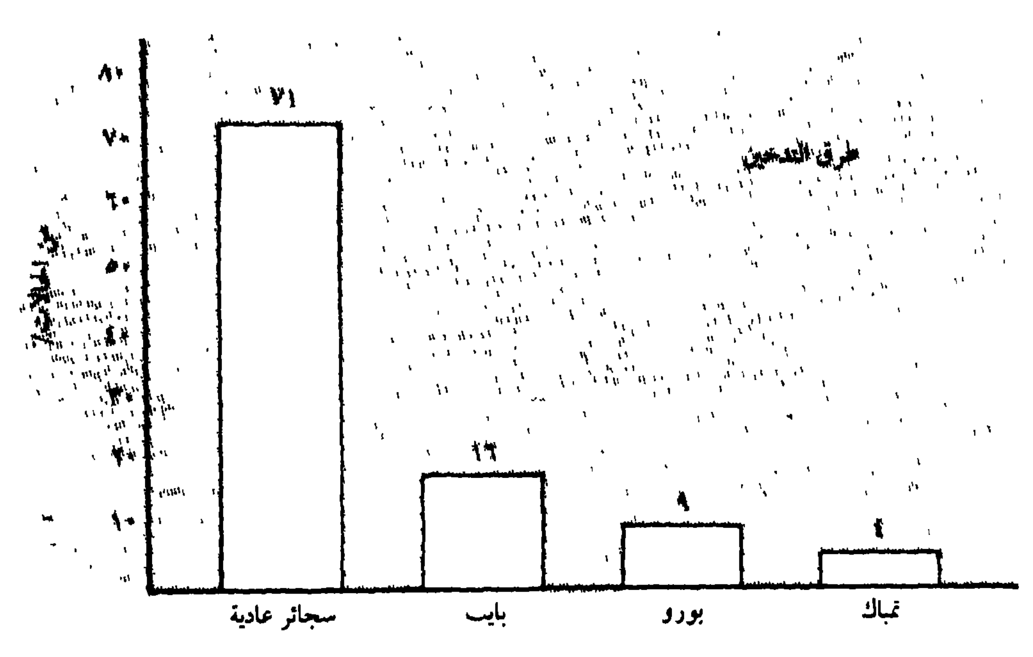
ما زالت أسباب الاصابة بسرطان الفم مجهولة ، ولكن على الرغم من ذلك ، فهنالك بعض العوامل التي يمكن اعتبارها مسؤولة عن الاصابة به

كذلك ، فالقابلية الوراثية للشخص قد تلعب دورا في ذلك ، وبشكل عام فأهم الأسباب التي يمكنها أن تساهم في ظهور سرطان الفم هي : التدخين ، الكحوليات ، مرض (بلمر فنسن) ، التهيجات الموضعية المزمنة ، السفلس والأشعة الشمسية

وتبدو نسبة التدخين مرتفعة بشكل ملحوظ بين المرضى المصابين بسرطان الفم ، حيث أثبتت الأبحاث أن النسبة تصل الى ٩٠ ـ ٩٩٪ في بعض الحالات ، وبالنسبة لطريقة التدخين فالتوزيع يصل الى (٧١٪) في حالة تدخين السجائر العادية ، و(١٦٪) في حالة تدخين الغليون ، (٩٪) في حالة تدخين السيجار و (٤٪) في حالة مضغ التبغ والتمباك ، أي وضع الدخان وحجزه في الفم من أجل مضغه .

سرطان الفم والتدخين

ويبدو ان طريقة التدخين تؤثر على تحديد موقع الاصابة بسرطان الفم ، فتدخين السجائر العادية يؤثر على كل المواقع بنفس المعدل ، ما عدا مخاط الخد ، أما تدخين الغليون فيبدو أنه يؤثر بشكل رئيسي



النسبة المئوية لعلاقة سرطان الفم بطريقة التدخين

على الشفاه ومحاط الخد ، بينما يؤثر تدخين السيجار بشكل رئيسي على محاط الخد ، وفيما يتعلق بمعظم الحالات التي يستخدم فيها التمباك ، فهي تؤدي لنشوء سرطان محاط الخد وسقف الحلق الرقيق وفي نقطة التقاء الفم بالمريء

وفي أبحاث موسعة أجراها بروس ووايندر سنة ١٩٥٧ في نيويورك ، تبين بأن ٣٪ فقط ممن أصيبوا بسرطان الفم لم يكونوا من المدخنين ، بعكس نسبة ١٠٪ التي وجدت لدى الشواهد كذلك فقد تبين بأن ٣٠٪ من المدخنين المصابين بسرطان الفم كانوا يدخنون أكثر من ٣٥ سيجارة يوميا ، أو الكمية ذاتها من السيجار أو البايب لمدة ٢٠ سنة على الأقل ، بعكس نسبة ١٧٪ لدى الشواهد . وقد لوحظت النسبة ذاتها لدى الاناث المدخنات

كذلك يبدو أن خطر الاصابة بسرطان الفم يزداد نسبيا لدى مدخني السيجار والبايب عنه لدى مدخني السجائر العادية ، ممن يظهر لديهم خطر أكبر للاصابة بسرطان الرئة ، ويعود ذلك الى أن بلع الدخان يزداد لدى مدخني السجائر عنه لدى مدخني السيجار والبايب ، وقد أثبتت الأبحاث أن ٩٠٪ من مدخني السجائر العادية يبلعون دخان سجائرهم ، بينما تهبط النسبة الى ١٥٪ فقط لدى مدخني الفئة الأخرى

الكحول

وتلعب المشروبات الكحولية دورا مهما في ظهور سرطان الفم ، ويصعب مع ذلك دراسة تأثيرها بمعزل عن العوامل الأخرى ، حيث يعتبر أكثر الشاربين من المدخنين المدمنين .

وفي بحث أجراه بروس ووايندر ثبت بأن ٤٦٪ من الشواهد لم يكونوا يتعاطون المشروبات الكحولية ، أو أنهم كانوا يتعاطونها بنسبة منخفضة ، بعكس ٢٦٪ من المصابين بسرطان الفم ، كذلك فقد أثبت البحث ذاته أن سرطان الفم في المرضى الذين يستهلكون كمية كبيرة من المشروبات الكحولية يصل الى ٣٣٪ ، بينما لا يتجاوز نسبة ١٢٪ في مجموعة الشواهد ، وهو أمر يثبت أن الكحول يلعب دورا مهما في احداث الاصابة بسرطان الفم .

ويعتمد التأثير المرضي للكحول في هذا الصدد على

التأثير المباشر للكحول على الانسجة ، وتقليل كمية اللعاب المفرور ، الأمر الذي يجعل مخاط الفم حساسا لنشاط الدخان ، والنشاط غير المباشر بسبب اضطرابات التغذية

وقد قام تيرير وكيلر بدراسة العلاقة بين سرطان الفم وكمية الكحول المستهلكة ، حيث ثبت بأن ٤٣٪ من المصابين بالسرطان يستهلكون ٤٦،٦ غراما من الكحول يوميا ، أو أكثر ، بينما يستهلك ٢٠٪ فقط من الشواهد السنة ذاتها

ويعتبر الفرق مهما من الناحية الاحصائية كذلك ، فاستهلاك كميات كبيرة من الكحول يلعب دورا مهما في اظهار سرطان قاع الفم ، واللسان ومناطق أخرى .

وقد قام روثمان وكيلر ببحث مهم لدراسه خطر الاصابة بسرطان الفم عند استخدام الكحول ، أو عدم استخدامها الى جانب التدخين ، وقد ثبت بأن الخطر يصل الى ٥،٧١ / عند استخدام الكحول والتدخين معا

وترتفع هذه النسبة مع ارتفاع نسبة التدخين والكحول المستهلكة . وهكذا فبينما تكون النسبة ١،٠ فانها حين لا يستخدم الكحول والتدخين ترتفع الى ١٥،٥ عند استهلاك ٤٠ سيجارة يوميا الى جانب ٤٦،٦ غرام كحول يوميا

ويعتبر مرض « بلمر فنسن) أحد أنواع فقر الدم ، الذي يشيع بين الاناث بشكل أكبر في الدول الاسكندنافية ، وخصوصا في فتيات السويد ، ويتعلق بأشخاص متوسطي العمر ، ولا يزال البحث جاريا لتعميق الفهم حول علاقة المرض بسرطان الفم الذي يعتبر أحد مظاهره ، وذلك لاثبات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بين الحديد وسرطان الفم

التهيجات الموضعية المزمنة

وأكثر الأسباب شيوعا للاصابة بالتهيجات الموضعيه المزمنة ، أطقم الأسنان والجسور المعدنية والتيجان المعدنية والحشوات الرديئة والأسنان المتسوسة .

ورغم أن هذه الأسباب تبدو بعد ظهور سرطان الفم ، الا أن تهيجا خاصا قد يقوم بتسريع ظهور السرطان الذي نشأ بطرق وآليات مختلفة .

وثبت بأن مرض السفلس يشكل عاملا مهما في ظهور سرطان الفم ، خصوصا في الشفة وثلثي الجزء الأمامي للسان ، لكن العلاج الحديث للمرض باستخدام المضادات الحيوية قد أنهى على ما يبدو علاقة السفلس بسرطان الفم كعامل حاسم . ولا يزال البحث جاريا لتوسيع المفاهيم حول ذلك ويبدو أن نسبة الاصابة بسرطان الفم وخصوصا الشفة تزداد في المناطق التي يزداد فيها التعرض للأشعة الشمسية أيضا

هذه هي العوامل التي ترتبط بسرطان الفم ، حيث يساهم تأثيرها في انحراف الخلية الطبيعية الى خلية سرطانية

وأكثر مواقع الفم اصابة هي : الشفة السفلى ، اللسان ، مخاط الفك ، قاع الفم ، الخد ، اللثة ، وسقف الحلق ، وتعتمد صورته العيادية على موقعه ومرحلة نموه ، وفي مراحله البدائية يبدو الورم كتغير غير مهم في مخاط الفم ، كتشقق صغير ، أو تقرح يزداد في حجمه مع ظهور تقرح في مركزه ، وتزداد هذه التغيرات مع مرور الوقت ، حيث لا تتراجع ، وتكون مصحوبة بتصلب موضعي للأنسجة عند التحسس .

في المراحل التالية يظهر الورم كبيرا متقرحا ، وتمتد صلاته للأنسجة المحيطة به ، وبعد فترة أسابيع أو أشهر يعطى امتدادات للعقد اللمفاوية التي تبدو متضخمة عياديا .

وبالنسبة لسرطان الشفة ، فانه يصيب الذكور بنسبة ٩٥٪ من الحالات ، عنه للاناث ، ويبدأ من الجزء الجانبي للشفة ، أما سرطان اللسان فيشكل نسبة ٢٥ ـ ٥٠٪ من جميع سرطانات الفم ، باستثناء ذلك للشفة ، ويصاب به الذكور بنسبة ٧٥٪ من الحالات عنه للاناث ، وينحصر غالبا على جانبي اللسان ، وسطحه السفلي وقاعدته ، ويعتبر أسوأ أنواع سرطانات الفم لصعوبة تشخيصه ، بسبب موقعه ، وتصل نسبة الشفاء منه الى ٢٥٪

أما سرطان مخاط الخد ، فيصاب به الذكور عشرة أضعاف اصابة الاناث به ، وينحصر غالبا في مستوى

الطاحونة الثالثة ، وتوقعاته سيئة ، حيث تتراوح نسبة الشفاء منه بين ٣٠ - ٥٠٪

وبالنسبة لسرطان اللثة فالذكور يصابون به ٤ - ٥ أضعاف اصابة الاناث به ، وتصاب به لثة الفك السفلي بنسبة أكبر ، ويجذف جراحيا حيث تصل نسبة الشفاء منه الى ٥٠٪

وأما سرطان سقف الحلق فهو ينحصر غالبا في الجزء الرقيق منه ، كقرح أو نشق شاد وغير عميق ، ويمكنه أن يصيب تجويف الأنف ، بينما تصل نسبة الشفاء منه الى ٢٠ - ٥٠٪

العلاج :

يتم علاج سرطان الفم جراحيا ، أو باستخدام الأشعة ، بينما نفضل في بعض الحالات ربط العلاجين معا ، وتحتم قبل القيام بالعلاج اجراء تشخيص دقيق يعتمد على دراسة هستولوجية للورم .

وتعتمد نتيجة العلاج ونوعيتها على مرحلة نمو الورم ، وعلى وجود امتدادات أو عدمها ، وعلى موقع الاصابة والصورة الهستولوجية

واذا تم تشخيص المرض في مراحله البدائية ، أي قبل أن يعطي امتداداته ، وكان حجم الورم صغيرا ، فالطريقة العلاجية المناسبة ستؤدي في أغلب الأحيان للشفاء التام للمريض ، ونعني بالشفاء التام أن المريض لمدة خمس سنوات على الأقل بعد العلاج ، يعيش دون أن تبرز عليه أي من الأعراض

وتتنوع كمية الاصابة بسرطان الفم حسب موقع المرض ، والعوامل الأخرى التي ذكرت آنفا ، الى جانب الطريقة العلاجية المستخدمة ، وهكذا ، ولأن مرحلة نمو الورم تلعب دورا حاسما في نتيجة المرض ، فالتشخيص المبكر له من قبل طبيب الأسنان يشكل مساهمة كبيرة في المواجهة العلاجية

وكاجراءات وقائية للتقليل من نسبة الاصابة به ، على الشخص أن يقلل أو أن يقلع بصورة نهائية عن استهلاك التبغ والكحول ، والمدخن الذي يسيطر على تدخينه يجب أن لا يستهلك أكثر من ١٠ سجائر يوميا ، ومثل هؤلاء المدخنين يتعرضون لخطر أقل للاصابة بسرطان الفم

ولكي يقوم طبيب الأسنان بتوجيه مثل هذه النصائح للمريض ، يتحتم عليه هو أن يقتنع بها أولا ، وأن يقوم بتطبيقها على نفسه ، حيث لا يمكن أن يوجه نصائحه للمريض ، وهو يقوم باشعال سيجارته ، ولا شك بأن موضوع التدخين يحتاج لدراسة أوسع لاستكمال بحث الموضوع ، واذا تم التوصل لانتاج تبغ غير خطير - وقد وصلت الأبحاث العملية لنقطة مشجعة بهذا الخصوص - فسيقلل ذلك من نسبة الاصابة بسرطان الفم والرئتين والسرطانات الأخرى المرتبطة بالتدخين

وكذلك ، فأحد الاجراءات الوقائية الأخرى التي ترتبط بالكحول تتعلق بالتغذية الغنية بالحديد والفيتامينات (أ ، ب ، جـ) وقد نجحوا في السويد ، بتطبيق مثل هذا الاجراء الوقائي ، مما أدى لتخفيض نسبة ظهور مرض (بلمر فينسن) ، وبالتالي تخفيض نسبة الاصابة بسرطان الفم في نساء السويد

كذلك ، ففي المناطق الحارة للكرة الأرضية فان الوقاية من التعرض للأشعة الشمسية وبخاصة لمن هم « شقر » يشكل عاملا للوقاية من الاصابة بالمرض □

لو أكثرت من النساء

قيل للأسكندر الأكبر : لو أكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ، ويحيا اسمك فقال : انما يحيى الذكر الأفعال الجميلة والسيرة الحميدة ، ولايحسن بمن يغلب الرجال أن تغلبه النساء .

من صور المحاربين .. في تاريخنا

بقلم : الدكتور هاشم ياغي

تمر الأمم والمجموعات البشرية بظروف موضوعية في تركيبها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والحربي والثقافي ، فتنسق استجابتها وسلوكها مع تلك الظروف ، أو تتناقض فتتألق ، أو تتأهب للألق التاريخي ، وقد تترهل فتتعثر ، وتسبقها الأمم والمجموعات البشرية وتتقدمها في بناء الحضارة ، ولعل في إلقاء الضوء على ثلاث صور من صور المحاربين في تاريخنا يبين مدى اتساق شخصيتنا مع ظروفها التاريخية ، ومدى تفاعلها بعوامل البقاء ، وبأساليب الدفاع عن ذاتها

وأولى هذه الصور تلك التي كانت لدى القبائل العربية في الجاهلية ، فقد كان الاقتصاد القبلي يؤدي الى تركيب اجتماعي تعوزه الوحدة القومية الشاملة ، مما جعل القبيلة تتوهم أنها منحدرة من أب وأم ، وتتجه اتجاها جارفا نحو الاعلاء من شأن أنسابها ، وتلح على أن يكون المثل الأعلى لصورة المحاربين عندها هي صورة أبنائها في الدرجة الأولى ، يذودون عن حماها ، ويستنكرون أن يكون بين المحاربين هؤلاء محاربون مرتزقة ، أو محاربون أرقاء دون أعداد كبيرة ، ولا يجيرون إلا الأحلاف من أبناء القبائل التي تلتقي معهم في مصلحة مشتركة

ومن هنا يقول شاعر قبيلة غنيّ الكبير (طفيل الغنوي) في بائيته المشهورة :

قبائل ، من فرعي غني ، تواهقت[1]
بها الخيل ، لا عزل ، ولا متأشب[2]

ويقول النابغة الذبياني ذو الشهرة الشعرية والسياسية في الجاهلية يمدح الغساسنة .

وثقت لهم بالنصر إذ قيل قد غزت
قبائل من غسان غير أشائب

ويقول أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ، وهو أحد

---

(١) تواهقت بها الخيل . تبارت في السير والانطلاق

(٢) ولا متأشب أي لا خلط فيهم من غيرهم



سادة الأوس من الأنصار، «قائد كبير من قادتهم في عينيته المعروفة التي تصور واحدة من المعارك بين الأوس والخزرج:

حتى تحلّت ولنا راية من بين جمع غير جُمّاع[3]

ويقول الشاعر الجاهلي راشد بن شهاب اليشكري البكري في فخره بقومه:

جمعا، ولسنا، قد علمت أشابة
بعيدين من نقص الخلائق والغدر

تحويل الطاقة!

وهذا كله يبين لنا كيف كانت القبائل الجاهلية في تاريخنا تحرص أشد الحرص على أن يكون جيش المحاربين من أبناء القبيلة، مما حفز كل قبيلة على أن يظل محاربوها في تدرب مستمر على صنوف القتال، وعلى أن تعلوا من التمرس بالسلاح تمرّسا مستمرا، كي تواجه القبيلة ما كان يتهددها من غزو، أو كي تتمكن القبيلة من الثأر، «والمضي في طريق التوازن النفسي، وإعادة الثقة للمتطلعين إلى الحماة، رغم ما يخف بهذه الحماة من أشواك الحروب الدائمة.

يقول طفيل الغنوي في نصر قومه على طيء، بعد أن كانت طيء قد هزمت قومه في معركة محجر:

وذوقوا، كما ذقنا، غداة مُحجَّر
من الغيظ في أكبادنا والتّحوب[4]

أبأنا بقتلانا، من القوم، مثلهم
وما لا يعدّ، من أسير، وكلّب

فبالقتل قتل، والسوام بمثله
وبالشّل شلّ الغائط المتصوب[6]

ولعل هذه الدربة الدائمة التي كانت تفرضها الحياة

---

(٣) الجُمّاع: الأخلاط.

(٤) التّحوب: التوجع.

(٥) أبأنا: جعلنا دماء من قتلنا من أعدائنا مقابل دماء من قتل منا في معركة سابقة.

(٦) الشّل: المطاردة، والغائط المتصوب: الأرض المنحدرة المنخفضة.



● من صور المحاربين في تاريخنا

القبليه في مجال السلاح والحروب ، هي التي كانت من أبرز عوامل النصر الذي جناه المسلمون ، حين وجّهوا طاقة هذه القبائل تحت لواء المسلمين في الفتوح ، وانتصروا على جيوش كانت قد ركدت بها الحياة وترهلت

لقد أفاد الاسلام والمسلمون أوسع فائدة من مادة القبائل الحربية ، ومن مقدرتهم الفائقة في استعمال السلاح الذي أثمرته الحياه القبلية الجاهلية

غير أن هذا لا يعني أن الحياة الجاهلية كانت قادرة على الاستمرار في أشكالها التنظيمية ، بل ان تركيبها القبلي كان يودي بأخصب مافيها ومن فيها من الرجال المدربين المحنكين

وبهذا كانت حياة القبائل الجاهلية في حاجة الى ثورة حقيقية في كل مجالات الحياة ، تهدم ما ضاق عن نشاط الناس ، وما سدّ المنافذ على بناء الحضاره ، ثم تبني أطرا جديدة للحياة أوسع من تلك التي هدمت ، وكانت أن أرسلت السماء الرسالة التي كانت الظروف الجاهلية قد مهدت لاستيعاب قيمها العظيمه ، تصديقا لقوله تعالى

« الله أعلم حيث يجعل رسالته »

وجاءت الرسالة

وجاءت هذه الرسالة بما فجّر طاقات المادة العربية ، فاتجهت هذه المادة بروحية جديدة قديرة على الابتكار الى آفاق إنسانية واسعة تجاوزت حدود التجمعات القبلية ، وأطر القوم والجنس البشري الواحد ، واقتصاد البيئة المحدودة الضيق ، ومعنويات الانتصار القريب المحدود الذي لا يتعدى حدل الفرد أو القبيلة

وجاء جيش الفتوح العربية الاسلامية بصورة نموذجية فذّة للمحاربين ، ولعل من خير من وصف جيش الفتوح ، هذا الشاعر المخضرم التميمي المشهور عبدة بن الطبيب ، فقد كان هو نفسه رمزا لهذا الذي كان في الجاهلية من محاربين ، تطور وتفتحت فيه قوى جديدة هي من قوى جيش الفتوح ، النموذج الجديد في الحياة العربية .

لقد كان عبدة بن الطبيب من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان أسود ، ومن لصوص الرباب الذين عرفوا بشدة فتكهم ولصوصيتهم في الجاهلية ، وحين أنعم الله عليه بالاسلام وعلى العرب عامة ،

كان في مقدمة الذين تفتّحت طاقة رائعة لديهم ، فتحولت دربته في القتال وبراعته في استعمال السلاح مع الذين كان يعروهم لصًّا الى دربة وبراعة في الاسهام في الفتوح الاسلامية مجاهدا ، ولهذا شهد مع المثنى بن حارثة الشيباني القائد العربي المشهور قتال هرمز سنة ١٣ هـ ، وله في ذلك آثار مشهورة ، وكان في جيش النعمان بن مقرن مع الذين حاربوا الفرس بالمدائن

ولم تقتصر رسالة السماء الجديدة على جمع شتات القبائل العربية في أمة موحدة الشخصية ، وانما فجّرت فيها طاقاتها الكامنة ، ووجهت هذه الطاقة نحو بناء أمة عالمية ، والأمم حين تتفجر طاقاتها تتجه ، الى الجوهر الأصيل في عناصر الحياة ، وتبتعد عن القشور والعرض فيها ، ولذلك تكون الخشونة والقوة هما رمزي حياتها في مرحلة البناء . ولا تكف عن اتباع هذين العنصرين الا حين تركن الى الدعة والنعومة واللين بعد ذلك ، فتضعف طاقة البناء عندها

ومن هنا نجد صورة جيش الفتوح التي رسمها عبدة بن الطبيب رائعة بخشونتها وقوتها ، بحيث لم تقف أمام ذلك الجيش عقبة من العقبات الا ذللها وانتصر عليها

وقد جاءت هذه الصورة الرائعة في لاميّة عبدة بن الطبيب

هل حبل خولة بعد الهجر موصول
أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
حلّت خويلة في دار مجاورة
أهل المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس الفرس ضاحية
منهم فوارس لا عُزْلٌ ولا ميلُ

ففي هذه اللامية التي قالها عبدة بن الطبيب بعد وقعة القادسية ، حين التقى المسلمون بالفرس في وقعة بابل سنة ١٣ هـ ، فهزموهم وتتبعوهم حتى انتهوا الى المدائن ، نجد الشاعر بعد المقدمة التي تغزل فيها بحليلته خولة ، يصف ناقته التي ترمز لقوته وقوة قومه وصفا جميلا ، شبهها خلاله بثور الوحش ، وقد ساورته كلاب الصياد تصارعه ويصارعها حتى علها ونحا

ولّى وصُرّعن في حيث التبسْن به
مضرجات بأجراح ومقتول
كأنه بعد ما جدّ النجاء به
سيف جلا متنه الأصناع مسلول
مستقبل الريح يهفو وهو مُبترك
لسانه عن شمال الشدق معدول
يخفي التراب بأظلاف ثمانية
في أربع مسّهنّ الأرض تحليل

نحا بهذه الصورة الرائعة التي عقدت صراعا مريرا بينه وبين كلاب الصّياد ، وبحاؤه رمز لنجاء الشاعر وقومه ومطاياهم ، بعد أن انتصروا على عقبات الحياة وشدائد القتال مع الاعداء

صورة جيش الفتوح

وتتجلى صورة جيش الفتوح بل تتألق أوسع ما تتألق في وصف الشاعر طريق هذا الجيش وخشونته وقوته ، فالطريق أو النهج مخوف لا يقوى على اجتيازه إلا هذا الجيش الفذ المقدام ، وآية أخطار هذا الطريق أو النهج أنه غير مطروق ، تتجنبه الناس تجنبا يكاد يكون دائما ، بحيث يرى من يخاطر في اختراقه مجموعات من بيض القطا على جانبيه ، لأن القطا أمن الناس فيه حين تجنبوه ، فترك بيضه على الجانبين كأنه رجاجات ملئت زيتا صافيا لا يحول دون رؤيته حائل

نهج ترى حوله بيض القطا قبصا
كأنه بالأفاحيص الحواجيل
حواجل ملئت زيتا مجردة
ليست عليهن من خوص سواجيل

ولم يكتف عبدة بن الطبيب بما رمز به لطريق الجيش العظيم ، بل أشار أيضا الى قلة ما كان لدى هذا الجيش من ماء وأدوات ترف ، والى تضامن ما كان قويا من إبل مع ما تعب وكلّ :

وقلّ ما في أساقي القوم فانحدروا
وفي الأداوي بقيات صلاصيل
والعيس تدلك دلكا عن ذخائرها
ينحرن من بين محجون ومركول

ومـرْجَـيـاتٌ بـأكـوار محـمـلـة
شـوارِهـنٌّ حـلال الـقـوم محـمـول

وقد بلغ عبدة بن الطبيب أوج وصفه حين صور المنهل الذي ورده هذا الجيش ، بما كان في مائه من بعر وقذى ورائحة متغيرة لقلة مرور الناس به في ذلك الطريق المخوف ، وكذلك حين صور ما أكله هذا الجيش من لحم لم ينضج بعد قيلولة خاطفة ، لا يركن أصحابها الى النوم الكسول ، ثم حين أشار عبدة الى أعراف الخيل التي اتخذ منها ذلك الجيش مناديله ، بعد ما أكل من ذلك اللحم الذي يرمز هو والماء قبله الى خشونة وقوة لاتعرفها الأمم في مرحلة تفجر طاقاتها وسائلها حضارتها

ومنـهـل آجـن في جـمـه بـعـر
ممـا تـسـوق الـيـه الـريـح محـلول
كـأنـه في دلاء الـقـوم اذ نهـزوا
جـمٌ عـلى ودك في الـقـدر مجـمـول
أوردتـه الـقـوم قـد ران الـنـعـاس بهم
فـقـلـت إذْ نهلوا مـن جمّـه · قـيـلـوا
حـدّ الـظـهـيـرة حتّى تـرحـلـوا أصـلا
إن الـسـقـاء لـه رم وتـبـلـيـل
لمـا وردنـا رفـعـنـا ظـل أرديـه
وفـار بـالـلـحـم لـلـقـوم المـراجـيـل
وردا وأشـقـرَ لم يـنـهئـه طـابـخـه
مـا غـيّر الـغـلي مـنـه فـهـو مـأكـول
ثـمّـت قـمـنـا إلى جـرد مـسـوّمـة
أعـرافـهـن لأيـديـنـا مـناديـل

اعجاب عبد الملك

وقد أعجب الخليفة عبدالملك بن مروان ، وهو صاحب الحس المرهف في النظر الى مراحل التطور في حياة الجماعات ، بصورة هذا الجيش الذي يشرب مثل هذا النوع من الماء ، ويأكل مثل هذا اللون من اللحم ، ويمسح أيديه من وضر الطعام بأعراف خيله ، فقال يوما ·
أي المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم . مناديل مصر كأنها غرقىء البيض . وقال آخرون · مناديل اليمن كأنها نور الربيع . فقال عبدالملك · مناديل أخي بني سعد ، عبدة بن الطبيب ، وذكر البيت :

ثـمـت قـمـنـا الى جـرد مـسـومـة
أعـرافـهـن لأيـديـنـا مـنـاديـل

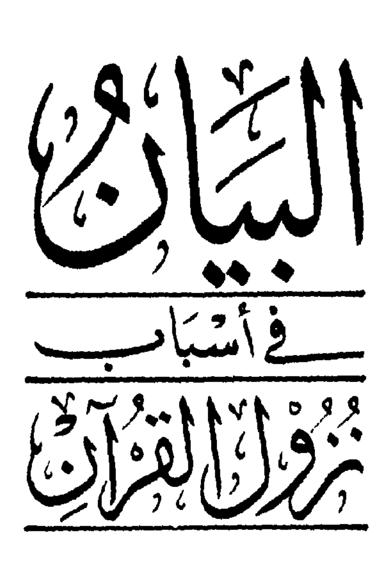
ولعل هذا كله يذكّر بما كان يتوق اليه « ونستون تشيرتشل » زعيم الامبراطورية البريطانية في الحرب العالمية الثانية ، حين كان يحث الجيوش على الخشونة ، وحين كان يود أن يخطط البريطانيون بعد الحرب أيضا الى أن تظل جيوشهم أميل الى الخشونة منهم الى الترف ، ولكن خشونة الجيوش لاتجيء بتخطيط فرد ، أو رغبة منه عبريبة عن الظروف الموضوعية ، الاقتصادي منها والاجتماعي ، وسائر ألوان النشاط الانساني ، لأن الخشونة البانية هذه لا تواكب الأقوام الا في مراحل الثورات والتحولات التي تفجر طاقتها ، فتتجه الى الجوهر ، كما أشرنا في هذا الحديث ، وتترك العرض والقشور في حياتها .

أما الصورة الثالثة التي وددت أن أشير اليها من صور المحاربين في تاريخنا ، فهي صورة جيش الأمير سيف الدولة الحمداني الذي كان يقف رغم صغر إمارته على الحدود ، بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وقفة شجاعة وان كانت تتكىء على جيش يغاير في تركيبه جيش القبائل في الجاهلية ، وجيش المسلمين في الفتوح ، فقد كان خليطا من أقوام متعددي الجنسيات ، في عصر اقطاعي غرق في أسواق الرقيق ، التي أفاد منها سيف الدولة بتنبهه ويقظته الى دوره التاريخي في صد البيزنطيين ، فأنشأ ذلك الجيش الذي يصفه الشاعر الكبير المتنبي بقوله :

أتـوك يجـرّون الحـديـد كـأنمـا
سـروا بـجـيـاد مـا لهـن قـوائـم
خميس بشـرق الأرض والـغـرب زحفـه
وفي أذن الجـوزاء مـنـه زمـازم
تجـمّـع فـيـه كـل لِـسْـنٍ وأمّـة
فـما يُـفـهـم الحُـدّاث الا الـتـراجـم

أما بعد هذا فأرجو أن تتمحض ظروف الأمة العربية الحالية عن أحوال تنطلق فيها طاقاتها ، بعد أن تتوحد وحدة تبز الوحدات في ذلك العصر ، وأن يكون لها جيشها الذي يشبه جيش الفتوح ، ويفعل الروائع كما فعل ذلك الجيش الخشن القوي العظيم □





بقلم حسين أحمد أمين

قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير) الحجرات ١٣ .

في تفسير الخازن والبغوي أنه لما كان يوم فتح مكه ، أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض أبي فلم يـر هذا اليوم وقال الحارث بن هشام · أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ؟ !

واذ بلغ النبي ﷺ ما قالاه دعاهما وزجرهما ، وأنزل الله هذه الآية

وقال يزيد بن شجرة . مرّ رسول الله ذات يوم ببعض الأسواق بالمدينة ، واذا غلام أسود يباع فيها وينادى عليه ، وكان الغلام يقول من اشتراني فعلى شرْط ، ألا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل على هذا الشرط ، وكان رسول الله يراه عند كل صلاة ، فلما افتقده ذات يوم قال لصاحبه · أين الغلام ؟ قال · محموم يا رسول الله

فقال النبي (عليه الصلاة والسلام) لأصحابه . « قوموا بنا نعوده » فقاموا معه فعادوه فلما كان بعد ايام مات الغلام ، فتولى رسول الله ﷺ غسله وتكفينه ودفنه ، فدخل على أصحابه من ذلك أمر عظيم ، فقال المهاجرون · هاجرنا وتركنا ديارنا وأموالنا وأهلينا ، فلم ير أحد منا في حياته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام ! وقالت الأنصار اويناه ونصرناه وواسيناه بأموالنا ، فآثر علينا عبدا حبشيا ! فأنزل الله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) يعني أنكم بنو أب واحد وامرأة واحدة ، وأراهم فضل التقوى بقوله (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

لا شك أن من بين أهم الانجازات التي حققها الاسلام ، هو إرساء دعائم أمة كبيرة من المسلمين ، قوامها أجناس عديدة وشعوب متباينة في اللون واللغة والعادات والتقاليد تربط بين أفرادها وشائج الأخوة والتضامن ، واشتراك المصالح والأهداف ، دون اعتبار لعنصر ، أو التفات للون ، ودون تمييز أو تفضيل الا على أساس التقوى وقوة الايمان ، وقد أكد القرآن فضل هذا التباين والتنوع والتعدد في اثراء

حصيلة البشرية من التجارب فكما أن الرسول (عليه الصلاه والسلام) قصد بقوله « اغتربوا لا تضووا » تقويه النسل ، والارتقاء به بالزواج من الأباعد دون الاقارب ، كذلك قصد الله تعالى بتعارف الشعوب فيما بينها استفادة كل منها من حصيلة تجارب غيرها ، ومن تجاربها التي انفردت بها كل منها دون غيرها ، وقديما قالوا . « من لم يعرف غير وطنه لم يعرف وطنه ، ومن لم يعرف غير لغته لم يعرف لغته ، ومن لم يعرف غير دينه لم يعرف دينه » !

قد اتسع اذن نطاق مشاعر الولاء والتضامن والأخوة والاحساس بالمسؤولية مما كان مألوفا لدى أفراد القبيلة الجاهليه ، ليشمل كافة القبائل والشعوب التي دخلت في دين الاسلام ، فهم جميعا على اختلاف عناصرهم وألوانهم ولغاتهم فخورون بالانتماء الى هذا الكيان الجديد ، شديدو الاعتزاز به ، على أتم استعداد للوقوف صفا واحدا في مواجهة تحديات الحياة ، على ضوء قيم ومفاهيم يشترك الجميع فيها ، وكثيرا ما كانت هذه الثقة من جانب الأمه الاسلاميه بنفسها ودينها وقيمها سببا رئيسيا في اثاره رغبه شعوب الاقطار المفتوحه ، في الدخول في هذا الدين الجديد الذى تنعم على معتنقه بمثل هذه الثقه

قد نلمس في بعض فترات التاريخ الاسلامي بعد ذلك بقايا طفيفة من هذه الروح من الأخوة ، غير أنها شوائب من آثار العصر الجاهلي ، حين كانت العنصريه غالبة على التفكير العربي ، وهو ما نجد صداه في بعض كتابات من تصدوا للرد على الشعوبيين ، وفي أبيات من شعر المتنبي وغيره :

لا تشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيدُ
من علّم الأسود المخصيّ مكرمةً
أقومه البيضُ ، أم آباؤه الصيدُ ؟
وذاك أن فحول البيض عاجزة
عن الجميل ، فكيف الخصيةُ السّودُ ؟ !

ومع ذلك ، فانه من المؤكد أن المسلمين ـ بفضل الاسلام وتعاليم القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام ـ لم يعرفوا ذلك التمييز العنصري البغيض ، ولا تلك العداوة العنصرية اللذين عرفهما المجتمع الغربي الى زماننا هذا ، رغم كل جهود دعاة الاستنارة ، ورغم تعاليم المسيحية السمحة

وقد قرأنا في التاريخ كيف أن غزاة العالم الجديد من الاسبان والبرتغاليين كانوا ينكرون أشد الانكار أن الهنود الحمر من البشر ، وينكرون أن لهم أرواحا كأرواحهم ، وذلك بعد نحو ألف عام من زمن النبي (عليه الصلاة والسلام) وصحابته الذين كانوا لا يرون أدنى فارق بين عمر العربي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، ولا أدنى مبرر للتمييز بين الأجناس

غير أنه مما لا شك فيه أيضا ، أنه قد كان من بين اثار الاستعمار الأوروبي في الأزمنة الحديثة لأقطار العالم الاسلامي ، تصدع البنية الاجتماعية التقليدية في تلك الأقطار ، وما أدى اليه هذا التصدع من أضعاف مشاعر الأخوة والتضامن بين المسلمين من وجوه عديدة ، وقد كان الأتقياء من علماء الدين فيما مضى ، وكثرة الاتصالات فيما بينهم رغم تفرقهم في الأمصار ، من أبرز العوامل المساعدة على تعزيز هذه الروح من الأخوة بين أفراد الأمة ، أما اليوم فقد حل مكان نفوذهم نفوذ مثقفين ، تلقوا تعليمهم في معاهد علم على غرار المعاهد الغربية ، وتأثروا بمفاهيم أوروبا وقيمها ، فباتوا يميلون الى أن يحيوا حياتهم في اطار أوطانهم المتفرقة ، لا في اطار الأمة المجتمعة المتكاتفة ، ولعل هذا هو السبب في أننا أصبحنا نجد المسلمين العرب مثلا فاتري الاهتمام باخوانهم من مسلمي شرق أفريقيا أو أندونيسيا ، وبتنا نرى الكثيرين منهم يرقبون جهاد شعب أفغانستان ، وكأنما هو جهاد أمة غريبة أجنبية لا شأن لهم به ، لا جهاد حرء لا يتجزأ من أمة الاسلام ، يريد أن يبقى على ذاتيته ، وعلى تقاليده وقيمه ودينه □



هذا الهوس العالمي

بقلم : عادل شريف

رغم أن بني البشر من سكان كوكب الأرض يمارسون أكثر من مائة لعبة رياضية .. فان كرة القدم هي صاحبة الشعبية الطاغية في معظم بلاد الكرة الأرضية ..

هناك تقليد عالمي متبع في كل ما في الدنيا من أقطار وأمصار . يقضي باطلاق عبارة «عام كأس العالم» على كل عام ينظم فيه «الفيفا» أي الاتحاد الدولي لكرة القدم بطولة كأس العالم مرة كل أربع سنوات

وعلى هذه البطولة الشديدة الأهمية ، يطلقون لقبا طريفا جديرا بها وهو « ثاني أعظم مهرجان رياضي في كل كوكب الأرض » وهو الثاني لأن الأول ببساطة شديدة هو مهرجان « الألعاب الأولمبية الصيفية » الذي يقام مرة كل أربع سنوات أيضا .. ولكن برنامجه الرياضي يضم خمسا وعشرين لعبة من بينها كرة القدم وهي ألعاب مفتوحة لبلاد الدنيا

كلها   بينما هناك عنق زجاجة لايسمح الا لأربع وعشرين دولة فقط بالاشتراك في بطولة كأس العالم لكرة القدم

ومنذ أن اخترع المصريون القدماء شيئا مستديرا يلهون به   سارت كرة القدم متسوارا طويلا طويلا   تطورت فيه من « تسو تشو » عند الصينيين الى كيماري عند اليابانيين الى « ابيسكيروس » لدى الاغريق (اليونانيون القدامى) بينما مارس الرومان لعبة شبيهة بكرة القدم أسموها « الهارباستوم » التي نصح « أوفيد » شاعر الرومان نساءهم بعدم ممارستها لأنها خشنة ولا تليق بالحس اللطيف

ولكن مطورى ومقننى كره القدم الحديثة هم « الانجليز » بلا شك ، فهم الذين فصلوها عن لعبة « الرجبى » المنافسه ، وكونوا أول اتحاد لها في حانة « الملكة العظيمة » في لندن في عام ١٨٦٣ ، ونظموا أول بطوله لها في عام ١٨٧٢ ، وهي « كأس انجلترا » ثم أقاموا أول بطولة للدوري في عام ١٨٨٢   وبعد ذلك بثلاث سنوات جاء الاعتراف بـ « الاحتراف » فحفظوا آدميه وكرامة اللاعبين المحترفين   وحموهم من استعلاء الهواه   وكانوا من النبلاء والأثرياء والمثقفين وطلبه أرقى مدارس وكليات انجلترا الارستقراطيه ، والانجليز أيضا هم الذين نشروا كره القدم في كل ارجاء الدنيا وعملوا الدنيا لعبة لها قانونها المعمم الموحد في كل مكان   ومن ثم أصيب الناس « بحمى الكرة » تلك القطعه المستديره من الجلد التي يملؤها الهواء   !!

منافسة .. ملتهبة

وعندما نجح البارون الفرنسي « بييراى كوبيرتان » في إحياء الألعاب الأولمبية القديمة بعد رقاد طال ١٥٠٣ من الأعوام   بعد أن ألغاها فرمان ديكتاتوري مستبد من الامبراطور الروماني تيودوسيوس في ٣٩٣ ميلادية   سعدت الدنيا عندما نظمت أثينا أول دورة أولمبية حديثة في عام ١٨٩٦ وانتعشت الألعاب الأولمبية عندما أدرجوا لعبة كرة القدم في برنامجها الرياضي « رسميا » في عام ١٩٠٨   واعتبروا مسابقة كرة القدم الأولمبية بمثابة « بطولة العالم لكرة القدم »   ولكن « العدالة الرياضية » لم ترض عن تلك التسمية لأن الألعاب الأولمبية لم يكن ـ ولم يزل ـ لها سوى حبيب واحد .. وهو اللاعب « الهاوي » وجاء عدم الرضاء من حرمان اللاعبين « المحترفين » الأبرع والأمهر والأعلى مستوى من الاشتراك في مسابقه كرة القدم « الأولمبية »

وحتى تظل « العدالة الرياضية » معصوبة العينين   كافح رجل فرنسى آخر كفاحا لا يقل جهدا عما بذله بيير كوبيرتان من معاناة وتضحيات . وكان الرائد الجديد هو المحامي الفرنسى « جول ريميه »   الذي كان يرأس « الفيفا » والاتحاد الفرنسى لكرة القدم ، وبذل جول ريميه جهودا تفوق



من أجل الفوز بهذا الرمز !

طاقة البشرية على مدى عشر سنوات حتى تحققت فكرته الخلاقة الساعة وهي اقامة بطولة لكأس العالم لكرة القدم بحيث تكون مفتوحة للجميع للهواة والمحترفين معا

ومن متناقضات وغرائب وعجائب كأس العالم هذه ، أن مسئولي الحركة الاولمبية كانوا من بين معارضي بدء بطولة كأس العالم،فالغيرة شديدة حتى بين الجهات الرياضيه العالمية والدولية ، والأغرب أن انجلترا باشرة وأستاذة وسيدة كرة القدم « كانت على رأس الدول المعارضة لبدء بطولة كأس العالم ، ولكن [illegible] « [illegible] » في مؤتمر « الفيفا » ١٩٢٩ في منح أوروجواي شرف تنظيم أولى بطولات كأس العالم التي احتضنتها أوروجواي الصغيرة الفقيرة فقد كانت تعشق كرة القدم عشقا مبرحا الى حد ان فريقها القومي المغمور تحول الى فريق مشهور بعد أن حقق اغرب مفاجآت كرة القدم عندما فاز ببطولة كرة القدم في دورتي باريس ١٩٢٤ وامستردام ١٩٢٨ الاولمبيتين مما أثار حقد دول أوروبا الأقدم في مجال كرة القدم التي عرف الدنيا كلها باستثناء بعض جيوب مقاومه قليلة مثل بلاد العم سام « أمريكا » وبلاد الشمس المشرقه « اليابان »

ورب . صدفة

ومن أغرب صدف قصة كأس العالم أن دول أوروبا التي كانت تغار من أوروجواي . طالبت بتحمل أوروجواي الصغيرة الفقيرة (وكان تعدادها وقتها يقل عن مليوني نسمة) لنفقات السفر والاقامه الكامله . كشرط لموافقة دول المعارضه على الاشتراك في أولى بطولات كأس العالم التي استضافتها أوروجواي في عيد استقلالها المئوي

في مقهى « ساند سوسى » أي (بلا أحزان) المطل على بحيرةجنيف السويسرية الساحره احتمال جلس جول ريميه وهو في اسوأ حال ، وتجاهه الأحزان ، لأن موعد عقد مؤتمر « الفيفا » الدولي في مايو ١٩٢٩ كان يقترب اوروجوى غير قادرة على اعلان قبولها لذلك الشرط التعسفي وفجأة دخل المقهى الدكتور « ايريك بيرو » صديق جول ريميه الحميم وكان اريك يعمل في سفارة أوروجواي سويسرا وعلى وشك السفر الى وطنه في اجازته السنوية وعلم سر شقاء صديقه العزيز الفرنسي ووعد بأنه سيبذل قصاري جهده مع أصدقائه أعضاء اتحاد كرة القدم في أوروجواي للموافقة على استضافة كل الفرق القومية المشتركة في اول بطولات كأس العالم وتحمل نفقات سفرها

ونجح الدكتور ايزيك - وكان من عشاق كرة القدم أيضا - في مساعيه الحميدة ، وأعلنت اوروجوي موافقتها على شروط المعارضة

وبدأت القافلة مسيرتها في يوم ١٣ يوليو ١٩٣٠ عندما لبست « مونتفية يو »أبهى حللها وبنت ملعب « السينتيناريو - أي المئوي - في أقصر وقت تبني فيه ملعب رئيسي ، يتسع لمائة الف محموم مجنون مهووس بكرة القدم

ثم جاء العرب

وكانت مصر أول بلد عربي عرف كرة القدم ومارسها وتشكل أول فريق كرة قدم في مصر في عام ١٨٩٥ ، وكان اسمه « فريق محمد أفندي ناشد « وحُسَب مصر أسوة ببلاد كثيرة بكرة القدم وانشأت اتحادها الأوروبي في عام ١٩٢١ وانضمت الى « الفيفا » في سنة ١٩٢٣ . والأهم أن مصر كانت أول بلد عربي وافريقي يشترك في بطولة كرة القدم الأولمبيه وعندما اشتركت مصر في ثلاث دورات متتالية وهي ١٩٢٠ ، و١٩٢٤ ، و١٩٢٨ ، سجل نجمها الأعلى المختار « علي الحسني » رقما قياسيا مازال قائما منذ ذلك الوقت حتى الآن فهو اللاعب الوحيد الذي مثل وطنه في ثلاث دورات أولمبية متتالية

وفاز فريق مصر لكرة القدم بالمركز الرابع في دورتي أمستردام ١٩٢٨ وطوكيو ١٩٦٤ . وكان أول فريق عربي يشترك في كأس العالم وكان ذلك في بطولة ١٩٣٤ ، عندما سجل نجمه الشهير وهدافه الخطير « عبدالرحمن فوزي » رقما قياسيا عالميا ، مايزال هو الآخر قائما حتى الآن . فعبد الرحمن هو اللاعب الأوحد الذي سجل « كل أهداف فريقه في التصفيات والنهائيات ، ففي التصفيات فازت مصر على فلسطين ١/٧ في القاهرة ، ثم ١/٤ في القدس . وفي



النهائيات فاز المجر على مصر ٤/٢ وللأسف أن قانون كأس العالم في ذلك الوقت كان يطبق قانون « خروج المغلوب » وانهزمت مصر في نابولي ، فحزم لاعبوها حقائبهم وسافروا

ومضت ست وثلاثون سنة حتى ظهر أول منتخب عربي في نهائيات كأس العالم . وكان ذلك المنتخب هو الفريق القومي المغربي الذي نجح في التأهل عن افريقيا في التصفيات التي سبقت « كأس العالم ١٩٧٠ » التي استضافتها المكسيك ولعبت المغرب في المجموعة الرابعة وتعادلت مع بلغاريا ١/١ وانهزمت من بيرو ٣/ صفر ، ومن المانيا العربية ١/٢ ، وفي مدينة ليون توقفت الأفلاك والتفت الدهر فقد تقدمت المغرب على المانيا ١/ صفر بهدف « جاسر حومان » في الدقيقة العشرين . وحبست وسائل الاعلام العالمية وهي تنقل النبأ المذهل وأصيبت ألمانيا بالهم والغم وطال ليلها ولم تنم الى أن أنقذها النجم الألماني العبقري « جيرد مولر » في شباك المغاربة ، واحرز هدف التعادل بعد أربعين دقيقة من صاروخ « حوماني » ، وهدف الفوز قبل النهاية الدرامية بعشر دقائق .

أسماك صغيرة . . أم كبيرة ؟

ودخلت الفرق الوطنية العربية فترة « بيات شتوي » وغابت عن ذلك المنبر العالمي الرياضي المهم ثمانية أعوام ثم جاءت تونس الخضراء نائبة عن افريقيا لتلعب في « كأس العالم ٧٨ » في الأرجنتين . وعندما سافر كاتب هذه السطور الى « روزاريو » لحضور مباراة تونس وبولندا . وجد مشقة وهو يخترق صفوف الآلاف من المشجعين الأرجنتينيين الذين أحاطوا بفندق المنتخب التونسي . . لمجرد تحيته وهو خارج في طريقه الى الملعب ، فهكذا كان حب « التوانسة » قد تغلغل الى أعماق قلوب أبناء البلد المضيف

وعلينا نحن العرب أن نواجه بلاحرج أو حساسية دعايات المعسكر العربي ـ اللاتيني وكتاباته . . فهم يسمون فرقهم القومية الأسماك الكبيرة ، ويطلقون على الفرق القومية « المتواضعة » المستوى لقبا معاكسا هو « الأسماك الصغيرة » ومعنى هذا انهم يؤكدون أن كأس العالم الذهبية لابد أن تفوز بها فرق أوروبية أو

أمريكية لاتينيه سط أى ان السمك الكبير لابد وأن يأكل السمك الصغير !

والسبيل الوحيد أمام العرب ـ بالذات ـ لهدم هذه النظرية هو « المستطيل الأحضر » أي الملعب وارتفعت تونس الى مستوى المناسبة والمسئولية ، وهزمت المكسيك ١/٣ بفضل فرسانها الثلاثة « الكعبي » و « وعميص » و « ذويب » وارتفعت الراية العربية خفاقه يومها وتحدثت الدنيا عن نجوم العرب الصاعدين الواعدين . المتوعدين واںهزمت توس ١/ صفر من بولندا (ثالثة العالم) بضربة حراء ماتزال تثير جدلا حتى الان فقد كانت ضربة حراء مشكوكا فيها وفجرت تونس السمكة الصغيرة أضخم مفاجأة عندما تعادلت مع بطلة العالم ألمانيا العربيه « السمكة الكبيرة » .

وفي صف ١٩٨٢ القريب الساخن المتير . سجل العرب رقما قياسيا جديدا عندما وصلت دولتان عربيتان « لأول مرة في تاريخ كأس العالم » الى نهائيات كأس العالم وشهدت تلك الانتصارات الارض التي حولها العرب الامجاد على مدى من يقرب من الثمانية قرون الى منارة للعلم والثقافة والحضارة والمعرفة والفنون وهي بالطبع أرض اسبانيا عامة والأندلس خاصة

ورغم أن اللجنة المنظمة وضعت الفريقين العربيين في مدن بعيدة عن منطقة الأندلس فقد شهدت « بلد الوليد » فريق الكويت (المغمور) وهو يتعادل ١/١ مع فريق التشيك القوي المشهور وصحيح انه انهزم من فرنسا ٤/١ ومن انجلترا في بلباو ١/ صفر ، ولكن الكويتيين تركوا انطباعا طيبا لدى الجميع

وفجر الجزائريون أغرب مفاجآت كأس العالم عندما دحروا الألمان ١/٢ والشيليين٢/٣ ليتألق فرسان الأوراس الاشاوس عصاد وبيوين صاولة ولخضر بلومي وماجر ولم تنهزم الجزائر الامن النمسا (٢/ صفر) وكادت الجزائر أن تتأهل وتدخل الدور الثاني ، ولكن « الألمان والنمساويين . دبروا أمرا بليل . فتأهلوا بدلا من الجزائريين المناضلين

رقم قياسي عربي جديد

وفي مباريات التأهيل لدخول نهائيات « كأس العالم ٨٦ » فجرت الأقطار العربية الشقيقة أضخم المفاجآت في تاريخ كأس العالم فلأول مرة تصل الى الأدوار النهائية « ثلاثه أقطار عربية وقد حققت هذا الانجاز الأسطورى البطولى كل من المغرب والجزائر (عن افريقيا) والعراق (عن اسيا)

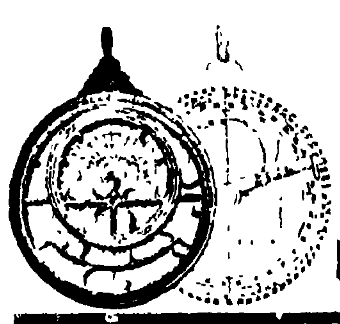
وطبقا لأحدث تعديلات لوائح وقوانين بطولة كأس العالم ، تمثل كل من آسيا وافريقيا بفريقين قوميين . ومعنى هذا أن العرب احتلوا ثلاثة مراكز من المراكز الأربعه المخصصه لقارتي آسيا وافريقيا

وهنا يطفو على السطح سؤال يتردد في الخاطر . هل هناك أمل للعرب أم ان القرعة كانت متحيزة ؟ واخترنا للوصف كلمة متحيزة ، رغم أن بعض وسائل الاعلام الأجنبية تسميها « جائرة ظالمة ومتعصبة » فقد أوقعت القرعة ـ التي شهدها بليون مشاهد ، أي خمس البشر من شاشات التلفاز ـ العراق في المجموعة الثانية مع بلجيكا وباراجواى والمكسيك وهو البلد المضيف الذي يلعب على أرضه وبين جمهوره . . المحموم المهووس المجنون . . بفريقه القومي ، وبقطعة الجلد التي يملؤها الهواء

تقول إحصائية موثوق بصحتها ان مباريات كأس العالم لكرة القدم قد شدت اليها اكثر من ٨٠٠ مليون مشاهد في الملاعب ثم بعد ذلك على شاشات التليفزيون . منذ أن بدأت الفرق الدولية تتنافس على الفوز بالكأس الفضى « الكروى » !! □



■ أستاذي كان واحدا . . هو الزمن ! تعلمت منه أن أكون أشد حرصا على إسعاد الناس ، قبل ان أسعد أنا نفسي (أحمد عبود)



الجديد في العلم والطب

مضاد حيوى جديد

يبدو أننا على أبواب عهد جديد من الطب والمعالجة بالعقاقير ، ذلك أن (الكوينولون) الذى استعمل منذ اكتشافه فى أواسط الستينيات ، لمعالجة بعض الآفات البسيطة التى تصيب المجارى البولية ، بات يبشر بالقضاء على شتى الالتهابات المستعصية . سواء منها ما يصيب الجهاز التنفسى ، أو الجهاز التناسلى ، أو غير ذلك ولو ذكرنا ان (الكوينولون) أسهل صنعا وتناولا من أكثر المضادات المألوفة ، لأمكننا التنبؤ بانخفاض كبير فى تكاليف المعالجة من الالتهابات البكتيرية بعقب انتشار استعمال (الكوينولون) المرتقب

ومما يذكر عن (الكوينولون) أنه يمتك بمجموعة من البكتيريا ، أكبر مما تفتك به المضادات العادية المعروفة ويحول بذلك دون ظهور أنواع من الميكروبات مقاومة لتلك المضادات، أضف الى ذلك أن (الكوينولون) يمكن كريات الدم البيضاء من تحطيم الجراثيم بفاعلية مضاعفة . .

وهو أقل من غيره من المضادات أذى أو تسمما ، بحيث يستطيع الأطباء وصفه مبكرا ، وقبل تحديد المرض بالتحليل والتصوير . . والأهم من ذلك هو ان (الكوينولون) يحتوى على أنزيم يسيطر على الطريقة التى تنحل فيها (D . N . A) البكتيرية وتتلف وذلك عند تكاثر الميكروبات

ومن مزايا (الكوينولون) أن فى الامكان تناوله حبوبا أو كبسولات عن طريق الفم دون حاجة الى التزام المستشفى ، أو زيارة الطبيب ، أو التردد على المضمد

هذا وقد نجح الباحثون فى عزل ٢٠ صنفا من (الكوينولون) حتى الآن ، أشهرها (النورفلوكساسين) وهو الذى طورته وأحدث فى انتاجه على نطاق تجارى الشركات اليابانية . وقد نزل الأسواق فى اليابان وكوريا وعدة دول أوروبية وافريقية وأمريكية وسيظهر فى أسواق الولايات المتحدة لدى صدور الترخيص باستعماله من قبل وكالة الغذاء والدواء (F. D. A)

عدسات لاصقة جديدة لبُعد النظر ولقربه فى ان معا

نجحت جامعة المنتجات البصرية بفلوريدا فى تطوير عدسة لاصقة جديدة ، تساعد المصابين بآفة بُعد النظر وافة قرب النظر فى آن معا . ودون أية مضايقة فالعدسة الجديدة - وهى من النوع الطرى - ثنائية البؤرة إذن . ولكنها تختلف اختلافا كبيرا عن العدسات اللاصقة الثنائية البؤره ، والموجودة فى الأسواق حاليا . وذلك بمحاراتها العين فى ردّ فعلها للضوء

العدسات اللاصقة الثنائية البؤرة

بؤرة الرؤية البعيدة

بؤرة القراءة

شبكية العين

فهذه العدسه الجديدة تجعل بؤرة القراءة في أوسطها . وتحيط بها بؤرة الرؤية البعيدة (انظر الرسم) هذا بخلاف العدسات اللاصقة الثنائية البؤره ، الموجودة في الأسواق • ومعنى ذلك أن صاحب العدسات الجديدة يتلقى معظم الضوء ، أثناء قراءته وتقلص بؤبؤ عينيه ، عبر بؤرة القراءة الداخلية

واذا وصله أي ضوء عبر بؤرة الرؤية البعيده ، فانه يكون ضوءا هامشيا وضعيفا ، وسرعان ما يألفه المخ ، فيتجاهل الغشاوة التي ترافقه

أما اذا تحول صاحب العدسات الجديدة عن القراءة ، وراح يسرح بصره من النافذة ، فان بؤبؤ عينيه يتمدد ، ويتلقى الضوء عبر بؤرة الرؤيه البعيدة كما لا يخفى ، وقد يرى ظلا ضعيفا الى جانب الصوره التي يرى ولكن هذا الظل سرعان ما يختفي بعد مضي أسابيع قليلة على مباشره استعمال العدسات الجديده

وينصح المسؤولــون عن تطويــر هــذه العدسات باستعمال النظارات الشمسية الملونة ، وذلك من أجل الحد من تقلص البؤبؤ تقلصا يزيد على الحاجة وقد أصابت التجارب العديدة التي اجريت ٧٠٪ من النجاح . . وتبين أن الفشل في الثلاثين في المائة من الحالات ، كان سببه انحراف البصر او اللابؤرية التي عاني منها الأشخاص الذين كانوا موضع تجربة في تلك الحالات الفاشلة .

وقد أقرت وكالة الغذاء والدواء (F . D . A) هـذه العـدسـات الجديدة مؤخرا وهي تباع حاليا في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا . وستباع في فرنسا وسويسرا في أواخر هذه السنه

وتعمل الشركة على تطوير عدساتها الجديده ، بحيث تصبح مناسبه للمصابين باللابؤرية ، أو الاستجماتزم ، بالاضافة الى أفتي قرب النظر وبُعده

جراحة العيون في الاتحاد السوفياتي

من المعروف أن أطباء الاتحاد السوفياتي قد قطعوا شوطا كبيرا في معالجة أمراض العيون وأنهم يتفوقون في هذا المجال على زملائهم في شتى بلدان العالم ، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية

ونخص بالذكر من أولئك الأطباء الدكتور سفياتوسلاف فيودوروف مدير معهد موسكو لابحاث جراحة العيون الدقيقة فهو المسؤول عن اجراء عمليات العيون بالجملة .. للمرضى الذين يوضعون على حزام جرار ، وكأنهم هياكل السيارات وهي تنتقل في مصانعها من صانع الى صانع آخر وذلك ضمانا للسرعة الفائقة في اجراء تلك العمليات . . .

يقول الدكتور فيودوروف بأن في الامكان تغيير شكل قرنية العين وتكبير

الجديد في العلم والطب

ذرات أو جزئيات معينة فيها . وذلك بتسليط رزمة من أشعة ليزر . ومن شأن هذه العملية أن تغني المصاب بعد النصر عن استعمال النظارات

والدكتور فيودوروف هو صاحب الفضل في ابتكار واتقان عمليات تصحيح قرب البصر . وهي التي تسمى اصطلاحا Karatotomy وهو مبتكر الاسلوب الجديد الكفيل بتصحيح المضاعفات المترتبة على آفة قرب البصر الشديدة المزمنة وآفة الماء الأزرق المعروفة Catarocts

هل تشكو « صرقعة » الأسنان ليلا

وأخيرا نجح العلماء في صنع فم اصطناعي ودلك ليمكنهم من دراسة عملية المضغ من الناحيتين الميكانيكية والكيماوية أولئك هم علماء كلية طب الأسنان في جامعة ميوسوتا (في مدينة ميناسوليس) في الولايات المتحدة الأمريكية

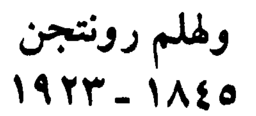
ويتميز الفم الاصطناعي بانه يقلد الضغوط التي تتعرض لها الأسنان واللثة أثناء عملية المضغ ويتيح الفرصة لدراسة مشكلة مهمة هي مشكلة قيام النائم بالمضغ بأسنانه دون وجود طعام في فمه أو إن شئت (صرقعة) الأسنان أثناء النوم ، فهذه مشكلة يعاني منها خمس السكان في الولايات المتحدة على الأقل . وهي ضارة بالمصابين بها ، ومزعجة جدا لرفاقهم في الحياة

مكتشفون ومخترعون

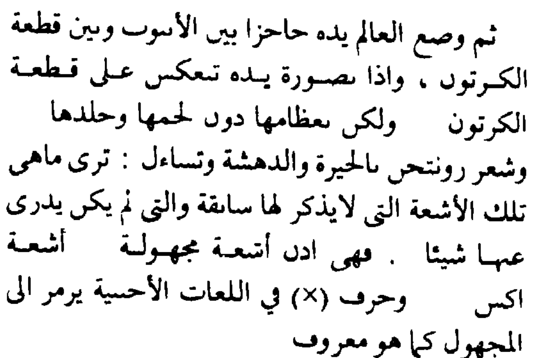
يسمونها أشعة اكس ، أو الأشعة السينية ، أو أشعة رونتجن نسبة الى مكتشفها : ولهلم كونراد رونتجن . . ولو ذكرنا الدور الخطير الذى لعبته هذه الأشعة في مجال الطب والفيزياء في القرن العشرين ، لأيقنا أن مكتشفها يحتل مكانة طليعية بين بناة حضارة هذا القرن الذى نعيش فيه

ولد ولهلم في ٢٧ مارس ١٨٤٥ ، في بلدة ليبب في بروسيا (في ألمانيا العربية حاليا) وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ في مدينة ميونخ المعروفه ، شغل منصب استاذ بروفسور في جامعة وررتبورغ حيث أجرى طائفة من الأبحاث العلمية المختلفه ، شملت فيما شملت موضوع الجاذبية الشعرية وفعلها الشعرى في السوائل (Capillory action) وموضوع المرونة (elasticity) وموضوع الحرارة النوعية في الغازات وموضوع خاصية ايصال الحرارة (Conduction) في البلورات ، او إن شئت الزجاج البلورى (Crystals) ولكن أبحاثه الخاصة بالتيار الكهربائى وسريانه عبر أنبوب زجاجى مفرغ من الهواء الى حد ما طغت على كل ماسواها نظرا للنتيجة التي تمخضت عنها بالصدفة اكتشاف أشعة إكس

كان ذلك في ٨ نوفمبر ١٨٩٥ ، حين كان رونتجن منهمكا في اجراء تلك التجارب في مختبره المظلم . فقد لاحظ العالم فجأه ضوءا أخضر ينبعث من قطعة من الورق المقوى (الكرتون) كانت موجودة في الجانب الاخر من المختبر وكانت هذه القطعة مطلية بمادة كيماوية وضاءة (Luminiscent) لايكاد يسقط عليها النور حتى تتألق بذلك الضوء الأخضر الغريب ولكن مختبره لم يكن مضاء . .



وهلم رونتجن
١٨٤٥ - ١٩٢٣



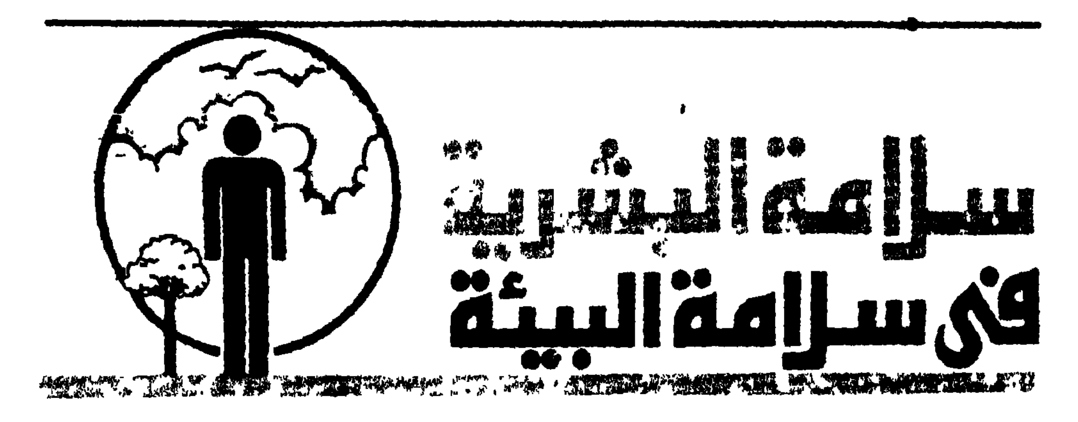
بحيث لاح للعالم احتمال أن يكون الأنبوب الزجاجى الذى كان يجرى تجاربه عليه هو مصدر ذلك النور وماأسرع ماأوقف التيار الكهربائى الواصل الى ذلك الأنبوب فاختفى الضوء الأخضر . ومالبث هذا الضوء أن عاد الى الظهور لدى اعادة التيار الى الأنبوب الزجاجى الذى ذكرنا ، والذى لم يكن أنبوبا عاديا ، وانما أنبوب أشعة كاثودية (Cathode ray tube) وقد انبعثت هذه الأشعة من الأنبوب بفعل التيار الكهربائى الواصل اليه ولم يظهر منها شىء عند انقطاع التيار واستنتج رونتجن أن هذه الأشعة الكاثودية او الألكترونات هى التى تسببت بتألق الضوء الأخضر ، واستنتج أيضا أن تلك الأشعة ماكانت لتتسبب بذلك الضوء الأخضر لولا سقوطها على جدار الأنبوب الزجاجى واختراقها اياه . . قبل سقوطها على قطعة الكرتون ، بل على المادة الكيماوية التى طليت بها .

ثم وضع العالم يده حاجزا بين الأنبوب وبين قطعة الكرتون ، واذا بصورة يده تنعكس على قطعة الكرتون ولكن بعظامها دون لحمها وجلدها وشعر رونتجن بالحيرة والدهشة وتساءل : ترى ماهى تلك الأشعة التى لايذكر لها سابقة والتى لم يكن يدرى عنها شيئا . فهى اذن أشعة مجهولة أشعة اكس وحرف (×) في اللغات الأجنبية يرمز الى المجهول كما هو معروف

ومضى العالم يجرى تجاربه ، فتبين له بأن ثمة مواد أخرى شفافة ، ولاتقف حاجزا في طريق تلك الأشعة ونذكر من تلك المواد على سبيل المثال الورق والخشب والألمنيوم ، وتبين له أيضا أن لتلك الأشعة أثرا في ألواح أو صفائح التصوير الفوتوغرافى ، ولكنه لم يكتشف صلة تلك الأشعة الوثيقة بالضوء ، بل ظن أنها لاتمت له بصلة ، وقد افتقرت الى خصائصه المعروفة كالانعكاس (re-flection) والانكسار (refraction) وما الى ذلك .

وجاءت سنة ١٩٠١ ، واذا برونتجن يفوز بجائزة نوبل في الفيزياء ، وذلك تقديرا لاكتشافه الأشعة السينية . . وكانت جائزته تلك جائزة نوبل الأولى في الفيزياء

ويعجب المرء أكثر مايعجب لامتناع رونتجن عن تسجيل اكتشافه . . لقد أحدث انقلابا في عالم الطب ، ومكن الانسان من مشاهدة مافي داخل جسم الانسان ، ولكنه أحجم عن تسجيل اكتشافه وعن قطف ثماره الطيبة التى جناها الذين جاءوا بعده . .
ومات رونتجن فقيرا معدما في ١٠ فبراير ١٩٢٣ في ميونيخ . .



حظر الاسبست

تحدثنا في عدد سابق عن الرصاص،أحد ملوثات البيئة الخطيرة .. ونتحدث اليوم عن الاسبست .. ثاني الملوثات البيئية الخطيرة .. فالاسبست يسبب الاصابة بالسرطان .. وان لم يسببه فهو يساعد على ظهوره لدى توافر عوامل أخرى غيره .. وهو فوق ذلك كله يتسبب بمرض اسمه الاسبستيه (Asbestosis) نسبة الى الملوث نفسه ..

أما الباعث على الحديث عن الاسبست فهو القرارات الهامة التي اتخذتها وكالة البيئة الأمريكية EPA ضده .. فمن شأن هذه القرارات ان تكفل حظر هذا الملوث صنعا واستعمالا في غضون العشر سنوات القادمة .. وتجدر الاشارة الى أن الوكالة كانت قد حظرت الاسبست قبل ١٢ سنة .. ولكن حظرها هذا لم يكن شاملا بل اقتصر على منع استعمال الاسبست لأغراض العزل في بناء المدارس والمكاتب .

ولكن للاسبست استعمالات أخرى عديدة .. نذكر منها بناء سقوف البيوت وارضها .. وانابيب الأسمنت التي يدخل الاسبست في صنعها .. ونذكر أيضا الثياب الواقية .. فهذه الاستعمالات التي تشكل أكثر من ٥٠٪ من استعمالات الاسبست جميعا لاتقل خطورة عن سواها كما تؤكد الوكالة ..

لذلك اقتضت قراراتها حظر استعمال الاسبست في هذه المجالات جميعا وعلى الفور مادام البديل الذي



يغني عن الاسبست متوفرا .. اما اذا تعذر وجود بديل في الوقت الحاضر ، كما هو الحال في صناعة قطع غيار فرامل السيارات وما إليها ، فيؤجل الحظر مدة اقصاها عشر سنوات ..

وهبت صناعة الأسبست تدافع عن منتجاتها وتعارض قرارات الوكالة ولاندرى ان كان فى استطاعة اللوبى الذى يساند هذه الصناعة الغاء تلك القرارات او تعديلها . .

وجاء فى رد وكالة البيئة على حجج صناعة الاسبست ان حظر الملوث الكلى سيسبب لتلك الصناعة خسائر ولاريب ، وقد لاتقل تلك الخسائر عن ٢٠٠٠ مليون دولار ولكنه كفيل بانقاذ ١٩٠٠ مصاب بالسرطان من موت محقق . . وهذا كسب كبير يقدر ماديا بحوالى ١٩٠٠ مليون دولار . . ومعنى هذا ان كفة الخسارة ليست راجحة وانها وكفة الربح متعادلتان تقريبا . .

لم لا تمارس الرياضة . . . فتمد فى عمرك ؟

نشرت مجلة بيوانجلند الطبية بحثا مستفيضا عن فوائد الرياضة البدنية ، وبخاصة عن علاقتها بطول العمر ويعتبر البحث المذكور أشمل وأدق بحث أجرى فى موضوعه حتى الآن ، وحسبك أن الدراسة التى قام عليها البحث شملت (١٧٠٠٠) رجل (بالضبط ١٦٩٣٦)

وقد اختير هؤلاء الرجال من المنتسبين الى جامعة هارفارد ، فيما بين سنة ١٩١٦ وسنة ١٩٥٠ ، وقد كانت ظروف حياة هؤلاء موضع دراسة ومتابعة حتى سنة ١٩٧٨ ، وبلغ عدد الذين ماتوا منهم فى الفترة المذكورة ١٤١٣ رجلا وهكذا تسنى للباحثين الربط بين الرياضة البدنية من جهة ، وبين الموت والتعمير من جهة ثانية . ونوجز فيما يلي أهم ما توصل اليه الباحثون

١ ـ فئة الرجال الذين مارسوا المشى بمعدل (٩) أميال فى الأسبوع أو يزيد ، والذين أحرقوا على الأقل ٩٠٠ سعر حرارى كانوا اقل عرضة للموت من الذين اكتفوا بالمشى أقل من ثلاثة أميال فى الأسبوع ، وذلك بنسبة ٢١٪

٢ ـ اما الرجال الذين مارسوا ركوب الدراجات أو رياضة التنس بمعدل ٦ ـ ٨ ساعات فى الأسبوع ، وأحرقوا تبعا لذلك ٣٥٠٠ سعر حرارى ، فكانوا أقل عرضة للموت من الذين لم يمارسوا أية رياضة وذلك بنسبة ٥٠٪

٣ ـ ودلت الدراسة أيضا على أن ممارسة الرياضة الحادة بمعدل ٣ ـ ٤ مرات فى الأسبوع ، قد تحدّ من الآثار السلبية التى تترتب على تدخين السجاير ، وعلى ارتفاع ضغط الدم ، ودلت الدراسة أيضا على أنها قد تحدّ جزئيا من طبيعة الموت المبكر المتوارثة . .

٤ ـ وثمة مفاجأة غريبة تمخضت عنها الدراسة . . . فقد ارتفعت نسبة الموت فى الذين يبالغون فى ممارسة الرياضة العنيفة (ككرة السلة والسكواش مثلا) ويحرقون بسببها أكثر من ٣٥٠٠ سعر حرارى فى الأسبوع وذلك بالمقارنة مع الفئات الأخرى التى تلزم الاعتدال فى ممارسة الرياضة الملائمة . . .

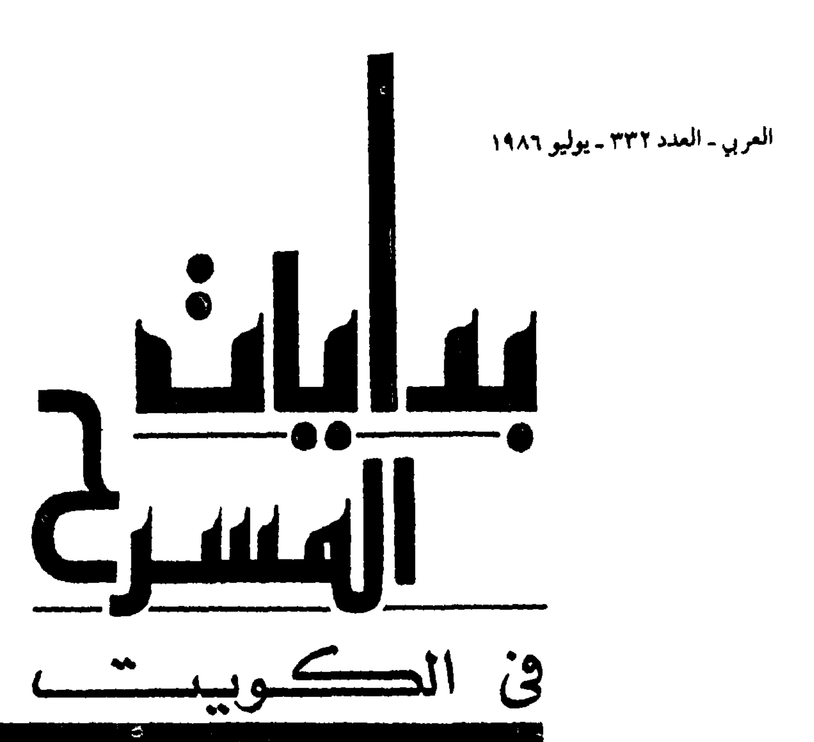
٥ ـ وقل مثل ذلك فى الأبطال والرياضيين الجامعيين الذين يحجمون عن ممارسة الرياضة دفعة واحدة ، بعد تخرجهم فى الجامعة . . . فقد ارتفعت نسبة الموت فيهم عما هى عليه فى الذين واصلوا ممارستها

٦ ـ وتبين للباحثين أيضا أن الزيادة فى العمر التى يظفر بها الرياضيون المعتدلون ، قد تبلغ ١٠ ـ ٢٠ عاما

وتجدر الاشارة الى تقرير آخر نشرته المجلة الطبية المذكورة ، ويتناول الفوائد الصحية التى يجنيها الانسان من ممارسة الرياضة البدنية اذ يؤكد هذا التقرير ان الركض يضمن للعظام زيادة فى الكثافة ، تقدر بـ ٤٠٪ ، وذلك فيمن تتراوح أعمارهم بين ٥٠ ـ ٧٢ عاما . ومعنى هذا أن الركض فى الشيخوخة يحد من احتمالات التعرض لمرض اضمحلال المفاصل خلافا للقول الشائع بأنه يضاعف تلك الاحتمالات



العربي - العدد ٣٣٢ - يوليو ١٩٨٦



بقلم : الدكتور محمد مبارك الصوري

فعالية المسرح وحركته ، تأتي من خلال دعوته للتغيير ، فهو أداة لاتتحمل اشهارها في وجه التخلف والاضطهاد الا من يملك قضية ومن يستطيع أن يجعل للمسرح قضية . والمسرح في الكويت قد تبنى قضايا الناس بقوة وجلد ، لذلك استمر يواصل كلمته بكل صدق منذ البداية .

قد لانجافي الحقيقة بشيء اذا قلنا بأن منهجية دراسة المسرح كظاهرة حضارية ، تتطلب الفصل المحتوم بين تاريخ المسرح وبين الحركة المسرحية ، فالتاريخ يعنى الاشارة بطرف خفي أحيانا الى المظاهر التاريخية المسرحية ، ثم الوقوف عند المعالم الحية لهذه الظاهرة ، عندما تتحول الى حركة مستمرة في عطائها متنامية في أدواتها الفنية

فتاريخ المسرح في الكويت يشير الى تجربتين فنيتين ستورتي الاتصال بمعالم الحركة المسرحية ، وأولى هاتين التجربتين هي تجربة عبد العزيز الرشيد الشيخ المصلح الاجتماعي ، والرائد الفقيه ، التي تبلورت في احتفال المدرسة الاحمدية بمناسبة مرور عام على افتتاحها ، وذلك سنة ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢١ م ، حيث قدمت المدرسة مسرحية (المحاولة الاصلاحية) التي دعا واضعها في مضمونها الى مواكبة العصر في وسائل التعليم وأساليب الثقافة .

ويصمت التاريخ قليلا ليعود مرة ثانية ، فيشير الى تجربة مسز ميلري المسرحية التي ذكرتها « كالقرللي » الطبيبة في مستشفى الارسالية الأمريكية في الكويت ، والمسرحية بعنوان « الأميرة النائمة » التي أشارت اليها والى ظروف عرضها في كتابها « كنت أول طبيبة في الكويت » وقد غاب عن هذا العرض العنصر الكويتي ، فكانت عرضا مسرحيا انجليزيا نصا وفكرة ، أداء وحضورا ، وكان من أبرز الحضور والمشاهدين لها « مسترمور » المقيم السياسي البريطاني في الكويت الذي ظل فيها منذ ١٩٢٢ حتى ١٩٢٧ م

ومرة أخرى يصمت التاريخ صمتا كثيرا ، حيث

تعيش فترة العشرينيات شحيحة من أية بواكير أخرى ، لكي ينتهي المسرح في الكويت تاريخا ، ليبدأ الفن المسرحي ومعالم الحركة المسرحية منذ أواخر الثلاثينيات ، بعد قدوم البعثة الفلسطينية التعليمية الى الكويت في ديسمبر ١٩٣٦ ، لتمد يد العون مع اخوانها المدرسين الكويتيين في سبيل النهوض بحركة التعليم في الكويت ، فما ان تشرف ثلاثينيات هذا القرن على الانتهاء ، حتى تأتينا أولى عروض المسرح المدرسي التي تمثلت في تقديم عرض مسرحي خاص بعنوان (اسلام عمر) من اخراج محمد محمود نجم عضو البعثة التعليمية الفلسطينية ، وذلك خلال نشاط العام الدراسي ٣٨ ـ ١٩٣٩ م

وبعد هذا العرض بدأت عجلة الحركة المسرحية في الكويت تدور باصرار مستمر وعطاء متنوع ، فقد سرت « عدوى » المسرح وحركته سائر المدارس آنذاك ، فما جاء عام ١٩٤٠ م الا وهناك اربع فرق مسرحية مدرسية

ووصل هذا النشاط الى الكويتيين وجهودهم وهم خارج الكويت ، حيث شهد « بيت الكويت » للطلبة الكويتيين في القاهرة نشاطا مسرحيا وفنيا مشهودا له من خلال اقامة حفلات الاجتماعية التي يخطب فيها الطلبة ، ويتبادلون الكلمات ، وينشدون الاناشيد ، ويقدمون مسرحيات بمشاركة جهود ومشاهداتهم

وهذا النشاط المدني النمو الفني المستمر دفع الى تأليف كمية من النصوص تمثل اوائل المسرحيات المؤلفة ، أبرزها مسرحية « من الجاني » لحمد الرجيب عام ١٩٤٧ مع مسرحية « حروف بيام بيام » عام ١٩٤٩ ، والمسرحية الشعرية الكويتية الأولى والوحيدة المعروفة « مهزلة في مهزلة » التي اشترك في كتابتها حمد الرجيب والشاعر أحمد العدواني ، والتي صدرت في كتاب عام ١٩٤٨ ، وقد أرسى بوادر هذا الأدب المسرحي في الكويت بعض الرواد ، من خلال أنشطتهم في النوادي والجمعيات ، كنادي المعلمين عام ١٩٥١ م ، وفرق التمثيل في مدارس الكويت التابعة لدائرة المعارف آنذاك ، وبجهود مدرسيها

الارتجال والنشمي

وعلى الرغم من النشاط المسرحي السابق ، الا أن عروض المدرسة المسرحية ظلت حبيسة الجدران ،



* الفنان محمد النشمي

وساحات المدارس ، أبطالها ومشاهدوها هم المدرسون والتلاميذ بمشاركة بعض أولياء الأمور ، وظل المسرح المدرسي ـ في هذه الفترة ـ تعليميا وفيا يحمل النزعة التاريخية والموضوع القومي والفكرة الممجدة للعروبة والعرب ، وبذلك لم يلتصق كليا بالمجتمع وأناسه ، لانه لم يصدر اليه ، ولم يحمل مشاكله وهمومه ، وظل وسيلة تربوية من الوسائل التعليمية التي استخدمها التعليم آنذاك،وبدأت ولادة المسرح في الكويت مرتبطة بالفصحى فترة ليست بالقصيرة ، تمد عليه رواقها ، وتشده اليها ، وترده كلما حاول الانفلات عنها ، وتصده عن العامية صدا ملحوظا ، واستمرت في هذه الحال الى أواخر الاربعينيات حين عجزت كلية عن صده عن العامية التي غازلته فاستحسن أخيرا وجودها فيه

وكانت البداية قد تمت بدخول عام ١٩٤٣ م ، بتقديم مسرحية « الحي الميت » الفصيحة الجادة ، ورافقتها مسرحية « أم عنبر » العامية التي أعدها الرجيب ، وشاركه محمد النشمي ـ أحد رواد المسرح المرتجل ـ بتمثيل أحد أدوارها ، فالنشمي هو والد المسرح المرتجل ، وقائد لواء العامية فيه ، على حد تعبير الباحث الأديب خالد سعود الزيد ، فحين جاء النشمي ورفاقه الى المسرح ، فانهم جاءوه بفهم



* مشهد من مسرحية لفرقة (المسرح الشعبي) حديثا

النشمي ودعم الشئون الاجتماعية

لقد قدم مسرح النشمي عددا كبيرا من المسرحيات المرتجلة مثل « معد صنت ، أم عسر » اضافة الى مسرحية « محمد لسائل » السابقه وكان لنجاح مسرحيي (حبر اسكت » و « من المسئول » ، أثر كبير في سعي دائرة الشئون الاجتماعية التي تبنت هذه الفرقة ، وامدادها بالمساعدات المادية والفنية ، لمواصله نشاطها بعد أن تم الاتفاق على تسميتها « بالمسرح الشعبي » حيث تقدمت الدائرة الى ادارة المسرح في أواخر الشهر الخامس من عام ١٩٥٦ م ، برغبتها في صم الفرقة اليها . وطرحت الهيئة الادارية للمسرح الفكرة على الجمعية العمومية ، فانقسم الاعضاء الى قسمين قسم معارض بشدة خوفا من الوصايا الحكومية وتقييد حرية المسرح ، وقسم أيد الفكرة وناصرها ، وتشاء الظروف أن تخدم « الشئون » فالفرقة تعاني صعوبات جمة ، تعاني فقرا ونقصا في الأدوات والمواد الفنيه ، وتعاني عجز بعض الممثلين عن الاستمرار في مواصله العمل ، اما لظروف خاصة أو لظروف مالية ، حتى تم انضمام الفرقة للشئون في عام ١٩٥٧م

لقد تطورت هذه الفرقة المسرحية الصغيرة التي أحدثت تكبر في عيون الناس ، بعد أن سماها صاحبها النشمي « فرقه المسرح الشعبي الكويتي » التي أقامها بمساعدة بعض المخلصين له وللحركة المسرحية ، والتي ساعد تكوينها على سد العجز المالي الذي كان يعاني منه صندوق الحركة الكشفية ، والتي كان النشمي رئيسا لها في ذلك الحين

القيمة الفنية لتجربة النشمي

ان نجاح هذه المسرحيات منصب على الناحية الموضوعية ، وليست الفنية والتكنيك المسرحي ، وبناء المسرحية وشكلها دراميا ، فهو نجاح جماهيري تحت عماده أنه قد جاء ضمن مسرحيات يتركز الموضوع فيها على مجموعة من الفضائح . ولكن لماذا هذا الفساد الاداري وما سببه ؟ هذا هو الشيء الذي

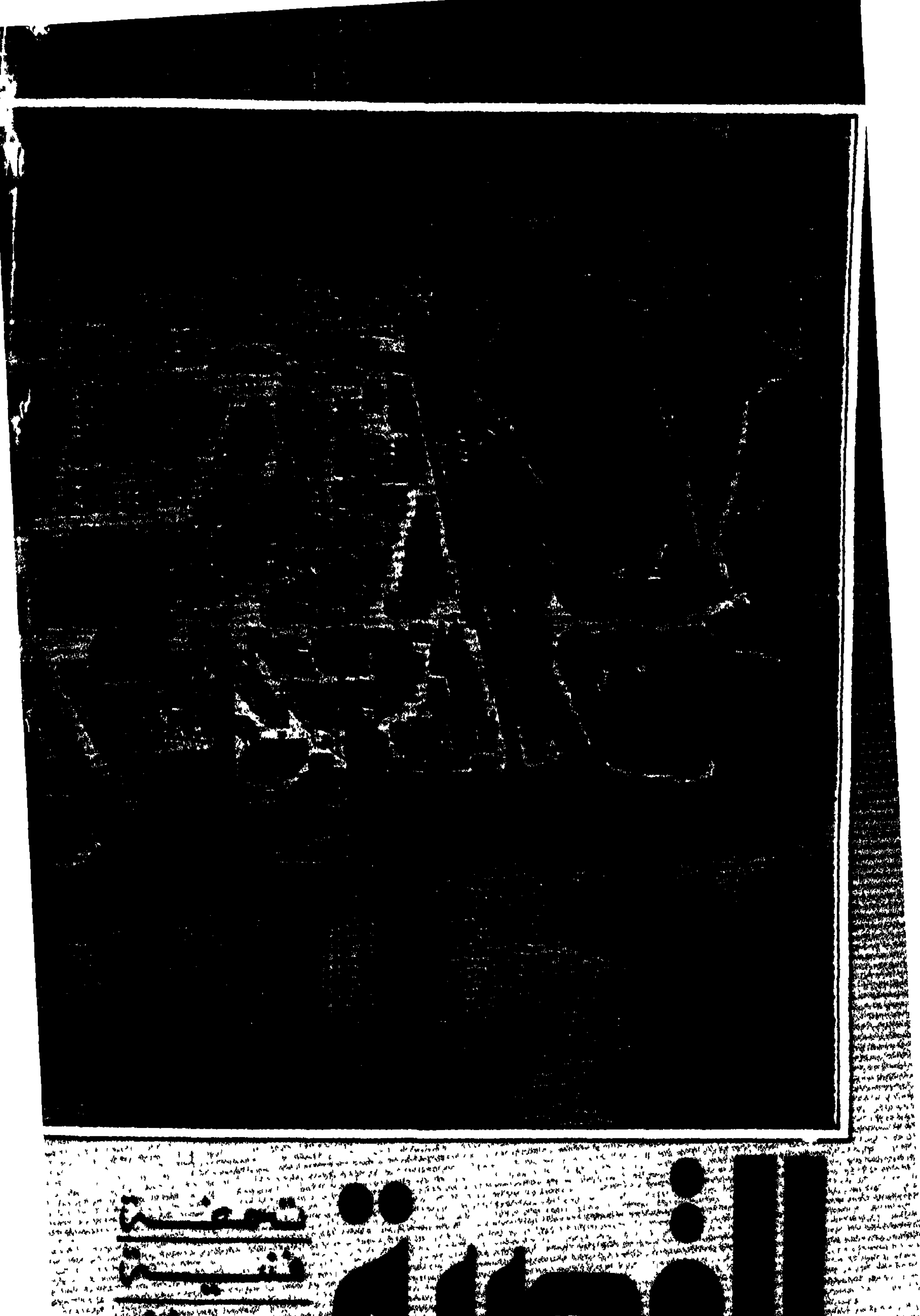
يعتقده ولا يراه واضحا في مثل هذه المسرحيات ، وهو يشير الى ما فيها من نقص في فكرتها وموضوعها فكريا ، فهي مجرد تناول مسطح ، يخلو في غالبيته من العمق وشحذ الفكر ، وليس بالضرورة أن يكون كل ما تعرض له المسرح الشعبي من موضوعات في مسرحيات ذلك الزمان البعيد صحيحا ، عند انتقاده الدوائر الرسمية والمرافق العامة ، والمؤسسات الحكومية ، وارتباط المسرح بقضايا المواطنين وهمومهم ، مع الانتصار لهم دائما ، والقاء اللوم على رؤسائهم ، فقد تكون موضوعات هذه المسرحيات المعروضة والمعلومات التي تثار فيها مجرد مسائل كيدية ، طابعها الشكوى التي تعرض دون التحقق منها أو التحقيق فيها

ووجهة نظر الطرف الآخر لاتصلنا ، كما تغيب شخصية الموظف الكبير ، صاحب المركز المرموق الذي تصوره لنا المسرحية في عالمها العام ، فلا نعرف حقيقة الظروف التي تدعوها الى تأخير المعاملات عندها وتعطيلها لها ، حتى تملك القناعة التامة عند القاء اللوم عليها ورفع صوتنا عاليا ضدها ، ومع موقف الفرقة المضاد لها ، مطالبين معها باسقاط مثل هذه الشخصيات ، وبصورة عامة فان المسرح بهذا الشكل يشبه الى حد كبير الصحافة اليومية حاليا ، بأعمدتها التي تحتويها ، والتي يتبارى الناس في تحبيرها بشكواهم ومتاعبهم ، وهي ليست صحيحة وعلى حق دائما ، انما تتناول بايقاع سريع الشكوى لتصل الى القراء ، مع السرور الذي يصاحب الفرد الشاكي الكاتب نتيجة رؤيته لاسمه مدونا ومرسوما على أوراق الصحيفة ، وبالرغم من غياب الموضوع في بعض عروض هذا المسرح الشعبي ، فقد استطاعت مثل هذه المسرحيات أن تستفز الطبقة البيروقراطية من الموظفين ، وان تحرك سكينة الأوتوقراطيين منهم ، فعجلت بنار الحرب بين جمهرة هذا المسرح وأصحاب المراكز الوظيفية المتقدمة آنذاك ، وهذا هو أحد أدوار المسرح الأساسية في الخلية الاجتماعية وتركيبها البشري

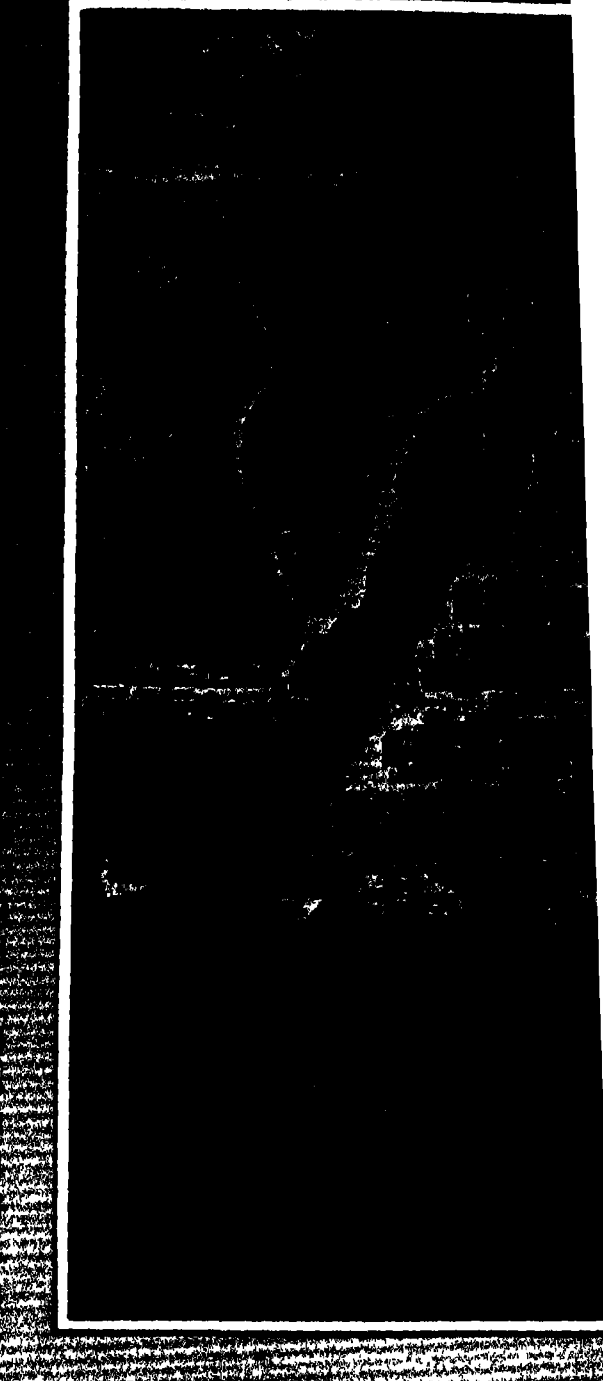
ولا يمكن أن نغفل قمة الايهام في تمثيليات هذا المسرح على الجمهور الذي وصل تأثير المسرح عليه الى أن يمتطي الممثل هذه المسرحيات ، ليستدر بها عطف الناس عليه ، لدرجة وصلت باحدى المشاهدات الى أن تطلب من أحد الممثلين أن يترك مديره الظالم ويعمل عندها بأجر مضاعف ، ولكن كل هذا لا يعني « المسرح الشعبي » وطبيعته من المبالغات التي وقع فيها أثناء نقده للأوضاع وحملاته الهجومية ، وحملاته التي كانت تبعده عن الموضوعية أحيانا كثيرة ، وتجعل بذلك كل موظف يرغب في أن يشارك المسرح تجسيدها وتوصيلها للمسرحيين آنذاك

ومن حيث القياس الفني ، فان هذا المسرح ـ برغم كل هذا وذاك ـ فقد حقق نوعا من التطور ، قياسا الى المسرح المدرسي الذي سبقه ، حيث أقيم مسرح بمعناه الحديث ، على الرغم من الاضطراب الفني الذي تصطبغ به عروضه المرسحية . فالقضية المعروضة في المسرحية المدرسية محدودة العطاء وتعليمية الطابع ، بعيدة عن هموم الشارع . أما في المسرح الشعبي فهناك اتساع في تناول القضايا الاجتماعية المطروحة الآنية كما أن مشاهدة عروض المسرح المدرسي والدخول اليها تتم بالمجان ، ودون مقابل لكل جماهير أهالي المدرسة القريبين ، وأقرباء التلاميذ وأولياء أمورهم ، أما المسرح الشعبي فلعامة الناس ، بل تشارك هذه العامة في وضع تصورات خاصة بالقضية المطروحة ، مع الاضافة والمشاركة في تشكيل أدوار الممثلين ، وفي فكرة المسرحية وموضوعها ، اضافة الى خلقها على الخشبة ، فالمشاركة كانت متبادلة بين أهل « فرقة المسرح الشعبي » وأهالي الكويت الشعبيين ، حيث تشاركهم همومهم بمسرحيتها المعروضة

كما أن المسرح الشعبي قد قدم عملا مسرحيا مكتوبا ، بينما نصوص المسرح المدرسي كانت جاهزة أو معدة أو مقتبسة ، أو هي تكرار لأعمال معروفة سبق عرضها ، ذلك أن المسرح الشعبي قد قدم ايمانه وقناعته التامة ، بأن وجود المسرح واستمرار حركته وتعلم تقنياته لايتم الا باستمرار تقديم العروض المسرحية ، ومهما كان مستواها فنيا وفكريا ، ومن هنا مثلت هذه الفرقة ـ بجهود محمد النشمي ـ أولويات واضحة في حركة المسرح في الكويت ، ومن الممكن أن نتلمس جذورها الأولى وتربة هذه الحركة الشابة في عطاءات هذه الفرقة المسرحية الشعبية العديدة ، وعمرها الفني الكبير ، بقيادة محمد النشمي . □



القصبة



للثورة في مدينة الجزائر ، وأذاقت دروبها الطويلة ، وأزقتها الضيقة ، وحاراتها المتعرجة ، الويل لجنود المستعمر ، وأخيرا خرج المستعمرون وبقيت القصبة شامخة بشخصيتها الوطنية الأصيلة ، رمزا للكفاح ، ولنمط الحياة الجزائرية

النشأة والتطور :

القصبة هي مدينة الجزائر ، وهي النواة التي تشرنقت حولها التطورات العمرانية المتتالية فيما بعد ، ولو تفحصنا صفحات الماضي لما وجدنا شيئا كثيرا عن ماضيها التاريخي ، غير أن الاكتشافات الأثرية التي عثر عليها ، والمتمثلة في كنز من العملة ، تم اكتشافه سنة ١٩٤٠ في حي باب الجزيرة ، وبعض الأواني الكامانية (نسبة لكامانيا بايطاليا) التي عثر عليها في قاع بئر في نفس الحي سنة ١٩٥٢ ، تفيد بأن الجزائر كانت موجودة في العصر الروماني باسم « ايكوسيم » وأن لها علاقات تجارية مع ايطاليا الجنوبية ، أو المستعمرات اليونانية جنوب بلاد الغال ، وبعد سقوط قرطاجة سنة ١٤٦ ق . م على يد الرومان ، أصبحت الجزائر تابعة لمملكة موريتانيا البربرية ، وأصبح اسمها « ايكوسيوم » ومن ثم الحقت خلال القرن الأول الميلادي بموريتانيا القيصرية التي كانت عاصمتها مدينة شرشال الأثرية ، الموجودة اليوم على الساحل الجزائري ، على بعد حوالي ٦٠ كيلومترا الى الغرب من العاصمة .

وفي القرن الرابع الميلادي تفكك الحكم الروماني ، وقامت الاضطرابات في شمال أفريقيا ، فسلبت المدينة ، وأصيبت بأضرار كبيرة ، منذ ذلك الوقت دخلت مرحلة غامضة لانعرف عنها شيئا ، الى أن أعيد بناؤ ها ثانية في القرن العاشر الميلادي على يد « بني زيري » باسم جزائر « بني مزغنة » .

خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر ، عاد الغموض ثانية ليلف المدينة بردائه ، اذ أنه على الرغم من امتلاكها لاقتصاد مزدهر بشهادة الرحالة العرب والمسلمين ، الا أننا نجهل كل شيء عن شكل المدينة وتنظيمها ، وحياتها الخاصة الشاهد الوحيد على تلك الفترة هو الجامع الكبير الذي بني في القرن الحادي عشر .

ابتداء من مطلع القرن السادس عشر الميلادي خرجت الجزائر للضوء ، بدليل علاقاتها الدولية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأدى ازدهارها الاقتصادي الى تتويجها عاصمة للمغرب الأوسط ، الا أن أوج رخائها لم تعرفه الا من خلال الدور السياسي الذي رسمه لها كل من خير الدين بربروسا وشقيقه عروج ، وذلك عندما وضعاها في حماية الباب العالي في الآستانة سنة ١٥١٨ ، خوفا من أطماع الدول الأوروبية ، فأصبحت بمثابة رأس جسر للدولة العثمانية في حوض المتوسط الغربي

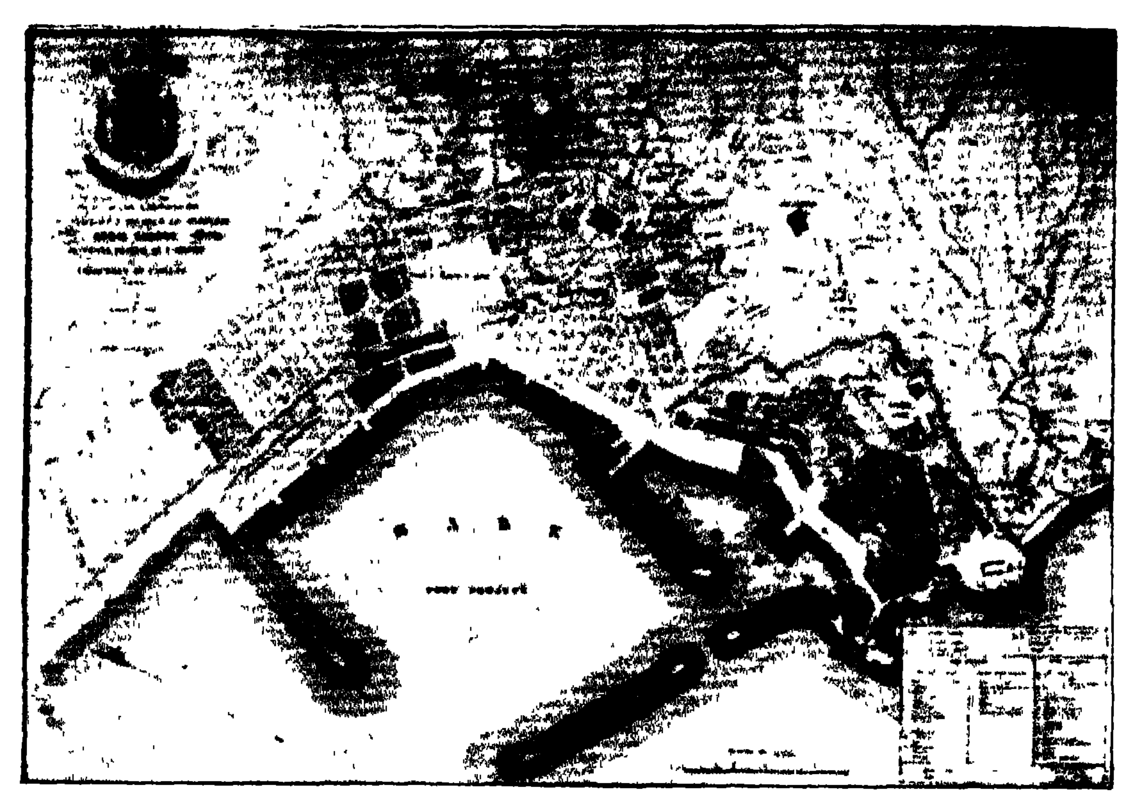
تركيب المدينة :

بقي المحيط العمراني لمدينة الجزائر ثابتا منذ مطلع القرن السادس ، وحتى بداية الثامن عشر ، ورغم ماشهدته من نمو اقتصادي ، وتزايد سريع في عدد السكان ، ولم يجر التوسع خارج السور على الأرباض المجاورة ، خوفا من الغزوات الأجنبية وبخاصة الاسبانية منها ، وقد ردت المدينة على تلك الموانع بتكثيف نسيجها العمراني ، وبالتقليل من المساحات العامة ، وذلك بتضييق الأزقة والساحات

كانت الجزائر في ذلك العصر مدينة محصنة ، تحوطها الأسوار ومرابض المدفعية ، ويقوم بمهمة الدفاع عنها مركزان رئيسيان هما : القلعة والمرسى ، وكان لها أبواب ستة تربط بينها وبين المركزين المذكورين ، وكذلك توصلها بباقي أنحاء البلاد

أما مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية فقد قامت في النصف الجنوبي منها ، ولايواء الجيش الانكشاري بنيت سبع ثكنات كبيرة الى الغرب من البابين الرئيسيين : باب عزون وباب الجزيرة (الذي كان يطلق عليه الفرنسيون البحرية) ، الى جانب سجنين كبيرين ، وكانت السلطة تمارس من قصر «الجنينة» الخاص بالباشوات والدايات ، والواقع في ملتقى الأنهج الرئيسية : باب عزون ، وباب الواد ، وباب الجزيرة

أما المرسى وهو الجبهة الأمامية للمدينة ، فقد تم انشاؤه من قبل خير الدين بربروسا في ، النصف الأول من القرن السادس عشر ، جرى توسيعه



* مخطط يوضح التطورات المتعاقبة لمدينة الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية

وتعميره بشكل دائم لتمكينه من الدفاع عنها ، ولاتقتصر أهميته على النواحي العسكرية فقط ، انما كان له أهمية اقتصادية بالغة وذلك من خلال حركة السفن الخارجة منه والقادمة اليه والمحملة بالبضائع ، وحركة العمل النشيطة الناجمة عن وجود المعامل الكبيرة التابعة للدولة كالترسانة (معامل ومخازن الأسلحة) ، ومصانع الحبال والأشرعة وزيادة في تحصين المدينة بنيت أبراج عديدة على مقربة منها مثل . برج مولاي حسن ، وبرج النجمة وبرج بوليلة

القصبة أو مدينة الجزائر القديمة غنية بمعاهدها الدينية ومعابدها ، وهي موزعة توزيعا منسقا عبر أحيائها وقد بلغ عددها ١٣ مسجدا جامعا و١٠٩ مساجد صغيرة و١٢ زاوية ، الا أن الحياة الثقافية الدينية كانت تتركز بالدرجة الأولى بالقرب من مركز السلطة ، أما مكاتب التعليم « الكتاتيب » فقد كانت منتشرة ،لكن لايعرف عنها الشيء الكثير .

كانت النشاطات الاقتصادية تتركز في الجزء الجنوبي من المدينة ، على طول محورين رئيسيين هما : نهج الجزيرة وباب عزون المؤديان الى أبوابها الرئيسية ، فبواسطة باب عزون تدخل المواد الأولية التي تستهلك أو تصنع في المدينة ، وعن طريق باب الجزيرة تتحقق العلاقات الدولية ، ومنه يتم الاستيراد والتصدير لمختلف المواد ، وتنتظم هذه النشاطات على شكل . أسواق وتجمعات حسب الحرف والمهن ، شأنها في ذلك شأن كافة المدن الاسلامية ، ومن خلال اللوحات التي صورت الحياة في تلك الفترة ، يمكننا أن نتبين أن الاسواق كانت بعيدة عن المحاكمة ، وأن واجهات الدكاكين والمحال التجارية قد اتسمت بالتواضع والصغر ، بحيث أنها كانت لاتسمح للزبائن بالدخول اليها ، ماعدا المقاهي ومحلات الحلاقة ، ولقد امتد النشاط التجاري والصناعي خارج المدينة الى الضواحي ، وذلك من خلال المحاجر ، وأفران صناعة القرميد ، ومعامل الكلس

ان تحليل حياة المدينة الداخلية لايكتمل الا بالحديث عن أحيائها ، غير أنه مع الأسف الشديد لايعرف عنها الشيء الكثير ، وكل مايعرف عنها أنها

• محطة للقوافل التجارية على الطرق المؤدية الى مدينة الجزائر .



• أزقة القصبة كما خلدتها لوحات الرسامين .

كانت تقابل منطقة النشاط الاقتصادي في الحوب ، منطقة للسكي في القسم الشمالي من المدينة ، ومقسمة الى عشرين حيا ، تغلق أبوابها ليلا ، وقد زالت معظم هذه الأبواب ابان الفترة الاستعمارية ، وتتخللها أسواق صغيرة ، يتم التبادل فيها فيما بين الأحياء ، وهي مازالت موجودة حتى يومنا الراهن ، أما الفنادق والحمامات والرحات والأفران ، فقد كانت لها أشكالها المعمارية الخاصة بها والمميزة

ونظرا لتحسن مستوى المعيشة ، وازدياد عدد السكان ، فقد بحثت المدينة عن مياه للشرب ، فبنت القنوات لنقل المياه اليها ، وقد أقيمت لذلك أربع أقنية :

قناة التلملي المتصلة بالباب الجديد ، وهي أقدمها ، والقناة التي توصل مياه بئر طريرية الى باب الواد ، والقناة التي تجلب مياه الحامة الى باب عزون ، وأخيرا القناة التي تؤمن مياه عين الزنبوجة الى المدينة كلها ، كانت هذه الأقنية تمر فوق أقواس مازالت بقاياها ماثلة حتى أيامنا هذه ، اننا نجهل توزيع شبكات المياه داخل المدينة نفسها ، لذلك كان لعيون الماء دور مهم في حياتها ، اذ أنها تشكل معلمها المعماري الأساسي ، ولكنها هدمت مع الأسف لوقوعها في الطرق التي شقت في الفترة الاستعمارية

لقد نتج عن اكتظاط المدينة تجاوز لنطاق الأسوار في مراحل لاحقة ، وبيت المساكن الثانوية للشريحة المترفة من السكان في بساتين ملاصقة للمدينة ، يطلق عليها تسمية « جنان » أو فحص ، وهي تابعة لها وخاضعة لاشرافها ، وكان هذا الفحص مقسما الى ثلاث مناطق . فحص باب عزون ، وفحص باب الواد ، وفحص الباب الجديد ، وتناسب تسميتها أسماء الأبواب الثلاثة المتصلة بها ، وأخيرا لابد من الاشارة الى المحطات التي كانت تقام على الطرق المؤدية الى المدينة لايواء المسافرين والتجار ، والتي كانت تتميز بقبتها ، وعين مائها ، ومقهاها

ان الدراسة الشاملة للارشيف العربي ـ التركي ، هي وحدها الكفيلة بازاحة الغموض عن جوانب الحياة المختلفة للمدينة في تلك الفترة

الفترة الاستعمارية :

بعد أشهر قليلة من سقوط الجزائر في تموز من سنة ١٨٣٠ بيد الفرنسيين ، عمدت قوات الاحتلال الى مصادرة الممتلكات والمعاهد الدينية ، ولجأ الجنود من أجل تأمين المياه لخيولهم الى تحطيم قنوات الري ، والى اقتلاع الأخشاب من أراضي المساكن لانضاج الطعام ، وأشعلوا الحرائق في أرجاء المدينة المكونة ، وهدموا مايقرب من ٩٠٠ مسكن ، ولم يسلم من أيديهم الا المنازل التي وقع عليها اختيار الضباط ، ونتيجة لأعمال السلب والنهب والعبث ، هاجر مايقرب من ٢٠ ألفا من السكان الى المشرق العربي ، أما الجيش الفرنسي فقد انتقل من المخيمات الواقعة خارج المدينة الى ثكنات الانكشارية ، والى الحصون الموجودة داخل الأسوار

في سنة ١٨٣٢ بدأ المستعمر يغير في الهيئة العمرانية للمدينة ، فتم في هذه السنة تحويل مسجد « كتشاوة » الى كاتدرائية ، والغيت أسواق السمارين والرحبة ، والسوق الكبير الواقعة مابين باب عزون وساحة الشهداء اليوم ، وذلك ليقام مكانها في وسط الجزائر القديم ساحة للعرض العسكري ، كما دمر مسجد السيدة الشهير ـ حيث كان يصلي دايات الجزائر ـ وأجزاء كبرى من سور المدينة ، والحي المجاور للقلعة ، وباب عزون القديم .

وفي سنة ١٨٣٧ بدأت الأعمال بتعديل أنهج باب الجزيرة ، وباب الواد ، وباب عزون ، وأنشئت ساحات صغيرة على حساب مسجد (ميرو ـ مورطو) وبعض المساكن المجاورة .

وفي سنة ١٨٣٩ تجاوز عدد الأوروبيين الموجودين في مدينة الجزائر الخمسة عشر ألفا ، فتم هدم العديد من المنازل لانشاء مساكن تتجاوب مع الأعداد المتزايدة للقادمين .

ومع التوسع في استعمار القطر الجزائري ، اشتدت الهجرة الى المدينة ، فتوسعت مساحتها من ٤١ هكتارا الى ١١٨ هكتارا ، ضمن سور عسكري بني خصيصا لذلك فيما بين الفترة ١٨٤١ الى ١٨٤٨ ، لقد كانت كل قرارات المستعمر الفرنسي مبنية على أساس مسبق ، تهدف أولا وقبل كل شيء



* مبنى قنصلية السويد في مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠



* حمام السوق



• المسجد الكبير في الجزائر



• منظر عام لمدينة الجزائر .



● صورة لأحد الكتاتيب .

الى تدمير المدينة القديمة وازالة آثارها ، والاحلال الكلي بالنظام الاجتماعي للسكان ، ووضعهم أمام ثقافة مغايرة لثقافتهم ، واحلال نموذج عمراني يعبر عن ذلك .

ولندع الأرقام وحدها توضح ذلك ، ففي سنة ١٨٣٠ قدر عدد المعاهد الدينية من مساجد وزوايا وأضرحة داخل السور بـ ١٧٦ ، ولم يبق منها حتى سنة ١٨٦٢ الا ٤٧ ، حيث يمكن اقامة شعائر الدين الاسلامي في ٢١ منها فقط ، وقد كانت صيانة كل تلك المؤسسات الدينية تتم من قبل اعتماداً على مداخيلها من الاملاك الموقوفة لها ، ففي سنة ١٨٣٠ وحدها تم تحويل أكثر من ٣٠ مسجداً الى أغراض غير أغراضها ، فاحتلتها المصالح العمومية العائدة للمستعمر مثل . ثكنات للجيش ، محلات لنقل البضائع ، مستودعات ، مستشفيات ، وحولت ثلاثة مساجد الى كنائس هي جامع « علي بتشين » ، جامع « كيتشاوة » ، وجامع « القصبة البراني »

لقد كانت السلطة الاستعمارية تبرر اعتداءاتها هذه بحجتين . الأولى هي الأمن العمومي ، على اعتبار أن هذه الابنية آيلة الى السقوط ، في الوقت الذي منحت فيه الأملاك الموقوفة لخدمة هذه الأبنية الدينية للمستوطنين الفرنسيين ، والأخرى تتمثل في المصلحة العامة ! حيث أخذت المساجد والزوايا تتساقط تباعا بتأثير الاهمال والحوادث المتعمدة

في سنة ١٨٥٣ ظهرت مشاريع جديدة ، ترمي الى اخراج المدينة عن حدودها ، وتوسيعها الى ٣٢٢ هكتارا وفي سنة ١٨٥٦ هدم قصر « الجنينة » حيث كانت السلطة تمارس قبل الاحتلال الفرنسي ، وبنيت على أنقاضه دور للايجار

منذ ذلك التاريخ وأعمال اعادة الهيكلة الحضرية للمدينة تجري على قدم وساق ، من هدم للمساكن ، والأسواق ، ودور العبادة ، والأحياء ، الى شق للشوارع وبناء للساحات والمساكن على النموذج الاوروبي ، وأخذت المدينة تبتلع التلال المجاورة مثل منحدرات التلملي ، ومصطفى باشا ، فكان من شأن الاستحداثات المتواصل لأحياء و (فيلات) زهيدة التكاليف ، أن ضايق شيئا فشيئا البيوت العربية التي أقيمت خارج أسوار المدينة

أما مابقي من البيوت في القصبة القديمة فقد آلت أوضاعه الى التدهور ، وتداعت أقسام كبيرة منه ، الى أن جاء عام ١٩٢٩ ، حيث وجهت السلطات المحتلة نداء للمهندسين الفرنسيين بتقديم دراسات لتجديد المدينة ، فقام بهذه المهمة كل من : لوكور بوزييه ، وسوكار ، فحدثت تغيرات جديدة خلال الفترة الواقعة مابين ١٩٤٢ ـ ١٩٥٠

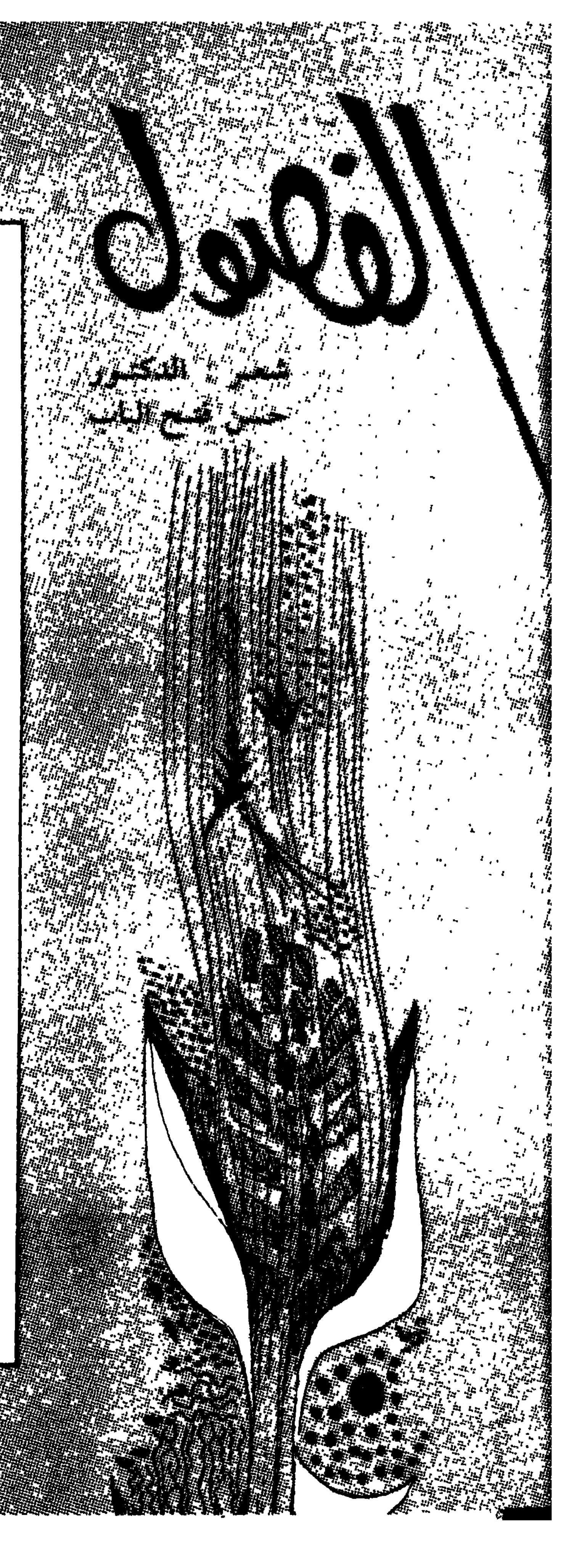
« فحص » الجزائر وجناتها :

يستطيع المرء أن يرى حتى أيامنا الحاضرة بيوتا فحصية رائعة المنظر ، متناثرة على الربا المجاورة لمدينة الجزائر ، بين أحضان الطبيعة ، بتناسق وتناغم عجيبين . توحي هذه البيوت بالبساطة والسكينة ، وتبعث الطمأنينة بالنفوس ، لقد بنى السكان ، وبخاصة الموسرون منهم ، هذه البيوت لقضاء فصل الصيف بعيدا عن مدينتهم ، حيث لاوجود لبيت مقابل أو مواجه ، وحيث يمكن فتح النوافذ للهواء والشمس بحرية تامة

وبعد فان القصبة ـ بما تمثله من مضامين غنية وأصيلة ، مثلها مثل النويات التاريخية لدمشق والقاهرة والرباط وغيرها من المدن الاسلامية ـ تعبر عن ذاتنا ، نقرأ فيها صفحات من ماضينا وحاضرنا الوطني ، تستحق عناية خاصة ، واهتماما كبيرا ليس على المستوى الوطني فقط ، وانما عربيا ودوليا أيضا □

---

* أخذت هذه الدراسة من خلال المعرض الذي أقيم سنة ١٩٨٥ في مدينة الجزائر من أجل صيانة حي القصبة الذي استقدمت لوحاته من كل من المكتبتين الوطنيتين في الجزائر وباريس ومن المتاحف الجزائرية ، والذي أغنته دراسات كل من السيدة ليليان مسلم ـ مورخة في الفن وقاسي محرور مهندس معماري ، والرشيد سيدي بومدين ـ اختصاصي في علم الاجتماع



ذلك الطيفُ الذى ودّعنا
مُعْجلا يمعن فى ليلِ الشَّتاتْ
من ترى ياقلبُ قد أودعه
قطرة من روحنا والذكرياتْ ؟
ماالذى ياحُبِّ قد روعه
فاشترى بالعشّ منفى
وبواريك الضّباب ؟

— —

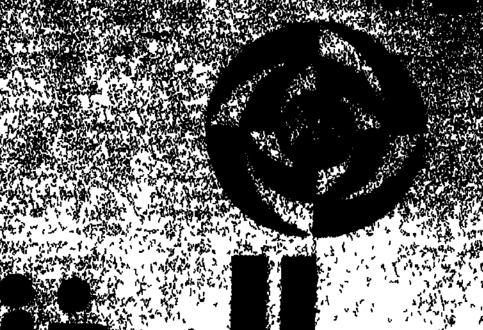
لم يجيء صيفٌ
ولم يرحلْ شتاءْ
والثوانى عبْءُ اعوامٍ هَباءْ
بين اعصارٍ ربيعى
وزلزال خريف
أخمدت رحلتنا شمس الفصول
أوقدتْ نارَ الذُبول

— —

النقيضان عقيمان . . فهلْ
يبعثُ الثالثُ من قاع الصِّراعْ ؟
غيمةُ الأمس تُغشيّنا . فمنْ
يخرج الحىَّ من الميْتْ غداً ؟
ومتى يُطلق مرسانا الشراعْ ؟

— —

يَعتلى القصرُ حصى الكوخِ الرَّميم
ومن الغدرانِ طُغيانُ البحار
غير أنَ الشُهْبَ تهوى والرِّياح
تغتلى موجا ورَجْما ودماء
والمسرَّاتُ الهَشيم
ويعود الكهْف شمساً
ليقومَ العاشقون



المخترعون الشباب في المدينة القديمة

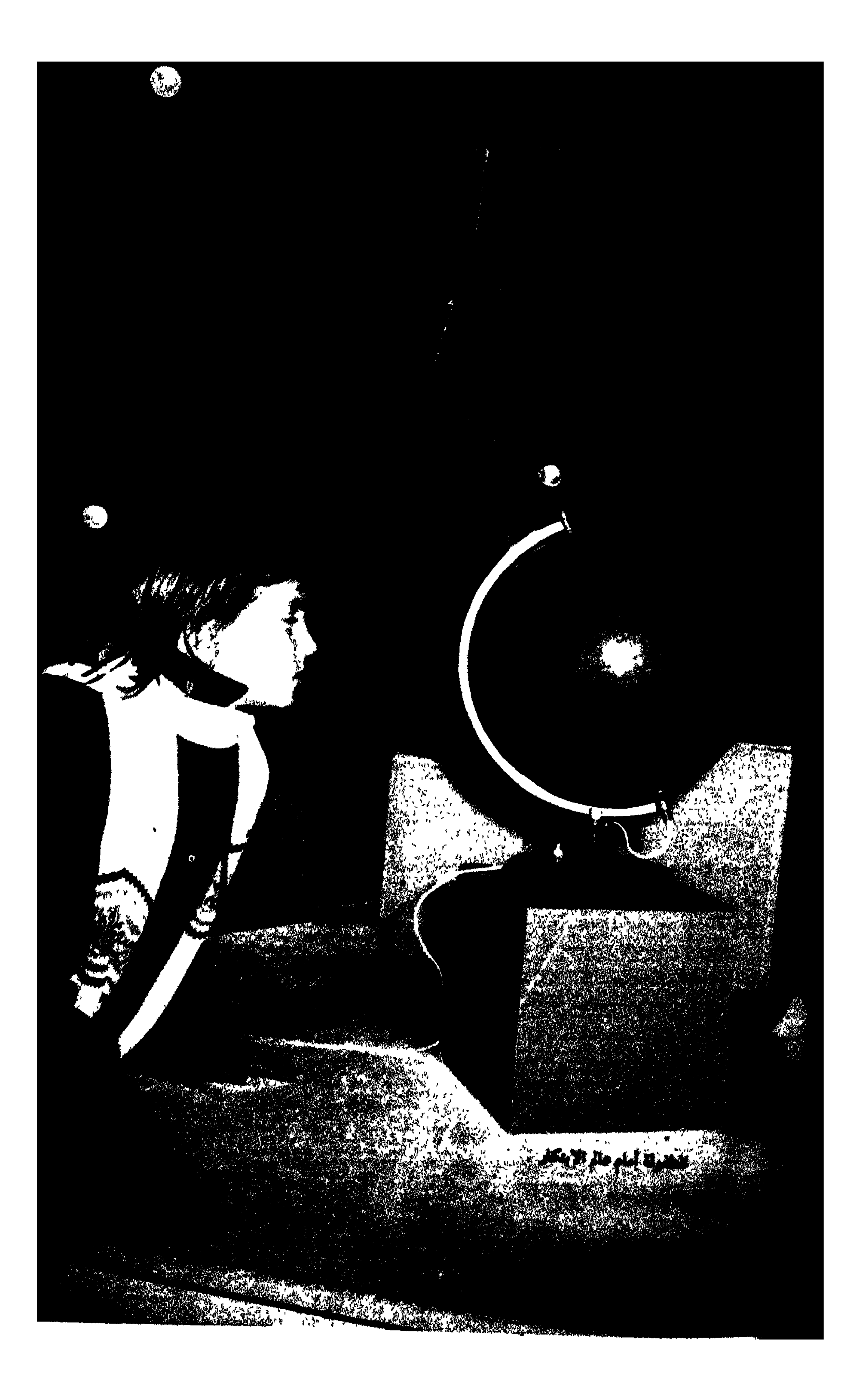
[illegible]

[illegible]

كان ذلك في بلوفديف البلغارية التي يعني اسمها « مدينة فيليب » نسبة الى الملك فيليب المقدوني والد الاسكندر الاكبر ، التي يعود تاريخ بنائها الى القرن الرابع قبل الميلاد ، وفي عام ١٩٥٦ أعلنت الحكومة البلغارية القسم القديم فيها بأكمله متحفا وطنيا ، فيما امتدت العمارة الحديثة في جميع الاتجاهات ، وسط غابة الأشجار المحيطة بالمدينة ، لتتشكل بلوفديف الحديثة

ذات صباح شتائي

ذات صباح شتائي كنا هناك ، مع بوجدانوف ومارينا ، اللذين رافقانا خلال جولتنا البلغارية . كانت البداية في المدينة القديمة التي تحولت الى مدينة حية ، حيث يقيم حاكم بلوفديف الحالي في أحد منازل المدينة القديمة بينما تحولت الابنية الرسمية والحكومية القديمة الى مقار للادباء والكتاب والفنانين ، فيما تحولت المنازل الأخرى الى



متاحف صغيرة ، أو مسارح حالية للحياة اليومية لارستقراطيه بلوفديف في القرنين الماضيين

الأزقة القديمة ، والأسقف المزخرفة ، والسلالم الحجرية ، والطرق المتعرجة ، والأقواس الضيقة التي تفصل بين بنايتين ، أو تصل بينها ، هي المكونات التي تمر أمام ناظريك ، كلما أمعنت في المسير في شوارع بلوفديف القديمة المرصوفة بالحجارة الملساء

دخول زقاق لا يغني عن دخول زقاق آخر ، ورؤية بيت لتاجر قديم لا يغني عن رؤية بيت آخر ، بل ان دخول غرفة لا يغني عن دخول الغرفة الأخرى ، فالتنوع في الألوان والأشكال والتصميمات الهندسية أمر من ألا يلاحظه العين

وداخل بيوت التجار القديمة ، التي تحولت الى متاحف أو دور للرسميين ، أو معارض للاتحادات التي تحظى باهتمام كبير هناك ، يفاجئك التنوع في الطراز الذي يختلف من غرفة الى أخرى ، وتدهشك الهندسة التي تنتمي الى أكثر من عصر وطراز في البيت نفسه

وكأنما التناقض كان سرنا في هذه المدينة القديمة ، فقد دهبنا اليها لمشاهده أحدث ما توصلت اليه اختراعات المتكرين الشباب في هذا العالم المترامي

فرح الحياة :

في عام ١٩٨٣ ، قررت بلغاريا الاحتفال بسنة الشباب بطريقتها الخاصة ، فقررت أن تكون مسرحا لفرح الحياة بالمعنى الذي رمى اليه رومان رولان ، فتبنت فكرة المنظمة العالمية للأذكياء ، وهي احدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة ، باستضافة « المعرض العالمي لمتكرات المخترعين الشباب » كنشاط مكمل لمهرجان الشباب العالمي الذي عقد في موسكو في العالم الماضي

وهكذا وجهت الدعوه للمخترعين الشباب الذين لا تزيد أعمارهم عن ٤٠ عاما ، لعرض مبتكراتهم ومخترعاتهم في كافة المجالات العلمية ، فلبى الدعوة ٧٤ بلدا ، بالاضافة الى بعض الشركات والمؤسسات وبعض المخترعين الذين اشتركوا بجهد فردي ، فماذا ضم معرض المتكرين الشباب ؟

أنت تعرف ولا شك ، عزيزي القارىء ، شيئا عن الجهاز الذي يسجل المعلومات المعطاة له عبر الهاتف ، في حال عدم وجود من يرد على الهاتف ، حيث يسجل اسم المتحدث وعنوانه وأي رسالة يراد منه توصيلها ، لكن ما يكفل فايدر ، من ألمانيا الاتحادية ، استطاع تحويل المعلومات المذكورة الى رموز لغوية يحلها جهاز « السكرتير الالكتروني » الذي هو عبارة عن كمبيوتر شخصي دقيق ، كل ذلك دون أي موصل كهربائي بين شبكة الاتصال الهاتفية ، والجهاز الذي يمكن وضعه في جهاز الهاتف نفسه

المعلومة المهمة التاليه بعد كل هذا الشرح الذي اختصر معلومة تبدو معقدة بالنسبة لكثير من القراء هي ، أن فايدر هذا يبلغ من العمر ١٩ عاما

وتصدرت الجناح السوفيتي سيارة برمائية قريبة الشبه من سيارات السباق ، وقد صنعت بأكملها من البلاستيك ، وتبلغ سرعتها القصوى ٢٠٠ كم في الساعة ، وعدا المحرك فان كل ما في هذه السيارة من تجهيزات وتمديدات وأنظمة هي من صنع الشابين ديمتري ٢٤ سنه ، وعيناديف ٢٥ سنة ، وهذه واحدة من ٧ سيارات تقدم بها مخترعون سوفييت شباب ، الا أن كثيرا منها رفض لمشاركتها في معارض أخرى سابقة

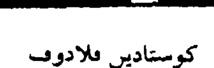
وفي جناح بلجيكا ، استراح جهاز بيضاوي الشكل أبيض اللون ، أشبه بالصحون الطائرة التي نسمع عنها ، ويمكن فتح الجهاز من الزاويه العليا فيه ، ليكشف عن فراغ داخل الجهاز الذي يتسع لشخص واحد للجلوس والنوم

ويقول المخترع البلجيكي الشاب عيلسون ديديه الذي يبلغ من العمر ٢٤ سنة أن هذه « الحجرة » مفيدة لعلاج المصابين باكتئاب ، أو بتعب ذهني ونفسي ، حيث توضع كمية معينة من الماء بدرجة حرارة لا تزيد عن ٢٥ مئويه في أرضية « الحجرة » ، وتغلق الفتحة بإحكام ، ويقول ديديه أنه بعد ١٠ - ١٥ دقيقة يخرج المكتئب وهو يشعر بالراحة والنشاط ومزاج رائق

الايكوموبيل :

ويبدو أن السيارات تنال اهتمام كثير من المخترعين الشباب ، فقد صمم فرانز شميدت من ألمانيا الاتحادية « سيارته الايكولوجية » ، كما يسميها ، التي





كوستادين فلادوف — أقسيمان مصطفى — عمدة مدينة بلوفديف

جمع فيها مرايا السيارة ومرايا الدراجة الهوائية ، وقد صمم شميدت ، البالغ من العمر ١٧ عاما فقط ، السيارة بغطاء زجاجي يمكن الرؤية من خلاله ، كما يمكن فتحه عند الحاجة ، أما العجلات الشبيهة بعجلات الدراجة فهي غير مرتبطة بمحرك ، لذلك فهي لا تخرج عادم السيارات ولا تلوث البيئة عند تحركها ، ومن هنا جاء اسم « السيارة الايكولوجية » اي « السيارة النبيهة » إن جاز التعبير ، فهي تعمل بدّالات خاصة شبيهة بدّالات الدراجة ، وكما ذكرنا فليس هناك عادم يلوث الجو ، رغم أن التجارب أثبتت امكانية تركيب محرك كهربائي للسيارة في المستقبل

وبلغ طول « الايكوموبيل » كما يطلق عليها البعض ٢٠٥ سم ، وعرضها ١٠٢ سم ، وارتفاعها ١١٠ سم ، وتزن ٣٨ كغم ، أما السرعة القصوى للسيارة الايكولوجية فهي ٥٨ كم في الساعة .

في الجناح البلغاري كان اختراع بولي توتيف مثار اهتمام كبير لعمليته وجدته ، فقد صمم توتيف جهازا للتدريب على السباحة ، يختلف كليا عن أسلوب الزحف التقليدي ، ويستخدم هذا الجهاز في الماء ، أي في الوسط الطبيعي للسباحة ، حيث يأخذ ذراع الطفل ليوصلها الى المسار النهائي لذراع السابح ، وذلك حسب المقاييس الدولية ، ولا تستخدم في هذه الطريقة اللوح الخشبي الذي كان حتى الآن أساس جميع طرق تعليم السباحة ، مما يفترض التدريب الفردي وليس الجماعي كما هو الحال في هذا الاختراع

وقد أثبت جهاز توتيف فعاليته من خلال التطوير الشامل لآلية الحركة الطبيعية للأعضاء ، ضمن ظروف بيوكيماوية وهايدروديناميكية مناسبة

ومن الدلالات على فعالية هذا الجهاز أنه خفف بنسبة ضعفين أو ثلاثة من المدة اللازمة لضبط عملية السباحة بطريقة الزحف التقليدية

العلم والخيال العلمي :

وفي الجناح الكوري امتزج العلم بالخيال ، دون أن يكون لذلك علاقة بقصص الخيال العلمي الشهيرة ، فقد تمكن المخترعون الكوريون الثلاثة مون بن هو ، وتشي بن هي ، وورودو ، من ابتكار جهاز يمكن بواسطته رفع مازنته ٤٦ طنا الى علو ١٥٠ مترا ليرفعوا شعلة تزن كل هذه الأطنان ، فوق أعلى نصب في العالم تقيمه كورياالشمالية في عاصمتها بيونغ يانغ .

ليست هذه أكثر من عينات لما شاهده زوار المعرض العالمي لمبتكرات المخترعين الشباب في مدينة بلوفديف البلغارية القديمة ، في جولة قصيرة لمشاهدة نماذج من اختراعات شباب العالم .

فقد كان علينا أن نقابل كوستادين فلادوف عضو لجنة تنظيم المعرض ، ومدير مركز الابداع العلمي والتقني للشباب في بلغاريا ، لنعرف المزيد عن

المعرض الذي كان فكرة ثم حقيقة شاهدناها ذات شتاء .

قال فلادوف ان هذا المعرض الأول من نوعه في العالم ، ومن هنا كان طبيعياً أن تبرز صعوبات هي على الدوام دليل الحد الفاصل بين الفكرة والتطبيق ، ومع ذلك فان جهودا كبيرة بذلت لانجاح المعرض ، وفي ضوء هذا النجاح ستقرر المنظمة العالمية التي لها مكتب خاص امكانية عقده مرة أخرى .

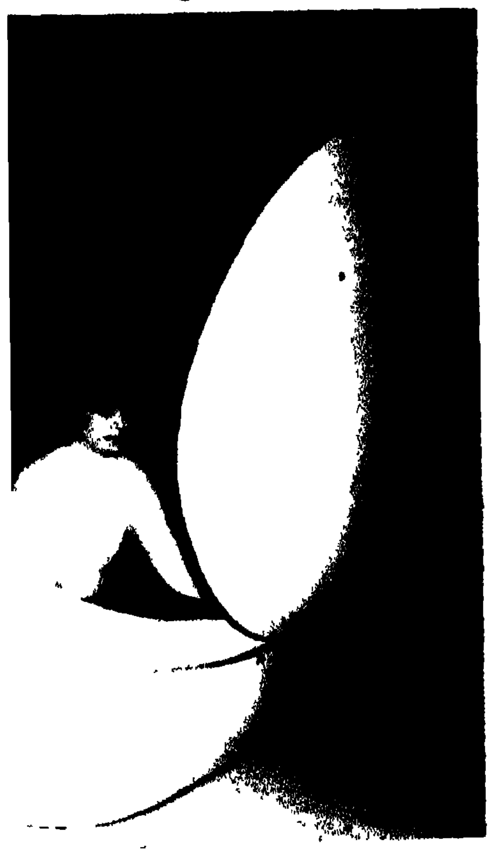
وأضاف فلادوف قائلا : ان هذا المعرض مهم جدا بالنسبة لنا ، ونحن نعتبره وسيلة للتقريب بين شباب العالم كله ، من البلدان الشرقية والغربية ، المتقدمة والنامية ، لذا ففي كل يوم تعقد ندوات ومؤتمرات على هامش المعرض ، فهناك مؤتمر حول السلام في العالم ومسابقات في الأزياء ، والابتكارات الحديثة ، وهناك أيضا مكان للأدب في هذا المجتمع العلمي الكبير ، حيث عقد ٢٥٠ من كتاب قصص الخيال العلمي مهرجانا لهم على هامش أنشطة المعرض .

اضافة الى ذلك ، فان هناك يوما لكل بلد شارك في المعرض ، حيث تعرض صور من حياة هذا البلد ، ونماذج من أسلوب الحياة فيها . . الخ .

أقسيمان :

في هذا الجو العلمي الذي يجمع العبقرية والتسلية ، والفن وتقدم الانسان ، كان لا بد لنا أن نتساءل عن مكان الشباب العربي في مثل هذه المواقع ، وكان الجواب ، عليكم اذن مقابلة أقسيمان ، فعند أقسيمان الخبر اليقين ، فأضفنا سؤالا آخر من هو أقسيمان هذا ؟ وجاء الجواب من أقسيمان نفسه .

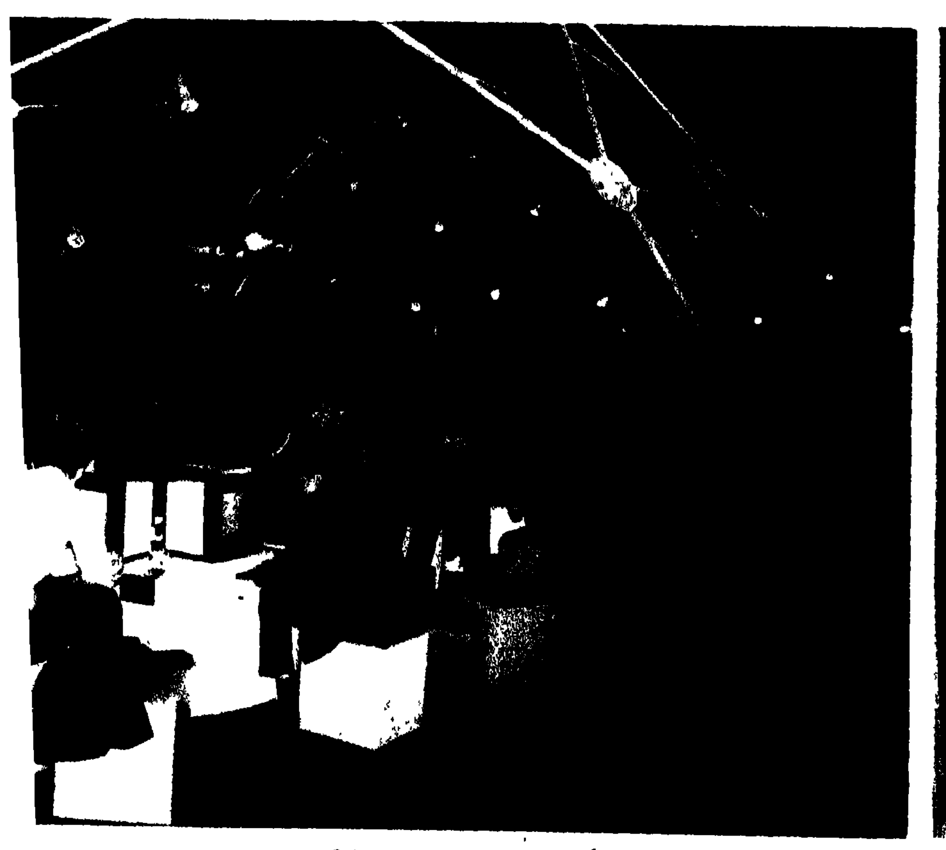
أقسيمان مصطفى ، هو رئيس الجمعية المغربية للمخترعين التي تضم ٥٠ عضوا ، ومقرها الدار البيضاء ، وقد شاركت الجمعية المذكورة بـ ١٢ اختراعا ، قدمها ٤ من المخترعين الشباب المغاربة ، وفاز أحدهم بميدالية ذهبية عن اختراع يمكن من



البيت البيضاوي.. للاسترخاء والتخلص من الاكتئاب .



المسرح القديم يطل على شوارع المدينة الحديثة .



أطفال بلغاريا وتكوينات فضائية من صنعهم .

خلاله التحكم بالانارة العمومية ، وإنارة المطارات ، كما يستخدم في حوادث الحريق

اذن ، فقد كان للمخترع العربي الشاب وجود في لمعرض حيث شارك مخترعون من تونس والسودان والعراق والجزائر . وفاز مخترعان من العراق والسودان بميدالية ذهبية لكل منهما

ولكن ، ماذا يقول أقسيمان الذي يشغل أيضا منصب رئيس « اتحاد جمعيات المخترعين الأفارقة » ؟

يقول أقسيمان « كانت فكرة تكوين فدرالية للمخترعين الأفارقة قد طرحت عام ١٩٨٣ ، في جنيف ، لكن شيئا ملموسا لم يتحقق في هذا المجال ، الى أن جاءت الفرصة في هذه المدينة بالذات ، بلوفديف ، فقد لاحظت حضور أعداد مهمة من المخترعين الأفارقة ، يعيشون نفس المشاكل تقريبا ، وفرت استغلال المناسبة ، فأجريت اتصالات مع رئيس جمعية المخترعين الجزائريين ، وبادرنا نحن الاثنين بالاتصال مع رؤساء جمعيات المخترعين الافريقية ، وخلال وقت قصير جدا لم تصادفنا فيه مشاكل تذكر ، أنشأنا الفدرالية التي ضمت كلا من الجزائر ، وساحل العاج ، والكونغو ، وأثيوبيا ، والمغرب ، ومصر ، ونيجيريا ، والسودان ، وتونس ، وتنزانيا ، وزيمبابوي ، وموزامبيق ، وتشكلت لجنة تنظيمية مؤقتة برئاستي ، وشغل ممثل زائير منصب نائب الرئيس ، وممثلو كل من زائير والسنغال وتنزانيا وزيمبابوي أعضاء » .

العرب والأفارقة :

ولكن لماذا اتحاد للمخترعين الأفارقة وليس للمخترعين العرب ؟ يجيب أقسيمان . « أعتقد أن مثل هذا المشروع يحتاج الى دراسة ووقت كبيرين ، فالمخترعون العرب غير مرتبطين ببعضهم ، ونحن في المغرب مثلا ، لا ندري شيئا عما يجري في بلدان الوطن العربي الأخرى ، في هذا المجال الحيوي والمهم ، وفي اعتقادي أن الخطوة الأولى يجب أن تكون داخل كل قطر عربي على حدة ، حيث يصبح للمخترعين العرب جمعياتهم القطرية ، وبعد ذلك ، يبدأ العمل في سبيل انشاء فدرالية أو اتحاد عام لهم ، وبالمناسبة ، فانا الآن بصدد انشاء جمعية تضم مخترعي المغرب العربي ، أعتقد أنها يمكن أن تكون نواة لفدرالية عربية تضم كل المخترعين العرب

سألنا أقسيمان عن الفرق بين اختراعات العرب واختراعات الآخرين ، فجاءنا الجواب يحمل من العلمية بقدر ما يحمل من الخطورة « ان مستوى المخترعات العربية جيد نسبيا » ثم قال أقسيمان « لكن من الممكن أن تكون هذه المخترعات أفضل بكثير لو أسعف لمخترعينا العرب الامكانيات المادية والمعنوية ، وأعتقد أن اهم ما يجب أن يتجه اليه المخترعون العرب هو تطوير التقنية المحلية ، فالمقصود بالاختراع حل مشاكل المجتمع نفسه ، دون أن يعني ذلك توقف تطوير التقنية الحالية ، وبذلك نكون قد تقدمنا تقنيا ، وساهمنا في حل مشاكل مجتمعنا ودعم اقتصاد بلادنا ، فالاختراع هو أساس المستقبل ، كما هو أساس الحرية ، لأنه الخطة الأولى نحو الاستقلالية ، وعدم الاعتماد على الغير ، وفي الجناح البلغاري هناك مخترعون لا تتجاوز أعمارهم ١٦ سنة ، ومع ذلك فان مخترعاتهم تضاهي ابتكارات المخترعين العالميين الآخرين»

الحاجة .... والاختراع :

في جناح تونس كان المهندس صدّيقي فتحي ، التونسي الذي سجل باسمه ١٤٣ اختراعا ، معظمها في حقل الصناعة الغذائية ، وهو يعمل نائب مدير في وزارة الطاقة بتونس ، ويقدم صدّيقي فتحي نفسه قائلا « أنا رجل أعمال بالحرفة ومخترع بالهواية »

يقول فتحي عن علاقته بالاختراعات « لقد قدمت اختراعي الأول عندما كنت في الثانية عشرة من عمري ، وقد سرت بسرعة في هذا المجال الذي تخصصت فيه ، وحتى في ذلك الوقت المبكر كان هدفي تحقيق أقصى قدر من الاقتصاد » ، ولا يزال « الاقتصاد » بهذا المعنى ، دافعه الأول للاختراع ، فالاختراع الذي شارك به فتحي في معرض بلوفديف وحاز عنه على ميدالية ذهبية ، كان جهازا لضغط القهوة ، يحصل منه المستخدم على خلاصة القهوة مركزة بنسبة ضعفين أو ثلاثة ، مع خلوها من مادة الكافيين ، ويضيف المهندسين فتحي قائلا ان الفكرة

وراء هذا الاختراع بدأت عام ١٩٧٥ ، عندما كانت تونس متوقفة عن استيراد « القهوة المحلوله » ، رغم أنها كانت تمتلك المادة الخام لانتاجها ، وكانت النتيجه ان تمكن المهندس فتحي من اكتشاف تقنية معينه تم تطبيقها فورا ، وذلك لايجاد خلاصة ليس للقهوه فقط ، بل لأنواع الأغذية المختلفه من الفواكه والخضراوات واللحوم والأسماك ، وبفضل هذه التقنيه ، فان كل ١٠ كغم كانت تنتج خلاصة قدرها ١٠٠ غرام مركزه بنسبه العشرين ، و ٥ غرامات مركزة بنسبة الثلاثه أضعاف

ويقول فتحي أن منتجي الأسماك يبدون اهتماما خاصا باختراعي الذي لا يتضمن أي مواد كيماوية ، رغم ان هذه الخلاصه تحتفظ بالفيتامينات والبروتين ، والرائحه والنكهه المميزة للمادة الغذائيه

لكنه يضيف بينا مهما لنجاح هذا الاختراع الخاص بالقهوة . « فالقهوه مشروبي المفضل » كما يقول ليثبت مجددا ان « الحاجة أمّ الاختراع »

ارقام وحقائق

وحتى نوضح الصورة فيما يجري في عالم الاختراع ، نذكر ان في بلغاريا ١٣٧,٦٦٤ مخترعا بينهم ٣٩,٤٠٠ من المخترعين الشباب ، بينما يزيد عدد المخترعين الشباب في الاتحاد السوفياتي على المليونين ، ويزيد عدد المشتركين في اتحاد عموم المخترعين الشباب في الاتحاد السوفياتي على ثمانية ملايين ونصف المليون ، وهم ليسوا بالضرورة مخترعين ، بل مرتبطين بالعلم والاكتشافات العلمية بشكل أو بآخر ، ولا عجب فالاتحاد السوفيتي يأتي في المرتبة الأولى ، من حيث عدد الاختراعات التي تسجل فيه سنويا ، ففي عام ١٩٨٤ على سبيل المثال سجل هناك نحو ٢٠٠ ألف اختراع

ولو أخذنا كمقياس ، عدد طلبات براءة الاختراع بالنسبة لعدد السكان ، فان اليابان تأتي في المرتبة الأولى ، يليها الاتحاد السوفيتي ثم الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية ، بينما تأتي بلغاريا في المرتبة الثامنة .

ونترك هذه الجولة في عالم الأرقام والعلم والاختراع ، وهذه الرحلة في عقول الشباب النابغ لنخرج الى الشارع

خرجنا من مبنى المعرض الضخم ، من بين الأعمدة التي ارتفع عليها صف من الأعلام بكل الالوان ، كانت الأعلام ترفرف معلنة اسم البلد الذي جاء منه المدعون الشباب ، ليشاهدوا ما صنعه أقرانهم في الأرجاء الأخرى من العالم الفسيح ، الذي بات صغيرا مثل اعمار المخترعين الشباب ، وفي احد الأجنحة البلغارية الخمسه كانت مجموعة من الأطفال اختلط بهم بعض الصبية الأكبر سنا ، يعزفون على آلات موسيقية الكترونية من صنعهم ، وكان آخرون يلعبون بالأشكال الالكترونية التي تعرض على شاشات التلفزيون العديده المنتشرة في قاعه الألعاب التي تناثرت داخلها الاشكال العصائية والمدارية ، وكان صخب الأولاد يمتزج بأصوات تحاكي أصوات الفضاء التي اعتدنا على سماعها في أفلام الخيال العلمي ، ولكننا بالتأكيد لم نكن نتخيل ، فالناس حقيقيون كما هي الألعاب حقيقية ، والأكثر مدعاة للدهشة التي دهشنا لنكشف سرها ، أن هذا الجو الخيالي بما فيه ، هو من صنع الشباب البلغار الذين بدأوا الابتكار في سن مبكرة ، ليملكوا المستقبل الاتي

خارج السور :

وخارج السور الذي احتوى معرض الشباب كان سكان المدينة القديمة يذرعون شوارع الجزء الحديث من المدينة ، تحت رذاذ المطر الخريفي الذي غسل المدينة وأقاص أنهارها وعلى التلال الثلاثة التي بدت أمامنا ، كانت مدينة فيليب القديمة تحتضن الكتاب والفنانين والمثقفين ، ورواد المقاهي والمتاحف الذين أصبحت المدينة مدينتهم ، وبقي المسرح الذي اكتشف على احد التلال القديمة ذات يوم في منتصف السبعينيات بين المنازل الحديثة .

كان المسرح الحالي يذكر الاحياء بنشاط وثقافة وحركة السابقين يطل على الشارع الحديث الذي مضت عليه سيارتنا ، ويحكي شيئا عن الماضي الذي لا مفر من ذكره ، كلما تحدثنا عن المستقبل الذي حاول المخترعون الشباب امتلاكه □



تأليف : خوجا احمد عباس

ترجمة : شوكت يوسف

خوجا أحمد عباس (ولد عام ١٩١٤) كاتب هندى معروف ، ألف العديد من الروايات ومجموعات القصص وسيناريوهات الأفلام . يكتب أعماله باللغتين الأوردية والانكليزية . بدأ ينشر نتاجه في الأربعينيات . يعتبر من أشهر [illegible] الهند المعاصرين ، وقد ترجمت [illegible] لغات عديدة .

ـ أمدّ الله في عمرك يا أفندى (١) . . باركك الله يا افندى . . أعطني خبزا لزوجتي وابنتي ، أرجوك يا سيد . . سيدعوان الله أبدا أن يوفقك وأولادك يا أفندى . .

ـ اذهب من هنا . . اذا كان عندك ابنة وزوجة فلماذا لم يحضرا بنفسيهما الى هنا ؟

جفل رامو من هذه الكلما[illegible] جانبا بصمت متأبطا [illegible] [illegible] الناس أن زوجته وابنته لا تخرجان [illegible] [illegible] [illegible] من الجيران ؟ [illegible] (٢) واحد فقط [illegible] من زوجته [illegible] عشر روبيات لقاء [illegible] ولكن لم يكن ممكنا أن يعثر في أى مكان حتى

---

(١) في النص الأصلي وردت كلمة (ساركار) وهو لقب يطلق في الهند على الشخص الوجيه ، [illegible] صاحب الكلمة المسموعة لدى السلطات ويكون ، كقاعدة عامة ، من الأثرياء (المترجم)

(٢) زي يرتديه الرجال غالبا في الهند ، ويتألف من قطعة قماش واحدة (٢ ـ ٥ أمتار) تلف بطريقة ما حول [illegible] [illegible] (المترجم)



على واحد بعشرين روبية دار المنطقة التجارية كلها ، دخل المخازن الكبيرة والحوانيت الصغيرة ، وكان الجواب في كل مكان واحداً :

ـ لا يوجد عندنا دحوتي

للحقيقة قال له أحدهم ، عندما عرّج على حانوت صغير فيما يشبه الهمس :

ـ اذا كنت في حاجة ماسة أستطيع تدبير اثنين لك ، لكن سيكلفك ذلك خمسين روبية .

خمسين روبية ! عمل شهرا كاملا ومن الفجر الى المغيب كل يوم في نقل حجارة البناء ، ولم يكسب سوى خمس وعشرين روبية فمن أين له الخمسون ؟

غدا ذلك ، منذ ذلك الحين وهو عاطل عن العمل تقريبا بدأ العمل في ورشة لبناء ثكنات للجنود الأمريكيين ، لكن العمل توقف مع مغادرة الرعايا الأمريكيين البلاد ، ويستعدون الآن لهدم الأبنية التي شيدت على عجل وثمة نقص كبير الآن في مواد البناء ، وتوقفت نتيجة لذلك كل مشاريع البناء الخاصة تقريبا

وهكذا يعيش رامو منذ عدة أشهر دونما عمل . بحث وسأل عن عمل في شتى زوايا المدينة ، لكن عبثا وغدا الوضع أصعب بعد أن تدفق النازحون من البنجاب للعيش هنا . منذ يومين لم تذق أسرته الطعام ويبدو أنه لا مفر من طلب الصدقة هذا هو رامو الحجار عامل البناء الخبير يطلب الصدقة . . ولم لا ؟ ثمة بين النازحين سادة حقيقيون يعيشون ، مع ذلك ، على التبرعات في العالم

وفي هذا الصباح كان قد قرر فعلا أن يبدأ حياة جديدة ـ يخرج الى الشارع بيد ممدودة لكن الله خلصه ، انقذه من هذا الذل مع الفجر أتى اليه شاراخ دين وماريتا ونقلوا له خبرا مفرحا : هولرا ريلال يوزع على الفقراء خبزا وحلوى يقولون ان البلاد حصلت على « استقلال » ما ، ولمناسبة هذا الحدث العظيم يطعم الأفندي الجائعين . منذ زمن والأقاويل تسري عنه بين الناس يقولون انه شخصية مهمة ، وله صلات وثيقة بزعماء البلاد

في هذا اليوم العظيم يستطيع كل فرد أن يحصل ، دون بطاقة ، على أربعة أرغفة وقطعتي حلوى ، لكن هل تكفي حصة واحد ثلاثة أشخاص لم يذوقوا الطعام منذ يومين ؟ اه لو تمكنت من الحصول على حصتين أخريين لزوجتي وابنتي لكن لم تسفر جهودي عن شيء يجب ان يحضرا بنفسيهما ويستلم كلٌ حصته لكن ما العمل اذا لم يكن لديهما ثياب تستر عريهما ؟ آه ماذا لو أرسل الله له بضعة أمتار من القماش

في هذا الصباح بدا فعلا وكأن الله يستجيب لدعاء رامو ما ان وضع قدمه على رصيف (كونات ـ بليس) حتى أرسل له قطعة قماش ضخمة رائعة مخططه بألوان برتقالية ، بيضاء وخضراء ، وفي وسطها ، على أرضية بيضاء ، دائرة على شكل عجلة كانت قطعة القماش ترفرف في الهواء وغطت رأس رامو . هل من شك في أن العلي القدير قد خصه بها ؟ رفع رامو رأسه فرأى مئات قطع القماش الأخرى المتشابهة كانت تخفق على أسطح المنازل ، تتماوج بين أعمدة المباني وأمام الفنادق والمحلات . قال في نفسه . « من سيكون بحاجة لها في حين ثمة الكثير الكثير منها في كل مكان من المدينة غدا ذلك فهذه هبة من الله » ؟

لم ينتبه له أحد لشدة الازدحام الحاصل في الساحة طوى رامو قطعة القماش المخططة بالبرتقالي والأبيض والأخضر ، خبأها تحت ثوبه المهلهل وأسرع باتجاه البيت الآن غدا بمقدور زوجته وابنته الحصول على حصتيهما في منزل الأفندي

أعطى روجته الدحوتي الذي كان يرتديه وأعطت هي بدورها الساري [3] المهلهل لابنتها كي تستر به جسدها أما رامو فلف حول خصره وساقيه قطعة القماش المخططة الزاهية الألوان . ابتسمت المرأة وهي تنظر الى الزي الجديد الذي يلبسه زوجها . ما أجمل ابتسامتها بعد تلك الأيام المفعمة بؤسا وعذابا .

اتجهوا جميعا الى قصر الأفندي ، حيث كانت البقية الباقية من المتأخرين تأخذ نصيبها . كان ما تبقى من

(٣) الزي الوطني للنساء في الهند ويتألف من قطعة قماش كبيرة (٥ ـ ٧ امتار) تلفه المرأة حول جسمها وتعلق احد طرفيه على كتفها ، ويغطي الرأس احيانا (المترجم)

الخبز والحلوى أشبه بفتات ، لكنه ، مع ذلك ، كان بالنسبة لأسرة رامو بمثابه العيد الحقيقي عادوا في طريقهم الى البيت والبسمة تعلو شفاههم

عندما وصلوا الى (كوبات ـ بليس) في طريق العودة ، نادى أحد اصحاب الحوانيت المنتشرة على حاشي الطريق رامو

ـ إنيّ ، أنت من أين سرقت هذا العلم ؟

ـ علمٌ ؟ أي علم ؟ لا أعرف شيئا عن الأعلام

ـ آه ، ألا تعرف ؟ ما هذا الذى ربطته على مؤخرتك ؟

ـ هذا هذا

فجأة شعر رامو بالخوف ، حتى أنه لم يستطع التفوه بكلمة واحدة أحاط بهم الناس ، وازداد تجمع المارة حولهم خلال ثوان

ـ نعم ، هذا العلم كان معلقا على حانوتنا ونحن نبحث عنه

ـ انظروا الى هذا المعتوه ـ لف نفسه بالعلم ويتجول في الشوارع

ـ انزعوه عن هذا السافل

ـ اضربوه لص قذر

ـ استدعوا البوليس أين الشرطي ؟

ـ الى هنا ، الى هنا يا حضرة الشرطى هذا من اختصاص مخفركم

لم يكد يمسك الشرطي المتهم رامو حتى هجم عليه أحد الفتيان ، ونزع عنه بحركه عنيفة العلم زعقت زوجته وأدارت ابنته وجهها الى جانب آخر ، ودفنت رأسها بين يديها كي لا ترى عورة أبيها

ـ حا ـ حا ـ حا . . حي ـ حي ـ حي

كان ضحك وقهقهات الجمهور المحتشد في المكان ، كوابل حجارة تساقط على جسد رامو العارى . تمنى في هذه اللحظة شيئا واحدا فقط . لو أن الأرض تنشق تحت قدميه وتبتلعه .

أشفق على حاله أحد المارة الطيبين وناوله شالا ستر رامو عورته ، رفع رأسه ونظر الى جلاديه كانت الدموع في عينيه . . . كان مستعدا لكل شيء ـ لا بأس فليقتلوه وليضعوا القيد في يديه ، لكن ليأخذوه من هنا بأقصى ما يمكن من السرعة

ـ سأل رجل وصل المكان بينما كان الشرطي يقود رامو وسط الزحام ·

ـ ماذا فعل ؟

أجابه آخر وكان على ما يبدو من الفقهاء المطّلعين على قانون العقوبات

ـ اقترف ثلاث جرائم

ـ ثلاث جرائم ؟ كيف ؟

ـ أولا سرق

ـ وثانياً ؟

ـ أهان شرف الوطن (وأشار الى العلم) .

ـ وثالثاً ؟

ـ ظهر عارياً في مكان عام . وهذا أيضا أمر يعاقب عليه القانون .

حصل كل هذا بينما كانت ترفرف عالياً ـ كأنما تسخر من الجميع ـ آلاف الاعلام بألوانها الثلاثية الزاهية . □

حيلــــة

كان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يشبب بابنة معاوية بن أبي سفيان ويذكرها في شعره ، فقال الناس لمعاوية : « لو جعلته نكالاً ؟ » (صنعت به صنيعاً يكون فيه عبرة لغيره) فقال معاوية : « لا ، ولكني أداويه بغير ذلك » .

وحدث أن دخل عبد الرحمن على معاوية يوماً ، فأجلسه على سريره ، ثم أقبل عليه بوجهه وحديثه ، ثم قال : « إن فلانة ابنتي عاتبة عليك » . قال : « وفي أي شيء ؟ » قال : « في مدحك أختها وتركها » قال : « فلها العتبى وكرامة ، أنا ذاكرها وممتدحها » ، فلما فعل ، وبلغ ذلك الناس عرفوا أن عبد الرحمن كان كاذباً في تشبيبه بابنة معاوية ، لأن معاوية لم تكن عنده الا ابنة واحدة .



اعداد : يوسف زعبلاوي

أوغاريت ..

مهد الكتابة الهجائية وصانعة حروف الهجاء

أوغاريت حضارة ومدينة قديمة قديمة . ولكن آثارها بقيت طي المجهول حتى سنة ١٩٢٩ . فلا المؤرخون ولا علماء الآثار عرفوا أي شيء عن أوغاريت التي ظهرت حضارتها في الألف السابعة ، وازدهرت في الألف الثانية قبل الميلاد . . . وهكذا بقيت نشأة حروف الهجاء والكتابة الهجائية لغزا من الألغاز المستعصية . . . فهي اختراع أوغاريتي كنعاني ولا ريب . . نشره الفينيقيون ، وأخذه عنهم أهل الغرب والشرق . . ولكن الفضل في ابتكار الأبجدية انما يعود الى الكنعانيين الساميين



هذا ليس صندوقا ولكنه منزل أو - إن شئت - كوخ . يخص أحد الغرباء في أوغاريت ، ولو كان بيتا من بيوت الأوغاريتيين لكان قصرا رحبا منيفا

الذين استوطنوا أوغاريت ، واستقروا فيها قرونا عديدة . . قبل أن يرتحلوا عنها الى شواطىء لبنان . حيث تقوم الآن صيدا وصور وجبيل وغيرها .

من هم الأوغاريتيّون . . ؟

الكنعانيون ، وهم ساميون كما هو معروف ، هم سكان المنطقة الأصليون ، سكان سوريا ولبنان وفلسطين وما إليها . انتشرت جموعهم في أرجائها ، وسادت حضارتهم ومعتقداتهم شتى مدنها . . وذلك مد أقدم الأزمنة ، وحتى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد .

وكانت أوغاريت احدى تلك المدن الكنعانية ، وقد أثبتت حفريات البعثة الفرنسية أنها باشرت بناء تلك الحضارة سنة ٦٥٠٠ ق.م . . وأن حضارتها تلك سادت فبادت ثم سادت فبادت وهكذا . . . خمس مرات متعاقبة ، حتى بلغت أوجها في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد ، وغلب على تلك الحضارة الطابع التجاري ، فتألقت ثراء وترفا . . وتألقت

أيضا بابتكار حروف الهجاء التي استوجبت ابتكارها مصالحها التجارية . .

ومضت قرون وقرون ، والمنطقة تعيش في أمن وسكون . . . حتى كان القرن الثالث عشر قبل الميلاد . . . واذا بها تتعرض لانتفاضات ديمغرافية عنيفة ، ما انفك ناموس التاريخ يفرضها هنا وهناك ، بين حين وحين . . .

ومن تلك الانتفاضات أيضا ظهور الأراميين على مسرح المنطقة . . كانوا من البدو الرحل الذين تدفقوا في الصحراء الى شمال سوريا . . وغزوا أوغاريت وما حولها سنة ١٠٠٠ق.م . . . حتى اضطر الأوغاريتيون الى النزوح عن بلدهم ، والتوجه جنوبا الى سواحل لبنان . . . الى فينقيا . . .

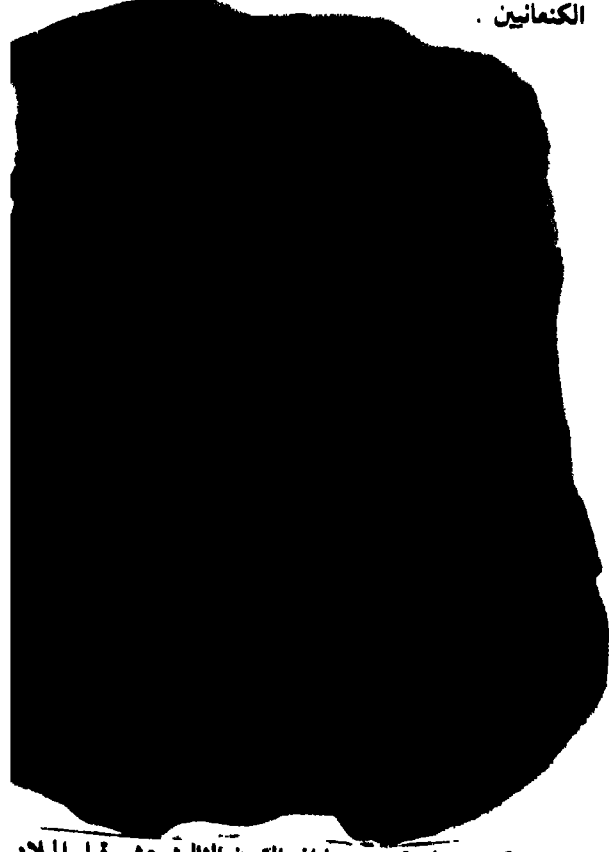
وما أسرع ما تكيف هؤلاء الكنعانيون وظروف البيئة الجديدة ، فأقبلوا على ركوب البحر ، واتقنوا الصناعات البحرية وخصوصا بناء السفن والملاحة والتجارة البحرية . . وما لبثوا أن انتشروا في مشارق البحر المتوسط ومغاربه ، وانشأوا الجاليات في قبرص ومالطة وصقلية واسبانيا وشمال افريقيا . . .

وكان الاغريق أول من صادف الكنعانيين ، وذلك في القرن الثامن الميلادي ، أيام ظهرت روما . . . وكان الاغريق هم الذين سموهم الفينيقيين بدلا من الكنعانيين ، وسموا موطنهم على شواطئ لبنان (فينيقيا) بدلا من كنعان أو لبنان . . واللفظ يوناني ، ويعني اللون الأرجواني . . . ذلك أن الفينيقيين تخصصوا في بيع الصبغ الأرجواني النادر والغالي الثمن ، وقد اتقنوا صنعه وتحضيره ، أو استخراجه من احدى فصائل السمك . . بل المحار الذي استوطن شواطىء لبنان أو فينيقيا كما سماها اليونان . .

ولطالما قرن المؤرخون بين الفينيقيين والكتابة الهجائية . . فقد دلت آثارهم على أنهم عرفوها واستعملوها ونشروها بين شعوب العالم القديم ، وبخاصة اليونان والرومان ، أما كيف بدأت تلك الكتابة الهجائية . .؟ ومن هم مبتكرو حروف الهجاء . ؟ ومن هم الذين طوروها حتى بلغت المستوى الذي بلغته أيام الفينيقيين . .؟ فتلك أسئلة بقيت ماثلة في الأذهان دون جواب ، حتى كانت حفريات البعثة الفرنسية في أوغاريت ، والمكتشفات



هذا هو تمثال الاله بعل . . إله الرعد . . وهو مصنوع من البرونز ، ومطلي بالذهب ، وكان الاله المحبب لدى الكنعانيين .



تمثال الآلهة العظيمة يعود بنا الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد

التي تمخضت عنها فثبت بما لا يقبل الشك أن الأوغاريتيين هم أجداد الفينيقيين ، وأن الكتابة الهجائية التي تألقت في عهد الأحفاد انما كانت من ابتكار الأجداد

القصر الملكي :

يعجب المرء للمساحة الفسيحة التي شغلها القصر الملكي في أوغاريت فهي لا تقل عن ١٠ دونمات من الأرض ولكن هذا القصر الذي تم اكتشافه من قبل البعثة الفرنسية السالفة الذكر لم يكن قصر الملك (يقارو) الشهير الذي لم يكتشف بعد ولم يكن خاصا بملك واحد فحسب وانما بمختلف الملوك الذين تعاقبوا على حكم أوغاريت في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد فقد درج هؤلاء على إضافة أجنحة خاصة بهم ، تلحق بالقصر الأصلي فتزيده حجما ومساحة

ولعل في تقسيمات القصر الداخلية الكثير مما يلفت النظر ، ويلقي الضوء على حياة أوغاريت ، فانت تدخله عبر باب فخم ، يؤدي بك الى ساحة داخليه مبلطة تفضي بدورها الى الأجنحة الملكية ولما كانت هذه الأجنحة كالقصور المستقلة ، كانت لها ساحتها الخاصة وكانت ذات (طابق) دور علوي أيضا .

ثم تدخل بابا ثانيا داخل القصر فتنتقل عبره الى المقابر الملكية والجناح الذي شيد فوقها ويقابل هذا الجناح مقصورتان أوت احداهما الجزية ، وآوت الأخرى الوثائق الرسمية ، ويتضح لك مدى اهتمام حكام أوغاريت بشؤون المال والارشيف ، في كثرة ما اشتملت عليه المقصورتان من غرف تذكرك بمكاتب وزارات المالية ، وحفظ الوثائق في هذه الأيام

ثم تجد نفسك أمام فرن أو محرقة استعملوها لشي ألواح الطين . وقد بدا لك بمحاذاتها مذبح شيدوه في وقت لاحق .

ولو أنت نظرت الى الشرق لرأيت جناح الصاغة . وقد اكتشفوا فيه الكثير من المنحوتات العاجية . بما في ذلك رأس التمثال الشهير ، وهو رأس إله الحرب ، وقد تصوره أهل أوغاريت شابا وسيما ، خلافا لما كان عليه إله الحرب في أساطير اليونان والرومان وسواهم .

ولا يخفى أن رأس التمثال كان مطعما بالبرونز والذهب (انظر الصورة) ، أما المنحوتات العاجية فكانت بمثابة الهدايا التي قدمها ملوك أوغاريت الى الملوك الآخرين وثمة باحة أخرى تصل اليها بعد أن تجاوز الفرن والمحرقة انها مقر وزير التجارة ، وتلي تلك الباحة الاسطبلات ، وقد بلغ طولها نحو ٢٩ مترا ثم تلي هذه الاسطبلات مدرسة الفروسية يأتي بعدها بيت العربات (الكراج) آخر أقسام القصر الملكي

وتجدر الاشارة الى أن هذا القصر الملكي الفخم ليس قصر الملك يقارو الشهير فذاك قصر أكبر وأفخم ولكنهم لم يعثروا عليه بعد (١٩٨٥)

التجارة والصناعة :

نشطت الصناعة في أغاريت . وقد أقاموا سوقا معطاة لها في الجنوب من المدينة ، وكثر النحاسون والصياغ بين صناعهم وما أكثر ما عثروا عليه من سبائك ذهبية وفضية ناهيك بالتماثيل العاجية والنحاسية الموشاة بالذهب والفضة .

إلا أن التجارة كانت مصدر الثراء الرئيسي في أوغاريت ، وكان لموقعها على تقاطع الطرق أثر كبير في ذلك فقد كانت بحكم المحطة للقوافل التي حملت السلع من كريت وقبرص الى بلدان الشرق

وتجلى الثراء أكثر ما تجلى في قصور النبلاء والأمراء ، المقامة الى الشرق من القصر الملكي فقد كثرت فيها الحمامات والمراحيض والأنابيب الخاصة بالنفايات . وكثرت غرفها حتى بلغ مجموع غرف قصر أحد المستشارين (واسمه رابانو) ٤ غرفة ، وذلك على الدور الأرضي فحسب .

الكتابة والمكتبات :

وكان للتجارة في أوغاريت جانب أو فضل آخر على الثراء ذلك هو الكتابة الأبجدية . فالتجارة هي التي لعبت دور الحاجة . الحاجة التي كثيرا ما تكون أم الاختراع . ذلك أن حرصهم على ا

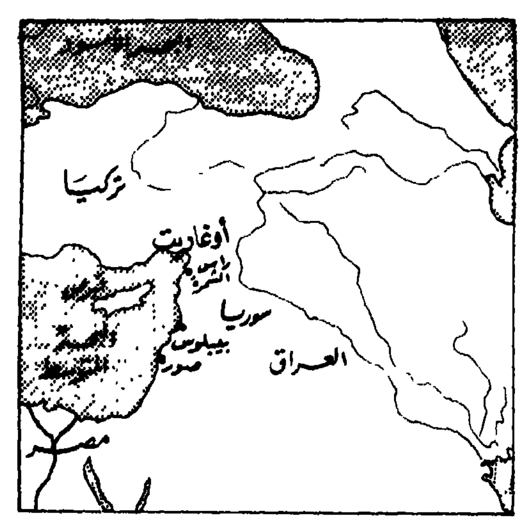
على علاقاتهم التجارية مع أقوام عديدة مختلفة ، حملهم على ابتكار الطريقة المبسطة التي يمكن لهم ولتلك الأقوام أيضا أن يكتبوا فيها لغاتهم المختلفة . . فكانت المهمة التي أسندت الى كتابهم هي العثور على تلك الطريقة وتطويرها فكانت الحروف الهجائية التي تمثل أصواتا ، والتي اذا جمعت تكونت الكلمات ، ومن الكلمات الجمل ، ومادامت اللغات جميعا قوامها الأصوات ، وكانت الحروف الهجائيه بحكم الوعاء المشترك الذي يتسع لكل من تلك اللغات والذي حل مشكلة الكتابة التي كثيرا ما استعصت على أصحاب تلك اللغات جمعا ولعل طغيان الكتابة الهجائية على الكتابة الصويرية والكتابة المقطعية وغيرها ، وانتشارها في الغرب والشرق ، لدليل على مزاياها المطلقة على تلك الكتابات الأولى وحسبك أن اليونان والرومان احتضنوا الكتابة الهجائية الأوغاريتية . التي وصلتهم عن طريق الفينيقيين الذين ورثوا الكتابة الأبجدية عن أجدادهم الأوغاريتيين . الذين طوروها بحيث أصبحت تكتب على ورق البردي

ومهما يكن من أمر فقد جنى الأوغاريتيون من اختراع الكتابة الهجائية ما توخوه وتمنوه ، من ازدهار التجارة ومنافع مادية ، الا أنهم لم يقفوا عند ذلك الحد فقد جنوا من الكتابة الهجائية أيضا الكثير من الفوائد الأدبيه والفكريه الى جانب المنافع المادية وليس أدل على ذلك من المكتبات العديدة التي اكتشفوها بين آثار أوغاريت ، نذكر من هذه المكتبات على سبيل المثال مكتبة وجدوها وسط سوق الصاغ وقد كانت بمثابة مدرسة لصغار القراء والكتاب ، واحتوت على الكثير من كتب التنجيم والأدب ، فضلا عن كتب التدريس والتدريب

المعتقدات الدينية :

والاله بعل (هداد سابقا) هو إله الرعد والاله داجون هو إله الزراعة عند الأوغاريتيين بالخصوبة إذن هي محور المعتقدات الدينية في أوغاريت

ولعل هذه المعتقدات لا تختلف كثيرا عن معتقدات الكنعانيين في فلسطين بل لعلها أوضحتها



خريطة تبين موقع أوغاريت
ورأس الشمرة في شمال سوريا

وشرحتها وكستها لحما وشحما طالما افتقرت اليه ، فقد امتنعت كتب بني اسرائيل الدينية عن التعلق على تلك المعتقدات بغير النقد والقدح

الطريف في تلك المعتقدات أنها كانت عبارة عن مسرحية اشترك في تمثيلها آلهة قديمة ومسنّة ، وأخرى حديثة وأصغر سنا وما أسرع ما سادت الآلهة القديمة على الحديثة بحكمتها ورزانتها . .

وتجدر الاشارة إلى الاله (إلْ) خالق المخلوقات جميعا فهو الوالد الرحيم الذي تجسدت في كلمته الحكمة كلها وقد تزوج من (عاشيرة) فكانت الالهة الدنيا مرتبة وبخاصة بعل وشقيقته الالهة أنات .

وجاء يوم أعلن فيه بعل وأخته الحرب على الاله المحط (موت) إلا ان النصر كان حليف(موت) هذا ، فكان مصير بعل الهبوط الى أرض الموتى ، وناشدت الالهة أنات (شقيقة بعل) ناشدت(موت) الابقاء على حياة بعل ولما رفض قتلته . وبالسكين ذبحته وبالنار حرقته وبالطاحونة سحقته . ثم لجأت الى الاله الأكبر (إلْ) وتوسلت اليه فرد الحياة الى بعل شقيقها . الذي كان زوجها في آن معا . فعاد الروحان الى حياتهما الروحية ثانية . □


مجلة الأسرة والمجتمع

حياة كاملة على

الشاشة المضيئة الساحرة

بقلم : راجي عنايت

يقفز العالم من حولنا . . وتقتحم ابتكارات العصر منازلنا ومخادعنا ، لتغير نمط الحياة وأسلوبها ، وتؤثر على ثقافتنا الاجتماعية بكل مافيها ، ماذا سيحدث لنا بعد ثورة ألعاب الفيديو والكمبيوتر الشخصي ، وماذا سيكون شكل العلاقات والحياة . . ؟

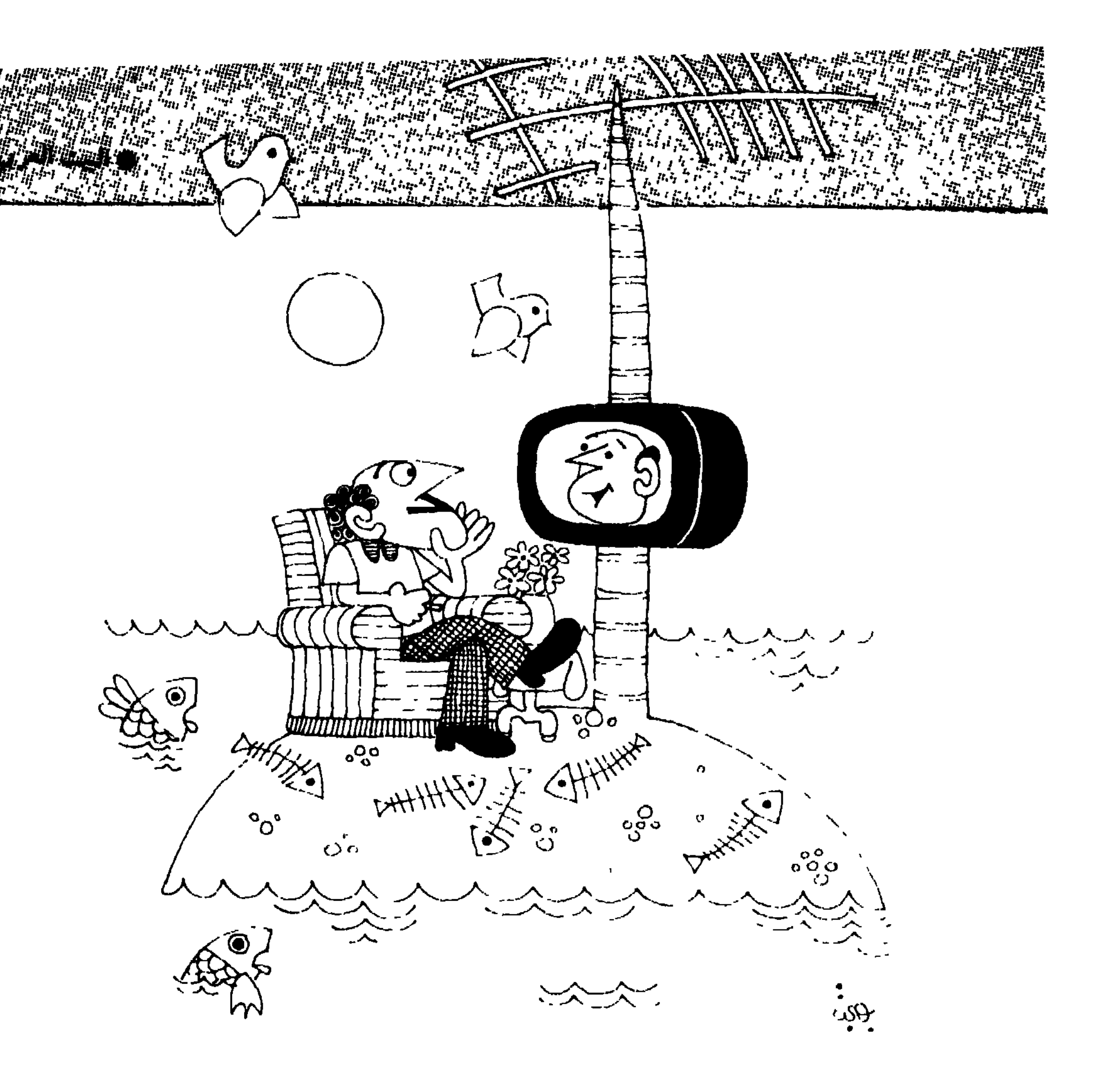
يبدو أنه قد كتب علينا أن تتقلص علاقاتنا البشرية يوما بعد يوم نتيجة لاعتمادنا أكثر على شاشة العرض المضيئة ، سواء كانت شاشة التلفاز أو شاشة جهاز الكمبيوتر الشخصي ، ويشغل علماء النفس والاجتماع هذه الأيام بتحديد مستقبل العلاقات البشرية ، في مواجهة الطفرة التقنية التي نعيشها والتي تتسارع في نموها بشكل لم يكن يتصوره أحد من قبل .

وإذا كنا نشكو حاليا من الارتباط المتزايد بين الأجيال الناشئة وشاشة التلفاز ، وندرس أثر ذلك على الصحة ، نتيجة للعادات البدنية المرتبطة بساعات المشاهدة الطويلة ونتيجة للأثر الضار للاشعاعات الصادرة عن الشاشة على سلامة الابصار وعلى الصحة بشكل عام ، كما ندرس الأثر الاجتماعي المترتب على تدهور العلاقات الأسرية ، بعد أن احتلت الشاشة مكان الصدارة في النشاط اليومي الانسان . . اذا كنا نبدي مثل هذه المخاوف الآن ، فمن حق علماء النفس والاجتماع أن يكشفوا عن قلقهم البالغ عندماتصلهم أخبار التسابق اللاهث الذي يجري في معامل البحث الالكتروني ، والذي يسعى لاعطاء الشاشة المضيئة مزيدا من السيطرة والابهار ، مما يجعلها أكثر جذبا للانسان وتأثيرا عليه .

من بين ذلك ، مايجري في ميدان قد لانتنبه الى مدى أثره على الأجيال القادمة ، ولانرى أبعاد زحفه على حياتنا . . نعني بذلك العاب الفيديو بأنواعها المختلفة ، سواء تلك التي تجري على أجهزة الكترونية صغيرة خاصة ، أو تلك التي تحتل المساحات الواسعة من أماكن التسلية والترفيه العامة ، أو تلك التي يمكن أن تتم باستخدام الكمبيوتر الشخصي .

سباق التتابع

والسباق الذي يدور بين الشركات التي تنتج العاب الفيديو أصبح أشبه سباق التتابع ، ما ان تطرح احدى الشركات تطويرا جديدا في الأسواق ، حتى تتسلم الراية شركة أخرى لتضيف الى ذلك



التطوير وتحديثه ، وسرعان ما تطرح انتاجها الجديد في الأسواق ، مسلمة الراية الى شركة أخرى

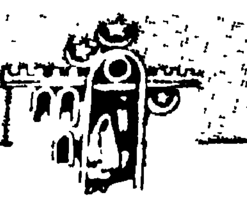
وهكذا ظهرت سلسلة من الألعاب الجديدة التي تثير التعجب والدهشة ، بعضها تتحدث اليه فتسرع الى تنفيذ اوامرك ، وبعضها تمارسه وانت فوق دراجتك في المحال العامة ، حيث وحدات ألعاب الفيديو الكبيرة (الأركيد) بل ظهرت الالعاب التي تحكم فيها أسطوانة الليزر متبادلة الفعل ، والتي خلقت نوعا من التأثير المتبادل بين اللاعب واللعبة مما نفى الدور السلبي للاعب

وبعد ان كانت حركة اللعبة على الشاشة في أول الأمر بدون ألوان وتتسم بالبطء واصبحت تطورت الصورة على الشاشة فأصبحت حية متدفقة بالألوان ، والمؤثرات الصوتية ، ثم بدأ العمل في تصميم لألعاب ذات الصور المجسمة على الشاشة التي تحدثت بك وتتحدث بها

الصورة المجسمة

● رغم السعي الحاد الذي تقوم به شركات التلفاز للوصول الى صورة مجسمة على شاشة لعبة الفيديو ، فإن هذا لن يحدث ، في أغلب الأحوال ، قبل عدة سنوات . لأنه يتطلب مواصفات خاصة في طريقة التسجيل والعرض والارسال والاستقبال ، تختلف عن الطرق المستخدمة حاليا

ومع ذلك فهناك نظام وحيد لألعاب الفيديو المنزلية يتيح لك أن ترى الأشكال مجسمة على الشاشة ، هذه اللعبة تباع ومعها شاشتها الخاصة ، وتسمى « فكتركس » وهي تفرض على اللاعب أن يضع نظارة خاصة فوق عينيه تتيح له أن يرى الصورة المجسمة



الصوت الصناعي المركب

والخطوة الأسهل من العصور المحسنة هي الوصول إلى لعبة تحادثك أنت، إذا أخطأت نبهتك، وإذا خالفت القواعد نبهتك، وإذا تكررت مخالفاتك نبهتك.

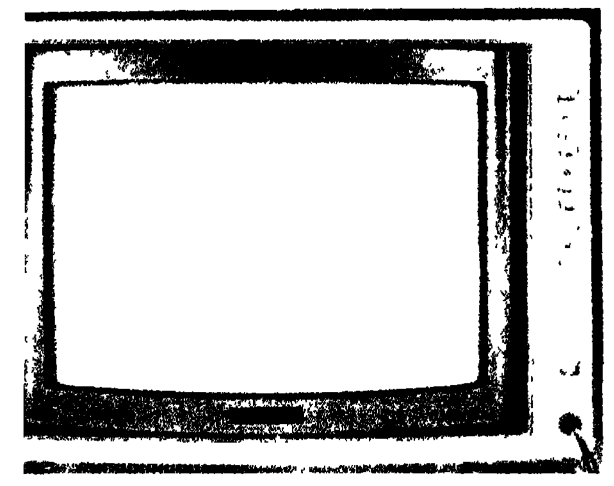
فمنذ سنوات، تمكن الباحثون من انتاج الكمبيوتر المتكلم الذي يمكن أن يتحدث إلى الإنسان بصوت مركب أو مؤلف، ورغم صعوبة تضمين هذه الخاصية بالكمبيوتر الشخصي لأنها سترفع ثمنه، وتعقد تشغيله، إلا أنه قد ظهرت عام ١٩٨٣، أجهزة اضافية يمكن توصيلها بالكمبيوتر الشخصي أو المنزلي، تسمح له أن يتحدث إليك.

وعلى الفور استفادت ألعاب الفيديو من هذه الامكانية.

من أنجح الألعاب التي استفادت من هذه الميزة، لعبة «قاذفة القنابل ب - ١٧» وهي لعبة حربية، تقود فيها طائرتك مستهدفا مجموعة من المعدات والمنشآت على احدى الشاشات، وعلى شاشة أخرى خريطة تحدد لك موقع طائرتك، وأنت تقذف بالقنابل الأخرى إلى أرض الأعداء في أوروبا، وهناك شاشة ثالثة ترى عليها موقع الأهداف التي تسقط عليها قنابلك وهكذا، حتى تبلغ الشاشات التي تستخدمها في هذه اللعبة تسع شاشات، تملك أن تستدعي الصور عليها، بالضغط على زر خاص في لوحة الأزرار

ولكن، كيف ستعرف أي الشاشات تعني، وإلى أيها تنظر؟

سيخبرك بذلك طاقم الطيران المصاحب لك. هذا الطاقم عبارة عن مجموعة أصوات توجهك، وتحذرك من الأخطار المختلفة، تنبهك إذا ما أبطأت عن السرعة المناسبة فتسمع صوتا يقول لك: «خطر خطر» وإذا ما حاولت طائرة العدوان تعقبك تمهيدا لقصف طائرتك، نبهك صوت آخر قائلا: «...» [illegible]



اللعبة الرياضية

ومما يشغل مصممي لعب الفيديو هذه الأيام، فكرة إدخال عنصر الرياضة البدنية على لعبة الفيديو، في مواجهة المخاوف التي أبداها الأطباء، من اضطرار الشخص إلى البقاء في مكانه، وفي وضع معين لساعات طويلة، خلال ممارسته للعبة. وقد أدخل المصممون بعض التطويرات التي تستوجب قيام اللاعب ببعض الحركات، بحيث تكون حركات الجسم وسيلة إلى التحكم في مسار اللعبة

وقد قدمت احدى الشركات أول لعبة فيديو رياضية، توفر للاعب التسلية التي كان يحصل عليها من لعبة الفيديو التقليدية، والفائدة التي كانت تعود عليه من ممارسة التدريبات الرياضية، وهذه اللعبة يمارسها اللاعب وهو فوق الدراجة الثابتة التي تستخدم مثلا في التدريبات الرياضية

في هذه اللعبة تكون عصا اللعب مثبتة في محور مقعد الدراجة، وفي نفس الوقت يقوم جهاز آخر بتحقيق صلة بين حركة عجلة الدراجة وبين ما يجري على شاشة جهاز لعبة الفيديو، وهذه اللعبة عبارة عن سباق بين السيارات وحركة اللاعب على المقعد يمنا أو يسارا تسمح بحركة السيارة إلى اليمين أو إلى اليسار، وإذا أراد اللاعب أن يسرع سيارته حتى

... [illegible] ... يكون عليه ... [illegible] ... في سرعة حركات (بدال) الدراجة

ويرجع الفضل في فكرة هذا النوع من الألعاب ... [illegible] ... الى ... [illegible] ... (... [illegible] ...) ... حول ... العاب الفيديو على شاشة ... [illegible] ... خاصة ... [illegible] ... [illegible]

مسح وتسجيل الدقائق

... [illegible] ... في لعب الفيديو ... [illegible] ... في ... اللعبة ... [illegible]

... [illegible] ... (... [illegible] ...) ... [illegible] ... اللاعب في مكانها ... اللعبة الجديدة ، وهذا يعني ... [illegible] ... ٢٠ ، ٤٠ دولارا ... [illegible] ... والملاحظ ... [illegible] ... ذلك الى ان ... [illegible]

... [illegible] ... الشركات ... [illegible] ... المسح واعادة التسجيل ... [illegible]

مشكلة وصول اصحاب الجمهور لعب الفيديو الى الجهاز الخاص مسح واعادة تسجيل رقعة الذاكرة في الخرطوشة

وفي محاولة لحل المشكلة انشأ عدة محال عدد للجمهور برامج خاصة تقتبس حوالي ٥٠٠ لعبة مختلفة ، فلا يكون على اللاعب سوى ان يذهب الى المحل ، ومعه الخرطوشة الخاصة الفارغة ، او عليها لعبة يريد تغيرها بعد ان سئم لعبها ، ثم توضع الخرطوشة في مكان مخصص من جهاز كبير ، وخلال دوائر ... قد حصل على لعبة جديدة في خرطوشته ، هذه المحال التي انشأها ، سربل » متصل بالمركز الرئيسي للشركة عن طريق خطوط تلفونية ، ينقل خلالها برامج الألعاب الى كل محل من المحال

الى أي مدى ؟

ومع تكافؤ الأبحاث التي جرى في مجال اسطوانة الفيديو ، وحركات الاشكال التي يرسمها الكمبيوتر على شاشته ، وارتفاع مستوى الذكاء الاصطناعي للكمبيوتر ، بدأ الحديث عن تقديم افلام سادلية الفعل ، وفيها لايكون هناك مسار معين لتتابع مراحل اللعبة انما يتوقف ذلك على القرار الذي يتخذه اللاعب في كل مرة ومع كل قرار سيحول الجهاز الى مشهد جديد ، تختاره فوريا من مكان ما على اسطوانة الفيديو ، بحيث تجيء مناسبا للقرار الذي اتخذه اللاعب

ورغم ان التقنية الخاصة بهذا النمط من العاب الفيديو قد توفرت ، الا ان تطبيقها حاليا يكون مكلفا ، مما يجعل الشركات المنتجة تحجم عن التصدي لانتاجها ومع ذلك فمعامل البحث الالكتروني التي لاتتوقف فيها العمل ، قادرة في الغد على تذليل هذه العقبات

واخيرا ، نجد انفسنا نتساءل الى اي مدى يصل اندفاعنا في الارتباط بهذه الشاشة المعدنية الساحرة ؟ □

وباء جديد اسمه البوليميا.. أو مرض النهم

بقلم : الدكتور عبد الكريم ابو شويرب

لم تهدأ بعد موجة الخوف من مرض الايدز Aids الذي هبت رياحه من الغرب حتى يفاجأ الشرق بوباء جديد مصدره الغرب أيضا وهو البوليميا Bulimia أو مرض النهم ، فقد بدأ وانتشر ثم استشرى بدرجة وباء بين نساء الغرب وفتك بالعديد،فهل تنتقل عدواه الى نسائنا في الشرق ؟

بدأ الاطباء في الغرب مؤخرا الانتباه لظاهرة الموت من التحمة ، وقدوصموا هدا المرض في السنوات الأخيرة بعد ظاهرة ارتفاع عدد الحالات المصابة به ، وحاولوا استقصاء اسبابه وأعراضه ، فلاحظوا أن البوليميا عبارة عن نوبات نفسية تصيب بعض المرضى ممن عندهم استعداد لذلك ، يفقد المريض خلال هذه النوبة غريزة التحكم في كمية الأكل الذي يتناوله ، مع شعوره بأنه مقدم على أمر غير طبيعي وعمل مخجل ، ولكنه لايستطيع ردع شعور النهم الذي يصيبه .

وادراك المريض لهذا الخطأ يدفعه الى التستر واخفاء أمره ، وكثيرا ما يصاب بالشعور بالذنب والكآبة في نهاية هذه النوبة ، ومرض البوليميا له مضاعفات خطيرة قد تودي بحياة المريض ولكنه قابل للعلاج والشفاء التام اذا تم تشخيصه وعلاجه في الوقت المناسب .

وكلمة بوليميا تعني تناول كميات غير عادية من الأكل وهذا ليس من خصال الانسان ، فغريزة الجوع تدفع الانسان الى الأكل ثم يكتفي بمقدار يتناسب مع سعة معدته التي تبعث تنبيهات (انعكاس عصبي) الى المخ حيث يشعر بالشبع والقناعة بما أكل . أما في حالات مرض البوليميا فتنعدم التنبيهات الأخيرة،لذا يستمر المصاب في التهام الأكل الى درجة يشعر معها بالضيق والغثيان ثم القيء .

أوصاف المصاب بالمرض :

يصيب هذا المرض بشكل خاص النساء ممن هن بين ٢٠ الى ٤٠ سنة من العمر ، ورغم وجود العديد من الاعراض التي يظهر بها المرض الا ان خلفية المريض ونوع شخصيته وسير المرض تكاد تكون واحدة في كل الحالات .



تقدر احصائية نسبة انتشار هذا المرض الى ٢٪ بين السيدات بصفة عامة في المجتمعات العربية ونسبة ٧٪ بين السيدات المترددات على عيادات تنظيم الاسرة ، وربما وصلت النسبة الحقيقية الى أكثر من ذلك نظرا لتستر المريض او اعتقاده أن الأمر طبيعي قد يتحسن بمفرده ، وكذلك لأن بعض الحالات قد تدخل مرحلة المضاعفات دون تشخيصها ، والمرض لايزال ضمن مجال الأطباء المتخصصين في الأمراض النفسية

ان معظم المصابين لهم شخصية جدية ممن يهتمون بدقائق الأمور ويتعلقون بالجدل والمناقشة ، وهم ممن يفضلون العمل في المؤسسات الأكاديمية ذات صبغة التدرج الوظيفي ، حيث تبادل الاحترام الطبقي وحبهم معروف للنظام ، ودقة مواعيد العمل،والجدية المتناهية اثناء ساعات العمل ، وعدا ذلك فهم متعلقون بأسرهم ومنازلهم ، وهن سيدات بيوت وأمهات وزوجات مثاليات .

نوبة المرض

تتراوح نوبة المرض من مرة أسبوعيا الى مرة شهريا في الحالات المعتدلة ، وتستمر لبضعة أيام تبدأ بشعور المريض بدافع لايقاوم من ألم الجوع وانفتاح شهية الأكل لالتهام وليمة غير عادية ، وطبعا على المصاب ان يجهز هذه الوليمة ، ولكن قلما يتناولها امام أفراد أسرته بل يفضل مكانا معزولا بعيدا عن أعين الناس ، ومعنى ذلك أن على المصاب أن يعد المكان والزمان المناسبين .

وقد يتناول بعض المصابين وليمتهم في أماكن ضيقة رديئة ، وآخر في خزانة ملابس وآخر تحت السرير ، وربما قام في ساعات متأخرة من الليل لاشباع غريزته هذه .

ويختلف نوع الأكل الذي يفضله المريض ، وعموما فهو بالدرجة الأولى من اللحوم أو النشويات



أو الحلويات ، وربما كانت مزيجا منها بالاضافة الى الفطائر والشطائر والفواكه وغيرها ، والأكيد انها تكفي لأربعة أشخاص على الأقل ، وربما أكثر من ذلك في بعض الحالات

وفي آخر نوبة المرض يشعر المصاب أولا بالراحة والرخاء النفسي وانه انجز عملا مطلوبا منه وبدافع داخلي وقوة أقوى من ارادته ، وأخيرا يشعر المريض بعذاب الضمير والكآبة ومحاولة التستر واخفاء ماتبقي من آثار الوليمة ، وذلك الى ان تتتابع نوبة أخرى حيث يستعد لها كسابقتها ، وربما جرى ذلك لعدة سنوات قبل ان تبدأ المضاعفات النفسية والجسيمة في الظهور على المريض

أعراض المرض

قد يبقى المرض دون تشخيص مدة طويلة نظرا لتحاشي مراجعة الطبيب في المراحل الأولى ، اما في مرحلة المضاعفات فإن التشخيص والتقاط الحالات امران يسيران

وقد يلجأ المريض الى أساليب وحيل متعددة يكيف بها نوبات المرض داخل منزله ومع أسرته واصدقائه ، وقد يبقى مرضه سرا لايعرفه حتى أقرب الناس اليه .

اما أهم الأعراض التي تجعل المريض يراجع الطبيب فهي آلام المعدة والقيء ، وقد يشكو بعضهم من ضعف ارادته عند الولائم العامة أو عدم قدرته على ضبط نفسه من التهام كميات كبيرة من الأكل تسبب له آلام البطن ، وتتردد السيدات المصابات على عيادات تخفيض الوزن أو اقسام التغذية لتنظيم حمية خاصة لتخفيض وزن الجسم

اما الأعراض الأخرى التي تثير اشتباه الطبيب في مرض البوليميا فهي تشوش التفكير وتوتر الأعصاب ونوبات من الكآبة وتعكر المزاج ، كما لوحظ أن بعض المصابين قد مارس السرقة أو النشل من المتاجر أو الأفراد ، كما انتلى غيرهم بالافراط في التدخين أو المسكرات أو تبذير الأموال في مواد غير ضرورية وبمقادير ملفتة للنظر

ولكن لابد ان نفرق بين نوبات مرض البوليميا ونوبات الجوع والتهام الأكل بشكل طبيعي ، والتي يصاب بها كل انسان ولعدة مرات في اليوم . ففي حالات البوليميا يكون مقدار الأكل شيئا غير عادي وكذلك نوع الأكل فهو نوع واحد في معظم الحالات ، وليس بالضرورة ان يتناوله المصاب على مائدة معدة وفي ساعات الأكل بل في اي مكان وفي اية ساعة من اليوم ، ولايشعر المريض بطعم الأكل ولذته أو رداءته بل هي عملية حشو سريع لاإرادي ودون اختيار وتنويع كما يحدث في الغذاء العادي .

ويتميز ايضا الغذاء العادي بالاكتفاء عند الشعور بالشبع وكذلك لاتوجد مرحلة القيء والغثيان والاكتئاب التي نراها في حالات البوليميا .

هل ينتشر بين نساء الشرق ؟

سجلت حالات قليلة متفرقة من مرض البوليميا في بريطانيا قبل سنة ١٩٨١ ، وفي سنة ٨٢ بدأت حملة توعية للتعريف بهذا المرض بين الناس والأطباء بصورة خاصة ، إذ اتضح ان قلة من الاطباء يعرفون تفاصيل كافية عن هذا المرض . ومنذ هذه الحملة بدأ عدد الحالات يرتفع من سنة الى آخرى حتى وصل الى رقم مذهل اثار انتباه المهتمين والمتخصصين في هذا المجال .

وطبعا ان عدم التبليغ عن حالات من الشرق لايعني عدم وجود هذا المرض بين نسائنا ، ولكن على الاقل انه غير منتشر بالدرجة التي نراها الآن بين نساء الغرب ، والتي وصلت الى ٧٪ بين المترددات على عيادات تنظيم الأسرة ومنع الحمل .

ولكن هل توجد عوامل أسرية أو اجتماعية أو بيئية في الغرب تدفع النساء للاصابة بهذا المرض ؟ هل هو



نوع الحياة وضغط العمل او ربما نوع الأكل له دور في ذلك ؟ لا أحد يدري

ويعلل الاستاذ الدكتور وحيه جرجس اخصائي الامراض النفسية سبب عدم انتشار مرض البوليميا بين نساء الشرق لعدة اسباب اهمها . وجود نظام العائلة الشاملة في الأسر الشرقية ، وكذلك اختلاف نظرة الشرقيين للمرأة المثالية عن نظرة الغرب التي ترى المرأة النحيفة هي المثالية ، وهذا مايجعل المرأة في الغرب تعيش تحت ضغط وتوتر أعصاب مستمرين ، وتتردد على عيادات تخفيض الوزن ، وتجربة أنواع الحميات والأدوية الخاصة لذلك والتخبط في تطبيقها

ان وجود الجد أو الجدة أو كليهما في البيت مع نواة الاسرة اي الابوين والاطفال وهو مايعرف بالعائلة الشاملة Extended Family له أثر كبير على نفسية الطفل وما قد يتعرض له في الكبر من عقد وأمراض نفسيه . وقد اتضح من تقصي ضحايا حالات البوليميا ان نسبة كبيرة منهم قد تربوا في أسر يسودها جو الخلاف والنزاع بين الأبوين ويعتقد ان وجود الجدين في البيت (العائلة الشاملة) يمتص الخلافات العائلية في البيت ويؤدي بالتالي الى تخفيض نسبة مرض البوليميا في الكبار

مضاعفات المرض

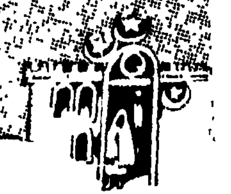
مع تكرر حدوث نوبات البوليميا يصاب ضحايا المرض بالمضاعفات التي قد تظهر مباشرة بعد النوبة مثل الاكتئاب أو الشعور بالذنب أو قد تظهر بعد عدة سنوات مثل ترهل الجسم واتساع وارتخاء المعدة أو هبوط الكلية أو اضطراب دقات القلب وأحيانا قد يصاب المريض بتشنجات مرض الصرع .

العلاج

يعتمد تحقيق العلاج على تعاون المريض ودرجة ادراكه بخطورة ومضاعفات المرض ، والمهم اخراج المريض من الدائرة المغلقة التي يحوم فيها والمتمثلة في نوبات من ألم الجوع مع واعز داخلي لاعداد الوليمة ثم اعداد المكان والزمان المناسبين ، ثم مرحلة الالتهام التي تليها مرحلة الاكتئاب والقيء ، ثم بعد بضعة أيام نوبة جوع أخرى . وهكذا ، ويتم كسر هذه الدائرة بواسطة تنظيم أكل المريض يوميا ، ويعطي مقادير مناسبة من نفس نوع الأكل الذي اعتاد ان يلتهمه خلال النوبات ، ومن المهم ان يحلل الطبيب النفسي كل جوانب نفسية المريض ، ويكتشف العقدة النفسية التي تدفعه الى دخول دائرة المرض .

وكذلك تشجيع المريض لاختيار هواية مناسبة لشغل أوقات فراغه أو دفعه للقيام بمهام تثقيفية او فنية داخل مجتمعه أو حيّه ، له أكبر الأثر على نفسية المريض واخراجه من عزلته وعالمه الصغير .

وبتحسن المريض وتخلصه من نوبات البوليميا يتخلص أيضا من الظواهر الأخرى مثل الاكتئاب والتوتر العصبي ونوبات الغضب واليأس وغيرها .□



هو ....

إهمال

● من الممكن أن يكون أي شيء ، الا أن يكون بيتاً مكتبة عامة حائر محل كتب وأوراق غرفة مهملة في مدرسة أي شيء الا أن يكون بيتاً وأرمي في الحياة أني لا أطيق أن أرى ورقة ملقاة على الأرض

يعمل زوجي في واحدة من هذه المهن التي لا يمكن أن ينفصل عن الكتابة والقراءة وأعرف هذا وأحترمه وأفهمه وأدرك أن من حقه أن يعمل في البيت ولكن أين ؟ وكيف ؟ هذا هو الخلاف

جعلت له في احدى الغرف مكتبا صغيرا كي يجلس ويعمل عليه وسرعان ما امتدت الكتب والجرائد والمجلات وانتقلت من المكتب الى السرير الصغير الوحيد الموجود بالغرفة ، ثم انتقلت الى خارج الغرفة في صالة البيت ، وفوق المقاعد جريدة ملقاة ومجلة مفتوحة وثلاثة أو اربعة كتب مفتوحة في آن واحد على صفحات محددة

وبعض الورق هنا وهناك عليه بعض الخطوط والأسهم والدوائر والكلمات ، شيء أقرب ما يكون الى طقوس السحرة وحاولت مرة أن أجمع هذه الأشياء وأرتبها وأعيدها الى المكتب ويومها لم يكن يوما ثارت الدنيا وهاج وماج وعلا صوته وألقى على رأسي بكل الاتهامات بأني أفسد عمله ، وأني زوجة معوقة تعوق طريق نموه ومستقبله وكيف لنا أن نأكل لو حرنت عليه أعماله يومها عصبت عصبة هائلة من بعدها أقسمت ألاّ أمدّ يدي على أوراقه . وأتحمل عذاب الحركة في بيت تحول الى ساحة ملقاة فيها الأوراق والكتب ويبدو أن صمتي هذا شجعه أكثر . الى أن فوجئت ذات يوم أن في أرض الصالة الجرائد اليومية ليومين متتاليين وخمس مجلات أسبوعية وثمانية كتب وقاموس (عربي - انجليزي) ورواية أدبية ، وعدد هائل من الأوراق ، وكمية أقلام مختلفة الأنواع والألوان

يومها اتصلت ببعض أصدقاء العائلة كي يأتوا الينا في المساء

ولم أخبره بهذه الزيارة ، العجيب أنه عندما دق جرس الباب ، وبين اللحظة التي فتحت فيها ، وبين رؤيته للقادمين ، كانت يداه بترتيب عجيب تجمع كل هذه الأشياء ، وقبل وصول أول القادمين الى منتصف الصالة ، كانت كل هذه الأشياء مصفوفة في ثلاثة صفوف على المنضدة الصغيرة المجاورة للمقعد الذي اعتاد الجلوس عليه وبعدما غادر الأصدقاء بدأ يعمل وعادت الكتب والأوراق الى مكانها في أرض البيت

هي....

ضـــرورة عـــمل

ألتمس لها الأعذار حينا وأفهم دوافعها ولكنني وبصدق أضيق بهذا الاصرار العجيب الذي لا معنى له الا العناد في جمع كتبي وأوراقي وترتيبها ، قلت لها كثيرا لاتشغلي بالك بهذا الترتيب ، عندما يبلغ بك الضيق مداه أو عندما تشعرين أن الكتب والأوراق قد جارت وتجاوزت حدودها المسموح لها ، فقط أخطريني وسأتولى انا الجمع والترتيب ، لأنني ببساطة الوحيد القادر على اعادةوضعها الى ما كانت عليه عند حاجتي اليها

وأنا ألتمس لها الأعذار ، لأن مسلسلات التلفزيون وأفلام السينما أفسدت تصور الناس عن كثير من المهن فالناس تتصور أن الذين يمارسون مهن الكتابة ما عليهم الا أن يمسكوا ورقة بيضاء وقلما وفنجان قهوة وسيجارة ، وتبدأ السطور تتوالى كالالهام هذه الرؤية الساذجة المتخلفة هي التي تتراكم وترسخ في العقل الجمعي للمجتمع

ولم يقل أحد ان هذا قد انتهى منذ أكثر من مائة عام والكتابة الآن أيا كانت هي عملية بحث دؤوب وقراءة واستخلاص وتحليل ووصول الى نتائج الكتابة عملية عقلية متكاملة ليست إلهاما ورؤيا ووهما واستلهاما ، ولذلك فان روحي للأسف لا تستسيغ أن ترى كل هذه الكتب ، وهذا العدد من المجلات والجرائد وقصاصات الورق وبطاقات تجميع و و ولأن التتابع والبناء المنطقي للتفكير يظل في النهاية في ذهن شخص واحد فإن هذا الشخص هو الوحيد الذي يملك قدرة تحديد ماذا يحتاج من كتب ودراسات وقراءات حوله اثناء عمله وهو الوحيد الذي يضع الأشياء وفق ترتيب ذهني بسيط هنا بالقرب منه كتب الاحتياج المباشر التي سيستعين بها وهنا المراجع وهنا بطاقات بها معلومات و عملية ترتيب شديدة التعقيد من الخارج ، ولو حاول شخص أن يشرحها لبدت وكأنها عملية عسكرية ولكنها في ذهن الشخص تظل بسيطة وتلقائية ، ومادام قد عرف مكان الأشياء فإنه يمد يده بهدوء فيعثر على ما يريد وكثيرا ما تعن له جملة أو صياغة ما لفكرة فيكتبها على ورقة حتى يجيء موعدها ، فترى جملة أو كلمة واحدة مثلا مكتوبة على ورقة فتمزقها فتثور الدنيا ولا تهدأ . ولا تفهم هي أن ما يضايقها وقد يكون بعض الحق هو ضرورة عمل وممارسة حياة

هو



من الحياة

.. ودفنت حُبّها وعادت مع دموعها

بقلم : منير نصيف

ذابت قطرات المطر تتساقط على سطح زجاج السيارة، ثم لا تلبث أن تلتقي وتمضي في المجرى الرفيع الذي صنعته حبات المطر التي سبقتها في لقاء آخر! ووجدت نفسها دون أن تشعر ترقب تلك القطرات واللقاءات وتذهب معها في رحلة طويلة مع قصتها هي... وقالت تحدث نفسها والسيارة منطلقة بها في سرعة ولكن أيضا في حذر:

قالت: «كل شيء نهايته لقاء... حتى حبات المطر... وهل هناك أجمل أو أعظم من لقاء الإنسان بربه عندما تنتهي رحلته على الأرض؟!» ثم تمنت لو أن رحلتها هي قد انتهت... إنها لم تعد تجد معنى للحياة، بعد أن ذهب الرجل الذي أحبته وأمضت الأعوام تنتظر عودته، إلى أن استبد بها اليأس أو كاد... لا... إنها لا تصدق، أو إنها ترفض أن تصدق أن كل الذي كان بينهما قد مات، كما يموت كل شيء حي!

وبكت وبكت في صمت... ولم تشعر بدموعها وهي تنساب على وجنتيها... ثم كانت تتمنى لو أنها التقت كي تلتقي حبات المطر التي تكسو زجاج السيارة!

كانت في طريقها في هذه الساعة المبكرة من هذا اليوم البارد من أيام الخريف إلى المطار، فقد كانت على موعد... نفس الموعد الذي حرصت على أن تلتزم به أربع مرات في كل أسبوع... موعد وصول الطائرة القادمة من ألمانيا... البلد الذي سافر إليه خطيبها منذ أكثر من ست سنوات، عندما فاز بمنحة دراسية في إحدى جامعاتها، ولم يعد...

* * * *

إنها مازالت تعيش تلك اللحظة التي وقفت تودعه فيها وهي تقول: «سوف أنتظرك يا حبيبي... عد إليّ سريعا سالما، وسوف تجدني هنا مادامت لك يدي التي تحمل هدية خطبتي إليك... سوف أذكرك في كل ساعة، في كل خطوة، كلما أحسست بها تعانق أصبعي الصغير!»

ووصلت السيارة أخيرا إلى المطار، ومشت في خطى بطيئة إلى القاعة التي تزدحم بالمستقبلين والمودعين، ولكنها كانت تمشي هذه المرة في خطوات بطيئة، حتى خيل إليها أنها لم تعد قادرة على أن تنقل قدميها



التي وقفت فيها في ذاكرتها ساعة وصلت الى مقعدها الى
... من شتى الاقطار ... تفرقت من
اليوم ... في البداية عندما حين الموعد الذي
حدده في رسالته التي لم تكن تنقطع عنها خلال العامين
... لاحد ... تماماً الى لحظة الوصول
بعد الغيبة الكبيرة ... المكتب الذي تقف فيه
الآن . ... تطلع في وجوه القادمين ...
تدفع ... في كل لحظة . ... تحمل ...
... . ساعة ... وجهه ...
... لم ... خطة واحدة ،
حتى ... في ساعة الوداع ... ما زال يذكر
كلماته ... سألته ويقول
... لا اريد ان ارى دموعك ... اريد
ان احمل معي ابتسامتك التي احببتها دائماً ! »
... لم تستطع ان تكتم مشاعرها ، فقد بكت
... بكت ... في ان
واحد ، عندما قال لها وهو ...
« سأعود حبيبتي ، لا تنسي ان تكوني في انتظاري ،
أعدك بلا تأخير يوم ، حالما انهي دراستي !
ووقفت ... وراحت تتطلع الى الوجوه
في لهفة ، وكأنها تتوقع ان تراه قادماً اليها ... من اكثر
المرات التي وقفت فيها في نفس المكان على مدى الفترة
التي انقطعت خلالها رسائله . وهي تحمل الامل في
لقاء خطيبها الغائب !

وبقيت واقفة في مكانها حتى آخر قادم ، ثم
ما لبثت ان احست باليأس يغمرها وهي تدور حول
نفسها في اتجاه طريق الخروج ، وهي تجهش
بالبكاء .

ماذا حدث له ؟ لماذا لم يعد ؟ وراحت تجر قدميها
جراً ، وهي تتجه الى موقف السيارات ، وتلقي
بجسمها المتعب المكدود على المقعد ، وتطلب الى
السائق ان يعود بها الى مكتبها

ولكنها ، ولأول مرة منذ اكثر من عامين ، كانت
تشعر في هذا اليوم ان شيئاً ما ... شيئاً جديداً يسيطر عليها
رغم ما كانت تحمله في صدرها من حزن وقلق
وقد صدق حدسها عندما استقبلها زملاؤها في العمل
بابتسامة كانت قد افتقدتها على وجوههم منذ زمن
طويل ... فقد كانوا يعرفون قصتها ويشعرون بالألم
الذي تعانيه

واقتربت منها احدى زميلاتها مرحبة وقالت في مرح هناك خبر سعيد ينتظرك. ان رئيس المهندسين يطلبك في مكتبه!

وجلست الى مكتبها برهة، ثم ما لبثت ان قامت من مقعدها، واخذت تشق طريقها الى المكتب الذي ستسمع فيه الخبر السعيد ترى ما هو؟ ما الذي ينتظرها هناك؟ لقد مضى عليها في هذه الشركة الهندسية التي تعمل بها اكثر من سبع سنوات، فقد تخرجت في كلية الهندسة، في نفس السنة التي تخرج فيها خطيبها الغائب كانت زمالة حلوة امضياها معا طوال سني الدراسة، وكان من الممكن ان ينتهي كل شيء، لولا المنحة الدراسية التي فرقت بين زميلها وخطيبها، فاختطفته منها الى ذلك العالم البعيد الغريب

ولكنها كانت سعيدة انها لاتزال تتذكر لقاءهما عندما علموا انه حصل فوزه بالمنحة كانت مشاعره يومها مزيجا من الفرح والالم فسوف يفترق عن الفتاة التي احبها ويبدأ بعد معها عش الزوجية الذي سيجمع بينهما ولكنها راحت تهون عليه وتشجعه «لا بأس ان الفرصة تأتي مرة واحدة ثم ما الفرق بين ان نتزوج الآن، او بعد اربع سنوات؟»

مرت كل هذه الذكريات في رأسها وهي تتجه الى مكتب رئيسها في العمل وطرقت الباب ودخلت. وقال وهو يرحب بها ويدعوها الى الجلوس «لقد تعاقدت الشركة على شراء معدات وآلات من المانيا، ولكننا نريد ان نتأكد من مزايا هذه الآلات الجديدة قبل وصولها، وقد وقع الاختيار عليك هل لديك استعداد للسفر؟!»

واحست بقلبها يخفق بشدة وقالت تحدث نفسها قبل ان تجيب بكلمة واحدة «ترى هل هو القدر الذي يتدخل ليضع نهاية لأيام القلق التي عشتها انه لم يعد، فلماذا لا اذهب انا اليه ان كان لايزال حيا. هكذا كتبت له ادارة البعثات، ولكن احدا لا يعرف عن وجه التحديد اين هو الآن، ولا ماذا صنع بنفسه عندما انقطع فجأة عن دراسته،

بعد ان كان قد اوشك على اتمامها!

وصحت من تأملاتها فجأة على صوت رئيسها يسألها من جديد «ان ما زلت في انتظار ردك هل تسافرين؟»

- نعم، اسافر ولكن متى؟

- في اقرب فرصة، وعلى اول طائرة متجهة الى المانيا!

وعادت الى البيت وحزمت حقيبتها الصغيرة، وذهبت وكانت وجهتها نفس المدينة التي سافر اليها خطيبها ليكمل دراساته العليا في احدى جامعاتها!

وطوال الرحلة بالطائرة، التي بدت وكأنها لا تريد ان تنتهي، لم تغب صورة خطيبها عن مخيلتها لحظة واحدة كانت الدقائق تمر بطيئة متثاقلة حتى عقارب الساعة التي لم تكف عن التطلع اليها بين الحين والحين، بدت هي الاخرى وكأنها قد توقفت، تماما كما تبدو الطائرة نفسها، وكأنها تحلق في مكانها من هذا الارتفاع الكبير

واخيرا هبطت الى الارض لقد انتهت الرحلة بسلام وفي صباح اليوم التالي، كانت تقوم بالمهمة التي جاءت من اجلها، فقد كانت تريد ان تنتهي من عملها بسرعة، حتى تبدأ رحلة البحث عن الشاب الذي ضاع وسط هذا الزحام البعيد الغريب

وبدأت من حيث كان لابد ان تبدأ من الجامعة التي كان يدرس فيها قالوا لها «لقد انقطعت اخباره عنا تماما منذ اكثر من عامين!»

وعادت الى الفندق تجر قدميها جرا اذا كانت الجامعة التي كان يدرس فيها لاتعرف شيئا عنه، فهل تستطيع هي ان تعرف؟ اين تمكن ان تبحث عنه في هذه المدينة الكبيرة ثم الا تمكن ان يكون قد انتقل ليعيش في مدينة اخرى؟



واحست بحنان امها يغرق في بحر سحيق بلا [illegible]
شيء

لقد انطلقت الدمعة التي ظلت مفقودة طوال رحلتها الطويلة بالطائرة وهي بعد تدقق والسوان . وتعجل الوصول الى المدينة التي حملت اليها حاملة حقيبة الكبرى في لقاء خطيبها [illegible] وحاولت نفسها مر قدميها وهي تدفع باب الفندق الخارجي بيدها . وتعجل الوصول الى غرفتها لتلقي براسها في فراشها وتذرف دموعها الحبيسة بعيدا عن العيون التي كانت ترقبها [illegible] فقد كان الالم يكسو ملامح وجهها الجميل حزنا .

واقتربت من مكتب الاستقبال لتطلب مفتاح غرفتها [illegible] نفسها في تساؤل مقطع [illegible] السيدة التي تقف ورائها [illegible] من منصبه [illegible] حاولت [illegible] لكن [illegible] لقد [illegible] الحقيبة التي [illegible] هناك [illegible] في ذهنها [illegible] هل [illegible] سيدتي ؟

[illegible] وهو يقدم لها مفتاح الغرفة ، ولكنه [illegible] قال لها في [illegible] انا لا اعرف احدا بهذا الاسم [illegible] هل هو [illegible] الفندق ؟ [illegible] يحدث اليه [illegible] بنفسها [illegible] وتحدث بلهجتها الغريبة [illegible] انت عربي ؟ قال : نعم ! قالت : لا اعرف احدا بهذا الاسم الذي ذكرته لي [illegible] سمعته من قبل [illegible] لم تصادفك يوم اثناء اقامتك [illegible] ؟

[illegible] سيدتي ، ولكن هذه هي المرة الاولى [illegible] اسمع فيها عن شخص يحمل هذا الاسم هنا !

[illegible] على الفور ان هناك شيئا ملابسه [illegible] الذي [illegible] وهي تتحدث الى هذا الشاب الغريب ، انه هو خطيبها الذي غاب عنها [illegible] هذه السنين [illegible] [illegible] ملامح جبهته التي تحملها في قلبها ولم تعرف عنه [illegible] ماذا حدث له [illegible] هل نسيها ؟ [illegible] هذا [illegible] الان ماذا ؟

ولم تذهب الى غرفتها ، ولكنها قصدت فورا الى مكتب مدير الفندق ، وجلست امامه تروي له قصتها كاملة .

* * * *

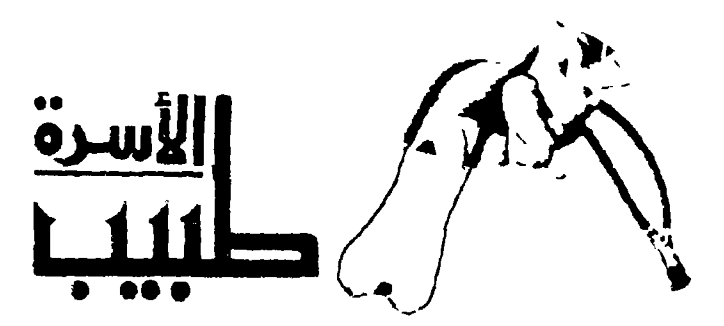
وتكلم الرجل أخيرا ... قال : « لا تتصوري كم انا سعيد ، لانني عرفت أخيرا حقيقة هذا الشاب المسكين ... انه من احسن موظفي الفندق واكثرهم كفاءة ... ولكننا لم نكن نعرف شيئا عن ماضيه ، انه شاب فاقد الذاكرة يا سيدتي ... صدمته سيارة احد كبار رجال الأعمال في المدينة ، ونقل الى المستشفى للعلاج من اصابته الخطيرة ، ولكنه خرج من الحادث فاقدا ذاكرته .

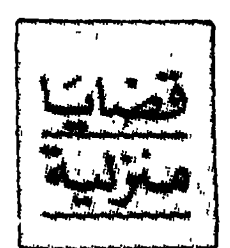
واراد صاحب السيارة أن يعوضه عما لحق به من اضرار ، فأوصانا بالحاقه في احدى الوظائف الشاغرة في الفندق ، وكانت المشكلة الوحيدة التي صادفتنا ، اننا لم نستطع أن نعثر على أي شيء تمكن ان نهتدي الى حقيقة شخصيته ، فهو لم يعد يذكر اسمه ولا عنوانه ، ولا حتى المكان الذي كان يحفظ فيه بجواز سفره واوراقه الخاصة ... انه يحمل الآن جواز سفر ألماني ، ويحمل اسما ألمانيا ايضا .

وفي بهو الفندق ، رأت الفتاة طفلة صغيرة جميلة لم تكمل عامها الثاني بعد ... رأتها تحبو أحيانا ، وتمشي في خطوات مترددة أحيانا ... ثم تتجه في النهاية الى مكتب الاستقبال ، وما كاد خطيبها يلمحها قادمة اليه حتى حملها بين ذراعيه ، واتجه معا الى حيث كانت تجلس سيدة انيقة جميلة امام احدى الموائد الصغيرة .

وسألت وجاءها الجواب ... انها زوجته الألمانية ، وابنته الصغيرة منها .

ولم تنتظر ... لقد صعدت الى غرفتها مسرعة وحزمت حقيبة ملابسها ، واستقلت أول طائرة عادت بها الى بلادها ... لقد مات حبها ... فليه النسيان ، ولم تشأ ان تنكأ الجراح التي اندملت ... لقد تركته مع زوجته وصغيرته وحياته الجديدة السعيدة ، وعادت هي وحدها مع دموعها تبكي حبها الذي ضاع وسط زحام تلك المدينة الغريبة البعيدة □





أقراص الأسبرين
مالها وما عليها!

لا يظن أن عقارا شاع وانتشر وتجاوز نطاق الخطر الطبي ، أو الالتزام بمشورة طبية كما هو الحال مع أقراص الاسبرين التي أصبحت مثلا يضرب في رخص الثمن والشيوع

ومع هذا فالذين يعرفون الاسبرين على حقيقته خارج حدود الاسرة الطبية قليلون ، ولكن الاسبرين بالرغم من الهزات والذبذبات التي تعرضت لها مكانته عبر مدى عمره القصير ، فهو مازال صامدا قابعا على أرفف الصيدليات ، يتصدر قائمة العقاقير الطويلة التي تزخر بها الصيدلية الحديثة

لقد بدأت قصة الاسبرين في أواسط القرن التاسع عشر ، حين فتح الأطباء بابا جديدا في حملتهم على تلوث الجروح التي كانت تتهدد عملياتهم الجراحية ، بابتكار مايسمى حامض الكربوليك (او الفينول)

لقد بدأ عهد الجروح النظيفة المنيعة على التلوث ، ومن هنا تجاوزت آمال الأطباء هذا النصر الى آفاق تقضي بابتكار مطهر داخلي يقتل الميكروبات والجراثيم داخل الجسم البشرى ، لامجرد تطهير جروحه من الخارج ، فطفق جمهور الباحثين في متابعة هذا الأمل المنشود ، حتى توصل أحد الكيميائيين الى مسحوق أبيض يؤخذ بالفم ، قيل عنه انه مطهر قاتل للميكروبات ، مشتق من حامض الكربوليك ، أطلق عليه اسم حامض الاسيتايل ساليسيليك ، لقد كان هذا الحدث حوالى عام ١٨٥٠ في مصنع باير للعقاقير بالمانيا

غير أن مصير هذا الاختراع الذى لم يلق قبولا كبيرا في الوسط الطبي انه توارى الى الظلال ، فقبع في احدى زوايا المصنع مغمورا مجهولا حوالى أربعين عاما أو يزيد

حقا لقد كان لهذا المسحوق الجديد مفعول السحر في تخفيض الحرارة المرتفعة ، وتخفيف الآلام ، مما توهم معه الباحثون أنه قتل للميكروبات وتطهير للجسم من المرض ، وهذا مالم تؤيده التجربة والممارسة .

وفي مطلع عام ١٨٩٠ كان هناك كيميائى شاب يبحث عن دواء مسكن ناجح للآلام الروماتيزمية التي يعانى منها والده ، فوقعت يده على الزجاجة المهجورة من حامض الاسيتايل ساليسيليك ، فوجد فيها ضالته ، ومن ثم حملها الى مدير شركة باير الطبية

الالمانية الذى وافق على تسويقها ، بشرط اختيار اسم أكثر قبولا لدى عامة الناس ، فوقع الاختيار على اسم الاسبرين ، ليكون الاسم التجارى لأقراص حامض الاسيتايل ساليسيليك الذى وجد طريقه الى الصيدليات عام ١٨٩٩ ، ثم تطورت الأحوال والأشكال ، حتى وصل الى ماهو عليه من أقراص في عبوات ذات العشرين قرصا عام ١٩١٥

ماهو الاسبرين ؟

هو مادة كيماوية بيضاء حمضية ، أساسها حامض الاسيتايل ساليسيليك ، وقد تباع أملاحه أو مشتقاته مثل ساليسلات الصوديوم او الساليسلامايد ، على شكل أقراص عادية تحوى نصف جرام تقريبا ، أو أقراص فوارة ، أو ربما أقراص مغلفة بالسكاكر ، كما يباع منه محلول خاص بالأطفال الصغار

مفعول الاسبرين :

هناك أكثر من تأثير طبي معروف للأسبرين ، أكدته التجربة دون أن يصل الأطباء الى تعليل معين لهذا التأثير

ومن أبرز تأثيرات الاسبرين

١ ـ تخفيض درجة الحرارة المرتفعة . من المؤكد أن الاسبرين مخفض للحرارة المرتفعة التي تصاحب الحميات والامراض المختلفة ، دون أن يصل الأطباء الى تعليل معين لتأثير الاسبرين المخفض للحرارة .

٢ ـ مسكن للآلام . يعتبر الاسبرين من أشهر المسكنات المألوفة للصداع وآلام العضلات وآلام الأسنان ، وآلام الأعصاب (عرق النساء) « واللومباجو » والآلام الروماتيزمية ، وآلام الأمراض الشبيهة بالروماتيزم مثل النقرس والروماتويد

٣ ـ الحمى الروماتيزمية . يتصدر الاسبرين جميع العقاقير الفعالة الشائعة لعلاج الحمى الروماتيزمية ، سواء منها روماتيزم المفاصل أو روماتيزم القلب ، وتؤخذ اقراص الاسبرين بجرعات كبيرة تحت اشراف طبي ، دون خوف من تضرر عضلة القلب ، كما يشاع خطأ بين العامة ، حيث يمكن تعاطى ١٢ ـ ١٥ قرصا يوميا دون أى تأثير ضار ، بل هو فعال وشاف من مرض الحمى الروماتيزمية التي تصيب المفاصل ، أو تصيب صمامات القلب او عضلته

٤ ـ مضاد للتخثر ومشجع لسيولة الدم . لقد اكتشف الأطباء هذه الخاصية للأسبرين ، لهذا أصبح يستعمل في العلاج والوقاية من أمراض تخثر الدم ، وتكوّن الجلطات كما في الذبحة الصدرية ، أو انسداد الشريان التاجى للقلب ، كما استعمل في جلطات المخ والساق وغيرهما .

٥ ـ واق من الكتاراكت أو مرض الساد (عتامة عدسة العين) لقد وجد الأطباء المتخصصون أن مرض الكتاراكت أو مرض الساد (عتامة عدسة العين) تتأخر الاصابة به لدى المدمنين على استعمال أقراص الاسبرين ، بفترة قد تصل الى عشر سنوات عن أقرانهم الذين لايستعملون الاسبرين ، والمساوين لهم في العمر ، مما يدل على أن الاسبرين يقوم بدور واق لعدسة العين ضد الاصابة بعتامتها ، مما يسمى مرض الساد أو الكاتاراكت .

مضاعفات الاسبرين :

حيث لم يوجد بعد ذلك الدواء الآمن الذى يحلم به الأطباء ، فالاسبرين على مايحمله من فوائد طبية للناس قد يحمل لهم أخطارا ، وعليهم أن يحذروها ويتقوها بالادراك والوعى ، وهذه هى . ـ

١ ـ الاسبرين يؤدى الى التأثير على الأنسجة الرقيقة ، لهذا قد يؤدى الى نزيف جدار المعدة ، ومن هنا يجب عدم تعاطى الاسبرين والمعدة خالية من أى طعام ، بل يجب أن يؤخذ عقب الطعام دائما ، حتى لايؤدى الى النزيف ، كما يجب أن لايستعمل لتسكين ألم الاسنان موضعيا .

٢ ـ الحساسية : لقد ثبت أن هناك فئة من الناس لديها استعداد موروث خاص ضد الاسبرين ، لهذا فهم يعانون من أعراض الحساسية عقب تعاطى الاسبرين ، وأبرزها الربو وضيق التنفس وسيلان الأنف والطفح الجلدى وما اليه .



٣ ـ وفيات الأطفال : هناك مرض يصيب الأطفال يسمى مرض (راى) يتميز بارتفاع درجة الحرارة والقيء ، وقد لوحظ ارتفاع نسبة وفيات الأطفال الرضع عقب اعطائهم الاسبرين للتغلب على ارتفاع درجة الحرارة دون استشارة طبية ، ولم يعرف التفسير الطبي لهذه الظاهرة القاتلة للاسبرين .

٤ ـ التسمم بالاسبرين : ان الافراط في تعاطى أقراص الاسبرين قد يؤدى الى مفعول عكسي يدعى التسمم بالاسبرين ، أهم أعراضه ارتفاع درجة الحرارة والقيء والصداع ، والهبوط العام ، ونزيف المعدة ، والبراز الممزوج بالدم ، وهذا يجب معالجته بعملية غسيل المعدة فورا ، وتعاطى محلول قلوى من بيكربونات الصوديوم ، وربما احتاج الأمر الى نقل المريض للمعالجة في المستشفى .

محاذير استعمال الاسبرين : ـ

ـ يجب الحذر من تعاطى الاسبرين والمعدة خالية من الطعام

ـ يحظر الاسبرين على مرضى قرحة المعدة والاثنى عشر .

ـ يحظر الاسبرين على مرضى الحساسية من الاسبرين

ـ يحظر الاسبرين على مرضى الكلى والجهاز البولى .

ـ يحظر الاسبرين على مرضى احتشاء القلب وهبوطه .

ـ يحظر الاسبرين على المرضى الذين يعانون من سيولة الدم وأعراض النزيف .

ـ يحظر الاسبرين على مرضى تصلب الشرايين

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة :

*** السيد محمد بالعربي ـ العرائش ـ المغرب**

ـ تحليلاتك طبيعية ، وما دامت زوجتك قد حملت سابقا فلا سبيل للحديث عن ضعفك وعقمك ، ان الاجهاض يحتاج لمراجعة أخصائي أمراض النساء واستشارته وفحص زوجتك .

*** السيد مصطفى عبدالعال ـ حلب .**

ـ لم نتبين ماهية مرض يدعى ماقير عظيمة حتى نصفه لك ، فربما كان اصطلاحا قد اشتبه عليك ، وربما كان أخوك يعاني من دوالي الساقين ، ان الأمر يحتاج الى فحص دقيق وأشعة وتحليلات ، تمنياتنا لأخيك بالشفاء

*** السيد ص س ح الحسكة ـ سوريا .**

ـ تضخم البروستاتا يكتشفه الطبيب الاكلينيكى وحسب حجم البروستاتا ، كما يعانى المريض من احتباس البول وعدم التحكم فيه ، ولا أظن أنك مصاب به ، ننصحك باجراء تحليلات وأشعات للكلى أو القولون ، فهذان أمران محتملان ، ولا تجتهد دون علم .

*** السيد ناجى عبدالرحمن ـ الجزائر .**

ـ يصعب تحديد مرضك من مجرد شعورك بالألم ، ولكن معاناتك توحي باصابتك باضطرابات معدية ، لهذا ننصح بمراجعة أخصائي في الأمراض الباطنية .

*** س . ع سلطنة عمان ـ مسقط والسيد م . م م الرقة ـ سوريا :**

ـ الشيب المبكر مشكلة يغلب عليها عامل الوراثة ، يحسن بك مراجعة أخصائي الامراض الجلدية .

*** الأخت م . ع . الدمام ـ السعودية :**

ـ من الصعب تشخيص مرضك عن طريق الوصف ، والأفضل عرض نفسك على أخصائي الأمراض الجلدية في أقرب وقت . □

شرخ في حلم رائع

لم يعبر منها الزمن وكأن مرور الأيام وتعاقبها لاصلة لهما به ، فكأنهما افترقا من أمس فقط وما زالت مشاعر كثيرة مختلطة ومتباينة تصحب داخلهما اللهفة والشوق ، وعدم التصديق ، وترقب الآتي والحلم ورغم مرور أيام تعاظمت وأصبحت سنوات ، الا انهما مازالا كما كانا . يرفضان التصديق ، كنت أعرفهما ، وتربطني بهما علاقة عمر شهدت قصة حبهما ، وتابعت تفاصيلها ، وعندما تزوجا شعرت يومها - ما زلت أذكر - أن العالم رغم كل قبحه من الممكن أن يكون جميلا ليوم أو بعض يوم ، ورغم كل الحب الذي كان داخلهما الا انهما فشلا في أن يستمرا أكثر من أربع سنوات معا أصابهما شرخ من الداخل هزتهما يوميات الحياة والياتها تراكم اليوم وعدائه ، وعصبة هنا وثورة أعصاب هناك و لحظات خوف وضيق وقلق تتفجر منها ثورات عصب تتحرك حدودها في جدار رقيق من الأمان لم يعد كل منهما للآخر هو الملاذ والمنتهى والمبدأ المنتدأ صار كل منهما طرفا في لعبة كبرى اسمها الحياة قد يكون طرفاً أكثر رحمة وأكثر حنانا وأكثر تفهما ولكنه ليس مطلقا على أية حال وترسبت الخدوش داخلهما ، وبنت شجرة حزن ولوعة وصدمة في حلم رائع جميل وعرفت العيون البكاء . وعانقت الوجوه مسحة من أسى وحنين لشيء غامض لا يأتي وقتها كنت أرقبهما وأحس أن شيئا سينفجر . وانفجرت حياتهما في لحظة عصب دامية ، انفصلا ، وقد أقسم كل منهما ألا يرى الآخر أبدا .

عشر سنوات مرت منذ ذلك اليوم وما زالت بعض ملابسها في بيتها وكلما ذهبتُ اليه أحد يتذكر معي كيف كانت الحياة . وهنا كانت تجلس . وهنا كانا يقرآن . وهنا وهنا وتظل أسئلتها كلما رأيتها عن صحته ؟ . وهل أقلع عن التدخين ؟ وملابسه ؟ وكيف ؟ وكيف ؟ وحاولت كثيرا أن أصلح بينهما أن أقول لكل منهما أن كلاهما يحب الآخر ولا يتحمل ابتعاده ولكن الشروخ التي تراكمت على مر أيام كثيرة أحاطت جوهر المشاعر بينهما بقشرة صلبة صلدة

وكلما أثرت امام واحد منهما موضوع العودة ، يصرخ بأعلى صوته لا ، ثم بعد قليل يدور بالحديث ليسأل عن الآخر ويطمئن عليه ولم اعرف سببا لهذه الحالة ، الا انها حالة حب دائمة هزمتها طبائع السلوك التي لم تتوافق معا فعاش أطرافها في وهج الحب وتحملا حتى النهاية عذابا لا ينتهي

محمود عبد الوهاب



ثـــورة

مصطلح عام، يستخدم للدلالة على أساسي وجـذري في التنظيم السياسي . والبناء الاجتماعي ، وقواعد الملكية الاقتصادية في مجتمع ما ، بشكل يحرم بانكسار كامل ورئيسي لحركة تطور واستمرار النظام القديم

ومن هنا فان المصطلح يطلق على التغييرات المفاجئة والجذرية التي تتم لتغيير نظام حكم ، مثلا ، وتغيير الأطر الاجتماعية والقانونية المصاحبة له ، أو يطلق على التغييرات الجذرية (الراديكالية) التي تتم في مختلف الأنشطة الانسانية ، حتى لو حدثت هذه التغيرات بشكل تدريجي أو بدون عنف ، فكثيرا ما نقول مثلا (ثورة علمية ، أو ثورة ثقافية ، للتعبير عن تطور وتغيير جذري في نشاط انساني ، دون أن يكون هناك شبهة صراع)

وهناك اتجاهان يمثلان المنهجين الرئيسين لمناقشة الثورة كظاهرة انسانية ، ونعني بهما الاتجاه المثالي ، أو الاتجاه المادي التاريخي ، فيرى أصحاب الاتجاه المثالي أن الثورات هي محاولة لتحقيق مثل عليا ، سواء كانت هذه المثل لطائفة دينية أو حزب سياسي ، وبالتالي فإن أصحاب هذا الاتجاه لا يعلقون أهمية على النتائج الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، أما اصحاب الاتجاه المادي للتاريخ ، فاهم يرون أن الثورة هي طريق الخلاص الوحيد للطبقة المطحونة اقتصاديا ، نتيجة لاحتكار السلطة والقوة الاقتصادية في يد طبقة أخرى

ورغم أن هناك بعض المحاولات من مفكرين لابتداع اتجاه آخر أسموه بالاتجاه الواقعي ، الا أنهم وقعوا في النهاية في اطار التفسير المادي أيضا ، لأنه لا يمكن منطقيا أن ننكر أن جذور أي عقيدة ، انما تكمن في الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، فالعقائد الفكرية لا تخلق ظروفا اجتماعية اقتصادية خاصة بها ، ولكن العكس هو الصحيح ، ومن هنا تصبح العقيدة الفكرية هي نقد الواقع ، وطرح الرؤية الشاملة لواقع بديل ، والحلم بالتغيير ، والعمل من أجله

ويدين الفكر الانساني والتاريخ كله لثورات أساسية مثلت التغيير الحقيقي والرئيسي - كما عبرت عن آراء المفكرين - حول نظم الحكم والنظم الاجتماعية .

فحتى عام ١٦٨٨ كانت سلطة الحكم في المجتمعات الانسانية هي سلطة أرستقراطية مالكي الأرض ، حتى جاءت الثورة الانجليزية ، واستعاضت عن هذه السلطة بسلطة الحق الالهي والتفويض - (أفكار توما الأكويني) ، ثم جاءت الثورة الفرنسية في ١٧٨٩ لتنهي هذه المرحلة ، وتسقط نظرية ظل الله في الأرض ، رافعة شعار



، استقو احر مىك ىامعاء حر فسيس » وأقامت التورة سلطه برحوا بة تمتنع بقدر من تأييد طبقة الفلاحين .

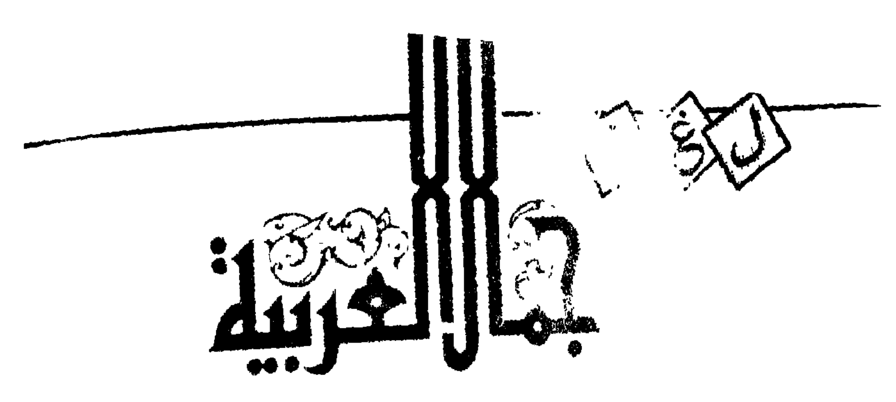
وفي عام ١٩١٧ حدث التورة الروسية ، لسويح مرحلة طويله من التعكس الانساني ، لتنهي سلطة الحكم المطلق على مرحلتين المرحلة الأولى كانت بصيغة التوره البرحوازيه التي هدفها اقامة سلطة رأس مال حصري ، على عرار التورة الفرنسية ، ثم جاءت المرحلة الثانية التي كان هدفها اسقاط البرحوارية ، لاقامة نظام اشتراكي محل النظام الرأسمالي

والمستفاد تاريخيا أنه ليس صحيحا أن مجرد اطلاق كلمة ثورة تعني التقدم او التغيير نحو الأفضل ، فالثوره كظاهرة انسانية تستمد قيمة مضمونها من انتمائها ، ومن الهدف الذي تسعى اليه ، في اطار فهم شامل لموضوعيه الظروف المحيطة بها ، فالثورة الأمريكية مثلا عندما قامت كانت تنادي بالحريه ، ولكنها كانت حرية مُلّاك الأراضي من البريطانيين ، وليست حريه كل أبناء المجتمع ، فقد أبقت الثوره على وضعية العبيد وعلى التمايز العنصرى ، وهناك ثورات التي تأتي لتغيير النظام . وترفعه نحو الخلف ، كالثورة المضادة فوفق عمومية تعريف الثوره ، فان الانقلاب الفاشي والنازي في ايطاليا والمانيا كانا ثورة أيضا !

ولكن على الرغم من كل الاختلافات ، فإنه يبقى أن الثورة ـ بمعنى إحداث التغيير الجذري ـ هي الأداة المتاحة لتحرير الانسان من القهر الاجتماعي والقومي ، في كثير من البلدان التي فشلت فيها كل الوسائل الأخرى ، لتحقيق طفرات تاريخية قادرة على . المجتمعات والانسان ، وصياغة غد أفضل ـ ... له . □

■ ليس أضر على الحقيقة الجديدة من الخطأ القديم (جيته ،

■ الزوج المثالي هو الذي يعامل زوجته كما لو كانت سيارة جـ . ة ٬ دان بينيت) .



بقلم : محمد خليفة التونسي

الاشتقاق من المشتق

يرى علماء اللغات أن لغتنا العربية وأخواتها تشترك في أنها ثلاثية الجذور ، وأن الجذر الثلاثي يتكون من ثلاثة أصوات . وهذا القول لايصدق إلا على طورها الأخير ، أما قبله فإن الكلمات كانت ذات جِذر واحد أو جذرين كما في لغة الأطفال والبدائيين

والجذر الثلاثي في لغتنا هو الذي تؤخذ منه الأسماء (ومنها ما يسمى المصادر) والأفعال بأنواعها وسائر الكلمات التي تدل بصيغتها على الفاعل أو المفعول أو الزمان أو المكان أو الآلة . فالجذر « ف ت ح » مثلاً يؤخذ منه فَتْح ، و فتح ، ويفتح وافْتَحْ ، وفاتح وفتّاح ومفتوح ومَفْتح ، ومفتاح . وهذه الكلمات المأخوذة من الجذر نسميها « المشتقات » وإن كان بعض نحاتنا يرون المصدر أصل المشتقات فلا يسمونه مشتقاً ، وبعضهم يرون أن الفعل أصلٌ لها ، وإن كانوا لا يسمونه مصدراً ، بل فعلاً .

والقاعدة الصَّرْفية العامة في اشتقاق أي كلمة هي الرجوع إلى جذورها ، كما في المثال السابق ، ولكن لوحظ أن العرب خالفت هذه القاعدة فاشتقت من المشتق على ما هو عليه ، ولو تغير عن الجذر بما يسمى إعلالاً أو قلباً ، أو بزيادة حرف . فالجذر « ع ود » مثلاً اشتق منه « عيد » بالإعلال ثم أخذ من « عيد » الجمع « أعياد » والفعل « عيّد » ومصدره « التعييد » ، وقيس على ذلك حديثاً كلمة « قيّم تقييماً » أخذاً من « قيمة » مع أن الجذر هو « ق و م » للتفرقة بين تقييم الشيء ، بمعنى معرفة قيمته ، وبين تقويمه بمعنى جعله قويماً .

وهذه الظاهرة اللغوية يسميها بعض نحاتنا « الاشتقاق على التوهم » ، ونحن نؤثر تسميتها « الاشتقاق من المشتق » وعبارتنا أدقّ وأوضح ، لأن قائل « أعياد ، وعيد ، وتعييد » قد لا يكون متوهماً أن الياء في « عيد » أصلية في الجذر ، ولكنه عدّها كأنها أصلية وإن كان يعرف أن أصلها واو .

ولكنه أراد أن يفرق بين الأعياد التي يحتفي بها الناس ، وبين العادات التي مرنوا عليها ، أو بينهما وبين « الأعواد » من النبات أو « الأعواد » الموسيقية ، ووجوب إزالة اللبس في الكلام (والكتابة) في مقدمة القواعد في كل اللغات واللهجات . وتتمثل هذه الظاهرة بزيادة حرف أو أكثر على الجذر في كلمة ، ثم الاشتقاق منها بعد الزيادة في صيغ شتى ، نجد بعض أمثلتها في الفصيحة ، وبعضها مولّدة في الدارجة التي تجري على طريقة الفصيحة ، فتشتهر على الألسنة والأقلام ، وتكون أهلاً للقبول عند الحاجة ، أو الرغبة في توسعة الكلام وتنويعه ، لأن كلّ ما جاء على كلام العرب ينبغي قبوله في لغة العرب .

وفي لغتنا أنواع شتى من هذه الصيغ نكتفي بإيراد بعضها مع أمثلة لها من الفصيحة والدارجة مع بيان جذر كل منها .

(١) مَفعـل أو تمفعـل : مَسْطَقتُ الطفـل ، وتمنطقت ، من « منطقة » أي الحزام ، والجذر (ن ط ق) . مَذرَع وتمَذرَع من « المدرعة » وهي درع الفتاة والجذر (د ر ع) مَرْحَبَك الله وَمَسْهَلَك ـ كما في القاموس (رحب) والجذر (ر ح ب) ، و(س هـ ل) ، مَسْكن وتمسْكَن (س ك ن) ، مشيخ وتمشيخ (ش ي خ)

(٢) فَعْلَنَ ، وتفعْلَن · (زيادة النون بعد لام الكلمة ترد في كلمات كثيرة في الفصيحة والدارجة) مثل · ابرْهن من « بُرْهان » والجذر (ب ر هـ) سَلْطَنَ وَتَسلْطَن من « سلطان » ، والجذر (س ل ط) رهْبن ترهْبن (ر هـ ب) ، شَيْطَنَ وتَشيْطَنَ والجذر (ش ي ط)، ومن الدارجة العلْمَنة (ع ل م) العقْلنة (ع ق ل) الصغْرَنة (ص غ ر) . الولدنة (و ل د)

(٣) فَنْعَلَ وتفنْعل . سَنْبَلَ الزرع . أخرج سُنْبله والجذر (س ب ل) ، حندله أسقطه على الجدالة (الأرض) والجذر (ج د ل) ، عنْجَر اشتد ، والعنجـرة المرأة الحـريشـة (ع ج ر) ، عنْبَس والعنبس والعبـاس « الأسـد » ، (ع ب س) ، شنْكل قَيَّد ، والشنْكَل والشكال القيْد زَهر وجهه · تلوّن كالزهر (ز هـ ر) ، يتحَنْحل . يخجل (ح ج ل)

(٤) فَيْعلَ وتفيْعَل · عَيْهَرَتِ المرأة وَتعيْهَـرَت ، والعيْهرة . الغول ، والمرأة الفاجرة (ع هـ ر) ، بَيْهَسَ وتبيْهس . تبختر ، والبَيْهَس : الأسـد والشجاع (ب هـ س)[1] ، تَغَيْلَم الغلام : سمن (غ ل م) . هيْنم : أخفى كلامه (هـ ن م) ، وقد اشتق العرب أوصافاً على وزن فيعل بمعنى فاعـل ، مثل . فَيْصل ، وصيْقل ، وحَيْدَر ، وغيْدق وغيْلم وهيصم وفيْكر . أي فاصـل ، وصاقـل وحـادر ، وغادق ، وهاصم ، وفاكر

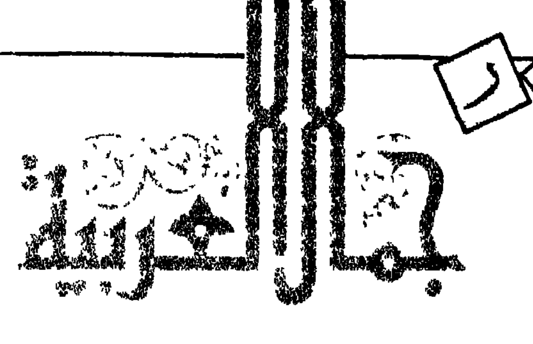
(٥) فوْعَل · حَوْصَلَ الطائر : ملأ حَوْصَلَتَه أو حَوْصَاه ، والمُحَوْصِلُ : من يخرج بطنه كالحُبْلى ، بل قالوا احوبصل (بزيادة همزة الوصل والواو والنون) أي ثنى عنقه وأخرج حَوْصَلَته ، والجذر (ح ص ل) . صَوْمَعَ : الصـومعـة والصـومع : بيت للرهـان ، دقيق القمة ، وصومع البنـاء · جعل أعلاه دقيقاً ، والجذر (ص م ع) . ومثل ذلـك : نوْفَل ، ونَوْرَع وَصْفٌ بمعنى فاعل

(٦) فَعْوَل · الجَدْوَل : النهر الصغير ، وَجَدْوَل الضرب في الحساب أنهار رأسية وأفقية توضع فيها الأرقام في نظام معين ، وفي الدارجـة · جَدْوَلَت الدولة ديونها ، أي نظمتها أقساماً ، لتسـدادهـا أقساطاً ، ومنه جَدْلُ الشعر والحبل والعضل والجذر (ج د ل) دَهْور الشيء : قَذَفه في حفرة أو دفعه فسقط ، والجذر (د هـ ر) .

(٧) فَعْأل ، افْعَألّ · الجذر (ط م ن) والطمن . الساكن ، وهما مهملان ، ولكن المستعمل هو المشتق (طمأن ، يقال : اطمأن الى كـذا أي سكن اليـه (بزيادة همزة وصل وهمزة قطع وتكرار لام الكلمة) ، وهناك كلمات على هذا الـوزن حوشيـة وجذورهـا مهملة كما في قولنا اقْسَأَنّ العود أو الليل بمعنى اشتد وأقْسَنَ الرجل : صلبت يده ، والجذر (ق س ن) واشْمـأزّ · انقبض ونفر ، وتشمّـز وجهه : عبس ، والجذر (ش م ز) ، وازْبَأرّ الديك أو اقْشَعَرّ بمعنى انتفش والجذر (ز ب ر)

وليس من همّنا هنا استقراء هذه الأوزان مع أمثلتها (ولدينا منها كثير قد نعرض له بعد) ، بـل معرفـة قاعدة فرعية هي « الاشتقاق من المشتق» على أوزان أو صيغ عـربيـة استثنـاء من القـاعـدة العـامـة وهي « الاشتقـاق من الجذر » ، وهـذه الأوزان وأمثلتهـا كافية في إثبات القاعدة الفرعية الاستثنائية . كما نشير إلى أن الحـروف الزائـدة على الجـذور لا تنحصر في الحروف العشرة (سـألتمونيهـا) التي حصـر فيهـا علماؤ نا الزيادة ◻

(١) من هذا الجذر (ب هـ س) جاءت صيغة : بهنس وتبهنس بوزن فَعْنل وتَفَعْنَل والبهنس كالبيهس : الشجاع والأسد



هكذا غنى الآباء

أم كلثوم

للشاعر جميل صدقي الزهاوي

الزهاوي من أشهر شعراء العراق المحدثين ، وله عدة دواوين بأسماء مختلفة ، صدر آخرها بعد وفاته ، ثم جمعت كلها في مجلد كبير ، وله أيضا مؤلفات في الفلسفة والدين والنقد والنظريات العلمية الحديثة ، ولكن الشعر غلب عليه طول حياته ، وقد تولى عدة أعمال كالتدريس والوعظ والصحافة ، ومثّل بلده في أكثر من مجلس نيابي في تركيا والعراق ، وتنقل بين بلدان شرقية كتركيا وفارس ، وزار من البلاد العربية مصر وسوريا ولبنان واليمن وكان حر الفكر ، جريئا في ابداء آرائه الحرة ، ومنها حملاته في وجوب التخلص من الخرافات والتقاليد الجامدة ، ودعوته الى تحرير المرأة كقاسم امين في مصر ، مما سبب له متاعب كثيرة كان كأبيه محمد فيضي مفتي بغداد يجيد العربية والكردية والفارسية والتركية وقد نظم بها ولكن أكثر شعره بالعربية كان من بيت دين وعلم وأدب خصه أبوه بالعناية في تربيته ، وهو من عشيرة آل بابان امراء السليمانية في الشمال الشرقي بالعراق ، الذين يقول شاعرنا إنهم ينتسبون الى خالد بن الوليد والزهاوي نسبة الى بلدة « زهاو » في كردستان كان جده لابيه قد هاجر اليها وتزوج احدى بناتها ثم نسب اليها هو واولاده حتى اليوم

وكانت أم كلثوم قد ذهبت الى بغداد سنة ١٩٣٢ لاحياء بعض الحفلات الغنائية ، فحياها الشاعر بقصيدة أبياتها سبعون تضم سبع مقطوعات كل مقطوعة عشرة أبيات لها قافية خاصة ، وقد اخترنا منها ما يخص تحية أم كلثوم ، كما كانت له تحيات شعرية لكل من زار بغداد من أهل الغناء المصريين ولد في بغداد سنة ١٨٦٣ وبها نشأ واستوى وكانت وفاته فيها سنة ١٩٣٦ ، ونحن اليوم في ذكرى وفاته الخمسين ، عليه رحمة الله

النفسُ روضٌ أنيقٌ غيرُ مسنوم ... وأنت بلبُله ، يا أمّ كُلثوم

لأنت أقدرُ من غنّى بقافية ... لحناً يرجّعُه من بعد ترنيم

لممْتِ شملَ الأغاني بعد تفرقة ... لها ، فلم يبقَ شملٌ غيرُ ملموم

يا أمّ كلثوم ، انا شاكرون ، فقد ... أتيتِ طائرةً فوق القشاعيم[1]

هل أنتِ سامعةٌ شعرا أبثُّ به ... يا أم كلثوم- إعجابي وتكريمي

***

يا أم كلثومَ ، غني ، فالهوى نغمٌ ... تلذُّه الشيبُ والشبانُ كلهمُ

غني وغني على الأوتار صادحةً ... فإنما بالأغاني تنهض الأممُ
من لحن صوت رخيم منك يسمعُه ... يا أم كلثوم . حياه الجمع يزدحمُ
غني سنا ثم غني إن ليلتنا ... فيها العواطفُ بالألباب تصطدم
الحسن يسمعُه كالحسن تبصرُه ... ما عمهما من عمى يأتي به السأمُ

* * *

لا يبلغ المرءُ من لذاته وطرا ... حتى يمتّع منه السمع والبصرا
افرحْ بدنياك . واشبعْ من مشاهدها ... فبعدها لا ترى شمسا ولا قمرا
لا منك نفسا أضاعت ـ ويك ـ فرصتها ... ولا تعاتبْ على ما فاتك القدرا
يا حبذا الحسنُ يهدي زهره عبقا ... وحبذا الحبُّ تلقى ناره شررا
يا أمّ كلثوم . غني . فالغناء إذا ... ذهبت عنا سيبقى عندنا أثرا

* * *

يا أم كلثوم . أحييت المنى فينا ... من بعد يأس تألمنا به حينا
يا أم كلثوم . انا أمةً زرحت ... تحت المصائب احقابا فسلينا
يا أم كلثوم . ان اليأس يقتلنا ... اذا تأبيت . والآمال تحيينا
يا نجمة في سماء الرافدين بدت ... انا نحييك أفواجا فحيينا
أرسلت نورا هنيا في أشعته ... نرى الجمال أفانينا أفانينا

* * *

لي في الحياة احترامٌ للنواميس ... فلا أبدل موهوما بمحسوس
يا حبذا روضةٌ أزهارها اتسقت ... كأنما هي أذنابُ الطواويس
وحبذا عندليبٌ فوق أيكته ... يلقى الأغاريد ليلا بعد تغليس(٢)
وحبذا أمُّ كلثوم اذا أحدت ... تشدو فتلعبُ بالألباب في الرؤوس
اي لمي جنة للفن دانية ... قطوفها . ولها حمدي وتقديسي

* * *

غني وغني الى أن يظهر الفلقُ ... ويذهب الليل كل الليل والغسقُ(٢)
يا أم كلثوم . غنينا مسلية ... فاننا بعد أيام سنفترقُ
طلعت بعد انتظار كاد يقتلنا ... ككوكب في سماء الفن يأتلق
غني لنا . ثم غني . اننا فئة ... الى الغناء ـ اذا ما طاب ـ نستبق
ولنغتنم هذه الساعات سانحةً ... فإنني بصفاء الدهر لا أثق

* * *

أميرة الفن . انا من رعاياك ... نصبو لشدوك هذا الضاحك الباكي
في صوتك الفنُّ قد لاقى سعادته ... فإنهُ كل يوم لاثمٌ فاك
ما كنت أحسبُ ـ حتى جئت محسنةً ـ ... أن يجمع الله دنيانا ودنياك
يا أم كلثوم . يقفو الشعب فيك هوى ... ماذا إلى أمةٍ تهواك ألقاك
كنا إذا ما تمنينا لعاطفةٍ ... في النفس لانتمى غير لقياك

---

(١) القشاعيم جمع قشعم او قشعام النسر العظيم يقصد الطائرة (٢) الغلس ظلمة آخر الليل وكذلك الغسق

ش ع ر



هكذا غنى الآباء

أم كلثوم

للشاعر جميل صدقي الزهاوي

الزهاوي من أشهر شعراء العراق المحدثين ، وله عدة دواوين بأسماء مختلفة ، صدر آخرها بعد وفاته ، ثم جمعت كلها في مجلد كبير ، وله أيضا مؤلفات في الفلسفة والدين والنقد والنظريات العلمية الحديثة ، ولكن الشعر غلب عليه طول حياته ، وقد تولى عدة أعمال كالتدريس والوعظ والصحافة ، ومثّل بلده في أكثر من مجلس نيابي في تركيا والعراق ، وتنقل بين بلدان شرقية كتركيا وفارس ، وزار من البلاد العربية مصر وسوريا ولبنان واليمن وكان حر الفكر ، جريئا في ابداء آرائه الحرة ، ومنها حملاته في وجوب التخلص من الخرافات والتقاليد الجامدة ، ودعوته الى تحرير المرأة كقاسم امين في مصر ، مما سبب له متاعب كثيرة كان كأبيه محمد فيضي مفتي بغداد يجيد العربية والكردية والفارسية والتركيه وقد نظم بها ولكن أكثر شعره بالعربية كان من بيت دين وعلم وأدب حصه أبوه بالعناية في تربيته ، وهو من عشيرة آل بابان أمراء اسليمانية في الشمال الشرقي بالعراق ، الذين يقول شاعرنا إنهم ينتسبون الى خالد بن الوليد والزهاوى نسبة الى بلدة « زهاو » في كردستان كان جده لأبيه قد هاجر اليها وتزوج إحدى بناتها ثم نسب اليها هو واولاده حتى اليوم

وكانت أم كلثوم قد ذهبت الى بغداد سنة ١٩٣٢ لاحياء بعض الحفلات الغنائية ، فحياها الشاعر بقصيدة أبياتها سبعون تضم سبع مقطوعات كل مقطوعة عشرة أبيات لها قافية خاصة ، وقد اخترنا منها ما يخص تحية أم كلثوم ، كما كانت له تحيات شعرية لكل من زار بغداد من أهل الغناء المصريين ولد في بغداد سنة ١٨٦٣ وبها نشأ واستوى وكانت وفاته فيها سنة ١٩٣٦ ، ونحن اليوم في ذكرى وفاته الخمسين ، عليه رحمة الله

الفنُّ روضٌ أنيقٌ غيرُ مسئوم ... وأنت بلبله ، يا أمّ كُلثوم

لأنت أقدرُ من غنّى بقافيةٍ ... لحناً يرجّعه من بعد ترنيم

لمّتِ شملَ الأغاني بعد تفرقة ... لها ، فلم يبق شملٌ غيرُ ملموم

يا أمّ كلثوم ، انا شاكرون ، فقد ... أتيت طائرةً فوق القشاعيم[1]

هل أنت سامعةٌ شعرا أبثُّ به ... يا أم كلثوم ـ إعجابي وتكريمي

* * *

يا أم كلثوم ، غني ، فالهوى نغمٌ ... تلذُّه الشيبُ والشبانُ كلهمُ

غني وغني على الأوتار صادحةً ... فإنما بالأغاني تنهض الأممُ

من … صوت رحيم منك يسمعه ... يا أم كلثوم، جاء الجمع يزدحمُ

غني ... ثم غني إن لبلتنا ... فيها العواطف بالأشباب تصطدم

الحسن يسمعه كالحسن تبصره ... ما عمها من غنى يأتي به السأمُ

* * *

لا يبلغ المرءُ من لذاته وطرا ... حتى يمتّع منه السمع والبصرا

افرحْ بدنياك، واشبعْ من مشاهدها ... فبعدها لا ترى شمسا ولا قمرا

لا منك نفسا أضاعت ـ ويك ـ فرصتها ... ولا تعاتبْ على ما فاتك القدرا

يا حبذا الحسنُ يهدي زهره عبقاً ... وحبذا الحبُّ تلقى ناره شررا

يا أمَّ كلثوم، غني، فالغناء إذا ... ذهبت عنا سيبقى عندنا أثرا

* * *

يا أم كلثوم، أحييت المنى فينا ... من بعد يأس تألمنا به حينا

يا أم كلثوم، انا أمةٌ زحمت ... تحت المصائب احقابا فسلينا

يا أم كلثوم، ان اليأس يقتلنا ... اذا تأبّيْت، والآمال تُحيينا

يا نجمة في سماء الرافدين بدت ... انا نحييك أفواجا فحيّينا

أرسلت نورا مهيبا في أشعته ... نرى الجمال أفانيناً أفانينا

* * *

لي في الحياة احترامٌ للنواميس ... فلا أبدل موهوما بمحسوس

يا حبذا روضةٌ أزهارها اتّسقت ... كأنما هي أذنابُ الطواويس

وحبذا عندليبٌ فوق أيكته ... يُلقي الأغاريد ليلا بعد تغليس(٢)

وحبذا أمّ كلثوم اذا أخذت ... تشدو فتلعبُ بالألباب في الرؤوس

إني لفي جنة للفن دانية ... قطوفُها، ولها حمْدي وتقديسي

* * *

غني وغني الى أن يظهر الفلقْ ... ويذهب الليل كل الليل والغسقْ(٢)

يا أم كلثوم، غنينا مسلية ... فاننا بعد أيام سنفترقْ

طلعت بعد انتظار كاد يقتلنا ... ككوكب في سماء الفن يأتلق

غني لنا، ثم غني، اننا فئة ... الى الغناء ـ اذا ما طاب ـ نستبق

ولنغتنم هذه الساعات سانحةً ... فانني بصفاء الدهر لا أثِق

* * *

أميرة الفنّ، انا من رعاياك ... نصبو لشدوك هذا الضاحك الباكي

في صوتك الفنُّ قد لاقى سعادته ... فانهُ كل يومٍ لاثمٌ فاك

ما كنت أحسبُ ـ حتى جئت محسنةً ـ ... أن يجمع الله دنيانا ودنياك

يا أم كلثوم، يقفو الشعب فيك هوًى ... ماذا إلى أمّةٍ تهواك ألقاكِ

كنا إذا ما تمنينا لعاطفةٍ ... في النفس لانتمنّى غير لُقياك

---

(١) القشاعيم جمع قشعم او قشعام النسر العظيم يقصد الطائرة (٢) الغلس ظلمة آخر الليل وكذلك الغسق





إشراقة

شعر : حسن توفيق

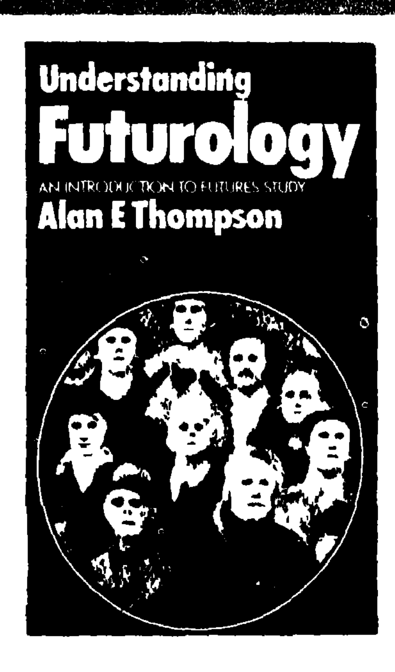
افتح الباب . . فنور الصبح آت بالمحبة
افتح الباب لدنياك بقلب أورقت فيه الأماني والبشائر
انها تفتح في الصبح ذراعيها لترعانا فعانقها . وغامر
ربما يفلح مسعاك على الدرب فترضى أو تشوب السعي خيبة
فاذا خاب فغامر مرة اخرى . . وثابر ليظل الركب سائر
ربما تلمس شوكا من عيون الاخرين
مشرعا يدمي امانيك . فلا تجزع ولا ترجع عن المسعى النبيل
وقتها تنساب موسيقا وتنسيك الأنين .
وقتها تقطف وردا
ربما ينصب اعصار من الحقد فلا تعبأ بمن قد صب حقدا
وتدثر بأمانيك الى ان يمحق الحق خطا الحقد الوبيل
فتبث الناس ودا .

* * *

أيها القلب المحاذر
افتح الباب . . وقل للأصدقاء الخائفين
لم يعش من يغلق الباب عن النور ولم يلحق بركب السائرين
لاتقل ان قلوب الناس ضاقت بسواها واستطابت ان تناور
لا تقل ان امانينا ابيحت . . فاستبيحت . . وافتح الباب وغامر
لاتقل ان رياح الحقد يوما اغلقته .
وبأنياب أفاعيها الدواهي حاصرته .
افتح الباب وجاهر بالأماني والبشائر
افتح الباب فنور الصبح آت بالمحبة
ربما يفتح انسان بدفء الحب قلبه
ويفيض القول شهدا .
وقتها . . تقطف وردا .

مكتبة العربي

كتاب الشهر



تأليف : ألان . ي . تومبسون

عرض وتحليل : نهلة حمصي

يؤمن مؤلف هذا الكتاب بأن الانسان يملك القدرة على احداث بعض التغيير في المستقبل . وبأن حلما كهذا ممكن التحقيق مثل الكثير من أحلام البشر ، ويثق بأن أي عمل يقوم به الانسان يعد توقعا لحالة مستقبلية ، كالذي يزرع الأرض وينتظر نتيجة جهده .

من هذه المشاعر المتحدية يرسم الكاتب خطوطا عريضة لعلوم مستقبلية ، تساعد على مواجهة المصاعب والمشكلات بين الشعوب ، وفيما يلي عرض للكتاب الذي صدرت ترجمته العربية في دمشق مؤخرا وقام بها ياسر الفهد

كتاب الشهر

يرى الكاتب أن معرفة المستقبل ينبغي أن تعتمد على معرفة الاتجاهات والحدود قبل أي شيء اخر ، وهذا يعني الحصول على قدر واف من المعلومات العلمية الدقيقة بحدد مستلزمات الحياة المستقبلية ونوعيها ، وقيمها الجديدة ، ويبين الاختيارات المتاحة أمامنا ـ نحن البشر ـ ويعرفنا السبل الصحيحة ، ويمكننا من ايجاد بدائل مستمرة ، مما يفتح أمامنا باب الاختيار ، ولا يقودنا الى موقف مغلق ليس في صالح البشرية

ويرى الكاتب أن أول علوم المستقبل وأهمها هو ذلك العلم الذي يمكن أن نسميه (ديامية النظم) ، وهو يعني العلم الذي يدرب الناس على النظر الى أبعد ، مع تفحص نتائج أعمالهم بصورة دقيقة ـ واكتشاف النظام الذي يجعل مجموعة من الاجزاء تتفاعل مع بعضها ، وتتأثر كل وحدة بالأخرى وتؤثر فيها

وهذه النظم التي تشمل كل ما في الأرض قد تكون نظما مفتوحة ، ليس لها نهاية كنظام الكون وحركة دورانه والانسان لايملك أمام هذا النظام شيئا ، وقد تكون نظما دورية ، تتكرر بصورة لامتناهية ـ كما نرى في دورة النبات وامتصاصه الكربون واعادته الأكسجين ـ وهذه قد يمكن التأثير فيها بشكل جزئي ، وهناك نظم مغلقة ، تنتهي في وقت مناسب ، كنظام التعدين مثلا ينتهي بانتهاء استخراج المادة

تناسب لابد منه :

ومدار حديث الكاتب بشكل عام حول النوع الأخير من النظم المتعلقة بالمواد المستخرجة من الأرض ذلك أن الحضارة بدأت مند أن عرف الانسان المعادن واستخدام المواد الخام لصنع أدواته ، ثم بدأ يطور استعمالها مع تطور حضارته

ويرى الكاتب أن من الضروري معرفة النظام المغلق للخامات المتوفرة على سطح الأرض ، بحيث تتناسب دورة حياتها مع دورة حياة الانسان ، ذلك أن التسارع في استنفاد الخامات الموجودة قد يقرب نهاية هذا النظام ـ لان تشكلها في باطن الأرض تم على مدى ملايين السنين ، واستغرق تراكم هذه المواد امدا طويلة ، بينما يجري استخراجها اليوم بشكل سريع مذهل

ومن مشكلة نفاد المواد تشتق العلوم المستقبلية التالية

معرفة كيفية استعمال المواد بشكل دوري بحيث تستعمل ، ويعاد استعمالها دون أن تنفد أبدا ، وهذا مايسمى بتقنية الدورات المتكررة للفضلات

ـ اعادة استخراج المواد باستخدام النقية والطاقة ، ذلك أننا قد ننقل الخامات من أماكنها الأصلية ، ولكنها ـ ككتلة ـ تبقى مشتتة بمقدارها ذاته في العالم

ـ التفكير بالبدائل التي تعطينا الطاقة من غير المواد الموجودة على سطح الأرض أو في باطنها ، وذلك الاقتراب من التيار الرئيسي للطاقة الواردة من الشمس ويتم هذا بمضاعفة تفاعلات الشمس للحصول على نوع من التفاعل الذري الذي لاتتخلف عنه فضلات وبقايا خطرة ، وباستخدام القدرة الاشعاعية للشمس باستعمال طاقة الرياح ، والأمواج المرتبطين أصلا بالطاقة الشمسية ، باستعمال الطاقة (المدجرية) لحد ما وهي الطاقة المرتبطة أساسا بالقمر

ثم باطلاق طاقة من كتلة معينة ، اذ لو أمكن تصميم جهاز قادر على استخراج الهيدروجين من ماء البحر ليستعمل وقودا ، فان مشكلات الطاقة سوف تجد طريقها الى الحل

ـ تطوير التقنية باتجاه اقتصادي وتنمية كفاية الأشخاص ومهاراتهم وفعالياتهم ، بحيث يستعملون المواد الحالية ، ومصادر الطاقة المعروفة بما يحقق تقدم المجتمع ، دون هدر أو تضييع ، وهذه الريادة في المهارة تكون على المستويين العلمي والتقني ، بحيث لاتسبب التقنية ضياعا في الطاقة ، أو اهدارا في المادة ، أو تلويثا للجو والماء .

ويقتضي هذا الأمر ترشيد استهلاك الطاقة ، [illegible] الاستعمال [illegible] والمواد ، [illegible] للاستعمال [illegible] والكمبيوتر [illegible] [illegible] دينامية [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

العالم الثالث وعلوم المستقبل

[illegible] مشكلات البلاد النامية كثيرة ، [illegible] العلوم المستقبلية تلك التي تتيح [illegible] [illegible] التي نعمل بها الأمور بصورة [illegible] ، ثم تكييف [illegible] النظام في تلك البلاد ، حتى تمكن [illegible] على كسب [illegible] وتغيير [illegible] [illegible] البلاد

المتقدمة الى البلاد النامية . [illegible] ادخال [illegible] [illegible] بجذافيرها ، فان [illegible] التي هي [illegible] في البلاد النامية لا [illegible] . وانما [illegible] [illegible] ان يعرف [illegible] [illegible] ضمن المجالات التي يمكنه فيها [illegible]

[illegible] الكاتب [illegible] هل [illegible] معرفة وتصميم ان نحقق ما [illegible] ؟ هل [illegible] [illegible] قادر على توزيع [illegible] [illegible] جميعا أي وضع أكثر [illegible] [illegible] ؟

[illegible] هل يعني [illegible] نقبل تقنية الغرب بجذافيرها ؟ وهل هذا في صالح البلاد النامية ؟

[illegible] عن هذه الأسئلة [illegible] التقنية بجذافيرها نوع من الغطرسة التي [illegible] العالم المتقدم ، [illegible] تقنية اوروبا الحديثة [illegible] مشكلاتها من تلوث [illegible] للمواد [illegible] [illegible] سواء اذا دخلت الى البلاد النامية [illegible] مشكلات هذه البلاد معقدة ولان [illegible] [illegible] [illegible] في النظام اقل [illegible] [illegible] في البلدان المتقدمة ، وان [illegible] لا [illegible] [illegible] في سبيل ذلك جهود [illegible]

مطالب أساسية

[illegible] عن الأسس [illegible] [illegible] وارادته أن يحتمل [illegible] [illegible] ، [illegible] العدالة والحرية والمعرفة [illegible] [illegible] النامية مع ادخال اي تقنية متطورة ، وان [illegible] الغرب في فعل الأشياء لا يمكن ان تطبق على البلاد النامية بجذافيرها ، لذلك عليه الا يجرؤ [illegible] ان يتأكد مما هو في [illegible] ، وأن على العالم الثالث أن يتعلم التمييز بين ما يستطيع فعله [illegible] [illegible] الشروع في أي عمل ، لأن الارادة لا تكفي في مثل هذه المجالات ، وانما تحتاج الى المعرفة

وعلى الرغم من ان الكاتب يعرض صورة [illegible] فيها الكثير من القتامة ، فانه [illegible] [illegible] لا بد ان تطور الارادة [illegible] وتطور العقل ، وان عالمنا اذا [illegible] أن [illegible] على عقبات السنوات الخمسين

كتاب الشهر

المقبلة ، بالارادة والمعرفة ، ووصع سلسلة من البدائل لما يمكن أن نختار وأن نفعل ، فان الصورة القادمة تبدو باعثة على الأمل .

ويعتقد الكاتب أنه على الرغم من خوف المفكرين الذين يسمون عصرنا بعصر الانهيار ، فان الانسان حي والـزمن يسير ، ولكن اذا أردنا أن تستمر حضارتنا ، فلابد أن تنحز قيما أعلى من قيمنا الحالية ، ولابد لهذه القيم من أساس للبداية ونقطة للانطلاق فبقاء الحس البشري له الأولوية من بين هذه القيم ، ولذلك علينا أن نحافظ على البيئة والموارد البشرية ، ولابد لذلك من تحسين مستويات الاسكان والتعليم والصحة والتغذية ، ويرى الكاتب أن الرغبة في التحسين في وقتنا الحاضر هي بالضبط التي أدت الى تهديد البيئة والموارد وتهديد وجود الانسان نفسه والتقنية التي توصل اليها الانسان ، ففتحت أمامه آفاقا غير محدودة ، هي المسؤولة عن الأخطاء والأخطار التي تحيق به وتهدد بيئته وبالتالي بقاءه

ولما كان هناك صراع ظاهر اليوم في استعمال مصادر المواد في الأرض بشكل يزداد أكثر فأكثر ولما كانت التقنية هي المسؤولة عن الخطأ ـ كما يرى الكاتب ـ فانه يرى أنه اذا توافر لنا فهم لكيفية انجاز أهدافنا ، ففي وسعنا أن نرفع مستويات حياتنا دون تهديد بيئتنا ، وينشق من هذه الحاجة علوم التقنية البسيطة والفعالة تلك التي لاتستهلك مواد كثيرة ، والعلوم التي تقدم الدراسات لايجاد مجتمع تقل فيه مصروفات الشخص العادي بدلا من أن يزيد دخله ، ويمكن أن يتحقق ذلك بتخفيض المعيشة ، وبخاصة تخفيض الانفاق على الوقود والكهرباء الى النصف ، وذلك باختراع وسائل مواصلات تحتاج الى طاقة أقل ، وبيوت تختزن الحرارة والدفء بشكل أفضل ، وقد يكون ذلك بانقاص ساعات عمل رب الأسرة ، حتى يتسنى له التفرغ لزراعة بعض الغذاء ، وهذه الأمور يمكن تحقيقها دون استعمال تقنية أكثر تقدما مما هو متاح الآن .

علوم المستقبل واخلاقياته :

ان مانحتاجه في علوم المستقبل هو ماترسمه لنا القيم والاخلاقيات المستقبلية ، من تشكيل نظام مفتوح يلبي حاجاتنا الحقيقية ، ويكيف افعالنا التي نقوم بها في العالم المادي ، ان ما نحتاجه في علوم المستقبل هو مايرسم الطريق الصحيح للمجتمع ، فيهب الناس ما يحتاجون اليه فعلا من ضمان وطمأنينة . وهذا مايمنحهم التماسك ويمكنهم من العمل معا

ولكن طالما أن الماضي هو الذي يسيرنا ولانسعى الى تغييره ، فلن نصل الى خيارات المستقبل الممكنة ، ولن يكون لدينا نظام أكثر انفتاحا ، والانسان عندما يصل الى النقطة التي يمكنه أن يتحرك منها ، وينفصل عن المرحلة السابقة التي تشده ، ويتحكم بما سوف يحدث ، يكون قد بلغ انعطافة وخطا فاصلين في تاريخ تطوره البشري ، واستطاع أن يصل الى النقطة التي تمكنه من معرفة المستقبل بشكل أوسع .

وينبثق عن هذه القيم تلك العلوم المستقبلية التي تسعى باستمرار الى تطوير التقنية . . فللاختراعات عمر زمني معين ، ما أن تتجاوزه حتى يصبح تأثيرها سلبيا

كذلك فقد ينشأ عن التقنية أخطاء تؤثر على النظام المالي ككل ، اذا كان الهدف منها الحصول على أرباح ليست موجودة أصلا ، أو أنفق عليها أموالا كثيرة بشكل غير رشيد ، أو انصب الاهتمام على التقنية المتقدمة فحسب ، على اعتبار أنها فقط تفيد المجتمع ، في حين أن التقنية المتوسطة أيضا تفيد ، من خلالها معرفة المشكلات وحلها بكلفة أقل . واذا كانت تكاليف أي صناعة أكبر من الفوائد الناجمة عن الاستعمال ، فان التقدم التقني الحاصل هو تقدم سلبي ، يكلف أكثر مما يعطي ، وطالما أن متوسط الكسب من التقدم التقني يتجاوز مجمل التكاليف ، فان للجهد المبذول ما يبرره .

ومن الملاحظ أن دخل المخترعات والاكتشافات الجديدة خلال القرون الماضية قد تجاوز قيمة رأس المال والوقت المدولين ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما ارتفع مستوى المعيشة ، وهكذا فان الاختراع الناجح هو الذي يسفر عن منافع حقيقية للمجتمع ، وذلك بايجاد الثروة ، ولايعني هذا أن تبنى الصناعات على وجوب ايجاد وظائف للأفراد ، فليست مهمة الصناعة توفير الوظائف لأيد عاملة ، وانما مهمتها توفير السلع والخدمات ، أما اذا سارت الصناعة في اتجاه ايجاد العمل لأكبر عدد من الناس ، فانها تصبح بمثابة عنصر استنزاف للمجتمع وتأمين العمل لأي فرد منتج أو غير منتج - خوفا من البطالة - يؤدي الى الصناعة الزائفة ، وان خلق مزيد من العمل غير المنتج أو (اللاعمل) يؤثر تأثير سلبيا على المجتمع وعلى الصناعة معا

ان المشكلة التنظيمية تتمثل في توجيه العمل في الاتجاه الصحيح ، وهناك أيد عاملة قادرة على ايجاد مزيد من الثروة - من خلال المخترعات - ويمكن تشجيع هذه الصناعات المتطورة الجديدة باعفائها من الضرائب لفترة ، لان المخترعات ثروة قابلة دائما للتجدد ، وهي شكل من أشكال رأس المال وليس دخلا وقد تنتهي الثروة المخزونة بشكل معدني اذا انتهى أمدها ، أما الثروة التي تبقى فهي ثروة المعرفة ، التي يمكن خلقها بتطبيق الذكاء في المجال التقني ، ان المجتمع القادر على فهم معارفه واستثمارها ، هو المجتمع القادر على الاستفادة من هذه المعارف ، وهو الذي يمكن أن تتقدم فيه التقنية بحيث تبقى قادرة على الحياة ، وتعزيز قيمها بواسطة المثل الأخلاقية والأفكار الجديدة .

الطعام لكل الأفواه

ومن العلوم المستقبلية تلك العلوم التي تعالج مشكلة الجوع وتأمين الطعام للافواه المتكاثرة في العالم ومن أبرزها : العلوم المتعلقة بالاستفادة من الانتاج الزراعي دون الحيواني ، لان مايمكن الحصول عليه من الزراعة يزيد على الانتاج المتعلق بالحيوان ، ويمكن أن تنصب هذه العلوم على تحسين أصناف زراعية موجودة ، وبخاصة اذا ماكانت من أصل بري ، لأن النباتات البرية تقاوم كثيرا من العوائق كالقحط والصقيع ، وبقاؤها على سطح الأرض دليل قدرتها على التكيف والتغلب على المصاعب في كل مكان ، وزيادة انتاج الغذاء بأي وسيلة متوفرة ، مثل استعمال أجزاء النباتات غير المستعملة اليوم ، للحصول على السكر بواسطة التكسر السيللوري ، أو لتغذية الطحالب والعضويات وحيدات الخلايا بها ، ثم الاستفادة من هذه الطحالب للحصول على البروتين . ويمكن ايضا اضافة مواد الى النفط بهدف تحسين غلة الخمائر التي تم تطوير تقنية زراعتها في النفط كطريقة لتنظيفه ، ثم انتاج الغذاء من هذه الخمائر التي تحتوي على دهون وبروتينات ويمكن لهذه الأغذية أن تستعمل في البداية كأطعمة للحيوانات ، مع استمرار تكييفها ، لتصبح مقبولة على مائدة الطعام البشرية ، حتى لاتكون المجاعة بديلا لها .

ولكن الكاتب وهو يدعو الى هذه العلوم التي تؤمن الغذاء بشكل واسع لأكبر عدد من البشر ، يخشى أن تكون النتيجة تفجرا سكانيا لايمكن تخيله ، يزيد من تحميل كوكبنا أعباء ليس لها حدود ، ويؤدي الى نقص الطاقة والمعادن أكثر حدة ، ويزيد في انتشار التلوث ، وقد يؤدي الى وضع تصبح فيه المدن مقببة لها معاملها الخاصة لتكييف الهواء . .

ويتساءل الكاتب ماذا نحتاج كي نصل الى هذه العلوم المستقبلية ؟ ثم يجيب بأن ذلك يكون من خلال التربية والدفاع ، والنظرة الى الأمور من خلال علاقة بعضها بالبعض الآخر ، والتفاعل الصحيح بين العلم والدين .

فالكاتب يرى أننا لانعلم أولادنا من أجل المستقبل الذي سيغير كثيرا من قيمنا المقبولة اليوم . . ولذلك فان الطفل عندما يغدو شابا سيصعب عليه التكيف مع محيطه ، لأنه لم يحمل صورة المستقبل المحتملة ، وأن التربية تحتاج الى نظرة كلية ، كما أن بحث مشكلاتها يجب أن ينظر اليه من خارج المدرسة . . ان على التربية أن ترسم توقعات مستقبلية كافية يمكن العمل على هديها .

كتاب الشهر

المستقبل والقوات المسلحة

أما بالنسبة للقوات المسلحة وسباق التسلح ، فان الكاتب يقترح دورا جديدا لهذه القوات ، وهو اعادة الاستثمار في المجال الدفاعي ، وتحويله من خسارة الى ربح ، مما يجعل الحماية اكثر واقعية ، ويكون ذلك بمعرفة العدو الحقيقي ، وهو العدو الذي يهدد البشرية من نقص الطعام والطاقة ، اضافة الى التلوث والمخاطر الصحية ، وبذلك تصبح مهمة القوات المسلحة حماية الانسان. وأمام القوات المسلحة في المستقبل مشكلات كثيرة ، ويمكن ان تؤدي بتوظيف استثمارات الجيوش باتجاه مايهدد البشرية الى رفع معنويات القوات المسلحة والمدنيين على السواء ، لأن مقدارا كبيرا من المادة والقوة ... وستشعر الجميع ... لتغلب عليها.

لذلك فان أي دراسة مستقبلية يجب ... المقاييس الملائمة عما من متغيرات في الحجم والشكل ، وتقدير المقاييس بدقة يعني الكفاية فعندما يتم تقدير المقاييس على أساس خاطىء دون النظر الى العوامل الأخرى ، فان مايحدث هو الخطأ في تحديد الهدف ، وهكذا فليس كل عمل نقوم به هو عمل جيد ، وينبغي التفريق بين العمل والكفاءة ، فالكفاءة عادة تتعلق بالنظام أو بجزء منه ، ولكنها تحتاج دائما الى نظرة كلية لكل النظام ، وهذه الكفاءة هي التي تعين على التبدل مع المتغيرات التي تقع في العالم ، وتوصلنا بسلام الى الظروف التي لم نعتد عليها ، ولانستطيع مصارعتها.

وما ينطبق على الأفراد يمكن أن توصف به الدول ، ذلك أن الدولة المستقرة المتحجرة تنطوي على أخطار. بينما اذا وجد في الدولة تنظيم أكثر انفتاحا وتعددا في الشكل كان ذلك أفضل من أجل المستقبل.

اما بالنسبة لعلاقة العلم بالدين ، فيرى الكاتب أن كليهما يرسم للانسان نظرة مستقبلية أكثر اشراقا من الواقع الذي يعيش فيه.

هذا الكتاب واحد من الكتب التي بدأت تطرق باحاح باب المستقبل ... وتحاول أن تحلل مشكلاته ، وتصل الى ... صحيحة فيه.

وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب ... فانه يتوجه في كتابه الى العالم المتقدم والعالم النامي على حد سواء ، فلا يمكن لعالم المستقبل أن نتحدث عن بلد دون آخر ... الكرة الأرضية كلها ... الأموال والمعارف والدراية قد تشابكت في ... ان عمليات امتزاج الفكر الثقافي قد ... وتلاقت هموم ومخاوف ... في العالم ... التي ... حدوثه.

وكما رأينا ، فان موضوعات الكتاب التي ... المؤلف ... الى مادة والتقليل من استخدام الطاقة ... يمكن التوصل اليها من خلال التقنية المتوسطة التي لاتسبب تلوثا ، ولاتهدد مادة ، ولاتهدد الأرض في المستقبل القريب والتي تصل معها الى مجتمع عالمي متكافل ينسجم مع الخلاء على سطح الأرض.

ان الحديث عن المستقبل اليوم من خلال نظرة كلية الى الأمور ، بات ... أخذ المفكرون والعلماء يسرعون الى ولوجه من خلال مايؤلفون من كتب أو يعدون من أبحاث ومقالات ، ومايعقدون من ندوات،يدفعهم الى ذلك القلق والخوف من تسارع حضارة يخشون أن يفقد الانسان زمام الأمور أمامها ، وبخاصة اذا لم يفهم النكسات التي تترتب على المشكلات ، ولم يع النظم التي تسيرها والحلول التي يمكنه الأخذ بها ، والحدود التي يستطيع التحرك من خلالها ، والاتجاهات والقواعد التي ينبغي أن تكيف أعماله وتدفعه الى العمل □

من المكتبة العربية



السّوق الدّاخلى

رواية جديدة لمحمد شكري

بقلم : علاء الدين محسن

بعد نشر سيرته الذاتية ، ومجموعتين قصصيتين ، احتل اسم الكاتب المغربي محمد شكري مكانا مرموقا على خريطة الكتابة الأدبية العربية ، وجاء منع كتبه من التداول في معظم البلدان العربية ليحيط اسمه بهالة اسطوريه تحمل من الحقيقة بقدر ما تحمل من الوهم ، وضمن هذا الاطار يأتي العرض التالي لرواية الكاتب الأخيرة .

روايات محمد شكري هي الأكثر مبيعا في المغرب ، ومؤلفها هو الأكثر شهرة خارج المغرب ، مقارنة بالكتاب المغاربة الآخرين ، لقد طبعت مجموعته الأولى « مجنون الورد » مرتين : الأولى في بيروت سنة « ١٩٧٦ » ، والثانية في الدار البيضاء سنة « ١٩٨٥ » . أما سيرته الذاتية فقد طبعت للمرة الثالثة بعدما نفذت طبعتاها السابقتان ، وبمعدل ٥٠٠ نسخة لكل طبعة ، وترجمت سيرته التي ضمها كتابه « الخبز الحافي » الى العديد من اللغات في العالم ، نقلا عن ترجمتها الفرنسية التي قام بها الطاهر بنجلون ، وهي أصلا مكتوبة بالعربية ، الا أنها صدرت بالانجليزية أولا ثم بالفرنسية ، ثم صدرت بباقي اللغات ، لأن ناشرا عربيا لم يوافق على تحمل مسؤولية طبعها ، حتى طبعها شكري بالعربية على نفقته الخاصة بالمغرب ، بعدما وفرت له عوائد ترجماتها المتعددة امكانيات مادية سمحت له بذلك ،

ويتميز شكري أيضا بأن الرقابة تطارده أكثر من غيره من الكتاب المغاربة ، فمحمون الورد مثلا نشرت في بيروت بعدما شذبها ناشرها وحذف أهم قصصها وهما « الخيمة » و « الخبز الحافي » ، وعندما صدرت سيرته في المغرب بالعربية ، لم توزع خارجه ، لأن صدر الرقابة في الأقطار العربية لم يحتملها ، وحتى في المغرب صودرت لاحقا طبعتها الثالثة ، أما مجموعته الثانية « الخيمة » ١٩٨٤م فقد صودرت بعد عدة أشهر من طبعها وتوزيعها في المغرب ، الذي يندر أن يحظر فيه كتاب ، اذ لاوجود للرقابة المسبقة . وقد جاء هذا المنع المتلاحق ليعزز أسطورة محمد شكري التي فيها - بالتأكيد - من الوهم بقدر ما فيها من الحقيقة

الأوروبيون سحرتهم سيرته الذاتية ، لأنها أطلعتهم على نمط من عيش الاخرين (الذين هم نحن) فحتى أكثر النقاد تسامحا مع محمد شكري لم يستطيعوا اخفاء احساسهم بأنهم وجدوا في « الخبز الحافي » نصا فولكلوريا ، أخذ اسم السيرة الذاتية التي تعتمد موضوع طفولة شيقة ، فيها بعض اللامعقول لتمتلك مبرر دخولها فضاء الكتابة . وعلى أية حال فالخبز الحافي باعتمادها السرد ذا الافق المحدود ، والتصوير الفوتوغرافي من الخارج ، واللغة الخالية من السلاسة والسحر ، انما تعبر عن كاتب محدود الموهبة ، وهو مادفع ببعض الذين قرأوا ترجمتها الفرنسية وقارنوها بأصلها العربي الى القول ، بأن الطاهر بنجلون كتب « الخبز الحافي » من جديد ، ولم يكن مجرد مترجم ، وخصوصا أن « الفولكلورية » ليست بالموضوع الغريب عن الطاهر بنجلون نفسه .

أما قراء شكري العرب ، فتدهشهم للوهلة الأولى مساحة الجرأة التي تمتلىء بها كتاباته ، فلا شيء في الحياة اليومية غير قابل لأن يصبح موضوعا لقصة ، من الفراش الى المرافق الصحية ، والى تسمية الاشياء بأسمائها ، وشكري يعد ذلك جرأة ، وخروجا على المألوف ، وتجاوزا على الحظر غير المبرر على الكاتب العربي في تناول مواضيع معينة ، ليست سياسية بالضرورة ، فكتابة شكري ليست سياسية بالدرجة الأولى ، الا أنه بمجرد زوال دهشة المواجهة الأولى ، لايملك حتى أكثر قراء شكري تفتحا ، وابتعادا عن دائرة المحافظة بدا من التساؤل عن أي نوع من الكتابة تنتمي لها أعمال شكري ، ورغم أن محمد



المؤلف المغربي محمد شكري

شكري يؤكد أنه ليس كاتبا « اباحيا » الا ان العديد من كتاباته تتضمن شيئا من « الاباحة » ، فنحن في النهاية في مواجهة النص وليس النوايا الطيبة لكاتبه

هجمة الهيبيين :

صدرت لمحمد شكري مؤخرا رواية ثانية عنوانها « السوق الداخلي » ونحن نقول رواية ثانية لأن هناك من يعد « الخبز الحافي » رواية أكثر منها سيرة ذاتية

وتذكرنا « السوق الداخلي » برواية صدرت قبلها هي « الثعلب الذي يظهر ويختفي » لكاتب مغربي آخر هو محمد زفزاف ، ليس لأن الموضوع هو نفسه في الروايتين : أعني هجمة الهيبيين على المغرب في الستينيات ، بل لأن البطل وهو الراوي في الوقت نفسه يحمل اسم (علي) في الروايتين ، ويعمل معلما في الدار البيضاء - في الروايتين أيضا ومنها ينطلق الى مدينة الصويرة « جنوب المغرب » في « الثعلب الذي يظهر ويختفي » لزفزاف ، والى مدينة طنجة شمال المغرب في « السوق الداخلي » لشكري ، وفي المدينتين ، كما في الروايتين ، تدور الأحداث التي يقدمها البطل بضمير المتكلم ، وتتمحور حول

علاقاته ومعامراته مع الهيبيين والهيبيات الوافدين الى المدينتين والخلاصة « المحتملة » للروايتين قد تكون محاولة تقديم طريقتين وفلسفتين للعيش في حاله تصادم أكثر منها حالة تفاعل وحوار ، فهناك سكان البلد المغاربة ، وهناك الهيبيون ، وفي الروايتين لايظهر أن ثمة امكانية للقاء بين طريقتي العيش

فعلي في « الثعلب » لزفزاف يعود هاربا الى مدينته الدار البيضاء ، خوفا من اتهامه بجريمة قتل تعرض لها بعض الهيبيين ، رغم أنه لم يقترفها ، وعلي في « السوق الداخلي » لشكري عندما تسحره طريقة عيش الهيبيين ويقرر الالتحاق بالآخر واجتياز الحدود المغربية ـ الاسبانية يرافقه أحد الهيبيين ، فتنقلب بهما السيارة ليحو هو ويجد نفسه في طنجة ، فيما يموت الهيبي

الانبهار والخسائر .

يقول شكري عن روايته « السوق الداخلي » انها رواية ذهنية اصور فيها نماذج من العلاقات بين الشباب المغاربة والأجانب ، لقد توصلت الى خلاصة أن هؤلاء الهيبيين ساهموا في احداث الكثير من التغييرات على سلوك وتفكير الشباب المغربي ، فقد علمونا البساطة في العيش وعدم الاهتمام بالفوارق الاجتماعية ، كان لدى المغاربة حالة انبهار ازاء هؤلاء الهيبيين ، وهذا الانبهار لم يخل من خسائر : فقد كان الهيبيون يدعون الى نوع من البساطة في العيش خالية من أي تكوين ثقافي ، في حين أن الشاب المغربي بأمس الحاجة الى مثل هذا التكوين ، لقد وصل الهيبيون الى مستوى من الحضارة ورفضوه ، ولكن ماذا نرفض نحن ؟

هل نرفض الثقافة التي لانملكها ؟ يجيب شكري بقوله : مثل هذا السؤال لم يكن مطروحا في غمرة هذا الانبهار ، وبتأثير ذلك انسحق العديد من الشباب المغاربة جنونا وانتحارا وبطالة وضياعا من أجل الارتواء الجنسي على الخصوص .

وعندما ذهب الهيبيون لم يستطع مقلدوهم المغاربة الاستمرار على نفس طريقتهم في العيش ، وفي ذات الوقت لم يتمكنوا من العودة الى حياتهم الأولى ، وظلوا يعانون من ازدواجية واضحة

ويضيف . يمكنني القول عن « السوق الداخلي » أيضا أن فيها تقنية جديدة بالنسبة اليّ ، وأنها تعتمد على ايحاء الرموز والكلمات

وبالفعل فالرواية على عكس أعماله السابقة ، وعلى عكس رواية زفزاف تبتعد كثيرا عن مجرد الوصف الخارجي للأحداث والشخصيات ، وتخوض معامرة التأمل في العالم بناسه وأشيائه بلغة عقلية جميلة ، ويبدو أن شكري لايريد لها أن تمنع ، فشدها مما كان سببا في منع أعماله السابقة ، ولم تخل رغم ذلك مما صار متوقعا في قصصه . □

اهتمام المسلمين بالمعلم

المستقرئ لتاريخ التربية والتعليم في الاسلام يلاحظ ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه المسلمون ، في أن يتلقى الطالب العلم من المعلم ، ونبذهم الاعتماد على الكتب وحدها كمصدر لتلقي العلم ، وقد جاء في أقوالهم « من أعظم البلية تشييخ الصحيفة » وكذلك قال أحد الكتاب المسلمين القدماء « من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان » وقد قال مصعب بن الزبير : « الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال ، فانك لا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منثوراً » .

مكتبة العربي

مختارات



اسم الكتاب / أشكال التعبير في القصة الليبية القصيرة .
المؤلف / د عمر بن قينة .
الناشر / مؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر
عدد الصفحات / ١٨٥ من القطع الكبير

يعتبر هذا الكتاب بشكل أو بآخر استكمالا لدراسة سابقة للمؤلف رصد فيها نشأة وتطور القصة الليبية ومضامينها المختلفة ، ضمها كتابه « القصة الليبية ، نشأة وتطورا » .

وهو هنا يقوم بدراسة القصة الليبية من حيث أشكال التعبير التي اتخذتها القصة خلال تطورها منذ البدايات التي استمرت حتى بداية السبعينيات . وحتى مرحلة التكون التي اكتملت في العقد نفسه

ويقدم المؤلف دراسة من خلال فهمه الخاص للمدارس الرومانسية والواقعية . والصور الرمزية ، والأسطورة والمذكرات ، وهي الأشكال والاساليب التي طرقتها القصة الليبية خلال مسيرتها



اسم الكتاب / ايران في سنوات الحرب العالمية الأولى .
المؤلف / فوزي خلف شويل .
الناشر / مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة .
عدد الصفحات / ١٦٨ من القطع الكبير .

حين نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، كانت ايران هي الجار الضعيف لروسيا القيصرية ، قد وصلت الى حالة مزرية من التفكك والضعف ، وخلال سنوات الحرب أعلنت ايران حيادها ، غير أن ذلك لم يمنع أن تكون أرضها مسرحا لعنف داخلي . اشتد مع دخول بريطانيا حلبة الصراع ، وفقدت ايران خلال سنوات الحرب أكثر من ربع مليون شخص ، وثبتت بريطانيا أقدامها خصوصا بعد انسحاب روسيا التي أصبحت اشتراكية فبقيت ايران لقمة سائغة للاستعمار البريطاني الذي آلت اليه مقدرات الأمور

ولايغفل الكتاب الحركات الثورية الايرانية التي لم تكن محايدة في ذلك الصراع الذي تمخض عن انهيار حكم الأسرة القاجارية ، ومجيء حكم أسرة بهلوي ، في فترة من أخطر فترات التاريخ الايراني الحديث



اسم الكتاب / ديك ومائة مليون دجاجة
المؤلف / محمد الماغوط .
الناشر / دار ميديترانيه - باريس .
عدد الصفحات / ٢٢٤ من القطع الكبير

في هذا الكتاب جمع شاعر قصيدة النثر، والمسرحي والصحفي السوري محمد الماغوط بعض كتاباته الصحفيه، واختار لها عنوانا يشي بما يحويه الكتاب من هجائية وسخرية سوداء ، تليق بأيام العرب الحالية - ومن خلال عين راصدة ، يجمع الماغوط لقطات

صغيره ، وحكايات بسيطة ، وملاحظات [illegible] ليرسم صورة المجتمع العربي [illegible] بما فيه من جهل وتخلف وقمع ، حيث تختلط هذه الأوراق جميعا لتصل الى نقطة العبث التي [illegible] فيها المخطوط مرآة لعصرنا وأوضاعنا



اسم الكتاب / العمدة [illegible] - رواية
المؤلف / [illegible]
[illegible] سكندر [illegible]
الناشر / دار [illegible]
عدد الصفحات / [illegible] صفحة من القطع [illegible]

[illegible]
[illegible] المجتمع [illegible]
وذلك [illegible] تشعر [illegible] من [illegible]
وكما [illegible] الأمر بالنسبة لأعمال أدبية سابقة [illegible]
[illegible] هذه الرواية [illegible]
ذاته [illegible] الكاتب [illegible]
[illegible] في هذه الرواية [illegible]
[illegible] الشخصية لأحداث تلك [illegible]
وتفاصيل التجربة الشخصية للمؤلف [illegible]



اسم الكتاب / ليانة والقمر / قصص
المؤلفة / ليالي بدر
الناشر / رابطة الكتاب الأردنيين - عمان
عدد الصفحات / ٥٦ من القطع المتوسط

المجموعة الأولى لكاتبة القصة الفلسطينية ليالي بدر ، جمعت فيها تسعا من قصص الأطفال التي تنوعت مواضيعها لكنها اجتمعت على الحكاية البسيطة والمفردة السهلة الواضحة ، التي تشكل أساسا الكتابة للأطفال عند ليالي

وتتنوع موضوعات قصص المجموعة بين عالم الطفولة البريء ، ومشاهد القسوة والاقتتال التي يراها الطفل من حوله . كما [illegible] القصص ، [illegible] الأطفال والشخوص [illegible] الأخرى ، [illegible] [illegible] الشجرة والنخل [illegible] [illegible] [illegible]



اسم الكتاب / ماذا نعرف من أدب غسان كنفاني
المؤلف / [illegible]
الناشر / دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع - [illegible]
عدد الصفحات / ٨٠ من القطع الصغير

يعد هذا الكتاب بشكل أو بآخر استكمالا لتلك الجهود التي انطلقت لجمع أعمال غسان كنفاني غير المعروفة ، أو غير المنشورة ، بعد استشهاده في مثل هذه الأيام منذ أربعة عشر عاما

ويركز المؤلف هنا جهده على أعمال غسان التي نشرها في الكويت حيث عاش خمس سنوات انتهت مع بداية الستينيات ، وهي الفترة التي صقلت خلالها موهبة غسان الأدبية وتحددت ملامح ابداعه

ويتضمن الكتاب فصلا عن تقديم الأعمال ملخصا لرواية العبيد ، ونصوص « قصص السارق » ، و« رسالة من حسن » . . « واحد من الآخرين » ، و« الشيخ الصغير » ، « وصمت ونعال وقبر صغير »

مسابقة العربي الثقافية

العــدد ٣٣٢
يوليـو ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٠ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اغسطس ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٢

١ - بناء شامخ وجميل . ترى أى مبنى هذا ، علما بأنه كان من عجائب الدنيا السبع فى نظر الأقدمين ؟

٢ - المـاس . . أكـرم الأحـجـار الكـريمـة ، والحرافيت . وهو من أتفه الأحجار غير الكريمة
ترى ماالعامل المشترك بينهما ؟

٣ - الماموث حيوان صخم ، أو فيل منقرض . . عاش فى شمال أوروبا فى العصور الجليدية وقد عثروا على كثير من جثثه معمورة بالثلوج فى سيبيريا وغيرها . .
ترى هل كان فى الامكان أكل لحم تلك الجثث ؟

٤ - مامعنى قولك تكعنش الطائر ؟
وقولك تكعنش ريد فى الشيء ؟

٥ - « العلم المسيحى » دين أو مذهب من المذاهب المسيحية ، منتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية .
ترى مافحوى هذا الدين أو هذا المذهب . . ؟

* الاعتقاد بالخرافات . وخصوصا ضرورة اللجوء الى الاحيل لا الطب ، لمعالجة الأمراض . والشفاء بدون دواء .

* الاعتقاد بالعلم والطب الحديث ، وضرورة تحطيم الخرافات التى سادت فى الماضى كالشفاء بدون دواء .

٦ - اشترى عدنان من بائعة البيض الكمية التى كانت في سلتها مضافا اليه نصف بيضة . . . ثم اشترى سميح نصف ما تبقى من البيض مضافا اليه نصف

بيضة ثم حاء وليد فاشترى نصف ما تبقى مضافا اليه نصف بيضة . . فلم يبق في السلة شيء . فكم كان عدد البيض الذى كان في السلة أصلا علما بان البائعة لم تضطر لكسر أى بيضة ، بالرغم من أنها لبّت طلبات الزبائن بحذافيرها

٧ ـ سمك القرش هل يلد صغاره ؟

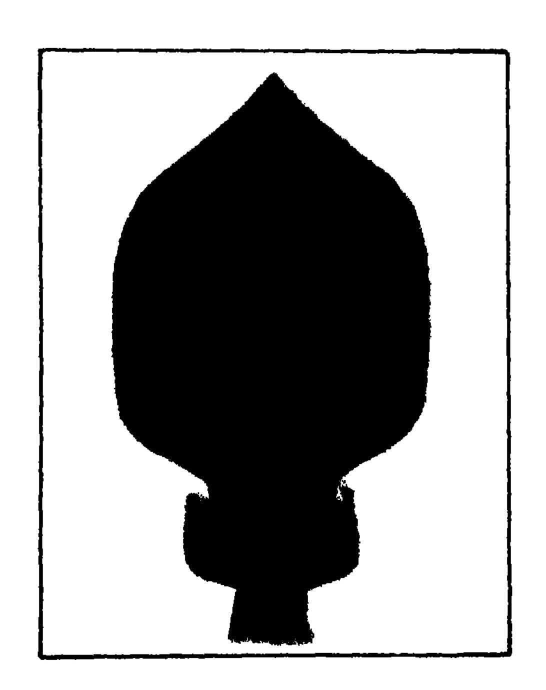
٨ ـ احدى الفواكه المحببة الى الكثيرين لاتنمو على شجر ، وانما على عشبة . ولكنها عشبة كبيرة كالشجر ، وذات ساق طويلة ، وأوراق كبيرة . فأى فاكهة تلك ؟

٩ ـ مرض برى برى متى يصاب به المرء ؟
* اذا تناقص في جسمه فيتامين (ب ١) حتى انخفض دون المستوى السوى .
* اذا لسعته حشرة تسى تسى المنتشرة في افريقيا .

١٠ ـ لم تبدو السماء حمراء عند الغروب ؟ وهى التى نراها زرقاء أثناء النهار .

١١ ـ مجرتنا ، درب اللبانة ، تزخر بالنجوم . وشمسنا هى احدى تلك النجوم . . التى يقدر عددها بحوالى ١٠٠,٠٠٠ مليون نجم . وأقرب تلك النجوم من شمسنا هى سنطوري وتبعد عنها ٤,٥ سنوات ضوئية ، أى مايعادل ٤٥ مليون مليون كيلومتر ، ترى ماالمسافة بين أبعد نجوم مجرتنا وبين شمسنا . .
* ٨٠,٠٠٠ سنة ضوئية
* ٤٠,٠٠٠ سنة ضوئية
* ١٠,٠٠٠ سنة ضوئية (اى مايعادل ١٠٠,٠٠٠ مليون مليون كيلو متر)

١٢ ـ هذا رسم لأول بالون حلّق في الجو . . ترى من هما الأخوان اللذان اخترعا هذا البالون وطارا فيه . ؟



مسابقة العربي الثقافية

الحلول

١ ـ الأمثال العربيه الثلاثه بكاملها هي

* كل ممنوع متبوع .

* كثرة الضحك تذهب الهيبة

* قلب الأحمق في فمه ، ولسان العاقل في قلبه

٢ ـ يقصد الشاعر القلب فعل لساب الذي تحكم الاعلاقه به

٣ ـ المبنى المعروف هو دار الأوبرا في سدني الذي يقوم على شبه جزيرة في ميناء سيدني ، بالقرب من جسرها الشهير ، ويشغل من المساحة مايقدر بحوالي ٢٥٠٠٠ متر مربع وبعتبر المبنى أكبر وأضخم وأغلى مباني الأوبرات الحديثه . وقد كلف انشاؤه اكثر من ٥٠ مليون جنيه استرليني منذ اكتماله سنه ١٩٧٣

٤ ـ هذه صورة (قبه الصخرة المشرفة) و إن سميت (مسجد الصخرة) وليست صورة المسجد الأقصى كما يظن الكثيرون فهذا مسجد آخر يقع على بعد (٥٠٠) متر من مسجد الصخرة ، وفي الناحية القبليه من الحرم والخليفه الأموي عبد الملك بن مروان هو الذي بنى كلا المسجدين . وذلك فيما بين سنة ٦٦ ـ ٧٤ هجريه

٥ ـ تمثل الصورة اختراع الطيران ويظهر فيها الأخوان رايت وهما يحاولان الاقلاع في أول طائرة عرفها التاريخ ، وطارت بالفعل ، وكانت من صنع الأخوين رايت . . كان ذلك في كيتي هوك في كارولينا الشمالية ، وفي ١٩٠٣/١٢/١٧ على وجه التحديد ، والأخوان المخترعان هما أورفيل رايت (١٨٧١ ـ ١٩٤٨) وويلبور رايت (١٨٦٧ ـ ١٩١٢) .

٦ ـ تبلغ هباء من العمر ١٦ عاما .

٧ ـ مذبحه بيترولو . وقعت في صيف سنة ١٨١٩ ، وفي أعقاب معركة واترلو التي هزم الحلفاء فيها نابليون وفي مدينة مانشستر في انكلترا وسميت بهذا الاسم لأنها وقعت في ميدان سانت بيترفيلد في مانشستر ، أما أسباب المذبحة فسوء الاوضاع الاقتصادية ، وقد شملت أعمالا تخريبية مختلفه بما في ذلك تدمير عدد كبير من المكنات والآلات ، باعتبارها السبب المباشر لانتشار البطالة ، وقد تمخضت أحداث هذه المذبحة عن مقتل ١١ رجلا وجرح المئات

٨ ـ لا أثر للرصاص في اقلام الرصاص فالمادة التي بداخل القلم والتي يكتب بها القلم ليست رصاصا ، وانما هي جرافيت وهي مادة ... الكثيرون الرصاص الأسود

٩ ـ النعم بفتح النون تعني النعم والأنعام ، وجمعها ملاعم ، والنعم بضم النون تعني ... وما ... إذا أدب بالنرنس ، أو البرووق كما سمته السيف الصنائع

١٠ ـ جمهورية تتكر ، أو التتكيرية هي احدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي تقع الى الغرب من جبال أورال مع انحراف الى الجنوب . تبلغ مساحتها ١٣٤,٦٠٠ كم٢ ، ومجموع سكانها ٣,٨٣٥,٠٠٠ نسمه وعاصمتها أوفا ، وسكانها الأصليون ـ التتاكير ـ مسلمون ... أربع من مجموع سكان الجمهوريه ويشكل الروس ٤٠ ٪ منهم . وتنتج الجمهورية التتكيرية فيما تنتج البترول

١١ ـ العجوز الشمطاء هي التي خالط بياض رأسها سواد وجمع شمطاء شُمْط ويقال للرجل الذي ينطبق عليه الوصف رَجُل أشمط وجمعه شُمْط وشمطان

١٢ ـ آخر الدواء الكي مثل من أمثال العرب ، يضرب لأمر شديد لاصبر عليه . واتكلنا منه على خص مثل آخر يعني الاتكال على جدار من قصب . . وأجرد من صلعة مثل ثالث يعني أملس من الصخرة الملساء

مسابقة العربي الثقافية

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٩
ابريل ١٩٨٦

الفائز بالجائزة الأولى انتصار كامل محمد علي/ المدينة المنورة/ السعودية
الفائز بالجائزة الثانية يوسف الدهداق - بيئة الدهدان/ تونس
الفائز بالجائزة الثالثة سليمان احميده/ المغرب/ الدار البيضاء

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - ايلين انطون لحام / القاهرة / مصر
٢ - اعتدال جميل مراد / الدوحة
٣ - أحمد محمود بريشي / اربد / عمان
٤ - محمد عدنان بن توفيق حريري / دمشق / سوريا
٥ - عبد القادر علي النعيم / الخرطوم / السودان
٦ - عبد القادر عثمان البنا / كريتر - عدن / اليمن
٧ - عماد عبد العزيز بن علي / المنامة / البحرين
٨ - شكري محمد بشير الهوني / سبها / ليبيا

معركة بلا سلاح

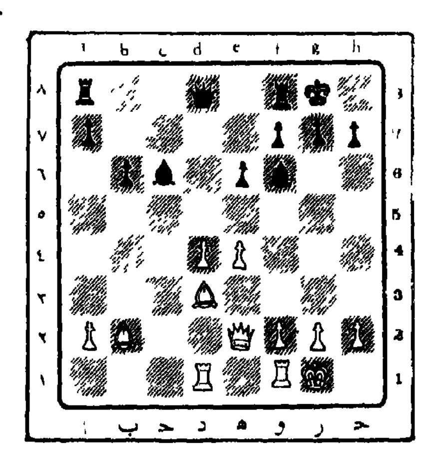
□ بطولات عربية ناشئة

من الأبطال العرب المعاصرين الذين برزوا على الصعيد الدولي اللاعب سعيد أحمد سعيد من الامارات العربية المتحدة ، وهو شاب لم يجاوز الثامنة عشرة من العمر وقد تفوق على جميع أقرانه من أبطال العروبة في الساحة العربية وفي الساحة الدولية أيضاً ، وحقق لوطنه انتصارات مشرّفة في جميع المباريات القومية والدولية التي خاضها واستحق عليها تقدير العديد من الأوساط المعنية بهذه اللعبة ، نخص منها بالذكر مجلة الشطرنج البريطانية التي امتدحت طريقته في اللعب إثر فوز الامارات العربية المتحدة بالمرتبة الاولى بين الدول العربية المشتركة في الأولمبياد السادس والعشرين للشطرنج المقام في مدينة سالونيك اليونانية في أواخر عام ١٩٨٤ واختتمت مقالها بالعبارة التالية .

« وتعتبر انتصارات هذا اللاعب العربي الشاب دليلاً أكيداً على تحسن مستوى هذه اللعبة لدى اللاعبين العرب » .

ومن البطولات العالمية التي فاز فيها هذا اللاعب العربي المتفوق وهو لا يزال في الثالثة عشرة من العمر بطولة العالم للناشئين تحت ١٦ سنة في عام ١٩٨١ ، وقد أهّله هذا الفوز لدخول بطولة العالم للناشئين تحت ٢٠ سنة المقامة في فرنسا عام ١٩٨٣ والتي فاز فيها بالترتيب الثالث .

أما على الصعيد العربي فقد فاز هذا اللاعب العربي الفذ حديثاً ببطولة الخليج والجزيرة العربية



(شكل ١)

المقامة في الكويت ، وبطولة العالم العربي المقامة في تونس . وقد اخترنا لكم الدور التالي من مباريات بطولة تصفيه العالم المعقدة في مدينة دبي عام ١٩٨٥ بينه وبين اللاعب الأردني أحمد جواد ، وهذا الدور من دفاع جامبيت الوزير المرفوض ، وهي من اكثر الافتتاحات شيوعاً في عصرنا الحاضر ، ويجدر باللاعب الحريص على تحسين مستوى لعبه أن يوليها اهتماماً خاصاً .

□ سعيد أ . سعيد	■ أ . جواد
١ . د ٤	ح - و ٦
٢ . حـ ٤	هـ ٦
٣ . ح - و ٣	د ٥
٤ . ح - جـ ٣	جـ ٥

٥ . حـ × د ٥	ح × د ٥

هـذا الترتيب للنقـلات يتفـادى البيـدق المعـرل في (د ٥)

٦ هـ ٥	ح × حـ ٣
٧ . ب × جـ ٣	جـ × د ٤
٨ . جـ × د ٤	ح - جـ ٦

في هده النقلة خروج عن التفريعة الرئيسية

٨	ف ـ ب ٤ +
٩ . ف - د ٢	ف × د ٢ +
١٠ و × د ٢	ت

٩ ف - حـ ٤	ف - هـ ٧
١٠ ـ ت	ت
١١ ـ ف - ب ٢	ف - و ٦
١٢ و - هـ ٢ !	ب ٦

لو أخذ الاسود (د ٤) بالفيل لقام الابيض بتسميره بان يلعب ١٣ . ر (أ) - د ١

١٣ . ر (أ) - د ١	ح - أ ٥
١٤ . ف - د ٣	ف - ب ٧
١٥ . ح - هـ ٥ !	ح - جـ ٦
١٦ ـ ح × حـ ٦	ف × حـ ٦ (اطر الشكل)
١٧ د ٥ !	هـ × د ٥
١٨ . هـ ٥ !	ف ـ هـ ٧
١٩ و - حـ ٢	و - د ٧
٢٠ ف × حـ ٧ +	م - جـ ٨
٢١ . ف - و ٥	ف - أ ٤
٢٢ و - د ٣	و - جـ ٦
٢٣ هـ ٦ !	و - حـ ٤
٢٤ . و - ر ٣	يستسلم

(حل المسألة رقم ٤١)

عدد مايو ١٩٨٦

مفتاح الحل و × د ٧ فان أخذ الأسود الوزير كشه بالرخ ثم بالحصان ويفوز بالوزير

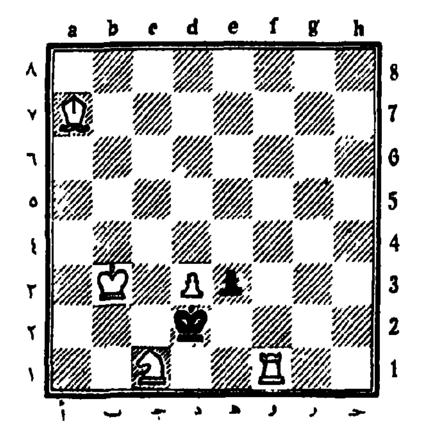
الفائزون بحل المسابقة رقم (٤٠)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ معتز جاويش ـ ج م ع / كفر الشيخ
٢ ـ على عطبوش ـ أبين / اليمن
٣ ـ الحسن الطيّب ـ مدني / السودان
٤ ـ سمير رحمة ـ الظهران / السعودية
٥ ـ ايمان مرابط ـ دمشق / سورية

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

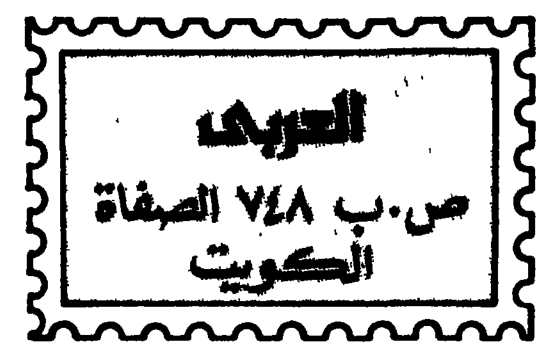
١ ـ عزام محمود ـ عمان / الأردن
٢ ـ ابراهيم سليمان ـ بنغازي / ليبيا
٣ ـ بوعكه عبد الكريم ـ فكيك / المغرب
٤ ـ سلوى حرز الله ـ مقاس / تونس
٥ ـ علاء الشورة ـ المحلة / ح . م ع



مسابقة العدد
مسألة رقم ٤٣

من وضع المسائلجي العربي جمال أحمد

مـات ٢



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

أيها الكتاب الكبار . . . . . كونوا صغارا

●سئل الروائي الشهير « غبرييل غارثيا ماركيز » الحاصل على جائزة نوبل في الآداب : هل جربت الكتابة للأطفال ؟ فاعترف أنه كتب مرة قصة خاصة للأطفال ، وقرأها على أطفاله قبل أن يفكر في نشرها ، فقال له أحد أبنائه : لماذا تعتقدون - أنتم الكبار - أننا بُلَهاء الى هذه الدرجة ؟ وهكذا كانت هذه القصة آخر تجربة له في الكتابة للأطفال !

ويقول الفيلسوف الفرنسي : جان جاك روسو مامعناه : « ان الكاتب الكبير يصير عظيما اذا استطاع أن يكون صغيرا » ، أي بقدرته على تقمص الطفولة بكل عوالمها الخيالية الساحرة ومشاعرها المرهفة ، وهو أمر صعب بقدر أهميته في الابداع الفني بعامة وللأطفال بخاصة .

في العدد الأول من العربي الصغير ، حيث قفزت تلك المجلة الصغيرة قفزة نوعية كبيرة حقا ، قرأت قصة بقلم الأستاذ « فاروق خورشيد » من ألف ليلة وليلة عن الملك شاه زمان ، واقرءوا منها هذه الفقرة :

« ولم يتمالك - شاه زمان - نفسه ، وهو يرى ملامح الملكة المليئة بالكراهية ، ويتذكر خداعها له ، وكذبها عليه ، أن سَلّ سيفه من غمده ، واندفع وسط الفتيات الراقصات صائحا : يا خائنة ! وذهلت الفتيات ، وكفت الموسيقا عن العزف ، وشحب وجه الملكة ، بينما ظل الملك في اندفاعه ، وقد ملكه الغضب ، ورفع سيفه ليهوي به فوق عنق الملكة ، التي هوت قتيلة تحت قدميه ، بينما فر الجميع من أمامه ، وسيفه يقطر دما ، وهو يهمس لنفسه في ذهول الخائنة ، الخائنة وأفاق من ذهوله ليجد الحديقة خالية ، وجثة الملكة مضرجة بدمائها ، تحت قدميه . فأغمد سيفه »

فبماذا نجيب طفلنا الصغير ، اذا سأل عن « الخيانة » ؟ ألا تكفيه أفلام الرعب ، والاثارة ، والجرائم ، ومناظر الاغتيالات ، والتنكيل في كل بقعة من العالم ، وهو جالس في عقر داره أمام الشاشة الصغيرة . شئنا أم أبينا ؟

ألا نفكر قليلا في رهافة مشاعر الطفل ، ومدى ما يختزنه عقله في اللاوعي ، من صور مرعبة للقتل ، وسفك الدم ؟ ألا نفكر في مستقبل هذا المخزون ، ومدى تأثيره النفسي والسلوكي ؟

افتح كتاب التاريخ العربي في المرحلة الابتدائية ، واقرأ فصول الدم العربي ، الذي يكتبون به تاريخنا ، ويعرضونه على أطفالنا ، وهم في مرحلة الطفولة ، حيث الخيال المتوهج ، والسعي نحو المثل العليا ، المجسدة بالقادة والعظماء من كل فن .

نحدث أطفالنا عن عظمة عمر وعلي وعثمان :

عـدلا . وشجاعـه . وبلاغـة ، وأمانـه ، وتقى ، فتتوهج الذاكرة الطفولية البريئة بقوس قزح ، يشع من القدوة الأعلام . ويلتهب الخيال القدسي بعظمة الآباء والأجداد ثم فجأة يقرءون وطعن عمـر بخنجر مسموم . وهـو في المسجد ، وطعن عـلي بخنجر ، وطعن عثمان بخنجر ، وقتـل فـلان ، وصلب علان ، وحز رأس الحسن والحسين . وجيء رأس القتيل الى الخليفة . الخ .

يسحس الدم ، يعمي العيون البريئة ، ينتصب الخنجر مسموما يقطر بدم القدوة الأعلام . يشهر سيف الحجاج في الوعي الطفولي ، قدرا عربيا ، يكاد يهوي بشفرته المضرجة بالدم فوق الرقاب الغضة ، الـرهيفة . فتنحني خوفا ، وذلا . وكفـرا بـتاريـخ العرب الدموي ، حين تكبر الذاكرة ، وتبقى تقطر دما

فلمــاذا لا يؤجـل فصــل الـدم والاغتيــال ، والصلب ، وحـز الـرؤوس ، الى مـا بعـد مـرحلة الطفولة ؟ أم نفعل هذا حرصا على الـدقة العلميـة والموضوعية التاريخيه ؟

لمــاذا لا نكـون صغــارا ونحن كـبــار ، نكتب للصغار ؟

اتركوا الصغـار ، الموهـوبين ، يكتبـون ، هناك البـراءة ، البساطـة الآسرة ، الـدهشة هـناك منبـع النفس الانسانية

أيها الكبار ! اغمدوا سيف شاه الزمان ، وشهريار والحجاج ، وأبي لؤلؤة ، انشروا الشراع الأبيض ، وكونوا أطفالا حين تكتبون للصغار !

مصطفى سليمان

اللاذقية / سوريا

العربي

آثرنا أن ننشر هذه الرسالة بنصها تقريبا ، لأهمية القضية التي تتناولها ، وحساسيتها في الوقت ذاته ، ولأنه ليس من المناسب مناقشة هذه القضية في مجلة « العربي الصغير » - مع أنها موجهة لها - فقد رأينا مناقشتها بتركيز في باب حوار القراء ، ونود ابتداء أن نوضح أمرين :

أولا . اننـا هنا لا نتكلم بـاسم الأستاذ فـاروق خورشيد الذي تفضل بـاعداد نص ألف ليلة وليلة للعربي الصغير ، والـذي يبقى له الحق الكـامل في التعليق على هذه الرسالة ، بل على رأي « العربي » مما يراه بعد قراءتها .

ثانيا . اننـا هنا نعبر عن موقف مجلة « العـربي الصغير » من مثل هذه القضية التي شغلتنا قبل هذه الرسالة وبعدها ، ذلك أن نشـر نص « ألف ليلة » يعني بداهة وضمنا أننا مسئولون عن الموافقة عليه ، وعلى الطريقة التي تمت بها معالجته .

إننا نرى أن الأستاذ فاروق خورشيد قـد عالـج بحكمة فنية العديد من المـآزق التي كانت تعتـرض تقديم نص مثل ألف ليلة لأطفالنا ، ومن أمثلة هذه الحكمة أنه قدم قصة الخيانة الشهيرة في ألف ليلة من منظور جديد ، فلم تعد الخيانة في العلاقة الجسدية بين زوجة الملك شهريار والعبد كما هو معروف ، بل في كذب زوجة شاه زمان على زوجها ، وفي رأينا أن هذا التطور مهم جدا ، فالكذب مهما كان حجمه هو بداية كل الجرائم وكل الخيانـات ، كما أنـه لمس في رهافة فكرة الحرية المفقودة في قصر الملك شاه زمان ، رغم أنه حافل بكل ملذات الحياة ومسراتها ، وفقدان الحـرية هـو المناخ الـذي أفرخ الكـذب ومن بعده الجريمة .

وهكذا تخلص الكاتب من مآزق الالتزام بحرفية النص المعروف ، دون أن يضحي بما في عالم ألف ليلة من سحـر أسـطوري وانسـاني ، ضمن لـه البقـاء والانتشار كتراث شعبي عربي وعالمي خالد .

يبقى جوهر المشكلة في رسالة الكاتب ، وهو متى وكيف نقدم صور الشـر أو الخطيئـة أو الجريمـة في الأعمال الأدبية لأطفالنا ؟

هل ننتظر حتى يكبروا وينضجوا ؟ هل نحرص على ألا نقدم لهم في فترة الطفولة المبكرة أو المتأخرة

حوار القراء..

سوى عالم من البراءة والنقاء والجمال والخيال ؟ وهل يحرص الواقع الذي يعيشون فيه مثلنا ومعنا - ولا أقول التلفزيون - على أن يكون بريئا ونقيا وجميلا ؟ فلا يريهم صورا من الشقاء والجريمة والخيانة ! وهل سنكسب ثقتهم فينا وفيما نكتب لهم لو فعلنا ذلك ؟ هل سنكون بذلك قد هيأناهم للحياة في عالم لم ينجح بعد في التخلص من العنف والقسوة والشك والجريمة ؟ وهل سيكفون هم عن التأثر والتفكير فيما يرونه ويحيط بهم من هذا كله ؟

ان الشر والعنف جزء من الواقع الانساني ، كان ولا يزال حتى هذه المرحلة من مراحل تطور النوع الانساني !

يتطور ادراكنا له ، ووعينا به ، وموقفنا منه ، وأسلوبنا في التعامل معه ، مع تطورنا كأفراد وجماعات !

أليس من الطبيعي اذن ألا يكون حديثنا - ونحن بصدد تقديم نص مثل ألف ليلة - عن تجريده من صور العنف أو الشر أو الكذب أو الشقاء . . . بل عن الطريقة التي يقدم بها ذلك ؟ بأي جرعة ؟ وفي أي سياق ؟ ولأي هدف ؟ ان المعيار الذي ينبغي أن نلتزم به ونحن نُقَوِّم مثل هذه التجربة هو السؤال عن الأثر الأخير الذي يخرج به الطفل من قراءة النص بعد ضبط الجرعة .

كيف يفهم الشر ؟ وكيف يقاومه ؟ هل الشر دائما صفة للآخرين ، أم يمكن أن يكون فينا أيضا ؟

هل هو مجهول غامض ، أم هو بعض أشكال الأنانية ؟ وكيف تكون الحرية ؟ وهل يمكن أن تكون هناك حرية حقا لبعض الناس دون بعض ؟ الخ . . الخ .

وفي رأينا أن النص الأدبي الذي تقدمه « العربي الصغير » عن ألف ليلة وليلة للأستاذ فاروق خورشيد يسلك هذا السبيل ، ويأخذ في اعتباره بنجاح كل هذه الأمور !

وأما كيف يقدم تاريخ رجالنا العظام في كتب المدارس أو في غيرها للأطفال ، فلا نظن أن تجريده من نهاياته الحزينة هو أفضل الطرق ، ولكن المهم دائما هو كيف نقدم هذا التاريخ سواء أكان ذلك في بداياته أم في نهاياته ؟!

لغتنا السمحة . .

● انني من مدرسي اللغة العربية ، ومن المتابعين القدامى لمجلتكم ، ولقد قرأت في المدة الأخيرة أن الأستاذ محمد خليفة التونسي قد جمع مقالاته عن اللغة العربية التي ينشرها في العربي في سلسلة كتاب العربي بعنوان « لغتنا السمحة » وقد بحثت عن هذا الكتاب في كل المكتبات ، فلم يسعفني الحظ بالعثور عليه ، أود أن تدلوني على طريقة لأحصل من خلالها على نسخة من هذا الكتاب القيم الذي يفيد المهتمين والدارسين في مجال اللغة العربية ، ولكم جزيل الشكر .

جمال بوحرادة
الجمهورية التونسية - العراندية/ولاية سوسة

العربي

الطريق الطبيعي والمضمون للحصول على مجلة العربي ، أو كتاب العربي ، أو العربي الصغير ، هو الاشتراك في هذه المطبوعات بالطريقة المعلن عنها بهذه الدوريات ، وبالنسبة لكاتب هذه الرسالة فقد وَعَدَنا الأستاذ محمد خليفة التونسي بأن يرسل نسخة هدية من كتابه على العنوان الموضح في رسالته .

في « تاوغزوت »

اعتكف ابن خلدون

● في مقال الدكتور حسن فتح الباب ، بعنوان « تحولات ابن خلدون من قصور الحكام الى كهوف العلماء » في عدد يناير سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي ، لاحظت أن هناك خطأ في اسم « تقزوت » في الفقرة التالية : « وتحتوي تقزوت على معالم تاريخية ، تمثل شواهد على الحضارات التي تعاقبت عليها » .

وتعميما للفائدة فضلت أن أكتب لكم حول هذا الاسم ـ تعزوت ـ المتعدد المواقع والمعاني في المغرب العربي ، فهو يطلق على عدة قرى في الجزائر ، وهو يعني عند القبائل البستان الواقع في منخفض أي الخميلة ، فهي منطقة وادي سوف في جنوب شرق الجزائر توجد بلدة تعزوت ، وهي من أقدم القرى بعد الرّقم

وفي المغرب الأقصى يوجد باب يسمى باب تعزوت ، وكذلك في ليبيا مكان بهذا الاسم .

أما التسمية الصحيحة بالنسبة لما ورد في مقال الدكتور حسن فتح الباب عن المكان الذي اعتكف فيه ابن خلدون للتأليف فهو « تاوغزوت » وهو الاسم الذي أطلق على قلعة بني سلامة التي تبعد بنحو سبعة كيلومترات الى الجنوب الغربي من مدينة فرندة

عوادي عبدالقادر

ولاية الوادي / الجزائر

زيدوا كمّية « العربي »

● أنا من القراء الأوفياء لمجلتكم ، الا أن الكمية التي تصلنا في الجزائر غير كافية ، ولذلك لا نجد العربي الا في المدن الكبرى ، وبعد بحث في العديد من المكتبات .

وأتمنى أن يرتفع نصيب الجزائر من هذه السلعة الغالية ، والى أن يتم هذا ، أرجو منكم اعطائي مزيدا من المعلومات حول كيفية الاشتراك ، لأضمن وصول المجلة الى عنواني المسجل في نهاية هذه الرسالة .

شايب الدراع مسعود

تاسوست ـ بواسطة سنس جيجل / الجمهورية الجزائرية

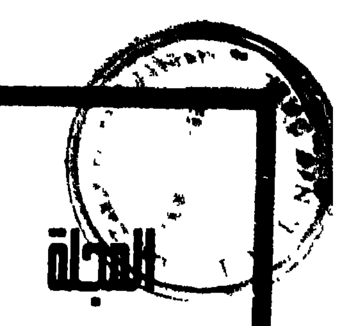
دعوة لاستطلاع مخيم اليرموك

● نشكر فرقة « شباب فلسطين » مجلة العربي الغراء لنشرها رسالتنا في عددها الصادر في فبراير سنة ١٩٨٦ ، مما يشجعنا على متابعة الحوار مع العربي لخدمة القضية الفلسطينية ، وفي هذا الصدد نود ان نشكر العربي أيضا على الاستطلاع الذي نشرته في العدد ٣٢٦ عن مدينة « صيدا » المحررة ، وعن مخيم « عين الحلوة » ، ونقترح عليكم ـ آملين القبول ـ القيام باستطلاع لمخيم اليرموك في سوريا الذي يعتبر أكبر مخيمات شعبنا الفلسطيني ، والذي يمثل شريحة مهمة من الشعب الفلسطيني ، ان مثل هذا الاستطلاع يوفر الفرصة لحوار مثمر حول قضايانا ومشكلاتنا ، ولتعريف الأمة العربية بأوضاعنا وأحوالنا .

نهاد حميد/دمشق / مخيم اليرموك

العربي

لعلنا بنشر هذه الرسالة نطمئن الاخوة من « شباب فلسطين » إلى أن فكرة عمل استطلاع لمخيم اليرموك ستكون موضوع بحثنا لتنفيذها في وقت مناسب إن شاء الله .





ذو القعدة ١٤٠٦ هـ

11 AUG 1986

حَمَى اللّه الكوَيت وشعبها من كلّ شرّ



...تات الأنابيب
...د أطفال الأنابيب



العرب.. في عيون الغرب



العدد ٣٣٣ السنة التاسعة والعشرون أغسطس ١٩٨٦



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No.333. Aug. 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا ولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

من أجل سلامة الوطن

كان الحدث الأهم في الساحة الكويتية في الشهر الماضي (يوليو/ تموز) هو خطاب سمو الامير الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ، والذي وجهه الى شعبه الكريم ، بعد أن اشتد الخطب وأصبح الموقف يحتاج الى وقفة شجاعة للحفاظ على الكويت .

في ذلك المساء الثالث من يوليو . خاطب أمير الكويت شعبه فقال : « في حياة الشعوب أيام عند مفارق مسارها التاريخي وتفرض عليها المراجعة الشاملة للعلاقات بين المبادىء والممارسات وبين أهداف الوطن العليا والتصرفات الجزئيه »

وكان ذلك اليوم حقيقة هو يوم الفصل بين من أراد أن يتمسك بالمبادىء ومن أراد أن ينحو بالممارسات الى طرق مسدودة ابعد ماتكون عن المصالح العليا للوطن .

لقد قال الشيخ جابر الأحمد في خطابه التاريخى « لقد كان الأمل أن يظل الحوار بين السلطتين التنفيذية والتشريعية حاملا روح المودة والاخاء ، ولكن تحول الحوار الى مساجلات ومشاحنات وحجبت الصراعات بغبارها شمس الحقيقه ، لقد رأيت صورة الديمقراطية تهتز ، وممارستها تنحدر وتجذب معها القيم الاجتماعية والسلوكية وتفكك معها التماسك الموروث في المجتمع الكويتي »

لقد تدخل سمو الشيخ جابر الاحمد بحكمته للحفاظ على المسيرة الكويتية بعد أن وجد المجتمع الكويتي نفسه يرى بأم عينيه المبادىء الديمقراطيه تتحول الى ممارسات شخصية واستخدام متعسف للرخص الدستورية حتى كاد أن يؤدي كل ذلك الى تقسيم المجتمع الكويتي

ولكن مصالح الشعب في حقيقة ألامر لاتقبل الانقسام ولايمكن لاى مخلص أن يقبل بانقسامها

البعض كان - باسم الديمقراطية - يريدها قطيعة مفتعلة بين فكرة التراث ومفهوم التقدم ، وبعضهم باسم الديمقراطية كان يريدها قطيعة مفتعلة بين القانون والتطبيق ، وتحولت المصلحة العامة الى مصالح فئوية

وليست هذه هي الديمقراطية .

وقف أهل الرأي في الكويت أمام كل ذلك وقفة شجاعة لكي يُغلِّبوا مصالح الكويت العليا على المطامح الشخصية في مرحلة معقدة إقليميا ودوليا .

لقد رفض الخطاب الاميرى الموجه الى شعب الكويت أن يزج بهذا الشعب العربي الخير في معارك خارجية تفرض عليه فنحن في هذا الجزء من الوطن العربي نتألم لما يضره ونسر لما يسره ، وليس في مقدورنا - ولايجب أن يكون من رغباتنا - التدخل في شؤون الآخرين ، حيث أننا نرفض أن يتدخل أحد في شؤوننا - علينا الكلمة الطيبة وعلينا النصيحة وعلينا العون والمعونة في الخير ما استطعنا ، وعلينا المحاولة الدؤوبة مع إخواننا في رأب الصدع بين الأشقاء ، ولكن لايجب أن يفرض علينا استعداء الأخرين ، لأن هذه المجموعة أو تلك تريد ذلك .

ولقد كان للشيخ جابر الاحمد في نهاية خطابه الى الشعب وقفة حكيمة وعميقة المعنى حين قال سموه :



سمو الشيخ جابر الاحمد
أمير دولة الكويت

« انا لن نتخلى عن مسيرتنا النيابية التي آمنا بها بما يكفل المحافظة على الكويت وشعبها ويعمق مشاعر الحب والتضحية ويحفظ أصالته ووحدته من أي انقسام »

وفي ذلك إشارة واضحة الى أن المبادىء التي آمنت بها الكويت وعرفت بها في الوطن العربي لازالت ثابته كما هي ، وأن الأزمات تزيد المجتمعات الحية صلابة وقوة ، وأن الايمان بالمبادىء يستوجب تعميق المكاسب الحقيقية ، هذه المكاسب التي يجب أن يؤمن لها سبل الحياة والاستمرار بعد دراسة واقعية وحقيقية لمتطلبات مجتمعنا في هذه الظروف ، سبل حياة تحمي المبادىء من المجازفة والعبث وتعصم البيت الكويتي من الزلل ، وتحصنه من الاخطار

ولقد وقف المجتمع الكويتي بكل فئاته وقفة رجل واحد ، فنقد التجربة من أجل إصلاحها . لقد كان شموخ الكويت واعتزازها بتجربتها التنموية الشاملة يتجلى في قول سمو الامير : « إن القرار الكويتي لم يخفض الجبين لأية جهة أو جماعة أو دولة وسيظل بإذن الله نابعا من مصالح الشعب »

ولقد تجلت حكمة الشيخ جابر الاحمد في كل ذلك عند ما قال في خطابه : « ان العاقل من اتعظ بغيره وبماضيه وارتفع فوق حسابات الماضي والتطلعات الذاتيه إلى آمال الوطن ومستقبله وآمن أن حق الكويت هو أولى الحقوق بالاداء » .

لقد كانت وقفة تاريخية بالفعل . وقد جاءت في وقتها تماما ، بعد أن تعرضت الكويت لسلسلة من أعمال الارهاب وحالت قدرة الله العلي القدير ورأفته بأبناء هذه الأرض الطيبة دون أن تتحقق أهداف المتآمرين ، فرد كيدهم الى نحورهم ، وازدادت صلابة الجبهة الداخلية ، وأثبتت التجارب الواحدة بعد الأحرى أن الارهاب الذي يوجه الى الكويت يزيد من تلاحم مجتمع الكويت في مواجهة كل التحديات .

لقد اصبح لدي مجتمع الكويت المتسامح الكثير من الحصانة ضد مثل هذه الاعمال . ولقد أثبتت القيادة السياسية الكويتية من جديد حكمتها وبعد نظرها في مجمل السياسات المتخذة التي أثمرت التعاطف العربي والاسلامي والدولي

وليطمئن قراء « العربي » أن الكويت التي احتضنت ورعت مثل هذا الصرح الثقافي - كما رعت أمثاله في مجالات علمية واجتماعية وانسانية مختلفة - ستظل صامدة مؤدية رسالتها متجاوبة مع كل الخيرين . □

المحرر

محتويات العدد

■ من أجل سلامة الوطن ٤

■ حديث الشهر :

العرب في عيون الغرب

ـ د . محمد الرميحي ٨

■ أضواء على اتفاقية التبادل الحر بين أميركا « واسرائيل »

ـ د . فضل النقيب ١٨

■ ينبوع من الايمان في أرض المعركة

ـ د . عبدالعزيز كامل ٢٢

■ حزين أنا اليوم (قصيدة)

ـ محمود مفلح ... ٢٨

■ هموم . وراء قناع ضاحك !

ـ خالد القشطيني ٣٠

■ مشاكل العمالة والأجور بالقطاع الحكومي في البلاد النامية

ـ د . رمزي زكي ٣٥

■ الرهـان (قصة)

ـ خليل قنديل ٤٠

■ الأزمة المالية العالمية ومشكلة الديون

ـ د يوسف سليمان الفاضل .. ٤٦

■ الطب النفسي عند العرب والمسلمين

د . احسان صدقي العمد ٥٤

■ الآثار الأدبية والترجمة

ـ عبدالرزاق البصير ٦٥

■ المتحدي . تتحداه الأقدار !

ـ طاهر سكر القيسي ٩٦

■ ثلاث قصائد (شعر)

ـ زهور دكسن ١٠٢

■ لحظات من الزمن العربي . القاضي عاشق التتار

ـ د . محمد المنسي قنديل ١١٢

■ خليل حاوي . . وذكريات عشرين عاما

ـ د . عبدالعزيز المقالح ١٢٠



■ ساتات الأنابيب بعد أطفال الأنابيب

ـ عبدالرحمن حريتاني . ١٣٢

■ المحتالان (قصة مترجمة)

ـ عدنان الريماوي ١٤٠

■ رحلة السيما من الفن الى رأس المال

ـ عبدالقادر التلمساني . .. ١٤٤

■ مرفأ الحلم (قصيدة)

د . عبدالله العتيبي ١٥١

■ الترياق أكسير أحيل إلى التقاعد

ـ د . حسن فريد أبو غزالة ١٥٢

استطلاعات ومقابلات

■ الأناضول متحف لكل العصور

ـ سليمان مظهر ٦٨

■ وجها لوجه . د فاروق البار

ـ طارق حسني ١٠٣

أبواب العربي

■ أرقام . كارثة القرن الواحد والعشرين

ـ محمود المراغي ٤٤

■ حكايات شرق وغرب ٥٠

■ منتدى العربي :
- سقف التحديد
- شوقي بغدادي ٥٩
- معجم عصري يغني لغة العرب بمصطلحات الحضارة الحديثة
- محمد محفوظ ٦٢
- قسطنطين الافريقي مرة أخرى
- د. سليمان قطايه ٦٤
■ قاموس العربي : شرعية ١٢٤
■ الجديد في الطب والعلم ١٢٦
■ مكتشفون ومخترعون :
جورج ستيفنسون ١٢٨
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠
■ حضارات سادت ثم بادت :
حضارة نورما حالطتها عناصر بربرية
- اعداد : يوسف زعبلاوي ١٥٦
■ جمال العربية :
- صفحة لغة . مستهتر - إخصائي
- محمد خليفة التونسي ١٨٠
- صفحة شعر : التلبية في الحج لأبي نوّاس ١٨٢
■ مكتبة العربي :
- كتاب الشهر : فضل العرب على الثقافة الأوروبية
- جليل العطية ١٨٥
- من المكتبة العربية . قراءة في كتاب أمريكا بين عصرين
- منذر الأسعد ١٩٢
- مكتبة العربي : (مختارات) ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العربي العدد (٣٣٠) ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ توازن القوى مناورة يتعلمها الطفل من أمه
- راجي عنايت ١٦٢
■ اختيار الزوج حق لمن ؟
- وفاء طه ناجي ١٦٦
■ هو .. هي ١٧٠
■ من الحياة : فنان نبت في رمال الصحراء
- منير نصيف ١٧٢
■ طبيب الأسرة ١٧٦
■ مساحة ود : الرحمة والعدل
- محمود عبدالوهاب ١٧٩

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

العرب.. في عيون الغرب

■ في أوروبا الغربية.. عرقية مضادة هدفها العربي المسلم.

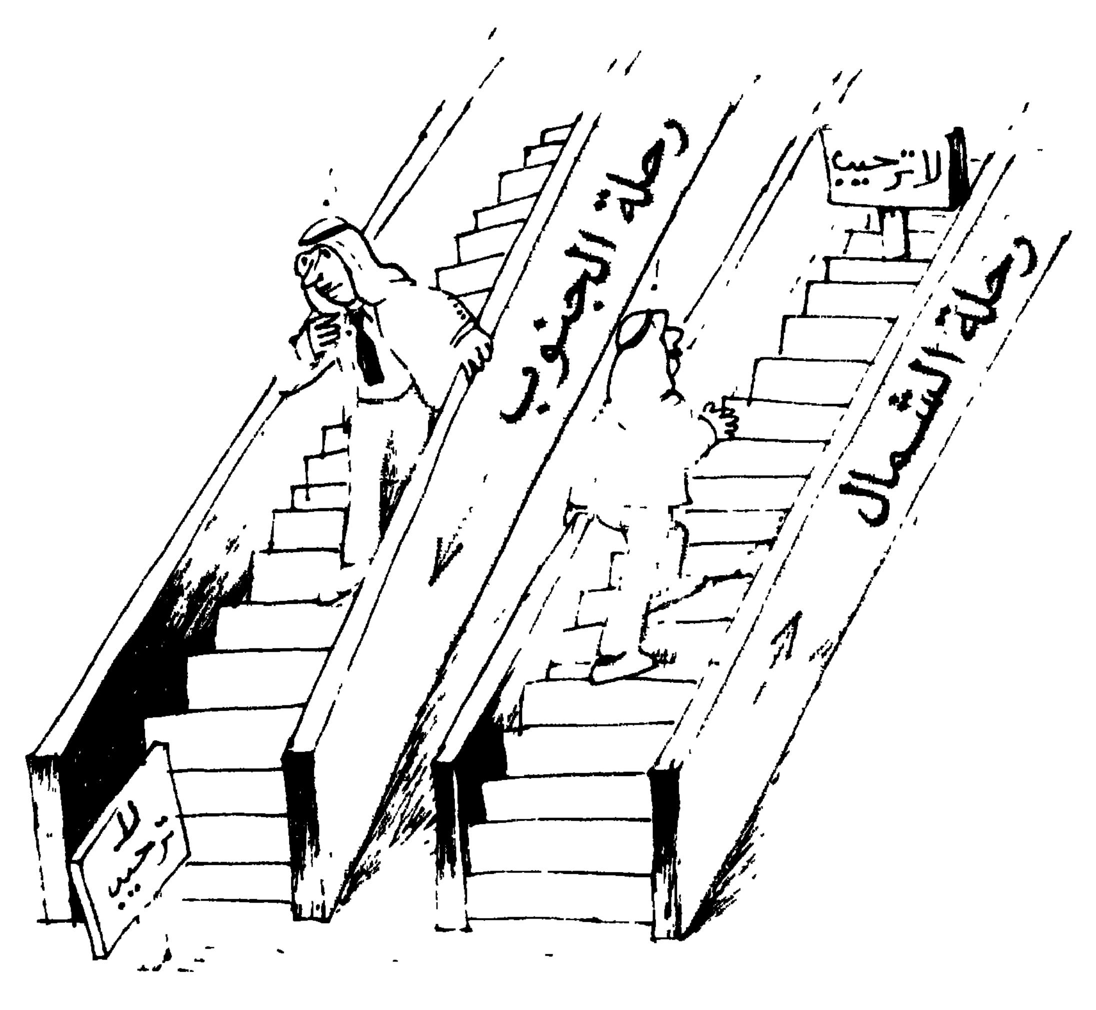
■ الإسلام لا يلقى الترحيب في انجلترا وفرنسا رغم إنه الدين الثاني من حيث العدد في الدولتين.

■ العمال في أوروبا وأميركا أصبحوا يألفون العيش مع التهديد بالقتل! إنهم مركز لهجوم عنصري جديد.

■ صورة العربي يشوهها اللوبي الصهيوني والمواقف الحضارية المعادية.

في هذا الشهر (أغسطس / آب) من كل عام تتكثف هجرتان عربيتان من وإلى أوروبا :

الأولى هي هجرة العاملين العرب في أوروبا جنوبا عائدين لبلدانهم على أشكال متعددة من وسائل المواصلات.. فعلى أسطح السفن وعلى متن القطارات أو على الطرق الطويلة في سيارة تكاد تكون مستهلكة محملة على « أسقفها » بأكثر ما يستطيع العامل أن يضع من حطام الدنيا الغربية هدايا إلى



أهله وعشيرته . كل هذه القوافل من الناس تعود إلى أوطانها بعد غياب وعمل شاق في المصانع والمزارع طوال أكثر من ثلاثة أرباع العام ، قضاها معظم هؤلاء في جد وعناء ونصب تحت أكثر ظروف العمل اليومي تجافيا مع حقوق العاملين .

أما الهجرة الثانية فإنها تحدث معاكسة ـ وهي ربما بنفس العدد أو أكثر قليلا ـ ولكن إلى الشمال . . وذلك للاستجمام أو العلاج أو غير ذلك .

هذه الهجرة الثانية تتكاثر سنة بعد سنة ، بعض هؤلاء « المهاجرين » راغب إلى سفر أعدّ له عدته ، وبعضهم الآخر مسافر لأن الآخرين قد سافروا ، أو مسافر لأنه ربما ينتظر من وراء السفر منفعة .

هاتان الهجرتان للعرب ، الصاعدة والهابطة ، تعاني كل منهما من نفس المشكلة التي تتضاعف كل عام وتكبر وتتشابك وهي مشكلة يمكن تلخيصها « بالرؤية المضادة للعربي في أوروبا » رؤية يغلفها الشك والتذمر ، بل تصل إلى حدود « الرؤية العنصرية » بما تحمله من تراكم العداء الحضاري الغربي بكل تاريخه ، والتي أصبحت تحاصر كل ما هو عربي ، سواء أكان ذلك في سياسة أم تجارة أم عمل يطلبه البسطاء من الناس عندما تضيق بهم سبل العيش في ديارهم .



تلك الرؤية المضادة للعربي تنغص على كل عربي يطأ أوروبا أو أمريكا عيشه ، وتقف أمامها المؤسسات العربية حائرة ، ويحاول المثقفون العرب أن يفسروها بكل الطرق ويجدوا لها لبعض الوقت بعض المبررات ، ويشير إليها بعض الكتاب الغربيين أنفسهم باستغراب ، إلا أنها ـ فوق ذلك وبعده ـ حقيقة لا يمكن ولا يجوز تجاوزها . . وكلما عرضناها بالتفصيل وفسرناها لأنفسنا وللآخرين تفسيرا علميا ، اقتربنا من حقيقتها . ولا يجوز لنا ـ في كل الأحوال ـ دفعها بعموميات قد تريحنا ، ولكنها قد لا تفسر الموقف تفسيرا صحيحا .

تفسير هذا الموقف العام من العرب يبدو لي بأكثر من مدخل :

● أولا : الموقف العام في الحضارة الغربية المعاصرة من العرب والمسلمين الذي تراكم لفترة طويلة على مر القرون .

● ثانيا : التعاطف غير المحدود لأغلب الساسة الغربيين والأمريكان مع الحركة الصهيونية وإسرائيل ، انطلاقا من اعتبارها الموقع المتقدم المتصادم مع كل ما يمثله العربي والمسلم من تراث كان له أكبر الأثر فيما وصلت إليه الحضارة الغربية

● ثالثا : العجز الكبير من جانبنا نحن العرب والمسلمين في إعطاء صورة إنسانية وحقيقية عن تجاربنا الاجتماعية ومواقفنا السياسية .

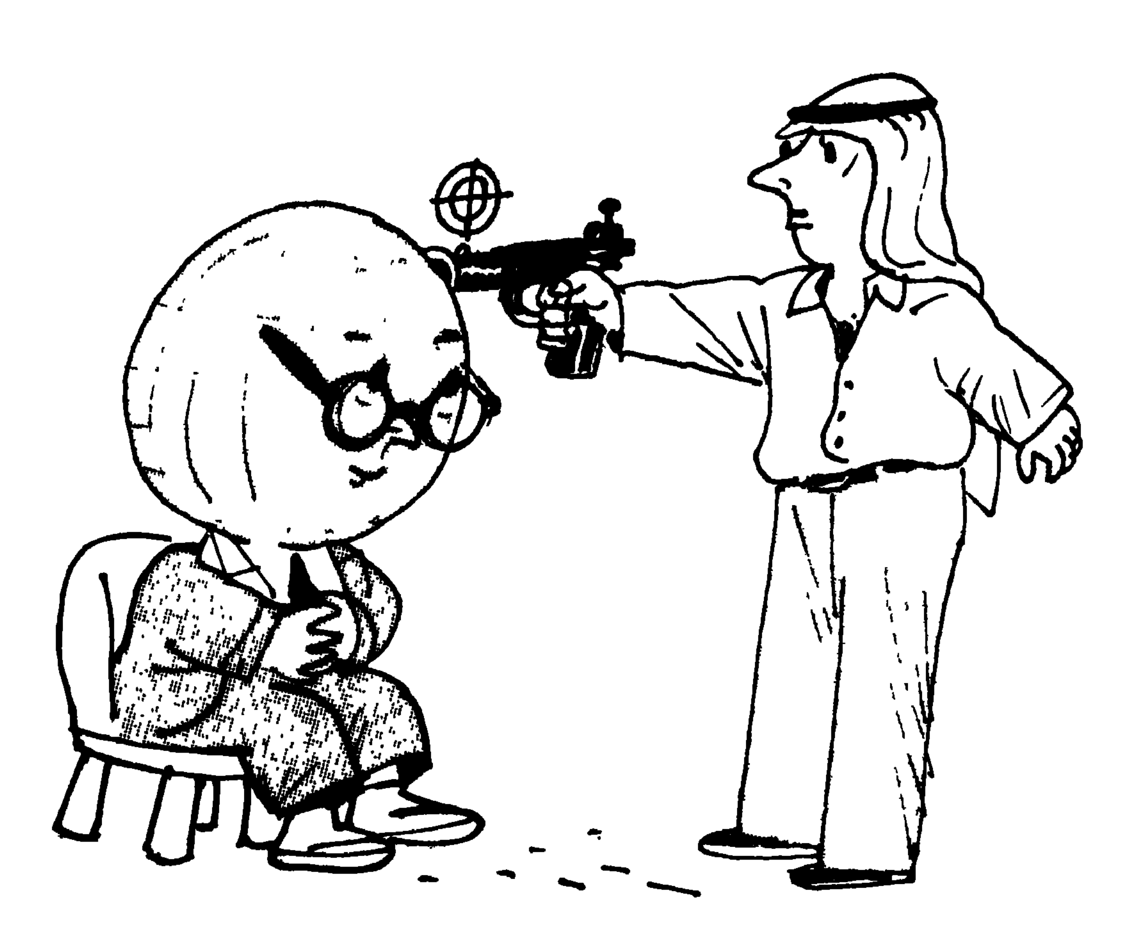
● رابعا : ما يشكله العرب والمسلمون المهاجرون إلى أوروبا من ضغط اقتصادي حقيقي أو متخيل يؤدي في تصور البعض إلى رفع نسبة البطالة لديهم ومشاركتهم لقمتهم .

هذه العناصر الأربعة المتشابكة تتخلها عناصر مساعدة هي التي جعلت « الرؤية المضادة » للمواطن العربي المسلم تستثمر وتتضخم وتفرز مواقف عدائية على المستوى الفردي والمستوى العام .

لسنا عربا

□ لعل تفاصيل الصورة العربية في الغرب ـ وهي الصورة السلبية غير الحضارية ـ أصبحت معروفة ومتداولة في كل وسائل الاعلام الغربية والأمريكية . ومن أهم الحقائق بهذا الخصوص أن كلمة عربي أو مسلم أو شرقي تعني ـ في معظم الأحوال ـ نفس المعنى . . أي أنه شخص فاسق ، فاسد ، مهووس جنسيا ، عديم الكفاءة ، مبذر ، هذه بعض المفردات التي تجدها مستخدمة لوصف ذلك الانسان الشرقي بالغ الثراء وبالغ التخلف في نفس الوقت .

ولعل هذه الأوصاف ـ وهذا الحقد المتنامي ـ تظهر في أكثر من صورة وبمختلف التعبيرات ، فعندما قررت الحكومة الفرنسية منذ سنوات أن تخصص مدينة (بواتييه) في الجنوب الفرنسي مركزا جمركيا لمراقبة دخول



المنتجات الالكترونية اليابانية إلى السوق الفرنسي ، وضعت شركات يابانية كبرى إعلانات في الصحف الفرنسية اليومية تقول فيها ما معناه : « لسنا عربا » .

صحيح أن هذه الاعلانات لم تستخدم كلمة عرب ، بل استخدمت كلمة (سارازين) ، وهي كلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية (ساركو توز) وقد ظهرت لأول مرة في كتب المؤلفين الذين كانوا يكتبون في القرون الأولى الميلادية ، وهي تطلق على البدو الرحل الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية ، ومنطقة الجزيرة بين دجلة والفرات ، والرأي الذي أجمع عليه الباحثون أن الكلمة مشتقة من الكلمة العربية (شرقي) ، وواقع الأمر أن كلمة (سارازين) تعني العربي . . والمعنى في الاعلانات اليابانية الموجهة إلى القارىء الفرنسي يقصد أن يقول إن استيراد المنتجات الالكترونية اليابانية لا يعتبر غزوا ، كالغزو الذي يقال إن « شارل مارتيل » أوقفه في مدينة (بواتييه) ذاتها قبل حوالى ١٢٥٠ سنة ، والذي شنه (السارازين) (العرب) في ذلك الوقت على أوروبا !

قضية ذات بعد إنساني

☐ الشرقيون ، العرب ، المسلمون ـ كلهم تحت مظلة واحدة ـ يشكلون اليوم مشكلة في أوروبا الغربية ، وسواء كانوا مهاجرين أو عمالا أو أصحاب أعمال أو سيّاحا « مارّين » وقت الصيف أو مقيمين في الشتاء للعمل ـ فإنهم يشكلون قضية لها بعدها الانساني

وقد لفت النظر إلى هذه المشكلة بأكثر من طريقة . . لعل أشهرها ـ في السنوات الأخيرة ـ كتاب الصحفي الألماني (جنتر فارلاف) وعنوانه « العقل التركي » ، فقد قام ذلك الصحفي الألماني بالتنكر في زي عامل تركي من آلاف العمال الأتراك العاملين في ألمانيا الغربية ، وعاش حياتهم اليومية ووصفها بدقة ، وجاء ذاك الكتاب كفضيحة للعنصرية الألمانية الجديدة ، ولعل قمة المأساة عندما ذهب ذلك العامل كي يغير دينه ليتزوج فتاة ألمانية ـ كما ادّعى ـ فرفض راعي الكنيسة التي ذهب إليها رفضا باتّا . . !

في ذاك الكتاب ـ الذي لم يترجم مع الأسف إلى العربية حتى الآن ـ نعثر على صورة حقيقية وموثقة بالصور لمعاناة الشرقي والمسلم ، في أوروبا الحديثة ، وهي كما قلنا ناتجة من تراكم تاريخي طويل .

وعندما نفحص الموقف لدى العمال العرب من فرنسا وبريطانيا ـ حيث يشكل الاسلام الدين الثاني في كلا البلدين من الناحية العددية ـ نجد نفس الصورة ولكن داخل إطار آخر

فمشكلة الهجرة العمالية من العالم الثالث ومن الأقطار العربية والاسلامية على وجه الخصوص ، أصبحت تمثل همّا دائما للساسة في البلدين ، ولعل القوانين التي فرضها المحافظون في بريطانيا ، والقوانين التي يقترح المحافظون في فرنسا فرضها للحدّ من الهجرة وتقنينها ، يصل بعضها إلى ممارسة غير إنسانية ، كالكشف الطبي في بريطانيا مثلا على من تدعى أنها زوجة رجل جاءت للحاق به . . والهدف من الكشف الطبي هو معرفة ما إذا كانت عذراء أم ثيّبا ! !



أحمد بن خليل — عبدالحميد ماتير — حمد بولتاحه — عزير مدق

مجموعة من الشهداء العرب ضحايا التيار « العرقي / العاشي »

ومشروعات القوانين الجديدة في فرنسا تتجه إلى التضييق على المهاجرين ، فقد وصف أحد المسؤولين الفرنسيين بلاده فرنسا بأنها أصبحت « مزبلة » أي أنها صارت ملجأ للمهاجرين من العالم الثالث من كل الألوان والمستويات الاجتماعية . وقد يقول قائل « ربما كان ذلك سياسة عامة للتقليل من أعداد الأجانب » وقد نتفهم ذلك إذا وجدنا فيه شيئا من الحقيقة . . ولكن الواقع أنها سياسات انتقائية تستهدف العرب والمسلمين والملونين - وتستثني البيض - لذلك فإنها في الحقيقة . . عنصرية .

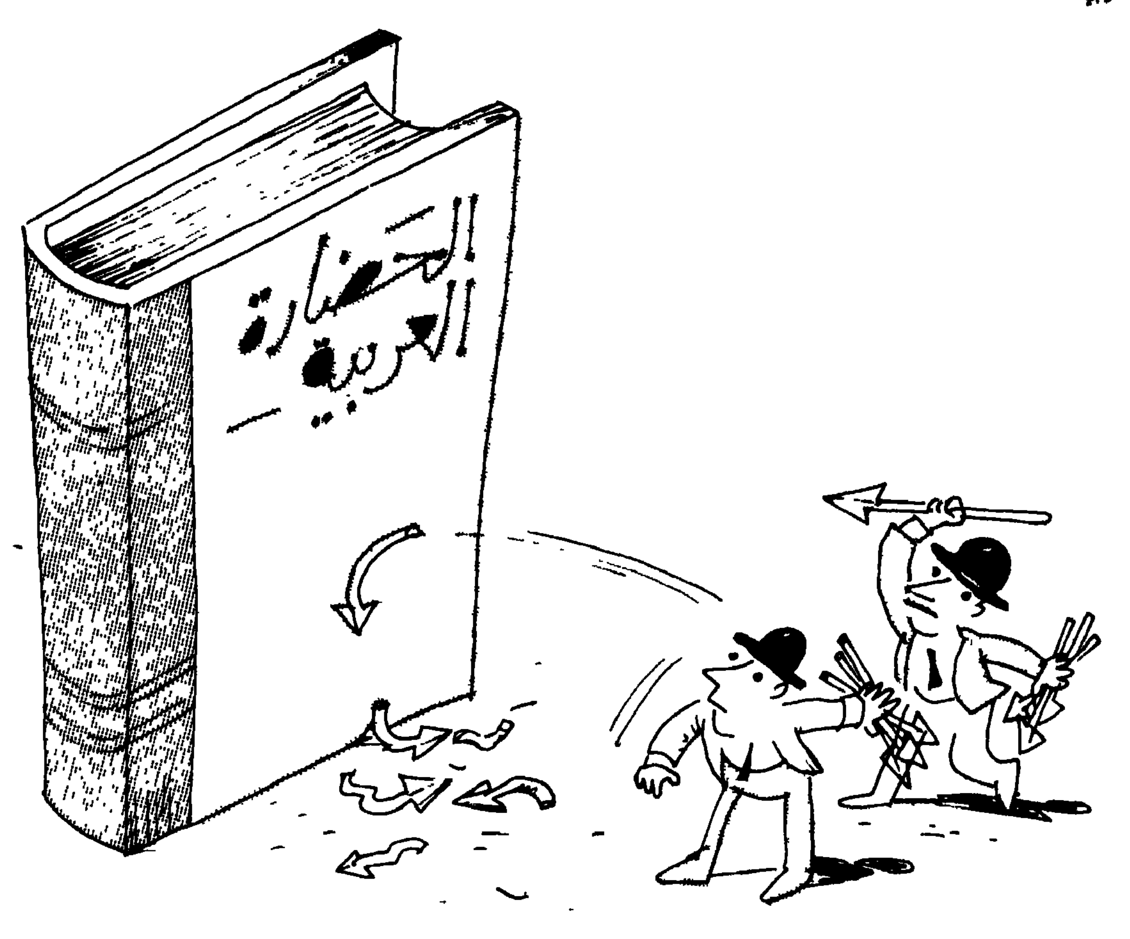
حقيقة الأمر أن هناك تيارا عرقيا / فاشيا يجتاح معظم أوروبا الغربية اليوم ، ولقد تجاوز في بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص مراحله الأولى التي كانت معزولة في مجموعات صغيرة ثم تفشت لتصبح تيارا واسعا يسمى نفسه « بالجبهة القومية » ، وهي نفس التسمية في البلدين . والملاحظ أن هذه العنصرية موجهة ضد العرب والمسلمين ، وكثيرا ما يكون الضحية عربيا في فرنسا ، أو مسلما في بريطانيا - وتشيع هذه الجماعات العنصرية أن أبناء العرب والمسلمين في ديارهم هم مصدر البطالة ومسببوها . . فلابد أن يكونوا موضع اللعنة والمطاردة ، ولقد بدأ المهاجرون العرب والمسلمون في بريطانيا وفرنسا بالتكتل في تجمعات عمالية ، وبدأت تظهر قصصهم المأساوية في الصحف ، في الوقت الذي تزداد الحملة الاعلامية ضدهم كما حدث أخيرا في صحيفة « صن » البريطانية عندما قالت (إن الخنازير سوف تحتج على وصفها بالعرب) !!!

العرب كقيمة سلبية

☐ لعل التيار الصاعد المضاد للعرب في أوروبا وفي الولايات المتحدة يمكن أن يوصف - في تقديري - « باللاإسلامية » ، وهو أسوأ أشكال العنصرية على وجه الأرض . فهنا العداء موجه إلى عقيدة وليس الى عرق محدود ، هذا الموقف من الاسلام والمسلمين يصفه ادوار سعيد في كتابه « تغطية الاسلام » بقوله : (إن الكثير من الدواعي الدينية والنفسية والسياسية يكمن وراء هذا الموقف ، ولكنها جميعا تنبعث من الشعور بأن الاسلام لا يمثل منافسا رهيبا فحسب - بالنسبة للغرب - بل إنه يمثل تحديا متأخرا للحضارة الغربية) .

لهذا فإنهم - في رأينا - يشوهون صورة العربي على الساحل الغربي للأطلسي - أي في الولايات المتحدة - بإبرازه في مظاهر سلبية شتى ، بدءا من الأفلام السينمائية ومرورا بالأشرطة المبثوثة في التلفاز ، وانتهاء بما يكتب في الصحف والمجلات ، وتنتقل صورة التهديد للعرب والمسلمين من أوروبا الى الولايات المتحدة ، فتقرر مجلة « نيوزويك » في مطلع هذا العام (أن عشرين ألف أمريكي من أصل عربي في ديترويت أصبحوا يألفون العيش مع





التهديد بالقتل ورسائل الحقد والتهديد وتخريب الممتلكات)

وقد بدأت سلسلة من الاغتيالات الشخصية لبعض المؤثرين العرب في الساحة الأمريكية ، إلى درجة أن مدير التحقيقات الفيدرالي الأمريكي صرّح في ديسمبر من العام المنصرم (أن الأمريكان الذين ينحدرون من أصل عربي في خطر محقق) .

لقد كانت النتيجة التي وصل اليها وضع الانسان العربي والمسلم في أوروبا وأمريكا منطقية بعد سيل منهمر من تشويه صورة العربي والمسلم في وسائل الاعلام الأمريكية وإظهاره بالمعتدي العنيف ، ويبدو بوضوح ذلك التصوير المشوه للعربي في الأفلام الأمريكية من الناحية الشخصية والتاريخية والثقافية في مئات الأفلام في السنوات العشر الأخيرة . . فبعد أن كانت السينما الأمريكية تظهر العربي كرومانسي فطن في العشرينيات ، انقلبت الصورة لتأخذ شكلا عنيفا ، وفي بعض الأحيان شكلا مزريا وساخرا ، إن صورة العربي بشكلها السلبي ليست اختصاصا سينمائيا ، بل هي موجودة ومتسعة في الأعمال الروائية المطبوعة ، وفي الأعمال غير الروائية ، كما هي في الاعلانات الصحفية والمتلفزة وفي حلقات « التلفزيون » .

ونستطيع أن نعدد عشرات الأفلام المنتجة أخيرا التي تظهر صورة

العربي والمسلم وكأن صناعته الأساسية هي العنف . . وهو في حقيقة الأمر « الضحية » .

تناقض غير محلول

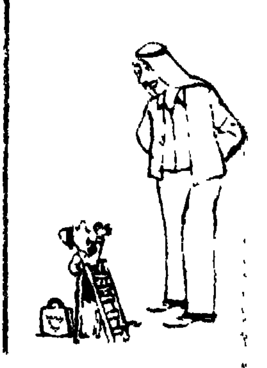
□ إن التساؤل المنطقي الذي يقفز الى أذهاننا جميعا هو : لماذا هذا الموقف العدائي من العرب والاسلام الذي تقفه الثقافة الغربية (الأوروبية والأمريكية) منا اليوم ؟

هذا التساؤل ليس من السهل الاجابة عنه بصورة قاطعة ، ولكن هناك عنصران لابد من الأخذ بهما عندما نحاول تفسير هذا الموقف : العنصر الأول في رأينا هو التراكم التاريخي في التناقض بين العرب وأوروبا الذي لم يحل حتى الآن ، فلعدة قرون واجه العرب والمسلمون أوروبا بكثير من التحديات على الصعيد السياسي والثقافي ، وفي بعض الأوقات على الصعيد الاقتصادي . . فلو أن فكرة الزحف العربي الاسلامي إلى أواسط أوروبا ، قدر لها أن تنجح ، لكان الاسلام هو دين أوروبا ، وحتى اليوم نجد هذا المعنى يتكرر ، فقد كنت في الصيف الماضي مع مجموعة من السياح في فيينا ، وبدأت المرشدة تحدث الجميع عن تاريخ تلك المدينة ، ووقفت طويلا عند « حصار المسلمين لها » وقالت في النهاية : شكرا لله أننا قد صددناهم !

الحضارة العربية الاسلامية في حقيقة الأمر واجهت أوروبا ليس سياسيا وعسكريا فقط بل فكريا أيضا . . . وهي الحضارة الوحيدة التي واجهت أوروبا وتحدتها وتفوقت عليها ، على عكس احتكاك أوروبا بالحضارات الأخرى ، فقد احتكت بها الحضارات الهندية والصينية ولكنها كانت في أفول .

العنصر الثاني : هو القرب الجغرافي ـ بجانب التحدي الحقيقي ـ وهو عامل ثان شكّل العلاقة بين الشرق العربي المسلم وأوروبا ، فمنذ العصر الأموي الى يومنا هذا والصلة بين العرب والغرب متصلة دون انقطاع ، وهي صلة طابعها العام العداء وإن تخلّلتها فترات من الوئام .

هذه الصلة القوية المتصلة هي التي حددت صورة العربي/ المسلم في نظر الغربي ، فقد وجد الغربي نفسه أمام حضارة متفوقة ذات قوة وبأس ، فحمل لها العداء ، وشكل حولها الأساطير . . بعكس صلته بالأمم الأخرى ، فقد بدأت متأخرة في عصر الاستعمار الحديث وهو قوي متفوق ، بينما هي ضعيفة غير قادرة .



هذا الموقف هو الذي جعل الحضارة الغربية تتجاهل عن عمد ما حققه العرب والمسلمون في اطار العلم والمعرفة ، وانهالوا عليه تجاهلا وتشويها ، ونسبوا هذا التفوق عامدين الى آخرين كالاغريق والرومان ، إلا قلة منهم بدأت تعترف بفضل الحضارة العربية الاسلامية ولكن في وقت متأخر .

إنه التناقض « غير المحلول » أضاف اليه وعمقه زرع اسرائيل في قلب الوطن العربي في النصف الثاني من هذا القرن .

وعندما يدرس المنصفون أسباب هذا الزرع في تاريخنا المعاصر سيردونه ولا شك الى ذلك « التناقض غير المحلول » بيننا وبين الغرب . هذا الزرع أضاف تعقيدات أخرى جديدة على الصورة القديمة ساعده نشاط الصهاينة من جهة ، وإيقاظ كل ذاك التاريخ من الصراع الطويل مع أصحاب هذا الدين الذي كان قاب قوسين أو أدنى من قلب أوروبا .

هذه العناصر قد تفسر مجتمعة ذلك الموقف المعادي لكل الآمال العربية والتطلعات التي تسعى اليها - فالتحيز الغربي ضد العرب والمسلمين ليس مؤقتا أو طارئا - ولكنه دائم وكامن يظهر في وقت تصاعد العداء .

ما العمل ؟

□ أمام كل ذلك يطرح السؤال المنطقي الآخر : ما العمل ؟

العمل في الحقيقة طويل وشاق ، فالقضية كما رأينا لها جانبان : الجانب الأول والأهم هو إصرار الغرب على تشويه صورة العربي ، والجانب الثاني هو عجز من جانبنا عن مواجهة هذا التحدي ، فالصورة ليست بالضرورة قاتمة ، ولكنها تحتاج الى عمل متواصل طويل ، فقد ظهرت بعض الكتب التي تنصف الى حد ما الموقف العربي الاسلامي . . كتب جادة أكاديمية ، وكتب سيارة .

ولعلنا نذكر أول ما نذكر كتاب (بول فندلي) وعنوانه « من يجرؤ على الكلام ؟ » ، وهو كتاب يفضح - من موقف معتدل - الضغوط الصهيونية على الاعلام ، ومتخذي القرار الامريكي - ولكن هذه الخطوات تحتاج الى فهمنا - فهما واعيا وعلميا - لدور وسائل الاعلام في تشكيل سياسة أمة ، وتحديد مواقفها من حضارات وشعوب أخرى .

ولعل الجهود العربية الضائعة في هذا الاطار أكثر من أن تحصى ، وهي في تقديرنا نابعة من مواقف علمية خاطئة ، فالاعلام ليس حقلا مستقلا يستطيع وحده فعل المعجزات ، إن الاعلام مرتبط بالوضع السياسي والاجتماعي والثقافي الشامل . ومن تحصيل الحاصل القول بأن وقف تشويه الصورة العربية لدى الآخرين لا يحققها الاعلام ، اذا كانت الحقول الأخرى ضعيفة أو متخلفة أو غير فعالة . . . وبمعنى آخر . . إنه ليس من الممكن أن نصحح مواقف الآخرين منا اذا كانت مواقفنا غير سليمة نتيجة قرار سياسي خاطىء ، أو تصرف غير عقلاني ، ودون حساب لموقفنا العربي المشتت وغير الفعال . □

محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد سبتمبر ١٩٨٦

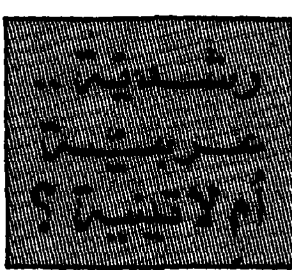
البحث العلمي

من أجل غذاءٍ أفضل ..

استطلاع : منير نصيف

تشرنوبيل .. الحقائق والتوقعات

د. عدنان شهاب الدين



د. محمد عابد الجابري

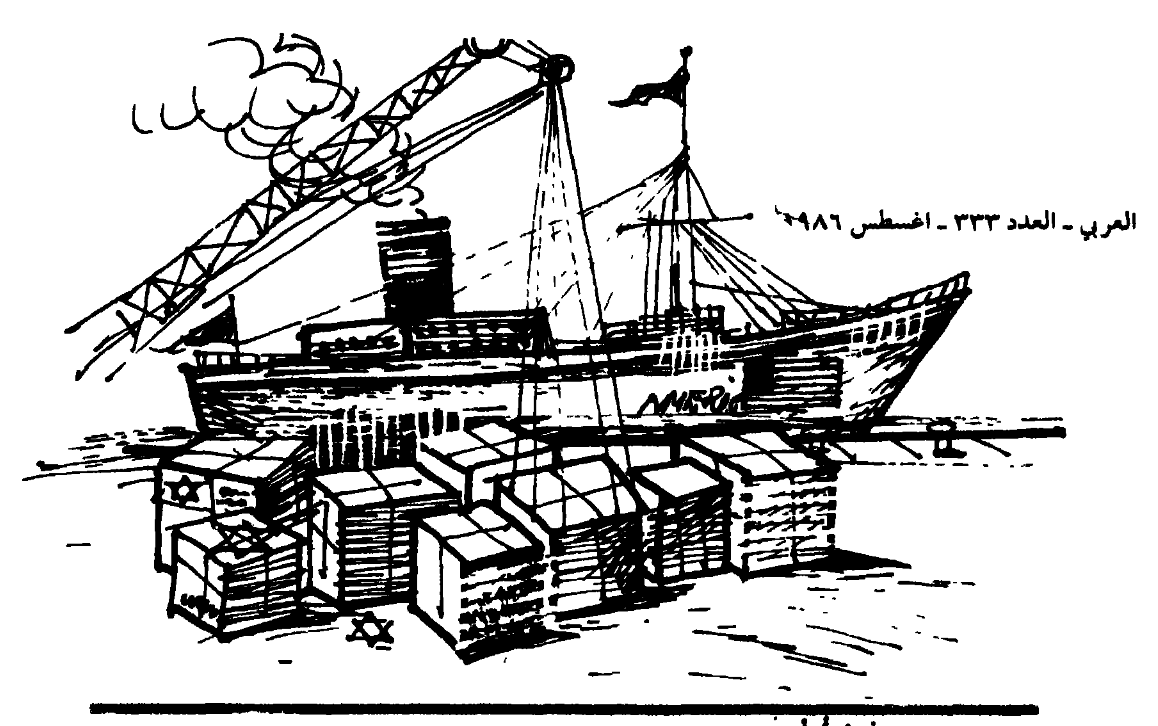
أول وزير للذكاء في العالم !

د. عادل عبد الكريم ياسين

- سراوك .. الانطلاق من عمق المجهول / استطلاع : سليمان مظهر
- الله والإنسان والحرية / د. حسان حتحوت
- السيميائية .. احدث العلوم الانسانية / د. كمال أبو ديب
- العدساني .. والعمامة والكتاب غير المنشور ! عبد الله زكريا الأنصاري
- الكمبيوتر والزخرفة العربية / د. نبيل علي
- الموسيقى العربية والهارموني / د. سليم سحاب
- وجهاً لوجه .. فتحي غانم وأبو المعاطي أبو النجا
- الطيران في نهاية القرن العشرين / ريا عارف الرفاعي
- كيف تتخلص من نظارتك / د. سري سبع العيش
- دلالات الرموز في رواية الأرض المحتلة / وليد أبو بكر

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. عاتكة الخزرجي - د. علي الكواري - د. فاطمة [illegible]
د. محمد نبهان سويلم - د. هياة جاسم محمد - د. ضياء الجماس - د. أمين العيوطي



أضواء على

اتفاقية التبادل التجاري الحر بين أميركا و«اسرائيل»

بقلم : الدكتور فضل النقيب*

يطرح هذا المقال بعدا جديدا من خلال القاء أضواء كاشفة على طبيعة العلاقة الجديدة بين « اسرائيل » والولايات المتحدة الأمريكية التي تضاف الى سلسلة العلاقات السابقة ، فما هي هذه العلاقة الجديدة وما موقعها في اطار العلاقات الدولية ؟

في « تموز » يوليو من العام الماضي ، تم التوقيع بين حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية و« اسرائيل » على اتفاقية للتبادل التجاري الحر بين البلدين ، وبموجب هذه الاتفاقية سيتم بشكل تدريجي خلال عشر سنوات الغاء الضرائب الجمركية على البضائع بين البلدين .

ما هي النتائج المتوقعة لهذه الاتفاقية بالنسبة لأزمة الاقتصاد الاسرائيلي الراهنة ؟ وما هي نتائجها على بنية الاقتصاد الاسرائيلي في المستقبل وعلاقته بالاقتصاد الأمريكي ؟

* دائرة الاقتصاد ـ جامعة واترلو / كندا

عجز دائم :

تعتمد « اسرائيل » مند نشأتها على التجارة الخارجية بشكل اساسي لتنمية اقتصادها وتطويره ، فافتقار « اسرائيل » لكثير من المواد الاوليه ، وطموحها الدائم للتصنيع بشكل عام ، والتصنيع الحربي بشكل خاص ، يجعل حاجتها للاستيراد ملحة وحساسة ، ولهذا كان من المعتاد ان تصل حجم الواردات السنوي الى حوالي (٤٠ ٪) من الدخل القومي . ولقد نجحت « اسرائيل » في دعم وتطوير صناعات التصدير ، حتى تتمكن من الحصول على العملة الصعبة اللازمة لتغطية مصاريف الواردات ، حتى كان حجم الصادرات السنوي يصل الى (٥٠ ٪) من الدخل القومي ، وهكذا كانت التجارة الخارجية في الخمسينيات والستينيات ومطلع السبعينيات تلعب دورا مهما ورئيسا في دفع عجلة الاقتصاد الاسرائيلي وتطوير الانتاج العام

هذا الوضع تغير بشكل جذري في منتصف السبعينيات ، فمصاريف التسلح الهائلة التي اقدمت عليها الحكومة الاسرائيلية بعد حرب ١٩٧٣ ، ومصاريف بناء المستعمرات في الضفة الغربية ، والجولان وغزة ، ثم مصاريف الجيش الكبير للاحتلال وللمغامرات العسكرية ، كل ذلك قاد الحكومة لاتباع سياسة تضخم مالية رفعت من اسعار البضائع الاسرائيلية ، وافقدتها المنافسة في الاسواق الخارجية ، فتراجع قطاع الصادرات ، وازداد حجم الواردات حتى اخذ ميزان المدفوعات التجاري يعاني من عجز دائم ، وأخذ البنك المركزي يشكو من تدهور رصيده من العملة الصعبة

سد هذا العجز يقتضي زيادة حجم الصادرات ، « ولاسرائيل » كما هو معروف ثلاثة اسواق رئيسيه ، السوق الاوروبية ، والسوق الأمريكية ، والسوق الفلسطينية في الضفة العربية وقطاع غزة ، ولما كانت ترتبط بمعاهدة تبادل تجاري حر مع مجموعة السوق الاوروبية المشتركة ، وتهيمن على السوق الفلسطينية وفق مصالحها بواقع الاحتلال ، فان الاتفاقية الجديدة بينها وبين الولايات المتحدة تعطيها ما ينقصها من حرية تجاريه كاملة في الاسواق المهمة لاقتصادها ، اضافة الى انها تصبح الدولة الوحيدة في العالم التي تتمتع بحرية التجارة على شاطيء الاطلسي . الأوروبي والأمريكي

ومع هذا فانه من غير المتوقع ان تكون لهذه الاتفاقية آثار ايجابية سريعة على زيادة حجم صادراتها للسوق الامريكية ، فعند التدقيق في اوضاع هذه السوق نرى انه بدون الاتفاقية هناك (٩٠ ٪) من البضائع الاسرائيلية المصدرة للولايات المتحدة معفاة من الضرائب الجمركية - كما جاء في تقرير للكونغرس الامريكي - (٥٥ ٪) معفاه بموجب النظام الأمريكي الذي يعتمده الكونغرس للتفضيل التجاري و (٣٥ ٪) بموجب النظام الاخر للتمييز التجاري العام ، وفي نفس الوقت فليس هناك الا (٥٥ ٪) من البضائع الأمريكية المصدرة « لاسرائيل » معفاة من التعرفه الجمركية ولهذا تبدو الاتفاقية وكأنها لصالح تشجيع الصادرات الأمريكية « لاسرائيل » وليس العكس ، فهي ترفع الضرائب عن (٤٥٪) من الصادرات الاميركية « لاسرائيل » مقابل رفع الضرائب ١٠ ٪ من الصادرات الاسرائيلية لأميركا

أهداف بعيدة المدى :

هذا الوضع الظاهري يخفي الهدف الذي توخته الحكومة الاسرائيلية من توقيع الاتفاقية الجديدة ، فهدفها ليس الحصول على نتائج سريعة ، ولكن تحقيق اهداف بعيدة المدى ، ومستوحاة من السياسة الاقتصادية الجديدة التي تتبناها حكومة العمال - الليكود لحل معضلة الاقتصاد الاسرائيلي ، فهذه الحكومة ترى الان ان تجاوز الازمة الاقتصادية مرهون بتحقيق هدفين

اولا ترى انه بعد ان اصيب الاقتصاد بالتضخم ثم الكساد ولمدة تقارب السنوات العشر ، حتى اخذ يعاني من البطاله وعدم القدرة على تشغيل الطبقة العاملة ، واستقدام المهاجرين ، فانه بحاجة لدم جديد لا يمكن الحصول عليه الا من الاستثمارات الاجنبية (الامريكية)

ثانيا ترى انه بعد ان شكل دخول اسبانيا للسوق الاوروبية المشتركة تحديا خطيرا افقد « اسرائيل » القدرة على بيع منتوجاتها الزراعية في اوروبا ، فان مستقبل الصادرات الاسرائيلية مرهون ، بالقدرة على

تطوير صناعة التقنية المتقدمة ، لتصبح مادة الصادرات الاسرائيلية الرئيسية .

ولهذا ، تمشيا مع هذين الهدفين ، أقدمت الحكومة الاسرائيلية على توقيع المعاهدة الجديدة مع الولايات المتحدة .

بالنسبة للهدف الأول ، تقدم الاتفاقية فرصة كبيرة للرأسمال الامريكي ليستثمر « باسرائيل » بشكل مغر ، فهي تقدم يدا عاملة ارخص من الامريكية ، وحرية نقل الاجهزة والمعدات دون ضرائب ، وبشكل اهم انها تقدم له فرصة بيع ما يصنعه في « اسرائيل » كصناعة اسرائيلية في السوق الاوروبية التي ترتبط مع « اسرائيل » باتفاقية للتبادل التجاري الحر ، وهذا يعني ان البضائع الأمريكية المصنوعة في « اسرائيل » تستطيع غزو السوق الاوروبية بشكل اسهل من البضائع الامريكية المصنوعة في الولايات المتحدة ، لأن الأخيرة لا ترتبط بمعاهدة تبادل تجاري حر مع السوق الاوروبية المشتركة

وهنا يجب ان نلاحظ ان تشجيع الرأسمال الامريكي على الاستثمار « باسرائيل » كان أيضا من احد اهداف خطة الاصلاح الاقتصادي التي اعتمدتها حكومة العمال - الليكود في ايار من العام الماضي ، فالخطة تتلخص في تخفيض دعم الحكومة لأسعار السلع الرئيسية ، ورفع تكاليف المواصلات ، والصحة ، والتعليم ، مع تخفيض كبير بعدد موظفي الحكومة ، اي انها تهدف لتحقيق الاصلاح المالي عن طريق تقليص دور القطاع العام ، وتكريس اهمية القطاع الخاص ، وذلك يعني دوما تشجيع رأس المال الأجنبي على الاستثمار

بالنسبة للهدف الثاني ، تقدم الاتفاقية فرصة كبيرة لصناعة التقنية المتقدمة في « اسرائيل » لتتطور وتزدهر ، فمن المعروف ان « اسرائيل » اصبحت متخصصة ببعض انواع تقنية السلاح والطب الدقيقة ، بشكل يؤهلها لخوض المنافسة في الاسواق العالمية ، وفتح السوق الامريكية امام هذه المنتوجات - وهي اكبر سوق في العالم تستخدم التقنية المتقدمة - يعطيها دفعة هائلة

وهنا ايضا يجب ان نلاحظ ان تشجيع صناعة التقنية المتقدمة في « اسرائيل » كان من الأهداف المهمة وراء توقيع سلسلة اتفاقيات التفاهم الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل ، تلك الاتفاقيات التي وقعت الأولى منها عام ١٩٧٩ عند توقيع معاهدة كامب ديفيد ، ثم وقع على الاتفاقيات اللاحقة في اعوام (١٩٨١) و (١٩٨٣) و (١٩٨٥) ، فبموجب هذه الاتفاقيات اصبحت « اسرائيل » قادرة على الدخول بالمنافسة مع الشركات الأمريكية لتنفيذ عقود صناعة الاسلحة المتقدمة لوزارة الدفاع الامريكية ، وكذلك اعطتها هذه الاتفاقيات امتياز تأمين الخدمات الطبية لجنود الأسطول السادس وعرب اوروبا الأمريكيين ، بالاضافة الى اصلاح البوارج والسفن والطائرات الأمريكية في اوروبا والبحر الابيض المتوسط

ضمان المستقبل :

وراء هذين الهدفين الاقتصاديين من توقيع الاتفاقية يكمن هدف سياسي واستراتيجي مهم ، فالاتفاقية تشكل خطوة مهمة على طريق تمتين العلاقة الأمريكية - الاسرائيلية وتطويرها ، وقبل مناقشة ذلك لابد من الاجابة عن السؤال المنطقي الذي سيتبادر لذهن القارىء وهو . هل من الممكن تمتين العلاقة الأمريكية - الاسرائيلية بشكل اقوى مما هي عليه الان ؟ هل يمكن لامريكا ان تؤيد « اسرائيل » سياسيا وعسكريا واقتصاديا اكثر مما فعلت وتفعل الآن ؟ والجواب عن ذلك ان الهدف من توقيع الاتفاقية ليس الحصول على تأييد امريكي اكبر ، ولكن ضمان هذا التأييد في المستقبل ، ففي عالمنا المضطرب والمتغير والمتشابك في المصالح والعلاقات ،

لابد للعلاقة بين اي بلدين من ان تكون ديناميكية متحركة تستوعب مستجدات الظروف وتصارع القوى ، هكذا هي العلاقة الامريكية - الاسرائيلية في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات لاتستطيع ان تكون كما كانت عليه في السبعينيات ومطلع الثمانينيات ؛ لأن العالم سيكون متغيرا وحافلا بقوى ومصالح مختلفة ولهذا فاذا كان تأييد الكونغرس الامريكي « لاسرائيل » الآن مبني على اساس انها تقوم بحماية المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، فمن الممكن مع تغير الظروف ان لا تحتاج

هده المصالح للحماية الاسرائيلية ، ولهذا تخطط « اسرائيل » لاحداث تعيير نوعي في حجم الرأسمال الامريكي المستثمر لديها حتى تصبح من مصلحة هذا الرأسمال تأييد « اسرائيل » دفاعا عن مصالحه فيها ، ومن هذه الزاويه يمكن فهم المضمون السياسي للمشاريع التي تنفذها « اسرائيل » بالاشتراك مع الشركات الامريكية

لنأخذ على سبيل المثال الطائرة الحربية (لافي) التي تقوم « اسرائيل » بصناعتها الان ، انها طائرة باهظة التكاليف ، وهناك بعض المعلقين الذين يشكون بقدرة « اسرائيل » على تحمل اعباء هذه التكاليف (تكلفة الطائرة الواحدة مليون ونصف مليون دولار) ، كما ان بيعها لدول اخرى سيدخل في منافسة مباشرة مع الطائرة الامريكية من طراز (F-16) . ولكن انتاج هده الطائره في مطلع التسعينيات وتطويرها والاستمرار بانتاجها سيكون مصلحة رأسماليه امريكية . فهناك حوالي (١٠٠) شركة امريكية تشترك في المراحل المختلفة لصناعة هذه الطائرة بالغة التعقيد ، وهكذا قد نشهد في مطلع التسعينيات ضغطا من ممثلي بعض الشركات الامريكية في الكونجرس الأمريكي على الحكومة الامريكية لتمد « اسرائيل » بمساعدات مالية حتى تستطيع شراء الطائره الاسرائيلية (١٢١)

خطة لاعتماد متبادل :

اذا كان وجود الرأسمال الامريكي بشكل كبير سيستقل « باسرائيل » من حامية للمصالح الامريكية في المنطقه لتصبح نفسها مصلحة امريكيه ، فان الهدف السياسي الاستراتيجي وراء تطوير صناعة التقنية المتقدمة سيتقل بالعلاقة الاسرائيلية - الأمريكية من علاقة اعتماد « اسرائيل » على امريكا الى علاقه اعتماد متبادل بين البلدين ، فتخصص « اسرائيل » بصناعة انواع معينة من تقنية السلاح المتقدمة سيجعل آلة الحرب الامريكية معتمدة على الصناعة الاسرائيلية .

وفي هذا المجال يمكن ادراج اتفاقية الدفاع والتجارة ، التي تتعهد بموجبها وزارة الدفاع الامريكية بشراء ما قيمته (٢٠٠) مليون دولار سنويا من الاحتياجات العسكريه من « اسرائيل » ، وكذلك الاتفاق الذي تم توقيعه بين البلدين في شباط ١٩٨٥ ، وبموجبه سيتم التعاون بين البحرية الامريكية والبحرية الاسرائيلية على صنع ثلاث غواصات حربية ، كما تتعهد البحريه الامريكية بصرف مبلغ (٣٠٠) مليون دولار لتحسين مرفأ حيفا ، وزيادة قدرته على استقبال البوارج والسفن والغواصات الامريكية ، كمقدمة ليصبح قاعدة للبحرية الامريكية

وهكذا يتضح لنا ان توقيع اتفاقية التبادل التجاري الحر بين الولايات المتحدة « واسرائيل » ما هو الا خطوة واحدة منسجمه ومكملة وضرورية لخطوات التفاهم الاستراتيجي بين البلدين . والتي تقود كلها لدمج الاقتصاد الاسرائيلي بالاقتصاد الامريكي وشبكته الهائلة للصناعة الحربية ، وهذا الدمج يطور العلاقة الامريكية - الاسرائيلية ويعطيها وضعا مزدوجا ، فمن ناحية تصبح « اسرائيل » مصلحة امريكية بحد ذاتها نظرا لتنامي الاستثمارات الامريكيه فيها ، ومن ناحية اخرى تصبح المصلحة الأمريكية معتمدة على « اسرائيل » لأن الاخيرة اصبحت من نسيج آلة الحرب الأمريكية . □

■ النحلة تعمل ولا تعترض أبدا (لافونتين) .

■ أغبى امرأة تستطيع أن تخدع أذكى الرجال ، ولكن الرجل الغبي لا تخدعه الا امرأة بالغة الذكاء ! (كبلنج) .

■ ما أسرع ما يتبدد المجد الدنيوي ! (توماس كيمبس) .

■ الحب نار . . . لا تتركنا الا رماداً (جون كيتس) .

ينبوع من الايمان في أرض المعركة

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

كتبت عن حرب رمضان سنة ١٩٧٣ ، التي خاضتها الجيوش العربية (المصرية والسورية وغيرها) ضد المغتصب الاسرائيلي الكثير . بعض هذه الكتابات شهادات المتاريخ ، تمثل وجهة نظر أشخاص اطلعوا على بعض جزئيات من هذه الحرب .

هذا المقال أحد تلك الشهادات .

هذه سطور من الاستعداد لحرب رمضان ١٣٩٣هـ / اكتوبر ١٩٧٣م ، والحديث فيها عن ينبوع من الايمان ، وفي أرض المعركة ينابيع اخرى للنصر . المستوى العلمي واللياقة النفسية والبدنية للقوات المسلحة ، السلاح ، التدريب ، التخطيط ، التوقيت ، وتهيئة الجو السياسي والاعلامي ، العلاقات الانسانية والنظامية بين القيادات والقواعد وبين القوات المسلحة والشعب والدولة هذه الروافد كلها تصب في نهر النصر

وانت حين تشرب من ينبوع الايمان ، يسري ماؤه في جسدك كله . . كالعصارة الحية في النبات هي في الجذر والساق والأوراق والزهر والثمر ، هي شيء في كل شيء ولكنها ليست كل شيء .

كيف يكتبون التاريخ ؟

١ ـ في هذه الحدود نقترب من أرض المعركة ، ذلك لأن من أبرز ما تعاني منه الدراسة التاريخية : النظرة الأحادية ، التي تحاول أن تفسر التاريخ على أساس عامل أساسي واحد ، ينفرد بالتفسير ، أو تدور حوله العوامل الأخرى ، كأنها كواكب في مجموعته الشمسية .

٢ ـ وقد يكون الباحث على استعداد للتعامل مع عناصر الموقف أو الفترة بشيء من التوازن ، ولكن لا تكون بين يديه الوثائق الكافية ، إمّا لأنها بعيدة عن اهتماماته الأساسية ، أو لأنها عاشت تحت ركام الأيام ، وكم طوت من سجلات لا تزال تنتظر جهود المؤرخين ، ومن هنا تأتي ضرورة الفهارس المركزية ، ودوائر التوثيق التي تعين الباحثين

ونحن في وطننا العربي نمر في مرحلة وسطى بين العمل الفردي والمركزي عندنا مراكز توثيق ومكتبات عامة ولكنها لا تزال دون الاحاطة والتنظيم المنشود وهو في ذاته هدف دائم التجدد والوصول الى الوثائق ـ احيانا ـ تعانيه صعاب إمّا اداريه أو امنيه او سياسية

• علما أن نتائج المسيرة تكمل لصبر والدأب ، بحيث نقل الجهود المبذولة في الحصول على الوثائق ـ او يتفرغ له متخصصون ـ وتزداد الجهود المبذولة في تحليل ومقارنة الوثائق ـ وتأريخ الموضوع ، أو الفترة ، أو الاقليم ، او الخصائص التي نحن بصددها

٣ ـ واذا كان التاريخ هو ما يكتبه المؤرخون ، فأود هنا ان أشير الى كتاب أصدرته هيئة اليونسكو هو « الاتجاهات العامة للبحث في العلوم الاجتماعية والانسانية » ١٩٧٨م ، وتحديدا الى البحث الذي كتبه الأستاذ جفري باراكلو ـ أستاذ التاريخ الحديث بجامعة اكسفورد ـ عن الاتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية وقد ترجمه الى العربية ـ الدكتور صالح العلي رئيس المجمع العلمي العراقي (بغداد) ، ونشرته مؤسسة الرسالة (بيروت) عام ١٩٨٤م ـ هو عرض شامل وعميق عن اتجاهات البحوث التاريخية في القرن العشرين ، وازمة التأريخية ، والبحث عن افكار ومناهج بحث جديدة ، وأثر العلوم الاجتماعية ، والابعاد الجديدة في التاريخ ، والبحث عن معنى التاريخ ، وتنظيم العمل التاريخي . واتجاهات اليوم ومشكلاتها ومراجع البحث تشغل وحدها نحو مائة صفحة ، فضلا عن اتصالات المؤلف المباشرة بكبار المؤرخين واللجان الوطنية

٤ ـ أقول ذلك لأن تطور الدراسات التاريخية ومناهجها ، لا يقل أهمية ولاخطورة عن تطور الدراسات في المجالات العلمية الأخرى ، فالعلوم تتفاعل وتتبادل التأثير

ومن الظاهرات الايجابية في وطننا العربي تقوية اتصالاته بالمنظمات الدولية . كاليونسكو ، واللجنة الدولية للعلوم التاريخية ، وتعقد مؤتمراتها العالمية الدورية كل أربع سنوات . وهي أكبر تجمع عالمي تاريخي فضلا عن الصلات بين الجامعات العالمية والعربية ، وزيادة العناية بالوثائق المحلية والعربية والاسلامية ، ونشاط حركة الترجمة من العربية واليها ، وزيادة الروابط مع الجامعات الاسلامية

وعلينا دعم هذه الاتصالات جميعا ، رغم ما قد تلقى من معوقات وصعوبات داخلية وخارجية ، وأن تكون فينا القدرة على مراجعة الذات وتعديل الأسلوب ، والافادة من الجديد في دعم الشخصية الحضارية ، وهي ـ أيضا ـ في حركة مستمرة

مشكلة العصر الذهبي :

تبقى بعد هذا مشكلة وثيقة الصلة بحرب رمضان / اكتوبر ، وبدراسة تاريخ مصر في القرن العشرين هل أقول انها مشكلة عربية أو أوسع وسأقتصر في النموذج المصري على جانب منه

١ ـ الذين عاشوا قبل ثورة ١٩٥٢ ، وسعدوا بحياتهم فيها ، لهم مؤرخوهم من مصريين وغير مصريين ، وكان مما عبثت به الأسرة المالكة كتابة تاريخ مصر ، وفق الخطوط التي يريدونها ، وتحت أيديهم الوثائق كمثال . كتاب « دوان » تاريخ الخديو اسماعيل ، وكتاب بيير كرابيتس « اسماعيل المفترى عليه وكانت هناك أصوات عنيت بالجانب القومي من هذا التاريخ ، وأبرزهم في هذه المرحلة عبد الرحمن الرافعي المحامي في موسوعته « تاريخ الحركة القومية وإن كان تركيز الرافعي على ابراز دور الحزب الوطني الذي ينتمي اليه . ومحمود الخفيف في كتابه عن أحمد عرابي ، مدافعا عنه ، وعن مواقفه التي شوهتها الكتب الرسمية والمدرسية .

٢ ـ والذين حملوا المسئولية في فترة الرئيس جمال عبد الناصر لهم أيضا مؤرخوهم . أو كتبوا التاريخ بأنفسهم ، ولأنفسهم ، وهؤلاء تباينت مواقفهم مع طول أو قصر المدة التي قضوها في مراكز القيادة السياسية والفكرية أو في جوارها ، ومع الأسباب التي

أدت الى استمرارهم أو اعترالهم ، أو عـرلهم ، أو حجبهم حيث لا تحس منهم من أحـد أو تسمع لهم ركزا . ومن هؤلاء ـ وهم كثير ـ ساسة ومؤرخون محترفون ، وأصحاب أقلام ، ورجـال صحافـة لهم أورانهم

٣ ـ وهناك جيل ثالث تقدم الى الصدارة السياسية مع الرئيس السادات ، أو تابع المسيرة جامعا بين العهـدين ـ وأحيانـا الثلاثـة ـ ومنهم من بقي معه ، ومنهم من لم يستطع معه صبراً ، أو لم يستطع الرئيس معه صبرا

٤ ـ وجيـل رابع ارتفعت رءوسهم مـع الـرئيس حسني مبارك ، منهم من أخلص للتاريـخ ومن كان اخلاصه للعصر الذي عاش فيه أكثر ، والمعاصـرة معرفة ، وهي أيضا حجاب وعين الرضا عير عين السخط ، وسيل كتب التاريخ يتدفق والمـذكرات وأقـلام الهواة والمحترفين وأصحـاب الذكـريات ، والمـدافعون عن أنفسهم ، والمهـاجمون لغيـرهم كلهم يكتبون .

الحادث الواحد تقرؤه في أكثر من كتاب فتراه ـ اذا جمعتـه ـ كألـوان الـطيف ، ولكـل كـاتب لـون من القـوس ، وسهم مندفـع منه ، أو شعـاع « كذلـك يضرب الله الحق والباطـل ، فأمـا الزبـد فيـذهب جفاء ، وأما مـا ينفع النـاس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » (الرعد . ١٧) .

دور الايمـــان :

ومـا زلت أذكر في حـرب رمضان كيف تعـددت الآراء حول دور الايمان والعقيدة في المعركة ، وكنت وقتئذ مسئولا عن القـطاع الديني في مجلس الـوزراء الذي شهد الحرب[1] .

ارتفعت أصوات بعض الزملاء بالدور الذي قامت به القوات المسلحة من عبور قناة السويس وتحطيم خط بـارليف ، وتثبيت الأقدام المصـرية في الضفـة الشرقية للقنال : ارتفعوا بهـذا الدور الى مـا يقرب الاعجـاز والمعجـزات ، وتحـدث البعض عن ظاهرات ـ كالمطر ـ جاءت عونا من الله عند انقطاع مورد الماء ، ومحاصرة الجيش الثالث ، وهاجم آخرون هذا الاتجاه باعتباره إغراقاً في الغيبيات ، ودعوا الى الفكـر العقـلاني . ورأى أنصـار الـرأي في هـذا جحودا .

هذا والمحاربون ـ وهم مادة الايمان وعدة الصمود والاقتحام ـ يخوضون المعركة بكل البطولة والعقـل والفدائية لا يقفون عند تحليل المحللين ، وصراع أصحاب التنظير .

الجـــذور :

ولكن لكي نعرض هذا الأمر ينبغي أن نرجع الى جذوره والى الأيام الحزينة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ومهما قلنا في أسمائها : نكسة كـما سميناهـا ، هزيمـة كما هي ، كارثة بكل المقاييس ، رغم البطولات الجزئية والفردية فيها . . فقد كانت صدعا في الحياة المصرية والعربية عامة ، لا تزال بعض آثاره باقية ، والشقوق التي أحدثها زلزاله ـ بطريق مباشـر أو غير مبـاشر ـ قائمة .

وظهر الاتجاه الى دعم الايمان في بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ كركيزة ـ هو والعلم ـ في بناء الحياة الجديدة .

وتـواكب هذا عـالميـا مـع ثـورات الشبـاب التي انطلقت من فرنسـا وانتشرت في غـرب أوروبا . ومحـورهـا اعـادة النـظر في إعـداد الشبـاب للحياة الجديدة : حياة العلم والتقنية والابـداع ، وجذب أنظار الجامعات من أبراجها الى أرض الواقع . مع مزيد من التأكيد على الجوانب التطبيقية والعملية .

ومهـما قلت عن أهـداف التـنظيم ، فسيكـون في مقـدمتهـا ، كيف يستـطيـع الشـاب أن يعيش وأن يكسب رزقه . . ليست هناك وصفة جاهزة . . فلكل منطقة خصوصيتها الحضارية ، وقاعدتها التي تنطلق

(١) تولى الكاتب مسئولية وزارة الأوقاف ، ووزير الدولة لشئون الأزهر من ربيع ١٩٦٨ الى مطلع عام ١٩٧٢ في آخر عهد الرئيس عبد الناصر وأول عهد الرئيس السادات ، ثم عاد فحمل المسئولية نائبا لرئيس الوزراء للشئون الدينية ووزيرا للأوقاف من ربيع عام ١٩٧٣ الى ربيع ١٩٧٥ ـ وهي الوزارة التي شهدت حرب رمضان / اكتوبر ١٩٧٣ .

منها ، أضف الى هذا في مصر شعور الشباب بوجوب محاكمة المسئولين عن هذه الهزيمة ، ووجوب الاستعداد الجاد لإزالة آثار العدوان . وبهذا كانت حركة الشباب ثلاثيه الأبعاد . محاكمة الماضي ، توسيع آفاق الحاضر ، التحرك نحو المستقبل بفكر جديد

ومن طبيعة الشعوب في فترات التحدي الحضاري والمصيري ، أن تستند الى مواريثها ودخائرها . ومن وسط الأحزان ومرارة الهزيمة ، ورغم الجراح والشهداء ، انطلقت الروح الجديدة روح التحدي المواري للعصر ، الزاحف نحو المستقبل هكذا تبلور الموقف بعد الهزيمة فما دور الدين في هذا البناء ؟ خيط واحد سنلتقطه ، وهو ليس الخيط الأوحد وسندرس هذا الخيط في عامين فقط مابين ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ ، وهي الفترة الأخيرة من حكم الرئيس جمال عبدالناصر ، وفيها شان مطلع الاعداد للمعركة

الايمان في الاستعداد للمعركة :

ومرجعنا في دراسة هذه الفترة بحث طويل للكاتب عنوانه « الدعوة والمجتمع » مقدم الى المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر (ذو الحجة ١٣٨٩هـ / مارس ١٩٧٠م) ونشر في أعماله من ص٢٥٧ الى ص٣٣٥

والبحث من ثلاثة أقسام رئيسية ، أولها تجربة عملية ساهم فيها عدد كبير من العلماء والوعاظ خلال العامين السابقين لعرض الدراسة ، وهي تجربة قائمة على التخطيط العلمي والتعاون ، والثاني : نماذج من مطبوعات وبرامج اعداد الأئمة للمهام الجديدة التي تتطلبها المرحلة في هذه التجربة .

والثالث . حديث للسيد اللواء أركان حرب حسن البدري مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، عند لقائه بالأئمة والوعاظ في قاعة حراء بوزارة الأوقاف - مدوناً عن الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية ، وكان هذا يوم ١٩٦٩/٦/٢٥ .

ولن أقف طويلا عند البرامج ومراحلها العامة ثم التخصصية ، ولكن أقف عند نقطة أساسية - في هذا المقال - وهي علاقة رجال الدين بالقوات المسلحة وتطورها ، ودور الأئمة الشباب الجامعيين بين العلم واللياقة البدنية ، والالتحام بالقاعدة الشعبية ، والتمرس بالحياة العسكرية . وأدع القول للسيد اللواء أركان حرب حسن البدري ، وحديثه يشغل الصفحات ٣٢٥ ، ٣٣٣ من أعمال المجمع (الدورة الخامسة) وقد نشرته وزارة الأوقاف أيضا في مطبوع خاص ، وكان مما قال لرجال الدين .

أشكر الظرف الكريم الذي أتاح لي أن أجتمع بحضراتكم ، وأحدثكم عن الدور الكبير الذي يقوم به رجال الدين في القوات المسلحة ، بهدف خلق المعنويات وتثبيت العقيدة الاسلامية في نفوس الأفراد في القوات المسلحة ، تحقيقا للنصر الذي يسعى اليه العرب باستعادة أرضهم

بحث أسباب النكسة :

ما ان انتهت المعركة الخاسرة التي دارت بين العرب والصهيونية فيما بين الخامس والتاسع من يونيو ١٩٦٧ حتى سارعت أجهزة الدولة بدراسة الأسباب التي أدت اليها واهتم السيد رئيس الجمهورية اهتماما بالغا بتحديدها وشكلت لجنة من القوات المسلحة ، وكنت أحد أفراد هذه اللجنة ، وكلما بحثنا أمرا وصلنا في نهايته الى علامة استفهام وعلامة تعجب ، لقد كان لنا في الميدان ٨٠٠ دبابة من أحدث أنواع الدبابات ، وكان لنا في الميدان نيف وألف وستمائة مدفع ، و١٣٠ ألف مقاتل ، و١٥٠ طائرة ، وأسطول بحري من مدمرات وغواصات وزوارق طوربيد وصواريخ . وقامت الحرب في الخامس من يونيو في الساعة الثامنة والنصف ، وانتهى القتال في ظهر يوم التاسع من يونيو . وحاقت هزيمة كبرى بالقوات المسلحة . . هزيمة لا تتعادل مع ما كان لها من عتاد وأسلحة وذخائر وأفراد وقادة وأمل في النصر ، لم يكن ينقص القوات المسلحة في هذا اليوم العتاد . . ولا الذخائر ولا القادة ، ولا الأفراد ،

ولا الخطط ، ولكن كانت تنقصهم الروح المعنوية

سلاح الدين :

وكانت العقيدة ، عقيدة الجهاد ، لا شك أنها كانت مهزورة ومختفية ، وكانت الماديات قد تسلطت على الفكر والعقل بما حجب السلاح الحقيقي السلاح الأول هو سلاح الايمان والاصرار والعقيدة ، هذا هو الدرس الأول والحقيقة الناصعة ، وعلى هذا الاقتناع بدأت القوات المسلحة من فراغ كامل تعمل لاعادة البناء ، كانت أيام جهاد وكفاح ، تزيد على كفاح المعركة ، يتقدم كبار القوم للبناء والمشاركة في اعادة القدرة للإرادة العربية ، معتمدين في ذلك على الدين وعلى العقيدة وعلى الايمان وكان اعتمادهم الأول عليكم أسم رجال الدين الحنيف ، وعلى ما تسعونه من طمأنينة ومعنويات على كافة مجالات القوات المسلحة

الحقد والتفرقة العنصرية والأكاذيب ، كانت أسلحة الصهيونية في الحرب :

أؤكد لحضراتكم أن هزيمة التاسع من يونية ليس مرجعها أبدا الى قدرات خارقة للعدو ، ولا الى قصور مادي في القوات المسلحة العربية . . ولكن كانت

الهزيمة من انصراف المسلمين عن المعنويات وتحولهم الى الماديات . وكان النصر الاسرائيلي مرتكزا على بغضاء وحقد وتفرقة عنصرية ، وأكاذيب عملت لها

قيادة الصهيونية العالمية ، وجهازها التنفيذي الممثل في الحكومة الاسرائيلية ، وركزت في العشر سنوات السابقة للعدوان ، على شحن نفوس الاسرائيليين

بالخوف والرعب والحقد على الانسانية وعلى العرب خصوصا ، وعلى المسلمين على الأخص . ووصلوا في هذا الحد الى أنهم ذهبوا في اواخر مايو ١٩٦٧ الى الساحل الشمالي للبحر المتوسط في اليونان وايطاليا

وفرنسا ، واستأجروا منازل في الأماكن والموانيء المطلة على البحر في اوروبا ، وأشاعوا انهم يجهزون هذه المنازل ، لأن العرب سيقتلون اليهود ، ويلقون بهم في البحر .

وأقنعوا اليهود أنهم يحاربون حرب اليائس « اما أن تقاتل واما أن تذبح أنت وأهلك ويلقى بكم في البحر »

أما نحن العرب فقد ذهبنا الى الميدان ونحن لا نعلم لماذا نذهب وأمرنا ان نعود ونحن لا نعلم لماذا عدنا فكان أن وقعت الهزيمة ، ودمر فيها ٨٠٪ من حشد العرب ، وتعثرت المعنويات تعثرا بالغا وهنا كانت الطامة الكبرى

دور علماء الدين في تصحيح الصورة :

تم نهض رجال أخيار من العرب ، ودرسوا السبب ، ووفقهم الله الى الحقيقة ، وعلموا أن الأمر كان ضعفا في الايمان . . والمعنويات ، فسارعت وزارة الحربية تنشد العون من مكان العون ، ولم يكن هناك أفضل ولا أقرب من وزارة الأوقاف ، ومن رجال الأزهر ، وعلماء الدين الذين هبوا سراعا للمساعدة ، وفي زمن لايتجاوز الستة أشهر حدث تغيير كبير في الصورة ، وتحققت انجازات رائعة تبلغ حد الاعجاز

معارك رأس العش والقنطرة حولت ميزان القوة العسكرية :

بعد التاسع من يونيو عادت القوات المسلحة من مسرح سيناء فلولا وشراذم ، فاقدة السلاح ، منهارة المعنويات ثم لا يمضي شهر واحد حتى نرى معارك رأس العش ومعارك القنطرة شرق ، ويذهل العالم ويعجب الاسرائيليون ، ثم تمضي أشهر قليلة ، واذا السلاح البحري العربي يغرق فخر القطع البحرية الاسرائيلية يوم ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ تهتز معنويات الاسرائيليين

من الدفاع السلبي الى الدفاع الايجابي :

ثم تتحول القوات من الدفاع السلبي الى الدفاع الايجابي ثم الى الردع ، وفي مطلع مارس ١٩٦٩ تبدأ تراشقات المدفعية وتحطيم خطوط الدفاع الاسرائيلية ، ثم يذيع العدو ان ثمة قوات عربية تخترق دفاعاته في سيناء وتصل الى أعماقها ، ثم تعود

الدوريات بالأسرى الاسرائيليين والمعدات الاسرائيلية التي تشر صورها في العالم . .
وتتابع ما يقوله العدو والصديق كيف تمكن هؤلاء الرجال أن يستعيدوا الثقة ؟
ان الاعتراف بالفصل لأهله يلزم القوات المسلحة أن توضح لكم انها ليست قطع الحديد الصامتة التي تأتي الى الجندي ، وليست أجهزة التدمير التي يتسلح بها ، هي التي مكنت هذا الجندي أن يحرر ما أنحر ، ولكن الكلمة والاشعاعة والعاطفة التي تخاطب قلبه ، وتدخل عقله ، هي التي وفرت الأساس الصحيح لهذا الجندي لتقاتل ويرابط ويحرر الواجب

رجال الدين في الخطوط الأمامية في مواجهة العدو :

القوات المسلحة تطمئن كثيرا على وجودكم بين صفوفهم . وتتشرف وتسعد بأن تلقاكم في الخطوط الامامية في مواجهة العدو . وتزداد يقينا بفائدة هذا الالتحام القتالي الديني ، وتشاهد آثاره الطيبة في كل يوم . السادة الوعاظ الذين اندمجوا في المجتمع العسكري اندماجا كاملا ارتدوا رداءه ، وعملوا بأساليبه ، وشاركوا افراده في المعركة

ـ ذلك الواعظ المؤمن العامل الذي شارك في نقل الذخيرة بنفسه في أحد المواقع ، في أثناء التراشق الأخير ، عندما حدثت بعض الخسائر في الجنود ، الذين يمدون المدفع بالذخيرة

ـ ذلك الواعظ الذي وقف أمام غرفة العار فلمس من الجنود خشية الدخول لأول مرة ، فما كان منه الا ان تقدم الجنود ودخل الغرفة أمامهم ليثبت لهم ان ذلك أمر لا بد منه . فدخل الجنود وراءه مطمئنين

ـ ذلك الواعظ الذي وقف في منتصف الليل منذ أيام قليلة على الخندق الأول على الضفة الغربية للقنال ، وتحدث مع دورية كلفت بمهمة بالغة الخطر ، بينما كان صوته اشبه بقبس من نور الله يذكرهم بالواجب ، ثم يتحول الى القائد ويطلب منه ان يدخل معهم ويشاركهم شرف الجهاد ، هل هناك اعظم من هذا ؟

ان القوات المسلحة ترجو أن يزداد عدد الوعاظ لثقتها في فاعلية التوعية الدينية في كل أرجاء البنيان العسكري

المعركة القادمة قوامها ركنان أساسيان . الركن المادي والركن المعنوي ، والقوات المسلحة لا تفصل بينهما الركن المادي يستند الى حديد مطلق ، والمعنوي يستند الى ايمان وعقيدة . . بهذا المفهوم تشكر القوات المسلحة كل من عمل على اعادة بناء معنوياتها

وبعد ، فأقف عند هذا العرض في حدوده التاريخية والموضوعية انه ينبوع من الايمان في أرض المعركة وما زال بيننا وبين المعركة سنوات ثلاث تدفق فيها الينبوع مع ينابيع قوة أخرى ، لتصنع النصر . وفي ذلك تبصرة وذكرى وعون على العرض المتوازن □

●

عمر الشهيد

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عمر بن الخطاب قميصا فقال له : أجديد قميصك أم لبيس ؟ قال عمر : بل لبيس يارسول الله . فقال له النبى : البس جديدا وعش حميدا او مت شهيدا ، وليعطك الله قرة عين في الدنيا والآخرة .

وكان عمر يسأل الله شهادة في سبيله ، ووفاة في بلد نبيه . وقد استجاب الله له فمات شهيدا في مدينة الرسول ، قتله رجل مجوسى ، وتم قتله في أحب الأوقات الى الله عز وجل ، وهو الوقت الذى تؤدى فيه صلاة الفجر ، ويروى أن عمر سقط وهو يقول : وكان أمر الله قدرا مقدورا .

حزيـن أنـا البـ



خطوة خطوتان
وينهمر الرقص في المهرجان .
دمعة . . دمعتان
ويشتعل السفحُ والأقحوان .
جثة جثتان
وتمتلىء الكأس بعد الدنان !

●●●

أما زلت تهذي وترسم فوق الجدار سيوفا
وترسم خيلا
وتمنحها الفارسَ العنفوان !
أما زلت تطعن في الريح . . في الخلوات العتيدة
تذرو الفوارسَ صرعى ، وتغتصب النصرَ
تطلق أغلى جيادِ القبيلةِ
تمتشق السيفَ والصولجان ! ؟

●●●

أما زلت تكتب عن خطرات الحبيبة
عن صوتها الأنثوي الشفيفِ . . وعن عطرها الوهِج
عن كحل أجفانها الناعساتِ وعن خصرها الماء
عن عشب أحلامها الدافئات
وعن رحلة القامة الخيزران . . . . ! ؟

●●●

وانت تنادم عطر القصيدة
تجتر أغلى أمانيك . . . .
في ليل موتك تجترح الضوء



وهم

شعر: محمود مفلح

في صيف عقمك ترتقب النوء . . .
ان الطبول تواصل قرع المسيرةِ
والخيل في المهرجان الكبير تبختر
تدمى الأصابعُ من نشوةِ القرع
يستنفد الطاقة البهلوانْ .

●●●

وها أنت ترقصُ ترقصُ حتى الثمالةِ
تُلقي فُتات الكلام إلى العابرين
كأنك في رحلة الصيف مازلت
ترتاح تحت ظلال الوداعة
والشوقُ ملء حناياك
تقرأ كي يُغمض النوم عينيك
« فيروز »لما تزل تستبيك . وتوقظ فيك الكتابة
وتُسْطِعُ في مقلتيك الصبابةُ
تُضفِّرُ من عشقك الموسمي القصائدَ
عيناك صحوٌ ورأسكَ تفاحةُ الذكريات
ولكنها النار تحت الرمادْ
وحولك يلتفُ هذا الزنادْ

●●●

حزينٌ أنا اليوم يا سيّد الرقص
فالنهر خان الضفاف
وأسيافنا في النهار استُبيحت
ولم يصدق الورد
لم يورق الوعد

فارقص كما شئتَ
موج الكآبة يستنزف العمر . . يستنفد الجمر
حزين أنا اليوم
فالملتقى لن يكون على النهر
لن يكون على الجسر
هكذا أنبأتني « جهينة »
فالملتقى لن يكون سوى في المنافي الجديدةِ
تحت غيوم التشرّد
بين النجادِ وبين الوهادْ . . . .

●●●

قليلًا من الصمت
ثمة دمدمةٌ في الفضاءِ
وشيءٌ يدندن في عتمةِ الليل
لحنٌ يُغادر ثغر الرصاصة
يستوطن الجسدَ الرخوَ
يُلقي عليه التحية قبل الرُّقاد

●●●

إنَّ القصيدة ترعى على ضفة النهر
تختال في ثوبها السندسي المعطرِ
ترتاح في شرفة البيت فوق البحيرةِ
فوق المراعي التي أنبتتني
وفوق الصخورِ التي جرحتني
تَلُمّ النجومَ الحبيبة
كلَّ النجوم . . لكل الجياد . □



هموم وراء قناع ضاحك

بقلم : خالد القشطيني

يتفق جل فلاسفة العصر الحديث من سبنسر الى فرويد وكويسلر على أن الضحك هو تنفيس لطاقة عاطفية متشنجة لم تعد ثمة حاجة اليها أو مخرج لها ، فتدفقت في هذا السيل الممتع ، ولعل هذا التنظير يفسر ازدواجية الشخصية في معظم مشاهير الكتاب والممثلين الفكاهيين والساخرين .

من أظرف القصص الدالّة على ما أقول ، القصة التي رواها الكوميدي الانجليزي الشهير توني هانكوك . دخل رجل على أحد الأطباء النفسيين في فرنسا في حالة هلع واضطراب كبير ، وتوسل بالدكتور ان ينقذه من الحالة الانتحارية التي وجد نفسه فيها ، نتيجة للكآبة العميقة التي عانى منها ، نصحه الدكتور بأن ينشد بعض المسليات وما يخفف عنه كربه ، وقال اذهب الى الكباريه واستمع الى الكوميدي المبدع غروك ونكاته ومضحكاته ، انه سينسيك كل شيء ، قال الرجل : « انا غروك » .

والطريف في هذه القصة الحقيقية أن توني هانكوك كان هو الذي رواها عن زميله الفرنسي . وطبعا رواها لأنها انطبقت عليه بالذات ، بعد أشهر من روايته للقصة ، وبعد أن عجز الأطباء الانكليز عن معالجة كآبته ، انتحر هانكوك في ساعة من ساعات حزنه العميق .

القلب المتفطر وراء القناع الضاحك للمهرج الكوميدي (الكلاون) من الوقائع المعروفة في عالم الأدب والفن ، ومن أوجع الاغاني التي استمعت اليها في حياتي كانت أغنية المهرج في أوبرا الغوندليرز لغلبرت وسليفان ، عندما راح يندب حبه الضائع ، وإن كان الشيء يعرف بأضداده ، فما أجمل الضحكة عندما تنطلق بين فصل من المرارة ، ووجع الحسرة ، عندما تحيط بها المسرة والدعابة ، ومن هذا المنطلق ،

التفت شكسبير الى هده الظاهرة ، فأعطانا تلك المشاهد الخالدة لحفار القبور في هملت ، وبواب القلعة في مكبث ، ومضحك الملك لير .

وساقتي نفس الظاهرة لملاحظة تطبيقاتها في ثلاثة من أشهر الكوميديين المعاصرين في انكلترا ، وهم توني هانكوك و سبايكس مليغان و فرانكي هوارد .

كوميدي مكتئب !

برع نجم توني هانكوك في الخمسينيات والستينيات في مسرحياته الاذاعية والتلفزيونية ، وخصوصا ما اشتهر منها ضمن سلسلة « نصف ساعة مع هانكوك » ، وكنا ننتظر نصف الساعة هذا من أسبوع الى أسبوع ، وما ان أعلن المذيع ابتداء المسرحية ، حتى توقف كل شخص عن عمله للاستمتاع بمفارقات هذا الكوميدي الرائع وتقليعاته ومهارله اليومية ، على خلاف سائر الكوميديين الاخرين ، كان هانكوك حامعيا ، وأخد عادة دور المثقف المتكبر والمغرور بنفسه والمتعالي على الآخرين ، ولكنه كان دائما مغرورا وعاجزا ، ينكشف ضعفه وعقمه عندما يواجه الكوميدي الاخر سدني جيمس ، العمالي بلهجته الكوكنية العامية وثقافته المحدودة ، وفي انتصار اللودعية الكوكنية الشعبية على البرجوازية المثقفة ، ننتقل من مشهد مضحك الى آخر

هده التركيبة الكوميدية شائعة في معظم أنحاء العالم ، ولكن الشحنة الأليمة التي أعطاها هانكوك هذه المواقف كانت في العناصر التي شدت الناس الى اعماله ، وضمن أسلوبه الخاص هدا عبر في المسرحية التلفزيونية « على الهواء » محنة الممثل في علاقته مع السلطة والمتسلطين على رقاب أهل الفن ، ولكن محنة هانكوك لم تكن من هذا القبيل ، لقد كان نجما نازعا يتهالك عليه الجميع ، كانت محنته أعمق وأهول من ذلك بكثير ، وقلما عرفنا - كجمهور - شيئا عن المعاناة التي كان يعيشها يوميا وراء الكواليس والمكرفون ، والتي أدت في الأخير الى انهيار حياته العائلية وطلاقه من زوجته .

يذهب كثير من علماء النفس في السنين الأخيرة (خارج اطار المدرسة العضوية التي ترجع الاختلالات العقلية والنفسية الى اسباب كيمياوية) الى ارجاع أسباب الكآبة المرضية الى طموح الانسان للوصول الى أعاظم المنجزات ، وشعوره بعجزه عن انجازها ، وليس لاصحاب هذا القول من مثل عملي لذلك أفضل من قصة توني هانكوك ، رغم نجاحه المطلق في مقتبل حياته ، ظل يعاني من اقتصار هذا النجاح على الجمهور الانكليزي ، كان يفكر دائما بشارلي شابلن ويطمح للحصول على هذا النعد العالمي لشخصه كفنان ، وقد وجد أن الراديو والتلفزيون يحصرانه داخل حدود بريطانيا ، فسعى الى دخول عالم السينما ، هذا العالم الذي يرفع الممثلين الى عالم النجوم التي تلمع فوق عموم الكرة الأرضية ،

بيد أن هانكوك أساء الدخول ، بدلا من أن يقدم فلمه الخاص الذي يسيطر عليه كما فعل شارلي شابلن ، رضي بالانضمام الى جورج ساندرز في تمثيل فلم « المتمرد » .

وكان من شأن عملاق كساندرز يعتبر بحد ذاته كوكبا ساطعا ان حول دور هانكوك الى دور المضحك الثانوي في الفلم وأطفأ نوره ، والفشل الأول في عالم السينما حكم لا استئناف له .

كان في ذهن هانكوك الكثير الذي يريد أن يقوله للانسانية ، ولكنه عجز عن الوصول الى الوسيلة ، وراح تدريجيا يدمن على الشرب ويهمل أوضاعه ومهنته ، وتحول أخيرا الى دراسة الدين المقارن ، مما أشار الى دخوله الازمة الروحية التي كثيرا ما ترتبط بتفاقمات الكآبة ، وأخيرا قرر ترك بريطانيا والذهاب الى استراليا ، وهناك وفي غرفة وحيدة ، تناول في حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ ما يكفي للانتحار من الحبوب المهدئة

بين المصح العقلي والمسرح

ويعطينا سبايك ماليغان شخصية مختلفة كليا عن هانكوك ، كان مليغان ابن جندي ارلندي في الجيش البريطاني في الهند ، وبهذه الصفة كان الهنود ينظرون اليه كسيد عالي الجناب ، في حين كان الانكليز ينظرون اليه نظرة حقيرة كارلندي قذر ، هذا الموقف الأوسط أعطى البشرية جل مفكريها وثوارها الراديكاليين عبر العصور ، وظل التربة الخصبة

للعذاب النفسي لملايين البشر . وسرعان ما عاد مليغان الأب مع بقية الجنود المسرحين ليواجه البطالة الممضة في انكلترا .

وفي اليوم الذي استطاع فيه سبايك مليغان الحصول على دور في المسرح بعد عشرات المحاولات الفاشلة ، وصلته الدعوة من وزارة الحرب لأداء الخدمة الالزامية ، وبدلا من التمثيل وجد نفسه يحمل البندقية ليحارب الألمان . ولكن دوره في القتال لم يدم طويلا ، فسرعان ما جرح ونقل الى المستشفى ، ويظهر أن أهوال الحرب الحديثة تركت آثارا عميقة عليه ، عاد من الجبهة ومحفظته مثقلة بالقصائد التي وصف فيها فظائع هذه الأهوال :

قتلانا صغار راقدون كالأطفال .
الأرحام التي باركوها ما زالت لم تندمل .
ومع ذلك فمبكرا في كل حفرة .
ألقينا التراب البارد على وجه أبرد .
وترقد في جمود تام هذه الأجساد المقطوعة توا
كمجموعات من بذور الشتاء ،
ولكنها لا تزهر بأوراق واوراد عندما يناديها الربيع .

لمع نجم مليغان حال تسريحه بعد الحرب ، وبتعاونه مع بيتر سلزر وهاري سيمكب ألف أروع وأخلد فريق في تاريخ الكوميديا البريطانية ، قدمت الاذاعة مسرحياته بعنوان The Goon Show ، وأصبح هذا الاسم مرادفا لكل ما هو جنوني في فن الكوميديا ، « هيا بنا نسرع الى الغابة قبل ان تصل اليها الأشجار وتأخذ مكاننا . » نموذج من الجنون المضحك الذي ساد هذه السلسلة ، وفي نموذج آخر يحتاج القائد الى مزيد من الجنود في الجبهة ، لايوجد جنود ؟ اذن فلنأخذ السجناء . ولكن كيف وهم محكوم عليهم بالسجن ؟ نأخذ السجن معهم . كيف يمكن أن نحمل السجن ؟ اعملوا سجنا من مقوى .

وفي كل ذلك يلعب مليغان دور الأبله الفاقد الشخصية والعديم الهوية ، وفي بلاهته هذه ، نال اسمى الثناء من أدنى القوم وأعلاهم ، لقد وصفه مايكل فوت ، رئيس الوزراء السابق ، وروبرت غريفز الشاعر الكبير بأنه فلتة من فلتات العبقرية .

وفي أوج هذا المجد والنجاح كان مليغان يعاني أفظع آلام الكآبة ، وأخيرا لم يبق مفر من ادخاله الى مستشفى المجانين ، ولاشك أن المأساة الانسانية بلغت ذروتها ، عندما ولدت زوجته ابنه البكر وهو في المصح ، وأمام مسئولية اعاشة العائلة وتوفير ما يلزم للوليد ، اضطر مليغان الى مواصلة كتابة ما يضحك تحت وطأة افظع آلام الكآبة والصدمات الكهربائية والمخدرات ، وكان عليه أن يسابق الزمن لينجز مسرحية في كل أسبوع ، وروى فيما بعد ، أن أفضل الدواء لكآبته كان يجده في تلك الدقائق القليلة عندما يرى زملاءه الممثلين يتفجرون ضحكا ، وهم يقرءون المسرحية الجديدة التي كان يحملها لهم أسبوعيا .

وتكررت نفس قصة هانكوك بالنسبة للعلاقة بين أن المحزن في ماليغان أنه يحب الأطفال ، ويكرس جزءا كبيرا من حياته ومورده للأعمال الخيرية المتعلقة بهم ، ومن يزور لندن يستطيع أن يرى قطعة من هذه المحبة في جذع الشجرة الميتة في حدائق كنسنغتن مقابل محطة كوينزوي ، عالج ماليغان نوبة من نوبات انهياراته العصبية في نحت هذه الشجرة ، وتحويلها الى مجموعة من التماثيل والدمى الصغيرة الملونة لشخصيات الأطفال الأسطورية ، وللهو الأطفال واستمتاعهم .

وبالطبع لم يحل الطلاق المشكلة ، واستمرت حياة هذا الفنان بين المصح والمسرح ، وأخيرا عالم الكتب ، وكان آخر عهد له في مصح الأمراض العقلية في أوائل هذا العام ١٩٨٦ . ويقف الجميع الآن ينتظرون نبأ انتحاره في أي يوم ، ولحسن الحظ أن تأليف الكتب أصبح أسلوبه الجديد في التنفيس عن نفسه ، وفي كتابه « دوري في هزيمة هتلر » ، ترك لنا كتابا من أظرف ما كتب عن الحرب ، ومن المؤسف ألا يرتقي الفلم السينمائي الذي أخرج عن سيناريو الكتاب الى نفس المستوى من الظرافة ، وفي كتابه « أنا لوحدي » ، نشر مجموعة من القصائد المكتوبة للأطفال ، كلها خفة ودعابة ونكتة ، يطرب لها الكبير مثل الصغير .

بهجة هزت الملايين :

ومن معدن مختلف كليا ، نجد الشخصية الكوميدية الثالثة في فرانكي هوارد . وعانى هذا الفنان من الشذوذ الجنسي الغلماني ، بالاضافة الى حالة

الكآبة ، وعبر في أكثر مشاهده التمثيلية عن نوازعه الحسية سكاته وأسلوبه الكوميدي ، وأصبحت البذاءة والأدب المكشوف والتوريات الجنسية المضحكة من وسائله المهنية المعتادة ، ومن أظرف ما شاهدت منه عرضا مسرحيا مخصصا للأطفال ، وبمناسبة عيد الميلاد المجيد ، وكانت محنته في التغلب على هذه المشكلة مصدر المداعبة المكتومة بينه وبين جمهوره دون أن يدرك الأطفال سر الدعابة . « وما المضحك من ذلك ؟ » سمعت أحد الأطفال يسأل أباه بعد كلمة وغمزة وعاصفة من الضحك

وفي اطار هذا الأسلوب ، أعطى فرانكي هوارد الجمهور الانكليزي سلسلة من المسرحيات التلفريونية عن الحياة المتهتكة في عهد الرومان في غاية الطرف والطرافة . ولكن عندما حاول أن يتبع هذه السلسلة بسلسلة أخرى مشابهة عن الحياة في عهد الدولة العباسية في بغداد ، أثار موجة من الاحتجاج ضد تماديه في البذاءة ، الى حد لم يعد بالامكان السكوت عنه ، ولاسيما عندما جرح مشاعر بعض المسلمين ، واضطر التلفزيون البريطاني الى وقف السلسلة

وكما في حالة سايلك مليغان ، تناوبت هذه العروض المسرحية الممتعة في كوميديتها ، مع نوبات الكآبة العميقة التي عانى منها فرانكي هوارد ، وتطلبت رعاية طبية مستمرة ، واتصلت أخيرا بادمان على الكحول

وكان آخر مرة رأيت فيها فرانك هوارد قبل نحو ثلاث سنوات عندما رأيته جالسا على مسطبة في حدائق هولاند بارك في ملابس رثة ، وحالة قذرة مزرية ، وقد احدودب ظهره ومال رأسه الأشعث فوق كتفه بما يعطي صورة فوتوغرافية للرجل الكآبي تحت تأثير العقاقير المهدئة ، ولدى اقترابي منه وادراكي هويته حييته تحية عابر السبيل ، « مساء الخير » فتح عينيه للحظة واحدة وقال . « هلو ، حبيبي » ، ثم اغمضها وعاد الى عالمه الكابوسي البعيد

وكما فعل هملت مع حفاري القبور ، رحت أتأمل في هذه الجمجمة التي هزت الملايين بنكاتها وملحها وسخريتها . وأتأمل أكثر من ذلك في هذا اللقاء العجيب بين روح الضحك والسخرية ونفسية الكآبة والأسى .

سلوى القلوب المفجوعة

والظاهر ان كثيرا من الابحاث الطبية التي جرت مؤخرا أخذت تدعم الاعتقاد التقليدي بأن الضحك سلوى للقلوب المفجوعة ، ودواء للجروح العميقة ، ومن ذلك ما وجده العالم الفرنسي بيير فاشيه بعد سنين من أبحاثه في موضوع الضحك ، فقال انه يؤدي الى توسيع الشرايين والأوردة ، وينشط الدورة الدموية ، ويعمق التنفس ، ويحمل الأوكسجين الى أبعد أطراف الجسم ، ويؤدي بنفس الوقت الى زيادة افرازات الغدد والهرمونات وعلى هذا الأساس أشار الدكتور فاشيه على الناس بالالتجاء الى الضحك يوميا كأداة طبية صحية ، ومن المعروف أن الكآبة المرضية تؤدي الى هبوط في العمليات والفعاليات الجسمية التي أشار اليها فوشيه ، ويظهر أن الكوميدي الكآبي يندفع الى الضحك بدافع عضوي للتغلب على هذا الهبوط .

واكتشف عالم آخر أن الضحك يزيد بصورة خاصة من افراز مادة البيتا أندروفين ، وهي الهرمون الذي يصل الى خلايا الدماغ ، ويعطي أثرا مخدرا شبيها بأثر المورفين ، ومن نتائج ذلك خلود الانسان الى النوم الرغيد . وهذه نقطة مهمة بالنسبة للكآبيين الذين يعانون بصورة خاصة من الأرق والنوم القلق المتليء بالكوابيس .

وعليه فان المهرج الكوميدي يقوم بعملية سحرية عضوية في معالجة هموم المجتمع ككل ، بأروع وأرخص وأصح وسيلة طبية ، ليس بامكاننا جميعا أن نصبح كوميديين ، ولكن بامكاننا جميعا أن نغرف من هذه الثروة التي يطرحونها أمامنا ، اذ يمرون عبر ألسنة الجحيم الذي يعيشونه كل يوم .

هؤلاء ناس في غاية الحس المرهف ، وفي شعورهم بعيوب الانسان وذنوبه ، أوقعوا أنفسهم في مخالب العذاب واليأس ، ومن أعماق ظلمة هذا العذاب شعروا أيضا بتناقضات الوجود الانساني ، المادة الاساسية للكوميديا . وأخيرا لم تجد هذه المشاعر المتراكمة والمحتبسة أي سبيل لانسيابها ، فانفجرت في براكين من الضحك يخفف عن المتعذب والمتعذبين محنتهم . □







كـان لمنجزات الحضـارة الحديثة من التطور العلمي والتقني والاختراعات عديد من الضحايا من البشر ، سواء بانتشار البطالة أو المشكـلات الاجتمـاعية والشخصيـة والسيـاسيـة . . . . أو بتعاظم سيطرة القلق النفسي الذي يمنع الأفراد من التكيف الاجتماعي السليم . . .

ومن هنا فقد أصبح فهم علم النفس ودراسته أمرا مجديا للافراد والمهتمين .

عن السلوك الانسـاني . . . ودوافعه ومحاولة فهمه تدور موضوعات كتاب العربي الجديد .

مشاكل العمالة والأجور بالقطاع الحكومي في البلاد النامية

بقلم : الدكتور رمزي زكي

« تتفق المدارس الاقتصادية رغم كل اختلافاتها على أن هيكل العمالة ونظم الأجور هو إحدى مشكلات الادارة الاقتصادية الأكثر الحاحاً واحتياجاً للتنظيم واعادة الترتيب وهذا ما يناقشه هذا المقال خصوصاً في الدول النامية .

ينصرف المقصود بالعمالة الحكومية الى كل العمال والموظفين الذين يعملون بأجر ، ويتقاضون أجورهم ومرتباتهم من أجهزة الحكومة المركزية ، أو من أجهزة الحكم المحلي أو من منشآت القطاع العام . والحق أن التأمل السريع في حركة العمالة بالبلاد النامية في ربع القرن الأخير يسفر عن حقيقة واضحة ، هي النمو السريع لهذا النوع من العمالة بتلك البلاد . ويعود هذا النمو الى أسباب مختلفة ، من بينها ، زيادة حجم الانفاق الحكومي الموجه لتحسين الخدمات العامة (التعليم ، الصحة . . . الخ) خصوصاً في ضوء المستوى المنخفض لتلك الخدمات ، عشية حصول هذه الدول على استقلالها السياسي ، وليس يخفى أن توسيع نطاق هذه الخدمات والارتفاع بنوعيتها قد تطلب توسعاً في حجم العمالة المشتغلة في قطاع هذه الخدمات . كما أن التوسع في برامج الانفاق العام الاستثماري ، وما أدى اليه ذلك من اتساع حجم القطاع العام ، قد أسهم بلا شك في نمو العمالة الحكومية . أضف الى ذلك أيضاً ، أن حاجة هذه البلاد الى تكوين جيوش وطنية وأجهزة أمن تحميها من خطر الاعتداء الخارجي ، قد تطلب تكوين مؤسسة عسكرية وأمنية ، تتسع لعدد كبير من العاملين . كما

لا يجوز أن ننسى رغبة حكومات هذه الدول في علاج مشكلة البطالة ، وخاصة في ظل النمو السكاني المرتفع ، وعدم قدرة القطاع الخاص على استيعاب العمالة الجديدة التي تخرج سنوياً الى سوق العمل . ذلك أن ايجاد فرصة عمل كريم لكل مواطن قادر على العمل وراغب فيه ، أصبحت تمثل تحدياً سياسياً واجتماعياً للنظام الاقتصادي الاجتماعي القائم . ومن هنا تتعرض الحكومات في هذه البلاد لضغوط سياسية واجتماعية واضحة لتوظيف المزيد من العمالة سنوياً .

نمو العمالة الحكومية

ومع ذلك ، تنبغي الاشارة الى أن نمو العمالة بالقطاع الحكومي ظاهرة لا تنفرد بها الدول المتخلفة عن غيرها من الدول ، بل هي ظاهرة عامة ، تنضوي تحت لوائها أيضاً الدول الرأسمالية المتقدمة . فطبقاً لبيانات البنك الدولي يتضح أن النصيب النسبي للعمالة الحكومية في اجمالي العمالة على المستوى القومي بالبلاد الرأسمالية المتقدمة قد ارتفع من ١٢٪ في سنة ١٩٦٠ الى ١٨٪ في عام ١٩٧٩ . وطبقاً لدراسة حديثة ـ أجراها (بيتر هيللر وألان تيت) على أربعة وستين بلداً نامياً ، وواحد وعشرين بلداً رأسمالياً ينتمي الى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (O E C D) ـ تبين أن نسبة مجموع العمالة بالقطاع العام الى مجموع السكان قد بلغت ٩٪ في حالة بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ، في حين وصلت ٣,٧٪ في حالة البلاد النامية التي شملتها العينة . أما اذا نسبنا مجموع العمالة بالقطاع العام ، إلى إجمالي العمالة غير الزراعية ، فان النسبة تصل الى ٢٤,٢٪ في حالة المجموعة الأولى ، بينما تبلغ ٤٣,٩٪ في حالة المجموعة الثانية .

والحقيقة أن ظاهرة نمو العمالة الحكومية وان كانت واضحة في البلاد المتخلفة ذات الفائض السكاني ، الا أن البلاد التي تتسم بقلة سكانية واضحة ـ كما هو الحال في البلاد العربية المنتجة للنفط وخاصة دول الخليج العربي ، ـ قد سجلت أيضاً نمواً واضحاً في هذا النوع من العمالة ، على الرغم مما تكابده هذه الدول من نقص شديد في عنصر العمل الماهر وفي الكوادر المدربة ، مما جعلها تعتمد على عنصر العمل المهاجر إليها لسد هذا النقص . ومما لا شك فيه ، أن هذا الاختلاف الواضح بين دول الفائض السكاني ودول القلة السكانية ، قد عكس نفسه في طبيعة النمو الذي حدث في العمالة الحكومية في هاتين المجموعتين من الدول ، وفي المشاكل التي يثيرها هذا النمو .

ومع أن ظاهرة نمو العمالة الحكومية ، هي ظاهرة عامة في مختلف بلاد العالم ، الا أنه من الثابت أن النمو الذي حدث في هذا النوع من العمالة ، كان في حالة البلاد المتخلفة أسرع منه في حالة البلاد الرأسمالية المتقدمة في السنوات الأخيرة . فطبقاً لبيانات حديثة نشرتها منظمة العمل الدولية ، يتبين أن العمالة الموظفة في قطاع الخدمات المدنية في بعض البلاد المتخلفة ، قد زادت بنحو يتراوح ما بين ثلاث وأربع مرات عنها في حالة البلاد الرأسمالية ، خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ . وفي بلدان مثل تايلاند ومصر وموريشيوس وهندوراس تراوح هذا المعدل بين ٥ ـ ١٠ سنوياً فيما بين منتصف وأواخر السبعينيات . وفي اكوادور وبوروندي والمكسيك وزائير تراوح هذا المعدل فيها بين ١٠ ـ ١٥ خلال نفس الفترة . وتلك في الواقع نسب مرتفعة جداً لو قورنت بمعدلات النمو التي سجلتها ظاهرة العمالة الحكومية بالبلاد الرأسمالية المتقدمة ، حيث سجلت البلاد الأخيرة نمواً بطيئاً في هذا النوع من العمالة .

وتجدر الاشارة هنا ، الى أن التباطؤ الذي طرأ على نمو العمالة الحكومية بالبلاد الرأسمالية في السنوات الأخيرة يعود الى أزمة الكساد التضخمي التي تمسك بخناق هذه البلاد منذ بداية حقبة السبعينيات وحتى الآن ، والى انهيار الفلسفة « الكينزية » التي كانت تسير على هداها كل البلاد الرأسمالية في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن . وهي الفلسفة التي برزت ودعت الى ضرورة التوسع في حجم التوظف الحكومي ، كسياسة تعويضية لنقص الطلب الكلي الفعال ، لمواجهة مشاكل التقلبات الدورية في حجم الدخل والتوظف بالاقتصاد الرأسمالي . ومع انهيار هذه الفلسفة ، وظهور ما سمي بالمدرسة النقدية الجديدة (مدرسة شيكاغو) بدأ عدد كبير من الدول الرأسمالية المتقدمة ، كالولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الاتحادية ، وكندا . . وغيرها ، ـ تحت ضغط

الكساد التضخمي وندرة الموارد المالية للدولة ـ في تقليص حجم الخدمات العامة ، ومن ثم موظفي الحكومة والقطاع العام

ومع أن العمالة الحكومية بالبلاد المتخلفة قد نمت في السنوات العشر الأخيرة بمعدل أعلى من نظيرها بالبلاد الرأسمالية المتقدمة ، الا أن نسبة موظفي الحكومة الى اجمالي السكان في حالة البلاد الرأسمالية المتقدمة ، أكبر من مثيلتها في حالة البلاد المتخلفة . فطبقاً لاحدى الدراسات ، نجد أن هذه النسبة هي ٧ الى ١٠٠ في حالة البلاد الأولى ، في حين أن النسبة لاتتعدى ٣ الى ١٠٠ في حالة البلاد الثانية ويمكن النظر الى التفاوت في هذه النسبة بين هاتين المجموعتين من الدول على أنه مقياس للتفاوت في حجم ومستوى الخدمات العامة فيها

الآثار الجانبية لنمو العمالة

ومهما يكن من أمر ، فان هذا النمو الواضح الذي طرأ على العمالة في القطاع الحكومي بالبلاد المتخلفة ، كان له آثار واضحة في مجال سياسات التوظف ، وفي مجال اعادة توزيع الدخل القومي ، وفي سياسات الأجور ، وفي الموازنة العامة للدولة ، وفي مجال الأسعار والتضخم ، وما يرتبط بذلك من قضايا ومشاكل ويهمنا الآن أن نعطي لمحة سريعة عن تلك الآثار والمشاكل وما يحيط بها من معان .

* وأول ما يسترعي الانتباه في هذا الخصوص ، هو أن النمو الذي حدث في العمالة الحكومية قد أدى الى ارتفاع النصيب النسبي للأجور المدفوعة لعمال وموظفي الحكومة والقطاع العام من اجمالي الأجور المدفوعة على المستوى القومي . وهذا يعني أن نمو العمالة الحكومية يمثل بعداً رئيسياً في مجال توزيع الدخل القومي في هذه الدول . وطبقاً لبعض الاحصائيات ، نجد أن الأجور الكلية المدفوعة للعمال والموظفين بالحكومة المركزية بدول أفريقيا تصل الى ٢٢,٦ والى ١٧,٢ بالنسبة للدول الأسيوية ، والى ١٤,٧ بالنسبة لدول أمريكا اللاتينية من اجمالي الأجور المدفوعة بالاقتصاد القومي ، مما يعني أن هذا النوع من الأجور أصبح يمثل مورداً هاماً للدخل لكثير من العائلات والسكان في هذه الدول .

* كما يلاحظ ، أن العمالة الحكومية بالبلاد المتخلفة أصبحت مجالاً رئيسياً لمكافحة البطالة ، بمعنى أن النسبة الكبرى من استيعاب العمال الذين يخرجون سنوياً الى سوق العمل أصبحت تستأثر بها أجهزة الحكومة المركزية وادارات الحكم المحلي ، فضلاً عن منشآت القطاع العام . ويعود ذلك في كثير من الحالات الى التزام الحكومات في هذه الدول ، بتعيين الخريجين الجدد من المعاهد الفنية والمدارس الصناعية وخريجي الجامعات . فقد ترتب على هذا الالتزام ـ فضلاً عن تزايد الانفاق العام على التعليم ـ ضمان وجود فرصة عمل لكل خريج جديد . ويبدو هذا الالتزام ، من حيث امتصاص البطالة ، في حالة البلاد المتخلفة ذات النمو السكاني المرتفع ، والتي لايوجد بها قطاع خاص قوي ، قادر على استيعاب العمالة الجديدة بشكل مؤثر .

بيد أنه من الملاحظ ، أنه تحت ضغط عجز الموازنات العامة وندرة الموارد المالية للدولة ، فان هناك اتجاهاً في الآونة الأخيرة ، لتقليص دور الدولة في تعيين الخريجين الجدد في كثير من البلاد المتخلفة ، وذلك في ضوء السياسات الانكماشية التي اضطرت الى تطبيقها مؤخراً ، لمواجهة وطأة الأزمات الاقتصادية فيها . وفي بعض الدول ، اتخذ هذا الاتجاه ، ضرورة انقضاء فترة زمنية (سنتين أو ثلاثا) بعد التخرج حتى يتسنى للخريجين الجدد ايجاد فرصة عمل بأجهزة الحكومة والقطاع العام . وفي دول أخرى ، طبقت نظم الأشغال المؤقتة بدلاً من التعيين الدائم في الوظائف .

المقنعة وشبه المقنعة

* كما ترتب على النمو المتزايد للعمالة الحكومية وجود ما يسمى بالبطالة المقنعة . بمعنى أن هناك عدداً من العمال والموظفين الذين هم ، من الناحية الشكلية ، في حالة توظف ويتقاضون أجوراً ومرتبات ، ومع ذلك فهم لا يضيفون شيئاً للناتج ، مما يعني أنه لو تم سحب هؤلاء العمال والموظفين من أماكن عملهم ، فلن يتأثر مستوى الانتاج ، بل سيرتفع متوسط انتاجية العاملين . وهذا النوع من البطالة نراه شائعاً في الأجهزة الادارية والمؤسسات

البيروقراطية لأجهزة الدولة . وهنـاك نوع آخـر من البطالة المتفشية في العمالة الحكومية ، وهي ظاهـرة البطالة شبه المقنعة ، وفيها نجد أن قيمـة ما ينتجـه بعض العمـال والموظفـين أقـل من قيمـة الأجـور والمرتبات المدفوعة لهم . والحقيقة أن كلتا الظاهرتين - ظاهرة البطالة المقنعة والبطالة شبه المقنعة - تعكسان لنا ما يسمى بمشكلة التضخم الوظيفي . ولا يخفـى أن هاتين الظاهرتين ليس من المتصور وجودهما في حالة القطاع الخاص ، حيث أن قوانين الربح تمنع توظف العمال الذين تكون انتاجياتهم صفراً أو أقل من قيمة الأجور المدفوعة لهم .

ومع ذلك فان حالة البطالة المقنعة والبطالة شبه المقنعة قد تكون أمراً مقبولاً من الناحية الاجتماعية والسياسية . فالمحافظة على حالة البـطالة المقنعـة في القطاع الزراعي ، قد تكون أمـراً مقصوداً بغـرض الحد من ظاهرة الهجرة من الريف الى الحضر . كما أن قبول حالـة البطالـة المقنعة وشبـه المقنعة في أجهـزة الادارة الحكومية وفي مجـال الخدمـات العامـة ، قد تكـون أمراً مقبـولاً من جـانب الحكـومـة والسلطة السيـاسية لكسب تـأييد الـطبقة الـوسـطى بـالمـدن والحيلولة دون تذمرها .

والحق ، أنه ليس هناك من علاج لمواجهة مشكلة التضخم الوظيفي ، الا من خلال العمل على اعادة هيكلة القوى العاملة ، سـواء من خلال التـدريب واعادة التدريب ، وتوزيع هـذه القوى عـلى مختلف القطاعات بحسب حـاجاتها . كما يمكن أن يتحقق ذلك من خلال جرعات إضافية من تكوين رأس المال الثابت ، وبشرط أن تكون هذه الجرعات مؤدية الى زيادة حجم الطاقات الانتاجية بمعدل أعلى من معدل نمو التوظيف الحكومي .

النـــمو المتزايد للأجـــور

* والأمر اللافت للنظر أيضاً ، هو أن نمو العمالة الحكومية قد أدى الى تزايد بند الأجور في الموازنات العامة للدول المتخلفة . وأصبح هذا البند يمتص نسبة هامة ومتزايدة من الانفاق العام الجاري . ومع النمو المتزايد للأجور ، سـواء تلك التي تخصص للعمال والموظفين القدامى أو للمعينين الجدد ، فضلاً عن تقرير علاوات الأجور الدورية ، وفي ضـوء ضعف طاقة الدولة الضريبية في هـذه الدول ، فـان العجز بالموازنة العامة قد بدأ يتسع عاماً بعد الآخر .

حقاً .. اننا لا نستطيع أن نقرر بشكل قاطع ، بأن النمو الحادث في بند الأجور كان هو المسئول الأول والأخير عن عجز الموازنة العامة في تلك الدول . فقد ارتفـع الانفاق العـام الجاري في مجـال المستلزمـات السلعية والخدمية ، وفي مجال التوسع الاستثماري ، بمعدلات عالية أيضاً . ولكن مهما يكن من أمر ، فاننا لا نستطيع أن نقلل من أهمية بند الأجور باعتباره أحد المحاور المسئولة عن نمو الانفاق العام ، ومن ثم عن عجز الموازنة العامة ، وخاصة في ضوء تردي أو جمود موارد الدولة السيادية .

* ولا يجب أن يغيب عن الذهن ، أن معدلات الأجور بالقطاع الحكومي على خلاف الأجور بالقطاع الخاص - تتحدد بنـاء على قـوانين ولـوائح حكـومية معينة . وغالباً لا تلعب قوى السوق (قوى العرض والـطلب) دوراً يذكـر في تحديـدها . وحيـثما تسود البطالة في الاقتصاد المتخلف ، فان معدلات الأجور بالقطاع الحكومي غالبـاً ما تكـون كافيـة لاجتذاب العمال والموظفين الجدد . أما اذا كانت سوق العمل - خارج القطاع الحكومي - رائجة ، فان الأجور التي تحددها الحكومة عادة لا تكون في وضع يمكنها من أن تنافس أجر الـوظائف البـديلة . وفي عدد كبـير من الدول المتخلفة ، توجد الآن مسافات شاسعة تفصل بين مستويات الأجور الحكومية ومستـويات الأجـور بـالقطاع الخـاص ، المحلي والأجنبي . ومـع ذلـك ينبغي أن يترسخ في الذهن ، أن الدخول في الوظيفة العامة لا يحددها فقط مستوى الأجر النقدي فحسب . فهنـاك المركـز الاجتمـاعي ، والسلطة وضمـان الوظيفة ، وبدلات التمثيل والسفر ، بالاضـافة الى المزايا العينية الأخرى (كالمسكن ، والسيارة ، ... الى آخره) .

* وهنـاك خـاصيـة معينـة تتسم بهـا الأجـور الحكومية ، ونعني بذلك خاصية الجمود النسبي الذي تتسم به . وهي خاصية يترتب عليها آثار ضارة على التـوظف الحكومي وخصـوصاً اذا أدخلنـا التضخم (الارتفـاع المستمـر في الأسعـار) في الاعتبـار . فالقوانين واللوائح التي تحدد الأجور الحكومية يصعب

تغييرها على نحو مرن لكي تواكب التغير الحادث في نفقات المعيشة . وقد ترتب على ذلك أن القوى الشرائية للأجور بالقطاع الحكومي ظلت تتعرض لتاكل مستمر . ولم تفلح العلاوات والترقيات الدورية في منع تدهور أحوال ومعيشة الموظفين والعمال الحكوميين . هناك حقاً بعض العمال في بعض البلاد ـ مثل سنغافورة وماليزيا ـ يتم فيها تعديل الأجور والمرتبات الحكومية لكي تساير التغيرات في تكاليف المعيشة . بيد أنه في غالبية الدول المتخلفة تتسم الأجور بجمود نسبي واضح ، وبتدهور مستمر في قيمتها الحقيقية وقد ترتب على ذلك ما يلي : -

١ ـ هروب الكفاءات والمهارات المدربة من القطاع الحكومي للاشتغال بالقطاع الخاص المحلي ، أو للعمل خارج الدولة

٢ ـ ان هروب هذه الكفاءات والمهارات قد أثر على كفاءة الانجاز في القطاع العام وفي الخدمات المدنية .

٣ ـ استشراء ظاهرة الرشوة والفساد الاداري ، حيث لجأ عدد من العاملين بالحكومة والقطاع العام الى استغلال السلطة الممنوحة لهم للحصول على دخول غير مشروعة ، كخط دفاع لمواجهة الغلاء وتدهور مستوى معيشتهم .

٤ ـ لجأت حكومات بعض الدول لمواجهة الموقف المتردي للأجور الحكومية الى زيادة المبالغ التي تخصصها تحت بند « دعم السلع التموينية » .

اختلال هيكل العمالـــة

* وليس يخفى أيضاً ، أن العمالة الحكومية بالبلاد المتخلفة ، تتسم بالاختلال في هيكلها . فبينما تعج أجهزة الحكم المركزي والحكم المحلي ومنشآت القطاع العام بالموظفين غير المهرة أو غير المؤهلين ، نجد أن هناك نقصاً واضحاً في الفنيين والاخصائيين وذوي المهارات الخاصة .

ومن هنا ، فان ظاهرة البطالة المقنعة وشبه المقنعة تتفشيان بشكل واضح في قطاع التوظيف الحكومي . وتعد عقبة « الأجور المنخفضة » التي تقدمها الحكومة لعنصر العمل الماهر ، أحد العوامل الهامة في تفسير هذا الاختلال ، ناهيك عن ندرة هذا النوع من العمل أصلاً في هذه البلاد ، وعدم وجود تخطيط سليم للتعليم يواكب الاحتياجات الفعلية من مختلف التخصصات ، هذا فضلاً عن نتائج سياسة التوظف الحكومي المتعلقة بمكافحة البطالة . ومن هنا يجب أن نفرق بين إمداد القطاع الحكومي بالعاملين المهرة والاكفاء ، وبين امداده بالعاملين لمواجهة مشكلة البطالة

* وأخيراً وليس آخراً ، تتميز الأجور المدفوعة بالحكومة والقطاع العام بعدم وجود ربط واضح ومعلوم بينها وبين الانتاجية . فالأجور والعلاوات والترقيات تتم بناء على قوانين ولوائح ، ليس لها ، في أغلب الأحوال أية صلة بكفاءة الانجاز ، بل انه في كثير من الحالات تتم الترقية الى وظائف أعلى بناء على اعتبارات الأقدمية المطلقة ودون أن يكون لذلك أية صلة بكفاءة الموظف أو العامل وبتطور أدائه .

هذه هي أهم المعالم التي تثيرها عملية رسم صورة مشاكل الأجور والتوظف بالقطاع الحكومي بالبلاد المتخلفة . ومن المؤكد أن مواجهة هذه المشاكل تمثل أحد التحديات الأساسية في تحسين الأداء في الخدمات الحكومية ، وزيادة كفاءة الانجاز في منشآت القطاع العام ، وتشديد قوة الدفع لعجلات التنمية . □

■ حتى اغتراف الماء بالمصفاة ، نستطيع أن نحققه اذا صبرنا حتى يتجمد الماء ! (محمد رفعت) .

■ كل لحظة في الحياة كنز لا يتكرر ! (ناتاشا) .

■ للمظلوم أن يشكو وللمغبون ان يتظلم ، على شرط ألا يثأر لحظة من عمله (فونتان) .

الرهان

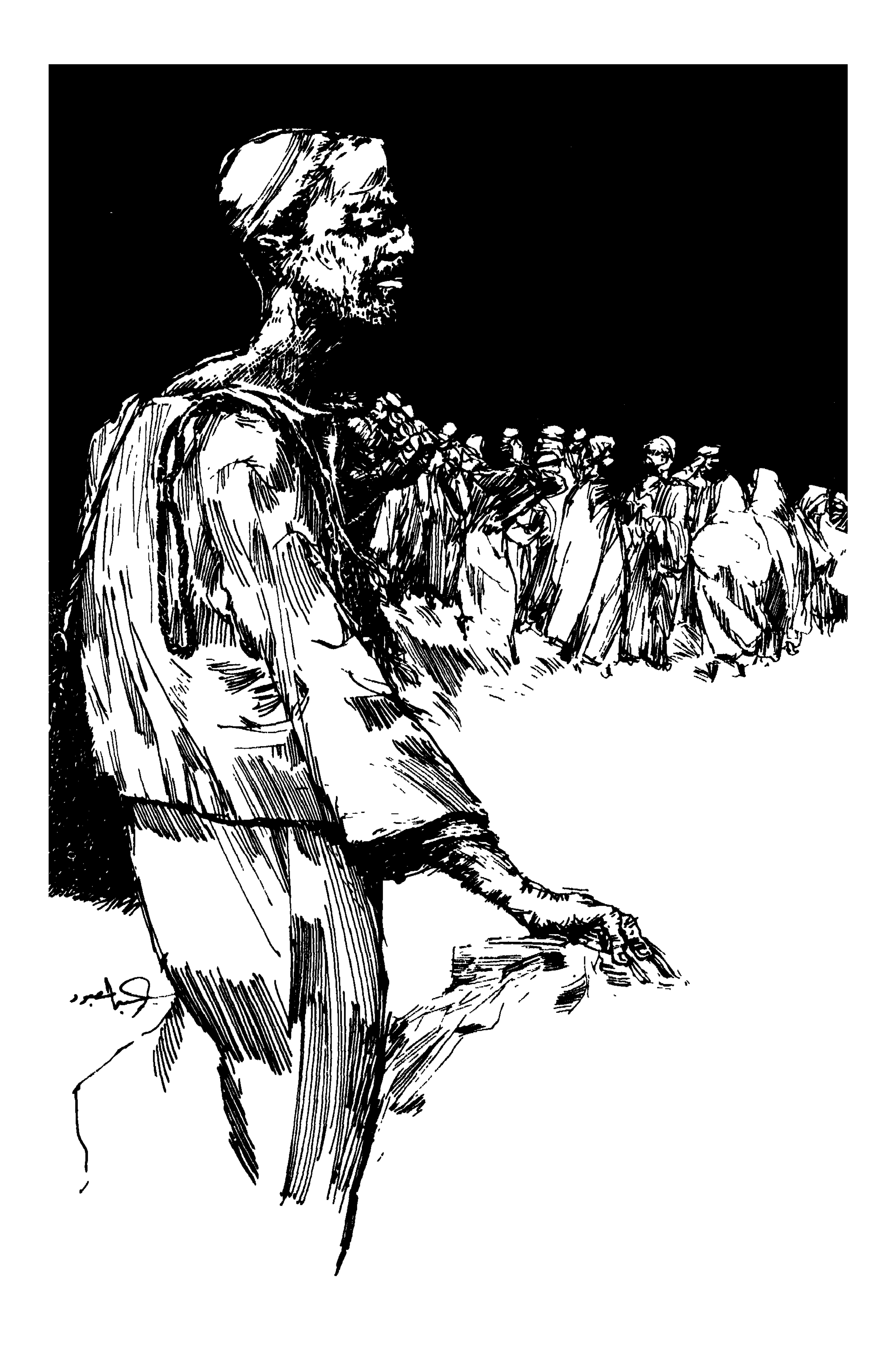
[illegible]

[illegible] السوق [illegible] منحدرا في تلك الظهيرة [illegible] الأيمن ، طويلا ، نحيلا ، هرما ، يشم [illegible] على كعب النعل [illegible] وجه الظل بدأت تبهت على أثر [illegible] الشمس ، من خلف غيمة تبدو وكأنها طارئة في السماء . لكن الأصوات المتعالية حينا والمنخفضة حينا آخر في السوق ، جعلته يجذب الحبل الذي يساعده في حمل الأثقال وينهض . دخل بوابة السوق ، لم يدر لماذا تذكر أول مرة دخل فيها السوق . ربما تلك الرغبة التي تظل تشد الانسان كلما توغل به العمر ، باتجاه الماضي ، الطفولة ، الحلم ، الشباب ، ولم يبتعد هو أكثر من ذلك . . لقد رأى نفسه ، فتيا قويا ، وكله حيوية ، انحبست شهقة في صدره حينما اخذت تتجاذبه حركة المارة في السوق . لايزال هناك في أعمق أعماقه قوة . . ما ، تظل غامضة بالنسبة اليه . لكنه يحسها في الاصباح المشرقة . . حين يكون متجها ناحية السوق . قوة لاتخضع للعمر ، ولا لعشرات الزمان .

لكن هذا الوهن ، اللعنة ، طبيب الحكومة قال له بلهجة المتعلم الذي يحدث أميا : عليك أن ترتاح يا نعمان .

وقد هز رأسه لحظتها موافقا الطبيب ، متحاشيا شرح أوضاعه ، لأنه أدرك بفعل التقادم لأحواله [illegible] هذه اللحظة [illegible] دون [illegible] ، وأنه سيظل [illegible] الى السوق [illegible] يحمل [illegible] الأمتعة ، أما [illegible] كان يخشى فقط الا [illegible] . كان يخشى دائما الا يمرض قبل الموت . أن يأتيه الموت مثل صفعة قوية ومفاجئة .

حرك رأسه في الهواء ، محاولا تحاشي مثل هذه الأفكار : أدار رأسه بحركة بطيئة في السوق باحثا عن حمولة ، فرح ، كان ثمة رجل يقف وسط دكانه بجانب ثلاثة أكياس كبيرة فوق (قبان) ، راقب خفية الرجل صاحب الأكياس ، وهي تدور في محجريها ، بحثا عن الحمال الذي يستطيع أن يحمل الأكياس الثلاثة معا ، دون أن يضطر لدفع أجرة حمالين اثنين . وقعت نظراته على (نعمان) ، لكنه أشاح عنه باستخفاف ، أحس (نعمان) بغصة ووخزة التحدي ، كان خائفا أن يظهر فجأة ذلك اللعين - عاشور - ، فكر ، لايمكن أن يأتي الآن ، هو الوحيد في السوق من يستطيع أن يحمل كل هذه الأكياس ، علي أن أنتهز الفرصة . . . لقد ساقته امرأة أمامها قبل قليل ، لابد إنها . . كانت حريصة على انتقائه . . يا الهي كيف بدا لها بطوله وعرضه : عيناه وأثداؤه المكورة بصلابة فوق صدره ، والعروق النافرة في عنقه ، وتلك الحمرة المحروقة التي صنعتها شمس السوق القاسية فوق وجهه : وليذهب واياها الى



الشيطان ، لن يحمل هذه البضاعة الا أنا ، نعم علي أن أعب نفسا عميقا أوسع به صدري ، وأن أخطو بخطوات واسعة واثقة باتجاه الرجل ، ان معظم الحمالين من الأطفال الصغار والرجال الكسالى .

خطا خطوتين وتوقف ، سمع هاجسا :

- أنت كاذب يا (نعمان) ، لن تستطيع حمل الأكياس الثلاثة ، كان هذا حقيقة حين كنت فتيا ، عندما كانت أزقة السوق الملتوية تضج بصراخك وغنائك ، وأنت تفرغ سيارات كبيرة مليئة بأكياس الدقيق ، أما الآن ، فللعمر ضريبة ، هذا التقوس في الظهر ، وهذا الجلد المتجعد المرتخي ، والعينان الغائرتان في جمجمتك . . . وهذا الحزن الذي ما انفك يطاردك حتى في نومك تجمد في مكانه .

صباح هذا اليوم ، كان يستقبل ذلك البياض الأزرق الذي ألصقه لون الفجر فوق زجاج النافذة ، بعينين كسولتين ، وقد خانته قواه حين أراد أن يهب واقفا كعادته . بقي تحت الغطاء راقدا يحدق في العتمة الخفيفة الآخذة بالتبدد بين الأثاث الرث المتوزع في الغرفة ، تلفت ناحية عجوزه ،ود لو أنه يصرخ في وجهها ، لماذا لم تلدي لي ولدا يقينا شر هذا العمر .

لكن صوتها الذي تهدج بالتهليل جعله يبلع ريقه ويستغفر ربه ، وحين رفعت الغطاء لتوقظه كعادتها ، عبقت في انفه الرائحة المكبوتة تحت الغطاء دافئة وهرمة ، سمع صوتها مغلفا بالنوم :

- عليك أن تذهب ، عد مبكرا يا رجل ، عليك أن تكتفي بلقمة الخبز .

الجملة الأخيرة (لقمة الخبز) جعلته يصحو تماما وينهض .

كم هي الأحلام التي كبرت وكبرت ، ومن ثم صغرت وصغرت حتى اختفت يا (نعمان)،أراد أن يستعرض مشوار العمر المقذوف خلفه ، لكنه تحاشى ذلك ، وقد خرج من البيت وهو يتحاشى هذه المحاولة .

وها هو الآن في منتصف السوق ، يحاول أن يقترب من الرجل الذي يقف بجانب أكياسه ، تقدم منه ، ضحك صاحب الدكان وغمز بعينيه ، ثم قال بلهجة مستهترة : لن تستطيع حمل كل هذا يا (نعمان) ، يرحم الله أيام زمان . رد بسرعة ، بل استطيع .

بانت ابتسامة صفراء على وجه صاحب الأكياس ،

وبدا في ملامحه نوع من الانتصار غير المبرر . كأنه طرف في التحدي .

في تلك اللحظة كان (نعمان) يقف مرتبكا أمام مهنته ، التي قضى سنوات العمر فيها ، لأول مرة . . يقف هكذا ، باهتا ومقوسا ، وشعور بالشفقة تجاه نفسه يغمر كيانه ، كان خائفا من التورط ، لكن وقفته بجانب الأكياس والصلابة التي افتعلها بملامحه ، وجحوظ التحدي الذي في عينيه ، كل ذلك جعله يستمر في تحديه ، لكن صاحب الدكان أزاحه برفق قائلا :

- لن تستطيع ذلك يا (نعمان) الوحيد الذي يستطيع حمل الأكياس هو (عاشور) .

وهنا شعر (نعمان) بالغيظ ، وتمنى لو أنه لم يخلق ، ارتعشت يده اليسرى ، واهتزت شفته العليا بعصبية واضحة ، وود لو أنه يحمل هذه الأكياس وينثرها على أرضية السوق ويدوسها ، ويشتم كل الباعة ، ويمسك بعاشور من ثدييه المتكورين ويبصق

في وجهه ، ويركض . . يركض حتى يلقي برأسه على صدر امرأته منتحبا ، لكن أياً من هذا لم يحدث ، بل تقدم صاحب الدكان وأخذ ينادي ، وصوته يرتج في أنحاء السوق مطوطا . .

ـ عاشور ـ عاشور

تقدم أحد الصبية من صاحب الدكان وقال بصوت رفيع .

ـ لحظات ويأتي (عاشور) لقد ذهب في حمولة قريبة

واشتدت سواعد (نعمان) قسوة ، وتشنت قدماه فوق الأرض ، وتشنجت ملامحه ، لاحظ ذلك بعض الحماليں في السوق ، وأخذوا يقتربون من الدكان كما اقترب بعض الفضوليين وهنا أحس (نعمان) بعمق التورط وقرر ألا ينسحب مهما كان الثمن .

أطل (عاشور) من عند بوابة السوق ، رآه (نعمان) شابا مديد القامة مفتول العضلات ، عيناه تتراقصان وخطواته سريعة ركض فرحا باتجاه الدكان واقترب من الأكياس ، ثم قال بسخرية جارحة .

ـ ها . احمل يا (نعمان) ان كنت تستطيع .

شهق (نعمان) وتطلع في عيني عاشور بقسوة ، وتدخل صاحب الأكياس موجها كلامه لعاشور :

ـ هيا . .

أدرك عاشور بسرعة أن الامر لايخلو من المراهنة .

حل صمت عجيب على المكان . وبدت أنفاس المتجمهرين وكأنها مأخوذة بالرهان . أخرج (عاشور) حبله وربط الأكياس الثلاثة ، ومن ثم ألصق ظهره بها ، وشد الحبل ، وهم واقفا . . كان الحمل ثقيلا ، ارتفعت الأكياس قليلا ، شهق عاشور ، أراد أن يدير جسده لكنه أرتخى فجأة . . وصرخ بصوت سمعه (نعمان) لاول مرة : لن أستطيع .

تقدم (نعمان) وأزاح عاشور بسخرية هادئة ، وتلفت مخاطبا صاحب الأكياس :

. . . كم تدفع ؟

ـ عشرة قروش بشرط أن تضعهم في السيارة .

ـ حسنا .

قالها (نعمان) وأدار ظهره للبضاعة ربطَ الأكياس بقوة ، وأحكم وضع الحبل بشكل دائري حول العصبة الملتفة حول رأسه ، ونهض محدقا بعاشور وفي الوجوه التي غص بها المكان ، شد رأسه قليلا ليقيس مدى الثقل ، شد همته بحيث تتوازى مع الحمولة ، أمسك بيدين قويتين الحبل . وهب واقفا ، ارتجفت ساقاه قليلا لكنه لم يخط أية خطوة كان يريد أن يثبت جسده فوق الارض ويزيل هذا الارتجاف ، تثبتت ساقاه مثل مسمارين فوق الأرضية الرطبة . وخطا أول خطوة والثانية والثالثة . ومشى فرحا ، والحمالون خلفه ، وضع الأكياس بهدوء داخل مؤخرة السيارة .

شد الحبل ووضعه على كتفيه . أحس بدوخة ، امتدت يده المرتعشة لتقبض على العشرة قروش بقوة ، سار بخطوات بطيئة باتجاه أحد الجدران ، تنفس بعمق .

وفجأة أدار ظهره للسوق وسار بخطوات واهنة باتجاه البيت . . وهو يصارع رغبة عارمة للبكاء . . . □

٥

■ القرد . . قرد حتى ولو لبس الحرير ! (بن جونسون) .

■ الأمانة . . . فضيلة نمدحها ، ونتركها تموت جوعا (جوفينال) .

■ أتعس الناس المتردد ! (وليم جيمس) .

■ للطبيعة دائما قوة تفوق قوة التربية !! (فولتير) .

■ الحب عند الرجال ليس عاطفة وانما هو . . فكرة (مدام جيرار دان) .

■ كل عادة ، اذا لم تقاوم سرعان ما تنقلب الى حاجة (أوجستين) .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

كارثة القرن الواحد والعشرين

حتى لا يفاجئنا الغد ، يهتم العالم بشكل متزايد بما يسمى « دراسات المستقبل » ، وهي دراسات لا تنبع من فراغ ، ولا تبتعد كثيرا عن الواقع ، وانما تبدأ منه لتستخلص النتائج والتنبؤات وتساهم في صياغة السياسات .

احدى الدراسات المهمة التي تجري في هذا المجال ما يتصل بالسكان ، وما يتصل بفرص العمل اللازمة لهؤلاء السكان

واحدى الدراسات التي انتهت منها منظمة متخصصة وهي منظمة العمل الدولية دراسة تقول ان العالم سوف يحتاج الى توفير (١,٩) مليار فرصة عمل خلال الأربعين عاما القادمة ، وبمتوسط سنوي مقداره (٤٧) مليون وظيفة .

الرقم ليس صغيرا ، فتعداد العالم في الوقت الراهن يقترب من الخمسة مليارات نسمة ، وهو حسب تقديرات البنك الدولي سوف يصل الى (٦٠٨٨) مليون نسمة عام (٢٠٠٠) ، لذا فان دخول ما يقرب من مليارين من البشر الى سوق العمل ليس عملا يسيرا بل انه يكاد يقترب من الحجم الحالي لقوة العمل التي لا تتجاوز (٢١٦٠) مليون نسمة ، وفقا لتقدير منظمة العمل الدولية

خطورة الأرقام . تركزها في العالم الثالث . حيث تأتي آسيا في المقدمة ، تليها أفريقيا ، ثم أمريكا اللاتينية

قد يتصل ذلك بنسبة نمو السكان المرتفعة في القارات الثلاث . وقد تتصل في نفس الوقت بتركيب السكان ، ودخول نسبة عاليةمنهم لما يسمى « سن العمل » لكن المهم أن مجال السبق ـ وربما مجال الأزمة ـ سوف يكون أكثر وضوحا في العالم الثالث ، ويتوقع البنك الدولي أن نشهد نموا في قوة العمل في حدود (٢,٥) بالمائة سنويا . في مقابل نصف في المائة فقط في الدول الصناعية المتقدمة سواء في المعسكر الغربي أو المعسكر الاشتراكي وحتى عام (٢٠٠٠) .

كيف يواجه العالم الثالث هذه الحقائق ؟

وكيف يتوفر لآسيا وحدها ـ وعلى سبيل المثال ـ توفير فرص عمل مقدارها (٨١٢) مليون فرصة في هذه الفترة الوجيزة ؟

اذا جاءت الاجابة من الغرب ، أو ممن تلقوا تعليمهم في الغرب ، فانها ستتجه على الأرجح لمعادلة تقول . « لكي نريد من الاستثمار فلا بد أن نزيد من الادخار وتراكم رأس المال » وباختصار سوف تكون مشكلة رأس المال هي الأساس . وسوف يكون الغرب ـ بنوكه ومؤسساته المالية وحكوماته الثرية ـ هو الملاذ ـ وان كان لذلك صعوباته أيضا !

ولكن . هل تتركز مشكلة العالم الثالث في ندرة رأس المال ، فاذا توفر اتيحت التقنية وتوفرت الآلات ، وأقيمت المشروعات وتم حل مشكلة العمالة الجديدة ومعها مشاكل الفقر والنمو المتباطيء ؟

الأمر ليس على هذا النحو ، صحيح أن رأس المال في دول محدودة الدخل يمثل مشكلة . . لكن الوجه الآخر ـ والأهم ـ لهذه المشكلة هو نمط التنمية الذي نريده ونمط الحياة الذي نبنيه

** نوعان من التنمية :

لقد مارست الدول النامية كلها التنمية بدرجة او بأخرى وحاولت أن تقدم الجهد المتعمد للاسراع بنسبة النمو لكن معظم هذه الجهود كانت امتدادا لما يحدث في الغرب وتقليدا له

يبدأ الأمر بأنماط في الاستهلاك تحاكي العالم المتقدم ويبدأ باستيراد كل شيء من السيارة الى الطائرة وعلبة اللحوم المحفوظة والتليفزيون الملون وينتهي الأمر بخطط للانتاج تحاول أن تفي بحاجة هذا الاستهلاك أيضا فانه يبدأ باستخدام الالات الصغيرة التي توفر الجهد لست البيت وسكرتيرة المكتب ، وينتهي باستخدام الآلات الكبيرة التي يحكمها العقل الألكتروني ، ويديرها خبراء من الطراز الأول

انه نمط متكامل « وارد الخارج » ، وهو نمط له تكلفته ، لأنه الأحدث ولأنه يساير تطور وامكانيات المجتمع وإذا كان هناك نوعان من المشروعات . نوع بكثيف راس المال ـ بمعنى انه يحتاج الى تقنية معقدة واستثمار كثيف ـ ونوع بكثيف العمل ، ويزيد فرص العمالة اذا كان هناك هذان النوعان ، فان نمط التنمية السائد كثيرا ما ينحاز في العالم الثالث للنمط الاول الاكثر تعقيدا والأقل استخداما لقوة العمل

ربما يكون ذلك بسبب عقدة « التخلف والتقدم » أي انه كلما حصلنا على الأكثر تقدما صعدنا في سلم الحضارة أو هكذا يجري الاعتقاد !

وربما يكون الأمر بتشجيع من الطرف الاخر ، فالذين سبقونا في التقدم ، ويسبقونا الان في النصح وتقديم خبرتهم وخبرائهم ، يؤثرون دون شك تصدير ما لديهم من الالات وسلع ، ومن فنون انتاجية تعرف باسم « التقنية » صحيح أنهم يحتفظون بمسافة بينهم وبين العالم الثالث ، لكنهم يجدونه وراءهم ، مما يجعله سوقا دائما لمنتجاتهم ، سواء كانت سلعا ماديه أو انتاجا ذهنيا

وعلى العكس فان هذه الدول المتقدمة لا تجد لنفسها مصلحة في تنمية مستقلة للعالم الثالث . تنمية تعتمد على تقنية محلية ، ومشروعات مكثفة للعمالة ، مستخدمه المتوفر والمتاح في البيئة

السببان اذن قائمان · نمط التنمية الذي يختاره قادة العالم الثالث ، ونمط العلاقات الذي يربط هذا العالم بالعالم المتقدم ويتصل بالأمرين نمط الحياة التي نرغب والمستقبل الذي نبني .

**القاعدة والاستثناء :

واذا كانت هذه هي القاعدة ، وهي قاعدة تفاقم مشكلة الملايين التي سوف تبحث عن فرصة عمل في الأربعين عاما القادمة ، وما يليها أيضا من أعوام . فانه بطبيعة الحال هناك استثناء من القاعدة هناك على سبيل المثال التجربة الصينية ، فبلد الألف مليون تعتمد على الذات الى حد كبير ، وتعتمد على فنون انتاجية في الصناعة والزراعة والمرافق والخدمات تناسب الأعداد الكبيرة وقد تتكرر الاستثناءات ، ولكن الأغلب الاعم أنماط من التنميه تزيد المشكله تعقيدا في العالم الثالث

و اذا أخذنا في الاعتبار بقية العوامل . اذا عرفنا أن ما يقرب من نصف العالم يدخل فيما تسميه المنظمات الدولية « الدول منخفضة الدخل » . واذا عرفنا أن نسبة النمو في بعض بلدان العالم الثالث في الثمانينيات قد أصبحت سالبة ، أي أن متوسط الدخل والمعيشه فيها ينخفض واذا أضفنا حقيقة أن (٧٣٪) من قوة العمل في الدول منخفضة الدخل تعمل في الزراعة . . مقابل (٦٪) فقط من المشتغلين في الدول الصناعية المتقدمة ، اذا عرفنا كل ذلك لادركنا أن مشكلة الأيدي الجديدة التي تتطلع الى العمل في العالم الثالث قد تتحول الى كارثة اجتماعية واقتصادية .

لقد عرف الشرق والغرب البطالة السافرة أو المقنعة لكن كليهما وضع أسسا للتعامل معها ومحاولة القضاء عليها .

السؤال عن أحوالنا في العالم الثالث · ماذا نحن فاعلون ؟ ونقول . الأمر على هذا النحو يمكن أن يكون « كارثة القرن الواحد والعشرين » ؟

والا حل الا بمراجعة واسعة لأسلوب الحياة ونمط التنمية ، فالغرب ليس هو النموذج ، والانسلاخ عن البيئة ليس هو التقدم . . والأحدث من السلع والأفكار ليس هو الأفضل في كل الحالات □



الأزمة المالية العالمية ومشكلة الديون

بقلم : الدكتور يوسف سليمان الفاضل

المديونية الخارجية من الظواهر القديمة المرتبطة بتطور العلاقات الاقتصادية الدولية ـ وخلال تاريخها الطويل كانت هذه الظاهرة محدودة الحجم . . الا أنها تطورت في الخمس سنوات الأخيرة لتصبح من أعقد القضايا المطروحة على الساحة الاقتصادية الدولية ـ والعربي ـ تطرح من خلال هذا المقال تلك الظاهرة عالميا وعربيا على بساط البحث .

كثرت المؤتمرات والمناقشات والكتابات والقرارات التي تعالج مشكلة الدين العام للدول النامية ، والمشاكل الاقتصادية المترتبة على العجز الكبير في موازين مدفوعاتها الدولية ، بدون حل ولا حتى بالاقتراب من أمل في حلها ، فما هي المشكلة في الأساس ؟ وما هي نتائج الوضع الحالى لدول العالم الثالث ؟

لقد برزت مشكلة الدول النامية بشكل كبير واضح بعد الحرب العالمية الثانية ، بسبب حصول معظم تلك الدول على استقلالها ، ومحاولتها بناء اقتصادها الوطنى ، والتخلص من التبعية الاقتصادية للدول الصناعية ، لكن معظم محاولاتها في الزيادة من دخولها الحقيقية ـ لا النقدية فقط ـ قد باءت بالفشل ، رغم وفرة ثروتها الوطنية الطبيعية ، والرغبة الحقيقية في

التقدم والازدهار ، وذلك لأسباب عديدة ، أهمها : قلة إنتاجيتها الزراعية وسيطرة القطاع الزراعي على باقي القطاعات الأخرى ، نتيجة للفقر المدقع حتى مستوى الكفاف . تلك الحالة تجعل الفرد العامل في ذلك القطاع أو غيره ، يدور في حلقة مفرغة ، فهو فقير لا يستطيع أن يملك الأدوات والمعدات الضرورية التي تجعله قادرا على تحسين وضعه الاقتصادي ، لأنه لا يملك المال الكافي لكي يشتري تلك المعدات ، ولا يستطيع صنعها ، لجهله وعدم توفر المواد الضرورية لديه لصنعها ، والأخطر من ذلك يكمن في الحقيقة المرة المتمثلة في فقر السياسات الاقتصادية التي اتبعتها تلك الدول ، في محاولتها للرفع من وضعها الاقتصادي ، فمعظم تلك الدول تريد أن تصنع نفسها بطريقة أو بأخرى ، وبأقصى سرعة ، مما أدى الى اهمالها للقطاعات الاقتصادية الأخرى ، وخصوصاً القطاع الزراعي ، كما أهملت سياساتها السكانية الى أقصى الحدود ، مما جعلها في حالة تدهور اقتصادي مستمر

نموذج الهند

والهند أكبر مثل على ذلك فهي منذ استقلالها في أغسطس سنة ١٩٤٧م وحتى أوائل السبعينيات ، ركزت الهند على التصنيع الثقيل وأهملت القطاع الزراعي ، فشلت في الاثنين معا ، وعمت الفوضى الاقتصادية فوصلت ذروتها ، ولكن في أواخر الستينيات وعند أوائل السبعينيات تدارك الاقتصاديون الهنود الموقف ، وغيروا من خططهم واستراتيجياتهم الاقتصادية ، فركزوا على القطاع الزراعي الذي وفر الغذاء لشعب جائع ، لا بل أمكن تصديره ، وأجمع الاقتصاديون على نجاح سياساتهم الاقتصادية التي بدأت آثارها الطيبة في نجاح القطاع الصناعي .

إن إهمال الدول النامية لسياساتها السكانية جعل المنافع المرتقبة صعبة التحقيق ، زد على ذلك أن العوائد الثابتة والمتحركة المتوقعة من التجارة الدولية مع العالم الصناعي لم تؤت أكلها ، فالشركات الأجنبية العاملة في المناجم أو أي ميدان من ميادين صناعات العمليات الاستخراجية للمواد الأولية ، لم تدفع ضرائبها ، كما يجب وبحق ، للحكومات المضيفة لها . كما أنها لم تشتبك اقتصاديا مع القطاعات الأخرى المكونة للاقتصاد الوطني لتلك البلاد النامية ، أضف الى ذلك أن مستوى العمالة ومستوى الأجور منحصران في العمليات الاستخراجية في قطاع المناجم ، مما جعل أثره الاقتصادي من ناحية الدخل ضئيلا جدا ، ولقد زاد الطين بلة أن بدأت أسعار المواد الأولية المصدرة تنخفض ، بسبب الركود الاقتصادي في الدول الصناعية ، وبسبب التغيرات التقنية في القطاعات الصناعية المتعددة الأطراف ، ومما جعل وضع تلك الدول النامية في حالة يرثى لها زيادة أسعار المواد الرأسمالية المستوردة الناتجة عن ازدياد التضخم المالي في العالم الصناعي ، وآخرها بدون شك ازدياد أسعار البترول الخام ومشتقاته في أوائل السبعينيات .

كل العوامل السابقة ، الى جانب تفشي الفساد الاداري ، وعدم الاستقرار السياسي ، وتعدد الانقلابات العسكرية في معظمها ، جعل من الصعب وضع سياسة اقتصادية انمائية ، وخطة تمهيدية لتلك السياسة الاقتصادية ، وعلى ذلك اعتمدت الدول النامية على المساعدات المالية والعينية من البنك الدولي للانشاء والتعمير ، وصندوق النقد الدولي ، كذلك المؤسسات الحكومية التابعة للدول الصناعية المهتمة بشؤون المساعدات المالية والفنية للعالم الثالث ، وأخيرا دخلت بعض الدول المصدرة للبترول وبخاصة الدول العربية كالكويت ، وقطر والمملكة العربية السعودية ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، ضمن الدول المقدمة للمساعدات المالية للدول النامية ، وعند بداية السبعينيات بدأ صندوق الأوبك بتقديم المساعدات المالية للدول النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، من أجل التخفيف من حدة أثر ارتفاع أسعار النفط على الاقتصاد الوطني للدول النامية

والحقيقة أن من الخطأ الكبير أن نبالغ بمقدرة صندوق منظمة الأوبك على حل المشاكل الاقتصادية في الدول النامية ، فالأعضاء المولون لصندوق الأوبك هم أنفسهم دول نامية ، ويعانون من مشاكل عديدة

مرتبطة ارتباطا جذريا بأصول التنمية الاقتصادية ، والآن ، وبعد انخفاض أسعار البترول الخام ، سوف تقل أهمية دور صندوق الأوبك في مجال تقديم القروض السهلة للمشاريع الانتاجية في الدول النامية ، وكما ذكر سابقا ، عن عدم المبالغة بدور صندوق الأوبك ، تكشف لنا الأرقام التالية حقيقة الأمر ، فأولا : إن القيمة الكلية للدخول القومية للدول الأعضاء في منظمة الأوبك ، لا تزيد على ٤٪ من الدخل العالمي ، وثانيا : انها لا تربو على ٧٪ من القيمة الكلية للدخول القومية لدول منظمة التعاون الاقتصادي ، وجميع أعضائها من الدول المتقدمة صناعيا وزراعيا ، وثالثا : ان الدخول القومية لمنظمة الأوبك أقل من ٥٠٪ من الدخل القومي لليابان ، وتقارب ١٧٪ من الدخل القومي للولايات المتحدة الأمريكية ، وبعد ذلك هل لنا أن نسأل من هو الأقدر على تقديم القروض غير المشروطة ؟ أهي الدول الأعضاء في منظمة الأوبك أم الدول الصناعية ذات المقدرة العالية والتنويعية الاقتصادية في دخولها القومية ؟

لا شك أن الدول الصناعية هي الأقدر ، وإن أعطت مساعدات مالية ، فإنما تعطى من فائض مالى ناتج من هياكلها الاقتصادية المتعددة القطاعات ، ذات الانتاجية العالية ، أما منظمة الأوبك أو أعضاؤها فان قدموا مساعدات مالية للدول النامية ، فانما يقدمون من دخلهم الحقيقي الوحيد وهو النفط ، الذي لا يزال لم يغير من الهياكل الاقتصادية للدول الأعضاء في منظمة الأوبك ، لكي تكون قادرة اقتصاديا على الاستقلال عن النفط أو الحد من الاعتماد الكلي عليه ، وأخيرا فان ٩٠٪ من مجموع ديون الدول النامية ترجع مسؤوليتها لعشر دول متوسطة الدخل ، خمس منها أعضاء في منظمة الأوبك ، وفنزويلا تمثل أكبر المستدينين بينهم .

المساعدات العينية

أما المساعدات التي جاءت من صندوق النقد الدولي بصفة عينية ، بشكل استشارات ونصائح اقتصادية ، والمساعدات المالية بصفة نقدية من البنك الدولي للانشاء والتعمير ، فلم تغير من الوضع الاقتصادى للدول النامية ، فمن المؤسسة الأولى جاءت النصائح صعبة التطبيق ، كزيادة الضرائب لتخفيض أجور العمال التي هي أصلا عند مستوى الكفاف ، ومن الناحية السياسية ، فان الأخذ بنصائح صندوق النقد الدولي لم تكن مقبولة أبدا من معظم الدول النامية ، وذلك بسبب آثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فأثر تلك السياسة هو التقليل من الدخل الحقيقي للفرد ، عن طريق تجميد أجره وتقليل المصروفات الحكومية ، مما يعنى عدم توفر الخدمات المدعومة من الحكومة ، وزيادة الضرائب سوف تزيد من غضب الشعب ، ولذلك فان جميع نصائح صندوق النقد الدولي كانت غير مقبولة من قبل الجهات الحاكمة ، فقبولها بتلك النصائح من أجل تحسين موازين مدفوعاتها الدولية ، معناه سقوطها من الحكم ديمقراطياً ، وأي حكومة أخرى تأتي بعدها سوف تقع في نفس المشكلة ، وهكذا تستمر الحلقة المفرغة . اذن ما الحل الأمثل الذي كان يراود عقول وزراء المال في الدول النامية دون أن تتعرض حكوماتهم لضغط أو تغيير سياسي ، وبدون الأخذ بنصائح صندوق النقد الدولى وغيره من المؤسسات المالية الدولية ؟

الجواب عن هذا السؤال هو الذي أوقع الدول النامية والعالم كله في أزمة مالية لا حد لها ، ولا حل لها في القريب العاجل ، ولا حتى في الأمد الطويل ، فحلول وزراء المال للدول النامية كانت تعني الاقتراض من الحكومات الصناعية ، والبنوك التجارية العالمية التي كانت ودائعها تزداد يوما بعد يوم ، خصوصاً بعد الزيادة الكبيرة في أسعار النفط الخام ، مما حدا ببعض الدول الأعضاء في منظمة الأوبك الى ايداع فائضها المالي العالى لدى تلك البنوك التجارية العالمية بصورة ودائع قصيرة الأجل .

بدأت تلك البنوك التجارية العالمية ، وخصوصاً الأمريكية منها ، بتقديم القروض المودعة لديها لأجل قصير الى الدول النامية ، لكي تغتنم فرصة سعر الفائدة العالى التي كانت الدول النامية مضطرة الى قبوله ، من أجل حل بعض مشاكلها الاقتصادية ، وتحسين أوضاع موازين مدفوعاتها الدولية ، ثم ازدادت تلك القروض وحان أجلها ، فلم تستطع

الدول النامية الدفع ، فتحولت تلك القروض الى قروض طويلة الأجل لتمويل بعض المشاكل الهيكلية في الاقتصاد الوطني للدول النامية حتى أصبحت قيمة الديون الكلية لدول العالم الثالث حتى شهر يونيو ١٩٨٤ ، أكثر من ٨٥٠ مليار دولار ، بعد أن كانت حوالى ١٢٠ مليار دولار قبل اكتوبر ١٩٧٣ . أى قبل الزيادة الكبيرة في أسعار البترول الخام .

أما بالنسبة لتوزيع تلك الديون على الدول النامية ، فقد أخذت الدول الأفريقية عشرة في المائة منها ، وحصت دول آسيا ستة وعشرين في المائة ، وحصلت دول شرق أوروبا على أحد عشر بالمائة منها ، ودول الشرق الأوسط على ٨٪ منها فقط ، أما نصيب الأسد فقد أخذته دول أمريكا اللاتينية ، حيث حصلت على خمسة وأربعين في المائة من مجموع الديون الكلية ، أما بالنسة للدائنين ، وخصوصاً البنوك التجارية العالمية ، فتوزيع حصصها تكشفه الأرقام التالية :

فالبنوك الأمريكية قدمت أكثر بقليل من ثلث مجموع الديون التجارية ، والباقى قدمته البنوك الأوروبية واليابانية وبعض البنوك العربية التي تورطت بقروضها لبعض دول أمريكا اللاتينية ، ولقد قدمت عشرة بنوك أمريكية نصف الثلث من الحساب الأمريكي ، وهذه البنوك هي .

سيتي بنك ، بنك أوف أمريكا ، بنك شيس منهاتن ، بنك مورجن جرنتيه ، وبنك مانيوفاكتشرر هانوفرز ، وكيميكال بنك ، ـ كونتيننتال الينوى ، وبانكرز ترست ، وفيرست ناشنال بنك أوف شيكاغو وأخيرا وولز فارجو .

البنوك والاقتصاد الأمريكي

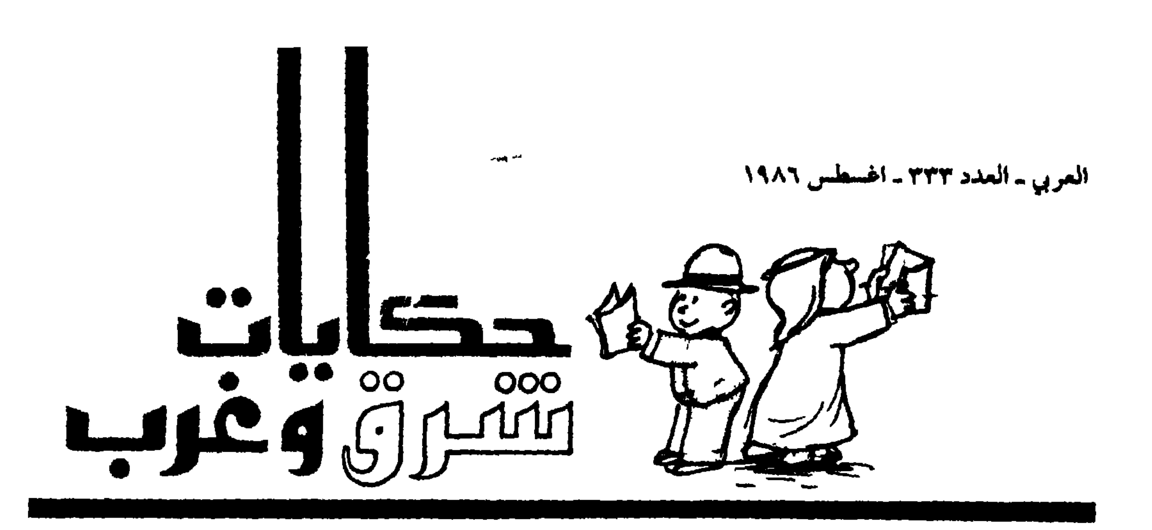
هنا يكمن الخطر ، فتلك البنوك هي الأسس المالية التي يرتكز عليها الاقتصاد الأمريكي ، فاذا ما رفضت الدول النامية أن تدفع ديونها ، فقد يقود ذلك الى إفلاس بعض تلك البنوك السالفة الذكر ، وآثارها السيئة لن تقف عند التأثير الخطير على الاقتصاد الأمريكي ، بل سوف يؤثر تأثيرا ضارا على الاقتصاد العالمي ، ودول العالم الثالث تعى هذه المشكلة ، وهي غير قادرة على الدفع ، ولذلك طلبت تخفيض مديونيتها ، وتمديد مدة الدفع الى وقت أطول ، كل ذلك جاء عن طريق ما يسمى الآن بإعادة برمجة الديون . وفي الحقيقة أن إعادة برمجة تلك الديون لن يحل المشكلة المالية بالنسبة للدول النامية . والبنوك المقرضة لها ، بل سوف يؤجل تفاقمها وزيادة حجمها ، حيث ان الزيادة المطّردة في سعر الفائدة الأمريكي ، سوف يزيد من تكلفة القروض التي تسلمتها الدول النامية حتى لو قل سعر الفائدة لفترة قليلة ، وعلى ذلك ، فلقد قررت احدى عشرة دولة من أمريكا اللاتينية ، أن تعقد مؤتمرا في كولومبيا في أواخر شهر يونيو ١٩٨٤ م لمناقشة تلك المشكلة وايجاد حل لها

كان الهدف من ذلك المؤتمر هو خلق قوة تفاوضية جماعية ، في وجه البنوك التجارية العالمية ، ومحاولة التغيير أو الحد من سياسات التقشف التي فرضت عليها من البنوك التجارية ومن النقد الدولي ، ولكن بسبب الاختلافات بين وزراء المال لتلك الدول في ذلك المؤتمر ، صار من الصعب موافقة الجميع على خطة واضحة تمكنهم من الدفع .

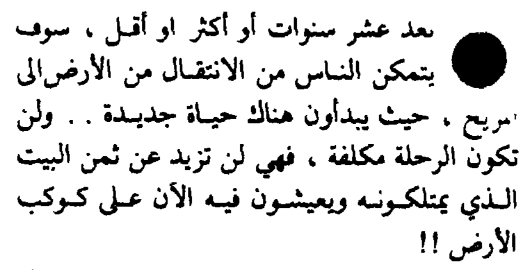
خلاصة القول

وخلاصة القول أن مشكلة ديون العالم الثالث سوف تزداد وخصوصاً ديون دول أمريكا اللاتينية ، التي تزداد تقريبا بنسبة تسعة عشر في المائة سنويا ، ولو فرضنا ان دول العالم الثالث سوف تكون قادرة على التصدير الى الخارج لكل ما تنتجه ، فلن تقدر على دفع ديونها ، ولا حتى دفع سعر الفائدة المتراكم حتى يومنا الحاضر .

الحل يكمن في قوة الاعتماد على النفس وضرورة الاستقرار السياسي والاقتصادي لتلك الدول ، مع الأخذ بعين الاعتبار ، التخلص من الفساد الاداري ، وجعل العلم هو الأساس المستقبلي لحل مشاكل دول العالم الثالث عن طريق الحد من النمو السكاني ، وعن طريق الدور الأساسي لعلماء دول العالم الثالث في حقل الطاقة ، وقطاع البيولوجيا الهندسية التي سوف تزيد من انتاجيتهم الزراعية والصناعية ، وأخيرا ، فالتعاون الدولي ، لا شك ضروري من أجل مستقبل أفضل للانسان في دول العالم الثالث والدول المتقدمة . □



بيت الأحلام في المريخ



بعد عشر سنوات أو أكثر او أقل ، سوف يتمكن الناس من الانتقال من الأرض الى المريخ ، حيث يبدأون هناك حياة جديدة . . ولن تكون الرحلة مكلفة ، فهي لن تزيد عن ثمن البيت الذي يمتلكونه ويعيشون فيه الآن على كوكب الأرض !!

والمريخ نفسه ، سوف يصبح بطبيعة الحال صالحا للحياة على سطحه ، بفضل اغراقه بالمواد الكيميائية وبذور النباتات ، رغم جوه الشديد البرودة الآن ، ورغم عدم وجود مياه سائلة ، ووجود غاز ثاني أكسيد الكربون في الأجواء المحيطة به

هذه الحقائق المذهلة هي توقعات لأحد كبار علماء الفضاء ، وهو البروفسور جيمس لوفلوك ، وقد ضمنها كتابه الجديد « المريخ الأخضر » الذي عكف على وضعه بالتعاون مع مايكل ألابي الذي يسهم في وضع قاموس اكسفورد للتاريخ الطبيعي . . وهما يجدان في هذا الكتاب تشابها كبيرا لما أعده كريستوفر كولمبس لاقناع هؤلاء الذين تشككوا في جدوى رحلته الى الغرب . . .

ويقول العالمان ان تحويل المريخ . . هذا الكوكب الميت ، البارد الأحمر الى مكان يصلح لحياة الانسان ونمو النبات ، قد يكون امرا أسهل مما نتصور . . « اننا نستطيع أن ننشر الحياة في المريخ عن طريق استخدام آلاف الصواريخ التي تحمل المركبات الكيميائية اليه ، بحيث نجعلها تنفجر على سطحه ، ثم ننتظر حتى يتحول هذا السطح الى مزرعة خضراء . . وقد تكون هذه هي الخطوة الأولى في سبيل تدفئة الجو الذي يحيط بهذا الكوكب البارد !



ثم يلتقي المؤلفان بعد ذلك في تأكيدهما على أن هذا المشروع لن يتكلف كثيرا ، اذا قورن بالنتائج التي ستعود على البشرية بعد أن ينتقل اليه سكان الأرض .

وعندما يشيع الدفء في المريخ ، فسوف يزداد الضغط الجوي المحيط به ، وستذوب الثلوج وتجري المياه ، وعندئذ تبدأ المرحلة الثانية بارسال بذور النباتات التي ستسهم بدورها في تدفئة جو هذا الكوكب البعيد ، وتمتص ثاني أكسيد الكربون وتضاعف من كمية الأوكسيجين في الجو ، وتغذي أرضه القاحلة الباردة .

ثم يقول البروفسور لوفلوك ان المريخ بعد ذلك سوف يكون معدا للاستعماريين القادمين من كوكب الأرض ، ولن يكون الطقس فيه اكثر برودة من أمريكا الشمالية ، وأن الرحلة اليه في سفن الفضاء

التي ستنطلق بسرعة ١٨٠ ألف كيلومتر في الساعة ، لن تكلف اكثر مما دفعه الرواد الأوائل الذين نزحوا الى العالم الجديد (امريكا) بعد اكتشافها .

الاختلاف الوحيد بين الرحلتين هو أن المسافر الى المريخ سوف يقطع تذكرة للذهاب فقط بلا عودة ، وقد يضطر في بادىء الأمر الى بناء مسكن خاص به وحده ، وربما وضع جسمه في بدلة الفضاء وحمل معه سونةمليئةبالاوكسجين ، الى أن يعتاد تدريجيا على هذا الجو الجديد ، وعندئذ سوف يمضي في حياته متنقلا على سطح المريخ تماما كما كان يفعل في الأرض . . ثم يخاطب العالمان القراء بقولهما : « لاتقولوا أن هذه الانحازات مستحيلة لأنها تفوق تخيلاتنا . . فهي ليست سوى بعض ما سوف يحققه العلم وسط قائمة طويلة مما نتصور اليوم أنه مجرد أحلام . . ولكن هل توقفنا لحظة نتأمل فيها الأحلام التي أصبحت حقيقة ملموسة نعيشها ! »

وعاد الأب وحده يبكي !

● وقف الصبي جوون لويج الذي يبلغ السادسة عشرة من عمره يطرق باب البيت الريفي الصغير ، في رفق وطال انتظاره بعض الشيء ، قبل أن يفتح الباب ويلتقي الصبي لأول مرة بأهل البيت الذين سألوه في تحفظ « ومن تكون أنت أيها القادم الغريب ؟ !

وقال الصبي في كلمات تخنقها الدموع : « أنا ابنكم جوون !

وسقطت الأم على الأرض مغشيا عليها ، وتمالك الأب نفسه وقال : : « ولكن جوون مات وواريناجثمانه الصغير التراب منذ ثلاثة عشر عاما . من تكون أنت ليس هذا وقت المزاح يابني ! »

وعاد جوون يؤكد للرجل الذي وقف أمامه في ذهول أنه ابنه الذى مات ودفن منذ ذلك الوقت البعيد !!

كيف حدث هذا وماهي قصة جوون التي خرجت القرية الصغيرة في مقاطعة جيزهو بالصين ، تستمع اليها في دهشة ، وهي لاتصدق رواية الصبي !



قال الأب الفلاح لويج ان جوون مات بعد مرض قصير لم يجدوا له علاجا منذ هذه الفترة الطويلة ، وكان يومها في العام الثالث من عمره ، وقد قامت الأسرة بدفنه في مكان قريب من البيت الصغير الذي يعيشون فيه ، ومرت بضعة أيام ، ذهب بعدها الأب والأم وأشقاء جوون الصغير لزيارته في قبره ، ولكنهم لم يجدوا القبر . . . ووجدوا الأرض من حوله وكأنها قد حرثت وأعدت للزراعة !

وعادوا الى البيت ، وقد ازداد ألمهم لفراق جوون الصغير بعد أن اندثرت معالم المكان الذي دفن فيه !!

ويسكت الأب ويكمل فلاح آخر يدعى تانج كيكونج القصة فيقول انه كان يعمل بمحراثه عندما سمع صوت بكاء طفل صغير تحت التراب ، فأسرع اليه وحمله الى بيته وراح يعنى به هو وزوجته ويقدمان له الرعاية التي يحتاج اليها . . . ولم يكن صعبا بعد ذلك ان يكتشف كيكونج شخصية جوون ، ولكنه كان حريصا على أن يخفي الحقيقة عنه ، لانه كان يريد أن يحتفظ به ابنا له .

ولكن ضميره استيقظ في النهاية ، فروي للصبي القصة كاملة ، ثم اصطحبه الى بيت والده ، وتركه أمام البيت وعاد الى بيته يبكي !!

عيد ميلاد سعيد !

« انني أحب هذا الرجل ، فأنا اشعر أنه واحد من أفراد الشعب الذين يمكن أن يلتقي بهم المرء في أي مكان .. صحيح انه رجل أنيق يعنى بمظهره .. ولكنه في النهاية واحد منا ! » .

بهذه الكلمات البسيطة عبرت احدى نساء موسكو عن مشاعرها أثناء الحفل الصغير الذي أقيم بمناسبة عيد ميلاد ميخائيل جورباتشيف ، الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي !

أما الزعيم السوفيتي الذي احتفل ببلوغه الخامسة والخمسين ، فقد استطاع أن ينتزع اعجاب كل الذين حضروا مؤتمر الحزب الشيوعي في موسكو الذي تصادف انعقاده في نفس الأسبوع الذي كان جورباتشيف يتلقى فيه التهاني من أصدقائه وأقاربه بمناسبة يوم مولده .

والذي حدث ان المخرج السينمائي ليفي كوليدزانوف ، وقف يلقي كلمة في المؤتمر . ولاحظ جورباتشيف أن اسمه قد تردد في الخطاب أكثر من مرة ، مقرونا بعبارات الاطراء والمديح .. وكانت المفاجأة عندما ارتفع صوت جورباتشيف في الميكروفون وتدخل مقاطعا ، قال : « لقد تكرر ذكر اسمي كثيرا في خطاب الرفيق كوليدزانوف ، وأرجو الا أسمعه مرة أخرى ! قالها وهو يبتسم .. وهنا



ضجت القاعة بالضحك ، ودوى تصفيق الحاضرين طويلا ...

وعندما انتهى المؤتمر ، فتحت الأبواب ، ولكن بدلا من أن يخرج الحاضرون ، دخلت مجموعة كبيرة من الأطفال الذين كانوا يرتدون الزهور المصنوعة من الورق ، وهم ينشدون أحب اغنيتين الى نفسه ، وكانت الأولى عن الكومبيوتر آلة المستقبل ، والثانية عن الحملة التي يتزعمها جورباتشيف ضد حرب النجوم !

مخ اينشتاين مازال حيا !

هل كان البرت اينشتاين انسانا غير عادي ؟ تقول البروفسورة ماريان داياموند ، من علماء التشريح بمدينة بيركلي بولاية كاليفورنيا ، أن مخ اينشتاين كان يحتوي على نسبة مرتفعة من خلايا من نوع معين تزيد على النسبة الموجودة في مخ الرجل العادي بنسبة ٧٣٪ .. وهي متصلة اتصالا مباشرا بعملية التفكير والذكاء .

وكانت البروفسورة دايا موند قد أمضت ستة أشهر كاملة مشغولة بتشريح قطع من مخ العالم الكبير صاحب نظرية النسبية ، ثم مالبثت ان خرجت بهذه النتيجة ، وقالت ان هذا هو السر في عقرية هذا الرجل .

المهم في الأمر هو كيفية حصول البروفسورة دايا موند على مخ اينشتاين بعد مضى هذه الأعوام الطويلة على رحيله في عام ١٩٥٥ . والقصة تبدأ عندما شاهدت ماريان صورة لمخ اينشتاين في احدى المجلات العلمية القديمة ، ثم اكتشفت أن أحد علماء الباثولوجي « أو علم الأمراض مازال يحتفظ بمخ هذا العالم العبقري ، كما هو دون أن يطرأ عليه أي تغيير ، وكان العالم قد شارك في تشريح جثة اينشتاين بعد وفاته .

وأرسلت اليه ترجوه أن يبعث اليها ببعض الشرائح من مخ هذا العبقري ، ولكنه تردد في البداية ، لأنه لم يكن يريد أن يفترق عنه ، ثم مالبث أن استجاب لطلبها .

وتقول ماريانةالتي أمضت سنوات عديدة في دراسة خلايا المخ « لقد أحسست بعد هذا الاكتشاف أنني قد عثرت على السر في تفوق صاحب هذا المخ الذي قدم للعالم نظرية النسبية .. لقد كنت أواجه حقا شيئا غير عادي ! »

عندما أحس بالوحدة !

● **يبدأ الرجل يشعر بالوحدة عندما تتقدم به السن ، فينظر حوله فلا يجد احدا يهتم به ، أو** ينتظر عودته أو يشعر بالحنين اليه اذا غاب عنه ! ولكن شيئا من هذا كله لم يحدث في حياة والديميرو سيلفا الذي كان يعيش في وحدة قاتلة لسنين طويلة ، دون أن يشاركه حياته أحد !

ولكن يبدو أن والديميرو لم يعد يحتمل هذه الوحدة ، فقد قرر فجأة أن يبحث لنفسه لأول مرة عن زوجة تشاركه حياته ، وفي صباح أحد أيام الربيع الذي مضى هذا العام . قرأ سكان مدينة ريودي جانيرو عاصمة البرازيل السابقة خبر زفاف والديميرو على المرأة التي اختارها أخيرا لتصبح زوجة له ، فقد كان الرجل من نجوم المجتمع البرازيلي !

أما العروس السعيدة ، فقد جاوزت عامها السابع والخمسين ، وأما والديميرو فقد قرر أن يكون احتفاله بزواجه في نفس اليوم الذي وقف يطفىء فيه مائة وتسع عشرةشمعة من عمره الطويل !

يقول أصدقاؤه الذين حضروا حفل زواجه : « لقد حمل والديميرو عروسه كما يفعل الشاب في سن الثلاثين ! »



لقد استطاع هذا المعمر أن يؤكد النظرية التي تقول ان عمر الانسان لايقاس بعدد السنين التي أمضاها على الارض !

قال العريس عندما سألوه عن سر هذا القرار المفاجىء : لقد أدركت ألم الوحدة التي أعيش فيها ، عندما أصبت بالانفلونزا لأول مرة في حياتي ، ولم أجد أحدا يعطيني الدواء !! .

●

■ **لن تكون متحدثا مجيدا حتى تتعود أن تجيد الاصغاء (كريستوفر مورلي) .**

■ **تتكون العظمة من محاولة أن تكون عظيما .. وليس هناك أي طريق آخر للعظمة (ألبير كامي) .**





الطب النفسي عند العرب والمسلمين

بقلم : الدكتور إحسان صدقي العمد

ما الذي يسلم النفس للمرض غير الأزمات العاصفة ، والضائقات المالية ، وصعوبات الحياة ، وتسارع أحداثها وضوضائها ! وهل لأمراض النفس صلة بأمراض البدن ؟ وهل للوراثة دور تمارسه ؟

بات معروفا لدى الأوساط الطبية ، ما تحدثه العوامل النفسية ، كالتوتر والقلق والخوف والطموح وافتقاد العطف ، من تأثير في بعض الأمراض الجسمية ، يؤدى الى اضطراب وظيفي أو تلف عضوى ، وتؤكد هده الأوساط أن الأمراض النفسية تصيب الأجهزة والأعضاء الخاضعة لتأثير الجهاز العصبى المستقل ، ومن بينها : الجهاز الهضمي ، والجهاز التنفسي ، والجهاز البولي ، والتناسلي ، وجهاز الغدد الصماء ، والدورة الدموية ، والقلب ، كما تشمل بعض الأمراض الجلدية ، والحساسية لبعض المواد ، اضافة الى قرحتى المعدة والاثنى عشر ، وزيادة الحموضة ونقصانها في المعدة ، والتهاب المعى الغليظ ، والربو والسكر ، وارتفاع ضغط الدم الأساسي .

والحق أن أطباء الاغريق ، ومن بعدهم أطباء العرب والمسلمين ، قد سبقوا الطب الحديث بعدة

قرون ، حين اعتبروا بعض الحالات النفسية أمراضا جسيمة ، وأخضعوها للتشخيص والعلاج ، وتجاوز هؤلاء وأولئك نظرة الحضارات القديمة الى الأمراض النفسية ، على أنها حالات ناتجة عن تسلط الأرواح الشريرة على الجسم ، وهي نظرة استمرت في أوروبا العصور الوسطى ، حيث كانت معالجة المصابين بهذه الأمراض تتم بالتقييد بالأغلال والأصفاد ، والمبالغة في الضرب ، أملا في إخراج الأرواح الشريرة من أجساد أولئك المرضى ، بل انهم كانوا في العصور المظلمة يلجأون الى احراق المرضى النفسيين الذين يستعصي شفاؤهم ، بدعوى استقرار تلك الأرواح فيهم

والواقع أن أطباء الاغريق حققوا نقلة نوعية في تشخيص الأمراض النفسية ، وفي محاولتهم معالجتها بعيدا عن ممارسات الكهانة والشعوذة ، ومن هؤلاء أبقراط ، وجالينوس ، وارتيايوس الكابادوكي ، وثيوفراستس ، وروفوس ، والاسكندر الافروديسي ، وقد حقق الأخيران شهرة واسعة في ميدان الأمراض النفسية ، وبخاصة فيما وضعاه من كتابات عن المالنخوليا (Melancholia) مرض السوداء أو الاكتئاب .

الطب النفسي قبل الاسلام :

واذا كنا لا نعرف الكثير عن الأمراض النفسية عند العرب قبل الاسلام ، فان بعض الأخبار المتعلقة بطبهم وفراستهم ، تدل على معرفتهم ببعض هذه الأمراض ، ومحاولة علاجها ، كما كان يفعل الحارث ابن كلدة ، وضماد بن ثعلبة الازدي ، ويروى في هذا الصدد أن أحد الأمراء اضطربت نفس زوجته ، وساءت صحتها ، حتى أصيبت بالفالج وعصى النطق لسانها ، فاستدعى الأمير شيخ أطباء العرب لمعالجتها ، بعد أن عجز الأطباء في بلاده عن ذلك ، وقد تبين الطبيب العربي بعد المعاينة الدقيقة ، أن مرض المرأة نفسي ممكن بالحيلة والايحاء ، فوصف لها دواء ، وعزلها في قصر لوحدها ، واشترط أن يقوم مساعده على العناية بالمرأة المريضة ، فرفض الأمير أول الأمر أن يوافق على هذا الشرط ، الا أنه عاد وقبل عندما تمسك الطبيب العربي برأيه ، أملا في شفاء زوجته

وفي اليوم التالي توجه مساعد الطبيب الى المريضة في القصر ، وأخذ يقوم باعمال التدليك ، فاستهجنت مهمته ، واستجمعت قواها ، واخذت تلطم الشاب ، ثم نهضت مسرعة نحو النافذة ، واخذت تصرخ وتستغيث ، فهب دووها لنجدتها ، وكادوا يفتكون بالمساعد ، لولا ان طلب منهم ارساله الى الامير ، حيث كان الطبيب العربي موجودا ، وهناك كشف الطبيب عن هوية مساعده ، فاذا هي ابنته ، وقال ان ما اقدم عليه كان حيلة نفسية لشفاء الاميرة ، فاكبر الجميع بُعد نظر الطبيب العربي ، وأجزلوا مكافأته

وبعد الاسلام

وبعد ظهور الاسلام ، واصل الاطباء العرب والمسلمون جهودهم في تطوير طب الاغريق في شتى الميادين ، ومن بينها الطب النفسي ، وسجلوا في ذلك انجازات طبية رائعة ، ويرجع ذلك في الدرجة الاولى الى موقف الاسلام ومبادئه من العلم والعلماء ، وحثه على طلب العلم من كافة مصادره ، ونظرته الى الامراض كظاهرة حياتية طبيعية ، ودعوته الى مداواتها والتماس الشفاء منها بالاساليب الطبية العلمية . وقد روى عن الرسول الكريم ﷺ حوالى ثلاثمائة حديث تتعلق بقواعد الصحة العامة ، وبعض الأمراض ، والحث على التداوى طلبا للشفاء ومن هذه الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله تصحوا ، فان لكل داء دواء ، الا الهرم » .

وبالرغم من ان الاطباء العرب والمسلمين اعتمدوا على نظريات الأمزجة والطبائع والاخلاط اليونانية ، التي تقوم على أساس تحقيق التوازن والاعتدال بين وظائف الجسد وقواه من ناحية ، وظروف بيئته الصحية من ناحية أخرى ، الا أنهم توصلوا من خلال مطالعاتهم وأبحاثهم وتجاربهم الى نتائج فاقت تلك التي توصل اليها الاغريق ، بل صححوا بعضها

وتزخر كتب التراث الطبي الاسلامي بالعديد من الفصول والاشارات المتعلقة بالطب النفسي ، ومن

بينها ما أكده اخوان الصفا من « أن لمرض النفوس علاجات وطبا يداوى بها » . بل ان بعض الاطباء المسلمين ألفوا في هذا الفرع من الطب الرسائل والمقالات ، ومن هؤلاء على سبيل المثال وليس الحصر :

على بن ربن الطبرى (ت ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م) :

صاحب كتاب « فردوس الحكمة » في الطب ، وقد اعتبر الأمراض النفسية من آلام الرأس ، وعدّد من بينها « الصرع ، والمرض الكاهني الذي يتكهن صاحبه ، وتظهر له أشياء عجيبة ، والوحشة ، والوسوسة ، والهذيان ، وفساد الخيال والعقل ، والنسيان ، والتوحش في البرارى مع الوحوش ، والسهر ، والسبات ، والدّوي ، والدوار » . ويقول لدى تشخيصه بعض هذه الأمراض : « ان المريض يسمع دويا وطنينا وليس في الهواء دوى ،ويرى بين عينيه شيئا يشبه النار أو الذباب ، ويرى الشيء شيئين ، كما يرى زمارين ولعّابين ، ويحسب نفسه من خزف ، ويخاف ان يمسه شيء فينكسر ، أو يتوهم أنه ابل سرى فيهرب من الناس ، وأن بعض هؤلاء المرضى يصيح مثل الديكة . . . وان كل ذلك يتخيل من علل تحدث في الدماغ . وهو حين يعرض ذلك يذكر أن « العلل قد تكون من أسقام نفسية مثل الحزن والغضب والعشق ، ٠٠. . . . . وان جميع ما يعرض للانسان على وجهين ، اما عارض للجسد ، وأما عارض للنفس ، فعلاج ما يعرض للنفس ، ادخال السرور والأمن عليها ، ونفى الهم والخوف عنها ، بالأحاديث السارة الموافقة للمريض » ، ويروي على بن ربن الطبرى وقائع وأحداثا عن إقدام بعض الرجال والنساء المرضى « على ذبح أنفسهم أو تعليقها من الأشجار عند خوف أو غم ينزل بهم » .

اسحاق بن عمران :

وربما كان الطبيب البغدادي الأصل ، القيرواني المهجر ، اسحاق بن عمران (ت ٢٩٥ هـ/ ٩٠٨ م) من أشهر الأطباء المسلمين الذين تناولوا الأمراض النفسية بالبحث والاستقصاء والمعالجة ، وتصف كتب التراث الطبى الاسلامي رسالته « مقالة في المالينحوليا » بأنها لم يسبق الى مثلها ، وقد اعتبر المالينحوليا أو الاكتئاب مرضا بدنيا له تأثير على صحة الانسان ، ووصف أعراض هذا المرض بشعور المصاب به بالكآبة والوحدة ، والوهم والخوف والحزن والفزع . بالاضافة الى الافكار الخيالية الرهيبة التي تنتاب المريض ، حيث يتصور أن جماعة من الزنوج يريدون قتله ، أو يتوهم أنه بلا رأس ، وأنه يسمع صوتا مثل حرير المياه ، وقرع الرياح وعصفها ، وأصواتا مهولة في أذنه ، وقد يفقد التمييز فيخشى من سقوط السماء على راسه ، ويتجنب السير تحتها ، وأفاد ابن عمران بأن معظم المصابين بهذا المرض يشكون من الأرق ، ووجع الرأس ، مع لمع العينين لدى بعضهم ، وعزوفهم عن الطعام والشراب ، ويعتبر المريض الذي تظهر عليه الأعراض الأخيرة من المرضى الخطرين ، لأنه يصبح شديد النهم والتوثب والهياج والافتراس ، مما جعل الأطباء ومنهم اسحاق بن عمران ، يسمون هذا النوع من الأمراض النفسية « بالماليخوليا السبعى » .

وقد عرض ابن عمران في مقالته معظم الحالات النفسية التي تصيب الرجال والنساء ، وبخاصة عند حدوث صدمات نفسية شديدة ومتوالية ، كما تناول حالات الذهول والاختلاط الفكرى التى تنتاب بعض النساء ، بسبب الحمل المتكرر أو الرضاعة الطائلة . وأوصى بالاستعانة بالعلاج النفسى للمصابين بهذه الأمراض ، عن طريق الكلام الجميل المؤثر ، والمواساة والتنزه ، والاستماع الى الموسيقا ، واللجوء الى الحيل المنطقية ، ويذكر في هذا الصدد أن رجلا أصيب بالماليخوليا على مقربة من القيروان في تونس ، وكان يتوهم بأنه لا رأس له ، « فأثقل ابن عمران رأسه بقلنسوة من رصاص ، وجعلها على رأسه في محل الخوذة ، فحينئذ صح عنده أن له رأسا » .

ولم يكتف اسحاق بن عمران بذلك ، بل وصف أنواعا أخرى من العلاج الطبيعي للمصابين بمثل هذا المرض ، مثل الدلك بالدهونات والاستحمام ، بالاضافة الى تناول الأدوية والعقاقير ، بل ان هذا الطبيب لم يغفل الاشارة بوضوح الى أن مرض المالينخوليا قد يكون مكتسبا ، وقد يكون فطريا ، أي

وراثيا ، حيث تكون للشخص قابلية للاصابة بهذا المرض .

الرازي :

وأما أبو بكر الرازي (ت ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م) فيحتوى كتابه الشهير « الحاوى » في الطب على عدة اشارات عن الأمراض النفسية ، فضلا عن الاشارات المباشرة التي تضمنها كتابه « في الأوهام والحركات والعشق » وتبين له أن سوء الهضم قد يكون نتيجة لأسباب نفسية ، وقال « ان للنفس الشأن الأول فيما بينها وبين البدن من صلة ، ولذلك وجب على طبيب الجسم أن يكون أولا طبيبا للنفس » . وقد أكد الرازي أكثر من مرة على أهمية العامل النفسي في المعالجة وقال « ينبغي على الطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس » . وقد طبق ذلك عمليا عندما عالج الأمير منصور بن نوح الساماني بالعلاج النفسي ، بعد اصابته بمرض مزمن أقعده

ابن سينا:

ويحتل الشيخ الرئيس ابن سينا (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨ م) مكانة مرموقة بين القائلين بنظرية التأثير المتبادل بين النفس والبدن ، وربط بين العوارض والحالات النفسية ، وبين مظاهرها البدنية وتأثيرها الأبعد . واعتبر حالات النبض في هذا الشأن من المؤشرات التي لا تخطىء في الاستدلال على نوع المرض النفسي ، وقال إن هناك أنواعا من الحمى تنشأ عن حالات نفسية .

وحين تناول ابن سينا الأمراض النفسية ، وبخاصة مرض السوداء أو المالينخوليا ، أكد على تمسكه بالمنهج العلمي السليم ، في استقصاء أسباب هذا المرض النفسي ، وقال عبارته المشهورة . « ونحن لا نبالي حيث نتعلم الطب ، ان ذلك (أي سبب المالينخوليا) يقع عن الجن أو لا يقع ، بعد أن نقول انه كان يقع من الجن ، فيقع بأنه يحيل المزاج الى السوداء . فيكون سببه القريب السوداء » . ونبه ابن سينا على العلاقة الوثيقة بين الانفعالات النفسية وبين صحة الجسد ، وقال ان ذلك قد ينتقل الى الأطفال بالرضاعة ، وأوصى « بأن تكون المرضع حسنة الأخلاق محمودتها ، وبطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة ، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك ، فان جميع ذلك يفسد المزاج ، وربما أعدى بالرضاع » ، كما نوه ابن سينا بأهمية تأثير الموسيقا على المرضى جسديا ونفسيا ، وقد وصف في « الرسالة الالواحية » الأدوية التي تفيد في معالجة المالينخوليا ، والربو ، وضيق النفس ، والخفقان ، والأدوية التي تقوى القلب ، وتذهب الوحشة

وأفرد ابن سينا فصلا خاصاً في كتابه القانون في الطب ، للحديث عن حالات العشق ، باعتبارها من الأمراض النفسية التي تؤثر على صحة الانسان ، وبين مدى « طاعة الطبيعة للأوهام النفسانية » .

وهناك العديد من القصص التي تروى عن معالجة ابن سينا للأمراض النفسية بالحكمة والحيل المنطقية ، من ذلك ما كان من اصابة أحد أفراد أسرة بنى بويه بالماليخوليا ، وتوهمه أنه صار بقرة ، وأنه أخذ يصيح كل يوم ويطلب ذبحه ، وامتناعه عن الطعام وتردى صحته ، وقد أوهمه ابن سينا أنه يريد تنفيذ عملية الذبح فيه ، ولكنه أحجم في اللحظة الأخيرة ، مؤكدا عدم جواز ذبح أي بقرة هزيلة ، وأنه لا بد من تسمين البقرة أولا ، ثم ذبحها للافادة من لحمها ، وهنا اقتنع المريض الواهم بذلك ، وأخذ يتناول الطعام والدواء الذي وصفه له ابن سينا ، فيما أخذت صحته تتماثل للشفاء تدريجيا حتى شفى .

هبة الله أبو البركات:

ويحدثنا صاحب طبقات الأطباء أن هبة الله بن على أبو البركات من أهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادى ، اشتهر بالعلوم الطبية ، ومن بينها الطب النفسي ، حتى عرف بأوحد الزمان في مهنته ، وقد عرض عليه في بغداد يوما مريض بالمالينخوليا ،

حار الأطباء في علاجه ، اذ كان يعتقد أن على رأسه دنًا لا يفارقه أبدا ، فكان كلما مشى تجنب المواضع ذات السقوف القصيرة ، ويسير برفق ، ولا يترك أحدا يدنو منه ، حتى لا يميل الدن ، أو يقع عن رأسه ، فعالجه أبو البركات بأن أوعز الى أحد مساعديه أن ينتظر منه اشارة يأخذ هو في محادثة المريض ، وأن يسارع عندها الى حشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض كأنه يريد كسر الدن المزعوم ، وأوصى مساعدا آخر كان قد أعد معه دنا في أعلى السطح ، أن يلقى بالدن بسرعة الى الأرض ، عندما يرى ما فعله المساعد الأول . « فلما عاين المريض ما فعل به ، ورأى الدن المتكسر ، تأوه لكسرهم اياه ، ولم يشك أنه الدن الذي كان على رأسه برعمه ، وأثر فيه الوهم أثراً برىء به من علته تلك » .

أطباء آخرون :

ويضيق المجال عن تتبع جهود باقى الأطباء العرب والمسلمين الذين تطرقوا الى معالجة الأمراض النفسية ، ولكن لا بد من أن نشير الى نخبة أخرى من هؤلاء ، ومن بينهم ابن الحرار أحمد بن ابراهيم (ت ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٥ م) ، صاحب كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم ، وكتاب زاد المسافر وقوت الحاضر ، وكتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم ، وكتاب مداواة النسيان وطرق تقوية الداكرة ، وكتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها ، وهي مؤلفات تزخر بالمعلومات القيمة عن الطب النفسي ، وكذلك الحال بالنسبة لابن بطلان المختار بن عبدون (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) ، الذي اعتبر العوامل النفسية من الأسباب الستة العامة في التأثير على صحة البدن ، وهي الهواء ، والمأكل والمشرب ، والنوم واليقظة ، والاستفراغ والاحتقان ، والحركة والسكون ، والأحداث النفسية . ويتضمن كتاب « الكفاية في الطب » المنسوب لعلي بن رضوان (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) اشارات الى علاقة الوسواس بالتنفس وارتباط النبض بالربو والوسواس والاوجاع السودانية ، والفرح والغم والغضب والخوف والمناخ . ويعتبر الطبيب الاندلسي المعروف عبدالملك بن زهر (ت ٥٥٧ هـ/ ١١٦٢ م) ، من أشهر الأطباء الاندلسيين الذين تطرقوا الى الأمراض النفسية في كتابه « التيسير في المداوة والتدبير » . كما أشار داود بن عمر الانطاكي (ت ١٠٠٨ هـ/ ١٦٠٠ م) الى تأثير العوامل النفسية في صحة الجسم ، وعدد جميع الأنواع المعروفة لمرض المالنخوليا النفسي .

المشافي النفسية :

وتحدثنا المصادر عن وجود مشاف متنوعة في المدن الاسلامية . حيث كانت تفرد فيها عرف وقاعات خاصة بالمصابين بالأمراض النفسية ويروي المقريزي في خططه ، ان احمد بن طولون صاحب مصر كان يزور نزلاء المستشفى أسبوعيا ، كما تذكر وقفية المستشفى النوري بحلب انه كان يخصص لكل مصاب بالأمراض النفسية خادمين ، ينزعان عنه ثيابه كل صباح ، ويحممانه ويلبسانه ثيابا نظيفة ، ويحملانه على أداء الصلاة ، ويسمعانه قراءة القرآن من قارىء حسن الصوت ، ثم يفسحانه في الهواء الطلق ، ويسمعانه الاصوات الجميلة ، والنغمات الموسيقية الطيبة كما كانت المشاق الاسلامية تضم قسما خاصا برعاية المسنين ، كتبت على مدخله الآية الكريمة :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما ، كما ربياني صغيرا » .

ويتضح مما تقدم جانب من الجهود التي بذلها علماء العرب والمسلمين في ميدان الطب النفسي ، ومعالجة الأمراض النفسية التي أصبحت من أمراض العصر الشائعة ، وان كانت نسبتها تظل في المجتمعات الاسلامية أقل منها في المجتمعات الغربية ، ويرجع ذلك الى طبيعة العقيدة الاسلامية نفسها ، وما تكون في شخصية المسلم من ايمان عميق وتوازن قوي وشامل ، وعلاقات وطيدة بين الانسان وخالقه ونفسه ومجتمعه ، ويعتبر ذلك أقوى درع يحصن الانسان ضد الأمراض النفسية ، ويجعله كالطود الراسخ ، يصمد وقت المحن والشدائد ، ويتغذ بالايمان والصبر والثقة على كل الخطوب والأزمات



قضيّة

سقف التجديد

بقلم : شوقي بغدادي

الى أين يمضي التجديد في الفنون ؟ هل يمضي بلا حدود والى ما لا نهاية له ؟

أم أن هناك سقفا ليس في الامكان اختراقه وتجاوزه .. ؟ ..

مقولة التجديد بدهيّة لا يشك فيها أحد كما يبدو ، انها الكلمة التي ترافق مفهوم التطور ، وما دامت الحياة تتطور باستمرار ، فالتجديد حاصل اذن دون انقطاع ، هذه أفكار تبدو كالمسلمات ، ولكن لنتأمل الحياة من حولنا بعمق ، ولنتساءل . ما هي الأشياء التي تطورت فعلا ونشأت عنها حالة جديدة حقا ؟

لا شك أن تطوراً كبيراً قد طرأ على وسائل المواصلات والاعلام ، والعمران ، والأسلحة ، والأدوية ، والطباعة ، واللباس ، والطبخ ، والآلات عامة ، وفي تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، وطرائق استثمار الطبيعة وغيرها من مظاهر الحياة المادية ، ولكن .. ماذا عن الانسان ؟ .

ماذا طرأ على هذا الكائن البشري من تطور حقيقي من حيث احتياجاته البيولوجية ، وغرائزه الأصيلة منذ ثلاثة آلاف عام مثلا ؟ .. ولندع جانبا مسألة التطور الذي حصل عبر الأرقام الكبيرة ، مثل مئات آلاف أو ملايين السنين ، لقد حصل تطور فعلا عبر هذه المدّة الطويلة جدا ، الا أنني أريد حصر البحث في المدى التاريخي القريب نسبيا ، أي في بضعة آلاف من الأعوام ، ماذا طرأ على الانسان من تطور حقيقي في هذه المدة الموثقة والمعروفة .. هل صار أكثر أو أقل احتياجا للأكل والشرب والجنس والنوم والتنفس ، وأشد أو أقل نزوعا للسيطرة والعنف والحب والايثار .

في الانسان والطبيعة

لا بد من الاعتراف هنا أن نوعا من الثبات لا يزال يحكم الانسان ، واذا كان ثمة تطور ، فانه تطور بطيء وخفي للغاية ، ولهذا فهو غير ملحوظ بالمعنى

العلمي الدقيق للكلمة ، صحيح هنا أيضا أن انجازات العلوم الحديثة ، وبخاصة علم الهندسة الوراثية ، والكيمياء الحيوية وغيرها ، مما يتصل بالقدرة على اجراء تغيير فعال في بنية الانسان ، قد أصبح ممكنا مخبريا ، غير أن الانسان لا يزال كظاهرة بشرية متميزة هو نفسه الانسان المعروف منذ آلاف الأعوام حتى الآن على الأقل .

وإذا تأملنا الطبيعة والكون حولنا ، وتساءلنا أيضا ماذا طرأ من تطور ملحوظ على نظام الطبيعة في تعاقب الفصول والمد والجزر والعواصف والبرودة والسخونة ودوران النجوم والكواكب وانتشار الطاقة . . ؟ هنا أيضا لا بد من الاعتراف أننا لسنا واثقين حتى الآن من حدوث تطور ملموس وفعال على المدى القريب ، واذا كان ممكنا حدوث تغير فعال مؤثر في حياتنا البشرية ، فانه لن يحدث قبل مرور آلاف بل ملايين السنين .

في الفن والأدب

من هذه الزاوية ننظر الى عملية التجديد في الفن عامة وفي الأدب خاصة ، فإذا كان الفن بمعناه العام هو تعبير انساني عن نزعة جمالية ، فلابد اذن من التفكير بأن التجديد في الفن ليس مسألة منفصلة عن طبيعة الانسان نفسه ، ككائن بشري لا يزال تركيبه البيولوجي ثابتا ، وغرائزه الأساسية أصيلة ، وآلية التفكير والانفعال عنده واحدة منذ آلاف السنين ، ان الانسان ككائن يتمتع بوعي خاص ، وطموح الى التطور والتجديد أكثر من غيره من الكائنات بما لا يقاس ـ وهذا حقه وامتيازه ـ انه يطمح الى السيطرة على جسده الى درجة تدفعه الى التفكير جديا في الانتقال من مكان الى آخر بسرعة الضوء ، والى السيطرة على الطبيعة الى درجة التفكير في التحكم بنظام الفصول والأمطار والرياح ، وقد ينجح في تحقيق طموحاته هذه أو بعضها على المدى البعيد ، ولكنه عاجز ، مثلا ، عن الانتقال أسرع مما تتيحه له الطائرات ، ومركبات الفضاء المعروفة ، كما هو عاجز عن التحكم بالعواصف والزلازل والبراكين ، ولا يزال أسيرا لجسده وغرائزه وآلية تفكيره الى حد بعيد ، بهذا المعنى فان المناخ الانفعالي الذي يخضع له لا يزال ثابتا ، أو شبه ثابت على الأقل ، وان جميع مظاهر التطور التي تنجم حوله لم تغير في تركيبه الأساسي تغيرا جذريا ، حتى ينجح العلماء في خلق كائن بشري مختلف ، وعندئذ سوف تتغير بالتأكيد كل القيم والعلاقات الاجتماعية ، ولكن الى أن يحصل ذلك فنحن ملزمون أن نأخذ بعين الاعتبار في أية عملية تجديد فنية ، حاجات وغرائز هذا الانسان الموجود أمامنا ، الذي نعبّر له ، وعنه ، في كل ما نبدعه من فنون القول ، والرسم ، والنحت ، والموسيقا ، وغيرها من فنون التعبير الجمالي .

طفرات وصرعات

ومن يتأمل التاريخ البشري في هذا الميدان فلابد أن يلاحظ أنه كانت هناك طفرات كبيرة أحيانا تحدث هنا وهناك ، ثم يتبدد زخمها ، فتنكمش وتتضاءل وتموت ، ثم يعود الانسان الى أدواته الفنية ، وطرائق تعبيره الأولى ، دون أن يقف بالتأكيد عند طاقاتها الأولى تماما ، فيضيف بعض الاجتهادات ، ولكن ليس الى حد مبالغ فيه ، كما حدث في بدايات الطفرة ، والعصر الحديث حافل بهذه الطفرات التي اخترعنا لها اسم « صرعات » كناية عن أنها محاولات تجديد غير أصيلة ، وإنها غير مجدية ، ولم تعش طويلا ، وبالتالي فهي لم تغيّر جذريا في أسلوب الأداء الفني .

ففي الموسيقا مثلا ظهرت منذ سنوات محاولات التأليف من خلال استخدام المؤثرات الصوتية العاد وحدها ، كصوت المطر والريح ، وضجيج السيارات ، وقرع الصحون ، وهدير البحر ، وخر السواقي ، دون استخدام أية آلة موسيقية معروفة

ولكن هذه المحاولة على جرأتها لم يكتب لها البقاء لم تستطع على الأقل إلغاء الآلات الموسيقية ولا المؤلفين الجدد عامة في إلغاء قواعد الايقاع والهار المعروفة ، لقد حصل فيها بعد بالتأكيد نوع من ال في التأليف السمفوني ، ولكنه لم يذهب بعيدا في تلك المحاولات أو (الصرعات) ، وقد يكون بنزوعها العام نحو التجديد والتطور ، غير أنه لم بالمبالغة التي سقطت فيها ، وظل تطوره

مقبولا ، غير منقطع عن المزايا الأساسية لهذا النوع من التأليف الموسيقي .

وفي الشعر ظهرت اتجاهات ومدارس أدبية في ثلاثينيات هذا القرن ، وصلت فيها الرغبة في التحديد الى ابداع نصوص عجيبة ، اعتمدت الشكل الهندسي مثلا ، للمربع أو الدائرة أو لبرج ايفل ، أو الحروف الكبيرة وحدها ، والى جوارها حروف صغيرة ، في تشكيلات بصرية ، معها رسومات يدوية ، أو ملصقات من قصاصات الصحف والمجلات ، وغير ذلك من الصرعات التي ماتت في مهدها ، لقد تأثر الشعر الحديث بهذه الطموحات الجريئة ، وكان لابد له من أن يتطور في مدارس أخرى سريالية أو رمزية ، ولكن الشعراء كما كانوا دائما في النهاية يعودون الى محاريبهم الأساسية ، ولكن ليس عند النقطة التي انتهى عندها أسلافهم ، لقد تقدموا خطوة أو خطوات ، ووسعوا الممر هنا أو هناك ، وتعرجوا ، أو صعدوا ، أو هبطوا ، أقل أو أكثر ، غير أنهم لم يتركوا الطريق الأصلية الى طريق أخرى .

وفي الرواية ظهر ما يسمى بالرواية الجديدة وبالغ بعضهم مثل « ألان روب غرييه » و « ناتالي ساروت » في تبني ما يسمى بالكتابة المضادة المتأثرة بسرعة « التشيّؤ » التي تطغى على الحياة المعاصرة ، وباعتبار أن الأشياء المادية التي يصنعها الانسان صارت أهم من صانعها ، وأن الانسان نفسه يتحول الى « كمّ » أو الى « شيء » كأية سلعة في السوق ، أو كرسي في مقهى ، وأنه يعامل على هذا الأساس ، وراحوا انطلاقا من هذا المفهوم يكتبون رواية بلا أحداث ، أو بتعبير آخر روايات ليس فيها سوى الأشياء توصف ، وتتبادل التأثير ، في معزل عن الانسان الذي يبدو وسطها « كمًّا » مهملا ، وبالغوا في هذا الاتجاه ، الى درجة فقدت فيها الرواية - كنص أدبي متميز - كل ملامح القصّ المعروفة ، ومالت الى التداخل ، والتفتت الزماني والمكاني ، وضياع الملامح والحدث ، مما أوقعها في نوع من الغموض - المقصود بالطبع - المتعب ، ولكن الموجة انحسرت فيما بعد ، وقد لا تكون موجتها قد همدت تماما ، الا أن كتاب القصة والرواية عموما في العالم لم ينجرفوا كلهم في هذا التيار ، وها هي الرواية تعاد سيرتها الأولى في الاعتماد على الحدث ، والحبكة ، والعقدة ، والشخصيات ، وقد تمزج بين الواقع والوهم والاسطورة أحيانا ، كما في رواية « مئة عام من العزلة » لماركيز ، ولكن في اطار من التحديد المعقول والممكن التجاوب معه انسانياً . ومما يلفت النظر في هذا المجال ، الاقبال الحار لجماهير القراء في فرنسا على روايات الكاتبة الفرنسية « كاترين ريهوا » التي يمكن تصنيفها في اطار الرومانسية ، ولكن بشكل انتقادي جديد واع وقادر على استيعاب العالم المعاصر ، دون الدخول في متاهات « الصرعات » والغموض والرموز المعقدة ، هذه الظاهرة لا تفسر الا بأنها نوع من الردة الى صفاء الطبيعة البشرية ، أو حسب ما تقوله الكاتبة نفسها : « يجب رد الاعتبار الى القلب في وجه العقل الجاف والتقنية »

الطيران بلا أجنحة

نعم . التجديد ضرورة حيوية وامتياز بشري ، ولكن دون أن يخترق الانسان سقف طاقاته ككائن بشري ، فيرمي بجسده في الفضاء ، كي يطير كما صنع « ابن فرناس » ذات يوم . . وحين يجيء ذلك اليوم الذي يتحول فيه الجسد الى شعاع ، يمكن عندئذ الحديث عن فنون أخرى غير التي نعرفها ، وطرائق في التعبير مختلفة تماما ، أما قبل ذلك ، فلابد من التواضع قليلا ، كي نقدم لأنفسنا وللبشر فنا متطورا حقا ، ولكن في متناول عقولهم وغرائزهم وأعصابهم وخلاياهم المعروفة حتى الآن . . والا فلابد من أن نسقط على الأرض ، كما يسقط كل المغامرين الحالمين بالطيران ، بجسد لا يزال من لحم ثقيل وعظام متكلسة . . □

■ الضمير أساس الشجاعة الصحيحة ، فاذا أراد الانسان أن يكون شجاعا ، فليطع ضميره (كلارك) .

منتدى العربي

تعقيبات

معجم عصري

يغني لغة العرب بمصطلحات الحضارة الحديثة

قرأت مقالة المفكر العربي المعروف الدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، في العدد رقم ٣٢٩ من مجلة العربي ، بعنوان (ضرورة معجم عصري) . وشدني الى المقالة أمران ·

الأول · أنها تطرح موضوعا في غاية الحيوية بالنسبة للغة العرب التي هي آخر رباط يشد العرب بعضهم لبعض .

الثاني : أن الطرح يأتي على صفحات مجلة العربي التي يتفق الجميع على رصانتها ونبل قصدها ، فلا يحمل الطرح تأويلات سياسية تخدم فريقا على حساب فريق آخر من فرقاء العرب المتناحرين من مشرق الوطن حتى أقصى مغربه .

جذور المشكلة :

بديهي أن يزخر عصرنا الحاضر ، بسيل من المصطلحات الجديدة ، فكل يوم تستحدث آلة جديدة ، ويكتشف عنصر جديد ، وتوضع نظرية جديدة ، وهذه المستجدات لا بد لها من مسميات .

المشكلة قائمة في كل اللغات ، مع فارق واضح ، هو أن الأمم الأخرى تواجه المشكلة بحلول ملائمة مدروسة ، بينما نتركها نحن تكبر وتستفحل .

للمشكلة عندنا جذور وأسباب أهمها :

١ ـ قصور التعليم الجامعي والفني : فمن المفروض أن يكون هذا التعليم باللغة العربية ، وأن يستوعب كافة المصطلحات الحديثة ، ويسبق الى نشرها وسائل الدعاية الصناعية ولكن للأسف ما زال الكثير من جامعاتنا ومعاهدنا التقنية يدرس بعض العلوم باللغات الأجنبية ، بحجة عجز اللغة العربية عن استيعاب المفاهيم الجديدة ، يضاف الى ذلك تخلف هذه الجامعات عن مواكبة مسيرة التقدم العلمي ، وعدم ادخال المصطلحات الجديدة في مناهجها في الوقت المناسب

٢ ـ انعدام البحث العلمي ، وعدم ربطه بالصناعة ، وتقوقعه ضمن حدود ضيقة .

٣ ـ ضعف حركة التأليف والترجمة والنشر : خصوصاً بالنسبة للكتب العلمية ، فلا توجد مؤسسات جادة تقوم بالترجمة بشكل علمي مدروس .

٤ ـ انخفاض مستوى المجلات العلمية المتخصصة التي تكتب موادها باللغة العربية ومحدودية انتشارها ، وفوضى استخدام المصطلحات العلمية لديها ، فهي مجلات دعاية للمؤسسات التي تصدر عنها ، أكثر منها مجلات بحث أو نشر علمي ، والمجلات الثقافية واسعة الانتشار نادرا ما تخصص زوايا ثابتة للمواضيع العلمية .

٥ ـ عدم فعالية المجامع العلمية العربية ، رغم وجودها كأشكال هيكلية في معظم الدول العربية ، فلا حركة في هذه المجامع ولا حيوية ، مع أن في

بعضها من الكفاءات ما لو استخدمت لقدمت حدمات حلّ في هدا المجال .

ليست فكرة معجم للمصطلحات الحديثة وليدة الساعة ، وذلك ما يدركه الدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، ربما وبتفصيل أكثر مما أعرف وأذكر محاولة بدأت في ١٩٧٠ تبنتها حامعة الدول العربية ، ولقد حضرت جانبا من اجتماعاتها في المحلس الأعلى للعلوم في القطر السوري ، وأعتقد أن بعض الكراسات قد طبعت على الألة الكاتبة على الأقل

ومع أن البدايات لم تكن جادة كثيرا الا أنه كان مهما لو استمرت .

في لسان حاول العلامة الدكتور عبد الله العلايلي ـ طيب الله ثـراه ـ وضع معجم يفي بالمطلوب ، وصدرت عدة أجزاء من هذا المعجم ، ورغم سعة اطلاعه وحماسه للغة قومه ، فلقد أدركته المنية قبل بلوغ الغاية .

في عام ١٩٨٤ جمعتنا ندوة عن أصل النفط العربي وطرق هجرته ، في مقر منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط في الكويت ، وأثير موضوع المصطلحات ، وضرورة تقديم أوراق البحث القطرية ، بلغة واحدة وهي اللغة العربية ، بدلا من الانكليزية والفرنسية ، وقد أشار الأمين العام للمنظمة الدكتور علي عتيقة الى أن هناك محاولة من المنظمة لوضع معجم للمصطلحات النفطية باللغة العربية

هناك منظمات أخرى تابعة للجامعة العربية مثل منظمة الحديد والفوسفات والاسمنت والزراعة والثقافة والعلوم وغيرها . . لا بد أنها تشعر بالحاجة لهذا المعجم ، ولها محاولات أو بدايات في طريق انجاز مثل هذا المشروع

اريد أن أقول ان هناك شعورا عاما بالحاجة الى هذا المعجم ، وهذه الحاجة ولدت محاولات منفردة ربما غير مدروسة ، كما أنه لم ترصد لها الامكانيات الضرورية .

ان دراسة هذه المحاولات ، وتجميع بعض المواد التي انجزتها عن طريق هيئة عربية متفرغة ومتخصصة ، يشكل الانطلاقة الضرورية في هذا المشروع الحيوي العام

ان اصدار معجم عصري ، على أهميته لا ينهي المشكلة ، فمفردات الحضارة تتكاثر باستمرار ، فلا بد والحالة هذه من مؤسسة لها صفة الاستمرارية ، تتولى اصدار طبعات جديدة تستوعب مستحدثات هذه المفردات ، وتنقح القديم ، وترصد مدى تقبل الذوق العربي لهذا الوافد الجديد من المفردات

المؤسسة هذه لها صفة التنسيق والاشراف والاخراج ، أما وضع المصطلحات فمهمة الأخصائيين واللغويين في المؤسسات العربية المتعددة ، اذ يصعب على معهد عربي مهما كان عدد ومستوى العاملين فيه أن يحيط بمصطلحات الحضارة الحديثة .

اتصور أن يكون للاتحادات المهنية في كل قطر دور في وضع هذه المصطلحات ، فاتحادات المهندسين والأطباء ، والعمال ، ومنظمات النفط والزراعة والبريد ، والصناعات المختلفة وغيرها معنية من خلال نشاطاتها الثقافية بالموضوع

●

وسيكتشف المنقبون في كتب العرب القديمة ثروة من المفردات تفوق ما هو موجود في اللغات العالمية الأخرى ، وسيجد علماء اللغة ونحاتو الاشتقاقات كم هي لغتهم طيِّعة ، وأن فيها من المقاطع السابقة واللاحقة ما يؤهلها لأن تستوعب كل مصطلحات الحضارة

وتبقى ملاحظة لا بد منها ، وهي أنه لا يعيب اللغة أن تؤخذ بعض المصطلحات بكاملها ، وتكتب بالحروف العربية ، فهذه الحالة شائعة في كل اللغات المعاصرة ، ففي لغة العرب القديمة كثير من الكلمات الأعجمية الأصل ، وفي اللغات الأجنبية الحديثة مفردات عديدة أجنبية الأصل ، وهناك معاجم لبعض اللغات تحدد الكلمات الأجنبية فيها .

تلك مقترحات عريضة في مشروع حيوي كبير ، وأرجو أن تسهم في وضع بعض اللبنات في أساسه ، كما اتمنى أن لا تكون دعوة الدكتور اسماعيل صبري عبد الله صيحة في واد يردد صداها لفترة قصيرة ، ثم تخمد امواجها ويلفها النسيان .

الدكتور المهندس محمد محفوض
دمشق / وزارة النفط والثروة المعدنية

يقول لنا تاريخ هذا الشاعر أن احوته تقاعسوا عن أخذ ثأر أبيه ، بل انهم لم يكتفوا بالقعود عن هذه العادة المعروفة فى تلك العصور ، التى تعيّر من لم يجر عليها ، فقد أخذوا ديّة والدهم من قاتليه . وتقاسموها فيما بينهم ، وانهم باعوا فرسه وتقاسموا ثمنه أيضا ، وكان شاعرنا طفلا صغيرا حين وقعت هذه الأحداث ، فلما شب عن الطوق ، عرف ذلك فامتلأت نفسه بالغضب على إخوته ، فأنشد قصيدة تعبر عن حزنه وألمه ، ذلك أن شاعرنا يرى بأن غاية الحياة تتعدى هموم المعيشة ، الى معنى الكرامة التى لا سعادة للاحرار والأباة بدونها ، واعتقد أن كل مثقف حر يتمنى لو أن هذه الفكرة امترحت فى نفوس معظم الأدباء المعاصرين ، لتكون مرعهم فيما يصدر عنهم من آثار ، حتى لو كلفهم ذلك ما يكلفهم من حرمان ، وسأختار من قصيدة هذا الشاعر بعضا منها ، ثم أبين ما أراه من أن الاثار التى لا تفقد الا قليلا من قوتها ، حين تترحم من لغة الى لغة أخرى ، هى تلك الأثار الوجدانية كما أشرت فى أول هذه القصيدة ، يقول الشاعر :-

أبلغ أبا حمران أن عشيرتى
ناجوا ، وللقوم المناجين التّوى
ولقد علمت على تجشمى الردى
أن الحصون الخيل ، لا قدرُ القرى
راحوا بصائرهم على اكتافهم
وبصيرتى يعدو بها عتد وأى
مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا
ياليتنى فى القوم ، اذ مسحوا اللحى

والمعنى الاجمالى لهذه الأبيات أن شاعرنا يخاطب أباه القتيل فى مستهل قصيدته بان اخوته لخمولهم ، وذلهم ، لا يجلسون مع الناس ، وانما انفردوا متهامسين فيما بينهم ، وانهم موتى ، وان كانوا أحياء ، بسبب تهالكهم على لذائذ هذه الحياة ، وأن الحياة ، علمته بعد تجربة طويلة بأن القوة هى التى تحمى الانسان عن الردى ، وان الذى يعتقد بأن التجاءه الى منزله بين أهله يبعد عن الموت مخطىء كل الخطأ ، فللانسان أجله ، المحتوم ، فشاعرنا عاش قبل الاسلام ، ولكنه مع ذلك أدرك بثاقب عقله وبفرط ذكائه هذا المعنى الواقعى العظيم ،الذي عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة ، التى تقول « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » النساء / ٧٨ . على أن شاعرنا لم يكتف بهذا ، انما أخذ يعبر عمّا يجده فى نفسه من لوعة لا تفارق نفسه ، لأنه يشعر بان مجتمعه ينظر اليه والى اخوته نظرة من تخلف عن عرته ، فقال مستعيرا لفظة اصبح تداولها غير معروف الا عند المتخصصين فى اللغة العربية ، فان البصيرة تعنى قوة الادراك والفطنة لدى فهم الكثيرين ، اما ما عناه الشاعر فانها تعنى قطعة الدم ، فشاعرنا يقول ان اخوته حملوا دم والدهم على اكتافهم غير مبالين بما فقدوه من عزتهم ، أما الشاعر فانه جعل دم والده على رقبة فرسه ليأخذ بثأر أبيه ، وهكذا أخذ الشاعر يتفنن فى تصوير جبن اخوته ، حيث أنهم كانوا يمسحون لحاهم تعبيرا عن رخاء البال ، والميل الى الاستسلام ، وتمنى أن يكون معهم حين جلسوا يمسحون لحاهم ليرغمهم على الابتعاد عن هذا الخنوع والخضوع

ما يمكن ترجمته

اذا ترجم مثل هذا الأثر الادبى الرصين من لغة الى لغة أخرى ، فان فهمه يعز على الذين لم تمتزج الثقافة العربية قبل الاسلام فى نفوسهم ، لكن هناك شعرا جاهليا يمكننا أن نترجمه من لغتنا العربية الى الفرنسية أو الانجليزية ، أو أي لغة أجنبية أخرى ، ونحن متأكدون أنهم سيتذوقونه ويعجبون به ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، اختار منها بعض ابيات لعدى بن زيد العبادى ، وهى التى يستهلها بقوله :-

بكر العاذلون ، فى وضح الصُّبْح ، يقولون لى : أما تستفيق ؟
ويلومون فيك ، يا ابنة عبد الله ، والقلب عندكم موثوق .
لست أدرى ، إذْ أكثروا العذل فيها ، أعدوٌ يلومنى أم صديق
ودعوا بالصبوح يوما ، فجاءت قينة فى يمينها إبريق .
قدمته على عقارٍ كعين الديك ، صفّى سلافها الراووق .

اذا ترجمت هذه القطعة بصورة دقيقة من اللغة العربية الى لغة أخرى ، فان من المؤكد أن قارئها

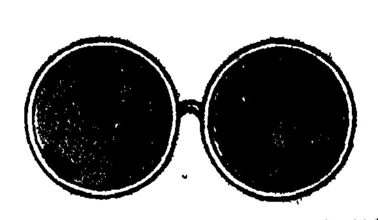
الأجنبى سيتذوقها ويستمتع بها ، لأن ناظمها رسم صورة وجدانية واضحة ، يمكن لكل صاحب دوق سليم أن يتصورها ، فان مثل هذه الصورة ، صورة فنية يصدق عليها مايقال عن الفن بأن لغته لغة عالمية

والأدب المعاصر

وما قلناه أيضا عن الشعر القديم ينطبق على الشعر المعاصر ، من حيث تذوق الأمم الأجنبية له واستمتاعهم به ، وهو ينطبق أيضا على الشعر الأجنبى الذى ينقل الى اللغة العربية ، ولعل خير مثال على ما ذكرت ، هذه الأبيات القليلة التى نظمتها « سافو » ، الاغريقية المشهورة التى قيل عنها بأنها أعظم شعراء الشعر الغنائي ، وقد وضعها « ديبيريوس الهاليكارناس » على رأس قائمة شعراء هذا اللون من الشعر نجد بعض اثار هذه الشاعرة العظيمة من اللون الذى يصعب تذوقه والاستمتاع به بالنسبة للقارىء العربى .

بل أكاد اعتقد أن صعوبة الاستمتاع تحدث لكل فرد لم يتعمق فى الثقافة الاغريقية، تقول سافو . « ان أقدام البواب يبلغ طولها سبعة أذرع ، ونعاله مصنوعة من جلد خمسة من الحيوان ، واشتغل بها عشرة من صانعى النعال » وتقول أيضا « إن السقف يجب أن يرفع ، ارفعوا السقف عاليا ، مرحبا باله الزواج ، ارفعوها عاليا أيها العمال المهرة مرحبا بإله الزواج » ، فالعريس قادم كأنه آريس . مرحبا بإله الزواج ، وهو أطول رجل ، مرحبا باله الزواج ،غير أن الدكتور ابراهيم سكر الذى ترجم لهذه الشاعرة ، قد أوضح لقارئه ما يرمز اليه هذا الشعر من سخرية ، وبالرغم من ذلك كله فانى أتصور أن الاستمتاع به ، ليس كما ينبغى بالنسبة للقارىء العربى ، ولعلى لست فى حاجة الى الاطالة فى ذكر الأمثلة من الآثار العربية والأجنبية التى تستوحى مادتها من ثقافة الشاعر ، كذلك لا أبعد عن الصواب فيما أظن اذا شملت بهذا الحكم الآثار القصصية التى يستقى كاتبها من ثقافة أمته وتقاليدها المألوفة لدى تلك الأمة ، والتى تعد من خصوصياتها ، وزيادة فى التوضيح يمكن أن نتبين ذلك فى آثار الشهيد غسان كنفانى ، ذلك القصصى المتمكن الذى يستوحى معظم آثاره من المأساة الفلسطينية ، فانها لا تفهم حق الفهم الا لمن وقف على هذه المأساة بصورة مفصلة ، بمعنى أنه لا بد له من أن يتمثل ما عاناه ويعانيه شعبنا فى فلسطين ، من شدة قسوة الصهيونيين ، واتخاذهم كل وسيلة غير انسانية لاكراه المواطنين الفلسطينيين على الابتعاد عن أرضهم وديارهم ، كما على القارىء الأجنبى أن يقف على تعلق هذا الشعب بأرضه ودياره ، فالقصة التى نشرها غسان بعنوان (رجال فى الشمس) رسم فيها توجه عدد قليل من الفلسطينيين الى بعض البلدان العربية بصورة غير مشروعة ، وكانت الوسيلة التى اتخذوها لاختفائهم عن رجال الحدود ، هى خزان الماء الفارغ الذى تحمله سياراتهم ، وقد تأخر سائق السيارة فى مركز الجمارك على الحدود ، فاشتدت أزمة الرجال داخل الخزان ، وعندما يتابع السائق سيره ويصل الى مكان بعيد عن رجال الجمارك ، فانه يفتح الغطاء كى يطمئن على الرجال داخل الخزان ، الا انه يجدهم قد فارقوا الحياة ، مثل هذه القصة التى أوجزناها ايجازا شديدا لا تتضح أبعادها الا لمن يعرف ان اجتياز الحدود بين البلاد العربية تكتنفه مصاعب كمصاعب الصعود على قمة افريست ، وان أولئك المشردين مضطرون الى الهجرة سعيا وراء لقمة العيش لعائلاتهم ، وقد اخترت آثار الفلسطينيين لأنها فى تصور الكثيرين منا بينة لا تحتاج الى ايضاح ، ولكننى مع هذا اعتقد أن كثيرا من الأجانب يحتاجون الى من يبين لهم عناصر هذه المأساة الانسانية ، فما رأيك فى الآثار الأدبية من شعر ونثر ، تلك التى تستوحى مادتها من أوضاع عربية ، ربما لا يعرفها العربى البعيد عن تلك البلاد ، وفى تصورى أنى لست فى حاجة الى الاستشهاد بأمثال شعرية أو قصصية لتأييد ما ذهبت اليه ، لأن ذلك واضح للقراء ، وما ذكرته من أمثلة فيه الكفاية والوضوح .

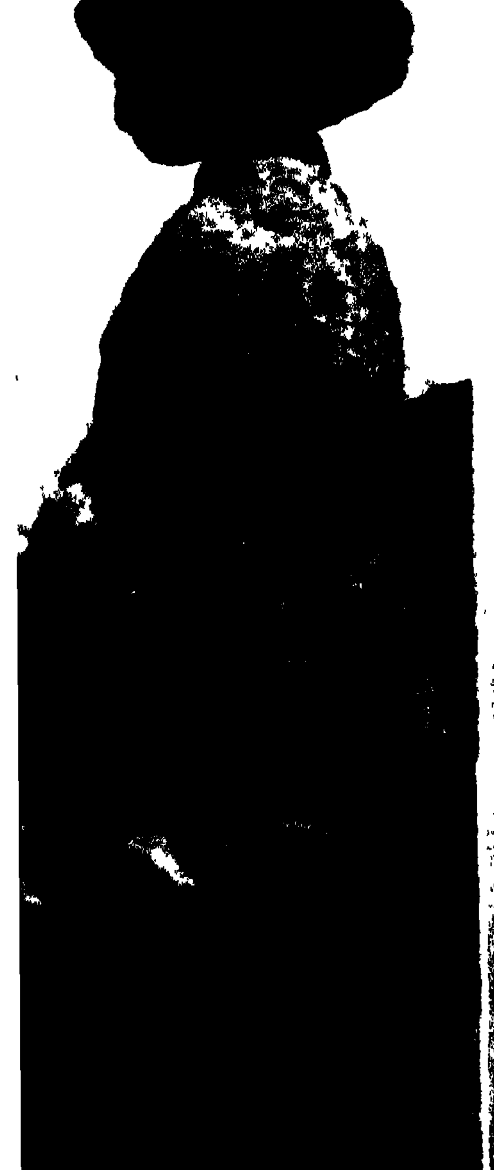
بقى أن أقول بان على المترجمين للآثار الأدبية بأن يراعوا هذه الناحية التى حاولت توضيحها ، أما اذا أرادوا أن يترجموا ديوانا متكاملا من الشعر ، فان عليهم أن يوضحوا ما فيه من رموز وايماءات ، لتكون الفائدة من ترجمتهم أشمل وأنفع ، وبالجملة فان الترجمة الأدبية لا تؤدى رسالتها ، الا اذا قام بها أديب متمكن من اللغة التى يترجم منها والتى يترجم اليها . □



العربي
عيونك
على العالم

الأناضول متحف لكل العصور

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر



هل هي مداخن جن.. أم رؤوس حوريات.. أم شياطين شعر من وادي عبقر.. إنها المداخل التركية للمدن والقلاع المنحوتة في



قلب الأناضول . . قلب نابض بالحياة . . لا يعرف الجمود . . ولا يطيق الحزن . يضحك . . يغني . . يرقص . . يضرب الدف . . يعزف على البزق . . يستعذب اللحن . . يفلسف كل شيء . . يمزج السخرية بالحكمة . . والهزل بالجد . . تماما كما فعل نصر الدين خوجا . . جحا التركي.. حين عاش يبعث البسمة. . ويجتذب الضحكة . . من قلب الأناضول . . .

بقدر ما شهد هذا القلب من ألوان الحياة ، مع توالي الحضارات ، وتعاقب الشعوب ، وتعدد الثقافات . . بقدر ما نهل واستوعب وارتوى من كل جديد فمزجه بقديمه . . واستلهم مصادر حياته الجديدة من مختلف الآثار والأشكال والصور واللوحات التي احتلت مكانها المميز في الميراث الثقافي التركي .

وما أكثر الأحداث التي مرت بشعوب الأناضول على مدى آلاف السنين ، وهل كان يمكن لشعب عرف أساطير الاغريق والرومان ، وعاش بطولات الأوغوز وتركستان ، وسمع حكايات خوجا وارجانكون . . أن يعيش بعيدا عن كل هذه الأحداث ، فلا يخلدها في آدابه وأشعاره . . ولا يحيي ذكرها في موسيقاه وغنائه ، ولا يتمثلها في عروضه ومسارحه ؟

لقد كان ذلك ما حدث . . حين نظمت شعوب الاناضول أجمل المهرجانات إحياء لذكرى احداث الأساطير . . وشملت احتفالاتها ألوان الموسيقا والأغاني والرقصات الشعبية والأشعار . وفي قونيه - موضع القلب من الأناضول - قبل أكثر من ثمانمائة سنة ، وجدت فرقة مسرحية تقدم استعراضات الاتراك السلاجقة ، بل لقد قدموا الشعر الصوفي نفسه على نغمات الناي ورقصات الدراويش لتتحول فيما بعد الى عروض لفنون الباليه . . !

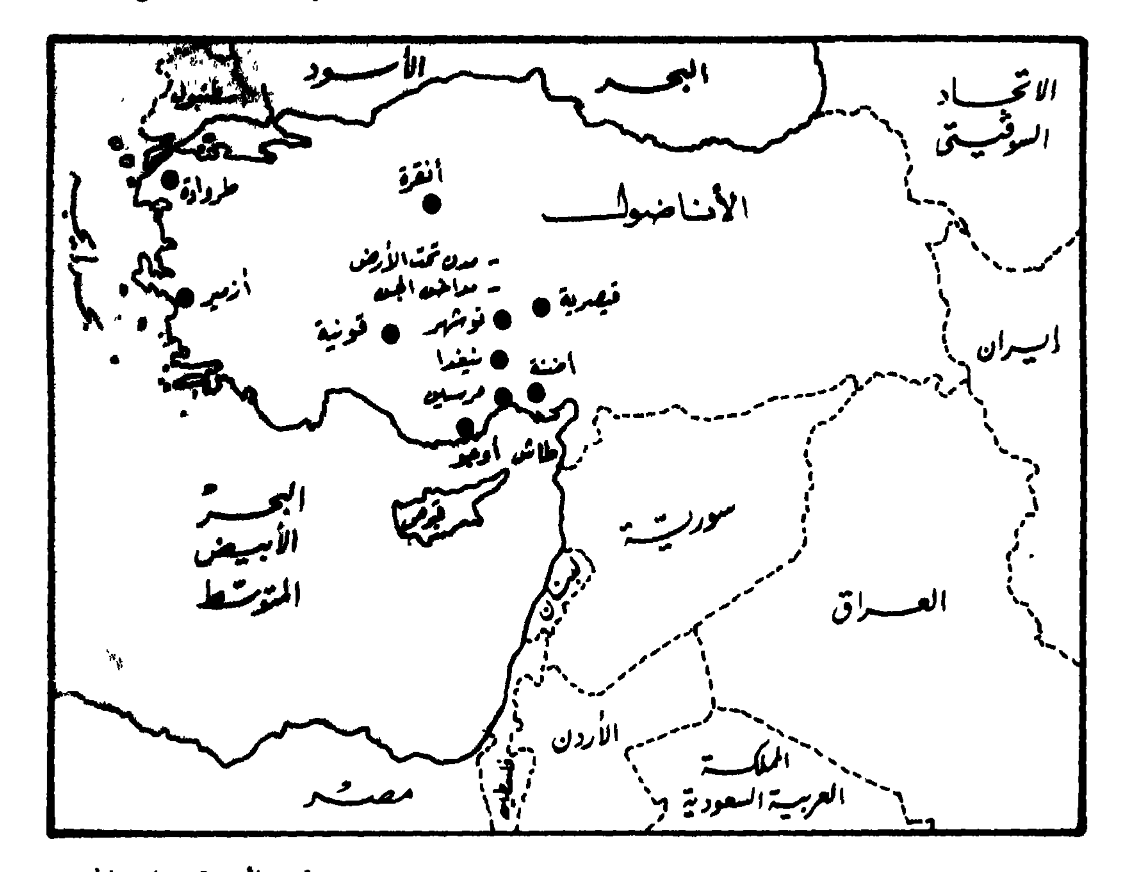
والذين يتصورون أن تركيا هي ما يرونه ويشاهدونه في استانبول ، يبتعدون كثيرا عن الحقيقة .

فتركيا ليست هي تلك المدينة القابعة على مداخل البسفور ، ولا هي توب كابي ، أو أياصوفيا ، أو مسجد السليمانيه ، ولا هي ضولمة باجي أو جسر جلطه . . ان كل ذلك ليس سوى قطرة في بحر الجمهورية التركية المترامية الأطراف ، التي لا تمثل استانبول منها سوى رأس حربة يطل من تراقيا الأوروبية ، بينما الجسد كله ، والقلب ، والحياة ، والشعب ، هو ذلك الذي يعيش في الأناضول . . شبه الجزيرة الشاسعة الاطراف التي تمثل من الجمهورية التركية ٩٧٪ من مساحة الدولة التي تبلغ ٧٨٠ ألف كيلومتر مربع ، ويعيش على أديمها أكثر من ٤٥ مليون نسمة من بين حوالي خمسين مليون من السكان .

والذين يزورون استانبول أو يقرأون عنها ويخطر لهم ان هذه هي تركيا . . هؤلاء لم يعرفوا من الحقيقة سوى نفس النسبة التي تمثلها هذه المدينة التي ابتلعتها الدولة العثمانية من البيزنطيين ، حين أحاطت جيوش السلطان محمد الفاتح بأسوارها ، واستطاع في النهاية أن يستولي عليها ويقضي على القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، التي كانت تنافس الامبراطورية الرومانية ، ثم ظلت تتقلص حتى أصبحت لا تتجاوز مدينة يجلس على عرشها الامبراطور المهزوم !

شعب يعيش الحياة

الأناضول إذن هي الصورة الحقيقية لتركيا والشعب الحقيقي هو هؤلاء الفلاحون والرعاة والمكافحون الذين يعيشون في النجاد وعلى الهضاب ، ويزرعون السهول والوديان ، ويرعون الماشية والقطعان ، ويمارسون الحياة ببساطة وقناعة ورضا ، ويطحنون القمح بالرحى ، ويأكلون « الغلمية » بالكمون على فوح رائحة الخبز في التنور ، ويصنعون جرارهم وأوانيهم من الطين والفخار ، ويملأون الجرار بمياه الينابيع والآبار ، وينسجون الثياب



خريطة الجمهورية التركية والأناضول وفي القلب منه إقليم قونية ونوشهر حيث المدن تحت الأرضية ومداخن الجن .

ويغزلون الكليم والسجاد من القطن والصوف لمواجهة ثلوج الجبال وبرودة الشتاء .. إنهم هم أنفسهم الذين حفروا المدن تحت الأرض وتعاملوا مع كتل الصخر ونحتوا فيها البيوت والقلاع ، وحفروا مداخن الجن في تجويفات الطبيعة ، وجعلوا منها بيوتا ومخازن وأقبية ودور عبادة وصوامع وأبراجا للحمام ونواطير للكروم ، وقلبوا مقاييس الهندسة التقليدية من غير تخطيط ولا تصميم .

هؤلاء هم شعب الأناضول الحقيقي كما شهدناه وعشنا معه في المزارع والحقول والمراعي والوديان ومداخن الجن والبيوت المحفورة في الصخور . . .

شعب يشتغل ٦٥٪ من قواه العاملة بالزراعة والغابات والصيد ، في أرض زراعية تبلغ حوالي ثلث المساحة الكلية للبلاد ، وتكفي حاجتها من المواد الغذائية باستثناء القمح ، وتصدر القطن والتبغ والفواكه من عنب وتين وزيتون وجوز ، مع منتجات الغابات . والثروة الحيوانية التي يربونها على المراعي الطبيعية في هضبة الأناضول تمثل نحو ٣٠٪ من مجموع قيمة الانتاج الزراعي .. بينما يعمل نفس الشعب في استخراج كميات كبيرة من معادن البوكسايت والفحم والكروم والنحاس والحديد والمنجنيز والكبريت ، كما يلبي انتاج البترول حوالي نصف حاجات البلاد . . .

على طريق الاعتراف بلغة القرآن

ولكن .. ما أصعب أن تتعامل مع كل هؤلاء من خلال لغة الاشارة .. اللغة العالمية التي لابد منها .. بينما تعرف أن الذين تتعامل معهم هم سكان بلد اسلامي .. كان لأكثر من خمسة قرون قلب الخلافة الذي يدين له بالتبعية كل المتكلمين بلغة الضاد .. لغة العروبة والقرآن . . .

وتجد نفسك غريبا حين لا تجد أحدا يستطيع أن يبادلك الحديث باللغة العربية ..

أليس هذا غريبا حقا ..؟ أن تكون لغة القرآن هي اللغة غير المعترف بها في كل مكان في تركيا ..!؟

وماذا تفعل ..؟ إنك في دولة إسلامية حقا .. ولكنها دولة ألغيت فيها اللغة العربية .. لغة



تركي ما زال يحتفظ بطربوشه ، ولكن للسياحة فقط بعد أن ألغي الطربوش

إنها الحياة الحقيقية في قلب الأناضول ... فلاحون وشباب وصوف ونساء وحجاب يؤكد التمسك بمعالم الاسلام



العراق ... بأمر وقانون ... ولا يجرؤ تاجر على كتابة لافتة محله بحرف عربي ... ولو فعل فلن يجد له مكانا إلا وراء القضبان !!

ولكن الذي يبعث على العزاء هو أنهم جلهم مع ذلك مسلمون ... تسعة وتسعون في المائة من السكان يدينون بالاسلام ... وبعد أن مرت فترة معينة - هي بدايات التحول الى العلمانية . شهدت فيها المساجد انحسارا في عدد المصلين من الشباب الذين يصلون فيها ، ولم يكن يؤمها إلا الكبار والمسنون ... أصبحت المساجد اليوم تشهد زحاما كبيرا من الشباب ، حتى أننا فوجئنا عند صلاة الجمعة بأن المساجد رغم كثرتها تمتلىء بالمصلين حتى لتمتد الصفوف الى خارج الأبواب ... وكما قال لنا أحدهم . إن الشباب في المساجد هم الأغلبية ، ولا توجد معوقات لأي نشاط ديني إسلامي ، مادام هذا النشاط بعيدا على الخوض في الأمور السياسية ... ولا شك أن هناك تحولا في الاتجاه السليم ولم يعد من

المتصور أن تحدث مفاجآت . . بل ان هناك حاجة الى إنشاء المزيد من المساجد الجديدة لأن الموجود منها لم يعد يكفي . .

قال لنا الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو مدير مركز التاريخ والثقافة الاسلامية عندما التقينا به أن الاتجاه الاسلامي في تركيا يزداد قوة . . قوته لا تعني أن هناك تحولا في سياسات معينة ، أو تغيرا في طابع المجتمع التركي . . وإنما قوة الاتجاه الاسلامي تعني الرجوع الى الجذور وتعني وضوح كثير من المفاهيم التي اختلطت في ذهن الفرد التركي ، واذا صح التعبير ، في ذهن المجتمع التركي . هناك كثير من المفاهيم الخاصة بالتحديث والعلمانية وعلاقة الفرد بالمجتمع وموقع الدين في داخل المجتمع وعلاقة الدولة بالدين . . كل هذه الامور عادت في الفترة الاخيرة تتخذ موقفا واضحا ، بل أستطيع أن أقول ان ذلك الاختلاط في ذهن التركي المسلم قد انقشع الآن .

ثم هناك عامل آخر وهو انتشار المدارس الاسلامية ومكاتب تعليم الدين في المدن والقرى ، حتى أن تدريس الدين الاسلامي أصبح إجباريا في المدارس ، حيث أدخل نص في دستور ١٩٨٢ بأن يكون التعليم الديني إجباريا في المرحلتين الابتدائية والثانوية بعد أن كان اختياريا . أما اللغة العربية مع التحول الجديد ، فقد أصبحت إحدى اللغات التي يستطيع الانسان ان يختارها ، وإن واجه ذلك مشاكل محدودة لعدم وجود العدد الكافي من المدرسين .

ولكن الذي يبعث على الأمل هو ذلك المشروع الذي طرحه وزير التعليم التركي وهبي دينسرلر لتعليم اللغة العربية في المدارس التركية بصورة اختيارية ، وخاصة حين أعلن موقفه قائلا : « سأنتصر في هذه المعركة بفضل الله » .

وقد أوردت الصحف التركية هذا التضرع الى الله الذي يربط بين الدين واللغة . ويقول المؤيدون لهذا الاتجاه ان الهدف منه هو تسهيل العلاقات مع الأقطار العربية ، التي انفتحت تركيا عليها انفتاحا واسعا في المجالين السياسي والاقتصادي منذ أن تولى تورجيت أوزال الحكم في ديسمبر من عام ١٩٨٣ .

وبذلك تشهد تركيا معركة جديدة حول عنصرين أساسيين هما اللغة العربية والدين الاسلامي . وقد برزت المسألة اللغوية الدينية دائما في معظم الأزمات السياسية التي شهدتها الجمهورية منذ تأسيسها قبل ستين عاما بعد العمل على عدم الارتباط بالاسلام واللغة العربية ، وفرض السيادة للغة التركية فيما سمي بالتتريك في جميع ميادين الحياة . وساهم استخدام الأبجدية اللاتينية عام ١٩٢٨ في تقهقر اللغة العربية ، وأدت الضربات التي تلقتها هذه اللغة مثل الغاء الاذان بالعربية عام ١٩٣٣ إلى إبعاد أصول الدين عن اللغة التركية . وعندما أعيد الأذان باللغة العربية في عام ١٩٥٠ ، بدأ الاتجاه لتبني وجهات النظر التي تنادي بالاهتمام بالعودة الى تعليم اللغة العربية ، وبخاصة بعد أن أقدمت الحكومة الجديدة على حل جمعية اللغة التركية التي أنشئت قبل ستين عاما والتي كانت تتولى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والأجنبية وأنشأت بدلا منها جهازا تابعا للدولة . وقد قال لنا مدير سابق لجمعية اللغة التركية : « لم يكن مصادفة أن يعاد تعليم اللغة العربية الآن بحجة تحسين العلاقات مع الدول العربية ، فذلك يندرج في خطة للبعث العام للاسلام » .

ذلك البعث الجديد هو ما أحسسنا به ونحن نأخذ طريقنا في قلب الأناضول . . حيث تحس وأنت بعيد عن المدن الرئيسية ان الشعب في الاناضول يمارس حياته الطبيعية متمسكا بكل الأصول القديمة التي شهدها خلال مراحل التغير الحضاري منذ عهد طويل قبل دخول الاسلام الى ارض الاناضول وحتى فترة الامبراطورية العثمانية . وهي تلك الفترة الطويلة التي جعلت من الأناضول متحفا لكل العصور ، وحيث تزخر الأرض بآثار حضارات ٦٥ دولة تأسست على هضبة الاناضول طوال سبعة آلاف سنة . . .

من عهد نوح

بين هذه الحضارات التي تواجدت بين عامي ٥٠٠٠ قبل الميلاد و ٤٧٦ ميلادية ، حضارات عصور ما قبل التاريخ ، والعصور الأولى من العصر الحجري ، والعصر النحاسي ، وعصر السبائك وعصر الحديد . وشهدت الاناضول حكم امبراطوريات أشور وميتاني وهلنستك وبورصة والاسكندر والرومان . . وتأسست عليها دول المدن الاثنى عشرة ، والحيثيين والحوريين والاورارت والفريجيين والليديين . . كما قامت دول برجامون وبيتسيا وكبادوكيا وسلوكوس وبونتوس وكوماكينا . .



الصغار رمز استمرار الحياة على حافة المدن المحصورة تحت الارض انهم عماد المستقبل الجديد

كل ذلك حتى العصور الوسطى حين تأسست الدولة البيزنطية ودولة الروم البونتيين والحمدانيين والمروانيين وسلاحقة الروم وما تبعها من امارات ودويلات انتهت بقيام دولة العثمانيين التي حلت محلها الجمهورية التركية الحديثة . والتي حولت عاصمتها الى أنقرة . في قلب الأناضول .

هكذا تبدو ساحة الأناضول بحدا حليا بالغ الاتساع يشكل شبه جزيرة طولها ١٦٠٠ كيلو متر وعرضها ٦٤٠ كيلو مترا .. يحيط بها من الشرق والجنوب الاتحاد السوفييتي وايران وسوريا والعراق بينما في الغرب حيث بقية تركيا الاوروبية في منطقة تراقيا تحدها اليونان وبلغاريا . ويفصل بين الجانبين الآسيوي والأوروبي بحر مرمرة ومضيقا البسفور والدردنيل المتحكمان في المعبر الوحيد بين آسيا واوروبا وهو معبر لم يعد بحريا فقط .. بل لقد اصبح بريا ايضا منذ افتتح عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) جسر هو الرابع من حيث الطول بين الجسور المعلقة في العالم ، يمتد فوق مضيق البسفور .. ويربط بين اوروبا وآسيا من خلال شبه

● « الاناصول » متحف لكل العصور

جزيرة الأناضول .. التي كانت على مدى العصور طريق التبادل التجاري والغزو العسكري والانتقال الحضاري بين الشرق .. والغرب .

ومـا أكثر المعالم التاريخية الحية في قلب الأناضول .. فعلى جبل « أجري » أعلى جبال الاناضول (٥١٩٥ مترا) يواصل الأثريون بحثهم في قمة أرارات عن سفينة نوح وتؤكد الحفريات التي مازالت تجري منذ عام ١٩٥٨ في مدينة « كاتالهويوك » على مسيرة ٤٥ كيلو مترا من قونيه أنها من أقدم مدن التاريخ ، وان عمرها يمتد الى عام ٦٨٠٠ قبل الميلاد . كما كشفت الحفريات ان بيوت المدينة كانت تقام من دور واحد من الطين ، وتتلاصق جدرانها ، حيث لا توجد طرق ولا مسافات بين كل بيت وآخر .

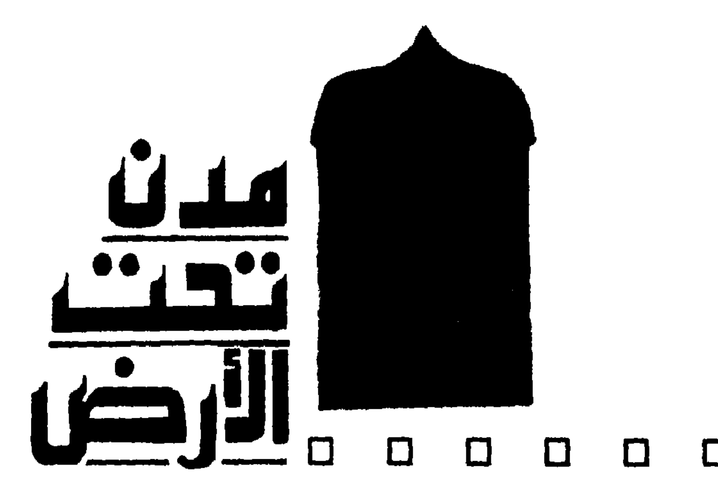
والبيوت بلا أبواب ولا نوافذ ، ويدخل الناس من فتحات في سقف البيت يهبط منها سلم خشبي .. اما الانتقال بين البيوت فهو بالسير فوق الأسقف . !

وفي منطقة قانش (قلطبة) عثر على أطلال مدينة اشورية من القرن الثالث قبل الميلاد .. وفي منطقة « يدي اويوبان » يوجد كهف يقال أنه المغارة التي لجأ إليها اصحاب الكهف في عهد الامبراطور ديكوس عام ٢٥٠ ميلادية حيث ناموا ولم يستيقظوا الا بعد ثلاثمائة سنة في عهد الامبراطور تيودسيوس الثاني .

وعند صخرة منحوتة في قضاء جوروم يوجد معبد شيد منذ عام ١٣٠٠ق.م وبجواره ٦٧ نحتا تمثل إله الحيثيين .. وبالقرب من « اسكي شهر » يقع جبل نمرود حيث يقوم معبد يرتفع الى ٢٢٠٦ متر ، وقد تساقطت في ساحته رؤوس تمثل الملك نمرود ارتفاع احدها يصل الى عشرة امتار .. ويعتبر المعبد ثامن عجائب الدنيا .. !

وعلى سفح قلعة أورفا يوجد مقام يقال انه غار سيدنا ابراهيم عليه السلام . ويتكون من كهفين احدهما هو الذي ولد فيه ابراهيم بينما الآخر كهف والدته . وغير بعيد منه على حافة بحيرة زليخه يقوم جامع خليل الرحمن ... !

وبرغم كل هذه المعالم التاريخية .. فليس هناك اروع ولا أبدع ولا أعجب من ذلك العالم الذي يمتد في عمق القلب من الاناضول ... عالم كابادوكيا العجيب .. !



مدن تحت الأرض

هناك « تعالوا معي ساخذكم في رحلة الى اعماق الارض » !

وانطلقنا معه الى منطقة كابادوكيا لنخترق طريقنا الى مدينة « درينكويو » على مسافه ٢٩ كيلومترا جنوبي « نوشهر » التي وصلنا إليها بعد أن قطعنا ٢٨٤ كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من انقره

درينكويو بلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ، عرفت طريقها إلى الشهرة عندما خرجت إلى النور فجأة عام ١٩٦٣ مع اكتشاف مدينة تحت الأرض يمتد عمرها إلى عدة آلاف من السنين حيث توالى عليها الحيثيون الأوائل والرومان والبيزنطيون ، وحيث كانت وديان المنطقة المحيطة بها من كبادوكيا ملجأ للاجئين والمضطهدين والفارين من وجه الغزاة الزاحفين بين الشرق والغرب

ثمانية طوابق تحت الأرض

بعد ان اخترقنا المدخل المحفور في الصخر ، وجدنا أنفسنا نسير في نفق طويل يؤدي في نهايته إلى قاعة فسيحة يتوسطها عمود نحت في الحجر الصخري البركاني ودلفنا من صدر القاعة الى سرداب منحدر تقوم على مدخله صخرة اسطوانية ضخمة شبه الرحى ، هي الباب الذي كان يسد فتحة الممر ليعزله عن النطاق الخارجي ، وحين يغلق يتم تثبيته من الداخل بطريقة لا تسمح لأحد برفعه أو زحزحته من الخارج ونتحدر مع المدرجات المتآكلة ونجد أنفسنا أمام مجموعة من السراديب كل منها يقود إلى ممر

نحن الآن في عمق القلب من الأناضول والقلب هنا عبارة عن قاعة تتوسط طابقا سفليا تعلوه سبعة طوابق بمستويات متباينة محفورة كلها في الصخور مشكلة مدينة سفلية تمتد إلى عمق ٨٥ مترا في جوف الأرض !

وكان مرافقنا لطفي « بك » مدير دائرة المخطوطات في قونية قد قال لنا قبل ان نذهب إلى



الفخار صناعة متطورة للسكان يأخذون طينه الأحمر من تربة النحات البركاني



بدرنكويو . . التقطت الصورة في الطابق
الثالث ومن تحته خمسة طوابق أخرى .

وعرف وقاعات ذات فتحات في الأسقف المحفورة بشكل أقواس غير مستوية ، مع فتحات أخرى في جوانب الأرضية عبارة عن آبار تغطيها الآن « أغطية » من قضبان الحديد حتى لا يسقط أحد في أعماقها . . . وتضيق الانفاس مع استمرار الصعود والهبوط على الدرجات أو الانزلاق على الحجر الصخري ، حين تكون الدرجات متآكلة وبين كل سرداب وآخر نجد صخرة الرحى الدائرية الضخمة التي كانت تغلق المداخل لصد العدوان الخارجي . ونجد منافذ التهوية التي تجعل الحرارة في الداخل معتدلة أو قريبة من البرودة . وهي منافذ يبلغ عددها حوالي خمسين منفذا رئيسيا . وتتم تهوية المكان من خلال شبكة من الدرجات الحلزونية والأروقة المنحنية والملتوية بينها منافذ سرية للخروج الى سطح الأرض . .

طوابق المدينة يبلغ عددها ثمانية . ومن كل طابق تتفرع سراديب جانبية تؤدي إلى غرف السكن والأقبية ومخازن المؤن . . .

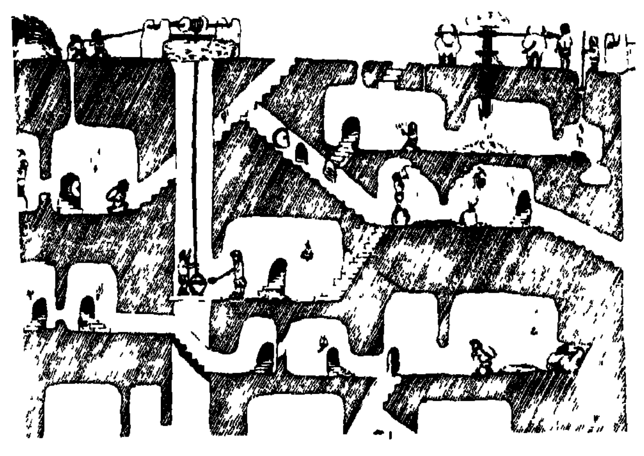
ويبدو واضحا أن الطابقين الأول والثاني قد حفرا ليكونا أماكن للاقامة الدائمة ، بينما الطوابق الأخرى عبارة عن أماكن للتخزين والايواء عند توقع الخطر الخارجي .

عشر مدن سفلية

تربط الأنفاق والسراديب السرية بين المدينة وبين مدن تحت أرضية أخرى في المنطقة ، قيل أن عددها لايقل عن عشر مدن وإن لم يكتشف منها أو يفتح للزيارة سوى مدينتين هما هذه المدينة في درينكويو ومدينة مماثلة على مسافة تسعة كيلومترات هي مدينة قايماقلي . وهكذا كانت الملاجىء الجوفية الأرضية في هذه المدينة وحدها تتسع لحوالي ١٦٠ الف شخص يتوزعون بين الطوابق الثمانية ، ويستطيعون الهرب والاختفاء من خلال السراديب السرية الجوفية .

وأشار لنا مرافقنا الى سرداب مظلم يمتد من الطابق الثالث قال أنه يقود الى مدينة « قايماقلي » يتسع لثلاثة أفراد يمكنهم أن يسيروا متلاصقين جنبا الى جنب عند الهرب . . وعند مدخله توجد أسطوانة الرحى الدائرية الضخمة التي تغلق السرداب تماما لتتيح فرصة الفرار أمام الهاربين وتجعل الأعداء الغزاة عاجزين تماما عن الوصول اليهم . . .

الطابق الثامن السفلي والأخير من المدينة كان مدفنا للموتى . . فتحات القبور ما تزال موجودة ، وإن امتلأ أكثرها على مر السنين بالرمال وتحات الصخر وقد توالت على هذه المدافن كل أجناس



هكذا كانوا يحفرون وينقلون مخلفات الحفر من خلال المنافذ والفتحات بالجرادل والحبال والبكرات

اللاجئين ابتداء من الحيثيين ثم الرومان والبيزنطيين حتى المسيحيين الهاربين من وجه الطغيان . . .

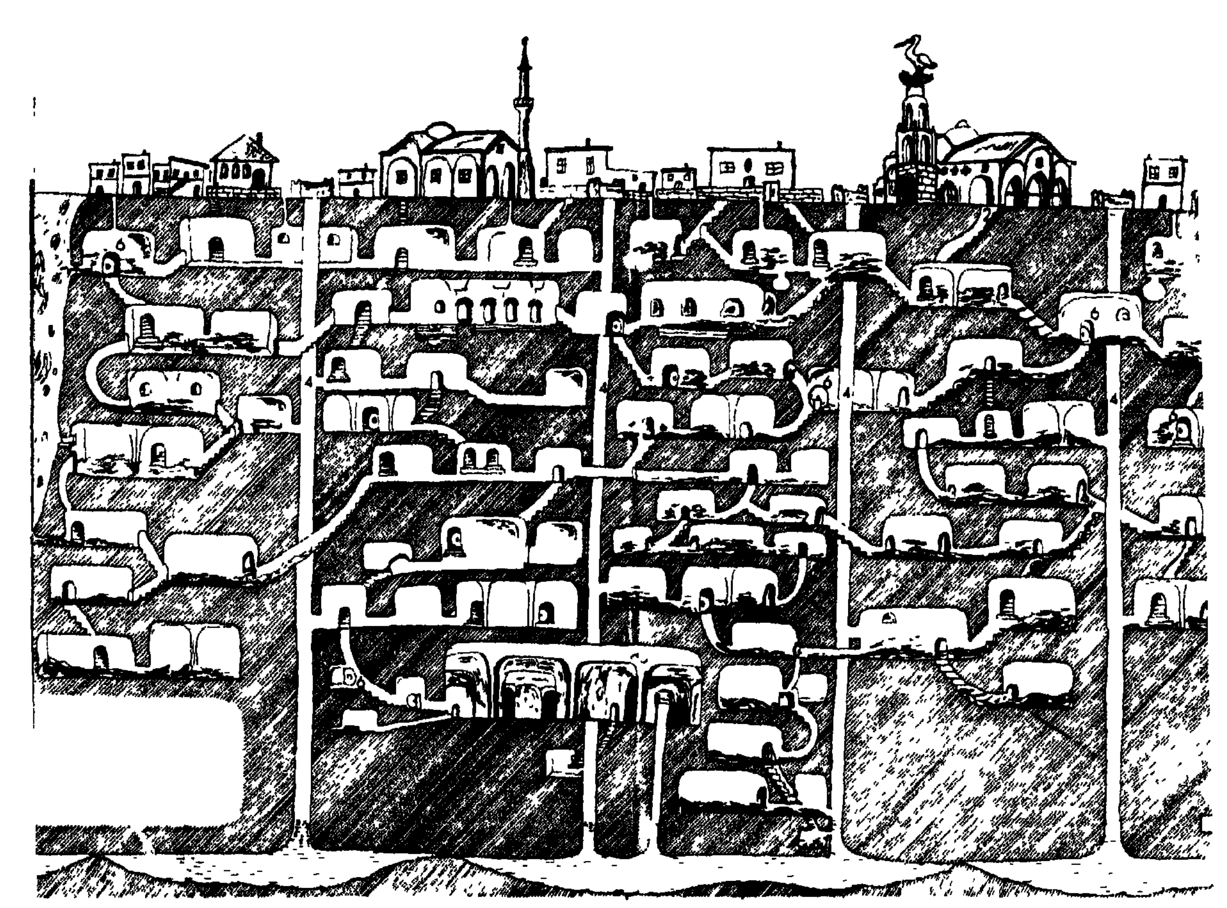
في هذا الطابق السفلي . وقفنا وأبصارنا تدور في المكان . . .

في أعماق العالم السفلى

نحن هنا في أبعد أماكن المدينة عمقا في جوف الأرض . . .

وامتلأت رأسي وأنا في ذلك العالم السفلي بخيالات ليست أقل مما كان يتخيله الانسان القديم في سومر وبابل وآشور واليونان ومصر القديمة عن عالم ما تحت الأرض . ذلك العالم المظلم الذي تسكنه الاطياف التعسة ويهوي إليه الموتى لينالوا العقاب لقاء ما ارتكبوه في دنياهم الأولى من آثام . . .

أحسست برعشة برد قوية أخرجتني من شرودي . . وأنا ما أزال في جوف الطابق السفلي من المدينة القابعة في عمق الأرض . وكان لابد من مغادرة المكان بعد أن اختنقت منا الأنفاس واتسعت



مخطط مدينة درينكويو ـ كما رسمه العلامة ديمتر ـ بطوابقها الثمانية الممتدة الى عمق ٨٥ مترا تحت الأرض حفرت كلها بجهد بشري وسكنها ١٦٠ ألف نسمة من الفارين والهاربين من الاضطهاد

التخيلات وسيطرت علينا فكرة عذابات الجحيم

وخرجنا إلى سطح الأرض . . ونحن نتلفت بحثا عن المنافذ الهوائية التي تمد المدينة بالهواء . وقال لنا مرافقنا أن فتحات بعض هذه المنافذ قد غمرتها الأتربة وسدها نحات الصخور مع تعاقب السنين إلا أن بقاياها ما تزال ذات فائدة لسكان قرية درينكويو الذين بنى أغلبهم بيوتهم الحالية بحيث تكون الفتحات الباقية من هذه المنافذ ملحقة بالبيت يستغلونها كمخازن لصنائعهم ومأكولاتهم وكل مايحتاجون حفظه على مدى الأيام والشهور والسنين ولعل بعضها ما يزال مستخدما كمخابىء للهاربين والفارين من وجه القانون !

لماذا حفرت المدن وكيف ؟

ويقفز إلى الذهن ـ ونحن نغادر المدينة تحت الأرضية ـ سؤال له أهميته : كيف استطاع هؤلاء الناس أن يحفروا في عمق الأرض كل هذه المدن سراديبها التي تشبه بيوت النمل أو الارانب على الأقل ؟

وكان لابد من حوار حول هذه القضية . قال لنا « لطفي بك » الذي كان يرافقنا في جولتنا ، أن هناك تفسيرات كثيرة حول هذا الأمر ، وأهم هذه التفسيرات ما ذكره الباحث التركي العلامة عمر ديمتر حين قال : إن نحت كل هذه المدن في الصخور ونقل مخلفاتها الى أماكن أخرى بعيدة عنها ليست بالمهمة السهلة ، ولا شك أنها في غاية الصعوبة بالنسبة لوسائلهم التقنية الضئيلة التي كانت معروفة في تلك الأيام مع عدم تناسي أن الاضاءة كانت مقصورة أيضا على المشاعل الزيتية وهي غير ملائمة ولا كافية لتسهيل بذل مثل هذا الجهد الكبير في عمق الأرض

والمتصور ان النهج الذي اتبع في هذا الحفر هو البدء بحفر مداخن الهواء الى عمق يصل الى ما بين ٧٠ و ٨٠ مترا ثم النحت في الصخر من الجوانب السفلية بعد الوصول الى الماء ، ثم سحب مخلفات الحفر عن طريق المداخن السابق حفرها بواسطة بكرات تتدلى منها حبال سميكة . ولعل ذلك هو المنطقي لأنهم إذا لم يحفروا المداخن الطويلة العميقة فما

كان من الممكن لهم ان يعملوا ويبذلوا جهدا في الحفر الشاق الذي يحتاج على الاقل الى الهواء الذي يساعدهم على التنفس والاحتمال .

ولكن سؤالا آخر يعود الى الذهن . . أين وكيف اختفت مخلفات الحفر من الصخور والاتربة وبقايا النحات التي لا يبدو لها عند المداخل أي أثر ؟

وتجيء الاجابة :

لو نظرنا حولنا لوجدنا أن منطقة كابادوكيا تمثل انكسارا شديد الانحدار يضم مجموعة كبيرة من الوديان والمدن تحت الأرضية في المنطقة كلها صغيرة بالنسبة لمدينتي درينكويو وقايماقلي ، فكانت مخلفات الحفر تلقى في مجار مائية تنحدر من المناطق المرتفعة الى السهول والوديان ، وقد اختفت هذه المجاري المائيه نتيجة لعمليات التآكل والتعرية على مدى السنين

ومن ناحية أخرى إذا افترضنا أن المخلفات كانت تنثر على أرض الساحة المحيطة ، فقد كان من الضروري أن تصبح هذه التربة جدباء رملية غير خصبة بسبب هذه المخلفات الحجرية ولكن المؤكد أن هذه المنطقة تتميز بخصوبة التربة وهي أجود الاراضي الزراعية بل هي أشهر وأغنى أراضي تركيا كلها بالكروم

وينطلق تساؤل جديد ما الذي جعل هؤلاء الناس في ذلك الوقت يتركون الحياة على سطح الأرض لينشئوا هذه المدن تحت الأرض ويقيموا فيها مع ما في إنشائها وحفرها من صعوبة وجهود مضنية . ؟

هنا يقول الباحث العلامة أن الاجابة لا تحتاج الى جهد كبير . فالقبائل المتوالية التي جاءت الى هذا المكان كانت تأتي تحت ضغوط كبيرة من الخوف والحاجة الى الحماية والبحث عن ملاجيء تحميهم من المخاطر ، ولعل السبب الذي جعل هذه القبائل تفضل منطقة كبادوكيا هو ان الحفر في هذه الأرض الصخرية لم يكن يواجه صعوبات كبيرة ، فهي كلها تكوينات من الصخور اللينة والحمم البركانية المسامية ، ولا شك أنهم ما كانوا ليستطيعوا حفر مثل هذه المدن بوسائلهم اليدوية لو أن الصخور كانت صلبة فالصخور التي نحتوا خلالها كانت لينه وهي عادة تزداد صلابة بعد تعرض اسطحها للهواء



مشهد عام لجانب من المدن الصخرية وفتحات المساكن ومنافذها التي ما زال بعضها مستخدما حتى الآن بينما أقيمت مساكن وبيوت بالحجر المقتطع منمداخل الجن





سرحة مع الخيال ونتفكر في قدرة الخالق والتسبيح باسم الله القادر على كل شيء

مدن السفلية تحت الأرض سبب وجودها غ...
... عجيب ... مشهد جرى مسرة رائعة
صنع حبه لأعجاز ، ولا يمكن فهمها إلا بعد
مسيرة جيولوجيا والتاريخ على مدى عدة آلاف
من السنين في قلب الأناضول

وقلب الأناضول التاريخي يتألف من مسطح
جغرافي تمتد بين مدن أنقرة وقونية وقيصري
ونصريه ، تتوسطه حوض الانحراف الذي يحتضن
سلسلة من مدن الصخرية تمتد من نوشهر إلى آورتا
حصار وأوج حصار وأورجوب وتورمه جوريمه
ديرس ونسعي وقاقس وبعدا هذا الحوض عدة

عن مجموعة من السهول والوديان تكونت مع مرور الزمن من الرماد والحمم البركاني قذفتها قمة جبل آرجيا (٣٩١٧ مترا) وشارك فيها بركان جبل حسن الغربي (٣٢٦٣ مترا) .

ولكن كيف كانت البداية ؟

بدأ كل شيء منذ حوالي ستين ألف سنة ، مع تفجر مجموعة من البراكين التي تحيط بالمنطقة . ولفترات طويلة راحت هذه البراكين تنفث من باطنها على الأرض المحيطة حمما وصخورا منصهرة وحجارة وغبارا وأتربة راحت تنتشر وتترسب فوق المساحات الزراعية الواسعة مكونة تربة بركانية تتميز بخصوبة عالية ، كما تتميز بالتالي بنشوء آلاف من التلال والمسلات والأهرامات المخروطية الشكل الكبيرة والصغيرة على اتساع المنطقة . فمع انتشار اللافا البركانية وما اختلط بها من صخور وأحجار ومعادن سائلة على هذه المساحة الواسعة من الوديان والبحيرات . . بدأت المقذوفات البركانية يتراكم بعضها فوق بعض مكونة مسطحات صخرية بعضها صخور طفحية مثل البازلت وبعضها صخور متحولة كالمرمر .

مداخن الجن

مع تراكم وتكدس الصخور بعضها فوق بعض واستمرار اندفاع الحمم البركانية ، كان لابد ان تختلف درجة صلابة أو ليونة الطبقات المتراكمة . . وتعرضت هذه الصخور الطفحية لعوامل التعرية بين رياح وأمطار وعواصف وتغير في درجات الحرارة ، حيث تلاعبت وشقت في الوديان مجاري سيول عميقة ونحتت صخورا مسننة . وحيثما كانت الصخور لينة تآكلت لتخسف تضاريس المكان ، وحيثما كانت الصخور صلبة متماسكة انبثقت آلاف من الأشكال المخروطية الغريبة المثيرة . . .

ثم شهدت المنطقة غير المستقرة مجموعة من الزلازل ، وبدأت منطقة الحوريم تنحدر نحو وادي النهر الأحمر المسمى « كيزيلرماك » الذي راح يزيد من كميات التآكل والنحات للمساحات الصخرية التي غمرت الساحة العريضة . .

هذه التغيرات الجيولوجية هدأت في الوقت الحاضر ، ولكن بعد أن تشكلت مجموعات من



مدينة نوشهر . . تطل عليها القلعة التي ما تزال بقاياها قائمة تشهد بقوة الاستحكامات الدفاعية عند السلاجقة .

الأودية . وكان أبرز ما شكلته هذه السلسلة من الوديان التي نقشت حوابها سيول المياه التي تنتشر على طول الطريق الرئيسي بين نوشهر وأورجوب وعلى الساحة الممتدة حتى النهر الأحمر ، ثم تلك التكوينات الغريبة عند مداخل وديان أورجوب وزلفى ، وهي سلاسل من اللافا التي تشكل تلالا هرمية مخروطية تغطي الساحة ، تتباين على صفحاتها الألوان القرمزية والرمادية والصفراء والبيضاء وكأنها ألوان قوس قزح ، تتغير ألوانها مع تتابع ساعات النهار . أما أبرز التكوينات فهي كتل صخور هرمية مخروطية تبدو في شكل اهرامات ومسلات ومداخن يصل ارتفاع بعضها الى حوالي اربعين مترا ، وتستقر على رؤوس بعضها كتل أخرى من الصخور مختلفة الألوان ، حطت عليها خلال اندفاعها ، وكأنها قبعات وعمائم ، أو كأنها رؤوس سوداء تستقر على أجساد أشباح عملاقة من الجن .

ولعل هذا هو ما جعلها تعرف باسم « قلاع الاشباح » و « مداخن الجن »

وتلك هي غابة الجن ووادي الاشباح والحوريات التي خضباها في هذه الساحة العريضة من قلب الأناضول .

كأننا في وادي عبقر

وما أقرب المشهد الى وادي الجن الذي صوره أحمد شوقي في مجنون ليلى . حتى لتتمثل نفسك وأنت تقف بين مداخن الجن وكأن كلا منها جني في وادي عبقر ، يستعد ليلهمك قصيدة غزل حول ذلك العالم الغريب الذي يسرح فيه الخيال ويتشتت الذهن

ولا يحرجك من سرحتك ويعيدك الى الوعي سوى أسراب الحمام البري والطيور التي تطير وتحط على فتحات الكوى والفوهات التي نقرت على جوانب الاهرامات المخروطة يوم كان يستخدمها شعب من المهاجرين والفارين من الاضطهاد الروماني حتى استقر في النهاية وخرج من المدن التي كان يقيم فيها تحت الأرض ، ليستغل مداخن الجن ويسويها ويشكلها لسكناه ، ويقطع صخرها ويفتح فيه المنافذ والكوى ، ويوسع التجويفات الطبيعية ، ويحولها الى مغارات وأقبية ، وليجعل منها الرهبان والمبشرون النصارى أديرة وصوامع ومعابد يصور على جدرانها صور المسيح والعذراء والحواريين ، ويطلي رسومها بألوان مائية مايزال أغلبها قائما واضحا زاهيا يصور تاريخ المسيحية .

ولكن . ليس هذا وحده في الحقيقة أبرز كل شيء ، فما أكثر الأمثلة الرائعة التي نشاهدها في « وادي الجن . . » .

فعلى كلا الجانبين من الطريق الى أورجوب يقوم عدد كبير من البيوت والمخازن المنحوتة في الصخور ، حيث يقوم أهالي المنطقة باستخدامها في تخزين المنتجات الزراعية من البطاطس والتفاح والليمون والبرتقال ، وبعضها تجلب من مناطق البحر الابيض الساحلية ليتم تخزينها في المخازن الجوفية الباردة لفترات طويلة . وتطل على المنطقة قلعة عبارة عن كتلة ضخمة من الصخر يطلق عليها اسم « أورتا حصار » . هذه القلعة تعتبر مكان إقامة دائمة بفجواتها الكبيرة ، والثغرات والكوى المحفورة في جوانبها ، التي يتصل بعضها بالبعض داخل الكتلة الصخرية الضخمة التي ترتفع الى حوالي اربعين مترا . ولا نكاد نبتعد قليلا على نفس الطريق بعد اورتا حصار حتى نفاجأ بقلعة أخرى تحت اسم « اوج حصار » حيث توجد كنائس مبنية من نفس الاحجار المقتطعة من كتلة القلعة .

وندخل قرية « أفانوس » عبر جسر يمر فوق النهر الأحمر الذي يخترق القرية . .

هنا نلتقي بالسكان الذين استغلوا كل الطاقات والمجوات في الصخور لتكون أجزاء من بيوتهم ومحلاتهم ومخازنهم ومصانعهم ، فهنا تقوم أغلب الصناعات اليدوية التي تشتهر بها المنطقة وتصدرها الى كل منطقة الأناضول والدول المحيطة . ونشهد في أعماق المغارات مصانع الفخار والأواني والمزهريات التي تصنع من الطين الاحمر من رواسب النهر وعلى جانبيه . كما تقوم صناعات المرمر الرائعة بمختلف أنواعها من شمعدانات ومزهريات والعاب الشطرنج وأواني الزينة . . كما تنتشر صناعة الكليم والسجاد الشرقي ذي الزخارف والرسوم الرائعة والذي يعتبر من أجمل ما تنتجه تركيا وتصدره الى جميع أنحاء العالم . .

نوشهر والسلاجقة

ونعود الى نوشهر وهي قلب المنطقة والتي يبدأ منها الانطلاق الى عالم كابادوكيا . . .

بيوت المدينة شيدت من الأحجار التي تقتطع من الجبال والتلال المحيطة . . وتطل عليها قلعة بناها الأتراك السلاجقة وكان أصلها حصنا بيزنطيا على شكل مخمس ثم أعاد تجديده العثمانيون . وعلى حافة القلعة يقوم مسجد قورشونلو الذي بناه بين سنوات ١٧١٨ و ١٧٢٦ رئيس الوزراء العثماني نوشهرلي ابراهيم باشا ، ويشبه تخطيطه وطريقة بنائه جامع السلطان سليم الموجود في استانبول ، وتضيء الجامع ٤٧ نافذة كلها من الزجاج الملون المزخرف ، وترتفع قبته الكبرى بقطر يبلغ حوالي ١٧ مترا مع ارتفاع ٢٢ مترا ، وجدران المسجد من الداخل مطرزة بالزخارف والآيات القرآنية بالخط الكوفي . والى جوار المسجد







احدى الكنائس المحفورة في الصخور وحفر مثلها أديرة وصوامع (الى اليمين) وفي الصورة العليا بعض صناعات السجاد التي تعتبر من أشهر الصناعات في قلب الأناضول

الذي تحيط به مدرسة ومستشفى ومكتبة للمخطوطات، يقوم متحف ابراهيم باشا حيث تعرض فيه الأمتعة والآثار التي تعود الى مختلف العصور التي شهدتها المنطقة

نوسهر وضواحيها زاخرة بآثار كثيرة من العصور الحيثية والسلجوقية والرومانية والبيزنطية وأبرز هذه الضواحي في الطريق شمالي المدينة تقع «حاجي بكتاش» حيث تكية دراويش البكتاشية التي تحولت الى متحف يعرض فيه آثار الطريقة من سجاد وبسط وغرف الفولكلور ويضم المتحف ضريح «حاجي بكتاش ولي» مؤسس الطريقة البكتاشية في القرن الثالث عشر الهجري وقبور مريديه وكبار الأتباع، ويبلغ مجموعها أربعين ضريحا

ضريح جحا

غير بعيد من المنطقة نجد أنفسنا في اكشهر امام باحة قبر نصر الدين جوحا.. تلك الشخصية الفذة من شخصيات الفكاهة ممزوجة بالجد والذي كتب عنه وعن حكاياته العديد من الكتب.. إنه قبر «جحا» الذي ولد في قرية هورتا التابعة لقضاء سيفري حصار سنة ١٢٠٨، وتوفي عام ١٢٨٤ وكان في أواخر عمره إماما للقرية بعد أبيه عبدالله افندي

واذا كان جوحا او جحا رجل المزاح الذي يخلط فكاهته بالجد والحكمة في أيامه، فقد كان نفس الشيء حتى في مماته فقبر جحا رمز من الرموز التي تجمع بين فكرة الحرية واللاحريه وبين العطاء وعدم العطاء ثم الوجود واللاوجود. إنه عبارة عن باحة مفتوحة الجوانب يتوسطها الضريح، وعند مدخله هيكل لباب خشبي معلق بقفل وغير محاط بأي جدران، ويستطيع كل إنسان الدخول إليه دون موانع من كل الأطراف. برغم الباب المغلق بالقفل !!

لقد عاش نصر الدين جوحا في عصر السلاجقة الروم عصر الفن السلجوقي في عاصمتهم قونية

ولابد من قونية ولو طال السفر



عندما يحكى الحجر
قونيه وفنون السلاجقة

قونية . . قلب الأناضول الحضاري . . هي حلم النصر منذ كان لابد من غالب ومغلوب . . وهي رمز القوة حين كانت السيطرة تعني السلطان والعلم والتقدم والعمران . . وهي مرآة التاريخ حين حعل منها متحفا مفتوحا بلا جدران . . وهي ساحة الفتوة والنضارة في حياة شعب مارس كل أنواع الحياة . . وهي مغنى المثالية والروحية في عالم أصبح في أشد الحاحة إلى عودة الروح .

مدينة وديعة هادئة . . تستلقي عند أقدام سفح جبال طوروس . . ذات طابع حضاري خاص . . تمترج فيها الدنيا والدين . . القديم والحديث . . وتتمثل فيها كبرى الثروات الفنية والمعالم الحضارية والقيم الروحية . لم تخلع أيا من ثيابها قط . . واستمرت تواصل مسيرة التقدم والنهوض وتمارس الحياة ، من خلال موقعها الاقتصادي الهام في وسط الطريق بين الشرق والغرب . واكتسبت مكانتها الرئيسية من خلال أهميتها كمركز ديني كبير ، حيث كانت مقرا لاقامة الشاعر الفيلسوف الصوفي حلال الدين الرومي المعروف « بمولانا » والمنسوبة إليه طريقة الدراويش المولوية . كما كانت لها قيمتها الأثرية الكبيرة حيث ماتزال تحتفظ ببقايا أسوارها القديمة وتزخر بالمباني الأثرية من العصر السلحوقي .

متحف في الهواء الطلق

قبل ان نبدأ جولتنا في غابة الآثار السلجوقية . التقينا بالسيد غونار أوزكان مدير الثقافة والسياحة في قونية . . وسمعنا منه الكثير . .

إقليم قونية يمثل في الحقيقة متحفا مفتوحا في الهواء الطلق يجمع في آن واحد العديد من الثقافات والحضارات ، كما يقدم صورة رائعة لآثار التاريخ الاسلامي ، مع نماذج من الفكر الديني والفلسفة الصوفية والنظرة الاسلامية على دروب الحياة .

وعلى الجانب الآخر فان قونية تلعب في الأيام

الحاضرة دورا كبيرا في تقديم النماذج الحية للثقافة التركية ، واللوحات الرائعة لكنوز الفنون والفولكلور والصناعات اليدوية التي تتميز بها شعوب الاناضول .

وعلى المرحلة الانتقالية بين البداوة والاستقرار الحضاري ، فان قونية .. التي شهدت المنجزات الهندسية العمرانية الرائعة للحضارة الاسلامية عمليا وروحيا، تعتبر ملتقى رئيسيا للقديم والحديث حين يمتزجان معا في انسجام متناغم ومتناسق مع تطور حضاري جيد التخطيط .

أول مدينة بعد الطوفان

تحتاج البداية الى أن نقلب صفحات التاريخ

ففي المدونات المريخية القديمة نعرف أن قونية لها جذور تاريخية تعود إلى ٨٠٠٠ سنة . وأنها كانت أول مدينة ظهرت بعد الطوفان وفي الآثار والحفريات الحيثية ما يؤكد أن المدينة كانت مأهولة في عصور ما قبل التاريخ .. وفي العصر الروماني - وخاصة الفترة الأيقونية المسيحية . كانت قونية أبرز المراكز التجارية في اسيا الصغرى .

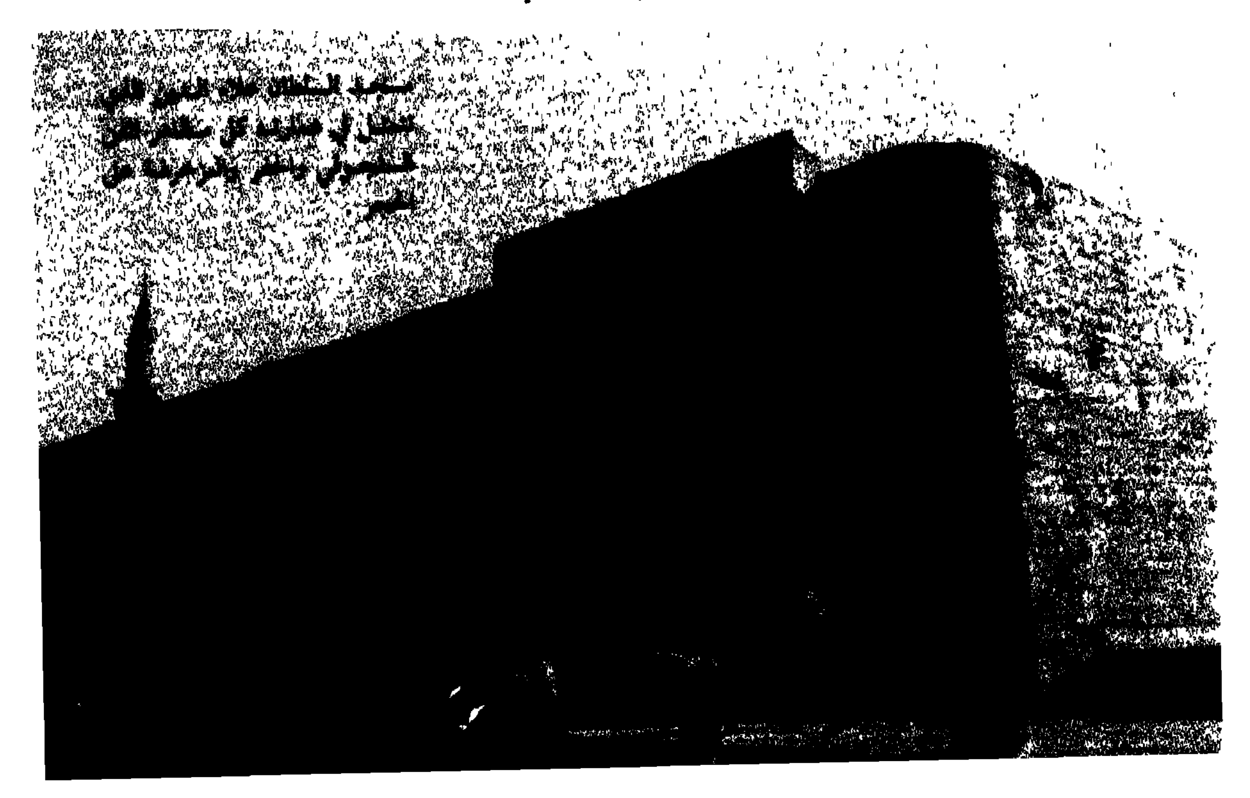
ولكن قونية معروفة فوق ذلك بأنها كانت أول عاصمة اسلامية في الاناضول ، عندما اتخذها سلاطين السلاجقة الاقوياء عاصمة لهم بين القرنين ١١ و١٣ الميلادي وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر بلغت قونية أزهى أمجادها خلال حكم السلطان علاء الدين كيقباد وخلفائه .. وفي هذه الفترة أقيمت أجمل المساجد والمدارس والقصور والاضرحة التي تعتبر أروع تعبير عن فنون السلاجقة .

تلة علاء الدين

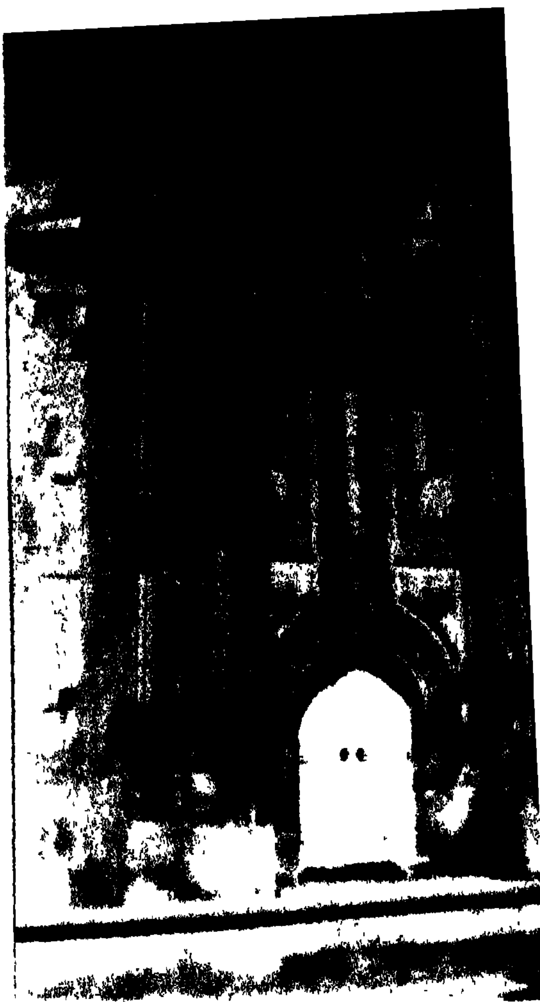
من فوق هذه التلة .. يحكي الحجر قصة ماتزال تنبض بالحياة رغم عمر تمتد جذوره الى ثمانمائة عام في عمق التاريخ .

يحدثنا العلامة التركي .. « محمد أمين » الذي أبى إلا أن يصحبنا خلال جولتنا في غابة الفن السلجوقي :

هنا في تلة علاء الدين . تجدون الشاهد الحضاري الرائع على عظمة السلاجقة . إن تلة علاء الدين التي تقف شامخة متحدية عوادي الزمن . تنبض بالحياة برغم أن قصر علاء الدين كيقباد الذي كان أبرز معالم التل قد انهار مع ما انهار على مر الزمن ، لينتهي تحت وطأة الزلزال العنيف الذي ضرب المنطقة في عام ١٩٠٢ وأسقط عددا من المآذن القديمة .. ومن بينها مئذنة « إينجي منار » التي تواجهنا الآن . قصر علاء الدين لم يبق منه سوى هذه الاطلال التي نقف فوقها بعد أن كان قائما حتى أوائل القرن العشرين ، بطابقيه اللذين لا تقل عمارتها عظمة عن قصور سلاطين آل عثمان . وكان القصر من الداخل غاية في الفخامة ، زخرفت جدرانه بآيات بارزة من







واجهة مسجد إينجه منار من أبرز الآثار السلجوقية مما يتميز به من الآيات القرانية والزخرفة المحفورة في الأحجار والى يسارها انية من الآثار السلجوقية في متحف مدرسة قاراتاي مزخرفة بالرسوم ومصنوعة من السراميك وفي الصورة اليسرى مشهد للزخرفة السلجوقية في قبة وجدران مدرسة قاراتاي المزينة بالفسيفساء

النقش البارز تعلوها أشرطة ، وأفاريز من المنحوتات الجصية المزخرفة بالفسيفساء . ومن بين اللوحات الكبيرة المنحوتة التي نقلت الى المتحف الآن لوحة تمثل فارسين احدهما يهاجم تنينا والاخر يهاجم أسدا . . ويدل موضوعها الحي ورسومها الحيوانية البارعة على ما كان للمشتغلين بفن النحت السلجوقي من مهارة ومقدرة

وبرغم ان السلاجقة كانوا يستخدمون أبناء الاقاليم الاسلامية المحتلفة ويشجعونهم بما يكلفونهم به من أعمال ، إلا أنهم برعايتهم الدائمة استطاعوا ان ينشئوا طرازا قائما بذاته ، امتاز بفخامة العمائر واتساعها ومظهرها القوي ، كما امتاز باستخدام رسوم الكائنات الحية محورة من الطبيعة ولعلها استخدمت كطلسم يدفع عنها أذى الاعداء والقوى الشريرة وقد يكون ذلك نتيجة لتأثيرات أرمينية وعربية . وهذا طبيعي في إقليم كالأناضول

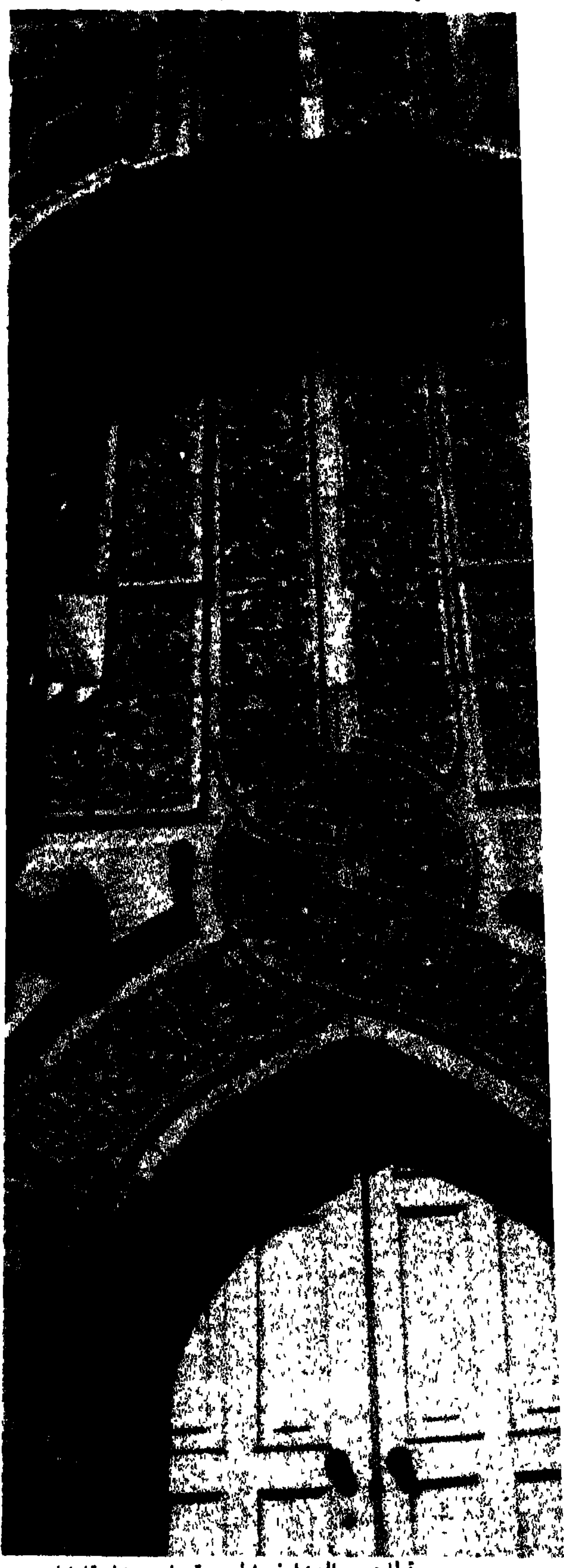
ونقف أمام مسجد علاء الدين الذي يتوسط التلة

المسجد ومنبره

المسجد بعمارته وزخارفه والنقوش على جدرانه وعلى مداخله صورة حية رائعة للفن السلجوقي . .

حول واجهة المدخل نقرأ كتابة بالخط الكوفي يقول ما بقي من نصها : « السلطان المعظم سيد سلاطين العرب والعجم ، مالك رقاب الامم ، عز الدنيا والدين ، وركن الاسلام والمسلمين ، فخر الملوك والسلاطين ، نصير الحق بالبراهين ، قاتل الكفرة والمشركين ، غياث المجاهدين ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، معين خليفة رسول الله ، سلطان بلاد الروم والارمن والافرنج والشام ، أبو الفتح قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان ، ناصر




قطاع من الزخارف الحجرية على مدخل قاراتاي .

المؤمنين ، آدام الله ملكه وضاعف اقتداره » .
ونجتاز الواجهة لنقف تحت صحن المسجد من الداخل . . . وأول ما يلفت النظر أن القبة والسقف المسلح يستندان على اثنين وستين عمودا من الأعمدة « الرومانية والبيزنطية » . . وادا كانت الجدران التي كان يجري ترميمها تبدو خالية من أي نقوش ، إلا أن المنبر يعتبر من أروع ما خلفه السلاجقة من فنون الحفر على الخشب ، حيث تزينه زخارف غنية نباتية تنتهي أوراقها ومراوحها النخيلية بأشكال أزرار . وفي كل من الجانبين والمستطيلات التي تحيط نهايته حشوات كبيرة ممتلئة ، كما أن جانبي الدرجات والحشوتين الجانبيتين تحت سقف المنبر كلها مخرمة . ويحيط بالباب إطار ينتهي من الجانبين بقبضة مخرمة ، ولفتحة الباب عقد له فصوص ، وفوق العقد حشوة مستطيلة ذات نقوش هندسية أما الجانبان فقوام زخرفتهما أطباق نجمية من حشوات صغيرة تضم رسوما نباتية . وعلى المنبر كتابات بالخط الكوفي بعضها آيات من القرآن الكريم .

آثار حول التل

يلاصق مسجد علاء الدين من الجانب الأيمن ضريح السلاطين وفي هذا الضريح توجد قبور ثمانية من سلاطين السلاجقة ، وعلى صناديقها كتابات تحمل اسم كل سلطان وتاريخ وفاته .
وعند أقدام تل علاء الدين يقوم برج هو واحد من بين مائة برج كانت تدعم سور المدينة الذي تهدم ولم يبق منه سوى اطلال . هذا البرج الباقي الذي مايزال قائما تمت تغطيته بشمسية من الكونكريت لحمايته والمحافظة عليه .
وعلى بعد خطوات عبر الميدان الجديد نجد أنفسنا أمام أشهر المدارس السلجوقية . . مدرسة قاراتاي . . المدرسة واحدة من مدارس كثيرة اهتم باقامتها السلاجقة . وقاراتاي الذي اطلق اسمه على المدرسة كان مجاهدا شارك في الجهاد ضد البيزنطيين وعين أميرا للمدينة حيث دفن في ضريحه في احدى قاعات المدرسة التي كان يطلق عليها اسم « الدار الحديث » .
ونجتاز الباب الى المبنى المقام على مساحة مربعة يتوسطها قاعة متسعة تعلوها قبة كبيرة ، وتحف بها قاعات مستطيلة ، ويتصل بها إيوان به قاعات صغيرة ، والأركان مغطاة بقباب ، كما توجد قاعة

ضريح الوزير قارا طاى الى اليسار . اما القبة نفسها فقد مهد المعمارى لقيامها بصفوف من الحوامل « كوابيل » ، وبتحويل الجدار العلوى الى مثمن بواسطة عدد من المثلثات على شكل المروحة مشيدة ناجر ، كما يتوسط القاعة حوض للماء عوضا عن الصحن المكشوف ذى الفسقية .

المهم هنا أننا نجد أن الباب الداخلى مرصع بالأحجار ، والجدران والقبة مرصعة بالخرفات الصينية ، كما ان السقف رسم عليه نجوم السماء في الليل وكأننا في القاعة السماوية . الان تحولت المدرسة الى متحف يضم آثار الخزف والسيراميك .

ونتنقل بين التحف الخزفية وبلاطات السيراميك المحفوظة في القاعات الجانبية ويبدو واضحا ان صناعة الفسيفساء الخزفية كانت مزدهرة ، حيث زخرفة التحف تؤلف من أجزاء صغيرة من الخزف مختلفة الأشكال والأحجام بعد قطعها من لوحات من الخزف المدهون وتلصق الأجزاء بعضها ببعض بواسطة الملاط الذى يصب فيها من الخلف فيملأ جمع التجاويف فيها ، وقد أفلح الفنان السلجوقى في تصغير الأجزاء التى تتكون منها الفسيفساء وفي ان يؤلف منها أدق الموضوعات النباتية والهندسية في مجموعة من الألوان البراقة . وشهدنا صحونا مختلفة الأشكال من الخزف المقلد للبورسلين الصينى قوام زخرفته حيوان بين زهور وزخارف نباتية . وتوجد قنينة زخرفتها رسم قرد بين زخارف نباتية وقنينات اخرى قوامها رسوم زهور وفي الوانها الأخضر والأحمر الى جانب اللون الأزرق .

إينجـه منـار

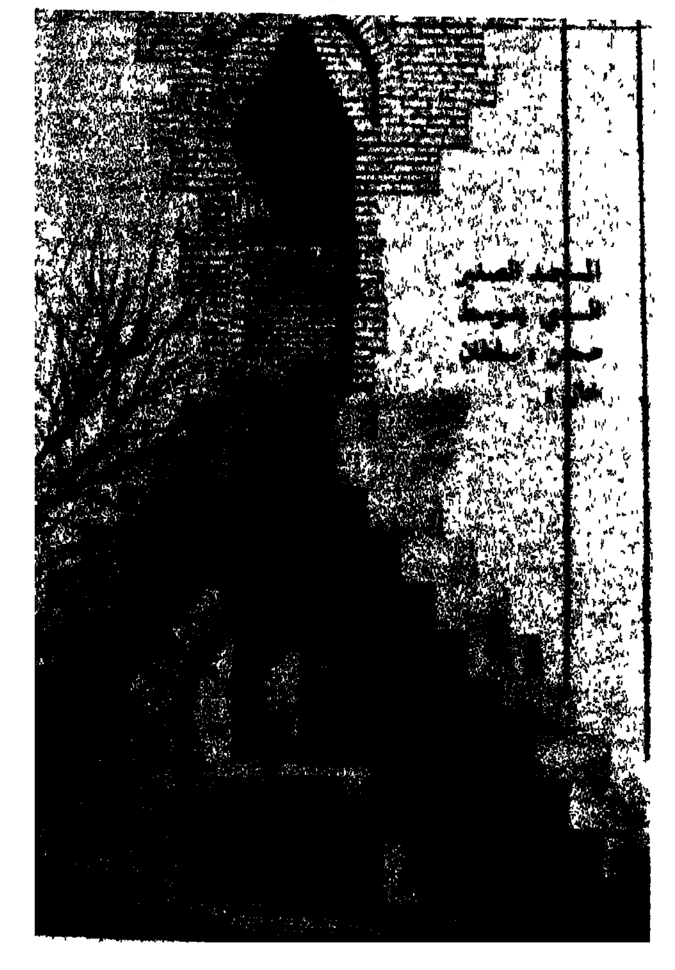
في مواجهة الحافة العربية لتلة علاء الدين يقوم متحف « ايجه منار » المتحف كان مسجدا بناه عام ١٢٦٧ الوزير « صاحب عطا » وقد سقطت احدى مئذنتيه بسبب الزلزال وبقيت الطبقة السفلى من المئذنة الثانية قائمة .

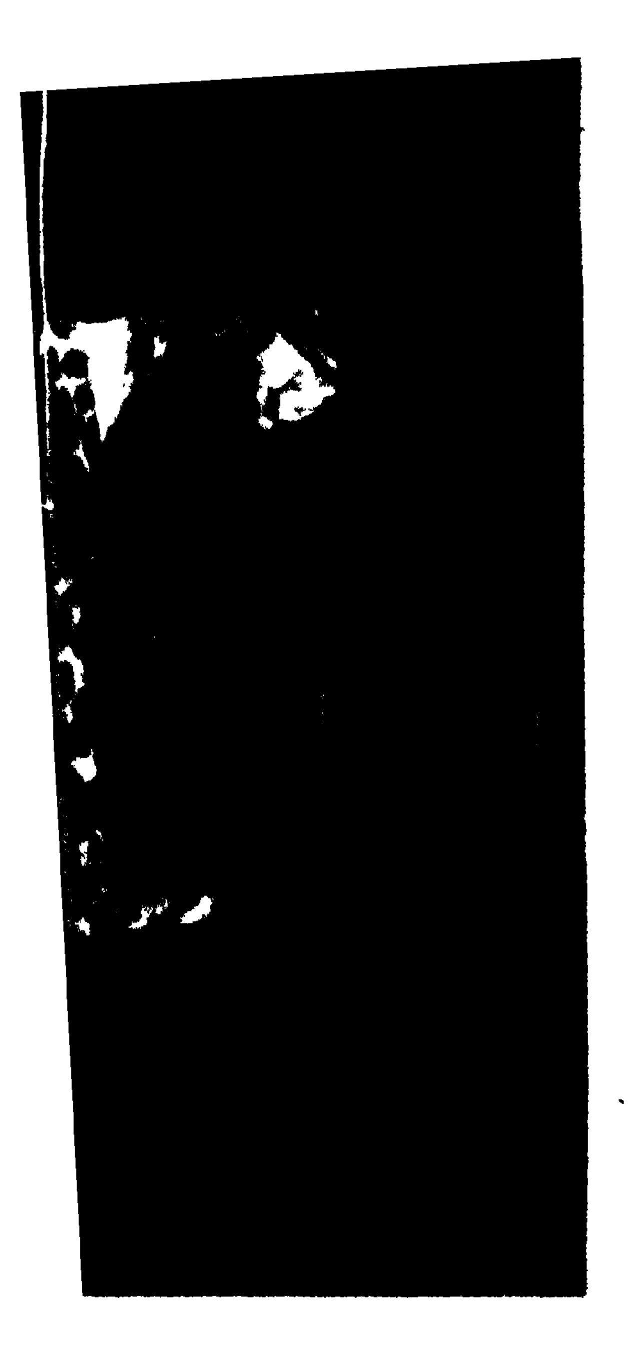
الواجهة والمدخل يتميزان بدقة النقش والحفر على الحجر . ويعتبر هذا المدخل من أبرز الأمثلة على ما تمتاز به معظم العمائر السلجوقية من الواجهات الجميلة ذات الأبواب الفخمة الغنية بالزخارف والمقرنصات ، والتى تحف بها أشرطة الزخرفة الهندسية والكتابات التاريخية القليلة البروز ، والى جانبها زخارف اخرى بارزة من مراوح نخيلية وخطوط معقودة .

قبة المسجد ومحرابه ماتزال تزينهما زخارف فن السيراميك . ويضم المسجد بعد أن تحول الى متحف ، الأثار الحجرية والخشبية من العصر السلجوقي بينها تماثيل ونقوش بارزة تشهد بإبداع الفنانين في تصوير الحيوان والطيور . كما توجد زخارف جصية تكثر فيها رسوم الصيد والطرب والاستقبال . وهذه التماثيل لم تكن كلها للزينة فقط ، بل كان بعضها من رنوك الأمراء وشاراتهم . وقد لاحظنا ان النقوش الكتابية تقوم على أرضية من الزخارف الملحقة بالحروف . كما ان بعض الرسوم النباتية تنتهى في بعض الزخارف برءوس حيوانات ، ومن بين النقوش التى تتصدر القاعة ما يمثل النسر ذا الرأسين والجناحين ، وهو رمز سلاطين السلاجقة وإن كان من الواضح انه منقول عن التماثيل الرومانية القديمة .

فنون الحفر على الخشب

صاحب عطا أحد أشهر الوزراء السلاجقة . وتعتبر فترة توليه الوزارة من أكثر الفترات ازدهارا . ومن بين ما أقامه مسجد في شارع يسمى لارنده ،





ولهذا يطلق على المسجد نفس الاسم ايضا . . مسجد صاحب عطا لأربده .

واجهة المسجد واصحة الفخامة تزخر بزخارف فنية تساير العناصر المعمارية السلجوقية هذه الفخامة لا تتجلى فقط في الواجهة والمدخل ولكنها تبرز ايضا في العناصر الزخرفية مثل الحنيات المزينة بالمقرنصات والموضوعة في إطارات مستطيلة من الزخارف الهندسية المختلفة الأشكال

خــان السلطـــان

غير بعيد من قونيه وعلى الطريق الى انقره يلتقى بخان السلطان أو « سلطان خاني » ويرجع تاريخ إنشائه الى سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) كما يتبين من الكتابات التاريخية المنقوشة على مدخله

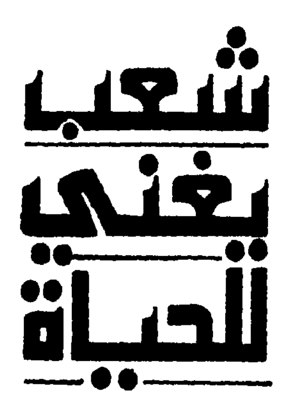
هذا الخان واحد من عدد كبير من الخانات التي اهتم السلاجقه بتشييدها ، وكان لهم منها عدد كبير في مختلف الطرق الرئيسية ، وكان تصميمها يشبه تصميم المدارس الى حد كبير ، وقوام تصميم سلطان خاني مدخل يوصل الى صحن مرصع يحيط به إيوان وأروقة وقبو وأكتاف . ويبدو ان الغرف كانت تستخدم كمخازن للسلع والبضائع . اما جدران الخان فمدعمة باكتاف وابراج .

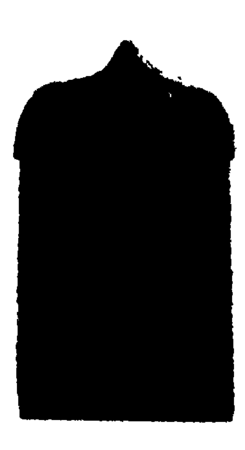
من خلال جولتنا بين الآثار السلجوقية في قونيه يبدو واضحا كثرة استخدام الزخارف المجسمة ولا سيما في واجهات العمائر ، وهي لم تستخدم فقط في المباني الحربية أو المدنية ، بل برزت ايضا في بناء الأسوار والقلاع وسائر الاستحكامات الحربية . فقد كانوا دولة حربية بطبيعتهم ، وكان الكفاح بينهم وبين الروم والصليبيين أكبر حافز لهم على تحصين مدينتهم .

ولكن هناك مثل آخر من أمثلة الفن السلجوقي يبرز في بناء الأضرحة . فقد كانوا يقيمونها على شكل أبراج اسطوانية ذات أضلاع وأوجه عدة ، أو على شكل عمائر ذات قباب . . .

وكان المدفن العادي يغطى في بعض الأحيان ببرج من هذه الأبراج ، وأبرز الأمثلة ما شهدناه في ضريح « مولانا » جلال الدين الرومي الفيلسوف الصوفي الذي جعل ضريحه من قونيه . . مدينة ذات قيمة دينية ومزارا للمريدين من دراويش المولوية . .

وحكاية مولانا والمولوية . . قصة اخرى . . وحديث يطول . . .







رقصة شعبية من قلب الأناضول مع أغنية تحكي قصة الهجرة من تركستان يغنيها فتيات وفتيان على آلات العزف التركية التقليدية التي كانت تستخدم في الأناضول وتركستان وأذربيجان

شاهدنا من آثار السلاجقة ما يؤكد أنهم جلبوا معهم من تركستان الى الأناضول مبادىء الفنون الجميلة في أواسط آسيا ، ثم طوروها واشتقوا منها ونقشوا وزينوا وزخرفوا كل العمائر والمبانى التى أنشأوها حتى نهاية القرن الثالث عشر . ومن بعدهم جاء العثمانيون فطوروا فن المنمنمات والرسم وفنون السيراميك والفسيفساء

كذلك حدث في ميدان الأدب . فمن أواسط آسيا ـ الوطن الأساسى للأتراك والمصدر الأول لآدابهم ـ تطورت اللغة التركية المنبثقة عن لغات أورال والطاى ، وكانت اولى نماذج الأدب التركى هى الانحدارات التى تحكى الأحداث والأساطير المروية . . كما كانت أولى الوثائق المخطوطة هى ما كتب على « نصب أورهون » في وسط آسيا الصغرى . وأحرزت فنون الكتابة التركية تطورا مستقلا منذ أكثر من ألف سنة قبل أن تتأثر بالأدبين العربى والعجمى ، ونشأ بعدها ديوان الأدب أو « أدب القصر » الذى يتمثل في نماذج لأدباء بارزين مثل الفضولى والباقى ونديم والمنفى ، ثم نجم عنه فيما بعد الأدب الصوفى مثل حكايات وأشعار جلال

الدين الرومى وأدب النوادر والحكم مثل حكايات نصر الدين خوجا . . .

ولم يكن المسرح التركى بعيدا عن كل ذلك ، فقد استلهم مصادره من مختلف أشكال الاستعراضات التى تمثل مكانة هامة في الميراث الثقافى . . . ثم بدأ المسرح يطور لنفسه شخصيته المستقلة ليتألف بعد ذلك من أقسام منفصلة يمكن تحديدها في مسرح الدمى والعرائس . . ومسرح القراقوز ومسرح المداحين . . . . واستعراض الميدان . . قبل أن يشهد في النهاية الفن الدرامى الحديث .

ورغم تشابه مسرح العرائس لدرجة كبيرة بدمى الأغريق والرومان . فان « القراقوز » يعتبر نموذجا فريدا للدهاء التركى . واستعراض الدمى يتم من قبل شخص واحد يقوم بتحريك الأشكال المختلفة بواسطة العصى تظهر من خلف ستارة بيضاء . أما استعراض الميدان فهو من الاستعراضات التركية القديمة وتعتبر بداية للمسرح الحديث ، وتشمل استعراضات الميدان الموسيقى والرقص والأشعار الى جانب قوة الابتكار التى يتحلى بها الفنان .

وأما بالنسبة لمسرح المداحين فان المداح هو الشخص الذى يسرد النوادر ويبرع في تقليد الأخرين . . . وتظهر موهبته لدى تقديم المنولوجات الطويلة . . وأما المسرح العصرى بمفهومه الغربى فقد دخل تركيا بواسطة الفرق المسرحية الفرنسية والايطالية ، وشاركها في ذلك بعض النشاطات المسرحية التى كانت تقوم في استانبول . . . . .

الموسيقا والغنـاء

كل ذلك حدثنا به السيد غونار اوزكان مدير الثقافة في قونيه ، وهو يدعونا الى استعراض موسيقى غنائى تمثيل خاص أعده لنا في قاعة الاحتفالات . . .

الفرقة التى قدمت العرض تسمى « الفرقة الاسيوية التركية » وهى تابعة لمديرية الثقافة في قونية . يشترك في الفرقة ٢٥ شخصا بينهم ١٢ فتاة وكلهم من خريجى الثانوية ، ومن المدرسين أو الطلاب في الجامعة ، وقد انضموا اليها كهواة .

الهدف من تكوين الفرقة عرض نماذج من الثقافة التركية القديمة في الغناء والرقص والموسيقى والتمثيل . ويقول مدير الثقافة :

كان بعض ما نستهدفه هو البحث عن آلات العزف التركية التقليدية التى كانوا يستخدمونها في الأناضول وفي تركستان وآذربيجان . وحين استطعنا العثور على بقايا من هذه الآلات حددنا أوصافها وقمنا بصنع آلات مشابهة . ومن بين هذه الآلات ما يشبه الجيتار والبزق والفلوت والربابة والعود . . وأمكن من خلال متابعة الأغانى الشعبية التى جمعناها خلال جولاتنا الكثيرة في أعماق الأناضول ان نجمع العديد من الألحان الشعبية والفولكلورية . . . وبعض الأغانى تقدم باللغة التركية القديمة ، وقد لا يفهم البعض كلماتها خاصة ان اللغة التركية الحديثة تتضمن كلمات بعضها عربية أو أعجمية أو تركستانية . . . وقد استطعنا بهذه الوسيلة أن نجمع الكثير من الأغانى الشعبية والأغانى الكلاسيكية ، وهو مابادرنا عليه أعضاء هذه الفرقة وأصبحوا يقدمونها على أحسن صورة ممكنة إحياء للتراث الشعبى التركى .

فتاة من الأناضول تعزف على البزق . وتعني للأناضول

تكلم أيها القمـر

ويبدأ العرض مع رقصة شعبية تتحدث عن المهاجرين القادمين من قلب آسيا الى الأناضول . . . ويرتفع صوت الغناء :

● « الاناضول » متحف لكل العصور

ألحان الشعب

الواقع أن الأناضول منبع ومصب في آن واحد للموسيقا والغناء . . وتصنف الموسيقا وما يصحبها من غناء الى ثلاثة أنواع .

أولها الموسيقا التقليدية . . وهى الموسيقى المتولدة من اصول تقليدية لها تأثيرها على جميع طبقات المجتمع . ورغم ان هده الموسيقا ذات مخرج واحد من الصوت فإنها تعتبر واسعة الألحان منوعة الألوان . وهذه الموسيقا تكتسب نظاما مختلفا وتعبيرات متباينة حسب الصفات الاجتماعية والثقافية والجغرافية لطبقات المجتمع ، وحسب الأصول التى نقلت عنها ، وهى أقوى وأقدم عناصر الثقافة في الأناصول ، كما أن لها تأثيرا عميقا على الجميع بعد ان جلب الاتراك هذا النوع من الموسيقا معهم من وسط آسيا وتركستان ، وحافظوا على شكله الأصل رغم التأثيرات المتنوعة التى طرأت عليه .

وهناك نوع من الموسيقا يسمونه « موسيقا المساجد » أو الموسيقا الدينية . . وهدا النوع يعتبر ذا أهمية كبيرة وقد مر بتطورات كثيرة . . وهذه الموسيقا خفيفة ناعمة أبرزها موسيقا المولوية والبكتاشية والنقشندية التى يستخدمها الدراويش في كل من هذه الطرق الصوفية ، وتعتمد فى أغلبها على الناى

أما الموسيقا الشعبية (الفولكلور) فان أصلها غالبا غير معروف . وهى الشكل الموسيقى للمعبر عن الأمة

وهل أجمل من الغناء الشعبى النابع من قلب نابض حين نسمعه من فتيات وفتيان تنطلق أصواتهم مع دقات الدف وأوتار البزق ونغمات العود وتقول :

انا عاشق لك يا جميلة .
فلننطلق معا الى الإمام . حتى يعقد زواجنا . .
ما أروع شعرك الجميل . .
وهوينسدل ليغطى قوامك . انى أتخيله وكأنه الليل .
حين تمضين الى بعيد يدفعنى الشوق لأخطفك

تعالى . . أنا في انتظارك . مادمت تقبلين . . وتلبين
فليس من هو اكفأ لك سواى .
تعالى . . ياجميلة . . تعالى في ثوبك الأبيض الناصع
إنه لا مع كلمحات النجوم في السماء
وأنت فيه . . كمثل نور القمر
يا جميلة يا عفيفة . . يا عذراء الأناضول . . ! □



غونار أوزكان مدير الثقافة في قونية يشارك في العرف

لماذا تغيب أيها القمر في هذه الليلة الظلماء . . ؟
أرسل نورك للذين يسترجون مرة كل عام
هل رأيت كيف كانت أورال وأرض الآباء ؟
هل سألت عن أحوال الشعب هناك ؟
أما نحن . فلن نتعب . . ولن نشكو
ولو ظللنا طول العمر نخوض البحار
اننا لن نضيق أبدا حتى لو أصبحت الأمواج . .
قبورا لأطفالنا ونسائنا . .

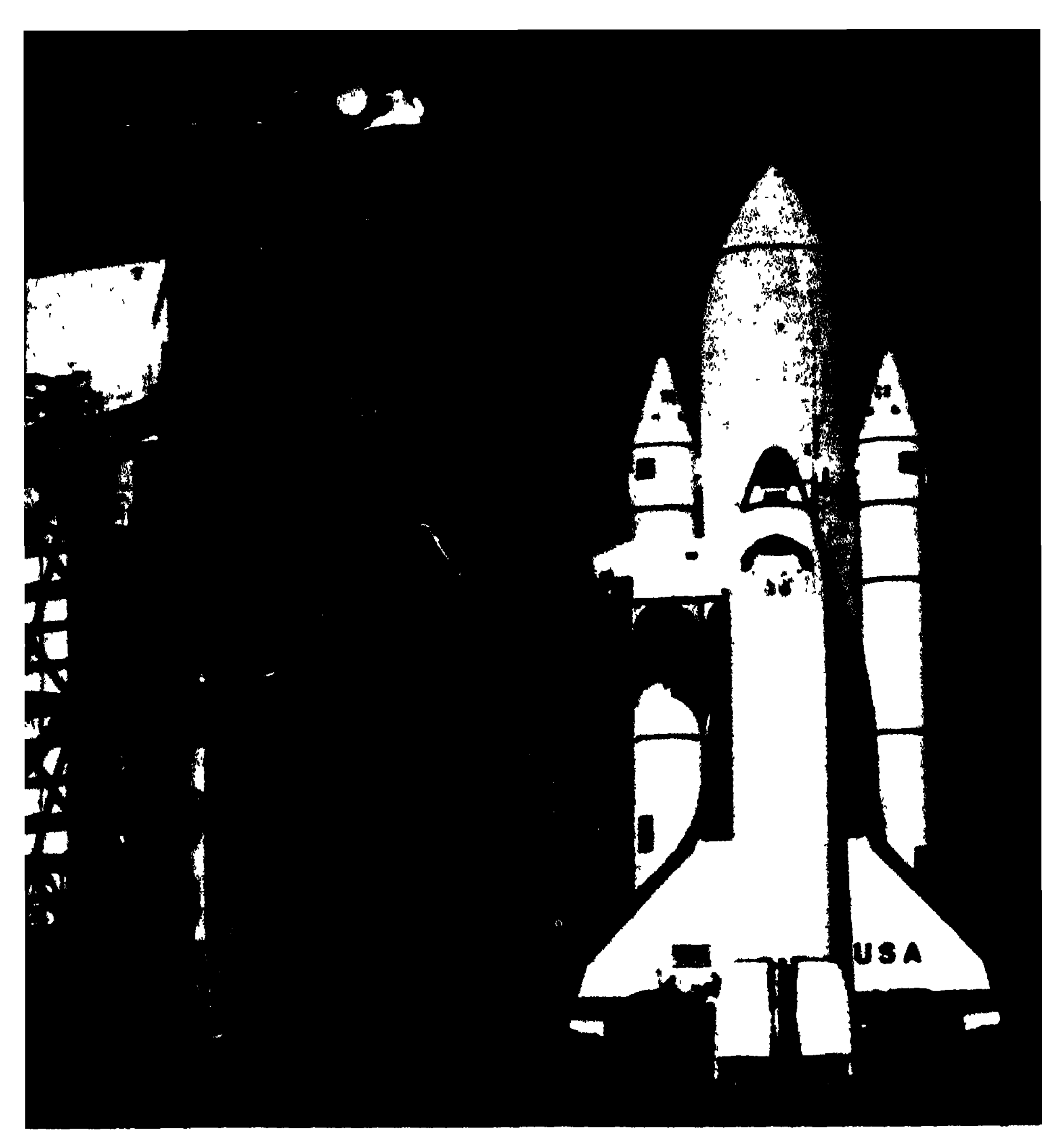
لقد شب الصغار . . وهرم الشباب
ومازلنا نسير على طريق الشوك .
لقد ولد صغار آخرون من جديد . .
ونحن نقطع هذا السفر الطويل .

تكلم أيها القمر . .
هل مايزال الطريق بعيدا بعد ؟
هل سيتاح لنا الوصول الى البحر الأبيض

هل سنصل قريبا الى حيث نستقر . . ؟
إننا نسألك أيها القمر . .
فلماذا لا تجيب . . ؟

وتتوالى اللوحات . . والجميع يعزفون ويغنون . .

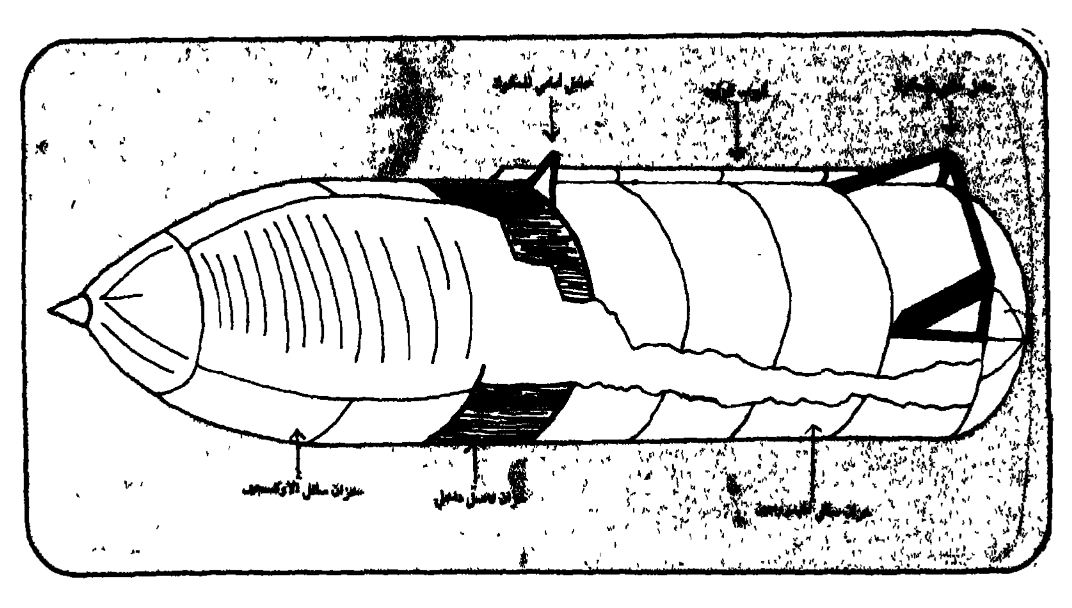




« المتحدي » تشالنجر على منصة الاطلاق في كانا فرال ينتظر بدء العد التنازلي لنهايته ، ويظهر خزان الوقود الخارجي ET محصورا بين الصاروخين المعززين SRB

بقلم : طاهر سكر القيسي

بينما كان يشق طريقه الى الفضاء بهدوء ، هوى حطاما مكوك الفضاء « المتحدي » ، بعد تسعين ثانية من اطلاقه ، في أسوأ كارثة سجلها تاريخ الفضاء ، في هذا المقال تقديم للمتحدي وتتبع لرحلته الأخيرة ثانية بثانية



مخطط مبسط يمثل العناصر الرئيسية لخزان الوقود الخارجي الرئيسي ET.

تشالنجر او « المتحدي » هو المكوك الرابع من أسطول الفضاء المكون من : كولومبيا ، واطلنطس ، ودسكفري ، وهو الأحدث فنيا وتقنيا ، سجل أول رحلة له للفضاء في ابريل ١٩٨٣ تحت رقم STS-6، وبعد ذلك وفي نفس العام قام برحلتين أخريين ، ثم الرحلة STS-7 التي حملت أول أنثى أمريكية للفضاء ، ثم الرحلة STS-8 التي حملت أول رائد فضاء أمريكي ملون ، وفي عام ١٩٨٤ قام المتحدي بثلاث رحلات أخرى : ففي فبراير هبط على مدرج مركز كندي الفضائي بنجاح تام ، ولأول مرة في تاريخ المكوكات بعد عودته من الرحلة 41-D، تبعته رحلتان في ابريل وأكتوبر من العام ذاته ، أما في عام ١٩٨٥ فقد أدى ثلاث رحلات أخرى أيضا ، الأولى في مايو ، وفيها حمل لأول مرة مختبرا فضائيا لأداء بعض التجارب ، وفي ٢٩ يوليو قام برحلته المشهورة والمشئومة 51-F، فقد كان الموعد المحدد لاطلاقها ١٢ يوليو ، وبعد أن نصب على منصة الاطلاق ، وقبيل ثلاث ثوان فقط من الاطلاق ، أشار أحد أجهزة السيطرة والمراقبة الى أن أحد صمامات التبريد الخاصة بالمكوك لا يعمل بشكل طبيعي في المحرك رقم ٢ ، وفي تلك اللحظة كانت جميع أجهزة المكوك قد بدأت العمل ، بما فيها المحركات . وعلى أثر ذلك أوقف الاطلاق ، وبعد الدراسة والتقصي اتضح أن الجهاز الذي أشار الى العطل هو نفسه لا يعمل بشكل طبيعي ، وهكذا تأجلت الرحلة الى يوم ٢٩ يوليو . وبعد الاطلاق بخمس دقائق و ٤٥ ثانية فقط ، تعطل احد محركاته الثلاثة ، مما اضطر المكوك الى تغيير برنامج رحلته بما يتناسب وقدرة المحركين الأخرين العاملين ، ليضمن لنفسه على الأقل هبوطا سالما في الموقع المبرمج له . وهكذا فقد اتخذ مدارا له على ارتفاع ٢٠٤كم ، بدلا من ٣٩٣٥كم ، وقام في ٣٠ اكتوبر - كما كان مقررا - بأنجح رحلة له في تاريخه ، قبل أن يتحطم في الرحلة التالية لها ، فلأول مرة يحمل مختبرا فضائيا لبلد آخر غير الولايات المتحدة هي ألمانيا الغربية ، تمثلت في رحلته المرقمة 61-A-D1 التي انبثقت من خلال التعاون بين وكالة الفضاء الأوروبية Esa ووكالة الفضاء الاميركية « ناسا » التي حققت أكثر مما هو مرجو منها ، وهكذا كان المتحدي يقوم بثلاث رحلات كل عام قبل أن يدخل عامه الرابع في الخدمة ١٩٨٦ .

الشكل العام والمواصفات :

يشبه المكوك من حيث الجسم طائرة عملاقة . جوفه مصمم لاحتواء معدات وأجهزة كومبيوتر عالية ورفيعة التقنية . وجوفه أيضا قابل للانفتاح بواسطة

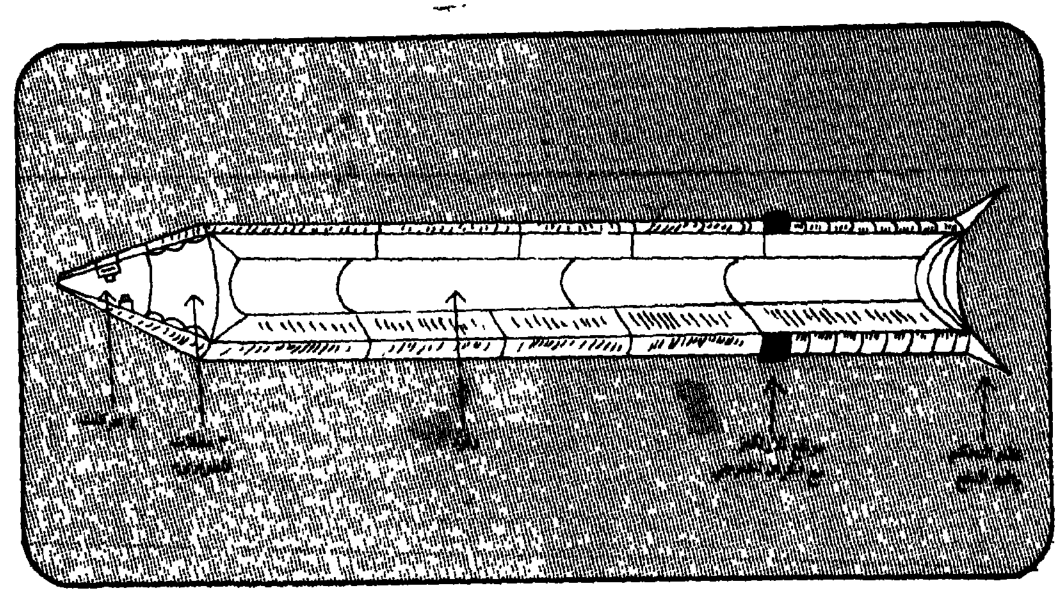


تشالنجر لحظه انطلاقه ، صعود طبيعي

بواتين صحمتين تسهلان عملية احراء التجارب ، واطلاق أقمار صناعية منه الى الفضاء ، او إعادة التقاطها عند الضرورة مزود ثلاثة محركات حارة للغاية ، وتحمله ثلاثة خزانات لوقود صحمة جدا خزان رئيسي لا تقتصر مهمته على تزويد المحركات بالوقود ، بل يشكل العمود الفقري الذي يحمل جسم المكوك وثقله وهو أضخم العناصر المكونة للمكوك الفضائي ، طوله ٤٧ مترا ، وقطره ٨,٤ أمتار ، وهو مصمم بحيث يسع لأكثر من مليوني لتر من الوقود ، والخزان مقسوم الى جزئين ، الأصغر منها في المقدمة وهو مخصص لسائل الأوكسجين ، ويحمل ٥٤٠ الف لتر ، والاخر يحوي أكثر من مليون ونصف المليون من لترات سائل الهيدروجين ذات الطاقه العاليه ، والمحفوظة تحت درجه حرارة منخفضه للغاية ، تبلغ ٢٥٣ - درجة مئوية ويفصل بين الخزانين خزان داخلي ثالث يعمل كنابض ، وظيفته امتصاص الثقل ورد الفعل الذي يحدث اثناء عملية الاطلاق وقبل ساعات معدودة من هذه العملية يملأ الخزان بالوقود بدقة فائقة ، تحت مراقبة وتحكم أجهزة الكومبيوتر ، وقبل سبع ثوان تقريبا من عملية الاطلاق ، تبدأ تغذيه محركات المكوك بالوقود منه بمعدل ٤٠٠ لتر بالثانيه ، وبعد أداء مهمته يعود ليسقط الى الأرض ، مكسرا الى أجزاء فوق المحيط الهندي ، بحدود ٥٥كم بالاضافة لذلك هناك صاروخان اضافيان معززان أحدهما يمتد الى اليمين من المكوك ، والآخر الى اليسار ، ويحصران بينهما خزان الوقود الخارجي والصاروخان يزودان المكوك بالقوة اللازمة عند الاطلاق ، لرفعه الى ٤٥كم و ٧٢٠ أمتار وكل منهما له قوة دفع تصل الى ١٣ مليون نيوتن عند الاطلاق ، طول كل منهما ٤٥,٤٦ مترا ، بقطر ٣,٧٠ مترا ، ووزن كل منهما تصل الى أكثر من ٥٤٦ ألف كغم ، و ٨٥ بالمائة يزن الوقود منها ٨٥/ ، أي بحدود ٥٠٣ ألف كغم

رحلة التحدي :

قبل أن يتحطم « المتحدي » في رحلته التي واجهتها التحديات ، سبق لمكوك الفضاء كولومبيا قبله أن واجه سلسلة من التحديات فهي رحلته التي



مخطط مبسط يمثل العناصر الرئيسية لواحد من الصاروخين المعززين SRB

أطلقت في ١٢ فبراير ١٩٨٥ ، وهي رحلته السابعة عشرة،تأجلت سبع مرات قبل ذلك التاريخ بسبب الأحوال الجوية ومشاكل فنية وتحديات أخرى ، فكان لها أن تطلق في ١٩ ديسمبر ١٩٨٥ . ومما يجدر ذكره ، أن المكوك كولومبيا هو أول مكوكات الفضاء الأمريكية ، وقد سميت وعرفت رحلته تلك بالبعثة المستحيلة ، أما المتحدي فقد رتبت رحلته بشكل دقيق ، وبرمجت على ما يرام ، الا أن اطلاقه هو الآخر تأجل ثلاث مرات بسبب رداءة الجو ، وكأنه انذار من الخالق للتريث واعادة التأكد من سلامة كل شيء . وأكثر من ذلك قدمت عملية الاطلاق في يوم ٢٨ يناير ١٩٨٥ ساعتين عما هو مقرر ، وكأن نهايته اقتربت ومنية رواده قد دنت ، وذلك خوفا من حلول الظلام فيما بعد ، وانخفاض درجة الحرارة ثم تكون الثلوج التي قد تخلق مشاكل أخرى ، وقد سبق لرواده السبعة أن تدربوا على أربع حالات مختلفة للنجاة ، تضمن لهم وللمكوك الوصول للأرض بسلام في حالة ظهور أي خطر محتمل أثناء عملية انفصال الصواريخ المساعدة والمعززة للمكوك ، وذلك خلال برنامج تدريبهم . الا انه لم تكن هناك خطة واضحة للنجاة عند المرحلة التي انفجر فيها « المتحدي » ، بسبب استبعاد ذلك الاحتمال . وقد كانت الخطة محتملة في رحلات المكوك كولومبيا ، لأن طاقمه يتكون من شخصين - قبل تجديده وتحديثه مؤخرا - فقد كانت مقاعدهما جاهزة لقذفهما الى الخارج عند أي خطر ، وفي أي مرحلة في رحلته ، ولكن بعد تحديثه لم تعد تلك الخطة صالحة أو لازمة خصوصا بعد توسع وازدياد عدد أفراد طاقمه .

قبل دقيقة واحدة من بدء العد التنازلي للاطلاق ، نادي كبير المشرفين على الاطلاق على جميع المسؤولين والمشرفين عن الرحلة لمراقبة أجهزتهم والتهيؤ لاطلاق مكوك الفضاء المتحدي في رحلته العاشرة . وعند الدقيقة التاسعة فتح الاتصال الرسمي مع قائد المكوك ميخائيل سمث ، الذي يضم سجله أكثر من أربعة آلاف ساعة طيران ، وكان كل شيء يجري على ما يرام ، وبالتنسيق التام بين طاقم المكوك ومنصة الاطلاق ، كما جرت العادة في اطلاق أي مكوك سابق . وفي الدقيقة الخامسة والثانية الثلاثين من عملية العد التنازلي ، طلب من قائد المكوك أن يبدأ بتشغيل أجهزة التسجيل والمراقبة التي ستقوم بتسجيل الرحلة من اطلاقها حتى عودتها ، وقد أتم القائد ذلك ، وعند الدقيقة الرابعة تجمع الطاقم في الغرفة المخصصة لهم بالمكوك ، وفي الدقيقة الثالثة أعيد التأكد من سلامة كل شيء وفي الدقيقة الثانية و ٤٤ ثانية تأكدت قاعدة الاطلاق من سلامة مخازن الوقود ، لتقوم بمراجعة أخرى في أقل من ٣٧ ثانية ،

وفي الدقيقة الثانية و ٢٠ ثانية يخاطب القائد سمث القاعدة ويشير الى أن كل شيء على ما يرام ، ولم تسجل أجهزته أي خطأ أو طارىء . وفي الدقيقة الثانية تم الوصول الى الضغط المطلوب لسائل الهيدروجين المناسب لبرنامج الرحلة ، وفي الدقيقة الأولى و ٤٤ ثانية أغلق الاتصال مع المكوك استعدادا للانطلاق ، وفي الثانية ٤٥ تم التأكد من أن نظام الصواريخ المعززة يعمل بانتظام ، وفي الثانية ٣٠ بدأت وحدات الطاقة العمل جميعا ، ثم بدأ العد التنازلي بالثواني . . . وها هو المكوك يرتفع تاركا منصة الاطلاق ، مسجلا الرقم ٢٥ في رحلات المكوك الفضائية الأمريكية ، بعد لحظة من الاطلاق يعاد الاتصال بالمكوك من قبل الأرض : نداء الى المتحدي : تأكدوا من أدوار عملكم !

المتحدي الآن يتجه نحو الفضاء ، محركاته بدأت تدفع الآن بنسبة ٩٤ بالمائة من طاقتها ، وذلك بخلاف الرحلات السابقة حيث كانت قوة الدفع تصل الى ١٠٤ بالمائة ، ثم بدأت تنخفض طاقة المحركات بشكل تدريجي الى ٦٥ بالمائة ، كما هو مبرمج لها . سرعته الآن ثلاثة أضعاف سرعة الصوت ، وارتفاعه ١٥ ألف متر ، والأوامر أعطيت الى قائده لتشغيل محركاته باقصى طاقتها . . بدأ الآن مراقبو الرحلة والمشرفون عليها ينظرون بشكل دقيق الى المكوك : وضعه غير طبيعي ، قصور وسوء في الأداء ، حالة غريبة لم تعهد من قبل . في هذه اللحظة بالذات وصلت أنباء من كبير ضباط الملاحة الجوية تعلن أن المكوك انفجر ، في حين سارع مدير الرحلة الى تأييده مباشرة ، بينما راحت عدسات التلفزيون تنقل صورة حطام ملتهب يخلف وراءه ذيلا أبيض يهوي باتجاه المحيط ، وهو أشبه ما يكون بالمذنب هالي . وكان يمكن ملاحظة الصواريخ المعززة بعد فقدان السيطرة عليها ، الا انه أمكن التحكم بانفجارها ، وأبطل مفعولها للحيلولة دون انفجارها على المناطق المأهولة . وظل المكوك الذي يزن ١٠٠ طن يتناثر حطاما لمدة ٣٠ دقيقة بعد الحادث ، فوق المحيط الأطلسي وعلى بعد ٢٩ كم من منصة اطلاقه في كيب كانافرال .

سبب الكارثة :

يعتقد أن الانفجار حدث بسبب تصدع وانفلاق ، وبالتالي شق في الصاروخ المعزز الأيمن عند احدى التوصيلات المرفقة به ، حيث بدأ يكون وميضا بسيطا حول الثلث الأسفل من خزان الوقود الخارجي والصاروخ المعزز الأيسر ، وقد أوحى انبعاث الغازات المحترقة للمسؤولين ، انها حالة طبيعية ناتجة عن انفصال الصاروخ المعزز عن الخزان الرئيسي الذي يرتكز عليه ، اذ أن الصاروخين المساعدين سرعان ما ينفصلان عن المكوك بعد وقت معين من الاطلاق ، تاركين المهمة بعد ذلك لخزان الوقود الخارجي . وتجاوبا مع ذلك التصدع حصل شق في القاطع الفاصل بين سائل الهيدروجين ذي الطاقة العالية جدا ، وسائل الأوكسجين في الخزان الرئيسي ، مما سبب الاشتعال ، كما يعتقد أن الجو البارد جدا قبيل عملية الاطلاق كان له أثر سلبي فيما حدث .

الخلاصة والاستنتاج :

كانت تلك الحادثة أسوأ ما مر به برنامج الفضاء الأمريكي ، فهي الأولى والوحيدة من بين ٥٦ رحلة سابقة مأهولة تنتهي بهذا المصير،فمنذ تسعة عشر عاما ، وهو تاريخ بدء الرحلات المأهولة ، وحتى الآن لم تفقد « ناسا » أي ملاح أو فلكي في الفضاء ، باستثناء ثلاثة رواد فقدتهم على الأرض ، وليس أثناء الطيران . من جانب آخر سيعاد جدولة برنامج الفضاء مما يؤدي الى تأخره .

بلغت تكاليف الرحلة المنفجرة ١٠٢ مليار دولار ، اضافة الى ١٠٠ مليون دولار ثمن القمر الموجود داخل المكوك الذي كان يزمع اطلاقه منه . بالاضافة الى جهاز آخر دقيق كان يرجى منه تصوير المذنب هالي ، فضلا عن أجهزة ومعدات في غاية الأهمية العلمية . وهناك الآن قمران صنعا خصيصا لاطلاقها عام ١٩٨٦ ، هما الآن في المخازن ، وليس غير المتحدي بقادر على حملها واطلاقها ، وفضلا عن هذا وذاك فالخسارة العلمية فادحة . □



شعر : زهور دكسن *

التضاد

الأرضٍ شاهدة وسر الأرض مخلوقان يقتسمان
سرَّ السِر . خيرا يجبه الشرّا
وشرايجبهُ الخيرا
وما انفك السراج بزيته للريح
ما انفك الظلام يقارعُ الفجرا
وتشهد ياصفىَّ الروح كيف تهاوت الأنوار
بالنيران ، وانكفأ السراجِ بزيته للريح
واحترق الجنى والسرَّ مخلوقان
خير يجبه الشرّا
وشر يجبه الخيرا
وتبقى الأرض !

لماذا الحرائق

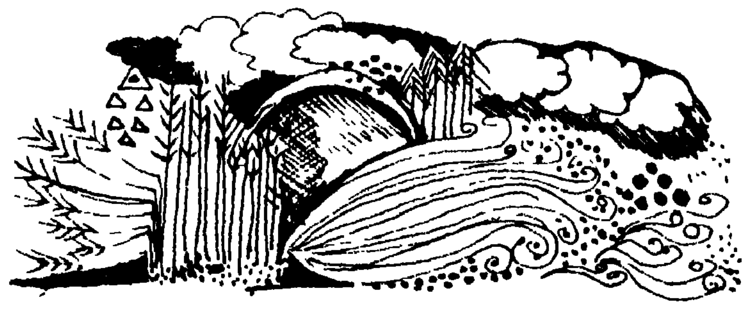
تتصادى المطاوىء بالماء حذّ احتواء الحرائق
في الهزيع ....
حين يأوى الجميع ..
وتحط الهموم على رقعة
داهمتها العوائق .
تتوالى الحرائق من كل مغلقة
من غبار السُرادق
تئج .
تئج الحرائق .
تئج وقطر الندى في الحدائق !

**

لماذا ؟
لماذا الحرائق ؟

مكاشفة

أقصرى في مداولة العتب ضاق الصدى
واغفرى سوأة القول فيها بدا . وليَقم بيننا الصمت
رجعا أليفا يشدّ الرؤى بالتأمل يستحضر
الروح رقراقةَ كالندىَ . !
يتقرّى تفاصيل أيامنا واحدا . واحدا
أقصرى .
لاجدى كل شيء تجذّر في قِصرِه .. عامدا !



* شاعرة من القطر العراقي ، صدرت لها خمسة دواوين شعرية منها ، حلف الذاكرة ، وللمدن صحوة اخرى ، في كل شيء وطن

وجها لوجه



د. فاروق الباز و طارق حسني

د . فاروق الباز . . شخصية عرفناها من الصحف ، يوم كان حديث الناس هو القمر وغزوه ، وهبوط أول انسان عليه ، وبقدر ما شعرنا بالفخر والاعتزاز لوجود هذا العربي الذي يحدد للامريكان مواطىء أقدامهم على سطح القمر ، بقدر ما اندهشنا لوجوده في هذه اللحظة في هذا الموقع المهم . . وتمر السنون لتعاود الصحف ـ مرة أخرى ـ ابراز هذه الشخصية « كمستشار علمي » للرئيس أنور السادات . . وتعاود دهشتنا ، أهو منصب علمي ذو صبغة سياسية ؟ ! ، أم منصب سياسي ذو صبغة علمية ؟ ! . . . نحاوره فيقول أنه يجهل الحديث في السياسة ، وان بضاعته هي العلم . . رجل عيناه على القمر ، ولكن أقدامه ضاربة في رمال الصحراء . . نتجول عبر حديثه على سطح القمر ، ثم نهبط الى القطبين المتجمدين على الأرض ، ونرحل في الصحراء الكبرى بين مصر وليبيا ، ونعرج على حقول القمح في السعودية ، ونعيش في صحراء الكويت ، ونقف أمام مشاريع الهند والولايات المتحدة ، وتنتهي رحلتنا في رئاسة الجمهورية ، بمصر . .

وقد أجرى الحديث معه طارق حسني الحاصل على بكالوريوس علوم سياسية من جامعة الكويت سنة ١٩٨١ وهو صاحب اهتمامات علمية وأدبية . . وهذه هي حصيلة الحوار .

كيف كانت البداية . . دعونا نستمع اليه وهو يتحدث بعفوية وبساطة قد تدهشك من عالم في مكانته . .

أسرتي من قرية تسمى « طوخ الأقلام » بالقرب من « السنبلاوين » بمحافظة الدقهلية بمصر ، ولكني ولدت في مدينة الزقازيق ، ونشأت في دمياط ، وأنهيت دراستي الجامعية في جامعة عين شمس بالقاهرة ، ثم عينت معيدا بجامعة أسيوط . . ومنها ذهبت للولايات المتحدة للحصول على الماجستير والدكتوراة . ثم رجعت عام ١٩٦٤ ، لأسافر مرة أخرى لأعمل في جامعة « هايدلبرج » بألمانيا ، لأعودة مرة أخرى الى مصر ، لأشارك في البحث عن البترول في خليج السويس ، فكنت أحد أفراد أول مجموعة قامت بتفسير جيولوجية قاع خليج السويس ، واختيار موقع حفر أول بئر في حقل المرجان . . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يكتشف وجود البترول في هذا الحقل .

وفي عام ١٩٦٧ عدت للولايات المتحدة لأبدأ العمل في مجال الفضاء .

من قاع الخليج الى الفضاء . .

ـ وكيف كانت هذه النقلة . . من قاع الخليج الى الفضاء ؟

● كان من أحد الأمور التي أجيدها في مجال الجيولوجيا الاقتصادية ـ وهو مجال تخصصي أساسا ـ تفسير تضاريس الأرض عن طريق الصور الجوية ، وفي الولايات المتحدة علمت أنهم في مشروع الفضاء الذي كان قد ابتدأ العمل فيه ، يقومون بدراسة جيولوجية القمر عن طريق دراسة الصور التي سبق أن التقطت له ، ولخبرتي وتفوقي في هذا الأمر تقدمت للعمل في المشروع . .

كان يعمل في المشروع ١٢٥ جيولوجيا من هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية ، ومن الجامعات

الأمريكية المختلفة ، وكانوا قد بدأوا في دراسة تضاريس القمر ، بتكليف من وكالة الفضاء الأمريكية - ناسا - منذ عام ١٩٦٠ ، أي قبل التحاقي للعمل بسبع سنوات تقريبا . . . وكانت دهشتي عندما سألتهم عن عدد تضاريس القمر وتوزيعاتها على سطحه ، فلم أجد جوابا عن هذا السؤال ، فقد كان من الغريب - بعد سبع سنوات من العمل - ألا يوضع تقسيم لتضاريس القمر وأماكن وجودها .

بعد ذلك عكفت لمدة ثلاثة أشهر على دراسة كل الصور التي التقطت لسطح القمر آنذاك ، وكان عددها بالتحديد ٤٣٢٢ صورة . درستها واحدة بعد الأخرى ، منها ما كان تحتاج دراسته لنصف ساعة ، وأخرى كان الأمر يحتاج لأسبوع كامل ، واستطعت بعد هذه الدراسة المفصلة التعرف على شكل التضاريس ، وقمت بتقسيم ما توصلت اليه ، وكان فيه اجابة للسؤال الذي طرحته ولم أحد له جوابا . . حددت تضاريس القمر ، وأماكن وجودها ، وبأي كثافة ، ولماذا توجد . . وخلصت الى أنه اذا كان هناك نية للذهاب الى القمر وجمع عينات تمثل جميع أنواع التضاريس القمرية ، فهناك ستة عشر (١٦) مكانا فقط يمكن الذهاب اليها . . وكان اجتماعا حاسما بالنسبة لي ، وبدأت معاملاتي مع هؤلاء العلماء الجيولوجيين تأخذ طابعا آخر . . ومن هؤلاء الجيولوجيين سمع مدير الاستكشاف العلمي في المشروع عن عملي ، فطلب مني أن أشرح له ما توصلت اليه ، وقام بدوره بنقل نتائج عملي الى مدير مشروع أبوللو ، الذي أخبر رئيس مشروع « ناسا » ، فما كان منه الا أن جمع العاملين في قاعدة « ناسا » ، وقادة المراكز البحثية فيها ، وطلب مني أن أشرح لهم ما توصلت اليه . . ومنذ هذه اللحظة تم اختياري ضمن « لجنة الخمسة » التي كانت مسؤولة عن اختيار مواقع الهبوط على سطح القمر .

الصحراء لا تغطيها الرمال

- ذكرت في محاضرتك أنه « على الجيولوجيين العرب التعايش مع صحرائهم لا قهرها وايقاف زحفها . . كيف نتعامل مع هذه المقولة ، وهي تعني تقليل الرقعة الزراعية ، التي هي صغيرة أساسا ؟

● هناك حقيقة يجب أن نعرفها وهي أن حجم الأراضي الصحراوية التي تغطيها الرمال تقل عن سبع (١/٧) الصحراء أي أن ستة أسباع (٦/٧) الأراضي الصحراوية لا يوجد بها رمال ، وهي حقيقة مهمة جدا ، لأنها تعني أن بامكانك التعامل مع الستة أسباع (٦/٧) ، بدلا من التعامل مع السبع (١/٧) ، الحقيقة الثانية أن الرمال التي تتحرك نتيجة الرياح وتنتقل من مكان الى آخر لا تقصد - بالطبع - تغطية الأراضي الزراعية ، بل من الجائز جدا أن تكون هذه الرمال فوق أرض صالحة للزراعة ، وتنتقل الى أرض أخرى غير صالحة للزراعة ، تاركة لي الأولى للاستفادة منها وزراعتها ، وفي هذه الحالة لماذا أوقف زحفها ، ما يجب علينا هو أن نعرف من أين تأتي ؟ والى أين تتجه ؟ ، كي نستطيع الاستفادة من حركتها .

- فاذا كانت متجهة الى أرض زراعية ؟

● أحاول ايقافها ، أو تثبيتها أو تفاديها ، حسب الوضع السائد والأسلوب الذي يصلح في المنطقة المعنية ، لماذا أقول كل هذا ، لأنني أعرف جيدا أن الطبيعة قوية ، وعلى الانسان أن يفهمها حتى يستطيع أن يعيش فيها عيشة طيبة وسهلة ، ومن يعتقد أننا نستطيع أن نغير من شكل الأرض ، انسان مخطىء ، ولن يكتب له النجاح ، فالحياة في منطقة معينة تتطلب منا معرفة طبيعة أرضها ، وموارد مائها حتى يمكننا أن نعيش فيها .

ولنضرب مثلا بالكويت ، وهي بلد صحراوي ، لو أردنا أن نحولها الى غابة ونزرع فيها أشجار مطاط ، نعم هذا وارد ويمكن تحقيقه ، ولكن سيحتاج الى كميات هائلة من المياه ، و . . . و . . . الخ ، وسيصبح الأمر في النهاية بالغ الصعوبة ، ولن يكتب له الدوام ، لذلك يجب أن نعي جيدا أننا لا نستطيع أن نغير في الطبيعة بهذا الشكل ، ولكن يمكن البحث عن قطعة أرض صالحة للزراعة ، فنزرعها ، أو مورد للماء نستفيد منه . وهكذا ، وهذا هو الممكن والمطلوب ، وهذا ما كنت أعنيه بالتعايش مع الصحراء وعدم قهرها في حديثي .

النهر العظيم

ـ ومـاذا تقـول عن مشـروع « النهـر العظيم »[1] بليبيا ؟

● هذا هو قاهر الصحراء (المقصود المعنى السلبي للقهر) ، فهو محاولة لتغيير الطبيعة ، فهذه المياه التي يـراد نقلهـا من جـوف الأرض ، ومن الجنـوب الى الشمال ، مياه مخزونة منذ ما يقرب من ٢٥ الى ٣٠ ألف سنـة ، ويجب أن تستخدم بـطريقة معقـولة ، ولنفع البيئة الصحراوية أساسا ، ولا يجب أن تنقل هذه المياه ـ المخزونة من ٣٠ ألف سنة كما ذكرت ـ آلاف الكيلو مترات لتستخدم في الفنادق على ساحل البحـر المتـوسط ، ليستعـملهـا السـيـاح عنـد استحمامهم . . هذا « حرام » ، بل الأجدى أن تظل مخزونة في بـاطن الأرض ، فهي كبنك للمخزون المائي ، أستـطيـع أن أستخـدمـه في المعيشـة في الصحراء ، ولنفع سكانها .

ـ أي أن اعتـراضك عـلى المشـروع من منطلق الاستعمال الأمثل للمياه ؟

● بـالطبـع ، وبمعنى أصـح الاستعمـال الأمثـل لجميع الثروات ، وأهمها بالطبع المياه

ـ ولكن من أهداف المشروع الرئيسية ، استخدام هذه المياه في الزراعة ؟

● وستستخدم أيضا استخدامات مدنية .

ـ ولكن مـا رأيـك في استخـدامهـا في الزراعة ؟

● هذا أمر جيد ، ولكن يجب أن تكون المحاصيل المستزرعة محاصيل تنجح زراعتها في الصحراء ، فلا يجوز مثلا أن تستخدم في زراعة الأرز الـذي يحتاج لكميات كبيرة من المياه .

ـ ومن ناحية جيولوجية ، ألا يوجد تأثير لهذا المشروع على المنطقة ؟

● لا أعتقد ، فكل ما في الأمر أن الأرض ستهبط بعض الشيء ، نتيجة ضخ المياه من جوفها ، بمقدار قدم أو حتى متر ، وهذا تغير طفيف وأمر طبيعي

ـ ألا يوجد أضرار من تأثير البخر الناتج عن الحرارة المرتفعة في هذه المنطقة ، مما يعني أنه كان من الأفضل ابقاء المياه تحت الأرض ، واستخراجها بكميات محدودة حسب الحاجة لاستخدامها في الزراعة ؟

● بالطبع هذه خسارة ، وهي نتيجة الاستخدام الخاطىء ، فهذه المياه يجب أن تستخدم كمصدر ثروة طبيعية في الصحراء ، لتنمية الصحراء كما ذكرت .

منخفض القطارة[2]

ـ ما رأيك فيما قيل عن مشروع منخفض القطارة في الصحراء الغربية بمصر ، من أن البحيرة المتكونة فيه ستزيد من كميات البخـر ، مما يستتبعهـا من نزول أمـطار وتغير المناخ في الصحـراء ، وامكـانيـة زراعة الصحراء حينئذ في هذه المنطقة ؟

● هذا ما قيل ، وهذا هـو تفكير من يـريد قهر الصحـراء ، وأنـا أقـول لهم لن تستـطيعـوا تغيير الصحراء ، وقد جاءتني المجموعة العلمية التي تقوم بالمشروع ، وقالت ان المياه التي ستنتج من البحيرة المتكونة ستغير من المناخ ، لأن كمية البخر ستزيد ، وستؤدي الى تكون السحب ونزول الأمطار ، وكانت إجابتي أن هذا لن يحدث ، ولن يتغير المنـاخ ، ولن تسقط الامطار ، لأنه اذا كانت هذه البحيرة المحدودة ستؤدي الى هذا التأثير ، فأين هـو المطر والسحب المتكونة من بحيرة مجاورة ، كبيرة جدا تفـوق بحيرة المنخفض مساحة بحـوالي ١٥٠ مرة ، وهي البحـر

---

١ ـ مشروع النهر العظيم :
مشروع يهدف الى استخراج المياه الجوفية من الصحراء الكبرى جنوب ليبيا ، وشق مجرى مائي من الجنوب حتى الشمال كنهر صناعي تسير فيه المياه المستخرجة ، لتستخدم في الزراعة على جانبي النهر الصناعي .

٢ ـ مشروع منخفض القطارة .
يهدف الى ربط منخفض القطارة في الصحراء الغربية بمصر بالبحر المتوسط عن طريق قناة صناعية ، والاستفادة من انخفاض سطح الارض في المنخفض لتوليد الكهرباء ، ويتوقع واضعو أسس المشروع أن تؤثر البحيرة المتكونة في المنخفض على مناخ المنطقة .

المتوسط ، فسكتوا ولم يجيبوا عن سؤالي .

- أي أن جدوى المشروع تنحصر في توليد الكهرباء ؟

● بالطبع ، فنسبة البخر في هذه المنطقة عالية ، ولكنها لا تؤدي الى تكون السحب ، كما هو الحال من البحر الناتج من البحر المتوسط ، لأنها منطقة ذات مناخ قاري ، والأمر هنا مرتبط بأشعة الشمس التي تصل الى الأرض ، ودورة الهواء حول الأرض بشكل عام ، لذلك كل ما يعمل يظل محدود الأثر ، ولا يغير من مناخ أو طبيعة المنطقة .

السعودية وكتل الجليد

- هناك نموذج ثالث لمشاريع مثيرة للجدل ، وهو مشروع جر الكتل الجليدية من المناطق القطبية الى المناطق الحارة . . ؟

● هذه الفكرة بدأت في الولايات المتحده الامريكية ، وأطلقها أحد الجيولوجيين في هيئة المساحة الأمريكية ، كان يعتقد في امكانية جر الكتل الجليدية والاستفادة منها ، ومما شجع على انتشار هذه الفكرة أنه سبق تنفيذها في الماضي سنة ١٨٥٥ ، حيث سحبت كتلة جليدية بالقرب من أمريكا الجنوبية الى الأرجنتين بواسطة السفن ، وتم الاستفادة من بعض أجزاء هذه الكتلة كمياه للشرب ، وبناء على ذلك قال هذا الجيولوجي ان هناك إمكانية لتكرار هذه العملية ، وقد طلب منا - أثناء عملنا لنظام تصوير الفضاء - قياس الكتل الجليدية التي تنفصل عن القطبين الشمالي والجنوبي ، وشكل هذه الكتل وأحجامها وخطوط سيرها في التيارات البحرية ، وقد قمنا بالفعل بأخذ عدة صور لهذا الغرض ، وعلى أساسها قام الجيولوجي بعمل أبحاثه ودراسته .

ولكن هناك أمران تكنولوجيان يعوقان تنفيذ هذه الفكرة ، أولهما أن سحب هذه الكتل يستدعي قوة كبيرة جدا لابعادها عن التيارات البحرية التي تسير فيها ، وهذه القوة تقدر بقوة غواصتين نوويتين تقريبا . . فاذا أمكن التغلب على هذا الأمر ، بشراء غواصتين نوويتين مثلا ، يظل الأمر الآخر ، وهو بعد وصول هذه الكتل الى الساحل ، ماذا سنفعل بها ، فاما أن نعمل على تكسير هذه الكتل الى قطع صغيرة لنقلها الى اليابسة ، أو أن نذيب هذه الكتل ، وبفعل الكثافة ، ماء مالح وماء عذب ، تشفط الماء العذب ، أو أن تعمل على استخدام مضخات . . . . الخ أي أن السؤال يظل قائما ، ماذا نفعل بعد جر هذه الكتل الى الساحل للاستفادة منها على اليابسة ؟ وحتى الآن لم تعالج هذه القضية .

وفي الحقيقة هي فكرة خيالية ، لها أساسها الواقعي ، وتدل على خيال علمي جيد ، ولكن لا يوحد أي اثبات على جدواها اقتصاديا ، رغم حدوثها في الماضي ، وأغلب الظن أن جدواها ستكون في المناطق التي لا يحتمل وجود مياه جوفية فيها ، أو أن هناك صعوبات في تحلية مياه البحر . . . وبشكل عام هي فكرة قائمة ، وان لم تحل جميع مشاكلها ، ولكن هناك سبيل أرخص وآمن لتوفير المياه حاليا .

. . . والقمح السعودي

- تحدثت عن تجربة السعودية في زراعة القمح في محاضرتك بمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، وأعتقد أنك انتقدت التجربة ؟

● لم أنتقدها ، ولكني قلت ان تكلفتها كانت كبيرة ، ولكن لها نفع استراتيجي مهم ، فأنا أعتبر أن ارساء قواعد لانتاج الغذاء في الوطن العربي في أي مكان وبأية تكلفة ، شيء عظيم .

- وبأية تكلفة ؟

● نعم ، وبأية تكلفة ، لماذا ؟ لأن مستقبل الوطن العربي بأجمعه ، ومصر على وجه الخصوص ، لن يكون الا بوجود ما يكفي من الغذاء ، فهذه أخطر قضية تواجهنا ، فالوطن العربي يستورد أكثر من ٥٠٪ من احتياجاته الغذائية وهذه كارثة ، لذلك أنا أعتبر أن أي انتاج للغذاء في الوطن العربي عمل قومي مهم وبغض النظر عن تكلفته ، من يزرع شبرا في الصحراء وينتج منه غذاء فهو يعمل لمستقبل بلاده .

- ولكنك انتقدت زراعة الأرز . . ؟

● ما أنتقده هو زراعة المحاصيل التي تحتاج الى كميات هائلة من المياه ، الا اذا توفرت هذه

الكميات . . أي أنني أتحدث عن ترشيد استخدام المياه .

البدو جيولوجيو الصحراء

ـ رويت حادثة في محاضرتك عن رجل تشادي سألتموه عن مصدر الرياح التي تهب على المنطقة التي كنتم تقومون بدراستها ، فأجاب بأنه لا يعرف مصدرها ، وان كان قد سمع جده يذكر أنها تأتي من مصر ، وقد ثبت لكم بعد ذلك أنها تأتي فعلا من مصر ، وهذا يطرح سؤالا . . ألا يمكن الاستفادة من خبرات هؤلاء البدو في الدراسات الجيولوجية ؟

● هذا ما يجب عمله فعلا ، وهو يرتبط بحديثي ـ في بداية لقائنا ـ عن علم الجيولوجيا وأنه علم غير مكتمل ، وعن معرفتنا الحالية بالصحراء ، فأجدادنا العرب ، والبدو كانوا يعرفون عن بيئتهم وصحرائهم أكثر مما نعرف الآن ، لأنهم تعايشوا ويتعايشون معها ، أما نحن فلا نتعايش معها .

دعني أذكر لك هذه الواقعة ، في جلسة مع السيد محمد الراشد ـ جد وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء السيد راشد الراشد ـ وهو يبلغ من العمر حوالي ٩٦ سنة ، كان يحدثنا عن تاريخ الكويت ، وتجوالهم في الصحراء ، وما كان يعترضهم من عواصف رملية ، ومواعيدها ، ودوراتها . . . فسألته عما كانوا يفعلونه لتحديد اتجاهاتهم عندما تهب هذه العواصف . . فذكر الآتي ، انك حتما ستجد في الصحراء عمودا من الخشب ، أو جذع شجرة ، أو صخرة وستكون أحد أسطحها مثقوبة بثقوب صغيرة ، وهذا لأن الرياح عندما تهب تكون محملة بذرات الرمال التي تعمل على ايجاد هذه الثقوب ، وبما أن الرياح التي تهب في المنطقة شمالية ، فان اتجاه هذا السطح يدل على الشمال . . كما كان يمكنهم تحديد الاتجاه بالنظر ، فالمنطقة التي تترسب خلفها الرمال سواء كانت جذع شجرة أو صخرة تدل على الجنوب . . وهكذا كان باستطاعتهم تحديد اتجاه القبلة قبل اختراع البوصلة ، وهذا يدلنا على أن من يتعايش مع البيئة يستطيع أن يتعلم الكثير منها ، ونحن كعلميين علينا أن نتعلم من خبرة هؤلاء . . لذلك كنت حريصا دائما أن أدون « معارف » الناس في كل منطقة ذهبت اليها ، فمعرفتهم عن بيئتهم تفوق معارفنا ، لأنهم عايشوها ، أما أنا كجيولوجي ، فانني أستخدم السيارة في تنقلاتي ، وأدرس الأرض عن طريق صور الفضاء ، ولا أعيش البيئة نفسها .

ـ ألم تحاول أن تضم هذه الخبرات التي جمعتها في كتاب ؟

● بالطبع كلما قمنا ببحث ما ، فاننا ننشر خبرات البدو التي استطعنا جمعها أثناء البحث ، فهي منشورة ، ولكن في أبحاث ودراسات متفرقة ، وأنا أرى أنه برغم ما استطعت أن أحصل عليه من خبرات ، فانه ما زال هناك المزيد الذي يجب جمعه قبل القيام بمثل هذا العمل ، وأعتقد أن كتابا مثل هذا سيكون له أثره الكبير على المختصين قبل الانسان العادي ، لأنه سيوضح كيف يكتسب الفرد مثل هذه الخبرات ، وكيف نستطيع من خبرات البدو الرحل أن نفهم هذه البيئة الصحراوية .

تقدم علمي بدون تقدم اجتماعي !

ـ هناك امكانيات ضخمة في الدول العربية تستطيع أن توفر أساسا لبحث علمي متقدم ، فهناك علماء عرب ، وامكانيات مالية لشراء أحدث التقنيات وهناك مراكز بحثية ، ولكن هناك اتهام بأن مردود البحث العلمي في دولنا لا يماثل مردوده في الدول المتقدمة . . . وبداية أنا لا أعتقد أن الأمر يعود الى أننا نشتري التقنية ، ولا نستطيع أن نتعامل معها ، بدليل أن نفس افراد العرب الذين يتعاملون مع هذه التقنية قد يتفوقون على أقرانهم في الدول المتقدمة ، عندما يهاجرون الى هذه الدول . . اذن أين هي المشكلة ؟

● أنا لا أرى أن هناك مشكلة ، وهناك مثال واضح لما يمكن عمله بهذا الصدد ، وهو هنا في الكويت ، متمثلا بمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، فقد أثبت هذا المعهد أنه يمكن استقطاب الكفاءات

العربية المتواجدة في أمريكا وانجلترا وفرنسا ، وأعطى المثل الحقيقي والعظيم لامكانية عمل مراكز بحثية في الوطن العربي على أحسن طراز ، ويقوم باحثوه باجراء أبحاث توازي ، وقد تفوق مثيلاتها في أفضل مراكز البحوث العالمية . والا لماذا أتيت ـ أنا ـ الى هنا ، فأنا أتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية ، لاجراء دراسة عن الرمال في الكويت ، وهذا يعتبر استقطابا لي ولخبرتي ، ولماذا أقبل هذا الأمر اذا كان هذا المعهد غير أهل لذلك ، وليس على مستوى ما أقوم به من دراسات ؟ وأنا لا أذيع سرا عندما أقول انه لا ينقصني العمل ، وانني لا أقبل أن أتعاون مع أحد الا اذا كان عمله على مستوى جيد

ـ اسمح لي أن أذكر لك انه حتى معهد الكويت للأبحاث العلمية ، يتهم بأن مردود أبحاثه ليست على مستوى مردود الأبحاث في الدول المتقدمة المماثلة له .

● أستطيع أن أقول ان مردود معهد الكويت للأبحاث العلمية هائل ، وخصوصا أن دراساته التي يقوم بها خلافا لجميع معاهد الدراسات العربية في الوطن العربي بأسره ـ دراسات تطبيقية ـ وجزء غير قليل من ميزانيته يأتيه من بيعه لنتائج أبحاثه ، وهذا هو المردود ، أي أن نتيجة أبحاثه تدخل في معيشة المجتمع الكويتي ، فعلى سبيل المثال ثكنات الجيش تردم بالرمال ، فيقوم المعهد بحل هذه المشكلة ، أو مشاكل البترول أو الأسماك . . . الخ ، كل هذا يعتبر مردودا ، ومردودا هائلا ، والا ماذا تعني بالمردود ، أن يكون لدينا قنبلة ذرية ؟ ، أقول لك ان هذا ليس من أهداف معهد كمعهد الكويت للابحاث العلمية ، وأهدافه أن يقوم بأبحاث علمية ، على أحسن طراز ، وعلى مستوى عالمي لخدمة الكويت

لا ابداع مع طابور الجمعية !

ـ لنأخذ القضية من زاوية أخرى ، أنت ـ على سبيل المثال ـ كنت تعمل في جامعة أسيوط ، هل تعتقد أن امكانياتك وقدراتك كان سيستفاد منها وتلمع لو ظللت تعمل في مصر ؟

● نعم ، كان هذا سيحدث ، بالطبع لن أكون عالم فضاء ، ولكنني كنت سأصبح من أفضل علماء الجيولوجيا ، فهذا يعتمد على الفرد بشكل أساسي ، ولا تصدق من يدعي أن القضية محصورة في الامكانيات ، والا فقل لي ما هي الامكانيات التي يحتاجها الجيولوجي ، فكل ما يحتاجه أن يمشي على سطح الارض ، ويجمع الصخور ، وهو أمر لا يحتاج الى ورقة أو قلم أو مسجل ، فهو يقوم بمشاهدات طبيعية ويجمع صخورا ، ثم يقوم بتحليلها ليفسر كيف تكونت هذه الصخور وما قيمتها اقتصاديا ، ومقدار هذه القيمة ، اذن القضية ليست قضية امكانيات بل مشكلة اجتماعية ومشكلة فكر (!!) . فعندما تكون الحياة في بلد ما صعبة ، وعندما تلهي الفرد بحل مشكلة مواصلاته ، ووقوفه في طابور الجمعية للحصول على دجاجة ، والاستيقاظ مبكرا ليجد مكانا في المواصلات ، وفي عودته يجد صنبور المياه مكسورا . . وغيرها ، لن يفكر فيما يعمله ، ولن تكون لديه الفرصة للابداع . . فالبحث العلمي والانتاج العلمي لايتكون في فراغ ، فهو جزء من المجتمع وخصائصه ، فالعلوم والتقدم العلمي في جميع المجتمعات وعلى طول التاريخ البشري على وجه الأرض لم تتم في فراغ أو بمفردها على الاطلاق ، بل هو نمو داخل نمو اجتماعي شامل ، فاذا أتينا بمجموعة من الأفراد ، على مستوى علمي جيد ، وهيأنا لهم احتياجاتهم المعيشية اليومية ، ربما لن تتحرك الأغلبية ، لأنها ترى أن هذا هو المطلوب ، ولكن دائما هناك قلة ستبدع ، لأنك وفرت لهم فرصة الابداع ، وهذا هو ما يصنع الحضارة والمدنية ، ولكن في مجتمع يتخبط في مشاكله ، ولا يعرف ان كانت هي مشكلة غذاء ، أو مواصلات أو تعليم أو مياه . لن تجد من يفكر أو يبدع ، من هنا أقول ان التقدم العلمي هو جزء من تقدم اجتماعي .

ـ اذن فهو مناخ عام يحبط ، أو يحد من قدرات الأفراد الابداعية ؟

● تماما ، فالمناخ العام يحد من نشاط الفرد ، لذلك يجب الرجوع لأصول هذا المناخ لاصلاحه .

ـ هذا يعود بنا لنفس السؤال ، لو ظللت تعمل في مصر هل كنت ستصل الى ما وصلت اليه ، نعم كنت ستجمع الصخور كجيولوجي وتحللها . . ولكن

مع هذا المناخ هل كنت ستصل الى هذه المكانة ؟

● مـاذا تقصد ، المستوى العـالمي ، بـالـطبـع لا يمكن ، نعم كنت سأعمل وأدرس وأبحث ، ولكن تأكد أن ٩٠٪ من نشـاطي وحيويتي كـانت ستضيع هدرا في تفاهات ، لأن تفكيري سينحصر في تأمين معيشتي ، فـالمنـاخ السيىء يؤدي الى الاقـلال من احتمـالات الابداع ، ومن هنا تأتي أهميـة معاهـد الأبحاث كمعهد الكويت ، التي تقوم بتهيئة الفرصة لـلافراد لـلابداع ، لا أدعي أن الجميـع سيبـدع ، ولكن هناك نسبة ستظهر قدراتها الابد اعية .

عقــول هــاجــرت . .
وأخــرى عــلى الط يق !

ـ هـذا الحـديث يـرتبط بقضيـة هجـرة العقول ، وكيفية استعادتها ؟

● القضية الأن ليست في العقول التي هاجرت ، بل الأهم منها كيف تبقى على العقول الموجودة حاليا ، فكل فرد هاجر حالة خاصة ، لها مشاكلها وتقديراتها الشخصية ، اذن لنفكر في كيفية الابقاء على العقول الموجودة حاليا ، وحل مشاكل الخبرات التي لدينا ، فلو حلت هذه المشاكل أبقيت عليهم .

ـ ولكنـنـا هنا نحـل مشاكـل أفراد ، ولا نحل المشكلة بشكل عام ؟

● لا ، يجب حل المشكلة بشكل عام ، كوجود معاهد ، كمعهد الكويت للأبحاث العلمية هنا .

ـ أقصد أننا بهـذا نجمع الافـراد ونحل مشـاكلهم ، ولا نحـل مشكلة المجتمـع بشكل عام ؟

● نعم ، في هذه المرحلة لن تحل مشكلة المجتمع بشكل عام ، ولكن هذا الأسلوب أثبت نجاحـه ، ومثالنا على ذلك الهند ، فبالرغم من عدد السكـان الهائل ومشاكلها المزمنة والفقر الشديد ، عندما أرادت اقامة برنامج للفضاء ، قامت بتجميع العلماء الهنود في هيئة الفضاء الهندية ، ووفرت لهم جميع احتياجاتهم ، ومنحتهم نفس الامتيازات التي كانوا يحصلون عليها خارج الهند ، وسمحت لهم بـالسفر في أي وقت ، وبحرية نشر أبحاثهم ، ووفرت لهم جميع المراجع . .

وبعد سبع سنوات كانت الهند تطلق صواريخ حاملة اقمارا صناعية مصنعة في الهند ، اذن فقد استطاعت حل المشكلة بتجميع هؤلاء العلماء ، وأعتقـد بأنـه وضـع مشابـه لما حـدث في الكويت بـانشاء معهـد الكويت للأبحاث العلمية .

لم أدع للعودة

ـ وعلى صعيد شخصي ، لو أتيحت لك الفرصة ـ وأعتقد أنها أتيحت لك ـ للعودة والاقامة في احدى الدول العربية ، فهل تقبل ؟

● في أي وقت ، وكن على ثقة ان أي فرد هاجر ، لم يكن هـذا برغبتـه ، ولكن لظروف سيئة للغايـة أجبرته أن يترك موطنه .

ـ كما نعرف أنك عينت مستشارا علميـا للرئيس السابق أنور السادات . ؟

● دعني أصحح لك هذا التعبير ، أنا لم أعين ، بل قيل لي هذا كنوع من « المنظرة » ، فلم يكن هناك راتب للمنصب أو صفة رسمية أو مسؤوليات . . . نعم كان الأمر مجرد « منظر حلو » .

ـ حسنـا ، كما أنـك كنت من الأفـراد ، وربمـا الشخص الرئيسي وراء السمـاح بازدواجية الجنسيـة في مصر . . بـرأيك ما فائدة ابقائك على جنسيتك المصرية ان كنت ستظل مقيما في الولايات المتحدة ؟

● لقد كان السماح بازدواجية الجنسية فتحا لباب العودة لمن يريد العودة ، ومن أراد البقـاء في المهجر فليبق كما يشاء ، ولكن عليه أن يفيد بلده ، بتزويدها بالمعلومات بوضع خبراته تحت تصرفها ، بـاجراء أبحـاثه فيهـا بدلا من اجـرائها في المهجـر ، وهـذا ما قمت به شخصيا ، فقد قمت باجراء أبحـاثي في جامعة عين شمس ، كما قمنا ـ أنا وآخرون ـ بانشاء قسم لدراسة الصحراء ، هو أول قسم من نوعه في الجامعات العربية ، وقد حصل منه بالفعل عدد من الطلبة على شهادات عليا ، خمسة طلاب حصلوا على الماجستير ، وثلاثة آخـرون على الـدكتوراة ، وهـذا بالتأكيد تشجيع لي على اجراء أبحاثي في مصر ، بدلا

من الولايات المتحدة .

السد « فقط ولا غير »

- لقد ذكرت عن السد العالي أنه « حمى مصر من المجاعة » ثم أتبعتها بقولك « وأنا هنا أقصد فقط ولا غير امكانية استخدام الصور الفضائية لدراسة البيئة . . » هل كلمات « فقط لاغير » تعبر عن موقف من السد العالي ؟

● لا ، أبدا ، كل ما كنت أقصده انني كنت أتحدث عن السد العالي كمثال ، وأنا أعتبر السد العالي صرحا لم نستخدمه حتى الآن الا بنسبة ١٪ فقط ، وأهميته من وجهة نظري هي احتفاظه بهذا المخزون المائي ، فهو عبارة عن بنك للنقود بلا حدود ، ولا بد من استخدام المياه في البحيرة المتكونة خلفه في الزراعة لاطعام مصر ، وهذا هو الأمر الوحيد الذي يؤمن مستقبل مصر لاخراجها من الورطة الازلية التي توحد فيها منذ ٣٠ سنة مضت .

عودة للمستشار

- طالما أن الأمر ليس موقفا من السد ، اذن سنعود لقرار تعيينك مستشارا للرئيس السادات ، ألا ترى أن لهذا القرار صبغة سياسية ، وان هذا سيحسب عليك سياسيا ؟

● بالتأكيد ، ولكن هذا الأمر كان المقصود منه أساسا أن يقول للشعب أننا نستعين بأفضل التقنيات وها أنا قد أتيت لكم بالرجل « بتاع الفضاء » هنا ليقول لنا أين نذهب في الصحراء ، أنا أعلم أنه فعلها هكذا « عملها كده » أساسا .

- وبالنسبة لك ؟

● لا شيء ، لقد كنت أعمل في صحراء مصر منذ عام ١٩٧٤ ، وعينت مستشارا عام ١٩٧٨ ، ولم يتغير أي شيء بالنسبة لي ، وقبلت . . لا لم أقبل ، على وجه الدقة عينني السادات مستشارا علميا ، ولم يتغير أي شيء بالنسبة لي أو لأبحاثي .

- نعم بالنسبة لك ولأبحاثك لم يتغير شيء ، ولكن سياسيا ، فأنت شخصية عامة ، عندما تعين مستشارا للرئيس أنور السادات ، وفي عام ١٩٧٨ ، هذا يعتبر موقفا سياسيا ؟

● ضد من ، أو مع من ؟

- وكأنك توافق على . .

● مصلحه مصر .

- لا مصلحة أنور السادات ؟

● لا أبدا فأنت عندما تتعامل مع رئيس جمهورية مصر ، فهذا يعني أنه لمصلحة مصر .

- اسمح لي أن أختلف معك في هذه النقطة . ؟

● لا بالطبع لمصلحة مصر . .

- اذا فأنت أخذت الأمر من هذه الزاوية . . ؟

● بالطبع ، فأنا لم يكن لي دخل بسياسه انور السادات « لا باليمين ولا بالشمال » ولم أكلمه فيها مطلقا ، ولم يتحدث لي عنها بتاتا ، فأنا كنت أتحدث عن الصحراء وتعميرها ، أين الأراضي الصالحة ، ما هو المخزون فيها ، ماذا نفعل هنا أو هناك . . فأنا أؤدي خدمة للبلد ، واذا كنت استطيع أن أوصلها لرئيس الجمهورية فهذا أفضل بالنسبة لي من رئيس الوزراء ، ورئيس الوزراء ، أفضل لي من الوزير ، وهكذا . . فأنا رجل علم ، ولا أعتقد أن هناك من سيحكم علي سياسيا ، فطوال عمري لم أتحدث في السياسة ، ولم أتدخل فيها . لأني لا أعرف ما هي السياسة ، وليس لي تأثير عليها ، وكل ما أجيده هو العلم ، والمعرفة ، وكيف أختار أماكن للتنمية .

- و د . أسامة الباز . . . ؟

● أخي ، لذلك أقمنا فيما بيننا معاهدة ، ليتكلم هو في السياسة كما يحلو له ، ولأتكلم أنا في العلم كما يحلو لي ، فلا يتدخل - هو - في العلم ، ولا أتدخل - أنا - في السياسة . .

وهنا تركنا الدكتور فاروق الباز ، ولكن ألا تعتقدون معي أن الدكتور فاروق خرق معاهدته مع الدكتور أسامة أكثر من مرة في هذا الحديث . . ربما يكون عذره استحالة الالتزام بمعاهدة بهذا المضمون ؟ !! □



القاضي عاشق التتار

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كانت دمشق خضراء . . والتتار كأنهم جراد جائع . . وعندما وقف القاضي « ابن مفلح » على الأسوار يراقب جحافلهم التي تحاصر المدينة . أحس بخوف قاتل ، كانت خيام الشعر منتشرة كالقروح على كل السهول التي تحيط بالمدينة حتى نهاية الافق ، والأدخنة التي تتصاعد من نيرانهم المتفرقة تُكَوِّن سحابة قاتمة . . كانت أسوار دمشق عالية ، ومنيعة ، ولكن القاضي شعر أنه يكفي أن ينشب التتار فيها أسنانهم حتى تتهاوى وتسقط المدينة . . تأمل القاضي الخيام الكثيرة ثم تساءل في حيرة :

- ترى . . أين خيمة تيمورلنك وسط هذه الخيام ؟

أيام الحصار :

المدينة المحاصرة مدينة يتيمة . . مقطوعة الصلة بكل ما يحيط بها من سهول وجبال ، تعيش مأساتها الخاصة على حافة الجوع والانتظار الطويل ، دون أن يبكيها أحد . .

سار القاضي في الشوارع الخالية ، لم يؤذن أحد لصلاة المغرب ، لم يكن هناك من يجرؤ على الصعود الى المئذنة أو أي مكان عال ، وكانت الأسئلة تهز القاضي من الداخل وتأكل روحه ، هل سيهجم التتار هذه الليلة ؟ . . وهل تستطيع مدافع السلطان القديمة الصمود في مواجهتهم ؟

ترى . . متى سقطت حلب . . في الليل أم في النهار ؟ . . كيف سقطت حماة ؟ اقتحم التتار أبوابها أم نقبوا الأسوار . . والبهشا . . وعنتاب . . وعشرات المدن التي اجتاحوها . . كيف لم يصل دخان الحرائق الى أنف السلطان المملوكي ، وهو جالس يلاعب خصيانه الكرة في فناء القلعة ؟ . . ضاعت مدن الاسلام بلا ثمن ، كان القاضي يعشق دمشق ، رائحة الأزقة ، واتساع الساحات ، وجلال المساجد والخانات . . كانت تضاريسها مرسومة كالجسد الحي داخل قلبه ، كأنها تعويذة رافقته في الصبا والشباب والكهولة ، كان يقف في مواجهة قباب المسجد الأموي الخضراء التي ينام عليها الحمام ، وأحس بالعجز ، كان الجميع يؤجلون



البكاء على دمشق الى ما بعد السقوط .. ولكن التتار لا يتركون شيئا يبكى عليه .

كان القاضي يصرخ في نائب السلطان :

- لماذا لم ترسل في طلب النجدة من السلطان ..

وكان النائب يرد عليه - كما حدث هذا الصباح - في هدوء :

- أرسلت له الرسول السادس عشر .

ولم يكن أمام دمشق الا الانتظار .. والتتار يأكلون كل ما يحيط بالمدينة حتي حولوها الى صحراء جرداء ، اكتشف القاضي أن قدميه قد قادتاه الى سوق المدينة ، لم يكن هناك بيع ولا شراء ، لم يكن هناك الا بقايا المدن التي سقطت ، والوجوه المفزوعة التي عاشت تجربة الموت والاغتصاب في حلب وحماة ، أحاطوا بالقاضي مثل أشباح الموتي ، فأخرج كل ما في جيبه من دراهم وألقاها اليهم ، ولكنهم ظلوا يحاصرونه بعيونهم المفزوعة .. البنات اللاتي أغتصبن في المساجد أمام آبائهن .. والحوامل اللاتي بقرن والأطفال الذين دهسوا .. وتأملهم القاضي قليلا ثم صرخ في حنق :

- أين أنت أيها السلطان المملوكي النجس ؟ ..

وفر هاربا من حصارهم .. ظل يتخبط في الأزقة حتى وصل الى بيته ، نزلت اليه الجارية السوداء وهي تحمل المصباح ، وكانت ابنته « سارة » في انتظاره ، وجلس بجانب النافذة يراقب المدينة التي أطبق الظلام عليها ، وضعت الجارية الطعام أمامه ثم حملته دون أن يمس ، وقبّلت « سارة » رأس عمامته ثم ذهبت للنوم .

كل شيء قابل للسقوط !

ولم يدر كم مضى عليه من الوقت وهو جالس هكذا .. ولكنه أحس بحركة ، فالتفت ليرى الجارية السوداء واقفة أمامه وهي تقول :

- هناك أمر يجب أن أتحدث فيه معك ياسيدي .. كان يجب أن أحدثك به منذ زمن.قال القاضي في حنق :

- ماذا تريدين ..؟..

- ابنتك سارة ياسيدي .. ان لها حبيبا يراسلها وتذهب لمقابلته ..

ولو أن التتار جاءوا في هذه اللحظة لكانت دهشة القاضي أقل ، كانت الجارية تتحدث .. وهو يحاول فهم تركيبة الكلمات الغريبة ، كان يرى وجه سارة الوديع وهي جالسة تستمع اليه .. وهي تعيد تلاوة ماحفظته من القرآن .. منذ متى وهي تخدعه ؟ كيف حدث هذا ..؟.

ـ اسمه حميد بن زيد ، لايوجد عمل محدد له ، يعمل أحيانا مع المماليك وأحيانا ضدهم ، ولست أدري ياسيدي . . أهو لص . . أم من رجال الشرطة . . ؟

اكتشف القاضي انها تتحدث بحقد . . وانها تعرف الكثير . . وانها أيضا متواطئة . . فصرخ فيها :

ـ أيتها الغرابة السوداء ، أنت ساعدتها على ذلك . . ثم أفشيت بسرها حين اختلفت معها . . أليس كذلك . . ؟ . .

وارتج على الخادمة . . للحظة كانت قد نسيت أنه قاض ، يجمع باستنتاجاته ما لايمكن جمعه ، ويجعل الشاهد طرفا في القضية ، أسرعت بالهرب . . نهض القاضي وسار حيث ترقد ابنته ، كم تبدو بريئة وغير قادرة على الخداع ، تمنى لو أنه يجذبها من شعرها ، ولكنها كانت تنام متكومة حول نفسها . . خائفة حتى أثناء النوم . . وشعر القاضي بحزن شديد لأنه أحس أن كل شيء قابل للسقوط لا أسوار دمشق فقط . .

في صباح اليوم التالي أشرقت الشمس من خلف ظهور التتار شاحبة . . ومرة أخرى رفعوا فوق الأعمدة الطويلة عشرات الفلاحين المصلوبين كي تستطيع المدينة المحاصرة أن تراهم بوضوح . . واكتشف القاضي أنه كان طوال هذه الليلة يحلم أنه مصلوب هكذا . . صرخ في وجه ابنته بانها لن تخرج بعد اليوم من البيت . . وهدد الخادمة بأنه سوف يبيعها في سوق المدينة لأحقر أعرابي بدينار واحد ، وبدأت المدينة يوما آخر من أيام الحصار .

لم يأت السلطان بعد ، والسهام تنطلق لتعبر الأسوار ، وتترك خلفها قتلى مجهولين ماتوا بالمصادفة ، وسار القاضي محني الرأس ، يسمع صرخات الترمل والجوع . ويشم رائحة العفونة القادمة من الجثث . . وتزداد دهشته عندما يصل الى مجلس القضاء فيجد المتخاصمين في انتظاره . . يتصارعون حول الفتات . . إرث ضائع . . بضاعة فاسدة . . أمانة مغدورة ، كأن التتار لا يقفون خلف الأسوار . . وكان القاضي يشعر بالحنق عليهم . . سواء أكانوا أصحاب الحق أم سالبي الحق ، وعندما انصرفوا أخيرا أخذ أنفاسه بعمق ، واستعد للذهاب الى القلعة ، حيث يقابل نائب السلطان ، ولكنه اكتشف متقاضيا آخر مازال يقف أمامه . . شاب نحيف يبدو شديد الثقة بنفسه ، وسأله القاضي ببعض الحدة عن قضيته فقال الشاب :

ـ قضيتي شخصية ياسيدي القاضي . . اسمي حميد ابن زيد ، وأود أن أطلب يد ابنتك . . وصرخ القاضي وهو يرتعد . . يا حراس . . يا حراس . .

ودخل الحراس مفزوعين ، ورأوا الشاب فقفزوا فوقه . . وواصل القاضي الصراخ :

ـ خذوه ، ضعوه في السجن . . لا تخرجوه أبدا . .

وكان القاضي غاضبا لدرجة أرعبت الحرس فجذبوا الشاب بعنف ، ولم يسمحوا له بأي اعتراض ، ونهض القاضي وهو يرتعد . . عبر كل الطرقات وصعد القلعة . . أحس أنه عريان . . محاصر ، سقط قبل أن تسقط مدينته ، صعد القلعة ولأول مرة شاهد البِشْرَ على وجه نائب السلطان الذي صاح فيه :

ـ بشراك ياقاضي دمشق ، السلطان قادم . . وصلتنا رسله ، وسوف يصل هو والجيش بعد ثلاثة أيام . .

أيام الانتصار :

بعد ثلاثة أيام وصل السلطان الناصر فرج ، وكانت سارة مازالت مريضة في فراشها ، ولكن القاضي أحس أن الروح قد عادت الى دمشق . . وبدت البشائر عندما اقتحم الجيش السلطاني قبضة الحصار التتري في الجانب الغربي ، واستطاع أن يشتتهم ويلقن تيمورلنك أول ضربة . . لم تكن ضربة موجعة بدرجة كافية ، ولكنها كانت كافية حتى تتنفس المدينة ، وتفتح أبوابها الخلفية كي تستقبل جيوش السلطان .

ووقف القاضي على باب القلعة ضمن مستقبلي السلطان ، لاحظ أنه مازال صغيرا . كان في الثانية عشرة من عمره عندما مات أبوه السلطان برقوق وتولى هو العرش . . وكان في الثالثة عشرة عندما ثار عليه نائبه على الشام « الاتابكي ايتمش » واعتقد الجميع لحظتها أن السلطان الصغير سوف يفقد عرشه لامحالة ، ولكنه ما أن سار على رأس التجريدة الى الشام حتى تخاذل كل الأمراء المتمردين ، وألقوا بأنفسهم تحت أقدام السلطان ليعود منتصرا . . وهاهو الأن في الرابعة عشرة من عمره وعليه أن يواجه

تيمورلنك هذه المرة .

وعندما ارتفعت الرايات فوق الأسوار ، كان تيمورلنك أمام خيمته ، فتمتم في غضب :

ـ انهم يتجرءون على الفرح .

أجل ، تجرأت دمشق . . وسار السلطان الصغير وهو لا يكاد يُرى بين أجساد الأتابكة والأمراء والقادة وزعماء العربان ، وانتشر جنوده وسط المدينة كما ينتشر الأمل . صعدوا الأسوار وأطلوا على جنود التتار متعفني الرائحة في استخفاف . . واجتمع مجلس الحرب في القلعة . . وحضرها القاضي وامتلأ بالقوة وشعر أن دمشق قد تم انقاذها بالفعل حتى أنه هبط من فوره الى السجن . . وبصق في وجه حميد بن ريد . . وهتف به :

ـ لن تسلبني ابنتي . . كما أن التتار لن يسلبوني دمشق .

ولم يفهم السجين الشاب شيئا . . كل ما فعله هو أنه أحب فتاة نبيلة بطريقة أكثر نبلا وأراد أن يتزوج منها . لم يدر أن القاضي ذات لحظة من لحظات الجنون قد وحد ابنته بالمدينة المهددة . . ولكن أعلام الانتصار ظلت مرفوعة . . فبعد أيام حلت ثانية بركات السلطان ، فقد خرج « جاليش » من قواته قوامه من مائة جندي لكي يؤمن طريق الامدادات عند جبل الثلج . . فهناك اكتشف « جاليشا » آخر من التتار من حوالي ألف جندي ، وانقصوا عليهم في هجمة مفاجئة صاعقة . . أنشبوا السيوف والرماح في أجسادهم حتى أفنوهم عن آخرهم . وتركوهم جثثا متناثرة فوق سفح الجبل . . ولم يصدق أحد تلك المعركة الغريبة التي لم تأخذ أكثر من ساعتين ، ومع ذلك قضت على ألف جندي . . . ووقف تيمور لنك مذهولا أمام خيمته ومساعدة « ملك شاه » يقول له :

ـ مولاي الخان . . لقد مات ابنك . .

وهدم التتار خيامهم ، ورفعت دمشق أعلامها . . وبدأت تستعد للجولة القادمة ، وفي اليوم الثالث حدثت ثالثة بركات السلطان ، استسلم خمسة من أكبر قواد التتار ، ارتموا تحت قدميه وطلبوا الأمان ، كانوا هاربين من غضب تيمورلنك . . كان غضبه على مقتل ابنه عظيما ، ولم يجد الا القواد يصب عليهم شواظ هذا الغضب ، وتوالت بركات السلطان ، انضم اليه العديد من قبائل العربان ، والعديد من أولاد الترك ، وسارت قوافل السلاح من مصر . . ورفع تيمورلنك الراية البيضاء يطلب التفاوض . . وفتح باب صغير من أبواب المدينة دخل منه الرسل ، كان تيمورلنك حزينا يريد العودة الى بغداد ، ولكنه يريد أولا أن ينهي الحرب بينه وبين السلطان . . فهو يخشى المطاردة . . ويخشى تحالفه مع أولاد عثمان ضده . . ويريد له حدا أدنى يتيح له التراجع عن أولى المدن التي استعصت في وجهه .

كان السلطان محظوظا بالفعل حتى أن سارة اضطرت للتماثل للشفاء ، وظل الولد المشاغب داخل السجن ، وأخذ رسل التتار يقضون الساعات الطويلة على أعتاب السلطان . وانتهز أحدهم الفرصة ، وطلب اللحوء الى حماه . . وأخيرا اتفقا على كل شروط الصلح . . ولم يبق الا أن يتقابل السلطان والخان ليوقعا هذه الاتفاقية في صباح اليوم التالي .

وباتت المدينة في أسعد لياليها منذ شهور طويلة ، خرج الناس الى الشوارع . . وأضاءوا كل الدروب . . وكَبَّر المؤذنون من فوق كل المآذن ، ووقفت الصبايا في النوافذ يلقين بالزهور . . وعندما جاء الصباح أخيرا ، ارتدى القاضي أفخم عباءة . . وأكبر عمامة عنده ثم سار الى القلعة ليكون ضمن وفد الصلح الذي سينقذ المدينة . .

سكون . . سكون مريب يخيم على كل شيء . . صمت موحش غريب لايوازي الصخب الذي كان يشتعل في عروق المدينة ، ماذا حدث ؟ . . استعادت القلعة هيئتها الكالحة كأيام الحصار . . وعلى وجوه الجنود الكآبة . . حتى نائب السلطان كان واقفا يتأمل ـ من نافذة القلعة الجيوش التترية . . وهتف في توجع :

ـ لقد رحل السلطان . .

هتف القاضي في حسرة . . رحل . . لقد كان منتصرا . .

قال نائب السلطان :

ـ أرغمه الأمراء والاتابكة على ذلك . . جاءته رسل من القاهرة ومن غزة أن هناك بعض الأمراء والعسكر ينوون خلعه من على العرش . . لذا أسرع بالعودة حتى ينقذ عرشه .

هتف القاضي . . ودمشق ؟

قال النائب . . لها الله .

وهبط خبر رحيل السلطان كالصاعقة ، وخرج الناس في الشوارع يضربون كفا بكف ، وصعد مؤذن المسجد الأموي يؤذن للصلاة ، ولكنه انخرط في البكاء . . كان السلطان ما يزال طفلا في الخامسة عشرة من عمره . . خيوله تنهب الارض بحثا عن عرشه المهتز . .

ودمشق ماتزال رهينة في قبضة التتار .

خرج تيمورلنك من حزنه وصمم على أن تدفع دمشق الثمن مضاعفا ، سد الثغرة التي صنعها السلطان ، وطوى راياته البيض وأخذ يمطر المدينة بالسهام النارية ويرفع أمامها جثث المصلوبين ، ويرتطم بالأسوار في نوبات جنونية ، ويطلب من المدينة أن تستسلم دون قيد ولا شرط . . وصرخ القاضي :

- سوف يحرقون دمشق . . كما أحرقوا بغداد وغيرها من المدن . .

وقال نائب السلطان دون أمل حقيقي :

- سوف يعود السلطان بعد أن يؤدب العصاة . . حتى ذلك الحين يمكننا أن نقاوم . .

ولكن دمشق كانت وحيدة ، أكثر من ذي قبل ، وقال القاضي :

- فلنذهب للتفاوض مع تيمورلنك . . فلنقدم له أي شيء يريده . . وهتف النائب :

- انه لا يريد الا حرق المدينة . .

واحتدم الجدل . . وأعلن القاضي أنه على استعداد لان يذهب الى آخر بقعة في الأرض من أجل انقاذ المدينة ، ولم يكن في حاجة الى أن يذهب بعيدا . . فالتتار يقعون على مرمى سهم . . ولكن من الذي يطلق سهما وهو مكبل بكل هذا الرعب .

أيام الانكسار :

للمرة الأولى رفعت المدينة علما أبيض ،.وصنعت محفة صغيرة ربطتها بالحبال ، ركب عليها القاضي وثلاثة من كبار التجار . . وهبطوا من فوق السور الى أرض الحصار . بين أنياب تيمورلنك . .

كان جالسا في صدر خيمته وهم يتقدمون محني الرؤوس ، صامتا ، تفوح منه رائحة عطنة . . وسمح للقاضي بالكلام فتكلم . . قدم اعتذار المدينة الطويل لأنها قاومته . . وأسفها لأن ابنه مات على أبوابها . . وذلها اذ تسأله ماذا يريد . . وابتسم تيمور لنك ابتسامة مخيفة وهو يقول في هدوء :

- ومن قال أنني أريد أن أحرق دمشق . . انها مدينة الأنبياء . . انه الثأر بيني وبين السلطان وجنوده الذين قتلوا ابني . .

وقال القاضي ابن مفلح :

- ولكن السلطان رحل عنا يامولاي . .

قال تيمورلنك في ملل :

- أعرف . . ولكن نائبه مازال موجودا . . وجنوده . . وراياته . . ومازالت المدينة تخضع له . . وعليها أن تخلع طاعته أولا . . افتحوا لنا باب المدينة . . ولو بابا صغيرا حتى نطرد نائب السلطان ونعلن خروج المدينة من طاعته . .

وكان الاقتراح مثيرا للرعب . . وتحدث ابن مفلح ببلاغة . . وخلع طاعة السلطان بالفعل . وحاول التملص من شرط فتح الباب . . وكان تيمورلنك هادئا . . معجبا بفصاحته حتى أنه قال له :

- كان الأجدر أن تكون أنت سلطان هذه المدينة . . وقد أعتقتها لأجل خاطرك . .

وعاد ابن مفلح الى دمشق مزهوا . . لقد دخل في طاعة تيمورلنك ، وعلى المدينة كلها أن تدخل في طاعته اذا كانت تريد أن تنقذ نفسها .

وأخذ القاضي والتجار الثلاثة يحدثون أهل دمشق عن حفاوة استقبال تيمور لنك . . وعتقه للمدينة اذا دخلت في طاعته . . وهو لايريد الا بابا صغيرا . . باباً واحداً يدخل منه بضعة من جنود ، ليعلنوا أن المدينة قد خرجت من طاعة السلطان ، ودخلت في طاعة الخان . .

ورفض نائب السلطان . . وانقسمت دمشق . . كان القاضي وبقية الأعيان والتجار يريدون فتح المدينة . . ولكن بقية الجنود الذين سهروا على الأسوار . . والناس الذين ماتوا بلا ثمن في الحواري . . والأمهات والثكالى من المدن الاخرى . . كانوا يرفضون أي وعد . . فالتتار هم التتار . . حاول ابن مفلح أن يفتح باب النصر ، ولكن النائب هدده بالقتل ، وكانت الليلة طويلة مليئة بالانقسامات . .

وفي صباح اليوم التالي بدأ القاضي رحلته الثانية الى تيمورلنك . . وأخذ معه هذه المرة المزيد من التجار والأعيان والعلماء والقضاة والمشايخ . . وكان الشيخ عبد الرحمن بن خلدون قاضي مصر مازال في المدينة ، وأراد أن يعاين تيمورلنك عن قرب ، ليكتب عنه في تاريخه ، فأخذه ابن مفلح معه ، وكان استقبال تيمورلنك حافلا .

فرش لهم الأبسطة ، ونصب الخيام ، وجعل قواده وأمراءه وعلى رأسهم « شاه ملك » يسيرون في خدمتهم . . وأخذ يتحدث حديثه العذب عن دمشق وعن فضلها على كل المدن ، وأن التعرض لأي بيت من بيوتها أو مسجد من مساجدها جريمة لا تغتفر .

وأحس ابن مفلح أن تيمورلنك ليس عطن الرائحة الى درجة كبيرة . . وأنه يمكن التعود على جواره بشكل أو بآخر ، وعندما حاول الوفد الرجوع الى المدينة ، أصر تيمورلنك على أن يقضوا الليلة في ضيافته . . وأحفت رائحة الشواء رائحة العفونة المنبعثة من مئات الجثث التي بقيت بلا دفن على التلال ، ووضع تيمور لنك على كتفي ابن مفلح فراء ثمينا ، وجعله يتصدر المجلس ، وأخذ يقول له يانائبي . . يا مشيري .

وأحس ابن مفلح بزهو لم يشعر بمثله أبدا من قبل .

في الصباح صعدوا متخمين الى الاسوار ، على وجوههم علامات الرضا ، وفي أيديهم رسالة من تسعة سطور . . ووقف ابن مفلح على باب الجامع الأموي وقرأها بصوت عال . . الأمان الأمان يا أهل دمشق . . أمان مطلق بلا قيد ولا شرط . . أمان من غدر الخان . . وغدر السلطان . . وغدر الرمان . . لم يبق الا أن نفتح الأبواب . .

الباب الصغير

كانوا في نشوة وهم يفتحون الباب الصغير ، اعتزل نائب السلطان الجميع في قلعته ، وأصبح ابن مفلح هو الحاكم الحقيقي للشارع ، ومن الناحية الأخرى من السور . . كان شاه ملك وبضعة من الجنود يقفون في تلهف ، واحتضنه القاضي ، ورحب بالجنود ، ثم قادهم الى داخل المدينة ، كان الناس ينظرون اليهم في خوف ، كأنهم قادمون من كوكب آخر ، كانت الأسواق خالية من الطعام والأرصفة مليئة بالجوعى ، فأبدى شاه ملك أسفه على ذلك ، ووعد بأن يتحدث مع الخان العظيم لكي يمد المدينة ببعض الأطعمة .

في اليوم التالي عاد الوفد ، ازداد عدد الجنود قليلا ولكنهم كانوا يحملون بعض الأطعمة ليست أطعمة كافية ولكنها بادرة على أي حال ، ولم يفكر أحد في اغلاق الباب المدينة الصغير جدا أثناء الليل ، ولم يفكر الجنود في مغادرة المدينة ، نصبوا خيمة صغيرة بجانب السور ، وجلس قائدهم أمامهم يمنعهم من ارتكاب أي أخطاء ، وفي اليوم الثالث كانوا أكثر عددا . . ولم يحملوا أي أطعمة ، وجلس القاضي يمارس حكمه ودوره الجديد كحاكم لدمشق فوجد أحد القادة وقد جلس عن يساره ، لم يقل شيئا ، ولم يتدخل في شيء . . ولكنه أخذ يتفرس في الجميع بعينيه الباردتين ، وأصبحت الخيمة الواحدة عشرات الخيام في الأيام التالية ، يقيم فيها عشرات الجنود المسلحين الذين لاينامون الليل ولا يتبادلون مع أحد كلمة واحدة ، ولكن الحالة ظلت هادئة وظل تيمورلنك خارج المدينة كانه زاهد في دخولها .

ثم توغلوا في المدينة قليلا ، أزاحوا اللاجئين من على الأرصفة ، وتكدسوا في الحوانيت المطلة على النواصي ، ثم أحكموا قبضتهم تماما حول قلعة المدينة ونائب السلطان ، وبدأ الناس يشعرون ببعض القلق . . كانوا يتكاثرون ، لم يتصور أحد أن هذا الباب الصغير يمكن أن يدخل كل هذه الأعداد ، ولم يعد من الممكن اغلاقه ، بل من المستحيل الاقتراب منه .

وفي ذات يوم فوجيء القضي بشاه ملك وهو واقف أمامه في لهجة حاسمة :

ـ لا أحد يقترب من جامع بني أمية . . رجالي سوف ينزلون فيه . .

وانصرف القائد دون أن يسمع ردا . . وطرد المشايخ والمقرئين والطلبة ، ورفعت الحصر والأبسطة ، ووضعت على النوافذ حتى لا يرى أحد ماذا يحدث في الداخل . . ثم انبعثت منه أصوات الطبول والضحكات الماجنة ، وهبط الجنود الى أزقة المدينة السفلية ، واقتادوا بعض الغواني الى المسجد ، لم يعد هناك أذان يرتفع ، أو قرآن يتلى ، ولم تعد تجدي مبررات ابن مفلح للناس . . كان يجب عليه أن

يذهب الى تيمورلنك ويقول له ما حدث . . ووقف أمامه . . كانت رائحته ما تزال عطنة . . وهتف ابن مفلح ببلاغته :

ـ لا يرضيك يامولاي الخان العظيم أن يتحول بيت الله الى ماخور . .

ولكن تيمورلنك لم يتاثر بالبلاغة هذه المرة وقال له في برود :

ـ وأنت لا يرضيك أن تعيش دمشق عالة علي . . وعلى جنودي . . مدينتك لم تدفع الجزية حتى الآن . .

وفتح ابن مفلح فمه في دهشة ، تراجع تيمورلنك عن أول سطر من سطوره التسعة . . وأضاف في صوت رهيب :

ـ عليك أن تجمع لي من أهل المدينة ألف ألف دينار . . هيا . . أمامك يومان . . وانصرف ابن مفلح مذعورا ، ودخل المدينة فوجد جنود التتار في كل مكان ، كل نظرة من نظراتهم تحمل وعيدا ، ومر بجوار المسجد فسمع الضحكات النسائية العالية مختلطة بأصوات الدفوف ، كان بقية الفقهاء والتجار والأعيان صفر الوجوه ، ونائب السلطان ما زال في قلعته ، والسلطان بعيدا لا يعرف أحد ان كان قد أدب العصاة أم هم الذين أدبوه . . وعاد القاضي يبرر كل شيء . .

ـ لابد وأنه كان سياخذ الثمن . . حتى لو كان السلطان هو الذي أنقذنا . كان سياخذ الثمن . . المدن كلها تدفع ثمن حياتها للغزاة . .

وانتشر القاضي وأعوانه في المدينة ، ودفع الناس بلا مقاومة تقريبا ، كانوا خائفين ، يريدون أن يتخلصوا من هذا الكابوس ، من الرائحة العطنة التي تملأ كل مكان ، وبعد يومين من اللهاث المستمر اجتمعت الدراهم ، وضعوها فوق بغل صغير ثم سار القاضي الى تيمورلنك ، ولكنه رمق الأكياس في غضب بالغ وقال دون أن يأمر بانزالها من فوق البغلة :

ـ ماهذا . . لقد قررت أن تجمع من دمشق ألف ألف تومان ، وكل تومان عندنا بألف ألف دينار . . هيا . . اذهب واجمع بقية الجزية . .

قرد داخل طوق

واحتقن وجه القاضي لم يكن يعرف الفرق بين الدينار والتومان ، ولكن المزعج أن الخان العظيم ليس راضيا . .

ـ اذا لم تكن قادرا على جمع الأموال بنفسك . . أرسلنا معك من يساعدك . . وأحاط قواد تيمورلنك بالقاضي ، كأنه قرد داخل طوق ساروا به الى المدينة ، واحتج الناس فهاجموهم بالسياط ثم بالسيوف ، فرضوا على كل رأس كبير أو صغير عشرة دنانير ، نزعوا ذهب النساء وثياب الرجال ، ومقتنيات التكايا والخانات ، وثرايا المساجد ، اقتحموا البيوت المغلقة ، ونبشوا في أسرة الحريم ، ونقبوا الجدران بحثا عن الأموال المخبأة . . وكان ابن مفلح . . يقيد الاشياء في دفتره . . ويحاول كل فترة أن يحول الدراهم الى دينار ، والدينار الى تومان ، والاذلال الى حصافة ، والدم الى ماء . . كان التتار قد احتلوا كل المساجد تقريبا ، وارتفعت روائحهم العطنة بدلا من البخور ، وضحكاتهم الماجنة بدلا من الأدعية ، وهبط نائب السلطان مغلوبا من قلعته بعد حصار استمر ثلاثين يوما ، قطعوا رقبته وحصدوا غنائمه واستولوا على كل الأموال التي تركها السلطان الهارب خلفه ولم يرضوا باضافتها الى دين المدينة الكبير . . ومرة أخرى وضع ابن مفلح الأموال تحت أقدام تيمورلنك فقلب شفتيه بامتعاض وهو يقول :

ـ هذه بحسابنا ثلاثة آلاف تومان . وبقي عليكم سبعة آلاف . .

ودار ابن مفلح كالمغيب عن وعيه ، والأوامر تلاحقه ، ونادى المنادي في دمشق ان كل من كانت عنده ودائع للامراء أو العسكر أو السلطان أن يحضرها . . وأسرع الناس في جو الرعب السائد يخرجون مالديهم ، وهتف تيمورلنك غير راض . . ولا قانع :

ـ بقي عليك أن تجمع لنا أموال التجار الغائبين وأعيان البلد .

كان ابن مفلح قد ألف رائحة الدم والعفونة . . ولا يدري ان كان ما يفعله هو حقا لانقاذ المدينة أم لتدمير كل شيء . . وهتف به تيمورلنك مرة أخرى :

ـ بقي عليك أن تجمع لنا كل دابة في المدينة من فرس وبغل وجمل وحمار .

وارتفعت أصوات الحيوانات تستغيث ، اثني عشر ألف دابة ساقها القاضي الى الخان ، ولكن طلبات الخان لا تنتهي :

ـ بقي عليك أن تجمع لنا كل ما في البلد من سلاح . . من السيف حتى السكين الصغير . . وكانت السيوف مثلومة والسكاكين غير قاطعة فذهبت طائعة الى تيمورلنك ، وأفاق ابن مفلح من غشيته قليلا ليسمع باسم حميد بن زيد من جديد . . كانوا يتحدثون عنه . . الأمل الوحيد وسط الخوف الذي يأكل الروح ، هرب من السجن وجمع بعض الرعاع السجناء وبقايا الجنود الذين حاربوا من فوق الأسوار . . وأخذوا يردون على التتار بشكل مختلف ، هاجموهم وهم سكاري داخل المسجد وكان تيمورلنك يوالي طلباته :

ـ بقي عليك أن تكتب لنا بأسماء حارات دمشق وعددها وخططها . .

وكتب القاضي ، وفرق تيمورلنك الأسماء بين قواده . . ودخل الجنود المدينة كالبحر المتلاطم ، يبحثون عن حميد بن زيد ويسلبون ويقتلون كل شيء في طريقهم ، وهتف تيمور في القاضي :

ـ أحضر لي حميد بن زيد . .

وأمهله يومين ، ولم يكن غريبا أن يعود القاضي الى بيته فيجد الجارية مذبوحة . . وسارة ممزقة الثياب مغتصبة الجسد . . وجلس بجانبها يبكي في عجز . هو الذي قاد التتار الى عتبة بابه والى جسد ابنته ، حاول أن يغسل جروحها ، ويستر عريها ، ولكنها كانت تحدق فيه بعيون جامدة كعيون الموتى . . كعيون المدينة التي ضاعت هباء . .

وفي منتصف الليل علت ضجة في أسفل البيت . . أصوات جنود يصعدون الدرج ويقتحمون الغرفة . . لم يكونوا من التتار . . كان هو حميد بن زيد واقفا في يده سيفه وخلفه أتباعه وصرخ فيه :

ـ هل طابت نفسك الآن يا عاشق التتار .

وأوشك أن يهوي عليه بسيفه ، ولكن سارة أفاقت من غيبوبتها وصرخت ، وخيم الصمت وقال أحد الرجال يستحث حميدا :

ـ اقتل الخائن . .

وقال القاضي في صوت مرتعش :

ـ اقتلني اذا أردت . . ولكن خذ سارة بعيدا . . خذها عن طاعون التتار . . . ولايدري كيف حملها وذهبا . . ولكنه جلس في البيت الخالي . . ظفر بحياة ليس لها قيمة الا المزيد من العذاب . . ترى ماذا سيقول تيمورلنك عندما يعرف أن حميدا زاره في بيته ؟ . .

بعد ثلاثة أيام اقتحم جنود تيمورلنك عليه البيت . . قادوه عبر شوارع المدينة ، لم يكن هناك مكان خال يضع عليه قدميه ، فأخذ يدوس على الجثث المتناثرة ، مثل بقية الجنود ومثل الكلاب الضالة التي كانت تلغ من لحومهم ، أفرغ كل ما في بطنه ولكنهم دفعوه ، كانت المدينة كلها قد تحولت الى مقبرة واسعة ، وتمنى في هذه اللحظة لو أن سارة لم تنقذه ، ولو أن حميدا هوى بسيفه . .

كان الجيش كله متأهبا . . وتيمورلنك فوق جواده . كان يحسب أنه الناجي الوحيد من مذبحة المدينة ، ولكنه وجد صفا طويلا من الأطفال ، مربوطين حول أعناقهم بحبل واحد .كانوا مقعدين على الارض يرتعدون ، يبكون دون صوت تحت برد الليل وهتف تيمورلنك به . .

ـ أيها القاضي . . أتعرف من أنا ؟ . .

استخذى ابن مفلح . . كان محطما تماما . .

ـ مولاي الخان العظيم . .

قال تيمور لنك . .

ـ أنا غضب الله في أرضه . يسلطني على من يشاء . .

وصرخ في جنوده وهو يشير الى الاطفال . .

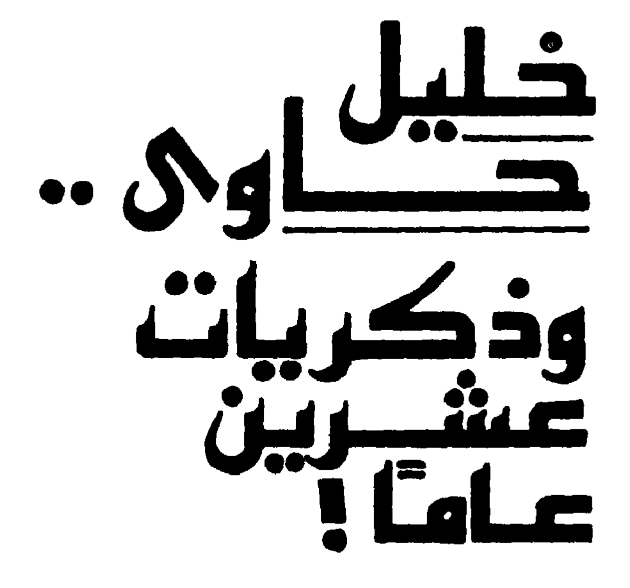
ـ سيروا عليهم بالخيل . لن تكون دمشق بعد الآن . .

وصهلت الخيول في غضب جامح . . وضاعت صرخات الأطفال . . وأخذ القاضي يحدق في هذا المشهد الكابوسي بوجه جامد ، ثم بدأت ألسنة اللهب تتصاعد من المدينة . . من كل مكان ، من أقصاها الى أدناها . ولوى تيمورلنك عنان جواده وهو يقول :

ـ أيها القاضي يا عاشق دمشق . . هاهي مدينتك . . خذها . . □

في الذكرى الرابعة





خليل حاوي.. وذكريات عشرين عاماً!

بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

مع ظهور غبار الدبابات الاسرائيلية وهي تزحف لاحتلال بعض المناطق من الجمهورية اللبنانية ، في السادس من حزيران سنة ١٩٨٢ .... وصلت أزمة الشاعر خليل حاوي الى ذروتها ... فحسمها باطلاق الرصاص على نفسه !

في الذكرى الرابعة على هذه المأساة .... جاءت هذه الكلمات ... تستعيد أثر وتأثير الشاعر .

كن سابقا كل وداع ، كأنه وراءك
كالشتاء الذي يزول الآن .
اذ بين الشتاءات شتاء لانهائي
يحتمله قلبك بشتاء أكبر .
أبدا كن ميتا في بوريدك ـ أصعد أكثر غناء ،
أصعد أكثر ترنما عائدا الى العلاقة الصافية
هنا بين الاشياء الزائلة وفي أرض الصيرورة
كن كأسا مرنة ، كاسا تحطمت من الرنين .
(ريلكة : ترجمة فؤاد رفقة)

أعرفه ، ولا أعرفه ، هذا الشاعر الفارس الذي ترجل عن حصان الحياة المزيل باختياره هو ، وليس باختيار الموت أو أنصار الموت ، أعرفه منذ عشرين عاما ، ومن خلال أشعاره وأخبار معاناته ، ومن

خلال معاركه الصاخبة والخافتة ، وبالرغم من أني لم ألتق به شخصيا ، فقد جمعتني به على بعد المسافات صداقة حميمة ، وكنت كثير الحديث عنه ، كثير الاهتمام به في سنواته الأخيرة ، وكان سعيدا بالحفاوة اليمنية سعادة أي مبدع كبير ، يشعر بأن هناك في منطقة نائية من يتحدث عنه ، ومن يتابع قراءته ويوالي الاهتمام ، كمبدع تومض أشعاره في كل سماء لاتقف في طريقها حدود ولاسدود وحين علمت أن خليل حاوي قد اختصر بيديه رحلة الحياة ، أدركت لماذا مات الفرح في القصيدة العربية ، ولماذا تحول الحصان ذو الغرة البيضاء في حكايات الأطفال الى ثعبان أسود !!

فرق ألف عام

أعرفه ـ اذن ـ منذ عشرين عاما ، فقد رافقته في اول رحلة لي من صنعاء القديمة الى باريس الحديثة ، من أقاصي الجزيرة العربية الى قلب أوروبا ، كان ذلك في منتصف الستينيات ، وقد التقيت به في القاهرة . . وكان اللقاء من خلال ثلاثيته الشهيرة (نهر الرماد) و(الناي والريح) و (بيادر الجوع) ولهذا اللقاء سبب لا أخجل عن الاشارة اليه ، فقد نشأت كغيري من اليمنيين في بيئة اجتماعية وثقافية معزولة ومحافظة ، تقيم بينها وبين العصر وبين أهل العصر أسوارا وحدودا ، ولست مبالغا اذا ماقلت انني عندما بلغت العشرين من عمري لم أكن قد رأيت سوى رجل أوروبي واحد ، ومالا يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة من العرب غير اليمنيين الذين كانوا يعتبرون الى ماقبل قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ في عداد الاجانب ، شأنهم شأن كل غريب الوجه واليد واللسان !

وحين اتاحت لي الثورة السفر الى باريس ، شعرت بالرعب من تصور الحياة ، وسط مجتمع أوروبي كامل وفي مدينة تباعد بينها وبين صنعاء مسافة زمنية لاتقل عن ألف عام ، واذا كانت فكرة الانتقال من بلد الى آخر مصدر عذاب وقلق لمعظم المسافرين ، فان فكرة الانتقال من زمن لآخر لابد أن تكون أشد ايلاما وأكثر تعذيبا ، وهكذا ذهبت الى باريس ، يشدني حنين جارف للجديد ، ويغمرني احساس رهيب بالخوف ، وبشعور القادم من زمن في طريقه الى زمن آخر ، توقفت أياما في القاهرة ، وكان لي فيها أصدقاء وأساتذة ، لم أتردد عن أن اطرح بينهم مشكلتي دون تضخيم للخوف من صدمة المواجهة ، وقد نصحني بعضهم أن أصطحب معي بعض الكتب التي تتحدث عن العلاقة الصدامية بين الشرق والغرب ، وقال لي أحدهم : لقد بدأت تكتب الشعر ولابد أن يكون دليلك الى أوروبا شاعرا ، وان في ذلك فائدة للشعر ولك ، واقترح ان تحمل معك ثلاثية الشاعر خليل حاوي وهي : نهر الرماد ، والناي والريح ، وبيادر الجوع واذا كانت بعض الكتب تناقش العلاقة بين الشرق والغرب ، فانها في الوقت ذاته تولد حالة من الخوف ، وتشيع حالة من الانفصال غير الواعي ، بل ربما خلقت حاجزا لايستطيع الانسان كسره ، بعكس الشعر الذي يؤمن بخوض التجربة ، ويدعو « السندباد » الى تكرار الرحلة ، مهما كانت النتائج ، وأيا كان العائد المنتظر .

لهذه الأسباب اخترت ثلاثية الشاعر خليل حاوي ، لترافقني في رحلتي الدراسية القصيرة ، ولا أدري الى أي حد نجح الشعر في تهدئة مخاوفي ، ولكني اعرف أن الثلاثية كانت زادي طوال مايقرب من نصف العام في فرنسا ، وفي بعض أقطار أوروبا ، فقد حملتها معي الى حيث حملتني خطواتي ، الى جنوب السويد ، حيث أحسست أنني وصلت الى سقف العالم ولم تعد أنفاسي تتحمل أكثر من ذلك الصعود ، وعدت أدراجي الى القاع ، وكنت وأنا انتقل مندهشا مبهورا مذعورا ، كنت لا أكف عن استرجاع العبارة التي قدم بها خليل حاوي لقصيدة « دعوى قديمة » من ديوان نهر الرماد ، والعبارة هي « رأيت في أروقة الجحيم بشرا لايعيشون ولايموتون » وقد قام في ذهني أن ذلك الوصف كان ينطبق علينا نحن في اليمن ، حيث لانحيا ولانموت ، فقد أسدل الزمن علينا تراب النسيان ، وغطتنا رمال الصحراء ، فلا نحن أحياء تخلع علينا الحياة أضواءها وظلالها ولانحن موتى فنريح ونستريح ، وقادتني العبارة الى المقطع التالي من قصيدة « سدوم » الطويلة :

عبرتنا محنة النار

عبرنا هولها قبرا فقبرا .

وتلفتنا الى مطرح ماكان لنا .
بيت ، وسمار ، وذكرى .
فاذا أضلعنا صمت صخور .
وفراغ ميت الآفاق صحرا
واذا نحن عواميد من الملح ،
مسوخ من بلاهات السنين
ان تذكر عابر الدرب .
بحال الميتين .
فهي لاتذكر ، جوفاء .
بلا أمس ، بلايوم وذكرى .

في أحياء باريس المختلفة ، باستثناء « الحي اللاتيني » أدركت أني كنت على حق في تخوفي من الانتقال المفاجىء من زمن الى آخر ، وادركت أيضا حكمة استادي الذي اختار لي شاعرا عربيا معاصرا ليكون دليلي الى دلك العالم الجديد ، لم تكن رواية « عصفور من الشرق » ولا رواية (الحي اللاتيني) ولاقصة « قنديل أم هاشم » ولاغيرها من الكتب التي تناقش العلاقة الصدامية أو الهجومية بين الشرق والغرب ، بقادرة على تخفيف حدة مخاوفي ، او تكييف هذه المخاوف ، فالايقاع النثري ينزلق وتتبدد دلالاته ، والشعر وحده يجسد الخوف والشوق معا ، وهو - دون شك - أكثر قدرة على استيعاب ايقاع الزمن اجتماعيا وروحيا ، لانطلاقه من منطقة الرؤية الشعرية الشاملة المفتوحة وغير المحكومة بالوعي الخارجي الزائف والمتقلب

الساكن والمتحرك

كان صوت الزمن في صنعاء يشبه صوت التراب ، جامدا ساكنا بعيدا ، ولو كان للجمود صوت لكان هو نفسه صوت الجمود . . بينما كان صوت الزمن في باريس يشبه صوت الطائرات والقطارات ، صوت السيارات حادا وعاصفا ، انه صوت الحركة صوت الانفعال والاندفاع ، صوت الحياة التي يخلقها الانسان بعلمه وارادته ويعمقها بفعله وبأحلامه ، لم أتبين هذا من ايقاع باريس الذي كان يصيبني بالدوار ، وانما تبينته من قصائد « نهر الرماد » الذي خيل الى وأنا أقرؤها أن انهارنا لايجري فيها ماء وانما هي أمواج من الرماد ، رماد الحرائق الناتجة عن حالة التوقف والقنوط ، حيث يولد الطفل عجوزا أعمى لايرى الأشياء ولايتفاعل معها كما في قصيدة « الجسر » .

طفلهم يولد خفاشا عجوز
أين من يفني ويحيي ويعيد
يتولى خلقه طفلا جديد
غسله بالزيت والكبريت ،
من نتن الصديد
أين من يفني ويحيي ويعيد ؟
يتولى خلق فرخ النسر
من نسل العبيد
أنكر الطفل أباه ، أمه
ليس فيه منهما شبه بعيد .
ماله ينشق فينا البيت بيتين
ويجرى البحر مابين جديد وعتيق

وعند الصرخة الأخيرة ، عند فكرة بناء البيت الحر الجديد توقفت يومئذ طويلا ، كما لابد أن يكون العشرات بل المئات من أبناء جيلي قد توقفوا عندها طويلا ، فبناء بيت حر جديد أو بالأصح وطن جديد ، وهو حلم الأجيال ، هو خلاصة التجربة المستفادة من قراءة المفارقات بين الشرق والغرب ، من مداومة التفكير في جوهر الاختلاف بين حياتهم وحياتنا ، بين الايقاع السريع لزمنهم والايقاع الرتيب لزماننا ، ولعل هذا الاحساس النابع من الصدمة الكبرى هو الذي أخرج الشاعر خليل حاوي من سراديب اليأس والاحباط ، ومن خطر المقارنة بين أنهار الماء والأنهار الساكنة في وطنه والأنهار المتحركة خارج ذلك الوطن ، بين أنهار الرماد ، بين البشر من لحم ودم والبشر من ملح ، بين أطفال تضعهم أمهاتهم شيوخا ، عاجزين عن مواصلة السير في الحياة ، والاضافة اليها ، وأطفال تضعهم أمهاتهم أطفالا فيشبون ويكتهلون ، وقد يغادرون الحياة دون أن تدركهم الشيخوخة أوينال منهم العجز

الاثر النفسي والثقافي

اني لا أدرس خليل حاوي ، ولا أحاول الاقتراب من لغته الدرامية ، ومن بنائه الشعري الذي عكس

التحـولات الأنصح للقصيـدة العربيـة الحديـدة في الحمسيـيات ، ولكـي أحـاول فقط أن أتحـدث من حلال التداعيات عن الأثر النفسي والثقافي الذي تركه في قـارئه اليمـاني الذي حـرج من حـوب الحـريـرة العربية ، يرتعد حـوفا من العصـر ، ولم تكن بلاده يـومئـد قـد استكملت حـروجهـا تمـامـا من غـار الصحراء ، كانت تبدأ الخطوة الأولى بعد توقف دام قرونا ، ودلك التاثير يؤكد أن المعنى الانساني للشعر يتحلى بمقدار مايتركه في نفس قارئه من تعبير ، إن وطيفة الشعر الحقيقي هي أن يجعل الانسان قادرا على التحدد باستمرار ، وقادرا عـلى التطور والارتقـاء ، وأعترف أبي عـدما أتدكر أثر ثلاثية حليل حاوي ، بعـدما يقـرب من عشرين عـاما ، تحللتهـا قراءات متعددة اصطدم بالاحتلاف الهائل بين تلك القراءات وبين الأثر العميق الذي احتحرت حطوطه العريضة كحـزء من التحول الـذي أسهم في صياغـة شكل وحداني حديد ، وأسهم كدلك في تأسيس احتمالات الكتابة الشعرية ، وفي تحديد أسلوب التعـامل مـع الأزمة الحديدة ، دون حوف كـبير ، لقد سحـرتني الشحاعة التي رجع بها حليل حاوي من العـرب ، وبهرتني أحلامه ، وشدتني أضواء البروق التي احترتها في عينيه كما حاء في قصيدة « عودة الى سدوم »

عدت في عيني طوفان من البرق
ومن رعد الجبال الشاهقة ،
عدت بالنار التي من أحلها
عرضت صدري عاريا للصاعقة
جرفت ذاكرتي النار وأمسي
كل أمسي فيك يانهر الرماد
صلواتي سفر أيوب ، وحبي
دمع ليلي ، خاتم من شهرزاد
فيك يانهر الرماد

ولكن هل تحققت نبوءاته الشعرية ؟ هل صمدت البروق والنيران التي ادحرها لمواجهة الجفاف والخواء في وطنه العربي البارد كالثلج والنافق كالجثة ؟ وهل ظهر ذلك الجيل الذي بشر به في قصائده ، وشاد من أضلعه جسرا يسير عليه ، وينتقل به من الشرق المستنقع الى الشرق الجديد والمنارة ؟ لقد حقق خليل حاوي على المستوى الشعري انجازا فريدا وضعه في الدرجة الأولى من شعراء الحداثة العربية ، ولكن هل كان دلك هو كل مايطمح اليه ، هل طموح الشاعر أو الكاتب يقف عند كونه كاتبا مرموقا أو شاعرا ذائعا في وطن يعاني الاذلال والقمع ، ويتقع وجهه صباح مساء في الهزائم والانتكاسات ؟ قد يكون دلك مقبولا ومستسـاغـا عـند عشاق الـبريق الـزائف ورواد الصـالونـات ، لكنه مرفوض من شـاعـر تتمحـور قصائده كحياته حول هموم الثورة العربية وأحلامها ،

ومن هنا كانت تلك الالام والمواجع التي ظلت تمزق روحه ، وتحترق كيانه العقلي والنفسي ، وتجعله غريبا في أهله ووحيدا في عالمه

دوي الحقيقة

لقـد حاولت بعـد اعلان وفـاتـه التي تمت عـلى الطريقة الشرقية أن اعتذر له أو اعتدر لنفسي عنده بارجاع أسلوب الوفاة الى تأثير الأساطير والفلسفات الشرقية ، والى فكرة الفداء الدينية ، وحاولت كدلك أن أجـد لها أسـاسا في شعـره ، حيث الموت شـرط للبعث ، والفناء شرط للميلاد ، الا انني اكتشفت في تلك المحاولة أو في دلك التفسير اذا صح ان فيه قدرا كبيرا من تبسيط المـأسـاة ، ومن اخفـاء الأسبـاب الحقيقية التي تقف وراء دلك الاختيار الفاجع ، لقد كان اليأس التام وخيبة الأمل والرعب مماوصل اليه الوضع الراهن للعرب وللوطن الحلم الـذي يتعثر وتناثر الى كيانات غريبة محيرة، لقد كان دلك وراء الاختيار ، فضلا عن غيـاب الفارس الـذي انتظره الشاعر طويلا ، وطويلا ، دون جدوى .

وحين كنت في فرنسا ، مند مايقرب من عشرين عـامـا ، سمعت عـبارة تتكـرر كثيـرا عن « القفـا والوجه » ولعلها عنوان كتاب غير مشهـور لكامـو ، وكان الحديث يدور يومئذ عن الوجه العربي وعن القفا العربي ، فالـوجه تمثله أقـطار الشام ومصـر وشمال أفريقيا ، وبينها القفا يتمثل باقطار الجزيرة العربية ، أما الآن،وبعد ، تتابع الهزائم العربية ، فقد أصبح الـوطن العربي من المـاء الى الماء قفـا لاوجـه لـه ، وأصبحت شمس الشرق العربي الجديد هي الشمس الساطعة التي يشع منها الليل ، تعبيرا عن التناقض والتضاد في الأشياء □

قاموس العربي

شرعية

مفهوم سياسي محوري تتحدد به صحة وصعية نظام الحكم وقانونيته وتفسير وجوده ، وهو يعني باختصار ذلك القبول الطوعي والجماعي من جموع الشعب للقوانين والتشريعات التي يضعها النظام السياسي ، ، وهذا بدوره لايتحقق الا اذا توافق العمل السياسي وتوجهات الحكم مع مصالح المواطنين وقيمهم الاجتماعية .

وبهذا المفهوم تصبح العدالة هي جوهر الشرعية ومؤشر القياس عليها ، وبالتالي فان غياب معنى عدل النظام يلغي الشرعية ، ويمنح الثورة على النظام شرعية حقيقية جديدة ، ويتفق جمهور المفكرين وعلماء الاجتماع والسياسة على أن كيفية وصول نظام ما الى الحكم هو المعنى الضيق والمحدود للشرعية ، لأن الأمر الجوهري في الشرعية هو الفعل السياسي ، ومدى تحقيقه لمصالح المجموع ، وتكريس معنى العدل ، واذا كنا نقول أن عناصر الشرعية هي ذلك القبول الطوعي من المحكوم ، نتيجة عدالة وفعالية نظام الحكم ، فان معنى هذا بوضوح ان الشرعية مستمدة من الأمة أو الشعب ، وتصبح الجماهير بذلك هي مصدر الشرعية والسلطات .

وفي تصورنا فانه حتى في بعض الأنظمة التي كانت ترفع نظرية التفويض الالهي في الحكم ، فان الجماهير أيضا كانت هي مصدر الشرعية ، فمجرد القبول الطوعي من الجماهير لهذا التفويض ، والناتج عن اعتناق الجموع لقيم دينية تبيح مثل هذا التفويض ، ورضا الشعب في أن يتم مصادرة حقه باسم الدين ، مجرد ايمان الناس بهذه الأفكار وقبولهم الطوعي لها ، هو صك بالشرعية لهذه النظم

ولذلك فانه عندما افتقد النظام الفرنسي قبل الثورة الفرنسية لمعنى العدل ، اكتسبت الثورة ضد النظام شرعية حقيقية ، وسحبت الثورة من النظام- الذي كان قائما على حق التفويض الالهي - شرعيته ، وطالبت الأمة كلها وراء مفكريها بالمطلب الشهير ، « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » ، وهذا اعتراف حقيقي من الشعب برفض نظام الحكم ، وأدركت جموع الشعب الفرنسي أن سحب شرعية النظام انما تتم بسحب شرعية الاطار الفكري الذي يحتمي به ، وهناك انواع عديدة من الشرعية ، أكثرها تطورا وتقدما هو ماكان قائما على أساس من التفاهم ، أو العقد الاجتماعي الذي يتجسد عادة في وثيقة سياسية قانونية دستورية ، تتحدد بمقتضاها الحقوق والواجبات ، وبخلاف هذا النوع فهناك شرعية تقليدية ، تستمد قوتها من تراث ثقافي أو عقائدي أو قبلي ، وهناك شرعيات تستمد قوتها من أهدافها كالشرعية الثورية التي تعني حق الثورة في اتخاذ ماتراه من اجراءات لتحقيق الأهداف التي قامت من



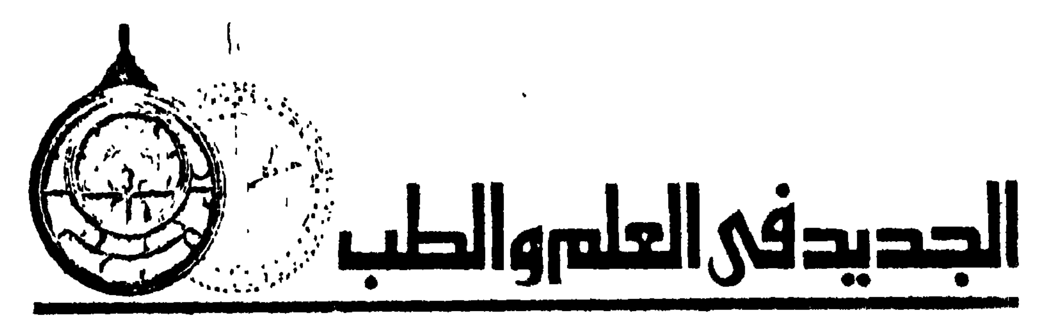
● مونتسكيو

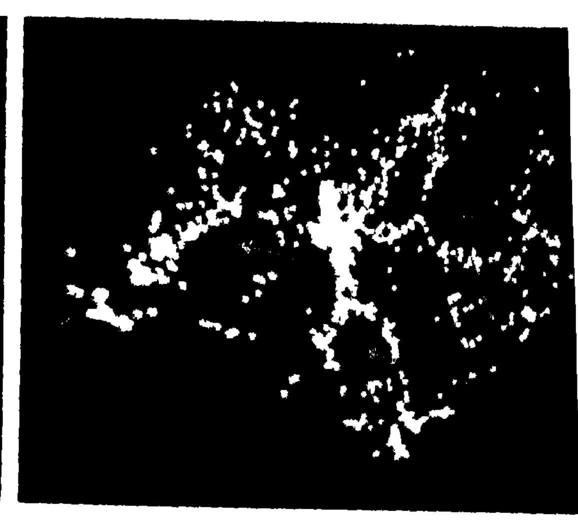
أجلها ، مهما كانت هذه الاجراءات خارج اطار القانون ، أي أنها شرعية تبيح للثورة اللجوء الى الاجراءات الاستثنائية ، لتحول مبادئها وبرامجها الى قوانين ونظم ، ومن المنطقي أن الاجراءات الثورية هذه لاتتمتع ولاتستحق صفة الشرعية ، الا اذا كانت لصالح الأغلبية المطلقة

وتقوم الأحزاب بدور مهم في دعم الشرعية وتوطيدها ، فمن خلال الحوار المفتوح بين الاحزاب ونظم الحكم ، يتحقق نوع من المشاركة الهرمية من قمة النظام والقاعدة الشعبية ـ اتفاقا واختلافا ـ كما يتحقق التعبير عن مصالح واتجاهات الجموع ، كي يوجه الحكم سياساته نحو تحقيقها ، ومن هنا فان اختفاء الحوار بين نظم الحكم وشعوبها . . وافتقاد قنوات الاتصال يؤدي ـ في أغلب الأحيان ـ الى فقدان النظم لبوصلة التوجه نحو أي السياسات توافق الجماهير . ومدى استقرار معنى عدل السلطة في وجدان الأمة . . ومن هنا فانه تنشأ أزمة شرعية للنظام ويفقد مصداقيته ، وسبب ودواعي وجوده ، ويفتح الباب لضرورة التغيير ، وتحدى السلطة القائمة التي اهتزت شرعيتها . □

سوّده علمه

قال الشعبي : دخلت على الحجاج حين دخل العراق ، فسألني عن اسمي ، فأخبرته ، ثم قال : ياشعبي كيف علمك بكتاب الله الكريم ؟ قلت : عني يؤخذ . قال : كيف علمك بالفرائض ؟ قلت الي المنتهى فيها . قال : كيف علمك بأنساب الناس ؟ قلت : أنا الفيصل فيها . قال : كيف علمك بالشعر ؟ قلت أنا ديوانه . فقال الحجاج لله أبوك ياشعبي ، ثم انه فرض لي أموالا ، وسودني على قومي ، فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان ، وخرجت وأنا سيدهم .







خريطة الكون ... بعض الكون لا كله

انظر الى هذا الرسم ودقق النظر فيه فهذه النقاط المنثورة فيه على غير انتظام ، ليست نتيجة رشق عشوائي بفرشة التلوين كما قد يبدو لك . بل إن ما تراه أمامك ليس رسما عاديا ، وانما هو أقرب الى الصورة الفوتوغرافية التي استغرق إعدادها أكثر من عشر سنين .. انها خريطة الكون . نعم .. الكون بمجراته ونجومه وكواكبه .. وسُدُمه وكوراراته وفراغاته ... وهي حصيلة مشروع فلكي جبار ، اشترك في تنفيذه عدد من العلماء الفلكيين المعروفين في الولايات المتحدة الأمريكية ، فمنذ سنة ١٩٧٥ والعالم (جون هوشرا) أحد كبار الباحثين العاملين في مركز هارفرد ـ سميثونيان للفيزياء الفلكية ، يتعاون وزميلته العالمة الفلكية (مارجريت جللر) على مسح الكون ورسم خريطة أمينة وافية للسماء وأجرامها . وقد تطلب هذا المشروع فيما تطلب ، رصد المجرات أو جزر النجوم كما سماها البعض ، وملاحقتها ـ وهي التي تملأ الكون ـ وملاحقة نجومها بين وقت وآخر ، وذلك من أجل تحديد مواقعها بكل ما يمكن من ضبط ودقة ..

وقد قام بمهمة الرصد والمسح هذه أحد الطلاب الخريجين الماضين في دراساتهم العليا ... حتى كانت هذه الخريطة التي تتميز على كل ما سواها من خرائط السماء ، بأنها ثلاثية الأبعاد كما توضح ذلك الخريطة الأصلية الملونة .

وبالرغم من شمولية هذه الخريطة ، فإنها لا تفي الكون حقه . . أي أنها لا تحيط بالكون كل الكون ، وانما بعضه فقط ، أي عما يقدر بـ ١١٧ درجة × ٦ درجات فحسب . . أو ما يبلغ امتداده حوالي ٣٠٠ مليون سنة ضوئية (السنة الضوئية تبلغ ٦ مليون مليون ميل !) ، وهي لا تبين بُعدَ المجرات عن الكرة الأرضية فحسب ، ولكنها تبين أيضا بعد بعضها عن بعض . . . وتحدد مواقع بعضها من بعض . وذلك بقياس حدة الضوء المنبعث من تلك المجرات . ومدى اقتراب ذلك الضوء من موجات اللون الأحمر أو إن شئت مدى احمراره الدال على مدى ابتعاده عن الكرة الأرضية

والغريب أن هذه الخريطة التي أسهمت أجهزة الكمبيوتر في تصميمها ورسمها . . . تظهر الكون كأنه فراغات عملاقة تشبه الفقاقيع . . ولكنها فقاقيع جوفاء هائلة ، تبلغ الواحدة منها ٦٠ × ١٥٠ مليون سنة ضوئية . . (بالمقارنة لا تزيد مجرتنا ـ مجرة درب اللبانة ـ على ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية من أقصاها الى أقصاها) . . . وتسأل . أين المجرات إذن من هذه الفقاقيع العملاقة ؟ . ولو أمعنت النظر في الخريطة لرأيت أشرطة هزيلة ، وتكاد ألا ترى ، تلف تلك الفقاقيع . . . وما المجرات بنجومها وكواكبها التي تعدُّ بآلاف الملايين الا تلك الأشرطة النحيلة التي أوشكت أن تكون شفافة .

فحص العظام وتشخيص امراضها

أصبح في امكان الأطباء الآن فحص العظام وقياس كتلتها وتحديد مدى قابليتها للاصابة بمرض وهن العظم . . . وهو المرض الذي يضعف العظم ويجعله أكثر عرضة للكسور ولآفات العمود الفقرى . . وقد كانت هذه الفحوص موضع تجارب طوال سنوات عديدة ، في المركز الطبى التابع لجامعة فاندربلت في ناسفيل في تنسى في الولايات المتحدة .

وتجدر الاشارة الى أن النساء أكثر عرضة لمرض وهن العظم من الرجال وخصوصا من تجاوزن سن اليأس منهن . . وتقوم الفحوص فيما تقوم عليه ، على جرعات خفيفة من أشعة اكس ، أشعة جاما . . . يسلط على الفقرات . . فتظهر صورة العظم على شاشة جهاز الكمبيوتر الذي يحسب ويحدد كتلة العظم بالغرامات في السنتمتر المربع .

زيت السمك . . يحد من التجلط والتصلب

زيت السمك . .وهو من المقومات الرئيسية في وجبات الأسكيمو ، كان موضع دراسة وتجارب واسعة نشرت نتائجها مجلة نيوانجلند الطبية ، في أواسط شهر ابريل الماضي (١٩٨٦) وقد تبين للباحثين أن تقليد وجبات الأسكيمو . واطعام الناس بمقادير كبيرة من زيت السمك قد يكسب المناعة ضد امراض القلب وذلك بالحد من مادة ثرومبوكسين التي توجد في الدم والتي تسهم في تكوين الجلطات الدموية . . .

ان جرعة ثلاث ملاعق صغيرة من زيت السمك يوميا تناولها ستة رجال مصابين بمرض العصاد أو التصلب العصيدي ، وتناولها في الوقت نفسه سبعة رجال معافين . . أثبتت في نهاية الشهر أن مادة الثرومبوكسين قد نقصت في دم الرجال المصابين والمعافين سواء بسواء . . وكان نقصانها بنسبة ٥٨٪ في فئة المصابين و ٥٠٪ في فئة المعافين . . □



بقع الزيت .. لها بصمات

من المعروف أن أكثر بقع الزيت التي تلوث البحار انما تعزى إلى ناقلات الزيت التي تتخلص من بقايا حمولتها بالقائها في عرض البحر. ومن المعروف أيضا أن الدول المتقدمة قد سنت القوانين التي تحرم أو تعاقب مثل تلك الناقلات .. ولكنها افتقرت حتى الآن الى الطريقة العلمية التي تثبت مسؤولية تلك الناقلات عن بقع الزيت التي تسببت بها . .

نقول حتى الآن ، لأن احدى المؤسسات العلمية في هولندة (منظمة الأبحاث العلمية التطبيقية) اكتشفت مؤخرا أن لكل نوع من أنواع الزيت الخام ، ولكل صنف من مشتقاته ، بصمة خاصة فريدة ، كبصمات الأصابع بالنسبة الى بني الانسان . . ولكن بصمات الزيوت ليست بصمات خطوط ، وانما بصمات تألق .. فلكل نوع من الزيوت نوع معين من التألق يتميز به عن كافة الأنواع الأخرى . . . . ولا تحتاج طائرات الرقابة الى أكثر من تسليط رزمة من أشعة ليزر على بقعة زيت.. لتمتص البقعة بعض تلك الأشعة ، ثم تعكسها شعاعا متألقا يحمل بصمة ذلك الزيت دون غيره ... وليس أسهل من اثبات مسئولية احدى الناقلات عن تلك البقعة بالذات .. وذلك لدى الحصول على نمس التألق من تسليط أشعة الليزر على حمولتها ، أو على بقايا تلك الحمولة . . .



والجدير بالذكر أن المنظمة الهولندية نجحت في تحديد البصمات المختلفة لاثنين وأربعين نوعا من أنواع الزيت ... ٢٢ نوعا من الزيوت الخام ، و(١٠) أنواع من زيت الوقود ، و(١٠) أنواع أخرى من زيوت التشحيم ... وقد ثبت للباحثين أن هذه البصمات المتميزة تصمد ولا تتغير ... وذلك بعد فحصها وقياسها في ظروف عديدة مختلفة .

أما التحر الذى تتعرض له بقع الزيت ، بل قل بعض محتويات الزيت فى تلك البقع ، الذى من شأنه أن يغير فى بصمات الزيت التى نتحدث عنها .
فقد نجح العلماء الهولنديون فى تحديد ذلك التغير ، وذلك بتحديد نسبة التحر التى أدت اليه . وهم لا يحتاجون الى أكثر من اكتشاف البقع فى وقت مبكر ، حتى يحددوا الوقت الذى ألقت الناقلة فيه بقايا زيتها ، وتسببت بظهور تلك البقع ويقارنوا ذلك بالمعلومات المتاحة فى جداول تحركات الناقلات ..

ولا يخفى القصد من ذلك .. وهو عدم السماح لملوثى البحار من رقابة الناقلات بالافلات من العقوبة التى تفرضها عليهم القوانين . وضمان الابقاء على نظافة البحار أعالى البحار والشواطىء سواء بسواء ....

الدول المتخلفة .. بعضها بقى متخلفا ..

تحتل دولة الامارات العربية المتحدة مكان الصدارة بين الدول جميعا حيث دخل الفرد . وقد بلغ ٢٢,٨٧٠ دولارا بالمتوسط سنويا وذلك وفق الاحصائية الأخيرة التى اصدرها البنك الدولى فى مطلع شهر تموز / يوليو الماضى (١٩٨٥) وتذكر الاحصائية فيما تذكر ان مجموع سكان الامارات يبلغ ١,١٨ مليون نسمة ..
وتأتى دولة الكويت فى المرتبة الثانية وقد حددت الاحصائية دخل الفرد بمبلغ ١٧,٨٨٠ دولارا بالمتوسط سنويا وعدد السكان ١,٥ مليون نسمة

ويذكر البنك الدولى فى تقريره ان جانبا كبيرا من دخل الفرد فى الدولتين المذكورتين انما هو دخل عينى ويشمل الخدمات المجانية الصحية والتعليمية ويشمل ايضا السكن الذي يحصل عليه المواطنون بلا مقابل .
وتأتى سويسرا فى المرتبة الثالثة ، تليها الولايات المتحدة الامريكية . وقد بلغ متوسط دخل الفرد السنوى فيهما ١٦٢٩٠ دولارا و ١٤,١١٠ دولارا على التوالى . ثم تأتى النرويج وقد بلغ متوسط دخل الفرد فيها ١٤٠٢٠ دولارا . فى السنة .
ويميز التقرير بين الدول الغنية . والدول غير الغنية وتشمل مجموعة الدول الغنية تسع عشرة دولة تتصدرها الدول الاربع التى ذكرناها وتشمل ايضا السويد (١٢٤٧٠ دولارا) وكندا (١٢٣١٠ دولار والدنمارك (١١,٥٧٠ دولارا) فأستراليا (١١,٤٩٠ دولارا) تليها المانيا الغربية والسعودية (١٢,٢٣٠ دولارا) . (١١,٤٣٠ دولارا) ثم فنلندة (١٠,٧٤٠ دولارا) ففرنسا (١٠,٧٤٠ دولارا) ثم اليابان (١٠,١٢٠ دولارا) . وتأتى اسبانيا فى المرتبة الاخيرة فى مجموعة الدول الغنية وقد بلغ دخل الفرد فيها ٤,٧٨٠ دولارا بالمتوسط سنويا .
أما مجموعة الدول الفقيرة فنذكر منها الدول التالية .
الصين (٣٠٠,- دولار سنويا) ويشيد التقرير بمنجزات الصين فى هذا العدد وقد حققت زيادة ملحوظة فى متوسط دخلها السنوى بلغت نسبتها ٤,٤٪ خلال العقدين الاخيرين (١٩٦٥ - ١٩٨٣) .
ولعلك تتساءل عزيزى القارىء عن أتعس أو افقر دولة في هذه المجموعة انها الحبشة (١٢٠,- دولارا) وقد تحل محلها فجأة بنجلادش (١٣٠,- دولارا) ..
ويذكر تقرير البنك الدولى مجموعتين متميزتين في الدول ، ، مجموعة الدول ذات الدخول المتوسطة / المنخفضة وعددها ثلاثون .. ومجموعة الدول ذات الدخول المتوسطة / المرتفعة وعددها ١٩ دولة .. وتشمل المجموعة الاولى فيما تشمل كولمبيا (١,٤٣٠) دولارا والسنغال (٤٤٠,- دولارا) .. وتشمل المجموعة الثانية دولة ترنيداد وتوباجو (٦,٨٥٠ دولارا) والمملكة الاردنية الهاشمية (١,٦٤٠ دولارا) ... وتدخل ضمن هذه المجموعة العراق وايران لكن التقرير لايذكر شيئا عن دخلها
ويغفل التقرير ذكر دخول ٢١ دولة اكثرها من الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتى ... □



نباتات الأنابيب بعد أطفال الأنابيب

بقلم : عبد الرحمن حريتاني

حين نشر جريجور مندل نتائج تجاربه على النباتات عام ١٨٦٥ ، لم يكن هذا القسيس النمساوي يدري أنه كان يسجل بعض أهم الاكتشافات في تاريخ البشرية ، فقد كان مندل بشروحه حول تطعيم الأشجار يصنع أسس علم المستقبل . . علم الوراثة .

حدثت الثورة الخضراء الأولى عام (١٩٦٠) عندما بدأت بحوث وتجارب علماء النبات تعطي ثمارها ، في انتاج غلات ومحاصيل زراعية ذات مردود كبير ، وذلك بعد استنبات سلالات جديدة من القمح والأرز والذرة وغيرها ذات نوعيات جيدة ومحاصيل وفيرة . . ولمدة عقدين من الزمن نجح عالم وراثة النباتات فورمان بورلاج في استنبات سلالات جديدة من القمح ، أعطت محاصيل وفيرة مع استعمال المخصبات والمبيدات والري الجيد ، وزرعت هذه السلالات الجديدة في أقطار كثيرة من العالم ، وخاصة في الأقطار النامية التي حققت الاكتفاء الذاتي في الحبوب ، بفضل نوعية هذه السلالات ، ونال بورلاج جائزة نوبل للسلام عام (١٩٧٠) على عمله هذا ، وفي عام (١٩٧٣) حقق عالم بيولوجيا الجزيئات (هربرت بوير) اكتشافاً بعيد الأثر فتح به آفاقاً واسعة لعلم الهندسة الوراثية ،



وذلك حين طور طريقة تسمح بادخال جينات غريبة إلى بكتريا الايشريشياكولي لتنتج ما تنتجه الخلايا الطبيعية في جسم الانسان من مواد، كهرمون الأنسولين أو مادة الأنترفيرون وغيرها.

فما هي هذه الآفاق الواسعة التي دخلها علم الهندسة الوراثية في مجال النبات؟

الجينـــات الخضراء :

يركز علماء وراثة النبات اليوم في دراساتهم وبحوثهم على زيادة مردود الانتاج الزراعي وبكميات مضاعفة، وخصوصاً الحبوب، دون تكاليف باهظة، وعلى تحسين نوعية هذا الانتاج بانتاج سلالات لا تحتاج للأسمدة الباهظة التكاليف، ولها القدرة على مقاومة أمراض النبات والآفات الزراعية والجفاف، وعلى أن تنمو في أراض صالحه التربة وتتكيف مع كافة المناخات وحالات الطقس، . وتقصر مدة النمو . بحيث تؤدي بالتالي الى الحصول على أنواع جديدة من النباتات غير معروفة تكون مختلفة الثمار . ولكن . . كيف يتم هذا؟ حين يلاحظ علماء وراثة النبات أن نباتاً ما، له القدرة على النمو في أراضي جافة، أو أن نباتاً له قدرة أكثر من غيره على مقاومة الأمراض النباتية أو الثلج أو الصقيع، يكون الاستنتاج أن في هذا النبات جينات محددة تعطيه هذه القدرة الخاصة . عندها يقوم العلماء أولاً بتحديد هذه الجينات القادرة، ويثبتونها ثم ينقلونها إلى نبات آخر ليست فيه هذه الصفات، ويزرعونها فيه فيحصلون أخيراً على نبات امتلك صفات جديدة، فيزرعونه في أراض ومناخات لم تكن صالحة لزراعته فيعطي، انتاجاً يغني الدولة صاحبة المشروع عن استيراد هذا المحصول .

وقد يمزج العلماء خلايا نبات معين بخلايا نبات آخر، ليحصلوا على نبات جديد يعطي ثماراً ليست من اختصاصه، كمزج الطماطم بنبات البطاطا، أو كانتاج الفاصولياء من عباد الشمس . . أو إنتاج نباتات خليطة تنتج ثماراً عديدة منوعة على نفس الغصن . فما هي الوسائل التقنية الحيوية في علم وراثة النبات التي يتبعها العلماء، ومن ورائهم مئات الشركات العالمية المتعددة الجنسيات، لزيادة الانتاجية للنبات؟، وما هي الوسائل التي يتبعوها لتغيير الأصول التقليدية لنمو النباتات وتبديل طبيعتها التي سارت عليها ملايين السنين؟، ثم ما هي هذه النباتات الجديدة التي ستعطي ثماراً غير ما نألف؟

انصهار الخلايا زراعة المستقبل :

تقتضي التقنية الهندسية لهذه العملية أخذ خليتين من ساتين مختلفين، لا يمكن تهجينهما أو تكاثرهما جنسياً، ثم تجري عملية حل جدران هذه الخلايا بفعل أنزيمات معينة لتصبح هذه الخلايا بروتوبلاست يجري دمجها مع بعض في مراحل التطور المتأخرة من عمليات الزرع النسيجي، ثم تُحث البروتوبلاست من النباتين المختلفين المدمجين، لتحديد الجدار الخلوي، ثم يجري زرعها لينمو نبات جديد يجمع الصفات الوراثية المشتركة لكلا الساتين وقد استخدم عالم النبات توشيو موراشيج من جامعة كاليفورنيا طريقة انصهار البروتوبلاست لتحسين مردود المطاط وثمر الجوافة، وقامت شركة كامبل سوب في نيوجيرزي بدمج البروتوبلاست من نبات الطماطم ونبات تبغ من نوع معين، لايجاد سمات خاصة في نبات التبغ تقاوم الأمراض . . والآن تستخدم المشاتل الزراعية الكبيرة في كل مكان في العالم، ولأغراض تجارية، عمليات زرع لاستنتاج نسخ متشابهة من مصدر رئيسي تزرع في أنابيب اختبار،وتعالج بالهرمونات والأملاح المعدنية والفيتامينات والطاقة (بشكل سكر) الى أن تنمو النبتات الصغيرة، وتتفرع فتخرج من الأنابيب وتزرع في الأرض لتنمو بالشكل الطبيعي وتصبح نباتات كبيرة . . وهذه العمليات توفر وقتاً طويلا وتعطي مردوداً وافراً، ولكن ما هي عمليات زرع النسج هذه؟

زرع النسج :

تتكون البذرة نتيجة اندماج حبة لقاح مع بويضة في مبيض زهرة . . وعملية زرع النسج تنتج النبات عن غير طريق زراعة البذور في الأرض، أي غير طريق التكاثر الجنسي المعروف . . وقام بأولى هذه التجارب عالم النبات (ف. سي ستيوارد) من جامعة كورنيل بالولايات المتحدة، حيث أحضر (جزرة)

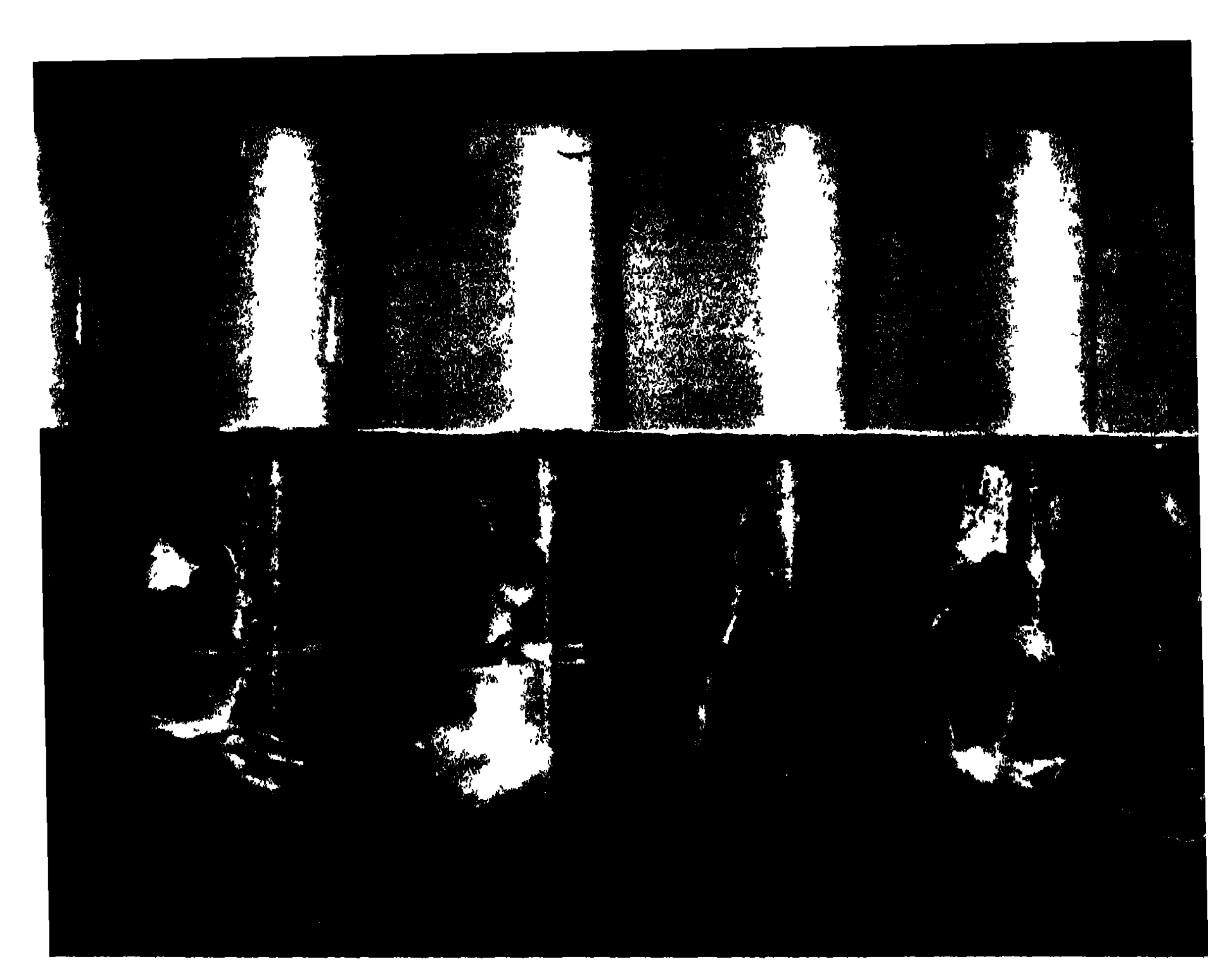
وقسمها الى شرائح عدة ، ثم أخد من هده الشرائح مجموعات خلايا ووضعها في أنبوب اختبار ، يحتوي غـداء خاصـاً معقماً ، وثبتت عـلى جهاز ميكـانيكي رحراج ، هزه هزاً شديداً حتى انفصلت خلايا اللحاء المتماسكة بشكل إفرادي وبشكـل مجموعـات ، ثم سحب الخلايا المفردة بواسطة أنابيب شعرية غاية في الـدقة ، ووضـع كل خليـة منها في أنبـوب اختبـار زجاجي معقم به محلول غدائي وبعد مضي مـدة قصيرة نسبياً بدأت الخلايا لنبات الجزر تنقسم وتتكاثر وهي في محـاليلهـا ، ثم تحـولت الى أنسجـة وصـار للأنسجة جذور ، ثم نقلت هذه الأنسجة بجذورها الى أطبـاق بهـا غـداء هـلامي ، فتفـرعت الجـذور وامتـدت وبـدأت في امتصـاص الغـداء ودفعـه الى الأنسجة ، ثم ظهرت السـوق والأوراق وأخيراً نقلت هـذه النبتـات الصغيـرة الى أراض زراعيـة مناسبة ، حيث زرعت وأصبحت نباتات كاملة ، أي نسخاً طبق الأصل من نبات الجزر الأم والعالمان (فاسيلي) و (ا هيلدرابدت) قاما بتجارب مماثلة على نبات التبغ ، كما قام علماء آخرون بتجارب مماثلة على أنواع نباتات أخـرى وجميع هـده التجارب كانت ناجحـة . والخلايـا التي تؤخد من النسـج ، توضع في أنابيب اختبار ضمن محاليل كيميائية مغذية حتى تضاعف كل خلية نفسها بالملايين ، ويكفي أن نعلم أن مـا زنتـه (غـرام) من الخـلايـا الأصليـة المزروعة . ينتـج أكثر من (١٠٠٠) نبتة صالحـة للزرع

وزراعة النسج زراعة مستقبلية تبشر بالخير والنفع لجميع البشر ، والمزارع الكبيرة في كافة انحاء الأرض تزرع نسيجاً الآن ، كل المزروعات وبكثافة منظمة وفاعلية ، دلـك أن الزرع النسيجي يخلق النبـاتات القادرة على أن تنمو وتربى في بيئات غير صالحة لنموها أساساً ، وفي أراض غير ملائمة ، وعلماء النبات في جـامعات كثيـرة بينها (جـامعه كـولورادو وبـوردو وكاليفورنيا) استطاعوا أن ينموا نباتات ويجعلوها تثمر في أراض وبيئات لم تزرع بها من قبل .

وعلى هذا فان عمليات (انصهار الخلايا) تقدم أنجح الطرق لادخال المميزات الوراثية المرغوب فيها الى أي نبـات ، والعلماء الآن يستعملون مـركب (متعدد غليكول الأثيلين المضاد للتجمد ليسرع في عملية صهر الخلايا ، كما أن انصهار الخـلايا يقـدم أنواعاً جديدة من النبات غير معروفة . . بينما عمليات زرع النسج تعطي نباتات سليمة خالية من الأمراض من نبتة أم ، وبكميات كبيرة وبوقت قصير ، ويكفي أن نعلم أنه بينما تعطي نبتة ما في حقل عادي حوالي (٥٠) حفيدة خلال عام كامل ، نرى أن هذه النبتة تعـطي في نفس المدة في عمليـات الـزرع النسيجي حوالي (٥٠) ألف حفيدة سليمة . بل ان العلماء يـأملون في القريب العـاجـل ، بـاستخـراج المـواد الصيدلية الطبية والمواد الكيميائيـة وحتى البترول ، ليس فقط من محاصيل النبات ، بل من خلايا النبات نفسهـا ، وذلك بعد برمجـة هذه الخـلايا لتقـوم بهده الأعمال وبمقارنـة عمليات انتاج البنسلين بنمو الفطر في أحواض زرع كبيرة ، يتنبأ العالم دونالدك . دوجال من مركز علم الخلية في ليبك بلاسيد بنيويورك بيوم تستطيع فيه الكيمياء الحيوية روتينيا أن تستخرج حوالي (١٠٠٠) جالون من خلايا النبات نفسها ، دون الحاجة الى أحواض الزرع . ودوجال واثق أيضاً من أنه عن طريق الزرع النسيجي للنبات ستستخرج كميات محدودة من المواد الكيميائيـة التي ستستعمل لمعـالجة أمراض القلب ، استخراج مـركبات ضـد الأورام ، كما أن شركة يابانية وجامعة كولومبيا نجحتا في استخراج مواد كيميائية من خلايا نباتين صينيـين نادرين لهما تأثير على بعض أشكال مرض اللوكيميا (الدم) ويوماً ما ستعمم زراعة النبات بالأنابيب بدلاً من البذور ، وذلك لمواجهة متطلبات الملايـين الزائدة من البشر .

عمليات نقل الجينات :

تعـالج الهـندسة الـوراثيـة في ثـورتهـا الخضـراء الثانية النبات بزرعه في طبق بتري الذى ينمي النبات بسرعة أكبر من سرعة نمائه في الحقول . . ذلك أنه في الطرق التقليديـة لنمو النبـات يلقح النـوع نفسـه ، فالذرة مثلاً تخصب الذرة ولكنها لا تخصب الشعير ، والعالم الذي يهجن سـلالتين من نـوع واحد لينتـج سلالة جديدة تملك ميزات أفضل ، انما يكون عمله محدداً بالميزات الكامنة في أنواع الذرة ، وعلماء وراثة النبات تخطوا هذه الحدود التقليدية واتجهوا مباشرة الى العمل الأكبر الا وهـو عملية (نقـل الجينات) التي



ستة أنابيب اختبار تحوي نبتات تفاح صغيرة ستزرع في الأرض ، متى استكملت نمو جدورها ونلاحظ أن الأنبوب الثالث والأنبوب السادس (من يسار الصورة) بهما نبتتان ناميتان أكثر من البقية ، والسبب أنه قد وضع بداخلهما تركيز هرمونات نمو أكثر (للتجربة)

تتمتع بميزات غير عادية في نبات ما الى نبات آخر هو بحاجة لهذه الميزات ولا يملكها .

فاصوليا من عباد الشمس :

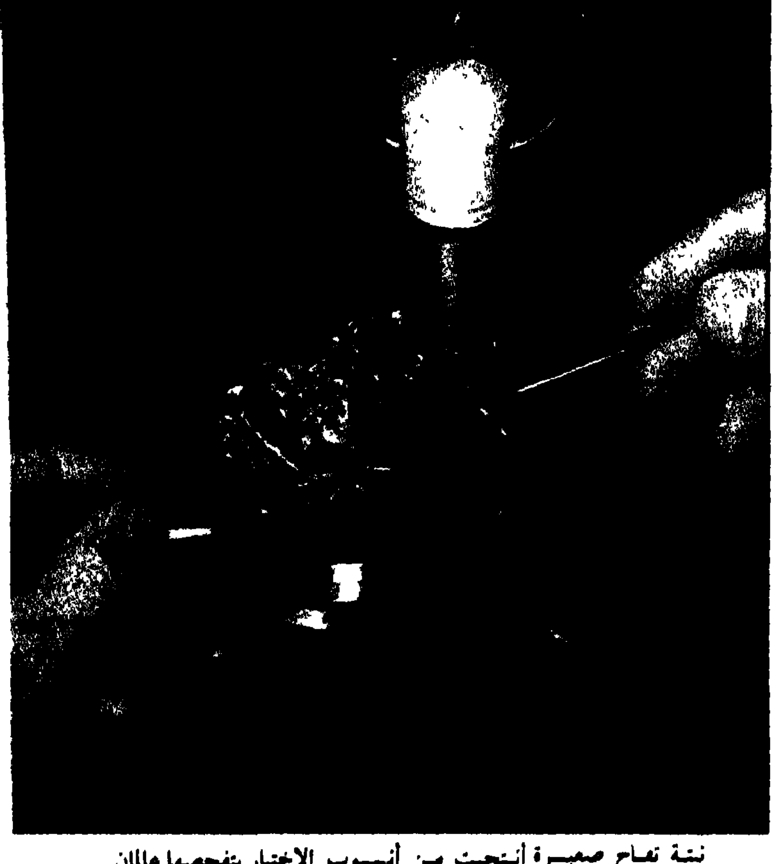
في العام الماضي تمكنت مجموعة علماء ، من شعبة الزراعة الأميركية ، وعلماء من جامعة وسكنسون الأميركية من عزل الجينة التي تصطنع البروتين في خلايا الفاصولياء ، ثم نقل هذه الجينة وزرعها في خلايا نباتات عباد الشمس بعد أن استخدمت هذه المجموعة نوعاً من البكتيريا النباتية اسمه أغروبكتيريا كوسيط نقل وزرع وهي بكتريا زراعية تسبب نوعاً من السرطان عند الكثير من النباتات بعد أن تتضخم أنسجة الجزء العلوي من النبات ، وحرثومة الايشريشيا كولي ، وحصلوا على بذور جديدة لنبات جديد اسموه فاصوليا الشمس

ويسعى مهندسو الوراثة والشركات المتعددة الجنسيات لانتاج نباتات عالية المردود من البروتينات المحسنة الضرورية للانسان ، ونباتات جديدة تنتج ثماراً منوعة ، وأيضا نباتات ثمارها تجمع بين صفات عدة ثمار ، ويقول بروفيسور علم أمراض النبات في جامعة كاليفورنيا روبرت شيفارد : « أن الزراعة خلال الخمسين سنة القادمة ستكون بصورة مختلفة تماماً عما هي عليه الآن في كل شيء ، وسنرى نباتات بأشكال جديدة لم نألفها »

نباتات تسمد نفسها :

قام رائد عمليات زرع الجينات الغريبة نورمان كولد هارب بعزل نوع من أنواع البكتريا تدعى الريزوبيوم ثم زرعها في خلايا نبات من غير القوليات فنمت هذه النباتات وهي تحمل ميزة البكتريا التي زرعت فيها ، وهي تثبيت النيتروجين الجوي . . ثم تكاثرت هذه النباتات وأنتجت الحبوب والبذور التي

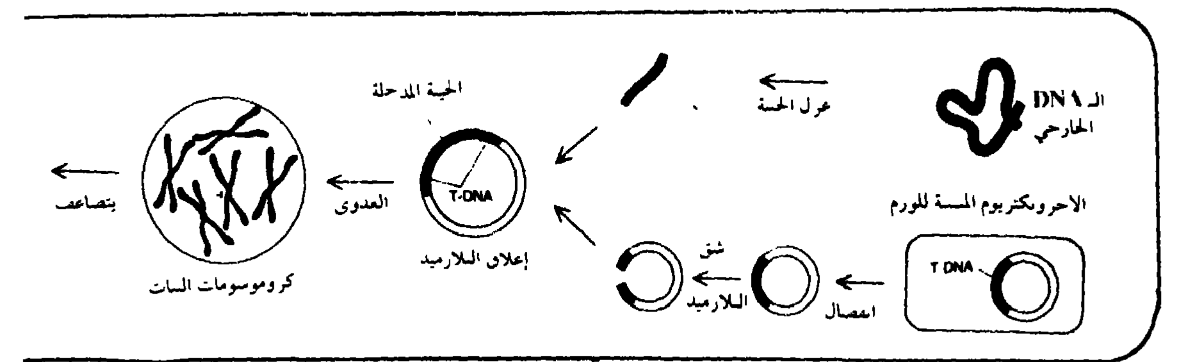
ابحاث دائبة لتوفير انواع افضل من البطاطا



نبتة تفاح صغيرة أنتجت من أنبوب الاختبار يتفحصها عالمان قبل وضعها في محلول غذائي لتنبت لها الجذور .



عالما وراثة النبات (رود شارب Rod Sharp) و (كريستوفر فليك Christopher Flick) يفحصان نباتات التبغ التي هجنوها بعملية انصهار الخلايا fused protoplast . ونرى بوضوح نبات التبغ المزدهر



مراحل عملية ادخال جينات مرغوب بميزاتها من (D NA) نبات ومضاعفتها باستعمال (بلازميد) من الأجروبكتويوم التي تسبب الورم في معظم النباتات الفلقتين (نفس العمل قامت به الأجروبكتويوم في مراحل زرع الفاصوليا بعباد الشمس .

لا تحتاج الأسمدة فهي تسمد نفسها بنفسها ، وبزرع هذه البذور من جديد تتوالد أجيال من هذه النباتات تستغني تماماً عن أية أسمدة نيتروجينية .. ولنا أن نعلم مدى أهمية هذه العمليات اذا عرفنا أن صناعة السماد النيتروجيني تكلف العالم آلاف الملايين من الدولارات كل عام ، وأن المزارعين الأميركيين وحدهم يصرفون أكثر من (مليون) دولار كل عام على السماد النيتروجيني لزراعات الذرة وحدها .

ويستطيع علماء النبات نقل الشريط الوراثي الذي يثبت النيتروجين الجوي من بكتريا الريزوبيوم الى آلاف الأنواع الأخرى من الجراثيم التي توجد في الأراضي الزراعية ، وليس على أشرطتها الوراثية تلك الصنعة ، وذلك بعملية دمج الأشرطة الوراثية للنوعين ، فتتحول هذه الجراثيم الزراعية الى مصانع أسمدة وتوفر كل تلك الأموال الطائلة التي تصرف على بناء المصانع وتسميد الأرض . ثم أن التجارب تجري لادخال جينات النبات في البكتريا ، لتصنع هذه البكتريا بروتينات النبات المطلوبة بعد زرعها في أحواض اختمار .

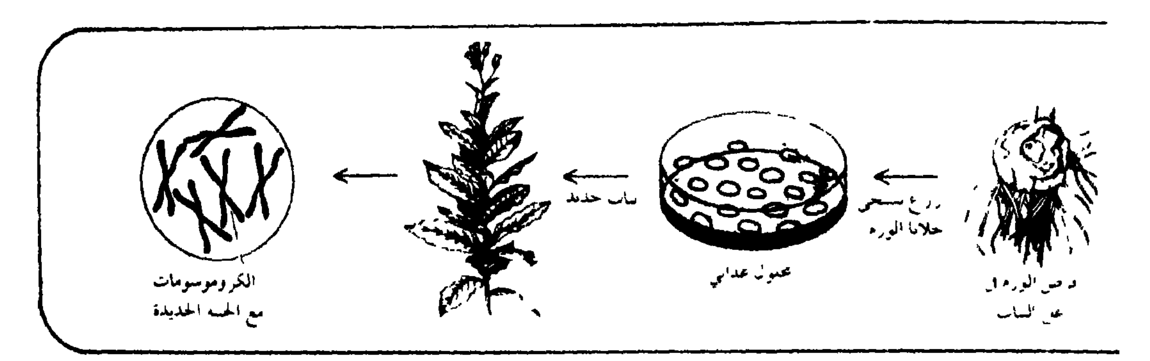
نباتات جديدة :

من النباتات الجديدة التي نمت من عمليات انصهار البروتوبلات للبطاطا والطماطم في مخابر جامعة ولاية كنساس وبرعاية العالم (جيمس شيبارد) نبتة تجمع ميزات الطماطم والبطاطا ، وذلك بعد دمج الجينات التي تقاوم أمراض النبات الموجودة في الطماطم الى البطاطا ، وكل ذلك بهدف انتاج بطاطا محسنة ، سليمة وسريعة النمو ومقاومة للأمراض التي سببت المجاعة الكبرى في ايرلندا بعد أن أهلكت محاصيل البطاطا ..

كما انتج نبات يحمل صفات الأقحوان والبابونج حيث استطاع العالم توشيو مورا شيج أن يستخلص مركبات قاتلة للحشرات طبيعية وفعالة ، وذلك بعد عمليات الزرع ، ونمو البراعم في أنابيب الاختبار . وبعد عام من عمله استنبت براعم جديدة شحنها للأكوادور حيث أهلكت الحشرات الملايين من النباتات . وتأمل الحكومات الأفريقية أن تعيد اجراء تجارب موراشيج لتزيد من فاعلية سموم هذه الأزهار بنسبة (٤٠٠٪) وبذلك تنقذ الكثير من المحاصيل التجارية فيها .

أما عن أشجار البساتين والفاكهة « تفاح ، كمثرى ، كرز ، دراق خوخ » .. ، وهي تشبه الأشجار الكبيرة وتحمل ثماراً بنفس الأحجام العادية . فانها ستنتج في المختبرات وستصنع آليات خاصة لتجني الثمار منها في البساتين الكثيفة المستقبلية والتي ستكون جميع أشجارها على مستوى واحد من الارتفاع ، كما أن نوعية الثمار ستكون أجود بسبب وصول ضوء الشمس بوفرة الى البراعم التي كان يغطيها الظل .. وارتفاع الشجرة سيكون حوالي (٧٥) سنتيمتراً فقط ، وخلال خمس سنوات من الآن ستنتج عمليات الزرع النسيجي شتلات صغيرة جداً ستستخدم لعمليات تكاثر كبيرة تنتج (مليون) شجرة قصيرة كل عام .

وفي مزارع شجر الأوكالبتوس في كاليفورنيا التي



تشكل غابة من حوالي (٩٠) مليون شجرة سريعة النمو ستكون هذه الأشجار مصدراً لـ (١٠٠) مليون جالون من زيت الميثانول الصناعي كل عام ، والزرع النسيجي للأوكالبتوس الذي تديره الشعبة الأمريكية للطاقة سيؤمن ملايين الشجر لتحل محل تلك التي ستجنى ، ذلك أن الزرع النسيجي الواحد يتكاثر في مدة ستة أشهر حتى يصل الى (مليون) شجرة إضافة الى أن شجيرات الزرع النسيجي ستكون مقاومة للأمراض وملوحة التربة

ومن الأمور المثيرة في هذا المجال أنه سيصبح بالامكان صنع السرير من عصارة شجر الجوز الشبيه بشجر المطاط وسيصبح ممكنا أيضا صناعة الخيم ذات الأوراق الخفيفة . وفي مرحلة صناعية متقدمة يمكن أن نستخرج الكحول من لب الأغصان المحتوي أيضاً على المزيد من السكر

وفي بريطانيا تم انتاج المارجرين من اشجار انابيب الاختبار ليحل محل زيت النخيل الماليزي وانتشرت هذه الزراعة في كافة المزارع الأسيوية وارتفع مردود المارجرين بنسبة (٣٠/) ويأمل العلماء في انتاج اشجار نخيل ذات جذوع قصيرة ليسهل قطاف الجوز ، وأيضا جعل النخيل العادي يحمل كميات أكبر من الجوز ومحصول كبيرة

عنب بلا حموضة :

منذ خمس سنوات والباحثون يستعملون تقنيات الزرع النسيجي لانتاج شجرة كرمة تقاوم مرض الثقوب الذي يتلف كروم العنب ويجعله ذا مذاق حامض ، وأيضاً تقاوم ملوحة التربة والجفاف والصقيع الذي يكثر في أماكن زراعتها . وقد أنتج العلماء أنواعاً من العنب المكسيكي له قدرة كبيرة على احتمال أقسى الظروف الطبيعية والمناخية وذلك بطريقة عمليات انصهار الخلايا .

وبمجيء عام ٢٠٠٠ فإن مئات الالاف من أنواع النباتات الحالية سوف تختفي مع ما يدمر من الغابات ، جاء هذا في تقرير نشرته مؤخراً الأكاديمية القومية للعلوم الأمريكية ، وطالب التقرير جميع العلماء بانتاج البذور عن طريق الزرع النسيجي .

وقد نشط مركز البطاطا في (بيرو) في اجراء البحوث وخزن زروع الدرنات المجمدة التي سيمكن زراعتها مجدداً في المستقبل حين تختفي الأنواع . وأيضاً فان معهد مصادر النبات في مدينة (سالت ليك) يحتفظ بآلاف النسج من أنواع النبات التي استنسخها بطريقة زرع النسج في مختبرات المعهد حيث يعاد زرعها في مستقبل الأيام

وبعد . فلن يمر وقت طويل حتى تنشر نتائج تكاثر نباتات الأنابيب من كافة مختبرات العالم . . وسنسمع ونرى وندهش . ذلك أنه خلال عشر سنوات لا أكثر سيكون في فرنسا أكثر من مليون غرسة نخيل . . وكذلك باقي بلدان العالم حيث سينتج كل بلد في المختبرات ما كان مستحيلاً عليه إنتاجه في الأرض . . وسيفقد التبادل التجاري الدولي معناه . □


قصة قصيرة
المحتالان
للأديب اليوناني :
ستراتيس ميريفيلس *
ترجمة : عدنان الريماوي

[illegible]

[illegible] بالأخر [illegible]

الناس [illegible]

[illegible] كلها [illegible]

وذات يوم طرأت لكل [illegible]
الآخر ، ويربح الناس [illegible]
وهكذا اتجه مانويلي الى شاطئ البحر [illegible]
بالأعشاب البحرية ، وربطهما [illegible]
[illegible] على ظهر بغلته [illegible] قائلا
لها : سأذهب الى [illegible]
للفلفل [illegible] ستداجه ، فسألته الزوجة : وكيف
سيتم ذلك ؟ رد قائلا : سأبيعه هذين الكيسين على
أنهما يحويان حريرا ، وهكذا سأقضي على سمعته .

أما ثيودورس فقد اتجه بدوره الى واد مليء بأشجار
الصفصاف الكبيرة ، وبدأ يقطف البذور الصغيرة
الناضجة ، حتى ملأ منها حقيبتين جلديتين ، وربطهما
على ظهر بغلته ، ثم عاد الى المنزل وودع زوجته
قائلا : اني ذاهب الى سكامينا لأبيع هاتين الحقيبتين
لمانويلي على أنهما مليئتان بالفلفل الأسود ، وهكذا
فلن يرفع رأسه بين الناس بعد اليوم ، ثم سار كل
منهما في طريقه لملاقاة الآخر .

وفي ظهيرة اليوم التالي التقى المحتالان ، وجلسا
يستريحان تحت شجرة وارفة الظلال ، دون أن يعرف
[illegible] كل واحد منهما [illegible]

[illegible] أيها الأخ الكريم ؟

[illegible] لقد كان عندي [illegible] ، وقد
[illegible] ولم يبق سوى بعض الفلفل
[illegible] الذي وضعته في هاتين الحقيبتين لأبيعه في
إحدى القرى المجاورة ولكن ماذا تحمل أنت معك ؟

- انني أنا أيضا متجه للقرى المجاورة ، لأبيع كيسي
الحرير اللذين تراهما فوق بغلتي .

كان الاثنان يتحدثان ببساطة ، وبلهجة طبيعية ،
وشعر كل منهما أن الآخر صادق في كلامه ، كما فكر
كل منهما أن يستغل الفرصة ويخدع الآخر ، أما مسألة
ثيودورس وما نويلي فيمكن تأجيلها لفرصة أخرى .

قال مانويلي : ما رأيك يا صديقي في أن نتبادل
بضاعتنا فنرتاح من السفر والعناء ؟

* ولد ستراتيس ميريفليس (١٨٩٢ - ١٩٦٩) في جزيرة ماتيلي اليونانية ، حيث تجـ
أحداث هذه القصة، وقد درس الفلسفة في جامعة أثينا ، وفي أثناء الحرب العالمية الـ
شارك في تنظيم المقاومة اليونانية ضد الاحتلال النازي وكتب عن تلك التجربة ر
(الحياة في القبر) ويعتبر اليوم واحداً من أعمدة الأدب اليوناني الحديث .

لم يصدق مانويللى أدبيه ، وهـو يرى حـطته التي دارت في ذهـه تتحقق بمثل هده السرعة ، فأجاب : عظيم يا صـديقى ولا مانـع عندي ولكن مـانويللى أضاف متململا : ولكن الحرير أثمن ، وأريـد أن تـزيدنى قـطعة فضيـة ادا أردت مبادلتي ، لم يمـانـع ثيودورس ، وهو مازال يرى أن الصفقة في صـالحه ، وهكذا أعطى مانويللى قطعة فصية ، ونهض كل منهما وأخذ حمولة الآحر ، واتجها مسرعين كل الى بلدته ، حوفا ان يكشف الآحر الخديعة .

وصـل مانـويللى الى المنزل مـرهوا ، يكـاد يطير فرحا ، ونادى زوجته وفتح الحقيبتين وهو يحكي لها قصة انتصاره على التاجر السادج ، لكنه وقف يتصبب عرقـا خجـلا أمـام روحتـه عنـدمـا اكتشف مـا في الحقيبتين ، وأخذت زوجته تعنفه وتضحك منه ومن سذاحته هو ، لكنه أحد يعزى نفسه قائلا . اني على الأقل نلت منه قطعة فضية !

وحدث الشيء نفسه مع ثيودورس ، عندما فتح الكيسين أمام زوجته نتباه وفرح ليفاجـأ بالأعشـاب البحرية اللزجة تملؤهما ، بدل الحرير الذي مى نفسه به طوال طريق العودة .



أحس كل منهما بانه كان ضحية لغريمه الشهير ، وشعر ثيودورس أن مانويللى قد تفوق عليـه بأخـذه القطعة الفضية ، وصمم على أن يتجه الى سكاميـا ليسترد هيبته التى ضاعت على يدى مانويللى .

كان مانويللى يجلس في أحد المقـاهى الصغيرة ، عندما دخل ثيودورس،فرآه الأول وعرف الغرض من مجيئه ، فانسل خارجا بهدوء عائدا الى البيت دون أن يراه ثيودورس ، وعندما دخل البيت قال لزوجته . مـاذا أفعـل الآن ، لقـد جـاء ثيـودورس ليستـرد ـ بالتأكيد ـ قطعته الفضية ، وأنا لن أتنازل عنها فهي رمز تفوقى عليه»قالت الزوجة التي لم تكن أقل خبثا من زوجها : تظاهر بأنك قد مت وسأبدأ انـا بالصيـاح والعـويل ، حتى يعلم النـاس جميعا بمـوتك وتقـرع أجراس الكنيسة ، وسأطلب من راعي الكنيسة أن ينقلوك اليهـا لتقضى الليلة هناك ، مـدعية أنني لن أقوى على النظر اليك ميتا ، وسيعلم ثيودورس بموتك بطبيعة الحال ، فيعود الى بلدته ، وفي الصباح تستفيق وتدعى أنه كان مغمي عليك .

أعجب الزوج بالفكرة وشكر زوجتـه على حسن تصـرفها ، وفعـلا ارتمى على الفـراش ، متـظاهـرا بـالموت ، وأخـذت زوجته تصيـح بأعـلى صوتهـا ، وقرعت أجراس الكنيسة معلنة النبأ .

سـأل ثيودورس أحـد الجـالسين في المقهى عن الأمر ، فأخبره هذا بأن مانويللى الثعلب أصيب بنوبة قلبية مفاجئة أودت بحياته ، ذهل ثيودورس للمفاجأة غير المتوقعة في بادىء الأمر ولكنه بعد قليل شك في الأمـر وقال في نفسـه لابد أن مـانـويللى قـد علم بوجودي ويريد أن يخدعني مرة أخـرى ، فلأتـدبر أمرى

سـار ثيودورس مـع جمـوع المشيعين الى داخـل الكنيسة حيث وضع « جثمان » مانـويللى في احدى الزوايا ، انتـظارا لدفنـه في الصباح ، وحين خرج الناس اختبأ ـ ثيودورس ـ خلف كومة من الخشب والعكازات المرتكزة في زاوية أخـرى من الكنيسة ، وأثناء ذلك كله كانت عينا مانويللى نصف المغمضتين تراقبان تحركات وحركات غريمه وهو يقول لنفسه :

كن حذرا يا مانويللي كي لا تفقد القطعة الفضية

وفجأة وكان الليل قد انتصف ، سمعا جلبة وضوضاء حول الكنيسة ، وأصوات أقدام تتسلق حائط الكنيسة الخلفي ، ثم أحسا بصوت يشبه ضربات الفأس يأتي من فوقهما ، وأيقنا ان البعض يحاول نقب السطح ، وفعلا تكاثرت أصوات الفؤوس ، وشيئا فشيئا بدأ التراب يهال ويتساقط عليهما ، وما ان فتحت فتحة صغيرة ، حتى بدت أيد كثيرة تريد الفتحة اتساعا ، ثم أخذ عدد من الرجال يتسلقون أعمدة الكنيسة ، ويقفزون الى الأسفل محدثين جلبة وأصواتا ، يبدو عليها الحبور والفرح ، وكانوا يحملون معهم عددا من الأكياس الثقيلة

خلع أحد الرجال ـ وكانت تبدو عليه سيماء الرئاسة والقوة ـ طربوشه مخاطبا الاخرين قائلا : والان أيها الرجال الشجعان هذه حصيلة ما سرقناه في الاشهر الماضية من ذهب ونقود ، وحيث اننا كنا دائما أصدقاء مخلصين ، فسأقوم بنفسي بقسم المبالغ بالعدل والقسطاس ، سأعطي كل واحد ملء طربوش ، ثم أوزع مرة ثانية وثالثة حتى ينتهي توزيع الأموال كلها ، هل توافقون على ذلك ؟ رد الجميع : موافقون .. موافقون

وفعلا أخذ زعيمهم يملأ طربوشه بالذهب والأموال ويوزع عليهم واحدا واحدا ، وفي النهاية تبين أنه مازال هناك طربوش زيادة ، فأخذوا يتناقشون في كيفية توزيع هذا المبلغ المتبقي ، حتى قال الزعيم : عندي فكرة أمل أن تعجبكم ، أترون تلك الجثة الملقاة هناك في أكفانها ، سيقوم كل واحد منا بضربها بسيفه ، والذي يستطيع بضربة واحدة أن يقطع احد المفاصل سيأخذ المبلغ المتبقي

استحسن الجميع الفكرة ، وهللوا لها ، وفعلا قام الزعيم شاهرا سيفه ، وتقدم نحو مانويللي الذي كان يرتجف هلعا ورعبا وهم أن يهوى عليه بالسيف وكان ذهن ثيودورس يعمل بسرعة ، ليجد مخرجا من هذا المأزق الذي لم يكن في الحسبان ، والذي سيضيع عليه قطعته الفضية ، وفجأة ركل ثيودورس الأخشاب والعكازات بقدمه فهوت محدثة أصواتا صاخبة وأخذ يصيح : قوموا أيها الموتى جميعا وانتقموا من الأحياء المجرمين الذين لم يراعوا لكم حرمة .

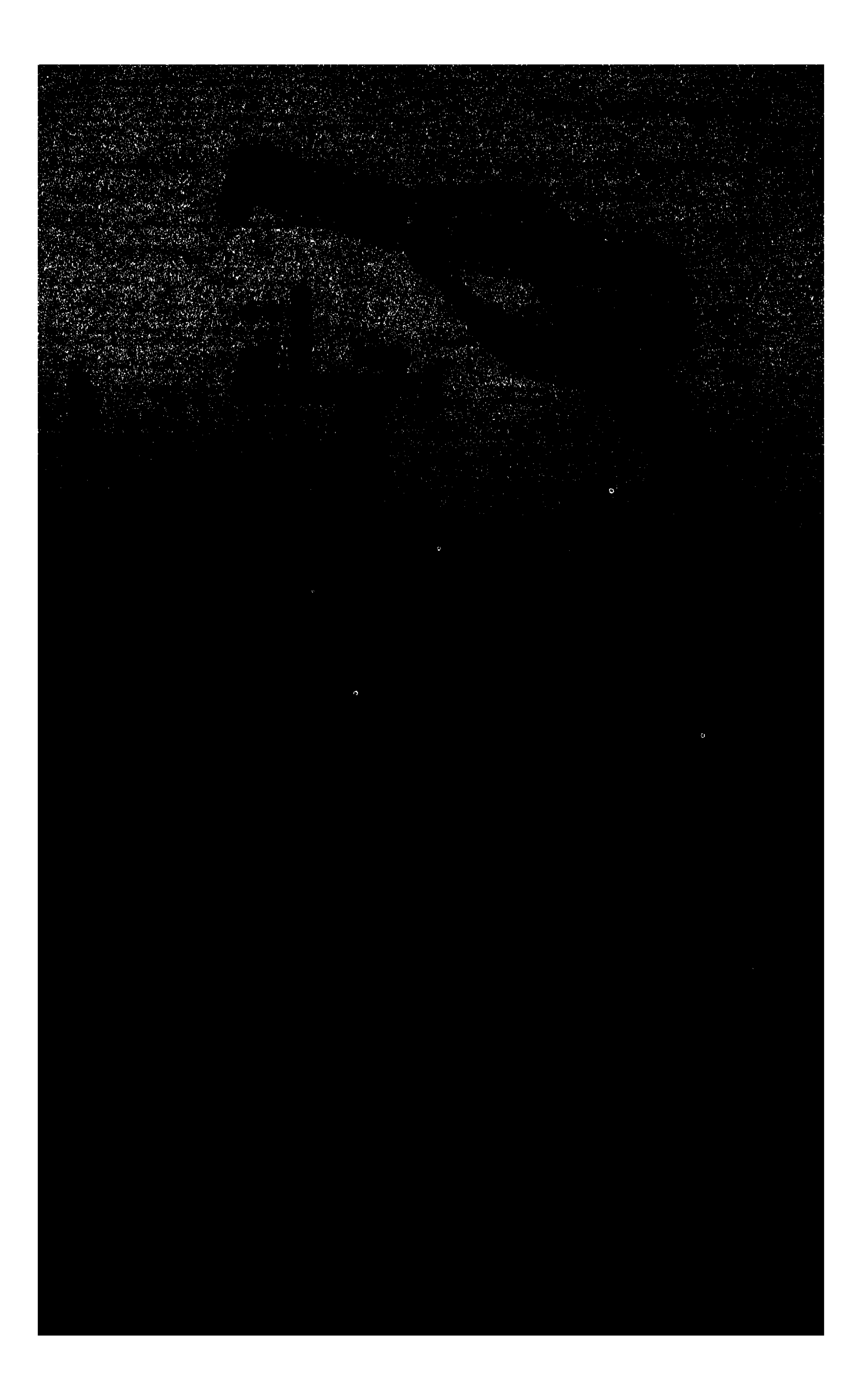
وفطن مانويللي حالا لخطة ثيودورس ، فقفز الى الأعلى ملقيا بكفنه الى وجه زعيم العصابة وهو يصيح ويصرخ ، أخذ أفراد العصابة بالمفاجأة فراحوا يجرون مسرعين يتسلقون الأعمدة هاربين يسبقهم زعيمهم .

تعانق مانويللي وثيودورس مبتهجين مسرورين وفتحا الأكياس واتفقا على تقسيم مابها الى قسمين يأخذ كل منهما قسما ، وبعد أن تم ذلك أمسك ثيودروس بياقة قميص مانويللي صائحا : أريد قطعتي الفضية .. أريد قطعتي الفضية ، ومانويللي يقول له : الا يكفيك ما نلته يا رجل .. ليست القطعة معي .. انها في البيت عند زوجتي ، وثيودورس يواصل صراخه : أريد قطعتي الفضية .

أما اللصوص فكانوا يجرون بعيدا يتوهمون في الظلام أن الأشجار والظلال هي موتى يطاردونهم ، وما ان ابتعدوا حتى جلسوا تحت احدى الأشجار وقد هدهم التعب وبعد قليل قال زعيمهم : هذا أغرب ما رأيت في حياتي ، وانني أفكر في العودة للتلصص على هؤلاء الموتى ، لأرى كيف سيتصرفون بأموالنا فهل يريد أحد أن يرافقني ؟ رد رجاله بأصوات يملؤها الخوف والهلع : أنت زعيمنا وأشجعنا ونحن مستعدون لمقاتلة الوحوش الضارية ، أما عندما يصل الأمر لمواجهة الموتى مرة أخرى ، فلا

وهكذا عاد الزعيم وحده ، وتسلق الى سطح الكنيسة ، وقليلا قليلا مد رأسه الى الأسفل ، وسمع ثيودورس يصرخ : أريد قطعتي الفضية .. لمح مانويللي الرأس المتدلي فتسلق العمود بخفة وسرعة وخطف طربوش الزعيم ورماه الى ثيودورس قائلا : خذ هذا الطربوش بدل قطعتك الفضية واسكت !

انطلق الزعيم خارجا من الفتحة يتصبب عرقا وهلعا وعاد يجري الى عصابته عاري الرأس ، وجلس يلهث وهم يسألونه عما جرى وما شاهده ، ومن خلال لهاثه وكلماته المتقطعة اخذ يروي لهم قائلا : آه لو تدرون ما رأيت ، لقد كان هناك الألوف من الموتى حتى أن الواحد منهم لم ينل أكثر من قطعة فضية واحدة من كل أموالنا ، بل إن أحدهم لم يحظ حتى بقطعة فضية ، وأخذ يصيح : أريد قطعتي الفضية .. أريد قطعتي الفضية ، حتى قام شيخهم بخطف طربوشي واعطائه له ليسكته !! □







مع بداية القرن ظهرت اولى افلام الغرب (الويسترن)

البقاء بعشر الثانية ، أى أنه لكى يتوهم العقل الانسان بوجود حركة مستمرة يجب أن تتكرر الصور التى تسجلها شكية العين بنسبة عشرة على الأقل فى الثانية الواحدة .

وفى نهاية عام ١٨٣٢ اخترع بلاتو جهازا خلد اسمه هو « الفيناكيستيسكوب » وقد وصفه بقوله : « يتكون الجهاز من اسطوانة من الكرتون مثقوبة فى اتجاه محيطها بعدد معين من الثقوب الصغيرة ، على وجه من وجهيها صور مرسومة ، وحينما تدار هذه الاسطوانة حول مركزها أمام مرآة ، وينظر المرء بعين واحدة من خلال الثقوب تبدو له الرسوم المعكوسة على المرآة فى حركة » ويقول بلاتو ذلك « إذا عرض عدد من الأشياء المختلفة تدريجيا فى الشكل والوضع ، على التتابع أمام العين على فترات قصيرة جدا ومتقاربة ، فان التأثيرات التى تحدثها على الشبكية تتصل ببعضها دون أن تختلط ، وسيظن المرء أنه يرى شيئا واحدا يتغير تدريجيا فى شكله ووضعه . »

وهكذا توصل العالم البلجيكى الى تكوين حركة ما من سلسلة من الصور الثابتة عام ١٨٣٢ ، وبذلك أعلن وحقق أسس تركيب الحركة ، وهى أصل العرض السينمائى ، وفى نفس الوقت الذى اخترع فيه بلاتو الفيناكيستيسكوب تقريبا اخترع « هورنار » جهازا مشابها سماه « روتروب » ، واخترع النمساوى « ستامبفير » جهازا آخر هو « الستروبوسكوب »

ولم تخرج هذه المخترعات من معامل العلماء الا لكى تستغل لعبا للأطفال ، وتصور حركات بسيطة يمكن تكرارها الى مالا نهاية مثل حصان يجرى ، أو راقص على الحبل ، أو رياضى يستعرض عضلاته ، وكانت كلها مرسومة باليد ، اذ أن الفوتوغرافية ـ وكانت قد اخترعت منذ قليل ـ لم تكن معروفة لدى الناس .

وفي حوالى عام ١٨٢٠ نجح ضابط قديم من جيوش الجمهورية الفرنسية هو « نييبس » فى ان يثبت على لوح من المعدن أول صورة فوتوغرافية معروفة وهى صورة « مائدة طعام » وقد اشترك نييبس بعد ذلك مع المصور داجير فى العمل ، ولكنه مات قبل ان يكتمل اختراعه ويذاع على الناس . وفى عام ١٨٣٩ اشترت الحكومة الفرنسية ذلك الاختراع الذى سمى داجيروتيب وأعلنته الملأ .

اللمحية الحديثة

فى وقت « بيبس » كان الزمن اللازم للحصول على كليشيه صورة هو ١٤ ساعة . ومع « داجير » اصبح زمن النور نصف ساعه

والذين جاءوا بعده نجحوا فى اختصار هذا الزمن الى بضع دقائق ولكنهم كانوا بعيدين كل البعد عن اللمحية الحديثة - أى امكانية التقاط الصورة فى لمح البصر - فى جزء من الثانية

ومع تقدم التصوير الفوتغرافى ، وسهولة تسجيل صور فوتوغرافيه بأثمان بسيطة ، وفى زمن قصير استبدلت الرسوم التى كانت تستعمل فى أجهزة « بلاتو » وأضرابه بصور فوتوغرافية . ولكن اللمحية كانت لا تزال فى ذلك الحين تحتاج الى دقه عظيمة لتحقيقها فيما بعد بمخترعى الفوتوغرافية المتحركة الأوائل عند استعمال الكاميرا . واذا كانت المسألة تتعلق بتسجيل حركة رجل وهو يخفض ذراعه - مثلا - كان يجب تفكيك الحركة الى عدة أوضاع ، وتصوير الرجل جامدا عن متحرك فى كل مرة . وهذه الطريقه التى عرفت بالأوضاع المتتابعة كانت تسمح فقط بالحصول على حركات بدائية وكان نجاحها محدودا ، وقد عرض البعض هذه الصور الفوتوغرافيه على شاشة . مقلدين بذلك عقيدا فى الجيش النمساوى كان قد عرض عام ١٨٥٣ الرسوم المتحركة لأجهزة « بلاتو » و « ستامفير » وغيرها بواسطه الفانوس السحرى

وفى عام ١٨٧٨ - وبعد تجارب طويلة باهظة التكاليف - تمكن المصور الأمريكى « مايبريدج » من الحصول لأول مرة فى تاريخ الفوتوغرافية على سلسلة من الصور اللمحية لحصان يركض . ذلك ان مليونيرا أمريكيا من سان فرانسيسكو لكى يقطع فى مراهنة حول الأوضاع المختلفة التى يكون فيها الحصان أثناء ركضه ، أمد المصور بمال وفير لكى يسجل تلك الأوضاع بالفوتوغرافية . فأعد المصور فى حلبة سباق ٢٤ كابينة خشبية متلاصقة ، فى داخل كل واحدة آلة فوتوغرافية وضعت خلف ثقب باب الكابينة ، وربطت فتحتها بخيط يمتد الى الطرف الآخر من حلبة السباق . وفى داخل كل كابينة يوجد كذلك معمل صغير تم اعداد لوح فوتوغرافى فيه . وفى وقت التقاط الصور يدخل ٢٤ مساعدا فى الـ ٢٤ كابينة ، ويعدون ٢٤ لوحا فوتوغرافيا يضعونها فى الـ ٢٤ آلة ، وحينما يركض الحصان فى الحلبة يقطع أثناء ركضه تلك الخيوط الممتدة الواحد تلو الآخر فتسجل الة بعد الة

وكان العالم الفسيولوجى الفرنسى « ماراى » يدرس منذ سنوات حركات الانسان والحيوان بمساعدة المنهج الجرافيكى ، وبعد نشر النتائج التى وصل اليها « مايبريدج » استعمل « ماراى » الفوتوغرافية فى ابحاثه وكانت الفوتوغرافية قد دخلت بعد عام ١٨٨٠ فى عصر فنى تكنيكى جديد ، اذ أمكن الحصول بسهولة وبألواح تباع بثمن زهيد على صور فوتوغرافية فى واحد على مائة أو أكثر من الثانية

كون « ماراى » عام ١٨٨٢ جهازا أسماه « البندقية الفوتوغرافية » ، وهى مستوحاه من المسدس الفوتوغرافى الذى اخترعه العالم النرويجى « جانسين » ١٨٧٣ . واستطاع ماراى ببندقيته هذه أن يسجل سلسلة الصور اللمحية بمعدل ١٢ صورة فى الثانية الواحدة ، وبعد اختراع أشرطة السليولويد اللينة الشفافة استبدل بها ماراى زجاج الكليشيهات السريع الكسر . وقدم عام ١٨٨٨ فى أكاديمية العلوم اولى « المناظر السينمائية » مسجلة على شريط فيلم ، وبذلك يعتبر ماراى « أول من حقق علميا كاميرا حديثة ، وهذا ما فعله من بعده - وأحيانا دون علم بأبحاثه - الالمانى أنشوتس) والانجليزى جرين وغيرهما من العلماء والباحثين

ماريا السوداء

ولم تكن اعمال ماراى وغيره مجهولة من المخترع الأمريكى « اديسون » الذى كان يحاول منذ عام ١٨٨٧ أن يخترع آلة تكون للعين مثل الفونوغراف الذى اخترعه عام ١٨٧٦ للأذن ، وأن يجمع بعد ذلك بين الالتين فيصل الى تسجيل وعرض الصورة والصوت فى نفس الوقت . فاخترع آلة للتصوير السينمائى سماها « كينيتوجراف » سجلها عام ١٨٩١ ، وكانت تسجل سبع صور فى الثانية الواحدة على شريط فيلم سيليولويد مثقوب مقاس ٣٥ ملم -

وهو الذى لايزال يستعمل عالميا حتى اليوم ، ولكنه فشل بعد عدة تجارب فى أن يصل الى عرض الحركة والصوت معا ـ أى السينما الناطقة التى ظهرت بعد ذلك عام ١٩٢٧ .

وبنى أديسون عام ١٨٩٣ أول ستوديو سينمائى وهو المسمى شعبيا « بماريا السوداء » فهو ملون بالأسود من الخارج والداخل ، وله فتحة فى أعلاه ، ومقام فوق قاعدة تدور حول مركز ، وبذلك يمكن تحركه ودخول ضوء الشمس اليه فى أوقات النهار المختلفة .

واخترع أديسون آلة لعرض الأفلام سماها « كينيتوسكوب » ، بدأ فى بيعها للمحلات العامة سنة ١٨٩٤ ، وهى عبارة عن صندوق يرى فيه المتفرج الواحد من خلال عدسة مكبرة ، فيلما يشبه تماما الفيلم الحديث ـ وان كان صامتا ـ ولم يكن يرى أديسون أى مستقبل فى عرض الأفلام على شاشة أمام جمهور من النظارة . . غير أن المحاولات استمرت منذ بداية عام ١٨٩٥ فى عرض الأفلام على الجمهور فى الولايات المتحدة أولا ثم فى ألمانيا . . وفى فرنسا حيث اخترع المصور الفوتوغرافى الفرنسى « لوميير » آلة للتصوير والعرض السينمائى معا سماها « سينما توغراف » وسجلها فى بداية عام ١٨٩٥ . . وبدأ فى استغلالها شعبيا فى ٢٨ ديسمبر من نفس العام فى صالة مقهى « لوجران كافيه » فى باريس .

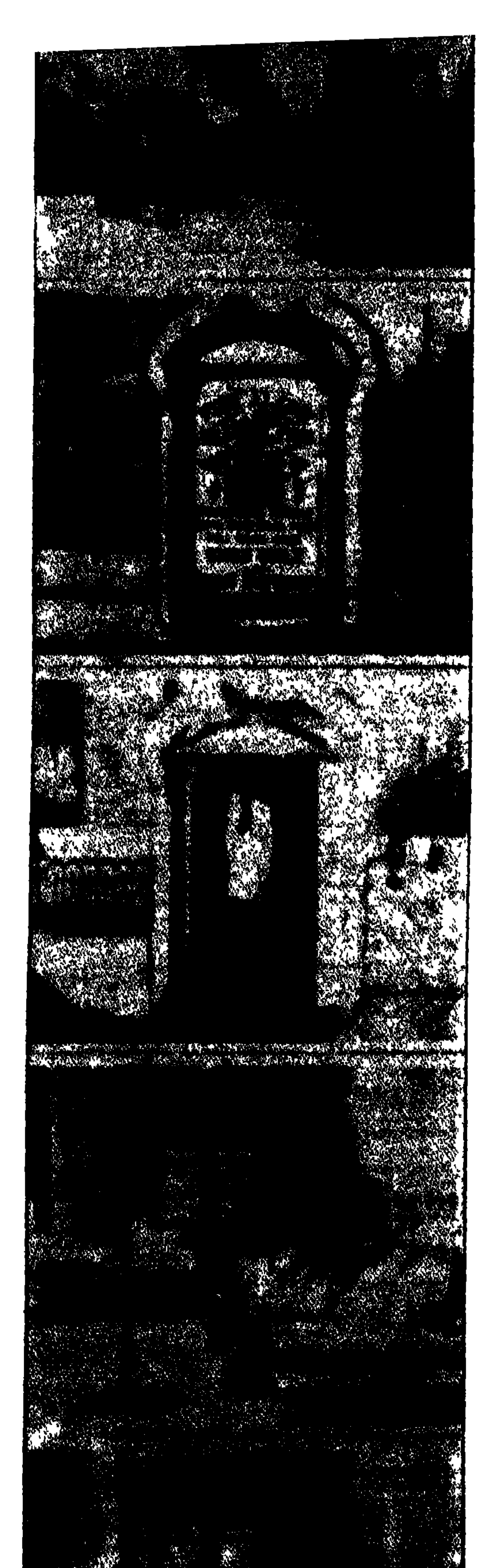
من هذا العرض السريع الموجز لاختراع السينما تبرز حقيقتان مهمتان : الأولى هى أن السينما لم يخترعها مخترع واحد فى بلد واحد ، وانما اشترك فى اختراعها عشرات من العلماء والباحثين والمخترعين فى بلاد متعددة خلال أكثر من نصف قرن من الزمان ، والحقيقة الثانية هى أن السينما وليدة الحضارة الصناعية وابنة التقدم العلمى فى العصر الحديث .

المحاولات الأولى

استعمل المصور لويس لوميير اختراعه الذى سماه السينماتوغراف لكى يصور فى الهواء الطلق مناظر اخبارية وريبورتاجات وأفلام تسجيلية ، كان أغلبها ينم عن احساس مدهش بالتكوين الفنى وبكادرات الصورة وعلى الخصوص فيلم « وصول القطار الى المحطة » (١٨٩٥) ولكنها لم تكن تحوى على سيناريو يضبط حركة « الممثلين »

ولم يكن المخترع يعتقد فى مستقبل اختراعه من الناحية الفنية . كان المخرج المسرحى جورج ميلييس مدير مسرح روبير هودان للألعاب السحرية ، هو الذى أحس بكل ما يستطيع الاختراع الجديد أن يقدم لفن العرض المسرحى . وكون ميلييس أول شركة سينمائية هى « ستار فيلم » وشيد ستوديو فى ضواحى باريس عام ١٨٩٦ وراح يحول مسرحياته بما فيها من حيل مسرحية الى السينما ، وبذلك كان أول من استعان بالسيناريو والممثلين والديكور والملابس وأغنى الحيل السينمائية الخالصة ، وبفضل لوميير وميلييس وجدت السينما قطبيها الرئيسيين اللذين سوف تتطور حولهما فيما بعد وهما : الواقع والمتخيل .

ومن سنة ١٨٩٥ حتى ١٩١٤ أخرج ميلييس حوالى أربعة آلاف فيلم قصير ، كانت أطوال بعضها تصل الى سبعمائة متر (حوالى نصف ساعة) ، وذلك فى فترة كانت غالبية الأفلام يصل طولها الى ثلاثين مترا على الأكثر ، ومن أشهر أفلام ميلييس « رحلة الى القمر » (١٩٠٢) و « رحلة عبر المستحيل » (١٩٠٤) و « غزو القطب الشمالى » (١٩١٢) ، وقد اقتضى انتاج مثل هذه الأفلام الكبيرة أن تصبح السينما تجارة عالمية ، ولم تكن هناك حقوق للمنتجين . . لذلك كانت شركات السينما الأمريكية ، وأديسون على الخصوص ، يستخرج من أفلام ميلييس نسخا سلبية ثم يطبع منها نسخا فلمية يبيعها للعالم أجمع ويمنع بذلك ميلييس من أن يحصل على حقوقه ، ولكى يدافع ميلييس عن تلك الحقوق فتح فرعا لشركته فى نيويورك عام ١٩٠٤ كان يديره أخوه ، واستمر ميلييس على نفس منهجه فى تصوير الأفلام على طريقة مسرحه السحرى الذى نبغ فيه ولم يتغير ، فبدأ نجمه يأفل . وفى عام ١٩٠٦ بدأ منافسة مع شركة باتيه فأنتج أفلاما هزلية تافهة كان يبيعها بخسارة ، مما زاد فى صعوباته المالية . . وانتهى به الأمر الى أن رهن مسرحه والاستوديو الخاص به وشركته بفرعها فى نيويورك لشركة باتيه ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فطردته من الميدان السينمائى ، وباع المئات من أفلامه بالكيلو لتتحول الى سلع مختلفة واختفى نهائيا حتى عثروا عليه عام ١٩٢٨ يبيع لعب



المـراحـل المتتـابعـة للقـطة واحـدة .

الأطفال فى دكان صغير بمحطة موساربارس (باريس) ومات فى أحد ملاجىء العجزة عام ١٩٣٨

وبينما نجد الفنان ميلييس لم يتعد فى عمله الطور الحرفى من ناحية الانتاج ، نجد أن المنتج شارل باتيه يدعمه الممولون ، أنشأ عام ١٩٠٠ شركة رأسمالية ضخمة لانتاج الأفلام وبدأ مديرها الفنى « زيكا » بتقليد أفلام ميلييس والسينمائيين الانجليز ، ولكنه كان دونهم موهبة وفنا ثم راح يخرج أنواعا مختلفة من الأفلام لعل أهمها فيلم « عذاب المسيح » (١٩٠٢ - ١٩٠٥) الذى نال نجاحا شعبيا عظيما

وفى عام ١٩٠٦ قدم أحد مخرجى شركة باتيه وهو المخرج « هيريه » لأول مرة نوعا جديدا من الأفلام هو الفيلم الروائى تضمنت عرض أفلام عاطفية نوع خاص

ولكي يرضى المتفرجون جميع الأذواق نوعوا فى انتاجهم ، فكانت مشاهد الاعدام تتعاقب مع الحوادث الاخبارية المعاد تكوينها وتصويرها ويختلط ذلك بالدرامات الواقعية وأفلام السباق والمطاردات التى بدأها المخرج « هيريه » ، وكانت له طريقة خاصة فى عرضها أحدث عنه فيما بعد فى كثير من الأحيان « سباق الحموات ، سباق رجال الشرطة الخ . »

وقد احتكر باتيه كل صناعة السينما من الفيلم الخام حتى عرض الأفلام ، وفي عام ١٩٠٧ كانت أرباح شركته ٢٤ مليونا من الفرنكات ، مع العلم بأن رأسمال الشركة الأساسى لم يكن أكثر من مليونين ، وأصبح للشركة فروع في كل العواصم الكبرى ، وكان باتيه يبيع للولايات المتحدة الأمريكية من الأفلام ما يزيد عن ضعف ما تنتجه جميع شركات السينما الأمريكية في ذلك الوقت .

ودفع نجاح شركة باتيه رأسمالى آخر هو « ليون جومون » ، فأنشأ ستوديو سينمائيا ضخما وبدأ في الانتاج . فأنتج فليم « حياة المسيح » (١٩٠٦) لينافس فيلم شركة باتيه « عذاب المسيح » ، وكانت الشركة الأخرى التى أنشئت عام ١٩٠٧ لتنافس باتيه هى شركة « ايكلير » ولكن كان على شركة باتيه ان تحسب في القريب العاجل حسابا لمنافسين جدد كانوا يستعدون في الخارج .

الانكليز يدخلون الحلبة

تطورت السينما المتنقلة أو سينما الأسواق في انجلترا بسرعة بفضل الرائد الأول ويليام بول الذى بنى عام ١٨٩٩ ستوديو للسينما وأخرج قبل ميلييس ، ولكن بغير اتقان أو كياسة ، فيلم « رحلة الى القطب الشمالى » وقد استعمل المخرجان ويليامسون وسميث المونتاج واللقطات المتنوعة بموهبة تفوق سابقتها ، وخصوصا في فيلم « هجوم على ارسالية فى الصين » وهو حادث اخبارى أعيدت كتابته وتصويره وتمثيله بأسلوب هو مزيج بين الرواية والروح التسجيلية وأخرجه ويليامسون عام ١٩٠٠ اخراجا سينمائيا خالصا ، كان له طابع جديد في ذلك الحين ، انه مقدمة لأفلام الغرب « الويستيون » الأمريكية ومونتاج جريفيث .

ولقد أتقن سميث هذا الأسلوب السينمائى في أفلامه ، وكانت لقطاته متنوعة في الحجم وفي المكان ، على عكس ميلييس الذى كانت وحدة المكان بالنسبة له تؤدى الى وحدة وجهة النظر ، كذلك كان السينمائيون الانجليز ، على عكس ميلييس ، يعملون في الهواء الطلق ، وقد اتاح لهم ذلك فرصة مضاعفة حركة الكاميرا أو اخراج أفلام المطاردة التى بدأت بمآسٍ مثل فيلم « الهجوم على عربة المسافرين » وانتهت بأفلام هزلية مثل فيلم « الزواج في السيارة » الذى اخرجه الفريد كولينز عام ١٩٠٣ وبلور فيه كل طرائق المدرسة الانجليزية واساليبها السينمائية في ذلك الحين ، والمعروفة بمدرسة « برايتون » ومن ناحية أخرى نجد ان المضمون نفسه في الأفلام الانجليزية لتلك الفترة كان مضمونا أصيلا يتسم بالجدة ، ويحمل أحيانا شيئا من الطابع الاجتماعى الواقعى وقد اخرج ويليامسون سلسلة من الأفلام أظهر فيها ـ كما يدل على ذلك اسمها ـ « قطاعات من الحياة الواقعية »

وقد هددت الريبورتاجات السينمائية التى كان يصورها السينمائيون الانجليز شركة باتيه الفرنسية الكبيرة ، ودفعتها الى أنشاء جريدة سينمائية عام ١٩٠٨ سميت « باتيه جورنال » ، وهى أول جريدة سينمائية في العالم (ولاتزال حتى اليوم توزع في كل مكان) ومنذ ذلك التاريخ لم تعد المنافسة الانجليزية ذات خطر على شركة باتيه ، وخاصة أن الانتاج السينمائى الانجليزى الذى ظل في المرحلة الحرفية ـ من ناحية الانتاج ـ لم يعش بعد زوال سينما الأسواق المتنقلة

سوق السينما

لقد تم في انجلترا أولا ، ابتداء من عام ١٩٠٠ ـ تحويل سينما الأسواق المتنقلة الى صالات عرض سينمائية ثابتة ، ومع نمو السينما ازداد عدد دور السينما في كل مكان ، وارتفع عدد هذه الدور في أمريكا من عشر عام ١٩٠٥ الى عشرة آلاف عام ١٩١٠ ، بينما في هذه الفترة ، ورغم جهود شركة باتيه ، لم تكن فرنسا تمتلك أكثر من ثلاثمائة دار سينما ، وبقية العالم ثلاثة آلاف دار ولقد تطلب هذا الازدياد في عدد دور السينما عددا هائلا من الأفلام ، وكان الفيلم الفرنسى يبيع عشر نسخ في فرنسا ، ويصدر خمسين نسخة الى بقية العالم ومائتى نسخة لأمريكا الشمالية وحدها

لقد أصبح تفوق الانتاج السينمائى الفرنسى مهددا ، ولم تعد له السيادة . فقد انشئت في مواجهته شركات سينمائية أمريكية ذات رؤوس أموال ضخمة .

كان اديسون في الفترة ما بين ١٨٩٧ حتى ١٩٠٨ يمارس سيطرته على السينما الأمريكيه كلها ، وكان حتى عام ١٩٠٣ يقلد السينما الفرنسية ، وفي ذلك العام أخرج أدوين بورتر وهو مصور سابق أصبح فيما بعد مديرا لاستوديو أديسون ـ أول فيلم أمريكى روائى وهو « سرقة القطار السريع » وكان لنجاحه الضخم أثر كبير في تكوين مدرسة سينمائية كاملة هى أصل أفلام « الغرب الأقصى » وفي عام ١٩٠٨ أنتجت شركة فيتاجراف سلسلة من الأفلام الجديدة الأصيلة بعنوان « مشاهد من الحياة الواقعية »

وقد تكونت شركات سينمائية أخرى مثل البيوجراف في نيويورك وتلا ذلك اتحاد هذه الشركات قريبا لتشكل تهديدا لأوروبا واختفى استقلال كبار السينمائيين الأمريكيين الأوائل ودخل الى الميدان عنصر جديد أصبح فيما بعد بطل السينما الأمريكية الأول . ولم يكن هذا العنصر سوى رأس المال

مرفأ الحلم

شعر: الدكتور عبدالله العتيبي

مـاذا أقـولُ   وايّـامـي مـضـتْ مـزقـا
ومـرفـأ الحُـلْم في عـيْـنيَ قـدْ حُـرقـا ؟
وقـدْ قـطعـتُ الـليـالي دونما قـمـر
لـهُ صـنـعـتُ حـنـايـا أضـلُعـي أفُـقـا
مـاذا أقـولُ وأشـواقـي مـسـافـرةٌ
بـلا شـراع ، تُـقـاسـي الموج والـغـرقـا ؟
مـاذا أقُـولُ . وحُـزني صـار عـاصـفـة
مجـنـونـة تجْـلِدُ الأعـصـاب والحـدقـا ؟

* * *

مـاذا جـنَـيتُ لـكـيْ ألـقـىٰ بـقـاسـيـةٍ
مـن الـلـيـالي، أبـاري نـجْـمـهـا أرقـا ؟
لاذنـب لي غـيـر حُـبٍ قـدْ خُـلقْـتُ لـهُ
أريـدُهُ أبـداً كـالـنـور مُـنْـعـتـقـا
أريـدُهُ أنـجُـماً في الـقـلْب أحملُهـا
حـتى تَـرىٰ في سـماء الرُّوحِ مُـنْـطلقـا
أريـدُهُ مـثْـلَ سـيْـف الـنّـار مُـتّـقـداً
لايـعـرفُ الـبُـهْـرج المصْـنُـوع والمـلـقـا
أريـدُهُ غـايـةَ في الـقـلـب مَـبْـدَؤُهـا
ولا انـتـهـاء لهـا مـا خـافـقٌ خـفـقـا
أريـدُهُ غَـيْـمَـةً بـالـعـطرِ مُـثْـقَـلَةً
إذا دَعَـاهَـا رَبـيـعٌ أمْـطرَتْ عـبـقـا

* * *

لا أفْـهَـمُ الحُـبَّ إلاّ أنّـهُ قـدرٌ
يـفْـنى المُحِـبُّ بـه شـوْقـا بمَـن عـشِـقَـا
لاأفْـهَـمُ الحُـبَّ إلاّ أنّـهُ مـطرٌ
يُحـيي الجـذور ويُـروي الـغُـصْـن والـورَقـا
لاأفْـهَـمُ الحُـبَّ الاّ أنـهُ قـمـرٌ
أراهُ رغـم احْـتـشـادِ الـلـيْـل مُـؤْتـلِقـا
لاأفْـهَـمُ الحُـبَّ الاّ أنـهُ سَـفـرٌ
إلى سـماء لـقـاء تمـطِرُ الألـقـا

على هامش الطب

الترياق.. أكسير أحيل إلى التقاعد!

بقلم/ الدكتور حسن فريد أبو غزالة

اذا كان الغريق يتشبث بقشة ، فإن المريض لا يتورع عن التشبث بالوهم ، حيث يظن أن فيه أملا في الشفاء ، وقد تجسد هذا الوهم في الترياق على مدى قرون طويلة ، فما هي قصة الانسان مع الوهم الذى سمى بالترياق ، ومتى تم التخلص منه ؟

كانت بونتوس مملكة يونانية قديمة في أرض آسيا الصغرى ، ولكنها تمكنت من أن تتغلب على بقية الممالك من جيرانها ، بل وقفت ندا عنيدا صعب المراس أمام الامبراطورية الرومانية ، وخصوصا في عهد آخر ملوك بونتوس وهو ميترداتوس السادس (١٣١ ـ ٦٣ ق . م) الذى عرف باسم ميترداتوس الأكبر أو يوباتور .

وقد قامت بين ميترداتوس السادس وروما ثلاث حروب طاحنة ، عرفت باسمه ، كان النصر فيها سجالا ، ففي الحرب الأولى (٨٨ ـ ٨٤ ق . م) استولى ميترداتوس على أغلب أنحاء آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه (باستثناء جزيرة رودس وجانب كبير من بلاد الاغريق) ، غير أن الامبراطور الرومانى

قارورة الترياق الخزفية ذات الطابع المميز .



تمثال خزفي لاحد دجالي الادوية يبيع الترياق

حولا تمكن من هزيمته واجباره على التنازل عن كل فتوحاته .

ثم نشبت الحرب الثانية فيها بين ٨٣ ـ ٨١ قبل الميلاد ، هزم فيها جيوش الرومان ، الى أن قامت حرب ثالثة أخيرة عام ٧٤ قبل الميلاد حيث أرسل له الامبراطور جولا قائده لوكلوس ، واتبعه عام ٦٦ قبل الميلاد بالقائد بومبى ، وبالرغم من انتصار ميترداتوس ، الا أنه انسحب نحو شبه جزيرة القرم ، حيث واجه من ثورة من أهلها بقيادة ابنه فارناكوس ، وعندها عمد الى الانتحار بالسيف الذى قدمه الى تابعه ، وأمره أن يطعنه به عام ٦٣ ق . م .

دواء ضد السموم

لقد كان ميترداتوس قائدا قويا ذكيا وشجاعا ، الا أنه لم يكن يحسن ادارة الرعية ، ولم يحرص على العلاقات الانسانية ، لهذا اجتمع عليه الأعداء ، وتآمر عليه الغريب والقريب .

ولعل ميترداتوس كان يشعر بهذا ويعلم ، ولهذا طلب من طبيبه الخاص أن يعد له عقارا شافيا مانعا ضد كل السموم المعروفة في زمانه ، مما يحتمل أن يدسها له أحد المتآمرين عليه في طعام أو شراب . .

لقد أعد طبيب الملك وصفة طبية تحوى ٣٦ عقارا مما عرف في زمانه من مضادات السموم ، وأخذ الملك يتناولها صباح كل يوم لتقيه خطر السموم المرتقبة ، ومن هنا عرفت الوصفة باسم دواء ميتردات ، ولهذا يقال ان الملك عندما حاول الانتحار بالسم بعد ثورة ابنه عليه في القرم لم يفده أى سم ، حيث ان جسمه كان قد تحصن ضد كل السموم ، لهذا دفع بالسيف في نهاية الأمر الى تابعه ليطعنه به .

لقد نقل القائد الرومانى بومبى سر عقار الميتردات هذا الى روما ، حيث عرف وشاع وانتشر .

وعندما اعتلى الامبراطور الرومانى نيرون عرش روما عمد طبيبه الخاص اندروما خوس الى عقار الميتردات فعدّل فيه وحوّر ، وأضاف وزاد ، ليصبح أكثر فاعلية وأشمل تأثيرا ، لهذا كان هذا العقار الأسطورى يحوى ٦٤ مادة وتركيبا ، وعندما جاء عهد الطبيب اليونانى جالينوس حوالى ١٥٠ للميلاد ، أطلق عليه اسم ترياق اندروماخوس .

وقد اشتق جالينوس اسم الترياق من قصيدة قديمة نظمها شاعر يونانى قديم اسمه نيكاندور من كولدفون (٢٠٤ ـ ١٣٥ ق . م) تتحدث عن الحيوانات السامة سماها باسم الترياكا .

ثم أتبعها الشاعر نكاندور هذا بقصيدة أخرى أسماها اليكس فارماكا ، تتحدث عن مضادات السموم ، ومنها اشتق اسم الأكسير الشاق لكل سم وداء ، لقد كان أهم ما أضاف الطبيب اندروماخوس طبيب الامبراطور نيرون الى وصفة « المتردات » هى لحوم الأفاعى ، فقد كانت القناعة السائدة أيام الاغريق ومن بعدهم الرومان ، أن لحم الأفاعى يمنح الصحة والعافية والقوة والحكمة والمناعة ضد السموم والأمراض ، لهذا كان الحكماء والأطباء في ذلك الزمان يقدمون على التهام لحوم الأفاعى طلبا للقوة والحكمة ، كما كانوا يعتقدون بقدسية الأفعى ومكانتها الرفيعة ، ومن هنا صارت الأفعى رمزا للطب ومهنة الطبابة ، فنراها تتصدر شعار منظمة الصحة العالمية والهيئات الطبية الأخرى العالمية منها والمحلية ، كما تتخذ رمزا للفرق الطية العسكرية في أغلب جيوش العالم ، كما تستعملها كثير من نقابات الأطباء والصيادلة .

لقد سجل جالينوس رعيم الطبابة عبر القرون القديمة والقرون الوسطى تركيب الترياق في كتاباته ، وأخذت رقم الوصفة ٥٤ ، وأوصى باستعمالها لمعالجة سموم الأفاعى والحشرات السامة .

الترياق . . وحجر الفلاسفة

ولما كان دستور الطبابة في القرون الوسطى اجترارا لعلم جالينوس وتوصياته ، فأوصت به الكنيسة وتبنته ، فقد شاع ترياق اندروماخوس الذى عرف باسم الترياق ، في اللغة العربية ، بل أصبح يعتبر البلسم الشافى لكل الأمراض حتى أواخر القرن الثانى عشر ، وأصبح الترياق محورا للتداوى ، كما كان شأن حجر الفلاسفة الذى كان شغل علماء العرب الشاغل في القرون الوسطى ، عندما كانوا يبحثون عن مادة سحرية لها القدرة على تحويل كل المعادن الرخيصة الى معدن الذهب الغالى .

وبالرغم من فشل العلماء العرب في الوصول الى تحقيق حلمهم الاسطورى هذا ، الا أن أبحاثهم في هذا الميدان أغنت علم الكيمياء ، فكانت نواة للاكتشافات العلمية الحديثة في عصرنا الحاضر .

لقد أصبح للترياق أصول وآداب ، وطقوس خاصة معتمدة لدى الأوساط الطبية في ذلك الزمان ، وكان تركيبه يجرى تحت اشراف رسمي معتمد حتى لا يصار الى غشه ، وأصبح هناك مراكز معتمدة لتحضيره ، أشهرها مركز البندقية ومونتليه وطولوز ، وكان له آنية فخارية خاصة يحفظ فيها ، تتميز بقاعدتها العريضة ، ومقابضها الملتوية على هيئة الثعبان

وكانوا يكتبون على آنية الترياق تعليمات الاستعمال باللغة الايطالية الملفقة ، حيث لا يعرف أحد قراءة هذه اللغة ، وهذا ما هيأ الفرصة فيما بعد لجيش من الدجالين ، ربما لا يزال بعضهم ، يعيش بيننا في بعض البلدان ممن يبيعون للناس السذج أدوية تشفي كل مرض وكل علة ، أساسها ما يحوى الترياق من عقاقير ، قد يكون أشهرها الأفيون المخدر الذى يقنع الناس بفائدة الترياق ، أو وصفات الدجالين ، حيث يسكن الالام بفعل ما يحويه من مخدر

لقد شاع الترياق واشتهر في القرون الوسطى ، وأخذ أكثر من اسم ، وأكثر من صفة ، فأهل انجلترا مثلا كانوا يسمونه سكر البندقية ، لأنهم في البندقية ، - حيث أشهر مصانعه - يضيفون له العسل الأسود ، حتى يكسبه الطعم الحلو والقوام اللزج

صحـوة الأطبـاء

وهكذا كان للترياق شأن كبير . وكان أهم ما حوته دساتير الأدوية (الفارما كوبيا) من عقاقير في فرنسا وانجلترا حتى وصل عدد مكوناته عام ١٨٣٧ الى ٧١ مادة تقريبا في دستور الأدوية الفرنسي . غير أن هذا لم يخدع نفرا من الأطباء تفتحت أذهانهم على الحقيقة ، فأخذوا يهاجمون هذه الأسطورة ، الى أن قال أحد كتاب القرن الثامن عشر عن هذا الترياق « انه يحتوى على قمامة الدكاكين » .

وفي عام ١٧٤٦ قام أحد الأطباء باصدار كتاب باسم « ضد الترياق » نادى فيه بنبذ هذا الأسلوب التقليدى العتيق ، مؤكدا أنه ليس في تركيبه ما يفيد أو ينفع سوى الأفيون المخدر والمسكن للألم ، لقد تنامت القناعة ضد الترياق ، وزاد جيش المعارضين لاستعماله ، حتى تقرر شطبه من دستور الأدوية البريطاني .

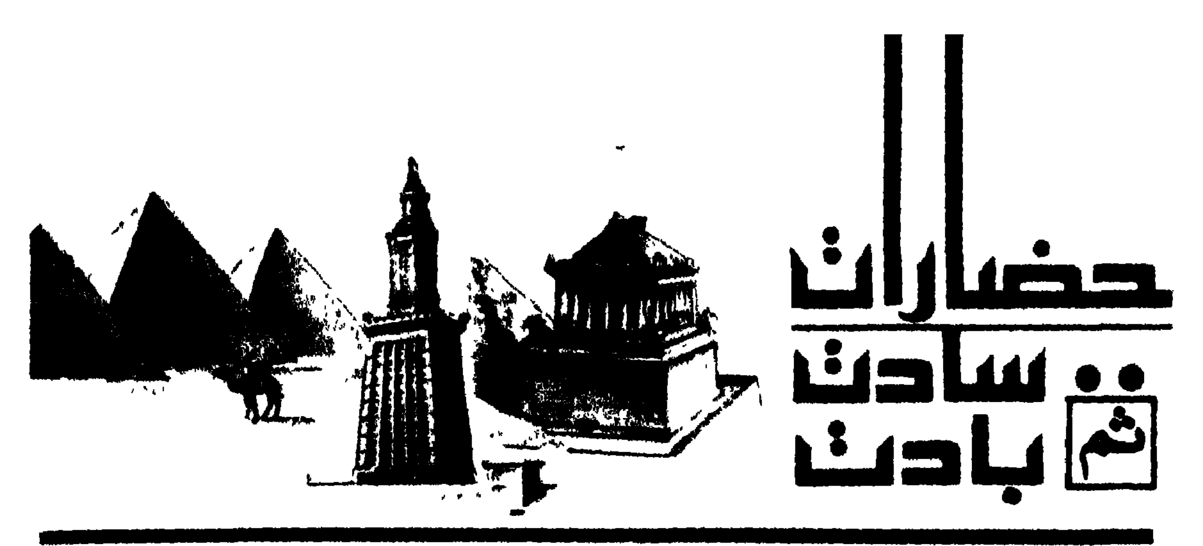
ولكن الأمر في فرنسا استمر قرنا من الزمان أو يزيد ، حيث ألغى أيضا من دستور الأدوية الفرنسي عقب إلغائه من دستور الأدوية البريطاني بمائة وعشرين عاما ، وكان أطرف ما كتب عنه في تعليل إلغائه من دستور الأدوية ، ونبذ استعماله وتحريمه الجملة التالية :

« بعد أن احتل الترياق مكانا كبيرا على مدى زمن طويل في عالم العقاقير والأدوية ، فقد آن له أن يرحل من عالم التاريخ الى عالم الأساطير »

هذه هي قصة الترياق أو الترياكا على حقيقتها ، على خلاف ما يتوهم البعض من أن لفظ الترياق عربي الأصل ، وهو بديل للعقار الشافي والبلسم المعافى

بل لعلنا لا نزال نرى من ... نقلا عن الكتب القديمة من كتب ابن سينا ووصفات داود الانطاكي ومن اليهما ممن نقلوه عن كتب جالينوس ، ويقوم اليوم على تحضيره عطارون ممن يدعون الطبابة العربية ، أو بيعه عن طريق بعض الدجالين لجمهور السذج والبسطاء من الناس المرضى الذين يبحثون عن الشفاء في كتب الأوراق الصفراء ، أو رقاع المشعوذين ، ويخدعهم ما يحوى من مخدرات تسكن الالام ، بينما هم يجهلون ما تحوى الوصفة من تراكيب ، ربما كانت تضر بهم أكثر مما تفيد ، فتسوء الحال وتصل الى نقطة اللاعودة ، حيث لا ينفع معها أى علاج فيما بعد □

■ المثل الأعلى للانسان : انسان عرف كل قوانين الطبيعة وكل قوانين نفسه ، ثم وفق بينهما . ولكن ، أين هو ذلك الانسان ؟ (د . أحمد أمين) .



اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة بورما.. خالطتها عناصر بربرية

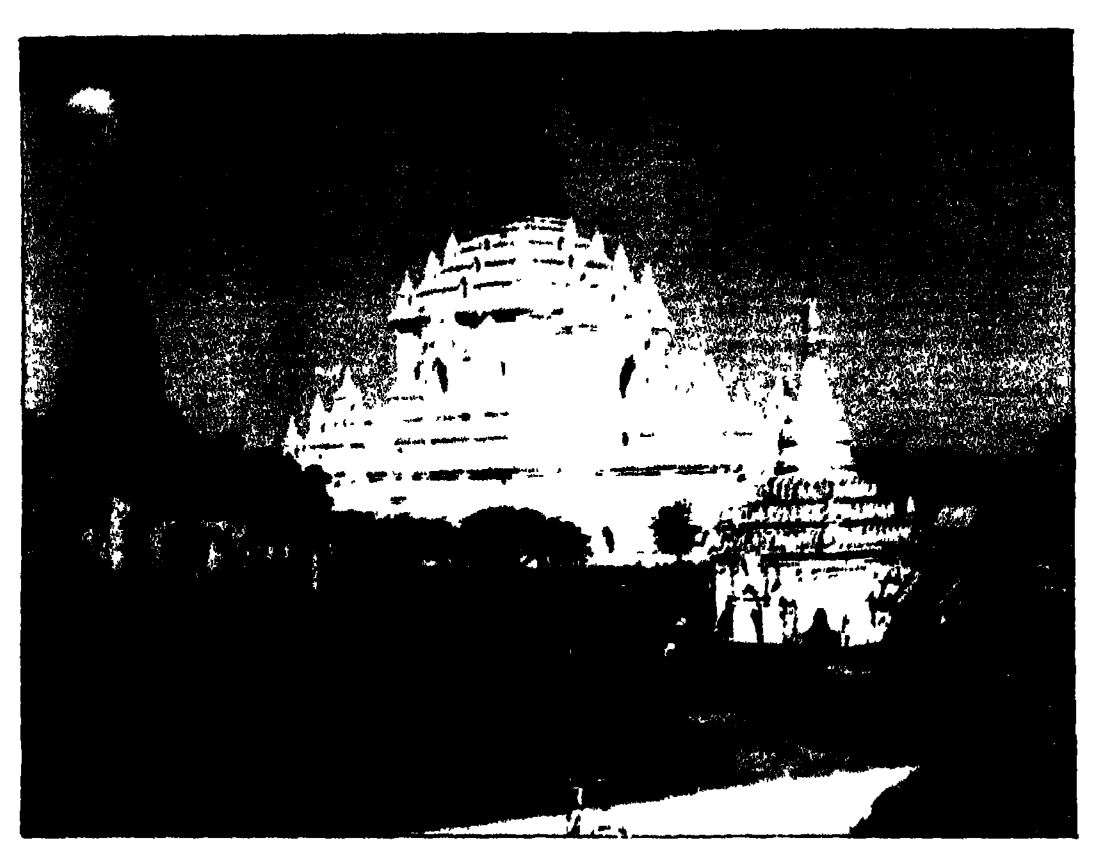
قصة حضارة باجان في شمال بورما من أغرب قصص الحضارات جميعا .. جمع ملكها أناوراهتا بين الشراسة وبين التقوى ، واسترق شعبه وبنى حضارته بالاكراه .. وانتزع المُلك من أخيه الأكبر الذى ورث العرش عن الأب .. وذلك بقتله في المبارزة التى جرت بينهما بناء على تحدى أناوراهتا . . .

واعتقد الملك الجديد بوجود أرواح تتحكم بمصائر العباد كما اعتقد الجميع آنذاك .. فالروح (نات) تسيطر على احدى قوى الطبيعة ، وتهيمن هى وزميلاتها على مقدرات الناس جميعا .. حكاما ومحكومين .. وظهرت للملك في أحد أحلامه إحدى تلك الأرواح ، وأمرته بزرع الحقول ، وانشاء شبكات الرى ، وحفر الآبار ، وبناء الأديرة والمحاريب ، وذلك تكفيرا عن مقتل أخيه ..

ونفذ أناوراهتا ماأمر به ، وقد سخر للعمل في المشروعين الزراعى والعمرانى آلاف العمال طوال ٣ سنوات .. حتى اذا نهضت السدود وانشقت القنوات ، كان لامفر للملك افتداء فتاة عن كل سد من تلك السدود .. وعز على الملكة أن تزهق أرواح



تماثيل خشبية تمثل بوذا وأتباعه الرهبان ، وهي مقامة في أكبر معابد بورما ـ معبد أناندا الذي احتفلوا بتدشينه سنة ١٠٩٠م ، وذلك بقتل المهندس الذي بناه .



معبد من معابد بورما البودية يعتبر انموذجا لهندسة البناء البورمية والنقوش البديعة التي تزدان بها واجهة المعبد يقابلها في الداخل زينة تتحلى بها حدران المعبد

عدد من الضحايا . واقترحت أن تكون هي الضحية الوحيدة اذا قبلت بها الأرواح بديلا . ووافقت الأرواح ، وسعدت الملكة بذلك ، وقد اعتقدت ـ كما اعتقد غيرها ـ أن افتداءها انما ينقلها من هذه الحياة الدنيا ، ويحولها الى روح تواصل حياتها مع سائر الأرواح في عالمهم العلوى غير المرئى . وذبح الملك زوجته وأحرق جثتها في حفل كبير مهيب

وماأسرع ماجادت الحقول بالمحاصيل . محاصيل الأرز خاصة ، وماأسرع ماازداد أناوْراهتا قوة ووعى .. ولانقول حضارة . فالحضارة بحاجة الى مقومات أخرى غير القوة والعى . فهى بحاجة الى نزعة دينية أقوى مما أتاحت له معتقداته الوثنية وهى بحاجة أيضا الى حضارة أخرى تقتفى أثرها وتنسج على منوالها وهى بحاجة كذلك الى غير أبناء الشعب البورمى الأصلى ، فهو بلا فن ولا صنعة ، ولايستطيع القيام ببناء حضارة ، وتوفرت هذه المقومات جميعا في حضارة مجاورة هى حضارة

المون التى ازدهرت منذ أكثر من ١٠٠٠ عام ، على بعد ٦٥٠ كم الى الجنوب من عاصمته باجان .. التى وقعت على ضفاف نهر أراوادى العظيم . وكانت بدائية لاسبيل الى مقارنتها بعاصمة المون واسمها ثاتون

حصار وتمازج

على أن فكرة اجتياح ثاتون هذه لم تخطر ببال أناوْراهتا ، حتى جاءه الراهب البودى (شن أراهان) فقد كان هذا من المون ، ولكنه هجر وطنه ، ولجأ الى باجان عندما تعرض مذهبه التقشفى (الثيرافادا) وهو أحد المذاهب البوذية . الى ضغوط من الهندوس ، لاحتضان عدد من المعتقدات الهندوكية .. وثار أراهان على ذلك العبث ، فيما استسلم له سائر زملائه الرهبان

ولما كان أراهان هذا خطيبا .. قوى الحجة ، نفذ أثره الى قلب أناوْراهتا ، فاعتنق الملك مذهب

الراهب ، ووافق على غزو بلاد المون ، والعمل على اعادة توطيد مذهب الثيرافادا من جديد . .

وبدأ الزحف ، وقد حُشدت الجيوش ، وجُهزت الفيلة ، وجمعت القوارب بأسرع مما كان متوقعا . . وكانت ثاتون هي الهدف . . ثاتون عاصمة المون ومركز حضارتهم ، وكانت تقع الى الشرق من موقع عاصمة بورما الحالية رانجون .

وشاء أناوراهتا الماكر ألا يحارب ، وأن يأخذ ثاتون لقمة سائغة دون عناء ، فحاصرها ، فسقطت عاصمة المون بعد حصار ثلاثة شهور ، وسقوطها استسلمت سائر مدن المون الأخرى . . وهكذا أسدل الستار على حضارة المون . . ليرفع عن حضارة باجان . . ذلك أن أناوراهتا نسي أو تناسى الغرض من غزوه لبلاد المون . . وبدا له وكأنه غزاها لكي يعود بالمقومات التي احتاجها لبناء حضارته في باجان .

فقد أسر ٣٠,٠٠٠ من فلاحي المون وصناعهم المهرة ، وأسر جموعا من الرهبان ، وأسر الملك نفسه - مانوها ملك ثاتون . . كما أسر الكثيرين من حاشيته . . وذلك رهينة تكفل رضوخ الأسرى من العمال والمزارعين ، وتضمن قبول المتخلفين في ثاتون بالأمر الواقع واحجامهم عن التفكير في مهاجمة باجان ، وتعريض ملكهم للخطر .

وسارت حشود الأسرى في أحد أيام سنة ١٠٥٧ م تتقدمهم الفيلة البيضاء . . وواصلت سيرها مسافة ٦٥٠ كم حتى وصلت الى باجان . . وماأسرع ماباشر الفلاحون والبناءون وسائر العمال من الأسرى أعمالهم . وقد شعروا بضرورة الخضوع للأمر الواقع ، كما شعروا بحسن معاملة البورميين لهم ، وبضرورة معاملتهم بالمثل . . ووقع الاندماج وطاب لأسرى المون المقام ، وحلا لهم العمل في باجان ، ولم يعودوا يفكرون في ثاتون ، حتى بعد منحهم الحرية . . ومكافأتهم على أتعابهم نقدا أو عينا . .

الازدهار والسقوط

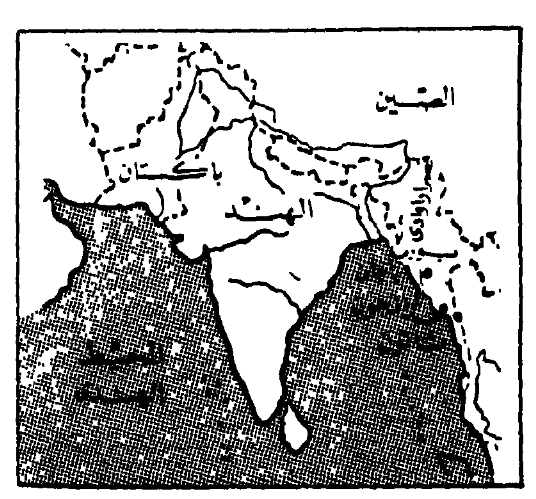
ولم تكد تمضي سنة على سقوط ثاتون ، ويحل عام ١٠٥٨ ، حتى ظهرت النقوش الكتابية في باجان ، وذلك لأول مرة في تاريخها ، ومن تلك الكتابات تجمعت لدينا المعلومات عن حضارة باجان التي سادت بسرعة مذهلة . . وأصبحت قبلة البوذيين جميعا في تلك المنطقة .

لاعجب اذن أن أصبح الراهب شِنْ أراهان بحكم المستشار الأول لاناوْراهتا وأقرب المقربين منه . انطلق في طول البلاد وعرضها يبشر كما يشاء ، ويجتذب الى مذهبه من يشاء . . وراح يخطط لمعابد جديدة وأديرة بوذية ، ومدارس يتولاها الرهبان .

أما الملك أناوْراهتا فلم يعد لديه من الوقت الا مايكفي المقابلات الرسمية ، وتقبل الهدايا أو يكاد . . ولكنه عني هو الآخر ببناء الأديرة والمعابد البوذية التي تعلوها الصروح التي تشبه الأقماع ، والتي تحدثنا عنها في حلقة أخرى سابقة .

وتوافد البوذيون على باجان من كل حدب وصوب . جاءوها من الهند وتايلاند وحتى من سيلان . . وأمَّها الكثيرون من العلماء والمهرة من الصناع . وركب التجار نهر إرّا وادى العريض كما فعل عامة الناس . فازدهرت التجارة ، وكثرت الملاحة ، وتجلت آثار الغنى في شتى مظاهر الحياة . .

وجاء ملك سيلان الى باجان سنة ١٠٧٣ - ١٠٧٤ ، ملتمسا مساعدة الملك أناوراهتا في العمل على بعث البوذية في سيلان من جديد ، على أنه لم يقم بتلك الزيارة الملكية صفر اليدين . فقد أحضر الى ملك بورما هدية قيمة مقدسة . . ولعلها أقدس المقدسات في نظر البوذيين جميعا . . ولم تكن الهدية سوى أحد أسنان بوذا ، بل قل نسخة طبق الأصل عنه . .



خريطة توضح معالم بورما

ولعل أكثر ماتميزت به حضارة باجان وضع المرأة فقد تمتعت نساؤ ها بالحرية والمساواة التامة ، خلافا لما كانت عليه المرأة في شتى أرجاء العالم في تلك الأيام

وجاء يوم مات فيه أناوْراهتا سنة ١٠٧٧ فخلفه ابنه ساولو ، ثم جاء كايانزيتثا ١٠٨٤ - ١١١٢ وهو الذى بنى معبد أناندا ، المعبد العملاق الذى طلاه بالفضة والذهب . حتى اعتبر المعبد عجيبة باجان الكبرى

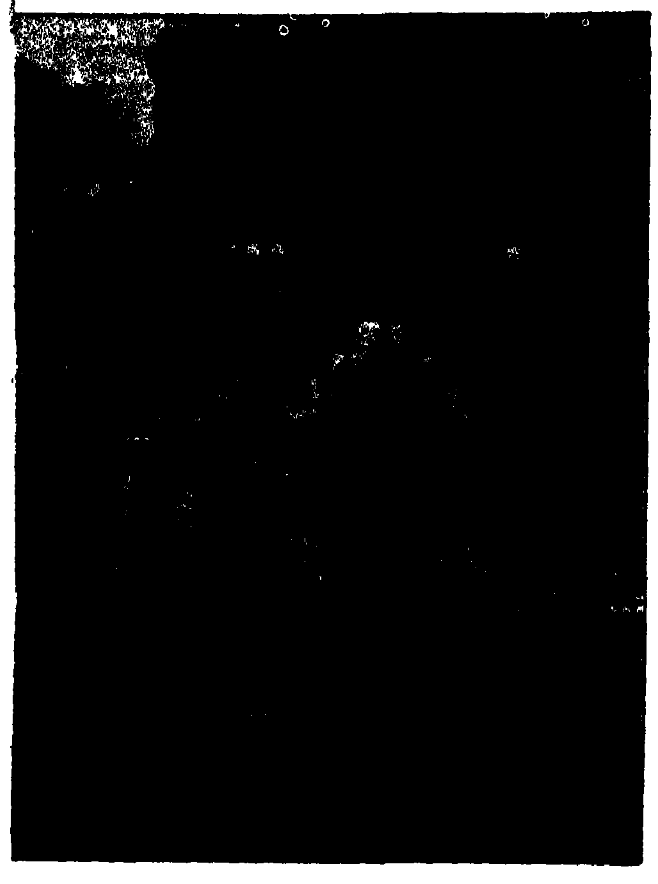
ومهما يكن من أمر فقد خالط حضارة باجان ألوان من البربرية يصعب على المرء تبريرها من ذلك أن الملك أناوْراهتا نفسه بقى على ولاء - ولو محدودا - لمذهبه الوثنى القديم مذهب الأرواح ويذكر عن الملك كايانزيتثا في هذا الصدد أنه دفن طفلا حيا عند مباشرته بناء معبد أناندا ودلك ليكفل للمبنى الروح التى تحميه وأنه أمر باعدام مهندس المعبد لدى اكتمال بنائه ، وذلك ضمانا لعدم قيام ذلك المهندس ببناء صرح آخر ينافس معبد أناندا

وكانت سنة ١١٨٠ بداية العد التنازلى في باجان ، وقد منعت سلطاتها تصدير الفيلة الى سيلان . وسحبت عددا من التجار السيلانيين ضاربة عرض الحائط بالصداقة والحلف اللذين طالما جمعا بين البلدين . وأعلنت سيلان الحرب ، وتوجه أسطولها الى بورما لتلقين حكامها درسا ، ولتخليص التجار السيلانيين المسجونين ، ولكن الأسطول لم يشن تلك الحرب فقد غرق قبل الوصول الى شواطىء بورما

ولم تكن باجان بحاجة الى مزيد من حروب . فقد اندلعت هذه على نحو متواصل على طول حدودها الشمالية والشرقية . وترتب على تلك الحروب تناقص عدد الرجال في باجان .

وزادها ضعفا هوس البناء . فقد أقبلوا على بناء المعابد بكثرة ، وأقبلوا على منحها ماتحتاجه من الأراضى الزراعية الممتازة دون قيد أو شرط . . فابتعدت عن العاصمة الحقول التى زرعت بالمواد الغذائية . . وأصبح شحنها من أماكنها البعيدة الى باجان يكلف الكثير ولايخلو من مخاطر .

أضف الى ذلك أن التربة أرهقت بالزراعة وحلت بها التعرية . فقد مضت باجان في قطع الأشجار



معبد ضخم بني في باجان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ومازال المكان المفضل لاقامة الطقوس والاعياد البوذية

واحراقها من أجل شي الطين اللازم لتشييد المعابد . واستمرت على ذلك حتى تم احراق شجر المملكة كله تقريبا . . فكانت التعرية التى أتلفت التربة . .

وبدأ التجار يهجرون باجان ، ويحملون معهم ثرواتهم ، وظلت أوضاع باجان تتدهور من سيىء الى اسوأ ، حتى قام المغول بمهاجمتها سنة ١٢٧٧ . . وسنة ١٢٨٣ حين اجتاحوا مدينة كونْجسين ، الواقعة على بعد ٤٤٠ كم الى شمال شرق باجان . . وما ان وصلت هذه الأخبار الى باجان ، حتى هجرها ملكها وحاشيته والكثيرون من أهلها . .

ووصلها المغول بعد ذلك . . فذهلوا لأبراجها الحجرية المطلية بالذهب والفضة التى توجتها الأجراس التى دقت بتأثير حركة الرياح . . وذلك حسب أقوالهم التى أدلوا بها الى ماركوبولو . . وكان في ضيافة ملكهم قبلاى خان آنذاك . □

73D الجديد

VHS

إنه ڤيديو VHS الجديد الذي يوفر أداء توشيبا ذو الجودة العالية مع وظائف أوتوماتيكية ومنظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي. ولكنه ليس الوحيد، فإن مجموعة مسجلات ڤيديو كاسيت VHS وبيتامن توشيبا ستضيف الجودة والبهجة إلى حياتك، توشيبا تدخل التكنولوجيا إلى حياتك.

V-73D

بال / مسيكام

نظام مزدوج • وظائف أوتوماتيكية (إبتداء التشغيل أوتوماتيكيا، تشغيل أوتوماتيكي، ترجيع أوتوماتيكي، ترجيع وإيقاف التشغيل أوتوماتيكيا) • موقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • نظام بحث عن الصورة متقدم • حركة تشغيل بطيئة سرعة ١/١٥ • تحكم عن بعد لاسلكيا • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-51D

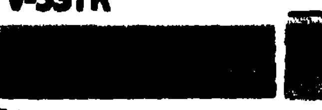


Beta

بال / سيكام

نظام مزدوج • موقت مبرمج لـ ٧ أيام / برنامج واحد • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد ٩ وظائف.

V-53TR



Beta

بال / سيكام / أن ڤي أس سي ٤,٤٣ ميجا هرتز

٣ أنظمة • موقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • تحكم عن بعد لاسلكيا للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد لاسلكيا ١٤ وظيفة • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-57TR



VHS

بال / ميسيكام / أن ڤي أس سي ٤,٤٣ ميجاهرتز

٣ أنظمة • موقت مبرمج لـ ١٤ يوم / برنامج واحد • نظام اختيار الڤولت • تحكم عن بعد لاسلكيا بعدة طرق.

TOSHIBA TOKYO JAPAN

مجلة الأسرة والمجتمع

توازن القوى مناورة يتعلمها الطفل من أمه

توازن القوى

مناورة يتعلمها الطفل من أمه

بقلم : راجي عنايت

« عندما يدرك الطفل قوته ، فإنه يبدأ في ممارسة ضغوط مختلفة لتحقيق رغباته وتلبية طلباته . . هنا يجب أن ندرك على الفور أن ثمة خللا في العلاقة بين الطفل وبين الآخرين ، لا بد من تصحيحه ، وإلا كان الثمن فادحا » .

في الأسابيع والشهور الأولى من حياة الطفل ، لا يستطيع الطفل أن يميز بين « أنا » و « الآخرين » و « العالم من حولي » ، انه يعيش في محيط متدفق من الأحاسيس المختلفة المتلاطمة ، ثم يبدأ ـ بالتدريج ـ في اكتساب ادراك لنفسه كشخص منفصل عن بيئته . . وأول شخصية تبرز له من وسط الضباب ، هي الأم ، أو الشخص الذي يحل محلها في ذلك الوقت ، وادراك الطفل لأمه ، كمصدر راحة أو ألم ، يؤثر الى حد ما في علاقاته مع البشر الذين يتصل بهم في حياته المقبلة .

واذا كان الشائع أن عنصري الغريزة والوراثة هما أكبر مؤثرين على كيان الطفل ، فالثابت أن أثر خبرات التعامل في الطفولة يكون على درجة من القوة ، مما يتجاوز أثر الغريزة والوراثة .

وسنحاول فيما يلي أن نناقش بعض المناورات الضارة التي يتعلمها الطفل في بداية حياته ، والتي تتحمل الأم مسئوليتها ، وان كان الأمر يمضي بطريقة لا شعورية بالنسبة لطرفي التعامل ، هذه المناورات التي ما ان تبدأ مع الطفل في سنواته الأولى ، حتى تتواصل غالبا خلال طفولته ومراهقته .

وهناك بعض المناورات المقتضبة التي تجري بين الطفل ووالدته ، والتي لا تدوم لأكثر من عدة ساعات أو عدة أيام ، وهذه لا تكون ضارة ، وان كانت تسبب قدرا من التعاسة أثناء ممارستها ، الا أن ما نركز عليه هنا ، هو المناورات الضارة طويلة المدى ، التي تجري بتصميم واصرار وروح قتالية بين الأطراف المعنية ، وهي التي تصوغ شخصية الطفل على مدى حياته .

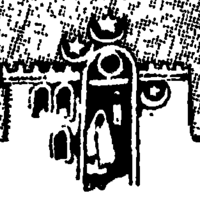
السيادة لمن ؟

في سن مبكرة ، يعلم الطفل أن لديه قدرا معينا من القوة وامكانية السيطرة ، حتى وهو بعد في سنوات الطفولة المبكرة ، يشعر أن البكاء يجلب اليه الطعام ،

أو يوفر اليه ما يحتاجه من هدهدة وربت وتمسيد ، وان الرفض والصراخ يرغمان الأم على تلبية حاجته ، وهكذا ينمو - ببطء - نوع من توازن القوى بين الأم وطفلها ، ويتواصل خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة .

المفروض في توازن القوى هذا ، ألا تكون السيادة المطلقة للأم أو للطفل ، فالأم التي ترهب طفلها بالصياح أو العبوس غالبا ما تحظى بطفل رعديد أو متمرد ، والطفل المنطلق العفوي الذي لا يشعر بأي قيد ، ويحظى بالسيادة الكاملة في توازن القوى هذا ، يفشل في التعامل مع المحظورات العديدة التي يصنعها المجتمع للناس

الأم تكون قادرة على ارضاء الطفل وتغذيته ، باطعامه في الوقت المناسب ، وتكون قادرة على عدم القيام بذلك ، وهذا ينعكس بعد سنوات قليلة على الطفل الذي إما ان يحافظ على أثاث البيت ، أو يعمد الى تحطيمه وتخريبه . المهم أن ذلك يحدث في أغلب الأحيان ، وليس لدى الطفل أو الوالدين ادراك



واضح لسبب هذه التصرفات

من نماذج المناورات الضارة التي تعلمها الأم لطفلها مناورة « توازن القوى » .

أين الخطأ ؟

بدأ الطفل هشام يمارس هذه المناورة قبل أن يبلغ الثالثة من عمره ، فقد شعر أن الصياح الموقوت من جانبه يربك أمه ويحيرها ، ويضعه في مركز قوة ، ولأن الأم لا تدرك بشكل واع دخولها في هذه المناورة ، فعند كل ثورة يبديها هشام ، تظل تفكر مهمومة « ما هو الخطأ الذي ارتكبته ياترى في حق هذا الطفل ؟ » .

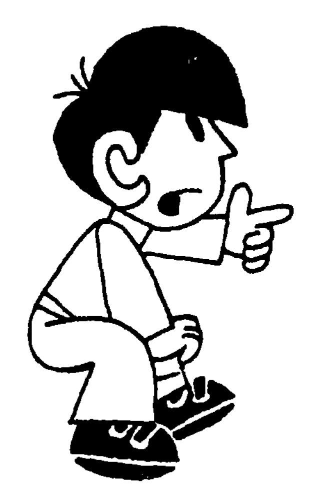
هذا السؤال ـ في حد ذاته ـ خطأ ترتكبه الأم ، وكان الأجدر بها أن تسأل نفسها « ما هو الخطأ في العلاقة التي بيني وبين هذا الطفل ؟ » .

التساؤل الأول يستهدف شخص الأم ويركز عليها ، رغم أن الاجابة عنه تكون في يدها وحدها . والتساؤل الثاني ينصب على الهدف السليم ، أي العلاقة بين الأم وهشام ، حيث تكمن المشكلة .

اذا ما واصلت الأم ترديد السؤال الأول ، موجهة اللوم الى نفسها ، شاعرة كل مرة بالفشل ، فسيقود هذا الى استسلامها ، وعندما يبلغ هشام الخامسة من عمره ، يكون قد اكتسب قدرا كبيرا من السيطرة على أمه وممارسة قوته عليها ، وتعتمد مناورته المتكررة مع أمه على حركتين أساسيتين : (١) سلوك عدواني ، لفظي أو مادي ، عندما يسعى للحصول على شيء ، (٢) التوقف عن هذا السلوك عندما يحصل على بغيته .

تهديد مع وقف التنفيذ

عندما يصل هشام الى سن الدراسة ، يتوقف عن الصراخ ، وعن تحطيم أثاث البيت ، وتتحول مناورته الى مناورة كلامية خالصة .. وهي تجري على مثل هذا النمط التالي :



الأم : هشام .. كفاك لهوا في الحديقة .. ادخل واغسل وجهك ويديك .

هشام : اني ما زلت أريد أن أواصل لعب الكرة .

الأم : سيصل والدك بعد قليل .. أرجوك ادخل .

هشام : ليس الآن لم أنته من لعبي بعد .

الأم : (بصوت مرتفع) هيا يا هشام .

هشام : لماذا تصيحين ؟

الأم : أنا لا أصيح .. أنا فقط أطلب منك أن تدخل .

هشام : ها أنت تصيحين مرة ثانية .

الأم : الساعة تقترب من الثانية يا هشام أدخل .

هشام : أنت دائما تفسدين متعتي بما أفعله .

الأم : (بتهديد ضعيف ، تعرف هي وهشام مقدما انه لن يوضع موضع التنفيذ) أدخل حالا . والا فسآتي وأدخلك قسرا ..

هشام : (مواجها التهديد الزائف) لن أدخل .. لا يزال هناك بعض الوقت لكي ألعب بالكرة ..

الأم : أرجوك يا هشام .. استجب لكلامي .

هشام : سأنتهي من اللعب بعد ربع ساعة .

الأم : (وهي تعود منهزمة الى داخل البيت) سيكون والدك قد حضر .

ضوابط المجتمع

هـذه المناورة تكشف عن تشوه في علاقة الأم بابنها ، فالأم بالاضافة الى الحب والتفهم الذي تبديه نحو طفلها ، يجب أن تكون قادرة على أن تضع له حدودا معقولة ، وتصر على التزامه بها ، وبهذا ينشأ الطفل قادرا على التكيف بسهولة مع الحدود والضوابط العديدة التي يضعها له المجتمع .

فالمجتمع يطلب من الشخص مثلا ، أن يقف بسيارته عندما تصبح اشارة المرور حمراء ، وأن يدفع الضرائب التي تستحق عليه في مواعيدها المعينة ، وأن يوجد في عمله في اوقات محدودة ، والشخص لن يتمكن من الوفاء بذلك وبغيره ، اذا لم تنم داخل نفسه القدرة على فعل ذلك في علاقات التعامل مع الاخرين في سنوات طفولته ومراهقته في المرحلة التي تتشكل فيها شخصيته

نحن نحبك . . . ولكن

دعنا الان نتصور الطريقة المثلى التي تواجه بها الأم مناورة توازن القوى عندما يمارسها معها ابنها

الأم : هشام كفاك لعبا في الحديقة . أدخل واغسل وجهك ويديك

هشام . انني ما زلت أريد أن أواصل اللعب بالكرة (وحتى يقوّل) لماذا تصيحين ؟ (عند هـذه النقطة ، يجب أن تسأل الأم نفسها السؤال الصحيح) ما الخطأ في العلاقة التي بيني وبين هشام ؟ ومن ثم تستطيع أن تصل الى الاجابة الصحيحة « انه يحاول أن يستعرض قوته علي » .

الأم اسمع يا هشام ، لقد حان وقت الغداء ، عليك أن تدخل لتغتسل قبل أن يصل والدك . هيا . الآن

هشام . أنت دائما تفسدين متعتي مما أفعله .

الأم حسنا هذه المرة ادخل الآن . والا أدخلتك قسرا .

هشام (متحديا) لن أدخل ليس الآن . . أنا سأستمر

(تجذبه الأم من ذراعه ، وتدخل به ، ثم تغسل له وجهه ويديه ، فيبدأ هشام في البكاء والصراخ . .)

الأم . اذهب الى حجرتك حتى تنتهي من هذا البكاء والصراخ . وأغلق الباب خلفك جيدا ، حتى لا ترعج أحدا بصياحك هذا . . نحن نحبك يا هشام ، لكننا لا نفيدك اذا ما تركناك تفعل ما تريد ، وتبكي وتصرخ عندما تفشل في ذلك . .

هشام : انتظري حتى يأتي أبي . .

الأم . لن يفيدك هذا أيضا . . لقد تحادثنا أنا ووالدك في هذا الشأن ليلة البارحة ، ولن يستجيب أي منا لصياحك هذا .

هشام (حائر لافساد مناورته) ماذا تقولين ؟

الأم . (بحزم) لقد سمعت ما قلته . . ادخل الى حجرتك حتى أستدعيك لتناول الغداء □

الخيل ثلاثة

● روي الامام أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخيل ثلاثة ، ففرس للرحمن ، وفرس للانسان ، وفرس للشيطان ، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله ، واما فرس الشيطان فالذي يقامرون عليه ويراهنون ، واما فرس الانسان فالفرس يرتبطها الانسان يلتمس بطفلها ، فهي ستر من فقر .



إختيار الزوج حق لمن ؟

بقلم : وفاء طه ناجي

يظل زواج البنت إحدى المشاكل في حياة الأسرة خصوصا اذا تعارضت رغبة الآباء والبنات .

على الرغم مما تتمتع به البنت اليوم من حرية في اقامة علاقات صداقة وزمالة ، سواء في الجامعة أو في العمل ، فانها ما ان تصل الى مرحلة الزواج ، حتى يبدأ حوار عائلي عن أهمية اختيار العريس ، وتطرح أسئلة عديدة مثل ، ما هي المواصفات الأساسية التي يجب أن تتوافر في زوج المستقبل ؟ وماذا يكون دور الأب عندما تختار ابنته شريك حياتها ؟ وما موقف البنت اذا رشح لها والدها زوجا ؟

أصحاب العلاقة

تقول سعاد علي : إنني أكنُّ لأبي كل حب واحترام ، وهو الرجل الذي حرص على غرس القيم الأصيلة في نفوسنا ، والذي علمنا أن نحترم الكبير ونأخذ بنصحه . . وكان هو بدوره يحترمنا ويناقشنا في كثير من أمور حياتنا ، ويأخذ برأينا في بعض المواقف ، حتى تقدم لي زميل كنت قد تعرفت عليه أثناء دراستي الجامعية ، ورأيت فيه الشريك المناسب واتفقنا على الزواج ، ولكن ما ان علم أبي أنني على علاقة به قبل زيارته لبيتنا ، حتى أعلن رفضه ، ولم يكلف نفسه عناء السؤال عما اذا كان هذا الشاب مناسبا أم لا ، ولم يقبل مناقشتي في الأمر ، بل انه اعتبر ان هذا الموقف فرصة مناسبة ليسحب مني ثقته ، ويؤكد أن اختيار « العريس » هو حقه وحده ، بحكم التجربة وخبرة الحياة . . .

أما ايمان . . . فتقول : « عشت حياتي في بيت أسرتي أتمتع بحرية واسعة ، وبالطبع كان لي صديقات في الجامعة وفي النادي وفي محيط العائلة ، ورغم هذه الدائرة الواسعة من العلاقات ، لم ارتبط عاطفيا بأي زميل أو قريب ، حتى بعد تخرجي في الجامعة ، الى أن فوجئت بأبي يرشح لي ابن عمي زوجا ، ويخبرني انه اتفق مع أخيه على موعد عقد القران ، وعليّ أن استعد للزفاف ، وعندما أعلنت رفضي لأنني لا أحمل له الا مشاعر الاخوة منذ طفولتنا



المشتركة ، ثارت ثائرة أبي ، وعبثا حاولت أنا وأمي وأخي الأكبر أن نقنع والدي بالعدول عن موقفه ، ولكن بلا جدوى ، فهو يقسم انني سوف أنعم بحياتي مع ابن اخيه الذي يحافظ عليّ ويوفر لي من أسباب السعادة ما يجعلني أذكر لأبي موقفه هذا ، وبالعشرة « يولد الحب » !

من يختار : البنت أم الأب ؟

أما أمينة فتقول : « الحكاية بدأت عندما تعرفت بأحد الشباب في حفل زفاف احدى صديقاتي . وشعر كل منا بارتياح للآخر . . وبشكل تقليدي جدا تقدم يطلب يدي من « أسرتي » بعد حوالي شهر من بداية معرفتي به ، واستقبله والدي ، وكان موقفه غريبا . . فهو لم يرفض ولم يوافق ، ولكنه أمهل العريس لأجل غير مسمى ، انني لم أشعر بالحيرة في حياتي كما شعرت بها في ذلك الموقف . . فقد كان العريس يتمتع بمواصفات كثيرة من حسن الخلق والأصل الكريم ، ولكني في الحقيقة لم أعرفه جيدا ، وربما كانت موافقتي مغامرة غير مضمونة النجاح ، وكلما فتحت حوارا مع والدي لاسترشد برأيه لا اسمع الا عبارة واحدة « عليك وحدك أن تقرري ما اذا كان هذا الرجل يصلح لك زوجا أم لا .



وللآباء وجهة نظر ..

هذا حزء من مشاكل البنات عند اختيار الزوج ، فكيف ينظر الآباء الى تلك المرحلة من حياة بناتهم

يقول أمين : « المشكلة التي تؤرقني كأب ،هي ان ابنتي التي بذلت في رعايتها كل جهد حتى تخرجت طبيبة ، ترى نفسها قد كبرت الى حد أن تتخذ قرار الزواج وحدها .. فقد تقدم لابنتي زميل لها في العمل يطلب يدها ، وكانت هي مقتنعة به تماما ، ولكنني عرفت أنه محدود الطموح ، ويرضى باليسير من النجاح ، وابنتي تعرف جيدا انه مكتف بشهادة البكالوريوس ، فهو يرى ان لديه من المال ما يكفيه أن يعيش ميسورا ، ابنتي طموحة جدا ، وهذا ما يخيفني ، وما اعتقد أنه سيخلق مشكلة كبرى في حياتها اذا ما تزوجا ، ولكنها ترى ان مخاوفي ، مجرد وساوس أب يخشى على سعادة ابنته »

أما عبدالله .. فيقول : « اخترت بنفسي زوج ابنتي ، انه أحد أقاربنا ،وهو شاب ممتاز يشهد له الجميع برجاحة العقل ، ورغم أنه لم يتم دراسته الجامعية ، الا انه يملك تجارة واسعة ورثها عن أبيه ، يديرها بمهارة فائقة ، ويعيش حياة رغدة ناعمة ، أنا لا أرى فيه عيبا واحدا ، فالشهادة ليست كل شيء ، ورغم ذلك فابنتي ترفض الزواج منه ، وتصر على أن يكون شريكها جامعيا مثلها » .

أما عبدالرحمن .. فيقول : « عندما تقدم عريس ابنتي الصغيرة ، تركت لها وحدها حرية الاختيار ، ولم يكن ذلك اسلوبي في تربية بناتي ، ولكن حدث ما دفعني لذلك ، فقد تدخلت في زواج ابنتي الكبرى ، بل أصررت على تزويجها ممن اخترته لها ، ولم امنحها الفرصة الكافية لمعرفته جيدا .. وكانت النتيجة أنها طلقت بعد عام واحد من زواجها ، فقد كان بخيلا الى حد التقتير على نفسه ، وكثيرا ما أجبرها على الاقامة عند أهله بحجة التوفير .. وكان الاستمرار مستحيلا ، ولذلك فأنا أترك لابنتي الحرية في اختيار شريك حياتها » .



الزواج .. علاقة بين جماعتين

أمام علماء الاجتماع ألقينا بهموم الآباء والبنات عند اختيار زوج الابنة ..

يقول : د . أحمد أبوزيد استاذ الانثروبولج بجامعة الكويت : « اعتقد ان السبب الرئيسي ا حيرة الآباء والبنات هو تصور كل من الطرفين ان حـ الاختيار المطلق مقصور عليه دون الآخر .. ولكـ الواقع أن حق اختيار الزوج حق مشترك ، للطرف أن يتبادلا فيه المشورة ، حتى يصلا الى رأى واحد فالحق هنا مشروط بحكم الحياة في مجتمع له قوا وقيم

واذا كان كثير من البنات يعتقد ان حق اختي الزوج حق مطلق لهن فهذا خطأ كبير ، لأن الزواج هو الا علاقة بين جماعتين وليس علاقة بين « فردين والتاريخ القديم مليء بالحكايات التي تؤكد ذلك ففي بعض القبائل القديمة كان منتشرا أن يسهم ا العائلة (كل حسب وجه قرابته) في المهر الذي يد

أحدهم لعروسه ، ومن ثم يوزع هذا المهر على أهل العروس (كل حسب درجة قرابته) أيضا ، فتدخل الاب في اختيار زوج ابنته هو ترجمة لمبدأ المسئولية الجماعية

وتتضح الصورة أكثر في حال اخفاق الزواج ، فالجزء الاكبر من المسئولية يتحمله الأهل قبل البنت ، وهذا ما يؤكد مبدأ « التكافل الأسري » في العائلة العربية ، بعكس الحال في بلاد أوروبا وأمريكا » .

ويستمر د . أبوزيد في حديثه قائلا . « ولا يعني كل ما سبق انكار حق الفتاة في ابداء رأيها الصريح في الشريك ، فذلك لايجوز ، وهو حق منحه لها التشريع الاسلامي ، والأمثلة عليه كثيرة ، وكلنا يعرف ان السيدة خديجة هي التي اختارت الرسول عليه الصلاة والسلام للزواج ، ولكن قد يحدث في كثير من العائلات أن يرفض الأب العريس الذي اختارته ابنته ، أو تأبى الفتاة أن تتزوج رجلا يرشحه لها أبوها ، ولكل منهما طبعا مبرراته في الرفض ، ولذلك فمن الضروري في هذه الحالة أن يأخذ برأي العائلة . خصوصا الأخوال ، فهم دائما أقرب الى قلوب وعقول البنات ، ويبحث الجميع في هدوء نقاط الاختلاف

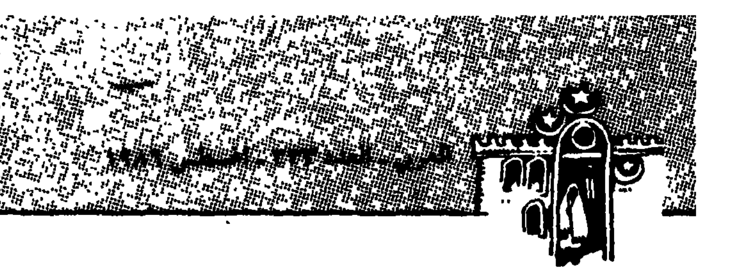
فقد يكون الأب على حق في رفضه لانهدام ركن أساسي من أركان العلاقة الزوجية (كأن يكون العريس غير كفء مثلا من الناحية العلمية ، أو المادية ، أو الأجتماعية) ويكون الرفض هنا لصالح البنت ، أو قد تكون للابنة العروس وجهة نظر مقبولة اذا رفضت ابن عمها ، مثلا لأنها تشعر نحوه بمشاعر الأخوة ، وهو أمر يجعل التقارب العاطفي أمرا صعبا ، وأنا شخصيا لا اعتقد أن تدخل الأب يعني فرض قيود على حرية البنت ، ولكن كثيرا من البنات اليوم يتأثرن للاسف بنظرة الغرب الى حرية البنت ، وهذا خطأ كبير ، فالمسئولية الجماعية التي تحدثنا عنها هي حماية جماعية أيضا للبنت ، وعندما جعل الله تعالى في التشريع الاسلامي للذكر مثل حظ الانثيين ، انما جعل ذلك لأن للرجل دورا في حياة الأسرة كلها » . □

أم سلمة

● عرفت أم المؤمنين هند بنت أمية المشهورة بأم سلمة بالرؤيا السياسية الواضحة ، والآراء الصائبة التي تدل على خبرة وحنكة وبصر بالأمور

فقد روي أنها ذهبت للخليفة عثمان بن عفان حين اعتورته الخطوب ، وتزاحمت حوله الأحداث . فقالت له يابني : مالي أرى رعيتك عنك نافرين ، وعن جناحك نافرين ، يابني لاتقف طريقا كان رسول الله يحبها ، ولاتقتدح بزند«ضرب الحجر بجسم صلب فيفرز شررا»كان قد أكباه « لم يصدر شررا » وتوخ حيث توخى صاحباك أبوبكر وعمر ، فانهما تكما الأمر تكما « أي أنهما التزما بالحق » ولم يظلما ، وهذا حق أمومتي قضيته اليك ، وان عليك حق الطاعة .

فرد عليها عثمان قائلا : قد والله قلت فوعيت ، وأوصيت فقبلت ، وان لي عليك حق النصيحة .



ابنـــها

● خمسة عشر عاما هي عمر زواجي ، ومند اليوم الأول وحتى الآن وعـذاب الحيـاةلاينتهي ، تزوجت وأقمت مع أم زوجي في بيت واحد ، فهو وحيدها الذي وهبته عمرها بعدوفاة زوجها .

وقبلت ورضيت وتقبلت . . . فلم يكن منطقيا ولا اسانيا أن أرفض الحياة مع سيـدة تشع الـطيبة من قسمات وجهها ، وقدرتها على العطاء لا حدود لها .

ورغم طيبتها المفرطة . . فانها كانت دوما مصدرا لشجـار لا ينتهي بيني وبـين زوجي ، شحـــار أدى تراكمه وتكراره الى خلق فجوة بيني وبـين زوجي ، فهي سيـدة لا تكف عن الحركـة ، شديـدة الـدقـة والنظام . . . تحكمها عادات وتقاليد وطريقة حياة لا تتغير ، وتصر على فرص وتطبيق نظامها في البيت وفي تربية الأولاد . . . فالمقاعد لابد أن تـرتب بطريقـة معينة وطريقة غيرها خطأ ، والمـلابس تنشر بشكـل محدد وخلافه خطأ ، وطهـو الطعـام يجب أن يكون بطريقة طهو ثابتـة ، والأولاد يعاملون بحنـان بالـغ وتدليل شـديد . . . ومن هنـا ثارت وتفجـرت كل اختلافاتنا . . . فهي نمطية شديدة التدقيق . . . ولا شيء يشغل فكرها واهتمامها ، ليس في حياتها شيء تحلم به أو تقلق من أجله الا نحن . . . ابنها وبيته . .

وفوق الحب الطاغي الهائل الذي تحبه لابنها فانه صار مع الزمن . وسير العمر بها محور حيـاتها ، كـل ما يتصـل بابنهـا تهتم به ، وتفكـر فيـه وتغـير وتعـدل وترتب . . حاولت مرارا أن أوجه نظرها بلطف بأنه لايليق أن تعيدي شيئا فعلته أنا أمام الأولاد . . ولا يليق أن تصححي أفعالي أمامهم وبحكم سنها وحبها الكبير لابنها يـدفعها فضـولها الى دس أنفهـا في كل شيء ، والسؤال عن كل ما يقال أمامهـا حتى لو لم تسمعه ، ولو حرص أطراف الحديث على التحدث بصوت خافت فتصبح الطامـة الكبرى ، اذ تـنطلق أسئلتها في تتابـع وتوال مـاذا تقولـون ؟ تكلموا . . قـولـوا . . ولا يقتصـر فضـولهـا عـلى شيء ، فمن مشاركتها في حياتي الزوجية والتنصت على أحاديثي أنا وزوجي . . وانتهاء بفرص نفسها على كـل ما في حياتنا . . تخرج معنا . . . نضطر الى زيارة مجـاملة تصر على المجيء . . . حتى لو كان هناك خيار بيني وبينها أينا يمكث في البيت مع الأولاد . تجري هي كـالأطفال ، وتـرتـدي مـلابسهـا ، وتجلس بجـوار الباب ، تحث أبنها على ارتداء ملابسه . . وانتهيت الى أن روضت نفسي . . انني في البيت ضيفة ليس لي شيء لا في منزلي ، ولا أولادي ، ولا زوجي .

هي

بين نارين

● بين شقي الرحى أعيش ، عذابي لاينتهي ، أدفع الثمن كل يوم من أعصابي ودمي ، وقائمة أمراض قال عنها الأطباء انها حالات عصبية لا علاج لها الا هدوء الأعصاب وراحة البال ، لا يمر يوم دون خلاف واختلاف ، تقصان معا في المطبخ ، أبدأ في سماع أصواتهما تختلطان ، أجلس معهما نتحدث أو نتناقش ، أجد نفسي بين طرفين . ورأيين . . وأعترف أن أمي لظروف كثيرة أصبحت تصرفاتها تثير الأعصاب ، وان زوجتي تتحمل كثيرا ، ولكنها عندما تنفجر يصيب رشاشها الكل . وحاولت كثيرا أن أقول لزوجتي مزيدا من التحمل وحسن الادراك . وأقول لأمي أريحي نفسك ولا تشغلي بالك بشيء . استريحي واستمتعي بأيامك معنا . . لم يطلب منك أحد أن تقومي من مكانك ، ولا أن تسهمي بعمل ما في البيت ، ولا أن تقومي بتربية الأولاد . . ولكن كل نصائحي وأحاديثي تذهب أدراج الرياح .

شرحت لزوجتي كثيرا تفاصيل حياتنا . وكيف توفي والدي ونحن أطفال صغار . . . أنا وشقيقتي ، كان عمري وقتها سبع سنوات ، وعُمر شقيقتي عامين ، وأوقفت أمي عمرها وشبابها علينا . خاضت معارك كثيرة مع أهلها كي لاتتزوج . . . وانتصرت في النهاية . . . كانت تدللنا وتخاف علينا من لفحة هواء ، لم تسمح لشقيقتي مثلا حتى يوم زواجها بأن تعمل في المنزل ، شأن كل الفتيات ، ولا أن تساعدها على الأقل حتى تتعلم ، وقلت لزوجتي أنا الآن أحصد ثمن وفائي لها ، فلم أغضبها يوما ، وما ان بلغت مبلغ الرجال حتى بحثت عن عمل ووازنت بين عملي ودراستي ، لكي أعينها على الحياة ، خوفا من الا يكفي معاش أبي . . وكانت تودعني صباحا بدموعها . ! وتستقبلني مساء بحنانها . . كبرت معها فأصبحت الأب والرجل . . حتى وصل حبها لي الى درجة المرض تخنقني به تقتلني به . تفسد عليّ حياتي ، أدرك تماما أنها لا تقصد ، ولكن الطريق الى جهنم كما يقولون محفوف بالنوايا الطيبة ، ورغم طول ما شرحت وفسرت لزوجتي ، الا أنها تصبر بعض الوقت ثم تنفجر ، وأنا أعذرها والتمس لها الأعذار ، وأتفهم ما تتحمله ، ولكنني لا أستطيع أن أقول لها أبدا انك على صواب ، وان أمي أخطأت .

هو





من الحياة
فنان.. نبت في رمال الصحراء

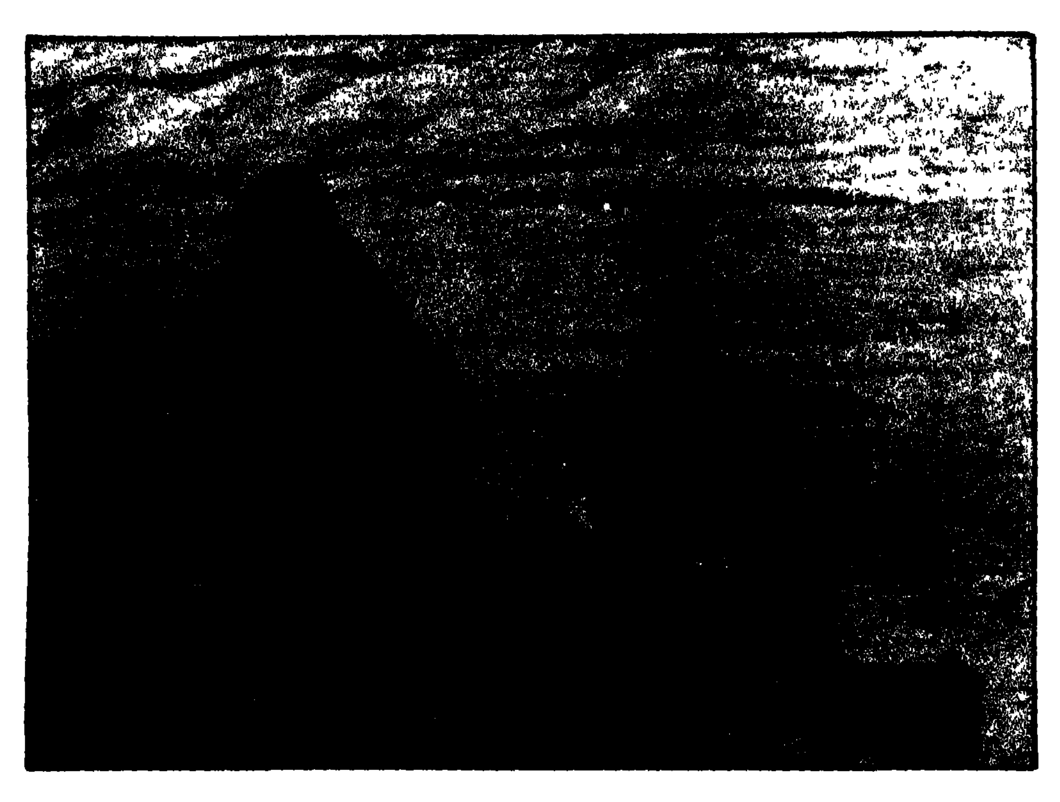
بقلم : منير نصيف

عشق الصحراء ، فقد نبت في رمالها ، وأحب البادية فقد عاش سنوات حياته الأولى في أحضانها . . انه الفنان مصطفى بكير الذي ولد في مدينة العريش في شمال شبه جزيرة سيناء ، وقضى سني طفولته الأولى بجبو وسط الطبيعة من حوله بكل ما تحمله من جمال وقسوة . . ولكن تأثره بالجمال كان أقوى من كل شيء ، اصطدم به وهو يخطو أولى خطواته في الحياة ، في تلك الحقبة البعيدة القريبة من الزمن ، في أوائل الأربعينيات ، عندما كانت مدينة العريش مجرد قرية صغيرة ، يعيش أهلها على صيد السمك ورعى الأغنام ، وانتظار شروق شمس يوم جديد . . . . .

كبر الطفل . . وفي رأسه وصدره صور الحياة التي عاشت معه في طفولته . . الصحراء برمالها الناعمة وشمسها الساطعة الدافئة . . البحر بمياهه الفيروزية ، وأشجار النخيل الباسقة تطل عليها اطلالة العاشق المتيم بهذا اللقاء الأبدى ، بين الماء والرمال الساخنة على الشاطىء الذي ترعى فيه الأغنام ، ثم لاتلبث أن تبتعد عنه في رحلة الى بطن الصحراء ، تبحث في الرمال عن غذائها . .

وقوارب صيد السمك تعود مع الغروب محملة بغذاء يوم جديد ، لهؤلاء الذين اتخذوا من الخيام مأوى لهم وبيتا ، يعودون اليه بعد يوم طويل من العمل الشاق من أجل الرزق والحياة . .

وترك « الفنان الصغير » الصور التي أحبها ، وسافر الى المدينة . . الى القاهرة لينهل من مدارسها ومعاهدها أكبر قدر من العلم . . وتخرج في كلية الفنون الجميلة . وكانت فرحته بالشهادة التي يحملها أهم حدث في حياته ، فقد أسرع عائدا الى



● راعية الغنم والبحث عن الطلاء

الأرض التي أحبها والسماء التي افتقدها ، والأهل الذين طال فراقه عنهم ، في رحلة البحث عن العلم والمعرفة . وكان لقاؤه مرة أخرى بالصور التي لم تفارق مخيلته لحظة واحدة ، على مدى السنوات التي أمضاها بعيدا عنها . .

ومع هذا اللقاء الجديد ، ولد الفنان بكير ، فقد أمسك بفرشاته ، وراح يعبر بها عن كل ما كان يختزنه من صور الحياة في سيناء . .

ثم كانت النكسة !

وفي عام ١٩٦٧ ، عام النكسة ، أقام الفنان الشاب بعد تخرجه في كلية الفنون الجميلة بعام واحد ، أقام أول معرض للوحاته في مدينة العريش . ثم كان الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ، مع ما احتلته من أراض عربية أخرى . . وبحث العدو الاسرائيلي عن الفنان الصغير الذى كانت لوحاته تعبر عن صمود أهل سيناء في مقاومة الاحتلال وتجسد هذه المقاومة ، حتى قال عنه الفنان الكبير حسين بيكار :

« عجيب أن تنبت مثل هذه الزهور من رمال الصحراء » . .

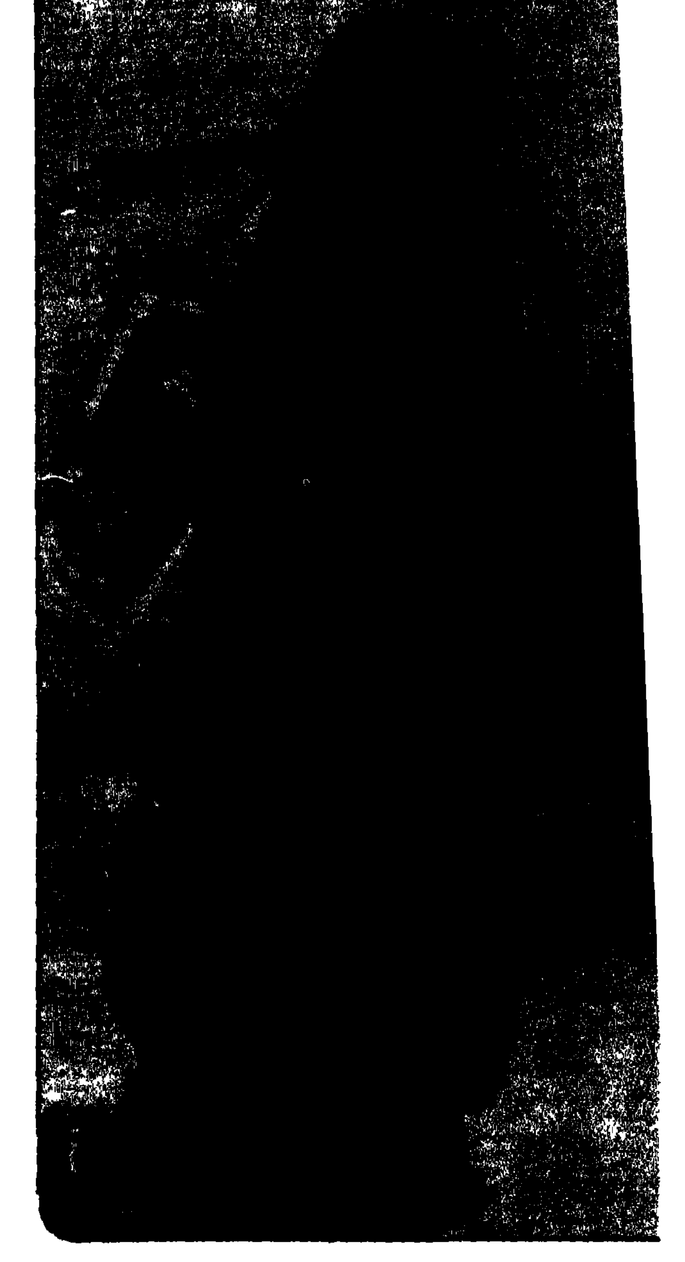
ولكن بكير اختفى ، ولم يستطع العدو أن يصل اليه ، ليقطع اليد التي كانت تحارب بلا سلاح ، فقد عبر الحدود الى الأردن ، ومن هناك عاد الى القاهرة . . وبقى ينتظر العودة الى الأرض التي أحبها . . ست سنوات كاملة أمضاها في كفاحه الهادىء مع الألوان ، فأقام عدة معارض للوحاته المستوحاة من سيناء وحياة أهلها وكفاحهم . وكانت تعبر عن الأمل الذي ظل يعيش في قلوب الرجال الذين لم يستسلموا للهزيمة ، وعن التفاؤل بالمستقبل الذي يترقبون مجيئه . . حتى كانت حرب العاشر من

رمضــان المبــارك التي حــطمت اســطورة الجيش الاسرائيلي الذي لايقهر . . وعاد الى لوحـاته ليعبر بفرشاتـه عن تلك الانطلاقـة التي نقلت العرب من الهزيمة الى النصر . .

يوم النصر !

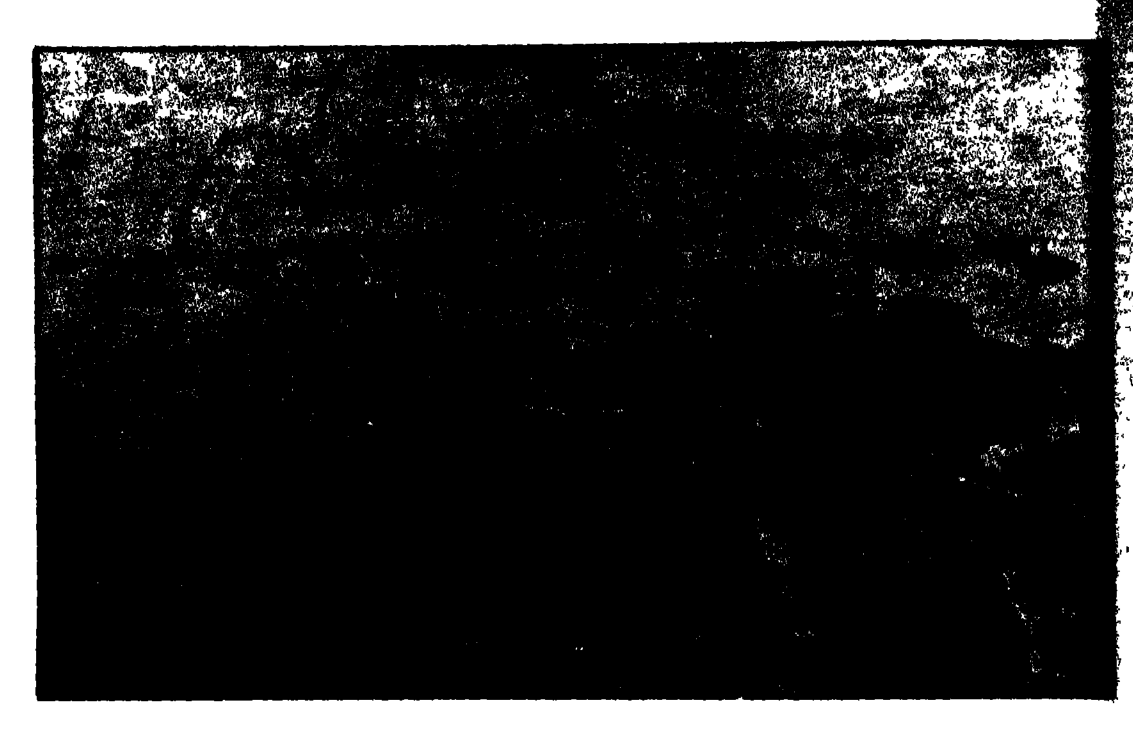
وأسرع ينقل أعماله الأخيرة التي رسمت الصورة الجـديـدة ليـوم النصـر الى الضفـة الشـرقيـة لقنـاة السويس ، وفوق أنقاض خط بارليف بمدينة القنطرة شرق أقام معرضه الجديد الـذي سجلته الصحـافة المحليـة والعالميـة . . وعاد الفنـان الى الـرمـال التي عشقها في سيناء . . عاد وهو يحمل معه ستين لوحة ، طاف بها بعد ذلك جميع محافظات القطر المصري ، فكانت فيلما تسجيليا ملونا يصور قصة كفاح شعب من أجل الحياة . .

لقد مثل هذا الفنان المتيم في حب سيناء ، بلاده في معارض الفن التشكيلي التي اقيمت في موسكو وصوفيا وتانزانيا ومعظم الأقطار العربية . . وأثارت لوحاته ذات الألوان الحمراء والـرماديـة والصفراء اعجاب النقاد والمشاهدين الذين وجدوا أروع تعبير عن فترة الكفاح والمعاناة التي عاشتها بلاده . .



△ ● أمومة في البادية

● حاملة الجرة ، ورحلة البحث عن الماء ◁



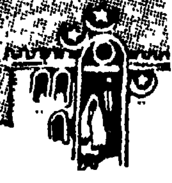
● قوارب الصيد في بحيرة البردويل .

أطلقوا عليه اسم فنان سيناء ومنحوه لقب « فنان الجوائز » فقد كان الفائز دائما بالجائزة أينما حلت رسوماته ولوحاته . فاز بها في موسكو وصوفيا وفي مصر في أكثر من معرض شارك فيه . . وكانت لوحته « زهور برية » هي الفائزة بالجائزة الأولى في المعرض القومي للشباب الذي شارك فيه الفنانون المصريون والسودانيون ، واستطاع أن ينقل فنه الى أمريكا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا ، حيث تحتل بعض لوحاته مكان الصدارة في المعارض التشكيلية

البداوة أصالة !

سألوه يوما : ماسر هذا الحب الكبير بينك وبين حياة البادية ؟ » ، فكتب فنان سيناء مصطفى بكير يقول . » المجتمع البدوي يشدني دائما لأنه مجتمع أصيل يتميز بالعزة والكرامةوالتماسك التقليدي . . ان هذه الصمات تهز الفنان في داخلي ، فلا أستطيع أن أقاوم تسجيلها بفرشاتي وألواني التي أحملها معي في حلي وترحالي . . لقد عشت أعواما طويلة وسط البدو في سيناء ، أرتحل معهم وأنقل صورا لحياتهم . . وهي صور عاشت معي وبقيت في خاطري ، ولن تغيب عني أبدا . . فهي جزء من حياتي . انها حياتي كلها ! □

■ قبل أن أتزوج كان عندي ست نظريات في تربية الأطفال ، أما الأن فعندي ستة أطفال ، وليس معي لهم نظريات (جان جاك روسو) .



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

الطّفل المتشنج

لاشيء يثير الذعر والهلع في قلب الوالدين أكثر من رؤية نوبة تشنج مفاجئة تجتاح طفلهما الصغير .

والواقع أن هذه الصورة التي تبدو مأساوية ، لاتحمل خطرا كبيرا بالحجم الذي يتوهمه والدا الطفل وذووه .

ان الاضطراب الذي ينتاب أهل الطفل قد يؤدي الى سوء التصرف ، مما قد يضر بالطفل أكثر مما تضره نوبة التشنج ذاتها ، وقد يعمد البعض الى سرعة استدعاء الطبيب الذي يحضر عادة بعد انقشاع الغمة ، وانتهاء النوبة التي لاتدوم طويلا على الأغلب ، ودون أن تخلف ضررا أو أذى للطفل .

هناك أكثر من سبب لتشنج الطفل المفاجىء هذا ، والسبب الأهم والأكثر شيوعا هو الحمى ، أو ارتفاع درجة الحرارة ، بما يتعدى ٤٠ درجة مئوية .

ومن المألوف أن يصاحب نوبة التشنج الارتعاشي غياب عن الوعي ، أو غيبوبة تدوم مدة وجيزة لاتتجاوز دقائق معدودة ، ثم يفيق الطفل ويعود الى وعيه ، وتختفي كل مظاهر التشنج ، ويروح في سبات عميق ونوم هادىء وكأن شيئا لم يكن .

في مثل هذه الحال لابأس من استدعاء الطبيب أو استشارته ، مع محاولة تخفيض درجة الحرارة المرتفعة بالوسائل التالية .

(١) حقنة شرجية بالماء البارد (تلافى استعمال الماء المثلج) حيث يخلط ماء الصنبور بقليل من بيكروبونات الصوديوم ، بنسبة ملعقة شاي صغيرة الى ملء كوب من الماء ، ثم حقن المحلول في شرج الطفل ، ويضم فخذيه لمنع الماء من التسرب مدة ثلاث دقائق تقريبا ، ويلاحظ انخفاض درجة الحرارة عقب الحقنة الشرجية بحوالي ١٥ ـ ٢٠ دقيقة

(٢) كمادات الماء البارد : يجرى هذا عن طريق تبليل جسم الطفل ، وبخاصة جبهته ورقبته وذراعاه بمزيج من الماء البارد والكحول ، بنسب متساوية ، و نرك ليتبخر .

(٣) استعمال أكياس الثلج على الرأس والرقبة لمدة دقائق معدودة .

وعلى المسعف خلال هذا مراعاة وضع شيء ما بين أسنان الطفل ، يحول بينه وبين أن يعض لسانه ، حتى لايجرحه أو يقطعه .

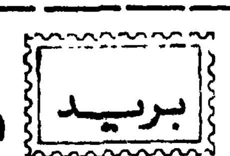
ان من الأهمية بمكان تمييز نوبة التشنج الحراري م

نوبة تشنج الصرع ، وهذه لا تصاحبها حمى ، وعادة ما تفاجىء الطفل تكرارا وهو في أتم صحة ، فاذا به يصرخ صرخة مميزة ، يقع بعد هذا مغشيا عليه في حالة تشنج ، دون أي ارتفاع في درجة الحرارة

وهذا الأمر قد يكون اسعافه بعدم التدخل أثناء النوبة ، اللهم الا الملاحظة والمراقبة ، ومنع عض المريض للسانه ، مع ابعاده عن أي أذى قد يصيبه مما حوله ، الا ان علاج الصرع يكون ضروريا عند الطبيب المختص فيما بين النوبات

هناك نوبة أخرى من نوبات التشنج ، قد تصيب بعض الأطفال بدرجة محدودة ، عندما يخافون أو يصرخون ، فاذا تنفسهم يتوقف ، ثم يغلب اللون الأزرق على وجوههم ، مما قد يوحي بالاختناق ، وبعدها يقع الطفل مغشيا عليه في نوبة من التشنج ، وهو ما قد يطلق عليه اصطلاح انحباس الانفاس التشنجي ، وهو أمر عارض مؤقت لا خوف منه ولا أذى ، كما قد يتوهم أهل الطفل ، لأن الصورة تبدو لهم مثيرة للهلع والفزع .

هناك أمراض شتى لا مجال لحصرها تدخل في نطاق المسئولية الطبية ، تؤدى الى تشنجات الأطفال ، مثل الفشل الكلوي أو التسمم بالرصاص ، أو التهابات المخ ، أو النزيف داخل الجمجمة ، وهي جميعا تصحبها أعراض وعلامات مميزة لاتخفى على الطبيب المختص ، وعلاجها يرتكز على علاج المرض المسبب تحت اشراف طبي □



بريد طبيب الأسرة

مرض رينودز

● أصيبت أخت لى فى أصابع يدها وقدمها بمرض ، قال الأطباء عنه انه مرض يسمى رينودز ، وبالرغم من كل علاج فان حالتها تزداد سوءا يوما بعد يوم ، مما صرت معه شخصيا أخاف على نفسى من الاصابة به .

لهذا أرجو إعطاءنا نبذة عن هذا المرض وأسبابه وعلاجه وطرق الوقاية منه

ب . ج

حلب ـ سوريا

ـ اسم هذا المرض النادر منسوب الى الطبيب الفرنسى موريس رينودز maurice Rayanods الذى كتب عنه بحثا مطولا عام ١٨٦٢ ، وهو مرض من أمراض الأوعية الدموية التى تضيق فتقصر معه الدورة الدموية عن تغطية حاجة الأنسجة من الدورة الدموية ، بل ربما يؤدى تفاقم المرض الى انسدادها كلية .

وعادة ما تكون الأطراف كأصابع القدم، أو أصابع اليدين ، أو صيوان الأذن أو الأنف ، هى موضع الاصابة المختارة .

والمرض يداهم صحيته فى نوبات قد تدوم دقائق معدودات ، أو ربما تطول الى ساعات أو أيام ، حيث يعانى المريض من الآم شديدة ، مع مظهر شخصى يصبح معه الجلد أبيض اللون ، أو ربما محتقنا ، ثم يعقب هذا رد فعل يتورم معه مكان الاصابة ، ويميل اللون الى الاحمرار ، والسبب فى الحالة الأولى هو ضيق الأوعية الدموية التى يعقبها اتساع نسبى فى الحالة الثانية

فى الأحوال الشديدة قد تؤدى الاصابة الى غنغرينا



الجلد ، أو الموات في مواقع محدودة ، مع تقرحات مؤلمة بسبب عجز التروية الدموية .

لم يتمكن الأطباء حتى يومنا هذا من تحديد هوية هذاالمرض ، أو معرفة أسبابه ، وبالتالي عجزوا عن علاجه علاجا حاسما .

لهذا فهم ينصحون المصاب بتفادي التعرض للبرد أو الصقيع ، كما ينصحونه بتوخي الهدوء النفسي ، وتفادي الاثارة العصبية ، حيث ثبت أن البرد والتوتر العصبي يهيجان نوبات المرض والمعاناة

هذا بالاضافة الى ضرورة الابتعاد عن التدخين كلية ، حيث أن النيكوتين يؤدي الى انقباض العضلات الدقيقة في جدران الشرايين وبالتالي ضيقها .

وينبغي أن يحرص المريض على الابتعاد عن الماء البارد ، وضرورة استعمال الماء الدافىء في استحمامه ، أو عند غسل الأيدي والاقدام .

يلجأ بعض الأطباء لاستعمال عقاقير تدخل فيها أملاح اليود ، أو مواد موسعة للأوعية الدموية ، ولكن نجاح هذا العلاج محدود وغير مضمون لكل الحالات .

لهذا قد ينصح آخرون باللجوء الى عمليات جراحية ، يتم خلالها قطع الاتصال العصبي العاطفي (السمبثاوي) للمنطقة المصابة ، وقد ثبت نجاح هذه العملية الى حد كبير ، وخصوصاً في حال اصابة القدم ، أكثر من نجاحها في اصابة اليد .

بقي أن نشير الى أن المرض يغلب على النساء أكثر مما هو بين الرجال ، بنسبة قد تصل الى خمسة أضعاف ، لذا لا حاجة للسائل الى القلق والتخوف من احتمال الاصابة كما يتوهم ، هذا بالاضافة الى أن يندر الاصابة قبل سنوات البلوغ ، كما يندر في سنوات الكهولة والشيخوخة عقب سن الأربعين ، فليطمئن السيد القارىء العزيز .

ردود سريعة :

● **السيد ع . ع ـ درعا ـ سوريا :**

يبدو أنك تعاني من مرض الصرع المعروف قديما باسم المرض « المقدس » ولا نظنه وراثيا ولا هومرض عقلي ، وانما هو اختلال وظيفي أو عضوي في الجهاز العصبي ، يمكن لأخصائي الأمراض الباطنية علاجه ، ولكن يفضل طبيب مختص في الأمراض العصبية اذا توفر ، وليس طبيب الأمراض النفسية والعقلية ، وعلى أي حال فان الأمل في تخفيف النوبات كبير اذا ما ثابرت على العلاج .

● **السيد خ . س . شمال سيناء ـ مصر :**

ـ يحسن بك مراجعة اخصائي في الأمراض العصبية لأن معاناتك مرتبطة بتقلباتك النفسية وردود فعلك العصبية .

● **السيد/ ع . أ . ر لبنان :**

ـ زيادة الشهية عند الغضب أمر مألوف ومعروف في علم النفس ، ولهذا فان زيادة وزنك تعني فـ غضبك وتكرار معاناتك ، وهذا هو الأمر الأ بالعلاج ، حتى لا تزيد الطين بلة باصابتك بقـ هضمية ، أو ارتفاع ضغط الدم ، أو ربما مـ السكر وما اليه من مشاكل صحية يجرك ا الغضب ، فلا بأس من استشارة أخصائي الأمر النفسية ليجد لك حلا .

● **السيد/ أ . ع . ي ـ نجع حمادي ـ جمهورية العربية :**

ـ عليك الالتزام بنظام خاص لانقاص ا عامة ، بالاقلال من النشويات والحلويات وا السكرية ، بالأضافة الى رياضة مستمرة خص للأطراف السفلى كما هي الدراجة ، أو الم الألعاب السويدية .

الرّحمة والعدل

لاأنسى هذا اليوم أبدا ، ولا أنسى هذه الحادثة . ومازالت محفورة بالنار في عقلي . ولم أجد لها الى اليوم حلا ، منذ شهور وفي احدى الصحف العربية ، وفي صفحة داخلية كان الخبر . . موظف باحدى الادارات الحكومية يقتل زوجته وأبناءه الأربعة ويحاول الانتحار ، والسبب . انه لا يستطيع أن يوفر لهم المأكل والملابس المناسبة والكافية ، وبقيت الليالي الطويلة مؤرقا . . وظل ذهني وعقلي مشغولا وأخذت أتابع تفاصيل الحادثة التي اعترف بها صاحبها حتى توفي من جراء محاولته الانتحار ، واعترف رغم قسوة الحادثة وبشاعتها أنني التمست للرجل بعض العذر ، فنحن في زمان ظالم . وعذاب رؤية أطفال لايشبعون عذاب لايطيقه أحد . . وعذاب النوم جوعا والارتعاش بردا . . ونظرات عيون الأطفال لأب لايملك لهم شيئا . عذاب لايمكن أن توفيه كلمات ، ولكن المعنى الحقيقي الذي كلما اقتربت منه ازداد عذابي . . انه في اليوم الذي أقدم فيه على ازهاق أرواح أبنائه . أفطرت أنا وتغديت وتعشيت . . ونمت في دفء الفراش ، وكثيرون مثلي . بل ملايين آخرون ، والذي يفجر الغيظ في القضية هو أنه يفيض في الكثير من البيوت طعام يكفي لاشباع أسرة وأكثر . ولاجدال في أن الرجل كان ايمانه ضعيفا ، وكانت المواجهة صعبة وقاسية ومؤلمة بين استسلام الايمان ورضائه وتسليمه ، وبين قسوة المواجهة وصعوبتها. تذكرت حينئذ الحكمة المشهورة للصحابي الجليل أبو ذر الغفاري : « عجبت لمن يبيت جائعا ولا يخرج على الناس شاهرا سيفه » . هكذا ظل عقلي يتساءل أين تكمن الأزمة ؟ هل في قضية التخلف والتنمية ؟ هل في التبعية الاقتصادية ؟ هل في قلة الموارد وكثرة البشر ؟ ولم أستطع الاجابة . . فرغم كل وجاهة الأسباب السابقة ، كونها تمثل مع غيرها أمراضا نعاني منها جميعا في وطننا العربي . . لكنني أتصور أننا لم نصل بعد الى هذا الحد الذي يموت فيه الناس خوفا من الموت جوعا . وهنا مرت أمام عيني صور أحياء الصفيح والفقر والجوع المنتشرة على خريطة الوطن ، وتذكرت صور البسطاء يقفون أمام مراكز توزيع وبيع المواد التموينية . . ورأيت الأطفال الذين يعانون من الهزال والقلة التي تتألق حيوية . . رأيت الصور المتقابلة والمتناقضة حتى على مستوى الحي الواحد . . والمدينة الواحدة ، وأدركت أننا نحتاج قبل أي شيء الى قليل من الرحمة ، وكثير من العدل □

محمود عبدالوهاب



بقلم : محمد خليفة التونسي

مستهتر - إخصّائي

يقول شيخنا الحكيم المشهور أبو العلاء المعري

« وما أسفي - والخطوب كثيرة
من الدهر - الا ان يحل بي الهتر »

والهتر ذهاب العقل من كبر او هم او مرض . والهتر الباطل والسقط من الكلام . والهتر داهية ، وتهاتر الرجلان ادعى كلاهما على الآخر باطلا . والمهاترة القول بالباطل ، وتهاترت الأقوال تساقطت ، اسقط بعضها بعضا . وفي القاموس « أهتر فهو مُهتَر - بفتح التاء - شاذ ، وقد قيل أهتر - بالضم - ولم يذكر الجوهري غيره . وأهتر - بالضم - فهو مُهتر أولع بالقول في الشيء ، وهتّره الكبر يهتره » وفيه أيضا . المستهتر بكذا على ما لم يسم فاعله »

وأهتر خرف فهو مهتر وهي مهترة

وفي لسان العرب « واما الاستهتار فهو الولوع بالشيء والافراط فيه ، حتى كأنه اهتر اي خرف ، وفيه أيضا استهتر فلان فهو مستهتر اذا كان كثير الاباطيل »

ولم يرد الفعل « استُهتر ولا مستهتر في المعاجم التي بين أيدينا الا مبنيين للمجهول[1] وعدم وجودهما في هذه المعاجم بهذه الصيغة [illegible] يخطئون استعمال هاتين الكلمتين بالبناء للمعلوم ، فلا يجيزون ان يقال [illegible] فلان [illegible] مستهتر .

وهذه الحجة - [illegible] - لا تكفي وحدها في المنع ، لأن المعاجم المتداولة ليست كل المعاجم ، ولأن المعاجم كلها لم تستوعب كل ألفاظ اللغة كما هو معروف . والمرجع الاول والأخير هو النصوص المأثورة ، وما [illegible] ، وما يقاس عليها . فهل الكلمة التي يخطئونها وردت في نص مأثور ؟

والجواب نعم ، ففي كتاب « المفضليات » للضبّي قصيدة للشاعر الجاهلي عبدة بن الطبيب ، منها قوله

ان الحوادث يخترمن ، وانما
عمر الفتى في أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا
جدًا ، وليس بآكل مايجمع[2]

وفي شرح ابن الانباري للمفضليات ، يقول معقبا على هذين البيتين « روى احمد . المرء يجمع مالا مستهترا كدحا » وقال مستهترا مولعا بذلك

[illegible] مستهتر [illegible] لعنل من حرصه [illegible] وهو [illegible]

وفي طبعة [illegible] [illegible] مختلفة[3] [illegible] فقالا مستهتر [illegible] [illegible] لمذاهب لعقل [illegible] من حرصه [illegible] وضبط بكسر التاء على [illegible] اسم الفاعل في [illegible] والشرح [illegible] [illegible] في المعجم [illegible] [illegible] اسم المفعول، وضبط [illegible] [illegible] للمفعول. [illegible]

وهذا يقتضي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اسم فاعل. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اسم المفعول [illegible] [illegible] معنى

وقد [illegible] الاستهتار في لسان العرب، وهي [illegible] المفعول، و«استهتر» [illegible] للفاعل والمفعول. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للفاعل [illegible] [illegible] العرب أن الاستهتار [illegible] بالشيء والإ[illegible]، فإذا [illegible] في [illegible] أن نقول استهتر فلان بالشيء أي ولع به [illegible] واستحب [illegible] مستهتر به. ثم [illegible] أن نقول استهتر به أي أولع به بالبناء للمجهول. ومن هنا تصبح [illegible] «استهتر» و«مستهتر».

اختصاصي وإخْصـائي

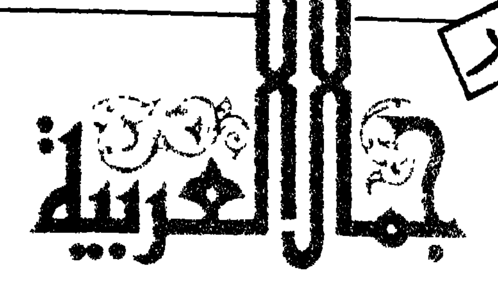
[illegible] الدكتور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (الزمالك - القاهرة) [illegible] [illegible] [illegible] الأعداد [illegible] كلمة «إخصائي» بدلا من اختصاصي، إذ جاء في القاموس ما نصه «أخصى تعلم علما واحدا» وفي شرحه تاج العروس [illegible] على هذه العبارة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والنسبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سؤال هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإنسان على علم واحد، أو يقتصر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، أم أن الغرض هو التوسع في [illegible] العلوم دون بعض، ولا شك أن التخصص - كما هو [illegible] [illegible] اليوم [illegible] [illegible] المعارف [illegible] من جانب، ولكنه شر من جوانب، لأنه [illegible] على [illegible] [illegible] العقلية [illegible]، بل [illegible] على [illegible] الإنسان، وهذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بكلمة للفيلسوف الألماني فردريك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد يعلو بها إنسان ☐

---

(1) [illegible] [illegible] [illegible] (٥١٠ - ٥٩٧هـ) في [illegible] تقويم اللسان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

(2) شرح [illegible] [illegible] [illegible] المفضليات ص ٣٠٢ [illegible] [illegible] [illegible] الأشعار، وفي رواية [illegible].

(3) [illegible] [illegible] هذه الطبعة الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.



هكذا غنى الآباء

التلبية فى الحج لأبى نوّاس

أبو نواس الحسن بن هانىء من مشاهير شعرائنا ، ولد في الأهواز بفارس سنة ١٤٥ هـ (وهي السنة التي أسس فيها أبو جعفر المنصور العباسي مدينة بغداد) وكان أبوه دمشقيا من جنود مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية (ت ١٣٢ هـ) أرسله الى الأهواز فأحب فتاة منها تسمى جلبان ، فتزوجها ، وكان ممن أنجبت له أبو نواس ، وقد انتقل به أبواه إلى البصرة فنشأ بها ، وكانت من أعظم مراكز الفكر والثقافة ، وبسبب فقر أسرته وموت والده دفعته أمه الى عطار ليخرجه في مهنة العطارة ، ولكن نفسه لم تطمئن اليها ، وكان اذا سمع شعرا ارتاح اليه ورغب في نظم مثله ، وقد انتقل الى الكوفة وكانت من أعظم مراكز الفكر والثقافة أيضا ، ثم الى بغداد وكانت قد بدأت تعمر بالعلماء والأدباء وكان شاعرنا ـ حيثما حل ـ ولوعا بحضور مجالس الأدب واللغة ومخالطة فصحاء الاعراب ، فكان يعى ويحفظ ما يسمع حتى صار من نوابغ الشعر والأدب واللغة ، كما اطلع على كثير من ثقافات عصره اسلامية وعربية وأجنبية .

وقد رحل الى الشام ومصر ، ولقى فيهما الأدباء والشعراء . ومدح في تنقلاته الملوك والأمراء والوزراء والقواد ، فقربوه اليهم ، وأعانوه بجوائزهم ، فعرف من خلال مخالطتهم مجالس لهوهم وأسرار قصورهم مما فيها من بذخ السلطة وترف الثراء .

وفي عصره بدأ يزهر كل ما استنبت في العصور السابقة له من غروس الحضارة خيرها وشرها ، جدها وهزلها ، يقينها وشكها ، وكان أبو نواس بحكم نشأته ومزاجه وبيئته الدقيقة أميل الى اللهو ، فتغنى في شعره بكل تيارات عصره ولا سيما تياراته اللاهية ، وتطرف في مجونياته ككثير من معاصريه وفي مقدمتهم الشعراء . وكما توسع هؤلاء في اللهو توسع غيرهم في الدعوة الى الزهد كأبي العتاهية ، ولما كانت النفس الانسانية لا تطيق الاستمرار في لذائذها المادية فان أبا نواس كان يستشعر الندم على افراطه في مجونه ، فيعود الى التوبة والاستقامة في فتراته ولا سيما في شيخوخته ، ومن هنا أكثر من النظم في الزهد وزجر نفسه عن المعاصى والتوبة الى الله ، وله في ذلك نحو خمسين قصيدة ومقطوعة لا تقل حرارة عن زهديات أبي العتاهية الذي اشتهر بشعره في الزهد

وقد حج كثير من الشعراء الى بيت الله ، ولكننا لانعرف أحدا منهم نظم « التلبية » التي يدعو بها الحاج مذ يتحرك للحج حتى ينتهي حجه غير أبي نواس ومن صيغ « التلبية » « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » وقد توفي أبو نواس بين سنة ١٩٨ و ٢٠٠ هـ عليه رحمة الله .

ونحن ننشر هذه التلبية الشعرية بمناسبة موسم الحج .

اَلهـنـا ، مـا أعـدلَـكْ مَليـك كـلِّ مـن مَـلكْ
لبيـك ، قـد لبَّيتُ لـكْ لبيكَ ، إن الحمدَ لـكْ (١)
والملكَ ، لا شريكَ لكْ

مـا خـابَ عبـدٌ أمَّلَكْ أنـت لـهُ حيـثُ سلَكْ
لـولاك يـا ربِّ هَـلكْ لبيـكَ ، إن الحمـدَ لـكْ
والملكَ ، لا شريك لكْ

كـلُّ نَـبيٍّ . ومـلَكْ وكـلُّ من أهَـلَّ لَـكْ (٢)
وكـلُّ عـبـدٍ سـألـك سبَّـحَ ، أو لَبَّى فلكْ (٣)
لبيك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

والـليـلُ لَمَّـا أن حَـلَكْ والسـابحاتُ في الفلَكْ (٤)
عـلى مجـارى المُنْسَـلَكَ لبيـك ان الحمـد لـك (٥)
والملك ، لا شريك لك

يـا خـاطئـاً مـا أغْفَلك اعمَـل ، وبادِر أجلك (٦)
واختـمْ بـخـيرٍ عـمـلَك لبيـك ، ان الحمـد لـك
والملك ، لا شريك لك

□

---

(١) لبيك . اجابة لك بعد اجابة .
(٢) اهل لك : رفع صوته بالتلبية
(٣) سبح لك : صلى ، أو قال : سبحان الله
(٤) حلك : اظلم ، أو اشتد ظلامه ، السابحات : النجوم والكواكب ، الفلك : مدار النجم والكواكب .
(٥) المسلك : الطريق الذي يسار فيه .
(٦) الخاطيء : العاصي ، بادر لأجلك : اسرع بعمل الخير في حياتك .

صدر العدد السابع من



احجز نسختك من الآن لأبنائك

لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتي
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة

١٠٠ جائزة
قيمة
تنتظر طفلك
شهرياً في مسابقة
العربي الصغير



مكتبة العربي





فضل العرب على الثقافة الأوروبية

تأليف : خوان فيرنيت خنياس

عرض وتقديم : جليل العطية

أثر العرب في الثقافة الأوروبية ، موضوع قديم يتجدد . ورغم أن هذه الحقيقة ثابتة لا جدال فيها ، إلا أن الخلاف يبدأ عند بحث المدى الذي وصل اليه هذا الأثر ، والكتاب التالي يلقى ضوءاً جديداً على هذا الموضوع القديم .

---

* الكتاب صادر باللغة الأسبانية وترجمه الى الفرنسية جبرنيل مارتيني جرو

يقرر المؤلف أن كتابه هذا عبارة عن دراسة للتاريخ الثقافي العربي في اسبانيا ، ولذلك فانه لا يتناول التطورات السياسية والدستورية لأنها لا تشكل الهدف الأساسي للبحث ، واذا حصل شيء من الاسهاب في فترة سياسية ، فمرده الى تميز هذه الفترة ثقافيا أو فكريا .

في الفصل الأول الذي يحمل عنوان « مقدمة تاريخية » يقدم المؤلف لمحة حول بزوغ الاسلام وانتشاره ، ثم بدء الفتوحات في زمن الخلفاء الراشدين ، فتوسع هذه الفتوحات في العصر الأموى .

يتوقف المؤلف عند فتوحات شمال أفريقية ليتناولها بشيء من التفصيل ، ثم يتناول الفتح الاسلامي لاسبانيا .

نلحظ في هذه المقدمة التاريخية تركيزا مكثفا على موضوع الفتوحات أكثر من الاهتمام بالموضوعات الأخرى ، كالناحية الادارية والنظام السياسي أو التطورات الاقتصادية والثقافية ، وذلك بهدف الوصول مباشرة الى موضوع فتح العرب لاسبانيا واقامة دولتهم فيها .

ولا شك أن هذه المقدمة مفيدة للقاريء الأوروبي الذي يجهل - أو يتجاهل - الكثير من المعلومات الموضوعية الواردة فيها .

وعبر تأريخه للفتوحات يلمس فيرنيت نقطة حساسة في عملية الفتح واتساع الدولة الاسلامية لتشمل أراضي أجنبية ويضعها في صيغة السؤال كما يلي : هل تتم الفتوحات لنشر الهيمنة العربية على الشعوب الأخرى ، أم لنشر الاسلام كفكرة انسانية شمولية فيها ؟

لقد كان الاسلام دافعاً وحافزاً للفتح ، فالاسلام عقيدة شاملة بمقدورها تجاوز « العصبية القومية » ، ولكن الاسلام في الوقت نفسه كان عاملا أساسيا في انتشار الثقافة العربية في أوروبا وفي العالم الذي عرف فيما بعد بالعالم الاسلامي . فالكثير من الترجمات التي خدمت الفكر الاسلامي تم نقلها من اللاتينية الى العربية . ثم ان الكثير من الكتب الاسلامية التي ترجمت الى اللغات الأجنبية قد تم نقلها من اللغة العربية ، وما ان أشرف القرن العاشر الميلادي على نهايته حتى كانت اللغة العربية من اللغات الرئيسية في أوروبا بفضل الهيمنة السياسية للمسلمين في الأندلس ، وبفضل التطور المتفوق للثقافة العربية في كل فروعها .

الدولة العباسية

وبشكل مواز لعمليات الفتح يتناول المؤلف أسس تكون الحضارة العربية ونضوج جميع النواحي الفكرية والأدبية فيها ، مركزا على الدولة العباسية كمرحلة تاريخية تم خلالها بلوغ الثقافة العربية قمة تطورها وازدهارها . وفي معرض دراسته لهذه الفترة يقوم باعطاء نبذة تاريخية عن العباسيين وأسس شرعيتهم السياسية ، التي بنوا عليها حقهم في تولى شؤ ون المسلمين . ثم تطور العلوم في عصرهم ، فالآداب والعلوم كالفلك والرياضيات حيث أقيم مرصد في بغداد لرصد النجوم والكواكب ، وقد أُلف الكثير من الكتب في هذا المجال منها كتاب لمحمد بن ابراهيم الغزاوي وآخر لمحمد بن موسى الخوارزمي ، وأورد صاعد الأندلسي أسماء العديد من هذه المؤلفات في كتابه « طبقات الأمم » ، وقد انتقلت بعض هذه المؤلفات الى اسبانيا في أوائل القرن العاشر الميلادي .

ونشطت حركة الترجمة في العصر العباسي كثيراً ، وخاصة من اللغتين اليونانية واللاتينية الى اللغة العربية ، وقد ساعدت الدولة على تطور حركة الترجمة وخاصة من خلال بيت الحكمة ، وذكر حنين بن اسحاق شيخ المترجمين العرب ان الخليفة المأمون كان يدفع ثمنا لكتاب المترجم بما يقابل وزنه نقودا .

وفي معرض حديثه عن الحضارة العربية في العصر العباسي يذكر المؤلف طائفة من الأسماء التي لمعت في الحياة الثقافية والفكرية في جميع مجالات الابداع الثقافي ، كالآداب والفلسفة والعلوم الطبيعية والكيمياء والطب والرياضيات ، كالكندى والفارابي والجاحظ وآل المنجم ، ويؤكد فيرنيت في دراسته على الجانب العلمي في الحضارة العربية مثل علوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والنبات ، ثم يركز على النتاج الفلسفي أيضا باعتبار أن هذه الفروع قد كانت المدخل الأكثر تأثيرا للعرب في الحضارة الأوروبية عندما أصبح لهم موطيء قدم في اسبانيا .

تفاعل عربي - أوروبي

ويبرز المستعرب الأسباني الجهود الضخمة في مضمار الترجمة في العصر العباسي ، هذه الجهود التي ستكون القاعدة التاريخية للكتاب ، والتي سيعتمد عليها المؤلف في ابراز المظاهر والمساهمات الحضارية الضخمة لعرب اسبانيا في الفكر والثقافة الأوروبية .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الفتح الاسلامي الجديد لاسبانيا من قبل عبدالرحمن الداخل ، وتأسيس الدولة الأموية في الأندلس والذي أدى الى انبثاق الحضارة العربية في هذه الرقعة من الامبراطورية الاسلامية ، بشكل يتميز عن الحضارة العربية في البقاع الشرقية لدولة الاسلام ، وذلك بفضل التفاعل المباشر مع الحضارة الأوروبية المسيحية .

لقد قصد الأندلس في تلك الفترة الكثير من أدباء ومفكري وفناني المشرق العربي ، وقام عدد من أدباء الأندلس ومفكريه بزيارات مقابلة الى المشرق العربي ومنارته الحضارية بغداد ، ونهض من خلال هذا التفاعل نشاط فكري في الأندلس شمل جميع نواحي الابداع الثقافي ، فقد أُلِّف العديد من الكتب في الأداب والقانون والفقه والفلسفة والطب وغير ذلك ، يضاف إلى ذلك الخبرة التقنية التي أدخلها العرب الى البلدان الأوروبية في المجال الحرفي اليومي مثل طريقة صيد الأسماك ، والطراز المعماري لبناء البيوت والمدن وطريقة إنباط المياه وإيصالها عن طريق قنوات ومجار خاصة . ومن نتائج ذلك دخول مفردات عربية في هذه العلوم،دخلت الى اللغات الأوروبية ومنها كلمة قناة (ganat) وكلمة مجرى التي حرفت في اللاتينية الى (matrice) .

ويتطرق المؤلف الى فترة ملوك الطوائف وضعف السلطة السياسية المركزية ، وما صاحبها من ضعف في النتاج الثقافي والفكري عامة ، غير أن هذه الفترة شهدت - من ناحية أخرى - سمة جديدة في النتاج الأدبي مثل اتصاف الشعر العربي في الأندلس بالرقة ورهافة الحس ، وظهور ألوان أدبية جديدة كالموشح ، وكان ذلك نتيجة البيئة الجديدة وجمال الطبيعة ورقتها ، وللحياة المدنية التي دخلها العرب بعيدا عن البداوة والصحراء وخشونة الطبيعة وصلابتها ، كما ان هذه الفترة شهدت ظهور النزعة الصوفية في الشعر العربي ، وهكذا نرى أن الضعف السياسي لم يمنع قيام أدب أندلسي جديد ، وثقافة عربية لها سماتها المتميزة .

فضل العرب

يحمل الفصل الثاني عنوان « ملامح من الميراث القديم في الوطن العربي » ، وفيه يدرس المؤلف أصول العلوم المادية وسماتها الأولية ثم تطورها التدريجي ، وهو يعود الى الحضارات القديمة التي سبقت الحضارة الاسلامية مثل البابلية والسومرية . والتي وضعت خلالها مبادىء علم الرياضيات ، ثم تطورات هذا العلم على يد علماء عرب ومسلمين منهم الخوارزمي والفارابي وغيرهم ، وانتقلت بدورها الى عرب الأندلس ، ثم الى البلدان الأوروبية التي انتفع رياضيوها من الاضافات والاكتشافات الجديدة التي جاء بها العلماء العرب .

واعتبارا من هذا الفصل يبدأ المؤلف بالتعامل مع فروع الثقافة تعاملا تقنيا ، فيورد الكثير من المعادلات الرياضية أو النصوص العلمية والأدبية راصدا تطورها ، ومتتبعا مسار الابداع والاضافات العربية في هذه المجالات من فروع المعرفة ، فمن الرياضيات ينتقل فيرنيت الى العلول الفلكية ثم الطب حيث قام العرب في زمن الخليفة المتوكل بترجمة الكثير من الكتب الطبية الاغريقية الى اللغة العربية التي شاركت بدورها في تطوير هذا العلم عبر أطباء عرب أخذوا

بناء نظريات جديدة ضمن اطاره ، مستفيدين من مبادىء العلوم اليونانية . وما لبثت الكتب الطبية العربية التي ألفت في المشرق ان انتقلت الى الأندلس وترجم بعضها الى اللغات الأوروبية مكونة ، باضافاتها العلمية الجديدة ، قواعد يستند اليها الأطباء الأوروبيون في معالجاتهم أو في عملياتهم الجراحية .

ويؤكد المؤلف بأن المشرق العربي ، مركز الخلافة الاسلامية،والمغرب ، بما فيه الدولة العربية في اسبانيا ، كانا يشكلان على الدوام وحدة ثقافية متكاملة على الرغم من الاختلاف القائم بينهما كوحدة سياسية وادارية ، ولذلك نرى أن ما يكتب ويؤلف في المشرق ينتقل بسرعة الى المغرب ويؤخذ بنظر الاعتبار من قبل العلماء والمفكرين العرب في اسبانيا ، وقد أورد أبو بكر محمد بن خير الاشبيلي أسماء مئات الكتب التي انتقلت من المشرق على يد أبي علي القالي صاحب الأمالي وغيره ، وذلك في كتابه الشهير الفهرست ، ويتناول المؤلف في فصل خاص بعنوان « اللاتينية لغة الثقافة في العرب » ادراك العرب لأهمية هذه اللغة ، وسعي مثقفيهم الى دراستها واتقانها ، لأنها تمثل المدخل الرئيسي للاطلاع على الفكر الأوروبي عامة ، وترجمة الأعمال التي بامكانها اغناء بعض النواحي في الثقافة العربية ، وبخاصة علوم الطبيعة والعلوم العقلية

ثم ينتقل الى فصل يحمل عنوان « تقنية الترجمة » ، ويعد هذا الفصل بمثابة العمود الفقري العلمي والمنهجي للكتاب بفضل المعلومات الواسعة التي أوردها عن عملية الترجمة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وبالعكس ، والمؤلف عبر رصده التاريخي والتحليلي لنشوء عصر الترجمة وتطوره وازدهاره ، يضع الحجر الاساسي لمهم القاعدة الثقافية التأسيسية للفصول اللاحقة من كتابه ، التي يرصد فيها التأثيرات العلمية والأدبية للثقافة العربية في الفكر الغربي

يعالج فيرنيت في هذا الفصل كل الاشكاليات التقنية وغير التقنية التي واجهت نقل النصوص الأجنبية الى اللغة العربية ، هذا اضافة الى رصده التاريخي لحركة الترجمة والنواحي العلمية التي توجهت اليها أكثر من غيرها ، وذلك وفق الفترات التاريخية التي اجتازها .

انفتاح ثقافي

ومع نشوء الدولة العباسية ، ولد تيار جديد من الثقافة العربية بعيد عن التيارات التي هيمنت عليها في العصور السابقة . تجسد هذا التيار بالانفتاح على العالم والاتجاه نحو دراسة ثقافات الأمم الأخرى والتفاعل معها

وقد لعب الاسلام دورا حاسما في خلق الاتجاه الجديد لأنه كعقيدة دينية شارك بتطوير العلوم العقلية والفلسفية بحيث غدا الفكر الديني بحاجة الى مطابقات منهجية تتجاوز حدوده المعرفية المطروحة بهدف تعميق العلوم المنبثقة من العقيدة الاسلامية نفسها

وقد بدأت الترجمة بنقل النصوص المكتوبة بلغات قديمة الى اللغة العربية ، مثل السنسكريتية والبهلوية والسريانية . وقام بهذه المهمة ، على الأغلب مترجمون وعلماء ينتمون الى عائلة واحدة تأخذ على عاتقها نقل الأعمال المدونة باحدى هذه اللغات دون غيرها الى العربية ، وانتقلت الترجمة بعد ذلك تدريجيا ، من النصوص القديمة الى الكتب اليونانية ثم الى اللغة اللاتينية .

ويقوم المؤلف بالرصد الدقيق لترجمة كل الكتب المهمة وطريقة وصول الكتاب الى الوطن العربي ، ثم المشكلات التي رافقت عملية الترجمة ، وما الى ذلك من تفاصيل أخرى ، ويؤكد فيرنيت بأن الكثير من المثقفين العرب الكبار قد استفادوا في مجال ابداعهم الأدبي من الكتب المترجمة الى اللغة العربية ، فالمتنبي

ـ مثلا ـ استفاد في أشعاره من الحكم والأمثال الاغريقية .

بعد التطور الشمولي للثقافة العربية وانفتاحها على الثقافات الأخرى بدأت حركة معاكسة للترجمة نهض بها الأوروبيون أنفسهم ، حيث شرعوا بنقل المؤلفات العربية الى اللغة اللاتينية أولا ، ثم الى الاسبانية والايطالية ، وتركزت هذه الترجمات في علوم معينة دون غيرها ، كعلم الفلك والقانون الاسلامي ، ثم ترجمت بعض المختارات من نصوص أدبية متميزة ، ومنها الفصل الثاني من كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم .

اتجاه فكري جديد

وشهدت حركة الترجمة ميلاد اتجاه فكري جديد في الوطن العربي ، هو نقد النصوص المترجمة وتقويمها ، وظهرت فئات من المترجمين الجادين والمهمين ، وفئات واسعة من المترجمين الأقل أهمية

ومن المترجمين الجادين المتميزين بابداعهم ودقتهم لمع اسم : حنين بن اسحاق .

ثم نشأ نمطان من المؤسسات الخاصة بالترجمة : الأول ، مؤسسات رسمية تابعة للدولة ومن هذه بيت الحكمة الذي أوعز باقامته الخليفة المأمون في بداية القرن التاسع الميلادي .

والثاني : مؤسسات خاصة قامت بانشائها أسر معروفة ببروزها العلمي مثل موسى بن شاكر وأولاده ، محمد وأحمد والحسين وغيرهم . وفي حين لم يكن في اسبانيا مؤسسات خاصة بالترجمة على غرار المشرق الاسلامي،فقد نشأت الترجمة في الأندلس عبر عوائل جعلت عملية نقل النصوص مهنة لها ، وأخذت على عاتقها ترجمة الكثير من المؤلفات المهمة الى اللغات الأوروبية .

لقد خضعت هذه المؤسسات الأهلية والرسمية لأسلوب عمل علمي وأكاديمي في منتهى التنظيم ، الأمر الذي يقدم حوله مؤلف الكتاب صورة مسهبة مقتفيا عمليات الترجمة بشكل زمني متدرج ، ذاكرا أسماء كل المترجمين المشهورين الذين تولوا نقل الكتب والأعمال الهامة في ميادين الفلك والطب والرياضيات والأدب والقانون ، ولا يكتفي المستعرب الأسباني بذلك بل يفرد في الفصل الخاص بالترجمة جزءا مستقلا يناقش فيه تقنية بحثه ، كالأخطاء التي حصلت في نقل بعض العبارات أو بعض المصطلحات من لغة الى أخرى ، ثم الأخطاء في قراءة النص أو عدم الدقة في فهمه ، والأخطاء الناتجة من عملية النسخ فكثيراً ما يقوم الناسخ بتقديم فقرة أو تأخيرها ، دون أن يتلاءم ذلك مع السياق الصحيح للنص . ثم نجد الأخطاء الناتجة عن عدم الدقة في ترجمة بعض الأسماء العربية الى اللغة اللاتينية أو بالعكس

ان فصل تقنية الترجمة ينم عن براعة المؤلف وقدرته الخارقة على تتبع النصوص وتحليلها والحكم عليها ودراستها ، وهو يعكس ثقافته الهائلة واستيعابه تاريخ العلوم والثقافة ليس للحضارة الأوروبية فحسب ، بل للحضارة العربية الاسلامية أيضا

ان هذا الفصل من أكثر فصول الكتاب أصالة ، فلم يسبق أن درسه أحد بالعمق نفسه ، والخروج بالنتائج الايجابية للتفاعل الثقافي والحضاري الذي حصل بين العرب وأوروبا،وكل هذه الأمور وفق المؤلف في رصدها وتتبعها بشكل يثير الاكبار !

الجبر . . وروجر بيكون

رصد خوان فيرينت الحالة العلمية والثقافية في أوروبا والعالم الاسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين ، ثم انتقل بعدها الى دراسة العلوم في القرن الثاني عشر الميلادي مركزا على الفلسفة والفلك « والحيل » والرياضيات . ويكشف المؤلف عن حقيقة قلما لفتت أنظار الباحثين الاخرين ، هي ان أسماء المترجمين الذين قاموا بنقل الأعمال العربية الى اللاتينية لم تكن معروفة قبل القرن الثاني عشر الميلادي ، فلم يكن النص المترجم يحمل اسم مترجمه مما يشير الى ان عمل المترجم لم يكن يحظى بالاحترام اللائق كما أنه لم يعتبر حتى تلك الفترة عملا ابداعيا ، بينما شهد القرن الثاني عشر الميلادي بروز أسماء هامة تمثل ابداعها في دقة انتقائها الخاص ونقلها للنصوص أو للكتب ذات المكانة العلمية ، والأهمية الثقافية التي تتميز بها عن غيرها .

يذكر المؤلف أسماء الكتب التي ترجمت الى اللاتينية



كتاب الشهر

خلال هذه الفترة ، وأسماء مترجميها ومنها يتبين ان النصوص الفلسفية العربية قد حظيت بأهمية خاصة من قبل المترجمين الأوروبيين ، وبخاصة كتب وآثار الفارابي والكندي واخوان الصفا وابن سينا ، حيث تولى مترجمون عديدون نقلها من العربية الى اللغات الأوروبية .

كما وجه علماء الرياضيات في أوروبا اهتماما بالغا بمنجزات الرياضيين العرب والمسلمين بفضل الاضافات النوعية التي قدمها هؤلاء لهذا العلم ، فقد قام روبيرت دى شيستر عام ١١٤٥ بترجمة القسم الأول من أعمال الخوارزمي ، وترجمت في الفترة نفسها بعض آثار نصير الدين الطوسي وابن الهيثم ، ثم بعض أعمال عمر الخيام الخاصة بالرياضيات ـ وليس بالأدب أو التصوف .

ودخل في هذه الفترة مصطلح « الجبر » الى اللغة اللاتينية ، ثم الى اللغات الأوروبية الأخرى ، حيث ما زال يستعمل لحد الآن كدلالة على فرع من العلوم الرياضية .

ويقوم المؤلف بتناول الجوانب الفنية بشكل مسهب لابراز المناحي والعلوم التي أبدع فيها العرب ، وما أضافوه في علوم الحساب والرياضيات وغير ذلك .

وندرك عبر الدراسة العلمية للباحث الأسباني مدى تمكنه ودقته في الموضوعات التي يقوم ببحثها ، فيكشف لنا الاضافات التي قدمها العرب الى علم الرياضيات في أوروبا والى العلوم الأخرى كالفلك والحيل والبصريات والكيمياء والطب .

ففي علم البصريات ـ مثلا ـ يثبت لنا المؤلف بأن روجر بيكون قد انتفع من الاختراعات التي قام بها العرب في هذا المضمار ، وذلك عن طريق اطلاعه على الملفات التي ترجمت الى اللغة اللاتينية .

لقد أعانت المصادر العربية ـ بيكون ـ في التوصل الى صنع العدسات المكبرة وذلك عن طريق لصق طرفي زجاجتين وملء الفراغ المتكون في داخلها .

وساعد احتراع العدسات على تطور العلوم الأخرى مثل علم دراسة الحشرات الصغيرة ، والتعرف على الخلايا النباتية والحيوانية ثم الاطلاع على مكونات التربة وأنواعها وغير ذلك من علوم دقيقة أخرى .

كتابة الأساطير وحكايات الخيال

وقد شهد القرن الثالث عشر الميلادي توسع حركة الترجمة وبلوغها قمة الازدهار ، فقد شملت مختلف العلوم التي نبغ فيها العرب كالفيرياء والفلسفة وعلوم الدين والتفسير وعلوم البحار والملاحة والفلك والحيوان والنبات والطب ، اضافة الى الآداب والفنون . وشجع الامبراطور الايطالي فريدريك الثاني الترجمة من اللغة العربية لأنه كان مغرما بالثقافة العربية الاسلامية ، فجمع في بلاطه الكثير من العلماء والأدباء والمترجمين العرب والأوروبيين .

وقد واصل خليفة الامبراطور الفونس العاشر الاهتمام بالحركة العلمية وتشجيع الترجمة من العربية الى اللاتينية والاسبانية والايطالية .

ويقوم المؤلف بتتبع تفصيلي لترجمة مئات الكتب الخاصة بكل الفروع العلمية محددا عناوينها وأسماء مؤلفيها ومترجميها ، وسنوات الترجمة في بعض الاحايين ، ثم يعلق على المحتويات العلمية للكتب الهامة ومدى مشاركتها في الثقافة أو الفكر الأوروبيين .

ان البعد التحليلي غائب عن هذا الجزء من الكتاب حيث يحل محله الرصد التاريخي لحركة الترجمة خلال القرن الثالث عشر ففي الكيمياء ـ مثلا ـ ترجمت أعمال أبي مسلمة قبل غيرها ، فقد ترجم كتابه « غاية الحكيم » عام ١٢٥٦ م الى الأسبانية بأمر من الامبراطور الفونس العاشر ، ثم ترجمت بعد ذلك أعمال الرازي في المجال نفسه .

وفي علوم الصناعات الحرفية ترجمت بعض الكتب

الخاصة بالاسلحة والسفن والطواحين الهوائية ، أو نواعير الماء التي تستعمل في الري ، ومن هذه الكتب « فرحة الأنفس » لابن غالب الذي نقل الى اللاتينية .

وقد اتجه المترجمون الأوروبيون الى نقل الكثير من الكتب العربية التي تعنى بالملاحة والتي صنفها عدد من الرحالة والبحارة العرب ، والخاصة بمواسم الابحار أو تحديد الاتجاهات والاستفادة من الرياح في سير السفن ، وفي جانب آخر قام العرب باقتباس واستعمال الأشرعة اللاتينية ، التي كان الأوروبيون يستخدمونها وفق شكل خاص من سفنهم الشراعية ، وقدم لنا ابن حوقل أول وصف مكتوب لها .

ويذكر المؤلف ملاحظة هامة ، وهي ان المؤلفين المسلمين الذين كتبوا في علوم الجيولوجيا والنبات والحيوان ، قد تأثروا بشكل ما بأفكار أرسطو الذي نقلت مؤلفاته الى العربية في ذلك الوقت وخاصة نظريته في التواصل الميرفولوجي،وانعكس هذا التأثير بشكل خاص في رسائل اخوان الصفا ، وفي مقدمة ابن خلدون ، وخاصة الجزء الذي يتناول فيه العلوم الطبيعية .

ومن التأثيرات الهامة التي أدخلها العرب الى الثقافة الأوروبية : كتابة الأساطير وحكايات الخيال والسحر والغموض .

ويعد كتاب « ألف ليلة وليلة » من أهم الكتب التي مارست تأثيراً شديداً في الآداب الأوروبية بعد ترجمته عن اللغة العربية

وانتقل فن الطبخ العربي الشرقي الى اسبانيا ومن ثم الى أوروبا بشكل واسع ، وخاصة من ناحية الاستخدام الكثير للتوابل ولبعض أنواع الخضراوات الشرقية التي لم تكن معروفة في أوروبا . وانتقل هذا التأثير عن طريق الكتب الخاصة بالطعام وآداب المائدة والطبخ الشرقي .

غرباً عبر اسبانيا

ويكشف المؤلف بأن تأثير العرب في العلوم المادية الأوروبية كان متسلسلا وفق الزمن .

أما التأثير في مجال الأدب والفن فقد سار وفق منحى آخر ، هو التداخل الجمالي والانساني للنص الأدبي العربي ، مع أحاسيس وروح ووجدان شعوب أوروبا .

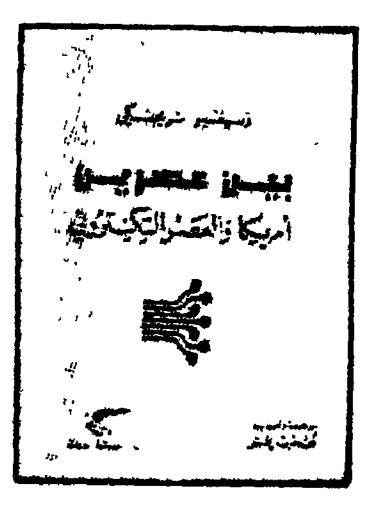
وقد جاء هذا التفاعل في البدء نتيجة للاحتكاك اليومي الطويل الأمد ، ونتيجة ذلك انتشرت الكثير من الكلمات والمفردات العربية في مجال التخاطب اليومي في البلدان الأوروبية منها :

الله Allah والعافية al — afiya والبركة baraka

ثم اتسعت التأثيرات الأدبية والفنية بشكل واسع ومثير ، فقد شارك العرب في ادخال فن الملحمة الى الأدب الأسباني وذلك عن طريق النصوص الشعرية والنثرية العربية الخاصة بحروب الفتوحات وبمغازى الرسول صلى الله عليه وسلم . اضافة الى تأثيرات أدبية أخرى كادخال فن الرجز الى الشعر . وقد أثر العرب كذلك في الشعر الغنائي في الأدب الأسباني وتعدى ذلك ليشمل الموسيقا الأسبانية ، ويستشهد المستشرق الأسباني بتقطيع لفظى موسيقي للحروف ، ليستعين به في استخراج ايقاع مشترك بين الشعر العربي والشعر والموسيقا الأسبانية .

ويبين المؤلف شدة تأثير العرب على الشعر الروائي أو القصصي الأسباني ، ولم يكن هذا التأثير محصلة للآداب العربية فحسب بل شمل الآداب الشرقية الأخرى كالفارسية والتركية والهندية ، حيث يضع الباحث عدة تخطيطات لذلك توضح الجذر الشرقي العام لبعض النصوص العربية وانتقال هذا التأثير بالتالي الى الآداب الأوروبية . فعلى سبيل المثال : مرت حكاية « حصان الأبنوس » من ألف ليلة وليلة بأطوار أخرى قبل اعدادها غربياً ، ثم نجد ظلالها الواضحة في أدب الكاتب الأسباني الكبير سرفانتس ، كما أن الكثير من المستشرقين لاحظوا في القرن التاسع عشر ، وجود تأثيرات واضحة للأدب الهندى في الكوميديا الالهية لدانتي ، ثم تأثيرات اسلامية في بعض فصولها » .

وصفوة القول ان مؤلف الكتاب نجح في رصد التأثيرات العربية في الآداب والعلوم الأوروبية ، وبذلك كشف الدور الفعال الذي لعبه العرب في صياغة الفكر والثقافة الأوروبيين ، وهذا ما يسعى المستعمرون والصهاينة إلى طمسه اليوم . □



من المكتبة العربية

قراءة في كتاب

أمريكا بين عصرين

تأليف : زبيغنيو بريجنسكي   عرض : منذر الأسعد*

كثيرة هي التسميات التي أطلقت على عصرنا الراهن . « عصر العلم » ، « عصر ثورة الاتصالات » عصر انفجار المعلومات   لكن بريجنسكي مستشار الرئيس الامريكي الأسبق لشؤون الأمن القومي - يسميه « العصر التكنتروني » أي العصر الذي تسيطر فيه التكنولوجيا - والالكترونيات بصفة خاصة   وهي سمة شاملة تطبع الحقبة الزمنية التي تبدأ بنهاية الحرب العالمية ، ولا تزال هيمنتها تشتد وتقوى . بريجنسكي في كتابه الذي بين أيدينا يستقرىء آثار سيادة الالكترونيات على العقائد والقيم وخريطة العالم السياسية . فماذا يقول الكتاب ؟

ان هذا الكتاب - برغم انقصاء زمن طويل نسبيا على صدوره - لا يزال يحتفظ بأهميته . لأنه يناقش قضايا خالدة ، وهو على النقيض من ذلك يغوص في مشكلات عصر أخذ يتشكل ، وليس للبشرية سابق عهد به ، وهذا سر حيوية الكتاب : البحث في عالم لم يفرغ من انحازه بعد : انه عصر التكنولوجيا والالكترون الذي يطلق عليه المؤلف العصر « التكنتروني » لأن الانسانية - خصوصا الولايات المتحدة في رأي بريجنسكي - تدخل عصرا أصبحت فيه التكنولوجيا - والالكترونيات بصفة رئيسية - هي العوامل الأساسية في عملية التغيير الاجتماعي من حيث البنية والقيم

ذلك هو محور الكتاب المقسم الى خمسة أجزاء أولها يتناول أثر الثورة التقنية في شؤون العالم ، والثاني يفحص آثار تلك الثورة على محتوى وشكل نظرة الانسان السياسية لواقعه العالمي   ويخصص الجزء الثالث لعلاقة الشيوعية بالتحديث ، في حين يركز الجزء الرابع على المجتمع الأمريكي الذي يصفه بريجنسكي بأنه ذو طابع ريادي - اجتماعيا - فضلا عن كونه حقل تجارب للانسانية معا . أما الجزء الأخير فهو خلاصة لمرئيات المؤلف لما يتوقع لبلاده أن تتخذ من توجهات عامة كي تواجه بشكل فعال المشكلات الداخلية والخارجية المترتبة على عصر التكنترون وتحولاته .

---

* كاتب وصحفي من القطر السوري ، يقيم حاليا في المملكة العربية السعودية

ان هذا الخرء يجمع بين التنبؤ والنصائح في ان ـ علما بأن بريجنسكي لا يخفي تفاؤله ـ بقدرة المجتمع الامريكي على تخطي عقبات مرحلة التحول التاريخية ، برغم القائمة الطويلة للمشكلات الحادة التي تعاني منها الولايات المتحدة

في عصر التكترون يتم تشغيل الالات داتيا مما يحد من دور الأفراد وهذا بدوره ـ يفرز متغيرات اجتماعية وقيمية مهمة كما نفرض ديمومة التدريب مع تدفق المعارف الجديدة

ان المعرفة تصبح أداة للقوة ، وتتحول الجامعة من سرح عاجي معزول الى فريق للتفكير منغمس في المجتمع بدرجة كبيرة

ان مجمل ما سبق دكره يعني انتهاء عصر العزلة ، بيد أنه يعني في دات الوقت ان ازدياد الانغماس في الشؤون العالمية لا يتيح فهمها أكثر لها ، فالتفتت الفكري مرشح للتصاعد ، مما يحي جانبا وهم العالم الأكثر تجانسا ـ كما نفرض

الثورة التكنترونية

أن التكسترون يفرز من قدرتنا على الخدس البراعات الاجتماعية لأنه يجعلها الى أبعاد كمية قابلة للقياس بيد ان الثورة التكترونية التي ستنشط الجماهير الباحثة عن مشاركة حقيقية في صنع القرار ، تحمل بذرة معادية لهذا التوجه . حيث يغدو صنع القرار شديد التعقيد ـ وبالتالي بعيدا عن مستوى قدرة المواطن العادي على المشاركة

فان الانسانية في عصرنا أكثر تقاربا وأكثر اتجاها نحو التفتت في الوقت داته فالواقع المادي والمعنوي (ضعف العائلة وزعزعة العلاقات الشخصية) يتعثر بينما تضطرنا ثورة الاتصالات الى الاهتمام بشؤون بعيدة عن المساس المباشر بالفرد

وبما أن السلاح النووي يحقق حالة الردع بين العملاقين اللذين يمكنهما العلم ـ حتى من التلاعب بالطقس ـ فان البراعات بالوكالة ستستمر ، ويعرض المؤلف لاحتمال حيازة بعض الدول النامية أسلحة ذات قدرة تدميرية عالية ، ثم يطمئن القوى العظمى الى أنها ستستخدم في حروب العالم « التحتي » ان الدور الوحيد الذي يرشح المؤلف الدول النامية للعبه في عصر التكترون دور الضحية . ويتجاهل تحديد الحلاد ! فمعدل الدخل الفردي فيها محدود ـ مهما نما ـ وبنيتها الاقتصادية مهترئة ، وخريجو التخصصات النظرية فيها لايجدون أعمالا ملائمة لهم ، فكيف تكون حال هذه الدول اذا ما أدخلت الأتمتة ؟ وذلك لأن هناك انفصاما شبه كامل بين نظم التعليم واحتياجات التنمية

ان العالم الثالث لدى المؤلف محكوم عليه بمزيد من التخلف والقلاقل حتى لو اتبع بعض مناهج الغرب (تكهن بعدم استمرار التجربة الديمقراطية في الهند على اعتبار الديمقراطية نتاجا غربيا لا يتطابق الا مع أكثر الأمم الغربية استقرارا وثروة ؟)

نفحات امبريالية

ومع أن المؤلف يصرح بوجود مليون جندي امريكي ينتشرون في ٤٠٠ قاعدة عسكرية كبيرة و ٣٠٠ قاعدة صغيرة في ارجاء المعمورة وبرغم اعترافه بارتباط ٤٢ بلدا بواشنطن من خلال الأحلاف العسكرية ، فضلا عن بعثات التدريب العسكرية الخ

إلا أنه لا يرى ان دلك يكفي لدمغ بلاده بصفة « الامبريالية » وان كان يقر من باب نقاء بعض الحياء بأن علاقة أمريكا بالعالم تتضمن نفحات امبريالية اذ يعتقد المؤلف أن المجتمع الامريكي هو المورع الرئيسي للثورة التكترونية في العالم

يطلق بريجنسكي على عصرنا اسم عصر الايمان المتغاير « الشك الذي ساهم في نسف المعتقدات » المؤسسة والتحول الى المؤسسة خطر يحيق بأية أيديولوجية . ويدمغها بالجمود وبامكانية استغلال العقيدة لصالح المؤسسة المهيمنة

ان العقائد التي تحولت الى مؤسسات كلها اليوم في موضع دفاع . فالمؤسسات تقاوم الافكار لأن هذه تهدد بنيان المؤسسات ولا يكتمل رد الفعل الصحي ضد العقائد التي أصبحت مؤسسات اذا لم يشتمل على صياغة مبادىء بديلة للعقد الاجتماعي ولدور الفرد ذلك أن الأديان في رأيه بتركيزها على الروحانيات أفقرت الجانب الاجتماعي للانسان ، وسلكت الايديولوجيات الحديثة المسلك النقيض . .

بينما المطلوب ملء هذا الفراغ بعقيدة بديلة متنوعة مرنة صيانة للحرية .

يثني بريجنسكي على الماركسية اذ يعتقد انها وفرت أفضل منظور متاح للواقع المعاصر لكن هذه الايديولوجية استحالت برأيه الى مذهب محافظ في موسكو وعجزت عن انتشال الصين من تخلفها الصناعي .

وحين يعرض المؤلف لعلاقة الشيوعية بامكانية التلاؤم مع العصر يركز على التجربة السوفياتية ويجعل من الحقبة الستالينية محورا يقاس أي تطور سوفياتي محتمل بمدى الخروج عليه ان الستالينية ـ في رأي بريجنسكي ـ كانت حتمية ولم تكن ضرورية ومرد حتميتها الى أنها تصلح أساسا لمجتمع صناعي متقدم (بخلاف أوضاع روسيا عام ١٩١٧) مما اضطر لينين ثم ستالين ـ بدرجة أكبر ـ الى « روسنه » الماركسية (أي تكييفها مع الظروف الروسية) » .

نتائج أم آمال

ثم يعرج على ما يسميه محاولة خروتشوف الاصلاحية التي ما لبثت أن انتهت على يدي المؤسسة الحاكمة . لذا تفاقمت الرمزية والكلمات الضخمة الطنانة مع ازدياد الممارسة انحرافا عما هو مكتوب في صلب الأيديولوجية على حد قوله

ويتوقع بريجنسكي أن يشتد التناقص حدة بين الايديولوجيين والتكنوقراط ، وبالذات حول اللامركزية الاقتصادية ، فضلا عن استفحال الضغوط الاجتماعية بغية اعادة تقييم جوهري للطابع الايديولوجي والمؤسس للدولة السوفياتية . ان خلاصة تكهنات بريجسكي التي هي آمال له كذلك ـ يمكن تلخيصها بأن التغيير في الاتحاد السوفياتي ولو بدأ بداية بطيئة ـ لن يتم الا على يد الجيل الذي لم تتم تربيته في عهد ستالين .

ان أية حركة أيديولوجية ذات طموح عالمي لا يمكن ـ في عصرنا ـ أن تكون حركة غير تعددية . . أي أنها من المفترض أن تتسم بمحتوى أخلاقي أكثر مما هو عملي ، وانساني أكثر مما هو قومي .

ومع أن السوفيات يتحدثون كثيرا عن الطرق المتعددة للاشتراكية الا أن هذا في رأيه غير التعددية التي تعني التنوع ضمن المضمون العام الواحد ودليل المؤلف على ذلك أن كلا من (موسكو ـ بكين ـ يوغسلافيا ـ رومانيا . .) بالاضافة الى الأحزاب الشيوعية في الغرب التي تتقرب للجمهور العربي بالتنكر للانموذج السوفياتي تزعم امتلاك المنظور العام الصحيح للاشتراكية .

كما أن أمريكا بالنسبة لبريجسكي ليست واحدة كذلك فقد مسحها زخمها الاقتصادي والاعلامي بريقا يخفي عوراتها وتشويهاتها ، فهنالك أمريكا التكنترونية الآخذة في الظهور تجدها في المختبرات الالكترونية . والتجمعات الاكاديمية والصناعات الجديدة . . وأمريكا الثانية الصناعية ، وأما الثالثة فهي أمريكا ما قبل الصناعة : حيث التعليم المتدني والتمييز العنصري الذي يمارس علانية .

أمريكا والفقر

وهذا الوضع المفعم بالتناقضات الحدرية ، يتبدى في مخيلة بريجسكي ميزة حيث ان هذا الوضع جعل أمريكا مختبر العالم للاجابة عن تساؤلات العصر : هل ينجح الانسان في السيطرة على العلم لتسخيره في خدمة غايات انسانية جوهرية ؟ وهل تصبح التقنية خلاقة اجتماعيا بدون اسراف في الاشراف الاجتماعي ؟ . .

غير أن استمرار أمريكا المركبة يهدد ـ في الوقت نفسه القيم والمؤسسات والتقاليد الديمقراطية الليبرالية . لا سيما أن عدد سكان الولايات المتحدة سيقفز الى ٣٠٠ مليون نسمة عام ١٩٩٠ يعيش ٨٠٪ منهم في المدن ، كما سيشكل الشباب (تحت سن العشرين) نصف المجتمع ! . . وهذا من شأنه مع اطراد التقدم العلمي أن يضاعف من حجم القلق الثقافي وصراع الخبرات .

وعلى صعيد الواقع يشير بريجسكي الى تحسن جيد نحو التغلب على ميراث أمريكا (ما قبل الصناعة) أي الفقر الذي يقض مضاجع ملايين الامريكيين مما جعله يؤمل في القضاء على الفقر كلية خلال خمس الى عشر سنوات بتخصيص ٩,٧ بلايين دولار سنويا .

وبالرغم من ارتفاع نسبة السود بين خريجي

جامعات وما يقوله عن ميل أوصاعهم المادية الى التحسن ، فانه يبدي تخوفه من أن يؤدي أي ركود اقتصادي الى نتائج مفجعة على استقرار النظام الامريكي ، وأول ضحايا مثل هذا الركود هم الفقراء (والسود أساسا) .

ان الامريكات الثلاث الفرعية تتعايش معا بصعوبة وتعمل كل منها لاسقاط رؤيتها الخاصة على الجميع . ان أمريكا تخصص موارد ضخمة للحواسب الاقتصادية والعلمية وموارد محدودة للاهتمام المنظم بالمشكلات الاجتماعية يضيف برزجنسكي - ان التعليم عندنا مهدد لأنه يكاد يركز على التقنيات أكثر من الأساسيات الانسانية ، وعليه فان المهمة الأكثر الحاحا للمجتمع الامريكي هي بلورة اطار لمفاهيم يتيح للتغيير التكنولوجي أن يكون ذا غايات انسانية رفيعة لئلا تصبح الثورة الامريكية الثالثة التكنترونية مدمرة اجتماعيا لأنها بلا اتجاه مع كونها ممكنة بسبب الانجاز العلمي والصرف

ويمثل تمرد الشباب الامريكي في الستينيات وما بعدها لدى بريجسكي ثورة الطبقة الوسطى على الطبقة الوسطى ! انها تعبير ايديولوجي عن القلق الكبير بين شباب الجامعات المنحدرين من الطبقة الوسطى الامريكية . . . لكن مأساة ما يسميه اليسار الجديد تكمن في أنه نتاج للثورة التكنترونية ورد فعل غير صحي ضدها معا لذا جاءت أيديولوجيته فارغة بلا برامج ولا مضامين ، وعرقت ممارساته في الاباحية الجنسية وفي دهاليز علم النفس . . وعليه فان احتمالات تأثير هؤلاء تظل محصورة في أمريكا الاولى . . لا سيما ان روحهم الاستبدادية ومعاداتهم للعقل تحد من قدرتهم على التأثير في الأوساط المتقدمة تعليميا .

لكن مثل هذه الاحتمالات الشديدة التفاؤل ، لا تدعو الى الطمأنينة المطلقة فان التحديد التقني مع المحافظة السياسية يغذيان الصراعات ويزيدانها صراما كما يقول .

أمريكا والتمزق القومي

لقد حاول بريجنسكي التهوين من شأن التيارات المتذمرة من بنية النظام الاجتماعي والسياسي في الولايات المتحدة لكنه آثر أخيرا ألا يمضي في خداع الذات . فاذا هو يقر بجلاء بمظاهر النخر في هذا النظام ان ثلاث شركات أمريكية تحتكر عملية تكوين الذوق العام والقيم وطرائق الحكم على الأحداث ، مع أقل من عشرين وكالة اعلانية اخطبوطية !

كما أن الأيام أثبتت استغلال رجال الكونغرس لمراكزهم في خدمة مصالحهم الخاصة . عن هذه العناوين الفضائحية تنشأ سلبية لدى شرائح واسعة من المجتمع تجاه العملية الليبرالية حتى أصبحت انتخابات الرئاسة لدى الكثيرين مجرد احتفال قومي لا ممارسة للاختيارات الرئيسية للأمة

ان تنامي هذه السلبية واطراد حدة التوترات الاجتماعية والاقتصادية وتفاقم الصدامات العرقية واغتراب الشباب تنطوي على مخاطر جمة يمكن ايجازها بعنوان واحد هو استفحال التمزق القومي وهذا قد يحرك عملية البحث عن عوامل خارجية للاستقرار ، فتوضع الثقة بشخصية مسيطرة . ويصبح الزعيم بديلا لدور مجتمع في عملية الدمج والتكامل بل انه قد يبرز رهان أقصى اليمين أو أقصى اليسار على تفسخ مريكز سياسي ، ومن ثم محاولة الاستيلاء على السلطة وسوى أن الفرصة ليست سانحة لأي من الطرفين

وربما يسيطر اليمين المحافظ (التقليدي) فيقمع السود أو ينفصل هؤلاء في كيان مستقل ويكون الثمن ردة تراجيدية في « الديمقراطية الامريكية »

ان الكتاب يثير قضية كبرى ولو أنه يلج اليها من خلال منظور أمريكي بحت والاختلاف الايديولوجي الشديد بيننا وبين الكاتب ، لا يعني أن نلقي بكتابه في سلة المهملات وان كان المأخذ الجوهري على الكتاب ، غياب الحديث عن أثر الوضع السياسي على التقدم التقني الا في نطاق هامشي ومبتسر

ان من الضروري أن تنبثق من الكتاب دراسات عربية جادة تتناول قضية التحديث في العالم العربي من منظور جديد يأخذ بعين الاعتبار عوامل التاريخ والجغرافيا والتقدم التقني والمتغيرات الاجتماعية والسياسية والفكرية في العالم □

مكتبة العربي

مختارات



الكتاب براري الحمى
المؤلف . ابراهيم نصر الله
الناشر مؤسسة الأبحاث العربية
عدد الصفحات · ١٦٢ من القطع الكبير .

الرواية الأولى للشاعر الفلسطيني ابراهيم نصر الله ، الذي رسم صورة هذيانية وكابوسية لعالم بدائي بكل مكوناته ، ولا يستثني من ذلك العلاقات الانسانية القاسية ، كقسوة الطبيعة بما فيها من صخر وبحر وصحراء جرداء ، تزحف فوقها الأفاعي والقنافذ ومخلوقات الصحراء الأخرى .

وقد كتب ابراهيم نصر الله روايته هذه التي تجرى أحداثها في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، بلغة شعرية موحية ومكثفة ، تجعل من الرواية قطعة نثرية جميلة



الكتاب · نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة
المؤلف . د على خليفة الكوارى
الناشر . مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت
عدد الصفحات · ١٩٤ من القطع الكبير .

يصف المؤلف دراسته هذه ، التي استهدفت صياغة استراتيجية شاملة للتنمية في دول مجلس التعاون ، بأنها محاولة لرسم احدى الصور البديلة للمستقبل ، الذي يمكن ان تنجم عنه تجربة مجلس التعاون الخليجي ، وقد حدد المؤلف الملامح العامة لاستراتيجية التنمية والتكامل ، التى حاول المؤلف تقديم صورة لها من خلال تجربة عناصر الاستراتيجية التي حددها بالمنطلق والغايات والتحديات ، والامكانات ، والاهداف الاستراتيجية ، ومتطلبات تنفيذ الاستراتيجية



الكتاب . الاسرائيليون الأوائل
المؤلف توم سيغف / ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية
الناشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت
عدد الصفحات ٤٠٤ من القطع الكبير .

كتاب جديد من سلسلة الكتب التي ترجمتها أو أعدتها عن العبرية مباشرة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، والكتاب يتناول الفترة الفاصلة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ، وهي الفترة التي أعلنت فيها الدولة الصهيونية ، وخروج العرب الفلسطينيين ، وتحول من بقى منهم إلى أقلية داخل تلك الدولة ، ويتناول الكتاب الذي وضعه الصحفي الاسرائيلي توم سيغف ـ اعتمادا على آلاف الوثائق ـ أهم الصراعات والتناقضات التي بدأت مع اعلان قيام الدولة الصهيونية ، والتي تساعد على فهم أفضل للتركيبة الاجتماعية لهذه الدولة ، والمشاكل التي تعاني منها ، فآثار تلك الفترة مازالت ذيولها باقية حتى الان .



الكتاب : سندباد في عُمان .
المؤلف : يوسف الشاروني
الناشر · الهيئة المصرية العامة للكتاب .
عدد الصفحات : ٣٢٢ من القطع الكبير .

مجموعة من التأملات والنظرات الذاتية ، يقدمها كاتب القصة والناقد يوسف الشاروني عن سلطنة عمان حيث يقيم منذ سنوات

وتتناول هذه التأملات ماضي عمان البعيد والقريب ، ويستعرض بعض الأسماء اللامعة في تاريخ عمان القديم الثرى ، ثم يحاول استكشاف الروح الشعبية العمانية من خلال التراث الأدبي والفني في عمان .



الكتاب : في أصول السياسة المصرية
المؤلف : سعد زهران
الناشر . دار المستقبل العربي ـ القاهرة
عدد الصفحات . ٢٥٣ من القطع الكبير

السياسي والمفكر المصري سعد زهران ، يعود بهذا الكتاب الى حلبة الفكر السياسي المصري ، ليقدم اعادة تقييم ومراجعة لتجربته السابقة ، وذلك من خلال عرض نقدي للتاريخ السياسي المصري عبر ارتباطاته وتدخلاته العديدة .

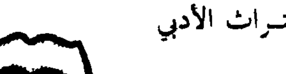
ولانجاز هذه المهمة الصعبة والشائكة ، أقام سعد زهران بناء أخذت فيه المفاهيم الطبقية والسياسية والتاريخية أبعادا ومدلولات خاصة ، استعان بها في تقييمه الجديد الخاص .



الكتاب : دفتر البحر ـ شعر .
المؤلف : راسم المدهون .
الناشر : دار الحوار ، بالتعاون مع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين سوريا
عدد الصفحات · ٧٠ من القطع الكبير .

في الكتاب الشعري الأول له ، يقيم راسم المدهون عالمه الخاص المزدحم بعناصر الطبيعة وأشيائها في حركة لاتهدأ وتحول لاينتهي ، وداخل هذا العالم الشاسع تختلط هموم الحاضر بذكرى الماضي ، وتتواصل العلاقات ، وتنتهي بين هاتين الدائرتين

والشاعر في محاولته لرسم هذا العالم الثري المتداخل ، يؤسس لغته الخاصة ، ومفرداته التي تميزها الغنائية والبساطة ومسحة رومانسية واضحة.



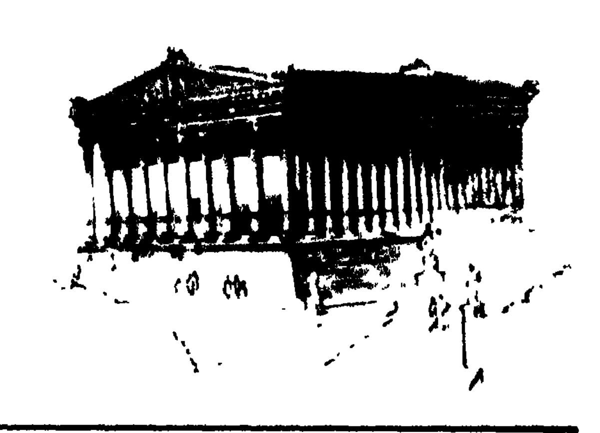
الكتاب / رسوم أطفال الكويت .
المؤلف / عبد الله صالح تقي .
الناشر / المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت .
عدد الصفحات / ١٦٨ من القطع الكبير .

منذ عام ١٩٧٦ ، أصبح نشاط المرسم الحر للأطفال أحد الاهتمامات الأساسية للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب فى الكويت ، ومنذ ذلك الحين اعتاد المجلس تنظيم معرض سنوى لرسوم الأطفال .

والكتاب يضم مجموعة مختارة من رسوم الأطفال التى عرضت على مدى السنوات الماضية ، والتي تعكس الثراء الذى يميز عالم الطفل ، والسمات الفطرية التى تطبع رسوماته .

وقدم الكتاب الفنان عبد الله تقى الذى كتب دراسة عن رسومات الطفولة منذ تخطيطاته المبكرة فى السنوات الأولى من عمره ، ومقارنتها بالتخطيطات التى رسمها كبار الفنانين مثل بول كلي وكاندنيسكى □

مسابقة العربي الثقافية



العدد ٣٣٣
اغسطس ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت (مسابقة العربي الثقافية) العدد ٣٣٣ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا ـ ١٥ سبتمبر ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

١ ـ بناء ضخم ، كان من عجائب الدنيا السبع في نظر القدامى . ترى هل هو معبد أم مقر هيئة حكومية أو غير حكومية . ؟ وما اسمه . ؟

٢ ـ عبيد لفظ معروف ومألوف ترى ماذا يعنى على وجه الدقة ؟

* تشبث برأيه صوابا كان أو خطأ .
* تشبث برأيه على علمه بأنه خطأ
* حالف الحق وهو عارف به .

٣ ـ سَعَفَة النخيل . نخيل البلح . هل هى أوراق الشجر . أم أغصانه . . وما هو جمعها ؟

٤ ـ تاجر أقمشة يريد أن يقص أحد (الأثواب) قطعا صغيرة بطول ياردة واحدة لكل قطعة فكم استغرق قص الثوب كله ؟ اذا علمنا أن طول الثوب يبلغ (٧٠) ياردة ، وان قص القطعة الواحدة يحتاج الى خمس ثوان . . . .

٥ ـ نقول في العامية (كِعي) بمعنى جبن أو انهزم . . فهل لهذا الفعل أصل فى الفصحى . . وما هو ؟

٦ ـ لويس كارول صاحب كتاب « أليس في بلد العجائب » وغيره من كتب الأطفال الشهيرة والشائعة في شتى بلدان العالم . . كان لويس مدرسا . . ترى أى المواضيع درَّس وأين ؟

* الأدب الانكليزى في احدى مدارس الريف قرب لندن .
* كان محاضرا في الرياضيات في جامعة اكسفورد .
* لم يكن انكليزيا بل فرنسيا قدم الى انجلترا لتدريس اللغة الفرنسية في مدارسها الثانوية .

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٣



٧ ـ أنت ترى الطائرة من داخلها ومن الخارج . . . فهل تستطيع تحديد نوعها وطرازها . . ؟

٨ ـ أنواء صيغة جمع . . ما مفردها وما معناها ؟

٩ ـ لماذا تمطر الدنيا بردا لا ثلجا . فى بعض الأحيان ؟
ولماذا تمطر ثلجا لا بردا في أحيان أخرى . . ؟
* اذا جمدت قطرات الماء وهى ما تزال في الغيوم أمطرت الدنيا ثلجا .
* واذا جمدت تلك القطرات وهى فى الجو وبعد مغادرتها الغيوم أمطرت الدنيا بردا . . .

١٠ ـ الصواعد والنوازل في الكهوف ، كم تستغرق من الوقت لتكبر ، أو ما هى السرعة التى تكبر بها . . . .

* تحتاج الى ٢٠٠٠ سنة لتكبر سنتمترا واحدا على وجه التقريب .
* تحتاج الى ١٠٠٠ سنة لتكبر سنتمترا واحدا على وجه التقريب
* تحتاج الى ٥٠٠ سنة لتكبر سنتمترا واحدا على وجه التقريب .

١١ ـ رجل في الصحراء بلغ العطش منه مبلغا عظيما ، عثر على قنينة ماء . . ولكنها كانت مقفلة باحكام وبسدادة من فلين . . ولم يكن لديه موس أو فتاحة ينتزع بها السدادة . واستبعد كسر القنينة ، ولو بحذر ، خشية أن يفقد أكثر ما فيها من ماء أو كله . . وبعد تفكير قليل حل مشكلته وشرب الماء كله وروى غليله . . فماذا فعل . . . ؟

١٢ كانت بومباى تحت الحكم البرتغالى ، ثم انتقلت الى الحكم البريطانى . . ترى كيف تم ذلك ؟
* عن طريق الحرب والاحتلال العسكرى .
* عن طريق الشراء بالمال .
* حصلت بريطانيا على بومباى كهدية عرس (دوطة) .

مسابقة العربي الثقافية

حـل مسـ

١ ـ الصينيون هم الذين استعملوا السترة الموشاة بالذهب والأحجار الكريمة . . وقد استعملوها سترة للموت والجنازات .

والجدير بالذكر أن سلالة هان (٢٠٦ق م ـ ٢٢٠م) أولت سترة الجنازة عظيم اهتمامها . . وقد اكتشف علماء الآثار الصينيون عددا كبيرا منها في حفرياتهم سنة ١٩٦٨

٢ ـ القِرس . . انه من صغار البعوض الذي تصعب مكافحته نظرا لصغره .

٣ ـ العبارة خطأ . . فالعائل ليس الذي يعيل وإنما الذي يعال ، وحسبك قول الله تعالى مخاطبا الرسول الكريم : (ووجدك عائلا فأغنى) صدق الله العظيم .

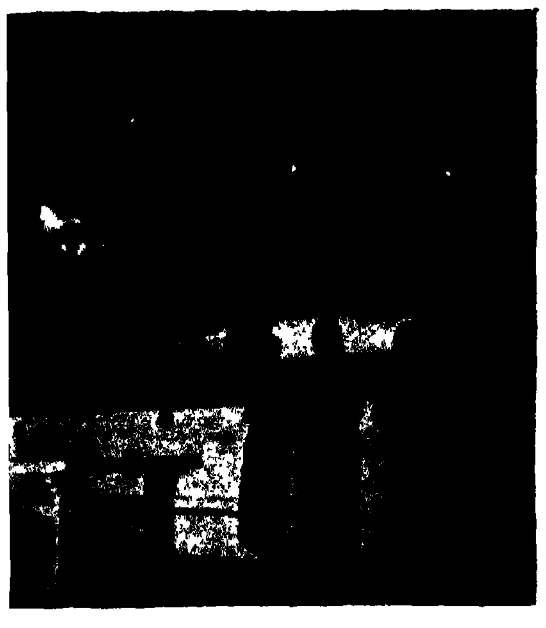
٤ ـ حلّ الكوارتس في ساعات الكوارتس محل البندول أو الرقاص في الساعات التقليدية ، فصمن لها دقة وضبطا أكثر بكثير من الساعات القديمة التي اعتمدت على البندول .

٥ ـ هذا هو تمثال بودا الموجود في أحد المعابد في تايلاند . . واللفظ بودا ليس اسما وانما هو نعت ومعناه « المستنير » .

٦ ـ الفرق عرضي . . فالزيتون الأخضر هو الذي يقطف وهو أخضر . . أما اذا ترك على الشجر نضج وأصبح أسود اللون .

٧ ـ لأن الجو الذي يأتينا ضوء النجوم عبره يحتوي على طبقات متحركة من الهواء . . ومن شأن هذه الطبقات أن تحدث بعض الانحناء في مسار ضوء النجوم . . فيبدو لك ذلك الضوء متلألئا وهو في الواقع ثابت . .

٨ ـ تكون السيدة أم فؤاد .



٩ ـ ١٦٠ فدانا .

١٠ ـ أخطأ مصطفى في الظن بأن مجموع المسحوبات من البنك يجب أن يكون مساويا لمجموع الأرصدة المتبقية في البنك تبعا لتلك المسحوبات . . لعل هذه الأرصدة التبست عليه فحسبها الدفعات التي يدفعها للبنك ويغذي بها حسابه . . فهذه الدفعات هي التي تساوي المسحوبات باضافة الرصيد اليها .

١١ ـ المرجان واللؤلؤ . . . هما الناشزان . . فهما من أصل حيواني ، بينما الخمسة الأخرى أصلها معدني .

١٢ ـ الجواب نعم . . فضوء القمر ، اذا سقط على بعض الماء ، تولد قوس قزح . . الا أن ألوان هذا القوس القمري باهتة ويصعب تمييزها . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٠ مايو ١٩٨٦

الجائزة الاولى : السيدة / فاطمة كمال سويلم / الصفاة ـ الكويت
الجائزة الثانية صالح عبدالحميد خلف الجنوت / عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية .
الجائزة الثالثة · عاشور السيد محمد / الفيوم ـ جمهورية مصر العربية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عزوق محمد / ولاية بومرداش / الجزائر ـ الجمهورية الجزائرية .
٢ ـ محمد المبروك بلقاسم / براك الشاطىء / صيدلية الهلال الاحمر الجماهيرية الليبية .
٣ ـ محمد علاء بشير سويد / حلب / الجمهورية العربية السورية
٤ ـ عبد الوهاب الفقيه رمضان / نهج رويلة / الجمهورية التونسية .
٥ ـ عبدالعزيز عبد علي عبد النبي / المحرق ـ دولة البحرين .
٦ ـ عبد الرؤوف عبدالله ايدام / الرياض / المملكة العربية السعودية
٧ ـ عبد المجيد آزر علي / الشارقة / دولة الامارات العربية المتحدة .
٨ ـ عبد الغني انحاس / ورزازات / المملكة المغربية .

معركة بلا سلاح

التصفيات النهائية لبطولة العالم للسيدات

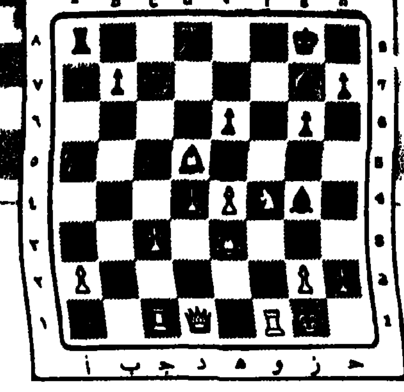
أقيمت التصفيات النهائية لبطولة العالم للسيدات في مدينة مالمو السويدية فيما بين ١ - ٢٣ فبراير من العام الحالي . وقد جرَت المنافسة لاختيار المتحدّية على بطولة العالم للسيدات بين ثمانية من أكبر بطلات العالم للشطرنج خمس منهن سوفييتيات وواحدة سويدية وأخرى بولندية وثالثة صينيّة . وقد احتلت ثلاث من اللاعبات السوفييتيات المراتب الثلاث الأولى وتليهم اللاعبة السويدية « بياكراملبخ » واحتلت اللاعبة البولندية « أجنس برستمان » المرتبة السادسة في حين جاءت اللاعبة الصينيّة « منج كوين وو » في المرتبة الثامنة والأخيرة . والفائزة بالمرتبة الاولى في المباراة الحالية هي اللاعبة السوفييتية « يلينا أخيلوفسكايا » البالغة من العمر ٢٨ عاماً . اما اللاعبة السوفييتية « ليڤيتينا » فقد أصيبت بخيبة بالغة عندما جاء ترتيبها السابعة في هذه المباراة بعد أن كانت المتحدّية على بطولة العالم في عام ١٩٨٤ .

ويعتقد ان تقام مباراة اللقب بين بطلة العالم الحالية « مايا شيبورداندز » وبين الفائزة في هذه المباراة « يلينا أخيلو فسكايا » في وقت لاحق من العام الحالي ، ولن يكون الفارق الزمني بين انعقاد بطولة العالم للرجال وبطولة العالم للسيدات كبيراً مما يؤدي الى اختلال الفارق الزمني المعتاد بين البطولتين . ومن الجدير بالذكر أن تصنيف بطلة العالم الحالية « مايا شيبورداندز » لا يزيد عن (٢٤٥٥) نقطة وفق آخر تصنيف للاتحاد الدولي للشطرنج في حين أن تصنيف بطل العالم للرجال جارى كاسباروف يبلغ (٢٧٢٠) نقطة والفرق بين التصنيفين شاسع كما نرى .

وقد قَلَبَت نتائج التصفيات النهائية الحالية موازين الاتحاد الدولي راساً على عقب فبعد ان كان ترتيب اللاعبة « بياكراملبخ » الثانية في آخر قوائم تصنيف الاتحاد الدولي للسيدات وتَلي بطلة العالم الحالية مباشرة من حيث القوة فقد اصبح ترتيبها الخامسة ، وكان ترتيب « يلينا أخيلو فسكايا » الثامنة بين بطلات العالم واستطاعت الأخيرة ان تقفز لتصبح الثانية ، ومن يدرى لعلها تصبح بطلة العالم في قفزتها العملاقة التالية ومن الجدير بالذكر أن بطولة العالم في الشطرنج للسيدات قد باتت حكراً على اللاعبات السوفييتيات كما هو الحال في بطولة العالم للرجال التي يتوقع ان يحتفظوا بها حتى نهاية هذا القرن على الأقل .

ويعتبر الدور التالي من دفاع جرونفيلد من أجمل أدوار المباراة على الاطلاق لما فيه من تركيبات بديعة وتضحيات باهرة .

□ كراملبخ	■ ليفيتينا
١ . د ٤	ح - و٦
٢ . جـ ٤	ز٦
٣ . ح - جـ ٣	د٥
٤ . جـ × د٥	ح×د٥
٥ . هـ ٤	ح×جـ٣



٦ ب×حـ٣	ف ز٧
٧ ف - جـ٤	ت
٨ . ح - هـ٢	جـ٥
٩ . ت	ح - جـ٦
١٠ . ف - هـ٣	و - جـ٧
١١ . ر - جـ١	ر - د٨
١٢ . و٤	ف - ز٤
١٣ . و٥	ح - أ٥
١٤ . ف - د٥	هـ٦

خطأ فاحش ، كان يجب ان تأخذ البيدق و٥ فيرد الابيض حـ٣

١٥ . و×هـ٦	و×هـ٦
١٦ . ح - و٤ !	

مصحيّة بالوزير بهدف الحصول على كشه مزدوجة بعد أخذ هـ٦ بالحصان

١٦ . ---------- (ترفض التضحية)	هـ×د٥
١٧ و×ز٤	و - د٧
١٨ . و - هـ٦ +	م - حـ٨
١٩ . هـ×د٥	ح - جـ٤
٢٠ . ف - و٢	جـ×د٤
٢١ . ف×د٤	ف×د٤ +
٢٢ . جـ×د٤	ب٥ ؟

كان على الأسود ان يحمى الوزير بالحصان

٢٣ . ح×ز٦ +	تستسلم

لو حـ×ز٦ لفاز الابيض بالوزير

حل المسألة رقم (٤٢)

١ . ف - ب٥	م×ب٥
٢ . ح - هـ٦	م - أ٥
٣ . ح - د٤	ب٥
٤ . ح - جـ٦	كش مات

الفائزون في المسابقة رقم (٤١)

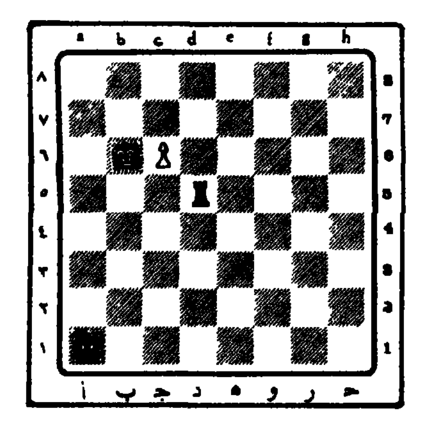
عدد مايو ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - ايهاب عبدالفتاح - الاسكندرية/ ح م ع
٢ - عبدالرزاق الحريشي - فاس/ المغرب
٣ - محمد المغربي - طرابلس/ ليبيا
٤ - محمد أسامة محمد - أم درمان/ السودان
٥ - محمد الصعوب - الكرك/ الأردن

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

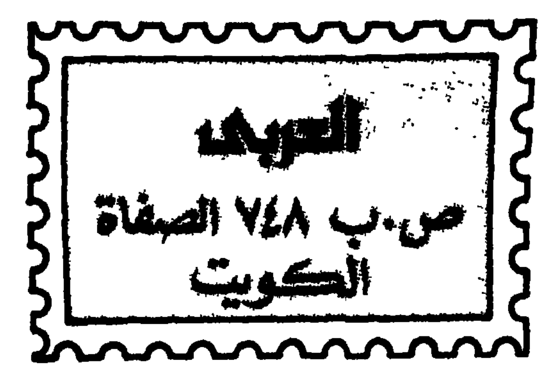
١ - فاطمة أصغر - الرفاع الشرقي/ البحرين
٢ - فواز حنا - أربد/ الأردن
٣ - محمد مبروك - مسقط/ عمان
٤ - ايهاب لطيف - القاهرة/ ح م ع
٥ - الحريشي محمد - الدار البيضاء/ مغرب



مسابقة العدد رقم (٤٤)

الابيض يلعب ويكسب

مهداة من القارىء محمود ابراهيم عمران





« المفاعلات النووية » مخاطر . . . ماذا تعرف عنها ؟

● لا شك ان حادث تسرب الاشعاعات الذرية من المفاعل النووي في الاتحاد السوفيتي ، قد أوجد حالة من الرعب والقلق في قلوب الناس ، وخاصة في البلاد الأوروبية ودول اسكندنافيا القريبة من موقع الحادث .

فهل لكم أن تنشروا مقالا في مجلتكم القيمة ، تتطرقون فيه الى هذه المفاعلات الذرية ، وكيف يمكن أن تقع بها مثل هذه الحوادث ! ، ثم ما تأثير هذه الاشعاعات على جسم الانسان في حالة تعرضه لها أو اصابته بها ، وما علاقة هذا كله بانشطار الذرة ؟

لا شك أنكم بهذا العمل ستلقون الضوء على موضوع لا يزال مجهولا للعديد من الناس ، لا في بلادنا العربية وحسب ، وانما في أوروبا ذاتها . . . الخ .

ريان أحمد
آرهوس/ الدانمرك

العربي

نشكر للقارىء الكريم التفاته لهذه القضية المهمة ، ونود أن نؤكد له أن مجلس التحرير بالمجلة كان يناقش الموضوع الذي أثاره في رسالته ، من منطلق الشعور ذاته بخطورة القضية التي كشف عنها هذا الحادث ، وحوادث أخرى مماثلة في غير الاتحاد السوفيتي ، وعن الأسلوب الذي يمكن أن تتناول به مجلة العربي هذه القضية ، ولعل ما يتطلع اليه القارىء الكريم يكون قد تحقق قبل أو أثناء أو بعد نشر هذه الرسالة بالصورة المرجوة .

نصير الدين الطوسي .. الوجه الآخر

● نشرتم في مجلة العربي عدد مايو سنة ١٩٨٦ مقالا للدكتور عبدالعظيم أنيس عن حياة وإنجازات « نصير الدين الطوسي » ونحن مع اعترافنا بكفاية الطوسي العلمية ، كما وردت في مقال الدكتور عبدالعظيم ، الا أن لنا ملاحظة على نصير الدين الطوسي هذا وهي : انه كان الساعد الأيمن « لهولاكو » في احتلال بغداد عام ١٢٥٨م - ٦٥٦هـ ، وقتل الكثيرين من سكانها ، وفيهم الخليفة المستعصم العباسي وكل كبار رجال دولته ، بالاضافة الى إلقاء الكتب التي تحتوي على حضارة ستة قرون في نهر دجلة . لقد تعاون الثلاثي : الطوسي وابن العلقمي ، وابن أبي حديد في تلك المؤامرة الدنيئة ، حيث كان الطوسي وهو في معسكر « هولاكو » يبعث

بـرسائـل سريـة الى ابن العلقمي الذي كـان وزيرا للمستعصم وهو في قصر الخلافة ، يرسم له فيها كيف يحتال على الخليفـة ، وابن العلقمي هو الـذي أقنع الخليفة بالخروج الى ظاهـر بغداد ، وتسليم المـدينة والـدولة لهـولاكو سلميـا ، آملين النجاة بـأرواحهم وممتلكاتهم ، الا أن « هولاكو » غدر بهم جميعا ، ولم ينـج منهم سوى الخـائنين : ابن العلقمي وابن أبي حديد ، فهل يستحق رجل هذا شأنه بأن يوصف : بـأنه كـان واحدا من أعـظم من أنجبتهم الحضـارة العربية ؟ كما ورد في مستهل كلمة الدكتور عنه .

داود عبدالغفور سنقرط
موجه بادارة تعليم الكبار ـ الكويت

ننشر رسالة القارىء الكريم التي تتعرض لجانب من حياة وشخصية نصير الدين الطوسي في مرحلة من حياته ، وبغض النظر عن نتائج أي تقويم لهذا الجانب ، فان مقال الدكتور عبدالعظيم أنيس الذي يركز على القيمة العلمية لانجازات العالم الكبير ، في سياق التطور العام لعلوم الرياضيات والفلك ، يبقى منصفا وعادلا ، أما الجوانب الأخرى من حياة أي عالم فإنها تخضع للتقويم حين نكون بصـدد دراسة شـاملة لحيـاة هـذا العـالم ، أو لمـواقفـه السيـاسيـة والاجتماعية .

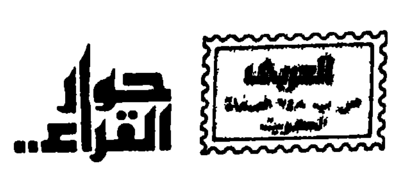
اعـرف عـدوك

● نحن هنـا في لبنان احـدى دول المواجهـة مع الكيان الصهيوني ، والبلد الذي يعاني فيـه الشعب الفلسطيني من المؤامرات التي تحاك ضده ، وانطلاقا من قاعدة « اعرف عدوك » فإننا نطالب مجلة العربي باصدار ملفات عن الحياة داخل الكيان الصهيوني ، تكشف عن الصراع بين القـوميات المختلفـة داخل اسـرائيل (اشكنـازي سفـاردي ، فـلاشـا) وبـين التيارات الثقافية لهذه القومية ، بل بين فلسطيني الداخل واليهود ، وفي الجملة كل ما ينبغي أن يعرفه العرب عن عدوهم ، ويعرفنا به في حجمه الحقيقي ، ويفيد في الاعداد لمواجهته في صراع طويـل يفوز في نهايته من يملك المعرفة الدقيقة ويستعد على أساسها .

ونحن نأمل أن تحققـوا طلبنا الـوطني والقومي ، واذا لم يكن بالامكان نشر هذه الملفات كل شهـر ، فإننا نكون من الشاكرين لو قمتم بنشر أسماء الكتب التي تلقي بالضوء على هذه القضايا المهمة ، أو تقديم عرض لها . .

عباس عبود ـ هيثم دياب
لبنان ، بيروت ـ برج البراجنة

تولي العربي عناية خاصة لكل ما يهم قضية الأمة العربية الأولى ، وهي القضية الفلسطينية وذلك بنشر المقالات التي تزيد من معرفتنا بعدونا الاسرائيلي ، أو تعرفنا بكل العوامل والقوى المؤثرة في هذه القضية ، ولكن فيما يتصل بنشر ملف شهري عن « الحياة داخل اسرائيل » أو عن أي قضيـة أخرى ، فـان التوازن الـدقيق الذي تقـوم عليـه المجلة في تقـديم مـادتها وتحرص على بقـائه ، يجعلنـا لا نعتمد فكـرة الملف لموضوع بعينه الا في اطار محدود خاص ، لا يخل بهذا التوازن ، ويدخل في هذا الاطار تقديم الكتب التي تتناول القضية الفلسطينية في أي جانب من جوانبها ، وفي اطار تحقيق الهدف الذي تتضمنه رسالتكم فان مجلس التحرير سوف يدرس امكانية نشر مجموعة المقالات والدراسات التي تنشر في مجلة العربي حول القضية الفلسطينية أو بعض جوانبها في أحد اعداد كتاب العربي ، الأمر الذي يتمشى مع سياسة كتاب العـربي ، ويحقق في ذات الـوقت مـا تتـطلع اليــه رسالتكم .



حوار القراء..

المجاعة في افريقيـــا

● رغم أنه تم إحراز تقـدم كبير لتخفيف حـدة الآثار الناجمة عن المجاعة بسبب الجفاف في أثيوبيا ، ومناطق أخرى في افريقيا ، فمـازالت هناك مناطق عديدة تعاني من المجاعة

يقـول « جورج جـالوي » المدير العـام لوكـالة « الحرب على الحاجة » الواقع ان هناك أجزاء شاسعة جدا في أثيوبيا تقع خارج نطاق سيطرة قوات الحكومة الأثيوبية ، مثل تجراي ، وارتيـريا ، حيث لا يـزال الناس يرتمون على قارعة الطريق ، ويموتون جوعا في تلك الأنحـاء من أثيوبيـا ، لكن اذا ما اجتـاز المرء الحزام الساحلي متجها الى غرب السودان مثلا ، أو الى منـاطق مثـل « مـالي » والنيجـر و « تشـاد » ، فسيلاحظ أن الوضع أخذ بالتحسن ، وان كان هناك عـدد كبير من النـاس مـازالـوا يعـانـون من آثـار المجاعة » .

وعن المخاطر الناجمة عن اخلاء مخيمات الاغاثة في أثيوبيا والسودان والساحل ، حيث تم ترحيل سكان تلك المخيمات قبل توفير مأوى مناسب لهم فيقول : جورج جالوي ايضا :

« في الـواقع انـه تم اخلاء عـدد كبير من هـذه المخيمات دون اعطاء أي اعتبار لما يمكن أن يحـدث لهؤلاء حين يعودون الى قراهم ، بلا دواب ولا حبوب ولا أدوات لحراثة الأرض أو زرعها ، مما يعني أن يعود هؤلاء الى الاستجـداء على قـارعة الـطريق . . ان هؤلاء الناس في حاجة الى مال وخبرة ، وامكانـات لتوفير استقـرارهم ، واستمرارهم في بـذر الحبوب وزراعة الأرض في القرى التي يعودون اليها وبهذا وحده يمكن أن تزول المجاعة ، أما اذا اجتهدنا على إرسال أكياس من الغذاء من أوروبا الغربية أو شمال أمريكا فإننا سيكون علينا ان نستمر في ارسال هـذه المواد كل عام ، وحتى نهاية القرن العشرين » .

وتحدث خبير آخر هو الدكتور « ريتشارد بانكن » الذي عمل سنوات طويلة مديرا للدراسات الأثيوبية في جامعة أديس أبابا فقال :

« لابـد أن يدرك المـرء أن اثيوبيـا لم تكن قط مستعمرة لدولـة أجنبية ، بـاستثناء فتـرة خضوعهـا لايطاليا ، وقـد شهدنـا طوال سنوات عديـدة ميل الدول الأوروبية الى استثمار أموالها في مستعمراتهـا السابقة ، الأمر الذي أدى إلى إعمال تلك الدول لأمر اثيوبيا .

وكأنه كان على أثيوبيا أن تدفع ثمن استقلالها ، والـواقع ان أثيـوبيا قـد تلقت نسـة من المعونـات الخارجية ، تقل كثيرا عن المعونات التي تلقتها الدول النامية ، علما بأن أثيوبيا من أفقر دول العالم ، حيث لا يتجاوز دخل الفرد فيها أكثر من ١٧٠ دولارا في السنـة ، وهـذه نسبـة تبلغ نصف دخـل الفـرد في تنـزانيا ، أو ربـع دخل الفـرد في جمهوريـة افريقيـا الوسطى » .

وهناك خبير آخر هو « مايكل كارتي » نائب مدير المكتب الأوروبي للبنك العالمي : يعتقـد أن المجال مايزال مفتـوحا لتحسـين نوعيـة وكمية المعـونات في افريقيا حيث يقول :

« ينبغي أن يتأكد المترعون من أن الاغاثة تساند عملية تنمية حقيقية من حيث ضمان أن تتوجه الجهود الى عمليات الاصلاح الاقتصادية التي تؤدي الى نمو الانتاج بصورة فعالة ، والتدخل في تسويق المنتجات وتحديد الأسعار ، ان مثل هذا النمو هو المفتاح الذي سيحل مشكلة الفقر في افريقيا .

محمد آدم خميس
جمهورية السودان الديمقراطية ـ الخرطوم

من يكون سعيد باشا ؟

● قرأت في مجلة العربي العدد ٣٢٩ تحت عنوان « الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد » بقلم الدكتور محمد عيسى صالحية ما يلي :

وهناك سأل السلطان : من هو رئيس المجلس الوطني الذي تبنى الفتوى ؟ (فتوى خلع السلطان) فقيل سعيد باشا وعليه أود أن أوضح ما يلي :

تلك الفترة العصبية من حياة السلطان ، لم يكن على المسرح سوى شخص واحد يدعى سعيد باشا الدردري ، وهو من أهالي دمشق ، وكان قائدا لحملة عثمانية على اليونان ، وقد احتل عاصمتها أثينا ، ومعه الكثيرون من أبناء دمشق ، وكان غيورا على دينه ، حريصا بما عرف عنه على مصالح السلطنة ، وكان له الفضل في تعيين أبناء عمومته في مناصب دينية ، ومنهم قاضي الشرع الأول في دمشق وحمص وجبلة ، وكان يحضر الى دمشق يحث أهلها على ارسال أبنائهم الى الكلية العسكرية ، فكيف يكون سعيد باشا رئيس مجلس تآمر على السلطان ؟

أرجو من السيد الكريم الدكتور محمد عيسى صالحية المزيد من القاء الضوء على شخصية سعيد باشا ، لأن أبناء دمشق عرفهم التاريخ بالغيورين على دينهم . شاكرين للدكتور صالحية سلفا جهوده في هذه القضية .

معاوية الدردري
دمشـــق

عهد الأشتـــــــر

● « نشرتم في العدد رقم ٣٢٧ من مجلة العربي فقرة في صفحة ١٠٩ تحت عنوان « وصية خليفة لوال » . وقد أشرتم الى أن الوصية من الامام علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) الى أحد ولاته على مصر . . . . . .

وأرغب في أن أوضح للقارىء العزيز ، أن هذه الفقرة جزء من عهد الامام علي لواليه على مصر مالك الأشتر النخعي ، أحد اصحابه الخلص ، ويعرف هذا العهد بعهد الأشتر ، وهو من عيون حكم الامام ، وقد اعتبره الدكتور محمد عمارة في كتابه « الاسلام وحقوق الانسان » من منشورات سلسلة عالم المعرفة بالكويت ، أهم وثيقة سياسية اسلامية ، وأكد المعنى نفسه الاستاذ عبدالرحمن الشرقاوي في كتابه « على امام المتقين» والنص الكامل لهذا السفر الاسلامي السياسي المهم موجود في نهج البلاغة،أرجو أن تنشروا هذه الرسالة في باب حوار القراء استكمالا لفائدة القارىء وشكرا

حسن قبلان / لبنان

الخطوبة والزواج والمهور

● بعد التحية

أقترح أن تشمل استطلاعاتكم عن البلدان العربية أو الاسلامية أو العالمية المعلومات المتصلة بعادات الخطوبة والزواج والمهور ، وكل ما يتعلق بأمور الزفاف والزواج في كل بلد ، لما لها من دلالات اجتماعية وانسانية بالغة ولكم الشكر .

جمال أمين حسون سوريا / اللاذقية

العربي

من المعتاد أن يركز الاستطلاع في أي بلد على جانب من الجوانب في هذا البلد ، أو قضية من القضايا المثارة فيه ، وفي الوقت ذاته يقدم من المعلومات العامة ما يخدم هذا الجانب أوهذه القضية . . اذ محاولة الاستطراد الى كل شيء في الاستطلاع الواحد امر صعب ، فضلا عن أنه يفقد الاستطلاع عنصر المتعة الناجمة عن ابراز قضية واحدة مهمة ، على أن هذا لا يمنع من تعدد الاستطلاعات عن البلد الواحد ، مما يتيح الفرصة للحديث عن الجوانب الاجتماعية ، ومنها ما يتعلق بعادات الزواج . . الخ . □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٦ م

العالم الثالث
وتحديات البقاء

تأليف : جاك لوب

ترجمة : د. أحمد فؤاد بلبع

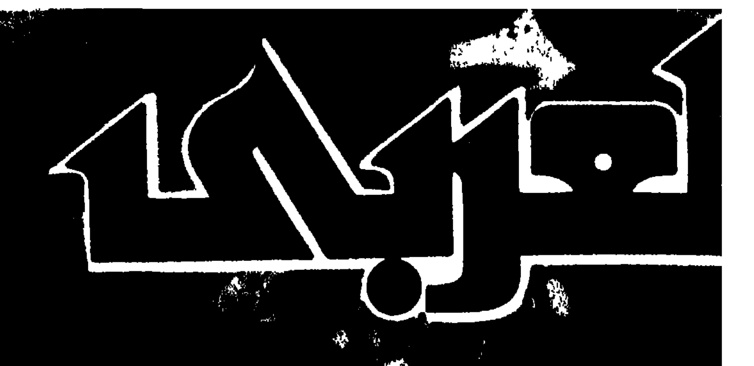


الكتاب ١٠٤

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت



★★★



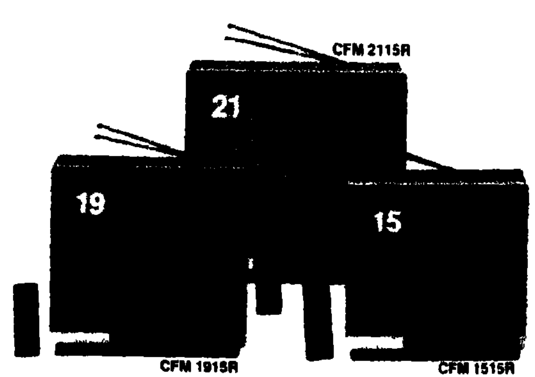
سراواك

الانطلاق من عمق المجهول

مع فيشر جميع المقاعد محجوزة.

إذا أردت الحصول على أفضل صورة وصوت متوفرين، ضع ثقتك في الشركة التي قدّمت نظام الهاي فاي للعالم. لن تنزعج من التشويه أو عدم الوضوح عند زوايا الشاشة مع تلفزيون فيشر ذو الشاشة المسطّحة المربّعة. لماذا؟ لأن الشاشة مسطّحة ومربّعة ممّا يعطي جميع المشاهدين صورة أفضل وليس فقط مشاهدي المقاعد الأمامية.

أضف إلى ذلك صوت الستيريو، جهاز عملي للتحكم عن بُعد، قدرة الـ ١٦ نظاماً إلى صورة ممتازة وبذلك يأخذ الإستمتاع السمعي المرئي أبعاداً جديدة. بالإضافة إلى موديل CFM2110SR ٢١ إنشاً فإن فيشر تقدّم لك أيضاً ثلاثة تلفزيونات اخرى ذات الشاشة المسطّحة المربّعة ١٦ نظاماً. حقاً، فيشر يقدّم لك عالماً جديداً مدهشاً.





العدد ٣٣٤ السنة التاسعة والعشرون سبتمبر ١٩٨٦



العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 334 Seb. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

في هذا العدد تصحبك مجلة العربي في رحلتها الشهرية الى باقة من الموضوعات التي تحاور قضايا الساعة ، دون أن تغفل القضايا الأساسية التي تسعى العربي دائما الى أن تلقي عليها أضواء جديدة ، وتعيد النظر اليها من زوايا مختلفة ، وتتابع ما يحدث فيها من جديد على مستوى الوطن العربي أو العالم .

عن أهم قضايا الساعة يكتب لك الدكتور عدنان شهاب الدين مقالا عن « تشرنوبيل · الحقائق والتوقعات » . . ليضع النقط على الحروف في قضية أثارت قلق الناس في كل العالم ، بين أملهم في توفير مصدر جديد لا ينضب للطاقة ، وبين خوفهم من مخاطر هذا المصدر !

ولعله من أهم قضايا الساعة قضية نفاد الموارد الطبيعية ، الأمر الذي جعل خطط التنمية في العالم المتقدم تتجه بالدرجة الأولى الى تنمية الانسان . تنمية ذكائه ومعلوماته وشتى قدراته باعتباره موردا متجددا ، لا حدود لامكانات تطوره حول هذا الموضوع يكتب لك الدكتور عادل عبدالكريم عن « أول وزير للذكاء في العالم » . . ففي أي البلاد عين هذا الوزير ، وما هي مهام وزارته ؟ وكيف تمارس هذه المهام ؟

من أحدث العلوم الانسانية . . « السيميائية » فهل نجح هذا العلم الجديد في أن يحدد أهدافه ومناهجه ؟ الدكتور كمال أبو ديب يسعى الى تعريف قارئ العربي بهذا العلم الجديد بلغة تجمع بين الدقة والوضوح ، وحتى لا يبقى هذا العلم وقفا على المختصين ، إنه يخوض هذه المغامرة ونحن معه ، فهل ننجح جميعا ؟ هذا ما تقرره أنت عزيزي القارئ ونرحب مسبقا بحكمك .

الله . والانسان . والحرية . . قضايا قديمة وجديدة . . وحين يتناول الدكتور حسان حتحوت هذه القضايا فاننا نتوقع دائما أن نقرأ الجديد والمفيد معا !

وحين يكتب لنا المفكر العربي محمد عابد الجابري عن تأثير الفيلسوف العربي ابن رشد في الفكر العربي وفي الفكر الغربي ، فإننا نكون أمام وجبة فكرية ثرية وممتعة في وقت معا ، في موضوع قديم ، ولكنه بنفاذ الكاتب يصبح جديدا للمختص وللقارئ العادي !

في باب وجها لوجه يجرى حوار مع الروائي الكبير فتحي غانم يكشف فيه عن جوانب من أسرار إبداعه ، ويتيح للقارئ أن يضع يده على العديد من مفاتيح كنوز هذا الكاتب.

وتحرص العربي على أن تواصل مسيرتها في متابعة مجالات البحث العلمي من أجل غد أفضل ، فتقدم لك في هذا العدد استطلاعا من معهد الكويت للابحاث العلمية ، وفي الاعداد القادمة سوف تقدم لك استطلاعا في الاتجاه ذاته عن مسيرة البحث العلمي في الهند .

هذه بعض معالم الرحلة التي تصحبك فيها العربي هذا الشهر في دنيا الفكر والثقافة والفن . . . أما بقية المعالم فأنت تعرف طريقك إليها مع الشعر والقصة وبقية الأبواب الثرية والغنية بالمعرفة والمتعة .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر أسئلة واجابات في المسألة التربويه

- د . محمد الرميحي ٨

■ تشرنوبيل - الخلفية والحقائق والتوقعات

- د عدنان شهاب الدين ١٦

■ رشدية عربية أم لاتينية ؟

- د محمد عابد الجابري ٢٥

■ الله والانسان والحرية

- د حسان حتحوت ٣٠

■ ولقاؤنا كان الأخير (قصيدة)

- د .عاتكة الخزرجي ٣٤

■ الطيران في نهاية القرن العشرين

- ريا عارف الرفاعي ٣٦

■ شارع النخيل الاوبحي (قصة)

- اسماعيل العادلي ٤٠

■ بطاقة تعريف للشعر الحر

- د حياة جاسم محمد ٤٤

■ أول وزير للذكاء في العالم

- د عادل عبدالكريم ياسين ٤٨

■ خالد العدساني والعمامة والكتاب عبر المشوار

- عبدالله زكريا الانصاري ٥٢

■ السيمائيه احدث العلوم الانسانية

- د كمال أبو ديب ٥٨

■ عظاما وسنوات العمر

- د فاطمة الغرباوي ٨٨

■ الكمبيوتر والزخرفة العربية

- د نبيل علي ٩٣

■ الموسيقا العربية والهارمونيا .

- د . سليم سحاب ١٠٤

■ دلالات الرمز في رواية الأرض المحتلة

- وليد أبو بكر ١٠٩

■ المرآة والقناع (قصة مترجمة) .

- محمود شقير ١١٤

ماذا تعرف عن سرواك حيث ديكورات الخماحم وموروثات الأجداد والطفرة الصناعية التنموية بعد انطلاقها من عمق المجهول ؟ ص ١٣٦

■ كي تتخلص من نظارتك

- د سري فايز سبع العيش . ١١٨

■ أطفال جياع ذكاء محدود

- د محمد نبهان سويلم ١٢٩

■ العهد (قصيدة)

- عبدالله السيد شرف ١٨١

استطلاعات ومقابلات

■ البحث العلمي من أجل غد أفضل .

- منير نصيف ٦٨

■ وجها لوجه : فتحي غانم .

- أبو المعاطي أبو النجا ٩٧

■ « سرواك » الانطلاق من عمق المجهول

- سليمان مظهر ١٣٦

أبواب العدد

■ عزيزي القارىء ٥

■ أرقام أصحاب العود
- محمود المراعى ٥٦
■ منتدى العربي
- قصية مفاهيم تربويه خاطئة
- يوسف ميخائيل أسعد ٦٣
- تعقيبات حول مشروع المعجم العربي العصري
- د. على خليفة الكواري ٦٥
- حول الأيام الأخيره لسلطان عبد الحميد
- ابراهيم كسبو ٦٧
■ قاموس العربي صريه ١٢٢
■ الجديد في الطب والعلم ١٢٤
■ مكتشفون ومخترعون الفرد نوبل مخترع الديناميت ١٢٦
■ سلامة البشرية في سلامه البيئة ١٢٨
■ حضارات سادت ثم بادت حضارة ابلا
- اعداد يوسف الرعلاوي ١٥٦

■ جمال العربية
- صفحه لغه لام النحوية
- محمد خليفة التونسي ١٨٢
- صفحه شعر هكذا غنى الاباء
لماء دئب بين الفرزدق والبحتري ١٨٤

■ مكتبة العربي
- كتاب الشهر في أسفل السلم
- محمد حسان عبدالكريم ١٨٦
- من المكتبة العربيه . الرهبنة بين الأسر والحريه .
- د . أمين العيوطى ١٩٢
- مكتبة العربي : مختارات ١٩٦
■ مسابقه العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد (٣٣١) ٢٠٠
■ معركة بلاسلاح (الشطرنج) ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤



البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

■ الحب مخاطره وثقة ومشاركة
- راجي عنايت ١٦٢
■ وقفه علمية مع أول صرخة للطفل
- د. ضياء الدين الجماس ١٦٦
■ مساحة ود أبناء هذا الزمان
- محمود عبدالوهاب ١٧١
■ هو هي ١٧٢
■ من الحياة
عندما خف أيام العمر ١٧٤
■ طبيب الأسرة ١٧٨

حديث الشهر

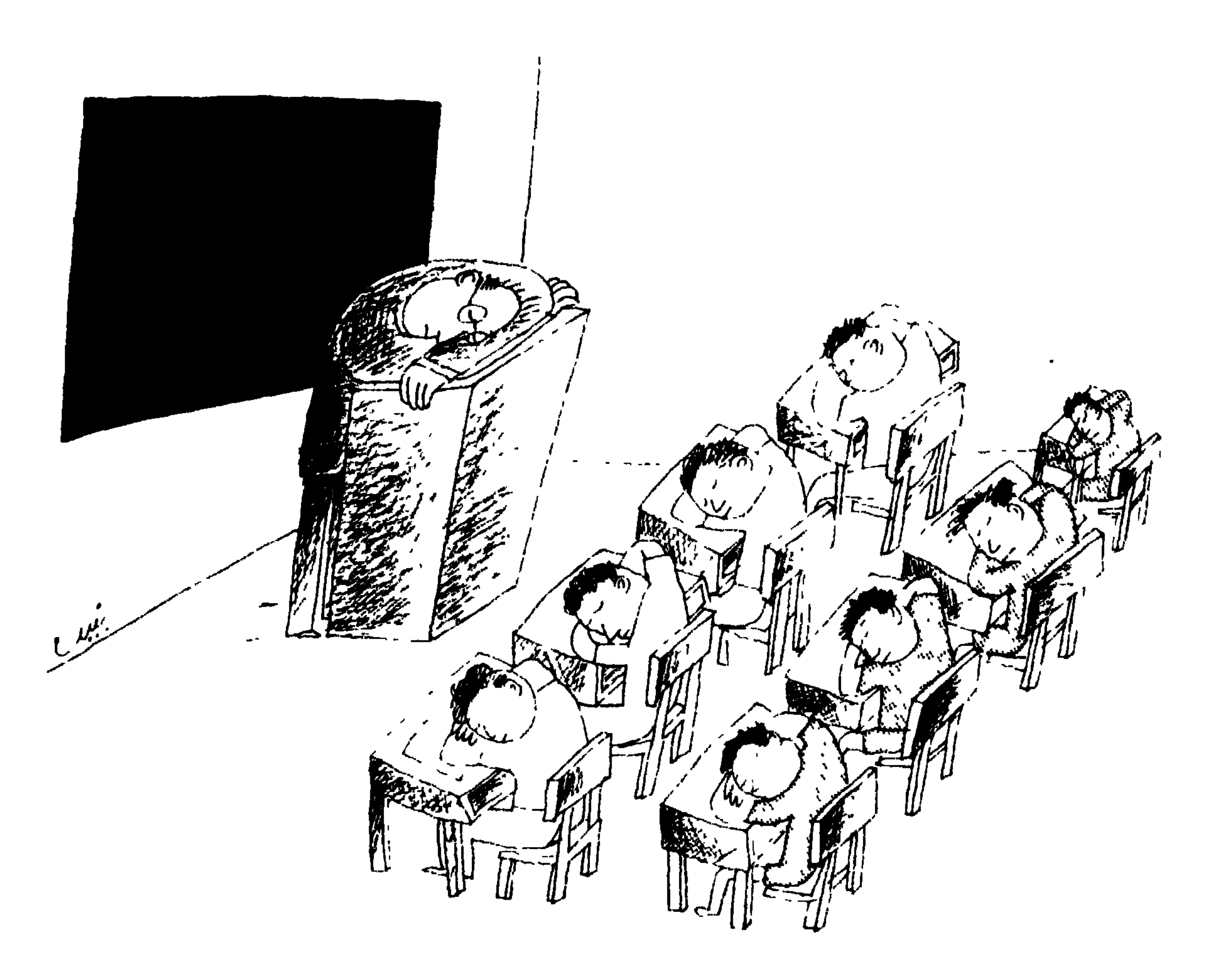
بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أسئلة وإجابات .. في المسألة التربوية

- نزع سلاح التعليم أخطر من نزع السلاح التقليدي !
- مدارسنا مسؤولة عن صيانة الماضي وتأهيل الناشئة للحاضر والمستقبل.
- اقتصار التعليم في الماضي على القلة سهل انتشاره.
- التربية .. صناعة ثقيلة تحتاج الى كل جهود الصناعات الثقيلة.

في شهر أغسطس ١٩٨١ شكل وزير التربية والتعليم في الولايات المتحدة لجنة من ثمانية عشر عضوا لدراسة نظم التعليم في الولايات المتحدة وتقديم مقترحات لاصلاحه ، وخرجت اللجنة بعد حين بتقرير يعرفه معظم المشتغلين بالتربية والتعليم في العالم اليوم ، وكان عنوان التقرير « أمة في خطر » ، ولقد لفتت نظري اللهجة المتشائمة في ذلك التقرير ، بل الادانة الكاملة لنظم التعليم السائدة في الولايات المتحدة ، حتى ان احدى فقرات التقرير تقول : (انه لو قامت أمة معادية بفرض أداء تعليمي قليل الجودة على الشعب الأمريكي - كما هو الحال في النظام التعليمي السائد - لاعتبرنا ذلك مدعاة للحرب ! ولكن كل ذلك يحدث الان ومن خلالنا وقد سمحنا به !)

وفي ابريل سنة ١٩٨٤ أصدرت قيادة الحزب والدولة السوفييتية قرارا موجها للتنفيذ باقامة كليات تقنية وعملية موحدة ، وزيادة سنوات الدراسة العامة من عشر سنوات الى



احدى عشرة سنة ، وتمديد سنوات التعليم المهنى ، على ان يدخل جميع الطلاب سنة تدريبية عملية قبل تخرجهم

وقد سبق هذا القرار نقاشات وحوارات نشر كثير منها في الصحافة السوفييتية ، والهدف هو « اللحاق بالثورة العلمية والتقنية التي يشهدها العالم » .

ذكرنا هذين المثلين اللذين وقعا في السنوات الأخيرة في أكبر دولتين معاصرتين لنا ، هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على ما بينهما من اختلاف في أمور شتى ، ولكنهما اتفقتا ـ كما هو الحال مع كثير من الدول ـ على النظر الى نظام التعليم والتدريب في مجتمعاتهما نظرة جدية ، فالعلم والمعرفة سلاح يمكن استخدامه بشكل ايجابي ، كما يمكن أيضا نزع هذا السلاح بطريقة جديدة ، أي ليس بالحرمان منه ولكن بتفريغه من داخله ، والابقاء على الشكل وخلخلة المضمون الى درجة أن يرتد الى رقاب منشئيه ويفتك بهم

ولسنا في الوطن العربي اليوم ممن تنقصهم التقارير الموضوعة في التعليم والتربية العربية ـ فهي كثيرة والحمد لله ـ ولسنا ممن ينقصهم الرجال والنساء لبيان أهمية التعليم على المستوى الدولي والوطني والعربي والانساني ، ولا ممن ينقصهم قبول حقيقة أن التعليم هو سلاحنا للنهضة ، فكل ذلك معروف . ولكن ما ينقصنا في الحقيقة هو ان نعترف بأن سلاح التعليم العربي منزوع ، فهناك مؤسسات نسميها مدارس وجامعات يذهب إليها أبناؤنا وبناتنا كل صباح ويعودون منها كل مساء ، وهناك كتب توزع وتقرأ وقد تحفظ أيضا ولكنها لا تفي بالغرض المطلوب ، لأن التعليم في تصوري أصبح في وطننا العربي ـ في الأعم الأشمل ـ قضية شكل أكثر منه قضية جوهر ، وقضية مؤسسات أكثر منها قضية محتوى وأهداف واضحة المعالم .

العقل الابتكاري والعقل المسالم:

فنحن حتى الآن ـ اعتمدنا على النقل في الشؤون التربوية والتعليمية دون إعمال العقل بصورة ابتكارية .

□ وأريد أن أفرق بين مفهومين « لاعمال العقل » أحدهما اعمال العقل ابتكاريا من أجل التغيير والتطوير ، والثاني استعمال « العقل المسالم » الذي يفكر في إطار من المألوف بين الناس ، بحيث لا يصدم عرفا وان كان خاطئا ، ولا يتعارض مع رأي ذاع ، بالغا ما بلغ من الفساد .

يحدثنا أحد مفكري العرب* في هذا الاطار عن جامعاتنا بأنها « تذكرنا بالجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، من حيث أنها كانت تتوخى ما سموه بالتعليم السلمى ، وهو الذي كان دائما يتمشى مع اتجاهات الكنيسة ، أي أنها تقاد ولا تقود ، تساس ولا تسوس » وهنا ربما تكمن احدى أهم معضلات التعليم في بلادنا . . فهو بجانب قصوره من حيث الكم ـ وذاك موضوع سنعرض له لاحقا ـ الا أنه يصدم كثيرا منا من حيث الكيف والمستوى والاعداد ، صحيح أن كل ذلك ليس سببه نظام التعليم وحده بل تتداخل معه أسباب أخرى ، الا أنه صحيح أيضا أن نظام التعليم يتحمل الكثير من هذا القصور .

ونعرض هنا لبعض مظاهر القصور

من أبرز هذه المظاهر مستوى تحصيل الطلاب في المستويات التعليمية المختلفة ، وها هو الخريج الجامعي الذي ـ في أي تخصص كان ـ يجد صعوبة في الالمام بالقضايا العامة ، ويسهل كثيرا إقناعه دون نقاش طويل بأن هذا المنطلق أو ذاك هو الصحيح في الحياة ، فيتعصب له دون نقاش ويتبعه دون تساؤل ، ضيق الأفق في الشئون العامة،يرى الأمور سوداء أو بيضاء قبليا أو طائفيا أو قطريا في أحسن الأحوال ، أما مستوى المعارف وقدرات الأداء والمهارات التي كان من الواجب عليه أن يمتلكها فهي في حدودها الدنيا ، سواء كانت مهارات عقلية أو مهارات يدوية

مستوى التحصيل ، هذا الذي نشكو منه ، هو نتيجة وليس سببا ، نتيجة لاعتمادنا على النقل والاهتمام بالشكل فنحن نحرص على ما يتم تعلمه ـ وذاك خطأ ـ انما يجب أن نحرص على ما يقود الى « التعليم المستمر » . يجب أن ننتقل من التركيز على السرد والتلقين الى الفهم والتحليل وحل المشكلات والتوصل الى استنتاجات فالمعلومات مهما كانت قيمتها الحالية هي معلومات متغيرة متطورة ، وحفظها وكأنها مقدسة خطأ عظيم ، الخيار الأساسي لذلك هو وضع الأسس لتعليم مستمر ، لخلق مجتمع دائم التعليم ، وأن يستمر أبناؤنا في الابحار في رحلة حياتهم مزودين بما تعلموه في بدايتها من أساسيات ، وليس الاكتفاء بنيل الشهادة ، وكأنها تعنى الاكتفاء من التعليم

من الأخطاء السائدة بين المتخصصين في التعليم عندنا ، النقاش العقيم بين التخصصات العلمية والأدبية ، وما اصطلح عليه في هذا الاتجاه ، وذلك في رأيي إحدى القضايا العالقة بسبب النقل دون تمحيص العقل فالتعليم شيء متكامل « وأساسي لخلق مواطن يتعايش مع العصر والتخصص أمر لاحق للتعليم وليس سابقا له . »

---

* د توفيق الطويل في تراثنا العربي الاسلامي ـ سلسلة عالم المعرفة ـ عدد ٨٧ ـ مارس ١٩٨٥

□ عندما نتحدث عن التعليم المستمر ، والتعليم من أجل الحياة ، وعن شعارات من هذا القبيل ، فاننا غالبا ما نذكر ما كنا فيه ـ كعرب ومسلمين في صدر الاسلام ـ من حث على التعليم والتعلم ، ذاك هو تراثنا الثقافي العظيم القريب الى قلوبنا ، ولكن الحديث في العموميات مضر أيما ضرر . في ذاك التراث العلمي ـ وفي القرون الأولى من النهضة ـ تكمن كل القيم الايجابية ، ففي القرون الأربعة الأولى من الاسلام تطور التعليم العربي الاسلامي ، ولم يقتصر أمره على العقيدة واللغة ، بل تطور الى ميادين أخرى في الفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء والطب والهندسة والفلسفة ، وترجمت الكتب الاغريقية والفارسية والهندية الى العربية ، كما ترجمت الكتب العربية الى اللغات الأخرى ، وكانت مصدرا من مصادر التعلم ، ولكن في السنوات اللاحقة للقرن الرابع الهجرى بدأ الانحدار ، وتضاءلت المدرسة العربية الاسلامية حتى أوشكت على الزوال بتقاليدها العظيمة . . ، فما هو السبب ؟

تختلف في ذلك الاجتهادات ، ولكن النتيجة واحدة وهي أن الركود الاقتصادي والعلمي والثقافي سحب نفسه على الوطن الاسلامي من بعد تفرق السبل ، ويعرف الاستاذ المرحوم عبدالعزيز القوصى فترات الانحطاط بأنها في العد الهجري ، أربعة قرون من التقدم والرقى ، وأربعة أخرى من الخلافات والمنازعات ، وأربعة تالية طويلة ومملة من الركود والتخلف ، وغطيت الثقافة العربية والتعليم والحياة الأدبية العربية فيها بغطاء كثيف من التعصب والخزعبلات ، وفي الوقت الذي كان هناك طلب وحث على البحث العلمي في القرن الثالث والرابع الهجري ، وأصبح متسامحا معه في القرون القليلة التالية ، تحول في عصور الركود والتخلف الى شيء من السحر والهرطقة ، وأصبح محاربا برجاله ونتائجه على حد سواء ، ونما شيء جديد في العقل العربي الاسلامي ، هو وضع العلم كشيء مضاد للعقيدة ، الى درجة أن شخصية مثل الرازي ـ نعتز بها ونفخر اليوم ـ اتهم بالهرطقة والكفر ! !

في هذه العصور المظلمة ، والتي تخلفنا فيها سياسيا واجتماعيا وثقافيا وعلميا ، تكمن جملة المشكلات التي نواجهها في اطار التعليم والتطور اليوم . فما وصل الينا من بصيص معرفى ومنطلقات علمية من المتقدمين ، ثم نما وتطور في القرن الأخير ، وصل الينا في حقيقة الأمر نتيجة الدفع الذاتي لما عرفه السابقون في العصور الاسلامية الأولى ، وعندما نتغنى اليوم بانجازنا الحضارى ، فانما نتغنى في حقيقة الأمر بتلك العصور الذهبية الأولى ، واذا كان الأمر الايجابي له قوة ذاتية تبسطه على الزمن ، فان الأمر السلبي كذلك أيضا ، ومن هنا فان معوقاتنا اليوم في التعليم العربي ، جذورها ضاربة في عصر التخلف ، وما زالت تطل علينا برأسها في شكل دعاوى ايديولجية تكمن حينا لتظهر من جديد في أشكال أخرى ، وهي من العقل نافرة ، والى المنطق فقيرة ، والى الوراء ناظرة .

لقد ماتت المدرسة العربية الاسلامية وماتت تقاليدها ، وعندما جاء الخيار لمحمد على في مصر في مطلع القرن الماضى لانشاء مدارس على النمط الحديث ، كان أمامه خياران : أحدهما أن يطور ما هو موجود من تعليم تقليدي . وثانيهما أن يتركه على حاله ويبدأ بالمدارس الحديثة على النمط الغربي كما كان معروفا وقتها ، ولقد اختار محمد على ـ حقا أو باطلا ـ أن يترك القديم على قدمه وأن يعتنى بالحديث كما ورد ، وهناك بُذرت بذرة التعددية في التعليم العربي الحديث الذي أكده ـ دانلوب ـ مهندس التعليم الحديث في



مصر بعد الاحتلال البريطاني ، وأخذه الوطن العربي كما هو تقريباً تعليم ثنائي غير ممتزج ، وتعليم مفرغ من محتواه يصلح لتخريج الكتبة

نعم حدثت بعد ذلك محاولات جليلة وعميقة للاصلاح في أقطار عديدة من الوطن العربي ، ولكن انطبق عليها ما ينطبق على شيء يراد اصلاحه . وهو تعديل لشيء قائم يحتفظ في الغالب بخصوصية المنشأ .

فما زالت الأسئلة التي طرحها التربويون العرب منذ أكثر من نصف قرن قائمة ماذا نعلم ومن نعلم ؟ هل نعلم من أجل الحفاظ على الوضع القائم أم نعلم من أجل مجتمع جديد ؟ هل نريد ان يكون متعلمونا طيعين تابعين . أم مشاركين متعاونين ، أم عاصين خارجين ؟ ما هي لغة التعليم في العلوم والرياضيات ؟ هل نعلم في المدينة ونهمل الريف والبادية أم نهتم بالجميع ؟ هل نعلم المرأة ؟ وماذا عن المعوقين جسديا أو عقليا ؟ وماذا عن المتفوقين ؟ أنعلم للأكثرية العادية أم للفئات الخاصة ؟ أنهتم بتعليم الصغار فقط ؟ وماذا عن الكبار ؟

كلها أسئلة تكاد تكون مطروحة تقريبا في كل مطبوعة يدور محتواها حول التعليم العربي . قطريا كان أم قوميا

ولعل الاضافة على تلك الأسئلة التقليدية تبرز في أسئلة جديدة نابعة من واقع التشرذم العربي الذي نراه بعيوننا اليوم . فلكي يستطيع الوطن العربي أن يقوم بوظائفه القومية المرتجاة ، لا بد أن يصل أبناؤه ـ مهما اختلفت أقطارهم ـ الى قدر من التفاهم المشترك في التوافق والتفاهم بين أبناء القطر الواحد أو بين العرب في أقطارهم المختلفة

واقع الأمر أن التربية العربية ـ كما هو ظاهر أمامنا ـ قد فشلت جزئيا في تكوين هذا القدر من التفاهم المشترك ، بل انها قد تخلفت عن مفاهيم تربوية عربية كانت سائدة قبل أكثر من ثلاثين سنة ، عندما كان الطالب في فاس ، والطالب في بغداد ، والطالب في الكويت ، يغني كل صباح

« بلاد العرب أوطاني » !!

التربية من أجل التنمية :

□ في عام ١٩٦٦ ، وفي مؤتمر تربوي عربي عقد في طرابلس الغرب ، أوصى المؤتمر بأن يعمم التعليم الابتدائي للطلاب العرب قبل حلول عام ١٩٨٠ ، ويأتي ذلك العام وما بعده من سنوات وحتى اليوم ، فاذ هناك ملايين من الفتيان والفتيات العرب في سن التعليم الابتدائي ولكنهم لا يجدونه ، واذ بالأمية الأبجدية ما تزال مرتفعة في المتوسط بين المواطنين العرب ، وهي في المتوسط أكثر من الثلث ، وترتفع الى حوالي النصف بين الاناث ، صحيح ان بعض الأقطار العربية قد استطاعت ان تحقق شيئا من النجاح في موضوع ادخال أكبر نسبة من مواطنيها الصغار في المدارس الابتدائية على الأقل وفي تخفيف حدة الأمية ، لكن الصورة العامة العربية لا تبشر بخير ، اذا أردنا أن نقول أننا أمة تريد أن تأخذ مكانها في عالم شديد التنافس ، وبدون صياغة لمواردها البشرية وتحديد نوعها ومستواها لن تجد هذه الأمة لها مكانا بين أمم العصر الحديثة ، وبدون التربية لن نحصل على صياغة جديدة لأهم مورد على الاطلاق وهو البشر

فقد أصبحت المعرفة والتعليم والذكاء الذي أحسن تدريبه هي الخامة الحقيقية للتنمية ، وهنا تبدأ العقبة الكبيرة أمام كل ذلك



فأولا ليس هناك تمويل مالي متاح لجميع الأقطار العربية كي تقوم بهذه الخطوة وثانيا فان من توفر لهم التمويل المالي نسبيا لم يستطيعوا حتى الآن تحقيق الصياغة المبتغاة لأسباب ذاتية لها علاقة بالكفاءة الداخلية لأنظمة التعليم العربية ، أو لأسباب موضوعية لها علاقة بالكفاءة الخارجية لأنظمة التعليم (العوامل الاجتماعية) .

ولنفصل هذا الايجاز فنقول مبتدئين بما سميناه العوامل الخارجية (الاجتماعية) التي تعطل كفاءة التعليم ، منها على سبيل المثال لا الحصر « الموقف الاجتماعي » من تعليم المرأة ومن ثم عملها ، فما زال بين ظهرانينا من يعتقد بأن المرأة مكانها البيت مصحوبة بالجهل ، واذا وافق على مضض على تعليمها فانما على أساس أن تبقى في المنزل دون مشاركة في الحياة العامة ، وهناك أيضا الموقف الاجتماعي من مهنة التدريس ذاتها فما زالت هذه المهنة تبدو للكثيرين في ثقافتنا العربية وكأنها امتداد « لمعلم الصبيان » المسكين الذي أمطرته الثقافة العربية سخرية واستهزاء ، ولم ننصفه ـ في معظم أقطارنا ـ حتى اليوم .

المعلم والمدرس ، والعامل بالتعليم من ذكر وانثى ، ما زال غير منصف لا ماديا ولا معنويا ، بين وقت وآخر نتحدث عن « دوره الحضاري الكبير » ولكن لا أكثر ولا أقل .

المعلم في وطننا العربي على امتداده أقل الفئات العاملة انصافا . . لذلك فانه ليس من المستغرب أن يغادر المدرسون الأكفاء أعمالهم زرافات بعد زرافات الى أعمال أخرى ويدخل بدلا منهم آخرون تنقصهم الكفاءة والخبرة ، ويؤثر ذلك على كفاءة التعليم في النهاية . فطريقة العرض والتدريس وحب المعلم لها وتفانيه فيها هو المدخل الحقيقي لتعليم أفضل .

تلك بعض العوامل الخارجية ، أما العوامل المعطلة للكفاءة الداخلية لأنظمتنا التعليمية فهي كثيرة أيضا ، منها على سبيل المثال لا الحصر صياغة برامج (مناهج) لها علاقة مباشرة بالتنمية العربية ، والنظر الى المدرسة كإحدى المؤسسات الأساسية للتطوير

معظم شكوانا من المناهج الحالية أنها تدور في حلقة مفرغة ، فيها من الثوابت أكثر من المتغيرات والحياة بطبيعتها متغيرة

محرك التعليم في بلادنا يجب أن يكون الانتماء الى العصر عن طريق الاشباع الذاتي للحاجات الأساسية ، التي أصبحت سمة عصر الجمهور الكبير الانساني الذي تختفي فيه الجماعات الصغيرة ، وتحترم فيه التعددية ، ولكن ضمن المجموع الحضاري المنسجم

الحاجات الأساسية في اطارنا العربي تكاد تكون معروفة ، فهي من شقين · مادية ومعنوية .

أما المادية فهي الغذاء والسكن والصحة والعمل .

وأما المعنوية فهي تحقيق الذات والمشاركة . وحرية التعبير ، والشعور بالكرامة والاعتزاز بروح المواطنة

تلك الحاجات الأساسية حلقات متداخلة . تحتاج الى جهد انساني صبور وطويل . وهي متكاملة لا يغني بعضها عن البعض الآخر ، ولن تتحقق كلها أو جلها في أمتنا العربية الا باعداد مواردها البشرية خير اعداد .

كل هذه الحاجات الأساسية تنقصنا بشكل أو بآخر اليوم في الوطن العربي .

دعنا نتحدث عن بعضها .

في الاطار المادي فمن اول هده الحاجات هو الغذاء ، ففي وطننا العربي الذي يتضاعف عدد سكانه كل ربع قرن تقريبا تتناقص قدرته على الوفاء باحتياجاته الغذائية سنة بعد سنة ، ويقول لنا الخبراء في الموضوع انه دون احداث ثورة حقيقية في برامج الزراعة العربية سوف نظل جميعا عالة على من يزرعون ، ومدخل احداث تلك الثورة الزراعية المبتغاة هو انسان مدرب متعلم ، وفي الاطار المالي نفسه عندما نتحدث عن الصناعة بأشكالها المختلفة ، نجد ان من اهم معوقات التقدم الصناعي العربي ارتفاع مستوى الامية ، والنقص في توفر الكوادر المدربة . . انه الانسان المتعلم من جديد .

اما اذا تحولنا الى الحاجات المعنوية . فاننا نجد ان قيمة الانسان المتعلم تأتي في الصدارة من أجل تحقيقها ، فلا حوار ديمقراطياً في مجتمع جاهل ، عندها يختلط ذلك الحوار لينقلب الى فوضى . . ولا تحقيق ذات في مجتمع متعصب ، ولا شعور بالكرامة في مجتمع يحتقر العمل اليدوي مثلا ، ان مدخل التنمية العربية اذن هو انسان متعلم يعرف اولويات العصر . . واداتها هي التعليم والتربية .

التعليم الجامعي:

□ انكبابنا على الحديث عن التعليم ـ فيما سبق ـ يعني في معظمه التعليم العام والتقني ، وحديث الجامعات العربية حديث آخر ذو شجون ، فاذا كانت مناهج التعليم العام قد اصابها التطور بعد فترات لاحقة لنشوئها ، فان مناهج الجامعات العربية اعتمدت ـ في معظمها على الأقل ـ على انواع المناهج الاكاديمية المطبقة في الجامعات الغربية ، وعلى الرغم من ان عدد الجامعات العربية اليوم يقدر بأكثر من سبعين جامعة تضم عشرات الآلاف من أعضاء هيئة التدريس ومئات الآلاف من الطلبة ، لكن جهدا حقيقيا لم يبذل لتطوير مناهج التعليم الجامعي ، فهناك على سبيل المثال ثنائية في تركيب المناهج الجامعية منقسمة الى أقلية تعتمد نظام (المقررات) واخرى تعتمد نظام السنوات ، وفي كلا النظامين سلبيات

وايجابيات كان من الممكن تطويعها كي تناسب حاجاتنا ، ولكننا مازلنا في هذا الاطار ناقلين ، وعندما نأتي الى البرامج الاكاديمية فمازالت معظمها في طور الترجمة والنقل وقليل منها في طور الابداع والابتكار ، حتى في العلوم القريبة الى ثقافتنا العربية ، فالمنهج المتبع في الاغلب غربي الجذور .

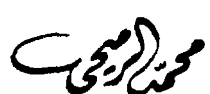
ولقد قدر لي ان أتولى التدريس في جامعة عربية اختلطت فيها الخبرات العربية ، فعرفت كيف يُدفع الثمن باهظا في اللعبة السياسية الداخلية للجامعة ، وهي لعبة ليست مقصورة علينا ، فكل الجامعات ـ وربما كل المؤسسات ـ لها تلك السلبية ان شئت القول . ولكنها معطلة للجهود بشكل اكبر في جامعاتنا ، وربما تنطلق أساسا من عدم تحديد العلاقة بين الجامعة كمؤسسة مستقلة وبين الدولة والتطورات العاصفة في منطقتنا ، وربما ايضا لقرب منشأ الجامعات الحديثة في بلادنا وعدم رسوخ تقاليد جامعية .

بيت القصيد في التعليم الجامعي انه عينه في التعليم العام : المنهج والمدرس ، فالمناهج الجامعية لدى كثير منا امتداد لأسلوب عقيم في التعليم العام . لقد استشرفنا آمالا كبيرة في التعليم الجامعي لذلك فان الفشل في تحقيق غاياته ولو جزئيا يصيبنا باحباط عظيم

جمهور الاساتذة الجامعيين منقسمون على أنفسهم ، تشدهم بجانب كل سلبيات مجتمعنا المعروفة مدارس في التفكير نشأوا عليها في الغرب والشرق وتستعبد كثيرا منهم فكرة ان الاجادة هي نقل ما قاله الغربيون في هذا الموضوع أو ذاك دون ابتكار واضافة خلاقة ، يفتقد بعضهم الى أهم جسر بين الطالب وأستاذه وهو قدرة التواصل والتوصيل ، وتهتم جامعاتنا بالمشكلات العلمية سواء كانت تقنية او اجتماعية ذات منشأ غربي وتضرب صفحا عن مشكلات بيئية قريبة الا فيما ندر ، تلك كلها ظواهر لقضية التبعية العلمية ، فقد دربنا معظم أساتذتنا الجامعيين في جامعات خارجية دون تأهيل كاف ـ قبل ذلك أو بعده ـ لفهم البيئة العربية والتفاعل معها . لذلك فان المنهج والمدرس الجامعي سوف يقصران الى أجل عن أداء مهماتهما ، وتتسع الفجوة بين الطموح المنبثق من الحاجات الحقيقية والواقع . قياسنا للمعلم الجامعي ـ كما هو قياسنا للمعلم بشكل عام ـ درجته العلمية وسنوات دراسته . وكلاهما ليسا ضمانة لكل الأفراد ، بل لمعظمهم كي يعرفوا ماذا يعلمون وكيف يعلمون

وبعد . . .

هموم التعليم والمدارس في الوطن العربي كثيرة ومتعددة نطرحها هنا للقارىء العربي ، لشعورنا العميق بأنها من أولوياتنا الملحة ، فقد أصبح العلم ـ كمنهج وكنشاط اجتماعي ـ بمثابة المحرك الذي لا بد منه لعملية النمو الاقتصادى ، ولم تنجح أمة من الأمم الحديثة في التقدم الا بتطوير وسائل انتاجها . . ولم يتحقق لها ذلك الا من خلال قوة بشرية ، أتاح لها التعليم المنظم الحديث استغلال طاقة أفرادها عن طريق المبادرة والتفكير المستقل واعطاء العقل دوره في الحياة □



تشرنوبيل
الخلفية والحقائق والتوقعات

بقلم . الدكتور عدنان شهاب الدين*

لكل علم وجهه السلبي ، تماما مثلما له وجهه الايجابي ، أو على الأصح وجوهه الايجابية أيضا

وحريق المفاعل النووي في محطة تشرنوبيل السوفياتية هو أحد الوجوه السلبية في هذا المجال

فما هي حكاية المفاعلات النووية وكيف قامت ؟ وما هي الحقائق والتوقعات المتعلقة بها ؟ حول هذه القضايا يتحدث هذا المقال . .

كان حادث انفجار مفاعل في محطة الطاقة النووية ببلدة تشرنوبيل بجمهورية أوكرانيا بالاتحاد السوفييتي أسوأ حادث نووي منذ أن أقام السوفييت أنفسهم ، عام ١٩٥٤ أول محطة لتوليد الطاقة الكهربائية في العالم ، باستخدام الانشطار النووي ، قدرتها ٥٠٠٠ كيلووات . فقد فاق هذا الحادث في نتائجه المباشرة والمتوقعة بكثير عواقب حادث آخر مشهور وقع في محطة نووية في « ثري مايل أيلند » بالولايات المتحدة الأمريكية في مارس عام ١٩٧٩ ، ولقد أثار الحادث اهتمام الرأي العام العالمي ، وامتلأت وسائل الاعلام بالأخبار الصحيحة وغير الصحيحة عن آثار الحادث ، وعما يحمل في طياته من مخاطر حقيقية أو موهومة ، الأمر الذي يقتضي توضيح الكثير من القضايا والحقائق حول الوضع العالمي في شأن استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية ، والأخطار التي قد تأتي بها ، ووسائل درء هذه الأخطار ، والتغلب على آثارها ، وهو ما نحاوله هنا في تبسيط يهدف إلى أكبر قدر من الوضوح ، ويتحاشى التجني على الحقائق العلمية أو القفز فوق المهم منها .

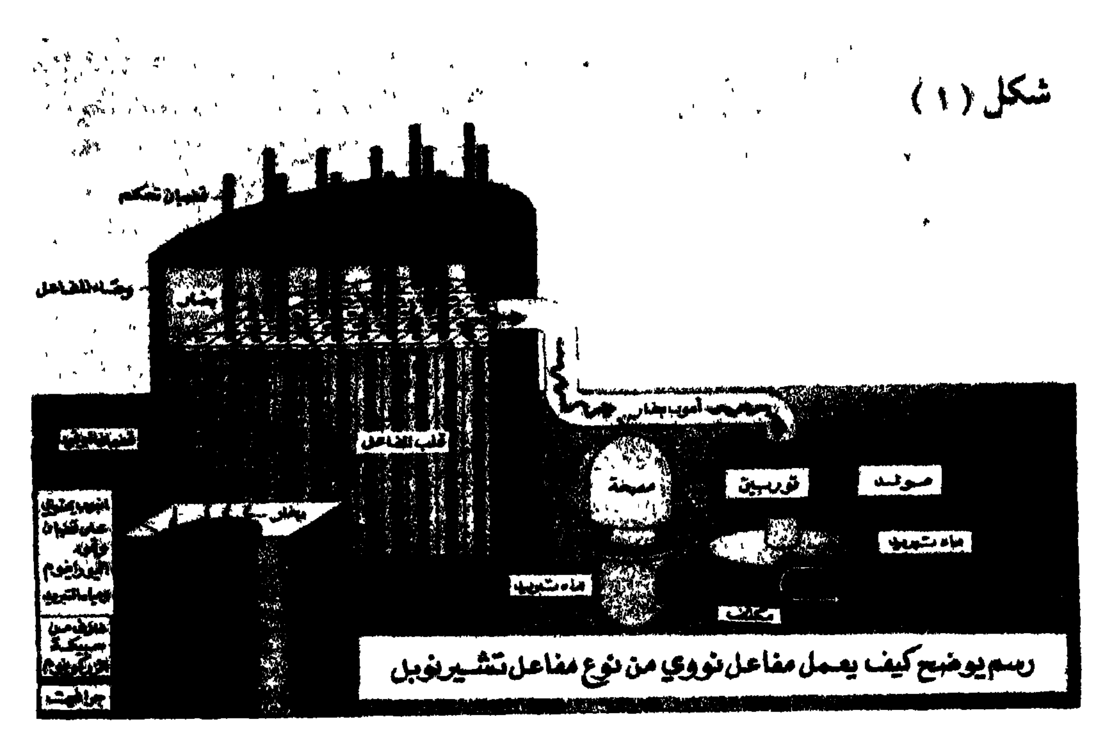
البدايات

من نافلة القول هنا التذكير بأن استغلال الطاقة النووية بدأ أول ما بدأ في مجال صنع الأسلحة المدمرة في سباق بين الطرفين المتحاربين في الحرب العالمية الثانية ، حين كتب أينشتين في مطلعها خطابه الشهير الى الرئيس الأمريكي روزفلت ، لافتا نظره الى اكتشاف العالم الألماني أوتوهان معادلات تتعلق بالانشطار النووي ، وما ينطوي عليه من إمكانيات صنع سلاح رهيب يفوق كل ما عرفه البشر حتى الآن في قدرته التدميرية ، وكان أن تعاون الحليفان ، البريطاني والأمريكي ، في إحراز قصب السبق ، وإنتاج هذا السلاح قبل الألمان ، واستخدامه عام ١٩٤٥ في هيروشيما وناجازاكي ، وكان أول مفاعل نووي بدأ العمل في العالم هو ذلك الذي أشرف على بنائه العالم الأمريكي ، الايطالي الأصل ، إنريكو فيرمي ، الذي بدأ تشغيله عام ١٩٤٢ لانتاج البلوتونيوم الذي تصنع منه الأسلحة النووية

وما أن وضعت الحرب أوزارها ، حتى انصرفت الدول الصناعية إلى تطوير تقنيات استغلال الطاقة

* مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية

شكل (١)



رسم يوضح كيف يعمل مفاعل نووي من نوع مفاعل تشيرنوبل

سموية للاغراض السلمية ، وعلى رأسها استخدامه في محطات توليد الطاقة الكهربائية ، باعتبارها بديلا واعدا يجدر ان يكون عنصرا منافسا للوقود الأحفوري ـ فحما كان او نفطا او غازا ـ الذى استخدم في هذه المحطات ومازال يستخدم في الكثير منها حتى الان . ومنذ ان أقام الاتحاد السوفييتي المحطة الاولى في العالم عام ١٩٥٤ وحتى اليوم ، استمر استخدام الطاقة النوويه في محطات توليد الكهرباء ، وإن تباطأت معدلاته ، بل ربما توقفت لبعض الوقت هنا او هناك وقد لا يعلم الكثيرون منا أن فرنسا مثلا تعتمد على الطاقة النوويه في انتاج زهاء ثلثي الطاقة الكهربائية فيها ، أو ان هذه النسبة هي ٦٠/ في بلجيكا ، و ٥٠/ في السويد ، و ٤٠/ في سويسرا ، و ٣٨/ في فنلندا ، و ٣٢/ في بلغاريا الا انها لم تتجاوز ١٧/ في الولايات المتحدة الأمريكيه ، وإن وجدت بها حاليا ١٠١ محطة عامله و ٢٩ محطة تحت الانشاء ، أو ١١/ في الاتحاد السوفييتي حيث يعمل الان ٥١ محطه ، من بينها محطة تشرنوبيل ، بينما يجري العمل في إنشاء ٣٤ محطة أخرى

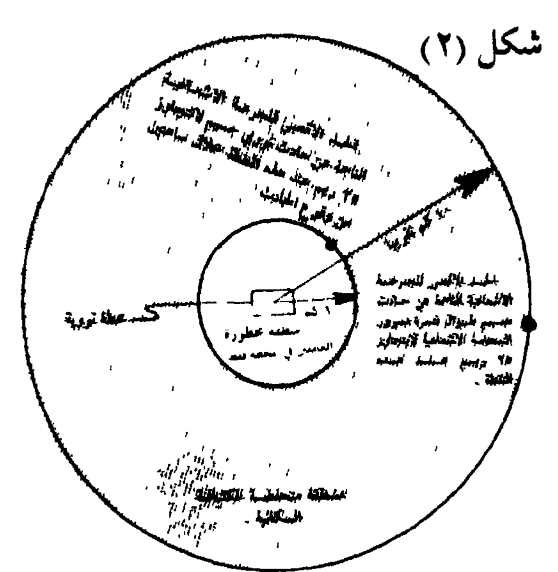
احتياطات ووسائل حماية

ولقد كانت الاثار السيئة لقنبلتي هيروشيما وناجازاكي على الكائنات الحية نتيجة لما تولده من معروفا لدى المشتغلين في هذا المجال عن مخاطر الاسعاعات النوويه ، وباهميه اتخاذ إجراءات وقائية غير مالوفه في صرامتها وتنوعها وتطبيقاتها ، للحمايه من هذه الاسعاعات عند تصميم وتشغيل محطات الطاقه النوويه ، وانطوى تصميم هذه المحطات منذ البدايه على مفاهيم جديدة في نظم مواجهة الأعطال والطوارئ الناجمه عنها ، واتخذت هذه الاجراءات اشكالا عدة من اهمها توفير بدائل للأجهزة التي تؤثر الأعطال فيها على سلامه المحطه ، وإدماج العديد من وسائل الانذار المبكر ، بأية تغيرات في ظروف التشغيل ، قد تؤدي الى أخطار غير محموده ، وإقامه سلسلة من وسائل الحمايه المتعاقبه ، واحدة تلو الاخرى، لمنع تسرب المواد المشعه من اجزاء المحطه المختلفه ، وضمان التوقف التلقائي لسلسله التفاعل النووى عند حدوث عطل طارئ .

ومن المفيد هنا أن نتعرف بصورة مبسطة على المكونات الرئيسية لمحطة طاقة نووية من نوع مفاعل تشرنوبيل ، وهو ما يوضحه شكل (١) بطريقة تخطيطيه والاختلاف الرئيسي عن محطة تقليديه تستخدم وقودا أحفوريا لتوليد البخار الذي يحرك التوربينات التي تدير المولد الكهربائي ، في استخدام

مفاعل نووي لتوليد البخار بدلا من المراجل المألوفة في المحطات التقليدية ، وقلب المفاعل يتكون من مجموعات من الأنابيب تحتوي على الوقود النووي (اليورانيوم) الذي يولد انشطار النوى فيه حرارة شديدة ، ويمر حول هذه الأنابيب تيار من الماء على ضغط مرتفع ، فتنتقل إليه حرارة الانشطار ، فيتحول إلى بخار يخرج من قمة المفاعل الى التوربينات ، ليكمل الدورة المألوفة في محطات الطاقة التقليدية ، وتحاط كل مجموعة من أنابيب الوقود بغلاف أسطواني من معدن الزركونيوم ، تحيط به بدوره كتلة من الجرافيت ، تقوم بإبطاء النيوترونات المنبعثة عن انشطار ذرات الوقود ، لتعود فتشطر عددا أكثر من نوى ذرات الوقود ، لتوليد المزيد من الحرارة ومن النيوترونات ، وتتحقق السيطرة في معدلات الانشطار داخل المفاعل عن طريق قضبان تحكم ، تصنع عادة من مادة تمتص النيوترونات مثل معدن الكادميوم ، فتبطىء التفاعل أو توقفه حسب العمق الذي تولج به في قلب المفاعل ، وتتكون شحنة المفاعل من . الوقود النووي من حوالي عشرة ملايين من حبيبات أكسيد اليورانيوم ، تزن الواحدة منها أقل من جرام واحد ، مكدسة داخل أنابيب الوقود ، وقد يصل وزن الشحنة الى حوالي مئة طن ، يجري تبديل ثلثها تقريبا كل عام ، ويحيط بقلب المفاعل درع سميك من الفولاذ عالي المقاومة ، يصل سمك جداره الى حوالي ١٥ سنتيمترا ، هو وعاء الضغط الذي يتولد فيه البخار ، وهذا الوعاء مغلف بدوره تغليفا كاملا بوعاء احتواء آخر للوقاية ، اذا ما تصدع جدار وعاء الضغط ، والمحطات النووية الحالية مصممة في البلدان الغربية ، بحيث يتحمل وعاء الاحتواء الخارجي ارتطام طائرة من طراز بوينج ـ ٧٠٧ بها وتحطمها فوقها ، دون انهيار هذه التحصينات ، ومن ثم تسرب الاشعاع ، وتحيط بالمحطات النووية عادة منطقتا أمان ، تعرف أولاهما بمنطقة الاستبعاد ، وهي عبارة عن دائرة قطرها حوالي كيلومتر لا يسمح فيها بوجود أحد سوى العاملين بالمحطة ، والثانية منطقة مخفضة الكثافة السكانية تتمثل في دائرة أخرى محيطة بالأولى قطرها ١٠ كيلومترات تقريبا ، يمكن إخلاؤها تماما في غضون ساعتين من وقوع أي طارىء في المحطة ينذر بالخطر (شكل ٢) ، وبهذا لا يتعرض

شكل (٢)



استراطات السلامة الدولية بالنسبة للمناطق المحيطة بمنشآت الطاقة النووية

السكان في هذه المنطقة لخطر يذكر من تسرب أية اشعاعات نتيجة لهذا الطارىء

حقيقة ما حدث

ولم يتمكن العلماء ، سواء في الاتحاد السوفييتي أو خارجه بعد ، من تحديد تسلسل الأحداث الذي أدى الى كارثة تشرنوبيل ، وتتعاون الان مجموعات منهم في الاتحاد السوفييتي وألمانيا الاتحادية وغيرها من الدول الغربية في جهود مكثفة للتعرف على حقيقة ما حدث ، وعلى تداعي الأحداث ، وربما كان القول بأن السوفييت قد تكتموا على حقيقة ما حدث يعتبر ضربا من المبالغة الاعلامية ، بينما واقع الحال أن الأمر مازال حتى الان محوطا بالغموض ، فقد كان الرأي السائد حتى وقوع الحادث أنه يكاد يكون ضربا من المستحيلات في أن يحدث ما حدث ، وعلى ضوء ما توفر حتى الآن من معلومات ، فانه يبدو ان خللا ما وقع في أحد الأنظمة الرئيسية بالمفاعل (نظام التبريد الرئيسي ، قضبان الوقود أو قنواته . . . الخ) تبعته سلسلة من الأعطال أو العطب في أنظمة السلامة ، وأن تقدير القائمين على المحطة لحقيقة الموقف لم يكن سليما ، الأمر الذي أدى الى تفاقم المشكلة ، وانفجار قلب المفاعل ، وتسرب كميات كبيرة من المواد المشعة فيه الى الخارج ، وبغض النظر عن ماهية الخلل أو العطب ، فالأمر الأكثر احتمالا هو أن إحدى

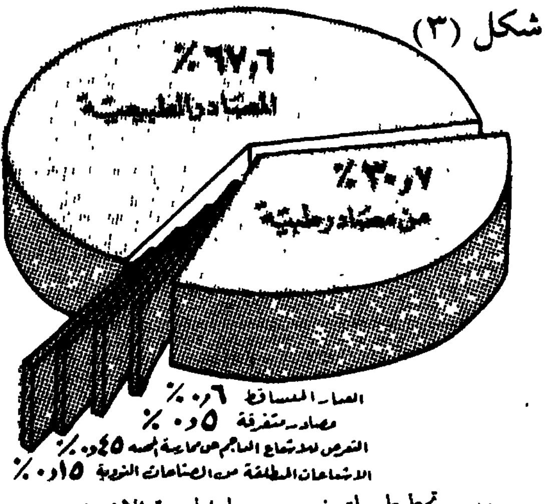
الأنابيب التي تحتوي على وقود اليورانيوم والماء المغلي تحت ضغط مرتفع قد انهارت ، ونتج عن التفاعل الكيماوي بين معدن الزركونيوم والجرافيت تولد غازي الهيدروجين ، وأول أكسيد الكربون القابلين للاشتعال ، ومع اختلاطهما بالهواء وقع الانفجار الذي دمر وعاء الاحتواء الضعيف نسبيا في المفاعلات من هذا الطراز ، وانهار سقف مبنى المفاعل نتيجة للانفجار ، وانطلقت الجسيمات المشعة في الهواء ، ويبدو أن الانفجار قد أعطب أيضا كل أجهزة توليد الطاقة الاحتياطية ، وأصبح من المستحيل على المسئولين عن تشغيل المحطات تبريد المفاعل ، وتوالى بعد انهيار أنابيب الوقود ، الواحدة تلو الأخرى ، واستمرار توليد كميات أكبر من الهيدروجين الذي أجج النيران المشتعلة ، وأطلق المزيد من المواد المشعة من قلب المفاعل

وهناك تصورات أخرى لمجريات الأحداث ، يقوم الخبراء السوفييت بدراستها متعاونين مع آخرين في منظمات دولية ودول أخرى

ماهية الاشعاع وأخطاره

ونحتاج هنا الى استطراد للتعرف بوضوح أكثر على ماهية الاشعاع ومصادره وأخطاره ، والاشعاع في جوهره طاقة ، وهو إما أن يكون على هيئة موجات كهرومغناطيسية مثل موجات الضوء أو الاتصالات اللاسلكية ، التي لا تختلف فيما بينها إلا في طول الموجة ، أو أن يكون جسيمات دقيقة تحمل شحنات كهربائية ، ومصادر الاشعاع كثيرة جدا ، منها الطبيعي الذي يأتي من الفضاء الكوني ويتساقط على سطح الأرض باستمرار ، بل إن منها ما يكون في جسم الانسان نفسه ، وإنما يعنينا منها في إطار حادث مثل حادث تشرنوبيل ما يصدر عن **المواد المشعة** ، وقدرة هذه المواد على بث الاشعاع تتناقص مع الزمن ، وبمعدلات تختلف اختلافا بينا من مادة إلى أخرى ، وتقاس هذه الخاصية بما يسمى اصطلاحا « نصف عمر » المادة المشعة ، أي الزمن الذي ينقضي قبل أن ينخفض الاشعاع الصادر عن المادة إلى نصف قيمته الأصلية (شكل ٤) ويتزايد خطر المادة المشعة كلما ازداد نصف العمر لها ، إذ أنها تظل مصدرا للاشعاع الخطر لفترات زمنية أطول ، وتتفاوت المواد تفاوتات هائلة في هذه الخاصية ، إذ تتراوح ما بين ثوان معدودات وسنوات طوال ، ومن الطريف أن نتذكر هنا أن المواد المشعة تختلف في هذا اختلافا جذريا عن المواد السامة ، فبينما تفقد الأولى خطورتها مع مرور الزمن ، طال أو قصر ، فإن الثانية تبقى إلى الأبد

وبعيدا عن تسرب المواد المشعة من مفاعلات أو تفجيرات نووية ، فإننا نتعرض باستمرار لكميات من الاشعاع من مصادر طبيعية وصناعية ، وعلى رأسها الاشعاع من مصادر طبيعية يصل في المتوسط إلى ثلثي اجمالي ما نتعرض له ، ومن وسائل التشخيص والعلاجات الطبية (وعلى رأسها أجهزة الأشعة) ما يقل قليلا عن الثلث الباقي (شكل ٣) ، ويزداد الاشعاع من مصادر طبيعية زيادة كبيرة في المناطق الجبلية ، أو تلك التي تكثر فيها الرمال السوداء ، ونحن نتعرض أيضا لجرعات إشعاعية إضافية عندما نجلس أمام شاشة التلفزيون ، أو عندما نسافر في طائرة ! والانسان من أكثر الكائنات الحية ، نباتا أو حيوانا ، تأثرا بالاشعاع ، وآثار الاشعاع لا تتوقف بداهة على مقداره فقط ، ولكن أيضا على مقدار الكتلة الحية التي تتعرض له ، وهكذا فإن وحدة قياس جرعة الاشعاع ، المسماة « ريم » تساوي مقدارا من الطاقة قيمته ١٠ ـ ١٠ من الجول (وحدة الطاقة) لكل جرام من المادة ، والواحدة الأكثر استخداما هي « الميللي ريم » الذي يساوي جزءاً من الألف جزء من « الريم » . وآثار الاشعاع على الانسان إما أن تكون



رسم تخطيطي لتوزيع متوسط الجرعة الاشعاعية التي يتعرض لها الانسان وفقا لمصادرها

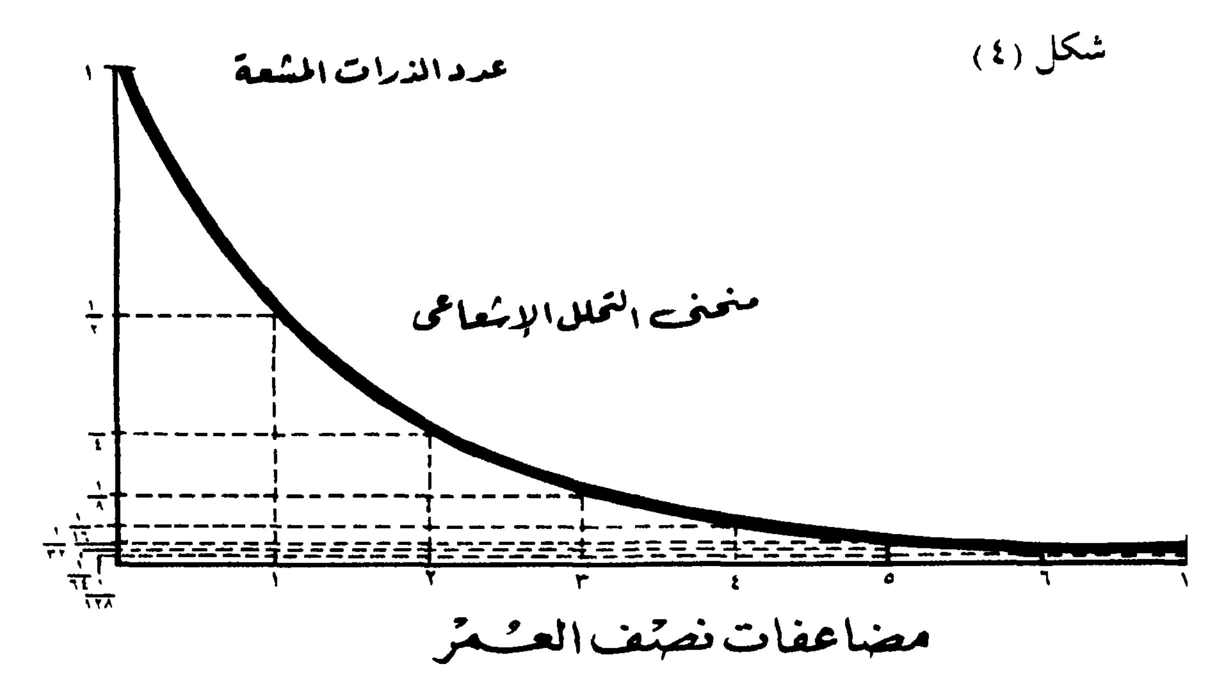
مباشرة كما في حالة التعرض لجرعات كبيرة جدا من الاشعاع ، كما قد يحدث لأشخاص قريبين جدا من مصدر إشعاع قوي ، مثل انفجار نووي او تسرب كميات كبيرة من مواد مشعة من مفاعل نووي . وهذه آثار واضحة وملموسة . ولا تختلف في هذا عن آثار الحروق البليغة ، أو التعرض لتهتك في الجسم بسبب حادث مروري ، أو أثناء الحرب . إلا أنها قد تكون أيضا بعيدة المدى بطيئة الفعل ، لا تظهر إلا بعد فترات زمنية طويلة . وربما كان هذا هو سبب الذعر الذي يسيطر على الناس عند الحديث عن الاشعاع وأخطاره . وهذه الآثار البطيئة تنقسم بدورها إلى نوعين احدهما مرضيّ والثاني وراثي . والأول ينطوي على زيادة استهداف الشخص الذي يتعرض لاشعاع مرتفع ، وإن قل عن حد التلف العضوي المباشر ، للاصابة بالسرطان وللنقص في متوسط العمر . والثاني يتعلق بآثار تنتقل إلى ذريته عن طريق حدوث « طفرات » في جينات الوراثة في المصاب .

والحقيقة الواقعة هي أن آثار الاشعاع ربما كانت مدروسة ومفهومة فهما مفصلا يفوق ما نعرفه عن بعض الأخطار الأخرى التي ينعرض لها الانسان ، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أن علاج هذه الآثار قد حقق تقدما حاسما في جميع الحالات . والأمر الذي يعنينا هنا هو أن الموضوع الذي ما زال يحيط به قدر كبير من الحذر هو الآثار بعيدة المدى للتعرض للاشعاع بجرعات منخفضة جدا بفترات طويلة . ولا يملك العلماء الا القليل عن ما يعرفونه عن آثار الاشعاع بجرعات كبيرة ، ودون أن يتوفر لهم شواهد مؤكدة من نتائج التجارب الفعلية لوجود آثار سيئة للجرعات الاشعاعية الضعيفة على البشر . ونورد في الجدول التالي فكرة عامة عن آثار التعرض للاشعاع بناء على افضل ما يتوفر حاليا من المعلومات وأكثرها تحفظا .

مستويات الأخطار

مستوى الجرعة التي يتعرض لها الانسان دفعة واحدة (مللي ريم)	الآثار البيولوجيـــــة
أقل من ١٠٠٠	لا توجد معلومات مؤكدة والنتائج تحسب استطرادا من المتوفر من معلومات عن الجرعات الأعلى ، وبصرف النظر عن معدلات التعرض للجرعة ، أي زمن التعرض للجرعة الاجمالية
١٠٠٠	١٠٠ حالة لوكيميا (سرطان الدم) لكل مليون ممن يتعرضون لهذه الجرعة ، على المدى الزمني البعيد
أقل من ٢٥,٠٠٠	لا توجد آثار اكلينيكية ظاهرة لجرعات أقل من ٥٠,٠٠٠ ميللي ريم ، ولا يمكن الكشف عن الآثار إلا بوسائل مختبرية
أقل من ١٠٠,٠٠٠	لا تأثير يذكر على توقعات العمر
أقل من ٢٥٠,٠٠٠	حالات وفاة لا تكاد تذكر ، مع نقص واضح في توقعات العمر ، وظهور حالات القيء والاسهال ، وتساقط الشعر والغثيان والنزيف والحمى وفقدان الشهية والهبوط ، والشفاء خلال ثلاثة أشهر
٤٥٠,٠٠٠	الأعراض السابقة مع وفاة ٥٠٪ من المصابين في ظرف ثلاثين يوما ، واصابة الباقين على قيد الحياة بعجز دائم .
١,٠٠٠,٠٠٠	الأعراض السابقة والوفاة في فترة تقل عن ثلاثين يوما .

شكل (٤)



رسم تخطيطي يبين الزمن الذي ينقص قبل ان ينخفض الاشعاع الصادر من المادة الى نصف قيمته الاصلية

تساؤلات مشروعة

تبقى بعد هذا عدة تساؤلات مشروعة ، أولها عن جرعة السنويه التي نتعرض لها من مصادر طبيعية ، وهى في المتوسط حوالي ١٢٥ مللى ريم ، ولكنها ترتفع إلى ٥٠٠ ميللي ريم مثلا لمن يسكنون في مناطق جبلية مرتفعة ، أو إلى ٢٠٠٠ ميللي ريم بالقرب من مصادر طبيعية للاشعاع موجودة في التربة ، وهي تزداد كلما تعرضنا للكشف أو العلاج بالأشعة (الذى ينطوي أحيانا على جرعات مرتفعة جدا في تركيز على موقع معين في الجسم بغرض قتل الخلايا كنوع من العلاج !) أو كلما سافرنا بالطائرة ، أو جلسنا أمام شاشة التلفزيون أو حاسب آلي ، ويعني هذا اننا نتعرض في متوسط عدد سنوات عمر الانسان الى حوالي ١٠,٠٠٠ ميللي ريم من المصادر الطبيعية ، وأن هذا قد يزداد عدة أضعاف من مكان إلى مكان أو بسبب التاريخ العلاجي أو المرضي أو حتى تبعا لطبيعة المهنة

والسؤال الثاني المشروع هو ما هي توقعات الوفيات بالسرطان نتيجه التعرض لمصادر الاشعاع المحتلفة ؟ وهناك تقديرات لهذه التوقعات بالنسبة للولايات المتحدة ، نوجزها فيما يلي .

الأسباب	مصادر الاشعاع الطبيعية	الفحوص الطبية	السفر بالطائرات	بقايا التفجيرات النووية (١)	[illegible] بسبب الاشعاع	الأسباب الأخرى جميعا
متوسط عدد الوفيات بالسرطان في العام	٦٫٧٠٠	٣٫٣٠٠	٢٣٠	٢٣٠	١٠٫٤٣٠	٣٨٩٫٠٠٠

(١) قبل معاهدة الحد من الانتشار النووى

تقرير راسموسين

وكان من الطبيعي ، على ضوء هذه المعلومات أن يكون موضوع سلامة المفاعلات النووية ، وتقدير الآثار المحتملة لوقوع حوادث فيها ، محل اهتمام كبير ، ومن ثم ، كلف فريق من العلماء برئاسة أستاذ في معهد ماساتشوستس للتقنية في الولايات المتحدة ، عام ١٩٧٢ ، بدراسة سلامة المفاعلات ، وتقييم مخاطر وقوع حوادث فيها ، وصدر في عام ١٩٧٥ تقرير مشهور يعرف باسم تقرير راسموسين ، على اسم ذلك الأستاذ ، وقد طور هذا التقرير مفهوم «المخاطرة» تطويرا مهما يسمح بتقييمها عدديا بدقة أكبر ، وخلص التقرير إلى أن محطات الطاقة النووية قد حققت مستويات منخفضة من المخاطرة مقارنة بالكثير من الأنشطة الأخرى السائدة في المجتمع ، وقد تعرض التقرير للنقد من الكثيرين بعد صدوره ، كان من بينهم علماء وتقنيون من معضدي التوسع في استخدام الطاقة النووية ، إلا أنه عندما وقعت حادثة مفاعل « ثري مايل أيلند » لوحظ أن تسرب المواد المشعة كان أقل بكثير من المتوقع طبقا لتقرير راسموسين في حادث من هذا الحجم ، ودعا هذا الجمعية الأمريكية للفيزياء إلى تشكيل فريق علمي برئاسة الأستاذ ريتشارد ويلسون ، من جامعة هارفارد ، لاجراء دراسة أحدث لتسرب المواد المشعة بسبب حوادث جسيمة في محطات الطاقة النووية ، وتوفرت لهذا الفريق معطيات علمية وامكانيات للنمذجة باستخدام الحاسب الآلي ، تفوق ما كان متاحا لفريق راسموسين ، وخلصت اللجنة الى أن العواقب الوخيمة لتسرب مواد مشعة إثر حادث جسيم لا تحدث إلا اذا انهار العديد من الحواجز القائمة بين النشاط الاشعاعي والبيئة المحيطة بالمحطة (وهو ما يبدو أنه حدث في تشرنوبيل ولم يحدث في ثرى مايل أيلند) ، وخلصت حسابات الفريق إلى أن تقديرات راسموسين للتسرب الاشعاعي مبالغ فيها في بعض الحالات ، أو أنها لا تتغير كثيرا في حالات اخرى .

كما ان تقديره لاحتمال انهيار الوعاء الحاوي للمفاعل يكاد أن يكون ، طبقا لحساباتهم ، غير وارد في التصميمات الحديثة ، ولكنهم أشاروا إلى احتمالات أخرى ليس هذا مجال الخوض فيها ، وأوضحوا أنها ليست مفهومة فهما كاملا حتى الان ، وان كانت البحوث تجري في أماكن عديدة لاستجلاء المسائل التي مازالت غامضة

ومن المفيد أن نحاول شرح مفهوم المخاطرة في هذا السياق ، وهي تعرف بعدد حالات حدوث امر غير مرغوب فيه (مثل الوفاة) ، ويمكن حسابها عدديا بمعرفة حجم الخسائر (عدد حالات حدوث الأمر غير المرغوب فيه) ومعدلات وقوع حدث يؤدي إلى هذه الحالات على النحو التالي .

المخاطرة (الخسائر في العام) = معدلات الحدوث (عدد المرات في العام) × حجم الخسائر (في كل مرة)

فلو أن عدد حوادث القطار كان مثلا ١٠ حوادث في العام ، وكان متوسط الوفيات في الحادث الواحد حالتين ، فإن المخاطرة تكون ٢٠ في العام ، وتقدير مخاطرة وقوع حادث يعتمد على احتمالات وقوع الأنواع المختلفة من الحوادث وعلى نتائجها ، واحتمال حدوث سلسلة متعاقبة من الأحداث غير المرغوب فيها ، مثل تلك التي يبدو أنها وقعت في حادثة تشرنوبيل ، يساوي حاصل ضرب احتمالات حدوث كل واحد منها ، أي أنه سيكون أقل بكثير جدا من احتمالات حدوث أي منها منفردا ، ودون الدخول في التفاصيل الفنية الدقيقة . فإن هذا هو جوهر الطريقة التي اتبعت في تقرير راسموسين ، وكان تقديره لاحتمالات انصهار قلب مفاعل هو توقع حدوث مثل هذا الانصهار مرة كل أربعين عاما ، وهو التوقع الذي لا يختلف كثيرا عما حدث لو أخذنا في الاعتبار أن عمر محطات الطاقة النووية في الاتحاد السوفييتي قد تجاوز الثلاثين عاما[٢]. ومن الضروري

(٢) لابد من التأكيد هنا أن انصهار قلب المفاعل لا يؤدي بالضرورة إلى تسرب المواد المشعة ، إذ أن هذا مرتهن بالتحصينات المحيطة به وقدرتها على تحمل الاجهادات الناجمة عن الانصهار دون أن تتداعى وتسمح بانطلاق قدر كبير من هذه المواد . والتقدير السائد حاليا هو أن احتمالات انصهار قلب المفاعل ثم انهيار سلسلة التحصينات المحيطة بالمفاعلات الحديثة المزودة بأوعية احتواء شديدة المقاومة للانفجارات ، واحدة تلو الأخرى ، تكاد أن تصل إلى واحد في البليون !!

ان نؤكد قبل الانتقال إلى موضوع آخر أن هذه معالجة متسرة جدا لموضوع حساب الاحتمالات والمخاطرة

شعاع غير محسوس

أن مثل هذه الحسابات العقلانية للاحتمالات ليست ذات أثر كبير في الرأي العام ، فلا يعني مثلا أن نذكر الناس بأن احتمالات وقوع حوادث سيارات تسبب الوفاة أكبر جدا من احتمالات وقوع حادث لطائرة ، وأن حجم الخسائر في النوع الأول لا يتجاوز عددا محدودا جدا من الأفراد ، بينما قد يصل الى العشرات في النوع الثاني ، ومن ثم ، فإن المخاطر الناجمة عن حوادث السيارات ، والتي تساوي معدلات حدوثها مضروبة في الخسائر ، أعلى بكثير من مخاطر السفر بالطائرات ، ولا يعني بنفس القدر القول بأن المخاطر الناجمة عن حوادث المحطات النووية دون مخاطر النوعين السابقين من الحوادث كثيرا ولنضف إلى هذا أن الاشعاع أمر يثير الرهبة في النفوس لأنه شيء غير محسوس ، من ناحية ، ولأن آثاره على المدى الزمني البعيد مبعث خوف مفهوم في الانسان ، من ناحية ثانية ، لأنه يتجاوز في الانتشار الجغرافي لآثاره أيا من هذين النوعين

ولننظر الآن في أبعاد الأضرار التي نجمت عن الحادث الذي وقع في تشرنوبيل ، والذي كان مصدر الخطر الذي امتد ، بدرجات متفاوتة ، شمالا إلى اسكندنافيا ، وغربا إلى أواسط أوروبا ، وجنوبا إلى الشرق الأوسط ، وشرقا داخل الاتحاد السوفييتي نفسه . ولقد جاء الخطر من المواد المشعة التي تطايرت في الجو وحملتها التقلبات الجوية إلى هذه المناطق ، وواضح ، كما سبق أن أوضحنا ، أن الاشعاع الناجم عنها يتوقف على كمية المادة المشعة التي حملتها الرياح إلى أي مكان ، ونصف عمر كل واحدة منها ، والفترة التي انقضت منذ انطلاقها من حطام المفاعل حتى وصولها إلى هذا المكان ، وعلى سبيل المثال ، فإن آثار الحادث الذي وقع بين يومي ٢٥ و ٢٧ ابريل لم تظهر في الكويت إلا يوم ٣ مايو ، حين قفز الاشعاع المقيس في الجو بحدة حتى يوم ٧ ـ ٨ مايو ، ليعود بعد ذلك إلى الانخفاض ، وبحساب الجرعة السنوية الاضافية التي تعرض لها المواطنون لأهم مادتين مشعتين جرى رصدهما ، فقد قدّر تأثير كميات مادة السيزيوم ـ ١٣٧ وهي مادة ذات نصف عمر طويل يصل إلى ٣٠ عاما ، بتأثير الجلوس أمام التلفزيون لمدة ساعة إضافية ، وذلك بافتراض بقاء تأثيرها عند المستوى الأقصى الذي سجل يوم ١٩٨٦/٥/٨ ، ومع أنه انخفض بعد ذلك بحدة كما سبق أن ذكرنا ، أما تأثير مادة اليود ـ ١٣١ ، وبنصف عمرها ثمانية أيام فقط ، وبافتراض بقائها عند مستوى الذروة الذي سجل في ذلك اليوم والتغاضي عن الانخفاض الكبير الذي سجل بعد هذا التاريخ . وعن قصر نصف عمرها الذي يعني أنها ستختفي تماما من الجو بعد بضعة أشهر ، فهو أقل من تأثير سفرة بالطائرة من الكويت إلى لندن ذهابا وإيابا ! ويؤكد هذا أنه ليست للحادث أية آثار على جو الكويت تمثل خطورة حقيقية على المواطنين في الكويت ، لا في المدى القصير ولا على المدى البعيد

آخر البيانات المتاحة

وطبقا لآخر البيانات المتاحة عند الكتابة ، فقد توفي ستة وعشرون شخصا ، بينما أصيب ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ شخص إصابات استدعت بقاءهم في المستشفيات حتى الآن ، بينما أجلي حوالي ١٠٠,٠٠٠ من السكان من المناطق المحيطة بالمفاعل ، ومن المتوقع بالنسبة لهؤلاء أن يكونوا أكثر استهدافا للاصابة بالسرطان في السنوات المقبلة ، ومن ثم ، فإنهم سيخضعون لمتابعة صحية مستمرة بقية حياتهم ، وقد يظهر ما بين عشر حالات ومائة حالة إضافية ـ وربما أكثر من هذا قليلا ـ للاصابة بالسرطان بينهم ، وفقا للجرعات الاشعاعية التي تعرضوا لها ، وتؤكد جميع القياسات ونتائج الرصد إلى أن تأثير الحادث سواء على الجو أو المياه يكاد لا يذكر خارج المنطقة المحيطة مباشرة بالمفاعل .

ولقد ألغت معظم الدول الأوروبية المجاورة الاجراءات الاحترازية للوقاية من الاشعاع التي كانت قد اتخذتها في أعقاب الحادث ، في شأن غسل المواد الغذائية الطازجة ، أو منع تناول الحليب ، أو ابقاء الأطفال داخل المنازل ، أو فرض قيود على السفر ،

ومن المتوقع أن تلغي بقية الدول كل ما اتخذ من إجراءات احترازية خلال فترة قصيرة ، مع استمرارها في عمليات الرصد ودراسة البيانات وتحليلها ، اذ أن ذلك يوفر حصيلة وثروة علمية بالغة الأهمية بالنسبة للمستقبل تساهم في حسم الكثير من القضايا المعلقة في شأن آثار الجرعات الاشعاعية

خطط واحتمالات مستقبلية

ويبقى أخيرا النظر فيما يمكن أن تكون عليه عواقب هذا الحادث الذي شد انتباه العالم مرة أخرى إلى الأخطار التي تحيط بالطاقة النوويه ، وواضح أن ضغط الرأي العام الشعبي سيؤدي إلى توقف ، أو على الأقل تباطؤ العديد من مشروعات إنشاء محطات طاقة نوويه جديدة ، وان هذا سيساعد ، من بين ما سينجم عنه ، الى عوده أسعار النفط الى الارتفاع ، ولا شك ايضا أنه سيحفز العلماء والمهندسين إلى بذل جهود مضاعفة لمزيد من الدراسة المتعمقة لاستجلاء ما بقي من غموض حول الاحتمالات المترتبة على حادث نووي ، من ناحية ، والاهتمام مركز بزيادة سلامة محطات الطاقة النووية القائمة ، من حيث إجراءات تشغيلها ، ونظم ضبط الجودة فيما يستخدم فيها من المواد والمعدات ، وطرق اختبارها دوريا بأكبر قدر من الدقه والاعتماديه ، وبالذات في حسن إجراءات مواجهة الطوارئ، والتدريب المتواصل والفعال لكل الأفراد والهيئات المسئولة عن هذا الأمر ، لضمان عدم تكرار الارتباك والتصرفات غير المناسبة والبطيئة الذى يبدو أنها قد سادت في الساعات الأولى من كارثة تشرنوبيل ، والأهم من هذا كله هو التأكيد على ضرورة التعاون الدولي بلا قيود سياسية أو سلطوية في تبادل المعلومات والمساعدة في احتواء الأضرار ، وهو ما يبدو أنه قد بدأ بالفعل ، وأنه سيؤدي إلى أنماط جديده لمثل هذا التعاون

ومن المتوقع أيضا أن تبذل جهود علمية وتقنيه مركزة في اتجاهين مترادفين ، أولهما تطوير محطات أكثر سلامة مما هو متعارف عليه حاليا ، وتسير هذه الجهود في اتجاهين واعدين بتحقيق قفزة نوعيه في السلامه ، إما عن طريق استخدام موائع تشغيل (سوائل أو غازات) غير تلك التي استخدمت حتى الآن ، مثل الصوديوم السائل أو غاز الهليوم ، وإما بتصميم المفاعلات النووية بحيث يؤدي الخلل فيها إلى توقفها تلقائيا عن التفاعل النووي ، مثل استخدام شكل من أشكال الوقود يؤدي ارتفاع درجة حرارته أكثر مما هو مسموح به إلى توقف عملية الانشطار النووي فيه ، والاتجاه المرادف هو عوده الاهتمام بدرجات أكبر لتطوير مصادر الطاقة المتجدده التي تباطأ السعي في تطويرها بعد انخفاض اسعار النفط ، ولا شك ان الطاقة الشمسيه معين غزير بالطاقه غير الناضبه ما بقيت هناك حياة على سطح الأرض ، إلا أنه لم تظهر بعد على الأفق بشائر طفرة علميه ـ تقنيه توفر طريقه مجديه للاستغلال الاقتصادي للطاقة الشمسية على نطاق كبير ، يقترب من احجام الطاقة المتولدة في محطات الطاقة الكبرى المنتشرة اليوم في العالم ، ومن السابق لأوانه الجزم بأن الطاقة النوويه في طريقها إلى الانحسار الدائم او الاختفاء ، فالتعامل معها ، كما قال واحد من كبار العلماء الأمريكيين ، يمثل نوعا من الصفقة التي عقدها فاوست مع الشيطان في روايه جوتة الشهيرة ، وهو لا يختلف كثيرا عن تعامل الانسان مع النار أو الكيماويات البالغة السمّية ويبقى بعد هذا وذاك ، أمل كبير يسعى العلماء في كل مكان منذ سنوات عديدة لتحقيقه ، ألا وهو توليد الطاقة عن طريق الانصهار النووي ، وليس الانشطار ، وعندما يتحقق هذا بأسلوب عملي سيتوفر للبشرية مصدر للطاقة لا ينضب ، ولا تنتج عنه إشعاعات خطرة ، ولا مخلفات ذات آثار بيئية مدمرة ، لسنوات طوال ، بل طالما بقي الانسان □

■ ليست العظمة في ألا تسقط أبدا ، بل في أن تسقط ثم تنهض من جديد .

(كونفوشيوس)



رشدية.. عربية أم لاتينية ؟

بقلم : الدكتور محمد عابد الجابري*

هل لابن رشد أتباع في الفكر الفلسفي العربي ؟ وهل هناك رشدية عربية بالمعنى الاصطلاحي ؟ وماذا عن التيار الذي عرف في الغرب « بالرشدية اللاتينية » ؟ عن هذه التساؤلات وعن غيرها من فلسفة ابن رشد يجيب هذا المقال .

« الرشدية » نسبة الى ابن رشد الفيلسوف « المعروف » ـ ونضع كلمة «معروف» بين مزدوجتين تحفظا ، لأننا لانعتقد أن ابن رشد معروف فعلا بالقدر الكافي ، القدر الذي يعرف به ابن سينا أو الغزالي مثلا ، أو الذي يعرف به الاوروبيون ديكارت أو سبينوزا أو لوك أو روسو الخ ـ والمقصود بـ « الرشدية » مضمون فكر ابن رشد ، مضمونه النسقي العام وبعبارة أخرى أن المقصود ليس أقوال ابن رشد وآراءه في هذه المسألة الجزئية أو تلك ، في هذا المجال أو ذاك ، ولا حتى مجموع هذه الاراء معروضة عرضا يسوده السرد والانتقال ، من موضوع الى موضوع انتقالا يخضع للاتفاق والمصادفة أو لرغبة الراوي العارض ، بل المقصود من « الرشدية » ، في اصطلاحنا هنا ، هو النظام الفكري العام الذي تندرج تحته جميع القضايا والمسائل التي بحثها ابن رشد ، وأدلى فيها برأي ، وأيضا جميع القضايا والمسائل التي تقبل الاندراج تحت نفس النظام الفكري ، حتى لو لم يبحثها صاحبه أو يدل فيها برأي صريح

تحديد عام

والرشدية في هذا مثلها مثل المذاهب الفلسفية التي من هذا النوع كالسينوية ، نسبة الى ابن سينا ، أو

* أستاذ الفلسفة بجامعة محمد الخامس بالرباط ، باحث ومفكر ، وله عدد من المؤلفات في الفكر والفلسفة

الديكارتية نسبة الى ديكارت ، أو الهيجلية نسبة الى هيجل ، بل مثلها مثل المذاهب الفكرية والدينية التي تنطلق من منطلقات معينة ، لتنتهي الى نتائج معينة ، تحدها حدود معينة ، مثل المذهب المعتزلي والمذهب الأشعري . . الخ ، أقول ان الرشدية مثلها مثل هذه المذاهب جميعا ، لا تتحدد بما تقرره أو تصرح به أو تصدره من فتاوى وحسب ، سواء كان ذلك مما يدخل في حيز الفعل ، فعل التقرير والتصريح والافتاء ، أو مما يدخل في حيز الامكان ، بل انها تتحدد كذلك بما تسكت عنه لكونه يقع خارج مجال رؤيتها وبعيدا عن مركز اهتمامها .

قد يتفق معنا القارىء حول هذا التحديد العام ـ أعني الاجمالي الذي يحتاج الى مزيد دقة ـ لمعنى النظام الفكري الذي نسميه الرشدية أو السينوية أو الديكارتية . . الخ ، ولكنه قد يعترض ، ومن حقه أن يفعل ، على العبارة التي وضعناها عنوانا لهذه المقالة « العجالة » : عبارة « الرشدية العربية » . ذلك أن من المعروف تاريخيا أن فلسفة ابن رشد لم يكن لها ما بعدها في الثقافة العربية ، وان أي أحد من المفكرين داخل هذه الثقافة لم يستأنف التفكير فيها ، لا اتباعا وتقليدا ولا اعتراضا وتفنيدا ، وانما المعروف تاريخيا هو أن فلسفة ابن رشد قد انتقلت بعد وفاته مباشرة الى أوروبا ، حيث كان لها هناك أتباع وشأن لمدى أربعة قرون على الأقل ، من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، وقد عرف أتباعها في تاريخ الفكر الأوروبي في العصور الوسطى باسم « الرشديين اللاتينيين » ، وعرف التيار الفكري الذي أوجدوه بـ « الرشدية اللاتينية » .

واذن ، هناك رشدية لاتينية معترف بها تاريخيا ، ومعروفة تفاصيلها لدى المختصين في الفلسفة الأوروبية ، فلسفة العصور الوسطى منها خاصة ، وبالمقابل هناك « غياب » لآثار فكر ابن رشد في الثقافة العربية الاسلامية ، فكيف يمكن الحديث اذن عن « رشدية عربية » ؟ .

اعتراض مشروع . . ولكن الجواب عنه غير ممتنع ، وفيما يلي بعض المعطيات التي تجعل الحديث عن « الرشدية العربية » ممكنا بل مبررا .

ان فكر ابن رشد فكر منظومي ، بمعنى أنه يصدر في تفكيره عن جملة من المبادىء والأصول ، يلتزم بها التزاما ، فيفهم على ضوئها ما يعترضه أو يعرض عليه من المسائل ، ويقرر بالاستناد عليها وعلى مقتضياتها ما يصدره من أحكام ، ويصل اليه من نتائج ، مما يجعل الحديث عن الرشدية بالمعنى الذي حددناه قبل هذه الصيغة ومثيلاتها ، حديثا مشروعا تماما .



ابن رشد

الرشدية اللاتينية

ان ما يسمى بـ « الرشدية اللاتينية » ـ ويجب أن نضيف أيضا « الرشدية العبرية » كما سنبين فيما بعد ـ هي قراءة خاصة لبعض جوانب فكر ابن رشد ، وليس لفكره ككل ، وبما أن هذه القراءة قد تمت عبر الترجمة من العربية الى اللاتينية ، أو من العربية الى العبرية ، ومن هذه الى اللاتينية ، من جهة ، وبما أن هذه القراءة قد تمت ، من جهة أخرى ، داخل ثقافة تختلف بمرجعيتها وبمشاكلها وأشكالياتها عن الثقافة التي فكر داخلها ابن رشد وبوحي من قضاياها

الخاصة ، فانه من المنتظر ، وهذا ما حصل فعلا ، أن تتلون الرشدية اللاتينية بأطياف غير عربية وغير اسلامية ، أو على الأقل لم تكن مطروحة في الساحة الثقافية العربية بنفس الصورة التي طرحت بها في الثقافة اللاتينية المسيحية ، والنتيجة هي أن الرشدية اللاتينية هذه لا تعبر عن فكر ابن رشد ، كما يمكن أن يقرأ ويفهم في الثقافة العربية الاسلامية ، وما دام الامر كذلك ، فلماذا سنسمي الرشدية المقروءة والمفهومة داخل الثقافة العربية ، وعلى ضوء معطياتها الخاصة ، اذا لم نسمها : « الرشدية العربية » .

سيقال ان « الرشدية العربية » بهذا المعنى ، هي ما كان سيكون لو أن فلسفة ابن رشد كان لها ما بعدها في الثقافة العربية ، لو أن ابن رشد كان له أتباع وأنصار ، ولو أن الأطروحات التي قال بها قد أعيد فيها التفكير واستؤنف فيها النظر من بعده . أما وأن هذا لم يحدث ، فان « الرشدية العربية » لا تعدو أن تكون مشروعا فكريا بقي في حيز الامكان ، ولم يخرج الى حيز الوجود .

والجواب أن هذا الاعتراض انما يستند الى فهم ضيق لمعنى « الرشدية » ، المعنى المستوحى من مضمون الرشدية اللاتينية ، ذلك أن ما غاب من الرشدية عن الثقافة العربية ، بعد ابن رشد ، هو الجانب الارسطوطاليسي منها · أعني تأويل ابن رشد للمسائل التي تركها أرسطو معلقة ، وبكيفية عامة فهم ابن رشد لأرسطو ككل ، ولكن الرشدية ليست مجرد « شروح ابن رشد على أرسطو » بل هي أيضا ردوده على الغزالي وابن سينا ونقده لمذهب الأشاعرة ، وتحليله لـ « مناهج الأدلة في عقائد الملة » وتقريره لنوع « الاتصال » القائم بين الشريعة والحكمة ، ليس هذا وحسب ، بل ان الرشدية هي أيضا ـ وهذا أهم من وجهة نظرنا ـ منهج ومفاهيم ورؤية ، أعني أنها نظام معرفي أطلق عليه ابن رشد اسم « البرهان » ، وهذا النظام المعرفي البرهاني الذي يؤسس الرشدية ، والذي بلغ أوج نضجه في الثقافة العربية الاسلامية من خلالها ، يرجع تاريخ تبلوره في هذه الثقافة الى ما قبل ابن رشد ، وبالتحديد الى ابن حزم وابن باجة ، كما أن « توجيهاته » بقيت حاصرة في هذه الثقافة نفسها الى ما بعد ابن رشد . اذ نجد بصماتها واضحة في فكر ثلاثة من أكبر مفكري الاسلام بعد ابن رشد هم ابن تيمية والشاطبي وابن خلدون ، واذن فـ « الرشدية العربية » هي النظام الفكري الذي صدر عنه ، بهذه الدرجة أو تلك ، مفكرون مسلمون يحتل ابن رشد واسطة عقدهم ، ليس هذا وحسب بل انها أيضا ما يمكن أن يبعث اليوم من فكر ابن رشد ، أعني ما يشكل استئناف النظر فيه أحد عناصر الأصالة التي ننشدها لفكرنا العربي المعاصر .

الحديث عن « الرشدية العربية » ، اذن ، ليس ممكنا وحسب ، بل هو مطلوب أيضا في زمننا العربي الراهن ، الزمن الذي يحتاج الى روح ابن رشد ، روحه النقدية العقلانية

شخصية ابن رشد

يقول ارنيست رينان المفكر والباحث الفرنسي المعروف في كتابه « ابن رشد والرشدية » (ظهر هذا الكتاب أول مرة عام ١٨٥٢ ، ونقله عادل زعيتر الى العربية عام ١٩٥٧ ، أي بعد أكثر من قرن من تأليفه ، وما زال هذا الكتاب أهم مرجع حول « الرشدية اللاتينية » ، يقول . ان شخصية ابن رشد في الفلسفة السكلائية ، وهي بصورة عامة الفلسفة الاوروبية في القرون الوسطى ، « شخصية مضاعفة » · فمن جهة كان ينظر الى ابن رشد على أنه « الشارح الأكبر » لمؤلفات أرسطو ، الشارح الذي كان يحظى بالتقدير والاحترام ، حتى من أولئك الذين كانوا يناهضونه ويردون عليه من رجال اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى ، ومن جهة أخرى كان ينظر اليه من طرف هؤلاء أنفسهم على أنه « عدو الأديان وأبو الزنادقة والمبشر بالدجال »

وهذه « الشخصية المضاعفة » ، أو على الأصح هاتان النظرتان المتناقضتان اللتان تقاسمتا رأي رجال الفلسفة واللاهوت في أوروبا القرون الوسطى حول ابن رشد ، نجد ما يشبههما لدى « رجال الفكر » في الثقافة العربية ، سواء أثناء حياة ابن رشد أو بعد مماته

فابن الأبار يترجم له في كتابه « التكملة لكتاب الصلة » بعبارات كلها اجلال وتقدير ، يقول فيها : « محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها ، يكنى أبا

الوليد ، روى عن أبيه أبي القاسم ، استظهر عليه الموطأ حفظا ، وأخذ يسيرا عن أبي القاسم بن بشكوال ، وأبي مروان بن مسرة ، وأبي بكر بن سمحون ، وأبي جعفر بن عبدالعزيز ، وأجاز له هو وأبو عبدالله المازري ، وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن حربول البلنسي ، وكان الدراية أغلب عليه من الرواية ، درس الفقه والأصول وعلم الكلام وغير ذلك ، ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا ، وكان على شرفه أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا ، عُني بالعلم من صغره الى كبره ، حتى حكي عنه أنه لم يدَع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذب واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة ، ومال الى علوم الأوائل ، فكانت له فيها الامامة دون أهل عصره ، وكان يفزع الى فتواه في الطب كما يفزع الى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والاداب ، حكي عنه أبو القاسم بن الطيلسان ، انه كان يحفظ شعري حبيب (أبي تمام) والمتنبي ، ويكثر التمثل بها في مجلسه ، ويورد ذلك أحسن ايراد ، وله تصانيف جليلة الفائدة ، منها كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه أعطى فيها أسباب الخلاف ، وعلل فوجّه ، فأفاد وأمتع به ، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقا ، وكتاب « الكليات » في الطب و « مختصر المستصفى » في الأصول وكتابه بالعربية الذي وسمه بـ « الضروري » (في النحو) وغير ذلك ، وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث ، فحمدت سيرته وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ، لم يصرفها في ترفيع حال ولا جمع مال ، انما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ، ومنافع أهل الاندلس عامة . وامتحن باخرة من عمره فاعتقله السلطان وأهانه ، ثم عاد فيه الى أجمل رأيه ، واستدعاه السلطان الى حضرة مراكش ، فتوفي بها يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة ومولده سنة عشرين وخمسمائة » واذا كان ابن الأبار يبرز في ثقافة ابن رشد الجانب « البياني » منها ، أعني تضلعه في العلوم العربية الاسلامية ، فإن ابن أبي أصيبعة ، الذي استبعد الجوانب الأساسية من ترجمة ابن الأبار ، يبرز بصورة خاصة الجانب الاخر من ثقافة صاحبنا ، جانب المعرفة بالطب والفلسفة وعلومها ، فيذكر قائمة بأسماء كتبه في هذه العلوم ، بالاضافة الى مؤلفاته في علوم الدين واللغة ، واصفا اياه بأنه « مشهور بالفضل ، معتنٍ بتحصيل العلوم ، أوحد في علم الفقه والخلاف » (بين المذاهب الفقهية) وانه « كان أيضا متميزا في علم الطب ... جيد التصنيف حسن المعاني» كما كان « حسن الرأي ذكيا ، رث البزة ، قوي النفس ... »

ابن رشد والمحنة

والى جانب هذه الصورة الموضوعية التي يقدمها لنا عن ابن رشد مؤرخو الفكر ورجاله في الثقافة العربية الاسلامية ، هناك صورة أخرى ينقلها هؤلاء أنفسهم ، كما ينقلها غيرهم ، عن خصوم ابن رشد في حياته والشامتين فيه أثناء محنته ، وتتركز خطوط هذه الصورة ، صورة ابن رشد في نظر خصومه ، حول الاسباب التي جعلت الخليفة الموحدي يعقوب المنصور يغضب عليه ويهينه وينفيه الى قرية اليسانة خارج قرطبة ، والتهمة الرسمية التي وجهت الى ابن رشد ، والتي بها حوكم ونفي ، هي اشتغاله بعلوم الأوائل وشرح كتبهم

ينقل الأنصاري أن ابن رشد « كان من أهل العلم والتفنن ، وأخذ الناس عنه واعتمدوه ، الى أن شاع عنه ما كان الغالب عليه في علومه من اختيار العلوم القديمة والركون اليها وصرف عنايته جملة نحوها ، حتى لخص كتب ارسطو الفلسفية والمنطقية واعتمد مذهبه فيما يذكر عنه ويوجد في كتبه ، وأخذ ينحي على من خالفه ، ورام الجمع بين الشريعة والفلسفة ، وحاد عما عليه أهل السنة ، فترك الناس الرواية عنه ... وتكلموا فيه بما هو ظاهر من كتبه »

ولا يذكر الذين رووا أخبار محنته مسألة معينة خالف فيها الدين ، واستوجبت محاكمته وابعاده ، سوى قوله ناقلا عن اليونانيين أن « الزهرة أحد الالهة » ، يذكر الذهبي « ان قوما ممن يناوئه بقرطبة ويدعي معه الكفاءة في البيت والحشمة ، سعوا به عند أبي يوسف (يعقوب المنصور الموحدي) بأن أخذوا بعض تلك التلاخيص ، فوجدوا فيه بخطه حاكيا عن بعض الفلاسفة : قد ظهر أن الزهرة أحد الالهة ،

فأوقفوا أبا يوسف على هذا ، فاستدعاه بمحضر من الكبار بقرطبة ، فقال له . أخطك هذا ؟ فأنكر ، فقال : لعن الله كاتبه ، وأمر الحاضرين بلعنه ، ثم أمر باخراجه مهانا وبابعاده ، وابعاد من تكلم في شيء من هذه العلوم وبالوعيد الشديد ، وكتب الى البلاد بالتقدم الى الناس في تركها ، وباحراق كتب الفلسفة ، سوى الطب والحساب والمواقيت »

ملك البربر . . أم البرين

ويذكر المؤرخون ، بالاضافة الى ما تقدم ، أن المنصور الموحدي حقد على ابن رشد لكونه قال في شرح كتاب الحيوان لارسطو ، عند ذكره الزرافه « رأيتها عند ملك البربر » ، يعني المنصور « فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان أحد الأسباب الموجبة في أنه نقم على ابن رشد وأبعده ، ويقال أن مما اعتذر به ابن رشد أنه قال · انما قلت . ملك البرين (بر الأندلس وبر المغرب) وانما تُصُحِّفت على القارىء فقال ملك البربر » كما يذكرون من أسباب نقمة المنصور عليه أنه كان بينه وبين يحيى أخي المنصور ، ووالي قرطبة ، علاقات صداقة خاصة ،

وكان بين المنصور وأخيه يحيى هذا ، حين ذاك ، نفور وجفوة ، كما يذكر المؤرخون من أسباب حقد المنصور على ابن رشد أن هذا الأخير لم يكن يراعي مقام المنصور كخليفة عند الكلام معه في مجالسه ، اذ كان يخاطبه بقوله · « تسمَعْ يا أخي »

والذي يظهر مما يذكره المؤرخون عن أسباب محنة ابن رشد هو أن السبب الحقيقي كان سببا سياسيا ، ذلك أن المحنة التي تعرض لها ابن رشد شملت أيضا « جماعة أخر من الفضلاء الأعيان ، وكان من بينهم فقهاء وقضاة لم يكونوا من الفلاسفة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجمع المؤرخون على أن المنصور عفا فيما بعد عن هؤلاء جميعا ، وأعاد اليهم اعتبارهم ، وردهم الى مكانتهم ، وفي مقدمتهم ابن رشد نفسه الذي استدعاه المنصور الى بلاطه بمراكش فـ « عاد الى أجمل راية » كما يقول ابن الأبار ، ليس هذا وحسب ، بل ان المنصور نفسه « لما رجع الى مراكش نزع عن ذلك كله (أي عن غضبه على الفلسفة والفلاسفة) وجنح الى تعلم الفلسفة ، واستدعى ابن رشد للاحسان اليه فحضر »

لنضف أخيرا أن ابن رشد تعرض لهذه المحنة في أواخر عمره ، قبل وفاته ببضع سنين فقط ، أي بعد أن قضى أكثر من أربعين عاما في الاشتغال بالفلسفة وعلومها ، وبعد أن انصرف الى شرح كتب أرسطو بأمر من الخليفة الموحدي أبي يعقوب والد المنصور كل ذلك لايدع مجالا للشك في أن السبب فيما تعرض له ابن رشد و « جماعة الفضلاء الأعيان » من نفي وابعاد ، كان سببا سياسيا ، وانه عندما زال هذا السبب رفعت المحنة عن الضحايا المبعدين ، وأعيدوا الى سابق شأنهم ومكانتهم

وبعد ، فان المرء لا يملك الا أن ي..ث شكا لا حدود له في صحة ما ينسب الى ابن ر..د من تهم في عقيدته ودينه ، وهي بعد تهم غير محددة ، وانما هي مجرد تأويل عليه من طرف المنافسين له والحاقدين ، هذا عن ابن رشد العربي ، ابن رشد الحقيقي ، أما عن « ابن رشد » الاخر ، إمام « الرشديين اللاتينيين » فقد اتهمه رجال الدين المسيحي بالالحاد ، ليس فقط لأنه كان يقرر آراء « الوثنيين » بل أيضا لأنه كان عربيا مسلما من أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) . □

■ **هذه السيدة التي هي أوهى من خيوط العنكبوت كانت لي حصنا (فريد الدين العطار عن أمه وهو وزير) .**

■ **العقاب قد يمنع الاندفاع الى الشر ، ولكنه لا يدفع أبدا الى الخير (هوراس مان) .**



الله.. والإنسان.. والحرية

بقلم : الدكتور حســـان حتحوت

لن يكون للإنسان شأن إلا بالحرية ، ولن ينهض من كبوته إلا بالحرية ، ولن ينعم بانسانيته إلا بالحرية ، فالحرية هي الحياة ، وهي سر الإنسانية .

اما ان الله موجود فنعم . . الله موجود وعالية الناس الآن في عالمنا هذا تنكره أو تعرفه ، ولكن تجهل حقه .

فالله موجود تراه البصيرة ، فان عميت البصيرة دل عليه العقل ، فانك ان تصفحت القاموس فرأيت فيه الكلمات مرتبة حسب ترتيبها الأبحدي في نظام لا يختل ، ثم أخبرك صاحب ان هذا نتج عن انفجار قنبلة في مطبعة ، تطايرت به الحروف الى السماء فلما وقعت على الأرض وجدت - هكذا - مرتبة بترتيب القاموس ، لما قبل عقلك العلمي هذا التفسير ، ولما قبلته فطرتك السليمة . . . ولو حدثك محدث عن الصحراء وما فيها من صخر ورمل وعيون ماء وواحات ذات أشجار وجبال مختلف ألوانها مما بها من معادن ، ثم سرت في الصحراء فوجدت هذه المكونات ذاتها ، ولكن على هيئة قصر فاخر منمق ومرتب ، لاستحال لديك أن يكون القصر قد تكون عشوائيا أو طبيعيا مادامت مكوناته موجودة ، ولأكدت أن هذا البناء وراءه مهندس حتى ولو لم تشاهد هذا المهندس . . ذلك بأن الصنعة دليل على وجود الصانع ، ويجول خاطرك العلمي في محتويات هذا الكون من الذرة الى المجموعة الشمسية ، ومن كرة الدم الحمراء الى الكبد الذي يعتبر أضخم معمل كيميائي معروف ، الى قوانين الطبيعة والكيمياء والحياة ، فترى في كل منها ماهو أكثر صنعة واحكاما من قاموس مرتب أو قصر مشيد . . . فالخلق دليل على وجود الخالق ، والله اذن حق

بين الخير والشر :

وخلق الله الخلق . . أصغر ما فيه الذرة ، وهذه تحكمها قوانين علم الطبيعة وتلتحم الذرات لتكون جزيئات ، تلتحم فيها بينها كذلك في نطاق قوانين الكيمياء . . وتتعقد الجزيئات حتى تصل الى جزيء حمض النوويك ، ذلك الذي يقدر أن ينشطر الى

نصفين يستطيع كل منهما ان يكمل نفسه الى جزيء كامل جديد ، أي أن له خاصية النماء . . فهي اذن الحياة في أول أدوارها . ثم تتعقد صور الحياة وتتشعب ، ولكن وحدتها دائما جزيء حمض النوويك ، وترتقي الحياة في تراكيبها من المكروب الى الحشرات الى الطير والحيوان الى الانسان . . كل أطوارها تدور حول حامض النوويك ، وكل تركيبها من مادة الأرض وما يصنعها من ذرات ومن جزيئات ، وننظر الى الانسان ما هو وأين هو من ذلك السُلّم ؟ الذرات فيه تحكمها قوانين الذرة ، والجزيئات فيه تحكمها قوانين الجزيئات ، والحياة فيه تحكمها قوانين الحياة . . وليس ذلك قصرا على الانسان ، اذ يشاركه فيه الحمار والحصان والقرد والكلب والجاموس ، التركيب الكيميائي واحد ، والوظائف الحياتية واحدة ، ولا يكاد الغذاء والنماء والهضم والاخراج ودورة الدم والتنفس والتناسل والتحرك يختلف بين الانسان والحيوان . . فهل الانسان حيوان ؟

الجواب لا . . لأن الانسان صعد على السلم درجة لم يصعدها غيره . . وهي التي ميزت الانسان انسانا ولم تتركه حيوانا . . ارتقى الانسان فوق قوانين الحياة الى دائرة قوانين الأخلاق ، ولو لم يجاوز الانسان حيوانيته الى تلك المنطقة لظل حيوانا ، ولعله لم يكن آنذاك خير حيوان . . فالأسد أقوى منه ، والحمار أصبر منه ، والفهد أسرع منه ، والنمل أدق منه نظاما ، والأرنب أغزر منه ذرية ، ولكن الانسان صاحب الدرجة الرفيعة ، لانه جاوز عالم لحمه ودمه الى عالم الضمير والأخلاق والوجدان ، لم نعرف حماراً جاع فتعفف عن حزمة برسيم حاضرة لأنها لا تخصه ولكن تخص حماراً آخر . . أو عطش والماء أمامه فلم يشرب لأنه يهذب نفسه بالصيام ، أو ناداه الجنس فتعفف لأن الأتان السانحة غير حليلته ، الحيوانات تتصرف بغرائزها المركوزة فيها فقط . . وهكذا أراد لها خالقها ، فهي لم تزود بمفهوم الخير والشر ، وحتى الملائكة التي تفعل الخير ولا تفعل الشر فإنها لا تعرف الشر . . الا الانسان . . . فقد زوده خالقه بمفهوم الخير والشر ، وبالعقل الذي يفرق بينهما ، وبالجهاز الداخلي الذي يقرر ما يختار إنْ تصارع الاغراء مع الواجب ، والحق مع الباطل والحلال مع الحرام . . ومادام الانسان هو الذي يختار ، فهو اذن مسئول عن اختياره ومُحاسب عليه .

الحريــــة والأمانة :

الانسان وحده هو الذي يعيش حياة مستمرة من التحليل واصدار القرار ثم تحمل مسئولية قراره ، ولعل هذا هو معنى الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان . ولعل الله من أجل ذلك أمر الملائكة أن تسجد له رغم علمها أنه يصيب ويخطيء ، ويفسد ويصلح ، ويتبع الحق أو يسفك الدماء ، وتنمو الانسانية وتتعقد الحياة ، فيرسل الله بالرسل والشرائع تبين مواطن الشر ، وتدل الى مواطن الخير ، وتذكر الانسان بمسئولية القرار وعاقبة الاختيار عندما يحين وقت الحساب .

ويقضي العقل والمنطق وعدالة الله انه لا مسئولية على فاقد الاختيار ، ولما كان الله قد أكد للانسان أنه مسئول ، فمعنى ذلك أن الله وهب الانسان الحرية ، بل ان هذه الحرية هي روح انسانية الانسان التي هو بها انسان . فإن ضاعت الحرية ضاعت الانسانية . . الفكرة الكامنة وراء خلق الله للجنس البشري هي مشيئته تعالى ان يخلق جنسا يتفرد على غيره من الأجناس بأنه الجنس ذو الحرية . . واذن فهو الجنس ذو المسئولية

وعندما أنزل الله تعالى دينه الخاتم جعل الدخول فيه عن حرية . . فقال « لا إكراه في الدين » وأمر نبيه عليه السلام أن يدعو الى الحق « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وحدد له مهمته فقال « انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ، وبين له اداة الدعوة فجعلها « بالحكمة والموعظة الحسنة » ، وحذره من أن يستبد به الحزن ان لم يستجب الناس لدعوته « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » هذه وأمثالها وصايا تحرص كل الحرص على حرية الانسان فيما يختار ، ففي أصل قضاء الله أن الناس أحرار .

الشريعة والأخلاق والضمير :

وليس من تفسير الحرية ان يعيش الناس بغير شرائع أو قوانين . . فهذه من ضرورات الحياة الانسانية ، فلا قيام للمجتمع إلا بها ، وهي تنظم المجتمعات بما يكفل أن تطاق الحياة وتُصان الحقوق وتُمارس الحريات كذلك ، وأصلح الشرائع للانسان ما ارتآه خالق الانسان ، وهو أعلم به من نفسه . .

والشريعة أمر تنظيمي لا يغني عن الأخلاق والضمير ولا هو بديل لهما . والغاية في الشريعة لا تبرر الوسيلة ولو كانت الغاية خيرا . . ففي شريعة الاسلام مثلا أن القاضي لا يحكم بما يعلم ، فإذا كنت أنا قاضيا وتصادف أن شهدت انسانا يسرق آخر ، ثم عُرضت عليَّ القضية في المحكمة ، فالواجب أن ينبني حكمي على الأدلة القانونية المقدمة ، فاذا لم تتوفر ، حكمت بالبراءة لعدم كفاية الأدلة ، وإلا تنحيت عن النظر في القضية الى قاض آخر ، وتقدمت أنا كمجرد شاهد . ونعلم أن عمر ابن الخطاب سمع ان ناسا يسكرون في حوش دارهم ، فارتقى سور البيت وضبطهم ، ولكنهم أفحموه بأن دليله مقيت شرعا فقد تجسس عليهم والله يقول : « ولا تجسسوا » وجاء من على السور والله يقول : « وأتوا البيوت من أبوابها » ولم يستطع عمر أن يصدر عليهم حكم ادانة . . ونعلم ان رجلا ذهب الى النبي (عليه الصلاة والسلام) يقول شاهدت فلانا يزني بفلانة ، فيغضب عليه السلام ويقول : « لو سترتها بطرف ردائك لكان خيرا لك » ، لأن الإدانة الشرعية ـ لا المعصية ـ لا تتم الا بشهود أربعة ، فلم يفعل الشاكي اذن الا أنه ارتكب اثم التشهير ، أما المعصية خارج طائلة القانون ففي نطاق حريات الناس التي يحاسبهم عليها رب الناس ، والقانون كذلك لا تنفذه الا السلطات القانونية . .

لأنه مادام الانسان لا يملك الأهلية القانونية ـ فلا يمكن له ان يمارس على الناس سلطانا أو قهرا أو ارهابا أو ضغطا ، حتى ولو كان القصد حملهم على الصواب ، إلا في المَوَاطِنْ التي يبيح القانون فيها التدخل المباشر لتغيير الباطل باليد .

فالأفراد الّذين يريدون قسر الناس على سلوك ما ، أو على مظهر معين ، أو قبول أمر أو رفض أمر ، يتجاوزون حدّهم ، ويعتدون على حريات الناس ويجاوزون فطرة الله وتعاليم دينه ، وكان أحرى بهم أن يلجأوا الى الحكمة والموعظة الحسنة ، واستمالة الناس الى الصواب وتألفهم على النهج القويم بالحسنى والمحبة .

والسلطات كذلك ينبغي ان تلتزم بتطبيق القانون بأمانة ، وحيث تنتهي حدود القانون ، فالناس أحرار فيما تفكر وتعتقد وتقول وتعمل ، وكل ما لا يقع تحت منطوق القانون فالعمدة فيه على الضمائر والأخلاق ، وهذه لا تُقوّمها العصا ، ولكن القدوة الطيبة ، والتربية والارشاد .

الاسلام والحرية :

والحكومات التي تصادر حريات الناس مصادرة مباشرة أو غير مباشرة ، ظاهرة أو خفية ، بالصراحة أو التزييف . . حكومات ملعونة ، لأنها باهدار الحرية تهدر انسانية الانسان ، ان النبي عليه الصلاة والسلام في هجرته من مكة الى المدينة لم يكن رجلا خاف على حياته ففر ، بل كانت الرحلة وما سبقها من تخطيط طويل لها نقلا للدعوة من أرض قهر الى أرض حرية ، فما كادت تستظل بالحرية في المدينة المنورة حتى استقرت الأمة والدولة ، وفي أقل من قرن من الزمان أظلّت أكثر من نصف العالم المعروف ، وحققت معجزة عسكرية واجتماعية وحضارية ، ان شجرة الاسلام لا تنمو الا في جو الحرية . فاذا غابت الحرية ضمرت وذوت ولم تزهر ولم تثمر وان طلوا أوراقها بالخضرة وعلقوا فيها فاكهة اصطناعية .

ان وقوع أمة الاسلام في قبضة الدكتاتورية بعد الخلفاء الراشدين قد حكم عليها بالشر والوبال وان طال المطال . . لقد كانت الحضارة الاسلامية من صنع أمة الاسلام مندفعة بالانطلاقة الأولى مستمدة من المنبع الصافي . . ولكن الجراثيم الفتاكة عندما تدخل الجسم تستغرق ما يعرفه الأطباء بفترة الحضانة ، وقد طالت ، ولكن الى حين ، ثم غربت شمسها وتكالبت عليها الأمم أو الطواغيت .

ولن تنتعش الشجرة من جديد الا بالحرية . ولن يكون لنا وزن أو شأن الا بالحرية ، ولن نستكمل عزتنا أو ننهض من كبوتنا الا بالحرية ، ولن ننعم بانسانيتنا الا بالحرية ، فالحرية سر الانسانية وشرط الانسانية .

الحاكم القوي :

ان حاكما وفر للناس مطالبهم الحياتية من طعام ، وشراب ، ومسكن ، ومركب ، ونعمة حسية ، وعنى سابغ ، ولكنه لم يوفر هم الحرية ، إنما أحال رعيته الى حيوانات مُنعَّمة ، كما يكرم المرء حصانه أو كلبه ، لأن فرق الانسان من الحيوان كما بينّا يكمن في الحرية .

وليس مثل هذا الحاكم حرا يستعبد عبيدا بل هو أول العبيد ، لأن شهوة القوة والتسلط والسلطان قد استعبدته وحيرمه بملايين المرات من ترك للناس ان تختار وان اختارت غيره ، حتى وان اعتقد أنه هو وحده الذي يستطيع أن ينقذ الأمة من الويل والشرور وعظائم الأمور . ومثل هذا الحاكم هو الحر ، لأنه يُقدّر الحرية ، وهو القوي لأنه أقوى من نفسه قبل أن يكون أقوى من الناس .

ان حرمان الناس من الحرية بدعوى ان الناس لا تعرف بعد كيف تستخدمها هو امعان في تجهيل الناس بالحرية والمباعدة بينهم وبينها وإن الذي يحمل طفله الصغير على كاهله طول الوقت بدعوى ان الطفل لم يتعلم المشي انما يحكم على صغيره بالكساح ، ويحول بينه وبين المشي . ان دعوى صلاح الحال اذا صلح المستبد الحاكم فردا او نظاما دعوى قصيرة النظر ، لأنها تُعَوّد الأمة أن تفكر بغير مخها ، وتتحرك على غير قدميها . وملء تاريخنا دروس وعبر ، كان أجدربنا أن نعلم منها أن صلاح الحال في أن تمارس الأمة سلطتها ، وتحمل مسئوليتها وتقدس حريتها ، فهي السياج والنجاة ان صلح الحاكم أو فسد . وقد تعلمها غيرنا فسقونا ، واستطالوا علينا ، لأن سقمنا المنخفض منعنا على التاريخ أن نطول .

ان مشاكل أمسنا ويومنا انما نشأت عن السدود والقيود والتعتيم والتكتيم . ولقد آن ان نستوعب العلاقة بين الله والانسان والحرية . □

عصامى وعظامى

العصامى هو كل من يصل الى مراتب الشرف ، بجده واجتهاده وكرم فعاله ، فيقال له هذا انسان عصامى ، وينسب العصامى الى عصام بن شهبر الجرمى ، حاجب النعمان ، وقد نوه به الشاعر الجاهلى النابغة الذبيانى الذى قال :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما

اما العظامى فهو نسبة الى عظام الموتى ، وهى كناية عن أن يفتخر الانسان بآبائه وأجداده الذين ماتوا ، بل يجب ان يكون له هو همة واجتهاد في طلب المعالى ، يقول الثعالبى : كان الأمير اسماعيل بن أحمد السامانى يقول : كن عصاميا ولا تكن عظاميا ، أي سد بشرف نفسك ، كما ساد عصام بن شهبر الجرمى حاجب النعمان بن المنذر ، ولا تتكل على سؤدد آبائك الذين ماتوا وصاروا عظاما نخرة .

وبالطبع فهذا لا يمنع ان الذى يجمع المجد من أطرافه ، بأن يتفقه في أمور دينه وشئون حياته النافعة ، مع ما له من كرم الآباء والأجداد حينئذ يكون جديرا بالتقدير والاحترام ، وفي الأثر : خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا .

ولقاؤنا كان الأخير

ومضيت والحسرات أعلبها وتغلبني فأبدأ بل أعيد
وتهولني الذكرى وتعصف ثم بالصبر الحديد
ويهولني الأمس القريب يلوح كالوهم البعيد
وأراك من بين الضباب سراب ظمآن ببيد
ياملهمي!
ولقاؤنا ياملهمي أنى يكون؟ وبيننا درب بعيد
ولقاؤنا نجوى الأحبة دمعة عبر القصيد
ولقاؤنا نسم الربى أو روح أنفاس النخيل
ولقاؤنا بين الكواكب في هنيهات الأصيل
ولقاؤنا ياملهمي وهم جميل
ولقاؤنا ياملهمي حلم طويل

* *

ويلوح لي قبسا على الدرب البعيد
ويضيء بي فأراك أقرب ثم من حبل الوريد
ياملهمي!
والود بالقلب الوحيد
وحوى الصبر الجلد
وتنهنه العبرات تخذلني
كقهقهة الوعيد
ياملهمي!
فمتى أراك؟ متى أراك؟
وبيننا بحر وبيد
ياملهمي!
ولقاؤنا حلم بعيد
حلم كأطياف الوصال
وهل لطيف من معيد؟



يامُلهمي !
فمتى أراك ؟ متى ترانا نلتقى
فيكون عيدْ ؟!
يامُلهمي !
وغدوْت تأريخا عتيدْ
لخافقي ، وحتمت بالنور القصيدْ
وَخلدت كالوحي الأصيلْ
فرائدا في كل حيدْ
يامُلهمي . !
وَطويت في صمت طويل
ودُفنت في شفق الأصيل
وذهبت ما أبقَيت إلاّ
همس قيتار عليل
يامُلهمي !
وزهدت بالقلب الكبير .
وكفرت بي
والكفر بي أمر خطير . .
أفلا علمت بأننى وبأنني
يامُلهمي أفلا علمت . ؟
وأضعتنى . وخلقْت أسباب الضَياع !
فلااللقاء ولا وداع . . يامُلهمي . .
فلقاؤنا وهمٌ جميل
ولقاؤنا حُلمٌ طويل
ولقاؤنا . . لا . . لن يكون
لقاؤنا يامُلهمي لا . . لن يكون
فلقاؤنا كان الأخير
لقاؤنا كان الأخير . . !



الطيران في نهاية القرن العشرين

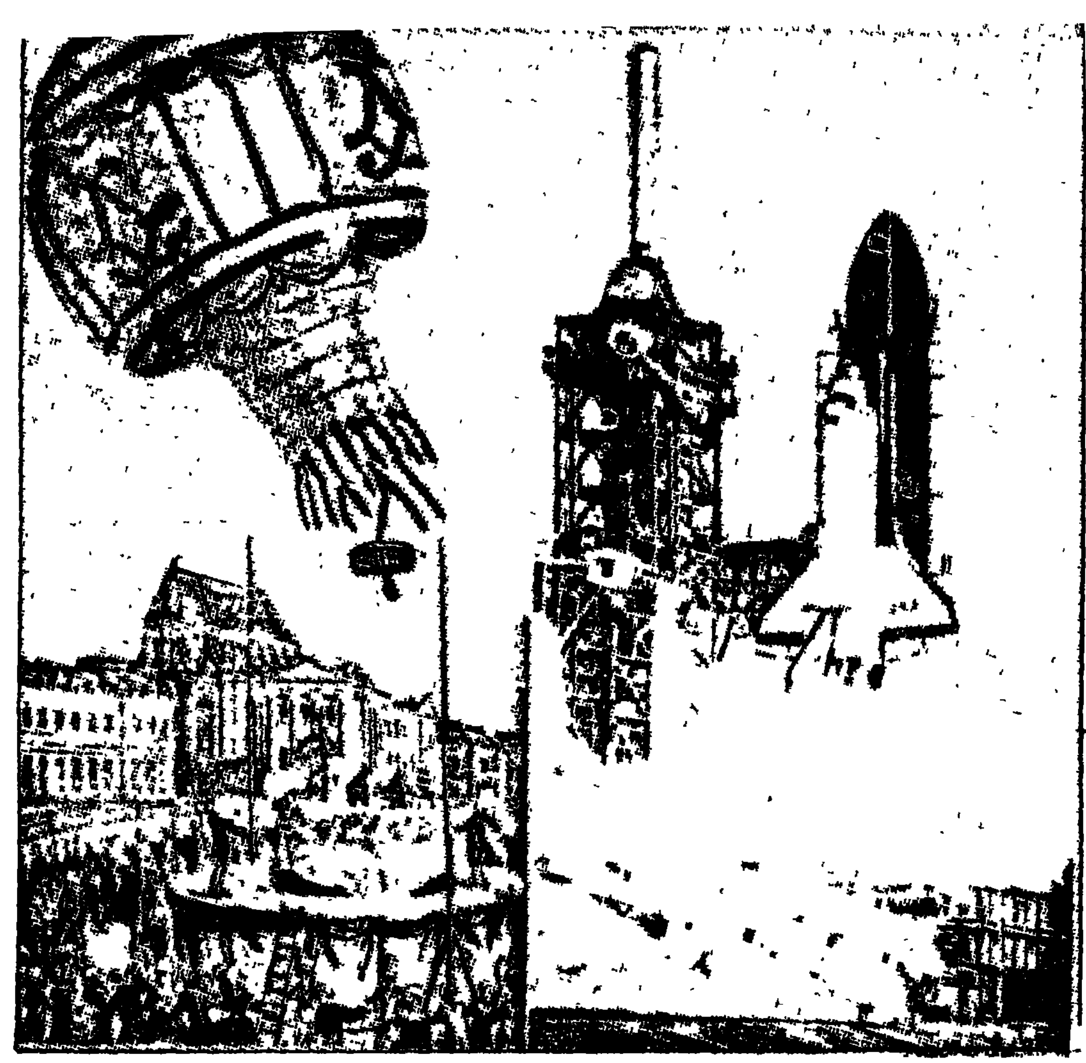
بقلم : المهندسة ريا عارف الرفاعي*

باكتشاف الطيران ، تحرر الانسان من قوانين الجاذبية التي ربطته بالأرض دهورا ، وفتحت آفاقا جديدة أمام تنقلات الأشخاص والأشياء ، وتحولت الأرض الى مدينة واحدة أحياؤها قارات العالم . وهذا المقال محاولة لكشف الاحتمالات المتعلقة بهذا الحقل في نهاية القرن العشرين !

تعتبر جميع وسائط النقل البري من سيارات وقطارات ، والنقل البحري بالبواخر من الوسائط البطيئة السرعة ، قياسا بالطائرات ومركبات الفضاء ، وقد بقيت امكانياتها محدودة في موقع استعمالها ، في حين تعدت امكانية الطائرات . . البر والبحر والجو ، فبالنقل الجوي بالطائرة يمكن متابعة الرحلات الجوية بدون توقف خلال عبور المحيطات ، وبذلك يختصر الزمن الضائع في وسائط النقل الأخرى ، أثناء تبديل تلك الوسائط ما بين البر والبحر وبالعكس ، وبامكان الطائرات الوصول الى قمم الجبال وعمق الصحاري التي يتعذر الوصول اليها بوسائط النقل الأخرى ، ويقابل هذه المزايا الوفيرة ارتفاع تكلفة وأجور النقل الجوي ، ونقص كفاءة استيعابه في البضائع ونقل الركاب ، اضافة الى شدة ارتباطه بنظم الطيران الدولية ، وخضوعه للقوانين والاتفاقيات العالمية ، أكثر من أي واسطة نقل أخرى .

---

* مهندسة بدائرة الطيران بدولة الامارات العربية المتحدة أبو ظبي



حدثان هامان في تاريخ الجو - المنطاد - ومركبة الفضاء - كلاهما أطلقا من منصة الاول بحضور الملك لويس الرابع عشر والملكة ماري انطوانيت . وما بين هذين الحدثين أكثر من قرن ونصف القرن

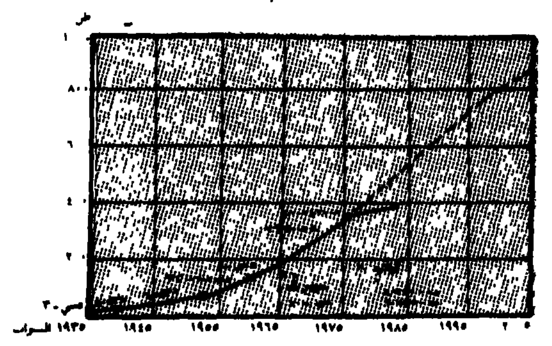
الانسان وحلم الطيران

رافق الانسان حلم الطيران والتشبه بالطيور منذ القدم ، وتحكي الأساطير الاغريقية عن « ايكاروس » الذي قلد أجنحة الطيور ، فوضع أجنحة من الشمع طار بها مقتربا من الشمس فذابت فمات هو ولكن بقيت الأسطورة ، ويحكي تاريخ الطيران عن عباس بن فرناس في عهد الخليفة عبدالرحمن الثاني الاندلسي ، وكيف أن أجنحة الريش لم تمكنه من الطيران ، بالرغم من جميع المحاولات في ذلك الحين .

وقد نجح الانسان في مسعاه بالتحليق في الجو ، مع اختراع المنطاد عام ١٧٨٣ م ، حين حلق به في الفضاء منطلقا من منصة اطلاق عالية أمام قصر فرساي في باريس ، ثم تتابعت المساعي ، فاخترعت الطائرة عام ١٩٠٣ ، وانتقل الحلم بالطيران بواسطة الأجنحة الى حيز الواقع ، وتتابعت البحوث لتحسين خواص الطائرات ، حتى توصل الانسان الى اختراع طائرة تطير بسرعة ١٨٥ كم بالساعة في عام ١٩٣٥ ، ولم تتوقف أبحاث الفضاء في سبيل زيادة سرعة الطائرات التي كانت تتكلل بالنجاح باستمرار ، ومع استخدام النفاثة في الطيران بلغت السرعات الى حدود ٥٠٠ كيلو متر /بالساعة ، كما ازداد مدى الرحلة الى ٧٧٠ كيلو مترا . وما لبثت السرعة أن وصلت الى حدود ٩٠٠ كيلو متر / بالساعة عام ١٩٦٠ ، لكن التطور الحقيقي في الطيران تم مع ادخال الطائرات « الفوق صوتية » و « سوبر سونيك » بالخدمة ، حيث تصل السرعة في هذه الطائرات الى حوالي ٢١٠٠ كيلو متر / بالساعة .

وبذلك يعتبر تاريخ انطلاق أول طائرة كونكورد . الفوق صوتية - في الفضاء عهدا جديدا في الطيران . وبالرغم من التخوف الذي رافق صناعة الطائرات « الفوق صوتية » لكنها تحولت الى واسطة نقل مرغوبة لرجال الأعمال خلال انتقالهم لمسافات بعيدة عبر

الشكل رقم ٢
تطور أوزان الطائرات منذ عام ١٩٣٥ - ١٩٨٥



الوزن الاجمالي للطائرة طن = (الوزن الذاتي + الركاب + الوقود + البضائع)

القارات ، لكن الفوائد الناتجة عن تخفيض زمن النقل بالطائرات « الفوق صوتية » تترافق أيضا مع الضرر الذي تلحقه السرعات الفائقة أحيانا بالحيوانات البحرية ، وبزيادة احتمال الاصابة بسرطان الجلد ، نتيجة نقص أو خلخلة حزام الأوزون الذي تتصفى خلاله الأشعة فوق البنفسجية ، ومع كل تلك المساوىء تتسابق الدول الصناعية في مجال الفضاء للسيطرة على الكواكب ، وعلى احتمالات توفر المواد الأولية فيها .

الطائرات وحمولاتها :

بعد أن استخدمت الطائرات في ميدان النقل الجوي كواسطة نقل عام ، أخذت أوزانها بالتزايد باطراد ، وبالتالي تزايدت معها حمولة المسافرين ، والأمتعة والبريد الجوي ووزن الوقود ، وقد كان وزن الطائرة الكلي (الوزن الذاتي وأوزان الحمولات المختلفة من مسافرين وأمتعة ووقود) عام ١٩٣٥ لايتعدى ١٢ طنا ، فأصبح اليوم وزن الطائرة العملاقة بحدود ٣٧٥ طنا (طائرة البوينغ طراز ب - ٧٤٧ - ٢٠٠ ، ب ، حـ ، ف) وتتابع شركات صنع الطائرات سعيها في المخابر وفي الانفاق الهوائية الخاصة ، بتجريب هياكل الطائرات لدراسة تطوير أوزان الطائرات وحمولاتها ، وربما تكللت تلك البحوث في المستقبل ، وربما وضعت في الخدمة في مطلع القرن القادم طائرات تصل أوزانها الى ألف طن أي ثلاثة أضعاف وزن الطائرة الأعظم الحالي ، وليس ذلك بمستبعد ، اذا مالاحظنا منحى تطور أوزان الطائرات خلال الخمسين سنة الماضية .

ويحتل وزن الوقود اللازم لرحلة الطيران نسبة مرتفعة بالنسبة للوزن الاجمالي للطائرة ، فمثلا تتطلب طائرة البوينغ ب - ٧٤٧ التي يبلغ وزنها ٣١٠ أطنان حوالي ١١٠ أطنان من الوقود لتغطية رحلة جوية عادية ، وهذا يشكل نسبة ٣٥٪ من الوزن الاجمالي ، في حين لاتزيد نسبة حمولة المسافرين والأمتعة والبريد الجوي عن ١٤٪ فقط أي ٤٣ طنا . واضافة لهذه الكمية الكبيرة من الوقود هناك كمية أخرى في الخزانات الاحتياطية تقدر بـ ٢٠ طنا لتغطية حالات الطوارىء ، وهذا ما يجعل تكلفة تشغيل الطائرات مرتفعة جدا ، وبالتالي يسبغ على النقل الجوي صفة النقل المرتفع التكلفة .

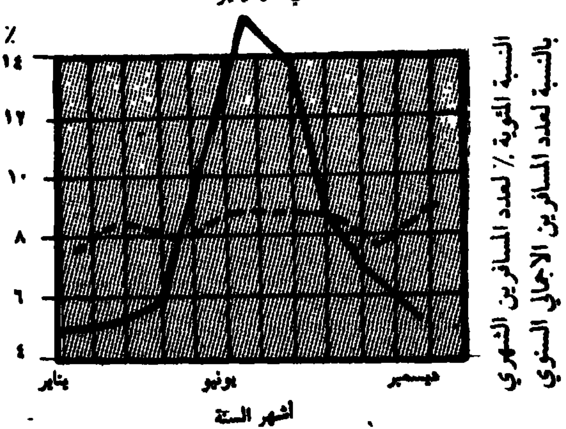
ومن خلال المناخ الاقتصادي العالمي المسيطر ، يعتبر توفير الطاقة على رأس قائمة الأفضليات في مختلف أنحاء العالم ، لذلك اتجهت صناعة الطائرات الى البحث عن تصاميم للطائرة الاقتصادية التي يتطلب تشغيلها كميات وقود اقتصادية ، ومن ناحية أخرى اتجهت شركات الطيران العالمية الى البحث عن المسارات الجوية الأكثر اقتصادية في مجال طول المسار ، أو ارتفاع التحليق . وتشكل تكلفة اطلاق تصميم جديد لهيكل الطائرة ، أو للمحرك ، عبئا كبيرا لا تحتمله شركة صانعة واحدة ، وهذا مايدعو لتوزع ذلك بين « كونسوريتوم » من الشركات العالمية المتعددة الجنسية ، ويلاحظ في السنوات الأخيرة تباطؤ هذه الشركات في وضع تصاميم لأجيال جديدة من الطائرات ، تستوعب ١٥٠ راكبا ، بل تعتمد على تطوير الأجيال القائمة ، ويلاحظ ذلك في طائرتي البوينغ الجديدتين من طراز ب - ٧٥٧ ، و ب - ٧٦٧ - اللتين حققتا تخفيضا ملحوظا في استهلاك الوقود ، بدأ تشغيلهما مؤخرا في مطلع عام ١٩٨٤ . ويطير يوميا من مختلف مطارات العالم أكثر من ثلاثة ملايين مسافر ، مستخدمين جميع الامكانيات المتطورة في مطارات العالم التي يقدر عددها بحوالي ثلاثة وثلاثين ألف مطار ، منها حوالي ثلاثمائة وخمسين مطارا في الوطن العربي ، وبذلك يتمتع الانسان في عصرنا الحاضر بحصيلة من التقدم في مجال الطيران الذي يعتبر محصلة لاجتماع علوم متعددة ومعقدة في آن واحد .

التطور والمعوقات

يرتبط تطور النقل الجوي بعدة عوامل منها :
- التطور الاقتصادي المحلي والاقليمي ، ويؤثر على حركة القادمين والمغادرين .
- التطور الاقتصادي العالمي ، ويؤثر على حركة مسافري الترانزيت ـ المسافرين العابرين .
- توفر وسائط متطورة من مطارات وخطوط جوية .

ويعتبر ارتفاع مستوى الدخل الفردي للانسان من جملة الأسباب الأساسية المؤدية الى تطور حركة النقل الجوي ، فبازدياد الدخل الفردي تزداد رغبات السفر ، ويزداد عدد السفرات والانتقال السنوي بالطائرة ، كما يعتبر أيضا ازدياد عدد السكان سواء بالتزايد الطبيعي أو بفعل الهجرات من جملة أسباب تطور النقل الجوي ، بما فيه نقل الأشخاص ونقل البضائع .

وأما تطور وسائط النقل وتجهيزاتها ـ من مطارات ومحطات استقبال ، وممرات وغيرها ، فهو مرتبط بمتغيرات متشابكة ، فاستيعاب المطارات وسعة محطة الاستقبال ، وبوابات المغادرة ووسائط التحميل جميعها توابع لمتغير أساسي هو عدد المسافرين الحالي والمستقبلي ، كما ان التصميم تابع لعوامل فنية وهندسية متعددة من أهمها : الوزن الأعظم لأكبر طائرة ترسو بالمطار أي ما يعرف بالوزن التصميمي ، وضغط نفخ دواليب هذه الطائرة ، وأشكال ونماذج دواليبها ، وطبيعة المنطقة المحيطة بالمطار والعوائق الطبيعية ، من جبال أو كثبان أو عوائق انشائية ، كالأعمدة الكهربائية والأبنية المرتفعة وغيرها ، وبطبيعة التربة والمياه الجوفية وغيرها وغيرها .



الشكل رقم ٣ نموذج تغير الحركة الشهري في مطارين أحدهما ذو ذروة موسمية - والثاني ذو وتيرة منتظمة

وقد وضعت المنظمة العالمية للطيران الدولي « ايكاو » تصنيفات لأنواع الطائرات ، وفئات المطارات ، استندت فيها الى معايير تصميم المطار الهندسية والانشائية ، والى طريقة تشغيل المطار وأسلوب مراقبة الحركة الجوية فيه .

وتسعى مطارات العالم لرفع مستوي تصنيفاتها باستمرار ، وذلك بتزودها بالمعدات والتجهيزات الحديثة من رادارات وأجهزة انارة ، وأجهزة اتصالات سلكية أو لاسلكية والجسور الناقلة الكهربائية ، والأدراج والسلالم الكهربائية ، لتوفر على المسافر متاعب الانتقال من والى الطائرة ، وتجتذب بهذه الوسائل خطوط الطيران الجوي وحركة الترانزيت الجوي أيضا .

وتتغير وتتأثر الحركة الجوية تبعا للزمن ، فهناك تغيرات سنوية في عدد الرحلات وأعداد المسافرين ، وهناك تغيرات شهرية تبعا لأشهر السنة ، كما أن هناك تغيرات موسمية ويومية ، وساعية ، ولكل مطار من مطارات العالم وتيرته الخاصة ، فمطارات منطقة الخليج تشهد نشاطا موسميا خلال أشهر الصيف ، كما تشهد تراجعا بالحركة خلال أشهر الشتاء ، في حين تشهد مطارات أخرى في العالم ساعات ذروة خلال أيام الأسبوع ، كما تشهد تزايدا ملحوظا في الحركة في عطلة نهاية الأسبوع ، بينما لاتتأثر حركة الطيران في بعض عواصم العالم المهمة بأي تبديل خلال العام . شكل (٣)

ويمكن دراسة تغيرات الحركة من تحديد توقعات مستقبلية على مدى عشرين سنة ، ويشتق من هذه التوقعات آفاق المستقبل وخطط التطوير ، وتشكل هذه المعلومات الركيزة الأساسية في تحديد حاجة التطوير وسعة المنشآت الجديدة ، واستيعاب التجهيزات الميكانيكية وغيرها . □

قصة قصيرة

شارع النخيل الإفرنجي

بقلم : اسماعيل العادلي *

هي ليست صغيرة تعرف جيدا أن مثل هذه الأمور لايصلح فيها التلميح والكلمات الغامضة ، لابد فيها من التصريح والكلام الواضح ، لاينفع فيها التأجيل والانتظار وإضاعة الوقت ، بل لابد من حسمها ، وطرق الحديد وهو ساخن

والا فماذا يريد بالضبط ؟

واربت باب « العنبر » المستطيل ، ، المطفأ الأنوار ، المفعم بروائح الدواءوالطعام والبول ، خرجت قالت ان الليلة يمكن أن تمر بهدوء ، لو استسلم ، ذلك العجوز الذي أجرى جراحة في الطهيرة لحقنة المخدر ، وراح في نوم عميق

كما توقعت بالضبط ، كانت زينب قد نامت ، وراحت تشخر وتزفر ، جلست على سريرها المواجه للسرير الذي تنام عليه زينب ، أخذت في تأمل جسدها الأبيض الضخم ، وقد انحسر منديل رأسها عن شعرها الأسود المفروق من الوسط

منذ أكثر من عامين ، عندما نقلوها الى عنبر الجراحة ، وجدتها قبلها في « وردية الليل » ، في كل ليلة ، ما أن ينتهي مرور الأطباء ، وقبل أن تدخل « الحكيمات » الى حجرتهن ، تكون زينب قد راحت في النوم ، لاتصحوا الا بعد [illegible]

لاحظت زينب ما جرى بينها وبين فكري عندما كان راقدا في العنبر ضحكت وأشارت الى الامر أكثر من مرة ، وعندما سمح له الاطباء بالجلوس على السرير والحركة في « العنبر » ، لاحظت زينب أنها تأتي قبل موعد عملها وتبقى بعد إنتهائه ، في ليلة من تلك الليالي ، وكان صوت التواشيح الذي يسبق آذان الفجر يصل اليها عبر النافذة المفتوحة ، جلست زينب في مواجهتها ، تحدثت اليها ، قالت لها أنك ست الستات ، كريمة ، طيبة ، وما زلت صغيرة ، وقادرة على انجاب جيش من الاطفال ، لأن نسوة أكثر منك نحس ، ونصحتها أن تضع حول يديها مثل العدد « الغوايش » الذهبية ، وكذلك السلسلة و (الماشاء الله) حول رقبتها ، لالشيء ، سوى أن الذهب يظهر المرأة بمظهر المستورة ، المكتفية ، التي لاتحتاج الى أحد

اليوم تكون قد مرت خمسة أيام ، عدتهم على أصابع يديها ، الاربعاء ، الخميس ، الجمعة ، السبت ، الأحد

الليلة يكون قد خرج من المستشفى منذ خمسة أيام ، لم تغادر البيت أثناءها الا للعمل وكانت تخرج الى العمل قبل موعده بنصف ساعة ، خوفا من أن [illegible] قال لها وهو يركب التاكسي [illegible]



باب المستشفى : سأستريح في البيت اسبوعا ثم أجيء ، هو الذي طلب العنوان ، سألها عن أهلها وأخوتها ، حدثها عن شقته ذات الغرفتين الواقعة في رحبة « المقدم بهادر » بالدراسة ، قال انه وحداني ، ويخاف أن يموت وحيدا في شقته ، تحدث عن قلبه الذي استراح اليها منذ مجيئه الى المستشفى ، وقال ان الله لابد أن يهيء لهما خيرا .

قامت ، أطفأت نور المصباح الكهربائي الكبير ، وأبقت المصباح الصغير مضاء كما تقضي التعليمات ، عادت لتستلقي على السرير ، وتحدق خلال الضوء الخافت في الخزانة الصاج البيضاء الصغيرة الموضوعة بجوار السرير ، ثم في الصينية « الموضوعة » فوقها ، وعليها كوب زجاجي مملوء حتى منتصفه بالماء . أدركت أن النوم لن يأتي ، قالت كنت قد استرحت من ذلك الهم ، ماشأني أنا بالرجال ؟ أشجار النخيل الافرنجي الممتدة التي تقسم الشارع الى نصفين ، (وكبائن) البحر البيضاء على الجانبين ، هما أول ماتذكره عن تلك الليلة ، والليلة ذاتها تبدو لها الآن وكأنها كانت منذ مائة عام ، في تلك الليلة ، عند واحدة من تلك الاشجار الغريبة وقفت تبكي ، وقد هانت عليها روحها ، والدنيا وكل شيء .

كانت خارجة لتوها من بيت خالتها ، بعد أن أفهمتها الخالة أن مايحتاجه البيت « حرام على الجامع » ، وأن عليها أن تبحث لنفسها عن مكان آخر تقيم فيه ، وقبل ذلك بيومين فقط كانت قد جاءت الى الاسماعيلية ، بعد أن أعطاها أخوها الأصغر (جنيهين) أقسم أنه لايملك غيرهما ، وأشار الى حجرته متسائلا : أين تنامين ؟ أنا والمرأة والأولاد الاربعة نملأ كل ثقب فيها .

وكان أخوها الأكبر قد استمع منها في اليوم السابق الى ما فعله سيد ، وهم يتناولون غذاء مكونا من محشي الكرنب واللفت والمخلل ، ثم غمز لزوجته فأخذت الأولاد وخرجت ، وعندما أصبحا وحدهما قال لها : أنا أعرف زوجتي جيدا ، امرأة صعبة مشاكسة لن تحتملك ، ستثير المشاكل والمشاجرات بلاسبب ، وأنا بصراحة ليس لدى مكان آخر استريح فيه ،

في تلك الليلة كانت على وشك أن تجلس الى جوار تلك النخلة الغريبة السامقة ، وتستغرق في بكاء طويل ممتد ، لكن شيئا ما ، غامضا ، وباردا ، وأزليا ، لاتعرف من أي منبع ، أخذ يتصاعد داخلها ، يفرد طولها ، يدفع بالدماء في جسدها ، يقول لها أنه ما زالت لديها ذراعاها وقوتها ، وستة جنيهات وبضعة قروش في منديل تحت ثديها الأيسر ، وأن عليها أن تمسح الدموع ، وتقوم الآن لتبحث عن الطريق ، أما جنس الرجال كله فعليها الا تفكر فيه ثانية .

نعم ، هي قالت ذلك ، ظلت تقوله لنفسها أياما طويلة ، لكن فكرى مختلف ، مختلف عن سيد ، فكري رجل ، وسيد بلطجي ، فكرى يريد أن يعيش ، وسيد لايعمل حسابا لشيء ، فكرى . . وأنا بالطبع لست صغيرة ، رأيت كل شيء في هذه الدنيا وأفهمه ، فكرى كفه كبيرة ومنبسطة ، وله ضحكة طيبة تكشف عن أسنان مفلوجة ، يكفي فقط أن يربت على كتفك لتزول همومك ، وتشعر بالسكينة والأمان ، فكري يريد بيتا ، وأنا كذلك ، أما الأولاد فأمرهم موكول الى الله ، هو وحده الذي يعلم .

سمعت صوت الاقدام تقترب من الحجرة ، توقعت أن تكون احدى « الحكيمات » ، أن تكون صفية بالذات قد أصابها الأرق وجاءت لتثرثر ، اعتدلت على السرير وتأهبت للقائها ، لكن الاقدام مرت من أمام الحجرة وتجاوزتها .



قامت واقفة في منتصف الحجرة ، فكرت في إلقاء نـظرة عـلى « العنبـر » أو الـذهـاب الى حجـرة « الحكيمات » ، كانت بحاجة الى تبادل الحديث مع أحد ، لكنها خافت أن تستدرجهـا واحـدة من « الحكيمات » إلى الحديث عن فكري ، اتجهت الى الخزانة الصغيرة ، أمسكت بـالكـوب الـزجـاجي وشربت ما فيه من ماء ، جلست في مـواجهة زينب النائمة ، فكرت في ايقاظها والحديث معها ، لكنها تراجعت ، استلقت على جـانبها الأيمن في مـواجهة الحـائط ، قالت أن أجيء الى العمـل مجهـدة مثـل زينب ، أشكو من الغسيل والطبيخ ومشاغل البيت التي لاتنتهي . . أن أحكي أنا أيضا عن الولد الكبير الذي فعل كذا ، والبنت الصغيرة التي قـالـت كيت وكيت وأباهم موأباهم الذي أنهى الأمـر « شاخـطا زاعقا » . .

هي لم تضع الوقت ، فكرت في كل شيء خلال الايام الخمسة الفائتة .

تخيلت الحجـرتين اللتـين يعيش فيهـما فكـري ، عرفت بالضبط ما الذي ستأخذه من حجرتها ، وما الذي ستشتريه ، قررت أن تبيع الذهب اذا اقتضى الأمر . انها تعرف أنه ليس ميسور الحال ، هو لم يقل لها ذلك ، لكن من يجري جراحة في الدرجة الثالثة ، بالمجان ، لايكون ميسورا في العادة ، وذلك ليس عيبا في الرجل ، فقط عليه أن يأتي ويقول لها : أريد أن أتزوجك ياأنهار .

هو لم يقل ذلك حتى الآن ، قال لها نحن أهل ، تحدث بثقة أكيـدة عن أشياء ستحـدث لهـما في المستقبل ، سألها عن كل أحـوالها ، حكى لهـا عن أحواله ، وعندما صنعت لـه أرزا ودجاجـة بعد أن أجرى الجراحة بثلاثة أيام ، أثني طويلا عـلى مذاق الطعام ، وقال انه اشتاق لطعام البيوت .

ماذا بالضبط كان يقصد ؟

وهو لم يقل شيئا محددا ، لكن الطريقة التي كان يتحـدث بهـا اليهـا كـانت تقـول ذلـك انها تعـرف الرجال ، تعـاملت معهم في العمل والشـارع وكل مكان ، الطريقة التي كان فكري يتحدث بهـا اليها كانت مختلفة . سيد الذي كان زوجا لها لم يتحدث اليها هكذا أبدا ، حتى في أيام زواجهما الأولى ، لكن الم تكن خمسة أيام كافية ؟ الم يكن بوسعه أن يرسل أحدا ؟

تنهدت ، نفخت الهواء في الحائط ، أخيرا سمعت صوت السرير الذي تنام عليه زينب وهـو يئن تحت وطأة جسدها ، عرفت أنها قد استيقظت ، التفتت اليهـا ، كانت زينب جـالسة عـلى السريـر عـاريـة الرأس ، تهرش شعرها المنفوش ، وتقول لها شيئا لم تتبينه □

اهتمام المسلمين بالمعلم

المستقرئ لتاريخ التربية والتعليم في الاسلام يلاحظ ذلك الاهتمـام الكبـير الـذي أولاه المسلمـون ، في أن يتلقى الـطالب العلم من المعلم ، ونبذهم الاعتماد على الكتب وحدها كمصدر لتلقي العلم ، وقـد جاء في أقوالهم « من أعظم البليـة تشييخ الصحيفـة » وكذلـك قال أحـد الكتاب المسلمين القدماء « من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيـطان » وقد قـال مصعب بن الزبـير : « الناس يتحـدثون بـأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال ، فانك لا تسمع الا مختـاراً ولؤلؤاً منثورا » .



بطاقة تعريف للشعر الحر

بقلم : الدكتورة حياة جاسم محمد

يبدو أن الشعر الحر ، بعد ما يقارب من أربعة عقود على مولده ما زال في حاجة الى بطاقة تعريف تحدد أهم خصائصه ، وتوضح أبرز المعالم في رحلة نشوئه وتطوره ، وتجلو صلته بالتراث الشعري العربي ، فما الذي قالته الكاتبة في هذا المجال ؟ جمهرة من القراء توجه للشعر الحر سهام النقد ، لكنه نقد يغض الطرف عن ايجابيات الشعر الحر ، ولا يرى فيه الا سلبياته ، وهل خلا الشعر العربي التقليدي من السلبيات ؟

ان أدبيات الشعر الحر كثيرة كثرة الشعر نفسه ، وهي تؤرخ لهذه الحركةأو تنظر لها ، أو تكشف جمالياتها أو تقومها في صلتها بالشعر التقليدي ، باعتبارها امتدادا متطورا له ، أو تقارنها بحركات مماثلة في الآداب العالمية ، وعلى الرغم من كثرة تلك الأدبيات ، فان واقع الحال يفرض هذه العودة الموجزة الى حركة الشعر الحر ، ولعل في العودة نفعا .

محاولات سابقة

من المعروف أن حركة الشعر الحر بدأت في أواخر الأربعينيات في شعر رائديها بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، لكن هذه الحركة لم تكن أولى المحاولات للتطوير والتجديد في الشعر العربي الحديث ، بل سبقتها محاولات أخرى أهمها .

الشعر المرسل الذي يتخلى عن القافية ، وقد وردت منه أربعة أبيات لأحمد فارس الشدياق في كتابه « الساق على الساق » (١٨٥٥) ، ونظم فيه جميل صدقي الزهاوي (١٩٠٥) ، كذلك جربه عبدالرحمن شكري في ديوانه ضوء الفجر (١٩٠٩) ، ومارسه أحمد زكي أبوشادي ، دعا اليه في مجلته أبولو التي كانت تصدر في الثلاثينيات من هذا القرن ، أما علي أحمد باكثير فقد اعتبره الوسط الملائم للمسرحية ، فنظم مسرحية أخناتون ونفرتيتي (١٩٤٣) ، وترجم مسرحية شكسبير روميو وجوليت (١٩٤٦) ، مستخدما هذا النوع من

الشعر ، لقد ظلت تلك المحاولات في الشعر المرسل محاولات جزئية ، ولم تتطور الى حركة ناضجة شاملة .

الشعر الحر في مدرسة أبولو . ومنشئها أبو شادي الذي نظم الشعر الحر باعتباره شاعرا ، وكتب عنه بوصفه ناقدا ، وقد حافظ في شعره على الوزن ، لكنه استخدم أبحرا مختلفة في القصيدة الواحدة ، وكان انتقاله من بحر لآخر على غير نظام معين ، وكذلك تخلى عن القافية ، وظهرت أول قصيدة له من الشعر الحر بعنوان « الفنان » في ديوانه « المشفق الباكي » (١٩٢٦) ، لقد أخفقت هذه القصيدة وقصائد أبي شادي الأخرى من الشعر الحر ، لأنها تفتقر الى الموسيقا الداخلية ، على الرغم من وجود الوزن فيها كما جاء الانتقال الاعتباطي السريع من بحر الى آخر صادما للأذن العربية ، لذلك لم يجد هذا الشعر قبولا ، وظل هو الآخر محاولة جانبية لم تنته الى حركة منظمة ناضجة .

وقد أفادت حركة الشعر الحر في أواخر الاربعينيات من نواقص الشعر الحر الذي كان لدى أبي شادي ، وقلة من الشعراء حذت حذوه ، فحرصت الحركة الأخيرة على صلتها بالتراث الشعري العربي ، وعلى أن يكون التطوير تدريجيا ، تمليه ضرورات التجارب الشعرية الجديدة ، لا الرغبة في الخروج على القديم فقط ، لذلك حافظت على الأوزان العربية والتزمت في بدايتها بحرا في القصيدة ، ولم تتخل عن القافية ، بل لجأت الى تنويعها ، لكن شعراء الشعر الحر استخدموا التفعيلة بحرية ، فلم يتقيدوا بالبيت ذي الشطرين المتساويين في عدد تفعيلاتها ولا الأبيات المتساوية في عدد تفعيلاتها، انما جعلوا البيت شطرا واحدا ، لئلا ينقطع المعنى بالوقفة بين الشطرين ، واستخدموا من التفعيلات ما يقتضيه التعبير عن المعنى ، حتى اذا كانت التفعيلات أقل أو اكثر مما يفرضه العروض الخليلي ، وأهم من ذلك كله أنهم جعلوا البيت متصلا بما قبله وبعده ، فقضوا على استقلال البيت الذي قامت عليه القصيدة العربية في غالب الأحيان ومنحوا القصيدة من الشعر الحر وحدة عضوية ، مكنتهم من متابعة دفق التجربة الشعرية ، كذلك جعلوا القصيدة الجديدة معبرة عن هموم وتطلعات ذاتية وجماعية معاصرة ، عبر تجربة فعلية لاتقليدا لنماذج جاهزة .

الاتجاه المحافظ

يمكن الاشارة الى ثلاثة اتجاهات واضحة في تاريخ حركة الشعر الحر وهي : الاتجاه المحافظ ، والاتجاه المعتدل ، والاتجاه المتطرف .

تمثل الشاعرة نازك الملائكة الاتجاه المحافظ في شعرها وفي تنظيرها للشعر الحر في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ، فهي تعالج الشعر الحر بوصفة ظاهرة عروضية لاغير ، وتجد فيه تطويرا لعروض الخليل، وتدعو الشعراء الجدد الى الالتزام بقوانين العروض التقليدية ، وكأنها لاتريد لهم أن يواصلوا التجريب أبعد من الخطوة الأولى التي حطوها في جعل التفعيل لا البيت أساسا للشعر الجديد ، إن في قصيدة « الكوليرا » وهي القصيدة الأولى من الشعر الحر للشاعرة نازك الملائكة نظاما ثابتا في تنويع التفعيلات والقوافي ، يجعل الباحث العراقي مصطفى جمال الدين يعتبر تلك القصيدة موشحا لا قصيدة من الشعر الحر ، وان التركيز على التغيرات العروصية في الشعر الحر يصرف النظر عن التغيرات التي هي أهم فيه ، وهي اختلاف المضامين وطريقة معالجة هذه المضامين .

الاتجاه المعتدل

أما الاتجاه المعتدل فيندرج تحته الجزء الأكبر من نتاج الشعر الحر منذ نشوئه حتى الوقت الحاضر ، وقد تأثر شعراء هذا الاتجاه في مرحلتة الاولى ، وكذلك نقاده ، بالشاعر ت . س إيليوت ، وتأثر الآداب ببعضها ظاهرة طبيعية ومشروعة ، ويحمل الشاعر إيليوت تقديرا للماضي ، ويرى فيه ظاهرة مستمرة تعيش في الحاضر ، وتتطور في اطاره باتجاه المستقبل ، والتجديد لديه خير من التكرار ، ولكن التقاليد دات أهمية كبرى ، غير أن التقاليد ليست الا احساسا تاريخيا بالماضي ، لا باعتباره ماضيا فقط ، وانما بوصفه حاصرا أيضا ، ويعتقد إيليوت أن الشاعر يختلف عن أسلافه لكن أسلافه ماثلون في شعره بطريقة أو بأخرى ، ولذلك فمهمة الشاعر أن

يستجيب للمتغيرات ، وفي الوقت نفسه يحترم الماضي ، وينظر إيليوت الى الشعر الحر لا بوصفه متحررا من الشكل ومتطلباته ، وانما بوصفه قائما على حرية تؤدي الى نظام ، وهو يؤمن بضرورة الموسيقا للشعر ، ولكنها ليست الموسيقا الخارجية فقط التي تولد من الوزن والقافية ، وانما أيضا موسيقا الايقاع الجوهرية في الشعر .

وأبرز شعراء هذا الاتجاه بدر شاكر السياب الذي يتميز شعره بالموسيقا العالية والعناية بالعروض ، وقد ظل السياب ينظم قصائد العروض التقليدي حتى نهاية مسيرته الشعرية ، كما جمع العروض التقليدي والعروض الجديد في بعض قصائده ، وكل ذلك يؤكد صلة الشاعر بالتراث ، على الرغم من محاولته تطويره ، وكانت تجاربه في الجمع بين بحرين في القصيدة الواحدة.، أو النظم في الأبحر الممزوجة المتكونة من نوعين مختلفين من التفعيلات ـ والأخير مما تحظره نازك الملائكة ـ تجارب رصينة ، ويندرج تحت الاتجاه المعتدل أيضا شعر صلاح عبدالصبور ، وعبدالوهاب البياتي من الجيل الأول ، وشعر أكثر من جيل من الشعراء من بعدهم في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وقد ظهرت ضمن أدبيات هذا الاتجاه ، دراسات نقدية ، ناقشت قضايا الشعر الحر بعلميه ، ونظرت له ، وجلت كثيرا من الغموض الذي لابس جمالياته ، وتكفي الاشارة الى الدراسات التالية على سبيل المثال : قضية الشعر الجديد لمحمد النويهي ، والشعر العربي المعاصر لعزالدين اسماعيل ، وموسيقا الشعر العربي لشكري عياد ، والايقاع في الشعر العربي لمصطفى جمال الدين ، وقد خالف هؤلاء الدارسون وسواهم نازك الملائكة في كثير مما نظرت له من قضايا الشعر الحر .

الاتجاه المتطرف

الاتجاه المتطرف ينحو الى أن يؤسس للشعر العربي عروضا جديدا يحتوي التجارب الجديدة المختلفة للشعراء الجدد ، وقد بدأ مع جماعة مجلة شعر اللبنانية

ومن أبرز رواده يوسف الخال ، وأدونيس ، وجبرا ابراهيم جبرا ، ويلاحظ أن الشعراء أنفسهم ـ في الأغلب ـ ناقدو هذه الحركة ودارسوها ، وهم يرون الشعر العربي الحديث ثلاثة أنواع :

١ ـ الشعر الموزون ، وهو الذي يعتمد على التفعيلة ، مع احداث التغييرات في نظامها ، وهم لهذا يشيرون الى الحركة التي بدأت في أواخر الأربعينيات ، وعرفت باسم الشعر الحر ، وسبقت الاشارة اليها في هذا المقال .

٢ ـ الشعر الحر ، وهو الشعر المتحرر من الوزن والقافية ، ولكنه يحتفظ بنوع من النظام في أبياته ، يولد ايقاعا يعوض عن الوزن والقافية المفقودين ، وهذا النظام قد يقوم على تكرار فكرة سائدة ، أو كلمة أو مجموعة من الكلمات أو صورة من الصور ، بحيث تعود القصيدة دوما الى حيث بدأت ، وتصبح كلا عضويا ناميا ، ويرى جبرا ابراهيم جبرا أن الموسيقا الداخلية للشعر الحر تتحقق باستخدام الفاظ تحتوي على حروف العلة .

٣ ـ قصيدة النثر ، وهي قصيرة ومركزة ، وتختلف عن الشعر الحر ـ والمقصود به ما سبق لقصيدة النثر في التصنيف ـ في أنها لا تقوم على نظام الأبيات ، انما تنساب انسياب النثر ، لكنها في الوقت نفسه تختلف عن النثر في أن لها أيقاعا أقوى ، وتأثيرات صوتية ، وكثافة في التعبير ، ويتراوح طولها بين صفحة وثلاث أو أربع صفحات ، وهو طول القصيدة الغنائية .

ويندرج أغلب شعر هؤلاء المتطرفين تحت الشعر الحر ـ وفق تحديدهم له ـ وقصيد النثر ، واذا كتبوا شعر التفعيلة أحدثوا فيه الكثير من التعبيرات

رأي العقاد

يتضح من هذا العرض أن تسمية الشعر الحر ، التي تطلق على عموم شعر التفعيلة ، لاتعني افتقار هذا الشعر الى الوزن والقافية ، كما ان الشعر الحر ـ بالمصطلح الدقيق ـ عوض عن الوزن والقافية بموسيقا داخلية تقوم على ضوابط مدروسة ، ولذلك جار العقاد على الحقيقة حين حكم على الشعر الجديد بأن يحال الى لجنة النثر ، ولم يحل هذا الحكم دون أن يزدهر هذا الشعر ، ويغدو المعبر عن احتياجات الحاضر وتطلعات المستقبل ، والعقاد الذي ناهض الشعر الجديد كان داعية التجديد في أوائل العشرينيات من هذا القرن ، فيما يتعلق بالوحدة

العضوية للقصيدة العربية الحديثة ، فإن العقاد في كتاب الديوان الذي ألفه مع زميله المازني قد هاجم شوقي هجوما عنيفا ، لان شوقي في رأي العقاد يمثل استمرار القصيدة العربية القديمة القائمة على البيت المستقل ، ورمى العقاد شعر شوقي بالتفكك ، وشبه قصائده بكومة رمل ، اذا وضعت على أي وضع بقيت كومة رمل كما كانت ، وعمد الى ترتيب الأبيات في قصيدة شوقي ترتيبا جديدا ، ولم يجد في ذلك صعوبة ، كما أوضح ، مما يدل - في رأيه - على انعدام الشعور الذي ينتظمها ويؤلف بينها ، وبالتالي على افتقارها الى الوحدة العضوية ، وتحدث العقاد عن الوحدة العضوية للقصيدة ، مستندا الى مفاهيم نقدية عربية ، وكما كان سعي القصيدة العربية الحديثة الى الوحدة العضوية مقبولا ومحمودا ، كذلك يسعى أن يكون سعى الشعراء الجدد الى تطوير العروض القديم لتلك القصيدة ، ولاننسى أن من أبرز خصائص الشعر الحر حرصه على تحقيق الوحدة العضوية للقصيدة العربية

أسباب الغموض

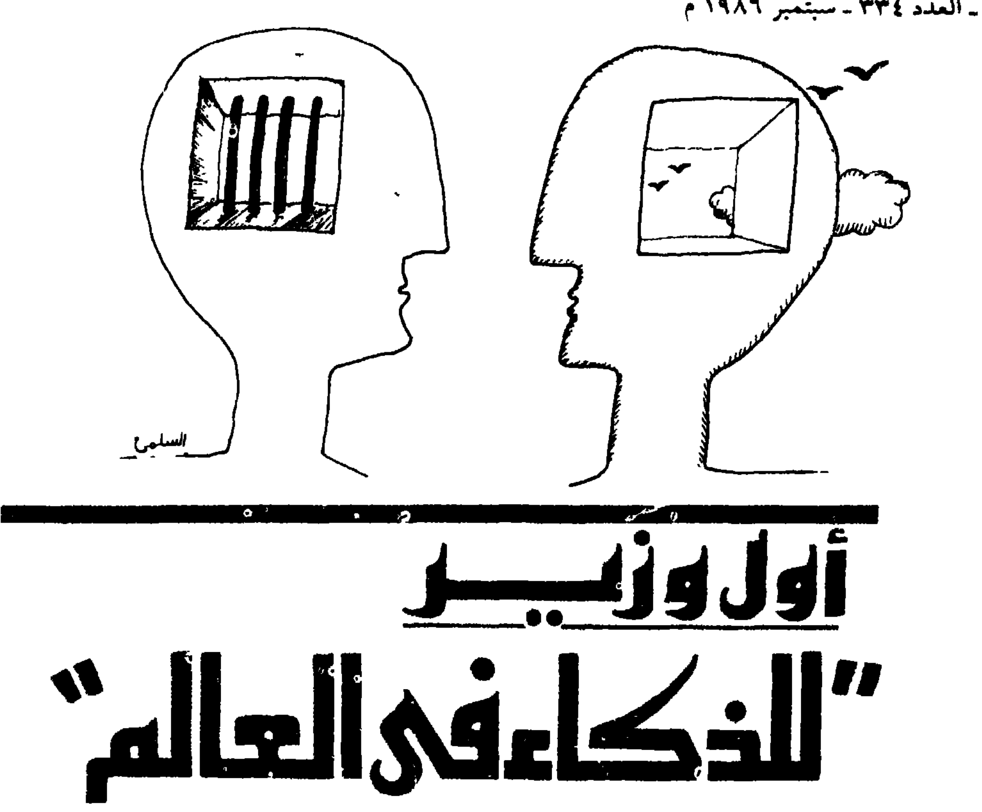
أما الغموض الذي يتذرع به البعض لمهاجمة الشعر الجديد ، فهو ظاهرة لاتخص الشعر الحر وحده ، انما هو سمة الكثير من النتاج الشعري في مختلف العصور ، ومن البديهات أن لغة الشعر لغة ايحاء لا تقرير ، ولا يطلب من الشعر أن يكون في وضوح النثر ، والا فقد جوهره الموحى ، وقد عرف شعرنا العربي القديم تيارين بارزين ، اتجه أحدهما الى الوضوح المباشر ، واستخدام لغة الحياة اليومية ، وخير ممثليه أبو العتاهية ، واتجه الثاني الى الصنعة الفنية واللامباشرة واللغة المختارة ، وخير ممثليه أبوتمام الذي سئل مرة : لم لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب : ولم لا تفهم ما يقال ؟ واذا كان أبو تمام قد رمي بأنه يقول مالا يفهم فما بالنا ننكر على الشعراء الجدد هذا الغموض الذي يكافىء غموض وتعقيد الحياة الحاضرة ؟ من صفة الشعر الجيد أن لايقدم للمتلقي كل شيء جاهزا ، انما يترك للمتلقي ان يغني تجربة النص بمخزون تجاربه ، ولكن ينبغي الاحتراز بالاشارة أن الغموض غير الالغاز ، وشتان ما بينهما .

ان قضية الشعر الحر لم تعد موضع جدال ، فقد حسمها الزمن ، وتقبلت جماهير القراء في العربية هذا الشعر ، ووجدت في قصائده مضمونا وشكلا ، تعبيرا عن همومها وتطلعاتها ورغبتها في التطور ، انطلاقا من تحولات العصر ، لقد رسخ الشعر الحر ، وأصبحت له تقاليده وجمالياته ، وغدت قصائد أواخر الأربعينيات والخمسينيات من الموروث الشعري الذي انطلقت وتنطلق منه الأجيال التالية ، برغبة تجاوزه لا الوقوف عنده

ان القضية ليست قضية شعر تقليدي وشعر حر ، ولكنها قضية شعر جيد وشعر رديء ، ويقع الجيد والرديء في الشعر التقليدي كما يقع في الشعر الحر

وبعد فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . □

- ■ ان الأمة لا تكون أمة قوية الا اذا كانت تؤمن بالله (أفلاطون) .
- ■ أحسن وسيلة للتمتع بالسعادة ، هي أن تشرك فيها غيرك (بيرون) .
- ■ ان مؤهلات الحاكم تتلخص في كلمة واحدة : الأمانة (توماس جيفرسون) .
- ■ ان موقف الحقيقة غالبا ما يكون صعبا ، ولكنها لا يمكن أن تتحطم (شوبنهاور) .
- ■ قلما تتذوق شيئا صافيا أو لذة خالصة (مونتي) .



أول وزير "للذكاء في العالم"

بقلم : الدكتور عادل عبد الكريم ياسين

الثروة المادية ثروة عابرة ، تخضع لظروف لايمكن التنبؤ بها ، وتبقي ثروة العقول هي الثروة الحقيقية للأمة.. لأي أمة أما كيف تستطيع الأمة أن تصبح أمة مفكرة خلاقة ؟ حول هذا التساؤل يتحدث . المقال .

منذ نصف سنوات خلت ، أو في شهر مايو من عام ١٩٨١ على وجه التحديد ترامي لمسامعي اسم « ماشادو » في حلقة دراسية في جامعة سري في انجلترا ، شارك فيها البروفسور « سكمب » عالم النفس والرياضي المعروف ، حيث تعرض للكتابة عن « الذكاء الانساني » وكان مما قاله .

« هناك رجل يدعى « ماشادو » بدأ عملا فكريا غير مألوف ، ومن السابق لأوانه الحكم على هذا العمل المثير ، فهذا الرجل يزعم بأنه يمكن « تعليم » الذكاء لمجموعة أفراد الأمة ، واقترح على المهتمين في الحقل التربوي أن يتابعوا هذه التجربة بجدية

وفي فبراير ١٩٨٢ قرع مسامعي نفس هذا الاسم مصحوبا « بالعظيم » في حلقة دراسية في الجامعة المذكورة عن « التعليم الأفضل » وكان المحاضر حادا في نقده للتعليم في بريطانيا خصوصا ان تقرير كوكروفت كان آنذاك يجلجل ، مشيرا الى الضعف في بنية التعليم البريطانية وخصوصا بالنسبة لمادة الرياضيات .

مناهج التعليم

وكان بعض ماقاله المحاضر يتلخص في أنه : « يجب أن نعيد النظر في جميع مناهج التعليم وأساليبه ، ففي عصر تفجرت فيه المعرفة لدرجة تصعب حتى على المتخصص متابعة ميدان تخصصه ، فلا يبقى أمامنا الا أن نتوقف لنختار مانراه أساسيا لتزويد المتعلم به ، اذ لايجب أن نستمر في معاملة العقل كسلة للنفايات ، والحل الوحيد في رأيي يكون في جعل « تعليم التفكير محورا للتعليم الأفضل » !

وتطرق بعد ذلك الى من أسماه « ماشادو العظيم » الذي ينفذ تجربة رائدة في « تعليم الذكاء » لأمة كاملة !!

وفي صيف عام ١٩٨٤ ، وبينما كنت مع وفد في مهمة علمية للولايات المتحدة ، التقيت بالبروفسور « خوريه حيلرمين » البورتوريكي الأصل ، في حلقة دراسية حول « العجز عن التعلم » وأعقب المحاضرة نقاش ثري تحدث فيه « حيلرمين » باعجاب عن التجربة الفنزويلية الرائدة التي يقودها « ماشادو » أول وزير قال بامكان « تعلم الذكاء » . وقد ذكر بأنه عمل مستشارا له خلال السنوات الخمس المنصرمة كما عمل ممثلا لوزارة الذكاء الفنزويلية ، من مارس - ديسمبر ١٩٧٩ ، في الفريق الذي يتعاون مع جامعة هارفارد في الولايات المتحدة لتطوير مقررات تستهدف تعليم مهارات التفكير ، وهو يرى في « ماشادو » رجلا فذا وعالما بارزا يجدر أن تفيد منه دول العالم كافة ، ودول العالم الثالث بالذات بصفة خاصة

من هو ماشادو ؟

ترى من هو هذا الرجل « ماشادو » ؟

لقد ولد لويس البرتو ماشادو في عائلة فنزويلية ثرية في بداية الثلاثينيات ، ودرس المحاماة في اسبانيا ، وامتهنها لفترة ، وعاد فتحول عنها الى الفلسفة والشعر والسياسة ، وربما كان للظروف المحيطة به تأثير على توجهاته ، ففنزويلا تنعم بقدر جيد من الديمقراطية في منطقة تخضع لنظم الحكم العسكرية ، ولو أنها تنعم بثروة نفطية كان مردودها المادي كبيرا في السبعينيات ، رغم أنها مازالت تعج بالفقر والبؤس والشقاء .

وعلى الرغم من الازدهار النفطي آنذاك ، فلقد كان ماشادو يصر على أن « النفط ثروة عابرة تخضع لظروف لايمكن التنبؤ بها وتبقى « ثروة العقول » هي الثروة الحقيقية للأمة ، وهو يرى أن الأمة الذكية هي التي تحافظ على حريتها ولو أنها قد تتعرض لقيام حكم دكتاتوري ، ولكن ذلك حتما سيكون أمرا عابرا ، اذ سرعان مايلفظه هذا الصنف من الأمم الذكية .

ويعتقد « ماشادو » بأنه يمكن تطوير الذكاء الانساني « بمعنى العمل على انمائه » وقد كان هذا أساسا لبرنامج طموح للأمة الفنزويلية بطلة ذلك الرجل الفريد والصلب الذي وصف يوما « كمبعوث مطلق الصلاحية للذكاء الانساني » وفاز البرنامج بدعم الرئيس الفنزويلي « لويس هيريرا كامبر » الذي أنشأ لأول مرة في تاريخ الانسانية المعروف « وزارة تطوير الذكاء الانساني » في بدايات عام ١٩٧٩ ، ليكون « ماشادو » وزيرا لها ، وليصبح بذلك أول وزير للذكاء في العالم .

أما البرنامج فكان شاملا ، بحيث شمل مستشفيات الولادة والمدارس والجامعات والقوى المسلحة وأفراد الخدمة المدنية بدعم مباشر من الرئيس كامبر ووزراء الصحة والتربية والتعاون والاعلام ، لكن ماشادو كان وزيرا بلا حقيبة وزارية ، بمعنى أنه لايشرف على ادارة حكومية خاصة ، كما لم تخصص له ميزانية كبيرة .

بعض قناعات الرجل

لم تتغير بنية الدماغ منذ الخليقة .

* التربية وراء نهوض الأمم وتخلفها

كان « ماشادو » يهوى الحديث في البدء عن المفاهيم العامة ، حيث كان من الصعب تحوير الحديث معه باتجاه التفاصيل ، اذ كان يصر على ترك المجال للتطبيق » العملي ، والبرنامج الفنزويلي لايقوم على نظريات محددة تعود لأية مدرسة أو لأي فرد ، فالمدخل اليه ذو صفة انتقائية عالية ، كما يفيد من منهجيات متعددة ، ومع ذلك فان « ماشادو » يزعم بأنه مبادئه العلمية واضحة ، وقد تجنب هو وأعوانه الخوض في أي نقاش يدور حول الذكاء في الولايات المتحدة ، لينأى عن أي جدل مبكر حول التقليل

(كما يعتقد) من دور الذكاء الموروث ، أو من دور (اختبارات) الذكاء ، التي يختفي حلمها بعض ممن يرون بأن هناك عروقا ذكية وأخرى ليست كذلك !!

العوامل البيئية

وينحو « ماشادو » نحوا آخر ، اذ أنه يعتنق وجهة النظر التي تقول بأنه لم يجر تطور كاف للطاقات الفكرية للكائنات الانسانية العادية ، « فنحن نتجه لأن » نمنح هؤلاء الفرصة لرفع قدراتهم الفكرية الى أقصى مدى وهو لاينكر الفروق في المواهب الموروثة بين الأفراد ، ولكنه يعتقد بأن العوامل البيئية ذات أثر أعظم وأكثر أهمية اذ يقول :

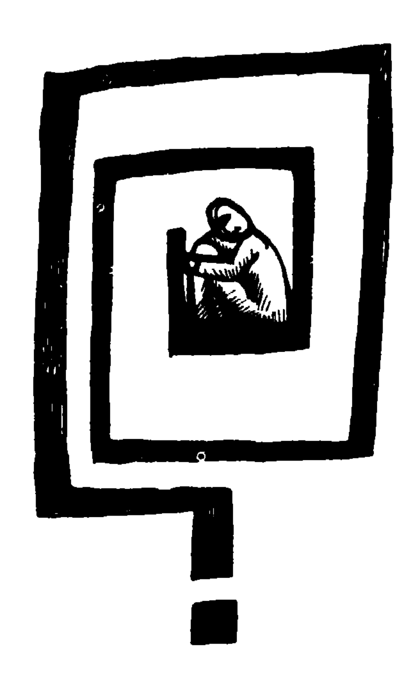
« كل الأطفال العاديين موهوبون . وواجبنا تطوير طاقاتهم الكامنة الموروثة » .

واحد من المبادىء التي تقود تفكيره ، يؤكد كما أسلفنا على ضرورة أن تصبح « فرص » تطوير الذكاء متاحة للجميع وليس للقلة ، ثم يقول « اذا سمحنا للقلة أن تطور ذكاءها فانها لامناص من احتكار القوة ، بحيث يكون هناك الطغيان الأعظم » .

وواحدة من الفرضيات المهمة التي يعتبرها أساسا لحواره تقول بأنه « **يتضح مما تفيده علوم اليوم ، بأن بنية دماغ الانسان الحالي لاتختلف في الشكل والجوهر عن مثيلتها منذ فجر التاريخ ، فما الذي تغير اذن حتى تنهض أمم وتتخلف أخرى ؟** »

ويجيب : **انها التربية ، وانه التعليم الذي تعاقب** على أجيال الأمة !! كما يرى بأن الاختلاف بين الأذكياء وغيرهم يعود للأساليب التي توصل المعلومات للدماغ « والتربية من أفضل السبل » لتطوير عملية المعالجة هذه لرفع طاقات الأفراد الفكرية ، ولكل انسان الحق في « تطوير هذه الطاقة » فمن واجب الأمة العمل على اتاحة فرصة التطوير هذه للجميع منذ أن يكون الفرد جنينا ، وعلى امتداد حياته على الأرض .

وهكذا فان برنامج تعزيز الذكاء الفنزويلي ينطلق من التأكيد على العناية بالجنين قبل الولادة وبعدها ، وكان أن تم تدريب الأطباء والهيئات التمريضية والمتطوعات في مستشفيات الولادة ، لتزويد الأمهات بالارشاد ، فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة لدى الأطفال



حديثي الولادة ، في محاولة لتحفيز الطفل واثارة فعاليته ، ليكون أكثر استعدادا لاكتساب مهارات التفكير مع نموه ، واضافة الى ذلك فقد تم تسجيل هذه المعلومات على أشرطة الفيديو لعرضها على أجهزة التلفزيون في غرف الولادة ، وهو على قناعة بأن السنوات الست الأولى من عمر الطفل هي أهم فترة في حياته على الاطلاق ، فيما يتصل بتطوره الفكري ، فكانت هذه المرحلة من أهم المجالات الرئيسية للبرنامج من خلال التركيز على الأسرة ، بالاستعانة بوسائل الاعلام الوطنية ، وقد أعدت سلسلة شيقة من النقاط القصيرة ، كان يجري تكرار عرضها في التلفزيون باستمرار ، كما هو الحال في الاعلانات التجارية ، وقد عم البرنامج كل أنحاء فنزويلا ، حيث انهمك طلاب المدارس وموظفو الحكومة وعمال الانتاج والفلاحون والجنود في استيعاب البرنامج الذي أسموه « الذكاء أو تعلم طرائق التفكير » وأصر على أن يخوض كل سكان فنزويلا (١٤ مليونا) التجربة في محاولة جادة لرفع ذكاء الأمة بمجملها .

تعليم التفكير

وهو ينادي بضرورة اجراء جراحة جذرية في بنية مناهج « معاهد وكليات المعلمين والمدرسة والجامعة » واعادة تشكيلها لتصبح قائمة على « تعليم التفكير إذ

أن هذا خير وسيلة لانماء الذكاء « فتعليم التفكير هو تعليم الذكاء » .

وفي السنة الأولى شارك في المشروع أكثر من مليون طفل بين التاسعة والرابعة عشرة « ليتعلموا كيف يفكرون » وكان ذلك في خريف ١٩٨١ .

اذا اخذنا برأي « هب » الذي يقول بأن الذكاء موروث ومكتسب واستثنينا رأي « فيرنون » الذي يربط الذكاء بروائز الذكاء (ولهذه المقولة ناقدون كثيرون في الغرب وعلى رأسهم « جاردنر » الذي يرى بأن هذه وثيقة الصلة بثقافة العرب فحسب) ان « ماشادو » يركز كما رأينا سابقا على أهمية الجانب المكتسب ، بل يرى في ذلك أساسا جوهريا لاختلاف الأمم في ذكائها ، فالأمة الذكية - كالفرد الذكي - تكتسب « كما » من الخبرات ، توظفها في التقدم والتفوق ، مما يجعلها جديرة بصفة الذكاء ، وقد يكون السؤال الجوهري ماهي الخبرات التي تساعد على رفع ذكاء الفرد وبالتالي الأمة ؟ ومانعنيه بالذكاء هنا ببساطة هو ما يأخذ به « بركينز » أحد العاملين في مشروع الذكاء في هارفارد اذ يرى فيه « كل مايجعل المرء يفكر بصورة أفضل » وهو موقف وظيفي وعائي معا ، وبالتالي فان هذا يشتمل على كل ما نتصور : المهارات الدراسية والقدرة الجيدة على حل المشكلات اليومية ، والمحاكمة العقلية الجيدة ، وقدرة التحكم بالذات وغير ذلك

دور التربية

وهذه الجوانب تتضمن ما يبحث السؤال السابق عنه ، وبالطبع فان هذه تطرح السؤال المثير للجدل : هل يمكن للمرء ان يكتسب هذه الصفات أو الخبرات عن طريق التعلم ؟ وبمعنى آخر : **هل يمكننا أن نتعلم الذكاء ؟ وكيف ؟**

ولايستقيم البحث عن اجابات مناسبة لمثل هذه الأسئلة دون أن نعي بالمسلمات التي يطرحها « ماشادو » وهي :

* نعم : يمكن لكل فرد أن يكون ذكيا .
* التفكير مهارة يمكن للمرء ان يتعلمها
* تعلم التفكير وسيلة لرفع (تعلم) الذكاء .
* التربية أفضل السبل لتعلم الذكاء

ويتفق « ماشادو » مع « دي بونو » الذي يعلم طرائق التفكير في جامعة كمبردج في انجلترا ، والذي ألف كتابه « آلية العقل » الذي يفترض فيه بأن التفكير مهارة لايحتكرها القلة ، وهي بمتناول كل انسان ، اذا ما أحسنا اعداده لذلك .

وقد أرسلت الصين ٤٠ مبعوثا رسميا الى فنزويلا برئاسة نائب وزير التربية لدراسة ونقل افكار ماشادو الى بلادهم ، وهناك نشاط حاد في دول أمريكا اللاتينية لدراسة أبعاد التجربة ، كما أن اليونسكو أولت اهتماما بارزا بالمشروع .

واذا كان « ماشادو » يهوي أن يسميه الناس « بشاعر الذكاء » فهو يرى بأن أبرز حدث في هذا القرن سيكون مايسميه « انفجار الذكاء » الذي قادته بلاده ، بل ان عالم النفس « سكنر » يرى بأن عمل « ماشادو » أجرأ ما حدث في هذا القرن

ويتنبأ « ماشادو » بأنه اذ قدر لرياح المشروع أن تستمر ، فان بلاده **ستتصدر الذكاء في العالم** .

لا أغالي اذا قلت بأننا أمة لاتواجه تحديات الاستمرار ، فحسب ، بل والوجود أيضا فهل نعي الدرس ؟ وهل نستطيع نحن التربويين أن نتلمس دورا أفضل ؟ . □

■ **الانسان الذي لا يفقد عقله أمام الاغراء .. ليس لديه ما يفقده (ليسنج) .**

■ **الناس نوعان : نوع ينظر الى الطين أو نوع ينظر الى النجوم (فريدريك لانجبريدج) .**

خالد العدساني والعمامة والكتاب غير المنشور !

بقلم : عبدالله زكريا الأنصاري

خالد العدساني ، سياسي وأديب من الكويت ، أدى دوره ، وسجل بعض ما عرفه وعايشه في كتبه وأشعاره .

لكن كتابا من بينها لم ينشر وبقي حبيس الأدراج ، فما هي الأسباب والدواعي ؟ وما هي قصة العدساني .... مع العمامة ؟

العمامة هي اللباس العربي ، والعمائم هي تيجان العرب ، ولعلها اللباس العربي الذي يدل على الجد ، ويدل على العمل ، ويدل على العزم والحزم ، وخوض الحروب ، لأن صاحب لسان العرب يقول في العمامة ، ان الرجل إذا أرخى عمامته فمعناه أنه ، أمن ، وترفه ، لأن الرجل يرخي عمامته عند الرفاه ، ويشدها عند الجد .

يقول الشاعر العربي : ـ

ألقى عصاه وأرخى من عمامته
وقال : ضيفٌ ، فقلتُ : الشيبُ ؟ قال : أجل

يقول الشاعر ، إنه ألقى عصاه وأمن ، وأرخى من عمامته ، وتمدد قائلاً إنه الضيف ، أعني الضيف الذي جعله يتمدد ويرخي عمامته ، ويُلقي عصاه ، ويخلد إلى الراحة والهدوء ، فلا حزم ولا عزم ، ولا جد ولا كد ، ولا تعب ولا حروب ، وعندما سأله السائل عن هذا الضيف الذي حلّ به وهل هو الشيب ؟ قال : نعم : إنه الشيب الذي يُلقي العصا ، ويُرخي العمامة ، ويبعث في الانسان الوهن والضعف والفتور ، ويدفعه إلى إلقاء السلاح .

نعم إنه الضّعف والوهن ، وهما الشيب ، لكن ما بال أولئك الذين ألقوا بعصيّهم ، وأرخوا عمائمهم ، واستسلموا دون شيب ، أي دون ضعف في الأبدان ، ودون وهن في الأجسام ؟ ويطلق صوت من وراء الستار مردّداً قول أبي الطيب المتنبي : ـ

حل كلية الامام الأعظم ، وعمائم هذه الكلية تختلف شيئاً عن عمائم الأزهر الشريف ، ولا ندرى متى اتخذت العمامة طابعاً دينياً ؟ ومع ذلك فنحن نرى اليوم بعض الناس في بعض البلدان العربية ما زالوا يستخدمون العمامة غطاء للرأس ، لا سيما في الأرياف والقرى والمناطق النائية عن المدن الكبيرة ، وهؤلاء قد لا يكون لهم علاقة بالدرس والتدريس في علوم الدين ، لكن على العموم فهي طابع يتحده رجال الدين شعارا لهم هنا في أقطارنا العربية ، وفي بعض البلاد الاسلامية الأخرى .

ولا نريد أن نتحدث عن الذين يتخذون من العمامة ذريعة للتظاهر بالدين مثلاً ، أو ذريعة للغش والخداع ، أو وسيلة للحيلة والمكر بالطيبين من الناس ، فهي على كل حال كانت لباساً عربياً يدل على الجد والمهابة والحرم ، فأصبحت لدى رجال الدين لباساً يُضفي عليهم شيئاً من الوقار ، واتخذها البعض ذريعة لحاجات يقضونها ، ومع ذلك فهي لباس وقور طالما اتخذه حاملو العلم والمتفقهون بالدين شعارا مميزاً يدل على المهابة والوقار ، وطالما لبسه الأفاضل من الرجال العاملين المصلحين ، والمخلصين في عملهم ، الصادقين في أقوالهم .

والعمامة على كل حال مظهر لا جوهر ، ولهذا غدت لباساً يلبسه الصالح والطالح ، ويستعمله العامل والخامل ، ويضعه على رأسه الصادق والكاذب على حد سواء .

العدساني والعمامة

وربما فُرضت العمامة على المرحوم خالد العدساني عندما كان يدرس في بغداد في كلية الامام الأعظم في الجامعة الهاشمية ، وأنت ترى مع هذا الحديث صورته بالعمامة ، وقد علق عليها بخط يده هكذا : - (رسمي أخذ في سوق السراى ببغداد في يوم الخميس ٢٧ جماد الأول سنة ١٣٤٣ ، الموافق ٢٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤) وكانت هذه الصورة مخفية بين أوراقه ، ونشرت لأول مرة بعد وفاته مع المقال الذي نشرته عنه في مجلة (العربي) من قبل . ولعله كان لا يريد أن ينشرها وقت حياته ، ولما توفي أصبحت ملكاً للناس وللباحثين عن تاريخ حياته .

كان المرحوم قد انتقل إلى عالم الخلود مساء يوم



المرحوم خالد العدساني

وإذا كانت النفوسُ كباراً
تعبت في مُرادها الأجسامُ

قلت نعم ، فهمت ماذا تعني أيها الصوت ، إنك تعني متسائلا ، وماذ يحدث إذا كانت النفوس صغاراً ؟ أجل : يحدث الخور والوهن والاستسلام ، لكن أهذا ما أردت ؟

من التاج الى الشعار

وتطور وضع العمامة بعد أن كانت تاجاً ، إلى أن أصبحت شعاراً أو شبه شعار يلبسه دارسو الدين ، وها أنت ترى في بلادنا العربية أشكالاً من العمائم على رؤوس دارسي الدين ومعلميهم لا تشدها الشدائد ، ولا يرخيها الرخاء ، وإنما هي عمائم تعلو الرؤوس وقت الدرس ، وترتخي وقت العرس ، وتُلقى أو ترفع ، أو تُنحّى جانباً وقت النوم ووقت التمدد والاسترخاء .

المرحوم خالد العدساني لبس العمامة أو أُلبِسَها يوم

السبت الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٨٢ ، الموافق ١٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٢ . ووجدنا في بعض أوراقه التي تركها ، تاريخ ميلاده بخط يده يقول فيها : ـ (ولدت في شهر رجب سنة ١٣٢٣) وهذا التاريخ يوافق شهر سبتمبر سنة ١٩٠٥ ، أي أنه توفي عن عمر يبلغ تسعة وسبعين عاماً هجرياً .

ترك المرحوم وراءه شيئاً قليلاً من الفكر ، شعراً ونثراً ، طُبع منه كتيبٌ « نصف عام للحكم النيابي في الكويت » وهو ملخص أعمال أركان العهد النيابي الأول في الكويت ، وجاء فيه وعدٌ بكتاب مفصل يصدر في ظروفه وميعاده المقدور ، وصدر له بضع قصائد وقت حياته أسماها « عدسانيات » . أما الكتاب الذي لم يطبع بعد فهو أهم أثر أدبي للمرحوم ، ففيه يسجل باسهاب حركة المجلس النيابي الأول ، كيف قام ، وكيف عاش ، والأحداث التي مر بها ، والملابسات التي حصلت له ، ثم نهايته السريعة التي عجلت به ، وهو كتاب مهم للذين يرصدون تاريخ الحركة النيابية في الكويت ، بل للذين يرصدون تاريخ الحركة السياسية صحيح انه يسجل تاريخ فترة قصيرة من حياة الكويت ، لكنها فترة حافلة مليئة بالأحداث ، سواء في الكويت ، أو في المنطقة ، لا سيما بعض البلاد العربية المجاورة ، وبجانب تسجيله لحياة الكويت ، فهو سجل مهم لبعض رجالات الكويت الذين ساهموا في الأحداث من الذين اشتركوا بالمجلس أو الذين لم يشتركوا .

لقد كانت الكويت في تلك الفترة تعيش حياة بسيطة عادية ، بعيدة عن مظاهر الترف ، بل كان معظم أهلها يعيشون عيش الكفاف ، على الغوص والسفر إلى سواحل الخليج وسواحل الهند وسواحل أفريقيا ، وهناك قلة من التجار الذين يتعاملون مع البلدان المجاورة ، وبعضهم مع بعض بلدان العالم في الشرق والغرب ، واستخراج اللؤلؤ جعل هؤلاء القلة من التجار يمدون تجارتهم إلى أوروبا وإلى آسيا ، لا سيما الهند الموحدة في ذلك الوقت ، وإلى أفريقيا .

وكانت هناك قلة من الشباب تتطلع إلى حياة أفضل ، وكانت هذه القلة على جانب من الثقافة والاطلاع أدى إلى طموحها ورغبتها في تطوير البلاد ، وتنظيم بعض شئونها مثل التعليم وارسال البعثات إلى الخارج ، والعناية بالصحة العامة وجلب الأطباء والأدوية والاهتمام بالنظافة عن طريق البلدية وتطويرها ودعمها بالكفاءات ، وسن القوانين لتنظيم مختلف شئون البلاد ، وكانت الكويت في ذلك الحين صغيرة بعدد سكانها ، لكن كان لأهلها امتداد إلى كثير من بلدان العالم ، لا سيما تلك البلدان التي سبقت الكويت بسن القوانين ، وتنظيم شئون البلاد ، ولا يتم ذلك إلا بالوعي وبالعلم والفهم والادراك .

ملامح وملابسات مرحلة

وكان المرحوم خالد العدساني يعايش هذه الأحوال ، ولهذا سجلها في كتابه المفصل الذي وعد به ، وربما دفعه حرجه من اخوان أعزاء عليه إلى عدم نشره ، لأنه رحمه الله سجل الأحداث بصراحته المعهودة ، وروى الملابسات بكل وضوح ، ورسم تصرفات أبطال هذه الأحداث والذين شاركوا فيها بكل حرية ، ومنهم الصديق ، والقريب ، والعزيز ، لكن التاريخ لا بد أن يأخذ حقه في الصدق والأمانة والاخلاص ، وهذا ما حدث لكتابه ، ولم يغفل الأيدي الأجنبية التي أرادت أن يكون لها دور ، وأن تقوم باللعبة حتى نهايتها ، ولم يغفل أيضاً الذين شاركوا باللعبة فقد سجل تصرفات الرجال المخلصين ، وسجل تصرفات غير المخلصين إما جهلاً أو تعمداً ، فهناك بعض الذين أساءوا التصرف ، أساءوا عن جهل وليس تعمداً ، وهؤلاء مخلصون طبعا ، لكن إخلاصهم مشوب بالجهل أو الغفلة لكن هناك بعض الذين أساءوا التصرف عن عمد ، وهؤلاء غير مخلصين للبلاد بلا شك ، والأذكياء المخلصون هم الذين يريدون البناء ، ويريدون الاصلاح ، لكن الخبثاء هم الذين يسعون أبداً إلى الدس والفتن ، وإثارة العداوة والبغضاء بين الناس ، والناس تختلف طبائعهم ، منهم من يسعى للبغضاء إذا اعتقد أنه يستفيد منها .

إذن فالمرحوم خالد صور بكتابه هذا كل شيء على علاته ، وربما كشف هذا الكتاب لدى بعض الناس من أهل الكويت صوراً مختلفة عما كانت في أذهانهم ، وربما عكس حقائق تغير مفاهيم لبعض الناس مختلفة ، فالمصور لا بد أن يصور الأشياء على حقيقتها ، سواء كانت هذه الأشياء جميلة أو قبيحة ،

والناس من التراب ، والتراب يحتوى على معادن مختلفة منها الثمين ، ومنها الرخيص ، ولهذا فأنت ترى الأجسام عندما تدفن في التراب تتحلل ، وكل عنصر يذهب إلى عنصره ، فالذهب يذهب إلى الذهب ، والحديد إلى الحديد ، والتراب إلى التراب وهكذا بقية العناصر .

خلاصة القول أن كتاب المرحوم هذا الذي وعد به في طروفه يفيدنا في الاطلاع على الحركة السياسية في الكويت ، ويفيدنا أيضاً في الاطلاع على الحركة الفكرية ، ويفيدنا في معرفة ثقافة الكاتب ، ويعطينا صورة واضحة على مقدرته في الكتابة ، ومدى متانة أسلوبه وسلامته ، فقد وجدنا المرحوم شاعراً ، لكن أشعاره المنشورة وغير المنشورة لا تدل على تمكنه من الشعر ولا على قوة شاعريته ، بل تدل على حبه للشعر ، وحبه لمحاولة كتابة الشعر والتعبير به عن معاناته ، وفعلاً جاءت بعض أبياته موفقة استطاع أن يعبر بها بوضوح عن بعض أفكاره وآرائه السياسية وغير السياسية ، لكن لعل كتاباته النثرية تزيدنا وضوحاً وتعطينا صورة جلية عن آرائه وأفكاره ، زد على ذلك مقدرته على الكتابة النثرية ، ومقدرته على صوغ أفكاره بصورة أكثر قوة ، وأبلغ بياناً .

هذا فيما يتعلق بالأدباء ، وبالنسبة لما يتعلق بأرباب السياسة ، وأهل التاريخ فلا شك أن الكتاب سيعينهم على معرفة تلك الفترة معرفة واضحة ، تلك الفترة التي سجل فيها الكتاب ، وهي وإن كانت فترة قصيرة ، إلا أن أحداثها مهمة ، ذلك أن بعض الفترات تكون مليئة بالأحداث ، بعكس تلك التي يخيم عليها الركود والهدوء ، ولا تتمخض عن أحداث ذات بال ، ولا يخفى أن الأحداث التي سجل لها المرحوم في كتابه ، أعني أحداث المجلس الأول لم تتعد نصف العام ، إلا أن لها ذيولاً سابقة وذيولاً لاحقة ، تعين المؤرخين على رصدها وتسجيلها بشكل جيد ، لا لبس فيه ولا ابهام .

ولم نطلع على آثار ذات بال للمرحوم أهم من هذا الكتاب ، لكن هناك رسائل أدبية بينه وبين المرحوم الشاعر خالد الفرج ، تحتوى على صور أدبية جميلة ، وكان المرحوم خالد العدساني يتسمّى باسم « خالد فوزى » ولهذا ترى رسائل خالد الفرج يوجهها إليه بهذا الاسم ، وكان الفرج رحمه الله يتنقل بين أنحاء الجزيرة العربية ، مرة في البحرين ، ومرة في القطيف ، وأخرى في الدمام وهكذا ، وكان يرسل خطاباته من هناك إلى صديقه وسميه خالد العدساني المقيم في الكويت ، والمرحوم خالد العدساني سبق أن عمل خارج الكويت ، وفي هذه البلاد التي ذكرناها ، لا سيما البحرين .

وكان كل من الخالدين يبث شكواه ومشاعره لأخيه ، وهكذا يتبادلان الرسائل ، ويتحاوران في أمور مختلفة ، لا سيما تلك التي يعانيان منها ، وكم كنت أتمنى من المرحوم خالد الفرج قصيدةً يصف بها عمامة زميله المرحوم خالد فوزى كما يسميه ، إذن لكانت قصيدة تضم إلى قصائده التي يداعب فيها زملاءه ، والمرحوم خالد الفرج كان يتحين الفرص ليداعب أصحابه ، وربما أتت مداعباته جارحة ، فهو شاعر والشاعر لا يرد خاطرة شعرية ترد إليه ، بل يلقطها ويصمّها إلى مداعباته حتى لو أتت بشكل قاس شديد ، ومن يدرى لعل المرحوم زميله الفرج لم يطلع على صورة زميله المرحوم خالد العدساني بالعمامة .

نقول إن المرحوم خالد العدساني لبس العمامة ، وإن لم يكن شديد التدين ، مما يدل على أن العمامة مفروضة عليه ، ولم تشع صورته بالعمامة بين الناس ، حتى بين أهله ، وكتب الشعر ، وتغزل به ووصف ، ونظم بالقوميات والاجتماعيات ، وهو شاعر مقل ، وكتب النثر ، أدباً وسياسةً وتاريخاً ، وأهم ما كتب كما ذكرنا ، تاريخه الموعود ، ورسائله مع أصحابه ، ومن المؤسف أن تكون رسائله مع الزملاء والأصدقاء رسائل مبتورة ، فقد يكتب رسالة لزميل لم يحتفظ بصورة منها فتضيع ، ويختلط أمر المناسبة التي كتب فيها فلم تتضح بشكل كاف ، ونقرأ الرد عليها فيعطينا بصيصاً منها ، لكن يبقى الغموض محيطاً بها .

هناك بعض الرسائل التي كان يحتفظ بصورة منها ، لكنها قليلة ، وهناك مع ذلك الكثير من الرسائل التي لم نطلع عليها ، ولا ندرى إن كانت موجودة بين أوراقه ودفاتره ، أم أنها ضاعت فيما ضاع من آثاره الكتابية والأدبية . ولعل الظروف تسمح في الاطلاع على المزيد من آرائه وأفكاره فيما يوجد من آثاره ، كتابة نثرية أو شعرية ، والله أعلم . □

بقلم : محمود المراغي

أصحاب النفوذ

طبقا لأوضاع عام ١٩٨٠ ، حاول بعض الاحصائيين القيام بدراسة حول النفوذ الدولي .. من الذي يملكه ؟ .. ما هي الدول التي تملك مقوماته ؟ .. كيف ينتقل التأثير من دولة الى أخرى .. و. كانت النتائج على غير المتوقع !

تم البحث في ٧٧ دولة تضم (٨٥) بالمائة من سكان العالم ،واتضح أن عوامل النفوذ الدولي تتركز في أربعين فقط .

وبطبيعة الحال كان ، كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في المقدمة .. ولكن بفارق كبير حيث حصل السوفيت على (٤٥٨) نقطة ، بينما لم يحصل الامريكيون الا على (٣٠٤) نقاط .. ثم .. يأتي في الترتيب مع فارق كبير كذلك : البرازيل - المانيا الغربية - اليابان - استراليا - الصين .. وبعدها تأتي اثنتان من الدول الغربية التي تحمل اسم « الكبرى » ، والتي قادت حركة الاستعمار لفترة طويلة من الزمان وهما : فرنسا وبريطانيا .

الترتيب على هذا النحو يعكس ما اعتبره الاحصائيون عناصر قوة .. فضم : القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ، وامتلاك استراتيجية واضحة بالاضافة الى عوامل أخرى مثل : المساحة التي تحتلها الدول ، وعدد السكان الذين تضمهم حدودها .

و .. يبدو أن العنصرين الآخرين (المساحة والسكان) من العوامل الحاسمة بالفعل .. فوفقا لبيانات الأمم المتحدة حول ١٨٨ بلدا ، هناك عشرة بلاد تحتل أحدها أكثر من نصف المساحة . وبالتحديد (٥٢٪) من مساحة هذه البلدان ، .. بل ان هناك ثلاث دول تقترب مساحة كل منها من ربع المساحة الكلية وهي : الاتحاد السوفييتي وكندا والصين .. الأولى تحتل وحدها ١٤٪ من مساحة ما أمكن حصره من بلدان(وهي كل العالم المأهول بالسكان) .. أما الثانية والثالثة فتحتلان ٦,٦٪ و ٦,٤٪ من المساحة على التوالي ، وتليهما الولايات المتحدة الامريكية التي تمثل ٦,٢٪ فقط من المساحة

وبكلمات أخرى فان ست دول مما أطلق عليه اسم العشرة الكبار من حيث النفود تعتبر من الأكبر حجما في العالم على الاطلاق . كذلك فان معظمها يتمتع بتعداد سكاني ضخم ، فالاتحاد السوفيتي طبقا لاحصاءات البنك الدولي في عام ١٩٨٣ بلغ عدد سكانه (٢٧٢,٥) مليون نسمة . كما أن الولايات المتحدة الامريكية قد بلغ تعدادها (٢٣٤,٥) مليونا ، والبرازيل (١٣٠) مليونا .. أما الصين (وهي السابعة في النفوذ حسب الدراسة السابقة) فقد بلغ تعدادها ١٠١٩ مليوناً .

.. القاعدة والاستثناء

واذا كانت هذه هي القاعدة ، فإن الاستثناء أمر وارد .. وعلى مجال واسع .

فليس الأكبر .. أكبر قوة أو نفوذا على الدوام . وليس الأصغر .. أقل نفوذا أو قوة في كل الحالات ..

وتسجل الارقام أن دولتين عربيتين هما : السودان والجزائر تقفان بين أكبر عشر دول في العالم من حيث المساحة ، حيث تمثل كل منهما : ١,٧٪من مساحة الدول التي تم حصرها . . ومع ذلك فان هده المساحة الضخمة لم تدعم نفوذها الدولي كثيرا . . بل أن دولة أكبر من حيث المساحة والسكان وهي الهند التي تحتل ٢٪ من المساحة ، ويبلغ عدد سكانها عام ١٩٨٣ (٧٣٣) مليونا ، تقف بعيدا في سلم النفوذ الدولي

الاستثناء اذن قائم ، ولكن تبقى حقيقتان تبرزهما الارقام الأولى ، انه في كل الحالات فان الرباط وثيق بين المساحة والسكان وقوة الدولة ، وليس من بين العشرة الكبار من حيث التأثير والنفوذ دولة صغيرة واحدة ، فالشكل من الحجم العملاق والكبير والمتوسط . .

واذا كانت اليابان لاتحتل مقعدا أول من حيث المساحة والسكان ، فان حجمها يدخل في هذا النطاق الذي نتحدث عنه « الدولة متوسطة الحجم » حيث يبلغ سكانها ٦٢ مليون نسمة (١٩٨٣) ، ومساحتها ٢٤٩ ألف كيلومتر مربع .

أما الحقيقة الثانية ، فانه على العكس من ذلك ، ومن بين الدول ذات الحجم القزمي ، لاتدخل دولة واحدة نادي اصحاب النفوذ .

وطبقا لبيانات البنك الدولي ، فان هناك ٣٥ دولة في العالم تتمتع بعضوية البنك ، كما تتمتع بعضوية الأمم المتحدة ، ويقل عدد سكان كل منها عن المليون نسمة ، وبالتالي فهي لاتظهر في الجداول الاحصائية التي تقدم المؤشرات الاساسية للنمو في العالم . .

و . . نفحص هذه الدول نجد أن أكبرها بوتسوانا التي يقترب سكانها من المليون ، ومساحتها من (٦٠٠) ألف كيلومتر مربع . . أما أصغرها (مثل مالطا وبادوس ومالديف) فان مساحة كل منها يقل عن ألف كيلو متر مربع ، ويتراوح السكان بين ربع المليون وثلث مليون ، وكلها كما قلنا لاتملك عوامل نفوذ دولي .

. . عوامل أساسية

المساحة والسكان اذن من العوامل الاساسية .

لكن تراجع أهميتها النسبية وفقدانها للتأثير في بعض الحالات يجعلنا نقول : ان العبرة بتوظيف ما تملكه الدولة من أرض وموارد مادية وبشرية ، ان حسن استخدام ما هو متاح هو العنصر الحاسم . .

لذا ، وعندما وضع الاحصائيون عوامل للنفوذ الدولي ، اختاروا من بينها كما قلنا :. مدى امتلاك استراتيجية واضحة . . بالاضافة الى القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ضمن العوامل الاساسية للنفوذ ، ومن هنا كان من الطبيعي أن نجد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في مقدمة ذوى النفوذ ، بما تملكانه من موارد تحولت بحسن التخطيط والادارة الى قوة عسكرية مؤثرة ، وقوة اقتصادية جبارة .

وقد يكون مفاجئا أن نجد البرازيل الثالثة من حيث امتلاك عوامل النفوذ الدولي ، بينما لاتتمتع في الواقع بمثل هذا النفوذ

وبقي ذلك أيضا : انه لا يكفي أن تمتلك الدولة عوامل النفوذ حتى تصبح ذات نفوذ . . فالامكانيات شيء ، وتوظيف هذه الامكانيات شيء آخر .

و . . قد يرد السؤال عن الوطن العربي أو الشرق الأوسط ، وتأتي الاجابة : هناك دولة واحدة تقترب من أعلى السلم في امتلاك عوامل النفوذ وهي : مصر التي تسجل ٤٦ نقطة ، ويأتي ترتيبها الرابعة عشرة . . بينما تسجل اسرائيل ٣٩ نقطة ، وتسجل بريطانيا على سبيل المثال ـ ٦٨ نقطة ، ومرة أخرى ، وحين ننتقل للوطن العربي تبرز القضية : كيف يتحول مالدينا من امكانيات الى قوة حقيقية ؟

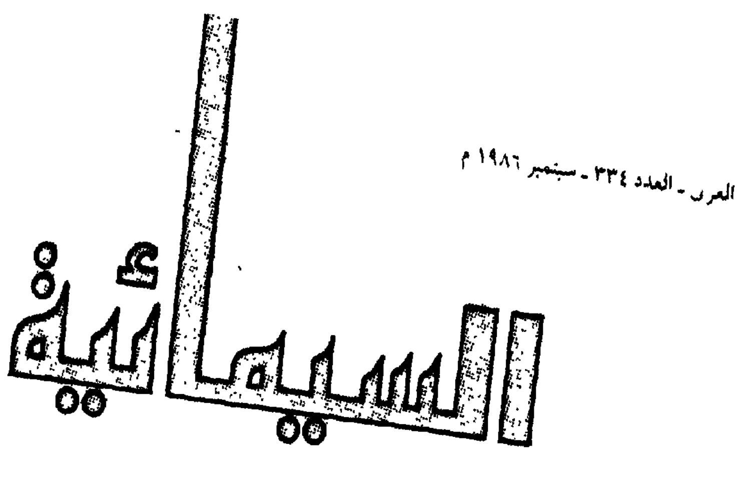
وقد يكون السؤال أكثر اثارة لو تصورنا الوطن العربي وقد أصبح دولة واحدة . . أو كتلة حقيقية واحدة ، توظف كل ما لديها من امكانات جغرافية ، وبشرية ، واقتصادية وعسكرية .

ألا تصبح احدى القوى العظمى ؟

انه الحلم ! □

■ صنع الله الريف ، وصنع الانسان المدينة (كوبر) .

العربي - العدد ٣٣٤ - سبتمبر ١٩٨٦ م



السيمائية

أحدث العلوم الإنسانية

بقلم : كمال أبو ديب

استطاعت « السيمائية » وهي أحدث العلوم الانسانية ، أن تبلور غايات محددة ، وأن تجد مجالا ومناهج عمل خاصة بها خلال العقدين الماضيين ، فما هي السيمائية ؟ وما هي غاياتها ومجالات البحث فيها ؟ .

السيمائية « Semiotics » أحدث العلوم الانسانية ، فقد استطاعت أن تبلور غايات محددة لها ، ومجالا محددا لعملها ، ومناهج عمل خاصة بها ، خلال العقدين الماضيين .

وعلى حداثة هذا العلم ، فان النشاط السيمائي الذي يشكل مادته المعرفية هو أقدم النشاطات الفكرية الانسانية على الاطلاق : فهو النشاط الدال لدى الانسان ، والنشاط المكتشف للدلالات القائمة في الطبيعة ، أو ضمن الوجود الانساني ، أي أنه النشاط الذي يرافق ظهور الكائن الحي ويلازمه ، لا يسبقه في تكونه الا النشاط البيولوجي الصرف ، أي فعل الحياة .

وفعل الدلالة والاستدلال (القراءة المفسّرة للرموز) ، اذن ، وفعل الحياة ، هما الفعلان الجوهريان المتميزان في تلازمهما للوجود الانساني ، وبمعنى من المعاني ، فان تعبير ارسطو عن الانسان بأنه حيوان ناطق يمكن أن ينقلب الآن ليصبح « الانسان حيوان سيمائي » ، أي أنه يخلق الدلالات ويقرأها مترجما الرموز التي تحملها ، وأنا حتى الآن أستخدم المصطلحات الأساسية « الدلالة » ، « القراءة » ، « الرموز » بطريقة فضفاضة شاملة ، لكني سألجأ الى استخدامها في أبعادها الدقيقة بعد قليل ، ذلك أن طبيعة العلم الذي أتحدث عنه تتحدد أصلا بأنها عملية اكتناه وتمييز وتحديد للاشارات والرموز والعلامات والعلاقات المنتجة للدلالة في النشاط السيمائي بكل أشكاله وفي أبعاده الدقيقة .

أمران مهمان

لكن قبل أن أتابع التقصيّ ، لابد من الاشارة الى أمرين : الأول هو أن المصطلح الذي أستخدمه لترجمة « Semiotics » وهو « السيمائية » ، يبدو لي أفضل ما يوجد في العربية لتأدية هذا الغرض ، وذلك لسببين : الأول هو قربه من الكلمة الأوروبية في لفظه

وتركيبه ، والثاني هو اشتقاقه المباشر من كلمة « سيماء » العربية التي تعني العلامة ، أو الاشارة ، ولقد كنت ، في بداية كتابتي عن « السيميو طيقا » بالعربية أميل الى استخدام « السيميائية » ، لكنني بعد زمن من التأمل والتمحيص ، أميل الآن الى الاستقرار على « السيمائية » ، والأمر الثاني هو أن صيغة المفرد « السيمائية » ينبغي ، في تصوري ، أن تتطور في الاستعمال لتصبح « السيمائيات » ، مجسدة بهذا صيغة الجمع في المصطلح الأوروبي « tics » ومحققة انسجاما مع صيغ مشابهة كالصوتيات ، واللسانيات والسعي الى ضبط المصطلح العلمي ومنحه درجة عالية من الانسجام في اللغة العربية ، وتطوير قدرات هذه اللغة على تمثل المعارف الحديثة ، أمر جوهري ، وشرط لازم لتحقيق التطور المعرفي - الحضاري الذي يطمح اليه الآن في الحياة العربية المعاصرة ، ولذلك أقترح تخصيص صيغة الجمع المؤنثة هذه للتعبير عن مثل هذه المفاهيم ، والعمليات العلمية ، والحقول المعرفية الجديدة ، ولا مسوّغ ، من وجهة نظري ، لاستخدام « اللسانيات » في صيغة الجمع ترجمة لـ « Linguistics » ثم استخدام « الشعرية ترجمة لـ « Poetics » ثم استخدام « السيمائية » ترجمة لـ « Semiotics » و« الاسلوبية » ترجمة لـ « stylistics » ، فمثل هذا السلوك يقضي على فرص تحقيق الاطراد في الاستخدام اللغوي ، ويعمق حالة التشتت والتشرذم الحضارية والثقافية السائدة في العالم العربي الآن . وسعيا الى مقاومة هذا التشتت والتشرذم ، والى تطوير طاقات اللغة على التعبير ، والى تحقيق سلاسة عالية في صياغة المصطلح العلمي ، أود أن ألح على ضرورة المغامرة اللغوية ، والتمسك بدرجة عالية من الانتظام ، ويبدو لي أن شيوع مصطلح « اللسانيات » وانتشاره بهذه السرعة ظاهرة مشجعة جدا في هذا المسار ، فلقد غلب هذا المصطلح على « علم اللغة » و « الألسنية » وغيرهما من مصطلحات اقترحت الى جانبه خلال السنوات العشرين الأخيرة . واذا كنت أستخدم في هذه الدراسة مصطلح « السيمائية » ، وأدعو ، في الوقت نفسه ، الى استخدام « السيمائيات » فان لذلك سببا وجيها يتعلق باستخدام مصطلحين في اللغات الأوروبية نفسها - حيث نشأ هذا العلم - أحدهما « Semiotics » والآخر « semiology » وذلك مما سينجلي في الفقرة التالية .

يمكن أن ينسب ابتكار هذا العلم الجديد ، دون تردد ، وفي حدود المعرفة التي نملكها الآن عن تطور الدراسات الأوروبية خلال هذا القرن ، الى اللغوي السويسري فرديناي دوسوسير الذي يعتبره كثير من الباحثين مؤسس اللسانيات الحديثة « linguistics » وليس غرضي الآن مناقشة دور سوسير في تأسيس اللسانيات ، بل الاشارة الى تلك الفقرات من عمله التي يرى فيها الباحثون أول تحديد جلي لمجال معرفي جديد هو « السيمائية » . وأبرز هذه الفقرات المقطع التالي من كتابه التأسيسي المشهور « **منهاج في اللسانيات العامة** » .

« ان اللغة نظام من العلامات يعبر عن أفكار ، ولذلك فانه قابل للمقارنة مع نظام الكتابة ، وأبجدية الصم - البكم ، والطقوس الرمزية ، وأشكال آداب اللياقة ، والاشارات العسكرية .. الخ . ولا تعدو اللغة أن تكون النظام الأكثر أهمية بين هذه الأنظمة » .

وبوسعنا ، لذلك ، أن نتصور علما يقوم بدراسة حياة العلامات ضمن المجتمع ، ونسمي « السيمائية » « Semiology » من الكلمة اليونانية « semion » (علامة) . وسيعلمنا (هذا العلم) ما تتألف منه العلامات والقوانين التي تحكمها ، ولأن هذا العلم غير موجود بعد ، فليس بوسعنا أن نقول ما سيكون ، بيد أنه يملك الحق في الوجود ، وان مكانته لمضمونة سلفا ، واللسانيات ليست الا جزءا من هذا العلم ، وستكون القوانين التي تكتشفها السيمائية ذات انطباق على اللسانيات التي ستجد نفسها ، بذلك ، ملتصقة بمجال من الظواهر الانسانية محدد تحديدا جيدا .

علم جديد

هنا يدعو سوسير الى تأسيس علم جديد يختص بدراسة « حياة العلامات ضمن المجتمع » . وهنا أيضا يعتبر اللغة أهم نظام سيمائي في الوجود ، ويعتبر اللسانيات علما فرعيا منضويا تحت العلم العام الشامل ، علم العلامات ولذلك يمكن ترجمة -semi

ology بـ « علم العلامات » أو « العلاماتية » ، بيد أن خصائص اللفظة الصوتية ، والاشتقاقية ، والاستعمالية تجعلها ، في تقديري ، أقل طواعية وملاءمة من لفظتي « السيمائية » و « السيمائيات »

وفي أماكن أخرى يشير سوسير الى بعض النتائج الاولية المهمة التي يعتقد أن تأسيس مثل هذا العلم سيولدها في مجال دراسة اللغة ، من جهة ، ودراسة تجليات النشاط السيمائي الأخرى ، من جهة ثانية .

« ان جوانب من اللغة تبدو لأول وهلة على قدر عظيم من الأهمية (كاستخدام الأليات الصوتية) ستبدو اعتبارات ثانوية الأهمية اذا كانت لا تؤدي غرضا سوى تمييز اللغة عن الأنظمة السيمائية الأخرى ، ومثل هذا الاجراء لن يجلو المشكلات المتعلقة باللسانيات فقط ، بل ان الطقوس ، والعادات ، الخ . . ستظهر ، كما نعتقد ، في ضوء جديد اذا درست كعلامات ، وسيدرك المرء أنها ينبغي أن تدرك في مجال السيمائية ، وتوضح تبعا لقوانينها » .

تنطلق السيمائية ، اذن ، من افتراض دقيق : هو أنه ما دامت العلامات ، أية علامات ، تعني ، أي تؤدي معنى ما ، مُشَكِّلةً نظاما متميزا ، فلا بد أن ثمة آلية لأداء المعنى (ما سأسميه منذ الآن ، « آلية العَنْي » ، مشتقا مصدرا من الفعل « عني : يعني » للحاجة الماسة اليه) . ولا بد ، بشكل دقيق ، من أن تستند هذه الألية الى مجموعة من الأعراف والقوانين ، ومن هنا تحدد وظيفة الدراسة المتأنية العلمية الدقيقة ، بأنها السعي الى تمييز هذه القوانين ، والافصاح عنها وعن آلية العَنْيْ التي تؤدي اليها .

واذا اتخذنا من اشارات المرور مثلا لجلاء ما يقال هنا ، فان أول ما نلاحظه هو أن هذه الاشارات اعتباطية ، بمعنى أنه ليس ثمة من علاقة طبيعية أو حتمية بين صرورة التوقف عن المسير وبين اللون الأحمر ، فرؤية لون أحمر في مقصف الجامعة ، مثلا ، أو في فستان ترتديه طالبة جميلة ، لا تعني ضرورة التوقف ، (واذا حدث ذلك فسيكون التوقف لأسباب أخرى ، جمالية صرف) . وليس ثمة من علاقة طبيعية بين اللون الأخضر والسماح بالحركة ، وينطبق ذلك على اللون البرتقالي ، لكن الاصطلاح التنظيمي الصرف « بين واضعي أنظمة المرور في العالم) أعطى لكّل من هذه الألوان ، من حيث هو علامة ، دلالة محددة ، ثم إننا نلاحظ أيضا أن هذه الاشارات تعني بسبب تمايزها وتشكيلها لنظام كلي (هو نظام اشارات المرور) ووجودها في هذا النظام ، وهي تكتسب معناها من شبكة العلاقات التي تنشأ بينها ضمن هذا النظام : أي من الموقع المكاني لكل منها بالقياس الى الأخريين ، ومن المواصل الزمنية التي تفصل بين اشتعالاتها وانطفاءاتها ، ومن الترتيب الذي تتم به عملية الاشتعال والانطفاء (فلو اشتعلت وانطفأت في وقت واحد لما عنتْ) ثم اننا بعد ذلك نلاحظ شيئا آخر على قدر كبير من الأهمية ، هو أن شرطا ضروريا يجب أن يتوفر من أجل أن يكون هذا النظام قادرا على العَنْي . هو أن يكون مفهوما مسبقا من قبل المجتمع الحركي (الأفراد الذين يستخدمون هذا النظام) ، والنكات الكثيرة التي تروى حول القرويين ، أو السذج الذين يفدون الى المدينة ، دون أن تكون لديهم معرفة مسبقة بدلالة العلامات ضمن النظام ، وبالمعنى الكلي له ، وما يقعون فيه من متاعب نتيجة الجهل ، هي تعبير عفوي عن لزوم توفر هذا الشرط من أجل أن يكون النظام قادرا على العني ، وهذه نقطة بالغة الأهمية في سياق آخر من هذه المناقشة ، ولذلك سأعود اليها فيما بعد

ويساعدنا المثل الذي ضربناه على ادراك حقيقة أساسية : ما دام ثمة نظام من العلامات ، فلا بد أن يكون ثمة **أعراف وقواعد تحكم آلية عمل النظام** ، ولا بد أن يكون ثمة معنى ، وهذه الحقيقة هي الشرط المحدد لمجال السيمائية ولطبيعة العمل فيه ، وللمناهج التي لابد أن تتوفر له من أجل أن يتبلور ويكتمل

واذا انتقلنا من نظام اشارات المرور الى أنظمة سيمائية أخرى ، ودرسنا خصائصها جميعا دراسة مقارنة ، فاننا سنصل بالضرورة الى النتيجة التي قررها سوسير في المقطع الأول المقتبس أعلاه : وهي أن اللغة هي الأهم بين الأنظمة السيمائية في الوجود . فبالمقارنة مع اللغة تبدو جميع الأنظمة الأخرى ، مهما ارتفعت درجة تعقيدها وثرائها عن النموذج الأبسط ـ نظام اشارات المرور ـ بسيطة وفقيرة نسبيا ، ان الطقوس في الحياة الاجتماعية تشكل نظاما

سيمائيا متميزا على درجة عالية من التعقيد ، وكذلك الازياء ، والأطعمة ، والأساطير ، بيد أن كلا من هذه الأنظمة على انفراد أقل تعقيدا وثراء وأهمية ـ على مستوى النشاط الانساني الهادف الى تكوين الحضارة والثقافة والحياة الاجتماعية ـ من اللغة من حيث هي نظام سيمائي

نموذج الأنظمة السيمائية

وبما أن اللغة هي النظام السيمائي الأكثر أهمية والأبعد غورا وتعقيدا ، فانها تصلح أنموذجا للأنظمة السيمائية كلها ، أو قاعدة لدراسة جميع أوجه النشاط السيمائي التي يمارسها الانسان ـ من حيث هو عضو في بنية اجتماعية ، ومن هنا ، فان الخصائص التي يمتلكها النظام السيمائي اللغوي ستكون قادرة على اضاءة الخصائص التي تتوفر في الأنظمة السيمائية الأخرى ، بابرازها من خفاء أحيانا ، وتحديدها بطريقة دون أخرى أحيانا ، وتأكيد درجة أهميتها أو هامشيتها أحيانا أخرى وينبغي أن يكون جليا أن هذا الكلام لايعني ، ولا يراد له أن يعني ، أن الخصائص التي يمتلكها النظام اللغوي هي الخصائص التي تملكها الأنظمة السيمائية الأخرى ، فكل نظام يشتق خصائصه من طبيعة العلامات المستخدمة فيه ، ومن نمط العلاقات التي تنشأ بينها ، ومن الوظيفة التي يسعى الى تحقيقها ، والدور الذي يمارسه في الحياة الاجتماعية .

بيد أن ثمة خصيصة أساسية تبدو مشتركة بين جميع الأنظمة السيمائية المجتمعية (تمييزا لها عن الأنظمة التي تقرها فئات فنية صغيرة) والتي تتجاوز النمط البسيط المتمثل في نظام اشارات المرور : هي أن آلية العَني في هذه الأنظمة ، والأعراف والقوانين التي تحكمها تكون ، بشكل طاغ ، لا واعية ، أو تفعل على مستوى اللاوعي في الذات الانسانية ، حتى حين تكون بعض مقوماتها بارزة ومدركة بشكل واع . ان قواعد الأداء اللغوي ، التي تتشكل على صعيد البنية العميقة للغة ، مثلا والتي يستدخلها الفرد في نموه من الطفولة الى المراهقة ، هي قواعد لاواعية ، ولذلك فان المتحدث بلغة ما قادر على انتاج جمل لغوية سليمة نحويا ، وقادر على محاكمة الجمل التي ينتجها الأخرون من حيث سلامتها أو عدم سلامتها ، لكنه لا يكون واعيا بصورة عفوية لقواعد الأداء التي تحكم الجمل التي ينتجها أو التي يتلقاها من الآخرين ، وإدراك هذه القواعد والافصاح عنها بشكل واع لا يأتيان عادة الا نتيجة للدراسة التدريجية والمتخصصة غالبا ، ولقد استند أحد أبرز علماء اللسانيات المعاصرين (تشولسكي) الى هذه المقولة في تأسيس النظام المعروف بالنحو التوليدي ثم التحويلي الذي أصبح ركنا أساسيا من أركان البحث اللساني المعاصر في العالم .

لعل أهم المرتكزات النظرية للسيمائية أن تكون تلك الخصائص التي سمحت لسوسير بأن يعتبر اللغة « النظام السيمائي الأنموذجي » ، أعني ، أولا ، الطبيعة الاعتباطية للعلامة اللغوية ، فهذه الطبيعة الاعتباطية جلية في حالة اللغة جلاء تاما ، (رغم أننا قد نختلف مع سوسير حول درجة الاعتباطية في العلامة اللغوية ، من جهة ، وحول شمولية المبدأ لكل ألفاظ اللغة ، من جهة أخرى) وهي الخصيصة التي تسمح لنا بتطوير المنهج الكفء لدراسة الأنظمة السيمائية ، ولو اتخذنا من نظام سيمائي آخر أنموذجا للتحليل والتطوير المنهجي ، لبدت الأمور أقل حسما وجلاء ، ففي أنظمة كثيرة تبدو العلامات المكونة للنظام ، لا لأول وهلة فقط ، بل حتى بعد قدر معقول من التأمل ، كأنها غير اعتباطية ، أي كأن ثمة علاقة طبيعية أو حتمية فيها بين تكوين العلامة المادي ودلالتها ، ويحدث هذا في شروط تاريخية كثيرة ، يطغى فيها على وعي الممارسين للنظام السيمائي اعتقاد أنه طبيعي ، لا اعتباطي عرفي اصطلاحي . ان الطقوس ، مثلا ، تبدو لممارسيها طبيعية أو حتمية ، كما تبدو العلامات المكونة لها طبيعية أيضا ، فالتحليل والتحريم المتعلقان ببعض الاطعمة في بعض الديانات لهما أصل الهي ، ولذلك فان دلالتهما تبدو حتمية طبيعية ، وممارسة أشكال أداء معينة في الصلاة ، مثلا ، هي في جميع الأديان علامات ذات دلالات طبيعية حتمية ، ومن الصعب جدا ابراز طبيعتها الاعتباطية ، من جهة ، كما أن من الصعب اقناع الممارسين لها بهذه الطبيعة الاعتباطية ، من جهة أخرى ، ويصدق ما يقال هنا على الأخلاق والآداب في أبعادها السيمائية ، ذلك أن كون سلوك ما مهذبا

أو بـذيئا ، خيـرا أو شرا ، هـو في معظم الحـالات والبيئات خصيصة طبيعية في هذا السلوك ، بمعنى أن ثمة علاقة داخلية تماما ، بالنسبة للجماعة ، بين هذا السلوك وبين كونه شرا أو بذيئا أو مهذبا أو خيرا . وقد يكون من الصعب جدا اظهار كون السلوك المعين ذا دلالـة عـلى الشـر أو البـذاءة أو الخـير أو التهـذيب لا طبيعيـا ، بـل بحكم مجمـوعـة قـواعـد الأداء والتنظيم ، وآلية الدلالة التي تحكم موقعه في نـظام أخلاقي سيمائي كامل ، أي كـونه ، في الحقيقـة ، اصطلاحا خاضعا لأعـراف معينة وتقـاليد معيـنة ، ورغم أن هـذا الحكم ليس مـطلقـا ، بمعنى أن من السهل تصور أحداث معينة لا تكون دلالتها اعتباطية تماما ، فان القاعدة تبقى سليمة ، وسلامتها شـرط أساسي من شروط تشكل النظام السيمائي ، وتطوير المنهج الملائم لدراسة الأنظمة السيمائية جميعا

الاعجاز والبيان

لقد دار جدال حاد في الثقافة العربية حول مفهوم الاعجاز القرآني ، ارتبط لزمن طويل بمقولات جاهزة حول قيمة العلامات اللغوية في ذاتها (بمعنى أن بعض العلماء اعتبروا الكلمات جميلة أو قبيحة في ذاتها) ،

ولقد استمر هذا الجدال في العصر العباسي ، مركزا الآن على شعر أبي تمـام بشكل خـاص ، ولقد شن الآمدي هجوما عنيفا على أبي تمام ، متهما اياه بفساد الـذوق ، لاستخـدامـه كلمـات معيـنـة ، مثـل « الأخدع » و « الشيء » ، ولم يتطور فهم عميق ينقل كلا من دراسة الاعجـاز القرآني وشعـر أبي تمام الى مستـوى نقدي جـديـد ، الا حين جـاء بـاحثـون كالخطابي ، أولا ، ثم عبدالقاهـر الجرجـاني ، ممثلا ذروة الموجة ، لينكروا أن تكون ثمـة قيمة لـلالفاظ المفردة في ذاتها ، ويصروا على أن الجمال والاعجاز والامتياز أشياء كامنة في شبكة العلاقات التي تنشأ بين مكونات التعبير القرآني أو التعبير الأدبي عامة ، وأن الألفاظ المفردة لا قيمـة لها في ذاتهـا ، ولا يمكن أن يحكم عليها بالجمال أو بالقبح ، ولا ينشأ بينها تفاضل من حيث هي مفردات ، وان عمل الجرجاني ليمثل قفزة نوعية هائلة في هذا السياق ، تضعه مباشرة في مصاف أعمال كبار الباحثين لا في مرحلته التاريخية ، بل في القرن الذي نعيش فيه .

يجـدر بنا أن نقرر هنا حقيقة أخرى مهمة تتعلق بدور البـاحثين العـرب في تأسيس علوم اللغـة على أسس نظرية سليمة . هذه الحقيقة هي أن السيمائية ، التي قلت في الفقرة الأولى من هذه الدراسة ، إنها يمكن أن تنسب الى سوسير دونما تردد كبير ، هي في الواقـع ، عـلى مستـوى تحـديـدهـا وابـراز بعض أشكـالهـا الأساسية ، علم بَلْوَرَهُ الجاحظ لأول مرة في التاريخ اللغـوي مستفيـدا ، فيـما يحتمـل ، من مقـولات أرسطية ، فلقد قال الجاحظ في (البيان والتبين) في مقطع له عظيم الأهمية يحدد فيه « البيان » ما يلي :

« . . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو اليه ويحث عليه . .

والبيان اسم جامـع لكل شيء كشف لـك قناع المعنى ، وهَتَك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع ، انما هو الفهم والافهـام ، فـبأي شيء بـلغت الافـهـام وأوضحت عن المعنى ، فـذلك هـو البيان في ذلـك الموضع ، وجميع أصناف الـدلالات على المعـاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشـارة ، ثم العقـد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة . . والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف . . ولكل واحـد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها . . . »

ومن الجلي فورا ، ودون أية امكانية للتشكيك أو التردد ، أن ما يسميه الجاحظ هنا « البيان » هـو هو العلم الذي سماه سوسير « semiology » والفرق بينهما فرق منظوري تصوري : ففيما ركز الجاحظ على غاية العلم ، وهي الابانة والتعبير والافصاح ، فقد ركز سوسير على مكونه الآلي ، وهو العلامة ، لذلك أسماه الاول « البيان » ، وأسماه الثاني « العلاماتية » أو ما ترجمته « السيمائية » ، ثم ان الفرق بين الباحثين والتسميتين هو فرق بين ثقافتين لا بين عالمين فقط :

ثقافة تركز على المعنى ، وثقافة تركز على المكـون الشكلي وآليات التشكيل . □

منتدى العربي

قضية

مَفاهيم تربَويّة خاطئة

بقلم : يوسف ميخائيل أسعد

من الأخطاء التي شاعت في مجتمعنا العربي ، الاعتقاد بأن من حصل على مؤهل دراسي مرموق في أي مجال معرفي أو تقني ، يكون بالتالي قد حاز المعرفة ، والقدرة على الاصطلاع بالمهام التربوية على خير وجه . فالطبيب والمهندس والجيولوجي جديرون بأن يكونوا آباء صالحين لتربية أبنائهم ، وعلى نفس النحو فان الطبيبة والمهندسة والجيولوجية جديرات بأن يكن أمهات صالحات لتربية أبنائهن .

والخطأ البيّن في هذا المفهوم يكمن فيما يسمى بالتعميم ، فنحن نميل بطبيعة تكويننا النفسي الى التعميم على الكل في ضوء ما يتصف به الجزء ، فما دام الشخص قد تمكن في فنون الطب أو الهندسة أو الجيولوجيا أو أي مجال علمي أو تقني آخر ، فاننا نقرر إذن ونحن مطمئنون الى أنه قد تمكن من كل شيء ، والى أنه بالبديهة يكون والدا حصيفا في شؤون التربية ، والواقع أن الشخصية يمكن أن تنجح وأن تتعمق في قطاع ما من قطاعات الحياة ، بينما تكون متخلفة وسطحية ، بل ضامرة في بعض تلك القطاعات .

أما الخطأ التربوي الثاني فإنه يكمن في الاعتقاد السائد في أن قطاعي العاطفة والارادة من شخصية المربي يخضعان لما يحوزه من معرفة ، وبتعبير آخر فان ما يقتنع به المربي من أفكار ومفاهيم ، لا بد أن يتحكم فيما يحمله المربي - والدا كان أو معلما - من عواطف ، وفيما ينحو اليه من تصرفات ، أو فيما يصدر عنه من سلوك . والواقع أن الكثير مما نقتنع به لا يجد له رصيدا في وجداننا ، ولا يجد له صدى فيما ننزع إليه ، أو فيما نصدره من قرارات ، وفيما نضطلع به من مهام . ولقد أماط فرويد وغيره اللثام عن أن حياتنا السلوكية محكومة بعوامل لا شعورية معتملة فينا ، وأن خبرات الطفولة ومراحل العمر التالية التي مررنا بها تظل نشيطة في أغوارنا ، حتى وان خبت وتلونت كما تتلون الحرباء ، وحتى وان تمنطقت ووجدت لها ما يبررها ، ويصبغها بصبغات عقلانية تخفي حقيقتها الخبرية اللاشعورية ، أضف الى هذا ما ذهب اليه كارل يونج من أن خبرات أسلافنا البعيدين جدا والقريبين نسبيا ، تنزل الينا وراثيا فيما أسماه « باللاشعور الجمعي » .

ومعنى هذا في الواقع أن لتنقية خبرات المربي التي حصل عليها منذ طفولته الباكرة من جهة ، والضرب على أوتار صحته النفسية من جهة أخرى ، الأولوية على شحن ذاكرته بالمعلومات التربوية ، وبحقائق علم النفس ، ولسنا نقول هنا بعدم أهمية تلك المعلومات وهذه الحقائق ، بل نؤكد أهمية مستوى الصحة الوجدانية للمربي و اعطائها الأولوية .

أما الخطأ التربوي الثالث فانه يتمثل في جعل الطفل أو المراهق أو الشاب بمثابة شريط تسجيل أو فيلم يلتقط الصور ، وبتعبير آخر جعل الطفل

مستقبِلا بينما يكون المربى مُرسلا ، ولا يخفى على أحد أن الوالدين والمعلمين يَكلفون أشد الكلف بالذاكرة ، وقد أهملوا الى حد بعيد الادراك والتخيل والتصور والتفكير الذي يضطلع بحل المشكلات ، ناهيك عن أن المربين قد أغفلوا تربية التذوق والمشاعر الوجدانية والابداع لدى ناشئتهم ، فالدروس تستذكر لكي تسترجع ، ولكي تُسرد كما وردت الى الذهن بنصها ، وحتى بالترتيب الذي تم استقبالها به . والأحرى بالمربين أن يؤمنوا بمبدأ التفاعل الخبرى الذي يجعل العناصر الخبرية التي يتلقاها المرء أشبه ما تكون بالعناصر الغذائية التي تستقبلها المعدة لتهضمها ، لا لكي تحفظها كما وردت اليها ، فالهضم الخبرى يجب أن يكون الهدف التربوي الذي لا محيص عنه بأي حال .

أما الخطأ التربوى الرابع فانه يتمثل في عدم التمييز بين رغبات الطفل أو المراهق وبين حاجاته ، والواقع أن الرغبة قد تتطابق مع الحاجة ، كرغبة العطشان في شرب الماء ، وحاجة جسمه في نفس الوقت الى استيعابه ، ولكن قد تتضارب الرغبة مع الحاجة ، فالمريض بالكولسترول قد يرغب في تناول المواد الدسمة ، بينما تكون حاجته الصحية متمثلة في العزوف عن تناول تلك المواد التي تهدد حياته ، وقد تتمثل حاجة المرء في تحمله لبعض الآلام ، كما هو الحال في بعض العمليات الجراحية المؤلمة ، وواضح أن المرء لا يرغب في تحمل الألم .

وبالنسبة للتربية فإننا نجد أن بعض رغبات الطفل أو المراهق تكون متمشية مع حاجاته التربوية ، كما هو الحال بصدد الرغبة في الجرى والقفز بالنسبة للطفل العادى ، ولكن قد ينبو الطفل عن اتباع النظام أو عن القواعد الصحية والنظافة ، مع أن حاجته كانسان متحضر تحتم ذلك ، فطبيعي اذن أن يرجح المربى حاجات الطفل على رغباته ، وعلى نفس النحو قد تكون رغبة الطفل في أن يظل نائما بالسرير الدافيء وقد أزف موعد المدرسة ، ولكن حاجته التربوية تحتم حمله على ترك سريره والاستيقاظ بحيث يصل الى مدرسته في الموعد المحدد ، وهكذا نستطيع القول إن عدم التمييز بين الرغبات والحاجات ، أو اعتبار رغبات التلميذ هاديا وحيدا في معاملة الطفل أو المراهق من الأخطاء التربوية الخطيرة .

وأخيرا وليس آخرا هناك خطأ خامس يتمثل في اعتبار مجموعة التلاميذ بالفصل الواحد بمثابة عقلية واحدة ، ثم معاملتهم تعليميا في ضوء ما نسميه بالمفهوم الأحادى ، والواقع أن تلاميذ الفصل الواحد ليسوا في مستوى واحد في أي مادة من المواد الدراسية المقررة ، كما أن مواهب كل منهم تتباين تباينا بعيد المدى عن مواهب الآخرين ، ولقد دأب المدرسون بكل أسف على إعداد درس واحد وكمية واحدة من الخبرات للحصة الواحدة لجميع تلاميذ الفصل ، ولقد توصل الحصيفون من المدرسين الى حل لا نوافق عليه في تدريس وتقييم التلاميذ ، يتمثل في مخاطبة واختبار وقياس مستوى متوسط الفصل ، والواقع أن هذه الفلسفة الأحادية لا تستطيع إبراز المواهب وتشجيعها واستثمارها ، بل على العكس فانها تئد المواهب الفذة ، ولا تجلى عن العبقريات الموجودة بين صفوف الأطفال والمراهقين ، بل هي تؤدى الى تنشئة أمة وسيطة ، لا تبارى الأمم المتفوقة في مجالات الحياة المتباينة

والمبدأ الذي ترتكز عليه الفلسفة التربوية الفارقية يقول « أعط الضعيف ما يستطيع أن يتفاعل معه ، وأعط المتوسط ما يناسبه ، وقدم أمام المتفوق من التلاميذ ما لا يستطيع الانتهاء منه ، بل قدم له ما يتحدى ذكاءه وقدرته وسرعته كيفا وكما » . □

يناجيني وأناجيه

يقول ابن أبي الحديد المعتزلى : ان عالما فاضلا زاهدا كان يضيق بمجالسة الناس ، فلا يرى إلا معتزلا ، ناظرا في كتاب ، أوقارئا في مصحف ، فقال له قائل : ياهذا ما أصبرك على الوحدة . قال : كلا .. انى أجالس ربي ، فان شئت أن يناجيني قرأت القرآن ، وان شئت أن أناجيه دخلت في الصلاة .



منتدى العربي

تعقيبات

حول : مشروع المعجم العربي العصري

بقلم : الدكتور علي خليفة الكواري

أصاب المفكر العربي الاستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله عندما دعا الى اعداد قاموس عصري عربي (العربي - العدد ٣٢٩ - أبريل ١٩٨٦ م) للحفاظ على اللغة العربية وتيسير تجددها ومتابعتها للتطور ، وكانت حجته راجحة عندما أكد أن أول ما يجمع بين العرب هو وحدة اللغة .

ان هوية الأمة العربية ترتكز أساسا على وحدة الثقافة أكثر من ارتكازها على وحدة السلالة ، انها أمة انصهرت في بوتقة ثقافتها العربية - الاسلامية ، شعوب وسلالات تكونت بهم أمة انسانية غير مسبوقة في التاريخ ، واللغة العربية هي وسيلة ذلك الانصهار الثقافي وأداته الفعالة

ان الدكتور اسماعيل على حق فيما أشار اليه من افتقار لغتنا العربية الى قاموس عصري يحفظ لغتنا من تشتت ألفاظها وتباعد مدلولاتها ، ويفتح المجال الى تيسير تجددها ومتابعتها للتطور ، في عصر تسارعت فيه ايقاعات الحياة ، وتزايدت فيه الاكتشافات العلمية والتطبيقات التقنية ، وفي وقت ارتبط فيه أغلب الكتاب العرب بمدارس خارج الوطن يستقون ثقافتهم من لغات غير لغاتنا ، ويجتهدون في تعريب ما عرفوا في غياب مرجع لغوي يسترشدون به فيما يترجمون وفيما يكتبون باللغة العربية .

وقد خلص الدكتور اسماعيل الى أن اعداد معجم عصري ، أمر تنوء به « العصبة من الرجال ولو كانوا من أولي العزم » ثم أضاف قائلا « وهكذا تقودنا ضرورة المعجم العربي المعاصر الى بديهية أغفلناها تماما في كل « عملنا العربي المشترك » ألا وهي انشاء مجمع قومي واحد للغة الواحدة ، يكون المرجع الأخير في أمور اللغة ، والمسئول الأول عن اصدار المعجم . » .

ولنا على هذا الاقتراح ملاحظتان :

أولاهما : أن المعجم العصري المقترح يتطلب وجود مؤسسة أهلية عربية غير هادفة للربح .

وثانيتهما : أن رعاية هذه المؤسسة يجب أن تكون مهمة ذوي العزم من رجالات العرب المعنيين بالأمر ، بعيدا عن معوقات العمل الرسمي العربي المشترك .

١ - فمن جهة نجد أن « العمل العربي المشترك » لم يهمل هذا الأمر من حيث الشكل على الأقل ، فقد أفادني الدكتور عبدالعزيز الجلال - المدير العام المساعد السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - أن الجامعة العربية أنشأت مكتبا لتنسيق التعريب منذ ما يزيد عن عشرين عاما ، وهذا المكتب موجود في الرباط ، ويتبع في الوقت الحاضر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومهمته تعريب المصطلحات ، والتشاور على ما يعرب مع المجامع المختصة ، ومن ثم اعداد قوائم موحدة تعرض على

مجامع اللغة العربية ، ثم يتم طرحها في مؤتمر قومي للتعريب يعقد دوريا ، حيث يقر ما يمكن اقراره من مصطلحات ، وقد ذكر الدكتور الحلال أن من مهمات المكتب تولى انتاج مراجع لغوية مثل المعجم الذي دعا اليه الدكتور اسماعيل

وقد أشار الدكتور الحلال في رسالته الى أن مشكلة المكتب هي مشكلة العمل العربي المشترك كله ، أفكار جيدة ، ووسائل مناسبة ، وأهداف راقية ، ولكن تعاني من سوء التنفيذ ، وأن بعدت جيدا تعاني من قلة الاستفادة

ومن هنا فاني أرى أن إنشاء مجمع قومي واحد للغة العربية من قبل مجامع اللغة العربية لن يحل المشكلة ، وسوف تعوقه محددات العمل العربي الرسمي المشترك عن أداء مهمته ، وأقترح بدلا عن ذلك أن تؤسس هيئة أهلية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها اصدار المعجم في طبعاته الثلاث الكامل والوسيط والموجز ، ولا بأس أن تقوم هذه الهيئة بعد أن تنجح في مهمة اصدار المعجم ، باصدار موسوعات عربية مثل دائرة المعارف العربية وغيرها من الموسوعات الأخرى اللازمة من أجل خلق اتصال حي بين قنوات المعرفة العربية وتعميقها ، وتمكين اللغة العربية من استئناف دورها ، في توثيق وحدة المعرفة العربية ، وتهيئة العرب الى أداء دورهم شركاء في الحضارة الانسانية

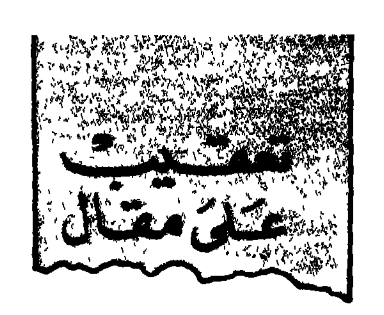
٢ ـ ومن ناحية أخرى فان رعاية المؤسسة الأهلية تحتاج الى جهود ذوي العزم من رجالات العرب ، ان ايجاد المعجم العربي العصري مهمة استراتيجية لها تأثير مباشر على وحدة أداة الثقافة العربية ، وما تؤدي اليه من تقارب فكري عربي ، واتصال حي بين قنوات المعرفة العربية ، ومثل هذه المهمة ـ في اعتقادي ـ فوق طاقة العمل العربي الرسمي المشترك في الوقت الحاضر ، واذا لم يتصد لها فريق من المهتمين فانها مهمة مؤجلة التنفيذ ، الى أن تعود الروح الى العمل العربي المشترك .

وأرى أنه حتى يتغير مسار العمل العربي الرسمي المشترك وتتوفر له الارادة السياسية التي تضمن مصداقيته ، فإن العمل العربي الأهلي المشترك هو المؤهل في الوقت الحاضر لتوفير العديد من مؤسسات العمل المشترك التي تحتاجها الأمة العربية ، باعتبار هذه المؤسسات أداة تشكيل عقل وضمير عربي حي قادر على بلورة منطلقات العمل العربي وترشيد مساراته وضمان فعالية جهوده ، فضلا عن توفيرها متطلبات التكامل الضروري بين جهود العمل الرسمي والشعبي

نخلص مما سبق الى اقتراح تأسيس هيئة أهلية عربية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها تيسير تجدد اللغة العربية ، وتهيئتها لمتابعة التطور ، تمكينا لها من أداء دورها في توحيد مدلولات لغة العرب وتهيئتهم ، مجتمعين الى مواصلة أداء دورهم في الحضارة الانسانية

واني أرى أن نقطة البداية في اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود تتطلب في المقام الأول أن يتم تبني أمر رعايتها من قبل عدد من الاعلام العرب ٢٠ ـ ٤٠ شخصية عربية من ذوي الاهتمام ـ ممن يعترف لهم بالفضل ، ويتمتعون بالمصداقية لدى الرأي العام ، متطوعين بالوقت ، ومستعدين لمواجهة المصروفات الشخصية اللازمة ، لحضور اجتماعات تحضيرية ، من أجل بلورة الفكرة ، وارساء أسسها ، واخراجها الى حيز الوجود ، في شكل مؤسسي سليم ، بعد أن يتم ارساء أسس الفكرة يصبح أمر تمويلها ـ حسب اعتقادي ـ أمرا ممكنا ، طالما توفرت لها مقومات النجاح من حيث سلامة اطارها المؤسسي ، ومصداقية القائمين عليها

ان اقتراحي هذا جاء استجابة للفكرة التي طرحها الأستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله للنقاش على صفحات مجلة « العربي » وهو اقتراح أومن أن مقومات تنفيذه متاحة لنا ، وقد لمست ذلك من خلال طرحي للموضوع مع عدد من القادرين على العطاء العلمي ، وعدد من القادرين على الدعم المالي ، من منطلق ايمانهم بأهمية العمل العربي غير المباشر ، من أجل تحقيق وحدة الأمة العربية ، ويبقى بعد ذلك أن نسمع من الراغبين في رعاية هذه الفكرة واخراجها الى حيز الوجود ، فبفضل عزيمة العصبة من الرجال ، تصبح مسألة اخراج فكرة المعجم العربي العصري الى حيز الوجود أمرا يسيراً باذن الله . □



الأيّام الأخيرة للسّلطان عبد الحميد

قرأت في العدد ٣٢٩من مجلة العربي مقالا بعنوان (الأيام الأخيرةللسلطان عبد الحميد) للدكتور محمد عيسى صالحية ، وقد رأيت أن أقول كلمة في هذا الموضوع .

ففي ضوء الأحداث التي جرت في عهد السلطان عبد الحميد ، والتي كنت معاصرا لها أقول:

ان الكتاب الذين يؤرخون للحوادث التي يعاصرونها ، يتأثرون بما يحملونه من مبادىء فلسفية أو سياسية وميول دينية أو اجتماعية .

لذلك ، نجد اختلاف مضمون المصنفات التاريخية باختلاف مؤرخيها .

وكتاب السيدة عائشة عن والدها السلطان عبد الحميد ، واحد من هذه المصنفات المتحيزة ، فالواضح أنها متأثرة فيه برابطة البنوة ، فجاء متضمنا الاشادة بما كان عليه والدها من تمسك بأهداب الدين ، واستقامة في الأخلاق ، واخلاص لوطنيته ووطنه ، وأغفلت ما كان عليه من بطش واستبداد .

فأما عن تقواه ، فقد أظهرته بمظهر المسلم الغيور على الاسلام والعرب ، لكونه خليفة المسلمين ، مع أن غالبية المؤرخين الاتراك العثمانيين أجمعوا على أنه كان يفضل البقاء في الحكم ، ولو على أشلاء الوطنيين الأحرار ، وأن كل ما كان يردده عن العدالة واطلاق الحريات وسيادة الدستور في أنحاء المملكة كان مجرد وعود لم تجد طريقها الى حيز التنفيذ .

وتذكر كتب التاريخ ـ والوقائع التي عاصرتها ـ معاملته السيئة لأخيه السلطان مراد الخامس ، بعد خلعه ، واتهامه مدحت باشا الملقب بأبي الدستور بقتل السلطان عبد العزيز ، وخلعه من الصدارة ، ثم نفيه بحجة أنهمن خلع عبد العزيز يمكنه خلع عبد الحميد .

أما الرعية ، فمن كان ينجو منها من الاغراق في البوسفور ، فانه لاينجو من الإبعاد الى بنغازي ، أو النقل الى وظيفة في بلد الموت فيه أهون من العيش .

أعود الى ما ذكرته السيدة عائشة في كتابها عن قول والدها أنه يسلم البلاد بمثل ما وجدها عليه ، وانه لم يفرط بشبر واحد من أراضيها لأحد ، مع أن الثابت تاريخيا أن ما سلخ في عهد حكمه بلغ ما مساحته / ١٦٦٠٠٠ كيلومتر ، يقطنها أربعة ملايين شخص ، عدا جزيرة قبرص التي انتقلت الى السيادة الانجليزية في عهده .

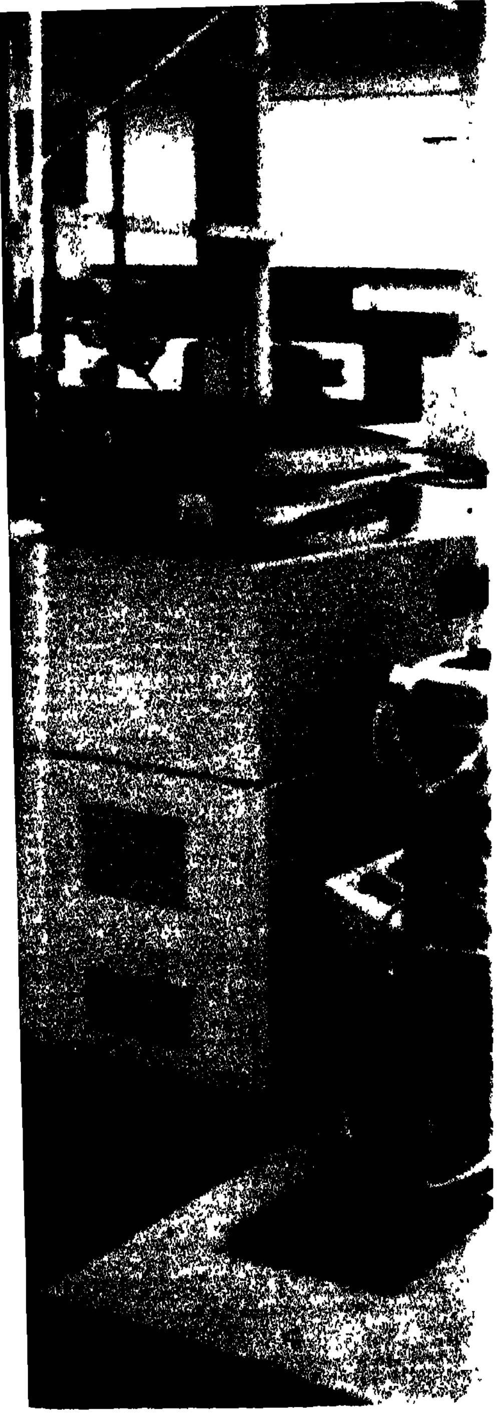
أما عن أفراد الوفد الذي أبلغ والدها السلطان عبد الحميد قرار عزله ، فتذكر أنه كان من بينهم المدعو (ايمانويل قراصو) ، وتقول بأنه يهودي أرمني ، وهذا غير صحيح ، لأنه ليس بين أفراد الأرمن من يدين باليهودية ، فضلا عن أن اسمه يؤكد ذلك .

وبصدد ما ذكرته عن حادث التفجير الذي وقع يوم ٢١ تموز / يوليو ١٩٠٥ وكون الذي قام به هو الأرمني (ادوار جوريه) ، هو أيضا قول بعيد عن الصحة ، لأن المذكور بلجيكي وان الكاتبة ذكرت بنفسها أن والدها السلطان عبد الحميد قد عفا عنه وأعاده الى بلاده بلجيكا .

تبقى علينا الاشارة الى ماذكرته بخصوص حماية عبد الحميد للعرب والعروبة ، وهو ادعاء غريب على العرب أنفسهم ، الذين كانوا ـ كسائر أبناء السلطنة ـ يشكون الجور والظلم والاستبداد ، مما دعا الكثيرين الى الهرب نحو أوروبا وخاصة فرنسا ، وكذلك الى مصر ، حيث لاتصل اليهم يد السلطان ، وراحوا من هناك ينددون بحكمه وسياسته ، أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، وولي الدين يكن ، ويعقوب صروف ، وسواهم من أحرار العرب . . .

وهكذا نجد أن المؤلفة لم تهدف من وراء كتابها الى كشف الحقائق ، وانما هدفت الى التستر على أخطاء والدها .

ابراهيم كسبو





البحث العلمي..



باحثة في حماية البيئة
«(في مختبر قياس الملوثات
المعدنية) «فوق» ، وفي
قياسات البيئة
الصحراوية (الى
اليمين) ، وفي مختبر
قياس التلوث النفطي في
البيئة البحرية . (الى
اليسار) . .

قال هيروهيتو امبراطور اليابان يوصي ابنه « لا مستقبل لليابان يا بني الا في العلم .. ان معركة الحياة الحقيقية ، هي معركة علمية ، ومن أجل الفوز فيها لابد لنا من تجنيد كل طاقات اليابان !» .

ووعى الابن الدرس ، ولم يكن وحده الذي نفذ وصية أبيه ، وانما شاركه جميع أبناء اليابان ، وتحققت المعجزة اليابانية فوق قاعدة العلم العريضة ، وصعدت بلادهم الى القمة ..

ماذا نريد أن نبرهن بهذه المقدمة ؟ وهل خفيت هذه الحقيقة عن أذهاننا ، ونحنُ نعيش فوق الأرض التي أنبتت فحول العلماء العرب ؟ .

من الذي صنع ماذا ؟

ان المشتغلين بالبحث العلمي مازالوا عاجرين حتى يومنا هذا عن الوصول الى بداية الطريق الذي سار فيه الأولون ، أو الكشف عن منافذ هذا الطريق وفروعه ، ولعل الشيء الوحيد الثابت الذي توصلوا اليه ، هو كما قال وليام هارفي يوما : « من الذي صنع ماذا ؟» .

وقد دخل كل هؤلاء التاريخ ... وكان هارفي واحداً منهم ، فهو الذي اكتشف الدورة الدموية الكبرى ، بعد أن التقط الخيط الذي أمسك بطرفه الأول ابن النفيس العالم العربي ، قبل مجيء هارفي ، بقرون طويلة ، عندما أعلن اكتشافه للدورة الدموية الصغرى ..

وغير ابن النفيس كثيرون ، جاءوا بعده ومن قبله ، وساروا في الطريق ، وعندما بلغوا نهايته ، كانوا قد تركوا بصماتهم واضحة راسخة ، ما تزال تعيش بيننا حتى اليوم .. الرازي ، وابن الهيثم ، وابن سيناء ، وابن خلدون ، والخوارزمي وغيرهم .. هذه الحقيقة قد توصلنا الى فهم أوسع لما حدث في تلك الحقبة من الزمن ، منذ أن بدأ العلماء العرب يشتغلون بالبحث العلمي وتطبيقه ، فمازال الكثيرون يعتقدون ان هذه البحوث كانت حكراً على الغرب ابان الثورة الصناعية في أوروبا .. وهو اعتقاد يجافي الواقع ، فقد اهتم العرب بالبحث العلمي ، بينما كانت أوروبا تعيش عصر الظلمات ..

حاملو الشعلة :

لقد سطعت شمس الحضارة العربية قبل الاسلام في عهد الفينيقيين الذين اخترعوا البوصلة ، ثم جاء الاسلام ، وسيطر العرب المسلمون على معارف الشرق والغرب .. وراحوا يحملون شعلة العلوم ، وينهلون من المعرفة ، ويطبقون العلم على العمل ، ولم يجيء هذا كله من فراغ أو عن طريق الصدفة ، وانما جاء حصيلة تعاليم الاسلام ومبادئه ، ولعلنا نجد في سورة الأنعام بعضا منها : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » .

لقد انتشر الاسلام منذ قرونه الأولى في الهند والأندلس ، وتركزت الخلافة ونشاطات البحث العلمي في بغداد وقرطبة .

واذا كان صحيحا أن المخطوطات الاغريقية القديمة قد حملت بين ثناياها الذخائر الفكرية لرواد العلم الأوائل في الفلك والرياضة والطب والكيمياء ، الا أن نقل هذه الأفكار الى اوروبا تم في أغلبه على يد العلماء والمترجمين المسلمين ، فالترجمات اللاتينية للمخطوطات الاغريقية القديمة كانت في الأصل مبنية على ترجمات عربية لتلك المخطوطات ، ومع ذلك كله فلم تقتصر الخدمة التي قدمها العلماء العرب الى البشرية ، على مجرد نقل ذخائر الحضارة العلمية الاغريقية ، وانما على تطويرها والاضافة اليها .. لقد كانوا هم الذين حملوا شعلة العلم في أكثر حقبات التاريخ تعطشا الى المعرفة ..

والكثير من الخلفاء المسلمين ناصر العلم والعلماء ، ولعلنا نجد في « بيت الحكمة » الذي أسسه الخليفة المأمون ، دليلا على مدى الاهتمام الذي كان يوليه العرب لكل ما يمت الى العلم بصلة ، فقد كان مكتبةً جامعةً ومجمعاً علمياً متكاملاً ، واهتم العرب بالتجارب العلمية الى حد أن جعلوا لها مكانة عظيمة في نهج البحث العلمي ، وتطورت المعارف العربية في علم الكيمياء بالطرق التجريبية العلمية ، وهي أهم

أدوات العلم الحديث ، وقد نقل روحر بيكون هذه الطريقة الى أوروبا ، بعد أن مارسها العربي الكيميائي جابر بن حيان بخمسمائة عام . .

. . ومقدمة ابن خلدون :

ولعلنا نجد في مقدمة ابن خلدون ما يغنينا عن البحث في مدى اهتمام العرب بالبحث العلمي . . لقد كتب العلامة المفكر الذي عاش في القرن الثامن الهجري في الطب والتطبيب يقول : « تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد ان تبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية ، مستدلين على ذلك بأمزجية الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في أنسجته والعضلات والنبض ، محادين لذلك قوة الطبيعة ، فهي المدبرة في حالتي الصحة والمرض »

ربما نكون قد أطلنا بعض الشيء في هذه المقدمة التي سقناها لتقودنا الى حيث نريد أن نلتقي بكم . وأما مكان هذا اللقاء فهو معهد الكويت للبحث العلمي ولكن لماذا الآن ؟ .

لأن هنالك أكثر من مناسبة نكتفي بذكر اثنتين منها ، الأولى للاستعدادات التي يقوم بها المعهد للاحتفال بذكرى مرور عشرين عاما على مولده ، والثانية ، انتقال المعهد الذي قام ومازال يقوم بدور أساسي في بناء الكويت الحديثة الناهضة الى مبناه الجديد .

والبحوث ، ليست مبنى ، ولكنها انجاز . . .

انجازات المعهد :

ولعل أهم انجازات المعهد هي تنمية روح البحث العلمي بين المواطنين ، من الشبان المتعلمين الذين يحملون عبء تطوير الحياة في بلدهم ، وخلق كوادر جديدة من الباحثين الذين يلجون اليوم باب البحوث العلمية التي تبنى الأمم مستقبلها على نتائجها وانجازاتها . .

ولقد أنجز المعهد . . فهو لم يعد يتوقف عند بحث معين يبدأ العاملون فيه من حيث ينتهون ، وتدور الساعة وهم بعد في بحوثهم مشغولون ! . ولقد كانت انجازاته خلال تلك المسيرة القصيرة في هذا الاستثمار الطويل الأمد شيئا يستحق كل التشجيع .

ونترك هذا الجانب من الحديث عن انجازات المعهد للرجل القائم عليه الدكتور عدنان شهاب الدين . . يقول مدير معهد البحوث : « لقد أنجزنا على امتداد سني عمر المعهد ، حوالي ثلاثمائة مشروع بحثي ، أكثر من نصفها بحوث تعاقدية ، قامت بتمويلها ثلاث وخمسون هيئة حكومية ومؤسسة في القطاعين العام والخاص . بعضها هنا داخل حدود الكويت ، والبعض الآخر خارج الكويت . ومعنى هذا أن أكثر من نصف جهد المعهد كان له مردود مباشر لهيئات ومؤسسات كويتية وأخرى في مختلف أرجاء وطننا العربي . .

وفي هذا المعنى الذي ذهب اليه مدير المعهد ، أكد السيد خالد بوحمزة نائب العضو المنتدب ، ومدير مصفاة الشعيبة بشركة البترول الوطنية الكويتية ، على أهمية البحوث والدراسات العلمية التي قام بها المعهد لحل المشاكل التي تواجه صناعة النفط ، وأشاد بالتعاون القائم بين الشركة ومعهد الكويت للأبحاث العلمية في دراسة هذه المشاكل ، ووضع الحلول المناسبة لها . .

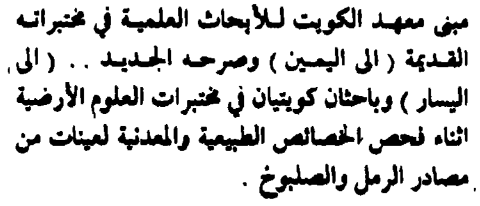
وقال السيد بوحمزة:« إن المعهد قام بتنفيذ دراسة تفصيلية لصالح الشركة حول نوعية العوامل المساعدة المستخدمة في المصافي ، وكذلك نوعية المعادن والملوثات والمواد السمية للعوامل المساعدة ، وقد أسفرت الدراسة عن اقتراحات جيدة تشكل اساسا لقيام مصنع في الكويت لمعالجة هذه العوامل ، والتخلص منها بطريقة تحفظ لهذه الصناعة استمراريتها وتطورها ، وأهم من ذلك أنها تحفظ البيئة من التلوث بهذه المخلفات ، وربما كانت مشكلة تآكل المعدات المستخدمة في مصافي البترول من أهم المشاكل التي استطاع المعهد من خلال دراساته وبحوثه أن يقدم لنا الحلول . . ونحن نطبق الآن نتائج هذه الدراسات ، التي استطعنا بفضلها أن نحقق نتائج طيبة في مواجهة هذه المشكلة » .



في مختبر تقييم المردود البيئى على الكائنات والبيئة البحرية وفي الأوعية نوعيات من الكائنات التي جُمعت من ظروف بيئية مختلفة تحت الفحص

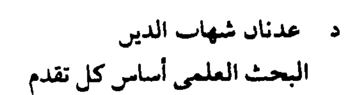






مبنى معهد الكويت للأبحاث العلمية في مختبراته القديمة (الى اليمين) وصرحه الجديد .. (الى اليسار) وباحثان كويتيان في مختبرات العلوم الأرضية اثناء فحص الخصائص الطبيعية والمعدنية لعينات من مصادر الرمل والصلبوخ .





د عدنان شهاب الدين
البحث العلمي أساس كل تقدم



د نجلاء النصار
رعاية الشباب وتنمية مواهبهم



السيد نزار ملا حسين
مشكلة الغذاء أهم مشاكل العالم

التعاون مستمر :

ويقول الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة العامة ووزير التخطيط بدولة الكويت « ان هناك علاقات مثمرة وكثيرة بين الوزارتين ومعهد الكويت للأبحاث العلمية ، وأن التعاون بين الطرفين يتركز في النواحي الخاصة بالمحافظة على البيئة في الكويت بشكل عام ، والبيئة البحرية بصفة خاصة .

ويشير الوزير الى البحوث التي قام بها المعهد في هذه المجالات ،وأذكر منها الدراسات التي أجريت عن الملوثات النفطية في الخليج ، ودراساته عن الأحياء البحرية في منطقة المد والجزر ، ومدى تأثرها بالمشاريع المقامة على الساحل ، كمشروع الواجهة البحرية ، والنتائج الناجمة عن حركة العمران بصفة عامة ، لما يصاحبها من عمليات الردم الخاطيء ، أو تلويث منطقة المد والجزر ، وأثر هذا كله على الحلقة الغذائية التي تعتبر البيئة المائية جزءا منها .

« ان التعاون دائم مع معهد الكويت للأبحاث العلمية ، وربما كان أهم مجال لهذا التعاون هو دراسات الأحياء المائية وتأثرها بالملوثات الصناعية ، عن طريق المصانع ، وكذلك التلوث الناتج عن ناقلات النفط ، لما لهذه القضية من تأثير مباشر على صحة الأفراد في الكويت ، حيث تعتبر الثروة السمكية من أهم موارد الغذاء في الدولة ، وقد كانت نتائج هذه الدراسات مطمئنة الى حد كبير ، حيث أثبتت أن نسبة التلوث لا تشكل أية أخطار حقيقية »

احتياجات المجتمع :

ووزارة التخطيط أيضا ، لقد أفادت فائدة كبيرة من النموذج الاقتصادي الذي أعده المعهد ، في وضع الخطة الخمسية الحالية ، حيث تم تحديد مسارات التنمية والخيارات المختلفة للأولويات والأهداف الرئيسية عن طريق هذا النموذج ، وهو مجال آخر استطاع معهد الكويت للأبحاث العلمية أن يثبت جدارته فيه ، ويؤكد ارتباطه التام والكامل باحتياجات المجتمع الفعلية .

يقول الدكتور عدنان شهاب الدين : « ان مشاريع البحث التي تتسم بالطابع بعيد المدى ، بدأت تؤتي ثمارها ، وربما تكفي الاشارة هنا الى مثالين من أمثلة كثيرة بارزة ، أولهما ، ما حققه المعهد من نتائج ايجابية في مجال استزراع الأسماك المحلية والمستوردة ، والوصول بها الى مرحلة التطبيقات التجارية ، ودوره في تقييم وتطوير تقنية التناضح العكسي لتحلية مياه البحر بتكلفة لا تقارن بما تنفقه

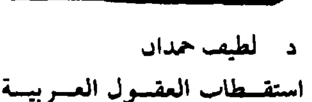


د محمد العطار
أينما وجد الماء قامت الزراعة



د . فكري خلف
المحافظة على البيئة





د لطيف حمدان
استقطاب العقول العربية

الدولة الآن من أجل توفير المياه العذبة بطريقة التبخير والتكثيف

ونبدأ من حيث بدأنا ، أو كما يقول مدير معهد الكويت للبحث العلمي « من الثروة البشرية التي تتمثل في تلك الأعداد المتزايدة من الشباب الكويتي الذي يقوم اليوم بأهم وأعظم تجربة ساهمت ومازالت تسهم في تقدم المجتمع ورفاهيته »

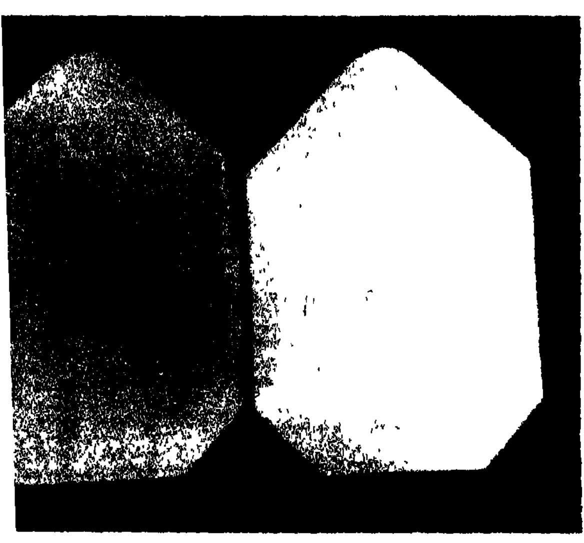
ولم يكن ممكنا أن تقتحم هذه البراعم الشابة وحدها مجال البحث ، ومن هنا كانت أيضا بداية أخرى ، عندما نجح المعهد الوليد في بداية عهده منذ حوالي عشرين عاما في قلب نظرية هجرة الأدمغة ، أو كما أسماها الانجليز « البالوعة التي تمتص العقول »

وقد كانت انجلترا احدى الدول التي عانت من هجرة علمائها الى الولايات المتحدة الأمريكية ، لا بحثاً عن المادة ، بل بحثاً عن البحث نفسه ، فهناك المجال أوسع ، والامكانات أكبر ، فاذا كان هذا هو حال الانجليز فماذا كان حالنا نحن العرب ؟ لقد امتصت مراكز البحوث في امريكا عددا لا يستهان به من العقول العربية . . ولكن معهد الكويت وهو يضع لبناته الأولى في مجال البحث العلمي ، استطاع أن يستقطب بعض هذه العقول ، ويعيدها الى الأرض التي نبتت فيها وجاءوا يحملون خبرتهم ، وهم يرون هذا العمل الجاد الذي أرادوا أن يسهموا في استكمال بنائه العلمي

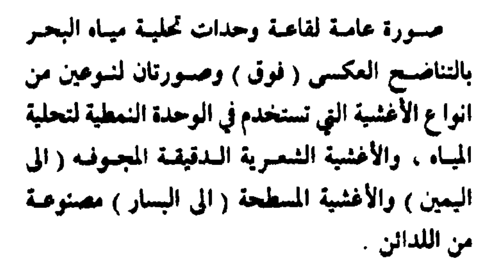
يقول الدكتور عبدالله عيسى الدباغ مدير معهد البحوث بجامعة البترول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية ، حيث نجح معهد البحوث السعودي في تحقيق انجازات ما كان من الممكن التوصل اليها بعيدا عن البحث العلمي ، ولعل أهمها وأكثرها نفعا وجدوى ، هي تحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح ، فالرجل يتحدث اذن من واقع تجربة مماثلة فوق أرضه . انه يقول . « لقد أحدثت الكويت الريادة في حسن استثمار فوائض عوائدها النفطية ، الا ان انشاء معهد الكويت للأبحاث العلمية يعتبر بحق أفضل هذه الاستثمارات التي تستهدف تنويع مصادر الاقتصاد الوطني وتنمية الثروة الحقيقية . والثروة البشرية بصفة خاصة ، على اساس علمي يحقق للكويت مكانا لائقا بين الأمم ، والعارفون متفقون على ان لا تنمية حقيقية ولا صناعة منافسة دون مراكز بحوث وتطوير ، ولقد حققت دول الخليج العربي استقلالها السياسي ، وها هي الكويت وهي تحتفل بالعيد الفضي لهذا الاستقلال ، تسعى جادة الى تحقيق استقلال آخر يحررها من قيود التبعية التقنية .

غرفة المراقبة والتحكم في محطة الدوحة للتناضح العكسي

الدكتور محمود عبدالجواد يراقب عملية أداء وحدات التحلية على شاشة الكومبيوتر .







صورة عامة لقاعة وحدات تحلية مياه البحر بالتناضح العكسي (فوق) وصورتان لنوعين من انواع الأغشية التي تستخدم في الوحدة النمطية لتحلية المياه ، والأغشية الشعرية الدقيقة المجوفه (الى اليمين) والأغشية المسطحة (الى اليسار) مصنوعة من اللدائن .

الثروة البشرية

والتدريب ثم التدريب ، هو أول الخطوات التي يهتم بها المعهد لاعداد جيل جديد من الساحثين ، وتقول الدكتورة نجلاء النصار مديرة ادارة التدريب بالمعهد : ان الدور الرئيسي والمؤثر الذي يقوم به معهد الكويت للبحث العلمي هو اقامة الدورات التي تسهم بصورة فعالة في مساعدة الطالب او الطالبة من ابناء الكويت واشقائهم العرب ، على اختيار الطريق الذي يتفق مع ميولهم ، للسير فيه بعد الالتحاق بالجامعة ، فنحن هنا نقوم بتدريب طلبة وطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية في مجالات الكومبيوتر ، والهندسة ، والفيزياء ، والالكترونات ، والكيمياء بفروعها ، والعلوم الحيوية ، والبيئة البحرية ، والمسح الساحلي . . الخ . فالطالب في هذه المرحلة من التعليم يكون غير واثق تماما من الفرع الذي اختاره ، لكي يكمل فيه دراسته ، وهذه الدراسات التدريبية في المعهد ، تساعده بصورة فعالة على التعرف على ميوله واتجاهاته واكتشاف نفسه وقدراته

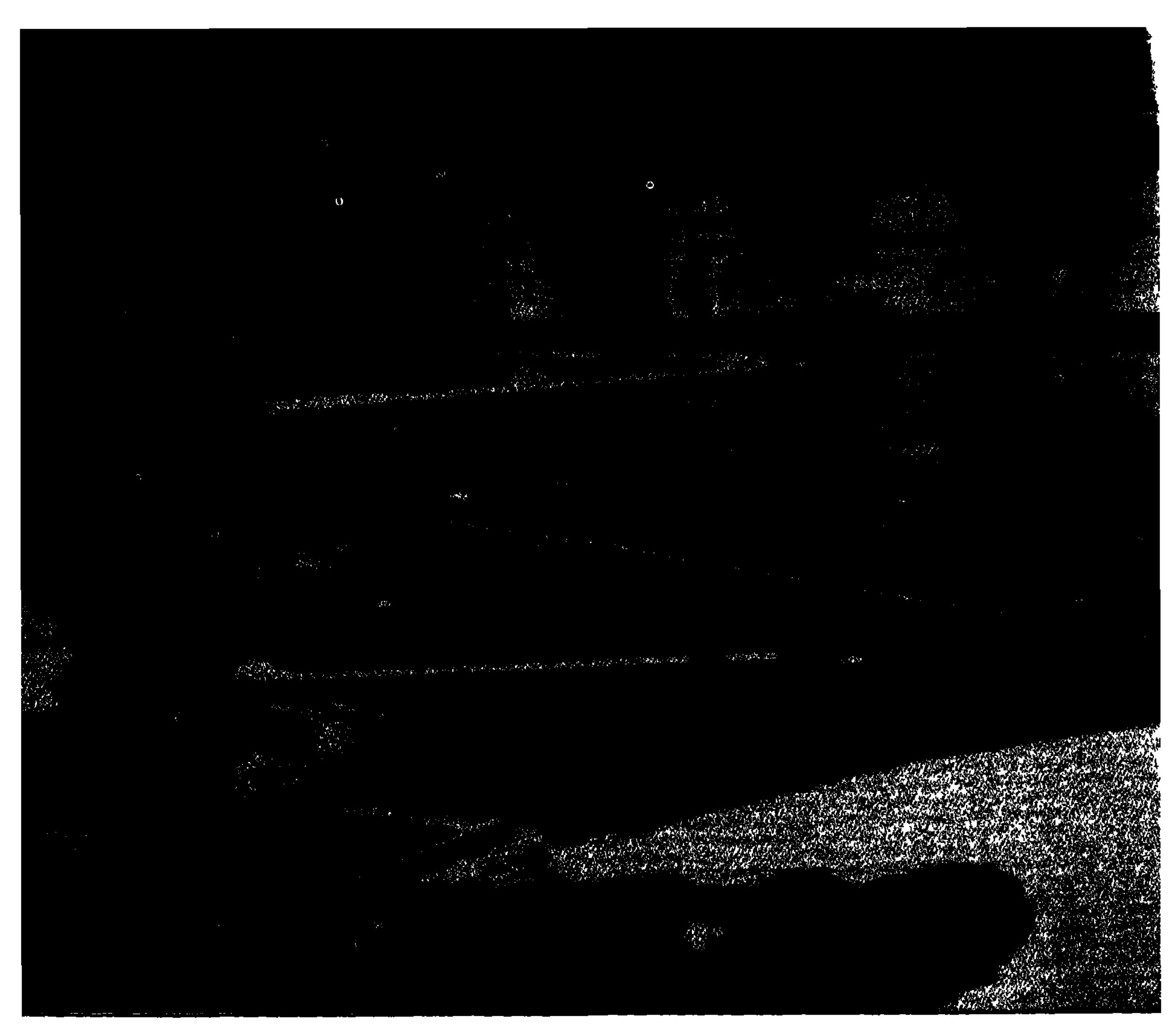
« ثمة هدف آخر يسعى اليه المعهد من خلال هذه الدورات التدريبية ، وهو تطبيق العلم على العمل ، فنحن نعلم أن النظريات التي تدرس للطلبة في المرحلة الثانوية ، أو في الجامعة فيما بعد ، هي في واقع الأمر نظريات اكاديمية بحتة ، قد تتخللها بعض التطبيقات العملية ، ولكنها ليست بالحجم الذي يكفي لدراسة هذه النظريات عمليا ، وهنا يجد الطالب هذه الفرصة وعلى أوسع نطاق ، وسرعان ما يكتشف أنها ليست نظريات جافة ، وانما هي تطبيقات عملية لهذه النظريات العلمية ، وهذه المرحلة من التدريب تفيد الطالب وتفيد المعهد في الوقت ذاته ، فهي تتيح للطلبة المتدربين فرصة التعرف على مجالات العمل في المعهد ، كما تتيح للمعهد فرصة اكتشاف الكوادر المتميزة التي تمكن الاستعانة بها مستقبلا بعد التخرج ، وعندما يلتحق ابناء الكويت بالعمل في المعهد بعد تخرجهم في الجامعة ، يبدأ برنامج تطوير هؤلاء الخريجين الذي تشرف عليه ادارة التدريب

« ثم هناك بعد ذلك برنامج التطوير الوطيفي للكوادر الوطنية ، كما ان ادارة التدريب تسهم ايضا في عملية تكويت الوظائف ، ونحن الان بصدد اعداد مشروع لتكويت الوظائف الفنية . والى جانب ذلك نقوم ايضا بتدريب الكوادر الفنية من مختلف المؤسسات في الدولة ، ومن دول مجلس التعاون الخليجي ، وبقية أقطار الأمة العربية

وتصل الدكتورة نجلاء الى نهاية حديثها للعربي فتقول .« ونأتي الى الهدف الأخير ، وهو يتصل اتصالا مباشرا بدعم العلاقات بين مختلف الادارات التي تعنى بتنشئة الشباب ورعايتهم ، وأعني بها وزارة التربية ، وجامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي ، ومجلس حماية البيئة ، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ثم مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية التي تسهم في تمويل هذا التدريب ، ونختار من بين المتدربين من كان عنده استعداد للعمل في مجال الطيران ، سواء في الجو أو على الأرض ، فالطيران هو المستقبل ، أو قل أحد أوجه المستقبل الذي يمضي في تطوير مستمر ، والذي أصبح العالم بفضله قرية صغيرة ».

* * * *

الواقع أننا توقفنا طويلا ونحن نتجول في أقسام المعهد المختلفة ، ونتنقل بين معامل بحوثه وتجاربه . . فقد كنا في حيرة ونحن نرى هذا الكم الهائل من البحوث التي تجري في شتى مجالات العلوم والحياة التي تتصل اتصالا مباشرا بالبيئة التي قام بها المعهد وبمتطلبات واحتياجات المجتمع الذي ينتمي اليه العاملون فيه ، وكان مبعث حيرتنا ذلك السؤال الذي يتردد في اذهاننا بإلحاح . . من أين نبدأ ؟ وما هي الصورة التي يمكن ان نقدمها من خلال هذا الاستطلاع القصير لهذا العمل الكبير الذي يجري في هدوء بعيدا عن الأضواء ؟ .



نموذج فيزيائي لمنطقة الشعيبة الصناعية البحرية حيث تجري الدراسات في المعهد لايجاد الحلول المناسبة لمنع دورات المياه الساخنة الناتجة عن عمليات التبريد في مصانع الشعيبة من التأثير على محطات تحلية مياه البحر

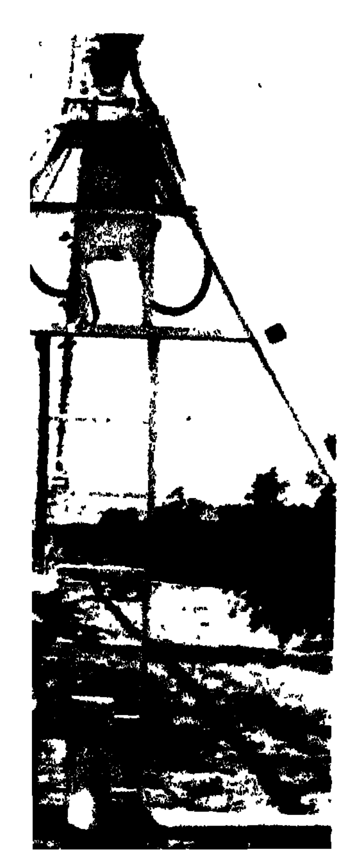
الغـذاء صيحة العصر :

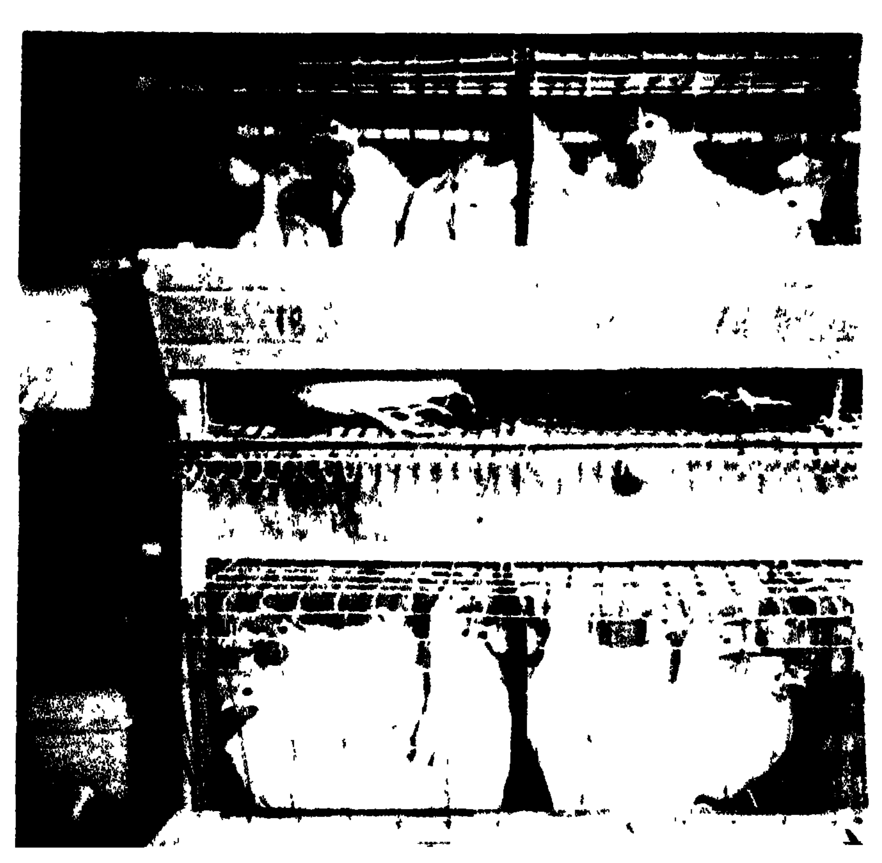
ولم تطل حيرتنا ، فقد أخرجنا منها بعض كبار الباحثين في المعهد ، ووجدنا أنفسنا خلال الأسبوعين اللذين أمضيناهما بين أقسامه ، نقف حيث يجب أن يكون التوقف ، أمام الغذاء ، وكل ما يتصل به لقد كانت رحلتنا في هذا العرض السريع ، الذي كان ، من وجهة نظرنا على الأقل ، أشبه بمحاولة من أراد أن يجمع ماء البحر في وعاء ! فالعمل الذي يجري امامنا كبير ومتشعب .. أكبر من أن تتسع له هذه الصفحات المعدودة !

وفي حديث السيد نزار ملا حسين ، نائب المدير العام للعلوم البيئية والحيوية ، وجدنا ما يؤكد لنا صحة النتيجة التي توصلنا اليها ، قال : « مشكلة الغذاء هي في واقع الحال ، أهم مشكلة تواجه العالم كله اليوم ، ودول العالم الثالث بصفة خاصة ، حتى تلك التي تملك ثروات تتيح لها شراء ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، ذلك لأنه لابد أن يأتي يوم تغلق فيه أبواب هذه الأسواق ، لعدم وجود فائض عندها للتصدير ، أو لأسباب أخرى سياسية ، وكلنا يذكر ما قاله احد كبار السياسيين المخضرمين . « ان الدولة التي لا تستطيع أن تحقق الاكتفاء الذاتي من الغذاء ، تصبح غير قادرة على تحقيق استقلالها التام » والغذاء ماء وزرع ، ثم هو لحوم وأسماك ..

وبدأنا رحلتنا مع الماء أولا .. الماء الذي بدونه لا تكون هناك حياة ...

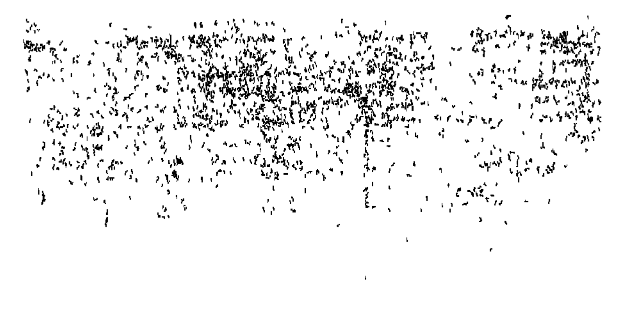
الأسماك   احدى موارد الغذاء الرئيسية أولاها المعهد اهتماما حاصا   ونجحت البحوث الخاصة باستر را ع
الاسماك وأقلمتها في احواض طبيعية وصناعية

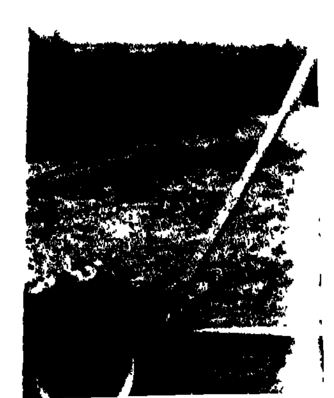




الثروة البشرية وتدريبها وتطوير امكانياتها العلمية والعملية أهم انجازات معهد الكويت

محاضرة عملية لمجموعة من شباب دول الخليج في المعهد







تجارب على تحسين الانتاج المحلي للدواجن (الى اليمين) ثم أحدث طريقة للري المحورى لتحسين كفاءة الاستهلاك في البيئة المحلية ثم تجارب على تهجين انواع من الماشية العربية وتحسين انتاجها وأقلمتها (الى اليسار)

الماء في الصّحراء:

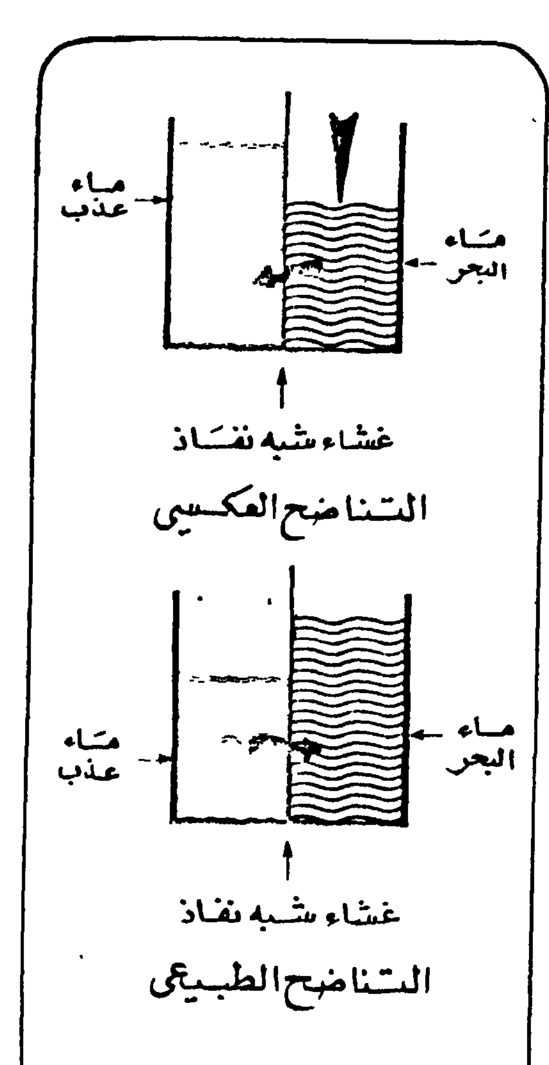
ومند أوائل الخمسينيات ، والكويت شأنها في دلك شأن بلدان الخليج الأخرى ، تعتمد على عملية التقطير لانتاج المياه العدبة لسد احتياجاتها ، حتى أصبح لديها الان أربع محطات لتقطير مياه البحر او تحيرها تم تكتيفها ويصل معدل انتاجها الى مائة مليون حالون امبراطوري يوميا في الوقت الحاصر ، الا أن الطاقة الانتاجية لهده المحطات تصل الى صعف هده الكمية ادا عملت المحطات بأقصى قدراتها اي حوالي (٢٠٠ مليون حالون) ، الى حانب كميات المياه الجوفية التي تصل الى ٤٥ مليون حالون يوميا

وعملية تقطير المياه عملية مكلفة تتحملها الدولة صحيح أن الماء العدب يباع للمستهلك ، ولكن بأسعار رمزية لا تقارن بالتكلفة الحقيقية لتحلية المياه

ومن هنا بدأ الاهتمام بايجاد بدائل لمحطات تقطير المياه ، وكانت احدث هده المحاولات هي تلك التي بدات مند عام واحد ، على اثر البحوث التي أجريت ومازالت مستمره للوصول الى الطريقة المثلى التي تحقق انتاج الماء العدب والارتقاء بنوعيته ، والتقليل من تكلفته

وفي منطقة الدوحة حارج مدينة الكويت ، كان لنا لقاء بالدكتور محمود عبد الجواد ، القائم على المحطة الجديدة التي تجرى فيها التجارب الآن لانتاج المياه العدبة بطريقه « التناضح* العكسي » وهو نظام تطور تطورا كبيرا خلال العقد الماضي ، فقد تزايد استخدامه حتى أصبحت تلك التقنية تدخل ضمن الأساليب المعتمدة لتحلية المياه الصلبية ومياه الصرف الصناعية ، الا أن تطبيق هده التقنية داتها في تحلية مياه البحر الشديدة الملوحة لا يزال يخطو خطواته الأولى ، ويحتاج الامر الى مزيد من أعمال البحث والتطوير للارتقاء بأداء وحدات تحلية مياه البحر بالتناضح العكسي ، وزيادة امكانية الاعتماد عليها .

يقول الدكتور عبد الجواد : « ان هدا البرنامج



ادا فصل بين ماء البحر والماء العدب بغشاء شبه نفاد ، وكان الضغط على سطح السائل متساويا على جانبي الغشاء ، فان جزيئات الماء عبر المحملة بالأملاح تنتقل عبر الغشاء الى ماء البحر ، وذلك تبعا لظاهرة التناضح الطبيعية ويستمر انتقال الجزيئات هدا حتى يتعادل فارق الضغط في عمود الماء (الذي تسبب عنه الانتقال) مع الضغط الأسموزي ، او ان يتساوى التركيز على جانبي الغشاء ، وتسمى هده العملية بالتناضح الطبيعي ، ويمكن عكسها باستحداث ضغط على سطح الماء المالح ، يزيد عن الضغط الأسموزي ، فينعكس بالتالي اتجاه التناضح عبر الغشاء

الحديد للبحث والتطوير الذي تدعمه حكومة دولة الكويت ، ممثلة في وزارة الكهرباء والماء ومعهد الكويت للابحاث العلمية ، يجري تنفيذه بالاشتراك مع جمهورية ألمانيا الاتحادية ، ممثلة في وزارة البحث العلمي والتقنية ، ولقد بلغ انتاج الماء العذب بعد عام واحد من بداية البحوث ثلاثة آلاف متر مكعب يوميا أو ما يعادل مليون متر مكعب سنويا .

والهدف في هذه المرحلة ليس انتاج المياه ، بقدر ما هو جمع وتقييم وتحليل واستخلاص أفضل النتائج التي يمكن الحصول عليها ، لاستخدامها مستقبلا في بناء وحدات أكبر ، تعتمد على طريقة التناضح العكسي في تحلية مياه البحر ، وحل مشكلة توفير المياه العذبه بتكلفة اقل في المناطق الصحراوية الجافة المطلة على البحار

ثمة حقيقة مزعجة ينقلها الدكتور لطيف حمدان مدير دائرة العلوم الأرضية ، انه يقول : « هل تعلمون كم يبلغ متوسط استهلاك الفرد اليومي من الماء العذب في الكويت ، انها اكبر كمية يستهلكها الفرد في اي بقعة من العالم ، فهي تصل الى ستين جالونا يوميا » بينما لا يزيد متوسط استهلاك الفرد في اوروبا او امريكا عن عشرين جالونا ، رغم ان الماء عندهم لا يمثل مشكلة ، فالانهار العذبة تجري في اراضيهم !!» .

ومن أجل هذا يستعد المعهد من الان لاقامة ندوة عالمية في شهر ابريل من العام المقبل ١٩٨٧ ، لبحث وسائل زيادة مصادر المياه الحلوة ، والتقليل من الاستهلاك في المناطق الصحراويه ، حيث تشتد الحاجة الى المياه ، مع التركيز على منطقة شبه الجزيرة العربية ، وسيشارك في الندوة الادارات التنظيمية والمؤسسات المهتمة بالمياه وتوفيرها في الخليج العربي

الـــزراعـة ومَوارد الغذاء :

« في القرن العشرين ، ومع توفر التقنيات الحديثة ، لا نستطيع القول بأن هناك ارضا صالحة للزراعة واخرى غير صالحة ، وبناء عليه يمكن القول وبكل ثقة بأن كل أراضي الكويت او معظمها صالح للزراعة ، هذا اذا توفرت المياه التي هي أساس كل شيء حي »

بهذه المقدمة استهل الدكتور محمد العطار مدير ادارة موارد الغذاء حديثه معنا ، ونحن نسأل عن الانجازات التي حققها معهد الكويت للبحث العلمي في مجال تنميه موارد الغذاء في الكويت .

ويمضي الدكتور العطار . « ان مساحة الأرض المزروعة فعلا بالكويت ، مازالت صغيرة ، لأن الأرض التي خصصت للزراعة ليست مستغلة الاستغلال الكامل ، ثم هناك عامل آخر ، وهو أن طريقة الري في هذه المناطق المزروعة ليست هي الطريقة المثلى في منطقة كالكويت ، حيث ترتفع درجه الحرارة في موسم الصيف ارتفاعا كبيرا ، فنحن للأسف ، مازلنا نلجأ الى طريقه الري عبر القنوات المفتوحة ، وهذه الطريقة لا تناسب جو الكويت ، ولا الأرض التي تجري فيها المياه في القنوات ، لأن نسبة البخر تكون عالية في الصيف ، ولأن طبيعة الأرض الرملية تساعد على تسرب المياه بسرعة ، وتكون النتيجه أن ما يصل من المياه الى حيث نريد ان نستفيد به في ري المحاصيل يكون ضئيلا .

« هذا لا يمنع أن نسجل لبعض الاخوة الكويتيين اتجاههم الى وسائل الري الحديثة توفيرا للماء ، ومن بين هؤلاء ، المهندس حسين قبازرد أو « أبو الفراوله » الذي يقوم بزراعة مساحة تزيد على المليون متر مربع في منطقة الوفرة من هذه الفاكهة وغيرها من الفواكه والخضروات ، فالمياه في حقوله وبساتينه تجري داخل أنابيب مغلقة ، حتى تصل الى حيث يريد لها الوصول » . .

والحديث عن الزراعة يجرنا الى حديث أشمل وأعم ، وهو تحقيق الاكتفاء الذاتي في المحاصيل الأساسية على الأقل ، وهنا لابد أن نتعرض لبعض العوامل المهمة التي يجب توفرها لتحقيق هذا الهدف الذي تسعى اليه كل الأمم .

ويقول مدير ادارة موارد الغذاء . « نحن نعلم ان الكويت بمساحتها الصغيرة وقلة مواردها البشرية ، وافتقارها الى التقنيات الحديثة في الزراعة ، وفي الأيدي العاملة المدربة على استخدام هذه التقنيات ، لا تستطيع أن تحقق اكتفاء ذاتيا في هذه المرحلة من انطلاقتها . . .

الري بالتنقيط لترشيد استهلاك مياه الري العذبة في احدى المزارع الخاصة





ونجحت التجارب التي اجريت على زراعة الخضراوات بانواعها في الكويت ، وقامت شركات خاصة لزراعة هذه الخضراوات مستعينة في مسيرها بنتائج البحوث التي توصل اليها المعهد . طماطم وفلفل وخيار وباذنجان

المبنى الحديد لمعهد الكويت للابحاث العلمية يوم افتتاحه وعلم الكويت يرفرف بجوار علم المعهد ، وفي المدحل رهور ترسم حريطة الكويت بألوان علمها





ولذلك فان أية محاولة تقوم بها الكويت منفردة لن تحقق هذا الهدف ، فلابد اذن من قيام تعاون بين الاخوة من أبناء مجلس التعاون الخليجي الذين يستطيعون بفضل مساندة الاخوة العرب من الاقطار العربية الشقيقة ، والزراعية منها بصفة خاصة ، أن يضعوا أقدامهم على الطريق نحو إيجاد نوع من التكامل يقودهم الى تحقيق هذا الاكتفاء في بعض المحاصيل الرئيسية

وقد ثبت من خلال الدراسات المرجعية التي أجراها المعهد أن مخلفات حراسات النفط يمكن استغلالها في استصلاح الأراضي الصحراوية واعدادها للزراعة فاذا ما استطعنا أن نبسط هذه المخلفات فوق رمال الصحراء ، وتركناها لفترة طويلة تتراوح بين ثمانية أشهر وسنة كاملة ، فسوف يؤدي هذا الى نوع من التفاعل بين البكتريا الموجودة في التربة ، وبين مخلفات النفط ، وتكون النتيجة حصولنا في النهاية على تربة أكثر نفعا وصلاحية للزراعة

ثم لا ننسى بعد هذا أن الكويت كانت دوما غنية بمواردها الطبيعية التي تتمثل في النباتات البرية التي تنمو وتزدهر في موسم الأمطار في الشتاء ، وقد أثبتت التجارب والبحوث التي أجريت عليها أنها غنية بالبروتينات التي تصلح علفا لتربية الأغنام والمواشي وتسمينها ، ولكن الذي حدث بعد اكتشاف النفط في الكويت ، أن أهملت هذه المراعي الطبيعية اهمالا يبعث على الأسف ، وكانت النتيجة أن تضاعفت مساحة الأراضي الصحراوية ، وأعني بها الأرض التي لم تعد تصلح لنمو هذه النباتات التي انقرضت أو كادت .

ومن هنا بدأ المعهد يهتم باحياء هذه النباتات ورعايتها حتى تنمو وتزدهر ، وحتى تتضاعف رقعة الأرض التي تغطيها ، فنترك الأغنام ترعى فيها لفترة محدودة ، حتى لا تأتي على جذورها ، وما يتساقط من بذور ثمارها ، ثم ننقل هذه الحيوانات الى مناطق اخرى مزروعة بأنواع من الأعلاف مثل البرسيم والشعير . وفي الحالتين تتم عملية الرعي داخل نطاق سياج حتى نحميها من الرعي الجائر ، او اقتحام السيارات لهذه المناطق الرعوية ، أو أية عوامل أخرى تسهم في تعرية التربة » . .

وكان لابد أن نرى هذا الذى يحدث على الطبيعة فقصدنا الى منطقة الصليبية لنسجل ما يجري فيها بالصورة بعد أن جمعنا كل ما يتصل بها من الرجل الذي يشرف على متابعة كل تفاصيلها ودقائقها حتى يضمن لها الاستمرار والتطور

الثروة الحيوانية :

وفي الصليبية وداخل المنطقة المحمية بهذا السياج التي تزيد مساحتها على عشرين كيلو مترا مربعا ، حيث يجري المعهد تجاربه وبحوثه على الأرض والزرع ، كان لنا لقاء بأحد الشبان الكويتيين الذين تخصصوا في تربية الماشية . انه المهندس الزراعي محمد النحوه . . ولم يكن وحده ، لقد كان يقف وسط مجموعة من الباحثين الذين تخصصوا في تنمية الثروة الحيوانية . انهم يقومون باجراء التجارب على الأغنام العربية لتحسين انتاجها من اللحوم ، وقد تم انتاجها جميعا وتربيتها فوق ارض الكويت ، وتمكنت من العيش في جوها الحار خلال موسم الصيف ، وقد كانت هذه هي المشكلة الأولى التي تمكن الباحثون في المعهد من حلها ، بفضل البحوث المثمرة على الطبيعة ، وهكذا لم يعد الجو الحار مشكلة تقف في طريقة تنمية الثروة الحيوانية

ويقول المهندسون الباحثون أن هناك ثلاثة أنواع من الخراف تجرى عليها التجارب وكلها عربية ، وهي النعيمي والنجدي والعربي ، لمعرفة أفضل هذه الأنواع للعيش والتأقلم في جو الكويت الحار . . وقد أسفرت تجاربهم عن نتائج مشجعة .

وفي الصليبية أيضا تجرى تجارب أخرى على الدواجن ، للوصول الى أنواع الغذاء التي تعطي نتائج أفضل . . ولقد كان للبحوث التي قام بها

المعهد ، ومازال أن تأسست أكثر من شركة لانتاج الدجاج البياض والدجاج اللاحم ، واستطاعت هذه الشركات أن تصل بانتاجها من البيض والدجاج الى مرحلة تقترب من تحقيق الاكتفاء الذاتي ، اذا وجدت الحماية الكافية من الدولة للحد من الاستيراد ، وما يقال عن الدواجن يمكن أن يقال أيضا عن تربية الأبقار الحلوب فقد انتشرت مزارع تربية الأبقار ، ووصل انتاج الكويت من الألبان الى مائة وعشرين طنا يوميا ، أو ما يقرب من ثلاثين مليون لتر من الحليب سنويا

الثّروة السّمكيّة:

البحث عن وسائل تنمية الموارد الغذائية هو الشغل الشاغل لمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، فهو يجيء في قمة برامجه منذ انشائه في عام ١٩٦٧ ، ويؤكد السيد نزار ملا حسين نائب المدير العام ، أن دور المعهد كان ملموسا وبارزا في النجاح الذي حققته شركات تربية الدواجن وتسمين العجول ، وشركات صناعة الألبان ، وأخيرا شركة صيد الأسماك ، كما أسلفنا ، وذلك من خلال البحوث التي قام بها في أفضل وأنسب الوسائل لتنمية وتطوير هذه الصناعات والنهوض بها .. صحيح أن بعض هذه الشركات بدأت عملها بعيدا عن أية بحوث ، ولكنها وخلال مسيرتها لتطوير وتنمية انتاجها ، لجأت الى المعهد لدعم هذه المسيرة وتوجيهها على اسس علمية ..

ثم ينتقل السيد نزار الى الحديث عن زراعة الأسماك وتنميتها وتطويرها فيقول : « لقد كانت البداية مع الروبيان منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ونجحت البحوث التي أجراها المعهد في تنمية هذه الثروة الغذائية المائية ، وأصبحت الكويت احدى الدول المصدرة للروبيان .

ثم انتقلت التجربة بعد ذلك الى الأسماك ، وبدأت تجارب استزراعها شتى أنواعها وبحث سبل تطويرها وتنميتها في اقفاص مائية وأحواض ومنذ ثلاث سنوات بدأت تجربة جديدة بتمويل من شركة الأسماك الكويتية المتحدة لزراعة السمك السبيطي ، وقد اوشك المشروع على الانتهاء ، وسوف تساعد النتائج التي توصل اليها الباحثون في المعهد على استزراع هذا النوع من الأسماك التي يعتبقها سكان الجزيرة العربية بكميات تجاريه ، وسيصل الانتاج الى ما يقرب من خمسمائة طن سنويا من هذا النوع .

ويطبق هذا أيضا على السمك البلطي ، وهو سمك يعيش في مياه الأنهار الحلوة ، وقد استورد من مصر ، وأمكنه زرعه في مياه البحر المالحة ، وسوف يصل انتاجه الى ما يقرب من مائتي طن سنويا

والحديث عن بحوث المعهد لا يمكن ايجازه في هذه الصفحات المعدودة . ولكننا نكتفي بهذا القدر ، ونترك لغيرنا أن يقول كلمته بعد هذه الرحلة السريعة مع جانب من نشاطات المعهد

قالوا :

* ما بين جزيرة فيلكا ، وحقول النفط في الأحمدي ، ومختبرات معهد الكويت للابحاث العلمية ، رأيت كويت الأمس واليوم والمستقبل .

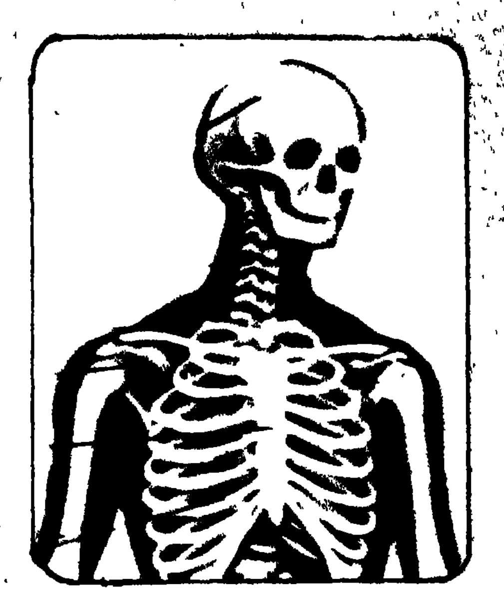
بول لوساكا
رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة

* الخبرة التي اكتسبها معهد الكويت للبحث العلمي ، هي خبرة يمكن توفيرها على نحو مجد للدول الأخرى .

« أحمد مختار أمبو »
منظمــــة اليونســـكو

* ان ما رأيته خلال زيارتي لهذا المركز العلمي يجعلني أثق تماما بأننا لا شك قادرون على اللحاق بركب العلم ، ومواكبة الحضارة بعقول عربية نيِّرة ، وارادة لا تعرف التراجع .

الدكتور عبد الجبار الضحاك
وزير النفط والثروة المعدنية
ســوريــا □



عظامنا وسنوات العمر

بقلم الدكتورة : فاطمة الغرباوي

الهيكل العظمي هو ركيزة الجسم الذي يحمي أعضاءه ، ويحفظ شكله ، وهو جهاز عظيم في خلقه وتكوينه .. فما هي قصته مع سنوات العمر ؟

كلمة الهيكل العظمي تعني لغويا كل جزء عظمي في الحيوان ، ولها دلالتان : الأولى وهي العظام الداخلية ، والثانية وهي العظام الخارجية ، وهذه في الانسان تعني الشعر والأظافر والأسنان .

وكلمة Skeleton تنحدر من الكلمة الاغريقية Skeletos ، بمعنى الشيء الجاف الميت من العظام بعد تحضيرها للدرس بطريقة علمية [illegible]

أما الحقيقة ، فهي أن عظام الكائن الحي عبارة عن نسيج كلاسيكي الشكل ذي تركيبين ، أحدهما عضوي ، والآخر غير عضوي ، وهذا النسيج قادر على التغير [illegible] العظام في [illegible] الخاصة في الشكل والحجم ، وله القدرة أيضا على التكيف شكلا مع [illegible] ويعمل على [illegible] وظيفته الأساسية التي هي المحافظة على قوام الجسم وتدعيمه ، فان له وظائف أخرى مهمة .

تتأثر عظام الجسم بالخواص الوراثية لحاملها ، وبالظروف الداخلية للجسم نفسه ، وبالظروف الخارجية أيضا ، ولذلك فهي لا تتأثر فقط بالآثار المباشرة للأمراض ، ولكنها تتأثر أيضا بالعوامل الفسيولوجية والمرضية لأعضاء الجسم الأخرى .

العظام وعمر الإنسان

فاذا فحصنا عظمة واحدة لشخص ما ، فمن الممكن أن نأخذ فكرة عن صاحبها من حيث العمر ، والجنس ، وطول الجسم ، وشكل البنية ، ودرجة تمتعه بالصحة ، وماهو طعامه ، وماهي عناصره ، وكذلك مكوناته الوراثية ، وهل تعمل هذه العظام بتناسق واتزان أم لا ، ويمكن التمييز أيضا بما اذا كان لديه أية خواص شخصية

ولقد مكنتنا الطرق العلمية الحديثة في دراسة علم الانسان على مدى العصور من البحث في العظام الأثرية ، ودراسة أحوالها التاريخية وسلالاتها .

ولايجب أن ننظر الى الهيكل العظمي على أنه مجموعة من عظام ذات أشكال مختلفة فحسب ، ولكن لأن أعضاءه متصلة بعضها ببعض بواسطة المفاصل ، وبطريقة لاتجعله فقط يعمل كجهاز يحمي الأنسجة الرخوة والعضلات ، وانما يعتبر أيضا مجموعة من الروافع لتلك العضلات والانسجة الأخرى والجسم ككل .

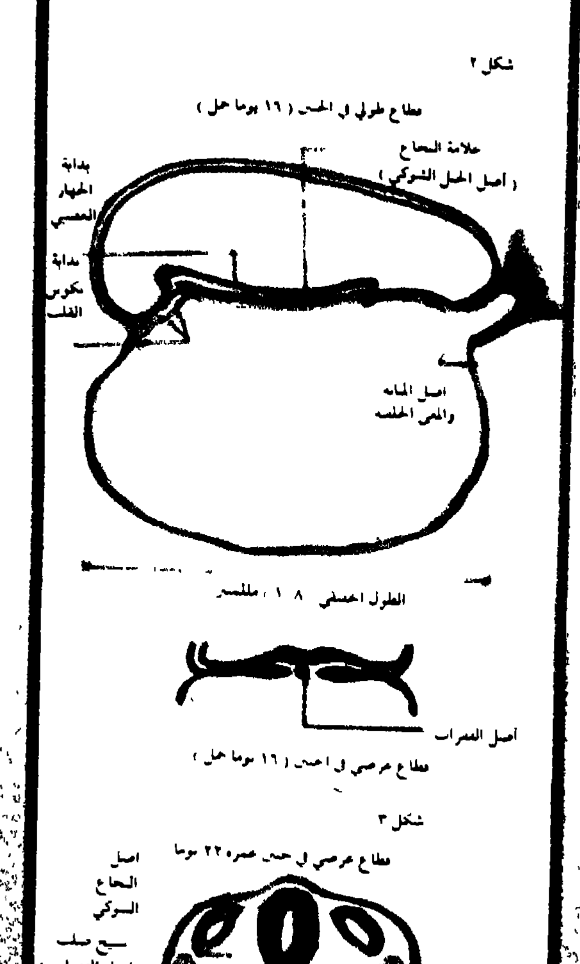
وحيثما كان هناك عضو رخو مهم مثل المخ والقلب والرئتين ، فوظيفة العظام هي حماية هذه الأعضاء ، والمحافظة عليها ، أما داخل العظام نفسها ، فيوجد جهاز آخر ذو أهمية قصوى للجسم ، تحميه العظام بداخلها ، الا وهو نخاع العظام ، حيث تتكون خلايا الدم ، وحيث يخزن العظم بنفسه كميات من الكالسيوم والمعادن الاخرى ، تكون تحت الطلب عند حاجة الجسم اليها .

والعظام في الجسم الحي - هي أيضا عضو حي - وهي مزيج ليفي مختلط بمزيج من العناصر المعدنية ، يقاوم الضغط والشد مع الاحتفاظ ببعض المرونة الكافية ، فاذا سحبنا المعادن من عظمة ما ، بوضعها في محلول حامض مخفف ، احتفظت العظمة بشكلها وحجمها ، ولكنها تصبح لينة يمكن ثنيها وليها ، أما اذا احترقت احترق نسيجها الليفي ، واحتفظت بهيكلها التام ، ولكنها تصبح هشة وغير مرنة تتكسر وتتفتت بسهولة وبأقل مجهود .

علم وبناء العظام

وبقدرة الله وعظمته - سبحانه وتعالى - تتشكل كل عظمة حسب وظيفتها واشتراكها في تحمل ومقاومة الأعباء الميكانيكية ، وهي دائبة التكيف تبع هذه الوظيفة حسبما تتغير الظروف وفي جميع سني العمر ، وأثناء النمو وبعد البلوغ ، فمثلا نجد أن عظام الفك الأسفل تتغير كثيرا بتقدم العمر ، بينما لاتتغير معظم العظام الأخرى بعد استقرار تكوينها .

والتحول في شكل وتكوين العظام بالنسبة لأي تغير في تراكم النسيج العظمي أو امتصاصه ، وهذا لايحدث فقط على نشاط الخلايا المختصة في بناء أو





قطاع عرضي في جنين ٢٧ يوما

هدم العظام ، وانما يعتمد على عوامل عامة في الجسم تتعلق بمعدل التمثيل الغذائي ، والتوازن العام بين الهرمونات ، أو اختلال ذلك المعدل لأي سبب من الاسباب .

ونجد أن النسيج العظمي داخل كل عظمة يتخذ اتجاهات محددة حسب ميكانيكية استخدامها ، ولتقريب فهم تلك النقطة نقارن بينها وبين مايتبع في الهندسة الانشائية للمباني ، حيث يتم توزيع أسياخ حديد التسليح في البناء العالي ، وفي القباب بصورة علمية ، لضمان اتزان المبنى ورسوخه على القاعدة الأرضية ، وهناك بعض الأمثلة التوضيحية بالرسم والصورة ، شكل (١)

كيف تتكون العظام ؟

ينقسم الهيكل العظمي الى قسمين : العظام المحورية وهي الفقرات والأضلاع وعظمة القص والجمجمة . والعظام الطرفية وهي عظام الحوض والاكتاف والأطراف المتصلة بها ، ويصعب الدخول في تفاصيل تكوين العظام في الجنين لكن يمكننا القول بأن الجنين يتطور من مرحلة خلايا تتكاثر الى بداية تطورها الى أنسجة مختلفة ، والجنين مازال طوله لايزيد عن ملليمتر واحد ونصف المليمتر شكل (٢) ، وهذه الأنسجة عموما تنقسم الى ثلاثة أنواع : الخارجي والأوسط والداخلي .

أما العظام فأصلها من النسيج الأوسط المسمى بالميزودرم ، حيث ينقسم مبدئيا الى ٤٢ ـ ٤٤ زوجا من الأجزاء التي تنتج عنها الفقرات والأضلاع ، وهذه الخطوة ترى في الجنين بين اليوم التاسع عشر والثاني والثلاثين من الحمل شكل (٣) ، ثم تتحول الخلايا في هذه الأجزاء الى نسيج غضروفي في الأسبوع السابع للحمل ، وبدءا من الفقرات العليا ، وعند الأسبوع التاسع شكل (٤) ، يبدأ ترسيب الكالسيوم ، والتحول الى نسيج عظمي بعد ذلك .

أما عظام الأطراف فتظهر في الأسبوع الرابع للحمل ، على هيئة براعم على جانبي الجسم من نسيج خلوي مغطى بالجلد ، وهما نسيجان يتعاونان بالتبادل ـ كل لتطور الآخر ـ حيث يتحول النسيج الخلوي الى نسيج غضروفي ، وهذا بدوره يتحول الى نسيج عظمي ، كما هو الحال في المواقع الأخرى من الجسم ، شكل (٥) ، الا أنه في بعض الأجزاء الأخرى مثل عظام الجمجمة المحيطة بالمخ والترقوة والفك الاسفل ، يتحول النسيج الخلوي الى عظام مباشرة ، وتسمى عظاما غشائية .

غذاء العظام

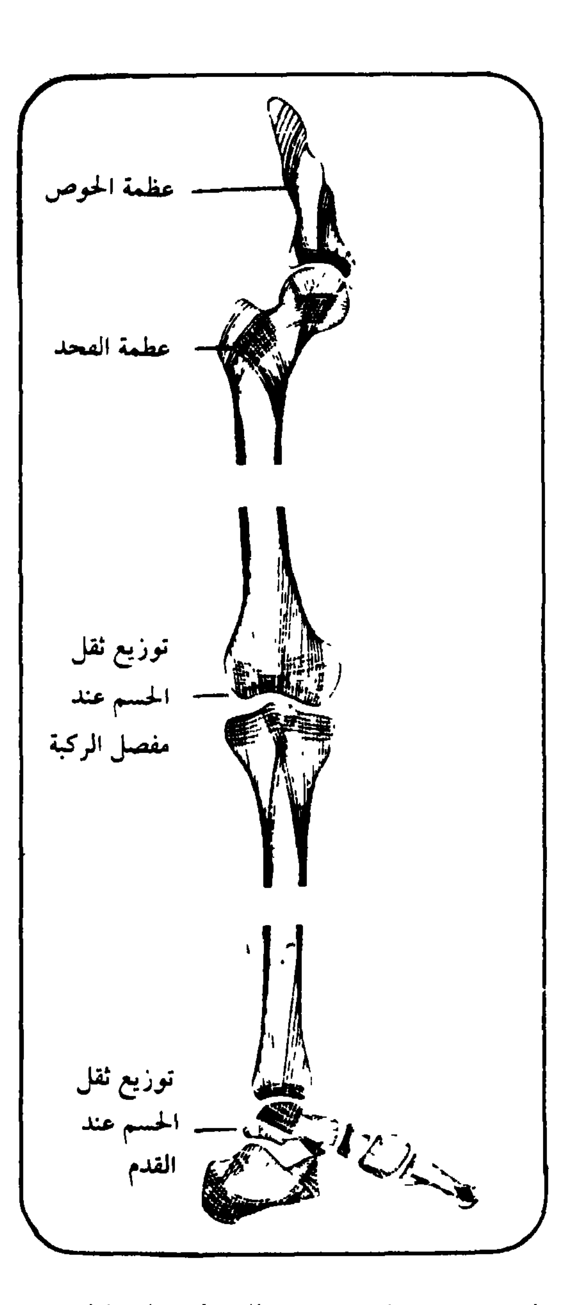
وتتغذى العظام بالدم خلال أوعية دموية خاصة ، حيث يتوجه الشريان الخاص من خارج العظمة الى نهاية العظمة ، حيث مركز نموها وهو في طريقه اليها ، يتفرع خلال مروره في نخاع العظم الى فروع كثيرة ، كما أن هناك شرايين كثيرة أخرى تغذيها من خارج العظمة وحول رقبتها ، وتتصل بالغشاء المغلف لها.وتحتوي العظام على النخاع الأحمر الذي يأخذ على عاتقه عملية تكوين خلايا الدم ، وسرعان مايحتل النخاع الابيض مكانه،حتى اذا ماتم نمو العظام ، أصبح النخاع الأحمر ـ فقط ـ في نهايات عظام الذراعين والفخذين ، شكل (٦)

ما الذي يؤثر في نمو العظام ؟

عندما يتم التحام العظام النامية بعضها ببعض ، ليكتسب الهيكل العظمي للانسان حدا معينا من حيث الطول والسمك والشكل ، تبعا لعوامل خاصة بكل شخص ، تظل تلك الخواص المكتسبة ثابتة الى الى أن تتغير بفعل سنوات العمر ، أو بأي عوامل مرضية أخرى .

وهناك عوامل عديدة تتحكم في نمو العظام . منها العوامل الوراثية ، والهرمونية ، والغذائية والميكانيكية ، والعصبية ، وتأثير هذه العوامل أثناء فترة النمو وقبل البلوغ يكون ظاهرا على مواضع النمو فيها ، حيث النشاط السريع في تحول الخلايا من غضروفية غير مرئية الى غضروفية مرئية في صفوف متراصة ، حيث يترسب عليها عنصر الكالسيوم ، وبعد ذلك تنشط الخلايا العظمية لتكوين النسيج المطلوب ، والشكل العام والقياسات والطول النهائي عادة تحددها عوامل الوراثة .

وهرمونات النمو في الغدة النخامية في المخ لها الأثر الفعال على نضج الخلايا الغضروفية ، وبالتالي على معدل النمو في العظام الطويلة التي تبزغ من النسيج



الغضروفي ، فاذا زاد افرار تلك الهرمونات قبل سں البلوغ أصبح المصاب عملاقا ، أما إذا زاد افرازها بعد البلوغ فان هذا يؤدي الى تصخم العظام الأخرى

الطول والقصر

وعلى النقيض من ذلك ، اذا قلت نسبة هرمونات النمو ظل الفرد قزما ، والتحمت عظامه بعضها ببعض قبل الأوان ، واذا قل افراز هرمون التذكير في الخصيتين قبل سن البلوغ زادت العظام الطويلة في الأطراف طولا غير متناسق مع باقي الجسم ، كما يحدث « للأغوات » أو الخصيان ، ولهرمون الغدة الدرقية أثر كبير على تطور الخلايا الغضروفية ، فاستئصالها في صغار الحيوانات يجعلها دات عظام قصيرة ، وزيادة افراز الغدة فوق الدرقية له أثر عاصف على العظام ، فهو ينشط الخلايا الهادمة للعظام ، ويحرك معدن الكالسيوم والفوسفور من العظام ليريد معدلها في الدم ، ويعمل أيصا على ريادة امتصاص النسيج الهيكلي الليفي والـ Callogen من العظام

وهناك هرمون آخر تفرره بعض الخلايا الحاسية في الغدة الدرقية ويسمى Calcitonin ، له خاصية مقاومة هدم العظام ، وربما بتأثير ماعلى البروتين الموجود في نسيج الهيكل نفسه ، وبذا ينخفض معدل نسبة الكالسيوم في الدم .

مرض لين العظام

ويعتمد نمو العظام بصفة عامة على وفرة كافية من عناصر الكالسيوم والفوسفور وفيتامين د الموجود في الطعام ، شريطة أن تكون في الصورة الكيميائية المناسبة للاستفادة منها . وتلك العناصر يعتمد بعضها على بعض من أجل سلامة العظام طول العمر ، فاذا نقصت قل ترسب الكالسيوم في النسيج العظمي ، فتضعف قوته على تحمل ميكانيكية الحركة ، ونلاحظ ان النسيج الغضروفي يكبر نسبيا ، وهو مستمر في النمو ، وباستمرار نقصان الكالسيوم يصبح تضخم الغضاريف واضحا من نهايات العظام اللينة ، بسبب عدم ترسب الكالسيوم فيها ، وهذا هو مرض لين العظام أو الكساح ، وذلك لأن هذه العظام ـ وقد أصبحت دات نوعية رديئة ـ لاتقدر على تحمل الشد والجذب للحركة اليومية للجسم ، وهنا تكون الحاجة ماسة للفيتامين ج حيث انه هو العامل المنشط لبدء تكوين النسيج الاساسي للعظام السليمة ، ونقص هذا الفيتامين يؤدي الى مرض الاسقربوط ، وحتى في أقل درجاته يسبب تأخيرا في التحام كسور العظام ، أما اذا حرم الانسان من فيتامين (أ) فان نمو العظام يصبح غير طبيعي ، فيزيد سمكها ولاتأخذ شكلها الاسطواني المعروف ، ولكن زيادة فيتامين (أ) عن المطلوب يسبب أيضا تآكلا في العظام من خارج محيطها ، أما بعد تمام النمو والتحام مراكزه مع بعضها البعض ، فتتبقى خاصية تجدد نسيج العظام من

خلايا الغشاء المغلف لها من الخارج ومن داخل جدارها عند النخاع ، وكذلك تستمر عملية الامتصاص .

كذلك يتغير شكل العظام تبعا للحمل والنشاط

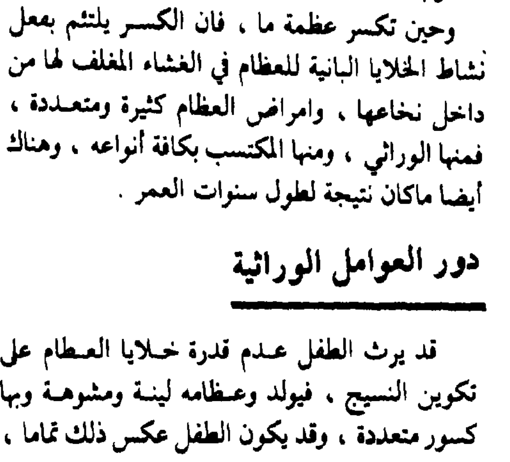


قطاع في عظمة جنين في عمر ٨ أسابيع

شكل ٤

الجنين في عمر ستة أسابيع تبدأ الاطراف تتجه الى أسفل وتبدأ أيضا في الانثناء عند الكوع والركبة .

الجنين في عمر خمسة أسابيع ، الاطراف وقد بزغت مثل الزعانف على جانبي الجسم .



المطلوب منها ، وقد تضمر اذا لم تتحرك .

وحين تكسر عظمة ما ، فان الكسر يلتئم بفعل نشاط الخلايا البانية للعظام في الغشاء المغلف لها من داخل نخاعها ، وامراض العظام كثيرة ومتعددة ، فمنها الوراثي ، ومنها المكتسب بكافة أنواعه ، وهناك أيضا ماكان نتيجة لطول سنوات العمر .

دور العوامل الوراثية

قد يرث الطفل عدم قدرة خلايا العظام على تكوين النسيج ، فيولد وعظامه لينة ومشوهة وبها كسور متعددة ، وقد يكون الطفل عكس ذلك تماما ، فتكون عظامه صماء مليئة بالكالسيوم ، هشة قابلة للكسر بدون سبب ، وهؤلاء يعانون من الأنيميا الشاملة ، لعدم وجود نسيج النخاع في عظامهم ، لتكوين خلايا الدم المختلفة ، وقد يصابون بنوع من الصمم لخلو عظام آذانهم من التجاويف التي تضخم الصوت المسموع للأذن ، وقد يأتون عميانا نتيجة لاختناق عصب البصر في عظام الجمجمة ، وهذه بعض الأمثله فقط .

وهناك أمراض عديدة تؤثر على صحة العظام نفسها ويمكن تشخيصها من صور الأشعة ، مثل أنيميا تكسر الخلايا الحمراء ، والانيميا المنجلية ، والأنيميا البحرية ، وكذلك أمراض الخلايا البيضاء في الدم ، مثل اللوكيميا وأمراض سرطان العظام نفسها من ورم حميد وورم خبيث وتآكل العظام ، والأورام الثانوية في العظام ، مثل سرطان البروستاتا ، والثدى ، والغدة الدرقية ، والرئة والشعيبات . . . وهكذا أما التهاب العظام بسبب الميكروبات الصديدية والدرنية ، فهذه وان قل انتشارها نسبيا بفضل المضادات الحيوية في السنوات الأخيرة ، الا أنها بدأت في الظهور ثانية ، وذلك ربما كان بسبب استعمال المضادات الحيوية بكثرة وبطريقة عشوائية ، سواء من قبل المعالِجين أو المعالَجين ، مما أكسب الميكروبات مناعة ضد العقاقير ، كما يمكن اكتشاف التسمم بالمعادن والسموم من صور أشعة العظام ، مثل تسمم الزرنيخ والفوسفور والرصاص وغيرها . □



قال هربرت ريد « يبدأ الفن عندما ينتهي العلم » وربما قصد بذلك قدرة الفن على تجاوز حدود الواقع ، والتحرر من قيود التفكير أو التعبير المنضبط ، والتخلص من دقة الحسابات وشرطية العلاقات المنطقية ، لينطلق إلى اكتشاف آفاق جديدة تلهم خيال العلماء والفنيين ، وتحثهم على مزيد من التحديات العلمية والتقنية ، ومن الجانب الآخر يسعى العلم جاهدا لاخضاع الابداع الفني لوسائل التحليل والتركيب والتنظير ، ليكسب بذلك مناطق جديدة تدين للتقعيد والتقنين والتنميط .

تتجاوز العلاقة بين الفنون والعلوم رابطة النهاية والبداية التي طرحها هربرت ريد ، إلى كونها علاقة تبادلية ، وفي إطار هذه العلاقة يقوم العلم بتوفير وسائل مادية للتعبير الفني وإخراجه ونشره ، في حين يحث الفن العلماء على كسر القيود ، واقتحام الجديد ، ويكفي هنا مثلا ما يقال عن أثر روايات الخيال العلمي على برامج غزو الفضاء والاتصالات والكمبيوتر ، وعلى ما يبدو كلما ارتقى العالم وسما الفنان بدت الصلة بينهما أكثر وضوحا ووثوقا ، فلا تتسع ذروة الابداع الانساني لتقسيمات مفتعلة ، كتلك التي بين الابداع العلمي والابداع الفني ، أو بين العلوم والانسانيات ، أو بين الشكل والمضمون .

بين الفنون والعلوم

تاريخ الانجاز البشري حافل بالأمثلة التي تؤكد الصلة الوثيقة بين العلوم والفنون ، سنستعرض هنا بعض هذه الأمثلة التي تؤكد الطبيعة التبادلية لهذه العلاقة .

عندما اكتشف نيوتن نظرية الطيف اللوني التي أثبت من خلالها أن اللون الأبيض هو مزيج من ألوان الطيف السبعة ، هلل الفنانون التأثيريون لهذا الاكتشاف ، وجعلوا من مساحاتهم اللونية نسيجا من ألوان الطيف المتداخلة التي تعطى هذا النسيج ملمسا خاصا ، يضيف إلى العمل التشكيلي قيمة جديدة ، وكان أبرز هؤلاء الفنانين هو الفنان الفرنسي « سوراه » الذي صمم على تحويل جميع بقعه ومساحاته اللونية إلى مجموعة نقاط ملونة ، تمثل ألوان الطيف المناظرة التي يتم « غزلها » من آلاف النقاط الملونة والمتجاورة ، وهو الأسلوب الذي عرف « بالتنقيطية » . أعطى أسلوب التنقيطية هذا فكرة تكوين الصور على شاشات التيلفزيون ، حيث تتكون الصورة من نقطة واحدة تمسح الشاشة عرضيا وطوليا ، مع تغيير لونها في المواقع المختلفة ، وفقا لألوان الصورة المراد اظهارها .

ومع انتشار أساليب التحليل والتركيب العلمي ، خرج لنا بيكاسو وبراك بالتجريدية التحليلية التركيبية ، حيث قاموا بتحليل الأشكال إلى عناصر صغيرة ، وأعادوا تركيبها في صيغ جديدة ، وقد كان هذا مدخلا أساسيا للتجريد التشكيلي البحت الذي تخلص تماما من ارتباطه بموضوع معين ، وعندما ظهرت النظرية النسبية ، أثارت فكرة البعد الرابع « البعد الزمني » خيال الفنانين الذين حاولوا التعبير عنه تشكيليا بصور مختلفة ، فها هي متحركات المثّال « كالدر » تخرج النحت من استاتية الكتل الثابتة ، إلى دينامية المكونات التي يتغير شكلها تلقائيا ، تحت فعل الرياح أو تيارات المياه أو حركة الموتورات الكهربية ، أو تحت تأثير الأضواء المسلطة عليها ، حاول مصورون تشكيليون أيضا اضافة بعد الزمن إلى لوحاتهم ـ رغم التحدى الكبير ، حيث تقيدهم حدود لوحاتهم المسطحة ـ فنراهم يضحون بالبعد الثالث ـ فيسقطون المنظور لتصبح أشكالهم مسطحة ، أي ثنائية الأبعاد ، ولكنها تتغير في أوضاعها أو أشكالها ، وفقا لعلاقة منتظمة ومتواترة . يؤدى هذا التغيير المدروس إلى الخداع البصرى ، حيث تبدو الأشكال متحركة ومرتعشة بصورة مستمرة . واللوحة الشهيرة لبيكاسو « عن وجه امرأة » اختلط فيه المنظر الجانبي ومنظر الوجه الأمامي ، مثال آخر لمحاولة الفنان التشكيلي لابراز عنصر الزمن من خلال المزج بين وضعين مختلفين لرؤية الوجه في نفس الوقت .

ومع الثورة الألكترونية المعاصرة ، كان لا بد أن يلتقى الكمبيوتر ، رمز هذه الثورة التقنية ، مع الفن على جبهات مختلفة خاصة ، في مجال الموسيقا

والتشكيل . ففي مجال الموسيقا يستخدم الكمبيوتر لعزف الموسيقا ووضع الألحان ، وقد شهد كاتب هذه السطور في اليابان حفلا موسيقيا للعزف على البيانو بلا عازف ، حيث قام الكمبيوتر بمهمة العزف ، محركا أصابع البيانو ومفاتيحه تلقائيا ، وفقا للبرنامج المخزن في ذاكرته ، وبصورة تتطابق وأداء أمهر العازفين .

أما بالنسبة لعلاقة الكمبيوتر بالفن التشكيلي فتبدو الأمور أكثر تعقيدا وتشابكا ، وسنحاول هنا أن نتناول هذه العلاقة بمزيد من التفصيل ، ومع التركيز على الزخرفة العربية .

الكمبيوتر والفن التشكيلي

تسعى جميع الفنون إلى أن ترقى إلى درجة النقاوة التي حققها فن الموسيقا ، من حيث كونه فنا صرفا ، بالغ الصفاء والتجريد ، قائما بذاته ، لا يستعير من الفنون الأخرى ما يشوب تفرده واستقلاليته .

وقد حاول الفنان المجري الشهير (فازاريللي) أن يضع سلما تشكيليا ، كالسلم الموسيقي ، بحيث يمكن بواسطته تصميم اللوحات التشكيلية بأسلوب يماثل ذلك الذي يضع به الموسيقار سيمفونيته ، وتمادى فازاريللي في خياله وتصوره في إمكانية وضع هذا السلم التشكيلي في ذاكرة الكمبيوتر ، هادفا إلى مزج الفن بإمكانيات الكمبيوتر الهائلة ، وحتى تصبح عملية خلق الأشكال مزيداً من البرمجة الذهنية المحددة ، والاحساس التشكيلي المرهف .

وقبل فازاريللي بقرون عدة قدمت الزخرفة العربية مثالا مثيرا لالتقاء الفن التشكيلي بالمنطق الرياضي والعلاقات الهندسية ، والأهم من ذلك أن الزخرفة العربية اعتمدت في تصميمها على ترديدات نفس الوحدة الأساسية (basic block) وخلق الفنان العربي بذلك أبجدية تشكيلية خاصة به ، أمكن من خلالها صياغة عدد لانهائي من التكوينات الزخرفية .

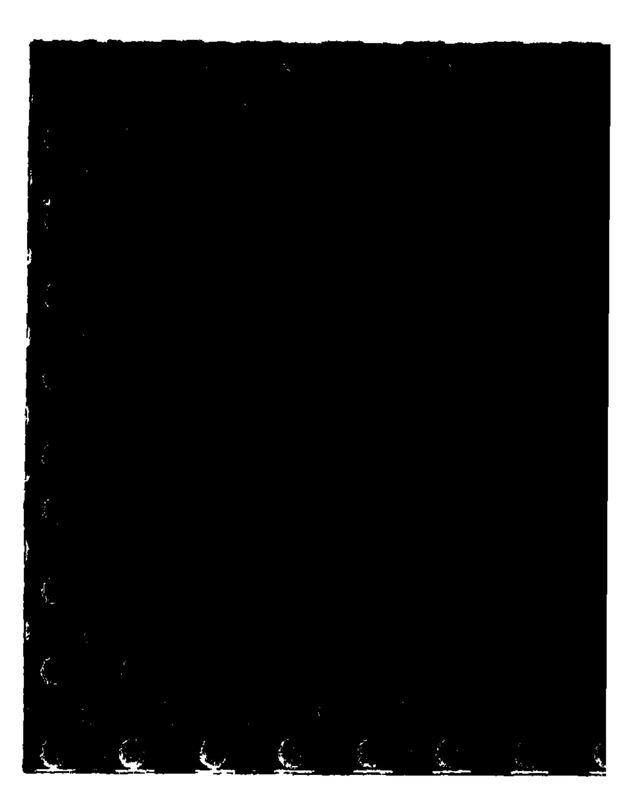
يعد بناء التصميمات من وحدة رئيسية متكررة أحد المفاهيم الأساسية للعلوم الحديثة ، وأساسا مهماً في عملية التحليل والتركيب ، وهو الأسلوب الذي يعرفه البعض بأسلوب التجزيئية (Modularity) . يأتي هذا المفهوم متمشيا مع الخصائص التركيبية لكثير من عناصر الطبيعة ، كتكوين العناصر من ذرات ، والأنسجة من خلايا ، والمركبات من جزيئات وهكذا . وهو يتفق أيضا مع معمارية الكمبيوتر نفسه الذي تتكون ذاكرته من مجموعة من الخلايا ، تحفظ البيانات بها باستخدام عنصرين أساسيين هما الصفر والواحد .

هذا التوافق بين بنية الزخرفة العربية ، ومعمارية الكمبيوتر من جهة ، وإمكانية إخضاع علاقاتها الهندسية للبرمجة الرياضية من جهة أخرى ، جعل منها موضوعا مثاليا لاستخدام الكمبيوتر في مجال الفن التشكيلي .

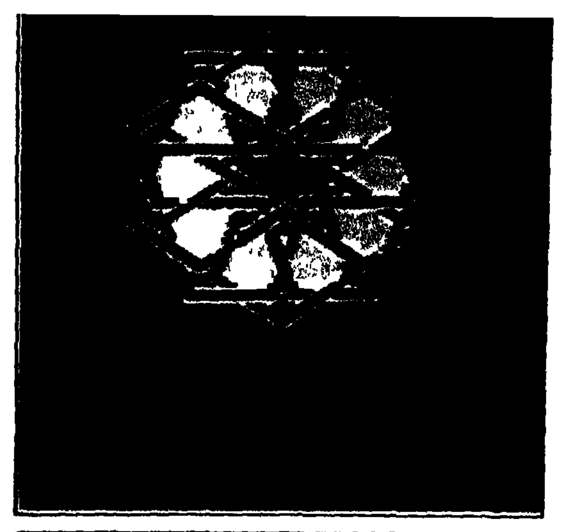
يوفر الكمبيوتر إمكانيات هائلة في تصميم الخطوط ، واختيار الألوان ومزجها ، ويوفر بآليته ألواناً من ٢٥٦ لوناً ، تغطي جميع الدرجات اللونية الممكنة ، وهو يشترك في ذلك مع الوسائل اليدوية في الرسم والتلوين ، ولكنه ينفرد في المرونة التامة في تصغير الأشكال وتكبيرها ، وتجزيئها وإعادة تجميعها ، وتحريكها ونقلها ، وكذلك دمجها مع أشكال أخرى ، يضيف هذا عنصر الدينامية لعملية الابداع التشكيلي نفسها ، ويحرر العمل من أسر استاتية الأوراق واللوحات ، لقد اكتشف أهل السينما هذه الأمكانات الهائلة ، فراهم يستخدمون الكمبيوتر ليتحكم في توجيه الكاميرات ، وخلق المؤثرات التصويرية والصوتية ، وبرمجة الرسوم المتحركة .

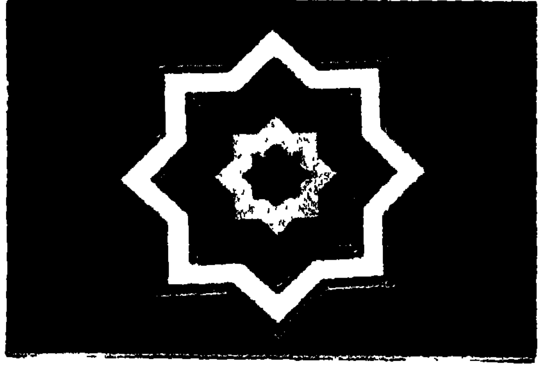
ربما يرى البعض في ذلك ميكنة لعملية الخلق والابتكار ، وتعارضاً مع أصالة الابداع ، وإخضاع الفن للتقنين والتقعيد ، وفي رأيي ان الموقف هو العكس تماما ، فإن الأدوات والوسائل التي يتيحها الكمبيوتر ستحرر الفنان من كثير من القيود التي تحد إبداعه ، وتحصره في نطاق تجريبي ضيق ، لقد أثبت الكمبيوتر في جميع مجالات الفكر أنه عنصر مؤازر لتعزيز الابتكار والابداع .

أما كيف يتعامل الفنان مع آلته الجديدة ، فهناك عدة طرق لتصميم الأشكال بواسطة الكمبيوتر ،



- نموذج من أعمال الفنان فازريلي يتضح فيه تأثره بالزخرفة العربية





- بعض نماذج لاشكال زخرفية تمت برمجتها بالكمبيوتر

فيمكن للفنان أن يرسم على شاشة الجهاز مباشرة باستخدام ما يعرف بالقلم الضوئي ، أو يرسم بقلمه على لوحة رسم موصلة بالكمبيوتر الذي ينقل كل ما يخطه الفنان على اللوحة إلى شاشة الكمبيوتر مباشرة .

بجانب هذه الأساليب المباشرة هناك أسلوب برمجة الأشكال ، وهو حتما الأسلوب الأعمق والأعقد ، حيث يقوم الفنان بإصدار تعليماته للكمبيوتر ، مستخدما احدى لغات البرمجة ، كلغة (البيسك) على سبيل المثال ، ان دور الفنان هنا هو دور مؤلف الموسيقا الذي يقوم بوضع سيمفونيته في صورة مجموعة من الرموز والارشادات ، يذكرنا هذا بقولة (فازاريللي) الشهيرة : « أنا أضع معادلة اللوحة ولا أرسمها » .

استخدام الكمبيوتر في الزخرفة العربية

أتيح لكاتب هذه السطور معايشة تجربة مثيرة لاستخدام لغة البرمجة العربية المعروفة باسم (لوغو) في إنشاء مكتبة للتصميمات الزخرفية باستخدام الكمبيوتر ، لقد قام فريق البرمجة بتلخيص العلاقات الهندسية في صورة صيغ رياضية ، تتعامل مع عدة متغيرات ، بحيث يمكن تغيير نسب الأشكال وأحجامها وألوانها وعلاقاتها ، بإعطاء قيم مختلفة لهذه المتغيرات ، تقوم لغة (اللوغو) بتنفيذ الأشكال الزخرفية ، من خلال قدرتها الفائقة على تكرار الرسومات ، ومعالجة الألوان ، وتحريك الأشكال والتحكم فيها ، وقد جاءت النتائج مؤكدة للدور الكبير الذي يمكن أن يقوم به الكمبيوتر في إبراز جماليات الزخرفة العربية ، وسبر أغوارها ، وإكسابها طابع التغير والحركة ، يوفر ذلك مرونة كبيرة للمصممين في صنع تكوينات زخرفية جديدة ، ويعد ترجمة عملية للدعوة التي نادى بها كثيرون لتحديث التراث ، واستخدام التقنيات الحديثة ، في تقديمه لعرب اليوم صغارا وكبارا . □

وجهاً لوجه





فتحي غانم • أبو المعاطي أبو النجا

* لم تغب المشكلة الاجتماعية عن رواياتي ، ولكني اقترب منها من خلال التركيبة النفسية للشخصية
* تأثر عملي كروائي بعملي كمحقق وصحفي لكن كيف والى أي مدى ؟
* كانت سورة يوسف هي معلمي الاول في بناء الرواية ... !
* تأثرت بشخصية « هانز كاستروب » في تحديد مصير منصور في الافيال ،
* على الاديب أن يواجه الواقع بدرجة من الحياد ليصل الى الصدق .
* نعم .. لعل البراءة الذكية جزء من ذاتي .... !

الاستاذ فتحي غانم كاتب مصري ، وهو واحد من أهم كتاب الرواية في مصر والوطن العربي ، له بصمة متميزة في أسلوبه ورؤيته الفنية ، عمل في بداية حياته المهنية كمحقق في وزارة التربية والتعليم ، ثم انتقل الى العمل بالصحافة كنائب رئيس تحرير في مجلة آخر ساعة ، ثم شغل عدة مناصب رئيسية كرئيس تحرير ، ورئيس مجلس ادارة لعدد من المؤسسات الصحفية الكبيرة .

من أهم مؤلفاته الروائية والقصصية والأدبية :

تجربة حب ، الجبل ، من أين ؟ ، الساخن والبارد ، الرجل الذي فقد ظله ـ(رباعية)المطلقة ، تلك الأيام ، الغبي ، الفن في حياتنا ، سور حديد مدبب ـ مجموعة قصص قصيرة ، زينب والعرش ، حكاية تو ، الافيال ، بنت من شبرا ، قليل من الحب وكثير من العنف .

قدمت ثلاثة من أعماله الروائية في التلفزيون العربي وهي « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » و « الافيال » وحققت زينب والعرش تفوقا كبيرا كعمل تليفزيوني جماهيري متميز

أما الزميل أبو المعاطي ابو النجا ، فهو احد محرري المجلة ، والقصصي المعروف .

بين الصحافة والادب

● يلاحظ القارىء أن فنك الروائي قد تأثر في اختيار موضوعاته بعملك المهني ، سواء في فترة عملك كمحقق أو عملك في الصحافة ، هل تعتقد أن تأثير العمل المهني في فنك قد توقف عند حد اختيار الموضوع ، أم كانت له تأثيرات أخرى في الاسلوب أو في طريقة بناء الرواية ؟ بشكل عام نود أن تحدثنا عن رؤيتك لتأثير العلاقة بين عملك وفنك ؟

ـ هذه الملاحظة صحيحة بشكل عام ، فقد كانت رواية « الجبل » نتيجة لعملي كمحقق في الأحداث التي وقعت في قرية القرنة « التي بناها المهندس المعروف « حسن فتحي » ثم تعرضت لحادث حريق ، كما كان عملي في الصحافة هو المحرك الأساسي لروايتين من رواياتي الكبيرة « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » كما أن شخصية الصحفي تكررت في أعمال أخرى منها قصة قصيرة بعنوان « فترة من حياة بهية مسعود » التي أعتقد أنها كانت تحتوي على بذرة من بذور رواية « الرجل الذي فقد ظله » ومنها رواية « من أين » حيث أن بطلها صحفي ، وهي وان لم تتناول مهنة الصحافة ، الا أنها تناولت الموضوع الذي كان يقوم الصحفي بتحقيقه ، فإذا انتقلنا الى الجزء الأخير من السؤال عن تأثير عملي الصحفي أو عملي كمحقق في أسلوب كتابتي للرواية ، أو في طريقة بنائها ، فأعتقد أن هذا الجانب يثير قضية جديرة بالتأمل والمناقشة ، فمن ناحية ربما كان عملي كمحقق له أثره في طريقتي في الاقتراب من الحقيقة في أعمالي الروائية ، حيث يتوجب عليَّ أن أبحث عنها عبر قنوات متعددة ، وألا آخذها من مصدر واحد مهما يكن .

وقد ظهر هذا في رواية « الجبل » وفي رواية « الرجل الذي فقد ظله » .

الا أنه من المهم هنا أن أشير إلى أن بذرة هذا الاتجاه قد بدأت عندي في فترة مبكرة في بعض قصصي القصيرة ، كما سبق أن اشرت ، ولكن هذا لا يمنع من أن عملي كمحقق بلور هذا الاتجاه عندي وأنضجه .

ومن ناحية أخرى أرى أن السؤال عن تأثير عملي الصحفي في عملي الأدبي ربما له علاقة بما يقال من أنني متأثر في كتابة الرواية بأسلوب الكتابة الصحفية ،

وهذا هو الأمر الذي يحتاج الى شيء من المناقشة ، من وجهة نظري ، هناك أوجه للتشابه وأوجه للاختلاف بين العمل الصحفي والعمل الأدبي ، العمل الصحفي يبدأ بمتابعة حدث يقع في الخارج ، ثم يعبر عنه بالكلمة أو بالصورة ، الأديب أيضا يجب أن يبدأ من ملاحظاته لما يقع حوله من أحداث ، عليه أن يواجه الواقع من حوله بنوع من البراءة الكاملة ، أو من الحياد إذا صح التعبير ، لا بد من درجة من البكارة والعذرية ، وربما دهشة الشاعر ، ليكون قادرا على الوصول إلى ما نسميه الصدق أو الحقيقة ، لا أتصور أن الكاتب الذي يبدأ بمسلمات أو بأحكام جاهزة يمكن أن يوصلنا إلى هذا النوع من الصدق ، فهو في العادة يرى في الواقع أو لعله يساق إلى رؤية ما يؤيد وجهة نظره المسبقة ، أو يبرهنها ، وفي رأيي أن ما يقدمه مثل هذا الكاتب ليس أدبا روائيا بالمعنى الذي أرتضيه ، وليس معنى هذا أنني أرفض مثل هذا الأدب ، فمن حق كل كاتب أن يكتب بالمنهج الذي يرتضيه لنفسه ، ولكن طريقي أن ابدأ من خلال التجربة التي تنقلها حواسي ، وهي بعد ذلك توصلني الى نتيجة يمكن أن تكون مختلفة حتى عن توجهاتي المسبقة .

إذا كان العمل الأدبي والعمل الصحفي عندي يتفقان في البدء من ملاحظة الواقع الخارجي ، فان الاختلاف بينهما يبدأ أيضا بعد ذلك . فالصحفي يسجل انطباعاته عن الحدث الذي رآه في الواقع فورا ، بأسلوب يتسم بالوضوح والبساطة ، أما الأديب فقد يحتاج الى سنوات لتأمل تجربة عاشها في الواقع ، قبل أن يكتبها في عمله الأدبي ، وبالنسبة لي فقد احتجت الى ثماني سنوات لأكتب رواية « الجبل » بعد أن عشت تجربتها في الواقع ، كما أن الأسلوب الأدبي يحتاج الى جهد من نوع خاص في اختيار الكلمات وصياغتها في نسق معين ، قادر على نقل الخبرة التي يتمثلها الكاتب الى القارىء ، والايحاءات التي يريد أن يوحي بها اليه ، هناك تصور أن الأديب الذي يعمل بالصحافة يتأثر أسلوبه الأدبي بالأسلوب الصحفي الذي يؤثر السهولة والوضوح عادة ولكن في الواقع هناك فرق بين السهولة والوضوح اللذين يكتب بهما الصحفي ، واللذين يكتب بهما الأديب ، فقد وصف النقاد أسلوب همنجواي الأدبي ـ وقد عمل أيضا بالصحافة ـ بأنه يكتب « بكلمات كأنها حصى تراه في غدير ماء صاف»وهم يعنون أنه يكتب بكلمات واضحة جدا محددة جدا ، إلا انها في النهاية من خلال هذا الصفاء وهذه الدقة التي ترسم بها الواقع ، تفجر في داخل القارىء المشاعر الجمالية التي يحس بها الكاتب

هل يكون الكاتب محايداً ؟

.. ● **إذا أذنت لي فلدي تعليق صغير على جزئية في أول حديثك ، ثم توضيح لسؤالي حول النقطة التي تحدثت عنها أخيرا ، فإذا عدنا الى قضية حياد الكاتب بالنسبة للتجربة التي يعايشها ، فلا أظن أن مثل هذا الحياد موجود بالمعنى الدقيق ، فلكل كاتب وربما لكل انسان خلفية تؤثر في طريقة رؤيته للتجربة التي يمر بها في الحاضر وتفاعله معها ، ولعلك تقصد أن على الكاتب أن يخوض نوعا من الجهاد في سبيل ألا يبقى أسيرا لهذه الخلفية ، وهو يعيش تجربته الحية الجديدة ، وأن عليه أن يكون متفتح العقل والقلب ليتمكن من رؤية الجديد الذي قد تحمله هذه التجربة ، والذي يمكن أن يسهم في تغيير خلفيته فهل توافق على اضافة مثل هذا التوضيح .**

ـ تماما . وأظن أن هذا ما كنت أقصده ، وان لم يسمح سياق الحديث بتوضيحه بهذه الدرجة .

● **أعود اذن الى توضيح آخر لما كان في خاطري حين سألت عن تأثير العمل المهني في أسلوبك في كتابة الرواية وطريقة بنائها ، فقد كان لدى احساس بأن منهجك في بناء العديد من رواياتك أنك تبدأ دائما من لحظة أزمة أو ذروتها ، ثم تقوم بنوع من الرحلة وراء جذور هذه الأزمة في الماضي أو الحاضر متابعا لفروعها في المستقبل ، وان هذه الرحلة تشبه من بعض الوجوه رحلة الصحفي الذي يبدأ تحقيقه من ذروة أزمة ثم يتابع الشخصيات والأحداث في مواقع وأزمنة مختلفة ليصل الى نوع من الحقيقة ، وان مهنة المحقق أيضا ربما كان لها تأثير على طريقتك في عرض موضوع الرواية ، من**

خلال شخصيات مختلفة ، على النحو الذي أوضحته في حديثك عن « الرجل الذي فقد ظله » .

سورة يوسف هي البداية

ـ أوافقك الى حد ما على وصف الظاهرة ، ولكني ربما أختلف في تقدير الأسباب والدوافع فقد تدهش اذا قلت لك اني لم أمارس العمل الصحفي بالطريقة التي تشير اليها ، فلم أكتب خلال عملي بالصحافة تحقيقات صحفية أو اخبارا صحفية ، لقد كان أول عمل صحفي لي هو العمل كنائب رئيس تحرير ، وفي الواقع أني دخلت الصحافة من باب الأدب ، ومع ذلك فأنا أوافقك على وصف طريقتي في بناء الرواية ، فأنا أبدأ من لحظة أزمة أو من دورتها ، وأضيف هنا أنني أحرص على الانتقال من ذروة الى ذروة أخرى ، وهذه فرصة لأحدثك عن بدايات هذا التفكير لدي في بناء الرواية . وأذكر أن هذه النقطة بالتحديد كانت مجال مناقشات طويلة بيني وبين الصديق الناقد والكاتب الأستاذ بدر الديب في الأربعينيات

لقد قلت له يوما (وبالمناسبة أنا حفظت القرآن الكريم في طفولتي المبكرة) سأقرأ عليك سورة « يوسف » كما لو كنت اقرأ قصة ثم قلت له الا ترى أن القصة تبدأ مباشرة بلحظة أزمة : « أولاد يريدون أن يخرجوا مع أخيهم والأب خائف » وهذه أزمة ثم يسقط يوسف في البئر ، ذروة أخرى ، ثم « يدخل يوسف على امرأة العزيز في مصر ثم همّت به وهمّ بها » ، ذروة أخرى ، ثم دخول السجن ثم الحلم ثم الخروج ثم القحط . الخ

اعتقد أنه من هنا ، من تأثير سورة يوسف بدأ الاهتمام عندي بأن تكون مراحل القصة عبارة عن مجموعة من الذرا التي تشد القارىء ، ثم حدث تأثر آخر في حقبة الخمسينيات ، فقد التقيت بمجموعة من كتاب السيناريو الأمريكان ، وطلبوا المساعدة في كتابة سيناريو فيلم اسمه (عبد الله الكبير) عن حياة شخصية تشبه شخصية الملك فاروق مع ثورة يوليو ، في أثناء هذا العمل المشترك كانوا يتحدثون معي عن ضرورة أن تعتمد المعالجة السينمائية على أسلوب الانتقال من ذروة الى ذروة ، بطريقة تحتفظ باهتمام المشاهد ، ومازلت أذكر من أحاديثهم معي :

ـ « أكتب على هذا النحو : شخص يسرق ياقوتة بمليون جنيه ، ثم يضعها في جيب شخص لا يدري عنها شيئا ، ثم اجعل هذا الشخص الذي يحمل الياقوتة في جيبه يفعل أي شيء ، وبأكد أنذاك أن كل الناس سوف يهتمون بما يفعله هذا الشخص ، ومهما يكن ما يفعله ، لأنك وضعت بذرة الاهتمام بسلوكه منذ البداية .

كانت تلك طريقتهم في الحديث عن أهمية المحافظة على اهتمام المشاهد ، وطبعا كل كاتب يسعى الى ذلك بطريقه الخاصة ، وأذكر أيضا في نفس الحقبة أنني نشرت حديثا في آخر ساعة سنة ١٩٥٤ ، أجريته مع الكاتب الروائي الانجليزي « سمرست موم » وكان وقتها في ذروة مجده الأدبي ، ومن كلماته التي لا أزال أذكرها في هذا الحديث : الرواية أولا وثانيا وعاشرا رواية أحداث تشد انتباه القارىء

هذه بعض المؤثرات البارزة القديمة التي أسهمت في تكوين فكرتي عن طريقة بناء الرواية ، وربما بعد ذلك اثرت المهنة ، سواء في التحقيق أو الصحافة على انضاج هذا الأسلوب أو هذه الطريقة

بذور الرجل الذي فقد ظله

● قبل أن تترك هذه النقطة تماما دعني أذكرك بما أشرت اليه في بداية هذا الحديث ، من أنه كانت في بعض قصصك القصيرة المبكرة بذور لرواية « الرجل الذي فقد ظله » ، فلقد كنا نظن دائما أنك تأثرت في تقنيتها برباعية الاسكندرية « لداريل » أو أنها مهنة المحقق الذي يرى الواقعة الواحدة دائما من وجهات نظر متعددة بتعدد الشخصيات التي عاشت التجربة الواحدة

ـ هذه فرصة أيضا لأقول لك اني لم أقرأ رباعية « داريل » الشهيرة عن الاسكندرية وان كنت أؤكد هنا ما سبق أن قلته من أن مهنة المحقق بلا شك قد أثرت في طريقة اقترابي من الحقيقة وبلورتها في

مجموعة قصص « سور حديد مدبب » قصة قديمة كتبتها قبل أن أكتب أيا من أعمالي الروائية هي قصة « غروب شمس » وهي تستعرض عدة لقطات لعدة شخصيات ، وهي تمارس حياتها المعتادة في لحظة غروب الشمس التي تشكل الاطار الزماني للقصة ، كما يشكل شاطىء البحر الاطار المكاني لها

الشخصية الأولى في القصه فتاة انفصل أبوها عن أمها ، وتتعرض حياتها لاضطرابات عاطفية كبيرة ، الفتاة تسبح في مياه البحر في لحظه الغروب ، ومع الوهن تتعرض لمشاعر يائسة ، تجعلها تحس برغبة في الغرق ، وتكاد تستسلم لهذه الرغبة ، في اللحظة ذاتها أستاذ في علم الآثار يتمشى على الشاطىء مع صديق له ، ويحدثه عن معنى غروب الشمس عند قدماء المصريين ، وكيف أنها تقوم بنقل أرواح الموتى الى العالم الاخر

في الوقت نفسه صاحب مقهى يوناني يقف على باب المقهى ، ينتظر الزبائن الذين يبدأ توافدهم على مقهاه كل ليلة بعد غروب الشمس ، لتدب الحياة في المقهى   الخ . الخ

والبنت تكاد تغرق ولا أحد من هؤلاء يشعر بها ، وأود أن أنبه هنا أيضا الى أن هذا النوع من البناء القصصي الذي ظهر عندي في فترة مبكرة ويقوم على النقلات السريعة ، يرتبط بتنوع الايقاع فيه في القصة الواحدة مع تنوع الشخصيه والموقف   فمثلا في قصة « حصرة البرسيم » تجد ثلاثه إيقاعات مختلفة مثل الحركات المختلفة في السيمفونية الواحدة ، فهناك الجملة السريعة في بعض أجزاء القصة ، ثم الجملة الطويلة في جزء آخر ، ثم الجملة المركبة في جزء أخير . وقد تطور هذا الاتجاه بوضوح في « الرجل الذي فقد ظله » فالايقاع في الجزء الثالث الذي بطله ناجي « وتدور أحداثه في باريس ، يتميز بأنه ايقاع سريع حديث ، بخلاف الايقاع مع « مبروكة » الفتاة الريفية الذي يتسم بالبطء والهدوء

البراءة الذكية

● في شخصية « علياء في المدينة » سيناريو تلفزيوني كما في شخصية « يوسف منصور » التي ظهرت في العديد من رواياتك بنفس الاسم ، يلاحظ القارىء سمة نفسية غالبة تتردد كالنغمة الأساسية مع هذه الشخصيات « البراءة الذكية » وأعني بالبراءة شيئا غير السذاجة ، أو قلة الخبرة ، بل أعني درجة من صفاء العقل ونزاهة التفكير ، والقدرة على رؤية الحقائق بعيدا عن تحيزات الأهواء والأوهام الذاتية .

ودائما تستفز هذه البراءة تحيزات الآخرين ، ربما لأنها تكشف هذه التحيزات وتصطدم بها ، فتحاربونتهم ، وتدخل في صراعات لا تنتهي ، ما معنى وجود سيطرة هذا الجانب في هذه الشخصية التي يرى البعض انها تمثلك شخصيا ؟ أو ربما على الأقل جانبا منك ؟

ـ حقيقة هذه الشخصية فرضت نفسها عليّ فرضا من خلال نوع من التربية المثالية التي تعرضت لها في طفولتي ، لقد فرض عليَّ أن أكون الطفل الطيب المثالي ، ولقد صورت جوانب من هذه الشخصية في علاقة « يوسف منصور » بزميل له في المدرسة اسمه « أنفتش » ، وقد جرح « أنفتش » هذا مع يوسف منصور الى ميدان باب الحديد وعرض عليه أن يدخن أول سيجارة .

ولقد عانيت الكثير في طفولتي وشبابي بسبب هذه التربية ، فلقد كنت أتعرض دائما لسوء الفهم من جانب الأصدقاء ، يفهمون امتناعي عن المشاركة لهم في لهو الشباب وعبثه ، على أنه نوع من التعالي أو العبط أو البلاهة ، أو عدم الرغبة في الانتماء لطبقتهم .

وكان البعض يرى أنه لا سبيل لاثبات صداقتنا الا بأن نتبادل الشتائم ونشترك في نفس السلوك ، ولم يكن من السهل أن أتجاهل تأثير هذه المرحلة ، ولعلها ساعدتني في مراحل تالية على أن أدرك الكثير من أنواع سوء التفاهم البشري الذي ينجم عن تحيز الأفراد والجماعات لأهوائهم أو لأوضاعهم الخاصة .

وضرورة الوصول الى درجة من الموضوعية ، وربما لهذا صلة بالحياد المطلوب للكاتب الذي بدأت بالحديث عنه ، والقدرة والرغبة في ادراك معطيات التجربة الواقعية بشكل موضوعي .

غياب أو شحوب المشكلة الاجتماعية

● الأعمال الأدبية الروائية والقصصية التي ظهرت في الخمسينيات ، مثل روايات نجيب محفوظ والشرقاوي ويوسف ادريس وغيرهم ، تشترك كلها في أنها كانت تنطلق من احساس قوي جارف بضغط المشكلة الاجتماعية ، وبالمقارنة بأعمالك الموازية في المرحلة ذاتها نجد أن المشكلة الاجتماعية في رواياتك لا تكاد تحتل نفس المساحة ، أو تحظى بذات الاهتمام ، فالمشكلات النفسية أو الفكرية هي التي تبرز ، وحتى عندما نجد رواية مثل « الحبل » تقوم على أساس مشكلة اجتماعية ، فإن تكييفك الفني للمشكلة يبرز الجانب الفكري والنفسي لها ، وهو « ضرورة أن يقتنع أولئك الذين يستهدفهم الاصلاح بأهدافه ووسائله ».

اذا كنت تقر هذه الملاحطة فما تفسيرك لها ؟

ـ اود أولا أن أشير الى أن المشكلات الاجتماعية في كتاباتي في هذه المرحلة وفيما بعدها كانت موجوده ، وان كانت بدرجة أو بمساحة ترى أنت أنها قليلة على كل حال أذكرك بمبروكه في « الرجل الذي فقد ظله » ، وهي الخادمة القادمة من الارياف ، وتمثل مشكلة الشريحة التي تنتمي إليها ، وعبد الهادي النجار في « ريب والعرش » وتاريخ أسرته ، والعوامل الاجتماعية التي أثرت في تكوين شخصيته . الخ

ومع ذلك فلملاحظتك ما يبررها ، ولعل التفسير الذي أراه هو ان كل العوامل المؤثرة في سلوك أي شخصية ، سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم نفسية هي كلها تصب في تكوين تركيبة نفسية معينة هي التي يتعامل معها الكاتب في النهاية ، وهي التي يقدمها للقارىء ، ليكتشف من خلالها تأثير كل هذه العوامل .



واعتقد انه بغض النظر عن أي رؤية سياسية اعتنقها ومع تيقني أن هناك قضايا اجتماعية مثاره في الواقع ، ويواجهها الناس ، ولها ملامحها ومظاهرها ، الا انني باستمرار أبحث عن التأويل النفسي لهذه القضايا ، لدى من يعانون منها ، وانا أبدأ دائما من هذه المنطقة النفسية، لا أبدأ من أن الظلم الاجتماعي واقع هناك في الخارج ، أو بوصف مظاهر الفقر ، بل ابدأ من الطريقة التي تري بها الشخصيات ذلك كله ، أو الكيفية التي تحس بها ذلك الفقر أو الظلم

مقبرة أم مصحة ؟

● في روايتك « الأفيال » كنت أشعر أن مؤسسة « دس » هي نوع من المصحات النفسية الحديثة التي تلجأ اليها الشخصيات المأزومة للمساعدة في الخروج من الأزمة ، والسيطرة على النفس ، بعد نوع من العلاج الجمعي ، إن أحداث الرواية هي التي شجعتني على هذا التفسير ، فيوسف منصور بطل الرواية يلتقي في هذه المصحة النائية التي يلفها الغموض بالعديد من الشخصيات التي أسهمت في صنع أزمته ، ومع كل الام المواجهة بينه وبينهم ، ومع تكشف الحقائق حتى ما كان يتصل منها بأجزاء غامضة من ماضيه . . يبدو أنه قد وصل

أخيرا الى درجة من التحرر والاستعداد للمواجهة ، مع كل القوى التي دفعت به الى حافة الجنون

كيف بعد ذلك تفسر استسلامه وبقاءه في المصحة ليلعب الدمينو مع خصومه ؟

ـ حتى يحرك القارىء ... فاها ضاحكا ... ثم استطرد

ومع ذلك دعني اقول لك انني ربما أكون قد تأثرت في اختيار هذه النهاية بنهاية شخصية « هانز كاستروب » في رواية لتوماس مان ، لقد ذهب « هانز كاستروب » ليزور ابن عمه المريض بالسل في إحدى المصحات فوق جبال الألب ، وكان السل في ذلك الوقت مرضا خطيرا والزائر سليم قوي ، ولكن تأثره بالجو الذي عاش فيه أثناء جعله يتوهم انه مريض هو الآخر بالسل ، ويبقى بالمصحة إلى ان مات

ومن ناحية أخرى فان في لواقع شعرت بأن يوسف منصور قد انتهى دوره بمجرد ان عرف الحقيقة الكاملة وان عليه أن يدفع حياته ثمنا هذه المعرفة ، من هنا سميت الرواية بالأفيال ، لأن هذه المجموعة من الرجال انتهت ادوارهم بخيرها وشرها ، ولم يعد أمامهم سوى أن ينتظروا الموت كالأفيال في المقبرة

● قدمت في الأفيال تشريحا رائعا لبعض الحركات الدينية من وجهة نظر عناصر في السلطة ، ومن وجهة نظر الأب المثقف يوسف منصور ، ولكنك لم تعبر عن هذه الحركات من داخلها ، أو من وجهة نظر أصحابها الا بطريق غير مباشر ، من خلال الضابط الذي دفع به قائده للتجسس عليهم ، فانضم اليهم ، دون أن نعرف دوافع هذا الانضمام ، ولا كيفيته ، وبهذا بقي الغموض يلف موقفها من الداخل ، الا ترى أن هذه الحركات تستحق ولو في رواية أخرى رؤية من الداخل ؟

ـ في الواقع ما اقتربت من هذا الموضوع بطريق آخر غير مباشر في روايه « ست من شبرا » ولكن يبدو انك لا تقنع الا بدخولي في التجربة فهل تريدني ان ...

● وكيف يا ترى تكون النهاية ؟

ـ طبعا لا أحد يضمن نهايته ، والا كيف تكون تجربة ؟ صادقة ؟ □

●

الرفق

● الرفق مبدأ اسلامي يبنى عليه التشريع الاسلامي قواعده وأصوله ، فالاسلام يعتمد مبدأ الرفق بصورة عامة في جميع شؤون الحياة فيجعل منه سمة تميز المؤمن وعنصرا يقوي الايمان وفضيلة تزين العمل ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » كما يقول ﷺ « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالايعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه ، والرفق لايكون في شيء الا زانه ولاينزع من شيء الا شانه .

وعن جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال « ان الله عزوجل ليعطي على الرفق مالايعطي على الخرق ، واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا الخير » ، وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال « من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » .



الموسيقا العربية

بقلم : سليم سحّاب*

تبدو الموسيقا العربية للكثيرين وكأنها نقيض للموسيقا الأوروبية الكلاسيكية وبأننا أمام أحد طريقين : إما الاتجاه « للعالمية » عبر البوابة الأوروبية ، أو البقاء ضمن الأطر الشرقية المعروفة لدينا منذ زمن بعيد . . فهل من بدائل أخرى ؟

كان يمكن لموضوع علاقة الهارمونيا الأوروبية بالموسيقا العربية أن يظل أسير دوائر المؤتمرات الموسيقية المتخصصة ، والأبحاث الموسيقية الأكاديمية ، لولا أن هذا الموضوع انتقل منذ مدة طويلة من الحيز النظري الى الحيز العملي ، ليس فقط عبر محاولات كثيرة لتطبيق قواعد الهارمونيا الأوروبية (البدائية والمتعمقة) في شتى مجالات الموسيقا العربية ، بل ان المسألة تحولت ، بطروحاتها النظرية وتجاربها العملية على يد عدد كبير من الملحنين أصحاب الألحان الرائجة جماهيريا ، الى مادة متداولة في الثقافة الشعبية ، أبرز ما فيها - للأسف - انتشار ذلك الاعتقاد الخاطيء انتشارا شعبيا واسعا ، بأن الموسيقا العربية التي لا تستعير آفاق الهارمونيا الأوروبية هي موسيقا متخلفة ، بعيدة عن التفكير الموسيقي ، وبالتالي فان معيار التطور العلمي لأي انتاج موسيقي عربي معاصر ، هو مدى اقترابه أو عدم اقترابه من صيغ الهارمونيا الأوروبية

ان هذا الرأي الشائع خديعة علمية مكشوفة ،

* اختصاصي موسيقا من القطر اللبناني ، حاصل على ماجستير في الموسيقا ويحضر لرسالة الدكتوراة ، رئيس فرقة الموسيقا العربية

سسها ، بالاضافة الى عقد النقص أمام العرب ، التي تشمل كثيرا من نواحي حياتنا السياسية والثقافية ، عدم التعمق الكافي في التعرف العلمي بكل الأعماق النظرية للهارمونيا الأوروبية من جهة ، وللمقومات النظرية للمقامات العربية ومكوناتها من جهه أخرى

ان عقد النقص أمام العلم الأوروبي شوشت كثيرا احتمالات الاستفادة من العلوم الموسيقية الأوروبية ، فأصبح استعمال « الكليشيهات » الهارمونيه الطابع المشترك لكل من أراد استعمال الهارمونيا في التوزيع الموسيقي ، دون الاخذ بالحسبان أن الهارمونيا الاوروبية وضعت لتلائم طبيعة اللحن الأوروبي ، البعيد كل البعد عن طبيعه اللحن العربي

تعدد الأصـــوات

كيف ظهر تعدد الأصوات في الموسيقا ؟ المعروف أن أول نشاط موسيقي قام به الانسان هو الغناء ، فهو النشاط الموسيقي الوحيد الذي لا يحتاج الى تصنيع آلة موسيقيه ، فآلة الغناء هي الحنجرة ، والمعروف تاريخيا أن التصنيع ظهر كنشاط انساني بعد مدة طويله من ظهور المجتمعات الانسانية البدائية ، أما ظهور الغناء المتعدد الأصوات فتقول نظرية موسيقيه أوروبية ، ان سببه قد يكون ظهور النشاط الغنائي الجماعي ، واذا لم يكن الغناء الفردي مشكلة لأن المغني كان يختار الطبقة المريحة والمناسبة لصوته ، فان الغناء الجماعي خلق مشكلة كبيرة هي عدم ملاءمة الطبقة الواحدة لجميع الأصوات المشتركة في الغناء ، من هنا ظهر النشاز ، أي الخروج عن اللحن لعدم امكان الغناء الصحيح ، ونلاحظ الظاهرة نفسها حين نسمع غناء مجموعة غير مدربه من الأطفال ، ومع الوقت اتجه النشاط الموسيقي الغنائي نحو تنظيم الأصوات الناشزة في الغناء الجماعي ، الخارجة عن اللحن الأحادي الأساسي ، والاستفادة من اختلاف طبقات الأصوات المؤدية ، وهكذا ظهر حسب هذه النظرية الموسيقية تعدد الأصوات في الغناء الجماعي ، هذه الظاهرة تفشت في الموسيقا الشعبيه لدى شعوب أوروبا وافريقيا ، كشعب الكونغو مثلا ، وغيره من الشعوب الافريقية ويلاحظ عدم انتشارها عند الشعوب الشرقية

وربما كان السبب في عدم وجود النشاز في الغناء في الشرق هو أن الشعوب الشرقية عرفت الالات الموسيقية ، وتفننت في صناعتها قبل ظهور هذه الالات وصناعتها في اوروبا بمدة طويلة جدا تقدر ببضعة آلاف من السنين فأصبح النشاط الموسيقي عند شعوب الشرق مقسما بين الغناء والعزف ومصاحبة الغناء ، فيما انحصر النشاط الموسيقي في أوروبا القديمة وافريقيا بالغناء فقط لعدم ظهور الالات الموسيقية لمدة طويلة ، فيما عدا الالات الايقاعية في افريقية . لذا تطور الغناء عند هذه الشعوب حتى وصل الى تعدد الأصوات

وهنا لابد من الحديث عن بعض النظريات الموسيقية لتنجلي الرؤية ان اللغة الجديدة ، الهارمونيا ، التي احتلت مكان « البوليفونيا » ، احدث مع الوقت تشكل نظاما مستقلا من العلاقات الداخليه بين درجات السلم الموسيقي الواحد « **توناليتي** » وأصبح في وسط محور هذه العلاقات علاقة الدرجة الرابعه بالثالثة هبوطا ، وعلاقة الدرجة السابعه بالثامنه صعودا

هذه العلاقات أوجدت مع الوقت نظاما صارما للتحرك النغمي إنّ في اللحن الأساسي أو في التجانسات اللحنية الهارمونية ، وسمي هذا النظام الوظيفة الهارمونية ، وظهرت الوظيفة الهارمونية الأساسيه في النظام الهارموني الكلاسيكي العربي المبني على التتابع النغمي التالي . الدرجة الأولى ـ الرابعة ـ الخامسة ـ الأولى . وفيما كانت العلاقة مهمة في البدء في التجانسات العمودية فقط ، أصبحت فيما بعد مهمة أيضا في اللحن الأفقي ، فأصبح من الضروري في الغناء أو العزف ، لدى أداء الدرجة الرابعة ، أن تكون متوترة ومشدودة نحو الدرجة الثالثة هبوطا مما يذكرك بهذه العلاقة ، كذلك الدرجة السابعة وأداؤ ها مشدوده صعودا نحو الدرجة الثامنة ، جواب الدرجة الأساسية في السلم الموسيقي ، وبذلك تأتي السابعة متوترة لتوقها الى الحل ، أي الى الاستراحة على أساس السلم الموسيقي ، لذا صنفت الدرجة الرابعة على رأس الأصوات غير الثابتة ، وسميت السابعة بالحساس حسب النظريات الموسيقية الفرنسية ، وبالصوت الجاذب أو القائد بنظريات موسيقية أخرى

اذا عدنا الى النظام الهارموني وحللناه ، نرى أهمية

طهور العلاقة اللحنية بين الدرجة الرابعة والثالثة هبوطا والسابعة والثامنة صعودا ، وهذا ما يتت ان السلم الموسيقي الأوروبي (توساليتي) سلك سكا لكي يتلاءم مع الوطيفة الهارموبية . أولى - رابعة - خامسة - أولى هده الوطيفة الهارموبية أصبحت الهيكل الدي قامت عليه المدرسة الأوروبية الكلاسيكية ، وما لحقها حتى القرن العشرين ، وبلغ هذا النظام الوظائفي الهارموبي حدا من الصرامة حعل أي خروج على هذا التسلسل التحاسي هرطقة موسيقية ، وأعطم هده الهرطقات استعمال تحاسس الدرجة الرابعة بعد تجانس الدرجة الخامسة بدلا من العكس

ومع ترسيخ اللغة الموسيقية الحديدة التي استحدثتها الوظائف الهارمونية ، أصبح اللحن القريب من الطابع الشعبي الصرف يتعارض مع اللغة الحديدة ، من هنا أصبحت الحاجة ملحة لاستحداث نظام لحي جديد ، يتناسب مع اللغة الهارمونية الحديدة ، فكان طهور السلم الموسيقي الأوروبي الحديث • « توساليتي » ، ولن أسميها مقاما ، وذلك للفارق النظري الكبير بينهما كما سنرى لاحقا .

السلم الشرقي

ماذا عن السلم الموسيقي القديم ؟ هل اختفى من الاستعمال الموسيقي ؟ كلا ! انه السلم الموسيقي للموسيقا الشعبية في كل العالم ، وهو أساس الموسيقا الشرقية وبالذات الموسيقا العربية ، محور اهتمامنا ، فما هو الطابع الأساسي للمقامات الشرقية عموما والعربية خصوصا ، وهل فيها علاقات خاصة بين درجاتها ؟ نعم ، هناك علاقة مهمة تشكل التركيب الأساسي للمقامات الشرقية ، وتتلخص في علاقة جميع درجات المقام من جهة والدرجة الأساسية للمقام من جهة ثانية ، أي أن الدرجة الأساسية تشكل نقطة الثقل والجذب في المقام الذي تؤول اليه كل الدرجات الأخرى ، وهذا ما يفسر أهمية القفلة في الموسيقا العربية . فهي تشكل المحطة الأساسية في صلب التلحين أو الغناء أو التقاسيم ، ولنذكر قفلة « ياريتي عمري ما حبيت » من أغنية أم كلثوم « أنا في انتظارك » أو قفلة موشح « وجهك مشرق بالأنوار » أو قفلة موشح « ملا الكاسات » لمحمد عثمان أو قفلات دور « أحب اشوفك » لمحمد عبدالوهاب

وتلخيصا للفوارق النظرية بين السلم الموسيقي العربي والمقام الشرقي نقول ان في السلم الموسيقي الأوروبي درجتين تتقاسمان تجاذب باقي درجات السلم الثالثة لجذب الدرجات نزولا من خلال الرابعة ، والأولى أو جوابها ، لجذب الدرجات صعودا من خلال السابعة (الحساس) ، وفي المقام الشرقي درجة واحدة تشكل محور التجاذب الوحيد ، وهي الدرجة الأولى الأساسية أو جوابها في المقام

ولكن هل هذه الفروقات « البسيطة » على ما يبدو تكفي لأن تكون فوارق مبدئية تحول دون استعمال الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية في الموسيقى العربية ؟ أم أنها « حجة » فقط يتحدها « المتعصبون » للموسيقا العربية « ضد » الموسيقا الأوروبية والعلم الأوروبي ؟

السلم الموسيقي والمقام

في سنة ١٩٥٨ طهر كتاب للموسيقي النمسوي ، اليوغوسلافي المولد والأمريكي الجنسية رودولف ريتي تحت عنوان المقامية ، اللامقامية والمقامية الشاملة وفي الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ طهر تحت عنوان جديد « السلم الموسيقي في الموسيقا المعاصرة » . وقد ورد في هذا الكتاب مقطع في منتهى الخطورة فيما يتعلق بالفوارق المبدئية بين السلم الموسيقي الأوروبي الكلاسيكي ، وبين السلم الموسيقي الشرقي ، نورده حرفيا نظرا لأهميته ولارتباطه الشديد بموضوعنا

« منذ نحو مائة عام اصطدم الموسيقيون الأوروبيون الذين وجهوا اهتمامهم الى الألحان الشرقية « الغريبة » ، بواقع صاعق لا شك فيه . ان هذه الألحان المذكورة لم تكن في غنى عن المصاحبة الهارمونية وحسب ، بل انها كانت تقاوم هذه الهارمونيا . وقد باءت بالفشل الذريع كل المحاولات لجعل هذه الألحان مقبولة للأذن الأوروبية ، أو الباسها هارمونيا جميلة ، أو سكبها في القوالب الهارمونية المستعملة ، وقد ظهرت استحالة ذلك تقنيا بدون تغيير أصوات هذه الألحان ، أو بدون تغيير الجملة اللحنية ، وكان أي تغيير يشوه طبيعة اللحن ، نازعا عنه جماله ولونه الخاص ، ونزيد على ذلك ، كما علمنا تاريخ الموسيقا ، أن الألحان ذات الطابع

الهارموني ، لم تكن تستطيع ان تشارك في صنع الحضارة الموسيقية قبل ظهور التفكير الموسيقي الهارموني (الهارموني بالذات وليس البوليفوني) ، ولذلك سميا هذا النوع من السلالم الموسيقية « السلم الموسيقي الهارموني »

وبالتالي فاذا كانت الألحان الدائرة حول المركز المقامي تقاوم الهارمونيا في حال ، وفي حال آخر لا تنتشر موسيقيا الا اذا اقترنت بالهارمونيا ، فان هذه الظاهرة تشكل دليلا لا يقبل الجدل على وجود نوعين من السلالم الموسيقية ، ومن المنطقي حتما ان الموسيقا ذات الطابع اللحني اختفت من الاستعمال في فترة سيطرة التفكير الهارموني في الموسيقا ، وكان من المحال ظهور هذه الموسيقا اللحنية الطابع قبل « الخلاص » من السلم الموسيقي الهارموني ، وقد حدث هذا في نهاية القرن الماضي مع ظهور الموسيقا المعاصرة ، ومن الطبيعي أن فكرة « السلم الموسيقي اللحني » « ظهرت عندئذ »

وهذا دليل موسيقي من جهة اخرى على الاختلاف الجذري بين طبيعة « السلم الموسيقي الهارموني » في الموسيقا الكلاسيكية الأوروبية ، الذي لا تقوم له قائمة بدون الهارمونيا الكلاسيكية ، وبين « السلم الموسيقي اللحني » في الموسيقا الشعبية أينما وجدت

اللحني والهارموني

عند تصنيف الموسيقا الأوروبية بين كلاسيكية ورومانسية ومعاصرة ، لم يخطر على بال احد أن يسأل لماذا لم تدخل الى هذه التصنيفات الأسماء التالية عليكا ، تشايكوفسكي ، بورودين ، ريمسكي - كورساكوف ، موسورغسكي ورحمانينوف ، وهل هم كلاسيكيون أم رومانسيون ؟ ان هؤلاء العباقرة الذين يشكلون المدرسة القومية الروسية الكلاسيكية لدى استعمالهم الألحان الروسية الشعبية ، أو لدى كتابتهم ألحانا تحتوي على جميع خصائص الموسيقا الشعبية الروسية ، لم يعالجوا هذه الألحان بالهارمونيا الكلاسيكية الأوروبية ، بل أوجدوا لغة هارمونية جديدة تتلاءم مع « السلم الموسيقي اللحني » للموسيقى الروسية ، لذلك لم يضطر الموسيقيون الروس الكبار الى تغيير التركيب اللحني للألحان الشعبية الروسية التي استعملوها في أعمالهم الموسيقية ، بينما اضطر الموسيقيون الأوروبيون الكلاسيكيون الى ذلك ، كي يتلاءم السلم الموسيقي الميلودي للألحان الشعبية المستعملة في موسيقاهم مع النظام الهارموني الكلاسيكي الذي كان سائدا ، وعلى رأس هؤلاء بيتهوفن ، والأمثلة على ذلك بالعشرات ، خصوصا في سمفونيته السادسة المعروفة بالريفية ، حيث تغيرت كل الألحان الشعبية المستعملة فيها على كثرتها ، لتتلاءم مع النظام الهارموني المستعمل لمعالجة هذه الألحان ، واللحن الشعبي الوحيد في هذه السمفونية الذي لم يخضع الى التغيير الميلودي هو لحن رقصة الفلاحين في الحركة الثالثة ، قبل العاصفة وذلك لأنه استعمل بدون أية معالجة هارمونية وقد استخدمه لحنا فقط وفي مثال موح آخر فان غلينكا ، مؤسس المدرسة الموسيقية الروسية القومية الكلاسيكية بعد عودته من دراسته في ايطاليا وألمانيا ، وكتابته سمفونيته « تاراس بولبا »وهي السمفونية الروسية الأولى ، على أساس ألحان شعبية روسية جمعها لهذا الهدف ، مزق سمفونيته هذه بالرغم من الألحان الشعبية ، كونه وجد ان الهارمونيا الكلاسيكية الأوروبية ، التي استخدمها ، لم تنسجم مع الألحان الروسية الشعبية التي عالجتها ، كذلك لم يتقيد شوبان ، عبقري الهارمونيا ، بالوظيفة الهارمونية الكلاسيكية في معالجته للألحان الشعبية البولونية التي استعملها في موسيقاه ، وهذا هو السبب الذي جعل عبقريا آخر مثل فرانز ليست لا يفهم عبقرية شوبان

بكلام آخر . ان الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية التي كانت تستخدم لمعالجة الألحان المبنية على « السلم الموسيقي الهارموني » لم تصلح لمعالجة الألحان ذات الطابع الشعبي الروسي والبولوني المبنية على « السلم الموسيقي اللحني »

ان اللغة الهارمونية الجديدة لمعالجة المادة الموسيقية ذات الطابع اللحني وصلت الى ذروتها في الموسيقا الروسية مع موسورغسكي ، وقد لفتت لغته الهارمونية الجديدة نظر أهم موسيقيي فرنسا المحضرمين ، كلود ديبوسي الذي ما ان عاد الى فرنسا من روسيا ، بعد ان تعرف الى موسيقا موسورغسكي ، حتى انكب على دراسة الموسيقا الشعبية الفرنسية القديمة ، فوجد الدلائل نفسها : ان الموسيقا الشعبية الفرنسية مبنية على « السلم الموسيقي

اللحني » ، ولا يجوز اطلاقا استعمال الهارمونيا الكلاسيكية في معالجتها . من هنا ظهرت المدرسة الجديدة في الموسيقا الفرنسية · الموسيقا الانطباعية ، وما تبعها ، المبنية أساسا على لغة هارمونيه جديدة ، وضعت خصيصا لتتلاءم مع طابع الموسيقا القومية الفرنسية .

الموسيقا العربية والهارمونيا

اين الموسيقا العربية من كل هذه المشكلات ؟ ان الموسيقا العربية موسيقا لحنية قائمه على المقام ، وهذا ما أسماه ريتي « السلم الموسيقي اللحني » وعليه فان استعمال الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية لا يتناسب مطلقا مع طبيعة هذه الموسيقا اللحنية ، ويشهد على ذلك غلينكا وموسورغسكي وشوبان وديبوسي وبيتهوفن مدعومين بنظرية ريتي في كتابه المذكور ، ان استعمال هذه الهارمونيا بدون تغيير يؤدي حتما ، كما حصل في التجربة التي رواها ريتي ، الى ضرورة تغيير الطبيعة الداخلية للحن العربي ، حتى تتناسب مع التسلسل الهارموني الكلاسيكي ويلاحظ ذلك في تراث الاخوين رحباني اللذين أحدث الحانهما مع الوقت وبسبب الابتعاد عن الخط اللحني الأصيل تفقد من جمالها وعرض جملها اللحنية ، وأخذت تبتعد شيئا فشيئا عن المقامات العربية لأن هاجسهما الأول وهو الهارمونيا والتوزيع الأوركسترالي لا يلائمها ، الى أن اختفت من أعمالهما هذه المقامات العربية ومع الوقت اتّبعت الجملة اللحنية بالتوزيع العربي ، فراحت تتغرب الى ان فقدت نهائيا صلتها بالتراث العربي ، واتجهت نهائيا الى الغرب . . » .

البديل الموسيقي

إن الموسيقا العربية وجدت لنفسها طريقة تطوير لا تقل عن الهارمونيا خلقا وابداعا وتلوينا ، هذه الطريقة هي ما سميها في التلحين العربي « السكك المقامية » ، المبنية على طبيعة اللحن العربي المرتكز على « السلم المقامي اللحني » . وليس صدفة أن الفارق بين عباقرة التلحين العرب من جهة ، وبين الملحنين العاديين من جهة أخرى هو بشكل أساسي تعمق العباقرة دون سواهم في الامساك بجميع أسرار السكك والتلوينات المقامية ، وطرق العودة الى المقام الأساسي ، وهذه السكك المقامية تقوم بدور التلوين الموسيقي والانفعالي الذي تؤديه الهارمونيا في الموسيقا الاوروبية اما اذا اردنا استعمال الهارمونيا ، فان ادخال « كليشيهات » هارمونية كلاسيكية أوروبية درسناها في سنة أو سنتين هو استخفاف كبير بالموسيقا العربية ، وبالموسيقا العربية والهارمونيا العربية

ان المدرسة الموسيقية الروسية ابدعت لغة هارمونية جديدة تتناسب مع طبيعه اللحن الروسي ، ولم تلق بالا الى ان هذه اللغة الهارمونية تتناقص مع قواعد الهارمونيا الأوروبية العربية الكلاسيكية أو لا تتناقص ، فالمهم عندهم كان الا تتناقض مع روح الموسيقا الروسية ، كذلك ديبوسي الذي استنبط بعد دراسته للحن الشعبي الفرنسي هارمونيا جديدة تتناسب مع اللحن الفرنسي ، وشوبان البولوني عند معالجته للحن الشعبي البولوني ، ان الكسل وعدم المعرفة وعقد النقص يجعل بعض موسيقيينا يستعملون القليل الذي تعلموه مفصلين « سكك » ألحان في هذه القوالب الهارمونية الجاهزة ، على الجهد لاستنباط لغة هارمونية جديدة من طبيعة اللحن العربي نفسه .

هذا للاسف ما يحصل ، ولذلك نرى اللحن العربي وبالأخص اللبناني الحالي مشوها ، وفي أحسن أحواله يشبه الألحان الأوروبية في الأغنيات الخفيفة الراقصة فهل هذه هي طريقة تطوير الموسيقا العربية ؟ وهل هكذا ندخل « التفكير الموسيقي » الى الموسيقا العربية ، كما يحلو لبعض الموسيقيين الجدد أن يقولوا ، وكأنها كانت خلواً من التفكير قبلهم ؟

نحن مع تطوير موسيقانا ، ولكن التطوير يجب أن ينبع من طبيعتها ، فاذا أردناها هارمونيا ، فليكن ! ولكن شرط أن نستنبطها من طبيعة موسيقانا ، فتكون خاضعة لطبيعة اللحن العربي ، وتساعد على تعميقه ، لا أن يخضع اللحن العربي لها فتشوه معالمه . ولنا مثال كبير على الجهد في استنباط الهارمونيا من طبيعة اللحن العربي كتجربتي زكي ناصيف وتوفيق الباشا في لبنان . □



الارض المحتلة

بقلم : وليد أبوبكر

عندما يحكم اغلاق الطوق ويرى الكاتب نفسه وجها لوجه أمام القمع والمصادرة فإنه يلجأ مهتديا بحسه الوطني الثاقب الى طرق وأساليب جديدة في التعبير ـ منها الرمز . فما هي دلالات االرمز في روايات الكتاب الذين دهمتهم هجمة الاحتلال في أرض فلسطين العربية . . وأبوا الا أن يقارعوها بكل ما يستطيعون ؟

في رواية (احطية) يقول اميل حبيبى ان محامي الشعب حنا نقارةهو الذي علمهم فصل الرمز على المرج ، حين كان يهمس للفلاح المهدّد بمصادرة أرضه بكلمة واحدة . « حشب » ، فيفهم الفلاح أن عليه أن يصمت ، وأن يترك الحديث للمحامي ، بينما لا يفهم الضباط والضابطون شيئا ، وان تظاهروا بغير ذلك

واذا كانت للرمز فضيلة في الحياة العامة ، فإن من الطبيعي أن يلجأ اليه الأدب ، حين يكتب في ظل قهر الاحتلال ، وبالرغم من أن الاتجاه الواقعي هو الأسلوب الذي اختارته رواية الأرض المحتلة في معظم انتاجاتها ، الا أن ذلك لم يمنع الكتّاب من اللجوء الى الرمز الجزئي ، أو الشامل ، في بعض الأحيان ، داخل هذا الاطار الواقعي ، ولعل أبسط ما يمكن أن يشار اليه في هذا المجال هو اختيار كثير من الأسماء ، بحيث توحي بسلوكها داخل العمل الروائي ، وقد برع اميل حبيبى في هذا الاختيار وتميز ، فكان سعيد أبوالنحس «المتشائل» في الروايه التي حملت اسمه يتصرف بما يشبه الاسم تفاؤلا وتشاؤما ، وكذلك كان إسم (يعاد) واسم (باقية) واسم (ولاء) في الرواية ذاتها ، أما في (إخطية) فان اسم عباس يقدم اختصارا لتاريخ حيفا ، المدينة ، وجغرافيتها ، بينما يوحى اسم (سروة) بالارتفاع والقدرة على البقا ويقدم اسم (اخطية) دلالات مركبة .

الايحاء

لكن رواية الأرض المحتلة لم تكتف بالاسم الموحى ـ وانما تجاوزته الى بعض الشخوص الموحية أيضا ، واذا

كان رحل الفضاء في (المتشائل) رمز للقاعات العيبية مثلا ، يلجأ اليه الانسان حين تضيق به السبل أو يعجز عن مواجهة واقعة ، أو يحس عن ذلك ، فان رحل الفضاء هذا ، مع المزيد من الوعي ، وتجربة النضال يتحول في (اخطية) الى فلسطيني مسلح ملثم ، ينشر الرعب في كيان العدو ويشل حركته ، حتى وان كان الأمر كله متوهما ، حتى «الرامزور» اشارة المرور ـ التي تقع عندها « حلطة المواصلات » تتحول الى شيء موح ، يشير الى أن حركة العدو لايحكمها طرف واقعي ، وانما هي طارئه ، قابلة لأن تتوقف في أية لحظة ، رغم استمرار عمل « الرامزور » ـ التقيه .

وحين يتحدث إميل حبيبي عن « الكنز » الذي عملكه بعض الناس ، فيصبحون قادرين على مواجهة العدو ، يكشف بعد ذلك انه كنز من الفكر أو الوعي ، الذي يخلق الثقة في قلوب الناس وينزع منها الخوف . أما سميح القاسم في روايته (الى الجحيم أيها الليلك) فقد اختار اللون ليوحي به ، فالليلك ، الذي ارتدته صديقة طفولته (دنيا) ـ وهو اسم موح ـ يوم هاجرت بعد أن هدم العدو بيت أهلها ، صار يعني عدم وضوح أي لون آخر لأنه يغمر كل الألوان ، وهذا الوضوح لم يعد الى العين الا بعد أن وضح فعل المقاومة في عملياتها ضد العدو ، ودنيا هي ذلك الجزء من شعب فلسطين الذي هاجر تحت ضغط العدو ، وعودة الوضوح الى الألوان تعني عودة دنيا ، وعودة الوحدة الى الشعب العربي الفلسطيني الذي تشتت ، أو عودة الأمل في هذه الوحدة ـ التحرير

الكسيح ينتفض

والفدائي الذي أعاد وضوح الألوان في الرواية هو (حسن الكسيح) الذي يرمز الى من بقي من شعب فلسطين على أرضها تحت نير الاحتلال ، وهو صبي كسيح ، تركه الراحلون الى الشمال ، بين يدي من لم يرحلوا ، وقد وجد أول الأمر عناية تامة من الكبار ، بردت حتى انتهت ، فأخذ الصغار ، يتلهون به ، تعذيبا الى درجة الموت ، لكن حسن الكسيح ينهض في آخر الرواية لينفذ عملية فدائية في وسط تل أبيب ، وليكشف عن أن كساحه كان مؤقتا ، كما كان موته مؤقتا كذلك ، فهذا الكساح جاء بسبب ضعف الامكانيات ، بعد أن استخدم الناس بنادقهم القديمة في مواجهة القوة الكبيرة للعدو ، فنفد الرصاص ، ولم يعد بامكانهم أن يقاوموا ، فكان الكساح فترة استعداد للمواجهة القادمة

والكساح ـ أو العجز ـ ليس غريبا على الرواية في الأرض المحتلة ، عندما تتحدث عن فترة ما بعد الاحتلال ، بالنسبة لمن ظلوا في أراضيهم ، ووجدوا أنفسهم أقلية مسحوقة فيها ، فوالده (حبيبه) التي بقيت في الأرض بعد رحيل ابنتها عجوز ، في (سداسية الأيام السته) وأم الروبابكيا ، في الروايه نفسها بقيت مع والدتها الكسيحة ، وشغلت نفسها بجمع ذكريات من رحلوا والمحافظة عليها ، حتى تظل لها خصوصيتها ، ولا تندمج مع الاحتلال

وقد جاءت (اخطيه) استكمالا لرمز الكساح ، وتعميقا كبيرا للدور الذي قامت به أم الروبابكيا لدى اميل حبيبي في روايته السابقة ، ثم اتسعت دلالات الرمز عبرها ، حتى أصبحت من أبرز الشخصيات الموحية في رواية الأرض المحتلة ، لتؤكد دور العرب هناك ، في الصمود الواعي في مواجهة الاحتلال ، انتظارا للخطوة التالية التي توصلت الى الكفاح المسلح عند حسن الكسيح

مفاتيح « اخطية »

وتبدو شخصية (اخطية) محيرة في دلالاتها أول الامر ، ولكن الرواية تقدم مفاتيح هذه الشخصية بالتدريج ، حتى تبدو واضحة في النهاية

اخطية هي سليلة عائلة عبدالكريم ، العائلة الوحيدة التي نجت من مذبحة الصليبيين في حيفا ، فكان سكان حيفا بعد ذلك هم نسلها ، والعائلة من أصول قروية فلاحية ، وقد حافظت على طباعها الأساسية في الجرأة ، كما تعرفت على الفكر الذي يناسبها ، فاتسمت بالوعي .

وكانت (اخطية) ـ الفتاة ـ محبوبة الجميع ، يتذكرها الجميع لأنهم عشقوها حتى التلف ، وتلقوا رسائلها وتمنوا أن يلتقوا بها وجها لوجه ، كما فعل أحدهم ، عندما قفزت من شرفة بيتها فوق صخرة



من صحور الدرجات الصحريه ، قبل نصف قرن من الرمن ، فتلقاها بذراعيه (لتكشف الرواية بعد ذلك أن الذي تلقاها كان أخاها)

ثم احتفت (احطية) سنه ، وفجأة عادت ، وظهرت وهي تحمل طفلة بين يديها ، وسحابة من حزن في عينيها ، فقيل انها ارتكبت (الخطيئة) ولدت سفاحا ، (احطية) اذن هي جزء من حيفا ، من أهل حيفا ، وهي بالتالي جزء من فلسطين وأهل فلسطين ، وكانت قفزتها - حين نحسب - عام ١٩٣٥ ، فهل عنت تلك القفزة ، ثورة عز الدين القسام ، الريفية التي تشكلت في حيفا ، قبل أن تمجر وتذوى بسرعة ، في أحراش يعبد ؟ وهل كانت الطفلة ، التي حملتها ، وعادت تنادي الناس بعينيها الحزينتين ، هي ثورة ١٩٣٦ ، التي اجهضت ؟ أم أن كل شيء كان مرتبطا بخشخشة الانتداب ، وعواء ثعالب الهجرة اليهودية المكثفة التي شهدتها حيفا ، كميناء ، والتي تمت عبر « الهبل الشامل » الذي خلق لدى الجميع هما ممضا حط عليهم من « موجة بحر عالية ، طلعت على شارعنا طلوع الموت الفجائي ولم تنحسر ، وذلك حين ترامت الى مسامعنا خشخشة أو عواء عن فضيحة ألمت بالفتاة - المليحة - التي سطا عليها غول » . ورغم أن جميع من أحبوها - وهم الجميع - تمنوا أن يعترفوا بأبوة الطفلة ليردوا شرف (احطية) اليها ، الا انهم جمعا جبنوا عن ذلك

لكن العائلة كانت تصم من يعرف سر (احطية) ، وكانت (سروة) نموذجا لشجاعة هذه العائلة وجرأتها ووعيها ، وقد حاولت أن تدفع الناس الى الارتفاع - الى قمة شجرة الكينا ، حيث تلمع ، حتى يعرفوا سر (احطية) ، لكن أحدا منهم لم يملك الجرأة ليصل ، وحين سقطت (سروة) وهي تحاول أن تحث الناس ، عن الشجرة (في النكبة) ، اقفر من اهله شارع عباس ، وذهبت سروة واخوتها ، كما ذهبت من قبلها ، (احطية) ولم يبق أمام الناس ، الا ما هو خاص بهم ، خصوصيه تأنيب الضمير حين ينادون (احطية) بصوت يقطع القلوب ، وهو البكاء على ما فات ، بسبب النكبة .

هل ذهبت (اخطية) حقا ؟ هل ماتت مع الموت الجرىء السروة أم هاجرت كما هاجر أحد أخوتها يلف ويدور : شارع عباس طرابلس الشام ، بيروت السعودية ، نيويورك ، ديترويت ، شارع عباس ، حنينا ، فى النهاية الى العودة ،ولكن كزائر امريكاني رفض الامريكيتين- ابنته وروجته - لأنها أصرتا على أن اسم فلسطين هو « ازرائيل » ؟ عبدالاله عبدالكريم هو الجزء الذي هاجر من شعب فلسطين ، وحمل فصار الاجانب يعطونه اسم « اباس » . وقد قاده الحنين للزيارة ، لكن عودته

كزائر ، لم تدم ، فقد تم ترحيله ، ومنع من دخوله الى البلاد ـ زائرا ـ مرة أخرى ، وان كانت هذه العودة قد كشفت حنينا لايموت ـ الى الوطن ، والى (اخطية) ، فأين كانت (اخطية) كل هذا الوقت ؟

لقد ظلت (اخطية) في حيفا ، (باقية) في أقدم البيوت في شارع عباس ، أقدم الشوارع ، وكان وجودها واضحا وضوح الشيء الذي يتعود عليه الانسان ، حتى لايعود يراه ، الا اذا وقف وتأمل وانتبه جيدا الى مرور عامل الزمن « وكان فطينا » حتى يستطيع أن « يرى »

هذه الفطنة ، وبعد أن أصبح عامل الزمن هو الحياة كلها ، أوصلت الى التعرف على ما هو واضح أصلا ، وما يراه كل يوم ، ممثلا بواحد من أسماء عبدالكريم ، يسمى بالرجل البندول ، لأنه يرسم خريطة حيفا مرتين كل يوم ، وهو يطوف شوارعها خارجا من منزله عائدا اليه ، لايزار ، ولا يسلم فلا يسلم عليه

وهو طويل القامة ، منتصب الفرع ، لم يتغير ، ولم يؤثر عليه مرور الزمن . وهو من أب مسلم ، وأم نصرانية ، يرتدي الثياب السوداء الرسمية . . ويستقبل من رأى وهو يقول : ستة وثلاثون عاما وأنا انتظر هذه الصحوة ، هي بالطبع عمر الاحتلال .

الباقي

ان (عبدالرحمن عبدالكريم) هو الجزء الباقي من العائلة ، وهو أكثر أفرادها وعيا ، فقد كان عاملا ـ كسائق قطار ـ وكان يتحدث عن ثورات التحرر في العالم ، وتكشف الرواية انه كان يحمل رسائل (اخطية) الى من يحبوها بعد أن ذهبت (سروة) ، قبل ان تبلغ قصر الغول ، وتحرر (اخطية) من سجنها ، وقد أصر على البقاء في الأرض ، بانتظار هذه الصحوة ، وقد امتزجت فيه الأديان ، وتشبع بروح الثورة .

فمن تكون (اخطية) بالنسبة له ؟

أشارت الرواية الى انها كانت « أختا » له يرعاها ، حتى صارت « سمراء ملتهبة » كما النار ، في حلة حمراء ، ثوب من الحرير الأحمر اللعوب ، وقلادة حول عنقها من العقيق الأحمر ، فصارت معشوقة كل انسان ، وصارت ترسل الرسائل الى كل



أميل حبيبي

شاب ، عبر الوسائل السرية المتاحة ، من مشط عظمي أو خشبي يفوح برائحة بيتية ، الى أعشاش برج الحمام الزاحل في صندوق « شوكلاطة » صغير

واخطية اذن شيء يتوهج ، فكر يتوهج ، حس ثوري مقاوم يتوهج ، فلا تخبو فيه النار ، ويحتاج الى علو في الوعي ـ حتى يصل الانسان الى سره ، فمن أراد أن يعرف سر (اخطية) عليه ان يرتفع ويعلو ، وهذا الحس الثوري يحمى من الخوف من صياح الثعالب الجائعة في الليل ، وهو الذي يصر على عدم الاندماج مع واقع العدو ، فلا يزور ولا يزار ، ولا يسلّم ولا يسلّم عليه ، ويحافظ على غرفة الجلوس ـ الوطن ـ أنيقة نظيفة ، تعبق برائحة الماضي ، كما لو أن نوافذها لم تفتح على الشمس أربعين عاما وهي مكتظة بالمقاعد ذات الطراز العتيق ، وقد علتها مسحة من غبار ، لو كان النسيان غبارا لكانه .

(اخطية) اذن ـ كاسم ـ ليست من الخطأ الذى ارتكبته ولا الخطيئة ، ولكنها اللفظة الشعبية التي تعني (الحرام) ، لأن هذه المرأة قد ظلمت عندما اتهمت بالخطيئة .

ولقد ظلم ذلك الجزء الذي بقى من شعبنا في الأرض ، بعد الاحتلال الأول ، واتهم بانه لم يرفع في وجه العدو صوتا ، ثم ثبت أن هذا الاتهام ظالم ، فمجرد الصمود فوق الأرض الغى حلم الصهيونية « بدولة عبرية نقية » . كما أن هذا الصمود كان يناضل بالوسائل المتاحة ، عبر الأحزاب والنقابات

وما لديها من قدرات على المقاومة ، وما لديها من صحف حافظت على اللغة العربية ، حتى اعترف سميح القاسم في روايته (الصورة الأخيرة في الألبوم) ، بأنه لولا الجيل الطليعي الواعي الذي بقى من شعب فلسطين فى الأرض المحتلة لتشرد كل من بقي ، وبأن السلطة غاضبة لأن الناس ، مع هذه الطليعة ، وبها رفضوا الرحيل والمذلة ، وتصدوا لمؤامرات التهديد والتجهيل

هذه الطليعة ، الفكرية ، التي تمثلها (احطية) ، لماذا اختفت كل هذا الوقت ؟

تجيب الرواية بوصوح : ولدت احطية كسيحا لكن هذا الكساح كان مختلفا عن كساح حسن الكسيح ، الذي تخلى الناس عنه دون مبرر فني أو موصوعي - بينما ظلت سروة عند (احطية) تحمل صوتها الى الناس - وهي خرساء - وظل عبدالرحمن عبدالكريم يتحرك بدلا منها ، (اخطية) ادن ، هي ذلك الفكر الثوري الواثق من نفسه الدي لا يخاف من عدوه ، حتى وان خاف بعض الناس من الارتباط به ، من تلك الظواهر الكونية التي وجدت ليعترف الناس بها ، لا ان تعترف بهم . دغلة في الكرمل ، استعصت على اسفلت عليقة محدورة في جنينة عباس ، ساحة منسية وراء فرن وادي النسناس . . نصب قبر منسي في حيفا العتيقة . لاتذهب عنكم ، بل تدهبون عنها ، ولا يأحدونها مكم ، بل يأحدونكم منها ، يرحلون عنها ولا يعودون ، أما هي ، فلا تعود ، لانها لا ترحل .

اخطية هي الثابت من الارض ، الثابت من الفكر ، الذي لايتنازل عن القاعدة ، ويسمح بالاجتهاد ، من خلالها حتى تكون لكل انسان اخطيته التي يسأل عنها كيف تركها ولماذا تركها ، وكيف حالها من بعده ، في وحدة وطنية ، لها ثوابتها الفكرية التي تتفق عليها ، ولها هدفها الذي تعرف طريقه .

تواصل الأجيال

اخطية ، اذن تلخيص لكل الشخصيات الموحية في الروايات التي صدرت من قبل ، توازيا مع هذه الشخصيات ، واستكمالا لها ، أو تناقضا معها ، وهي حسن الكسيح ، محسنا بالوعي ، وهي أم الروبابكيا واعية لما تفعل ، وهي اجمل البنات ، مثل (دنيا) ولكن من موقف نقيض ، فدنيا رحلت واخطية بقيت ، فهما - معا توحيان بالحنين المتبادل بين من هاجر ومن بقى ، لكن (اخطية) ، وهي النقيض التام لشخصية (سعيد أبي النحس المتشائل) موقعا وسلوكا الى الحد الذي يمكن اعتبار رسالة كل منهما واحدة ، حين ندرك أن ما تريد رواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل) أن توصله ، هو عكس ما يفعله المتشائل تماما ، وهو يتفق مع رسالة اخطية ، حصوصا وان المتشائل في حقيقة سلوكه قد اختار أن يتكيف مع واقع الاحتلال حتى وان كان « الحمق » قد أوصله الى هذا الاختيار : فهو متسلل الى الوطن بعد هجرة ، ومع عشيق اخته بالتحديد ، وقد تسلل مع توصية من والده للعدو ، حتى يكمل الولد رسالة الوالد فى التعاون مع هذا العدو وكل ما واجهه المتشائل بعد ذلك ، كان نتيجة لاختياره الأحمق ، ومحصلته - بالطبع - تدين هذا الاختيار وتدعو الى نقيضه ، فالمتشائل - كشخصية في الرواية ، يشير الى ذلك الجزء الانتهازي والغبي في الوقت ذاته ، من الشعب العربي الذي يعيش تحت الاحتلال ، وهو الجزء الذي يحاول أن يتكيف ، وأن يندمج مطلقا في قناعاته من غياب الوعي ، الذي يظل غائبا حتى يكتشف أن ظروف الاحتلال وممارساته ، لاتسمح حتى لمثل هذه النوعية بأن تبقى ، فان يبقى الانسان في وطنه ، يعنى أن يملك الاصرار ، والوعي مثل احطية وعبدالرحمن عبدالكريم راعيها ومحركها ، وان يعود الانسان الى وطنه ، لا يعني ان يعود متسللا وهو يحمل توصية ، ولا أن يعود زائرا ، وانما ان يعود عبر طريق التحرير ، وقد خطت (احطية) سطرا أول في صفحة التحرير كان الوعي ملخصه ، كما خطت (الى الجحيم أيها الليلك) سطرا أخيرا ، كان الكفاح المسلح ملخصه ، وهذا ما فعلته سحر خليفة بأسلوب واقعي في روايتيها (الصبار وعباد الشمس) وما فعله سليمان ناطور في روايته (أنت القاتل يا شيخ) وما فعله غريب عسقلاني في (الطوق) وعلى الخليلي في (المفاتيح تدور في الاقفال) وهو ما يفعله كل الأدب ، في الأرض المحتلة شعرا ، وقصة قصيرة ، ومقالة ومسرحية ، سواء واجه العدو بشكل واقعي أو توسل بالرمر الى هذه المواجهة . □

المرآة والقناع

قصة الكاتب الأرجنتيني : خورخي بورخيس

ترجمة : محمود شقير

لمحة عن الكاتب

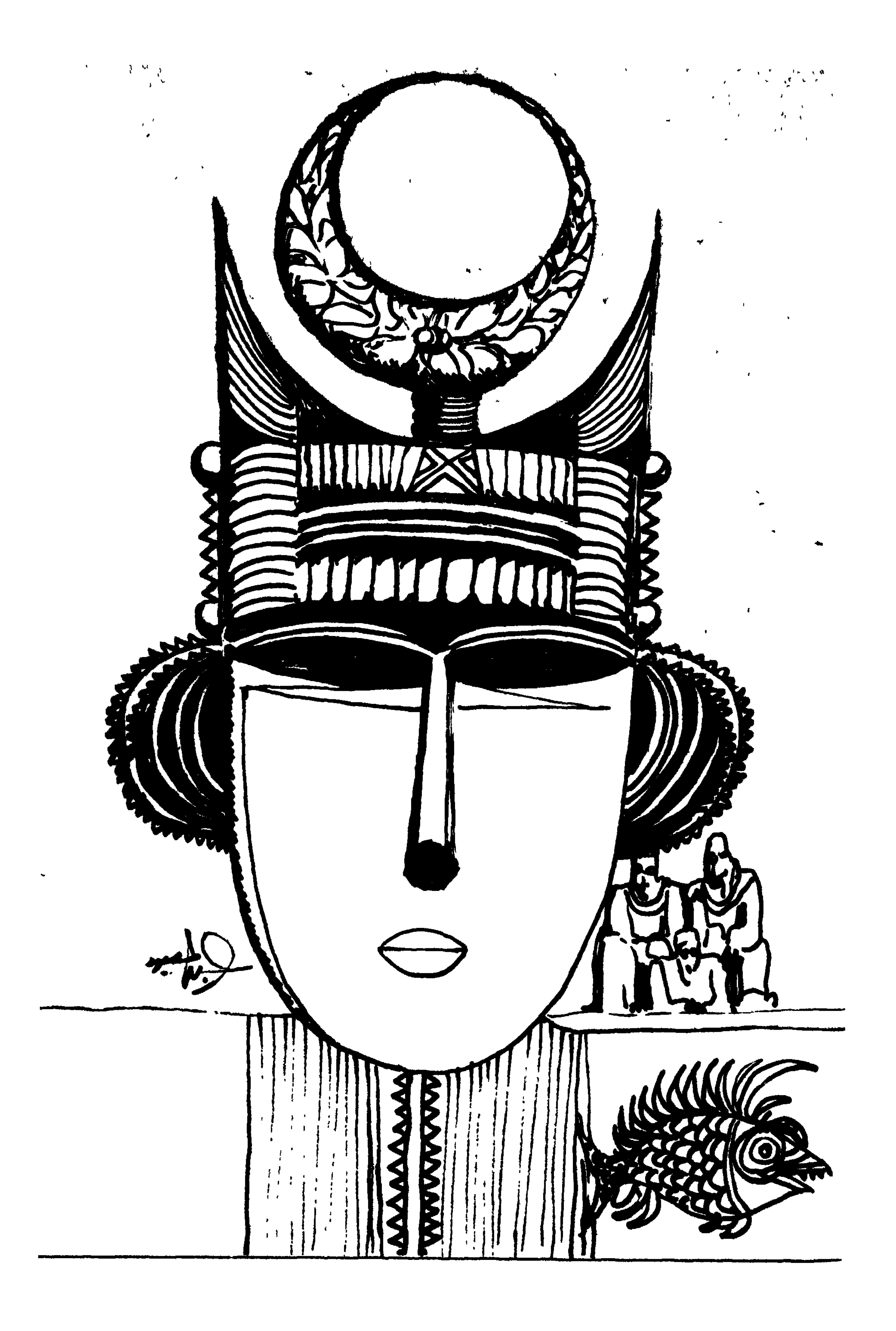
ولد خورخي لويس بورخيس في بيونس آيريس عام ١٨٩٩ ، وهو من أشهر كتاب أمريكا اللاتينية المعاصرين ، وقد ألف عددا غير قليل من المجموعات الشعرية والقصصية التي نال عليها عدة جوائز أدبية ، وهو معروف بأسلوبه الغرائبي ، ضمن اطار الواقعية السحرية التي يشتهر بها كتاب أمريكا اللاتينية ، والكاتب متأثر بأسلوب ألف ليلة وليلة ، وبالثقافة العربية الاسلامية عموما ، ولعل القصة التالية تفصح عن شيء من هذا التأثر

حينما انتهت معركة كلونتارف التي هزم فيها النرويجيون ، قال ملك ايرلندا المبجل لشاعر بلاطه : « ان الأفعال المجيدة تفقد بريقها اذا لم توضع في كلمات ، أريدك أن تتغنى بذكرى وبانتصاري . لكنن أنا إنياس[1] وأنت فيرجيل ،[2] فهل تعتقد أنك قادر على هذه المهمة التي ستجعلنا نحن الاثنين في عداد الخالدين ؟ » .

قال الشاعر : « بلى يامولاي . [illegible] اثنى عشر شتاء وأنا أتدرب على قواعد العروض ، أحفظ عن ظهر قلب الأساطير [illegible] التي يتشكل منها [illegible] الشعر الأصيل ، والقوانين [illegible] الاسراف في استخدام المفردات [illegible] الاستعمالات المفرطة في التعقيد ، لقد

(١) انياس : أمير طراودة الذي نجا بعد سقوط مدينته ، واستقر في غربي ايطاليا .

(٢) فيرجيل : كبير شعراء الرومان ، صاحب ملحمة الالياذة .



امتلكت سر الكتابة التي تحمي فنّنا من العيون غير المتبصرة لجمهور الدهماء ، أستطيع أن أمجد الحب ، لصوص الأنعام ، الأسفار والحروب ، أعرف الانساب الأسطورية لكل البيوت الفخمة في ايرلندا ، أستحوذ على معرفة بعلم التنجيم الشرعي ، الرياضيات ، القانون الكنسي ، وآلهة النباتات ، هزمت المنافسين في مباريات عامة ، أصبحت حاذقا في الهجاء الذي يوهن الجلد ، ويؤدي الى الاصابة بالجذام ، اعرف كيف أستخدم السيف ببراعة ، وقد أثبتّ ذلك في معركتك التي خضتها ، أنا أجهل شيئا واحدا فقط : كيف أشكرك على هذا الشرف الذي منحته لي .

والملك الذي يتعب بسهولة من الخطابات الطويلة ، وبخاصة خطابات الآخرين ، قال باختصار . « أعرف هذه الأشياء تماما ، لقد نبئت ان العندليب غنى حديثا في انجلترا ، وحينما ينقضي فصل الأمطار والثلوج ، ويعود العندليب من أصقاعه الجنوبية ، فسوف تغني مدائحك الشعرية أمام رجال البلاط ومدرسة الشعراء ، انى أمنحك سنة كاملة ، عليك أن تهذب كل كلمة وكل حرف ، واعلم منذ الآن ، أن الجائزة لن تكون أقل من مألوف عادتي الملكية ، ولا من ليالي الهامك المسهدة »

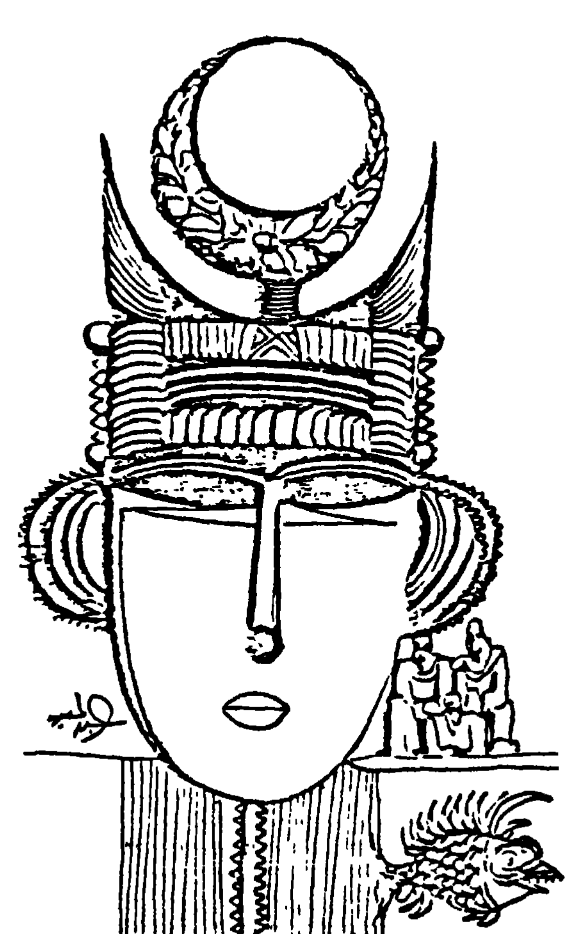
قال الشاعر الذي كان من رجال البلاط أيضا . « يامليكى ، أية جائزة أعظم من رؤية وجهك ؟؟ ثم انحنى وانسحب خارجا وفي ذهنه يتلامح بيت أو بيتان من الشعر .

حينما انتهت السنة ـ وفي زمن الأوبئة والثورات ـ جاء الشاعر بقصيدته ، ألقاها ببطء وثقة ، دون أن ينظر الى الورق الذي بين يديه ، أبدى الملك استحسانه للقصيدة بايماءة من رأسه ، والجميع قلدوا الملك ، حتى أولئك الذين احتشدوا على الأبواب ، دون أن يحق لهم التفوه بكلمة واحدة ، أخيرا تكلم الملك وقال :

« انى أقبل صنيعك ، فهو انتصار آخر ، لقد أعطيت لكل كلمة معناها الحقيقى ، ولكل اسم وصفه الذي أسبغه عليه قدامى الشعراء ، وفي قصيدتك كلها لا توجد صورة واحدة لم يطرقها الكلاسيكيون : فالحرب هى الشرك الجذاب للرجال ، والدم هو الماء الذي ينهل منه السيف ، البحر له آلهته ، والسحب تتنبأ بالمستقبل ، لقد جسدت بحذقك : القافية ، الجناس ، السجع ، النسب ، روائع علم البيان ، التنويع الحكيم في بحور الشعر ، واذا كان لأدب ايرلندا كله أن يختفي من الوجود ـ لا قدر الله ـ فان بالامكان اعادة بنائه دون خسارة ، انطلاقا من قصيدتك الكلاسيكية هذه ، لذلك سيقوم ثلاثون ناسخا بنسخها اثنتى عشرة مرة لكل واحد منهم .

خيم صمت ، ثم أكمل الملك : « كل هذا حسن ، ومع ذلك فلم يحدث شيء ، فالدم لم يجر سريعا في عروقنا ، لم تبحث ايدينا عن القوس ، ولم يعتر الشحوب أحدا منا ، لم يطلق أحد صيحة حرب ، ولم يعرض أحد صدره لمواجهة القراصنة ، قبل نفاد العام أيها الشاعر ، سوف نصفق لقصيدة أخرى ، وتعبيرا عن استحساننا فإليك هذه المرآة المصنوعة من الفضة » .

قال الشاعر : « انى اتقدم بالشكر ، ولقد وعيت المطلوب » .



مضت نجوم السماء في مدارها المتألق ، غنى العندليب مرة أخرى في غابات سكسونيا ، وعاد الشاعر يتأبط قصيدته التي بدت أقصر من القصيدة السالفة ، لم يرددها من الذاكرة بل انه قرأها ، كان بادى التردد ، وقد حذف بعض المقاطع كما لو أنه هو نفسه لايفهمها تماما ، أو لأنه لم يرغب في انتهاك حرمتها . كانت القصيدة غريبة ، لم تكن وصفا للمعركة ، بل كانت هى المعركة ، ففي تشوشها الشبيه بجو المعركة اصطرع معا . آلهة ايرلندا الوثنية ، واولئك الذين بوسعهم أن يشنوا حربا بعد مئات السنين على بداية (ايدًا) الكبيرة . ولم يكن شكل القصيدة أقل غرابة · فالاسم المفرد فاعل لفعل بصيغة الجمع ، وحروف الجر تستخدم على نحو مبتذل ، الخشونة تتداخل مع العذوية ، والاستعارات مقحمة أو هكذا هى تبدو .

تبادل الملك كلمات قليلة مع رجال الأدب الذين وقفوا من حوله ، ثم قال للشاعر : « أستطيع القول ان قصيدتك الأولى كانت بجدارة خلاصة وافية لكل الأغاني التي رددتها ايرلندا ، اما هذه القصيدة فهى تفوق بل هى تجعل كل ماسبقها وكأنه لاشىء البتة ، انها مذهلة باهرة تستثير الدهشة ، سوف ينظر اليها الجهلة بدون اكتراث ، اما المتعلمون النخبة فلن يكون موقفهم كذلك ، سوف تحفظ النسخة الوحيدة منها في علبة من العاج ، واليراع الذي دبج عملا متفوقا كهذا ، نتوقع منه عملا أكثر نبلا وشموخا » اضاف وهو يبتسم : « نحن أبناء الأسطورة ، وجدير بنا التذكر أن الرقم ثلاثة ينتصر في الأساطير » .

أكمل الملك : « تعبيرا عن استحساننا ، اليك هذا القناع الذهبي » قال الشاعر : « انى أتقدم بالشكر ، ولقد وعيت المطلوب :

حلت ذكرى المعركة مرة أخرى لاحظ حراس القصر أن الشاعر لايتأبط قصيدته ، نظر اليه الملك في ذهول ، بدا الشاعر كأنه شخص آخر ، فلقد تغضنت ملامحه ، وتبدلت بفعل شىء آخر عدا الزمن ، بدت عيناه محدقتين نحو البعيد كما لو أنه أعمى ، توسل الشاعر أن يسمح له الملك ببضع كلمات يقولها له . غادر الخدم الحجرة ، سأل الملك :

ـ ألم تدون القصيدة ؟

أجاب الشاعر بحزن :

ـ نعم ، لعله سيدنا المسيح هو الذي منعنى من ذلك .

ـ هل بوسعك أن ترددها .

ـ لا أجرؤ .

قال الملك :

ـ انى امنحك الشجاعة التي تحتاجها لذلك .

تلا الشاعر القصيدة التي تتألف من سطر واحد ، دون أن يجازف في ترديدها بصوت عال ، تمعن الشاعر ومليكه فيها كما لوأنها صلاة سرية ، أو فعل من أفعال التجديف ، امتلا الملك بالرهبة وخور العزيمة ، كما هو حال الشاعر ، وتبادل الاثنان النظرات وهما شاحبان . قال الملك :

ـ في شبابى أبحرت نحو مغرب الشمس ، وفي احدى الجزر رأيت كلاب الصيد ذات اللون الفضى تجلب الموت للخنازير البرية ذات اللون الذهبي ، وفي جزيرة أخرى اغتذينا عبير التفاح السحرى ، في جزيرة ثالثة رأيت أسوارا من نار ، وفي الجزيرة الابعد من كل الجزر الأخرى ، ثمة نهر معلق ذو قناطر ، يقطع عرض السماء ، وفي مياهه تعوم الأسماك والقوارب ، هذه كلها عجائب ، لاتقارن بقصيدتك ، فهى على نحو من الانحاء تشتمل على هذه الأشياء جميعا ، أية قوة سحرية وهبتها لك .

قال الشاعر :

ـ مع الفجر استيقظت وأنا أتلفظ بكلمات لم أفهمها في البدء ، كانت تلك الكلمات قصيدة ، شعرت أننى اقترفت خطيئة ربما لن يغفرها لى الله .

قال الملك هامسا

ـ الشىء الذي نشترك فيه نحن الاثنان الآن . هو خطيئة إدراكنا للجمال ، وهو الهبة التي يحرم منها الرجال ، الآن يتوجب علينا أن نكفر عن ذلك . أعطيتك مرآة وقناعا ذهبيا . وهذه هي هديتى الثالثة والأخيرة اليك .

وضع الملك في يد الشاعر اليمنى خنجراً .

قتل الشاعر نفسه حالما غادر القصر ، أما الملك فقد أصبح شحاذا يتجول في طول ايرلندا وعرضها ، تلك البلاد التي كانت ذات مرة مملكته ، أما القصيدة فلم يعد الى ترديدها بتاتا . □



كي تتخلص من نظارتك

بقلم : الدكتورة سرى فايز سبع العيش

معظم الانجازات الطبية الرائعة بدأت من ملاحظة بسيطة من عين فاحصة ، أو نظرية صغيرة في عقل مفكر ، فلما جُربت وُحسنت كانت شعلة لحقائق اسدل عليها الستار ، ونافذة على العالم الملىء بالاسرار . وهذه احدى القصص الطبية الحديثة لفتح جراحي رائد في معالجة قصر البصر .

كان ذلك عام ١٩٧٢ عندما قدم شاب روسي عمره ستة عشر عاما الى جراح العيون المعروف فيدوروف ، لاسعاف عينيه اللتين أصيبتا بجروح قرنية سطحية متعددة ، نتيجة تهشم زجاج نظارته الطبية وتطايرها على وجهه وعينيه إثر عراك مع أقرانه . وقد لاحظ الطبيب الأستاذ فيدوروف بعد شفاء الجروح أن قصر البصر العالي ، الذي كان عند الفتى قبل اصابته بجروح القرنية ، قد قل كثيرا ، فأصبحت العدسة المصححة أقل قوة واخف سماكة من السابق ، فما كان من فيدوروف الا أن راجع أمهات الكتب ومختلف المجلات والدوريات الطبية ، وتحقق لديه أن العالم الياباني ساتو كان أول من فكر بتخفيف قصر البصر عن طريق اجراء قطوع في القرنية عبر سطحها الخلفي ، ثم زاوج ذلك مع قطوع في سطح القرنية الأمامي ، وكان ذلك عام ١٩٥٠ ، عندما فكر في معالجة القرنية المخروطية جراحيا ، نظرا لصعوبة ترقيع القرنية في اليابان ، لأن الديانة لديهم تحرم نقل الأعضاء والأنسجة الانسانية ، ولأنه لم تكن العدسات اللاصقة قد وصلت في ذلك الحين لدرجة من التقنية بحيث

يستطاع تثبيتها على القرنية المخروطية ولكن للاسف كانت معظم عمليات قطع القرنيه التي أجراها ساتو فاشلة ، وكان نصيب العين العمى لأن قطع القرنية الخلفي - أي عبر الطبقة البطانية من القرنيه - يسبب أذى للطبقة البطانيه المرهفة وما يصاحب دلك من اضطراب وتورم في القرنيه ثم تكثف فيها ، ونشوء العروق الدموية عليها ، وزوال بريقها

تجارب جديدة

والذي قام به فيدوروف هو أنه عدل أسلوب ساتو بقصره قطوع القرنيه على السطح الأمامي منها ، وقد اجرى لمدة سنتين عمليات قطع القرنية السطحي على عيون الحيوانات ، فاكتسب خبرة جراحة كبرى ، وبدأ عملياته على عيون البشر عام ١٩٧٤

ولقد تجلت عبقريه فيدوروف بوضعه أسسا حسابيه يعتمد عليها في تقدير واستقراء نتيجة العملية الجراحية ، تعتمد على سماكة القرنية ، وشمل العلة العينية وقطر التحدب القرني ودرجة حسر البصر وقد أجرى العملية لعدة الاف من الناس ، توافدوا عليه ويتوافدون عليه يوميا للتخلص من قصر البصر والاستغناء عن العدسات المصححة . وقد استطاع أن يحقق نتائج عالية من النجاح كما أبدى في أبحاثه ، بحيث لا تتأثر « فسلجة » القرنية ، ولا يختل تعداد الخلايا في الطبقة البطانية ، ولا تضيق الساحة البصرية ، ولا تتأثر حساسية القرنية ، ولا تنقص شفافيتها ، ولا تقل درجة المطابقة الضوئية فيها ، ولا يختل التخطيط الكهربائي ، ولا يضطرب الوهج كثيرا .

ويفد سنويا الى معهد العيون في موسكو عشرات من اخصائيي العيون من انحاء العالم ، يدفعهم حب الاستطلاع لكشف حقيقة هذه العملية ، وتعلمها رأسا من رئيس المعهد الاستاذ الطبيب فيدوروف ، ثم يعودون الى بلادهم ، وقد اكتسبوا خبرة ومعرفة باجراء تلك العملية .

أما في الغرب فلا تزال عملية قطع القرنية الشعاعي تصنف في قائمة العمليات التجريبية ، التي لم تثبت بعد فوائدها ومضارها ، ويقف الكثير من



- العالم ساتو اول من ادرك ان قطع القرنية الشعاعي يحسن قصر البصر

جراحي العيون ضدها وترفض شركات التأمين أن تعتبرها عملية ضرورية ، فلا تتكلف بدفع نفقاتها الباهظة

كيف تجرى العملية

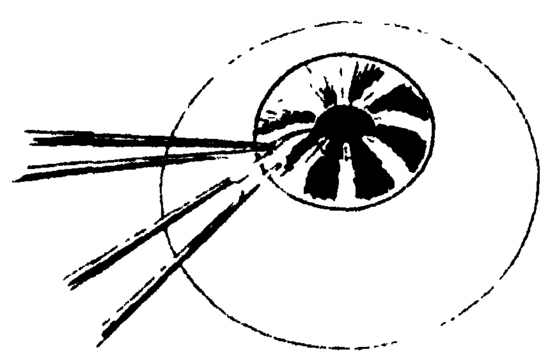
تسمى هده العملية قطع القرنية الشعاعي لأنه يجرى على القرنية قطوع أو جروح سطحية ، باتجاهات نصف قطرية أي مشعة عن المركز .

انها عملية بسيطة سهلة الاجراء ، لمن اكتسب خبرة بها ولا تتطلب أكثر من تخدير موضعي سطحي للعين ، ويجب اجراؤ ها تحت المجهر الجراحي لما تتطلبه القطوع من دقة ويمكن اجراؤ ها في غرفة العمليات في أحد المستشفيات أو حتى في العيادة اذا كانت مجهزة بغرفة عمليات ومجهر جراحي عيني لأن العملية لاتتطلب استشفاء ورقودا في المستشفى .

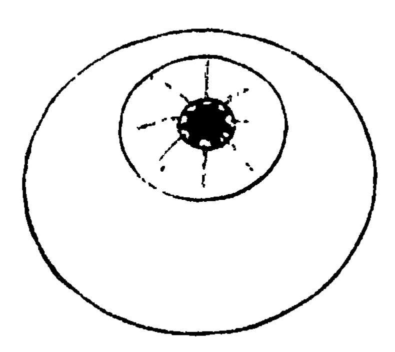
تقطع القرنية اما ٣٢ ، أو ١٦ أو حتى ٨ قطوع مشععة عن منطقة مركزية دائرية حول المحور البصري في القرنية ، تترك دون أن تطالها القطوع بقطر يتراوح بين ٣ - ٤,٥ ملم ، وتمتد القطوع من

محيط المنطقة المركزية ، حتى قبيل منطقة الحوف القرني الصلبي ، أي نهاية القرنية ، بحيث تتجه القطوع باتجاه نصف قطري ، وبأبعاد منتظمة متساوية فيما بينها ويكون عمق الجرح متناسبا مع كثافة القرنية ، فالعمق الذي يغيض به الجرح القرني يتراوح بين ٨٥٪ ـ ٩٥٪ من كثافة القرنية ، أي أن القطوع لايجوز أن تكون نافذة تخترق كل طبقات القرنية ، والا فان ذلك سوف يخل بفسلجة القرنية وصمائها ودرجة سماكتها واحتوائها على الماء ويؤدي لفقدها الكثير من البصر

وكلما كان الجرح أعمق كانت نتيجة التصحيح أكثر ايجابية ، وكلما صغرت المنطقة المركزية البصرية استحصل على عدد أكبر من الكسيرات المصححة ، وقد وجد أيضا أن تجاوز القطوع حد الحوف القرني يقلل من ايجابية التصحيح الانكساري ، لما يرافق ذلك من تليفات ونشوء عروق دموية وحدوث آلام وتحدد في تفلطح القرنية



ـ صورة تخطيطية تبين شكل القرنية رأسا بعد اجراء ٨ قطوع عليها



ـ صورة تخطيطية تبدى ندبا طفيفا تبدو تحت المجهر

تصحيح قصر البصر

أما كيف تصحح هذه العمّلية قصر البصر فيفسر كالتالي : أن القرنية أشبه بعدسة منرنة ـ أي محدبة ، فكلما ازداد تحدبها أي صغر نصف قطر انحنائها الخلفي وازداد تكورها كلما كانت قوية الانكسار والتقريب ، وأحدثت خيال الشيء المرئي في منطقة بينها وبين الشبكية ، وكانت العين حسيرة البصر ولذلك فان احداث قطوع سطحية في عمقها يؤدي الى تفلطحها وتمطط سطحها فيقل تحدبها ويزداد نصف قطر انحنائها الخلفي فتقل قدرتها الكاسرة ، ويتشكل الخيال على الشبكية أو قريبا جدا منه فيقل قصر البصر .

هذا ولا تزال عملية قطع القرنية الشعاعي تتراوح بين مؤيدين قلة في العالم يصرون على اجرائها ، ومنتقدين كثر يرون فيها تداخلا غير ضروري على العين الطبيعية ، يمكن الاستغناء عنه بالنظارة أو العدسة اللاصقة ، دون تعريض القرنية للجراحة ، وعلى كل فالكل متفق على عدم اجرائها لمن هم دون العشرين من العمر . ولا يجوز اجراؤ ها للعيون المريضة المصابة بالتهابات حادة أو مزمنة أو بارتفاع ضغط العين ، أو بتكشف العدسة البلورية ، أو اذا كان هنالك أذى في الشبكية ، وهي لا تفيد في حالة القرنية المخروطية ، ولا تغني عن النظارة في قصر البصر العالي

تبرير قطع القرنية الشعاعي :

يبرر اجراء هذه العملية للأسباب التالية أسباب وظيفية ، وبصرية وتجميلية وشخصية نفسية فالوظيفية تتعلق بطبيعة العمل ، أعمال كثيرة يتعذر فيها قبول النظارات أو لبس العدسات اللاصقة كما عند الطيارين ورجال الشرطة ورجال المطافي والحراس ، وبعض العسكريين والغواصين وهنالك بعض حسيري البصر الذين هم في خوف دائم أن يفقدوا نظاراتهم ، لئلا يصيبهم الضياع بدونها في حالات الحريق وحوادث السيارات ، فيمكن لهذه العملية أن تدعهم أقل اعتمادا على النظارة وأقل حسرا للبصر ، لأن هذه العملية للأسف لن تفيد كثيرا في حالات حسر البصر العالي

الـدرجـات ، لان حسـر البصـر في تلك الحـالات لايعتمد فقط على انحناء القرنية ، وانما على فرط طول المحـور الأمامي الخلفي للعـين ، ولما كـانت درجـة التسطح الناتجة عن اجراء قطوع شعاعية في القـرنية محدودة بتحدد انحنائها الخلفي وسمـاكتها ، لـذلك تتـراوح درجـة التصحيـح عـادة بـين ـ ١,٥ الى ـ كسيرات ، وقد تصل الى ـ ٦ كسيرات ، ومع هذا فان المصاب بحسر البصر العالي يجد سعادة في انقاص درجة عجزه البصري دون عدسات طبية

ومع أن بعض الناس قد ينجح في لبس العدسات اللاصقة التي قل أن يلاحـظها النـاس من حولـه ، ولكن لاعتبارات نفسية شخصية يجب أن يكون حرا بلا قيد نظارة أو عدسـات ، فيلجـا لـطلب تلك العملية

أما نتائـج تلك العملية فهي الـواقع الاحصـائي العملي تبين أنه كلما كان قصر البصر قليلا كانت نتيجة العملية أفضل ، فمثلا يتوقع أن تكون نسبة النجاح (أي أن يرى المريض ٦/٦ بعد العملية) لدي ٨٥٪ ممن لـديهم قصـر بصـر يتـراوح بـين ـ ١,٥ الى ٣ كسيرات ، وأن نسبة النجاح ٨٠ / لمن يتروواح قصر البصـر لديهم بـين ٣,٢٥ الى ـ ٤,٥ كسيرة ، وأن نسبة النجاح هي ٥٠٪ أو دون ذلك لمن كان حسـر البصر لديهم يتراوح بين ـ ٤,٧٥ الى ـ ٦ كسيرات أي كلما ازدادت درجـة حسر البصـر نقصت نسبـة النجاح وزادت خيبة الأمل

عراقيل العملية واختلاطاتها :

أن أكثر المعالجين بهذه العملية حظا في النجاح هم الذين يتراوح قصـر البصر لـديهم بين ـ ١,٥ الى ـ ٤,٥ كسيرة ، وكلما ازدادت درجة حسر البصر قلت نسبة النتيجة المتوخاة وهي مخيبة للأمال في الدرجات العالية من حسر البصر .

المـزعج في هـذه العملية أن المـريض يعاني بعـد اجرائها من الوهج الضوئي وتبعثر الضياء لفترة قد تتجاوز ستة شهور بعد العملية ، وغالبية الذين تجرى لهم هذه العملية يشكون من تغير الرؤ ية وتماوجها بين الصبـاح والمساء ، فهي قـد تكـون حسنـة جـدا في الساعات الأولى من الصباح ثم تعود فتتغيم وتخفت عند المساء ، ولعل ذلك راجع لتأرجح وتماوج الضغط



ـ العالم الطبيب السوفياتي الاستاذ فيدروف الذي روج عملية قطع القرنية الشعاعي لمعالجة قصر البصر

العيني ، ففي الصباح يكون الضغط العيني بحدوده العليـا ، فيوتـر القـرنيـة ، وتبلغ هـذه غـايتهـا من التفلطح ، وفي المساء يكون ضغط العين في حدوده الصغرى ، فتعود القرنية الى تكورها الأول ، وهكذا تصبح أكثر حسرا للبصر .

وعلى كل فتماوج الرؤ يـة وتغيرهـا اليومي يخف تدريجيا ، وقد يستقر بعد عام أو عـامين من اجـراء العملية

اذن فالعملية ليست مضمونة النتائج ، فهناك عدد من المعـالجين بهـا سيعودون لاستعمـال نظاراتهم ، حيث أخفقت العملية في تخليصهم منها ، وفي ذلك خيبـة أمل كبـرى ، ناهيـك عما قـد تخلفـه لهم من اختلاطات حتى لو كانت طفيفة

وأضافة لما ذكر هنالك حقيقة لا بد من اعتبارها ، وهي أن المصاب بحسر البصر البسيط يحتاج للنظارة عندما ينظر للبعيد ، ولكنه يستطيـع أن يقرأ بـدون نـظارة عنـدمـا يقـارب الأربعـين ويتجـاوزهـا الى الخمسين ، وقد يقرأ طوال حياته بدون نظارة . فاذا أجريت له تلك العملية فقد تغنيه عن لبس النظارة للرؤ ية البعيدة ، ولكنه سيضطر لاستعمـال النظارة عند القراءة □

العربي - العدد ٣٣٤ - سبتمبر ١٩٨٦ م

قاموس العربي

ض

ضريبة

عرف المجتمع الاساني الصريبة مند فجر التاريخ ، فمع أول تجمع بشري فرص الأقوى امتيازا ما لصالحه ، ومع تعقد شكل الحياة ونموها تطور شكل الامتياز فأصبح حينا حصصا عينية من الانتاج ، أو ساعات عمل بلا أجر أو نقود ، بعدما عرف المجتمع الانساني النقود وشاع استعمالها ، وبعد أن نشأت الدولة واستقر معناها واستقرت ، استمر فرص الضريبة حقا مطلقا للحاكم اد كانت هده الصرائب جزءا من دخل الحاكم ، وكانت سلطة الحاكم مطلقة في تحديد الضريبة زمنا وكما ونوعا ، حتى استطاع البرلمان الانجليزي لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني انتزاع حق فرص الضريبة من الملك ، وقصر هذا الحق على البرلمان (ممثلي الشعب) واستقرت عندئذ قاعدة دستورية ، وهي لاضريبة بلا قانون ، وأصبح فرض الضريبة محكوما بقواعد وقوانين وأسباب .

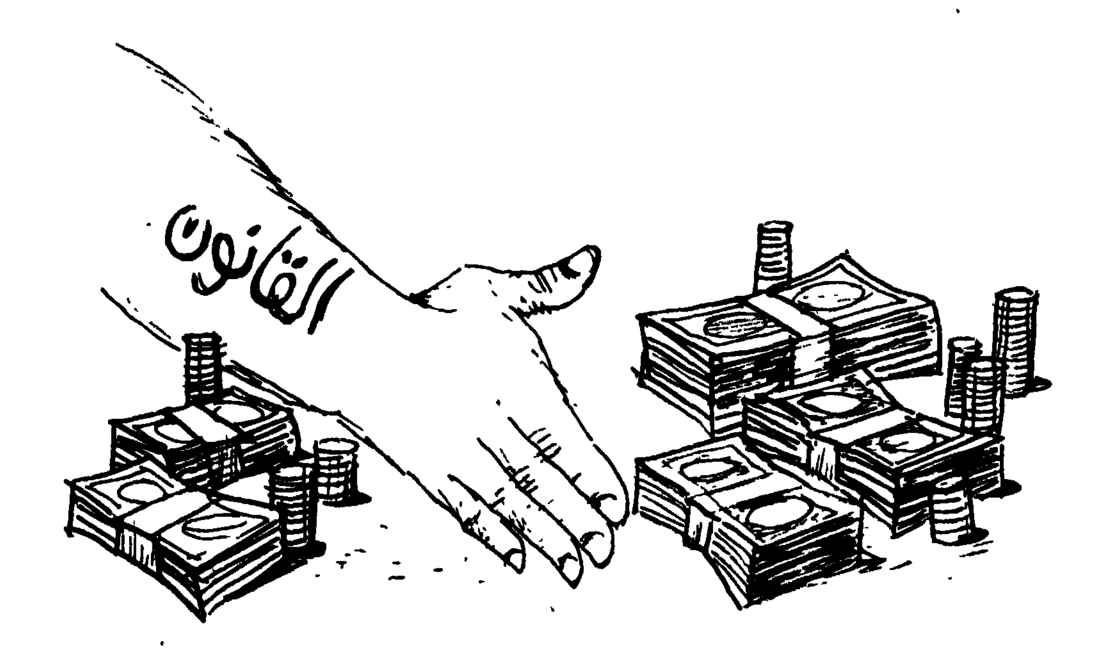
والضريبة ببساطة هي مبلغ من المال ، محدد سلفا وبشكل معلن وعام ، يسدده الممول الى السلطة العامة ، ممثلة في أحد أجهزتها التي تحددها هي ، وتصبح بذلك هي صاحبة الحق الوحيدة في تحصيل الضريبة ، وتمثل مجموع الضرائب في مجتمع ما مورد من الموارد السيادية للدولة (التي تحصلها إعمالا بسيادتها) ويستخدم هذا المورد في تغطية النفقات العامة للدولة ، ويقوم الممول بسداد الضريبة بصفته عضوا في المجتمع ، وعليه أن يساهم في النفقات العامة ، دون النظر الى حساب مدى الفائدة التي تعود عليه شخصيا

والضرائب تنقسم الى نوعين أساسيين هما . ضرائب مباشرة أو ضرائب غير مباشرة .

وتفرض الضرائب المباشرة على اجمالى الدخل العام للأفراد ، أو على رأس المال

أما الضرائب غير المباشرة فتأخذ أشكالا كثيرة ، مثل ضرائب الانتاج ، وهي تمثل نسبة مئوية من تكلفة انتاج سلعة ما (كالسجائر) وهي تُحصَّل عن كل ما تنتجه المنشأة من هذه السلع التي يتحمل ثمنها دائما المستهلك · اذا أن المنتج يقوم باضافة هذه الضريبة الى ثمن البيع أو رسم ضريبة الاستهلاك ، أو ضريبة البيع ، وهي التي تفرض على بيع السلعة أو شرائها ، وتتمثل في نسبة مئوية من الثمن ، أو في الرسوم الجمركية . الخ . .

وتختلف المدارس الاقتصادية والدول بالتالي في كيفية احتساب الضريبة ، ومنشأ هذا الاختلاف هو تباين النظر الى الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للضريبة ، فالاقتصاديون الكلاسيكيون يرون أن الضريبة هي اسهام المواطنين في تمويل الخزانة العامة للدولة ، لتمكينها من أداء بعض الخدمات ،



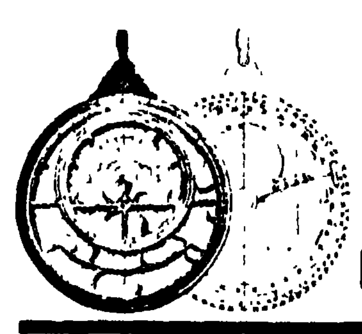
لاتجاهات الحديثة ترى أن الضرائب هي واحدة من أدوات الدولة في اعادة توريع الدخل القومي . وهكذا تختلف وجهات النظر ، وبالتالي يتباين الأسلوب الضريبي المتبع .

ولكن النظم جميعها تتفق على أنه هناك ـ فيما يتعلق بضريبة الدخل ـ حد للاعفاء وهذا الحد ليس مطلقا ولا موحدا لجميع طبقات وفئات المجتمع ، فالقاعدة أن يكبر حد الاعفاء كلما صغر الدخل . . ويتحدد هذا الحد وفق أسعار تكلفة المعيشة ونفقات الحياة في المتوسط العام للاسعار ، وفي اطار شرائح الدخول . . فيقال مثلا ان ضريبة الدخل تحصل من الدخول التي تتراوح بين ١٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ دينار في العام بنسبة كذا . . فان معنى هذا أن كل الذين يتقاضون راتبا شهريا مائة دينار فأقل ، يتمتعون بإعفاء نهائي من ضريبة الدخل . . ومن هذه القاعدة العامة في الحساب الضريبي تم استخلاص طريقة حساب ما يسمى بالضريبة التصاعدية ، وهي تعني زيادة معدل الضريبة ، كلما ارتفع حجم الدخل الخاضع للضريبة .

ومن الضرائب التي تطبق في معظم دول العالم بالاضافة الى ماسبق ، ما يعرف بضريبة التركات ، وتستند هذه الضريبة الى تبرير قانوني شرعه وزير مالية بريطانيا في عام ١٨٩٤ ، بقوله ان الطبيعة لاتمنح الفرد على امواله الا حقا مؤقتا محدودا بحياته ، وتحصل غالبية النظم الاقتصادية رسما يمثل نسبة مئوية من اجمالي تركة المتوفى ، قبل أن يتم توزيع الأنصبة على الورثة ، ويمثل هذا الخصم دين امتياز ، مثله مثل الضرائب العامة التي يكون المتوفى قد تأخر في سدادها ، فتخصم من اجمالي التركة وفاء لحق الدولة والمجتمع الذي عمل فيه ، وأتاح له الفرصة للغنى والثراء . □

جالسوا العلماء

يقول الشعبي : جالسوا العلماء ، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم .



الجديد في العلم والطب

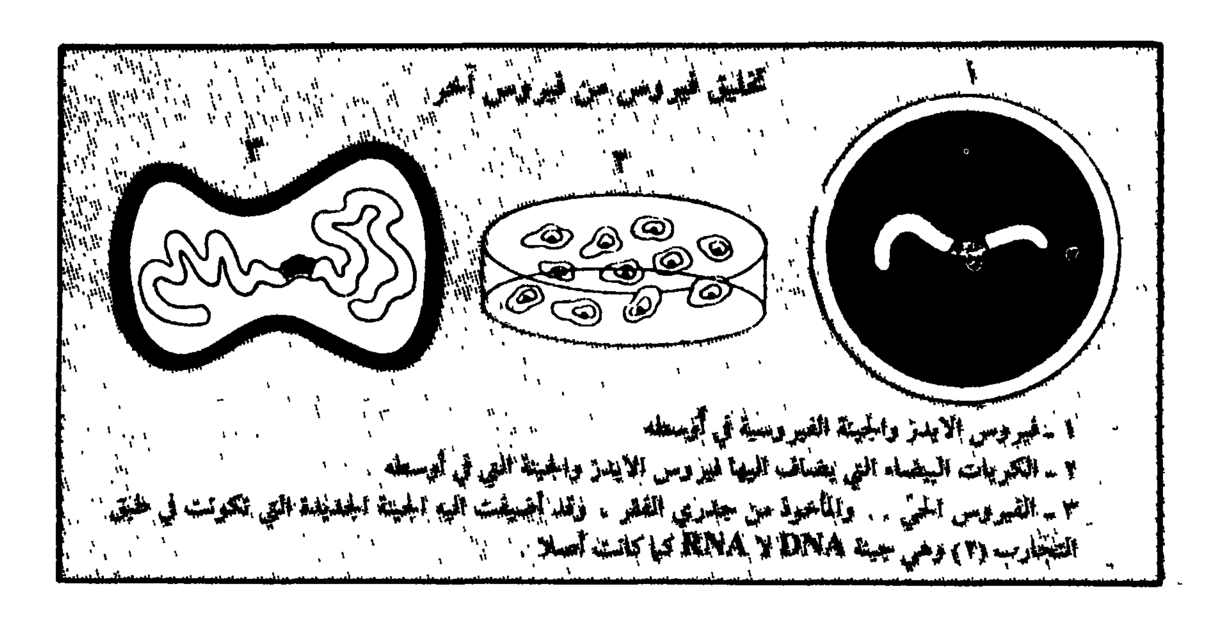
نحو لقاح فعّال لمرض الأيدز

انتشر مرض الايدز في الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة ، حتى بلغ عدد المصابين به ١٨٥٠٠ مات منهم ١٠,٠٠٠ نتيجة الاصابة بالمرض ، لا عجب اذن أن كان السؤال المطروح هو كيف تطور فيروس هذا المرض الجديد ، ومن أي ميكروب آخر تطور ؟ والا فمن أي بلد جاء ؟ من افريقيا ومن غربها بالذات ، حيث السنغال غينيا - بساو ؟ هذا على الأقل هو ما أكدته مؤخرا مكتشفات فريقين منفصلين من العلماء ، والغريب أن الاكتشافين وقعا في نفس الوقت تقريبا (أوائل شهر ابريل الماضي)

أما الاكتشاف الأول فيعزى الى الدكتور مايرون اسكس (ماكس اختصارا) البحّاثة في مدرسة الصحة العامة التابعة لجامعة هارفرد المعروفة ، وقد جاء هذا الاكتشاف نتيجة التعاون بين الدكتور مايرون وبين زملائه في البحث ، وهم فئتان ، فئة تعمل في تورز في فرنسا ، والفئة الأخرى تعمل في السنغال بافريقيا فقد تسنى للفرقاء الثلاثة عزل فيروس جديد ، وثيق الصلة بفيروس الأيدز ، ولكنه يختلف عنه اختلافا جذريا في أكثر من ناحية وتم العثور على هذا الفيروس في عينات دم أخذت من بعض النساء



في هذه القرية من قرى السنغال اكتشف أن لمرض الايدز جذورا



١ ـ فيروس الايدز والجينة الفيروسية في أوسطه
٢ ـ الكريات البيضاء التي يضاف اليها فيروس الايدز والجينة التي في أوسطه
٣ ـ الفيروس الحيّ . والمأخوذ من مجاري القفر . وقد أضيفت اليه الجينة الجديدة التي تكونت في طيق التجارب (٢) وهي جينة DNA لا RNA كما كانت أصلا

السعاليات . وتبين ان هدا الفيروس الوتيق الصلة بفيروس الأيدر هو أوثق صلة بفروس آحر يصيب بعض القرده الافريقية ، وقال الدكتور (اسكس) الدى أعلن اكتشافه هدا في احتماع للجمعيه الأمريكية للميكروبيولوحيا في واشطن قال بعتقد أننا اكتشفنا الحلقة المفقودة التى تسلط الأصواء على ما حمى أو عمص من أصل فيروس الأيدر .

وأما الاكتشاف الثانى ، وهو يعرى الى باحثين فرنسيين وبرتغاليين ، فيه و كبير الشبه بالاكتشاف الأول فقد أعلن الدكتور لوك مونتاجنير أحد الباحثين فى معهد باستور فى باريس . . . أعلن فى المؤتمر الخاص الدى عقد فى لشبونة بالبرتغال انه تسى له اكتشاف الحلقة المفقودة فى قصة تطور فيروس الأيدز . . وان الفيروس المكتشف أقرب إلى فيروس (سيميان) منه الى فيروس الأيدز البشرى المعروف . . . أما عينات الدم التى عثروا فيها على الفيروس الجديد ، فكانت فى دم رجلين من أهالى غينيا ـ بساو فى أواسط افريقيا القريبة من السنغال .

ولعل أهم ما يذكر عن فيروس الأيدز الجديد هو أنه غير فتاك ، فبالرغم من شبهه الكبير بفيروس الأيدز . . تشكلا ومسلكا ، فانه لا يبطش بخلايا المناعة (خلايا T المساعدة) كما يفعل سطيره القتّال

وتجلت هده الخاصه فى التجربة التى أجروها على بضع عشرات من الناسٍ ، حسين على وحه التحديد فقد لُقح هؤلاء بالفيروس الجديد ولكن أعراض الأيدز لم تظهر على أى منهم ، ومضت سة أو تزيد والقائمون بالتجربة وهم من الفريق الأول ، يواصلون مراقبة الدين كانوا موضع تلك التجربة . . بل ثلاثين منهم بالتدقيق . . فلم يظهر على أى من هؤلاء أى من أعراض المرض الثالث .

من هنا أصبح لدى العلماء أمل فى أن يطوروا من الفيروس الجديد لقاحا فعالا ، يكسب الانسان مناعة ضد الاصابة بمرض الأيدز الخطير . . وثمة أمل آخر هو أن يتمكنوا بواسطة الهندسة البيولوجية من اكتشاف الجينة (gene) المسؤولة عن أضرار الأيدز ، فيتمكنوا بالتالى من عزل تلك الجينة عن الفيروس ، والقضاء بذلك على مرض الأيدز نهائيا . . . □

مكتشفون ومخترعون

ألفرد نوبل : مخترع الديناميت

١٨٣٣ - ١٨٩٦

كان عالم كيمياء ومهندسا ورجل صناعة. وكان فوق ذلك كله رجل سلام .. ولعل جوائز نوبل التي توزع على المتفوقين من علماء العالم في أواخر كل عام حققت لمخترع الديناميت من الشهرة مالم يحظ به غيره من العلماء ..

ولد ألفرد في استكهلم في الواحد والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٣٣ ، وكان أبوه (عمانويل نوبل) مهندسا ، وميالا الى الاختراع بالفطرة . وقد ورث عنه ألفرد النزعة الى الابتكار ، وتشرب الكثير من مبادىء الهندسة . وقل مثل ذلك في أحد أجداده لأمه ، أولوف رودبك ، مكتشف الأوعية اللمفية ... فقد استلهم الفرد ذكرى ذلك الجد العالم .

ولم يطل بقاء عائلة نوبل في استكهلم ، وقد اضطرت الى التوجه الى لينينجراد (سان بطرسبورغ في تلك الأيام) والاستقرار فيها ، وذلك بسبب أعمال الأب .. كان ذلك سنة ١٨٤٢ ، حين كان الفرد تلميذا صغيرا ، ولم يجاوز التاسعة من العمر .. غير أنه تتلمذ على مدرسين خاصين ، ولم يعتمد على الدراسة النظامية في المدارس .. وبلغ من مواهبه وكفاءاته أن أتقن خمس لغات وأصبح عالم كيمياء وهو في السادسة عشرة من عمره ، ثم توجه الى باريس سنة ١٨٥٠ ، وأمضى فيها سنة كاملة . قضاها في أحد مختبراتها حيث تابع دراسة الكيمياء ....

وذهب نوبل بعد ذلك الى العالم الجديد ، الى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث عمل تحت اشراف المهندس الأمريكي - السويدي المعروف ، جون أريكسون ، وهو الذي عهد اليه ببناء السفينة الحربية المصفحة بالحديد (مونيتور) .. وعاد بعد أربع سنوات الى بلده ، للعمل في مصنع أبيه حتى سنة ١٨٥٩ ، حين أفلس المصنع وتوقف عن العمل .

وما أسرع ما أسس الفرد مصنعا خاصا به لانتاج النيتروجلسرين ، ذلك المتفجر السائل الخطير ، ولكن مصنعه هذا مالبث أن تفجر سنة ١٨٦٤ ، فأودى بحياة خمس رجال ، كان أحدهم أخوه الأصغر أميل . وحاول الفرد انشاء مصنع ثان بلا طائل فقد حالت السلطات السويدية دون ذلك ، نظرا لخطورة صنع المتفجر السائل ، وحماية لأرواح المواطنين . وماكانت تلك الاجراءات لتمنع الفرد عن ممارسة صناعة استأثرت بجوارحه ، حتى أصبح يعرف بالعالم المجنون .. فواصل أعماله وتجاربه على مركب عائم في مياه النهر ، وركز تجاربه تلك على ايجاد طريقة تضمن « ترويض » النيتروجلسرين والتحكم فيه . فقد كان المادة الخطرة المتمردة التي استعصت على كل محاولات السيطرة ، وتسببت بكثير من القتل والدمار ، منذ أن اكتشفها العالم الايطالي (سوبريرو) سنة ١٨٤٦ . . . . .

ومضت ثلاث سنوات قبل أن ينجح نوبل صدفة بتحويل سيولة النيتروجلسرين الى جفاف ، والحد بذلك من مخاطرها أو القضاء عليها ...

وقد تسنى له ذلك بواسطة مادة تغليف عضوية .. كالفحم النباتي مثلا ، تمتص النيتروجلسرين ولاتسمح بتفجيرها الا بواسطة كبسولة خاصة بتفجيرها ، ورحبت السلطات المعنية في بريطانيا والولايات المتحدة باختراع نوبل ، فسجلته له سنة ١٨٦٧ ، وسنة ١٨٦٨ على التوالي ..

ومضى نوبل في تجاربه حتى طور الجلاتين المتفجر القوي من الديناميت ، ثم صنع البالستايت المسحوق النيتروجلسريني المتفجر الفعال ، الذي لايتصاعد



منـه دخـان . وتجـدر الاشـارة هنـا الى مـادة الكوردايت البالغة التفجير . فقد اعتقد نوبل أن اختراعه البالستايت يخوله صنع هذه المادة أيضا . وعارضته الحكـومة البـريطانيـة في ذلك ، فكـانت القضية التي نظرت فيها المحاكم سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ والتي خسرها نوبل . .

ولعل أطرف مايذكر عن نوبل اعتقاده بأن نجاحه في التحكم في مادة النيتروجلسرين (الديناميت) والسيطرة على مخاطرها ، يؤدي حتما الى التحكم في الحروب والقضاء على أهوالها . . ولكن نظرتـه الى الطبيعة البشـريـة وتقصيه حقيقة سلوك الـدول ونواياها ، مالبث أن أشعره بسذاجة معتقداته الأولى وتمنيـاته . من هنـا كـان اقـدامـه عـلى التـوصيـة بتخصيص مايعادل مليوني جنيه استرليني من ثرواته الكبيرة لتوظف على النحو الـلائق وتعود بـالمردود الـلائق لمكافـأة المتفوقـين من علماء العالم سنـة بعد سنة وهكذا ظهرت جوائز نوبل العالمية الشهيرة سنة ١٩٠١ ، وقد كانت في خمسة مجالات في بادىء الأمـر . (الفيزيـاء والكيميـاء والأدب والـطب أو الفسيولوجيا) وأضيف اليها فيما بعد مجالات السلم العالمي والاقتصاد .

بقي أن نذكر أن نوبل العالم كان ذا ميـول أدبية قوية ، وأنه بقي أعزب حتى لاقته المنية سنة ١٨٩٦ ، عن عمر يناهز ٦٣ عاما □

حرص الاسلام على طلب العلم

حرص القران الكريم والرسول ﷺ على حص المسلمين على طلب العلم . فقال الله تعالى « قل هل يستوى الدين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال عز وجل « وقل ربي زدني علما » وقال رسول الله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كما قال « ولأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة » وقال « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ، ومن قراءة القران ؟ فقال : وهل ينفع القرآن الا بالعلم » وكانت فدية أسرى بدر أن يعلموا أطفال المسلمين القراءة والكتابة .



سلامة البشرية في سلامة البيئة



مؤتمر قمة .. للسيدات

كانت مناسبة طيبة لعقد مؤتمر قمة . حين توافد رؤساء الدول وزوجاتهم على نيويورك ليشاركوا في احتفالات الأمم المتحدة ببلوغها الأربعين .. كان ذلك في أواخر السنة الماضية ، وفي مدينة نيويورك مقر المنظمة الدولية ..

الا أن القمة التي ارتقت تلك المناسبة كانت قمة فريدة .. وتختلف عن سائر مؤتمرات القمة التي سبقتها . ذلك أن المؤتمرين لم يكونوا من رؤساء الدول والملوك .. ولا كان موضوع البحث قضية نزع السلاح أو ما اليها من القضايا السياسية والعسكرية ..

بدأت القصة بالدعوة التي وجهتها نانسي ريجان زوجة الرئيس الامريكي، الى عدد من السيدات الأوليات .. زوجات الرؤساء اللواتي رافقن أزواجهن لحضور احتفالات المنظمة الدولية ... دعتهن الى اجتماع يبحثن فيه مشكلة الادمان على المخدرات . وقد بدت لها فكرة هذا الاجتماع أفضل بكثير من التجول في أسواق نيويورك .. وهو ما تعمد اليه النساء في الغالب ... سواء كن من السيدات الأوليات أو من عامة الشعب ..

وضم مؤتمر القمة النسائي فيمن ضم سيدة البرتغال الأولى رمالهو ايانس وقد تحدثت عن رسالة المصحات الخاصة بمكافحة الادمان ، وعن الثمرات الطيبة التي جناها الكثيرون من تلك المصحات .

وتحدثت أيضا سيدة اليونان الأولى مارجريتا باباندريو ، فدعت الى إنشاء برنامج أوروبي لمكافحة الادمان على شتى المستويات ، وتتولى العمل به مجموعة الدول الأوروبية .

وكانت البيجوم شفيق ضياء الحق - زوجة الرئيس الباكستاني من بين المتحدثات .. وقد أشارت الى أن عدد المدمنين في الباكستان آخذ في التزايد حتى بلغ في السنوات الأخيرة ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة .. وأكدت البيجوم أن المؤتمر قد فتح عينيها على المخاطر الخلقية والاجتماعية الكبيرة التي تتهدد المجتمعات بسبب الادمان ..

وتجدر الاشارة الى أن مؤتمر القمة هذا تناول موضوع الادمان من أكثر من جانب . وسلط الضوء على المصحات الخاصة التي تعالج الادمان باعتباره مرضا أو آفة فسيولوجية ونفسية .. والتي غالبا ما تحتاج الى شهور أو أكثر لمساعدة المدمن على التخلص من ادمانه . □



بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

مشكلات التصحر والجفاف والجوع ليست مشكلات مرحلية تنتهي يوم تخف حدة المأساة ، بل انها تؤثر على البناء العام والمقدرة الذهنية والقدرة الاستيعابية والتعليمية وأجيال قادمة ، وباختصار شديد فالنتيجة أطفال جوعى ذكاء محدود اليوم وغدا وبعد غد . . .

يجمع الناس عموما على الاقرار بأن الجوع وسوء التغذيه من المشكلات العويصة التي تواجه الناس في أكثر من ثلثي العالم سكانا ، وأن التصدى لاسبابها الأساسية ، يتطلب تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأشد طبقات المجتمع عوزا ، وعلى الرغم من الجهود الضخمه التي تبذل في البلاد الناميه ، وبرامج الدول الفقيرة لتنشيط الانتاج الزراعي والتنمية الريفية ، الا أن سوء التغذيه وبعض تميباتها لايزال يصيب نسبة عالية من السكان ، ولاسيما الاطفال زهور المستقبل وشبابه وأمله ، وبذا تصاب أجيال المستقبل على مستويين · مستوى البيئه الداخلية التي تتمثل في الصحة البيولوجيه وملكة الابداع والنمو العقلى ، والبيئة الخارجية التي تتمثل في الثقافة والاثارة والجمال والتعاطف والأمن الاجتماعي

وحدة الموضوع وخطورته تستدعي نظرة عامة على نتائج تجارب ودراسات وبحوث متصة ومؤصلة أجراها العلماء على محورين ، اتخذ الاول حيوانات التجارب من فئران وخنازير حقلا لدراساتهم في محاولة لابعاد الواقع الاجتماعي والسيكولوجي والاقتصادى عن المساس بمحاور التجربة ، فالحيوانات ليس لها عقل يتدبر أو نفسية تتأثر مما يجعلها ـ أي الحيوانات ـ اطارا مرجعيا للقياس والخروج من الدراسات بنتائج مؤكدة ، في حين اتخذ الاتجاه الثاني نتائج بحوث علماء الاتجاه الاول لتخرجه القياس على الانسان ذاته في الدول الفقيرة سواء منها ما اصيب بواقع فيزيقي مثل امتناع الامطار وغور الماء ، أو الفقر كمحصلة

سوء الاداره والاقتصاد وهبوط الدافع وانعدام الثقة في كل مايذاع أو ينشر في بلده ، لندرة المثل الأعلى في معظم هذه الدول حيث لايعلن عن المأساة رسميا الا عندما تبلغ من التعقد والحدة مبلغا كبيرا .

في ميدان التجارب

ولنلقي دلونا في ميدان تجارب الحيوان علّنا نأتي بشيء نافع ومفيد ، فعلى فئران صغيرة تم فطامها بعد ثلاثة اسابيع من ولادتها جرى تعريضها للجوع لفترة زمنية قصيرة فاذا بخلايا المخ تتقلص بشكل حاد ، كذلك اصيبت صغار الخنازير والعجول ببعض هذه الاعراض ، وحاول العلماء بعدها درء الخطر عنها باعطائها وجبات مكثفة لفترة طويلة ، تحتوي على كل المواد الغذائية والفيتامينات والاملاح ، وتحت اشراف علمي وطبي مكثف لكن لقد افلت الزمام ولم تستطع أجسام هذه الحيوانات جميعا تجاوز الخطر ، وظل عقلها اصغر حجما من نظيراتها التي نالت القدر المناسب دون جوع أو شح ، وهنا ظن العلماء أنهم ظلموا الحيوانات فأرادوا أن يروا زيادة النسل فقط دون جوع فوضعت ثمانية عشر فأرا صغيرا سويا في مهد زود بقدر كاف من الغذاء فيما مثل زيادة في عدد الفئران لاتتعدى عشرين بالمائة . وكانت النتيجة مذهلة وان كانت غير محيرة أو مربكة ، فقد اصيبت الفئران بالهزال بنسبة ٢٥٪ من وزن الجسم العادي لذات الفترة الزمنية ، وتحت ذات المؤثرات البيئية وتقلص حجم مخها بنسبة تعدت الخمس عشرة بالمائة .

معنى هذا بوضوح شديد أن المخ أكثر أجزاء جسم الكائن الحي تأثرا بالجوع أو الحرمان ، واخطر من ذلك ماثبت لدى العلماء بالدليل القاطع والبرهان الدامغ والثابت أن الخلل ليس في حجم المخ فقط بقدر ما هو في سوء توزيع الخلايا العصبية في منطقة حساسة منه ، حيث يتكون غلاف ضيق بالخلايا يجعل في حركتها صعوبة ، ويقلل تدفق الدم صوبها وبذا تقل قدرتها على الاستجابة ، وتجد الاشارات العصبية صعوبة عند انطلاقها خلال قنوات الاتصال ، ويستمر الغلاف الضاغط أو هذا الستار الحديدي محيطا بالخلايا حتى لو التهم الجائع الصغير





* عندما سلط الضوء القوي على جمجمة الطفل الهزيل بدت وكأنها فارغة لاتحمل مخا

كميات هائلة من الأطعمة المتكاملة في الأيام القابلة

ويحدثنا علماء مركز البحوث الوطني الطبي البريطاني في لندن مؤكدين ما أسلفنا من عرض وقول ، بل ان علماء جامعة كورنل الامريكية ـ من اشهر الجامعات الامريكية في بحوث الكون والخلايا ـ اكدوا أن كمية الحامض الحيوي د ن أ . D . N. A ـ الذي يعتبر بمثابة مؤشر علمي مؤكد على عدد الخلايا لكل نوع من الكائنات الحية ـ تقل بشدة اذا تعرض الكائن الحي للجوع ، ويزداد نقصه في خلايا المخ عن باقي اعضاء الكائن الحي مما يؤثر بالضرورة على كفاءة أداء أهم وأخطر قطاع من بين قطاعات الكائن الحي .

وهنا أيضا الأنيميا والهزال وتحماض عن نقص مركبات خاصة خلال فترة الرضاعة ، والمراحل الاولى من تكون العظام ، فالحيوانات التي شاء لها قدرها ، التعرض للحرمان والجوع القارص ، أصابها الكساح والعرج ، وكانت تمشي باضطراب وارتباك ولاتقوي أرجلها على حملها ، وبقياس طوبوغرافية عقلها كهربيا وجد أن سرعة استجاباتها للاشارات بطيئة كما انها تعاني اضطرابا وتشوشا مما يجعلها تستهلك كميات أكبر من المواد السكرية والنشوية الباعثة للطاقة ، نتيجة سرعة اجهادها وحاجتها الى طاقة تعويضية عن استهلاك كمية من البروتينات المسئولة عن بناء الخلايا

ولعل أهم مظاهر ما سبق من تجارب،توقف نمو الرضع ، وما ان تمر ثلاثة شهور حتى تبدو ،رؤوسها ضامرة مهترة وأرجلها متيبسة وحركتها بطيئة ، ولاتشترك في الحياة الاجتماعية للاصحاء من حركة ولعب ، ومع زيادة نقص البروتينات ابان مرحلة التجريب ازدادت مظاهر رعشة وارتجاف الحركة وعدم ثبات الخطوات ، وشبه استحالة القدرة على القفز أو الجري برغم امدادهم بوجبات متكاملة فيما بعد ولمدد طويلة .

مشكلات الحياة اليومية

يجرنا الحديث الى تجارب مماثلة قام بها علماء من البرازيل والمكسيك وبعض دول امريكا اللاتينية ، على فئران تجارب ، أثبتت أن حرمان الفئران من الغذاء البروتيني المتكامل قد لايؤثر على ذكاء الجيل الأول وقدرته على حل مشكلات حياته اليومية في اطار قدراته كرضيع وذلك باجراء قياسات ذكاء خاصة ، اذ يختفي اثر الجوع فجأة وكأن لم يحدث حرمان أو جوع لكن يوم تابع العلماء أبناء واحفاد جياع الامس وجدوا هبوطا حادا في نسبة ذكائهم رغم امداد الابناء والاحفاد بوجبات صحية متكاملة من حيث العناصر الغذائية الاساسية مما دعا علماء أكاديمية الغذاء والتغذية في تشيكوسلوفاكيا فور اطلاعهم على بحوث اقرانهم بامريكا اللاتينية الى محاولة فهم التأثير التركيبي والتراكمي للمؤثرات المباشرة على جياع الرضع وآثارها اللاحقة في اطار دراسة تعتبر من أعظم واروع الدراسات التي جرت في الكتلة الشرقية عن اثار الجوع والحرمان

ويدع أحد علماء تشيكوسلوفاكيا يحدثنا باختصار عن مخططهم العلمي ـ فاذا بنا امام تجارب مكثفة على فئران عديدة ،وضعت تحت عيون العلماء وفوق مشارح المعامل قرابة سنة كاملة ، جرى خلالها وضع نظام تغذية خاص لبعضها وحرمان الآخر وتنشيط البعض واهمال الاخرى ، ووضع البعض في اطار حياة جماعية وحرمان البعض الاخر من عوامل البيئة الخارجية المناسبة ، تجارب معقدة وطريفة في ذات الوقت اكدت لهم قانونا طبيعيا من أروع القوانين . . ان كلا من البيئة الصالحة والغذاء المتكامل ضروري لنمو كل الاحياء حتى الفئران .

بعد هذه الجولة الاستطلاعية التي امتدت قليلا في عالم الحيوان دعونا نلقي نظرة على دنيا الانسان ـ أثمن واغلى ما خلق الله سبحانه وتعالى ـ والمكرم بتسخير ما في البر والبحر والجو لخدمته ـ وننطلق مع دراسة جادة تمت تحت سقف معامل جامعة شيلي بسنتياجو حيث يلتقي الجوع والشبع حتى التخمة فاذا بالانسان لايختلف في كثير أو قليل عما أثبتته تجارب الفئران . . نفس الظروف ونفس النتائج . . تقلص خلايا المخ وتأثير على القدرة الذهنية والعصبية وشطط وانفعال سريع وعصبية زائدة وضعف بالغ يصل الى حد الهزال والموت .

لكن العالم فرناندو مونكبرج أراد ان يقدم للناس اعلاما مباشرا يفهمه المتخصص وغير المتخصص ، حتى القارىء الذي يكتفي من المجلة او الصحيفة



* مقطع في رغيف حبر عديم البروتين أعلى الصـورة ، وآحر في رغيف حـر معدل يوزع على الجوعى وفق برامج المعونة الدوليه

* رغم تساوي السس والطروف البيئية يبدو الطفل يسار الصورة اطول ورأسه اكبر لانه يتناول وجبات متكاملة



* قياس عملية التمثيل الصوني على أوراق نبات الذرة في محاولة لزيادة الحاصلات الر راعية .



* فئران تعرضت للجوع والحرمان فبدت هـزيلة متعبة مهترة

بمجرد المرور بعينيه على الصور المشورة . يومها نشر صورتين تم التقاطهما بآلة تصوير مزودة بباعث ضوئي قوي لطفلين أو بالتحديد لرأسي طفلين ، طفل امده اهله بالغذاء الكافي خلال ايامه الاولى ، وعندما سلط ضوء المصباح على جمجمته لم تتعد المنطقة المضاءة نتيجة تغلغل الضوء وانتشاره اكثر من سنتيمترين ، وصورة اخرى لطفل محروم تعرض لذات الضوء واكدت صورته تغلغل الضوء وانتشاره الى مسافات أبعد غورا وأعمق مسارا ، وكأن الرأس أو الجمجمة «أباجورة» مكتب مضاءة الى هذا الحد تقلص المخ

مراحل التطور

ان بناء وتطور مخ الانسان والثدييات يمر بمراحل متشابهة تحت الظروف المتماثلة ، وسرعة هذا النمو تتوقف بدرجة كبيرة على فترة التغذية الاولى للرضع ، فمخ الطفل ينمو الى قرابة ٨٠٪ من وزنه وحجمه الأصلي خلال السنوات الثلاث الاولى ، في حين لايتعدى نمو وزن جسمه خلال نفس الفترة ٢٠٪ من الوزن الكلي النهائي للجسم في مرحلة الرجولة ، وترتيبا على ذلك يمكن مماثلة الثلاث سنوات الاولى من عمر الانسان بالأسابيع الثلاثة الاولى من عمر الفئران ، وعليه يمكن اسقاط نتائج التجارب على الانسان دون خلل كبير ، ومن هذا المنطلق نجد كل رضع دول العالم يتغذون في المرحلة الاولى من اعمارهم ولقرابة ستة شهور على لبن ثدي الامهات ، فان كانت الام لاتعاني من أمراض الهزال والضعف العام - وهذا نادر - نجد ان الطفل يتناول وجبات تنقص منها كمية حمض الفوليك عن القدر اللازم ، الى جانب نقص وانخفاض نسبة الهيموجلوبين من الدم ، ويظهر ذلك في وقت مبكر قد لايتجاوز الاشهر الثلاثة الاولى من عمر الطفل . وتمضي الستة شهور الاولى وتستعين الامهات باغذية مكملة غالبا يقل محتواها البروتيني عن الحد الملائم ، لذلك ينخفض نمو الطفل عن المعدل الطبيعي مع زيادة استعداد جسمه للاصابة بالأمراض مما تظهر آثاره في نقص محيط رأس الطفل بحوالي ٢/١ ٢ سنتيميتر ، ويقل حجم المخ بحوالي ١٤٪ عن الحجم المعتاد

فهل يؤثر ما أسلفنا على قدرة التعلم ؟

الاجابة ببساطة تأتينا من دراسة علمية رائدة اجريت في مدينة مكسيكية صغيرة تنحصر في مجتمعها الفروق الاجتماعية والاقتصادية ، بحيث يسهل ارجاع نتائج الدراسة الى اختلاف وتباين وتضاد قدرة الاهل على تزويدهم بالغذاء المناسب .

هنا قد يعترض البعض على منهجيه واسلوب البحث ارجاعا بأن الذكاء والقدرة الادراكية والتعلم امور بيولوجية ووراثية لايمكن ارجاعها الى التغذية وحدها .

والحق اني مع المعترضين الى حد ما وليس على اطلاق القول فمنذ بداية هذا القرن تعرضت الدراسات والبحوث التي اجراها العلماء على ذكاء الانسان وقدراته لهجوم جارف ، فهناك من اتهم بالسير في طريق النازية والصهيونية والعنصرية ، ومن اتهم بالعبث في قوانين الكون ، مما ادى الى عرقلة تقدم هذه البحوث لسنوات طوال ولست انكر الاساس البيولوجي والوراثي للذكاء بقدر محدود ، وقد حاول العلماء - خلال هذه الدراسة التي تعرض لالقاء الضوء على اطارها العام دون الغوص في تفاصيل - لامكان لها هنا - الاقلال من تلك التأثيرات باختيار قطاع بشري يتدرج مثلما تتدرج كثافه اللون الرمادي ببطء شديد الى ان تتحول دون طفرة الى اللون الاسود

المهم . تشكل فريق البحث من اطباء وعلماء نفس واجتماع ورجال اقتصاد تابعوا أطفال القرية خلال منظومة بحثية معقدة شملت الأمراض التي اصيبوا بها ، السن ، التغذية ، مصادر الدخل ، العمر ، الطول ، الوزن . . الخ،كما وقع الاطفال تحت اختبارات مظهرها بسيط وجوهرها عميق ومعقد افضت الى وجود علاقة طردية مباشرة - بين الطول والوزن والقدرة الحركية والادراكية ويوم فضت أسرار الدخل وقدرة الانفاق للعائلات وجدت علاقة مباشرة بين التغذية وماسبق ذكره من نتائج .

ولم يأخذ العلماء نتيجة البحث قضية مسلما بها ، قاموا بتكرار التجربة في دولة اخرى وعلى قرية هندية لايزيد عدد سكانها عن ١٦٠٠ هندي ، ويموت ١٠٪

* طفل جائع يبدو رأسه أكبر وهي في الواقع اقل ٢/١ ٢ سم عن رأس نظيره الدي يتناول وجبات متكاملة

من اطفالها الرصع خلال السة الاولى من ولادتهم ، ويموت فيها بين سنة واربع سنوات من عمر الاطفال عدد يزيد أربعين مرة (صعف) المعدل العالمي في الدول المتقدمة ، وأكدت الدراسة التأكيدية صحة نتائج الدراسة التمهيدية .

ومع هذا يبقي الجوع !

خلاصة القول ان التعذية اثناء الرصاعة وحلال فترة تكون العظام ولمدة ثلاث سنوات ذات اثر عظيم على قدرات الاطفال الذهبية والتعليمية والحركية ، وعلى احجام عقولهم مقارنة بأوزان أجسادهم في حين أن تغذية الحوامل الغداء الصحي المناسب يحمي الاطفال من المرص ، وأي قصور في هدا المصدر معناه انتشار حاله مرضية عامة وموت جماعي مرجعه الجوع .

والواقع أن هذه الدراسات وأمثالها تجرنا صوب تساؤ ل هام . هل أحدثت الارض الى هذا الحد ، ووقع الناس في مغنة الجوع العالمي ام اننا لاتتدبر امورنا بواقعيه ؟ اوالاجابة باختصار شديد ان الانسان طوال حياته على الارض لم يستخدم الا ثلاثة آلاف نوع من النبات للحصول على غدائه ، على الرغم من وجود اكثر من ٧٥٠٠٠ (خمسة وسبعين الف) نبات احر صالح للغذاء الادمي والحيواني ، ثم تقلص الثلاثة آلاف نوع الى ١٥٠ نوعا فقط تنتج حوالي ٩٠٪ من عداء العالم .

فهناك نباتات تنمو في البلاد الجافة مثل نبات الهيب في الصومال والمفصلة بذوره عن الدرة في صناعة الخبز ، ويمكن زراعة هدا النبات في الصحراء كي يساعد السكان على التغلب على مشاكل الغذاء ، وكذلك تساعد اوراقه في تناول الحيوانات لعليقة خضراء ، ومن ثم ترى لحما وتدر لبنا ، وعلى الساحل الغربي للمكسيك ينمو نبات حشيش ثعبان السمك المنتج للحبوب المنافسة للقمح طعما وغداء كما تنمو على جبال وهضاب اثيوبيا خضراوات غنية بالبروتين منها احد العالم الكرنب ، وينمو قرع العسل وقرع الجاموسي في اواسط آسيا في بلاد الجفاف على شكل نبات متسلق سريع النمو . . الى آخر دراسة رائعة عن النباتات البديلة التي يعرفها العلماء ويعرفون عنها انها تعيش في بيئة تناسب بيئة الدول الفقيرة والمتخلفة والصحراوية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

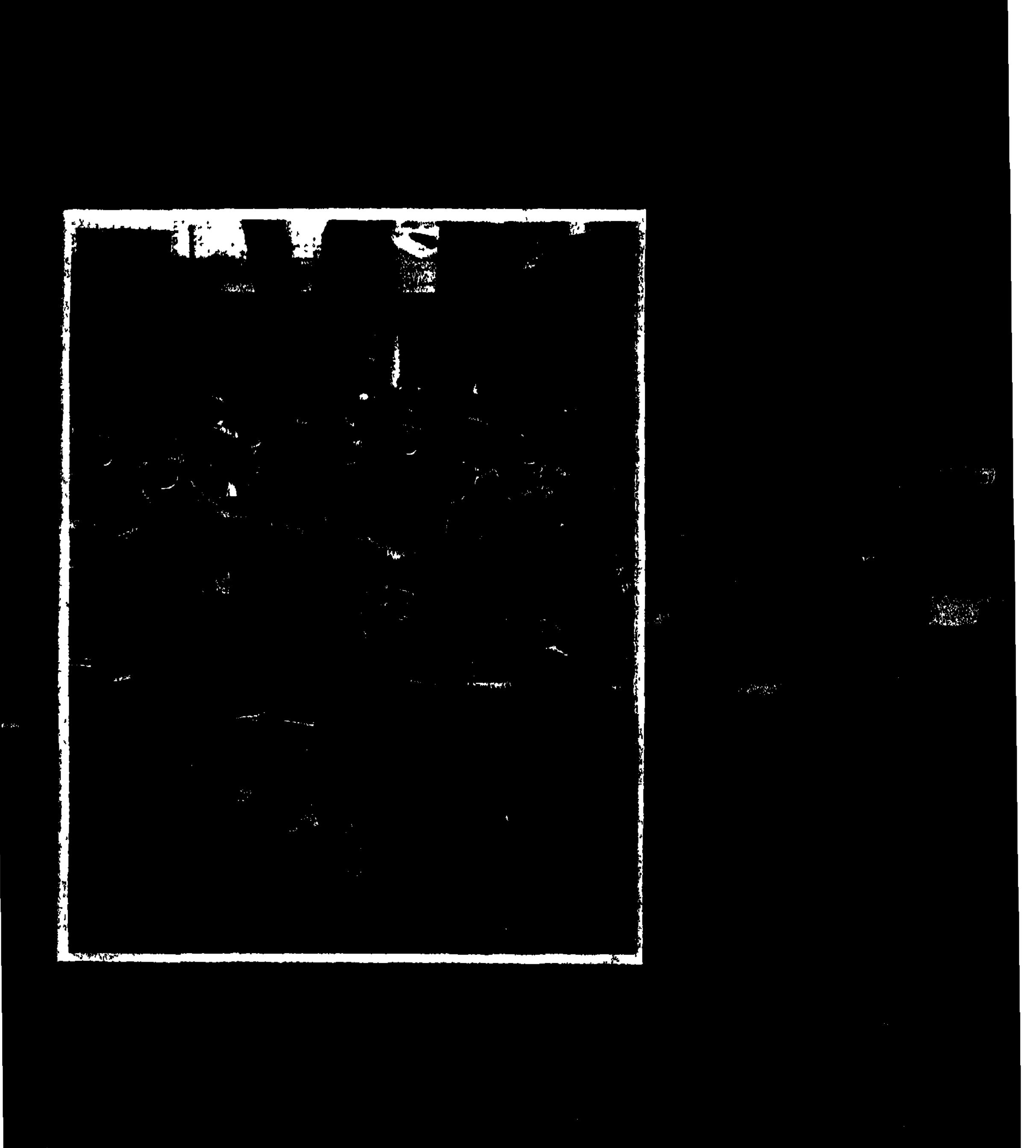
ومع هدا يبقي الجوع . . ويدور في سحن القمح والذرة . . ويموت الاطفال .

ومن لم يمت عاش هزيلا فاقدا الرغبة في الحياة . . وينتظر من يغنى لنا . . ويقيم الحفلات ، ويترك الهات بيمناه ويقبض على اعناقنا بيسراه .

ولله في خلقه شئون . . . . □

العربي
عيونك
على العالم

الانطلاق من عمق المجهول



هل تصورت نفسك يوما وأنت تتسلق قصبة من « البامبو » طولها سبعون مترا ولا يزيد عرضها عن عشرين سنتيمترا ، لتصل الى سقف كهف ضخم ، عاش فيه الانسان قبل أربعين ألف سنة ، وترك جماجه وهياكله العظمية مدفونة في أرضه . . كل ذلك لأنك تبغي الاستيلاء على عدد من أعشاش الطيور ، دون أن تعبأ بآلاف الخفافيش وهي تضرب وجهك بأجنحتها ، ودون أن تهتم بما يمكن أن يحدث لو سقطت من هذا الارتفاع الكبير . . ؟ !

اذا لم تكن تجرؤ على ذلك ، وخطر ببالك أن تشهد سواك وهو يفعلها . . فتعال معنا الى « سرواك » . .

قد يكون الاسم غريبا عنك . . ولكن « سرواك » في الحقيقة دولة تشغل مساحة تصل الى ١٢٥ ألف كم٢ وتقع في الثلث الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو ، القابعة في قلب بحر الصين الجنوبي الى الشرق من شبه جزيرة الملايو ، وهي تشكل مع دولة صباح - بعد أن تحولتا الى ولايتين في نطاق الاتحاد الفيدرالي الماليزي - ما يسمى بماليزيا الشرقية .

وغير بعيد من ركن الساحل الجنوبي لسرواك . . تستطيع أن تجد كهوف « نياه » . .

الكهوف هي أحد أشهر المعالم الأثرية في العالم . وأبرز هذه الكهوف كهف كبير الاتساع تبلغ مساحة فراغه مائة كيلو متر مربع . أما سكانه فعدة ملايين من الخفافيش والطيور الصغيرة التي تترك كميات هائلة من الفضلات التي تستخدم للتسميد (الجوانو) على أرضية الكهف ، كما تترك على حفر السقوف عددا كبيرا آخر من الأعشاش التي تعتبر بمحتوياتها الجيلاتينية حساء وطعاما لذيذا لأهالي سورنيو والصين . . !

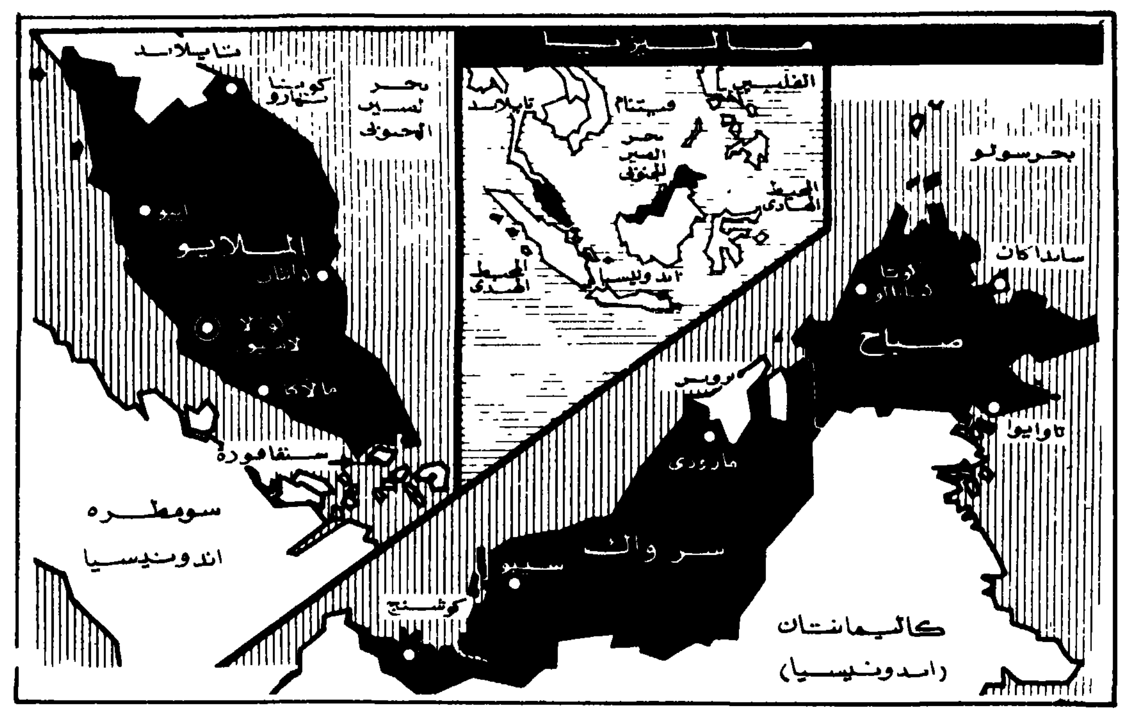
أهل الكهف

مشهد الكهف من الداخل مثير غريب . . خاصة حين تتأمل هؤلاء الرجال الذين يتسلقون أعواد البامبو الخالية من أي نتوءات ، وبدون الاعتماد على أي حبال ، فتجدهم في لحظات قد بلغوا أعلى العود الذي يرتفع الى سبعين مترا ، وبدأوا يجمعون أعشاش الطيور من السقوف في مهارة وحذق يثيران الاستغراب . .

وقفنا - أنا وزميلي المصور - نتأمل في دهشة ما يحيط بنا . واقترب منا واحد من « أهل الكهف » وسألناه عن مهمة جامعي أعشاش الطيور فقال :

هي مغامرة خطيرة لا يجرؤ على ممارستها الا أفراد معينون تمرسوا على هذا العمل . وهم يتسلقون في فراغ الكهف على أعواد البامبو مع المحافظة خلال التسلق على توازنهم حيث ان السقوط من هذا الارتفاع يعني الموت .

ان جامعي الاعشاش يحافظون على أسرار مهنتهم التجارية في غيرة شديدة ولا يورثونها الا لأبنائهم . ويتوارث هؤلاء الأبناء أيضا المناطق التي يعمل فيها آباؤهم في الكهف ويعتبرونها ملكا خاصا لا يجوز الاعتداء عليه . وقد تمتلىء المنطقة بآلاف الأعشاش في بعض الأيام ، وقد يقل العدد فلا يتجاوز العشرات . . كل ونصيبه . ويعتبر جامعو الاعشاش أنهم « أصحاب الكهف » وحدهم ، وهم يعيشون في قرى قريبة أو في بيوت طويلة . وخلال مواسم جمع الأعشاش التي تتراوح بين مرتين أو ثلاثة في السنة ، يشركون معهم كل أفراد عائلاتهم للمساعدة في جمع ما يحصلون عليه من هذه الثروة المباركة . . كما يجمعون أيضا ما يخصهم من سماد « الجوانو » الذي يحملونه في أكياس على ظهورهم ، تماما كما فعل أجدادهم طوال آلاف ومئات السنين .



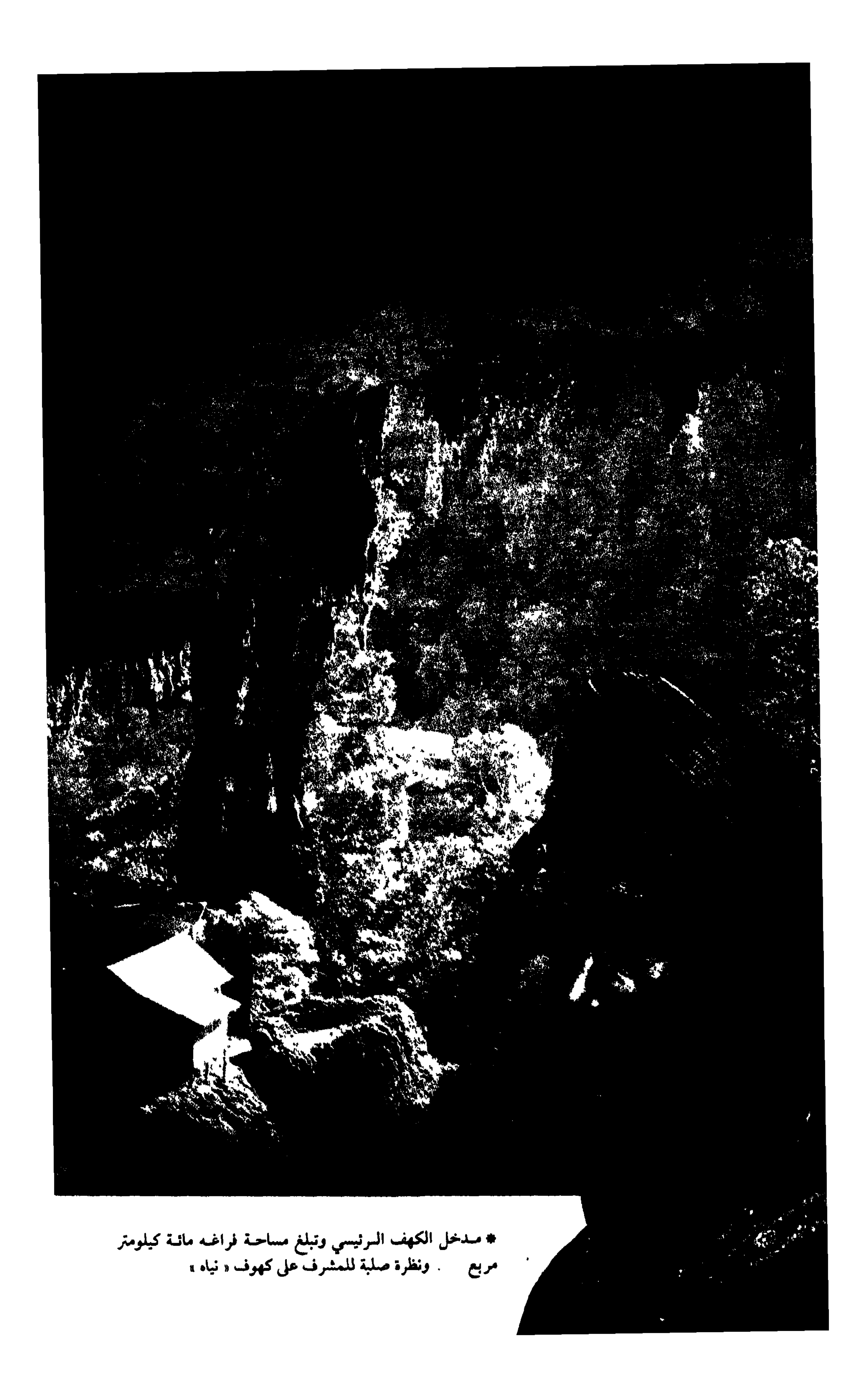
* خريطة تبين موقع سرواك من الاتحاد الفيدرالي الماليزي وتبدو العاصمة في أقصى الجنوب

٤٠ ألف سنة

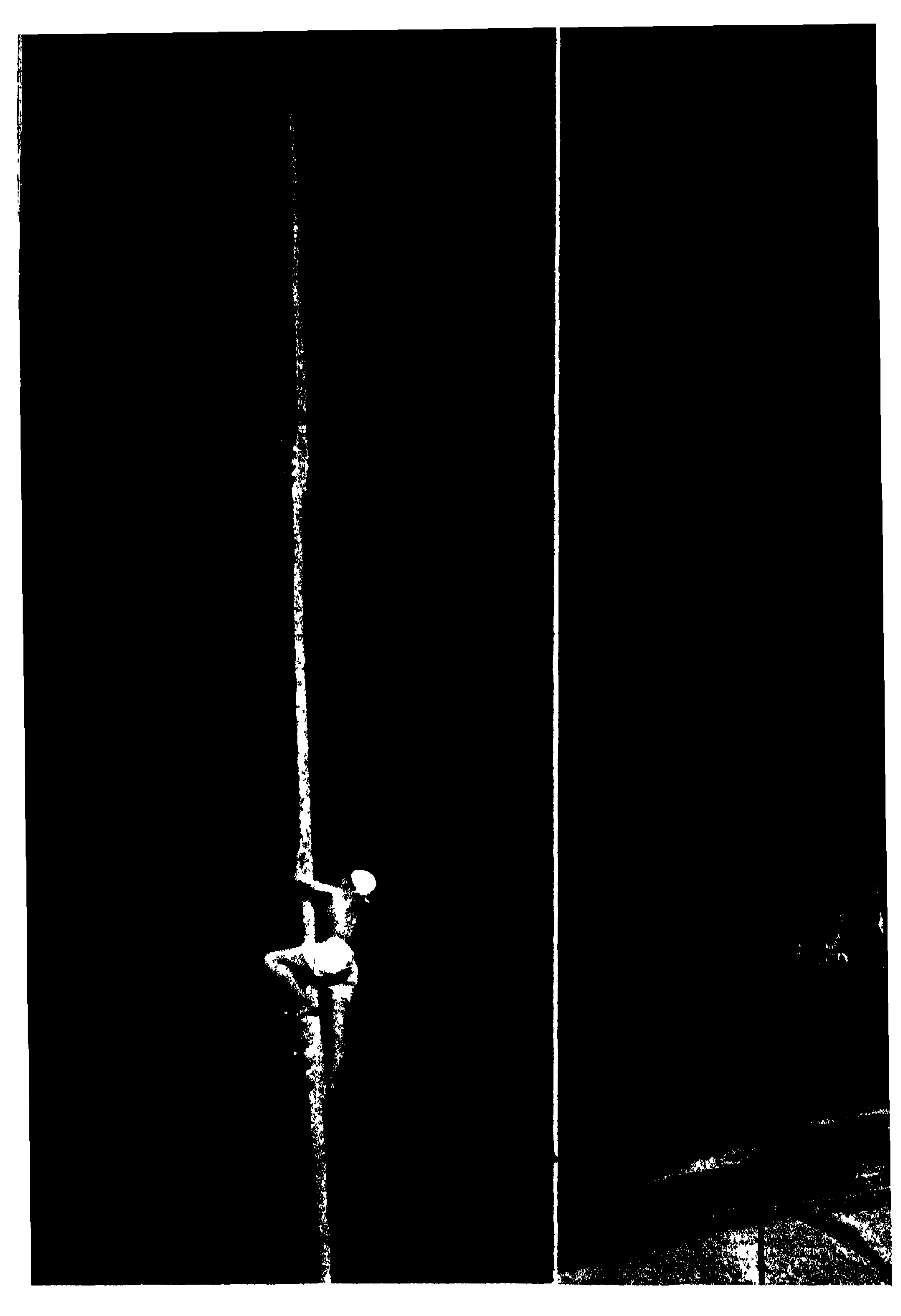
ومنذ عام ١٩٤٧ بدأ المتحف الوطني يجري حفرياته الاثرية في كهوف « نياه » . وكانت نتائج موسمين من الحفريات بالغة الأهمية ، مما جعل شهرة الكهوف تنتشر في كل مكان بعد أن أمكن العثور على آثار من عصور تمتد الى أكثر من أربعين ألف سنة . ومازالت الحفريات مستمرة وتخرج كل موسم آثارا جديدة تمثل مختلف مراحل التاريخ .

وقد عثر على جمجمة لانسان « الهوموسابيان » الذي عاش في الكهوف منذ ٣٥ ألف سنة ، بالاضافة الى أقدم آثار الانسان الحديث . فمنذ حوالي ٤٠ ألف سنة كان سكان كهوف « نياه » يستخدمون الأدوات الحجرية ، ولكن منذ ١٠ آلاف سنة بدأوا يستخدمون أدوات من العظام أو المحارات والاصداف . . وحتى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد كانوا يحفرون القوارب في سيقان الاخشاب ، ثم بدءوا يرسمون على جدران الكهوف نماذج لسفن الموت وفي القرن السابع أخذ « أهل الكهف » يشتغلون بتجارة عاج رؤوس طائر « أبي منقار » ، وأعشاش الطيور ، فكانوا يقايضون الصينيين بها مقابل أواني البورسلين وعقود الخرز الملون . وبعد القرن الرابع عشر لم يعد التجار الصينيون يأتون لأن بحارتهم كانوا قد اكتشفوا الطرق البحرية على طول شواطىء فيتنام والملايو . ومنذ ذلك الوقت لم تصل أي سفينة الى شواطىء سرواك . وتحت مثل هذه الظروف بدأ السكان يهجرون الكهوف وينطلقون الى أعماق الغابات .

ويبدو أن سكان « كهوف نياه » كانوا هم أجداد قبائل « البونان » الذين مازال أبناؤهم يتبعون عقائد وتقاليد آبائهم الذين وجدت بقاياهم وآثارهم في مقابر الكهوف . وكان « البوناں » هم الذين قاموا أخيرا بأعمال الحفريات الأثرية في كهوف « نياه » في القرن التاسع عشر ، وهم الذين قاموا بجمع « أعشاش الطيور والجوانو » من الكهوف . . وهم أيضا الذين عثروا على مجموعات الجماجم والهياكل العظمية والأدوات والآلات الحجرية والأواني البورسلين الصيني من عصور تانج وسونج . . والادوات البرونزية والآلات الحديدية والنقود الصينية وكل ما يربط كهوف « نياه » بالعصور القديمة للتاريخ . . وقد شاهدناها كلها معروضة أو مخزونة في المتحف الوطني . . « بكوتشينج » عاصمة سرواك .



* مـدخل الكهف الـرئيسي وتبلغ مساحـة فراغـه مائـة كيلومتر مربع . ونظرة صلبة للمشرف على كهوف « نياه »



* جامع أعشاش الطيور يتسلق قصبة البامبو التي يبلغ طولها سبعين مترا ليصل الى سقف الكهف

قصة سرواك

الآن . . تعال بنا نتعرف على قصة سرواك الحديثة خلال الأعوام المائة والخمسين الأخيرة .

تبدأ القصة مع مغامرة قام بها البحار الانجليزي جيمس بروك ، الذي أرسته مغامرته على سواحل سرواك عام ١٨٣٩ . كانت المنطقة كلها في ذلك الوقت أحد أقاليم سلطنة بروناي العظمى التي كانت تحكم كل جزيرة بورنيو . وكان حاكم الاقليم يسمى « بنجيران ماكوتا » . وكان الاقليم في ذلك الوقت يعاني من حركة معارضة عنيفة قام بها السكان من قبائل الداياك « الايبانز » ضد الحاكم شهبندر محمد صالح . ومن أجل إقرار الأمور أرسل السلطان نائبا عنه عمه « مودا هاشم »للتفاهم مع الثوار ، ولكنه فشل في مهمته وعجز عن اعادة النظام ، مما جعله يلجأ الى دعوة المغامر الانجليزي لمساعدته . وكمكافأة له على تعاونه واسهامه في تهدئة الثوار وعده مودا هاشم بمنحه قطعة من الأرض في سرواك . وحين تم القضاء على حركة التمرد بدأ بروك يطالب الحاكم بالوفاء بوعده . وعندما حاول مودا هاشم التخلي عن الوعد لجأ بروك الى التلويح بقوته العسكرية ، واضطر مودا هاشم نيابة عن السلطان الى تنصيب بروك حاكما على اقليم سرواك بدلا من شهبندر محمد صالح الذي عاد مغضبا الى بروناي . ولم تمض سنوات قليلة حتى كان مودا هاشم قد قتل مع أسرته على يد مجموعة من المناهضين لبروك . !

وأثار مصرع مودا هاشم غضب حاكم سرواك الانجليزي . وأبحر على رأس مجموعة من سفنه الحربية الى بروناي حيث أنزل الهزيمة بقواتها انتقاما لصديقه . . ثم أعلن انسلاخه عن السلطنة . وهكذا بدأ حكم الراجات البيض لسرواك منذ عهد جيمس بروك ليصبح الأمر إرثا تتولته أسرته من بعده لمدة تقترب من المائة عام . . استطاعت خلالها أن تسلخ مساحات أخرى كبيرة من الاراضي المحيطة التابعة للسلطنة ، حتى استقرت حدودها على مساحة ١٢٥ ألف كيلومتر مربع تشمل المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة بورنيو .

خلال فترة حكم الراجات البيض من عائلة بروك ، استطاعوا الامساك بزمام الأمور في البلاد التي تعرضت أكثر من مرة لاعتداءات القراصنة ، ولحركات المقاومة المسلحة في الداخل ، وخاصة من المواطنين الايبان (الداياك البحريين) الذين رفضوا ترك أراضيهم والنزوح الى الداخل .

استمرت عائلة بروك تحكم سرواك وأقرت مجموعة من القوانين لاجراء الكثير من التغييرات في حياة القبائل وعاداتهم وتطوير أنماط هذه الحياة التي كانوا يعيشونها والتي كان من بينها إبطال تقاليد الايبان في صيد الرءوس .

وفي عام ١٨٨٠ وضعت سرواك تحت الحماية البريطانية . ولم تتخلص سرواك من التبعية للتاج البريطاني الا بعد انضمامها الى اتحاد ماليزيا الفيدرالي عام ١٩٦٣ خلال فترة حكم رئيس الوزراء الاتحادي تنكو عبدالرحمن .

القبائل والسكان

بلغ مجموع سكان سرواك حسب اخر احصاء مليون و ٣٠٨ آلاف نسمة ، ويتشكلون من مجموعات متباينة من الجماعات العرقية . أغلبية السكان من قبائل الايبان الداياك البحريين (٣٠,٣٪) والصينيين (٢٩,٥٪) والملاويين (١٩,٧٪) والبيدايو (الداياك البريين ٨,٢٪) والميلانو (٥,٧٪) وجماعات بدائية أخرى (٥,٣٪) بالاضافة الى أعراق أخرى تشكل بقية السكان (١,٣٪) .

ويدين السكان بعقائد وديانات متباينة ، وهم يمارسون عباداتهم في حرية كاملة . فالاسلام وهو دين الدولة الرسمي يدين به الملاويون والكيدياك وعدد كبير من الميلانو . أما المسيحية وتشكل أغلبية ثانية فيدين بها أغلب الداياك والصينيون الذين يعتنق عدد كبير منهم البوذية . أما الباقون بعد ذلك فهم بدائيون أولادينيون يعبدون الأوثان ويقدسون الأرواح والاسلاف . وسكان المناطق الداخلية في أدغال سرواك - الايبان والداياك البريون - يعيشون في البيوت الطويلة بجوار الانهار الكبيرة التي تخترق أراضي الادغال وتشق بداخلها طرقا مائية متعددة لمواصلاتهم . وكثير من هؤلاء قد تركوا الصيد وأزالوا مساحات من الغابات المحيطة بهم ليزرعوا الأرز والفلفل .

أما قبائل البونان الذين يعيشون في أقاصي أدغال سرواك ، فما زالوا يمارسون حياتهم التقليدية البدائية . . ولكن بدلا من الصيد بأنابيب النفخ أصبحوا الآن يمارسون الصيد بالبنادق .

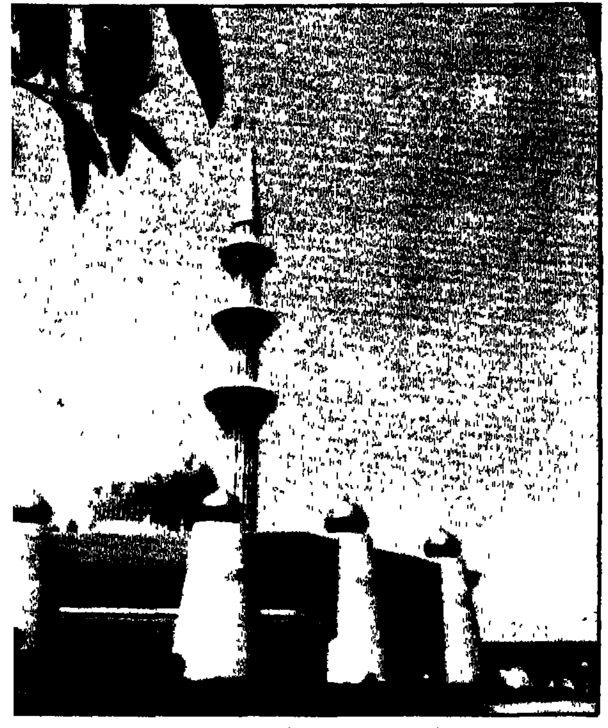
الايبان وبيوتهم الطويلة

الفرصة التي أتيحت لنا لاختراق الادغال بشكل ماشر في سرواك كانت من الجو . . حيث طارت بنا الطائرة الهليكوبتر التي أمر باعدادها لنا رئيس الوزراء داتو عبدالطيب محمود للذهاب الى « بنتالو » . . القلعة الصناعية والبترولية الحديدة ، وهي فرصة كان لابد منها لالقاء نظرة شاملة على سرواك لضيق الوقت المتاح لنا لزيارة معالمها

وخلال رحلة الهليكوبتر التي استغرقت بنا تسع ساعات على مرحلتين مررنا فوق أكبر مناطق الادغال الداخلية اتساعا في سرواك . ومن الجو وعلى مستوى منخفض يكاد يلامس رؤوس أشجار الغابة ، شاهدنا تفاصيل تلك الحياة العريبة في الغابات . الناس . . والحيوانات . والاشجار الكثيفة . والأراضي التي أزيلت غاباتها الاستوائية لتتحول الى أرض صالحة لزراعة الارز . . ذلك بالاضافة الى سلاسل الجبال والمنحدرات والوديان الضيقة والسهول الواسعة . والأنهار التي تجري وهي تتلوى بين السفوح والسهول . والقرى المائية القائمة فوق الانهار . . والمستنقعات . والبيوت الطويلة التي تمتد على جانبي النهر أو عند أقرب نقطة اليه . وكذلك الأكواخ المتناثرة للفلاحين والصيادين ، كلما أتيحت لهم فرصة اقامة كوخ . . ثم الأمطار الموسمية التي تسقط بغزارة وهي تضرب طائرتنا وتضفي جوا نديا رطبا فوق الغابة العذراء .

أما المشاهدة الثانية فكانت مع انطلاقنا لاختراق الغابات نفسها عبر طريق ضيق تحيط به الأشجار الكثيفة من الجانبين حتى لا تكاد أشعة الشمس تخترقها على الاطلاق . . كما يمر الطريق في بعض الأحيان على جانب نهر راجانج أو بجوار مستنقع كبير . . حيث تقوم مجموعات من البيوت الطويلة التي يسكنها الايبان (الداياك النهريون) . . وخلال المسيرة نلمح أنواعا كثيرة من الطيور الاستوائية البديعة الألوان والقرود والثعابين . . والقليل من الحيوانات المتوحشة التي لا تقترب من السيارة خلال انطلاقها .

هنا يكون اللقاء مع جماعة من جماعات الايبان ، وهي قبيلة « بيدايو » . والايبان أو الداياك النهريون يشكلون أغلبية سكان سرواك حيث يتجاوز عددهم ٣٤٠ ألف نسمة بنسبة ٢٩٪ من السكان . وبرغم أن أغلبهم الآن قد دخل الاسلام وانطلق ليعمل في



* مسجد بيسار في قلب العاصمة كوتشيح بقبابه المطلية بالذهب

الوظائف الحكومية بالمدينة . كما احتذب المبشرون عددا آخر منهم الى المسيحية وفتحوا لهم الكنائس والمدارس . الا أن عاداتهم وتقاليدهم مازالت ترتبط بالعقائد والعادات التي توارثوها عن الاسلاف .

ونتوقف عند أحد البيوت الطويلة .

البيت ليس بيتا بالمعنى المعروف ، إنما هو مجموعة متصلة من البيوت أو الأكواخ تضم حوالي ثماني عائلة . . وهي تقوم الى جانب النهر على مساحة مكشوفة ، حيث تباعدت أشجار الغابة أو أزيلت . الأكواخ مبنية من خشب الأشجار وقصب البامبو ، وتغطي سقوفها بجدائل من سعف أشجار جوز الهند وزيت النخيل . . ويرتفع البيت الطويل عن الارض على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار تاركة أسفلها مساحات لمرور مياه الفيضانات ولتربية طيورهم الداجنة وكلابهم وقططهم . وتتصل الأكواخ بعضها ببعض بواسطة ممر يمتد بطول المجموعة كلها ، ويشكل مساحة الملتقى الاجتماعي والاحتفالي في أمسيات العائلات التي تقيم فيها . ويهبط عند مدخل الممر ونهايته درج عبارة عن ساق خشبي ضخم حفرت عليه الدرجات باتقان ، والساق مثبت في مكانه ، بحيث يرفع الى أعلى عندما يجيء الليل



* فرقة موسيقية من عارق « الداياك » والمزامير من قصب البامبو

* رقصة شعبية .. وراقصة من فتيات « الايبان »



* القرية وبيوتها الطويلة التي تقوم على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار... والى اليمين مشهد لقطاع داخلي لأحد الأكواخ . والديكور الغريب يتدلى من سقوفه وأبرز معالمه الجماجم البشرية المعلقة . !



ليحول دون صعود الأعداء وغير المرغوب فيهم من البشر والوحوش الى البيوت أو الاضرار بسكانها في الظلام .

ديكور من الجماجم

دعانا شيخ القبيلة الى بيت معد خصيصا لاستقبال الضيوف والزائرين . المدخل مفتوح الأبواب ، والسقف والجدران تتدلى منهـا أنـواع مثيـرة من الديكور ، أبرزها عشرات من الجماجم البشرية هي من آثار ما اصطاده الاباء عندما كـانوا من صيـادي الرؤوس . اما بقية القاعة فكأنها متحف يضم آثارا قديمة ، بها الطبـول التي كانت تستعملهـا القبيلة ، والرءوس والسيوف والسهام والجرار الكبيرة ومطحنة الأرز التي كانوا يطحنون بها بعد الحصاد ، بالاضافة الى مجموعات من العقود والأطواق المشكلة من أنياب وبقايا ما كانوا يصطادونه من وحوش الغابة قبل أن يتحولوا الى الزراعة ويعملوا في تربية الماعز والأبقار والدواجن . .

ودعينـا الى الطعـام . . ومـدت الأواني المملوءة بالارز المطبوخ الذي تعلوه قطع من لحم الخنزير ولحوم الثعـابين وأوراق حضـراوات لا نعرفهـا وهي كلهـا لا نستطيع أن نقربها . . ولكن شيـخ القبيلة حاول بطريقة لطيفة أن يفهمنـا أن لديهم تقليـدا يسمى « بوني » يفرض على كل من يجلس الى طعام أو يدعى اليه أو يكون قريبا من قوم يأكلون ، أن يشـارك في الطعام ولو بقبضة واحـدة حتى لا يتسبب في الضرر للآكلين ، وحتى لا يتعرض لعضة ثعبان . . كما أن ذلك الامتناع قد يتسبب في أن يبتلعه تمساح . . ! وقد كـان من عادة الايبـان من قبـل ، أن يـأكلوا لحـوم الحيوانات التي يصـطادونها بالسهـام المسمومـة التي ينفخونها من خلال أنبوب البامبو ابتداء من الأرانب البرية حتى الثعالب . .

أمـا نظام القبيلة فيقـوم عـلى أسـاس ديمقـراطي بسيط . . فهم ينتخبون رئيس القبيلة ، ويعرف باسم « توان روما » . كما ان مجموعات الأسر في البيـوت الطويلة تنتخب رئيسها ويسمى « بنجولو » ، كما أنهم يختارون حكامها أو طبيبها بالانتخاب حيث يشارك في الاختيار كل سكان البيوت الطويلة . ولا يوجد نظام طبقات ، وكل فرد حر في الزواج من الفتاة التي يقع عليها اختياره .

موروثات الأجداد

قال لنا الزعيم . كان الايبان قديما من المحاربين المتمرسين ، وكان من عاداتهم صيـد الرؤوس حتى قضى على هده العادة في أواسط عام ١٩٤٠ . وكان الهدف الرئيسي لصيد الرؤوس هو تقديم القـرابين والاضحيـات الى الأرواح للحفـاظ عـلى البيـوت وسكـانها وابعاد الشـرور عنهم . وغالبـا مـا كـان الضحايا من النساء العجائز والاطفال ، وفي بعض الأوقات يكون صيد الرؤوس أحد الرموز التي يأتي بها الفتى فوق سن رمحه لتـأكيد شجـاعته وبلوغـه مبلغ الرجولة . . !

ويتمسك الايبان بموروثات الاجداد في حياة كل يوم . . فصوت طائر مغرد يجب أن يسمع قبل غرس شتلات الأرز في الأرض . . فادا عز هذا الصوت كان ذلك يعني ضرورة تغيير مكان القرية . ! والاحلام غير الطيبة - كأن يتضمن الحلم مشهد مريض أو ميت أو يسمع خلالـه صرخـة طائـر الموت « سـابات » - تقتضي تغيير مكان اقامة صاحب الحلم والمشاهد التي تحيط به . . وعندما تكون القرية تحت الانشاء يحرم نسج الملابس الوطنية كما يحرم الدخول في نـزاع أو خصام والمشاركة في أي معركة . .

كل هذه المعتقدات التي حدثنـا بها زعيم القبيلة وجدناها ما تزال راسخة في أذهان شباب الايبان حتى بعـد أن اتجهوا الى المـدارس والجـامعـات وازدادت ثقافتهم وأصبح لهم صوتهم المسموع في مناقشة الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد . .

والميزة الرئيسية التي يتميز بهـا الايبان (الـداياك البحـريون) هـو لطفهم وكـرمهم في تعـاملهم مـع الغـير . . وحياتهم المليئـة بمظاهـر البهجة والفـرح والزينة والرقص الشعبي التقليدي الذي يجتذب كل الأنظار .

وهم لا يختلفون كثيرا عن أقربائهم من البيـدايو (الداياك البريين) والذين يوجدون بكثرة في المناطق الداخلية في جنوب غربي سرواك . . فهؤلاء سكان بيوت منفصلة عن بعضها البعض . . وهناك تشابه في الملامح بين الداياك البريـين والبحـريـين برغم أنهم يختلفون في اللغة والعادات . . والداياك البريون ليس لديهم اتجاهات اجتماعيـة وان كانـوا محبين للسـلام ويعرف رؤساؤهم باسم « أورانج كايا » .

من هؤلاء جميعا تتشكل الأعراق المختلفة في ولاية سرواك ، التي استطعنـا أن نكون فكـرة شاملة عن

طبيعة الحياة فيها من خلال مشاهدتنا لها من الجو ونحن في الطائرة الهليكوبتر وهي تطير أقرب ما يكون الى قمم المرتفعات وأشجار الغابات وأسطح البنايات في المدن الحديثة حيث تبدو مظاهر التقدم والتطور والنهضة وخاصة في العاصمة . . كوتشينج .

مدينة ذات وجهين

كوتشينج . . مدينة نهرية ذات وجهين متباينين . . قديم موغل في القدم . وحديد بالغ التحديث . . مدينة صاخبة وساكنة ، ثابتة ومتقلبة ، في آن معا . .

الصخب والحداثة والتقلب يبدو كله في الجانب الأيسر من نهر سرواك ، حيث الحياة بكل تدفقها ، وبكل نوعيات سكانها الذين يبلغ تعدادهم الآن ١٣٠ ألف نسمة ، بينما لم يكن يتجاوز بضع مئات من الملايويين وعشرات من الصينيين عندما رست على شاطئها سفينة المغامر الانجليزي جيمس بروك قبل حوالي ١٥٠ سنة .

على الجانب الشمالي من النهر الذي يفصل العاصمة الى قسمين يربطهما جسر معلق طويل تشهد عالما آخر . . مقر الراجات البيض الذي كان يقوم منعزلا بعيدا عن الصخب والضجيج أصبح صورة من الماضي يجذب مشهده الباحثين عن الهدوء والراحة والاستمتاع . هذا المقر تم بناؤه عام ١٨٧٠ ليضم ثلاثة شاليهات (بانجالو) كبيرة أقيمت فوق قواعد حجرية بارتفاع حوالي عشرة أمتار ، وتظلل أسقفها البارزة المائلة العريضة كل القاعات الداخلية . أما الشاليه الرئيسي فهو يضم قاعة الاستقبال والطعام والرسم والموسيقا . بينما الشاليهان الجانبيان يضمان قاعات النوم . وقد بنى مقر الراجا الابيض شارلز بروك ليقيم فيه مع عروسه الموسيقية مارجريتا . واذا كانت استخداماته قد تغيرت بعد ذلك أكثر من مرة الا أنه يتخذ الآن مقرا رسميا لحاكم الولاية .

وعلى الضفة المقابلة من النهر تصطخب أصوات الباعة والمشترين ومساوماتهم في ساحة السوق الكبير حيث يأتي صيادو الأسماك بصيدهم وروائحهم ليبيعوا حصيلة اليوم فوق الارصفة المزدحمة التي يختلط فيها الحابل بالنابل طوال النهار والليل .

قلعة الحب

في جولة حول كوتشينج شهدنا قلعة مارجريتا أبرز معالم المدينة ، والتي أطلق عليها بروك اسم زوجته الموسيقية الحالمة التي تزوجها وهي تصغره بعشرين عاما . . وكانت هي الفتاة الوحيدة التي قبلت أن تحضر لتعيش بين أدغال سرواك

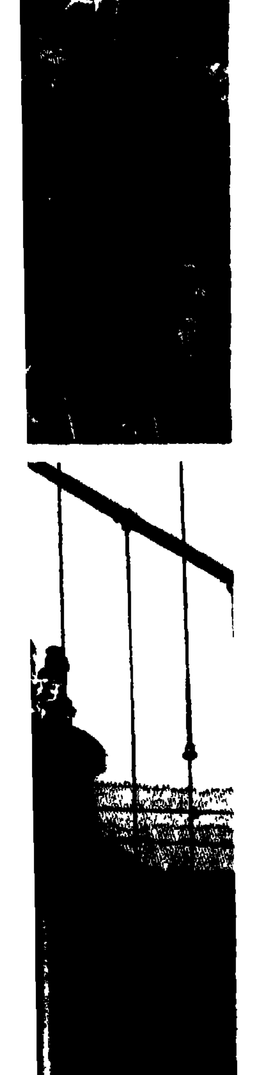
القلعة أنشئت عام ١٨٧٩ بتكلفة حوالي ٨ ملايين دولار . واختير موقعها الاستراتيجي بحيث تسيطر على الضفاف الطويلة لمداخل نهر سرواك منذ اقترابه من العاصمة ، فمن هنا دائما كانت توقعات أي هجوم أو غزو تتعرض له المدينة . وفي عام ١٩٧٩ كانت سرواك قد بدأت تمر بفترة من الهدوء والاستقرار حتى ان القلعة لم تستخدم أبدا للهدف الذي أقيمت من أجله

القلعة بطوابقها الثلاثة تتميز بأنها رباعية الشكل . . وعند مدخلها قاعة كبيرة كانت في الايام الاولى تستخدم مكتبا للقيادة ، بينما الطبقات العليا كانت مقرا للحراس . والى يسار المكتب توجد زنزانتان كانتا تشغلان عادة بالمساجين المحكوم عليهم بالاعدام أثناء انتظارهم لمصيرهم . ويتوازى مع الزنزانتين ممر يقود مباشرة الى خارج الحصن . وينتهي الممر ببوابة حديدية تفصله عن الساحة الخارجية .

وعلى مر الأيام اختلفت استخدامات القلعة . فلفترة قصيرة بعد الحرب الثانية استخدمت كمركز تدريب للشرطة الذين يقومون بمد أسلاك المواصلات التليفونية ثم استخدمت القلعة بعد ذلك لتصبح بمثابة « ميس للضباط » ، وعندما تم انتقاله الى موقعه الحالي أعيد مبنى القلعة لقوات الدفاع المدني لتصبح مقرا لقيادتها .

وانتهى الامر بالقلعة (أخيرا) في عام ١٩٧١ لتصبح متحفا للشرطة ، يضم الاسلحة التي كانت تستخدم في الماضي ، وبينها المدفع الوحيد الضخم الذي دوى صوته ذات يوم في سرواك ، بعد أن دفعه الى أعلى جبال سندوك أكثر من ٥٠٠ رجل من الداياك الاقوياء ، وتمكنوا عن طريقه من انزال الهزيمة بالثائر الشهير المسمى « رينتاب » . وفي أحد أبراج القلعة « المتحف » توجد قاعة أطلق عليها اسم قاعة « الجماجم الضاحكة » ويقولون ان صاحب هذه الجماجم ـ وعددها مائتان ـ هو أحد أبطال الداياك الذي باعها للمتحف وهو يقول انها كانت تقلق نومه بضحكاتها الهستيرية التي تطلقها طوال الليل .

المتحف الوطني أحد المعالم الأخرى البارزة في كوتشينج وهو يضم في قاعاته مجموعة من الآثار الاسلامية القديمة الى جانب هياكل المعابد الصينية وجماجم لصيادي الرؤوس كما يضم أيضا كنوز الحرف الاثرية التي تدل على حضارات القبائل المختلفة في

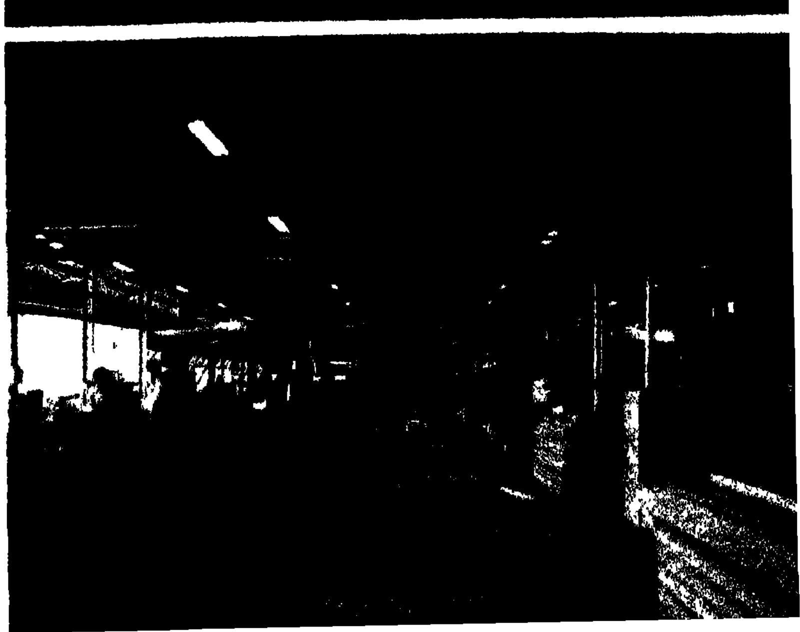




* مصفاة النفط في بنتولو أبرز المراكز الصناعية وأسرعها تطورا في ماليزيا



* مجتمعات مساكن الموظفين وآلاف البيوت المبنية على أحدث طراز



* داخل مؤسسة نشر الأخشاب وصناعة الأثاث في سرواك .



* قلب العاصمة «كوتشينج» كما يبدو من طائرة الهلوكبتر
ومسجد الدولة في مركز القلب
والى اليمين تبدو حركة المرور فوق الجسر المعلق

سرواك وفي كل جزيرة بورنيو ، كما تعرض على جدرانه وفي قاعاته مجموعات من الأسلحة القبلية والأدوات المهنية والأعمال الفنية القديمة والحديثة ، ومن حسن الحظ أن المتحف وضع خلال الغزو الياباني تحت امرة أحد الضباط المتنورين فلم تحدث به أي أضرار .

وغير بعيد من المتحف يوجد مسجد بيسار ، المسجد الرئيسي للمسلمين في كوتشينج ، والذي تم بناؤه قبل عشرين عاما ، ويشكل بقبابه المطلية بالذهب صورة رائعة للهندسة المعمارية التي يمتزج فيها القديم بالحديث .

للمعابد الصينية قصة

وتزخر كوتشينج بمجموعة من المعابد الصينية التي تزدهر بألوانها وزخارفها ، وأقدمها معبد « توابيك كونج » الذي أقيم قبل أكثر من مائة عام .. هذا المعبد يعتبر أهم معابد الجماعات الصينية في سرواك . وخلال ضرب كوتشينج بقنابل الطائرات اليابانية لم تلحق به سوى تصدعات في أحد جدرانه . أما معبد « كويك سنج أونج » فقد أعيد بناؤه عام ١٨٩٥ ، وهو يتميز بسقف تبدو ديكوراته رائعة الجمال والألوان ، وهو المعبد الذي تتجه اليه جماعات « الهوكيان » في أداء الصلوات لمعبودهم « كويك سنج أونج » ، كما يأتي اليه أيضا كثير من جماعات الصيادين « الهنجاو » للحصول على البركة من أجل صيد وفير .. وأجمل ما شهدناه في هذا المعبد الاحتفال السنوي الذي يقام في اليوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني ويبدأ من السابعة صباحا حتى العاشرة مساء ، حيث يوضع تمثال الاله على مقعد يحملونه ويطوفون به بين الأغاني والاهازيج حول شوارع المدينة .

طفرة صناعية وتنموية

مظاهر الطفرة السريعة في الانتقال من البداوة الى الحضارة واضحة في كل شيء .. ولا تمنع هذه الطفرة من التأكيد على وجود نهضة حقيقية في كل نواحي الحياة . ولعل أبرز الأمثلة على هذه النهضة التنموية والصناعية ما يجري في منطقة بنتولو .. وحين نهتم بتتبعها واستعراض ما يجري من مظاهر التقدم فيها فانما نقصد من ذلك أن نقدم نموذجا متميزا لكيفية اقامة المناطق الصناعية يمكن أن نستفيد منه في وطننا العربي .

انطلقنا على متن الطائرة الهليكوبتر .. الى بنتولو .. مدينة النفط والغاز الطبيعي في سرواك . وبنتولو تمثل أحد أبرز المراكز الصناعية وأسرعها تطورا في ماليزيا الحديثة . ويتيح لها موقعها في وسط الساحل الغربي المواجه لماليزيا الغربية أن تلعب دورا كبير الأهمية بعد التوسع في كشف كميات ضخمة من الغاز الطبيعي والاحتياطي البترولي بالاضافة الى ما ينتظر الحصول عليه من القوى الهيدروكهربية الضخمة التي ستدفعها الى مقدمة المناطق الصناعية . وهناك أيضا ما يثير الاهتمام وهو أنها غنية بالمنابع والموارد الصناعية حيث تزخر بأنواع الخشب المتميز والأراضي الزراعية الخصبة والسليكون والفحم مع المزيد من الخدمات المتطورة .

ان دخول بنتولو الى الساحة الاقتصادية كان من الظواهر الجديدة . وعندما تم اكتشاف آثار البترول والغاز الطبيعي بدأت المنطقة تشهد تطورا كبيرا منذ عام ١٩٧٩ ، ودخلت في نطاق المجتمع الاقتصادي الدولي . ومع انجاز أول مصنع لتسييل الغاز الطبيعي في ماليزيا وأول عمليات تصديره بالبحر في أول عام ١٩٨٣ ، شهدت بنتولو تغيرا كبيرا من قرية صغيرة الى أكبر مركز صناعي حديث في المنطقة

ان مشروع ناقلات الغاز والبترول الذي قدرت عائداته بمبلغ اجمالي قدره حوالي سبعة بلايين من الدولارات ، وقيمة أرباح اليوريا امونيا التي تبلغ ٧٣٧ مليون دولار ، بالاضافة الى عائدات قدرها ٥٦٠ مليون دولار نتيجة تعميق الميناء ، كل ذلك حفز على التطور الصناعي لمنطقة بنتولو ..

وتبعا للنهضة السريعة منذ ١٩٧٩ فان التسهيلات والخدمات المميزة في بنتولو قد جعلت منها قاعدة حديثة متطورة ، فقد قامت مئات المحلات التجارية وآلاف المساكن لمواجهة التطور السكاني المتزايد ، كما شقت الطرق الحديثة لربط المدينة بالمناطق والمدن الرئيسية في الولاية ، كما اتسعت حركة الطيران التي تربطها بكوتشينج وكوتاكينا بالو كحلقة اتصال مع سنغافورة وكوالالمبور وهونج كونج .

.. وتتكلم الأرقام

تملك بنتولو من احتياطات الغاز الطبيعي ٥٠٠ مليون متر مكعب . حصة ضخمة من هذه الكميات الكامنة بدأ استغلالها للنهوض بالصناعات البتروكيمائية وصناعات القوى المحركة .

أما النفط الخام فان الصهاريج يمكن أن تستوعب

● « سرواك » الانطلاق من عمق المجهول

وهناك مناطق واسعة بها السليكون (الرمل الزجاجي) الغني العالي الجودة في السهول الساحلية ، مما أتاح الفرصة لاقامة مصانع لانتاج ألواح الزجاج والأواني الزجاجية والبلورية يتزايد انتاجها مع المزيد من التطوير .

يضاف الى ذلك أنه تم العثور على حقول من الفحم في مناطق كثيرة من بينها حوالي ٢٠ مليون طن من فحم الكوك و ٤٠٠ مليون طن من فحم الليجنايت جنوبي بنتولو .

وقد تم الشروع في اعداد حوالي ١٠٠٠ هكتار من الاراضي للتوسع في اقامة المصانع واستيعاب المنشآت والمساكن للعمال والموظفين ، مما سيجعل المنطقة قاعدة صناعية ضخمة تستوعب المزيد من الطاقات العاملة ، وتتيح لها المزيد من الخبرات في الميدان الصناعي ، ولمواجهة القوى العمالية المتصاعدة فقد أقيمت مدارس للبنين والبنات لمختلف المراحل لتعليم أبناء الموظفين والعاملين ، كما أقيمت مدن اسكانية نموذجية مزودة بجميع أنواع الخدمات .

لقاء مع رئيس الوزراء

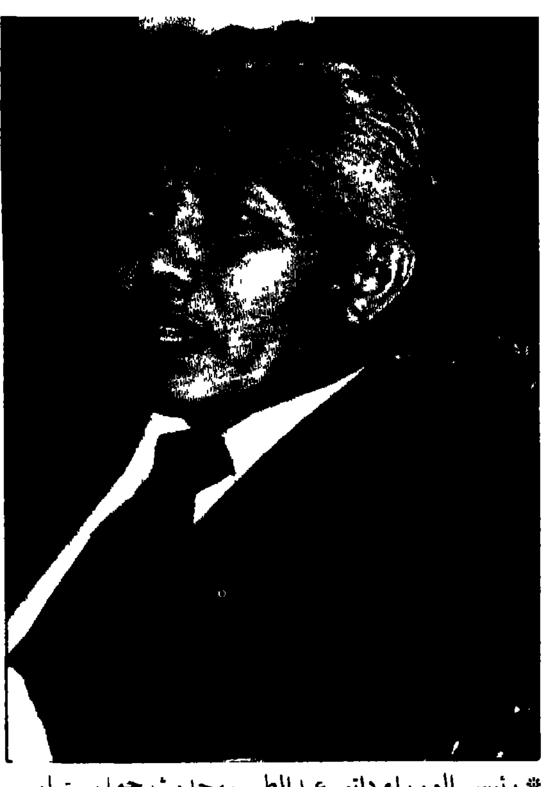
من أجل مزيد من دفع عجلة التقدم والتحديث يتولى داتو عبد الطيب محمود رئيس وزراء سرواك رئاسة السلطات التنفيذية للنهضة في بنتولو .

وعندما دعانا رئيس الوزراء للقاء في مقر اقامته عبرنا له عن الاعجاب الكبير بالنهضة الشاملة التي شهدنا أحد أمثلتها في بنتولو . . فقال :

ان الجهود في سرواك مستمرة على جميع المستويات لتطوير المجتمع ، من أجل حياة أفضل للشعب بكل فئاته وجماعاته ، والانتقال بهم الى أعلى درجات التقدم .

وبنتولو أحد الأمثلة لهذه الجهود من أجل أن تصبح قاعدة أساسية صناعية متطورة . وهي تعطي صورة بارزة للتنمية الصناعية والزراعية التي نرحب من أجلها بكل خبرة أو مساهمة أجنبية أو عربية لمواصلة تنفيذ ما خطط لها من برامج نأمل لها المزيد من النجاح ، في ظل التغيير الكبير في توجهات وقدرات مجتمع نفض عن نفسه بقايا البدائية والقبلية ليسير على طريق النهضة والتقدم .

وكان لابد بهذه المناسبة من سؤال نوجهه لرئيس الوزراء عن طبيعة الجهود المبذولة من أجل التغيير الجذري لبنية المجتمع ، وكيف رافقت هذه الجهود محاولات واضحة لاجتذاب أكبر عدد ممكن من



* رئيس الوزراء داتو عبدالطيب وحديث حول بنتولو

مليون وربع مليون برميل في وقت واحد منذ أنشئت عام ١٩٧٩ . ويستخرج النفط الخام من حقول تيمانا على بعد ٣٠ كيلو مترا من سواحل المدينة ، كما أن حقول بايان بدأت انتاجها في منتصف العام الماضي بكميات ضخمة . وتتولى شركة النفط أيضا التسهيلات الخاصة ببيع وتصدير الغاز الطبيعي خاصة مع اقامة مصنع تسييل الغاز الذي يتيح الفرصة لكميات أكبر من الصادرات الى الأسواق الاسيوية .

أما عن الأخشاب فان منطقة بنتولو وحدها تحيط بها غابات على مدى ٣,٥ ملايين هكتار من مجموع الاراضي الغابية في سرواك والتي تبلغ ١٢,٥ مليون هكتار . وفي عام ١٩٨٣ فان متوسط ما تم تصديره من الأخشاب من هذه المنطقة بلغ ٢٢٢ الف متر مكعب شهريا في هيئة كتل خشبية . ويوجد الآن في منطقة بنتولو عشرون مؤسسة لنشر الخشب . وللنهوض بهذه الصناعة فان الحكومة تبذل امكاناتها الآن من أجل مزيد من التطور باقامة مؤسسات أخرى قادرة على مضاعفة الكميات المصدرة .

بالاضافة الى ذلك فان الزراعة يجري تطويرها لامكان استغلال أكبر مساحة من الأراضي الصالحة للزراعة . ويوجد الآن حوالي ٢٠ ألف هكتار مزروعة بأشجار زيت النخيل وحوالي ٩٠٠ هكتار مزروعة بالكاكاو ، والمساحة التي بدأ استصلاحها في المنطقة لاتقل عن ٥٠٠ ألف هكتار من أجل مزيد من الحاصلات الزراعية .







* شموع كثيرة للتعريف بالاسلام بين التلاميذ والتلميذات حيث الاهتمام كبير بمختلف مراحل التعليم (الصورة العليا الى اليمين) ثم نظرة الى الغابة من شرفة الكوخ .



* في السوق الشعبي خضراوات وفواكه من جميع الأنواع ووجوه من جميع الفئات والأعمار لا تترك السوق إلا الى نزهة على شاطىء نهر سرواك

القبائل البدائية الى الاسلام .

قال عبدالطيب محمود :

لا أخفيكم أننا نواجه الكثير من المصاعب المالية مثلنا مثل أغلب دول العالم الثالث . ولكنني أتصور أننا الآن بدأنا نقف على أرض صلبة ، وخاصة بعد أن أتيح مجال العمل والخبرة للكثير من سكان الولاية . لقد أصبحنا قادرين على تنفيذ التنمية الصناعية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية في سرواك . وفي كل أنحاء اتحاد ماليزيا تبذل جهود كبيرة من أجل مزيد من الدعوة الى الاسلام وذلك بانشاء الكثير من المراكز الاسلامية ، أولا ـ لاجتذاب المسلمين الى معرفة فضائل دينهم الاسلامي ، وثانيا ـ لاجتذاب غير المسلمين الى هذا الدين القويم ، واعداد معتنقيه الجدد لمعايشة المجتمع الجديد من خلال قناعة شخصية تتسم بالحرية ، وهو أمر بالغ الأهمية ، ليشعروا بأن أمامهم مُثلا جديدة للحياة .

من هنا كان من الضروري بذل المزيد من الاهتمام بالتعليم في جميع المناطق ، بما في ذلك المناطق الداخلية ، ابتداء من رياض الأطفال والتعليم الابتدائي حتى الثانوي . ومن خلال ذلك تضاء شموع كثيرة للتعريف بالاسلام بين التلاميذ بمختلف فئاتهم وعقائدهم . ولكن هنا أيضا تقف مشكلة اللغات . . فلكل جماعة عرقية لغتها ولهجتها التي لا تساعد كثيرا في هذا المجال . . ونتمنى أن نتغلب على هذه المشكلة بتدريس اللغة القومية بالاضافة الى اللغة الانجليزية التي غالبا ما تتفهمها المجتمعات القبلية . وقد طبعنا عددا كبيرا من الكتب التعليمية باللغة الانجليزية ـ للتغلب على تعدد اللغات ـ تشرح مبادىء الاسلام وتاريخه وفضائله وتوجيهاته ، كما أصبح لدينا الآن معلمون لديهم خلفية لغوية ودينية ، بحيث استطاعوا أن يقيموا آفاقا كبيرة أمام التلاميذ وكذلك مع أسرهم وعائلاتهم في كل مكان . ولا شك أن ذلك يحتاج الى وقت طويل ، ولكن الأمور تسير في الاتجاه الصحيح .

ولعلنا لا ننسى أننا منذ بداية الاستقلال عام ١٩٦٣ كانت تواجهنا مشكلة القبائل البدائية والمجتمعات الفقيرة ، حيث المواطن يعيش في كوخه الصغير أو يصطاد السمك أو يزرع الارز في الريف أو يعيش على الصيد في الغابة معزولا عن الحياة والمدنية ، حينما كانت الفئات الوافدة وخاصة أن الصينيين يسيطرون على التجارة والصناعة وينعمون بكل معطيات الحضارة . ولم تكن فرص النمو متاحة لكافة عناصر الأمة بالتساوي ، وكانت هناك فروق شاسعة في امكانات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وكان لابد برغم ضآلة الامكانات من محاربة الفقر والتخلف ووضع برامج التنمية الخمسية ، التي كان هدفها اذابة الفوارق وتطوير المجتمع وخلق توازن اقتصادي بين المدن والريف وسكان المناطق الداخلية . وكان المستقبل مرهونا بمدى القدرة على تطوير امكاناتنا الزراعية وخاصة أنها مورد طبيعي غير قابل للاستنزاف فعملنا على زيادة المساحة المزروعة واستئصال الاشجار من بعض الاراضي الغابية واعدادها للزراعة ، مع تخطيط المشروعات الزراعية بحيث تقدم تسهيلات كبيرة للفلاحين والمزارعين ، مع شق طرق ممهدة بين المدن والمناطق الداخلية واقامة المدارس والعيادات والأسواق . وبدأ المواطنون ـ وخاصة في الأراضي الداخلية ـ يدركون أن وفرة المحصول ليست نتيجة لتدخل القوى الخارقة أو أرواح الاسلاف ولكنها تتحقق نتيجة اتباع الأساليب الحديثة . وهكذا واصلنا العمل على التطور بنفس الطريقة في المجالات الصناعية والثقافية والتجارية .

نشاط الدعوة للاسلام

للتوسع في متابعة نشاطات الدعوة الى الاسلام ومعرفة العقبات على الطريق والى أي مدى استطاعت الهيئات التبشيرية أن تلعب دورا بين المجتمعات الداخلية في أدغال سرواك . . كان لابد من لقاء مع رئاسة المركز الاسلامي للولاية :

قال لنا داتو محمد فوزي أمين المجلس الاسلامي :

« إن استراتيجية الدعوة الى الاسلام بين الشعوب والقبائل تقوم على الدعوة عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة . وقد دخل الاسلام منذ البداية في سرواك وما حولها عن طريق التجار من العرب والاندونيسيين الذين جاءوا للتجارة ، واستطاع بعضهم أن يدعو بعض أبناء القبائل ممن كانوا يتعاملون معهم الى الاسلام . واستمر الأمر يسير بخطوات بطيئة حتى نالت سرواك استقلالها وأعلن الاسلام دينا رسميا في اتحاد ماليزيا كله . وبدأ الاحساس بضرورة العمل على نشر الدعوة الاسلامية بعد أن بدا واضحا تأثير قوى التبشير في نشر المسيحية بين أبناء البلاد الاصليين ، وخاصة اللادينيين ، وهي قوى وهيئات كانت تتمتع دائما بدفق من ملايين الدولارات من المنظمات المسيحية من جميع أنحاء العالم ، كما توضع

كثير من طائرات الهلوكوبتر تحت تصرف المبشرين ، وفيهم عدد كبير من القسّوس الأجانب ، حيث تنظم العملية كلها تنظيما محكما وتمول تمويلا سخيا ، يفتقر الى مثله الدعاة المسلمون الذين يواجهون الكثير من الصعوبات ، وخاصة أن المشرين يملكون الأدوات الكاملة التي تسهل لهم القيام بمهمتهم ، ويستخدمون القوارب البخارية ، ويملكون الزوارق التي يتحركون بها بين المستنقعات والمجاري المائية في الادغال حيث يعيش رجال القبائل . كما ان لديهم ضمانات كاملة للحياة وعندهم امكانية اقامة مدارس تعليم .

● ولكن لماذا لا يتحمل الدعاة المسلمون مثلما يتحمل المبشرون ؟

الاجابة الصريحة أنه منذ أيام الاستعمار الذي كان يسيطر على المنطقة كلها كانت الجهود مستمرة لعزل المسلمين عن المناطق التي يعيش فيها رجال القبائل في الادغال والاستعمار يجحح دائما في أن يمسح التاريخ عن بعض البلاد حتى لا يحس أهلها بوجود اخوة لهم . العزلة والتفرقة أحد وسائل المستعمرين وعن طريقها جعلوا البلاد وكأنها حزر منفصلة ومناطق متباعدة لا يقترب منها الآخرون . ونجحوا في ذلك عن طريق عدم اتاحة أي وسيلة من وسائل المواصلات التي تسهل التقارب بين السكان . طبعا هذا الذي حدث قديما كان له تأثيره في الوقت الحاضر ولكننا الآن ومع احساسنا بالمسؤولية الكاملة نواصل تقدمنا وخطواتنا ، وستظل الجهود مستمرة مع بذل كل الطاقات من أجل تقدم الاسلام ونموه في سرواك .

مطلوب دعاة مجاهدون

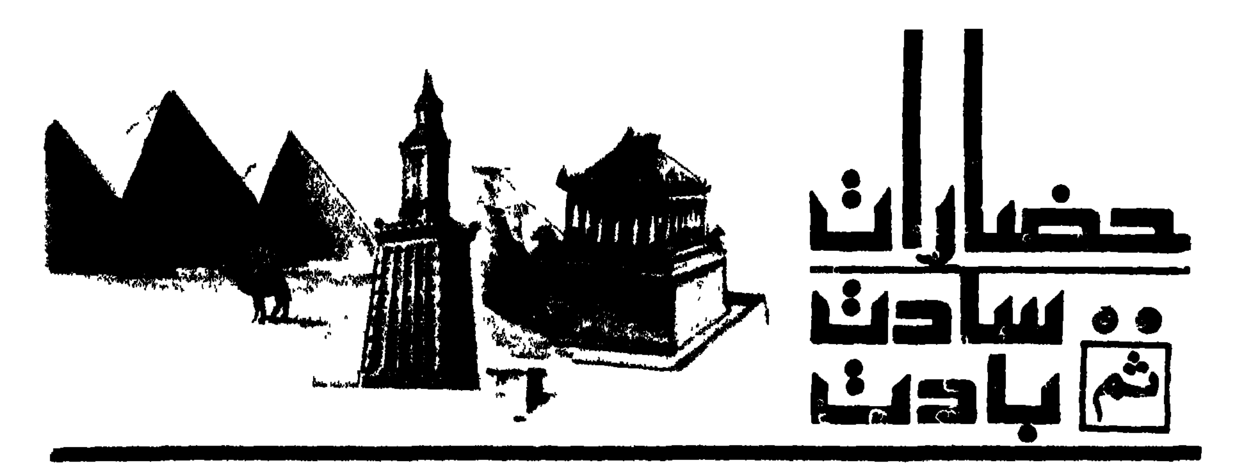
● يتحدث المشرف على الدعاة « أوانش بور » فيقول :

ان الصعوبات تتركز في بعد المناطق الداخلية عن المدن ، كما ترجع الى صعوبة المواصلات للوصول الى أماكن اقامة رجال القبائل . كما تفتقر الدعوة الى عدد أكبر من الدعاة المدربين . صحيح ان لدينا مبعوثين من الرابطة الاسلامية ومن دار الافتاء يبلغ عددهم حوالي عشرة . وفي كل سرواك لايتجاوز عدد الدعاة ثلاثين ، غير الخطيب والامام في المسجد . ولكن الدعاة الوطنيين يدرسون عن طريق غير مباشر في المساجد ، مما دعانا الى توجيه عدد يصل الى مائة يدرسون الآن في المعاهد الاسلامية في ماليزيا الغربية ، ويواصل بعضهم التعليم في مصر وعددهم الآن حوالي عشرين ، كما يوجد في الجامعة الوطنية الملاوية في كوالالمبور حوالي خمسين طالبا ، وفي الجامعة الاسلامية الدولية اثنان ، ونأمل أن يزداد عددهم في القريب .

وهؤلاء سيكون لهم دور مباشر في الدعوة لأنهم يعرفون اللغة الوطنية ويستطيع بعضهم أن يتعامل مع رجال القبائل مثل الداياك بلغتهم وهو أمر لا يستطيع أن يقوم به أي دعاة يمكن أن نستقدمهم من البلاد العربية والاسلامية الاخرى . . والذي يمكن أن تقدمه لنا الدول العربية والاسلامية هو مزيد من الدعم المالي والمساعدات المادية والعينية ووسائل المواصلات التي تمكننا من منافسة الهيئات التبشيرية في المناطق الداخلية .

● ويضيف المفتي داتو حاج عبدالقاضي حسن :

المهم هو أن يكون لدى الدعاة امكانية أن يخاطبوا المواطنين بلغاتهم ، لأن المسألة ليست دخول هؤلاء في الاسلام ، ولكن الأهم هو متابعتهم لمواصلة تعليمهم أسس الاسلام وفضائله وقيمه ، حتى يستمروا في الايمان ويؤثروا في غيرهم من الأقارب والجيران . ولا يمكن أن تتم هذه المتابعة بشكل مناسب مع قلة عدد الدعاة وصعوبة الانتقال الى المناطق الداخلية . ولو استطعنا أن نحل هذه المشكلة لتغير وجه حياة هؤلاء المواطنين كثيرا . ان الأمر يحتاج الى انفاق كثير فليس لدينا من المال ما نستطيع أن نمول به الدعوة كما يفعل المبشرون المسيحيون . . فهؤلاء أيضا يمتزجون مع الاهالي ويسكنون معهم ويأكلون ويشربون ويقيمون في بيوتهم ويعطون لهم الدواء والكساء وكل ما يحتاجون اليه . وهناك مسألة أخرى لها أهميتها هي مدى الحماسة عند من يقومون بالدعوة ومدى استعدادهم للتضحية في سبيل نشرها . . اننا نريد دعاة مجاهدين . . هناك دعاة . . ولكنهم لا يجاهدون . . المطلوب دعاة مجاهدون يستطيعون تحمل الذهاب الى أماكن اقامة اللادينيين ويكون لديهم الايمان والصبر على الكفاح وضرورة التغلب على الصعوبات ولا يعتبرون أنفسهم موظفين يحصلون على رواتب مقابل هذا العمل . . يجب أن يكونوا دعاة يسيرون على ما كان يسير عليه الدعاة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم . . فالدعوة جهاد عملي . . جهاد مستمر . . يتولاه مؤمنون يملأ الايمان قلوبهم . . وسنستمر في المحاولة حتى ينتشر الاسلام تماما في هذه البقاع . . وحتى يبقى فيها ما بقيت الحياة . □



اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة انيانج

أقدم حضارات أهل الصّين

يندر أن تجد بين حضارات البشرية جميعا حضارة تفوق حضارة الصين ، من حيث غزارة المخترعات التى ابتكرتها أو طورتها ثم جادت بها على الآخرين ومع ذلك فان عهد أهل الصين بالحضارة يعتبر حديثا نسبيا . ولعله لم يبدأ الا قبل



خريطة انيانج

حوالى ٣٦ قرنا ، أى فى سنة ١٧٠٠ ق م على وجه التحديد .

ففى تلك السنة ظهر (شنج تابج » وهزم غريمه (جي) .. وهكذا انتهى عهد سلالة (كسيا) السلالة الأولى التى حكمت الصين ، وبدأ عهد سلالة (شانج) التى ترعرعت فى رمها أولى حضارات الصين .

حضارة في الظلام

أما موقع تلك الحضارة فمدينة (ين) التى تقع غير بعيد عن نهر (هوان) التى اتخذت من ذلك النهر حصنا منيعا يقيها شر العدوان من جانب المدن والدويلات الأخرى ، وقد تكاثرت فى ذلك العصر الاقطاعى من تاريخ الصين ..

وأما مولدها فسنة ١٣٠٠ ق م ، حين ظهر الملك المحارب (بان جِنج) واحتل تلك المدينة ، واتخذ منها عاصمة له ، وطرد مستوطنيها الأوائل ، وكانوا من أقوام العصور الحجرية .. ليحل محلهم قومه ، قوم شانج الذين اعتمدواالبرونز ، والذين بنوا حضارة



خنجر برونزى ، من الاسلحة التى استعملها اهل انيانج فى القرن الثانى عشر .. لاحظ النقوش والصور الدقيقة على مقبض الخنجر

الصين الأولى فى ذلك العهد الشاننجى (١٣٣٥ - ١١٢٣ م) ، والجدير بالذكر أن الحفريات التى كشفت عن معالم تلك الحضارة لم تبدأ الا سنة ١٩٢٨ ، واستمرت حتى عام ١٩٣٧ ، وقد أجريت فى موقع (أنيانج) وهو الاسم الحديث لموقع مدينة (ين) القديم . . .

ولعل أهم وأطرف ما عثرت عليها تلك الحفريات ، مجموعة العظام التى شملت فيها شملت أكتاف الثيران .. وظهور السلاحف ، فقد نقش قوم أسئلة عديدة مختلفة على تلك العظام .. هى الأسئلة التى طرحوها على الآلهة ، أو وجهوها الى الأجداد والأسلاف ، وقد احتلوا المرتبة الثانية التى تلى مرتبة الآلهة فى عرف أهل الصين .. والطريف فى تلك العظام انها ردت على تلك الأسئلة .. اذ عمد المتنبئون الى حفر العظمة ، وادخال قضيب ساخن فى الثقب الذى حفروه فيها ، حتى تتشقق تلك العظمة وتنكسر .. ويتمكنوا من التنبؤ بالمستقبل ، وذلك بالتحديق فى ذلك الكسر وتلك الشقوق .. واستشفاف أجوبة الآلهة والأجداد على تلك الأسئلة . . .

أما البناء والعمران فى حضارة (إنيانج) فكان من فئتين مختلفتين تمام الاختلاف .. فئة القصور ، قصور الملوك والنبلاء ، وفئة الثقوب المحفورة فى الأرض كالآبار ، وهى البيوت التى سكنها عامة الشعب .

وتنوعت أشكال هذه الثقوب .. فكان بينها المستدير والمربع والمستطيل ، وتراوح عمقها بين ٣ - ٤ أمتار .. وتفرعت الى ثقوب جانبية فرعية أصغر حجما من الثقوب الرئيسية . وقد استعملت تلك الثقوب كمستودعات ، ولأغراض أخرى مختلفة ..

والغريب أن تلك المنازل حرمت الرحانة وحرمت، الضوء أيضا .. وكأن المكان الفسيح المنير كان من حق الأسرة الحاكمة وحاشيتها والبلاء وحدهم دون سواهم ..

ولعل تلك المنازل الشعبية الخفية فى باطن الأض ، أشبه ما تكون بملاجىء الغارات الجوية .. او الأنفاق .. انها مساكن الأنفاق . وهى ما زالت تبنى وتسكن فى شمال غرب الصين فى الوقت الحاضر ..

ولو انتقلنا من تلك المنازل الشعبية الى منازل الملوك والأمراء ، لشعرنا وكأننا نتقل من القبور الى القصور .. وحسبك أن القصر الملكى بنى من حجر ، واشتمل على ٢٠ صرحا أو أكثر أقيمت كلها بمحاذاة أحد الشوارع الرئيسية ، ولم تكن تلك الشوارع واسعة ، ولكنها كانت مبلطة بحجارة بحجم بيض الأوز ..

لقد اكتشفوا سبعة قصور ـ غير القصر الملكى ـ وخمسة عشر معبدا ، وعددا كبيرا من المبانى ، وقد بلغت مساحة الواحد منها مالايقل عن ٤٠٠ متر مربع (٤٠ × ١٠) وكان أكثرها معداً لاقامة الطقوس والشعائر .

دود القز والحرير

وأما الأعمال التى مارسها أهل (انيانج) فكانت الزراعة أهمها بلا نزاع . لقد زرعوا الذرة بأنواعها ، والقمح ، وزرعوا الأرز فوق هذا أو ذلك . . واعتنوا بتربية الدواجن والمواشى ، وبخاصة الخنازير . . . وأتقنوا تربية دودة القز . . وقد صنعوا من غزلها الأنسجة الحريرية الفاخرة ، التى طالما ظفرت باعجاب الشعوب الأخرى جميعا .

على أن تربية دودة القز لم تكن من مبتكرات حضارة (إنيانج) . . ويرجح المؤرخون ان تأنيس دودة القز فى الصين يعود الى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م.

واحتلت الصناعة المرتبة الثانية فى حياة قوم (شانج) اليومية وقد أكثروا من صنع الأوانى البرونزية ، وخصوصاً تلك التى كانت لصنع النبيذ بالتخمير ولشربه . . وكان النبيذ ضروريا لشعائر التضحية عندهم . . ولطالما رشوا القبور بالنبيذ عقب دفن موتاهم .

ولعل أهم اناء صنعوه من البرونز هو الذى عثروا عليه فى أحد المقابر الملكية ، وقد بلغ طوله « ١,٢ متر » ، ووزنه (١٨٠) كيلو جراما . . . وأما الغرض من ذلك الاناء العملاق فكان تقديم الحيوانات قرابين للآلهة . . فقد اتسع الاناء لخروف أو خنزير بكامله . . وغالبا ما غلوه فى الماء قبل تقديمه قربانا . . عثروا عليه كما قلنا فى أحد المقابر الملكية . . .

ويعجب المرء للمكانة الرصينة التى تبوأها ملوك (شانج) بالرغم من أنهم لم يكونوا آلهة فى نظر الرعية . وقد تجلت تلك المكانة فى قصورهم ، كما أسلفنا ، وتجلت أيضا فى تقاليد دفنهم فى القبور . . . فقد درج قوم (شانج) عند موت أحد ملوكهم ، على قتل حرس ذلك الملك وخدمه وكلابه . . ودفنهم معه . . وكثيرا ما دفنوهم أحياء . . وذلك بقصد حماية الملك من الأرواح الشريرة . . وقد عثروا فى قبر أحد الملوك على ٥٠٠ رجل ، ضمتهم قبور ملحقة بقبر الملك . . وعثروا فى منطقة أخرى على مفرزة كاملة من الجند . . وأربعة من قواد العربات . . والخيول . . ذبحوا ودفنوا اكراما لمليكهم المتوفى . . ولم يغفل قوم شانج عن ملء قبر الملك بأسلحته الخاصة ، وحاجياته المحببة اليه . . بما فيها الآلات الموسيقية . .

منجزات وملامح

ذلك أن أهل انيانج عرفوا الكثير من الآلات الموسيقية ، وشغفوا بفنون أخرى كانت حياكة الارياء فى طليعتها . . . فقد حرصوا على ارتداء السترات المختلفة الأشكال والأحذية الأنيقة . . وعنوا كثيرا بقبعات النساء المزيفة والمرصعة . .

ويظل الدولاب على رأس الخصائص التى تميزت بها حضارة (انيانج) . . من هنا كان انتشار العربات التى جرتها الخيول ، وكانت وسيلة الانتقال الرئيسية للنبلاء . . على أن قوم (شانج) عرفوا كيف يستغلون الدولاب أيضا فى أعمالهم الزراعية . .

ويتساءل المرء بعد ذلك كله . كيف أمكن لأهل إيانج الحصول على البرونز بكميات كبيرة ، بالرغم من أن هذا المعدن لم يكن له وجود فى أرض تلك المدينة ، ولا بالقرب منها . . لا بد اذن أن يكونوا استوردوه من مكامنه البعيدة . . .

وقل مثل ذلك فى الصدف الذى وجدوه بكثرة فى المقابر . . ومن الواضح أنهم استعملوه للزينة . . ولربما كعملة للبيع والشراء . .

والمرجح أن هذه الأشياء التى لا وجود لها فى المنطقة ، انما كانت بحكم الجزية التى قدمتها ممالك بعيدة ، كانت تقع على حدود الصين أو خارجها ، وتدين بالولاء لملوك شانج . . .

وجاءت سنة ١٠٥٠ ق م ، واذا بحكام أقاليم الغرب يثورون على ملكهم (زهاو) وينقلبون على حكمه ، وقد أبوا أن يكون الملك مدمنا على الخمرة ، وخاضعا لأفراد حاشيته ، وهكذا بادت حضارة مدينة (ين) بعد أن سادت طوال قرنين من الزمان . ◻

■ لا القلعة ولا الحسناء تثبت طويلا بعد المفاوضة (بنيامين فرانكلين) .



الحب .. مخاطرة وثقة ومشاركة



الحب مخاطرة ، وثقة ، ومشاركة

بقلم : راجي عنايت

يمنعنا الخوف من أن ندخل في علاقات انسانية ، خشية الفشل أو الرفض أو الألم ، وخوفنا من الألم هذا يحرمنا من أن تنشأ علاقات بيننا وبين الآخرين .

أن تحب ، يعني أن تخاطر . فأنت عندما تعرض نفسك على شخص آخر ، تكون معرضا الى أن يرفضك الطرف الآخر . . ولكن اذا ما أحكمت حماية نفسك من الام الرفض فأنت بذلك تجعل من المستحيل أن تنشيء علاقة بينك وبين الآخرين ، أو تصل علاقتك بهم الى مستوى التآلف .

في العديد من الحالات ، يعمد الطرفان الى ابقاء العلاقة بينهما عند حدها الأدنى ، تخوفا من الاحساس بالألم اذا ما انفصمت العلاقة ، وهم في الدفاع عن موقفهم هذا يشيرون الى الوقائع المؤلمة من حولهم ، للزيجات الممزقة ، وعلاقات الحب المقطوعة ، ومايسببه هذا للأطراف الداخلة في هذه العلاقات الجادة من معاناة . لكن هؤلاء ينسون أنهم باقامة العوائق في طريق العلاقات الحميمة ، ورفع السواتر التي تحميهم من آلام الحب ، يحرمون أنفسهم من عمق ودفء المشاعر الحقيقية في الحياة، الايجابي منها والسلبي .

ويسلك بعض الأشخاص الطريق المضاد ، فهم ما ان يقعوا في الحب حتى يصعدوا أحلامهم الرومانتيكية الى أقصى مدى لها مما يقود إلى خيبة أمل ، غالبا ما يكون لها أثر سيء على الصحة النفسية للانسان .

ان اختيار الطرف الآخر في أي علاقة أو بمعنى أدق حسن اختياره ، يعتبر الركيزة الأساسية التي تقوم عليها العلاقة الراسخة ، ونحن عندما نحاول انشاء علاقة جديدة بشخص آخر ، أو نحاول تعميق علاقة قائمة ، تتدخل في هذا العديد من العناصر الشعورية واللاشعورية .

ومن التجارب التي تفتقر الى النجاح تلك التي





يختار فيها الانسان شريكه بدافع رغبة ملحة في انقاذه ، أو على العكس من ذلك ، عندما يختار الشريك متوقعا منه أن يلعب دور المنقذ في هذه العلاقة ، ومع أن الرغبة في مساعدة ومساندة الصديق أو الحبيب دافع طبيعي مستحب ، الا أن الشخص الذي يغرق في وهم انقاذ شريكه وحل مشاكله يسعى في واقع الأمر - غالبا - الى تحقيق وتأكيد مجده الشخصي ، وفي هذه الحالة يصبح من حق الطرف الأخر أن يستغل هذا الوضع ، ويوكل اليه حل جميع مشاكله ، مستمرئا الفكاك من وطأتها .

كذلك من عناصر الفشل في علاقة الانسان بالأخرين ، توهمه القدرة على علاج نواقص الأطراف الأخرى ، وتقويم تصرفاتها ، وتغيير أساليبها في الحياة ، وتحويلها - بمعجزة - الى صور يحلم بها .

الثقة قبل الحب

عندما تنشأ بينك وبين طرف آخر علاقة تآلف ، تكون معرضا للآلام النفسية اذا ما حاول الطرف الأخر أن يستغلك ، أو يحقق منفعة عن طريقك ، وهنا ينشأ السؤال . الى أي مدى يمكن أن تخاطر بوضع ثقتك في الطرف الأخر ؟

الثقة الحقيقية يجب أن تنمو بالتدريج ، أما الثقة المباغتة المباشرة فغالبا ما تنقصها عوامل الثبات والاستمرار ، ذلك لأن الثقة النامية ، تمتحن على مدى الزمن في وجه الضغوط ، يقول الكاتب مارتن روزنمان ان تنمية الثقة تشبه تقشير البصلة ، عندما يتم نزع القشرة الخارجية يصبح من الممكن الانتقال الى عمق أبعد ، وفي الناس كما في البصل تقوم القشرة الخارجية بدور الحماية . !

ومن بين وسائل اختيار ما اذا كان الطرف الأخر موضع ثقة محاولتك التدريجية للكشف عن مناطق ذات حساسية عاطفية خاصة لديك . . مثال ذلك ، بعض الخبرات الخاصة في ماضيك ومشاعرك نحو عجز تشعر به . . اذا ما استغل الطرف الأخر ما يبلغه ضدك ، فهذا يعني صعوبة تحقق المشاركة وتبادل الثقة ، أما اذا احترم الطرف الآخر مشاعرك وحساسياتك الخاصة ، عندئذ يمكنك أن تكشف له نواحي ضعفك الأكثر حساسية وأنت مطمئن .

وكلما نمت الثقة ، وتزايد الاحترام المتبادل ، أمكنك الكشف عن مزيد من خفايا حياتك ، التي



تعمد الى اخفائها في الاحوال العادية ، دون خشية استخدامها ضدك .

والثقة يمكن أن تنشأ عندما يكون البوح بالخصائص متبادلا بين الطرفين ، ذلك لأن تبادل المشاعر يشجع على المشاركة ، ويوفر الحماية ، ويدعم العلاقة ، والملاحظ أن الناس عندما يمرون بمحنة واحدة تجمعهم ، غالبا ما يكشفون عن خصائصهم الشخصية ، فيتحقق بينهم التقارب المباشر والعميق .

وكوسيلة لقياس مدى الثقة في الطرف الآخر ، يمكنك أن تلاحظ مدى التناقض بين مايقوله وما يفعله ، وان تتأمل خبراتك السابقة معه لتتبين اذا ما كان يلتزم بقوله ، واذا ما كانت تصرفاته توحي بالثقة .

الاعتراف . . أم المناورة ؟

والكثير من المحبين والمحبات يتعامون عن المشاكل التي قد تنشأ بينهم وبين الأطراف الأخرى ، ولايهتمون بمناقشة المسائل الحيوية بالنسبة للعلاقة التي يدخلون فيها ، وغالبا ما يتجاهل المحب تحديد مدى ما وصلت اليه العلاقة مع الطرف الآخر . لهذا ، عندما يقوم المحب بمراجعة افتراضاته ، وعندما يكون واعيا بما يفعله ويقوله الطرف الآخر ، يمكنه أن يصل إلى فهم افضل للعلاقة التي بينه وبين الطرف الآخر .

والكثير ممن يدخلون في علاقة حب ، يترددون في مواجهة الطرف الآخر : هل يعترفون بحبهم أم يعمدون الى المناورة ، قبل الاعتراف بالحب ، وفي كتاب « نظرة جديدة على الحب » يناقش المؤلفان الين ووليامز واليستر هذه المسألة فيقولان :

« يتفق سقراط مع أوفيد مع كتاب كاموسوترا مع برتراند راسل ، في أن الحب يشتعل عن طريق الاثارة والتحدي ، والحقيقة انه من النادر أن تجد اتفاقا واسعا مثل هذا حول مسألة كهذه ، الا أن الدراسات أثبتت ـ لسوء الحظ ـ عكس هذا القول ، ففي أوائل السبعينيات ، عندما بدأنا بحثنا الاول ، كنا نؤمن بهذه الحقيقة ، ونرضى بذلك القول الشائع ، لكن البحث العلمي المنظم أثبت عدم صحته .

لقد قام الزوجان واليستر بالاشتراك مع هيئة من المساعدين الباحثين ، بدراسات تواصلت لمدة خمس سنوات ، وأشارت نتيجة هذه الدراسات الى أن الرجال يحبون المرأة الصعبة ، بنفس الدرجة التي يحبون بها المرأة السهلة . . وهما يقولان :

« كيف اذن يجدر بنا أن نتصرف ؟ . . هل نعترف للطرف الاخر بأننا نحبه حتى نوفر له الاطمئنان ؟ . . أم يجب علينا أن نناور في ذلك ؟ . . الاجابة المثلى : تعرف بشكل طبيعي ، فمن المستحيل التنبؤ بما يميل اليه الطرف الآخر ، البعض ينجذب الى النوع الوديع ، والبعض الآخر يفضل الشريك الناقد المنطوى ، لذا فالتصرف الأسلم هو أن نلتزم الأمانة والصراحة ، نعلن اعجابنا بمن نحب ، ونطرح آمالنا في علاقة معهم . .

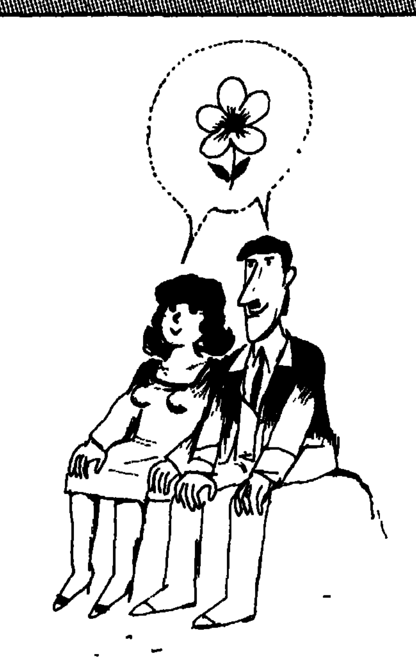
واذا رجعنا الى الدراسات التي أجريت على أساليب الحب عند البشر ، وجدنا اختلافات في هذا المجال بين مختلف أنماط المحبين ، المحب المناور ، الذي تحمسه الاثارة ويستهويه التحدي ، يستجيب بحماس غالبا للطرف الآخر الذي يصعب الوصول اليه ، أما الذين ينتمون الى نمط الحب الشبقي أو الشهواني . وكذلك الذين ينتمون الى أنماط الحب العملي أو حب التملك ، فهم عادة يستجيبون لاعتراف الحب المباشر من الطرف الآخر .

وبين هذين الموقفين نجد الذين ينظرون الى الحب كعطاء أو كصداقة .

مواقف أنماط المحبين

عندما يتحقق الحب وتنمو الثقة يبقي السؤال : هل أكشف أسراري الشخصية أمام الطرف الآخر ، أم أكتمها عنه ؟

المعروف أن نمو علاقة الحب يساعد عليه الادراك المتبادل ، والكشف المتبادل لمناطق النفس البشرية ،



الأمر الذي قد لايكون مقبولا بالنسبة للأشخاص الآخرين .

عندما يطرح المتالفان أفكارهما ومشاعرهما ، يحققان فهما أدق لبعضهما ، ويتيحان لحبهما أن ينمو ، ولكن هل يحسن أن يتكتم أحد الطرفين على بعض الأسرار ؟ هل يكون الكتمان أكثر فائدة في بعض الأحيان ؟ هل يؤدي البوح ببعض الأسرار الخاصة للطرف الآخر الى تخريب العلاقة ؟ . . الاجابة الدقيقة عن هذه التساؤلات تختلف باختلاف انماط وأساليب الحب التي يلتزمها ، ويندرج تحتها كل من الطرفيْن .

الذي ينتمي الى نمط الحب كصداقة ، يفيده البوح الكامل وبكل عناصر القصور والنقص ، ويكون دائما على استعداد للصفح كلما لزم الأمر .

أما الذي ينظر الى الحب كتملك،الذي تستولى على نفسه الغيرة ، فيكون حسّاسا بشدة لاحداث الماضي ، واحتمالات المستقبل التي قد تهدد حبه للطرف الاخر .

المحب العملي ، يحسن تقبل نواقص الطرف الأخر ، ويساعد في حل مشاكله اليومية ، لكنه في نفس الوقت يجري تقييما لما يتجمع لديه من معلومات عن الطرف الأخر من خلال المكاشفة ، ويبدي اهتماما خاصا بتلك الحقائق التي يمكن أن تهدد العلاقة في المستقبل .

ونواقص الطرف الآخر وأسراره الخاصة ، قد تثير المحب المناور في بعض الأحيان ، ولكنها قد تصدمه في أحيان أخرى ، وهو في جميع الأحوال ينظر الى مايصل اليه باعتباره كنزا من المعلومات القيمة الثمينة التي يحتاج اليها ، ويعتمد على تفاصيلها عندما يخطط مناوراته القادمة . وفي أحوال خاصة ، قد لايتورع عن استخدام ما بين يديه من معلومات ضد الطرف الآخر ،

اما المحب من النوع الشبقي أو الشهواني ، فيسعى الى معرفة كل المعلومات الممكنة التي تتصل بالحياة الجنسية للطرف الآخر ، محاولا التعرف على خلفياته ، لكنه غالبا ما يتجنب اثارة الحقائق التي لا تتصف بالرومانتيكية (مثل تفاصيل مرض أصاب الطرف الأخر . .) .

تعلم الرماية

وبصفة عامة يكون هناك تناسب طردي بين مدى المشاركة الانسانية بين الطرفين ، وبين درجة الثقة المتبادلة .

عندما تتحقق الثقة فان الكشف المتبادل لنواحي النقص ومشاعر العجز تزيد من ترابط الطرفين .

والمشاركة الأمينة ، والكشف الصادق الكامل ، قد يكون أكثر صعوبة وتعقيدا في مجال الشئون الجنسية ، ومع ذلك فان الحب الناجح في هذا المجال يعتمد على التفاهم الكامل بين الطرفين ، تقول العالمة النفسية هيلين سنجر كابلان ، الاخصائية في شئون الجنس ، ان الذي يرغب أن ينشىء علاقة حب مؤثرة دون أن يقيم تفاهما متبادلا مع الطرف الآخر ، يكون أشبه بالذي يريد أن يتعلم الرماية وقد عصب عينيه ! وتؤكد ضرورة أن يسعى كل طرف من طرفي العلاقة الى معرفة مايسعد الطرف الآخر ويسره ، فمن خلال المشاركة العقلية الصادقة الأمينة ، يمكنهما أن يحققا أكبر احتمالات الحب الناجح . □



وقفة علمية مع ..

أوّل صرخة للطفل

بقلم : الدكتور ضياء الدين الجماس

صرخة المولود ساعة يولد هي لحظة مصيرية يترتب عليها الكثير من الامور ، وفي كل دقيقة تمر تتردد هذه الصرخة مئات الالوف من المرات في جميع اركان الأرض . . فهي اعلان عن استمرار الحياة . . أفلا تستحق منا هذه اللحظة وقفة علم وجيزة اجلالا للماخض وما يتمحض عنه ؟.

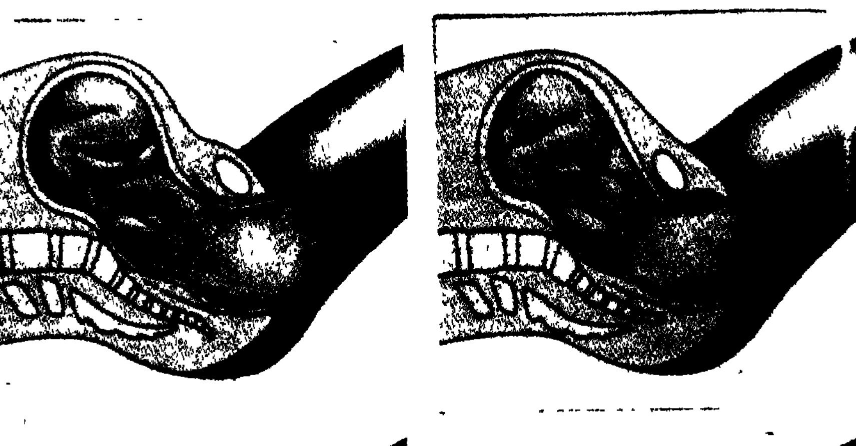
بعد اكتمال اعضاء الجنين ، ونضجها الى درجة تؤهلها للقيام بوظائفها المتكاملة خارج الرحم ، وقبل أن يصبح حجمه كبيراً لا يتناسب مع الطريق المقرر لخروجه ، يقتضي الحال اخراجه في الوقت المناسب ، فيأتي « الأمر » للرحم بالانقباض ، وللطرق الناقلة بالأسترخاء ، فتصبح الرِّحلة سهلة من الظلمات الى النور .

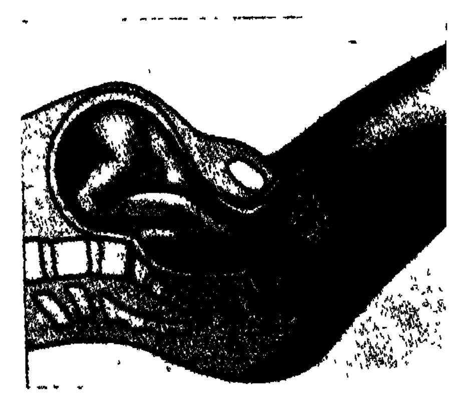
ويطلق على مجمل الأعمال الفيزيولوجية التي تؤدي الى انفتاح عنق الرحم ودفع الجنين وملحقاته للخروج من الرحم الى العالم الخارجي « المخاض » Par-turition ، وأما الولادة Laborفهي حصيلة المخاض وخروج المحصول Delivery ، ويتقبل المولود عالمه الجديد بصرخة مبهمة ، لا تترجم الا بعد سنوات . . فنجدها صرخة طبيب ، أو صرخة عالم ، او صرخة قائد يهز العروش . . !

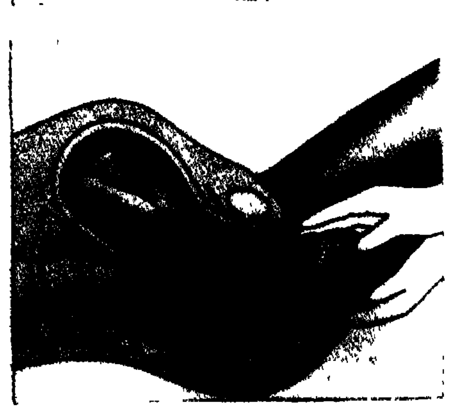
إنّ العناية بالماخض امر مهم ، وتعلمه واجب على كل فرد من افراد المجتمع المتقدم ، لما فيه من فائدة في ازالة الأوهام والمخاوف التي لها تأثير كبير في سير المخاض وزيادة مخاطره . .

إن معظم الولادات (٩٥٪) هي ذات المجيء الرأسي ، وهي التي تمثل الولادات الطبيعية التي يمكن ان تجري فى المنزل في كثير من الاحيان (ما لم يكن هناك عسرة ولادية تحتاج الى نقل الأم للمستشفى) ولذلك كان لابد من التدقيق في حساب التاريخ المقرر لحدوث المخاض ، لاتخاذ الاحتياطات اللازمة قبل وقوعه . ولكن لابد ان نعلم ان هذا الحساب تقريبي ، لأن المخاض يبدأ فجأة ، ولذلك تؤخذ الاحتياطات قبل عشرة ايام من التاريخ المقدر ويكون الحساب سهلا اذا عدنا لأول يوم من الطمث الاخير . بينما تقل دقة الحساب في الطرق الأخرى التي تعتمد على تقدير حجم الرحم ، او طوله الخ . . .

وسأشرح باختصار تفاصيل الحالتين السابقتين :







مراحل تقدم مجيء الجنين (الرأس) عبر المهبل الى خارج الفرج .
لاحظ امساك المولد للرأس بعد تمام خروجه .

١ ـ اذا كان تاريخ أول يوم من آخر طمث معلوما يضاف الرقم (٧) الى تاريخ اليوم ، ثم تضاف تسعة اشهر شمسية (او عشرة اشهر قمرية) فمثلا : اذا كان تاريخ اول يوم من الطمث الاخير هو ١٩٨٥/١/١ ، فإن الولادة المحتملة تقع في ١٩٨٥/١٠/٧ ،او قبل هذا التاريخ او بعده بعشرة ايام .

٢ ـ اذا كان الطمث الأخير مجهولا يمكن تقدير عمر الحمل بجس حافة الرحم بين العانة والرهابة وفق ما يلي :

اذا جُسَّ الرحم فوق العانة كان عمر الحمل تقريباً ١٢ اسبوعا .

واذا جس الرحم بين السرة والعانة كان العمر ١٦ اسبوعا .

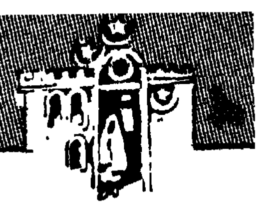
واذا جس الرحم عند السرة كان عمرُ الحمل ٢٠ ـ ٢٢ اسبوعا .

واذا جس بين السرة والرهابة كان عمر الحمل ٣٢ ـ ٣٣ أسبوعا .

ويكاد الرحم ان يلامس الرهابة في الأسبوع السادس والثلاثين من الحمل . ثم ينخفض عن الرهابة بعد ذلك عندما يدخل الرأس في الحوض ، ويتم ذلك في الاسبوع ٣٨ عند (الحوامل للمرة الأولى) ، بينها يتأخر عند الولودات حتى قرب المخاض . والشكل (١) يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر ، وعندما تقترب الايام الاخيرة لتمام الحمل ، قد تشعر الحامل ببعض العلامات والأعراض التي تنذر بقرب المخاض الحقيقي ، وهي :

● المخاض الكاذب : **false parturition (labor)**

وهو شعور الحامل بازدياد شدة التقلصات الرحمية ، وتقاربها ، ولكنها تبقى غير منتظمة وغير مؤلمة غالبا ،



ولا تؤدي الى تغيرات في عنق الرحم . وكثيرا ما تدفع هذه التقلصات الحامل الى الطبيب او القابلة .

● **التخفف :**

وهو شعور الحامل بهبوط مستوى قعر الرحم ، فتخف لديها الاعراض الناجمة عن ضغط الرحم على المعدة ، والحجاب الحاجز (ضيق النفس ، وثقل الطعام الخ . .).

وكثيرا ما تعبر الحامل عن هذا الشعور « بسقوط الولد » ، وفي الحقيقة يحدث ذلك نتيجة دخول المجيء في الحوض . .

● **العلامة :**

وهي ما تلاحظه الحامل قبل ١٢ ـ ٢٤ ساعة من بدء المخاض الحقيقي من مواد مخاطية مُدمّاة ، وتمثل في غالب الاحيان مخاط عنق الرحم الممزوج بالدم المرتشح من العنق اثناء امحائه واتساعه .

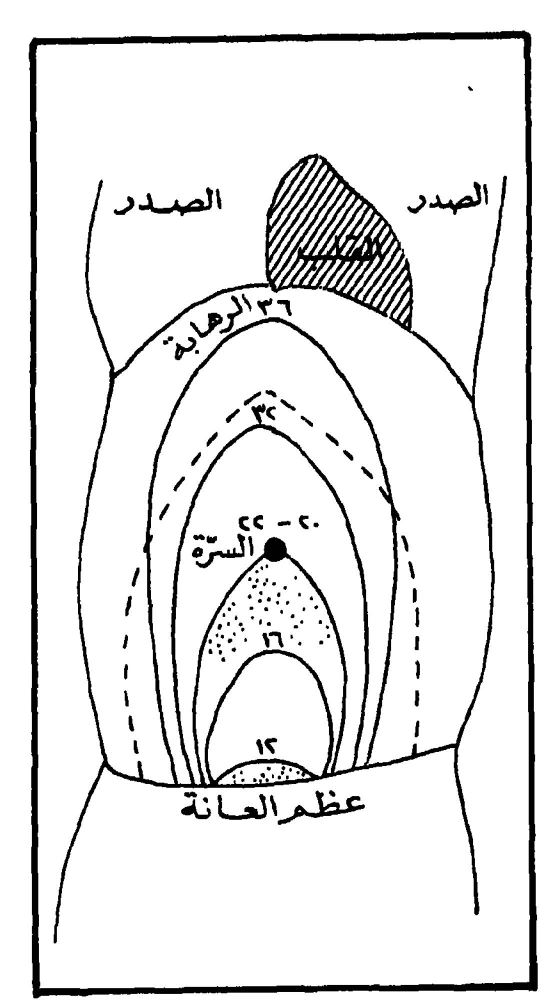
التصرف السليم في هذه المرحلة :

اذا شعرت الحامل بأحد هذه الأعراض او كلها ، فلتعلم أنّ موعد المخاض الحقيقي قد اقترب وأن هذه الاعراض طبيعية ، ولتكن رابطة الجأش قوية العزيمة ، ولتوكل امرها الى الله . .

وعليها ان تقوم ببعض الاجراءات التي يرشدها اليها الطبيب في زياراتها السابقة تستدعي المولد (الطبيب او القابلة) اذا كانت ترغب بالولادة المنزلية ، اما اذا كانت تلد لأول مرة فيفضل أن تنقل الى المستشفى .

وعلى اية حال يحدد الطبيب المكان الافضل للولادة .

ومع المخاض الحقيقي تصبح التقلصات الرحمية منتظمة ، ومؤلمة ثم تتزايد بالتدريج ، وتؤدي الى امحاء واتساع عنق الرحم ، وتكون حصيلته خروج محتوى الرحم (الجنين وملحقاته ، والصاء او السائل السَّلَىّ) الى العالم الخارجي عبر القطعة السفلية والمسالك التناسلية . ويعتبر المخاض طبيعيا اذا كان المجيء رأسيا قميا ، واستغرق زمنا طبيعيا (٨ ـ ١٠) ساعات عند الولود ، و (١٢ ـ ١٤) ساعة عند من لم تلد من قبل .



الشكل يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر .
تمثل الأرقام عمر الحمل مقدراً بالاسابيع .
والخط المنقط يبين حدود وحجم الرحم بعد هبوط قعره دون الرهابة . وذلك في الاسبوع ٣٨ عند الخروج .

أسباب الألم في المخاض :

لم تعرف اسباب الألم في المخاض حتى الوقت الحاضر ، ويعتقد انها تنجم عن احد العوامل التالية او جميعها :





تـدخل المولـد وتخليص الكتفين وباقي الجسم . لحظات حرجـة . ثم الابتسامة .

● فقر الدم الموضعي ، ونقص الاوكسجين في الليف العضلي الرحمي بسبب التقلصات .
● الضغط على النهايات العصبية في العنق والقطعة السفلية من الرحم .
● التمطط الواقع على الطبقة المصلية الصفاقية المغطية للرحم .
● توسع عنق الرحم .

ومن صفـات الألم المخاضي انـه يـرافق التقلصـات الرحمية ، ويزداد شدة ومـدة كلما تقاربت الـطلقات (التقلصات) ، فيحدث كل ٢٠ دقيقة ثم يتقارب حتى يصبـح كـل دقيقتـين اثنـاء المـرحلة الثـانيـة للمخاض ، ويستمر لمدة ٤٥ ـ ٧٥ ثانية .

مراحل الولادة :

تتم ولادة الجنين وملحقاته وفق ثلاث مراحل (في المدرسة الامريكية) :

١ ـ المرحلة الأولى وتستمر حتى تمـام امحاء واتسـاع العنق ، وذلك نتيجة للتقلصات الفاعلة لجسم الرحم والتي تؤدي الى التمدد المنفعل للقطعة السفلية للرحم فتؤدي بدورها الى امحاء العنق فاتساعه . ويسـاعد على ذلك ايضا تقدم المجيء .

٢ ـ المرحلة الثانية وتشمل كامل الحوادث التي تؤدي الى اخـراج الجنين والسـائل الصـائي (السَّلَىَ) الى خارج الرحم .

٣ ـ مرحلة ولادة المشيمة (الخلاص) .

واذكـر فيما يـلي وصفا مبسـطاً لتتابـع هذه المـراحل عمليا :

تشتـد الطلقـات الفاعلة وتتقـارب فتؤدي الى امحاء العنق وتوسعه ، حتى يبلغ تمام الاتساع (١١ سم) ثم ينثقب جيب المياه (يسمى ماء الرأس عند العامة) اما تلقائيا ، او بتدخل من المولد ، فينفرغ السـائل السّـلَىَ (الصّـاء) فينقص حجم الـرحم وتـزداد الطلقات شدة وتقاربا وعدداً ، وتزيد مقوية الرحم في

الدفع ، فيتقدم رأس الجنين عبر القطعة السفلية ، والمسالك التناسلية ، ويبرز تدريجيا في الفرج حتى يتخلص كاملا ، وعندئذ يقوم المولد بتنظيف المفرزات من أنفه وفمه ، ثم يمسكه بكلتا يديه كالملقط ويجره للاسفل ثم للأعلى فتتخلص الكتفان فباقي الجسم ، يُدَلّىٰ الجنين من قدميه لتنظيف الطرق الهوائية من السوائل المحتملة ، ولدفع الدم باتجاه الرأس فيطلق صرخته الأولى المُبَشِّرة بحياته ، ثم يُلْقَط الحبل السري بملقطي كوشر ، ولا ننسى ادخال كمية من الدم من الحبل الى جسم الجنين ، ثم يقطع الحبل فيما بين الملقطين فينفصل الجنين ، ويوزن بعد ربط السرة بخيط حريري على بعد ١,٥سم من اتصاله ببطن الوليد . وبعد راحة وجيزة (٥ ـ ٢٠ دقيقة) تشتد الطلقات من جديد لخروج المشيمة وتنزل المشيمة وفق احد نموذجين :

١ ـ نموذج شولتز وهو ان تخرج المشيمة بوجهها الجنيني ، من الفرج ، ويحدث ذلك في ٧١٪من الحالات .

٢ ـ نموذج دونكان وهو خروج المشيمة من حافتها ، وذلك في حالات الارتكاز المعيب ، على القطعة السفلية مثلا ، ويحدث هذا في ٢٩٪ من الحالات .
واذا لم تخرج المشيمة بعد ضغط الام ، يمكن جرها بلطف مع دفع خفيف على قعر الرحم بعد التأكد من انفصالها عنه . ولا مجال للتفصيل اكثر من ذلك لأنه يتعلق بالاخصائية ، ويجب التأكد من اكتمال خروج اجزاء المشيمة ، ثم وزنها ايضا .

انذار المخاض :

إنّ أفضل سن للولادات بين سن ٢٠ ـ ٣٥ سنة . والولود اسرع ولادة من اختها التي لم تلد من قبل ، ويعتبر المجيء القمي الايسر الامامي هو ايسر الولادات .

تتعرض الزوجة التي تلد لاول مرة اذا كانت دون السادسة عشرة للولادات الآلية ، والقيصريات . واذا كانت مسنة (اكبر من ٣٥ سنة) فتضاف للاختلاطات السابقة احتمالات التعرض لفرط التوتر الشرياني ، والبدانة ، والورم الليفي ، والمجيئات المعيبة ، والمنغولية ، وطول المخاض بسبب عدم تناسق العمل الرحمي ، وللقسط المفصلي العجزي العصعصي .

اما كثيرات الولادة فيتعرضن للنزف بسبب كثرة مصادفة الارتكاز المعيب ، والانفكاك الباكر للمشيمة ، ويتعرضن للعطالة الرحمية وتمزقاتها ، ونزوف المرحلة الثالثة من المخاض .

الفترة الفاصلة بين الولادات :

تعتبر مدة الرضاع (سنتان) افضل فاصل بين الحمل فهي كافية لاستعادة قوة ونشاط الجسم وتحمله لحمل جديد ، فاذا تكرر الحمل قبل ذلك التاريخ انهكت الحامل ، واذا طالت عن ذلك اصبح انذار الحمل الجديد يعادل انذار الحمل عند من لم تلد قبل ذلك ، وفي كتاب الله عز وجل نجد الآيتين الكريمتين :

● « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة » ، البقرة ٢٣٢ .

● « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا . . » الاحقاف ١٥ .

فنجد ان الأولى تتماشى مع المبدأ الطبي في الرضاع الكامل ، واباحت الثانية مدة اقل فاذا كان الحمل تسعة اشهر ، كان الرضاع واحدا وعشرين شهرا ، والمهم ان اقل مدة ممكنة للحمل المثالي هي ثلاثون شهرا بما فيها مدة الحمل السابق . □

■ ان أقبح رجل في عين المرأة أجمل من جميلات جنسها .
(عباس محمود العقاد)

مساحة وُدّ

أبناء هذا الزمان

لم يعد هذا الجيل مثل أجيال سبقته ، ولم يكن التعبير الحاد في أخلاقه وهواياته واهتماماته فقط ، بل امتد الى عقله وطريقة تفكيره ، كنت في زيارة لأسرة صديقة ، ويبدو أنني ذهبت في وقت غير مناسب ، فالأعصاب كانت مشدودة ، والكلمات حادة ، والتوتر يخيم على البيت كله .

كان حوارا ثلاثيا بين الأبوين وابنهما الطالب بالجامعة الذي فاجأهما بأنه لايستسيغ دراسته الجامعية ولايفهمها ، وانه يريد أن يسافر للخارج ليدرس ما يحب . وبدأ النقاش يدور حول هذا القرار الذي ألقى به بتصميم نهائي ، وعرضت مغريات وامتيازات وتنازلات ، وكثير من الطلبات التي كانت مؤجلة ، أعلن أبواه موافقتهم على تنفيذها الفورى ، ورغم هذا أصر الابن على أن نوعية الدراسة لا تروقه ، ولا يستطيع استساغتها ، ودخلت طرفا في النقاش ، وبدأت أسمع أفكاره وأنظر من خلاله الى جيل بأكمله كيف يفكر .. وينظر للأمور . قال لى ان التعليم لم يعد مجديا ، وعائد التعليم لايصنع حياة ولا يحقق رفاهية ، وكم من أناس متعلمين في دائرة حياته لم يصنع التعليم لهم شيئا ، ولم يرتفع بمستوى حياتهم إلى الحد الذي يعيش فيه صاحب أقل حرفة ومهنة .. ولذا فان كل أحلامه أن يسافر للخارج يدرس لمدة عامين في مجال هندسة الصوتيات ، أو الأجهزة الدقيقة ، ويعودليفتتح مشروعا صغيرا يقوم فيه بالتسجيل الغنائي للشرائط الغنائية و .. و .. وأحلام كثيرة كبيرة ليس للتعليم فيها أي نصيب .. وكل مايريده من الخارج أن يضع بطاقة يقول فيها انه تعلم في بلد كذا .. ولم ينته النقاش الى نتيجة ، ولكن عقلى أخذ يتساءل عن جيل بأكمله يفكر بهذه الطريقة ، لم تعد القيم الاجتماعية التي كانت هي العمود الفقرى للمجتمعات كما هي .. سقطت قيمة العلم والمعرفة ، وتعاظمت قيمة المال .. لم يعد العمل والجهد الانساني هو ملح الحياة .. صارت الرفاهية هي حلمها النهائي وغايتها ، صحيح ليس مرضا ولا عيبا أن يتجه البعض الى العمل المهني ولكن الكارثة أن يتصور البعض أن هذا الاتجاه بديل عن العلم ، الآ يعترف بقيمة العلم والمعرفة .. وليس سهلا أن نضع أصابعنا على سبب الأزمة .. فالتغيير الذي أصاب مجتمعاتنا .. استهدف نخاع العظم .. فتبدلت قيم بدونها لاتحيا المجتمعات ولا تستمر الأمم .. ولكن المتبقي أن هناك جيلا قيمه وأحلامه وأفكاره غير جيلنا .. وهذا الجيل هو كل المستقبل .. فهل نجلس لكي نسمع طويلا له ، ونفكر كيف سيكون شكل الغد ؟!

محمود عبدالوهاب



هو ....

في انتظار الموت

● احساس جارف بقرب نهاية رحلتي في هذه الدنيا ، صحيح أنني أعرف وأومن أن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ، ولكن كل الشواهد والمقدمات والخبرات تقول لي بانه لم يبق لي في هذه الدنيا كثير ، منذ عامين وأنا أعاني من صداع حاد بالرأس ، يأتي على شكل نوبات في أسفل الرأس وأعلى العنق ، ولم أترك طبيبا الا وعرضت نفسي عليه ، وأجريت عديدا من التحاليل ، وجربت كل أنواع العلاج حبوبا وحقنا وعلاجا طبيعيا وجلسات علاج بالكهرباء . . وافترض الأطباء كل الأمراض ووصفوا لي كل أنواع العلاج . . من الصداع النصفي الى التهاب الأعصاب الى تآكل فقرات العنق . . الى فحص قاع العين إلى ما يخطر على البال من مسببات .

ولأن زميلة لي وصديقة عمر قد فارقت الدنيا . . بأعراض كهذه . . بعد أن حار الأطباء ورحلات العلاج وعشرات الوصفات ، واذا كان الأحمق هو من لايتعظ بغيره فقد وعيت تجربة صديقتي الراحلة واتعظت بها ، وبدأت أصفي أوراقي وحساباتي ، وأمنح غفراني وحناني لكل من حولي . . . وأوصيت شقيقتي على ابنتي الوحيدة ، ورجوت زوجي الا يدخل بيتي امرأة أخرى قبل عام . . وتمنيت عليه أن يحسن معاملة ابنتنا وأن يذكرني بها ، ويذكر أياما طيبة كثيرة كانت لنا . . وذكريات جميلة رائعة كانت هي العمر . . قلت لأخوتي وأهلي لا أريد دموعكم ولا صراخكم . أريد منكم حسن رعاية لوحيدتي التي أتركها أمانة للدنيا والناس ، ولا أريد منكم زهورا ولا حداداً، فقط أريد أن تذكروني ولو على البعد بكلمة طيبة ، وقضيت أمسيات كثيرة مع زوجي أفكر معه وأحكي وأقول له أفكاري حول مشاريع مستقبلنا المعلقة التي لم تتم بعد ، وأطلب منه أن يعتاد على التخطيط للحياة وحده ، وعندما يكتمل بناء بيتنا الجديد . . سيذهب اليه وحده . . ويؤثثه وحده . . . ورجوته كثيرا الا يجعل حزنه على سببا في تأخير عمله . . أو معوقا له في العمل . . وقلت له انني أذكر له حسن عشرتي وجميل صحبتي وبره بي وبأهلي ، وانني غفرت له من زمن هفوات صغيرة ، وبعض غضباته ، وسألته أن يسامحني ان كنت قد اسأت له ، وأقسمت له أنني وفيت له بعهده . . وعندما سألني يوما لماذا كل هذا ؟ قلت انني أصفى أوراقي مع الناس في الدنيا في انتظار رحمة ربي ، ومازال الألم يعصف بي .

هي



هي .... الحُبُّ وَالوهم

● يصاحبني الأسى ، يصبح الحزن غيمة مبللة بالدمع تسكن العيون ، يد ثقيلة قاسية تقبض على القلب وتعتصره ، من حكمة الله ـ سبحانه ـ ورحمته اننا لانعرف موعد رحيلنا عن هذه الدنيا ، لأن أقسى مايواجهه انسان ان يظل متوقعا ملاك الموت يأخذ روح أعز الناس لديه بين لحظة واحرى .

يصبح مرور الأيام كئيبا وثقيلا ، أخطو صباح مساء ، وأنا لا أدري هل أعود الى البيت فأجدها كل مساء عند عودتي . . أقف طويلا أمام البيت أصيخ السمع ، اتصنت خشية أن يحدث ما أخشى وأخاف .

اعتذرت عن أعمالي وارتباطاتي في المساء . . صرت أعود من عملي ظهرا ، فأجلس معها لا أغادر البيت حتى صباح اليوم التالي ، لولا بقية جَلد لانهمر دمعي وهي توصيني ذات مساء وتمنحي سماحها وغفرانها . . وتسألني أن أسامحها ان كانت قد أساءت . . وتختصر العمر في كلمة ولحظة . . وترجوني الا أدخل بيتها امرأة أخرى قبل عام . ويصبح الحزن شلالا هادرا يفيض من العين والقلب .

جمعت كل صور الأشعة ، ونتائج التحليلات والفحوصات ووصفات الدواء ، وذهبت ـ بناء على مشورة صديق ـ لأول طبيب عالجها منذ عامين ورفض أن يصف لها دواء . . أمام الطبيب وأثناء الحديث معه تفجرت الحقيقة كاملة أمامي . . قال لي الرجل انها سليمة ليس بها أي عارض عضوي ، ولا تشكو من أي شيء ، وعندما حكيت له عن انتظارها للموت ، وان صديقتها قد ماتت بنفس الأعراض . . قال الطبيب هذا هو مرضها . . صديقتها التي ماتت ، والأعراض التي اشتكت منها صديقتها تشكو هي منها وتنتظر من ثم نفس النتائج . . انه نوع من وساوس الوهم . . ينتاب البعض لفرط حبهم للذين رحلوا . . وتحت وطأة الوهم والحب والخوف تتوالد أحاسيس وأوهام الموت . . عدت يومها مسرعا للبيت لم أتسمع أصواتا ، ولم أخش شيئا ، نقلت لها كل ما قاله الطبيب . . وأنا أرقص حولها ايقظت ابنتنا من النوم . . حاولت أن أنقل فرحتي لهما . . ولكنها نظرت الي طويلا وهمست لي شاكرة ، فقد تصورت أنني أخفف عنها وطأة الانتظار .

هو



من الحياة

عندما تجف أيّام العمر !

ثمة شعور غريب احتواه وهو يحزم حقائبه ويستعد للرحيل . كان يحس بالضياع وهو يدور حول نفسه وسط تلك الاكوام من الكتب والملفات التى ازدحمت بها غرفة مكتبه .. مئات من المراجع والملفات التى تراكمت على مدى تلك الرحلة الطويلة التى قضاها بينها فى هذا العمل الذى أحبه وأعطاه أجمل سنى النضج من حياته .. رحلة حفلت بالأحداث التى بقيت ، وسوف تبقى ذكرياتها محفورة فى رأسه ..

ولكن لماذا الآن ؟ ما الذى دفعه الى التفكير فى الرحيل فى هذا الوقت بالذات ؟ هل ملّ الحياة التى اعتاد عليها على مدى تلك السنوات الطويلة التى كانت بدايتها منذ عشرين عاما أو يزيد أم هو الحنين الى الأرض التى انجبته ، والى المكان الذى أمضى فيه طفولته وصباه وشبابه .. والى العمل الذى وجد فيه نفسه وهو يحبو وسط جيل من العمالقة ، فى أول واكبر مدرسة من نوعها فى الوطن العربى ؟

كانت كل هذه الخواطر تدور فى رأسه وتلح عليه وهو يجمع أوراقه ويحزم كتبه ، فيتوقف متأملا أحيانا ، أو يبحث لنفسه عن مقعد مريح يغرق فيه جسده المتعب لفترة قصيرة يغفو فيها ويعود معها إلى ذكريات هذه السنين الطويلة التى قضاها فى أحضان هذا البلد الشقيق ، ثم لا يلبث أن يصحو على صوت زوجته التى شاركته رحلته الطويلة .. وهى تسأل فى لهفة : « أليس هناك وسيلة تتيح لنا البقاء ولو لسنة أخرى .. سنة اخرى فقط ؟ .. لقد كان كل شىء يسير سيرا طبيعيا ، انا لم نستعد لهذه المفاجأة ، ربما استطعنا أن ندبر امورنا خلال هذه السنة . ثم لا تنس يا عزيزى اننا سنترك وراءنا أعز ما نملك .. ابناءنا الذين عشنا لهم ومعهم ، ولم نفترق عنهم لحظة واحدة .. هل يتركون هم أيضا أعمالهم ليلحقوا بنا ... لقد كبروا وتعلموا وشغلوا مناصب مرموقة واستقلوا بحياتهم ، صحيح أن هذه هى طبيعة الحياة .. ولكن هل نستطيع ان نتصور كيف سيكون طعم هذه الحياة الجديدة ونحن نعيش بعيداً عنهم . انهم كل حياتنا ودنيانا .. !

وتخرج الزوجة تاركة زوجها مع أوراقه وكتبه وذكرياته .. تخرج مهرولة حتى لا يرى تلك الدمعة الحائرة التى حاولت أن تحبسها حتى اذا ما أحست أنها لم تعد قادرة على الاستمرار فى محاولتها .. سارعت بالابتعاد لتبكى وحدها وهى تحاول أن تريح رأسها المتعب فوق فراشها . !

ويعود هو إلى حيرته .. وإلى ذكرياته . لقد انتهت رحلته لأنه أصبح عجوزا . صحيح لقد تقدم به العمر ، فقد تجاوز عامه الستين ، ولكنه ما زال يتمتع بصحة طيبة .. ثم أنه قادر على العطاء ، تماما كما كان دائما منذ أن بدأ يعمل فى هذه المهنة التى أعطاها كل عمره .. ولكنها القوانين واللوائح .. ان من يبلغ الستين ويتجاوزها لا بد له أن يتقاعد .. لا بد ان يستريح ولكن أية راحة ! لقد أحب عمله



الجديد وتمنى لو انه بقى فيه حتى اخر أيام عمره .

وقديما قالوا · سعيد هو الجندى الذى يسقط فى ساحة القتال !

* * *

والتقاعد حكم بالموت . وكأنهم يقولون لمن يبلغ هده السن التى ينسى الكثيرون يوم عبور الجسر اليها إذهب واسترح ، فقد يدق الموت بابك ويجب ان يجدك فى انتظاره هناك !!

ولكنها مرة أخرى طبيعة الاشياء . . ولا بد للأجيال الجديد أن تمنح نفس الفرص التى أتيحت لآبائهم وأجدادهم . . !

القديم يتوارى . . والجديد يتقدم الصفوف . . ولكن تبقى بعد هذا ، التجربة والخبرة الطويلة ، وهما اكبر مدرسة للشباب وهي دائما هناك على استعداد للعطاء . .

وعاد الى رحلته الجديدة التى ستبدأ بعد أيام قليلة الى عالمه القديم . . ترى كيف ستبدو الصورة التى انتعد عنها طوال هذه الاعوام ؟ كيف ستكون الحياة مع الخريف ؟

وأحس برعشة تسرى فى جسده . . ! عندما ترك البيت الذى يستعد الان للعودة اليه . . كان كل شىء فيه يبتسم للحياة . . كان سعيدا قانعا بحياته مع رفيقة عمره وابنائه الصغار . . وكانت رائحة الربيع تملأ البيت الصغير السعيد الذى قضوا فيه جانبا من الكفاح الذى يبدأ مع هذه التجربة الجديدة فى حياة كل زوجين شابين ولكنه كان كفاحا لذيذاً ما لبثا أن أحسا بعده بالسعادة والاستقرار ، ولولا ذلك الحدث الكبير الذى ترك فى قلوب أفراد هذه الاسرة الصغيرة جرحا لا يلتئم ، لاستمر قارب الحياة يسير بها وسط



الأمواج حتى يصل الى شاطىء الأمان . . وقرر أن يبتعد هو وأسرته لينسى ، لعله يجد فى البعد سلوى !

* * *

كانت هذه هى الصورة التى ابتعدوا عنها . . أما اليوم فقد تغيرت ملامحها . . انه لن يجد فيها شيئا يمت الى الماضى بصلة . . كانت من قبل ربيعا دائما . . أما الآن فقد اقتربت من الخريف . والرحلة الى خريف العمر مخيفة تمتلىء فيها السماء بالغيوم ، وتعصف خلالها باوراق الشجر فتتساقط امام الأعين جافة ، وهى التى كانت تمتلىء يوما بالحياة . . لقد غربت شمس الربيع الى غير عودة . . .

ترى كيف ستكون الحياة فى هذا البيت الكبير الصغير الذى امضى فيه مع اسرته اجمل سنى شبابه ، كيف سيعيشان في هذه الوحدة، بعيدا عن أعز الناس الى قلبيهما . لقد وقفا في عناد منذ اكثر من ثلاثين عاما ، يبنيان هذا العش الصغير معاً قطعة بعد قطعة . إن كل ركن فيه يحمل لهما اجمل الذكريات كل شىء يحدثهما عن الايام الحلوة التى امضياها مع اطفالهما الصغار . .

لقد قضى مع زوجته الايام والشهور والسنين يبنيان ويبنيان حتى استطاعا أن يثبتا اقدامهما على الأرض ، وانتهت المرحلة الاولى من البناء بعد كفاح ومجهود كبيرين ثم بدأ الزوج يشق طريقه فى الحياة بنجاح ، ويصعد الى الادوار العليا درجة من بعد درجة وأن يوفر لعشه الصغير كل مقومات البيت السعيد . . ولم ينس دورها أبدا . . تلك الفتاة الصغيرة التى أحبها وبقيت صورتها عالقة فى ذهنه لسنوات طويلة ، قبل أن يلتقى بها مرة أخرى فيسارع إلى الزواج منها قبل ان تختفى . . لقد وقفت دائما بجانبه تدفعه وتشجعه وتشاركه كل آلامه وأفراحه وهو يصعد سلم الحياة . . كانت دائما قريبة منه وهو يبحث عن مخرج للأزمات المالية التى تصطدم بهاحياة كل زوجين شابين بعد وصول الضيوف الصغار . .

ما أسرع ماتمر الأيام . . عشرون عاما أو اكثر انقضت منذ أن اغلق الزوجان باب بيتهما وراءهما حاملين اطفالهما وآمالهما إلى البلد العربى الشقيق الذى تعاقد على العمل فيه . . وها هما يعودان اليه الآن . . يعودان وحدهما . . كل شىء فى البيت كما تركاه ، وربما أصبح اكثر بريقا بعد عملية التحديد التى سبقت عودتهما اليه ، حتى تزول آثار السنين التى صنعت به ما صنعت خلال تلك الغيبة الطويلة .

ولكنه بريق بلا حياة ، فقد غاب عن البيت ذلك الصوت الذى أحباه وعاشا له ومعه . . صوت الاطفال فى لهوهم ، ولعبهم وحتى فى بكائهم . . وصوت الحياة التى اعتادا عليها وألفاها بين أرجاء البيت الذى كان كل شىء فيه يعيد اليهما ذكريات الشباب الذى ولى ولن يعود . .

لم يكن غريبا أن يحدث لهما ما حدث وهما يستعدان لبدء حياتهما الجديدة مع خريف العمر . . يالها من رحلة قصيرة بدت كما لو كانت فصولها الاولى والاخيرة تعيش معهما ، ولا تريد أن تفارقهما لحظة واحدة . .

لقد كانت كل أمنيتهما فى الحياة أن يكونا قريبين من أبنائهما حتى بعد ان يكبروا ويستقلوا بحياتهم . ولكن هكذا شاء القدر ، أن يفترقا عنهم .

* * *

وتبدأ رحلتهما مع الحياة الجديدة . . الايام تمر عليهما فى رتابة تحمل معها شعورا ثقيلا بالملل . . كل الايام تشابهت . . لم يعد هناك شىء يفرق بين يوم ويوم . . لم تعد عطلة نهاية الاسبوع تعنى شيئا خاصا بالنسبة اليهما ، فكل ايام الاسبوع عطلة . . صحيح انه يحاول أن يعمل فى البيت . . أن يملأ بعض وقت الفراغ الطويل بالقراءة أوالكتابة ، ولكنه عمل غير منتظم عمل يخضع لمزاج صاحبه ولو أنه فى النهاية أفضل من لا عمل على الاطلاق .

ربما كان الشىء الوحيد الذى يعيد الحياة الى هذا البيت الذى يسكنه الهدوء والوحدة والملل هو ذلك الصوت الحنون الجميل الذى يتحرقان شوقا اليه

يحمله الهاتف من حين لآخر . . صوت الابناء الذين تركوهم وراءهم ، يعيشون حياتهم ويحتون عن مستقبلهم . هم أيضا بدأوا يشعرون بالوحدة بعد رحيل الابوين وتسمع الأم صوت ابنتها من البعد فلا تجد غير الصلاة تنفس بها عن صدرها الذى يحتزن أجمل المشاعر التى تحملها كل أم لابنائها . . ولكنها لا تلبث أن تتمالك نفسها وتحس بالارتياح . . انهم بخير . . وهذا هو كل ما تتمناه وتدعو ربها من أجله !

وتمر بضعة ايام ، تعود الأم بعدها الى قلقها ، والى شوقها لسماع صوت ابنائها وتسرع الى الهاتف تناديهم مع ساعات الفجر الأولى قبل طلوع الشمس . ويدور الحديث ى لهفة ، ولكنه لا يلبث ان ينتهى وتقضى الأم يوما سعيداً احر . . ولكنها سعادة مؤقتة لا تلبث أن تخبو تدريجيا ى انتظار غد جديد !

* * *

وتمضى بها الحياة ثقيلة متباطئة . . الى أن يجىء اليوم الذى تقف فيه الأم وسط غرفتها وقد انتوت أمرا . . ولكن ما هو انها لم تعد تحتمل الحياة بعيدا عن أنائها وأحفادها الصغار . انها لا تستطيع أن تمضى ما تبقى لها من عمر تنتظر تنتظر رنين جرس الهاتف لتسمع صوتهم وتنتظر ساعى البريد وهو يحمل لها الرسائل التى تمتلىء باخبار صغارها فى وحدتهم تنتظر الموعد الذى حددوه لزيارتهم لها أو زيارتها لهم ثم يعودوا أوتعود ، وتبدأ تعد الايام للقاء جديد . . لا . . انها لا تستطيع أن تمضى فى هذه الحياة طويلا . . انها تحس بأن قطعة منها تنتزع مع كل يوم يمر وتغرب فيه الشمس ، وكأنها تراها فى غروبها لاخر مرة . .

وذات صباح صحا الزوج من نومه . . ولم يجدها . . لقد تركت زوجته وشريكة عمره البيت ودهبت . . حملت حقيبة ملابسها . . واسرعت الى المطار تستقل الطائرة التى ستحملها الى هؤلاء الذين احبتهم واعطتهم عمرها كله . .

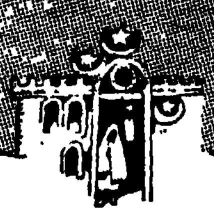
وعلى مائدة صغيرة ى غرفة نومها قرأ الرسالة التى كتبتها بدموعها : « انت تعرف مشاعرى نحوك . . فأنت زوجى ووالد أبنائى . أنت أبى وأمى وكل دنياى ، ولكننى لم اعد احتمل فراقهم . . اننى ذاهبة اليهم لاعيش قريبة منهم . . ارجوك الا تغضب منى . . أنا أعلم أنك فى حاجة إلى رعاية بعد ان بلغت هده السن . . ثق اننى سأكون معك بقلبي ، ليتك تفكر باللحاق بهذا القلب الذى خفق دائما بحبك والى لقاء . . »

وطوى الرسالة ووضعها فى جيبه ، ثم اسرع إلى المطار يستقل أول طائرة تحمله الى البلد الذى يعيش فيه هؤلاء الذين أحبهم وأعطاهم كل عمره ! □

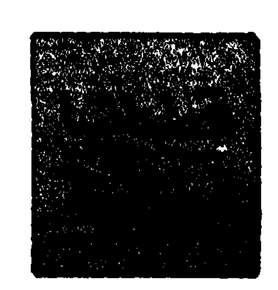


حكى الأحمر النحوى عن نفسه قال .

بعث الى الخليفة هارون الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين ، فلما دخلت التفت الى وقال : يا أحمر ، ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك عليه واجبه ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الآثار ، وروه الأشعار و علمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدأه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تحزن ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته ، فيستحل الفراغ ويألفه ، وقَوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقك







كيف نتصرف مع لسع العقرب ؟

يتصدر العقرب طائفة المفصليات التى تضم الحشرات والبق والعناكب فى عداوته للانسان ، وخطره عليه ، ويعتبر أكثرها ارهابا ، وأوسعها انتشارا ، وأفدحها ضررا .

والعقارب أنواع شتى قد تصل الى ٦٥٠ نوعاً ، وتتراوح ما بين ١٥ مليمترا و ٢٠٠ ملمتر طولا ، بعضها مألوف جدا فى بلادنا العربية ، ذات الطبيعة الصحراوية على وجه التحديد ، حيث يألفها الناس ، تسعى ليلا وتختبىء نهارا تحت الحجارة ، أو فى الجحور ، أو ربما تحت قطع الخشب المهجورة ، وربما وجدت لها مخبئا فى دورات المياه والخزائن وداخل الأحذية ، أو بين الصحف المهملة لو وجدت لها سبيلا داخل البيت .

من السهل على الجميع تمييز العقرب بذيلها الطويل ذي العضلات ، أو بابرة متصلة بكيس أو حوصلة خازنة للسم .

ان هناك نوعين من سموم العقارب ، أولهما سم ذو تأثير موضعى محدد الضرر ، وثانيهما سم ذو تأثير عام قاتل يتركز أثره على جهاز الأعصاب .

ان التمييز بين هذا وذاك يكون بردة فعل المصاب تجاه لسعة العقرب . .

فالنوع الأول الخفيف الضرر يستجيب له المصاب برد فعل فورى ، يتمثل فى الألم الشديد مكان الوخز ، مع ألم واحمرار ، وربما صاحبتها أعراض حساسية عامة .

أما السم الضار القاتل فرد الفعل له على عكس مايتوهم البعض ، ويتوقعون ، أن لا يستجيب المصاب للسع العقرب بأى رد فعل موضعى ، وانما هى ردود فعل عامة ، نتيجة انتشار السم فى الأعصاب ، فلا ألم ولا ورم ولا احمرار فى موضع الوخز ، ولكن المصاب يشعر بالوخز والتنميل فى كافة أنحاء الجسم مع شعور بالدوار .

يعقب هذا أكلان فى الفم والأنف والحلق ، ينتهى الى عجز وشلل فى عضلات اللسان ، يصعب معها الكلام والبلع معا ، هذا بالاضافة الى شعور بالغثيان والقىء ، ورغوة فى الفم ، مع تسيب فى البول ، وتشنجات عامة فى عضلات الجسم ، ثم يبدأ تورم فى انحاء البدن ينتهى بالوفاة خلال يومين على الأكثر .

ويرى المختصون أن مرور ثلاث ساعات على المصاب دون أعراض شديدة يعتبر ظاهرة تمثل أملا كبيرا فى النجاة .

علاج واسعاف لسعة العقرب

اذا استجاب الجسم للسع العقرب بردود فعل موضعية على نحو ما وضحنا ، فهذه بارقة أمل توحى بضرر محدد يمكن التغلب عليه ، بوضع كمادات الماء البارد أوالثلج ، مع المراهم والعقاقير المضادة للحساسية والالتهاب ، وأشهرها الكورتيزون ومضادات الهستامين ، ولكن اختفاء رد الفعل الموضعى يثير القلق ، ويدعو الى حسن التصرف وسرعة نقل المصاب الى المستشفى .

وعليه يجب اتباع الخطوات التالية بأقصى سرعة .

١ ـ توضع كمادات الماء البارد أو أكياس الثلج فوق موضع الاصابة ، لتقليل سريان انتشار السم

٢ ـ يربط الطرف المصاب برباط ضاغط يوقف الدورة الدموية عن السريان .

٣ ـ يوضع الطرف المصاب فى اناء ماء بارد ، ثم يفك الرباط الضاغط بعد خمس دقائق تحت الماء ، وتجدر الاشارة هنا الى أن الكمادات الباردة يجب أن تكون مستمرة لا متقطعة .

٤ ـ حذار من تعاطى عقار المورفين وأشباهه من المخدرات للتغلب على الألم ، والأفضل استعمال المنومات للتغلب على التشنج .

٥ ـ يعطى المصاب فى المستشفى (حيث لا يتوفر العقار فى صندوق الاسعاف الا نادرا) عقار الانتيفيين المضاد للعقرب فى العضل مع حقن الكالسيوم فى الوريد ، ان نسبة الشفاء تعتمد الى حد كبير على حسن التصرف ، وفورية الاسعاف الأولى ، وسرعة نقل المصاب الى المستشفى . □

بريد طبيب الأسرة

انقطاع الطمث

● أنا فتاة فى الثانية والعشرين من عمرى ، ومع هذا فلم تبدأ دورة الطمث شأن الفتيات الأخريات . فهل هذا مما يؤدى الى العقم ويحتاج الى علاج .

م . خ ف ـ دمشق

ـ الطمث هو علامة نشاط الغدد الصم الجنسية عند الأنثى . ويعبر عن النضوج الجسى وكفاءة الانجاب ، اذ يقوم أحد المبيضين باطلاق بويضة كل شهر ، يرافقها افراز هرمونى يتولى أمر اعداد بطانة الرحم لاستقبال البويضة الملقحة ، لاحتضانها وتغذيتها ، فاذا لم يتم تلقيح البويضة فإن بطانة الرحم تنطرح تلقائيا ، وهذا ما يعرف بالطمث ، أو الدورة الشهرية ، وان انقطاع هذا الطمث لسبب أو لآخر يتخذ له احدى صورتين هما :

أولا . انقطاع أولى أو مبدئى ، بمعنى أن الطمث لا يظهر اطلاقا بالرغم من بلوغ الفتاة سن النضوج الجنسى أو المراهقة ، وهذا يعنى خللا فى الافراز الهرمونى للغدد ، أو النضوج الجسى الطبى الذى ينتقل بالفتاة من مرحلة الطفولة الى مرحلة البلوغ ، والكفاءة الانثوية ، وهو أمر يتم فيها بين سن الثانية عشرة وسن الثامنة عشرة على وجه العموم ، مع تفاوت شخصى بين فتاة وأخرى ، لأسباب عدة لامكان لحصرها ، فاذا ما تجاوز الحال هذا المنطق الطبيعى ، فالأمر يصبح بحاجة عاجلة لاستشارة طبيب مختص فى أمراض النساء وربما مختص فى الغدد الصم على وجه السرعة دون ابطاء أو تأخير ، لتقصى أسباب هذا التخلف وعلاجه بما يلزم ، على ضوء التشخيص السريرى والمختبرى والشعاعى .



ثانيا : انقطاع ثانوي ، بمعنى توقف الطمث عقب ظهوره ، وهذا قد يكون طبيعيا كما هو الحال مع الحمل ، وقد يكون مرضيا لخلل هرموني مثلا ، وهنا يتوجب مراجعة الطبيب المختص .

ومن الطبيعي أن يوضع في الاعتبار عدد من العوامل التي يتصدرها العامل النفسي من فرح أو اكتئاب ، كما يوضع في الاعتبار انقطاع الطمث النهائي الذي يعرف باسم سن اليأس الذي يعني نهاية مرحلة النشاط الجنسي الهرموني ، وختام فترة القدرة على الانجاب عند المرأة ، وهو ما لا يمكن تحديده بعمر معين ، اذ تقفر المبايض من محتواها من البويضات ، كما يشح افرازها الهرموني ، ومن المألوف أن يفاجىء سن اليأس فيما بين سن الأربعين والخمسين ، أو ربما زاد قليلا ، وقد يداهم انقطاع الطمث صاحبته فجأة ، أو ربما تسلل تدريجيا ، اذ يقل النزف كما ومدة ، أو يضطرب انتظامه . . وهكذا .

هل يضر شرب الشاي ؟

● سمعت من أحدهم أن الافراط في شرب الشاي يضر بالذكاء ، ويعطل القدرات العقلية ، ولما كنت أهوى شرب الشاي بافراط ، فقد راعني أن أسمع مثل هذا الخبر ، ورأيت أن أسألكم النصيحة الخالصة ، فعسى أن تزودوني بالحقيقة العلمية .

م . م . ص
اللاذقية ـ سوريا

الشاي مشروب عالمي معروف منذ أقدم العصور ، وربما عادوا بأصله الى أهل الصين ، اذ يروون عن اكتشافه ومنشأ استعماله قصصا عديدة ، حيث تضيع الحقيقة في طيات الأساطير .

والتحليل العلمي لتركيب الشاي يؤكد أن أهم عناصره هما حامض التنيك ومادة الشايين التي هي أشبه ما تكون بالكافيين التي في القهوة ، وهما من المنبهات والمنشطات ، ولكن حامض التنيك مادة قابضة ، يؤدي الافراط فيها الى قبض الأمعاء أو الامساك ، لهذا فقد يوصف الشاي في أحوال الاسهال بأنه معين على الداء ، ولكن ليس بديلا للعلاج ، وقد يستعمل الشاي أيضا غسولا للجروح على انه يعين على التئامها ، لما يحويه من مادة حامض التنيك ، فلا غرابة اذن أن يشكو بعضهم من امساك وصعوبة في اخراج الفضلات عند الاسراف في شرب الشاي .

كما يشكو بعض الناس من الأرق ، بل ربما الصداع بسبب الاسراف في شرب الشاي ، وان كان البعض الآخر ينكر هذا الزعم ، لأن للشايين أو الكافيين تأثيرا منبها على خلايا المخ ، بينما لا يعاني الآخرون من هذا الأثر ، غير أن الطب لا يعرف تأثيرا للشاي خلاف هذا أو ذاك ، ولم يرد أي رأي علمي ثابت يشير الى تأثير الشاي على الذكاء والقدرات العقلية ، بل ربما نشط خلايا العقل .

ردود سريعة

● السيد حامد السبع ـ دير الزور ـ سوريا .
ـ نأسف اذ لا نعرف عقارا لاطالة القامة ، ولماذا لا تستشير مختصا في الغدد الصم . . ؟

● الاخت المحجبة ـ فاس ـ المغرب .
ـ لا علاقة اطلاقا تربط الحجاب بظهور الشعر على الوجه ، وانما هو خلل هرموني ، ويحسن بك مراجعة طبيب الأمراض الجلدية للتشخيص والعلاج .

● الأخت الحائرة ـ القاهرة ـ مصر :
ـ ألا ترين أن مراسلة انسان مجهول الاسم أمر مستحيل . . ؟!

أما استفسارك عن الأدوية الشعبية ، فخبرتنا بها محدودة ، كما أن الطب الحديث لا يتعامل بها ، وكل ما نعرفه أن شرب الحليب يزيد من ادرار اللبن ليس الا . . □

العهد

شعر : عبدالله السيد شرف*

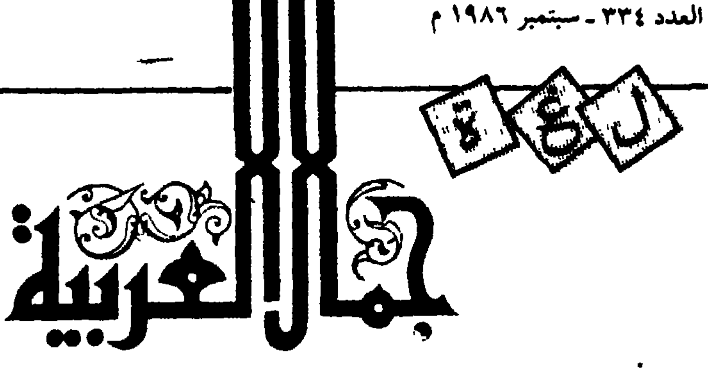


كان أبي . . . .
إذْ كُنت صبياً
يحشوني بالأوراد
وينذرني لله
ويســألني
إذْ كنت صبياً
في متن الألفيـةِ
وابن شجـــاعٍ
وَيُفَسِّر
إذْ كُنتُ صبياً
معنى الأعــراف
ينهرني إذْ يَنْكَسِرُ المفعول
وأســأله
ما المَــنُّ . . . .
وما الســلوى . . ؟!
وتموج الصــور
حليباً
عسـلاً
نخـلاً
عنبـاً
كان يناديني إذْ أشرد
اخلع نعليك !
كانت أمــي
اذ كنت فتيا
ترقوني من عين الناس
ومن شر الوسواسِ

وكانت إذْ ترفو ذيل الجلبابِ
تشاغلني بجنان الارض
المفتوحة للشــرفاء
وأُســعلُ
فتدثرني بالصحف المبتلّة بالخلِّ
وتسمعني قصص الصبر
وتأمرني بالصـــدق
العفــو
الطهر
وحين أثور
تَمُدُّ الكفَّ
وتفقأ عين عرائسها الورقية
كان التوت الصيفي بعينيها يأسرني
والكوثر يشغلني
وأصافيه
من أي جهات العصر أُطلُّ عليك
ياوجه الأمس
ياقلبا أطره الأهل
من أين
الآن . . .
أعفيك من الوقفة تَرْقُبُني
يا أبتي
في ذيل الدرب
واسمح لي
أن أعفي كفي
من قيد العهد

---

* شاعر شاب من القطر المصري



بقلم : محمد خليفة التونسي

لام التقوية

كان السيد معاولي موسى (العادلة / الجزائر) قد سألنا أربعة أسئلة ، أحدها عن فصاحة كلمة « التقييم » بمعنى معرفة القيمة ، وقد أجبناه بأنها فصيحة (العدد ٣٣١) وبقيت ثلاثة أسئلة ، وهذا أحدها ، ومعه جوابه

لام التقوية : ما سر تسميتها كذلك وكيف نعرفها ؟

اللام في لغتنا نوعان : عاملة ، وغير عاملة ، فالعاملة ما كان لها أثر في الاعراب جرًا ، أو نصبا ، أو جزما ، فمن الجارة لام الملك ، مثل . « لله ما في السموات وما في الارض » ، ومن الناصبة لام العاقبة ، مثل « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ، ومن الجازمة لام الأمر ، مثل « لينفق ذو سعة من سعته » . وغير العاملة مثل لام التوكيد ، مثل « وللآخرة خير لك من الأولى »

وتأتي اللام لعدة معان ، أو هي تؤدي عدة معان سواء كانت عاملة أو غير عاملة كما في الأمثلة السابقة ، ويفهم الفرق بين كل معنى وغيره من السياق

ومن اللامات لام التقوية ، وعملها الجر لما بعدها من اسم أو صفة ، وقد سميت كذلك لأنها ـ كما يقول النحاة ـ تقوي عاملا إعرابيا ضعيفا ، وذلك أن الفعل المتعدي عندهم هو العامل في نصب المفعول (به) بعده ، وأظهر ما تكون قوته اذا تقدم عليه ، مثل . « يرعى الحرّ عهده ، ويحفظ جواره » ، فإذا تأخر الفعل فقد تلحقه اللام لتقوي عمله ، مثل الحر لعهده يرعى ، ولجواره يحفظ »

ويرى النحاة أن الفعل المتعدي هو الأصل في التعدية ونصب المفعول ، وأن ما ينوب عنه كمصدره فرع له في عمله ، فإذا كان العامل فرعا في عمل الفعل لحقته لام التقوية ، كما إذا كان مصدرا أصليا أو ميميا ، وكما اذا كان صفة [1] دالة على فاعل سواء تقدمت على المفعول أو تأخرت عنه ، مثال المصدر الأصلي متقدما على المفعول قولنا : « من شيم الحر رعايته للعهد ، وحفظه للجوار » ومثاله متأخرا عن المفعول قولنا · « للعهد الرعاية واجبة ، وللجوار الحفظ واجب » . [2]

ومثال المصدر الميمي متقدما على المفعول قولنا : « محبتك لذوي رحمك واجبة » ، ومثاله متأخرا عن المفعول قولنا : « لذى رحمنا المحبة واجبة » ، ومثال الصفة الدالة على الفاعل متقدمة على المفعول قولنا : « هو راع لعهده ، حافظ لجواره » ومثالها متأخرة عن المفعول قولنا . « الحر لجواره راع ولجاره حافظ » ، وقوله تعالى · « الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

ومثال الصفة الدالة على المبالغة متقدمة على المفعول قولنا : « هم سماعون للكذب ، أكالون للسحت » ، ومثالها متأخرة عن المفعول قولنا ، هم للكذب سماعون : وللسحت أكّالون »

وإذا كان الفعل ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا أمكن أن تدخل لام التقوية على ما يناسب المعنى منهما وهو الأول غالبا ، كقولنا . « أعطيت للطالب كتابا » ، وكقول شاعرتنا ليلى الأخيلية (نحو ٨٥ هـ) من قصيدة تمدح بها الحجاج الثقفي :

أحجاج ، لا تعط العصاة مناهم
ولا الله يعطي للعصاة مناها

وأصل الجملتين قبل دخول لام التقويه « أعطيت الطالب كتابا » ثم « ولا الله يعطي العصاة مناها » ، وهذا هو الاستعمال الشائع في لهجتنا الدارجة ، ومثله كثير في اللغات الأخرى في الأفعال التي تتعلق بها مفعولان

ويسعي في ملاحظة هذين المفعولين مع هذه الأفعال أن المفعول الأول (الطالب) هو الآخذ ، والمفعول الثاني (كتاب) مأخوذ ، فلابد من ملاحظه قرينة الاسناد لنعرف أي المفعولين هو الأول وأيهما هو الثاني سواء تقدم عليه أو تأخر عنه في الكلام ، كما اذا قلنا : « وهبت صديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب صديقي »فإن « صديقي » هو الأول لأنه الاخذ والكتاب هو المأخوذ كما تدل علاقة الاسناد بينهما ، ولام التقوية هنا تدخل على الأول فيقال : « وهبت لصديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب لصديقي » وهي تدخل على المناسب للمعنى من المفعولين

ويمكن أن نعد « لام تقوية » ما يسميه النحاة « اللام المقحمة » وهي التي تقحم أو تدخل بين المتضايفين : المضاف والمضاف اليه أو شبههما ، لأنها تقوي اختصاص ما قبلها (المضاف) بما بعدها (المضاف اليه) كقول عنترة لصاحبته :

فاقني حياءك - لا أبا لك - واعلمي
أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وقد تحذف هذه اللام كما في قول أبي حية النميري لصاحبته :

أبالموت الذي لا بد أنّي
ملاقٍ - لا أباك - تخوفيني
دعِي ما قد علمت ، سأتقيه
ولكن بالمغيب خبريني

ومثال اللام الداخلة بين شبه المتضايفين قول علي بن الجهم

وارحمتا للغريب بالبلد النا
زح ، ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا انتفعا

وكقوله تعالى « ويل للمطففين » وقوله « فسحقا لأصحاب السعير »

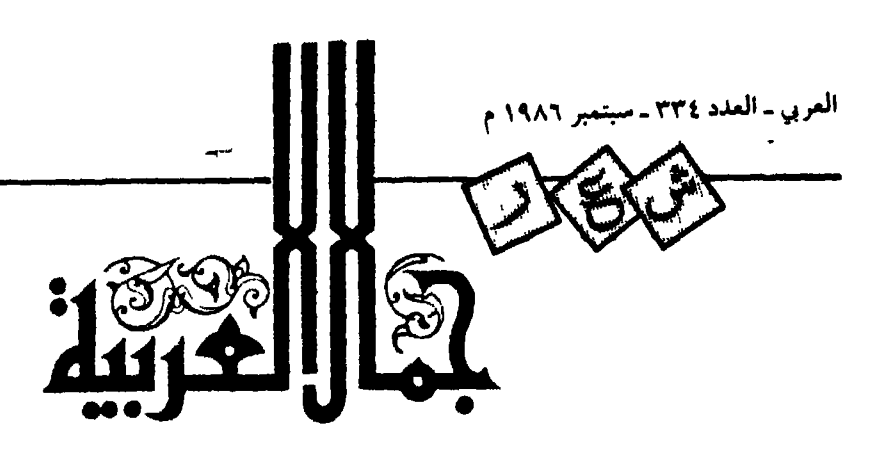
ويمكن حذف هذه اللام غالبا دون ضعف التركيب أو اختلال المعنى ، كما في الأثر « حُبُّك الشيء يعمي ويصمّ » .

وبدلا من أن نقول كما قال النحاة . ان الفعل هو العامل الأصلي في نصب المفعول به ، وإن كلا من المصدر والصفة عامل فرعي نقول : إن المصدر كالفعل ينصب المفعول به بدلالته على الحدث ، والوصف ينصب المفعول به لدلالته على موصوف بالحدث ، فإن كان لا يدل على موصوف بالحدث لم ينصب مفعولا به كقولنا : « القاضي عادل » ، وهذا ما يسميه النحاة « الصفة الغالبة » أي التي تستعمل اسما ، فإذا شئنا أن نجعلها صفة محضة من فعل متعدّ تجري على فعلها وتعمل عمله أمكن أن تنصب مفعولا به كقولنا : « أخوك قاضٍ حاجتَك » و « أخوك قاضِي حاجتك » ويمكن أن تدخل اللام فنقول « أخوك قاضٍ لحاجتك » □

---

(١) يسميها النحاة « اسم الفاعل » مع أنها لا تدل على مسمي ، والصواب أنها صفة للفاعل لأنها تدل على موصوف بالحدث ، ومن هنا تشارك الفعل لدلالته على الحدث (مع دلالته على الزمن)

(٢) اللام للتعدية في اللغة السريانية (شقيقة العربية)



لقاء ذئب

بين الفرزدق والبحتري

الفرزدق والبحتري شاعران ، كلاهما لقي ذئباً جائعاً في صحراء فكان له معه موقف يختلف عن موقف الآخر ، وكلاهما وصف موقفه معه مفصلاً .

والفرزدق أحد مشاهير الشعراء الأمويين نشأ بين البصرة والبادية المجاورة لها ، ومضى يعالج الشعر ويرويه ، حتى نبغ فيه ، وقد اتصل بملوك الأمويين في الشام وبولاتهم في العراق يمدحهم ويأخذ جوائزهم ، وهو كثير الفخر فاحش الغزل ، جرى بينه وبين معاصره جرير هجاء كثير ، وتوفي عن سن عالية سنة ١١٤ هـ - وله ديوان مطبوع .

لقي ذئباً جائعاً في صحراء الكوفة في أواخر ليلة فعطف عليه فقاسمه زاده .

والبحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ) طائي ولد ونشأ في منبج بالشام وتنقل بين عشائر قبيلته طيّء وغيرها من البدو على شواطيء الفرات ، فاكتسب منهم الفصاحة ، وقد وجهه في الشعر شاعر طائي آخر هو أبو تمام ، وشعره رقيق الأسلوب بديع الخيال ، وقد اتصل بكثير من الأمراء والقواد العباسيين ، وكان مقرباً الى المتوكل العباسي ووزيره ابن خاقان ، وكان في مجلسهما حين قتلا فأسرع بالاختفاء والهروب ، وله ديوان مطبوع .

وقد لقي ذئباً أصابه الجوع بالهزال والتقوس - وكان هو جائعاً - فلم يجد بّداً من قتله خوفاً على نفسه ثم شواه وأكل منه ما يسد جوعته .

« قصة الفرزدق »

وأطْلَسَ عسَّالٍ ، وما كان صاحباً ، ... دعوت بناري موهنا فأتاني[1]
فلما دنا قلت : «ادْنُ ، دونك ، انني ... وإياكَ في زاد لَمشتركانِ»
فبتّ أسوّى الزادَ بيني وبينه ... على ضوء نارٍ مرةً ، ودخان . . .

وقلت لـه لمـا تكشَّـرَ ضـاحكـاً وقـائـم سـيفـي في يـدي بمـكـان
«تعشَّ ، فـان عـاهـدتني لاتخونني نكنْ مثلَ منْ - يا ذئبُ - يصطحبان
وأنتَ امـرؤٌ - يا ذئبُ - والغـدرُ كنتما أخيَّـين كـانـا أرضعـا بِلَبـان[2]
ولـو غيرنـا نبِّهتَ تلتمس القِرَى رمـاكَ بسهـم أو شَبـاةِ سنـانِ[3]
وكـلّ رفيقَيْ كـلِّ رحـلٍ - وإنْ همـا تعـاطى القنـا قـومـاهمـا - أخـوانِ[4]

« قصة البحتري »

وأطْلس مـلءَ العـين يحمـلُ زورهُ وأضـلاعُه من جـانبيه شـوى نهدُ[5]
لـه ذَنـبٌ مثـل الـرِّشـاء يجـرُّهُ ومتْنٌ كمتنِ القـوسِ أعوجُ مُنأدُّ[6]
طواه الطَّوى ، حتى استمر مريـرُه فما فيـه الاَّ العـظمُ والـروحُ والجلْدُ
يقَضْقِضُ عُصْـلاً في أسـرَّتهـا الـردى كقَضْقَضـةِ المقـرور أرعده البـردُ[7]
سما لي ، وبي من شدّةِ الجـوع ما به ببيـداء لم تُعـرف بهـا عيشـةٌ رَغْـدُ
كـلانـا بهـا ذئبٌ ، يحدث نفسـهُ بصـاحبِه ، والجـدُّ يُتْعسـهُ الجَـدُّ[8]
عوى ، ثم أقْعَى ، فارتجزت ، فهِجْتُه فـأقبـل مثـل البـرقِ يتبعـه الـرعْـدُ
فـأوْجَـرْتُـه خـزْقـاء تحسب ريشهـا على كوكب ينقض ، والليلُ مسودُّ[9]
فـما ازداد إلا جـرأةً وصـرامَـةً وأيقنتُ أن الأمـرَ منـهُ هـو الجـدُّ
فـأتبعتُهـا أخـرى فـأضللْتُ نصلهـا بحيثُ يكونُ اللبُّ والرُّعْبُ والحِقدُ[10]
فخـرَّ ، وقـد أوردتُـه مَنهَـلَ الـرَّدى عـلى ظمـأٍ ، لـو أنـه عـذُبَ الـوِرْدُ
وقمتُ ، فجمّعتُ الحصى ، فاشتويته عليـه ، وللرمضاءِ من تحتِه وَقْدُ[11]
ونلتُ خسيسـاً منـه ، ثم تـركتُـه وأقلعتُ عنـه ، وهْـو مُنعفِـرٌ فَـردُ

---

(١) أطلس : أغبر : عسل في سيره : اضطرب
(٢) الغدر من طبيعة الذئب ، فهما كالأخوين اللذين رضعا من صدر واحد
(٣) القرى : الطعام . شباة : طرف
(٤) كل رفيقين في طريق يتآخيان ، ولو كان بين قوميهما قتال
(٥) الشوى : الأطراف (لفظه مفرد ، ومعناه جمع) نهد : بارز . أي اضلاعه لجوعه بارزة .
(٦) الرشاء : الحبل . المتن : الظهر . منأدٌ : معوج
(٧) يقضقض عصلاً : يصوت بأنياب معوجة . أسرتها : أوساطها . الردى : الموت المقرور : المصاب بالبرد .
(٨) كلانا يطمع في قتل الآخر . الجد : الحظ
(٩) أوجرته خزقاء : طعنته بسنان .
(١٠) أدخلت سنانها في قلبه .
(١١) الرمضاء : الأرض الحامية .

مكتبة العربي



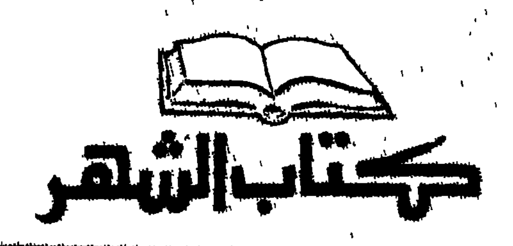
في أسفل السلم

تأليف : غونتر فالراف

عرض وتلخيص : محمد حسان عبد الكريم

لم يسبق في تاريخ المانيا الاتحادية لكتاب ، بلوغ هذا العدد من النسخ المبيعة في مثل هذه الفترة الزمنية القصيرة : (٧ ، ١ مليون) نسخة بعد أربعة شهور من طبعه ، رغم أن موضوع هذا الكتاب ليس بجديد ، بل سبق ان عالجته المئات من الكتب والدراسات الخاصة ، ونعني بذلك (حياة الأجانب في المانيا الاتحادية) ، ولكن الجديد هنا ، هو كيفية خروج هذا الكتاب الى النور ، والطريق الذي سلكه الكاتب للتوصل الى جمع محتوياته .

في المقدمة يذكر الكاتب ، كيف انه كان طوال عشر سنوات يدفع عن نفسه فكرة الاضطلاع بالدور الذي تلبسه أخيرا ، ليتمحص عنه هذا الكتاب ، لمعرفته بما ينتظره . «كنت بساطة خائفا ، كنت قد كونت فكرة عن حياة الأجانب في المانيا الاتحادية من خلال أحاديث الأصدقاء وعن طريق الصحف ، كنت أعلم بأن نصف الأجانب الأحداث يعانون من أمراض نفسية ، لأنهم لن يطيقوا المضايقات التي يتعرضون لها ، اضافة الى أن فرص العمل تكاد تكون معدومة ، ورجوعهم الى الوطن أصبح متعذرا بعد أن نشوا وترعرعوا هنا ، إنهم عديمو الوطن ، يعانون صرامة قوانين الأجانب ، وتصاعد حملة الكراهية ، وزيادة العزلة ، كنت أعرف ذلك كله ، ومع ذلك لم أكن قد عشته قط



الهبوط الى الاسفل

في مارس ١٩٨٣ نشرت الاعلان التالي في عدة جرائد :

(أجنبي ، قوي البنية ، يبحث عن عمل ، أعمال ثقيلة وقذرة ، مقابل أجرة منخفضة أيضا ، الاتصال ...) .

« خطوة واحدة فقط تكفي للانتماء الى الأقلية المنبوذة والهبوط الى أسفل السلم ، عدسات لاصقة غامقة اللون ، وشعر أسود مستعار ، جعلتني أتحول الى (علي) وأظهر أصغر من سني الحقيقية بكثير ٢٦ - ٣٠ بدلا من ٤٣ عاما ، وبذلك استطعت الالتحاق بأعمال ما كنت سأحصل عليها في عمري الحقيقي ، وبكثير من التعثر والغرابة حاولت تلفظ الألمانية كما يستخدمها الأجانب ، وكان من السهل على أي امريء سبق له الاصغاء الى أحد الأتراك أو اليونانيين ، اكتشاف أن أمري غير طبيعي ، ولكن لدهشتي لم يواجهني أحد بالشك .

هذه التغييرات البسيطة كانت كافية لكي تجعل الآخرين يفصحون عن آرائهم أمامي دون تحرج ، بلاهتي المصطنعة جعلتني أكثر ذكاء ، وأتاحت لي الفرصة للتعرف على ضيق أفق هذا المجتمع وبرودته وهو الذي يعتبر نفسه حاذقا ورفيعا ، متكاملا وعادلا ، كنت كالأحمق الذي تقال له الحقيقة بلا تنميق . بلا ريب ، انا لم أكن تركياً حقا ، ولكن على المرء أن يتنكر قليلا لكي يزيل القناع عن المجتمع ، وأن يتخاتل كي يتعرف على الحقيقة .

ما زلت الى اليوم مستغربا ، كيف يتحمل الأجانب هذا الاضطهاد والكراهية اليومية ، ولكي أعلم الآن الى أى مدى يمكن بلوغ احتقار البشر هنا ، فالتجارب التي خضتها تجاوزت كل تصوراتي السابقة ، فالعنصرية توجد هنا في وسط ديمقراطيتنا ، وما واجهته في المجتمع الألماني لا يوجد مثيله الا في بطون كتب تاريخ القرن التاسع عشر

رغم ذلك ، ومع كل القذارة والمشاق ، في العمل المذل ، ومواجهتي لأشكال الاحتقار البشري ، فقد كسبت أصدقاء ولمست تضامنا حقيقيا »

وهكذا بدأ (علي) جولته في الحياة والعمل في ربوع ألمانيا الاتحادية ، تلك التجربة التي استغرقت أكثر من سنتين

في البداية حصل (علي) على اعمال قصيرة الأمد ، تصليح اسطبل خيول في ضواحي احدى المدن الكبيرة ، كان عليه تسلق سلالم شاهقة ، محافظا على توازنه لصنع سقف الاسطبل ، العمال الآخرون ، ومعظمهم مهاجرون بولنديون كانوا يتجاهلونه ، اما صاحبة العمل فقد كانت لا تجد لعلي سوى كلمات الحث على العمل التي يتعاطاها الألمان في علاقاتهم مع (عمالهم الأجانب) ، وكان يتناول طعامه بمعزل عن الآخرين ، وينام في غرفة تشاركه فيها « معزة » وعندما تعطل جهاز الانذار في الأسطبل فجأة ، أُتهِمَ علي بالقيام بذلك فطرد من العمل .

مكان العمل التالي كان مزرعة تدار من قبل عجوز وابنتها سبق لهما التعامل مع « خادم تركي » . مقابل العمل وعد بالأكل والنوم مجانا ، وتسلم مصروف جيب ، عدا ذلك خير علي بين النوم في عربة عاطلة أمام المزرعة ، أو غرفة اسطبل فارغة كريهة الرائحة ، لكن (علي) فضل حلا ثالثا · غرفة في ورشة بناء مهجورة ، علما بأنه توجد عدة غرف نظيفة ودافئة في المزرعة لم تكن تستعمل من قبل أحد ، وأخفى



(علي) عن الجيران ، وحُرم عليه ارتياد سوق القرية أو البار .

على هذا المنوال حاول (علي) طوال سنة كاملة كسب قوت العيش ، متنقلا من عمل الى آخر .

« لو كنت حقا عليا فقط لما استطعت البقاء على قيد الحياة ، مع أنني كنت على استعداد لتقبل أي عمل مهما كان » .

بعد ذلك جرب حظه كعازف ارغن متجول في مقاطعة بافاريا : « كنت يوميا أدير جهاز الأرغن لعدة ساعات في الشارع دون أن أحصل على مليم واحد ، والغريب أنني بعد أن تعودت على دوري كأجنبي ، كانت تنتابني الدهشة في كل مرة ، لا أقابل فيها بالرفض والجفاء ، الأطفال وحدهم كانوا شديدي الفضول والتودد نحو عارف الأرغن الذي تتصدر جهازه لوحة عليها العبارة التالية : « تركي عاطل عن العمل ، مقيم في ألمانية منذ ١١ عاما ، يريد البقاء هنا » . كان الأطفال يتجمعون حولي حتى ينهرهم آباؤهم عن ذلك » .

مع القسس .. والأموات

يجرب (علي) حظه في الكنيسة الكاثوليكية ، فقد سمع بأن السيد المسيح كان قد طرد من دياره أيضا ، وعاش مع المنبوذين والغرباء ، وتحمل من ذلك الويلات والألم ، لذلك لم يقصد (علي) الكنيسة كمتسول ، كل ما يريده هو التعميد ، اي اعتناق المسيحية ، لايمانه بذلك أولا ، ولأنه يريد الزواج من صديقته الألمانية الكاثوليكية المذهب ثانيا ، ولتجنب طرده من ألمانيا ثالثا ، جميع القسس الذين طرق (علي) بابهم ، طردوه لحجج مختلفة : « اذهب الى مكتب الخدمات الاجتماعية » . « الكنيسة ليست ملجأ للغرباء » « عليك أولا اعتناق المسيحية بالقلب ، وذلك يستغرق سنوات عديدة » .

واخيرا وبعد أن غمره اليأس من قسس المدن الكبرى ذوي الكروش المترهلة والغنى الفاحش ، متذكراً النص الانجيلي القائل : « ان دخول جمل من ثقب ابرة لهو أسهل من دخول غني الى الجنة » ، ووجد بأن ذلك يطبق حرفيا على هؤلاء القسس ، تحامل (علي) على نفسه وقصد احدى القرى النائيه .

فتح شاب بثياب مدنية وقميص مفتوح الكنيسة ، كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها (علي) قسا كاثوليكيا بزي غير رسمي ، بدأ بسرد قصته ، وقبل أن يأتي الى نهايتها قاطعة القس قائلا :

ـ انا أفهمك جيدا ، والآن تريد اعتناق المسيحية .

ـ نعم .

ـ بالتأكيد يسعك ذلك ، في الأيام القادمه نقوم بالخطوات اللازمة ، وتتسلم وثيقة الاعتناق ، تستطيع كذلك الرجوع الي في أية قضية أخرى .

تفهم القس الموقف ، وتصرف كرجل دين مؤمن بلا تزييف وادعاء كاذب بالتمسك بتقاليد الدين ، اكتشف (علي) لاحقا بأن هذا القس كان قد نزح من بولندا قبل سنوات ، ومن يدري ، لعله يتحسس لذلك شعور الغرباء ، أو لأنه لم يعش في كنف كنيسة متسلطة ومكتنزة .

وبعد أن أصاب اليأس (عليا) من الأحياء وحفائهم ، بعد الرفض والنند الذي حوبه به من الكنسة ـ قرر أن يجرب حظه هذه المرة مع الأموات مباشرة . دخل (علي) الى احدى مؤسسات الدفن ، مدفوعا على مقعد للعجزة من قبل أحد أصدقائه الأتراك ، استقبلت صاحبة المدفن (علياً) بترحاب ودعته للدخول . شرح (علي) قصته : فنتيجة عمله في مصنع لتصنيع الاسبست ، أصيب بمرض السرطان ، فاتحه الطبيب بأنه سيموت بعد شهرين ، لذا فهو قادم لترتيب أمور الجنازة ونقلها الى تركيا ، تدخل صاحبة المدفن مباشرة الى صلب الموضوع ، دون أن تكلف نفسها حتى عناء السؤال عن مشاعره أو فيما اذا لم تعد هناك بارقة أمل لعلاجه :

ـ النقل الجوي يعتمد على وزنك وجهة الرحلة ، يعتمد السعر كذلك على الضمان الصحي الذي

لـديك ، وفيـما اذا كنت مسجلاً هـناك كعـامـل أو متقاعد .

وبعد أن بينت له قائمة الاسعار كان على (علي) اختيار التابوت حيث كانت صاحبة المدفن تعرض عليه بحماس التوابيت المختلفة . « هـذا مبطن بحريـر ، وهـذا مصنـوع من خشب بلوط ألمـاني أصيل . الخ » ، محاولة بذلك اقناعه بشراء احد الاصناف الراقيـة ، وأخيرا تم الاختيـار ، ويسأل (عـلي) عن امكانيـة تخفيض السعـر الـذي تجـاوز العشرين الف مارك جملة وتفصيلا

البائعة ـ : « نستطيع حسم ٥٪ من السعر اذا تم الدفع نقدا وفورا

وهنا بادرها علي بسؤال غير متوقع :

ـ وماذا اذا لم امت ، هل أحصل على المبلغ ثانية

البائعة : لا ، ليست هناك حقوق ارجاع ثم ترفع بصرها اليه وكأنها تريد مواساته :

ـ طست أن الطبيب واثق بأنك بعد شهرين . . .

وهـنا لم تستطع اكمـال الجملة ، شعـرت فجـأة بالاحراج وأخذت تتلعثم

الختم على الرأس

يحاول (علي) العمـل في مصنع لليـوريد قـرب هامبورغ ، أصدقاء اتراك كانوا قد حدثوه عن ظروف العمل الشاقة والخطرة على الصحة بشكل لا يصدق في هذا المصنع الذي يستخدم غالبا عمالاً أتراكـا ، المشكلة : ان المصنع توقف عن تعيين عمال جدد ، وبدلا من ذلك يستأجر عمـالاً من شركـة أخرى ، حيث تحصل الاخيرة على ٣٥ ـ ٨٠ ماركاً مقابل كل ساعة عمل للشخص الواحد ، العامل نفسه يتسلم مبلغاً بخساً يتراوح بين ٣ ـ ١٥ مـاركا ، وتتسـرب البقية الى جيوب أصحاب الشركة ، يقصد (علي) الشركة الثانية المتخصصة في ازالة الفضلات الصناعية على اختلاف أنواعها : شحوم وزيوت وغازات سامة وغبار دقيق وخشن ، تؤجر هذه الشركة عدا ذلـك ٦٠٠ عاملة تنظيف الى مختلف المصانع الكبـرى في ألمانيا .

أثناء النقل الى مـوقع العمـل احتشد ١١ عـاملاً احتنياً على أرض « باص » الشركة الملطخ بالزيت ، أما المقعدان الوحيدان في الباص فقد كانا مشغولين من قبل عاملين المانيين ، عنـد بوابـة موقـع العمل وزعت بطاقات تثبيت الوقت لم يحس (علي) دفع البطاقة في الاتجاه الصحيح فعلق أحد البوابين قائلا :

« عندكم في افريقيا يختمون عـلى رؤ وسكم » .

تدخل عندها أحد الزملاء الاتراك لمساعدة (علي) في ختم البطاقة . ولاحظ (علي) بأن تعليق البواب مس الأحباب جميعا ، ولكنهم كانوا مضطرين الى تغافل الاهـانـات كـما هـو عليـه في الكثـير من الحـالات اللاحقة ، ولخوفهم أيضا من فقدان العمل عند حصول مشاجرة ، فالاجنبي هـو الذي يفقـد عمله عادة في هذه الأحوال

بدأ العمل : « تحت درجة عشرة تحت الصفر كان علينا ازالة أكوام من الطين والصخور ، يجعلك البرد القارس تعمل بسرعة قاتلة ، بعد بضع ساعات أمرنا بالتوجه الى موقع عمل جديد ، وبعد هبوط العديد من السلالم تحت الأرض تشعر فجأة وكأنك ستختنق من كثرة الغبار ، لتكتشف بعد قليل بأن ذلك لم يكن سوى البداية ، علينا ازالة طبقات التراب المتراكمة على المكائن التي يبلغ ارتفاعها سمك أصابع اليد ، لن تستنشق الغبـار فحسب ، بل تبتلعـه ابتلاعـا ، والألم يعتريك مع كل سحبة هواء ، تحـاول إمساك الهواء ولكنك لن تستطع بسبب الحركـة المستمرة . يحثنا مراقب العمـل الواقف في الخلف : « أسـرعوا عندها تنجزون العمل بعد ساعتين أو ثلاث وتعودون الى الهواء الطلق » . ان ذلك يعني ضخ رئتيك بغبار فحم الكوك طوال ثلاث ساعـات ، لانحصل عـلى أقنعة لأن العمل معها يتم أبطأ ومراقب العمل يدعي بأنه ليست هناك نقود لذلك .

هلمـوت ، العـامـل الألمـاني الـذي لم يتجـاوز الثلاثين ، ولكنه يبدو وقد قارب الخمسين ، يتذكر

كتاب الشهر

وهو يحدثنا :
« مات قبل عام ستة زملاء ، أثناء تدفق الغاز فجأة من الأنابيب فمن رعب الموت تسلقوا الى الأعلى بدل هبوطهم السلالم ، والغاز تسلل معهم الى الأعلى أيضا ، نجا أحد الزملاء من الموت فقط ، لأنه كان ثملا في الليلة السابقة ، ولم يستيقظ للذهاب الى العمل » .

معهد التجارب البشرية

« أوقفوا التجارب على الحيوانات ، استخدموا الأتراك »
جملة مكتوبة في مرافق أحد المعامل
فقد الزميل التركي عثمان منزله لأن آدلر صاحب الشركة ظل يماطل في دفع أجره ، أحد عثمان ينام عند المعارف والأصدقاء ، حيث يقضي هنا ليلة وهناك ليلتين ، وينام أحيانا على مقاعد الحدائق في العراء ، وهو مهدد بالطرد من ألمانيا لعدم حيازته على ورقة سكن ، ولتقديمه طلبا للحصول على الخدمة الاجتماعية ، وهو لا يريد العودة الى تركيا انه يحس بألفة أكثر في غربة ألمانيا الباردة ، مما عليه في ديار الاباء ، حيث قضى السنوات الأولى من عمره فقط ، كان يعاني من سعال خبيث بسبب عمله في معمل الكوك ، قال عثمان ذات مرة أثناء خروجنا الى الهواء الطلق في استراحة قصيرة بعد عملنا معا في احد العنابر المليئة بالغبار واستنشاقنا القذارة بالأرطال :
« أفكر أحيانا بانهاء ذلك كله بقفزة واحدة الى وسط لهيب الفرن العالي ، فحيح واحد ، ثم لا تشعر بعدها بشيء » . حدثني عثمان مرة عن خال له في مدينة أولم يستطيع السكن عنده والحصول على عمل كذلك ، ثم استطرد بشيء من الغموض : « عمل ليس أفضل من هنا ، ولكن المرء على الأقل يحصل على نقوده هناك ، هنا عليك ابتلاع الغبار وتحمل العمل الشاق ، هناك عليك فقط الابتلاع واعطاء دمك » . سألته اذا كان من الممكن أن أحل محله في هذا العمل ووعدته مقابل ذلك باعطائه نصف المبلغ الذي سأحصل عليه هناك .

استحسن عثمان لطلبي ولاءمتي الفكرة كذلك بسبب اكتافي المحرقة والذبحة الصدرية التي أعاني منها نتيجة لعملي في مصنع الكوك .

كان هناك بعض المنتظرين في بهو معهد الفحوص البشرية ، أغلبهم من الأجانب والشباب العاطلين عن العمل . قدمت الورقة التي حصلت عليها من عثمان الى الموظف ، وتساءلت فيما اذا كان بوسعي أن أحصل على تجربة أقل خطورة ، اذ سبق لعثمان أن حذرني من مغبة التجربة التي سأتعرض لها ، قال الموظف وهو يحاول اتخاذ هيئة تدعو الى الطمأنينة : « لا داعي للخوف ، الجميع خرجوا أحياء من هنا حتى اليوم » .

في بادىء الأمر ، تأتي الفحوصات الأولية ، الطبيب الذي يقوم بذلك يطري الاتراك أثناء فحصه لي : « انهم يتحملون الكثير ، ولا يتذمرون من كل صغيرة ، بعد ذلك كان عليّ توقيع عقد التعهد ، يخص الفحص اربعة مستحضرات طبية لعنصرين مختلفين ، وهذه التحضيرات الممزوجة لها غالبا مفعول على جسم المريض .

تستغرق التجارب ١١ اسبوعاً بما في ذلك أربع اقامات اجبارية لمدة ٢٤ ساعة كل مرة . العوارض الجانبية واردة في ورقة الشروحات كالآتي . خمول ، تقلب المزاج وعصبية ، تغير التركيب الدموي ، تغير قرص الوجه ، حساسية وتغير في البشرة . عدا ذلك يعاني قرابة ٢٠٪ من المختبرين بتقيح في لثة الأسنان .

في صباح اليوم التالي كان علينا الاصطفاف عند باب المختبر ، تناولت قرصين ، أحسست فجأة بانقباض في حدقتي عيني . حاولت تحويل بصري الى الممر ، ولكن أشعة الشمس بهرتني ، وشعرت بألم شديد في العين ، في الساعات التالية كنت أجر نفسي الى المختبر كالهائم في سبات ، حيث كانوا يسحبون الدم كل ساعة ، كان الشحوب والاضطراب يغلب

على الجميع بعضهم كانوا يفقدون الوعي فينقلون من الأسِرة الى المحسر

كانت احدى النساء تعاني من تهيج داخلي ، من نوبات عيوبه واضطراب في الدورة الدموية ، وتصلب وبرودة في الذراع . في اليوم التالي لازمتي جميع العوارض بشدة : شرود وآلام في الرأس ، ضعف الادرك ، ونوبات عيونة ، ونزيف شديد في لثة الأسنان ، وفي هذا اليوم سحب دمي سبع مرات ، أحوال الاخرين لم تكن افضل ، وكان الجميع يعاني من صراع شديد ، واتضح لي بأن السكوت الذي كان سائدا يعود الى خوف المختبرين من عدم استخدامهم في تجارب قادمة في حالة تذمرهم .

قررت بعد أربع وعشرين ساعة ايقاف التجارب كان علي حسب العقد ان اخضع لثلاث اقامات حربية اخرى وتزداد العوارض حدة بشكل مطرد حسب اقوال الاخرين ، وعلى المرء ، علاوة على ذلك ، الحضور في الساعة السابعة من صباح كل يوم لسحب الدم كما أن عليه جمع بوله في اكياس نايلون وتسليمه طوال فترة التجربة ومن يقطع التجربة قبل اتمامها لا يتسلم اي قرش .

كان هذا المعهد هو واحدا من المعاهد الخاصة بالتجارب البشرية ويبلغ عدد زبائنه ٢٨٠٠ ولا تقام التجارب لأسباب طبية كما هو الادعاء ، بل ان هدفها الاوحد هو البحث عن استراتيجية بيع افضل لهذه الأدوية ولا توجد ايه جهات ترعى شؤون الأشخاص المعرضين لهذه التجارب وتخدم نتائج الفحوص الشركات وليس المرضى .

عند مراجعتي لطبيب الأسنان بعد ايام من ذلك لأصابتي بورم في اللثة ، فحصني الطبيب متسائلا . « هل تناولت حبوباً ضد مرض الصرع »

بقيت مهمة واحدة اراد (علي) الأخذ بها على عاتقه ، العمل في اقدم مفاعل للذرة في المانيا الاتحادية ، والذي بدأ العمل فيه عام ١٩٧١ ، وهو بحاجة شديدة الى التصليح . ولغرض القيام بالفحص السنوي للمفاعلات الذرية يفضل غالبا استخدام العمال الأجانب لا توجد في المانيا معلومات دقيقة حول نتائج التلوث الذري للعاملين في هذا القطاع ، كما ان فرق العمل الاجنبية التي توظف في مجالات التصليح او التنظيف لا تدرج في الاحصاءات وغالبا ما يكون الأجنبي قد غادر الى مدينة اخرى او الى وطنه عند اصابته بسرطان في المجاري البولية او الغدة الدرقية ، وذلك بعد سنوات طويلة من عمله في احد المفاعلات الذرية

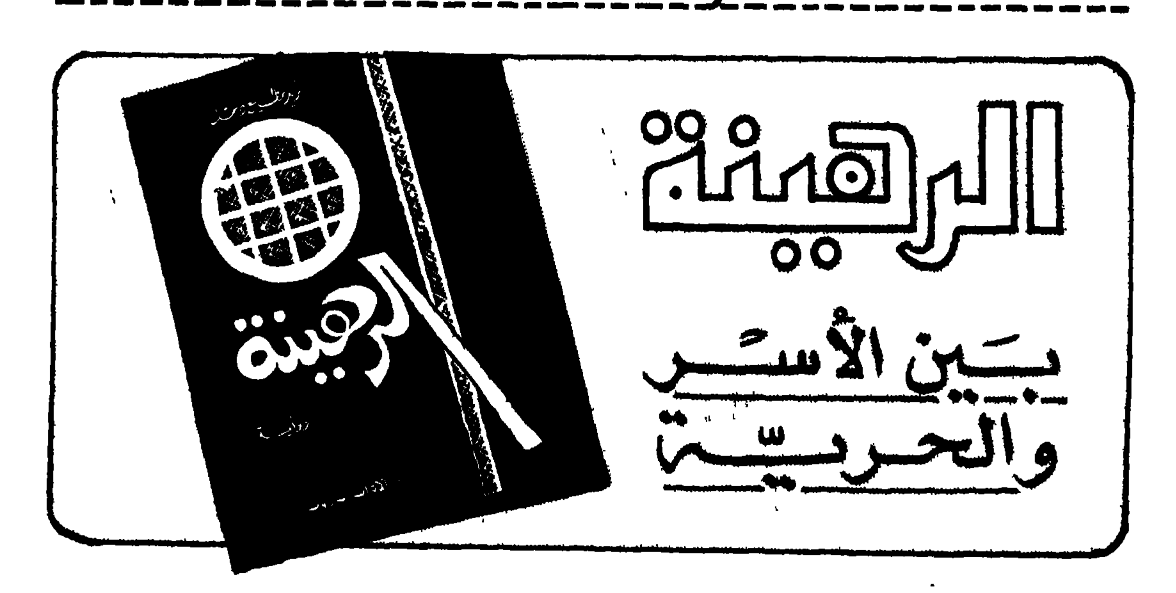
لذلك تفضل ادارات المفاعلات استخدام الاجانب لفترة قصيرة ، وذلك لانجاز المهمات الخطيرة ، اذ تستأجرهم عن طريق الشركات التي تتداول بالأيدي العاملة

موتى بلا شهود

يتم تلوث هؤلاء العمال غالبا ، خلال ايام معدوده ، بل ساعات او دقائق ، بالحد الأقصى من الجرعة الذرية المسموحة للعاملين في هذا المجال خلال سنة كاملة ثم يستبدلون بساطة بعمال آخرين .

لا يدرك العمال الأجانب غالبا المخاطر التي تحدق بهم عند عملهم في المفاعلات الذرية واسباب انتهاء العمل المفاجىء ، او بعد فترة قصيرة من ابتدائه احيانا ومن المؤكد اليوم بأن اي تلوث اشعاعي مهما قل حجمه يؤدي اما الى الاصابة بالسرطان او الى مرض وراثي يصيب الأجيال القادمة ، وأخبث ما في عوارض المرض تبدأ بعد فترة طويلة قد تبلغ العشرين او الثلاثين عاما . ومن يا ترى يثبت عندها بأن العامل التركي الذي يذهب ضحية السرطان ، كان قد سبق له العمل في المجال الخطر لأحد المفاعلات الذرية التي تستخدم مئات الالوف من العمال سنويا ، في المانيا نصفهم على الأقل من الأجانب الذي يغادرون الى بلدانهم قبل ظهور نتائج التلوث عليهم ويموتون على دفعات ، بلا شهود او أدلة . □

من المكتبة العربية



تأليف : زيد مطيع دماج
عرض وتحليل : الدكتور أمين العيوطي

مع « رهينة » زيد مطيع دمّاج أنت لست مع رهينة اختطفتها عصابة من اجل فدية ، ولا أنت مع رهينة في حادث اختطاف طائرة في عالمنا المعاصر ، الذي لم يعد يعرف الأمان وسط كل أشكال الارهاب ، انت مع رهينة من نوع فريد لم يخطر لك على بال ، رهينة ترسف في أغلال القرون الوسطى في ليل الامامة البائد في اليمن ، والفجر يوشك أن يلوح ، والرهينة تدق باب الحرية ركلا بقدمين يدميهما قيد ثقيل ، ودقا بقبضتي يدين مغلولتين من أجل الوثوب بقفزة واحدة الى اعتاب القرن العشرين . .

يسعد المرء حين يضع يده على عمل فني من قطر عربي عزيز ، يتحدى كل محاولات التمزيق والعزل وعدم التواصل ، ويسعد المرء أكثر حين يجد في هذا العمل صدى لآلامه وأحلامه وآماله ، ورواية « الرهينة » التي بين أيدينا الآن تأتينا من اليمن السعيد .

والرهينة هنا ليست سوى صبي هربت به أمه وسط مزارع الذرة والقصب في قرية جبلية ، خوفا عليه من حرس الامام الخاص ، وفرسان ولي العهد سيف الاسلام ، قبل أن يحدقوا بهما وينتزعوه من أحضانها الملتاعة ، وهو ليس الا رهينة من رهائن عديدة ، يساق الى سجن القلعة ، قبل أن يرسل الى قصر من

قصور الامام أو أحد الأمراء أو أحد نواب الامام ، وهو ما يزال بعد صبيا لم يبلغ الحلم ، ليقوم بعمل « الطواشي » في قصره ، يدلك له ساقيه أو يجهز المقيل له ولزمرته ، أو ليقوم بخدمة حريم القصر من روحات وأحوات وبنات وخادمات ، بما في ذلك الممارسة لكل أشكال الجنس الشاذة ، تحت مسمى « دويدار » إما ضمانا لولاء أبيه ، أو كسرا لشوكته ان كان أحد المناضلين ضد نظام الامام

في غياهب السجون

الى الفئة الأخيرة لا ينتمي فقط والد الصبي الذي « يلهب الدنيا بلسانه الطويل على الامام في الجرائد في عدن » ، بل الاعمام وأفراد الأسرة الآخرون من مشايخ ورؤساء ألقي بهم في غياهب السجون ، بحيث لم يعد في ديار القبيلة الا النساء والرضع ، وأمهات يذرفن الدمع على الصبية الرهائن ، الرواية بلا شك تجربة فريدة في نوعها ، غريبة كل الغرابة على القارىء العربي ، ومن ثم فإن جدتها التي تفتح للخيال والعقل آفاقا جديدة ، لم نحلم بها في تجربتنا العربية ، مع كل أشكال القمع والكبت والقهر التي تناولتها الأقلام العربية في كل الأقطار .

وليس بأقل غرابة من هذه التجربة غرابة البيئة الاجتماعية التاريخية التي يجري فيها الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ، فقصر نائب الامام ليس الا صورة أخرى من قصور الامام والأمراء ، هو قلعة أخرى يحيط سورها العالي بملحقاتها من قصور الآباء والأجداد وقصور الحريم بعنابر الجند النظاميين على يمين البوابة الرئيسة ، وعنابر « الجند البراني » وجنود الاحتياط خارج البوابة على يسارها ، تطل على ميدان فسيح ، يغدو فيه الجند ويروحون حفاة الأقدام ببنادقهم « الموزر والصابة والشلي الطويلة » الموشاة بالحلي الفضية والعملات المعدنية الأجنبية ، وحافظة رصاص البنادق تلتف من الكتف الى الخصر ، وتدور حول الصدر والظهر .

واذا كان السور العالي يعزل القصر عن المدينة ، فهناك سور آخر وهمي يعزل اليمن بأسرها عن العالم الخارجي ، فالصلة الوحيدة التي تربط اليمن بالعالم الواسع والقرن العشرين مذياع نائب الامام ، الذي يلتف حوله حشد كبير داخل أسوار القصر وخارجها ، أو حالك قديم باسطواناته الفحمية ، أو تلك السيارة القادمة من عالم مجهول ، يحملها ابن النائب معه من الخارج ، فتخرج المدينة شيبها وشبابها ورجالها ونسائها وأطفالها للفرجة عليها ، قبل أن يستولي عليها ولي العهد ، وهذه العزلة لا تفرض فقط انقطاع الصلة بين اليمن والقرن العشرين ، لكنها تفرض كافة أشكال التخلف والفقر والقهر ، فقد تبدو المدينة لعيني الطفل من فوق أسوار القلعة بمآذنها وقبابها ومنازلها وهضابها وسهولها وجبالها الممتدة على مدى البصر جميلة تخلب اللب ، لكنه حين يخبرها عن قرب يجدها « بؤرة للبؤساء » والمرضى والمجانين ، وأصحاب العاهات والمعوقين والحكام الظالمين ، مدينة البؤس والتعاسة » .

المكان اذن ليس مجرد بيئة مطرية ، هي بيئة احتماعية سياسية تاريخية ، الجانب التاريخي فيها لا تحدده فقط الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث الرواية ، بل يحدده أيضا حديث العسكر الدائم عن معارك ضد الاتراك والوهابيين والبريطانيين ، أو حديث ضارب النفير عن حرب الانسحاب التي جرت في أطراف تهامة بين الوهابيين والسعايدة ، وبين اليمنيين والزيود والمتوكلين وانسحابهم الى عدن ، بل ان صور هتلر وموسيليني وعمر المختار التي يزين بها الدويدار الآخر رفيق الصبي الرهينة جدران غرفته تحدد الزمن الذي تجري فيه الأحداث .

واذا كانت تلك الذكريات والصور مجرد أصداء تاريخية تتردد في جنبات الرواية ، فان الكفاح ضد نظام الامامة يكسب الرواية بعدا تاريخيا حديثا ، فهناك جو التوتر السياسي الذي يضفيه على جو الرواية وجود الأحرار اليمنيين في عدن ، والمؤامرة التي يحيكونها في صنعاء ضد الامام ، وأحاديث المقيل عن قضية الأحرار والدستور ، وولي العهد سيف الاسلام ووالده الامام الهرم ، هذا الاشتغال بالاطار التاريخي السياسي الذى تعرض الرواية في سياقه الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ينطق بلسان فصيح فيما يقوله الراوية من انه :

في سجل تاريخ شعبنا اليماني ـ انه قادر على تنفيذ كل رغبة تجتاح مشاعره ، وهو ينفذها بالفعل ولو بطريقة عشوائية ، ربما يقال انها ليست مثيرة ، ولكنني

أوكد أنها مثيرة ، فباستطاعته انهاء الظلم ولو نصر الحمال وحقدها .

العام والشخصي

هكذا يأتي مقتل الامام في صعاء وهروب ولي العهد من المدينة ، ثم تجميع صفوف رجاله وانقضاضه على معارضيه ، واستباحة المدينة قتلا وسلبا ونهبا ليضع الحدث الشخصي الخاص بالرهينة في اطار تاريخي عام ، بل ليكسبه دلالات تاريخية وسياسية أعمق ، فالرواية في حقيقة الأمر ، تجدل الخط العام والخط الشخصي في ضفيرة واحدة ، بحيث تصبح هموم الرهينة الشخصية هموما عامة ويرتبط أسرها بمقاومة الأحرار ، بل بالقضية الأساسية التي تتناولها الرواية وهي قضية الحرية

البيئة اذن ليست مجرد خلفية للزينة ، انها بيئة فعالة تشكل مقومات شخصية الصبي ، وتلعب دورها في توجيه مسار الحدث ، فهي تتحكم في تحديد موقف الصبي الرهينة ومشاعره وعواطفه وأفكاره تجاه ما يحيط به من شخصيات ، وما يدور حوله من أحداث ، وبداية ، فان انتزاعه من بين أحضان أمه وسواعد ذويه هو الذي يحدد موقفه ، إن حبا أو تمردا أو تعررا أو اشتهاء أو تعاطفا أو نفورا أو رغبة في الفرار ، ثم هناك الحزن العميق والاحساس بالدونية الذي يلاحقه ويلاحق صديقه ورفيقه في الأسر ، كلما أنشد الجند لهما ذلك النشيد الحماعي التقليدي الذي يصبح لازمة تتردد من آن لآخر على امتداد الرواية :

« يا دويدار . . قد امك . فاقدة لك . دمعها كالمطر » وهو نشيد يحرك في الرهينة الحنين الى حضن الأم ، والأمان وسط العشيرة والقبيلة التي ينتمي اليها هذا الحنين الذي يلمع في عيون الرهائن ، وهم جلوس على سطح سور القلعة المطل على المدينة ، يؤرجحون سيقانهم في الهواء ، وينظرون الى الأفق البعيد ، كل يبحث عن قريته وراء الجبال ، أو يحلم بلدته القابعة في حضن الجبل الأشم المعروسة بين عشرات القرى ومئات الحقول المدرجة وآلاف المزارعين »

قد يولد هذا في نفس الصبي حلم الفرار ، وهو ما تمكن منه البعض وفشل فيه البعض الآخر ، فعاد الى القرية مكبلا بالقيود الحديدية مدى الحياة ، لكن حلم الحرية لا يغيب عن عينيه أبدا ، وهو في هذا مختلف عن رفيقه الدويدار الآخر الذي يبدو مستسلما لمصيره ، اذ لم يكن أيضا مستمتعا بحياة الأسر ، ولعل السر في أن الرواية تقدم دويدارين بدلا من دويدار واحد ، يصبح نمطا يمثل كل الرهائن ، هو أن الكاتب انما يريد في الواقع أن يقدم نموذجين متعارضين وموقفين متناقضين ، يعمق من خلالهما التناقض بينهما . نلمح التمرد الدائم في الصبي الرهينة فاذا كان « الدويدار الحالي » ، أو الصبي الجميل قد استسلم لتلبية رغبات حريم القصر فان الصبي الرهينة لا يحركه لا شعورية بالتقزز ، وليس التقزز في الحقيقة الا شكلا من أشكال النفور والتمرد والتحدي الذي يضفي على صاحبه صفة يتميز بها عن الدويدار الآخر

قيد للجميع

ولعل هذا التناقض بين الاثنين على وجه التحديد هو الذي يتحكم في مسار كل منهما ، فالواقع أن خطيهما يتطوران في اتجاهين معاكسين ، الدويدار « الحالي » يبدأ حياته في قصر النائب ، رشيقا نشيطا ذكيا سريع البديهة حاضر النكتة ، لا يقر له قرار ، يحوم على الدوام في جنبات القصر ، لكن بدنه لا يلبث أن يذبل فيشحب لونه ويتسلل السل الى صدره ، ويشتد في الليل سعاله المبحوح ، وتبين صفرته عن قرب أجله ، وتتحول عنه النساء اللاتي أوردنه مورد الهلاك ، لكن المصير التعس الذي يلقاه لا يثير فقط أحزان الصبي الرهينة ، بل يثير فيه ادراكا بالمصير الذي ينتظره اذا تبع نفس المسار ، ويصبح هذا الادراك أحد العوامل الحاسمة في تشكيل موقفه النهائي من حياته في القصر ، ومن نسائه ، وعلى الأخص الشريفة حفصة وحتى حين تصدر الأمر بفك قيده ، فانه يقاوم تنفيذ الأمر ، ويشتبك مع الجندي المكلف بتنفيذ الأمر في معركة بالأظافر والأسنان والحصى والركلات واللطمات ، هو لن يخضع ، وقد تجد الشريفة حفصة صعوبة في فهم موقفه هذا ، لكن

رفضه يسع أساسا من موقف ، قد يعذبه الاحساس بالقهر ، وقد يولد فيه الاحساس بالعجز فكرة ان : السجين المقيد مرتاح أكثر ممن هم طلقاء بلا قيود في هذه المدينة ، بل ربما في البلاد كلها ! فعذرهم واصبح بانهم سجناء مقيدون لا حول لهم ولا قوة .

لكنه في النهاية لن يرضخ للقهر دون تأكيد ارادته وقدرته على المقاومة ، فهو صاحب قضية : قيده هو القيد الذي يكبل الجميع ، وأسرته بعضها مشرد وبعضها في السجون . أو في المهجر ، وهو رهينة ووالده يناصل في عدن ضد الامام وسيوفه ، وهو مشدود بين ما يجري بداخله من غضب عارم لما حل باسرته وبه ، وبين ما يعتمل في أعماقه من رغبة شبقة في المرأة تستبد به ، لكن الغضب والمقاومة هما السبيل الوحيد لتأكيد كرامته كانسان

ولحظة الادراك الذاتي هذه لا تنفصل أيضا عن لحظة ادراك عامة وسط الصراع المحتدم بين الأحرار الوطنيين وبين نظام الامامه المتخلف ، وهو خط لا يغيب عن وعي الصبي لحظة واحدة . فهو حين يعرب لصديقه عن رغبته في الخروج من القصر الى الميدان والمدينة والشارع والسوق ، فلأنه كما يقول « أريد أن أشم الهواء النقي ، أن أشعر بأنني حر » قضيه الحرية لا تغيب عن باله لحظة ، وحين يعرب له صديقه عن رغبته في أن يحمل فراشه الى مكان آخر خارج الغرفة التي تضمهما ، والتي يأنس اليها الصبي رغم فقرها بحده يقول :

ـ هل آخذ أشيائي وأرحل عن رغبة لك ؟

ـ أنت حر .

ـ لم أعد حراً منذ عرفت قلعة الرهائن . . وقصر مولاك النائب . . ودار الشريفة حمصة

ادراكه يصل الى المزاوجة بين الأسر السياسي والأسر الجنسي الذي تريد الشريفة حمصة أن توقعه في حبائله ، والذي كان على الدوام يجاهد ضد الوقوع فيه .

ومرة أخرى تنفصل اللحظة الذاتية عن اللحظة العامة ، لحظة موت صديقه لا تنفصل عن اللحظة التاريخية التي يقتل فيها الامام ، ويهرب فيها ولي العهد ، ثم تحدث المعركة عندئذ

تتوهجت المدينة والقرى المحيطة بها في الجبال والسهول بأضواء هائلة على أسطح المنازل تدل على وقوع حدث مهم

وينتصر ولي العهد على الثوريين ، وتتر رقاب في مدينة حجة ، وتستباح صنعاء ، ويترامى موت « الدويدار الحالي » وانتصار الامام الجديد ويصل الحدثان بالصبي الى ادراك جديد بان لا وجود للعاطفة في هذا القصر ، ومن الادراك يتولد قرار بالفرار ، وتحاول الشريفة حمصة ان تحول دون فراره ، وامام اصراره تحاول اغراءه أن يأخذها معه ، انها تحاول في الواقع أن تعرض عليه انقاذها في لحظة تاريخية تدرك فيها انه لم يعد لها ولا للنظام الذي تمثله بقاء ، لكنه يطلق لسياقه العنان ، تاركا وراءه صوتها المجروح يناديه ، لكنه كان قد قطع « مسافة كافية في طريق جديد مؤد الى المستقبل » .

بهذه النهاية المفتوحة تومىء الرواية الى مستقبل مفتوح ، ربما لم تكن معالمه قد اتضحت بعد ، لكنه مستقبل يوحي بالتفاؤل والأمل ، فقد كانت الرواية تتحرك منذ البداية بين نقطتين ، نقطة انطلاق ونقطة وصول ، بين لحظة الأسر ولحظة الحرية ، وصدقت النبوءة ، وانطلق اليمن . □

في القُبْلَة

قيل : قبلة المؤمن للمؤمن المصافحة ، وقبلة الرجل زوجته الفم ، وقبلة الوالد لولده الرأس ، وقبلة الأم للابن الخد . وقال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام : قبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الأخ للأخ رقة .

مكتبة العربي

مختارات



من المكتبة العربية
الكتاب : الديون والتنمية
المؤلف : د . رمزي زكي .
الناشر : دار المستقبل العربي ـ القاهرة
عدد الصفحات . ٢٧٠ صفحة .

في هذه الدراسة المهمة يحاول د . رمزي زكي أن يمسك « بالخيوط المعقدة التي تشابكت في السنوات العشر الأخيرة ، لتنسج مشكلة المديونية الخارجية لبعض الدول العربية » ويضع المؤلف هذه القضية الخطيرة والمعقدة ضمن اطارها الموضوعي ، من ظروف اقليمية وعالمية ، زادت من تفاقم هذه القضية ، والاثار التي حدثت بفعلها في البلدان المعنية .

ولا يكتفي د . رمزي بتقديم صورة واضحة لهذه المشكلة المعقدة للقراء المختصين والمثقفين المهتمين فحسب ، بل يتقدم خطوة أخرى ، ويقدم رؤية عربية لطرق مواجهة هذه المشكلة .



الكتاب : يتشكل الغيم في رحم المدينة ـ شعر .
المؤلف : هادى دانيال .
الناشر : الشركة التونسية لفنون الرسم ـ تونس .
عدد الصفحات : ١٠٠ صفحة .

الكتاب الشعري السادس للشاعر السوري هادي دانيال الذي يعكس في كتاباته الشعرية هما قوميا واضحا ، وتعلو فيه نبرة التحريض ضد الواقع الذي تعربد فيه أصوات الشر والقهر ، وتبرز من خلاله صور الاحتلال الصهيوني .

وضمن هذا المناخ المحدد القسمات والملامح يجد الشاعر مفرداته التي تتميز بالمباشرة والوضوح ، والتي لا تخلو من قسوة ، وتكاد لا توحي بأكثر من حروفها المحددة بصرامة ، وعلى مستوى القصيدة ضم الديوان قصائد تتراوح بين القصيدة التقليدية وقصيدة الشعر الحر والقصيدة النثرية ، يجمعها كلها ذلك النفس التحريضي الذي أشرنا اليه .



الكتاب : القراءة والتجربة ـ حول التجريب ـ في الخطاب الروائي الجديد في المغرب .
المؤلف : سعيد يقطين
الناشر : دار الثقافة ـ الدار البيضاء ـ المغرب .
عدد الصفحات : ٣٢٠ صفحة .

يبحث هذا الكتاب وهو الرابع في سلسلة الدراسات النقدية قضايا نظرية وتطبيقية في الأدب المغربي المعاصر وخصوصاً في الرواية .

وينطلق من أربعة نماذج روائية ، شهدتها مرحلة الثمانينيات ، وهي المرحلة التي يطلق عليها المؤلف اسم « التجريبية » .

ومَهَّد الكاتب لهذه الدراسة التطبيقية بمقدمة حول قراءة التجربة وتجربة القراءة ، وختمها بفصل تأليفي يحمل عنوان « اشكالية الخطاب الروائي الجديد بالمغرب » ، أما مفهوم التجريب في هذه الدراسة

فينهض على تكسير البناء الهرمي التقليدي للعمل الأدبي ، فهو بذلك نهج ملائم لمرحلة تاريخية تأتي على سابقتها وتطمح الى انتاج آخر ، ليس له غاية قابلة للتحديد موضوعا ، ومن هذا المنظور تنطلق الدراسة في تحليل التجربة الروائية في مرحلة الثمانينيات ، دون أن تفصلها عن كتابات المديني والتازي وربيع في مرحلة السبعينيات ، وعن محاولات التجريب في الرواية العربية بشكل عام ويعد هذا الكتاب محاولة تأسيسية في مجال النقد الجديد ، استفاد فيها الكاتب من انجازات المناهج الغربية الحديثة .



الكتاب : درس الابيستيمولوجيا .
المؤلف : عبدالسلام بن عبدالعاطي وسالم يفوت .
الناشر : دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء
عدد الصفحات : ٢١٠ صفحات .

يحاول مؤلفا الكتاب الوقوف عند بعض المعطفات الكبرى التي عرفتها بعض المعارف العلمية ، لا من أجل مسحها والتأريخ لها ، وانما بهدف رصد مظاهر التحديد والطرافة فيها ، باعتبار أنها كانت مناسبات لاعادة النظر ، فيما كان ينظر اليه على أنه أولي وضروري

ويعود المؤلفان الى المنطق الجديد الذي أسسه ديكارت على أنقاض المدارس الفلسفية التقليدية ، وموضوع هذا المنطق الجديد هو علم العلوم ، أي العلم الذي يتخذ موضوعا له العلوم ، ليسجل الطرق التي يتبعها العلماء في ميادينهم المختلفة ، فينتقد تلك الطرق ، ولا تعني عملية الانتقاد أن هذا المنطق تسجيل تاريخي للمناهج التي اتخذتها العلوم في دراساتها ، فالمنطق علم معياري لا يكتفي بتقرير الواقع أو تسجيله ، وانما يتوق الى ما يتجاوزه .

ويوضحان من خلال الكتاب أن الابيستيمولوجيا ليست نظرية المعرفة التقليدية ، فنظرية المعرفة كما يدل على ذلك اسمها ، تهتم بجميع أنواع المعارف دون تخصيص ، في حين أن الابيستيمولوجيا تتعرض لنوع خاص من المعارف هو المعرفة العلمية .



الكتاب : الخليج العربي والحضارة المعاصرة .
المؤلف : عبدالرزاق البصير .
الناشر : مطبعة حكومة الكويت .
عدد الصفحات : ١٣١ صفحة .

في هذا الكتاب ـ وهو الرابع ـ للمؤلف يجمع عبدالرزاق البصير عددا من المقالات التي كان نشرها على فترات متباعدة في صحف ومجلات عربية ويجمع بين هذه المقالات المتنوعة قضية مهمة هي قضية عروبة الخليج ، ويلج المؤلف الى هذه القضية من الجانب السياسي والاجتماعي والتاريخي والأدبي ، وعلى مدى هذه الحقول يسير الأستاذ البصير ، فيبحث في اسم الخليج العربي وتاريخه وكُتابه وشعرائه وعلاقاته الثقافية والأدبية ، ويضيء بعض جوانب هذا التاريخ ، وخصوصاً الجانب الأدبي ، ويدخل في نقاش مع كتاب آخرين أثاروا قضية ما حول المنطقة ، ليصل في النهاية الى هدفه المقصود في رسم صورة متكاملة للطابع العربي لمنطقة الخليج .



الكتاب : رحلة جبلية ـ رحلة صعبة ـ سيرة ذاتية .
المؤلفة : فدوى طوقان .
الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع ـ عمان .
عدد الصفحات : ٢٣٩ صفحة .

في هذه السيرة الذاتية للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، نرى أكثر من هم ، ونخرج بأكثر من سؤ ال ، ونترك الكتاب ولدينا معرفة بالمناخ الفلسطيني المعقد الذي اكتنف الحياة والمجتمع في فلسطين ما قبل النكبة وقبل النكسة ، وقبل أن يأخذ الصراع العربي الصهيوني شكله الحالي .

وخلال رحلتها الجبلية الصعبة تقتحم فدوى طوقان بجرأة تحسب لها عالم الاعترافات الذاتية التي تعودنا على قراءتها عبر أعمال الرجال من الكتاب . وعبر هذه الاعترافات والذكريات الذاتية نخرج بصورة عن الأجواء الاجتماعية والسياسية التي أسهمت في التكوين الأدبي للشاعرة الفلسطينية الكبيرة .

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٤
سبتمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - 13008 - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٤ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اكتوبر ١٩٨٦

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٤

١ - ورد في أحد كتب السلف الصالح الفقرة التالية :-

« قال بعضهم عن الأرض انها مبسوطة في التسطيح وقال بعضهم هي على شكل الترس ، ولولا ذلك لما ثبت عليها بناء ولا مشى عليها حيوان . والذي يعتمد عليه جماهيرهم (بمعنى كثرتهم) أن الأرض مدورة كالكرة ومن القدماء من أصحاب فيثاغورس من قال ان الأرض متحركة دائما على الاستدارة ، والذي يُرى من دوران الكواكب انما هو دوران الأرض لا الكواكب

ترى من أي الكتب الثلاثة التالية اقتطفت هذه الفقرة ؟ .

* عجائب الخلق للقزويني .
* المقدمة لابن خلدون .
* كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي .

٢ - يقال ان الضفادع السامة هي الأشد فتكا بالانسان . . ويقال ان أشد تلك الضفادع أذى هي التي تعرف باسم ضفادع السهام السامة . . وموطنها أمريكا الجنوبية . فهي أشد فتكا بالانسان وسائر الحيوان من الوحوش المفترسة والثعابين والعناكب والعقارب والتماسيح . هذا بالرغم من حجمها الصغير الذي يعادل تقريبا حجم الضفادع العادية . صواب أم خطأ . . . . . ؟

٣ - قوة الجاذبية ليست وقفا على الكرة الأرضية . . فهي موجودة في الكون كله . . وفي كل جرم من أجرامه . فان كان سقوط الأجسام على سطح الأرض دليلا على الجاذبية الأرضية . . فما هو الدليل على وجود الجاذبية الكونية ؟

* بقاء أجرام الفضاء في مواضعها
* المذنبات التي تزور المجموعة الشمسية بين حين وحين .

١

* زخات الشهب التي تنقض على سطح الارض هنا وهناك

٤ ـ لن ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

هذا بيت لأبي نواس .. قرأه أحد فحول الشعراء ، فسأل لمن هذا البيت ؟ فقيل لأبي نواس .. فقال وددت انه لي بنصف شعري فمن هو هذا الشاعر الفحل الذي قال هذه الكلمات ؟

٥ ـ شقائق النعمان لم سموها بهذا الاسم ونسبوها الى النعمان ؟

٦ ـ الجنرال سمطس .. واسمه بالكامل جان كريستيان سمطس شغل منصب رئاسة الوزراء في جنوب افريقيا .. وخاض حرب البوير قبل ذلك ..

ترى هل كان سمطس من الانجليز أم من قبائل البوير ؟

٧ ـ مجلس العموم البريطاني ، من أقدم البرلمانات في العالم ، وهو بلا ريب الأساس الذي قام عليه الحكم الديمقراطي في بريطانيا .. ترى من الذي دعا هذا المجلس للانعقاد في دورته الأولى .. سنة ١٢٦٥ ؟

* رجل فرنسي قدم الى بريطانيا سنة (١٢٣٠) واسمه سيمون دي مونتفو

* اوليفر كروميل الزعيم البريطاني المعروف الذي ثار على الملكية وانتصر عليها .

* ريتشارد قلب الأسد الذي اشتهر بخوضه الحروب الصليبية .

٨ ـ الدلتا هي المنطقة التي تتكون عند مصب الأنهار ، حيث تتفرع هذه الأنهار الى فرعين أو أكثر .. وتشق طريقها الى البحر عبر رواسب تلك الأنهار .. ترى لم سموها الدلتا ؟

* اللفظ فرعوني ويعني الطمي .

* اللفظ لاتيني ويعني الخصوبة .

* اللفظ يوناني . بل انه أحد حروف الهجاء اليونانية ، ويكتب على شكل مثلث ، ولما كانت الدلتا التي تتكون عند مصبات الأنهار مثلثة الشكل كحرف الدلتا أطلقوا عليها اسم الدلتا

٩ ـ املأ الفراغ في الامثال التالية ـ

أفصح من . .

أبصر من . . . .

أبلغ من . . . .

١٠ ـ هناك نوعان من الفيلة . الفيلة الاسيوية والفيلة الافريقية . فأي النوعين أكبر آذانا وأيها أكبر أنيابا . ؟

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا والأكبر أنيابا .

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا

* الفيل الأسيوي هو الأكبر أنيابا

١١ ـ زرع فلاح ١٠٠ شجيرة فريز في حديقته ، وفي خط مستقيم ، وجعل بين كل شجيرة وأخرى مسافة ياردة واحدة . وأثبت الفلاح غباءه حين اراد قطف محصوله ، فوضع السلة على بعد ياردة واحدة من الخط الذي زرع فيه شجيراته .. فما هي المسافة التي قطعها حتى استكمل قطف كل محصوله ووضعه في السلة . ؟ علما بأن الشجيرة الواحدة لم تحمل سوى ثمرة فريز واحدة .. ؟

١٢ ـ المُلْسون

المُلسِّن

المُلْسِن

المِلْسَن

أي هذه الألفاظ يدل على الكذاب ، حلو اللسان بعيد الفعال ؟

مسابقة العربي الثقافية

١ ـ ينبغي للكلب أن يقفز (٦٧٥) قفزة ليتمكن من اللحاق بالثعلب وتجاوزه .

٢ ـ تمثل الصورة احدى اللوحات الرائعة التي عثروا عليها على جدران الكهوف في جنوب فرنسا وشمال اسبانيا . . وعلى روعة الفن التي تتجلى في هذه اللوحات فانها من مخلفات العصور الحجرية . أي أنها رسمت قبل حوالي ٢٠,٠٠٠ سنة .

٣ ـ في نيوزيلندة . . وتعتبر هذه البحيرة وأمثالها من أعجب ظواهر الطبيعة . . اذ تتدفق منها نوافير الماء وأعمدة البخار ، كل على حدة ، وعلى نحو من التراوح والانتظام يبعث على العجب حقا .

٤ ـ نعم وذلك بفعل التحات الذي يحدثه ماء الشلال في الصخور التي تحته . . فشلالات نياجرا التي تقع على حدود كندا مع الولايات المتحدة ، تتزحزح وتتحرك في اتجاه نبع النهر بمعدل متر واحد في السنة .

٥ ـ كتاب الجاسوس على القاموس ، ألفه احمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) ونقد فيه القاموس المحيط للفيروزبادي .

٦ ـ سيدارتا جواتاما هو (بوذا) مؤسس المذهب البوذي (٥٦٣ ـ ٤٨٣ ق م) ولفظ بوذا صفة وتعني « المستنير » وقصة جواتاما الأمير الذي هجر أهله والرفاهية وهو في التاسعة والعشرين قصة معروفة .

٧ ـ جزيرة بومباي تقع في بحر العرب ، وبمحاذاة شاطيء الهند الشمالي . . وتبلغ هذه الجزيرة ١١ ميلا بالطول و١٣ ميلا بالعرض . . وقد أنشئت مدينة بومباي على الطرف الجنوبي من هذه الجزيرة .
وتجدر الاشارة الى أن بومباي تعتبر حاليا من أكبر مدن العالم وأكثرها سكانا ، وتؤوي جامعة « بومباي » الشهيرة . . فهذه الجامعة التي انشئت سنة ١٨٥٧ تضم ٤٢ كلية .

٨ ـ المخترع الأول هو صانع النظارات الهولندي . . وقد عرف جاليليو عن اختراعه فعمد الى صنع نظيره . . والى تطويره .

٩ ـ سار الرجل ميلا ، وقطع ٧ أميال راكبا .

١٠ ـ البحر الميت هو الأكثر انخفاضا عن سطح البحر . . أما بحيرة بايكال فليست منخفضة عن سطح البحر على الاطلاق . . بل انها تقع في منطقة جبلية يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر ١٥٠٠قدم . . الا أن بحيرة بايكال أعمق بحيرات العالم بلا نزاع . . . اذ يبلغ عمقها في أقصاه ٥٣٠٠ قدم . .

١١ ـ نرى السماء زرقاء . . بسبب ضوء الشمس . . والأشعة الزرقاء منه بالتحديد . . فهذه الأشعة الزرقاء ـ دون غيرها ـ تتعرض للبعثرة ، وهي آتية الينا عبر الغلاف الجوي . . الهواء يبعثرها بحيث تسقط على أعيننا من كل جانب . . وهذا هو ما يجعل السماء تبدو لنا زرقاء .

١٢ ـ الزاووة أو الزاؤوة هو الزئبق . . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣١ يونيو ١٩٨٦

الجائزة الأولى : عبدالغني محمد عوض ـ مصر/ قنا/ قوص

الجائزة الثانية . سلمان محمد السادة ـ السعودية/ نادى الخويلدية/ القطيف ـ المنطقة الشرقية .

الجائزة الثالثة : مجد محمد مراد ـ الكويت/ مدرسة النهضة/ ص . ب (١٩٠٢٨)

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ مندومي الحسن بن محمد ـ المغرب/ المحجوب/ رسموكه/ اقليم تزنيت/ المغرب الأقصى

٢ ـ زكريا كمال الدين محمد ـ مصر/ وجه قبلي/ فرشوط/ الكرنك/ عزبة البوصة

٣ ـ البو حمادى محمد ـ المغرب/ استوديو النجاح رقم ٢١/ زنقة الشامرية/ الحي الحجرى العيون .

٤ ـ كمال أبو بزيد شبارة ـ مصر/ كفر الزيات/ مدرسة الشوربجي .

٥ ـ فاطمة أصغر على ـ البحرين/ الرفاع الشرقي .

٦ ـ جيهان الياس ابراهيم ـ مصر/ القاهرة .

٧ ـ حاتم محمد السيد حسين ـ مصر/ الزقازيق .

٨ ـ يوسف بلال يوسف ـ الصومال/ مقديشو .

معركة بلا سلاح

الطفل العربي والشطرنج

من الأحداث الشطرنجية الرائدة التي تبعث على التفاؤل بمستقبل شطرنجي مشرق في وطننا العربي والتي تدل على الاهتمام والرعاية المتزايدة التي توليها الهيئات والمحافل المعنية على الصعيدين الحكومي والأهلي لدعم هذه اللعبة وارساء قواعدها على أسس وطيدة ، تلك المباراة التي نظمتها الجامعة المغربية للشطرنج لبطولة المغرب المفتوحة للناشئين تحت ١٢ عاماً ، والتي أقيمت في قاعة علال الفاسي في مدينة الرباط في مطلع شهر مايو من العام الحالي .

وتعتبر هذه البادرة الطيبة دليلاً أكيداً على اقتناع الهيئات المسئولة عن الحركة الشطرنجية في هذا القطر العربي الناهض بأن التقدم المنشود في هذه اللعبة الذهنية الراقية التي تبذل كبريات الدول في عالمنا اليوم الجهود الجبارة لتحقيق مكانة رفيعة فيها يجب أن يبدأ بالناشئة العربية فالطفل هو دوماً حجر الأساس في بناء الصرح العلمي والثقافي السليم ودعم شطرنج الطفل خطوة أساسية هامة على الطريق الصحيح .

والاستعراض السريع لكبار أبطال الشطرنج الحاليين في العالم تكفي للتدليل على صحة ما نذهب إليه ، فمعظم أبطال العالم اليوم قد عايشوا اللعبة ومارسوها ممارسة جادة منذ سنوات طفولتهم المبكرة وقد تفتحت مواهبهم الفذة نتيجة للرعاية الواعية التي تلقوها منذ نعومة أظفارهم على أيدي الأهل والمسئولين عن الحركة الشطرنجية في بلادهم فبطل العالم السابق كاربوف وبطل العالم الحالي كاسباروف وبطل بريطانيا نايجل شورت وبطلة هنغاريا زوزا بولجار وبطل العرب سعيد أحمد سعيد كلهم رضعوا الشطرنج مع حليب أمهاتهم وحققوا بطولات دولية مرموقة قبل بلوغ الثامنة أو العاشرة من العمر .

وقد اشترك في المباراة المشار اليها ثلاثون طفلاً منهم ثمانية من الإناث ، وقد فاز بالبطولة المطلقة الطفل ميمون لمرابط الذي لا يتجاوز الثامنة والنصف من العمر (انظر الصورة) ، كما فازت الطفلة إكرام الرّغاي البالغة من العمر عشر سنوات بالمرتبة الأولى على الإناث والمرتبة الثامنة في الترتيب العام . وقد حظيت المباراة بتغطية تامة من جميع وسائل الاعلام المغربية من مسموعة ومكتوبة ومرئية ، وما من شك في أن ما لقيته هذه المباراة الرائدة من نجاح ودعم رسمي وشعبي سيكون له شأن في دفع عجلة هذه اللعبة الراقية وتشجيع الأطفال على تعلمها وممارستها أسوة بالبلاد المتقدمة التي أدخلتها حتى في صلب مناهجها المدرسية في مختلف المراحل التعليمية

الطفل ميمون لمرابط بطل المغرب تحت ١٢ سنة



الطفلة إكرام الرغاى بطلة المغرب للفتيات تحت ١٢ سنة والدور التالي الذي اخترناه لكم من الأدوار المميزة في شطرنج الأطفال :

□	■ أسود
١) هـ ٤	هـ ٥
٢) ح - و ٣	ح - جـ ٦
٣) ح - جـ ٣	ف - جـ ٥
٤) ح×هـ ٥ تضحية مؤقتة	ح × هـ ٥
٥) د ٤	ف - د ٦
٦) د×هـ ٥ مسترداً القطعة	ف × هـ ٥

٧) و ٤ الأبيض يهاجم باستمرار بهدف الانتشار السريع والسيطرة على وسط الرقعة

٧)	ف × جـ ٣ +
٨) ب × جـ ٣	ح - و ٦
٩) هـ ٥	ح - هـ ٤
١٠) و - د ٣ !	ح - جـ ٥

الأبيض لاحظ التهديد و - حـ ٤ +

١١) و - د ٥	ح - هـ ٦
١٢) و ٥	ح - ز ٥ ؟ ؟

يبدو أن الأسود يلعب دون هدىً

١٣) حـ ٤ مُقتنصاً الحصان و ٦

١٤) حـ × ر ٥	و× ز ٥

١٥) ر × حـ ٧ ! ! نقلة رائعة لاستاذ صَغير فالأسود لا يستطيع الأخذ خشية و - ر ٨ +

١٥)	ر - و ٨
١٦) ر × ز ٧	جـ ٦
١٧) و - د ٦	ر × و ٥ ؟ ؟
١٨) ز - ز ٨ +	ر - و ٨

١٩) ر × و ٨ كش مات

حل المسألة رقم (٣٣٢)

١) ف - ب ٨	هـ ٢

٢) ف - و ٤ مات

الفائزون بحل المسابقة ٣٣١

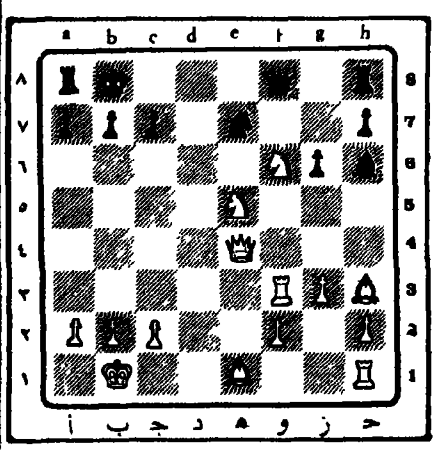
عدد يونيو ٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - طارق ارناؤوط - الزقازيق/ جمهورية مصر العربية
٢ - عبدالهادى محمد - بغداد/ العراق
٣ - ريم على - صنعاء/ اليمن
٤ - بودياب بوجمعة - تازه/ المغرب
٥ - باسم عبد الستار - الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - ابراهيم سامي - دمياط/ جمهورية مصر العربية
٢ - وسام هزيم - صافيتا/ سوريا
٣ - حمزة زواوي - بيروت/ لبنان
٤ - أحمد المهدى - الاسكندرية/ جمهورية مصر العربية
٥ - محمد صالح - درعا/ سوريا

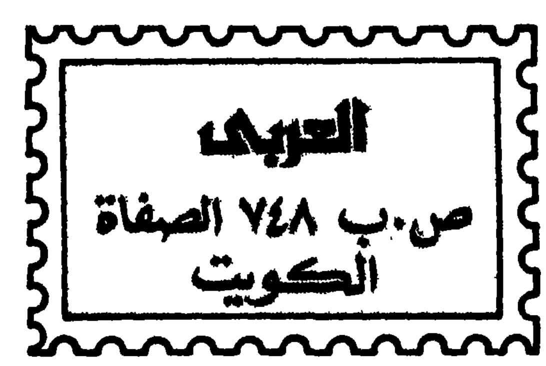


مسابقة العدد

٣٣٤

مات ٣

مهداة من القاريء عاطف عبد الغني



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

دور المثقفين العرب

● السيد الدكتور محمد الرميحي ،

أكتب اليك هذه الرسالة ، وان لست ثوب التعليق على مقالكم « الخطاب العلمي العربي » افتتاحية شهر مايو سنة ١٩٨٦ ، الا أنها في حقيقتها رسالة تقدير واحترام من قارىء لكاتبه

مطارق أسئلتكم تدق في داخلي بعنف ، فالقضية المطروحة في حديث الشهر هي قضية حياة أو موت ، يكون أو لايكون ، والعالم المتقدم استحوذ على مفاتيح العلم ، وراح يسيطر على دول العالم الثالث ، بما يملكه من قوى اقتصادية وفكرية وعسكرية وفرها له في الأساس التقدم العلمي والحضاري ، والوطن العربي ، رغم مابه من جامعات ومصانع ومزارع ، ومايمتلكه من دولارات وأسلحة وسلع استهلاكية ، لايزال يعيش في اقتصاد التخلف ، بما تعنيه هذه الكلمة من مرارة

وحتى هذا الاقتصاد لم يسلم لنا ، ولم نوفر له أسباب الحماية والصون ، فها هي أسعار البترول تتدهور ، ونخشى أن يصل هذا التدهور الى الحد الذي تصبح فيه تكاليف استخراج البترول عبئا على عرب النفط قبل عرب الماء على حد تعبير الكاتب الصحفي صلاح عيسى .

لقد كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل يقول .

« ان الوطن العربي توفرت له من الأموال مالم يتوفر في الماضي للدولة الأموية ، ولا للدولة العباسية ، ولالبريطانيا العظمى ولالفرنسا » فماذا فعلنا بهذه الأموال ؟

وكتب الاستاذ غسان حتاحت في مجلة الدوحة عن « لعبة الدولار » التي تهدر ثروات العرب ، وتضعهم تحت رحمة صناع القرار في واشنطن .

لقد حدث كل هذا تحت سمع وبصر كل الأنظمة العربية الحاكمة الآن ، ولذلك فان الخروج من المأزق أصبح من أخص واجبات الصفوة المثقفة التي يجب عليها أن تتكتل داخل الوطن العربي الكبير ، لخلق التيار القائد الذي يمكن أن يكون عامل ضغط وتأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية . .

ان السمة الغالبة للدول القوية والكبرى في عالمنا المعاصر هي التكتل من أجل المزيد من القوة ، وواقع أمتنا العربية هو التشرذم ، فهل نحن نحلم بالمستحيل حين ندعو مثقفي هذه الأمة الى توحيد جهودهم من أجل هذا الهدف ؟ فما السيل الا قطرات ماء نزلت متفرقة ثم تجمعت هادرة !

رجب دهمس
ج . م . ع .

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

العربي

ـ نشكر القارىء الكريم اهتمامه ، ونشاطره الثقة في أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به المثقفون العرب ، سواء في تنوير وتثوير قطاعات كبيرة من الشعب العربي ، أو في التأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية ، واننا اذ ننشر هذه الرسالة ، انما لنعبر عن تفاعل القارىء مع كاتبه ، وهو التفاعل الضروري ليتمكن المثقفون في الوطن العربي من أداء دورهم .

فالقوة التي يمكن أن تكون للمثقفين في الوطن العربي انما هي بحجم تفاعلهم مع القراء في كل مكان ، ومن خلال دور القراء في مواقع العمل وتأثيرهم في مجتمعاتهم .

من الكلمات الأخيرة ..
للدكتور عبد المحسن صالح

● قرأت في عدد يونيو سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب « حوار القراء » رسالة للقارىء مجاهد بن عبد الرحمن ، الدار البيضاء ـ المغرب ، يوجه فيها سؤالا الى المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح ، كما قرأت تعقيب المجلة على رسالة القارىء .

لقد هزتني كلمات التعقيب التي تطلب من العالم الفاضل أن يواصل كتابة مقالاته في اعداد العربي القادمة ، فرت الدموع من عيني ، وأجبرتني على ان أمسك بالقلم وأخط هذه الكلمات التي كانت آخر ماقاله لي قبل الرحيل بيومين « سأكف عن كتابة المقالات ، وأتفرغ لجمع ماكتبته منها في كتاب أو اثنين ، ولكني أنوي أن أكتب عدة مقالات للعربي ، لأن لها في عنقي دينا . وسوف تكون الخاتمة بالنسبة لي » .

لكن القدر لم يمهله كي يسدد هذا الدين ، فقد توفي يوم الجمعة ، أول رمضان/ ٩ مايو سنة ١٩٨٦ ، ومن أسف لم نكتشف وفاته غير مساء اليوم التالي السبت بعد أن تغيب عن موعد كنا سنلتقي فيه ، مما جعلنا نتشكك في الأمر ، وبخاصة انه لم يذهب الى عمله كالمعتاد ، فذهبنا اليه في بيته وكانت الفاجعة الكبرى ، حيث وجدناه قد رحل عنا فجأة الى رحاب الله .

والعالم د . عبد المحسن صالح لم يتزوج ، وانما وهب حياته كلها للبحث العلمي والثقافة ، فأثرى المكتبة العربية بعلمه وكتبه ومقالاته التي طافت في معجزات الكون بأسلوب راق ومبدع ، جعل هذه المعجزات في متناول ادراك القارىء العادي ، لذا فاني أرجوكم التفضل بارسال عنوان القارىء السائل الكريم كاملا ، حتى يتسنى لي الحصول على الاجابة الشافية لسؤاله وارسالها اليه ، ولكن أوجه اليه شكرا خاصا على تقديره وكلماته الطيبة التي خص بها العالم الراحل الكبير .

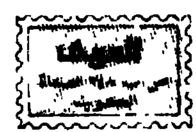
د نبيل سليم
مدرس بكلية الطب بجامعة الاسكندرية

العربي

ـ لانظن أننا في هذا المكان يمكن أن نوفي العالم الجليل المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح بعض حقه ، ان لهذه المهمة مكانا وزمانا آخرين في هذه المجلة ، وفي كل المجلات التي اختارها العالم الكبير ، ليعبر عن وفائه للعلم وللثقافة ولابناء أمته العربية .

انها مهمة تلاميذه ومحبيه وعارفي قدره ، وهي مهمة كبيرة وممتدة ، قد تتمثل في الكتابة عنه ، والتعريف بمنهجه في البحث وطريقته في الحياة ، وفي العمل ، وفي الكتابة .

وقد تتمثل أكثر من السير على طريقة وخدمة أبناء أمته بنفس الأسلوب السهل الممتنع الذي يجعل من



حوار القراء..

الأسلوب العلمي أسلوب حياة ومتعة حياة .

اننا اذ ننشر هذه الرسالة انما لنشارك أحد تلاميذ الدكتور عبد المحسن صالح أحزانه التي هي أحزاننا وأحزان القراء ، ولنقول للدكتور نبيل سليم يمكنك أن تبعث بردك على سؤال القارىء مجاهد عبد الرحمن بالدار البيضاء ـ الذي توجه به للمرحوم الدكتور عبد المحسن صالح ، الى مجلة العربي لنشره في هذا الباب ، أو في غيره ، تعميما للفائدة ، وخطوة على طريق الرائد الكبير . . .

عن الجمل أيضا

● قرأت على صفحات مجلة العربي عدد ابريل ٣٢٩ سنة ١٩٨٦ دراسة للأستاذ يوسف زعبلاوي « عن الجمل » ويسرني أن أعلق على هذه الدراسة بما يلي :

ـ ان الجمل لايتعرق (حول السنام) الا تحت الحمل الثقيل ، وفي الأيام الحارة جدا ، درجة حرارة ٤٦ كما هو مذكور في الدراسة ، وهذا يدل على وجود الماء في دم السنام ، وفي نطاق عدة التحميل وهي : الحداجة ، والشدادة ، والهودج .

ـ لم يلحظ الاستاد زعبلاوي طريقة طعام الحمل ، وكيفية تخزينه في جوفه حتى اذا ماتخمر أعاده الى فمه ، واجتر به ، ومن ثم يبتلعه وهو مبلل بالماء الكافي ، وهذا دليل قاطع على وجود خزان للماء في جوفه بالاضافة الى مايحويه الدم من حصته من الماء المخزون .

ـ ان الجمل عندما يكون متعبا ، وفي الأيام الحارة جدا لايمكنه أن يشرب ١٨٠ لترا من الماء ، أي سعة ٩ (تنكات) من حجم الـ ٢٠ لترا ، والحقيقة ان الجمل لايستطيع أن يشرب أكثر من ٨٠ لترا من الماء أي ٤ (تنكات) من سعة ٢٠ لترا من الماء .

السيد عبد الله السقاف

بيروت / لبنان

عن المرحلة الثالثة . . . لبني هلال

● جاء في عدد ابريل سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي (في باب حوار القراء) أن بني هلال رحلوا رحلتين مشهورتين في التاريخ ، الأولى للجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية تحت قيادة عقبة بن نافع ، على عهد الدولة الأموية نحو شمال افريقيا ، والثانية اتجهت نحو الجزيرة العراقية ، حيث استقر بهم المقام هناك .

وتعميما للفائدة ، وأمانة للتاريخ ، نذكر هنا المرحلة التالية للهلاليين ابان دخول الفاطميين لمصر حوالي القرن العاشر تقريبا ، حيث شجع الفاطميون قبائل (بنو هلال) و (بنو سليم) الذين كانوا مستقرين بالصعيد المصري على الهجرة لشمال افريقيا .

فهاجر حوالي ٣٥٠ الف بيت منهم ، واستقر بنو سليم بليبيا ، وأما بنو هلال فواصلوا زحفهم الى كل من تونس والجزائر حتى المغرب الأقصى ، وسواحل الاطلس بالساقية الحمراء ووادي الذهب .

ومن قبائل الهلالية التي لاتزال مستقرة ليومنا هذا بالجزائر نذكر منها على سبيل المثال : الدواودة ، وأولاد صول ، ويسكنون بالواحات في بسكرة ، وطولقة ثم أولاد جلال في مدينة سيدي عقبة ، ثم أولاد عدي ، ودراج والخضران ويسكنون بالحضنة ، ثم قبيلة السراجة وتسكن بجبال الأطلس الصحراوي الأوراس .

أما في تونس فهناك قبائل الهمامة بالقيروان ، والفراشش وأولاد سيدى عبيد فيسكنون بالمناطق الحدودية المشتركة بين تونس والجزائر .

وكل هؤلاء القبائل تتفرع عنهم بطون وأفخاذ عديدة تتوزع هنا وهناك بالمغرب العربي ، ويحافظون لوقتنا الحاضر على أصالتهم ودينهم ولغتهم مع تغير الى حد ما في اللهجة ، ومخارج الحروف العربية .

عمار شعابنة

القبة : الجزائر العاصمة

حوار القراء..

الأسلوب العلمي أسلوب حياة ومتعة حياة .

اننا اذ ننشر هذه الرسالة انما لنشارك أحد تلاميذ الدكتور عبد المحسن صالح أحزانه التي هي أحزاننا وأحزان القراء ، ولنقول للدكتور نبيل سليم يمكنك أن تبعث بردك على سؤال القارىء مجاهد عبد الرحمن بالدار البيضاء - الذي توجه به للمرحوم الدكتور عبد المحسن صالح ، الى مجلة العربي لنشره في هذا الباب ، أو في غيره ، تعميما للفائدة ، وخطوة على طريق الرائد الكبير . . .

عن الجمل أيضا

● قرأت على صفحات مجلة العربي عدد ابريل ٣٢٩ سنة ١٩٨٦ دراسة للأستاذ يوسف زعبلاوي « عن الجمل » ويسرني أن أعلق على هذه الدراسة بما يلي :

- ان الجمل لايتعرق (حول السنام) الا تحت الجمل الثقيل ، وفي الأيام الحارة جدا ، درجة حرارة ٤٦ كما هو مذكور في الدراسة ، وهذا يدل على وجود الماء في دم السنام ، وفي نطاق عدة التحميل وهي : الحداجة ، والشدادة ، والهودج .

- لم يلحظ الاستاذ زعبلاوي طريقة طعام الجمل ، وكيفية تخزينه في جوفه حتى اذا ماتخمر أعاده الى فمه ، واجتر به ، ومن ثم يبتلعه وهو مبلل بالماء الكافي ، وهذا دليل قاطع على وجود خزان للماء في جوفه بالاضافة الى مايحويه الدم من حصته من الماء المخزون .

- ان الجمل عندما يكون متعبا ، وفي الأيام الحارة جدا لايمكنه أن يشرب ١٨٠ لترا من الماء ، أي سعة ٩ (تنكات) من حجم الـ ٢٠ لترا ، والحقيقة ان الجمل لايستطيع أن يشرب أكثر من ٨٠ لترا من الماء أي ٤ (تنكات) من سعة ٢٠ لترا من الماء .

السيد عبد الله السقاف

بيروت / لبنان

عن المرحلة الثالثة . . . لبني هلال

● جاء في عدد ابريل سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي (في باب حوار القراء) أن بني هلال رحلوا رحلتين مشهورتين في التاريخ ، الأولى للجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية تحت قيادة عقبة بن نافع ، على عهد الدولة الأموية نحو شمال افريقيا ، والثانية اتجهت نحو الجزيرة الفراتية ، حيث استقر بهم المقام هناك

وتعميما للفائدة ، وأمانة للتاريخ ، نذكر هنا المرحلة التالية للهلاليين ابان دخول الفاطميين لمصر حوالي القرن العاشر تقريبا ، حيث شجع الفاطميون قبائل (بنو هلال) و (بنو سليم) الذين كانوا مستقرين بالصعيد المصري على الهجرة لشمال افريقيا .

فهاجر حوالي ٣٥٠ الف بيت منهم ، واستقر بنو سليم بليبيا ، وأما بنو هلال فواصلوا زحفهم الى كل من تونس والجزائر حتى المغرب الأقصى ، وسواحل الاطلس بالساقية الحمراء ووادي الذهب

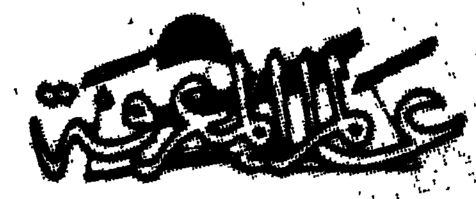
ومن قبائل الهلالية التي لاتزال مستقرة ليومنا هذا بالجزائر نذكر منها على سبيل المثال : الدواودة ، وأولاد صول ، ويسكنون بالواحات في سكرة ، وطولقة ثم أولاد جلال في مدينة سيدي عقبة ، ثم أولاد عدي ، ودراج والخضران ويسكنون بالحضنة ، ثم قبيلة السراجنة وتسكن بجبال الأطلس الصحراوي الأوراس .

أما في تونس فهناك قبائل الهمامة بالقيروان ، والفراشش وأولاد سيدى عبيد فيسكنون بالمناطق الحدودية المشتركة بين تونس والجزائر .

وكل هؤلاء القبائل تتفرع عنهم بطون وأفخاذ عديدة تتوزع هنا وهناك بالمغرب العربي ، ويحافظون لوقتنا الحاضر على أصالتهم ودينهم ولغتهم مع تغير الى حد ما في اللهجة ، ومخارج الحروف العربية .

عمار شعابنة

القبة - الجزائر العاصمة



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٦ م

المسرح والتغير الاجتماعي

في الخليج العربي

تأليف : د. إبراهيم غلوم



الكتاب ١٠٥

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

محرم ١٤٠٧هـ ـ اك
(تشرين الأول) ٨٦



الهـ
نجنى ثمـ
بحثها العـ

●

إنهم يزرعـ
الصحرا
بالمياه
المعالج

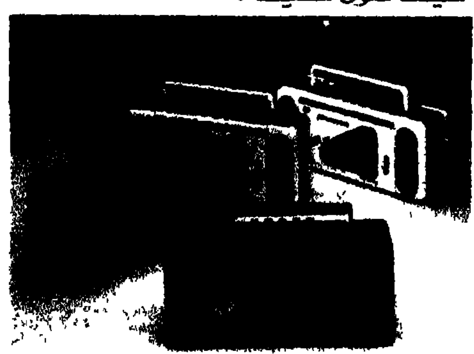
●

مولود قا
وقضية التـ
فى الجـزاد

صوت ممتاز كيفما وجّهته

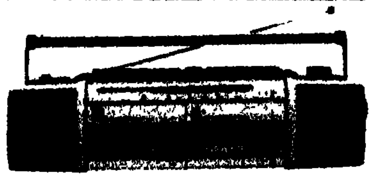
مسجل الكاسيت المزدوج الأنيق المدمج MS500K من سانيو له ميّزة جديدة، فهو يعطيك صوتًا ممتازًا من الجهتين، وبذلك يمكّنك من التمتع بالموسيقى مع صديقك، أو بالأوقات السعيدة مع من تحب. الحجم المدمج الأنيق يخوّلك إصطحاب مسجل الكاسيت المزدوج MS500K معك حيثما تذهب. وزيادة على ذلك، يقدّم لك MS500K جودة مميّزة قلّما تجدها في مسجّل كاسيت مزدوج بهذا الحجم الصغير مثل البث المتواصل وكبسة واحدة للتسجيل.

مسجّل الكاسيت المزدوج MS500K. إختر من بين اللون العاجي، الأسود، الأصفر أو الأحمر لتحصل على صوت ممتاز في كل اتجاه، ما عليك سوى تشغيله.





مسجّل كاسيت مزدوج ستريو مع راديو ٤ موجات وتسجيل بلمسة واحدة. يعمل بواسطة مهايئ DC أو AC.
متوفر باللون الأحمر، الأبيض أو الأصفر MS250K



مسجّل كاسيت مزدوج ستريو مع راديو ٤ موجات، دبلجة سريعة بلمسة واحدة ولعب متواصل. متوفر باللون الأحمر، الزهري، الأبيض أو الأصفر. MS450K

العدد ٣٣٥ السنة التاسعة والعشرون اكتوبر ١٩٨٦



العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 335 Seb. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

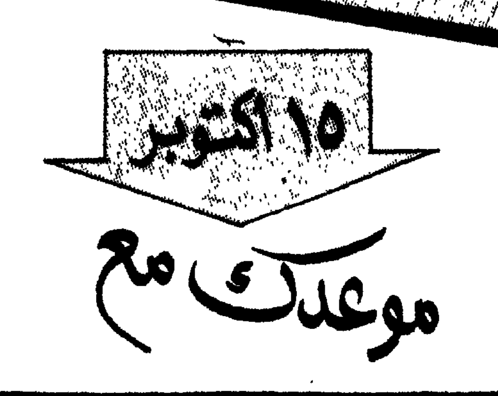
عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران



كتاب العربي



• الشعر كأي شيء في الحياة . . . قابل للتطوير في أغراضه ومبناه ومنحاه ، هكذا تقول التجربة الشعرية عند كل الأمم .

وشعرنا العربي كان ومازال رفيق درب الحياة ، يعبر عنها ويتفاعل ويفعل معها ، ليس في المضمون فقط ، وإنما في الشكل والتركيب والمبنى . لأن الشكل والمضمون متلازمان ، فإذا لحق تطوير في هذا . . . فإن الآخر يتأثر به ويتفاعل معه .

وكتابنا هذا تسجيل للكثير من نواحي التجربة الشعرية العربية عبر تطوراتها وأغراضها ▫▫

د . محمد مندور
د . زكي نجيب محمود
د . عبدالعزيز المقالح
شوقي بغدادي
د . أنيس المقدسي
د . إبراهيم أنيس
عبدالله زكريا الأنصاري
طلال سالم الحديثي
وآخرون

عزيزي القارئ

في هذا العدد تصحبك « العربي »كعادتها في كل شهر الى بلاد بعيدة وقريبة ،مع موضوعات متنوعة ومتعددة ، ولعله في هذا التنوع في المكان والزمان والقضايا ، يكمن جزء من سحر العلاقة بينك وبين مجلتك العربي ، وموطن السحر هنا أننا مع تنوع المعرفة نقترب من وحدة المعرفة ، ومع اختلاف المكان والزمان والقضايا ـ وبخاصة في إطار وطننا العربي وعالمنا الاسلامي ـ نكتشف وحدة الهموم والمشكلات والتطلعات والآمال ، ونكتشف أننا نرى هذا كله بشكل أفضل كلما اتسعت دائرة الرؤية من المستوى الوطني الى القومي الى الاسلامي الى الانساني بعامة !

هل ثمة تناقض بين العروبة والاسلام ؟ هذه الاشكالية التي تعددت حولها الاجتهادات والرؤى بين المفكرين يناقشها رئيس التحرير في حديث الشهر من خلال مناقشته لكتاب « الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي » للمفكر التونسي « د هشام جعيط » حيث يرى أن هذا الكتاب يتناول هذه القضية بأسلوب جديد وعميق ، ويلقي عليها أضواء نافذة . فما هو الجديد الذي يقوله الكتاب وماذا تقول الافتتاحية ؟

وعن قضية « تكفير المسلم » ، يكشف لنا المفكر الاسلامي « د . محمد عمارة » عن مصادر هذا الاتجاه الذي انتشر بين بعض الحركات الاسلامية ، فهل كان النقل عن هذا المصدر صحيحا ودقيقا ؟ أم أنه حدث تجاوز من الناقلين فابتعدوا عن الأصل الواضح القاطع ، وتوقفوا عند بعض الفروع التي تخدم توجهاتهم الى التطرف والعزلة ؟

والى الهند . . ينقلك استطلاع العربي ، لترى كيف أمكن لبلد من العالم الثالث أن يطور جهوده في مجال البحث العلمي ، لمواجهة مشكلات التنمية وتزايد السكان ، وينقل لنا بالكلمة والصورة الكثير والمثير من هذه الجهود . . . !

واذا كانت مشكلة الهند الكبرى التي تهدد جهودها في التنمية هي تزايد السكان ، فان مشكلة دول الخليج العربي هي ندرة المياه اللازمة لزراعة الصحراء وقلة الأيدي العاملة ، فكيف أمكن لدولة من هذه الدول وهي الكويت أن تواجه بالبحث العلمي تلك المشكلة هذا ما يقدمه لك استطلاع عن « زراعة الصحراء بالمياه المعالجة »

وفي اطار استخدام الجهود العلمية لمواجهة مشكلة الغذاء ، بوصفها مشكلة عالمية ، يكتب الدكتور سمير رضوان عن « الميكروبات كمصادر لغذاء الانسان » ، فهل ينتقل دور الميكروب من خلال العلم مهدد لحياة الانسان الى مصدر لغذائه وبقائه ؟

وعن دور الحاسب الألكتروني في المبادرة بتشخيص مرض العصر وهو السرطان ، يكتب المهندس سمير صلاح شعبان عن الجديد في هذا الدور ، وهل يمكن لهذا الحاسب الألكتروني في تطوره أن يضع نهاية لهذا المرض الخطير بالكشف المبكر عنه ؟

ان العربي في خدمتك دائما . . . وهي تعمل من أجلك ، لتكون على المستوى الذي تأمله منها دائما . . . مشعلا للثقافة ومنبرا للفكر الحر .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر :
« الشخصية العربية الاسلامية
والمصير العربي »
د محمد الرميحي ٨

■ تكفير المسلم ! ـ د محمد عمارة ١٦

■ دعوة الى قراءة في دفاتر مجهولة
ـ د . راشد المبارك ٢١

■ الأرض (قصيدة) ـ مؤيد الشيباني ٢٦

■ ماذا يصنع الحديد بجسم الانسان
ـ الدكتور ابراهيم فهيم ٢٨

■ العرب وأوروبا في ثلاث قصص قصيرة
ـ محمد البدوي ٣١

■ أحمد أمين امتداد لمحمد عبده
ـ حافظ أحمد أمين ٣٦

■ النمو غير الطبيعي للشعر عند النساء
ـ د . نجم عبدالله عبدالواحد . ٤٢

■ ألدّ علاج لمرض الاكتئاب
ـ شريف الراس ٤٦

■ جلسة لتبادل الخبرة (قصة)
ـ د . محمد حسن عبدالله ٥٢

■ الميكروبات كمصدر لغذاء الانسان
ـ د . سمير رضوان ٨٨

■ مرض الثعلبة ليس حكرا على الشعر
ـ د . محمد عبدالله المشاري ١٠٣

■ من طريف الشعر ونادره
ـ د . توفيق الفيل ١٠٧

■ « باخ » من النسيان الى التكريم
ـ د . سمحة الخولي ١١٢

■ رسالة القاهرة : مناقشات
ـ فاروق خورشيد ١١٨

■ الحاسب الألكتروني وتشخيص السرطان
ـ سمير صلاح الدين شعبان ... ١٢٩

■ ماخالايا (قصة مترجمة)
ـ سهيل أيوب ١٣٥

■ « جبرين » تحفة العمارة العُمانية
ـ يوسف الشاروني ١٥٠

. وحققت الهند بعد سنوات من البحث العلمي ، الاكتفاء الذاتي في الغذاء وامتلأ الوعاء وفاص باحثة مع عيدان القمح « القزمة » (ص ٦٨)

■ العاشق (قصيدة)
ـ عصام ترشحاني ١٨٤

استطلاعات ومقابلات

■ الهد تجي ثمار بحثها العلمي
ـ منير نصيف ٦٨

■ وجها لوجه : د عبدالقادر القط
ـ د . علي شلش ٩٧

■ انهم يزرعون الصحراء بالمياه
المعالجة ـ صادق يلي ١٤٠

الأبواب الثابتة

■ عزيزي القارىء ٥

■ أرقام : جيوش العرب بين الحقيقة
الجغرافية والحقيقة السياسية
ـ محمود المراغي ٤٠

■ البيان في أسباب نزول القرآن
ـ حسين أحمد أمين ٥٠
■ أقـوال ٥٧

■ منتدى العربي :
ـ حول قضية التعريب في الجزائر
مع مولود قاسم
ـ أبو المعاطي أبو النجا ٥٨
ـ تعقيب : الأيام الأخيرة للسلطان
عبدالحميد ـ احسان صدقي . . ٦٦
■ قاموس العربي : حرب ١١٠
■ الحديد في الطب والعلم . . . ١٢٢
■ مخترعون ومكتشفون : أديسون مخترع
المصباح الكهربائي ١٢٤
■ سلامة التربة في سلامة البيئة . ١٢٦
■ حضارات سادت ثم بادت :
حضارة البتراء
ـ اعداد : يوسف الزعبلاوي . . ١٥٦

■ جمال العربية
ـ صفحة لغة : « أل » معرفة وموصولة
ـ محمد خليفة التونسي ١٨٠
ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء
الخمر السماوية لابن الفارض . . ١٨٢

■ مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : اليمن الديمقراطي
ـ جمال وردة ١٨٥
ـ من المكتبة العربية : كتاب التيسير
في المداواة والتدبير
ـ فاضل السباعي ١٩١
ـ مكتبة العربي : مختارات ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد (٣٣٢) ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) . . ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤



البيت العربي

مجـلة الأسـرة والمجتمع

■ عادات الفم السيئة عند الأطفال
ـ د . ابراهيم أبو طاحون ١٦٢
■ الطفل والتنشئة الاجتماعية
ـ حسين أبو زينة ١٦٧
■ هو . هي ١٧٠
■ من الحياة : ابتسامة الحياة . ١٧٢
■ طبيب الأسرة ١٧٦
■ مساحة ود
ـ محمود عبدالوهاب ١٧٩

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

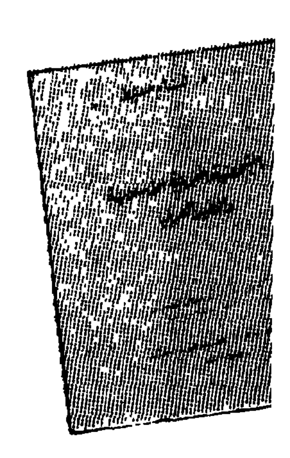
الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي

بعض الكتب تجبرك على مطالعتها أكثر من مرة ، قد تتفق معها في كل ما جاء بها أو في جزء منه ولكنها تبدو علامة على طريق الفكر وفي الوطن العربي اليوم مجموعة من هذا النوع من الكتب التي تعالج بشكل مستقل ومتطور واع مجموعة قضايانا العربية ، التي يتلمس كل مخلص حلولا لها .

أحد تلك الكتب التي قرأتها مؤخرا وأثرت في تفكيري أيما تأثير ، هو كتاب « الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي » الذي ألفه ونشره د هشام جعيط المفكر التونسي بالفرنسية في عام ١٩٧٤ ، ثم ترجمه - بعد ذلك التاريخ بعشر سنوات - د المنجي الصيادي ، وقام المؤلف بتدقيق الترجمة وتنقيحها

في مقدمة الكتاب يقول المؤلف انه يريد من كتابه أن يكون نداء للضمير العربي الاسلامي وأقصى طموحه أن يثير اليقظة

الشخصية العربية والمصير العربي هما الموضوعان الأساسيان في الكتاب وحول هذين المحورين تتجمع موضوعات الكتاب الأخرى ولا يخضع الكتاب لتقسيمه الى فصول وأبواب - مثل الكتب التقليدية - إنما الى توجهات ستة ، يطرح المؤلف من خلالها وجهة نظره . هذه التوجهات هي على التوالي الشخصية العربية الاسلامية ، نحو مصير مشترك ، الاصلاح والتجديد في الدين ، الانسان العربي المسلم ، تنظيم المجتمع والدولة ، وأخيرا استراتيجية المستقبل



في المقدمة يعترف المؤلف ان عناصر الكتاب الاساسية كان قد حملها في نفسه منذ فترة زمنية طويلة ويقول (ولقد ترددت في اقتحام المغامرة ، وكأنما أصبت بعجز الانجاز ذلك العجز الذي كان يبدو لي أنه سمة المفكر التونسي ، بل المفكر المغربي بصفة أعم

لقد عايشت القضايا فجعلتها قضيتي . ولكني لم أكن مرتاحا الى محيط فكري معين . ذلك أن الفكر الحر مطوق بشتى أشكال التعصب ، وهو لا يرتاح عندما يقيد في أية أغلال)

هكذا يضع الكاتب حيرته أمام القاريء لأول وهلة ، وهو يقلب وجهه في المطروح من القضايا العربية الفكرية الشائكة ، فيكتشف أنها تحتاج الى حيوية فكرية بعد ركود ، ويكشف المؤلف عن اقتناعه بعد مناقشته لحال الفكر العربي فيقول (إن تحديد الفكر العربي لن يأتي من المشرق بل من هذا المغرب ـ المغرب العربي ـ فإن أمكن التأسف لكون النهضة الفكرية لم تكن في مستوى النهضة السياسية في الجناح الغربي من العالم العربي * فإن الاتجاه العام لا يمكن أن يتجه إلا الى أعلى ، أما في المشرق فقد توقف التقدم الذي طرأ في الماضي ، بحيث صار يمكن اعتباره تقهقرا أكثر منه ركودا والتواء)

لذلك يرى المؤلف أن يتصدى الفكر العربي للتفكير في مستقبل مجتمعه ، ومدخل هذا التصدي وصولا الى المصير ، هو فهم الشخصية العربية الاسلامية

الشخصية العربية الإسلامية

☐ يطرح المؤلف هنا قضية ليست جديدة بحد ذاتها ، ولكن تحليله لمعطياتها ووصوله إلى نتائجها هو الجديد . فالقضية القديمة هي العلاقة بين العربي والاسلامي ، أو بين العروبة والاسلام ، وهو موضوع أرّق بعد ذلك الكثير من المفكرين العرب . ولكننا نعترف للمؤلف أن طرحه في باكورة السبعينيات يعني استشعارا لقضية مهمة

يبدأ المؤلف بطرح تساؤل عريض : ما معنى أن يكون المرء عربيا ؟ وما معنى أن يكون مسلما ؟ وما هي العلاقة بين الشعورين على المستوى الواعي ؟ وهل العرب اليوم هم أنفسهم عرب القرن الأول الهجري الذين أخضعوا العالم القديم ؟ وهل تكون الأسبقية اليوم للقطرية أم للأمة الكبيرة ؟

وبعد تحليل مستفيض يصل المؤلف الى القول بأن الشعور الاسلامي متقدم على الشعور العربي الحديث . وكلما رجعنا الى الأجيال الأقدم ـ في تونس كمثال ـ وجدنا أننا نعجب لقوة الشعور الاسلامي ، وكما يقول المؤلف ان الزيتوني (المتخرج في جامعة الزيتونة) كانت أعز أمنياته أن يموت في المدينة المنورة وأن يدفن في البقيع . وبالعكس كلما سبرنا شعور الجيل الأكثر حداثة وجدنا أن شعوره الاسلامي يتراجع ، في حين أن إيمانه العربي ما انفك يزداد قوة

يفسر المؤلف تصاعد هذا الشعور بأكثر من سبب . على رأس تلك الأسباب أن الاحتكاك بالمشرق الذي يحمل الآمال العربية هو الذي قوى هذا الشعور ، فقد كان الفهم السابق للعروبة أنها مفهوم للبداوة فقط ، ولكن النهضة العربية الحديثة في المشرق صححت النظرة الى العروبة حين مدت يدها الى مجد العرب والمسلمين في ان معا فأحيته

ويخلص المؤلف إلى أن الشخصية العربية اليوم في حقيقتها مكونة من الاتجاه الاسلامي ، والاتجاه العربي ، فهما يجمعان معا مشكلة الذات العربية

المعضلة التي يراها المؤلف هي في إشكالية التعارض المفتعل بين الاسلام والعروبة . فحركة العروبة في المشرق العربي استندت عند نشوئها إلى العداء الموجه الى الهيمنة العثمانية التي كانت إسلامية المظهر ، فحدث تحميد للقضايا الدينية وإقصاؤها عن البناء القومي ، في

---

* يستخدم المؤلف كلمة العالم العربي بينما نستخدم في « العربي » تعبير « الوطن العربي »

الوقت الذي اندمج فيه الشعور الاسلامي بالعروبة في حركة الجهاد ضد المستعمر في المغرب العربي .

ولكن ـ يضيف المؤلف ـ أنه لا يمكن التشكيك على مستوى الضمير الشعبي في وحود الشعور الاسلامي القومي على امتداد الساحة العربية .

ويرجع المؤلف لتفسير علاقة العروبة بالاسلام الى التاريخ ، فيعالج الصعود العربي قبل الاسلام ، فقد كانت الجزيرة العربية مجالا لقوى التوحيد اللغوي والثقافي . (فجاء الاسلام في الوقت المناسب وانتصر ، ولقد صنع تركيبا بديعا جمع بين الانتماء العربي في أصفى مادته وبين التيارات التي كانت تختمر في البشرية المشرقية في ذلك العصر ، ذلك أن الاسلام لم يقتصر على القيام بدور رئيسي كرائد للعربي يرشده للتمدين مؤكدا مبدأ الدولة وباعثا على ثورة ذهنية ، بل إنه عمل على إبراز « أمة عربية » فقنن لغتها وثبتها ، ومنح في الحملة هيكله الى الانتماء العربي)

العلاقة الوثيقة بين أن تكون عربيا وأن تكون مسلما ، ظهرت بقوة في مذهب الدولة الاسلامية ، فيعلن القاضي أبو يوسف بن ابراهيم في كتاب « الخراج » ، وفي خضم العصر العباسي (أنه لا يمكن للعربي أن يكون ذميا ، وعليه أن يختار بين اعتناق الاسلام أو الموت)

هذا الاعلان يستند الى ممارسات وسنن ربما كانت قاعدتها تكمن في خطة عمر بن الخطاب أن لا يسمح إلا للاسلام بالبقاء في جزيرة العرب

كل هذه الممارسات هي أفضل تأكيد للتماثل التام بين العروبة والاسلام

ويدلل المؤلف أكثر على هذه النقطة بقوله إن جهابذة العلوم الاسلامية ـ حتى لو لم يكونوا عربا ـ قد ألفوا باللغة العربية وقد طبعت تفكيرهم هذا ويقول المؤلف (ما من مرة أفتح فيها كتاب الطبرى إلا وأعجب للمؤلف الذي عاش النزعات العربية القديمة والأنساب والتحولات الطارئة على القبائل القديمة . وهو يتمثل تاريخ المدينة أو الكوفة في القرن الأول الهجري ـ تاريخه الخاص وماضيه حقا ـ وهو الرجل الذي تعلق به بدقة ومودة وأنس وكذلك بحماس كبير دون شك)

ويستمر المؤلف بالاستشهاد بالتاريخ على تلازم العروبة والاسلام ، وأن الشعوب التي اعتنقت الاسلام إما تعربت على مر الزمن ، أو تراجعت إلى ثقافتها الأصلية ، ولكنها عندما فعلت ذلك نضب عطاؤها العلمي في إطار العلوم الاسلامية

يخلص المؤلف في هذا الفصل الى القول (ان العالم العربي سيحسم بمفرده هده الشخصية المزدوجة ويبقى وفيا للمباديء الاسلامية كما للماضى العربي)

فرغم الاكتساح الغربي المسيحي للمنطقة العربية ـ وكان في أوجه في العصر المتقدم ظاهرة الحروب الصليبية ، وفي العصر الحديث ظاهرة الاستعمار ـ فإنه في كلتا الحالتين حافظ الشرق العربي المسلم على جدوة المقاومة بطرفيها الفاعلين عروبته وإسلامه

هل الأمة العربية حديثة؟

□ يناقش المؤلف هنا فكرة الأمة والسائد كما عودنا المؤرخون في الغرب أن الأمة الحديثة نشأت فكرتها في أوروبا الغربية في أواخر العصور الوسطى قد تكون هده الفكرة صحيحة بالنسبة لنشوء الأمة في الغرب ، ولكن الأمم كانت مسجلة بالتاريخ والجغرافيا أيضا في عصور أكثر قدما من ذلك ، والخلط بين مفهومين للأمة جاء من محاولة تطبيق قسرى لنتائج التاريخ الغربي على المسلمين . فالأمة المسيحية في الغرب واجهت التحدى باستمرار بالارادة القومية . وكثيرا ما كان الذي يحرك تاريخ أوروبا الحديث هو التعاون أو

الصراع بين الشخصية السياسية القومية وبين الشخصية التاريخية الأيديولوجية الثقافية

الخلاف - كما يقول المؤلف - أن السياسة في الغرب لم تخضع لمقاييس التضامن الديني . . هل ذلك مفيد أم مؤسف ؟ يختلف التحليل في ذلك ، ولكن الحقيقة الأخرى أنه في معظم تاريخ العرب والاسلام ، طرح الاسلام نفسه منذ البداية كمملكة كونية قوية التركيز ، ولكن لاخلاف أن الولايات العربية - في دروة المركزية في العصر الأموي - بدأت تتفرد هذا التفرد - كما يقول المؤلف - لم يكن بسبب الشعور القومي ، بقدر ما كان يعني تأكيد الاتجاهات الاقليمية العربية الصرفة ، وهكذا ظهرت في العراق ترابطات من النوع السابق للقومية ، وقد برزت بقوة في النزعات التي تواحه فيها أهل العراق وأهل الشام ، كما ظهرت هذه النزعات الاقليمية - كما يقول المؤلف - في ميادين أكثر صفاء ، أي في الثقافة الدنيوية والفقه واللغة والنحو والاجتهادات الفقهية التي ظهرت في المدينة والشام والعراق ومصر

كان هناك خصوصيات إقليمية ، ولكن لم يأخذ أي إقليم بقومية متفردة لأن فكرة الوحدة الاسلامية ذات القاعدة العروبية متينة ودائمة ، بجانب ان اللغة العربية - وهي مكون رئيسي حيث ان القرآن عربي - لم تتح فرصة لظهور لغات مختلفة ويستطرد المؤلف قائلا حتى اللهجات التي ظهرت في وقت مبكر جدا بالأقطار المفتوحة ، استمدت أصالتها من اللهجات القبلية العربية القديمة أكثر مما استمدتها من التباين الاقليمي ، وهذا يفسر حيدا المتشابهات الأساسية في مختلف العاميات العربية الراهنة .

محط أنظار الدارسين الغربيين اليوم ودهشتهم هو الفهم المشترك للغة متقاربة بين المغربي واليمني والعراقي والسوداني ، بعكس ما هو الشأن بين الفرنسي والايطالي والأسباني

إن اللهجة ليست لغة ، كما أن الثقافة الشعبية - وإن اختلفت اللهجات - ليست هي الثقافة الكبرى المكتوبة ، والأقطار العربية تعتز بامتلاكها لغة موحدة فصحى ، يشترك فيها الجميع ، وهي تحرص على فكرة الوحدة العربية

مجمل التحليل أن الأمة العربية المسلمة تكوين سابق لفكرة القومية كما ظهرت في الغرب ، ولم يحصل هذا الصراع والتناقض بين (الأمة الدينية) وهي الأمة الاسلامية وبين قوميات في الاطار العربي ، كما حصل بين (الأمة المسيحية) في الغرب وبين القوميات الناشئة في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط الأوروبي .

وفي الواقع - كما يقول المؤلف - أن شكل الصراع بين الحكام العرب المسلمين في حالة ظهوره اختلف عن ذاك الصراع بين (القوميات) في أوروبا . . (فالأمراء الحاكمون عندما كانوا ينساقون وراء غريزة السيطرة والغزو ، ويلحقون الضرر بأراض إسلامية أخرى ، كان يداخلهم أبدا في عملهم هذا الشعور بالذنب وأكثر من ذلك فإن أمكن أن يشهد ضمير الشعوب عمليات الالحاق والتطاول ، والحروب الداخلية أيضا ، فلم يظهر أبدا شعور عنيد من الحقد الذي يواجه به شعب شعبا آخر ، أو نزاع عميق دائم - وهو شيء وارد في أوروبا - فقد كانت الروح الاسلامية تتجه دائما الى الخارج)

على الرغم من هذه الجذور التاريخية العميقة التي تؤصل للتآلف العربي الاسلامي ، فقد شهد الوطن العربي في عصر استقلاله الحديث ، نزعات لتوطيد الشخصية الوطنية في الاقليم ، ولا يعتقد المؤلف ان ذلك بحد ذاته سلبي . . ولكن الخطر كما يقول . ان تقف هذه الشخصية عند حدود الدولة ولا يقع تجاوزها الى الاطار الأكبر

ولعل هذا الموضوع بالذات قد نوقش في أكثر من موقف فكري عربي ، وغلب على

النقاش بعض الشطط بين الاغراق في الاقليمية وتقديس الشخصية الوطنية المستقلة ، وبين التجاوز غير الموضوعي لهذه الشخصية في سبيل « شخصية قومية » لم تظهر إلى الوجود بعد .

في حقيقة الأمر ان ذلك التساؤل شرعي وأساسي في إطار مسيرتنا العربية اليوم ويعبر المؤلف عن هذه الاشكالية بقوله : (ما هو الاختيار المعروض على العالم العربي ؟ فإما أن نقبل بأن الشخصية العربية الاسلامية ليست سوى « هوية » تاريخية تدخل في صنف الجوهر ولا تقدر على إنشاء مستقبل سياسي ملموس ، وانه يجب لذلك معايشة التجربة « القطرية » المحض الى أن نبلغ أقصى نتائجها . . وإما أن نعتبر التجارب القطرية حديثة العهد ويمكن الرجوع فيها وأنها غير دائمة ، وان الواقع العميق هو ذاك الشعور بالتضامن العربي الاسلامي وأنه اثر المعارك التي خضناها حديثا ينبغي مواصلة السير في هذا الطريق ومعاكسة « القطرية » وبناء « الأمة العربية »)

إن هذا النقاش الصريح أو الضمني يوحد في صميم المصير العربي المعاصر أما الأن ـ ولوحود أشباح حديدة يجب محاربتها ـ فإن العالم العربي يتردد في توخى اتجاه معين والمراهنة تحرى على الاتجاهين ! نحن ندعم الهيكل القومي ـ كما يقول المؤلف ـ ولكننا نبحث عن سبل الوحدة السياسية .

وهكذا فإن ما يميز الكائن العربي الحالي هو ثنائية عميقة بين بنية المجتمع والدولة والاقتصاد (السائر في الدوائر القطرية) وبين شعور ثقافي وسياسي وايديولجي (سائر في مستوى الوعي العروبي) ويبقى الضمير الثقافي مركزا على الشخصية العربية الاسلامية لأنه ينجدب الى الماضي بمحتواه وولائه .

المصير المشترك

□ ذلك الكائن العربي المعاصر ـ في رأي الكاتب ـ يواجه مصيرا مشتركا يدفعه الى التوحد وقد ظهر في عدة محاولات حديثة ، بدءا من محاولة ابراهيم باشا بن محمد على نيابة عن والده توحيد الناطقين باللغة العربية ، وانتهاء بالمحاولات الفكرية والسياسية المعاصرة بعد الحرب العالمية الثانية

ويناقش الكاتب تلك التوجهات الفكرية التي كانت قاعدة لتلك المحاولات وينقدها نقدا علميا أهم نقاط النقد تلك هي أن المحاولات الفكرية القومية وتطبيقاتها السياسية قد استهانت الى درجة الغفلة بالظاهرة الأقليمية ، فلم تعطها حقها في التحليل والفهم . ثم يأتي بعد ذلك نقد الكاتب للصورة المثالية التي قدمت بها تلك الحركات السياسية والفكرية رؤيتها حول الوحدة العربية . لقد اكتفت الحركات السياسية العربية القومية برفع النداء العاطفي للوحدة العربية ، كما أن هذه الحركات كانت متسمة بفقد التحليل الاقتصادي والاجتماعي الواقعي . نعم . لقد حققت تلك الحركات القومية من خلال صراعها مع الصهيونية والاستعمار العالمي زخما شعبيا ، ولكنها افتقدت النظرية وطرق العمل لتحويل ذلك الزخم الى واقع مؤثر . ويصف الكاتب تلك الحركات بأنها لعبت دورها القومي فقط ـ فيما قبل النضج ـ إلا أن مرحلة النضج تعنى شكلا من التنكير ـ تصل إليه الحركة العربية بعد .

وعندما يتحدث الكاتب عن لحمة التوحيد يقول ان اللغة الانجلوسكسونية دعمت وحدة الولايات المتحدة على نمط حضاري هو الطريقة الأمريكية في الحياة ، وأن تماسك الاتحاد السوفيتي ـ برغم ما به من قوميات ـ يستند الى قوة الايديولجيا الماركسية ، أي الى مشروع رسالة كونية توحيدية والى تحد للتأخر تراكم عدة قرون ، ولكن العرب ـ في رأي

الكاتب ـ ركزوا في تصورهم للوحدة على النموذج الأوروبي ، وبخاصة النموذج الألماني الذي هو « الاقليم القاعدة » الذي تنطلق منه وشائج الوحدة ويتم التوحيد بالعنف ، ويرى الكاتب أن المثال الألماني يختلف اختلافا عميقا عن المثال العربي ، كما أن الزمن اختلف ، فلا يوجد « إقليم قاعدة » يتحمل تبعات الدور القيادي الذي تحملته بروسيا ، ولا استخدام العنف أصبح ممكنا في ظل التطور الدولي المعاش ، لذا (إن أمكن ووجب تحقيق الوحدة فإن احتمالها يكون بالاعتراف المسبق بالوحدات الوطنية الواقعية ، والاعتراف في نفس الوقت بعدم تنافرها . وتتدخل كذلك بجانب العاطفة المطلوبة والمرغوبة ـ متطلبات اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية) تلك هي الشروط التي يراها الكاتب لتحقيق الوحدة والتي هي ضرورية لامتلاك القدرة التاريخية التي فقدناها .

يناقش الكاتب بعد ذلك مقولة أن الوحدة العربية في شكلها الايجابي المرغوب غير محققة ، ولكن بقاء الأمة العربية ، وبقاء لسانها العربي ، وبقاء هويتها المستديمة ـ بالرغم من عواصف التاريخ التي أطاحت بأعظم الأمم ـ هي في حد ذاتها دليل على قدرتها على البناء في المستقبل

إلا أن هذا المستقبل ، يجب أن يتمثل في حضارة مكونة من روحية العمل وسيادة الفكر والثقافة . وينعى الكاتب مطولا على واقع الثقافة العربية المعاصرة :

(ان الثقافة العربية المعاصرة تتصف بضحالة مؤلمة كما وكيفا ، فهي فاقدة للنفس والتقنية) هكذا يعلق الكاتب على الواقع الثقافي ، ويستطرد (ليس الضمير الثقافي العربي مجدبا فحسب ، بل إنه ممكك وخاضع خضوعا عميقا للحضور المباشر وغير المباشر للغرب) ، ومن المعلوم كما يقول الكاتب أن الدول القطرية العربية عجزت عن النهوض بثقافات رفيعة .

بعد ذلك يعرج الكاتب الى معالجة أدق في موضوع الوحدة ، فهو حينما يعترف أن تجمع طاقات الأمة يمكن أن يجعلها قادرة على ملاقاة التحدى ، إلا أننا ـ كما يقول الكاتب ـ (نغالط أنفسنا مغالطة خطيرة لو ظننا أن الوحدة هي الدواء الناجح لأنها تكون قد وضعت اطارا جديدا للعمل الاقتصادي ، ان التخلف الاقتصادي تخلف تقني وبشري يغرس جذوره في أعماق المجتمع وفي الذهنية نفسها) .

ويستمر الكاتب لينقد نقدا موضوعيا نماذج التنمية التي طرحت من مفكرين غربيين لانقاذ العالم الثالث ، كما ينقد الدراسات المتهافتة المقارنة التي تقارن بين الوطن العربي واليابان مثلا أو بعض دول أمريكا اللاتينية .

لذلك فقد بقي الفكر العربي التنموي (حبيس موقف غير واقعي ومتشائم وسلبي) .

الاستمرارية والتغير

□ المصير المشترك يتطلب ـ بجانب إيقاظ مشروع وحدوي من ثلاث حلقات هي في القلب مصر والسودان ، وفي الطرفين المغرب الكبير والجناح الشرقي للأمة ـ أن يكون منسجما مع نفسه معترفا بالفروقات الاقليمية على أساس تكاملها ، مبنيا على الشخصية العربية الاسلامية كقوة مناضلة ، ويحتاج كل ذلك الى تصور عقلاني يربط الماضى بالحاضر يلخصه الكاتب بقوله (حين نطرح على العالم العربي المفاضلة الرهيبة بين بقاء الاسلام والولاء للماضى من جهة ، وبين الاقدام على طريق المستقبل والتجديد من جهة أخرى ، فإننا نحصره في آن واحد في جدلية البؤس) فما قيمة مجتمع حركي جديد فاقد لروحه (الاسلام) ، فعلينا تحمل تراثنا التاريخي واحياؤه ، ولكن أيضا علينا أن نشعر بأننا

مستمرون من حيث التاريخ في مواصلة عمل كل الذين شيدوا الحضارة العربية الاسلامية ، ولكن المؤسف أن هناك من يطرح علينا فكرة التناقض بين تراثنا وفكرة التجديد والبناء ، إما عن تغريب أو عن جهل . ويرى الكاتب هذه المعضلة في قوله (وهكذا نرى كيف أن جدلية الاستمرار للشخصية العربية الاسلامية أو تحللها ترتسم أمامنا ، بحيث يكون في أقصى القطبين ولاء مطلق مأساوي للسلفية كتحد للزمن التاريخي من جهة ، وخفة لا تقل إطلاقا وشديدة التضارب عند أولئك الذين يربطون ـ لسبب غير واضح ـ الرقي بفقدان الأنا التاريخية) .

ويدعو الكاتب الى غرس الحداثة في مجتمعنا العربي دون أن تفقده تقاليده العربية والاسلامية ، وأن نصوغ تاريخنا حسب رغباتنا ، ويهتف الكاتب بقول واضح (نحن نستنكر كل عمل مخطط يهدف الى إخراج الاسلام من الضمائر والى رفع الصبغة الاسلامية من المجتمع ، وأن على التراث أن يتكيف مع بشرية مغايرة في نفس الوقت) ، من هذا المنطلق الذي يدعو إليه الكاتب معاصرة من خلال التراث وعن طريقه يتابع أسباب الفشل الكبير الذي لحق بالدعوات الايديولجية الجديدة في محيطها العربي الاسلامي التي كانت دائما (تيارات تمثل الأقلية) .

ولا شك ان الكاتب قد وفق تماما في طرح قضية كانت موضع نقد قاس لدى المستشرقين ـ عندما رددوا أن جمود المجتمع الاسلامي قاطبة مصدره ركود الفقه ـ يرد عليهم الكاتب بكلام منطقي فيقول : (وكأن مبادىء العصر الحديث لم تولد في أوروبا منستقلة عن الدين وضده في الغالب) ، ويتابع مناظرته بقوله : انه حتى لو افترضنا أن أبواب الاجتهاد الديني بقيت مغلقة . . فقد كان ممكنا ظهور مبادىء جديدة في دوائر أخرى للعلم والعمل ، ولعل ذلك يكون بسهولة أكبر . .

لقد أسقط من خلال هذا الرد الموفق مقولة تتردد كثيرا في الغرب بأن سبب تخلف المسلمين جمود فكرهم ، وإن كان ذاك الجمود ناجما ـ في بعض الفترات التاريخية ـ عن ضيق في الأفق وقصور عن الاجتهاد ، فإن ذلك لا ينفي أن الأصول مرنة وإنسانية تهدف الى التيسير على المجتمع لا التضييق عليه .

عندما يتحدث الكاتب عن التغيير يرجع إلى مقولة محمد إقبال · لتوجيه البشر الى الرقي هناك طريقتان ممكنتان ، العمل من خلال التنظيم ، والعمل في الضمائر الفردية من هذا المدخل يوجه الكاتب نقدا الى أساليب تربية الفرد عندنا ، والى أساليب التعامل مع المؤسسة . فتربية الفرد والتعامل مع المؤسسة ما زالا في طور الطفولة . يقول الكاتب (الفلاح عندنا لا يعرف كيف يخدم أرضه ، والمالك الكبير لا يحسن استغلال ضيعته ، وكذلك الصناعي لا ينظم مؤسسته تنظيما منطقيا ، والمفكر لا يحسن التفكير أو الخلق ، وإن رجل الغرب يثبت دراية ومهارة وكفاءة أفضل بكثير عند تماثل الاختصاص) أما على صعيد العلاقات الاجتماعية فيلاحظ الكاتب (ان الكثيرين منا يشعرون أن الأشياء تسير سيرا معاكسا لطموحاتهم : تتفوق المحسوبية في الدوائر المهنية على القيمة الشخصية ، وتسود الاعتباطية المؤسسة والحقل والمكتب) .

ويحذر الكاتب من أن هذه السمات ليست سمات ثابتة في الشخصية العربية الاسلامية ، وإلا لوقعنا في معضلة (تحقير الذات) ، ولكنها سمات موضوعية عندما تختلف الظروف يمكن معالجتها وتجييرها بشكل إيجابي . ويذكر في هذا المقام التجربة الجزائرية ، فقد كانت هناك نظريات تفسر تصاعد العنف الفردي في الجزائر أثناء ذروة الاستعمار على أن الشمالي الأفريقي عنيف . . عنيف بالوراثة ، وقد دحض هذه النظريات

المغرقة في الذاتية فرانز فانون في كتاب (معذبو الأرض) ، وقال : قبل سنة ١٩٥٤ اتفق القضاة وأعوان الشرطة والمحامون والصحفيون بالاجماع على أن قابلية الاجرام عند الجزائري تشكل قضية ، وقد قيل إن الجزائري يقتل باستمرار ويقتل بوحشية .. ولكن فانون وجد أن الوضع الاستعماري الاستلابي يغذي العدائية ويوجهها الى الأخ لا الى العدو التاريخي ، وبعد الثورة الجزائرية قلت ظاهرة العنف الفردي بعد تقنينه في عنف جماعي ضد المستعمر . فإذا كان محيط الهيمنة الاستعماري يفسر كثيرا من الأمور ، فلا شك أن هناك تفسيرا موضوعيا لتقاعسنا في التربية الفردية وفي تعاملنا مع المؤسسات .

□ عندما يوجه الكاتب جهده في الفصول الأخيرة من الكتاب الى استراتيجية المستقبل ، ليستعرض التجارب الرئيسية في الغرب ، ويحاول الاجابة عن سؤال رئيسي هو : لماذا لم تتطور الرأسمالية في المجتمع الاسلامي الوسيط ؟ يقول الكاتب ان النظام الاقطاعي يمهد تمهيدا إيجابيا لنمو الرأسمالية ، وتلك هي تجربة الغرب التاريخية ، ولكن المجتمع الاسلامي الوسيط لم يكن إقطاعيا ، لذلك ـ يقول الكاتب ـ (إن كل سياسة ترمى الى إقامة نموذج رأسمالي في هذا المجتمع « العربي الاسلامي » على الطريقة الغربية كتصور فريد ، يبدو لنا أن مصيرها سيكون الفشل) كما أن المجتمع العربي الاسلامي ليس هو المجتمع الصناعي محدد الطبقات الذي يمكن أن تنمو في داخله حلول اشتراكية جذرية ، وكذلك خصوصية ثالثة هي أنه لا اليابان ولا الصين ولا حتى تركيا وإيران ، عرفت هجمة أوروبية لها مثل هذه القوة ومثل هذا الاستمرار ، كما عرفها جزء كبير من العالم العربي ، لذلك ـ يقول الكاتب ـ ان المستقبل هو طريق عربي إسلامي ، وهو ليس عودة الى الماضى بل هو في إعداد نموذج نوعي يمكن أن يقع في اتجاه حركة التاريخ ، بأن تقوم الدولة ـ كما كانت دائما في التاريخ العربي الاسلامي ـ بدور رئيسي في النشاط الاقتصادي والاجتماعي غير غامط فرصة الملكية الفردية النشطة والمحررة من سلطة الدولة ، أى توازن اقتصادي يقابله توازن سياسي . والدعوة الى هذا النموذج وتأصيله هي دور المثقفين العرب المستنيرين كما يراه الكاتب (فليست المأساة الكبرى للمفكر العربي أن يشاهد تدهور تيار المعرفة الثقافي الذي كان سبب وجوده وعزته في الماضى .. بل أن يمنع أيضا من ممارسة النقد وروح الفكر الحر والأغرب ان نلاحظ ان القسم النشيط من الانتلجنسيا العربية قد عبأ كامل قوته النقاشية وقوته في الحكم والمطالبة بمبدأ العدل الاجتماعي ، مغفلا مبدأ يكتسى نفس الجمال ونفس الحقيقة . الا وهو الحرية . . .) .

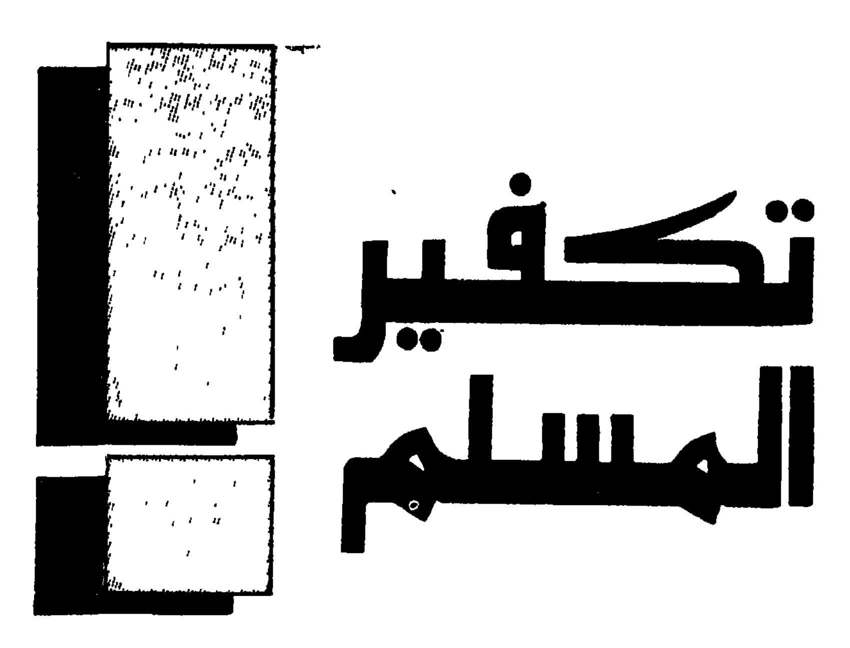
هكذا يطرح الكاتب إشكالية الفكر العربي المعاصر في الدولة والمجتمع طرحا جديدا غير تقليدي ، وهو بتواضع المفكر يقول إن هذا التفكير لا ينبغي أن يكون مذهبا ولكنه يطمع الى فتح الطريق للعمل والتمهيد لوعي من نوع جديد . فهل هو كذلك ؟

ينهي الكاتب ملاحظاته العديدة والعميقة بقوله : إن هناك كثيرا من العلامات المنبئة تبشر بنهضة عظيمة للروح العربية الاسلامية ، فلا يمكن إلا الاعتراف بوجود ضمير لتجديد ممكن في هذه الشخصية . .

بقى أن تقارب هذه الشخصية بين توجهيها المزدوجين ، يؤدى في النهاية الى أن تصبح شخصية واحدة . . حقيقية وعصرية .

تلك أهم مناقشات جعيط في كتابه ، بعض نقاطها قوية ، وبعضها يستحق المراجعة ، ولكن مرتكزاتها الأساسية تستحق الوقوف عندها .

محمد الرميحي



تكفير المسلم

بقلم : الدكتور محمد عمارة

من بين الدعاة الاسلاميين المحدثين انفرد أبو الأعلى المودودي ببعث قضية تكفير المسلم التي ظهرت في الاسلام لأول مرة مع الخوارج .

ولكن ما حقيقة ما قاله المودودي حول هذه القضية الخطيرة والشائكة ؟

في التراث الاسلامي ، انفرد « الخوارج » - دون فرق المسلمين وتياراتهم الفكرية - بالقول بـ « كفر » مرتكب الذنوب الكبائر ، اذا مات دون توبة نصوح . وبعض هؤلاء الخوارج جعل هذا « الكفر » كفر شرك بالله ، يخرج به العاصي عن اطار الملة ، أما البعض الآخر ، فلقد قلل غلوهم فاعتبروه : كفر نعمة فهؤلاء العصاة ، بطرهم ، قد كفروا بأنعم الله ، دون أن يشركوا به أحدا .

والذين يتتبعون مسار الدعوات والحركات الاسلامية الحديثة والمعاصرة ، يلفت انتباههم أن الاستاذ أبو الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) أمير الجماعة الاسلامية باكستان ، انفرد من بين الدعاة الاسلاميين المحدثين ببعث هذا الشعار والموقف - الذي انفرد به الخوارج - شعار وموقف « تكفير المسلم » - من مرقده القديم !! . . ولم يكن ذلك بسبب انحياز فكري منه الى فكر الخوارج ، فرفضه لأفكارهم الأساسية واضح لا شك فيه واعجابه بابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) يفوق اعجابه بأي من المجددين الذين عرفهم تاريخ الاسلام ولابن تيمية موقف صريح وحاد ضد الخوارج ومقولاتهم .

التكفير والجاهلية

ولهذه الملاحظة أهميتها ، لأن المودودي - كما أشرنا - قد انفرد بين رواد الحركات الاسلامية الحديثة بأن فتح الباب لاستخدام مصطلح « التكفير » وسلاحه في تقييمه وحكمه على المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، وعلى مراحلها التاريخية ، التي وصمها « بالجاهلية » . . . . صنع المودودي ذلك دون أن يكون « خارجي » المذهب ذلك أن حديث الخوارج عن كفر مرتكب الذنوب الكبيرة ، وان انطلق من موقف سياسي ، استهدف ادانة الدولة الأموية ومظالمها ، وما أحدثت من انقلاب في فلسفة

الحكم نقلها من الشورى الى الملك العضود ، الا أن هـذا الحـديث قـد عمم الكفـر عـلى كـل مـرتكب للكبيرة ، فشمل به الفرد أيضا . . وفي هده الحزئية - وهي ليست بالهينة - يختلف موقف الأستاذ المودودي عن مـوقف الخوارج . فلقـد كـان رفض الـواقـع الحضاري والفكري والسيـاسي هو منـطلق للحكم « بالجاهلية » و « بالكفر » على المجتمعات المسلمة ، حاليا وتاريخيا ، ولقد التزم هدا المنطلق ، فرأينا جرأته في تكفير الدول والمجتمعات التي لا تطبق « الحاكمية الالهية » والشريعة الاسلامية والفروض الاجتماعية - حتى لـو كانت « فـروعا » في السيـاسـة والاجتمـاع والاقتصاد . . ووجدنا ، مع هـده الجرأة تحـرجا في تكفير الأفراد بـارتكاب المعـاصي ، كبيرة كـانت أو صغيرة ، طالما هم « مؤمنون » بتـرجم « الاسلام » عن « الايمان »الذي في القلوب

فالمطلق السياسي والحضاري لفكـرة « التكفير » نقطة اتفاق بين المودودي والخـوارج . وتأسيس « التكفير » على غيبة « الحاكمية الالهية » جامع يجمع بينه وبينهم - ودلك رغم نقده لهم - لكن التحرج من تكفير الافراد العصاة هو الذي يميز موقفه عن موقفهم في هـدا المـوضع . . ودلـك رغم بعض عـبـاراتـه وصيـاغاتـه « القلقة»، و « المطاطـة » - بخصـوص الحكم عـلى عقيدة الفـرد - التي تبلغ في قلقها حـد امكانية استخدامها دليلا على تكفير الفرد اذا ارتكب معصية في « الفروض الاجتماعية » ! .

لقد نظر المودودي الى الاسلام تحت هيمنة الحضارة العربية الجاهلية ، التي خلعت سلطانـه القانـوني ، وأحلت محله ، فلسـفة قانونها الوضعي وتشريعاتهـا التي لا تتسق مـع الشـريعـة في كثـير من المبـاديء والأصول . نظر الى هدا الواقع فرأى « أن دين الله قد رزيء وغلب على أمره بيد الكفـر وأهله ، وأن حدود الله ما انتهكت واعتدى عليها فحسب ، بـل . . انها تكاد تنعدم من الوجود لاجل غلبة الكفر ، وأن شريعة الله قـد أهملت ونبذت وراء الـظهور ، لاعملا فقط ، بل بموجب القانون أيضا ، وأن أرض الله قد اعتلت فيها كلمة أعداء الله » .

فـالكفر ، هنـا ، هو الحضـارة الغربيـة المـادية الالحادية ، غلبت وغلب أهلهـا - أعداء الله - عـلى الاسلام وشريعته وأمته وحضارته . انه حكم ذو طابع حضاري وسياسي وقومي ووطني ، يواجه به المودودي هيمنة الغرب « الاستعمارية - الحضـارية » مواجهة ترفض هذه الهيمنة رفضا جدريا .

المجتمعات والافراد

والمجتمعات التي استعاصت عن حاكمية الله كما تمثلت في شريعته بفلسفة الغرب القانونية وتشريعاته الوضعية ، لا يمكن ، بنظر الاستاد المـودودي ، أن تكـون اسـلاميـة بحـال من الاحـوال « فلعمـر الحق ، لا يمكن لانسان - ما لم يكن مصابا في عقله - أن يتصور كون أحد من المجتمعات في الدنيا اسلاميا على الرغم من اختيـاره منهاجـا غير منهـاج الاسلام لحياته والدول والحكومات التي تقوم على مبادىء غير اسلاميـة ، لا يمكن تسميتها « حكـومات ودولا اسلامية » لمجرد أن حاكمها كان مسلما . . اد لادخل لـلاسـلام فيهـا ولا صلة فـادا جـاء أحـد المجتمعات ، على بصيرة منه وبارادته الحرة ، يقرر أن الشريعة لم تعد منهاجا لحياته ، وأنه سوف يضع المنهاج لحياته بنفسه أو يقتبسه من مصـدر غير مصـدرها ، فليس ثمـة سبب لـنطلق عليــه كلمـة « المجتمـع الاسلامي » أبدا !

هـذا عـن « المجـتـمـعـات » و « الـدول والحكـومـات » . . أمـا بخصـوص الأفـراد ، فـان المودودي يتحرج تحرجا شديدا ، ويدعو الى التحرج في الحكم عليهم بالكفر ، حتى لو خرجوا عن اطار الشريعة في ممارساتهم الحياتية . فيقول . . « أما أن يأتي فرد من المسلمين بعمل خلاف الشريعـة في شأن من شئون حياته ، فهو أمر غير خطير لا ينقض به الميثاق ، وانما يرتكب به جريمة من الجرائم . . »

ومن هذه التفرقة - التي قد لا يستسيغها البعض - بين « الفرد » وبين « المجتمع » نلمح الوزن الذي يعـطيـه المـودودي - بحق - للفـروض الاجتمـاعيـة الاسلامية فمثل هذه الفروض - كالجهاد . . واقامة الدولة . والعدل الاجتماعي . . الخ . . . - هي مما لا يستطيع الفرد وحده اقامته ، ومن ثم فان « المعصية الفردية » في الفـروض الاجتماعيـة يلتمس فيها من الاعـذار لـلافـراد مـا لا يـلتـمس لـلأمـم والمجتمعات ! .

ويمضي المودودي ، في نصوص عديدة - من المفيد

ايراد بعضها ـ داعيا الى التحرج في قضية « تكفير المسلم » فيقول : « يجب ملاحظة قضية تكفير المسلم والاحتياط في هذه المسألة احتياطا كاملا ، احتياطا يتساوى مع الاحتياط في اصدار فتوى بقتل شخص ما ، وعلينا أن نلاحظ أن في قلب كل مسلم يؤمن بالتوحيد وأن « لا اله الا الله » ايمانا ، فاذا صدرت عنه شائبة من شوائب الكفر ، فيجب أن نحسن الظن ونعتبر هذا مجرد جهل منه وعدم فهم ، وأنه لا يقصد بهذا التحول عن الايمان الى الكفر ، لانه لا يجب أن تصدر ضده فتوى بالكفر بمجرد أن نستمع قوله ، بل يجب علينا أن نفهمه بطريقة طيبة ، ونشرح له ما أشكل عليه ، ونبين له الصواب من الخطأ ، واذا أصر على ما هو عليه ولم يتقبل ما عرض عليه ، نعد أن نلحأ لكتاب الله ، فنوضح له خطأ ما أصر عليه في ضوء كتاب الله ، ونبين له النصوص الصريحة التي تفرق بين الكفر والايمان وهل هناك محال لتأويل ما يصر عليه ، أم لا ؟ فاذا لم يكن هذا يخالف مخالفة صريحة النصوص الواضحة فلا يجب أن نتهمه بالكفر ، ويمكن أن نعتبر هذا الشخص من الضالين . . ولكن اذا كان ما يصر عليه يخالف النص صراحة ، ويخالف تعاليم كتاب الله ، وأنه لا يزال رغم هذا يصر على قوله أو فعله ، رغم عدم وجود أي محال لتأويل قوله أو فعله ، حينئذ يمكن اصدار الحكم بالفسق أو الكفر ، وذلك لأن القضية هنا أصبحت واضحة ، ولها نوعية خاصة تستلزم اصدار هذا الحكم ، ولكن ، رغم هذا كله ، يجب ملاحظة درجات ومراتب مثل هذه القضايا ، اذ لا يستوي الجرم في جميع الحالات ، فيوجد بينها فرق في الدرجات والمراتب ، ويستلزم العدل أن نلاحظ هذه الفروق حين نصدر حكمنا . . »

الأصول والفروع

وفي نص آخر يدعو المودودي علماء الاسلام للتمييز بين « النص » وبين « التأويل » ومراعاة الفروق بين « الأصول » وبين « الفروع » وهم يحكمون على أفعال الناس . . . كما ينتقد شرعهم وعدم تثبتهم في اصدار أحكام الكفر ، التي هي أشد وأخطر من القتل المادي وازهاق الأرواح . ذلك « أن من يلعن مؤمنا كان وكأنه قتله ، وأن من يكفر مؤمنا كان وكأنه قتله » ان التكفير ليس حقا لكل فرد ، والتكفير حرم اجتماعي أيضا ، انه ضد المجتمع الاسلامي كله ، ويضر كثيرا بالمسلمين ككل . . . وللاسف أن علماءنا الكرام ليسوا على استعداد لترك هذا الأسلوب بأي شكل من الأشكال ، لقد أهملوا التفريق بين الأصول والفروع ، وبين النص والتأويل ، فجعلوا من الفروع أصولا ، طبقا لما فهموه أو ما فهمه أسلافهم السابقون عليهم . . وكان من نتيجة هذا أن كفروا من يقوم برفض فروعهم أو تأويلاتهم الدينية ، ليت العلماء يشعرون بخطئهم ، أو يرحمون الاسلام والمسلمين ، بل يرحمون أنفسهم ، ويتراجعون عن هذا السلوك المشين الذي أخجلوا به أمتهم ، هذه الأمة التي وضعتهم بين رموش عيونها . . . »

وفي نص آخر يقدم المودودي الدليل الشرعي على خطأ ـ بل خطيئة ـ تكفير المسلم . . فالرسول ؛ ﷺ قال . « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله » ان الرسول ، ﷺ ، انما يبين في هذا الحديث قانون الاسلام الدستوري . وهو أن كل انسان اذا آمن بتوحيد الله ورسالة محمد ، ﷺ ، دخل في دائرة الاسلام ، ويصير مواطنا من مواطني الدولة الاسلامية ، وأما هل هو صادق في ايمانه في حقيقة الأمر ، أم لا ؟ فهذا ما على الله حسابه ، وليس من حقنا أن نشق قلبه ونحكم عليه بشيء ، يقول ، ﷺ ، في حديث آخر : « لم أومر أن أشق على قلوب الناس ولا عن بطونهم » ان الضمان بحفظ النفس والمال والعرض يناله الانسان بمجرد شهادته بالتوحيد واقراره بعقيدة الرسالة ، وليس من حق غيره أبدا بعد هذا يسلبه حقا من حقوق المواطنة في الدولة الاسلامية الا بحق الاسلام ، أي اذا أبى أن يؤدي شيئا مما عليه من الحقوق لله وللخلق ، فيعاقب بحجم جريمته . . . »

لكن الأستاذ المودودي ، بعد هذا الوضوح والتحديد ، اللذين ميز بهما بين « الفرد » و « المجتمع » ، فحكم بكفر المجتمع ان هو خرج عن الشريعة والحاكمية الالهية . . ودعا للتحرج والامتناع عن تكفير الفرد ان هو صنع ذلك ، وطالب العلماء بالتمييز بين « الأصول و « الفروع » بين « النص »

و « التأويل » . . . بعد أن صنع المودودي كل ذلك ، قادته صياغاته ، التي تركز أحيانا على بعض جوانب القضية دون جوانبها الأخرى ، التي تتسم أحيانا بما يمكن تسميته استخدام صيغ « الترغيب والترهيب » في معرض الصياغة للقضايا المكرية الدقيقة والشائكة ، التي تتطلب دقة في الصياغة والتعبير وانتقاء المصطلحات . . . عاد المودودي فقادته هذه « الخصائص السلبية » الى تقديم صياغات أخرى في ذات القضية ، تعطي مفاهيم مخالفة ، وتبعث ـ وهي قد بعثت بالفعل ـ في صفوف جماعات اسلامية معاصرة الحمية والحماس في اتجاه الحكم بالكفر على الأفراد ؟ ! . .

فبعد أن رفض المودودي ـ كما قدمنا ـ تكفير الفرد بالخروج على الشريعة ، عاد ليصفه بعدم الايمان ، والنفاق والكذب في دعواه الايمان ، ويحكم بانعدام قيمة ايمانه أصلا ! . فقال : « فمن أظهر الرضا والطاعة لحكم الشريعة اذا كان موافقا لما يريد ، ورفضه اذا كان مخالفا لهواه ، وآثر على الشريعة القوانين الأخرى الرائجة في العالم ، فليس بمؤمن ، بل هو منافق وكاذب في دعواه الايمان ، لانه لا يؤمن بالله والرسول وانما يؤمن بهواه ، وهو وان كان يؤمن بجزء من أجزاء الشريعة بهذا السلوك العجيب ، فان ايمانه لا قيمة له أصلا عند الله تعالى . . . » !

تسع وتسعون بالمئة !

وفي نص آخر ـ تلقفته وانتزعته وطبعته مستقلا احدى الجماعات الاسلامية التي حكمت بالكفر على المسلمين أفرادا وجماعات ودولا ومجتمعات وعلوما ومعارف ومؤسسات ـ يقول الاستاذ المودودي ، نافيا الاسلام عن أكثر من تسع وتسعين بالمائة من المسلمين ؟ . . . « ان في المسلمين أنفسهم ـ دع عنك ذكر غير المسلمين ـ تسعا وتسعين في المائة ، بل أكثر من ذلك يدعون أنفسهم « مسلمين » ، ويعبرون عن دينهم بكلمة « الاسلام » . ولكنهم لا يعلمون ما هو « المسلم » وما هو المفهوم الحقيقي لكلمة « الاسلام » . . .

وفي موطن آخر يغض من شأن اسلام الجمهور الأعظم من أمة الاسلام ، فيصفه بأنه لا يعدو أن يكون « اجازة أو تصريحا بالدخول في دائرة الاسلام » ، فهو « اسلام من الناحية القانونية » لكنه « ليس الاسلام عينه . . وليس جوهر الاسلام » . .

فاذا ما ذهب ليحدد شرائط الاسلام الحقيقي ، وجدنا هذه الشرائط من علو المقام بحيث لا يبلغها الا خاصة الخاصة من دعاة الاسلام وقديسيه . . « فجوهر الاسلام هو : أن تطوع ذهنك وفق مبادىء الاسلام ، ويصبح أسلوب تفكيرك هو أسلوب القرآن في التفكير ، وتصير نظرتك الى الحياة وأمورها هي نظرة القرآن لها ، وترى الأشياء بالمعيار الذي اختاره القرآن وحدده ، وأن يكون هدفك الشخصي والجماعي هو الهدف الذي بينه القرآن وأقره ، وأن تتخلى عن مختلف طرق الحياة ، وتختار طريقا تحدد اختياره مما تلقاه من قوانين القرآن والسنة المحمدية ، وأن توحد مشاعرك ومشاعر القرآن . . »

ونحن لو شئنا صياغة تكثف هذه الشرائط فسنجدها في حديث أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، عندما وصفت رسول الله ، ﷺ ، فقالت : « كان خلقه القرآن » ؟ ! . .

ولو كانت شرائط الاسلام الحقيقي ، عند الاستاذ المودودي ، هي التوحد بالقرآن في « الأصول » ، بالتوحيد في الألوهية ، والايمان بالنبوة ، والبعث والجزاء ، والأركان التي تحددت للاسلام والايمان ، لما كان هذا الاسلام معجزا للجمهور العريض ـ لكن الرجل عاد مرة أخرى ـ وبعد أن رأينا دعوته علماء الاسلام للتمييز بين « الأصول » و « الفروع » ـ عاد فوحد بين « الأصول » و « الفروع » ، واعتبر الخروج عن « الفروع الدنيوية » التي أشارت اليها الشريعة بمثابة « الردة الجزئية » التي تفضي الى « الردة الكلية » عن دين الاسلام ؟ عاد ـ مرة أخرى ـ الى هذه الصياغات القلقة والخطرة ـ التي أحدثت وتحدث الجدل واللغط وتزكي نزعة التكفير للمسلمين ، في صفوف الصحوة الاسلامية الجديدة ـ فقال : « انه لا يمكن الفصل بين الفروع « الدينية » و « الدنيوية » . . . فالحياة « الدنيوية » بأكملها حياة « دينية » . . ابتداء من العقائد والعبادات حتى أصول وفروع الحضارة والمجتمع والسياسة والاقتصاد فان سلكت في قضاياك السياسية والاقتصادية مسلكا يتفق وخطة أخرى غير خطة الاسلام المحكمة ، فان صنيعك هذا يعتبر ارتدادا جزئيا يفضي بك الى ارتداد

كلي نهائي . . !

فهو هنا : قد أدخل الخروج عن « الفروع الدنيوية » في « الردة الجزئية » المفضية الى « الردة الكلية والنهائية » عن الاسلام . . . وهو قد عنى « الفرد » بهذا الحديث ، وليس فقط المجتمع والدولة . . بل انه ليذهب على « درب الصياغات الاثارية والقلقة » الى نفي الاسلام عن الدين يطلبون الأدلة العقلية ، حتى تطمئن نفوسهم للطاعة والتنفيذ ، فيقف موقف « السلفية النصوصية » التي ترى الانسان كائنا مطيعا ، حتى لو لم يعقل ما يأمره به الدين ! . فيقول المودودي : « ان من يطلب الدليل العقلي ، ويأبى أن يمتثل أمرا من أوامر الله الا به ، فلا شك أن مقامه الصحيح خارج حدود الاسلام لا داخله . . ! . .

حقيقتان حول المودودي

وهذا الموقف غريب عن النهج العقلاني للاسلام . . فكون « العقل » ـ في الاسلام ـ هو مناط التكليف ، يتجاوز المعنى الشائع الذي يسقط التكاليف عن المجنون ، الى حيث يطلب من المسلم « عقل » و « تعقل » التكاليف . . . وكما يقول الامام محمد عبده : « فان أول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي ، فهو وسيلة الايمان الصحيح . . والاسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي ، والفكر الانساني الذي يجري على نظامه الفطري . . والمرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن ربي على التسليم بغير عقل ، والعمل ـ ولو صالحا ـ بغير فقه ، فهو غير مؤمن ، لأنه ليس القصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير ، كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتزكي نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه ، فيعمل الخير لانه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه ، ويكون فوق هذا ، على بصيرة وعقل في اعتقاده . »

واذا كانت صياغات الأستاذ المودودي قد حوت ـ في هذه القضية ـ قضية « التكفير » ـ هذا التفاوت ـ بل التناقض ـ الذي عرضنا له . . واذا كان البعض يجتزيء نصوصه التي تحكم بالكفر على المسلم ان هو لم يلتزم بـ « الفروع الدنيوية » ، ويبرزها ويقف عندها ويكتفي بها . . فإننا نود أن ننبه الى حقيقتين نختم بهما هذه الفقرة من هذا الحديث . .

الأولى :

ان النصوص التي كتبها المودودي يجب تفسيرها بالمنهج الذي أوصى به هو ذاته . . . تعرض على بعضها ، وتقارن ، ثم تعرض على الادلة الشرعية التي دعمها هو بها . . ولقد أفاض الرجل في الدعوة الى التحرج من تكفير المسلم ، ودعا الى التمييز بين الفروع والأصول والنصوص والتأويل . ودعم حديثه هذا بالأدلة الشرعية التي استقاها من السنة النبوية ، على وجه الخصوص . . وهذا الموقف هو المتسق مع اجماع تيارات الفكر السني ومذاهبه ، التي قطعت بأن الدولة والسياسة وتنظيم المجتمع هي من الفروع المفوضة الى نظر الخلق ، وأنها ليست من العقائد والأركان والأصول . . ومن ثم فإن معايير الخلاف فيها هي « الضرر » و « المصلحة » و « الخطأ » و « الصواب » وليست « الايمان » و « الكفر » .

والثانية :

أننا نجد تناقضا ـ لا بد من التنبيه عليه ـ في كلام الأستاذ المودودي ـ بين رفضه تكفير « الفرد » بمعصيته في « الفروع » وبين تكفيره « المجتمع » بعصيانه في ذات الفروع . فالمجتمع هو مجموع الأفراد ، في طور « كيفي » أرقى وأكثر جدة . . ومن ثم فإن معايير « الكفر » و « الايمان » يجب أن تظل مقصورة على تقييم الالتزام ، أو الخروج عن « العقائد والأصول والأركان » الاسلامية ، دون اقحامها في ميدان « الدولة » و « الخلافة والامامة » طالما كان الاجماع السني على أنها من الفروع وليست من أصول الدين . . وليس في هذا تقليل من شأن هذا الميدان ، ولا تهوين من عظم المهام النضالية التي على المسلمين أن يخوضوها لأسلمة دولهم ومجتمعاتهم والواقع الذي يعيشون فيه ، وانما هو الحرص على عدم « خلط الأوراق » ، وحتى لا تنفتح في الفكر الاسلامي ثغرة لـ « الكهانة » ، يميز الاسلام بالبراءة منها ، ومناصبتها شديد العداء . . □

دعـــوة إلى قـــراءة في :

دفــاتــر مهجورة

بقلم : الدكتور راشد المبارك

حول هموم وشئون العالم الاسلامي والوطن العربي . . يتخذ كاتب هذا المقال خطا مغايرا مختلفا عن النمط المكرر من التعليل والتحليل فيا يكتب ويشاهد ويذاع . . وهي دعوة لمحاولة فهم بواعث مايعانيه الوطن العربي والاسلامي وتشخيص لسبب ماهو عليه من حال .

يصدم المتأمل لحال العالم الاسلامي ـ ومنه الوطن العربي ، والقارىء لتاريخه في حاضره وماضيه القريب ، ماهو عليه من حالة عجز وتضعضع شديدة الوضوح في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، تظهر في تعامله مع الناس والأشياء ، وموقفه من الناس والأشياء ، وفي معالجته للمشكلات والأحداث ، تواري ذلك حالة مماثلة ومساوية في التعامل مع وحدات المادة مهما لقوانينها وأسرارها ، وتطويعا لها فيما يفيده ويعليه . هذه الحالة على درجة من الوضوح والبروز ، بحيث يكون كل تدليل عليها أو تفصيل لها نوعا من الجهد الذي يسقط من حسابه الحد الأدنى من المعرفة والادراك لدى الفرد العادي ، ذلك الفرد الذي عاش في أكثر حالاته مستثار المشاعر ، والاحساس بما يشاهده من ذلك الواقع الأليم .

كيف حدث ذلك ، ولم حدث ، ولماذا استمر هذه الحقب الطويلة من الزمن ؟ . ماهو سر استعصاء هذه الحالة على العلاج ، كيف لم يوحد الشعور الحاد بها ، والحديث الدائم عنها ، وماقدم على أنه تشخيص وعلاج شفاء منها أو تقليلا لايعالها وشمولها ؟ . . .

لماذا لم ينفع العالم الاسلامي تداويه بكل الأصناف التي تعرضهاحوانيت الأدوية المصنوعة في أرضه أو المجلوبة اليها . . لماذا لم تنفعه الأدوية المحضرة والموصوفةلعلاج كل الأمراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية . . ؟ ما علة تحول جسم

العالم الاسلامي ـ ذلك الجسم البديـن في وزنه الهزيل في قدرته ـ الى مثل حاد الدلالة على فشل كل الأدوية في الشفاء من بعض الأمراض ؟ . . ما الذي جعله في حصانته ضد الشفاء استثناء من القاعدة التي اندرج تحتها كثير من الشعوب والمجتمعات ؟ . . .

هل سبب مايعانيه العالم الاسلامي جزء من الذات أم خارج عنها ، هـل هو نـابت من أرضه أم وافـد اليهـا ، هـل العلة نضـوب الـطاقـة أم مجـافـاة الظروف ؟ . .

اتفاق عقيم

ألفت فئات من الناس تقديم التفسير والتبرير ووصف العلاج لكل الأعراض والأمراض الـوافدة والمواطنة في ذلك الجزء من الأرض ، واذا كان مقبولا في بـواعثه وأسبـابـه ، وهي الأسبـاب التي صنعهـا احسـاس ملازم لـدى هده الفئـات بواقـع أمتهم ، والتماس وسائل الخروج منه أو عليه ، فان اجماع هذه الفئات على صيغة واحدة وسبب مفرد تراه علة كل ما واجه العالم الاسلامي من صروف وهزائم ونكبات ، وتقـديم هذه الصيغـة لباسـا لكل حـالة مهما كـان مقاسها ، وحلا لكل معادلة مهما كانت درجتها ، قد أقاما بالتلقين والمحاكاة حاجزا منيعا سد منافذ الحركة والارتياد ، بحثا عن غير ما قدم من علل وأسباب

تتفق هذه الفئات على تباين اتجاهاتها ومشاربهـا على تفسير وحيد ، تراه تعريفا مانعا جامعا لما وصل اليه العالم الاسلامي ، من قدرة انفرد بها على صحة دائمة للعجز ، وتخلف باعد بينه وبين كثير من شعوب الأرض ، وفـرقة تـافس في مافي طبيعـة الشحنـات المتماثلة من تنافر ، هذا التفسير الوحيد الجامع المانع هـو « **الظروف والاستعمـار** » . واذا كان من غير المجدي بحث أسباب هذا الاجماع وبواعثه ، فان أول مايجبه المرء في هذا التعليل أمور ثلاثة :

الأول : نظرة تخلط بين النتائج والمقدمات ، وتضع عرض الحدث ومظهره موضع أسبابه وجوهره .

الثاني : الاعلان الضمني لشهادة براءة للذات ترددها كل الألسنة والمنابر والأقلام ، مسقطة ايه تبعة يمكن أن تنسب الى الـذات في التسبيب لهـذا الـواقـع ومسئوليتها عنه ، وصادة أية محاولة لأعادة النظر فيما الفتاه من المواقف والأفكار وأنماط التعامل مع الظروف والأحداث .

الثالث : اجهاض لأي توجه للبحث أو التفكير في التماس عوامل وأسباب أخرى ، قد تكون أبلغ أثرا وخطرا في صناعة هذا الواقع الكئيب .

ان النظرة السابقة لم تعان الحيرة في تقديم جواب مقنع لكثير من الأسئلة .

هـل الظروف والاستعمـار ـ على فرض وضوح وتحديد ما تحمله هاتان الكلمتان من مضمون ـ مرض أم عرض لمرض ؟ هل هما نتيجـة أم مقدمـة ، هل ضعف العـالم الاسـلامي سبقـه استعمـار وظـروف مجافيه ، أم جاء الاستعمار وجموع الظروف لأنه سبق ذلـك شيء آخـر صنع استعدادا لـلاصـابـة بهما والتقبل ؟ هل انتصر الغزو الغـربـي على العـالم الاسلامي وهو قوي ومتفوق ، واذا كان كذلك فكيف استطاع الغزو التغلب على قوي ومتفوق ، بل كيف ولماذا لم يحدث العكس ؟ . . .

وهذه الظروف ـ الظالمة المظلومة ـ هـل اكتنفت العـالم الاسلامي وتـآمرت عليـه عندمـا كان قـويـا ومتفوقا ، أم أنها تداعت عليه عندما لم يعد كذلك؟

على الاحتمال الأول ، هل يمكن أن يكون قـويا ومتفوقا دون أن يملك أسباب القوة والتفوق ، مما دُعِيَ بعض تلك الأسباب ظروفا ؟ . . .

وعلى الاحتمال الثاني ـ أي اصطلاح هذه الظروف عليه عندما لم يعد قويا ومتفوقا ـ هل يجوز أن تكون الظروف مسئولة عن صيرورته ضعيفا غير قادر على الابـداع ، وقـد جـاءت لاحقـة لضعفـه لاسـابقـة عليه ؟ . . .

هـل من المنطق الـذي لايضع النتـائج مـوضـع المقدمات ، القول أن ظروف أهل مقدونية وبراعة القوط الذي أسقطوا أثينا وروما صنعوا ذلـك لأنهم أطول صحبة لتاريخ عريق ، وأكثر ممارسة لشؤون السياسة والحرب والفلسفة والاجتمـاع ممن انتصروا عليهم ؟ . هـل يمكن القـول أن انتصـار العـرب المسلمين على ذلـك التاريـخ الطويـل من الظروف المواتية والمحابية لدولتي الفرس والرومان ، هو انتصار صنعته ظروف محـابية للمسلمـين ومجافيـة للجانب الآخر ، اليست الشحنـة التي جـاء بهـا الاسـلام

فأشعلت الطاقة الخابية في الذات ، وصارت حرثا مها ، هي العامل الوحيد الذي رجح بكل ما لدى كلتا الدولتين من أسباب التفوق الصاسع للانتصار ؟

هل هم كثيرون الذين يدركون أن هذه المقولة المبرئة للنفس والملقية بالمسئولية على سواها هي أبلغ هجاء للذات العربية المسلمة والمجتمعات العربية والمسلمة ، حيث تضعهم في موضع من ينفعل ولايفعل ، ويتأثر ولايؤثر ، اي تضعهم في موضع واحد لم يؤهلوا لسواه ، ولم يجدوا قدرة على الخروج عليه ، هو موضع المادة المطاوعة القابلة للطرق والثني والتشكيل ؟

اختلاف ممزق

الاتفاق الذي يثير الدهشة في تشخيص الداء تشخيصا يضع النتائج موضع المقدمات ، يساطره انقسام المجتمعات الاسلامية الى قبائل لايفصلها تباين الاعراق واللغات والألوان ، بقدر ماتفصل بينها عوامل شديدة الفتك من مذهبية متعصبة ، ورأي لايعرف الاتفاق ، وتوجه لم يمع في الرجوع عنه ، أو مراجعته ما أدى ويؤدي اليه من واقع وبيل

لقد صنع هذا الانقسام ماتقتات به المجتمعات المسلمية من اختلاف صارخ في تحديد مايلائم حالها من علاج ، لعل من أول مظاهر الدمامة فيه هو أن كل قبيلة تملك كل الاقتناع والجزم والتأكيد ، بأنها هي الوحيدة القادرة على الرؤية النافذة والرأي الأقوم ، والتحليل الذي لايخطي للعناصر والمركبات ، وتبلغ هذه الدمامة أوجها ، ليس عندما ترى كل واحدة أن القبائل الأخرى فاقدة لما تدعيه هي ، وتعتقده في نفسها من مواهب وصفات ، بل عندما تشعر بكل الاقتناع والتعبير عنه ، والممارسة له اتهاما لسواها ، بفساد النية وسوء القصد ومرض الاخلاق والطباع ، وعندما تعيش واقعها - بناء على ذلك - توزعا الى شراذم تتحصن كل واحدة منها وراء أسوار من التوجس ، وسوء النظرة والتربص ، بكل القبائل الأخرى ، مبددة جهدها في انشاء قصائد هجاء ، واعداد حرابها وقسيها لحروب البسوس ، ولايخفي تفوق قبائل الاعراب في هذا الشأن ، كما لايخفي مافي هذا التفوق من مواجهة ذكية ومتحضرة لتحديات الظروف والأحداث

ترى كم هي حادة وأليمة تلك الفاجعة التي تظهرها المقارنة بين ماتقتات به وتحترفه وسائل الاعلام بين « القبائل المختلفة » من تبادل الطعن والاتهام بكل مافي قواميس اللغات من ألفاظ الهجاء ، وبين ذلك الشعور الذي عبر عنه طبع نبيل تجاه من حمل السلاح في وجوههم وحملوه فلم يزد على أن قال :

ظللت أساقي الموت اخوتي الألي
أبوهم أبي عند الحفيظة أو جدي
كلانا ينادي يا نزار وبيننا
قنا من قنا الخطي أو من قنا الهندي
كفى حزنا أن لا أزال أرى القنا
تمج نجيعا من ذراعي ومن عضدي
واي - وان حاربتهم وحفوتهم
لتألم مما عض أكبادهم كبدي

لقد تحول العالم الاسلامي - والعالم العربي منه بوجه أخص - الى مختبر واسع لاجراء تجارب غير ناجحة على كل المذاهب والانتماءات والأفكار ، ثم صار ميدانا لمصارع وفشل هذه المذاهب والنظريات ، لما صاحب ممارسات الأنظمة الحاكمة لهذه المذاهب أو ممارساتها الذاتية باسم هذه المذاهب من اخفاق كان أبلغ هجاء لذلك المستوفد الغريب . لا لأنه يقوم على فروض ومعطيات لاتتفق مع جذور ومواريث العالم الاسلامي فحسب ، ولكن لأن ممارسات المستوفدين المتوترة وأدت كل ما يحتمل في هذه المذاهب ، من جوانب ذات عطاء ينبغي الاستفادة منه

قاسم مشترك

اذا كان من الخطأ الاعتقاد بأن هناك سببا واحدا أدى الى مالحق بالعالم الاسلامي من حال ، وأن الأقرب الى الصواب القول أن ذلك جاء نتيجة لتداخل واصطلاح عوامل عدة ، قوي أثرها بالتراكم والتداعي الطويلين ، وأن أول هذه الأسباب وأقواها هو مايتعلق بالذات ، فانه يمكن القول دون خوف من الوقوع في الخطأ ان من العوامل التي ينبغي أن تكون

موضع الدراسة والتحليل ، تلك الظاهرة الفريدة التي طال شقاء العالم الاسلامي باصابته بها وتوطنها فيه ، والتي تستوقف المتأمل محيرة له بشمولها وديمومتها وتعاقبها ، مهما احتلفت في مكانها أو صورتها أو أسلوب ظهورها ، وانه ليحار في تعليل صيرورة الأرض الأسلامية تربة ملائمة لهذه النبتة على تباعد اقطار هذه الأرض واختلاف مناخها الطبيعي والبشري ، تلك هي أنظمة الحكم المطلقة في معظم أجزاء العالم الاسلامي ، وما صاحب ذلك الاطلاق من واقع وبيل ·

هل يمكن لمتأمل أن لايشعر بالدهشة والذهول وهو يرى ذلك الجزء من الأرض المختلف في طبيعته الساكنة ، والمتحركة والمتباين في انتماءاته وشعاراته وتوجهاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، متفقا على شيء واحد فقط مهما بلغ اتساع خلافة ودرجة تباينه في الأشياء الأخرى . وهو هذا النمط من أنماط الحكم ؟ .

أليس من المحير أن يكون ذلك في المجتمعات الاسلامية ، حيث يكون هذا النمط مصادمة لمطلب يوجبه الاسلام الذي تدين به هذه المجتمعات ؟

هل من الممكن أن يصبح العالم الاسلامي الحليف الدائم والوفي لتلك التجزئة التي صارت من سماته وخصائصه ، ولولا وجود الأنظمة المتفردة التي يرى كل نظام أن ذلك الجزء الذي انفرد به نوع من الضياع التي لايجوز أن يفرط في ملكيتها فهو يتعامل بها ولايتعامل معها . يتعامل بها بالرهن والاقطاع والتأجير . ولايتعامل مع من في ذلك الجزء من بشر لهم حقوق ومشاعر ورؤى وأفهام ، كيف حدث أن بقيت الهند ذات السبعمائة مليون نسمة والمئات من اللغات المثلة لأعلى درجات القدرة على قناعة الانسان بأدنى ماتقدمه الحياة من وسائل العيش ومستوياته موحدة ، ليس ترويع السلطة أكبر هموم الفرد فيها ولابعض هذه الهموم ، على حين لم يحتمل بلد أخرى مجاورة أعباء الوحدة أكثر من عقدين من الزمان . عرفت قبل تجزئتها وبعدها مايمكن أن يكون تبريرا وتأصيلا لهذه التجزئة ؟ . . .

من الجائز بل من المؤكد صحة القول ان هذا النمط من أنظمة الحكم هو عرض من أعراض المرض ، ونتيجة من نتائجه ، واذا كان ذلك ظاهر الصحة فانه من المحتم كذلك أن هذا العرض هو أقوى العوامل المسببة لاستمرار مايعانيه العالم الاسلامي من حال ، انه الحليف الدائم والصديق القادر على اعطاء المواطنة لما يشكو منه العالم الاسلامي من أمراض

هل هي مقولة ظالمة ؟

توجد في العالم الاسلامي مقولة تروجها فئات خادعة مستفيدة أو مخدوعة مستثمرة ، هذه المقولة هي أن الشعوب الاسلامية ويتمثلون بهذا الحكم سواها من المجتمعات المماثلة في لأوائها للمجتمعات الاسلامية من باب العدالة في توزيع الاتهام - غير مؤهلة بعد لحكم الجماعة ، ومع مافي هذا القول من حكم مؤيد على هذه المجتمعات بعدم أهليتها لبلوغ سن الرشد ، ووضعها في دائرة الولاية على القاصر ،فان اطلاق هذه المقولة والتسليم بها لايتطلبان مستوى متفوقا من بلادة الذهن وجمود الوجدان لدى المتقبل لها فحسب ، بل يقتضي كذلك وجود هذه المزايا لدى المطلقين لها عندما يفترضون أن هناك من يقبل ذلك أو يأخذ به

من وجهة نظر اسلامية لايخفي مافي هذه المقولة من تعارض مع ما أصله الاسلام ، ومن أي وجه آخر ، فلم تخلق بعد فئات من البشر مؤهلة منذ البداية لحكم الجماعة ، وفئات أخرى ولدت مشلولة الأعضاء محتاجة الى المعالجة والتدريب والمران ، وعلى فرض ذلك هل يمكن اجادة شيء أو اتقانه ، وحسن التعامل به أو معه دون المعرفة به والممارسة له وتطبيقه ، والاستفادة من التجربة والخطأ بالتطبيق ؟ .

هل يمكن أن يكون التحريم المؤبد لشيء ما ، ومنع تداوله هو الطريقة المثلى لمعرفة ذلك الشيء ، والممارسة الرشيدة له ؟ ثم هل هو من المؤكد أن النظام أو الحزب المنفرد بالسلطة أو الفرد الممارس لها باسمه ، المخول لنفسه حق التفرد بصياغة حاضر أمته ومستقبلها ، المصادر لحق مجتمعه في التفكير والتعبير والمشاركة في صنع واقعه ومصيره ، والمحتمل عنه في فدائية لامثيل لها أعباء التفكير والتغيير والصياغة ، لأماني واحتياج ذلك المجتمع وأشواقه وتطلعاته ورغائبه ، هو الأب الحاني

على الديمقراطية ، الممهد لها الطرق ، المذلل لمسيرتها عسيرة الفجاج ؟ . . .

أليس من طبائع هذه الأنظمة أنها لاتصنع الهوان والتهدم والترويع لمجتمعاتها فحسب ، بل يكون من ضحاياها المتربعون على هذه الأنظمة أنفسهم ، حيث لايعيشون الا داخل أسوار عالية يعدم داخلها الأمن النفسي والطمأنينة والسلام الداخليان ويعيش فيها سات شرير من التوحس والحذر والهواجس ؟ . . .

ليس قريبا الى مايعقل ويقبل الافتراض بأن الذين انفردوا بالسلطة تحركوا اليها بدوافع رديئة وشريرة ، منها الرغبة أو القصد في اذلال شعوبهم وترويعها وافقارها واطعامها ما تقتات به من هوان ، ولكنهم في الغالب ـ وباستثناء شواهد شاذة تؤيد القاعدة ولاتنقضها ـ تحركوا في البدء رفضا ودفعا لما تعانيه شعوبهم من هذه الأرزاء واسقاطا لها ، ولكن وصولهم الى ذلك عن طريق المدفع والحراب يحمل في طياته بذور مرض لم تعرف قواميس الطب له تعريفا هو مرض التفرد بالسلطان

ان الطريقة التي وصلوا بها الى الحكم ، تجعل هم الحاكم المتفرد ، وهاجسه الأكبر هو حماية نفسه وسلطانه من مدفع آخر يصل اليه أو يطلق عليه بنفس الطريقة التي وصل بها وأطلق ، وهكذا تكون كل مصالح الأمة ورغباتها وغاياتها الكبرى محكومة بمدى قربها أو بعدها ، وتحقيقها أو تعارضها مع الهاجس الرئيس ، وهو حماية وضمان استقرار واستمرار ماوصل اليه من سلطان .

انه يخاف فيظلم ثم يظلم فيخاف ثم يخاف فيظلم فيستمر هذا التفاعل المتسلسل الذي لم يعرف التفاعل النووي المتسلسل مثل فداحته وتدميره وصنعه لسوء المصير

ان من المروع في ذلك النمط أنه يخلق بوقوعه ويؤصل بتعاقبه مناخا رديئا تعيش فيه قطعان من الناس تقتات بالمذلة والهوان وفقد الاحساس باحترام الذات ، لذلك فانه لم يوجد نظام مهما كان رديئا أو متوحشا ومفترسا لكرامة مجتمعه وإبائه ، خلا من جيوش عالية الضجيج ، رافعة لاعلام الحكم المتسلط ، صانعة له وباسمه كل مايعانيه مجتمعه من ويلات .

لاحدود لكثرة وتعدد مايبعث على الحزن والألم او الغضب والانفعال في هذا العالم ، ولكن أشد الأشياء اثارة لهذه المشاعر هو تلك المساحة الممتدة الأبعاد من غباء الانسان وضعفه وعشقه الدائم للتبعية ، والانضواء من جانب ، واصابة أفراد منه في الجانب الأخر اصابة متأصلة بحب التسلط والسيطرة والاستبداد .

ما أكثر ماتصاب اجهزة الاتزان والرؤية والاباء لدى الانسان بالشلل الذريع المعطل لكل مناعة ضد مايلوث الذات فينساق مبهورا أو مدعورا أو مدفعا ، هاتفا أو مسحوقا أو داعيا لمذهب أو حزب أو زعيم ، **ان فردا أو أفرادا ، يكونون بمولدهم بعض الوسائل لعقاب البشر ، يستطيع أو يستطيعون بسبب اهوائهم أو مطامحهم أو توتر طباعهم أن يحولوا مجتمعاتهم أو جل هذه المجتمعات الى قطيع بذيء الضجيج ، والهتاف والثناء على عبقرية السائق لهذا القطيع وقدسية مايطرحه من شعارات**

وان من أكثر الأمور غرابة أنه قل أن يوجد شعب ملك حصانة كافية ضد هذا التحول ، أو لم توجد به فئة أو فئات قادرة على التحرر من احترام الذات ، وما كتبه هذا القطيع أو الممثلون له في فرنسا عن عبقرية نظام الاحتلال النازي الذي أسقط واستباح فيهم مايحرص عليه البشر من حرمات ، بعض الأمثلة الحادة على هذا التحويل

ان سرعة سقوط الناس أي بعضهم تحت تأثير أي زعامة أو فكرة أو تسلط شخص أو أشخاص ، يتحول الى تقديس لايقابلها في غرابتها ودمامة واقعها الا البطء الشديد الممط والممل لنهضتهم من ذلك السقوط ، أن الشفاء من ذلك الداء قد يستغرق قرونا

ان تعامل أكثر الناس مع الأشياء والمذاهب والأفكار المحدد لموقفهم منها وتقبلهم لها ، ليس تعامل من يحاكمها مشترطا في الشيء ومشترطا له ومشترطا عليه ، ولكنهم يحددون مواقفهم من كل ذلك بالتبعية والتلقين والاندفاع ، وبدافع العجز الذهني أو الاجتماعي أو النفسي عن المساءلة والاستشكال ، وكم البس هذا الواقع تاريخ البشر من ليل بهيم . . □

الأرض متكأ ضيق

«مشاهد»

مشهد ١

في امتداد الترقب ليس به ما يطالُ
في ضجيج السؤالْ
في السكونِ الذي يبعثُ الخوفَ
من حولهِ ويضيعْ
في الذهول المغيِّب بين الدموع
في الخميس المهيَّأ للحزنِ والأتربةْ
في الخطا المتعبةْ
في الشرودِ المباركِ توقظُهُ أنَّةٌ من بعيدْ
في امتزاج العباءات بالرمل ....
والصور المستعادة بالصبرِ
اغفاءة الشمس بالنسوة العائداتِ
بقايا وجوه بأشباحها
صوت نائحةٍ بالتوسلِ
هلْ كلما دارت الارضُ دورتَها
خلَفَتْ كلَّ هذا الرمادْ ؟

مشهد ٢

كان فجر الخميسُ
لملمتُ بين أضلاعها القلبَ
شدَّتْ بأسنانها الصوت
واحتضنت ما تبقى
دارت العربات بها
دارت الأمنيات القديمةُ
دارت سنين الطفولةِ
دارتْ جراحٌ
ودارَ نُواحٌ
أمامَ اصطفاف الحجارةِ موحشةٍ
تتحركُ وسطَ ركام السوادْ
بحثتْ عن حجارتِها
- روحها المستكينة في القهرِ - في القبر
واحتضنتْ ظِلّها ثم غابَتْ
فموعدُها أن تغيبْ

مشهد ٣

في السؤال الفصيحْ
حين يستمطرُ الصبحُ قطرةَ إشراقةٍ
حين تسبي المدائنُ عاريةً في ميادينها
حين يصدأ نجمُ التذكرِ متبثاً في الأفقْ
حين مرَّ السحابُ على ضفتيه ولم يستفقْ
حين لاشيءَ تملكه غيرَ خطو



شعر : مؤيد الشيباني

تعثر من يأسها في مدى لايُرى
أين تمضي اذن بالوداع الأخير
وأي احتمال نجا من هلاك القُرى
أينَ تمضي وقد أفلتْ نجمةُ العائلةْ
هذه الأرض متكأ ضيقٌ
فاص من حولها زمنُ الأسئلة

مشهد ٤

همست في بقايا الجسدْ
ـ لاتنم انهم ينثرون عليك الخراب
انهم يسرقون الأبد
لاتنم ، كيف أحتمل الشمس دونك
ولمن أبعث القلب مكتملا بالجنين ـ

مشهد ٥

في المساء الأخير
شطرت دورة الروح نصفين :
نصف يحاول بعض استقامة
ونصف علامةٌ !



ماذا يصنع الحديد بجسم الإنسان

الدكتور / ابراهيم فهيم *

كان الاغريق يعتقدون أن « مارس » اله الحرب أودع الحديد سر القوة ولهذا كانوا يصفون الحديد لعلاج الضعف الناشيء عن الأنيميا والذي يعد أهم أعراضها

ان الدور الذي يقوم به الحديد في جسم الانسان قد تحدد تماما ولا سيما بعد اكتشاف الاشعاع الذري للمعادن اذا أمكن تتبع درات الحديد المشع ، ومعرفة أجزاء القناة الهضمية التي يمتص منها ، والعوامل التي تهيمن على ذلك الامتصاص ، والطريق الذي يسلكه الى النخاع العظمي ـ مصنع الكريات الحمراء ـ حيث يدخل في تركيب الهيموجلوبين ، واماكن اختزان الحديد في الجسم ، والكميات التي تلفظ منه خارجه ، والاحتياجات اليومية منه لمختلف الأعمار والحالات .

وتتلخص الطريقة التي قامت عليها هذه البحوث الجليلة السمع ، في أن المعدن المشع تكشفه ، اشعاعاته ، ويمكن تتبعه وتقدير كمياته ، مهما تكن من الضآلة . وذلك بفضل الأجهزة الذرية الشديدة الحساسية .

وهذا في الواقع هو الدور العظيم الذي تقوم به علوم الذرة لخدمة الطب وتقدم فن العلاج

ان الخامات اللازمة لصنع كرية الدم الحمراء هي : الحديد ، وآثار طفيفة من المعادن الأخرى كالنحاس والكوبلت والمنجنيز ، وفيتامين « ج »

* استاذ الأدوية والعلاج بكلية الطب جامعة عين شمس

وفيتامين « ب » المركب ، وهرمون الثيروكسين ، ومواد بروتينية من الدرجة الأولى

ويمتص الحديد من المعدة والاثنى عشرى والجزء الأول من الأمعاء الدقيقة عند درجة حموضة مناسبة ، ويقوم حامض الكلوردريك الموجود في المعدة بأدوار هامة في عملية امتصاص الحديد

ويساعد فيتامين « ح » وأملاح الصفراء في عملية الامتصاص على أن لامتصاص الحديد من الأمعاء حدا لا يمكن تجاوزه ، فقد ثبت أخيرا أن خلايا الغشاء المخاطي المبطن للأمعاء تحتوي على مادة كيمائية تسمى « أبوفريتين » ، وهذه المادة تتحد مع الحديد ، ومتى تشبعت به فلا يمكن امتصاص كمية أخرى من الحديد

وعندما يقل مستوى الأكسيجين في الدم تعطي هذه المادة حديدها ، وبذلك تسمح بامتصاص كميات اخرى من الحديد اذ أن ذلك دليل الحاجة اليه

ويستخدم النخاع العظمي أربعة مليجرامات من الحديد لكي يزيد هيموجلوبين الدم بنسبة ١/ ويصل امتصاص أصلح المستحضرات الحديدية الى ١٤,٥/ ، ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض مركبات الحديد المستعملة في العلاج لا تمتص منها سوى ٥,٢/ وبحساب حاجة النخاع العظمي والجاهز المعوي ، يتضح أنه لا جدوى مطلقا من اعطاء كميات كبيرة من الحديد

وتحتوي مخازن الجسم في النخاع والطحال والكبد والجهاز الشبكي الدفاعي على ٦٠٠ مليجرام من الحديد ، فاذا علمنا أن هيموجلوبين الدم كله يحتوي على ٢٥٠٠ مليجرام منه ، ادركنا أن نزف ربع الدم في جسم الانسان ، لا يترتب عليه حتما أن يصاب بأنيميا نتيجة لنقص الحديد .

ولو علمنا أن عمر كرة الدم الحمراء ١٢٠ يوما فان مايفقده الانسان من كريات الدم يوميا جزء من ١٢٠ جزءا . وعلى النخاع العظمي أن يعمل بصفة مستمرة على تكوين كريات جديدة . على أن الجسم يحافظ على الحديد ويمتصه ثانية من اشلاء الكريات التالفة ، وقد ثبت أن مايلفظه الجسم من الحديد يوميا لا يزيد على مليجرام واحد ٠,٦ منه في البراز و ٠,٤ في البول

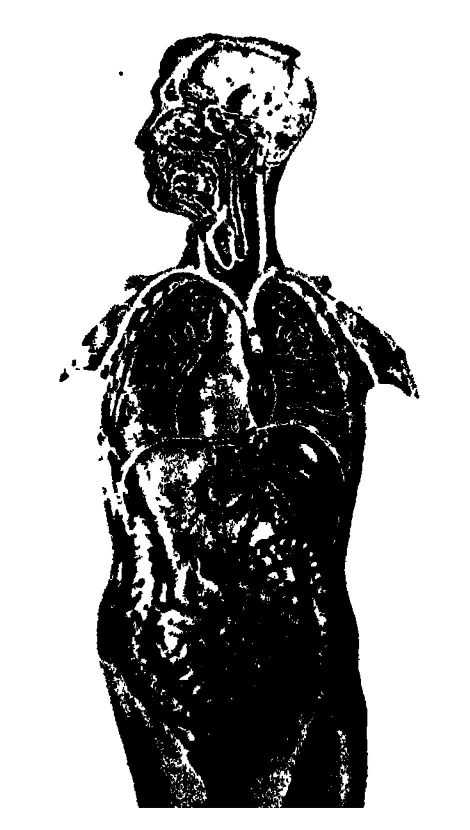
ومن ذلك يتضح أن احتياجات الجسم للحديد بعد سن النمو هو مليجرام واحد يوميا . ويقدر مايحتويه الغذاء العادي الذي نتناوله يوميا من الحديد بمقدار خمسة مليجرامات يمتص منها الخمس وهو مايحتاج اليه الجسم فعلا .

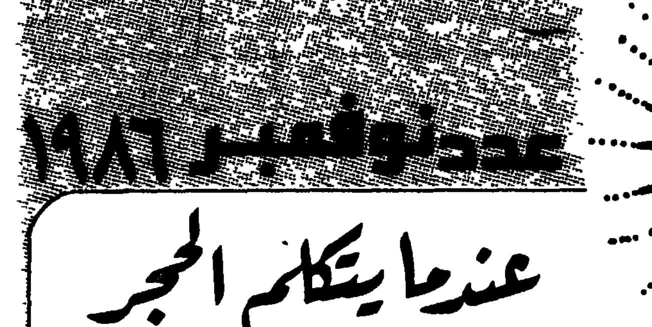
غير ان الاناث يفقدن في دم الحيض الشهري ٣٠ مليجراما من الحديد ، ومن ذلك يتضح أن الفتاة بعد سن البلوغ تحتاج الى مليجرامين يوميا ، لتعوض مايفقد في البول والبراز يوميا ، ومايفقد في دم الحيض شهريا

ولحصول الجسم على مليجرامين من الحديد يوميا ، يجب تناول ١٥ مليجراما منه في الغذاء اليومي ، وهو قدر يصعب توافره في الأغذية العادية .

وكذلك يحتاج الطفل للنمو الى مثل هذا القدر . وعلى هذا ، يجب اعطاء الحديد للأطفال والفتيات بعد سن البلوغ

أما الأغذية الغنية بالحديد فهي الكبد ، العسل الأسود ، العدس ، والمشمش ، البسلة الجافة ، اللوز ، البندق ، القراصيا ، السابح ، والزبيب ، والبن الجاف ، والكاكاو ، والشيكولاته ، وتحتوي اللحوم الحمراء على نسبة ضئيلة من الحديد واقل منها تلك التي توجد في اللبن □





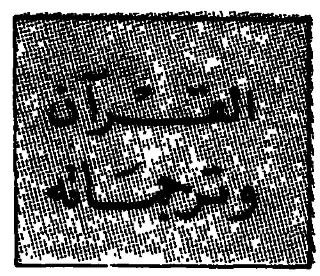
اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد نوفمبر ١٩٨٦

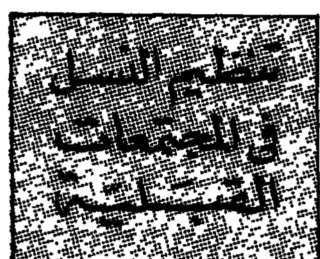
عندما يتكلم الحجر

عن العرب في الشمال الإسباني

استطلاع : حسن عباس



د. جابر أبو جابر



د. محمود سلام زناتي



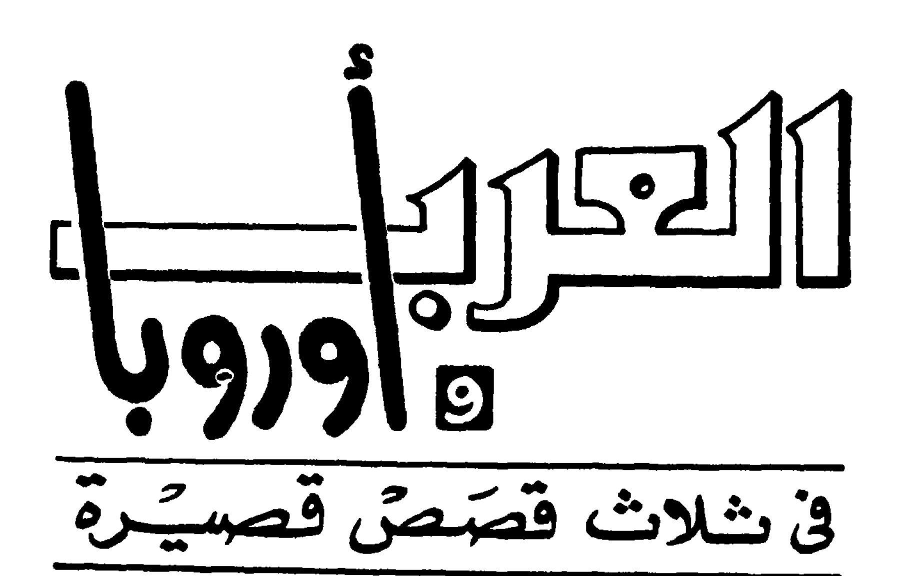
د. سينوت حليم دوس

- الذكاء الصناعي / د. أنيس فهمي
- اسرائيل واليورانيوم وأسرار عملية بلمبات / اللواء خضر الهراوي
- الاشجار رفيق الجنس البشري / بدور عبد الكريم
- مجاهد العامري / د. عصام سالم
- أخطاء لغوية / د. محمد صادق زلزلة
- منهج القرآن في تربية العقول / عبد الرزاق البصير
- العقاد .. بين الزمان والمكان / بقلم : سارة
- البرازيل .. عملاق القرن الواحد والعشرين / حسين أحمد أمين
- وجهاً لوجه .. أحمد بن يسف مع علاء الدين محسن
- كتاب الشهر : العرب وديارهم في كتاب صيني / نقولا زيادة

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. حسين مؤنس - كمال النجمي - [illegible]

[illegible] - عبد القادر القط - د. صلاح [illegible]



العرب وأوروبا
في ثلاث قصص قصيرة

بقلم : محمد بدوى

تكشف قصص بهاء طاهر الأخيرة عن عنصر تكويني جديد هو علاقة المثقف العربي ، باوروبا ، تلك العلاقة التي طرحها من قبل كتاب كثيرون لكنها عند بهاء طاهر تأتي ضمن عالم يلفه الحصار والاغتراب .

وهذا المقال دراسة للعنصر الجديد في قصص الكاتب الأخيرة .

تصدى كثيرون من كتابنا للكتابة عن هذه العلاقة الاشكالية،عالجها الحكيم في عصفور من الشرق ويحيى حقى « في قنديل أم هاشم »من الاجيال التالية لهما ، تصدى لها يوسف ادريس في « البيضاء والسيدة فنا » والطيب صالح في « موسم الهجرة الى الشمال » وسليمان فياض في « اصوات » وغيرهم . وها هو بهاء طاهر ، يتأمل العلاقة المعقدة ، ويكتبها ، عبر قصص قصيرة متميزة ، احتازت رهافة وعمقا ونضجا ، يجعل منها اضافة مهمة .

ليس الحوار مع اوروبا- ترفا فكريا -ينشغل به اناس متعالون عن بقية سكان الوطن ، انما هو فعل ضرورى لمقاومة تحديات جديدة ، فاعلة ، ومنذرة . لنقل ان اوروبا معطى موضوعى اجتماعي وتاريخي ، اذ شاء التطور التاريخي للبشرية ان تصبح اوروبا مهداً لما اصطلح على تسميتهُ بالرأسمالية أي مهدا لنمط من الانتاج والعلاقات والسلوك ، واساق القيم والنظرة الى الوجود .

فعلى مستوى من المستويات ، انهارت المصانع اليدوية ونشأت صناعات احدث واعقد ، بفضل ما سمي بثورة البخار ، وتدعمت التجارة البعيدة المدى ، وبدىء في انشاء السوك وكان ضروريا ان يتحاوب مع هذه التغيرات تغيرات اخرى موازية في السياسة والثقافة ، فظهر الى الوجود ما يسمى « بفرسان القانون » وهم الرجال الذين اعدوا للدفاع عن الطبقة الصاعدة ومصالحها عن طريق القانون ، ونشأ التمثيل النيابى ، متجاوبا مع الصحافة وحرية البحث العلمى وحرية تكوين النقابات المهنية والاحزاب السياسية . ان هذا يعنى أن اوروبا بازاء انتاج موسع ، يفيض عن حاجة اسواقها ، وبازاء حاجة لمعين من المواد الاولية ، ومن هنا نشأت ظاهرة الاستعمار الذي كان مدججا لابالجيوش الجرارة فحسب ، ولكن بالعلماء والمستشرقين والجواسيس ، وبدعاية ضخمة عن تمدين البلاد المتخلفة وتحديثها ، فضلا عن نمط براق ومغو من السلوك وطرائق العيش ، لكن ذلك كله لم يستطع ان يخفى قبح الوجه

العارى . كانت اوروبا تندو قدة صخمة قاهرة قد أتت بحيلها ورحالها لنهب البلاد المتخلفة وتحطيم بناها الذاتية ، وشل قدراتها على النماء والتقدم وكان سكان هذه البلاد متخلفين ، فقراء لاحول لهم ولا طول

على ان الأمر كان مختلفا الى حد ما بالنسبة لنا نحن العرب ، فنحن امة ممتدة في الزمان ، تمتلك تراثا شاسعا يجمع كل اشكال المعرفة الانسانية من آداب وفنون وعلوم وايديولوجيات ، ولذلك كانت مدافع نابليون التي صربت القاهرة اشارة الى الخطر التاريخي الذي يتهدد ذات الامة ، وكان الصراع مع الآخر مزدوجا لقد اصابنا شيء قريب من الندم ، كـ حملة مشاعل الحضارة يوما ، وها نحن يعار علينا ، وتقتص اطرافنا ان علينا ان نحاربه الآخر بنفس سلاحه . التقدم

لم يكن الامر سهلا ، فأن تستورد التقدم ، لا مناص من ان تستورد ايديولوجيته ولذلك حولت تجربه محمد على في مصر التعليم الى تعليمين ، اسلامي-عربي خاص بالشرع واللغة ، والاخر خاص بالعلوم الاوروبية . فنشأ في ثقافتنا تياران ، مدني وديني وكان ذلك يعني ان تزدوج ثقافتنا ، دون ان تدمج هذه الثقافة مايأتيها من الغرب وعلى مدى الصراع مع اوروبا انقسم مثقفونا الى فريقين احدهما منبهر بالغرب ، يرى ذاته من خلاله ، والاخر متضاد معه ، رافض له لائذ بتراث الامة وماضيها ولم يستطع الفريق الثالث ان يحسن فهم تراثه وفهم اوروبا الرأسمالية معا ، فعجز عن انتاج وعي حقيقي يدمج التراث مع المعاش مع الاوروبي في بوتقة واحدة .

ومايزال الامر مطروحا ، ومـا يزال الفرقاء يصطرعون

في حديقة غير عادية

في القصة التي تحمل هذا الاسم من مجموعة « أنا الملك جئت » نحن مع مفارقة اساسية تشير الى لا عقلانية الحضارة الاوروبية ، أي حضارة اوروبا الرأسمالية المنغلقة على ذاتها ، والتي ترى في نفسها محورا للعالم . يدخل الرواي المصري حديقة يجدها فجأة ، لكي يجلس في الشمس التي افتقدها وسرعان ما يعرف انها مخصصة للكلاب . في البداية لم ينتبه ، شم رائحة غريبة ، ثم وجد امامه اربعة كلاب ، وحين بدأ في البحث عن مكان آخر ظلت الكلاب تطارده برائحتها حتى اكتشف لافتة تقول : هذه الحديقة من أجل كلبك فحافظ عليها . لكن الوطن البعيد يحضر ، اذ يرى الراوي عظما من البلاستيك وضع لتسلية الكلاب ، فترد على ذهنه الافكار التي تأتيه كلما رأى « كلابهم » السمينة المدلله « هؤلاء القوم يطعمون كلابهم مما يكفي لاشباع الاطفال في بلادنا ، ويقوده ذلك الى تذكر العلاقة التاريخيه بين وطننا والغرب » هؤلاء الاوروبيون استنزفوا كل ثرواتنا لعشرات السنين ، حتى افقرونا ونسوا بلادهم وها هم يطعمون ثروتنا المسروقة كلابهم والحق ان مايردده الرواي هنا يتجاوب مع تيار كامل في العلوم الاجتماعية الحديثه ، يتبناه ويؤصله كثيرون من علماء الاقتصاد والاجتماع والفلسفه ، وهو اتجاه يرى ان اوروبا في مرحلة استعمارها للعالم المتخلف قد نهبته بتصدير سلعها ورؤوس اموالها اليه وتحويله الى سوق عمالة رخيصة ، بحيث اصبح تابعا ومنهوبا ، ومن الطبيعي ان يكون المع نجوم هذا التيار من اصول غير اوروبية (كسمير أمين من مصر وحمزة علوي من باكستان واندريه جندر فرانك من امريكا اللاتينيه وغيرهم)

وحين يردد الراوي هذه الكلمات التي ترمي الى موقف معرفي وايديولوجي معين ، فانه يشير بشكل ضمني الى الاسباب التي جعلته يترك الوطن الى اوروبا ، وحين يستطرد (وتمنيت ان امر بتلك الحديقة فأحنق كلابها واحدا واحدا حتى استريح ولكني كنت اعلم ان لـو حدثت احـدهـا ، فسيقتلني صاحبه) ، نعلم انه مقهور في اوروبا كما كان مقهورا في وطنه .

ويبدأ الراوي في التنبه الى المفارقة بين الاهتمام المفرط بالكلاب وبين وحدة السيدة العجوز ، التي ترعى كلاب الحديقة . كانت عجوزاً نحيلة ومن ملبسها بدا انها فقيرة . كانت ترتدي ثوبا اسود من القماش الصناعي : واضح انها تعاني الوحدة ، والمرض وتتوق الى اي حديث مع انسان حتى ولو دخل حديقتها مصادفة ، وبرغم فقرها ووحدتها وشيخوختها تتبنى ايديولوجيا النظر الى غير الاوروبي

وتنتهي القصة حين يرى الراوي العجوز بعد مغادرته للحديقة وقد سقطت على الارض مجهدة فيتصل برجال الاسعاف لنقلها الى مستشفى ويبقى الراوي وحيدا مع قلب العجوز

على هذا النحو تبنى قصة (في حديقه غير عادية) وباعتمادها المفارقة الساخرة بين الاهتمام المفرط بالحيوان وترك الانسان وحيدا في انتظار الموت

حلم الأمس واقع اليوم

بطل قصة « بالأمس حلمت بك » شاب عربي يعمل في الشمال الاوروبي في مؤسسة عربية ، ادارتها اوروبية برغم ان معظم موظفيها من العرب . الراوي آت من مصر ، وله صديقان احدهما زميله في المؤسسة ، وقد تصوف والاخر يعمل في بنك ويقطن بلدة اخرى مع زوجته الاوروبية

ومنذ السطور الاولى ، يتجلى التضاد بين اوروبا والشرق العربي ، فنحن مع الراوي في اتوبيس وهو يقرأ في كتاب عن التصوف ، هكذا يلتقي في موضع واحد كتاب ينهض على مسح القلب الصورة في الحياة ، مع مظاهر تقنية لحضارة تنهض على العقل ، كما يتجلى استعداد الراوي للرد على اي ملاحظة قد تبدو منتقصة منه او من وطنه (سألني جاري في الاتوبيس ما هذه اللغة وعندما رددت عليه قال لغة طريفة ، معظم الحروف تكتب تحت السطر قلت انى لا افهم فأمسك الكتاب وفتحه واشار الى الراء والزاي والى الميم والعين والخاء في اواخر الكلمات ، اشرت بانتصار الى الالف والباء والدال والطاء)

وتركز القصة كسابقتها على سطرة أوروبا للاخرين ، واعتدادها بالبياض كسمة مميزة للأوروبيين ففي المعسلة تثور مشاجرة بين افريقي وعجوز مسنة . السيدة تريد ان تأخذ دور الافريقي دون وجه حق والافريقي متمسك بحقه وتبدو العجوز الاوروبية متعنتة ، حانية السطرة ، مثقلة بحقد عريب ، على حين يبدو الافريقي مرحا ضاحكا قوى البنية وحين تعيره برنحيته يضحك ، برغم رفضه لاسلوبها .

وعلى النقيض من مرح الافريقي ، يبدو الراوي العربي تعيسا مرهقا . لقد جاء الى اوروبا بعد ان شعر بأن احدا في بلده لايريده ولا يريد افكاره وفي اوروبا

بازدراء

ـ ماذا تنتظر وقد امتلأت المدينة (بهؤلاء) الاجانب وسياراتهم

ـ لا انتظر الكثير ، ولكني ايضا اجنبي .

ان عدم انفعال الراوي مما سمعه ، يشير الى انه يسمع هذا القول كثيرا والذي يشير الى تمحور اوروبا على ذاتها واعتبارها الاخرين « اجانب » أي من حضارة اخرى ، لاترقى بالطبع الى حضارتهم ومن المهم الاشارة الى تكرار هذا المشهد في قصص اخرى للكاتب ، وحين تعرف السيدة العجوز ان محدثها من مصر تخبره انها زارت مصر يوما مع زوجها ونكتشف من لهجتها (مصر . مصر الجميلة) كم كانت جميلة مصر ، كم كانت جميلة) ان مصر لاتعدو ان تكون النيل والاهرام والنزهة الليلية ، انها تظن ان المصريين اندثروا .

ويحاول الراوي الانصراف فتتبعه العجوز ، وترغمه على سماعها ، اذ ذاك يكتشف انها وحيدة بلا اصدقاء ، وانها تنتظر الموت وتتحدث عنه كأنه سيدهمها بعد قليل وبرغم وحدتها وحزنها ، تعجز عن فهم الراوي ، فحين تسأله عن اصدقائه يقول اظن ان الانسان لايكون له بالفعل اصدقاء خارج بلده ، لايكون الانسان هو نفسه خارج بلده ليصادق كما يجب او ليحب كما يجب ، تتغير المشاعر ، تأتي الاحزان ثقيلة وتذهب الافراح بسرعة ، فترد:لا افهم ما تقول ياسيدي .

يحيا وحيدا دون زواج محجما عن الاقتران بامرأة ، يسير في الطرقات مثقلا بحزن العالم ، لاجئا الى صديقه الذي اختار طريق التصوف فلا يجد لديه سوى كتاب التصوف ، وما ان يبدأ في قراءته حتى يتوقف . واذا كان صديق الراوي الاول قد وجد حلا فان صديقه الثاني مايزال حائرا ، يتوجس من عمله في البنك ، ويتساءل عن الربا ويطارده الوطن وتاريخه فيرى في نومه انه توسط بين الحسين وعلي ومعاوية فيأمر الآخير بوضعه في السجن مع طه حسين .

الجانب الآخر من العالم

وفي الجانب الآخر ، ثمة آن ماري ، آنسه تعمل في مكتب بريد البلدة كان ابوها قسا بروتستانتيا ، علمها ان تحب الناس جميعا دون تفريق ، وهي مغتربه عما حولها ، فكل شيء حولها غير انساني والعالم ملىء بالكراهية والغباء والفقر والمرض والكذب والتعاسة ، وقد فكرت يوما ان تتحول الى الكاثوليكية لتترهب وفكرت ان تذهب الى افريقيا لكنها تقف عند التفكير ولا تتجاوزه ، المهم ان ماري ترى الراوي كثيرا بحكم وجودهما معا في بلده صغيرة ، وتنعكس هواجسها على نفسها ، فتتوهم ان هذا الرجل بكتابه المزركش الغريب وملامحه غير الاوروبية وصمته وروحه المنطوية على حزن شفاف يشفى من المرض ، يطاردها ويريد بها شرا وبخاصة انه من مصر أي من بلد يجيد اهلها السحر كما تقول امها .

هل يمكن لنا ان نرى في آن ماري رمزاً لاوروبا بأكملها أم هي مجرد نموذج انساني لاوروبية تعاني صدعا في علاقاتها بالعالم من حولها . مهما يكن من امر ، يمكن لنا القول ان ماري فتاة اوروبية فقدت اشياء حياتها بريقها ، ولم تعد قادرة على العيش في هذه المنظومة التي تنهض على الغرق في الذات الفردية . انها مريضة اذن تناقضت مع مايجرى حولها ، وها هي ترى العالم يغص بالفقر والمرض والجهل والاستغلال ، فتفقد البهجة ، وتغدو فريسة للاوهام . والحال انها تفقد القدرة على التفكير العقلاني ، وترتد لتفكير اسطورى فتفشل في فهم معاناة الراوي العربي ، بل تتهمه بالرغبة في الحاق الاذى بها ، انها برغم تكوينها الاخلاقي ذي الطابع الانساني ، وبرغم مشاعرها تجاه العالم تتحول الى فريسة لوهم يقتلها في النهاية ، دون ان تكتشف الخيوط التي تربطها بالراوى انها - في النهاية - متمحورة حول ذاتها .

اما الراوى ، الذي يتحدث بتحفظ عن ماضيه قبل الاوروبي فهو مصرى كان يمتلك فكره واحلامه عن وطنه والعالم ، ثم اكتشف انه غير مرغوب في وجوده فغادر الوطن الى اوروبا لكنه يرحل مثقلا بهموم وطنه في رأسه وقلبه ومشاعره ، ولذلك لاتستطيع اوروبا ان تستغرقه لانها مريضة ، ومرضها مختلف عن امراض غيرها ، برغم اجتهاد الراوى في ان يقيم التشابهات بينها وبين ما يعانيه ، ولذلك ترفض اوروبا ان تقيم معه علاقة صحية . ذلك ان آن ماري تنتحر ، متوهمة انه يطاردها .

وهكذا تبدو العلاقة بأوروبا علاقة انفصال عميق ، ان آن ماري تظن أن العربي يطاردها ، وحين تفشل في فهمه تظن انه يرغب فيها ، في حين يكون هو مهتما بفهمها ، محاولا ان يقيم معها علاقة انسانية مبرأة من التعامل وهكذا تلوذ بالموت منتحرة تاركة اياه في خضم المعاناة وحيدا . ذهب صديقه الى التصوف ولحق الثاني به وظل الراوى وحيدا في مواجهة العالم .

أنا الملك جئت

اذا كنا في القصتين السابقتين مع الراوى العربي المغترب في اوروبا بحثا عن عمل ، فنحن في القصة الاخيرة مع الراوى نفسه في الوطن وفي زمن محدد - ١٩٣٢ . واذا كانت القصتان الاولى والثانية تركزان على علاقتنا بأوروبا من خلال مغترب اليها ، هارب من وطنه فنحن هنا مع الراوى الذي يبحث عن هوية .

لقد قرر فريد قوي بك ، اشهر طبيب عيون في مصر ، ان يسافر الى الصحراء كان ممتلئا بشعور يشده للسفر اليها ، وكأنه يحن الى ذلك المكان الذي ظهر فيه معظم الرسل ، والذي انطلق منه اسلافه قديما ليبنوا حضارتهم .

درس الدكتور فريد طبيب العيون في جامعة جرينوبل في سنة ١٩١٤ في فرنسا ، وهناك احب مارتين طالبة الآداب واتفقا على الزواج ، وحين أتت

مارتين الى مصر ، شعرت انها لن تستطيع ان تقضى حياتها بعيدا عن هذا المكان ، والقارىء للقصة يلحظ ان لمارتين قسمات تكاد تكون مناقضة لما عرفت به الاوروبيات . فهي نقيض لماري سطلة قصة يحيى حقي قنديل « أم هاشم » كان وجهها بريئا كطفلة تصرخ بحمرة الخجل كلما وجه لها احد سؤالا ، ولذلك يقول ابوها عنها (وداعتها ليست من هذا العالم كان لابد ان يأتي طالب من مصر ، لكى تجد مارتين السلام)

لكن مارتين تفقد عقلها ، ويدفن فريد احزانه في العمل وسرعان ما يسع في تخصصه ، وتنشر المجلات العالمية بحوثه ، حتى تجيء لحظة يقع تحت وطأة هاجس قوى ، تبدى في بحث رفضت المجلات الطبية نشره كان البحث عن الذاكرة البصرية وعلى عكس بحوثه السابقة التي عرفت بدقتها وغزارة مادتها الميدانية ، كان البحث يعتمد على حدس غريب فحسب برغم اعتراض والده واصدقائه يسافر فريد الى الصحراء ، وهناك ، وسيوه من ورائه قال في همس مارتين ، لم جئت بي الى هنا ؟ فتحقق ان صديقه الذي قال له هذا السفر نداء كان محقا

فريد بك والفرعون

وفي الصحراء ، تبدو الاشياء جديدة طازجة ، محملة بمعان جليلة ، وازاء ارهاق الرحلة وطولها ، يقل رجاله ويتناقصون حتى يصل عددهم الى اثنين وبرغم انهما يريان ادميا ناحلا مما يعنى ان في انتظارهما ما يستحق الرحلة الشاقة ، يبدأ الرجلان في التفكير في تركه وحيدا وبعد جهد ، يعثر فريد على معبد فرعوني كشفته الرياح وإذ يهرع رفيقاه الى جمع التماثيل ، يقف فريد محاولا ان يترجم مايراه مكتوبا على الجدار،وفي اليوم التالي يهرب الرفيقان بما معهما من تماثيل ويقرر هو ان يمكث .

تجول في المعبد ، توجه الى الجدار ، وأخذ يتأمل الفرعون بوجهه المستطيل وشفتيه المكتنزتين . ووضع اصبعه على الكتابة المنقوشة تحت صورته وقال : انا اعرف هذه الحروف ، هاتان العينان المتجاورتان تنطقان الميم في مارتين ، وهذه الريشة القائمة هى الهمزة والالف ذلك ما علمه اياه صديقه عالم الاثار الذي اهداه اللوحة الهيروغليفية المعلقة في عيادته ، « فريد يحب مارتين » نعم نصف الدائرة العلوى هذا هو التاء في مارتين ، وهذا الخط بقمته الملتوية تراجع فريد فجأة تطلع الى عيني الفرعون ويده الصارعة ، قال اذن فهذا ما تريد ؟ اهذا هو ؟ ولكن لم يبق وقت لم يبق ماء

وبعد جهد جهيد ، ينجح في ترجمة النص المنقوش ، لكنه حين يقرأ السطر الاخير ولما وجدت كل فرحة تلد نهايتها ، وجدت في فرحتك انت المنتهى ، وبصرخ في وجه الملك ايها الكذاب . ويغادر المعبد منطلقا ، واضعا قدمه فوق فوهة بحجم الاصبع . حيث تلدغه الثعبان آنذاك يكون الاعرابي - ذلك النحيل المراوغ الذي كان يظهر ثم يختفي - قد اسرع لانقاذه

على هذا النحو تنتهي القصة ، ويبدو لى انها تقدم بحث فريد عن معنى للحياة ، وتجيء النهاية مشيرة الى صلابة معنى الارتباط بالوطن واهله ، بعد ان سدد الحب وتخلى قصور العلم . وهكذا يجيء سفر فريد الى الصحراء ، وذهابا الى موضع الارتباط ، ويتحدد له المعنى بعد ان ظن ان هذا المعنى كامن في تاريخ الوطن وتجيء حركة وقوعه على الارض رمزا واضحا لرفضٌ تعالي التاريخ وتجريده ، وحركة انقاذه على يد الاعرابي اشارة الى صلابة الواقع وكثافته وحضوره

وتنتهي رحلتنا مع ثلاث من قصص بهاء طاهر الاخيرة ركزنا خلالها على الدلالة العامة لهذه القصص ، ويقيني انها قصص ثرية بالدلالات حاملة لأكثر من تفسير ، وما قمنا به لايعدو ان يكون قراءة اولى تحاول الاشارة السريعة الى اصالة رؤيته لاشكالية العلاقة مع الآخر ولاشك ان هذه القصص ستحتل مكانها الذي تستحقه بين قصص اخرى تعرضت لهذه الاشكالية . □

■ يصبح الرجل عجوزا حين تحل الأعذار محل الآمال (جون باريمور) .

أحمد أمين
إمتداد لمحمد عبده وطه حسين .. للأفغاني

بقلم : حافظ احمد أمين

تحل في أول الشهر الحالي (اكتوبر ١٩٨٦) الذكرى المئوية لمولد المفكر والأديب والعالِم الاسلامي احمد أمين ، وهي مناسبة وجد فيها كاتب المقال فرصة يتحدث فيها عن أبيه ، حديثا يتسم بالود والموضوعية في آن معا .

عندما يعرف القارىء قصة طه حسين مع أحمد أمين ، وقصة جمال الدين الأفغاني مع الشيخ محمد عبده ، سيعجب من أوجه التشابه بينهما : تشابه في كيفية قيام الصداقة وكيفية تطورها ، تشابه في نشأة الخلاف وأسبابه ، تشابه في شخصيتي كل من طه حسين والأفغاني ، وتشابه في شخصيتي كل من أحمد أمين ومحمد عبده ، حتى ليقال بحق ان أحمد أمين كان امتدادا لمحمد عبده ، وطه حسين للأفغاني .

يصف أحمد أمين في كتابه (حياتي) الاختلاف بين شخصيته وشخصية طه حسين فيقول : « هو فنان يحكُمه الفن ، وأنا عالم يحكمه المنطق ، وهو يحب المجد ويحب الدويّ ، وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء ، هو مغال إذا أحب أو كره وأنا معتدل ، هو نشيط في الحكم على الأشخاص وعلى الأشياء وأنا بطيء ، هو ماهر في الحديث إلى الناس فيجذب الكثير ، وليست عندي هذه المقدرة فلا أجذب إلا القليل ، هو في الحياة مقامر ، يكسب الكثير في لعبة ، ويخسر الكثير في لعبة ، وأنا تاجر ، إن كسبت قليلا في بطء ، وإن خسرت خسرت قليلا في بطء ، يحب السياسة لأنها ميدان المقامرة ، وأنا لا أحبها إذ لا احب المغامرة . . . . .

ويظل أحمد أمين يشرح أوجه الاختلاف بين الشخصيتين ، ولكنه يؤكد دائما ان هذا الاختلاف كان سببا في قيام الصداقة بينهما ، إذ كان كلٌ منهما يُكمل بالآخر نقصه،ويستفيد من أوجه القوة في صديقه .

ويكرر أحمد أمين في كتابه (زعماء الاصلاح) هذا المعنى ، ولكنه عندما يعقد المقارنة بين شخصيتي الأفغاني ومحمد عبده يقول : « يكاد يكون في كل جماعة نوعان من القادة : نوع طموح يريد القفز إلى الأمام ، ولا يرضيه السير البطيء ، ولا التفكير الهادىء ، ونوع يرى الخير في الهدوء ، والسير في معالجة الأمور برفق ، والايمان بقانون السبب والمسبب ، فإن أردت النتيجة فكوِّن مقدماتها .

وهذا الميل إلى هذا أو ذاك يتبع المزاج الشخصي أولا ، والتربية والظروف ثانيا ، فمن الناس من خُلق

هادىء المزاج يصغي إلى حكم العقل ، ومنهم من خلق ناري المزاج يحكم بعواطفه ويحكمها ، وهذان النوعان يسميان أسماء مختلفة باختلاف الأمم والأزمنة : أحرار ومحافظون - إشتراكيون وغير اشتراكيين ، أحزاب اليمين وأحزاب اليسار الخ ، والمعنى واحد وإن تعددت الأسماء »

مزاج ناري ومزاج هادىء

ويضع أحمد أمين الشيخ محمد عبده في قائمة أصحاب المزاج الذين يصغون إلى حكم العقل ، ويضع الأفغاني في قائمة أصحاب المزاج الناري وقد كان تأثير الأفغاني على محمد عبده ، وتأثير طه حسين على أحمد أمين - في بادىء الأمر - تأثيرا ملموسا لا ينكره أحد

يقول أحمد أمين في فصل (الشيخ محمد عبده) من كتاب (زعماء الاصلاح) « نلاحظ أن الشيخ متى اتصل بالأستاذ فارق من ناره ، وثائر من ثورانه ، وعاطفي من حرارة وحدانه ، فإذا انفصل عنه عاد إلى حكم العقل والمنطق ، وزالت ثورته ، وخفت حدته »

ويلمع أصحاب المزاج الناري في فترات الحكم الاستبدادي وأثناء ثورة الشعوب على حكامها ، إذ يهيج هؤلاء القادة الناس ضد المستبدين ويثيرون فيهم الحماسة للاصلاح بينما يزدهر أصحاب العقول الهادئة في أوقات السلام النسبي ، لهذا ظهرت أحسن أعمال أحمد أمين ، العلمية والأدبية ، خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ، عقد السلام النسبي ، عندما كتب سلسلة فجر الاسلام وضحاه ، وعندما ساهم في إنشاء مجلة الثقافة ، والجامعة الشعبية ، وكان من أكثر المؤثرين في نشاط المجمع اللغوي وكلية الآداب ، وكتب أحسن مقالاته للمجلات والاذاعة ، ورأس اللجان واشترك في المجالس والمؤتمرات .

كذلك كانت أحسن أعمال الشيخ محمد عبده تلك التي كتبها في (الوقائع) ، وعندما عمل مفتيا للديار المصرية وغيرها من الأعمال ، بعد أن رجع إلى مصر من منفاه ، وبعد أن خمدت الثورة العرابية ، بينما كانت أحسن أعمال طه حسين ما قام به في فترتي قيام ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ ، وكانت أشد الفترات انتعاشا في حياة الأفغاني فترة التمهيد للثورة العرابية

مثال من طه حسين

أما خلال الثلاثينيات ، فلم يكن طه حسين في أحسن حالاته ، وقد كتب عنه الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور محمد عوض محمد اثر ظهور كتاب (على هامش السيرة) عام ١٩٣٣ ، يعجبان من التغير العنيف الذي أصاب طه حسين

يقول هيكل « يكفي لتبين هذا التطور أن نقرأ معا مقدمة (على هامش السيرة) ومقدمة (في الأدب الجاهلي) ، ففي تقديمه لكتاب (الأدب الجاهلي) عام ١٩٢٧ - يقول طه حسين إنه « سيسلك في هذا البحث منهج ديكارت الذي يطالب الباحث بأن يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن ينسى عواطفه القومية والدينية ، ولا يتقيد بشيء ولا يذعن لشيء وأنه « لن يحفل بسخط الساخط ولا يكترث بازورار المزور الخ »

أما كتاب (على هامش السيرة) - عام ١٩٣٣ - فيقدمه طه حسين بقوله « وأنا اعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب ، لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون إلا به ، وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث التي لايسيغها العقل ولا يرضاها »

ويقول الدكتور هيكل . « لقد خطا طه حسين في هذا الكتاب من تحقيق العلم ، الذي ظل عاكفا من قبل عليه سنين ، إلى أدب الأسطورة الميثولوجية في حياة العرب وفي سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهو إذ خطا هذه الخطوة يعلم أن كثيرا من هذه الأساطير التي روى إنما هي بعض الاسرائيليات ، التي روج لها اليهود بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، متأثرين بحقدهم على محمد وحفيظتهم على المسلمين ، حفيظة جعلتهم يروجون الألوف من الأحاديث المكذوبة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن القصص التي تنافي تعاليمه . . . والدكتور طه حسين يعلم أكثر مما أعلم أن هذه

الاسرائيليات أنما أريد بها إفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ، ولتشكيك المستنيرين ، ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الاسلام وبيه .... ومن أجل هـذا ارتفعت صيحة المصلحين الـدينيـة في مختلف العصور ، لتطهير العقائد من هذه الأوهام . »

أما العالم الحليل الدكتور محمد عوص محمد ، فقد قال في نقده لكتـاب (على هـامش السيرة) : « إن ثقافة طه حسين الحقيقية هي ثقافة أزهريـة متينة ، قوية الأسس ، ضخمة الدعائم ، وطيدة الأركان ،

وأن ليست ثقـافته العـربية التي سمـع عنها الشيء الكثير ، إلاّ رداء وطلاء ، إن بهر العين منظره ، فإنه لا يذهب الى غور بعيد . وقد استطاع - على غير عمد - أن يصرف الناس عن حقيقة أمره بحديثه عن

اليونان والرومان ، والسكسون واللاتين ، وإثارته هذه الزوابـع التي برع في أثـارتها أثنـاء كلامـه عن أشخـاص مثل ديكـارت . ولقد تعجبـه هـذه

الصحة التي تبعثها كتـاباتـه ، ويغتبط بهذا العثير* الـذي يثيره في الفضـاء ، يمـلأ بـه الجـو حينـا من الرمان ... الخ »

اختلاف في المزاج

ويبدو أن خروج أحمـد أمين من دائـرة نفوذ طـه حسين في أواخر الثلاثينيات نتج عن تزايد إحساس أحمـد أمين بـالاختلاف الكبـير بين مـزاجـه ومـزاج صاحبه . وقد فسر الناس عصب طه حسين من ابتعاد

صـاحبه عن مجـال تأثيـره ، بتفسيرات مختلفـة أشـد الاختلاف ، تتناسب مع طبيعة المفسر وتتطلعـاته ، ومع توقع المفسر لمقدار النفع الذي سيعود عليه من وقوفه مع هذا أو ذاك . وعلى أي حال فقد كان طه حسين ذا فضل كبير على أصحابه عند حصولـه على النفوذ والسلطة ، لهذا وقفت الأغلبية معه

يقول أحمد أمين في كتاب (حيـاتي) « وكانت



أحمد أمين

مأساة العمادة** أني فقدت بها صداقة صديق من أعز الأصدقاء وما أقلهم . جاءت العمادة مفسدة هـذه الصـداقـة ، لأنـه - بحكم طبيعتـه - أراد أن يسيطر ، وأنا بحكم طبيعتي أردت أن أعمل ما أرى

لأني مسئول عما أعمـل ، ثم وُلّي منصبـا أكـبر من منصبي يستطيع منـه أن يسيطر عـلى عملي ، فـأراد السيطرة وأبيتها ، وأراد أن يحقق نفسه بأن ينال من

نفسي ، فـأبيتُ إلاّ ان احتفظ بنفسي ، فكـان من ذلك كله صراع أصيبتْ منه الصداقـة ، فحزن لما أصابها وحزنت ، وبكى عليها وبكيت »

وفي ترجمة أحمد أمين لكل من الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في كتابـه (زعماء الاصـلاح) نلمس مقدار تعاطفه مع محمد عبده في الصراع الذي نشأ بين الشيخ وأستاذه في آخر أيامهما .

« يظهر من تاريخ الشيخ محمد عبـده كله أنه لا يحب السيـاسة ، بـل يلعنها ويلعن مشتقـاتهـا ، ولم يشتغـل بالسيـاسة إلاّ حين دفعـه التيـار في الثـورة العرابية ، أو حين كان تحت تأثير أستاذه السيد جمال الدين النارى المزاج في (العروة الوثقى) ، أما هـو فيرى في نفسه أنه مُعلّم منير للعقول ، مُفهم للحقوق

(*) التراب والدخان والصياح الأحمق

(**) تولى أحمد أمين عمادة كلية الاداب في إبريل عام ١٩٣٩


محمد عبده



طه حسين

جمال الدين الافغاني

والواجبات ، مصلح للعقيدة الاسلامية ، مدافع عن الاسلام ، كان كذلك قبل الثورة ، وكان كذلك في بيروت ، فلم تتنكر لمبادئه حين أفهم اللورد كرومر موقفه بواسطة أصدقائه ولعل هذا هو سبب ما نلحظه من فتور في العلاقات بين السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده من ذلك الحين ، و (كلٌ ميسرٌ لما خلق له)

ويقول أحمد أمين في آخر ترجمته للشيخ محمد عبده ، وكأنه يصف نفسه . « سببت له دعوته الاصلاحية خصومات ذات ألوان فدعوته الدينية حركت عداء الجامدين من رجال الدين ، وآخرون رأوا الاصلاح إنما يكون بتقليد أوروبا

إشترك خصومه الدينيون والسياسيون في تهييج الرأي العام عليه ، فإن مات وفي نفسه غصة من أنه لم ينل ما يريد ، فعزاؤه أن الصالح من أفكاره لم يمت ، وظل يعمل في موته كما كان يعمل في حياته ؛ رحمه الله » لقد كان أحمد أمين راهبا في محراب العلم ، محبا للحق وللناس ، كارها للسياسة والتحزب زعيما من زعماء الاصلاح رحمه الله رحمة واسعة □

الموسيقا والفلاسفة

يقول الفيلسوف الألماني هيردر في الموسيقا : إن الأنغام والألحان رسائل كبرى للتعبير عما يختلج في النفس البشرية ، من ضروب الانفعالات التي تعجز عنها اللغة العادية » .

وفي العبارات المأثورة قولهم : « ان الأنغام والألحان فضل من المنطق ، عجز عنه اللسان فأخرجته الطبيعة بالألحان » .

أما الفيلسوف الاسلامي الكبير أبو حامد الغزالي فيقول : « من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج وليس له علاج » .

أما الفيلسوف الاسلامي أبو سليمان السجستاني فيقول : « إن النفس الانسانية فيها الأنغام والألحان ، وهي تظهر وتتجلى في مواقف الحياة ، وتصل الى رقيها بفضل الصناعة والتدريب العملي » .

بقلم : محمود المراغي

جيوش العرب

بين الحقيقة الجغرافية والحقيقة السياسية

لم يعد ما تملكه دولة ما من طائرات ودبابات وصواريخ وسفن حربية سرا مطلقا لا يعرفه غير المختصين والجواسيس ، أصبحت المعرفة بالأرقام العسكرية على قدر كبير من الذيوع ، وأصبحت الموسوعات والمجلات المتخصصة - بل والصحف العامة - تنشر بانتظام أنباء الترسانات العسكرية ، وما تحتفظ به شتى الدول في مخازنها

الأرقام - وجزء كبير منها يدخل في دائرة الصواب - أصبحت متداولة ولكن المشكلة في تفسير هذه الأرقام ليس لأنها تتضمن تفاصيل فنية ولكن لأنها - وفي نفس الوقت - لا يمكن فهمها دون وضعها في الاطار السياسي اللازم

المليارات تتحدث :

يقول أحد هذه الأرقام أن الانفاق على الدفاع قد بلغ عام ١٩٨٥ في الوطن العربي . خمسين ألف مليون دولار

وتقول التفاصيل - التي أذاعها أول تقرير استراتيجي عربي أصدرته مؤسسة الأهرام - ان العرب قد امتلكوا بهذه المليارات (ومثلها من اعتمادات سوية) . (١٦٣٤٠) دبابة رئيسية ، و (١٧١٩٨) قطعة مدفعية ، و (٣١٦٤) طائرة قتال ، و (١١٨) قاعدة صواريخ (سطح - سطح) وغير ذلك مما امتلكوه من سفن وغواصات وزوارق للصواريخ وأسلحة خفيفة

وفي التفاصيل أيضا أن حجم القوات المسلحة العربيه قد تجاوز المليونين من الأفراد .

العرب اذن يملكون الكثير . . ومع ذلك فإن الحكم على ما يمتلكون ، وترجمة المعنى من سلاح الى قوة عسكرية ، ومن قوة عسكرية الى قوة وقدرة سياسية هذه الترجمة منقوصة اذا اعتمدنا على الأرقام المجردة على النحو السالف

هي أرقام ناقصة ، ولا تكتمل الا عندما نضيف الكيف أو النوع الى الكم فالعسكريون لا يتحدثون مثلا عن عدد القطع بشكل مجرد . . لكنهم يتحدثون عن قوة النيران وعندما يتحدثون عن قوة النيران لا يأتي الحديث مطلقا ، لكنه وفي نفس الوقت يأتي بالمقارنة مع الآخرين . . وبالتحديد مع الأعداء المحتملين

نحن . . واسرائيل :

بالأرقام المجردة يصبح للعرب التفوق الساحق على اسرائيل

فهم يقدمون ما يقرب من تسعة أضعاف الانفاق العسكري لاسرائيل ، ويمتلكون تسعة أضعاف ما تمتلكه من مدفعية ، ونحو سبعة أضعاف ما تمتلكه من أسلحة بحرية ، وأربعة أضعاف ونصف الضعف لما تمتلكه من طائرات ودبابات ، وخمسة أضعاف الصواريخ .

أيضا فإن العرب يملكون من السكان ما يعادل (٤٣,٢) ضعفا لما تملكه اسرائيل ، وأكثر من أربعة أضعاف ما تملكه من جنود

وباستمرار المقارنة يتضح أن المقارنة ما زالت ناقصة ، والأرقام ما زالت عاجزة ، فالأعداء المحتملون لا ينحصرون في اسرائيل ، والتهديدات لا تأتي كلها عبر تل أبيب . . فهناك وبدرجات مختلفة تهديد وصراع مع أربع دول في وقت واحد : اسرائيل ايران ـ أثيوبيا ـ تركيا . . وطبقا لتقديرات مركز الدراسات الاستراتيجية في الأهرام ، فان التفوق أيضا ـ ورغم تجميع التهديدات ـ يبقى للعرب الذين يمتلكون بالمقارنة مع هؤلاء الخصوم المحتملين :

** ثلاثة أضعاف ونصف الضعف لما يملكه الآخرون من صواريخ .

** ضعفان ونصف الضعف لما تملكه هذه الأطراف من طائرات قتالية

** (١٧٦) بالمائة مما يملكه الآخرون من خصوم محتملين من دبابات رئيسية .

وبالطبع فإنهم يتفوقون في تعداد السكان ، وتعداد الجيش ، والناتج القومي ، وميزانيات الدفاع .

وما زال النقص مستمرا :

الأرقام إذن كثيرة وواضحة ، ومع ذلك فان المقارنات بالأرقام وحدها لا تكفي . والتحليل وفقا لما تظهره الأرقام تحليل ناقص بالضرورة

نعم . . العرب يملكون بشرية ضخمة

نعم . . العرب يملكون موارد اقتصادية كبيرة ، ويخصصون منها قدرا كبيرا لما نسميه « الدفاع »

والعرب يحصلون على أحدث الأسلحة ، ويملأون مخازنهم بما يفوق ما يحوزه الآخرون من خصوم تشتد معهم الخصومة ، أو خصوم محتملين ، وفقا لبعض التقديرات .

و . . مع ذلك فمن الصعب أن نقول : أن العرب هم الأقوى . .

والسبب بسيط وواضح ، وهو أن الأرقام على هذا النحو تعبر عن حقيقة جغرافية ، ولا تعبر عن حقيقة سياسية .

الحقيقة الجغرافية ـ بل والتاريخية ـ انما شعب واحد ، تجمعه عناصر القومية المتعارف عليها . . وقد عاش هذا الشعب على أرض ممتدة من المحيط الى الخليج ؛ فأصبح كتلة جغرافية وكتلة بشرية . . لكنه لم يعد ـ وفي ظل الظروف الراهنة ـ كتلة سياسية .

العرب موزعون على ٢٢ دولة ، تفصل بينها الحدود السياسية ، وتتوزع بينها عناصر القدرة البشرية والعسكرية التي تحدثت عنها الأرقام . . فهل يمكن ان نتحدث ـ في ظل هذا الوضع . عن العرب بلغة الجمع ، فنقول انهم يملكون كذا . . ويواجهون كذا ؟ هل يمكننا أن نحسب الميزان العسكري في مواجهة اسرائيل أو غير اسرائيل في ظل قرارات متعددة ومتنافرة لتحريك القوات او حشدها أو دفعها ؟ وهل يمكن أن نحصي تلك القوة ولكل دولة « عدوها » الخاص وخطرها الذي يهددها ؟

القضية هنا . . هي وحدة القرار ، ووحدة الهدف ، ووحدة السياسة ، ووحدة الخصوم القائمين أو المحتملين . . وبدون هذه الوحدة ـ كما قلت ـ يصبح الحديث عما تمتلكه من قوات وأسلحة وعتاد حديثا احصائيا ، يعبر عن حقيقة جغرافية ، ولا يعبر عن حقيقة سياسية ، تتجسد في ظلها الارادة العربية كإرادة واحدة .

نحن نملك الكثير . لكننا لسنا الأقوى . . ومخازننا تضم « الأحدث والأكثر » لكن هذه المخازن لا تحسم قضية ولا تغير واقعا .

لذا ، فانه من الطبيعي أن يطرح بعض الاقتصاديين بل والسياسيين قضية . العائد والتكلفة في التسليح العربي ، وميزانيات الدفاع العربية .

من الطبيعي والوضع كذلك أن يتساءل البعض .

** هل يحصل العرب على أكبر مردود مما ينفقون في مجال التسليح ؟

** وهل ساعد هذا الانفاق على مواجهة اسرائيل واسترداد الأرض المحتلة ؟ أو ساعد على حسم الموقف في حرب الخليج ؟

أكثر من ذلك فانه يمكن طرح السؤال على النحو التالي :

كم ننفق لمواجهة العدو الحقيقي . ؟ وكم ننفق في حروب وصراعات محلية ؟

كم طلقة وكم مدفع وكم طائرة تتوجه الى حدود اسرائيل ؟ وكم طلقة ومدفع وطائرة ترتد الى الداخل حيث يقتتل العرب مع العرب ؟

أرقام الدفاع مأساة أخرى ، تحتاج الى المزيد من التأمل والدراسة والبحث □

النمو غير الطبيعي للشعر عند النساء

بقلم : دكتور نجم عبد الله عبد الواحد*

ما هو الجديد في التشخيص والعلاج للنمو غير الطبيعي للشّعر عند بعض النساء وهو المرض الذى يسمى « هيرسوتيزم » . ؟ هذا هو الجديد الذي يقدمه هذا المقال ، والذي يستحق أن يعلمه الناس

الهيرسوتيزم هو ظهور الشَّعر على اللحية والشارب والصدر والبطن وعلى الرجلين والفخذين ، وهو المقصود بالنمو غير الطبيعي للشعر عند النساء بأن يكون مطابقا لنمو الشعر عند الرجال والسر في هذا التطابق هو وجود نسبة عالية من هرمون الرجولة عند النساء ، وذلك لأسباب مرضية ، فان نمو الشعر وتوزيعه على الجسم يعتمد على وجود هرمون الرجولة ، ووجود خلايا تتحسس وتستجيب لهذا الهرمون ، وهذه الخلايا تسمى Receptors ، وموجودة في تلك المناطق من الجسم ، وتواجدها يكون تحت الجلد مع جذور خلايا الشعر .

أما هرمون الرجولة الذي له الفعالية على نمو الشعر فيكون إما Testosterone أو أحد مشتقاته .

ولمعرفة النمو غير الطبيعي للشعر وعلاجه عند النساء يستلزم ذلك شرحا وافيا ومختصراً لتواجد هرمون الرجولة عند النساء بالحالة الطبيعية ، ونمو الشعر بالحالة الطبيعية ، ومن ثم دراسة الحالات غير الطبيعية اسبابا وعلاجا

تواجد الهرمون بالحالة الطبيعية

مبدأ البلوغ عند النساء في سن ١١ ـ ١٣ سنة ، ويسبق هذا العمر بسنتين ثلاث سنوات زيادة في نسبة هرمون الرجولة بالدم ، وهذه الزيادة تكون مصادرها الغدة الكظرية ، وهذه المرحلة تسمى adrenarche، وبعد البلوغ تشترك المبايض والغدة الكظرية بنسب متساوية في افراز هرمون الرجولة .

وهناك أنزيم متخصص يسمى 5 Reductase

* دكتوراة في اختصاص هرمونات التناسل من جامعة لندن ، طبيب بقسم الغدد ـ مستشفى الصباح ـ الكويت

مهمته تحويل الأنواع المختلفة لهرمون الرجوله الى هرمون شديد الفعالية يسمى (Dihy (DHT drotestosterone يلتحم بسهولة مع الخلايا المتحسسة له Recceptors، وهذا الأسريم المتخصص المشار اليه موحود عاليا في المناطق التناسليه تحت الجلد مباشرة

المصدر المهم لهرمون (DHT) يكون عند النساء من هرمون Androstenedione، بينما المصدر المهم يكون عند الرجال هو هرمون Testosterone وسنطلق على النوعين تجاوزا وتسهيلا في هذا المقال - هرمون الانوثه وهرمون الرجوله

اما الهرمون الرجالي فيكون عند الرجال بتركيز يصل الى ما بين ١٠ مرات الى ٣٠ مرة أكثر منه عند النساء ، ويكون مصدره عند النساء موزعا على النحو التالي ٢٥٪ من المبايض ، ٢٥٪ من الغدده الكظريه ، ٥٠٪ من التحويل الذى يتم من الهرمون النسائى ، والذى يتم في الكبد والجلد والرئة ، وعاده تكون نسبه تركيز هذا الهرمون أكثر عند النساء مرتين عنه عند الرجال

كذلك فان وجود السمنه وكثرة الخلايا الدهنية تلعب دورا في تحويل الهرمون الأول الى الهرمون الثاني ، وحيث أن المصدر الأساسي للهرمون النسائى من المبايض ، فبذلك تكون النتيجه هي كون المبايض هي المصدر الاساسي للهرمون الثاني عندما توجد السمنة . وهذا الهرمون داته يلعب دورا رئيسيا في نمو الشعر غير الطبيعي عند النساء ، علاوة على كونه يتحول الى هرمون (DHT) تحت تأثير الانزيم المتخصص

انتقال هرمون الرجولة داخل الجسم يتم بواسطتين ، الأولى بواسطة بروتين خاص يسمى SHBG (Sex Hormone Binding Globulin) حيث يتم التحام هذا البروتين ، وهذه النسبة الغالبة ٧٨٪ والواسطة الثانية بروتين الالبومين Albumin ، ويلتحم معه ٢٠٪ ، لذلك نجد الحالات التي تزيد من نسبة وجود هذه البروتينات مثل تعاطي هرمون الأنوثة ، وهرمون الغدة الدرقية ، وعلى العكس فان نسبة هذه البروتينات تقل في حالات مرضية ، منها السمنة ، أو نقص هرمون الغدة الدرقية ، كل هذه الحالات تلعب دورا في نسبة وجود وفعالية هرمونات الرجولة

نمو الشعر

عند الولادة نجد نوعين من الشعر ، أحدهما قصير ورقيق ولا يحوى صبغات ملونة ويسمى Vallus. أما الثاني فطويل وثخين ويحوى صبغات ملونة

نجد هذين النوعين من الشعر في المناطق الثلاثه من الجسم ١ - المنطقة غير الجنسية

مثل شعر الرأس والحواجب والرموش . وينمو هذا الشعر بدون توقف منذ الولاده ، ولا يعتمد هذا النوع على هرمونات الرجوله

٢ - المنطقة الجنسية لدى الجنسين

مثل العانه والابط ، ويبدأ الشعر بالنمو فيها قبل البلوغ ٢ - ٣ سنوات ، ويكون هذا النمو بالتساوى عند الرجل والمرأه

٣ - المنطقة الجنسية لدى الرجل

مثل اللحيه والشارب وشعر البطن والصدر والفخذين والرجلين ، حيث يبدأ نمو الشعر فيها مع البلوغ

نجد أن الشعر في المناطق الجنسيه عند الجنسين يبدأ بالنوع الأول وهو القصير والرقيق ، ثم يتحول الى النوع الثاني وهو الطويل أو الثخين الذي يحتوى على الصبغه الملونة ، وكل ذلك يتم بواسطه تأثير هرمون الرجولة قبل البلوغ ، ثم يزداد كثافه وتعرجا مع البلوغ ، ويأخذ الصبغه العاليه له . وهى توقف نموه لحد معين عند المرأة ، بينما يستمر نموه من العانه الى السرة ، وأعلى الصدر ، بالاضافة الى نمو الشعر على الفخذين واللحية والشارب

لذلك فاذا لم يتوقف نمو الشعر عند المرأة الى حد معين ، تسمى هذه الحالة نمو الشعر غير الطبيعي ، ويكون سبب هذا النمو زيادة غير طبيعية في هرمونات الرجولة لدى المرأة لأسباب مرضية .

كذلك نجد مع زيادة نسبة هرمون الرجولة بداية ظهور الافرازات الدهنية التي قد يصاحبها ظهور حب

الشباب ، حيث مشكلة حب الشباب ما هي الا الالتهابات التي تصاحب الافرازات الدهنية في قاعدة بصيلات الشعر تحت الجلد .

كذلك فان الزيادة غير الطبيعية والعالية لهرمون الرجولة تعتبر قليلة ونادرة ، وتسبب فقدان الشعر وتكوين الصلع ، خصوصاً اذا كانت هناك صفات وراثية بالأسرة .

وعند هده الحالة نجد كذلك اضطرابات في العادة الشهرية ، بالاضافة الى كبر البظر الذي به حلايا تحسس هرمون الرجولة ، وأيضا نجد تضخما في الصوت ، وزيادة في كثافة العضلات كالرجال تماما ، وهذه الحالات نادرة جدا .

الأسباب المرضية

ان التطور الكبير الدي حدث في السنوات الأخيرة للطب باستعمال الأجهزة الحديثة في التشخيص السريري ، لعب دورا كبيرا فعالا في كشف الغموض الذي كان يحيط تشخيص هده الحالات ، فلقد كانت النسبة العالية لهذه الحالات المرضية غير معروفة ، ومع تطور أجهزة الأشعة فوق الصوتية (السونار) أصبح بالامكان تشخيص أكياس المبايض ، في حوالى

٩٠٪ من الحالات السابقة ، هذا علاوة على أن سبب زيادة هرمونات الرجولة في أغلب الحالات الأخرى يعود ايضا الى هذه الأكياس ويمكن معرفة هذا التشخيص بالاضافة الى استعمال السونار ، حيث يتكون عند هؤلاء السيدات اضطرابات في العادة الشهرية ، يصاحبها زيف غير طبيعي أو سمنة .

يكون هرمون الرجولة هو الهرمون العالي في مثل هذه الحالات ، ويكون ناتجاً في الغالب من التحول بواسطة Peripheral conversion وتأتي الغدة الكظرية المسبب الثاني والرئيسي في حالات زيادة هرمون الرجولة لدى المرأة ، وهناك عدة أمراض تصيب الغدة الكظرية لتسبب هذه الزيادة غير الطبيعية في هرمونات الرجولة :

هناك بعض الحالات التي تتضخم فيها الغدة الكظرية خلقيا ، أي قبل الولادة ، ولكن تظهر بوضوح مع الكبر ، ويكون السبب هنا نقص الأنزيمات المكونة للهرمونات ، وعادة يمكن تشخيص هذه الحالة بواسطة قياس هرمون 17 Hydroxy progesterone الذي يكون مرتفعاً بشكل ملحوظ .

وكذلك قد تتضخم الغدة الكظرية لأسباب مرضية أخرى ، ويمكن تشخيصها بواسطة قياس هرمون (DHEAS) مع عمل أشعة (CT) للدماغ ، لمعرفة تضخم الغدة النخامية التي تفرز هرمون (ACTH) بكثرة الذي بدوره يزيد من تضخم الغدة الكظرية .

هناك حالات نادرة وقليلة ، يكون السبب في زيادة افراز هرمون الرجولة الناتج من ورم خبيث في المبايض أو الغدة الكظرية ، وهنا نحتاج الى عمل (CT SCAN) بالاضافة الى الموجات فوق الصوتية للمبايض والغدة الكظرية ، وأحيانا نحتاج الى عمل قسطرة للأوردة الخارجية من المبايض ومن الغدة الكظرية ، وقياس الهرمونات مباشرة في تلك العينات الدموية لمعرفة مكان الورم الخبيث .

وكذلك هناك حالات يكون السبب في زيادة نمو الشعر غير الطبيعي فيها راجع للأدوية الطبية التي تتعاطها المرأة لعلاج حالات طبية اخرى ، وهذه الأدوية تتسبب في زيادة نمو الشعر غير الطبيعي ومن أمثلة هذه الأدوية Phenytoin الذي يستعمل لعلاج الصرع وللامراض النفسية وعقار diazoxide والذي يستعمل لعلاج حالات ارتفاع ضغط الدم وعقار Danazol والذي يستعمل لحالات Endo metriosis

علاج حالات النمو

يكون عادة بمعرفة السبب وازالته إن أمكن ، كتوقيف الأدوية المسببة ، أو تحديد وتشخيص أكياس المبايض ، أو تضخم الغدة الكظرية ، ومحاولة معرفة المسبب لهذا التضخم للغدة الكظرية إن أمكن ، وذلك بقياس الهرمونات المناسبة لكل حالة .

نستطيع بعد ذلك اعطاء ٣ أنواع من العلاج .

العلاج الاول : يخص السبب المباشر كإزالة الورم الخبيث جراحيا ، أو تخفيف حالات تضخم الغدة

الكظرية باعطاء هرمون الكورتزون .

العلاج الثاني : يخص نمو الشعر غير الطبيعي ، ودلك باعطاء هرمونات حبوب منع الحمل ، وهنا ستعمل نوعين من هده الهرمونات .

الاول كمضاد لهرمون الرجولة واسمه Cyproterone Acetate ولهدا الهرمون فائدة أخرى ، وهي كونه يعمل كنوع من أنواع البروجسترون ، وهو الهرمون الذي يخرج من النصف الثاني للدورة الشهرية ، ومن أجل ذلك صنع هدا الهرمون ، ثم اكتشف بانه يحتوى على مقدرة مصادة لهرمون الرجولة ، ويوحد هدا الهرمون على شكل حبوب ، قوتها ٥٠ ـ ١٠٠ ملجم يوميا ، مد اليوم الخامس لبدء خروج دم الحيض ، ولغاية يوم ١٥ من بدء دم الحيض .

بالاضافة يؤخد هرمون آخر ، وهو الهرمون الأنثوى الذي يمثل الهرمون الطبيعي للنصف الأول للدورة الشهرية ، واسمه Ethinyloestradiol ويوحد على شكل حبوب قوتها ٣٠ ـ ٥٠ ميكروغراما ويؤخذ مد اليوم الخامس لبدء نزول الحيض ولغاية يوم ٢٦ من بدء نزول دم الحيض .

يعتبر هذا العلاج الثاني من أفضل العلاجات المتوفرة حاليا ومن الضروري أن تتم تحت اشراف طبيب متخصص لمعرفة المشاكل الناجمة عنها ، وكذلك ليبدأ باعطاء الجرعات القليلة ثم يتدرج بالزيادة في هذه الجرعات ، وهنا تجدر ملاحظة أن التحسن في مثل هذه الحالات لا يظهر بصورة ملحوظة ، الا بعد مدة من الزمن قد تصل الى السنة الكاملة

العلاج الثالث

لا بأس بالاستعانة بالوسائل التجميلية لازالة الشعر ، وخاصة في بداية العلاج ، حيث يكون الشعر كثيفا وغزيرا ، مثل الحف والحلاقة وازالة الشعر بالوسائل المعروفة □

« الشرطة .. متى عرفها العرب ؟ »

عرف العرب نظام الشرطة لأول مرة في عهد الخليفة أبي بكر ، وكان يسمى آنذاك « العسس » وهو الطوّاف بالليل لتتبع أهل الريب ، ويقال إن الصحابي عبد الله بن مسعود كان أول من عس بالليل بأمر الخليفة ، أما الخليفة عمر بن الخطاب فقد تولى العسّ بنفسه ، وكان يصحبه في ذلك مولاه أسلم .

وقد أطلقت كلمة الشرطة على ذلك النظام لأول مرة ، في عهد الامام علي بن أبي طالب الذي ولى قيس بن سعد الأنصاري شرطة الكوفة ، وكان الخلفاء والولاة يشترطون صفات معينة ، فيمن يختارونه لتولي قيادة الشرطة ، وخير مايعبر عن تلك الصفات رسالة مروان بن محمد الى واليه على مصر عبد الله بن مروان ، التي توضح الأسس والمعايير عند اختيار صاحب شرطته ، والمبادىء التي يتعين على صاحب الشرطة الالتزام بها في أدائه لوظيفته ، يقول مروان بن محمد في رسالته : فوَلّ شرطتك ، وأمر عسكرك ، أوثق قوادك عندك ، وأظهرهم نصيحة لك ، وأنفذهم بصيرة في طاعتك ، وأكفأهم أمانة ، وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ، وليكن عالماً بمركز الجنود ، بصيراً بتقدم المنازل ، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة ، له نباهة في الذكر ، وصيت في الولاية ، معروف البيت مشهور الحسب .

ويروى أن الحجاج بن يوسف أعلن عندما ولي العراق عن حاجته الى رجل يوليه الشرطة فقال : أريده دائم العبوس ، طويل الجلوس سمين الأمانة ، أعجف الخيانة ، لا يحنق في الحق على جرة (أي لا ينطوي على حقد أو غل) يهون عليه سبال الاشراف في الشفاعة ، (أي لا يستجيب لشفاعة كبار القوم في عمله) فقيل له : « عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي ، فأرسل اليه وولاه شرطته » .



بقلم : شريف الراس

بالرغم مما يكتنف الحياة من مصاعب وعقبات ، فان بعض الادباء يجعلون منها مادة للتندر والسخرية .

منهم من يُعرفُ ويشتهر في هذا المجال ، ومنهم من تبقى أعماله في دائرة محدودة من المعرفة والشهرة .

الكاتب في هذا المقال يلقى الاضواء على شعر شاعر ساخر لم ينل شهرة كافية

* الزمان . صيفا ـ قبل ٢٥ سنه
* المكان أمام واجهة بيت جميل في مدينة الطائف

* المشهد : رجل من أهل مكة المكرمة ، معه حقيبة سفر ، واقف أمام الباب ، ينشد شعرا

هـل غـادر الـشـعـراء مـن مـتـردم ؟
أم هـل عـرفـت الـدار بـعـد تـوهـم ؟

يضع الحقيبة أمام الباب المغلق ، ويوجه حديثه للدار

يـا دار خـالي بـالحـوّيـة عـلّمي
خـالي بـأني قـد وصـلت .. وسـلّمي
فـاذا تمـحـك في الـسؤال فـفـمـغـمي
واذا تـلكـك في الجـواب فـنـمـنـمي
مـا جئت من عـنـدي لعـنـدي طـافشـا
بـل ان أمـي أرسـلتـني . فـاعـلمي

يقرع الباب بلطف ، الباب يفتح ويأتي منه « الخال » .

الشاعر (للكاميرا) خالي رعاه الله قال مبرجلا
الخال . يا مرحبا بابن الشقيقة كلثم
الشاعر : قلت الحبيـبة أختكم في مكـة
تهـدي الـسـلام لـكـم بـفـردة معـصـم
تـوصـي عـليّ بـخـير مـا يـوصـى بـه
خـال عـلى ابـن الاخـت لمّـا يـفـطـم
فـالجـوّ يـا خـالي بمـكـة شـعـلة
بـسـمـومـه الـمـتـلهّـب الـمـتـضـرّم
الـبَـوْحُ فـيـه كـأنـه لـفـح الـلظى
والـصـهـد فـيـه كـقـرمـةٍ بـجـهـنـم

الخال يرميه بنظرة ذات معنى ، كأنه يسأله : ولماذا لم تلُذْ بمدينة جدة هربا من طقس مكة ؟

الشاعر : (موضحا)

ولـقـد مـررت بـجـدّةٍ فـرأيـتُـهـا
عـرَقـاً يـشـرشـر كـالـدِّلاءِ بـزمـزم

فعصرت ثوبي والملباس وغترتي
ونشرتها بالسطح فوق السلّم
* الصوت · صحك مجموعة من الأشخاص لا براهم
* الصورة (استرجاع ـ فلاش باك) مطار جدّة قبل ٢٥ سنه ، مبنى المطار آنذاك ، ؟طائرة مروحيه من نوع (كونفير) جهاز « نطيط » وهو عربة صغيرة بحارية لتوزيع الكهرباء .
الكاميرا تعرض لنا المشاهد التي يتحدث عنها الشاعر
وشردتُ أطلب في المطار سلامتي
وطلبتُ في البوفيه ما لم يُقسم
فإذا الحسابُ لدى الحساب فضيحة
للجيب لم يصرخ ولم يتألم
ولقد ركبت على السلالم خاشعا
أتلو على (الكونفير) سورة مريم
فرصدتها عكانها فتصلّبت
منها المراوح لم تذرّ أو تبْرَم
وجلست والركاب بين حُنوبها
فكأنني وكأنهم في قمقم
حتى استعانوا في الأخير ببطيط
شهم كمشطان اللحى منقدم
ان السطابط في مطارات الورى
فن الاعارب لا فنون الأعجمي
* عوده الى مشهد الرحلين أمام باب دار الخال الشاعر (لخاله)
لقد أتيتك في النهاية سالما
حران حوعانا . ولما أكرم
(للكاميرا) قال
الخال · . الفطور مجهزٌ . ومواتري
بفراشها مرصوصة كالأنجم
وقفاً عليك . على أبيك ونسله
وابن السبيل وكل شخصٍ مسلم

كتاب المركاز :

والقصيدة طويلة بعد دلك ، تقرأها وأنت تتمنى أن لا يفاجئك انتهاؤها عندما تقلب صفحات الكتاب ، لما فيها من شعر مرح صاحك لذيذ ، يصف كرم أهل الطائف ولطفهم ، وجمال الطقس ، وأنواع الفواكه اللذيذة ، والمآكل الشهية ، والخيرات الكثيرة ، حتى أن الشاعر يتساءل في النهاية :

لم لا أعيش بدار خالي دائما
في الصيف ، في المشتى ، وبين بني عمي

غير أنه يضطر للرحيل فيودع الدار قائلا :

يا دار خالي ان رحلتُ ففطرفي
واذا جلستُ الى الشتاء ، فبرطمي
وعلى الهموم فإنني لك راجع
فعمي مساء دار خالي . واسلمي

وهده القصيدة الطويلة والجميلة هى أول قصيده فى كتاب « المركاز » للأديب الحجازي الساحر أحمد قنديل ، الأستاد في فن الشعر المرح المضحك ، وأستاد الأساتدة ـ فى الوقت داته ـ في فن النثر الأدبي الحرل البديع ، الذي يرقى في جماله وبلاغته وروعة سبكه الى عالم النثر الجاحظي

ومع أنى لا أعرف معنى كلمه « المركار » فانى أحتفظ بهدا الكتاب فى رف خاص من مكتبتي ، مكتوب عليه « رف مصادات الاكتئاب » على طريقة الصيادلة الدين يجعل الواحد منهم في صيدليته رفا خاصا لمصادات السموم

وعندي ، في رف مصادات الاكتئاب ، كتب أخرى من نوعية هدا المركار المريح ، ألود بها كلما نشدت راحة الأعصاب والتخلص من التلوث الروحي الدى يكاد يخنق الانسان العربي خنقا وغيظا ، بعد سماعه نشرة أخبار ، أو بعد قراءه صحيفة ، وكلما وانتنى حالة الحزن والعصب والاكتئاب ، أسرعُ الى هدا الكتاب لانبدا بقراءة قصائده اللطيفة التي ـ تحت تأثير العادة ـ ربما تمنحني مشاعر الارتياح والسلوان

وأحيانا أشعر بأن هدا الشاعر الممتع يحدثني شخصيا حين يقول .

عاش الفراغ وأهله في غفوة
عنه فعش بحياته فرفوشا
وزر المعارضِ في الضحى متفننا
في اللت عجنا فارغا مدشوشا
واطحن بأنواع التلامة كلها
أعصاب بياع أتاك بشوشا
فإذا جرى بقماشة لك سادة
قل . لا .. فاني أرغب المنقوشا

وارم الكوافي من يديه وقل له
اني أريد بدالها طربوشا
وكمان جب لي شاهياً أو قهوة
أو .. لا .. فهات البارد الرفروشا

ثم يخبرك بأن كلمة الرفروش تعريب عامي للكلمة الانجليزية « الرفريش » ومعناها : المنعش ، ثم يلاحظ بأنك راغب عن قراءة الصحف تحاشيا لما فيها من أخبار تسبب لك الاكتئاب ، فينصحك بأن تعالج الاكتئاب بقراءة الصحف من باب « وداوني بالتي كانت هي الداء » لكنه يرشدك الى قراءة باب معين في الصحف ، لا علاقة له بالسياسة أو الأدب أو الفن أو « الأوضاع » فيقول لك ناصحا :

واقرا الجرائد في الصباح منقيا
منها مناقصة تجيب قروشا
واختر من الأصناف صنفاً قابلا
للغش ان قدمته مغشوشا
وامسح مناظرك التي قد عنكبت
وارم المداس ولمع البرطوشا
وأت الدوائر مسرعا في مشية
واطو البساط الزاهي المنقوشا
واسأل عن الفرّاش قبل مديره
كي تعرف المدسوس والمخشوشا
واسأله عن حال المناقصة التي
رست الصباح على فلانٍ بوشا
وانفش كأنك للوزارة مخبر
وممثل يستكمل التفتيشا

الجاذبية :

ما هو سر الجاذبية في قصائد أحمد قنديل الساحرة ؟ أو ـ حسب تعبير أولاد الصنعة ـ ما هي « اللزمة » التي يلزمك بها حتى يأخذك من حالتك النفسية التي أنت فيها الى عالم المرح والضحك والنقد المريح ؟ . . .

وقد نجد الجواب في البيت الأول من كل قصيدة ، فالشاعر لا يأتيك ببيت من عنده جديد عليك ، بل يذكرك ببيت من محفوظاتك ، انه يستثمر الفتك النفسية مع المأثور من الأشعار ، ويوظف هذه الألفة لحرك بلطف الى قصيدة تشعر بأنك شريك في صنعها .. ومن منا لا يحفظ قول عنترة :

حصاني كان دلال المنايا
وخاض غمارها وشرى وباعا
وقد حظ الريال مكان قرش
على أيامنا .. ونسي البضاعا
وبطَّل في الشعير ودقَّ كيكا
وبسطرما وقاتوها مشاعا
ولفلغ فوقها بيبسي وكولا
وبعدهما تكرّع ما استطاعا
فذلك مذهب الفرسان تجري
وتلك سجية الناس الشباعى
فما احتكر البضائع غير كرش .
تضيع بساحة بطن الحواعى
فمبتدع الفلا منا وفينا
ومحتكر البضائع لن يداعى

فانظر أين كان مطلع القصيدة المأخوذ من محفوظاتك العنترية ، وانظر أين صرت مع الشاعر متبينا وجهة نظره في انتقاد بعض الظواهر غير السليمة في الحياة

وهذا الأسلوب « الاستحراري » الممتع يتبعه الشاعر أحمد قنديل في قصائده جميعا ، بحيث يندر أن تجد قصيدة الا ومطلعها بيت ذائع من الشعر التراثي الجميل لكن المفاجأة تظل دائما في « التكويع » بالموضوع ، اذ هل يخطر على البال مثلا أن يُستعمل مطلع أشهر قصيدة دامغة في الأدب العربي لانتقاد ظاهرة تقليدنا الأوروبيين في مآكلهم ؟ قال

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا
وسيبك من « رجيم » طال حتى
عييت به . كما أنا عيينا
وهاتي الفول مرشوشا بسمن
ومعصورا به الليمون حينا
وحطي جنبه الدقّا ، وقرنا
رفيعا من فلافلنا ثخينا
وشيئا من طحينتنا عليه
فإن الفول يلحس بالطحينا
وان فردَتْ يداك لنا فطيرا
خبزناه على عجل وجينا
فنظّفنا الصحون بلا كلام
وقمنا حامدين وشاكرينا

أبعد الفول والمعصوب صبحا
وأصناف المطبّق تشتهينا
نفك الريق بسكوتاً وشاياً
وحتة جبنة .. لا .. لا .. دعينا
لعمرك أننا ضعنا وجعنا
وقد نشأ الولاد ممصرنينا
كذلك فالبنات ممصمصات
كأقلام من الأبواص لينا
فيا خلى الأجانب في بلادي
لنا . لبطوننا .. لحماً سمينا

المفردات العامية

بالاضافة الى براعة الاستهلال في هذا الشعر الموصوف دواء لمعالجة مرض الاكتئاب ، فان الشاعر أحمد قنديل يلجأ - لبلوغ عرضه الصعب - الى وسائل بديعة أخرى أظن أن القارىء قد أدركها ، منها استغلال طرافة « فصحنة » المفردات العامية ، ومنها أنه ينتقد ظواهر يوافقه الجميع على مشروعية انتقادها ، ومنها أنه عندما ينتقد يجرّ ولا يجرح ، يوجع ولا يدمي ، ومنها أنه يكتب بريشة رسام أو - حسب مشاعل أيامنا - يكتب بكاميرا تلفزيون ، وقد عرضنا لذلك نموذجا ، ومنها أنه بارع في التصوير

خذ مثلا هذه الصورة الوصفية للانسان المتعلق

واذا قصدت الى المدير مسلما
ان كنت في شيء حرى مدغوشا
فالطع كريمته(*) وان لم يعطها
لك جرّها مستبلها موشوشا
واخمش أصابعها ودنّق فوقها
شغفا بها . واسترجع التخميشا
واجلس بركنك جنبه متحرمصا
كالرخ بات ببيدق(**) مكشوشا
وأفضل لدى الصالون فيه متلحماً
وانصب هنالك خيمة وعريشا
حتى يصكوا الباب دونك قائما
أو نائما أو خارجا مكروشا

وأبدع من هذا أن الشاعر حين « يرسم » يجعلك تشعر بأنه يصف أناسا من معارفك وأصدقائك ، و « يشخص » حالات طريفة وقعت لك معهم ، خذ مثلا هذا الصديق المدعو « الأستاذ رشاد » الذي ينوء بشيحوخته وضخامة كرشه ، وانظر ماذا فعل عندما عرّجتما معا على شاطيء البحر ، في مكان يعج بالسائحين الأجانب .

ولما التقينا بالاجانب فصّحوا
ودارت رطانات .. رطناً ولا فخرُ
فمن قائل (جود مورننج) قلنا لجاره :
هلا (ثانك يو) والله هلا ولك الشكر
فقشّع مولانا « رشادٌ » ثيابه
وطبَّ مكان المدِّ يسحبه الجزر
وكانت لنا أمُّ الفضائح عندما
تدلدل من (مايوهه) العجز والصدر
فأهدى له من كان بالشط شرشفا
يداريه عن عين لها نظرٌ شزر
فقلنا له خذ ما جرى من قصيره
تصن سمعة الاعراب يا ابنهمو البكر
فليست متون البحر أسنام أبعر
وليس بقعر البحر ذيل ولا بعر

ومنها أيضا هذه الصورة الوصفية البديعة

ولقد نتشت الواد حتة علقة
لما أتى للبيت « بعد المغرب »
وشقرت عيني صارخا في أمه
لما جرى نحوي . بفردة شبشب
لاقول . سيبيني أربّيه كما
ربّيت في الماضي بأسلوب الأب

وبعد . . . فان ما دعني لتسليط الضوء على بعض نتاج هذا الأديب العربي المبدع ، تقصير النقاد والصحفيين عندما يتحدثون عن أقطاب الأدب العربي الساخر في عصرنا ، من غير أن يذكروا اسمه ، مع أن هذا الأديب الحجازي الأستاذ أحمد قنديل « شيخ » في هذا الفن الصعب والجميل يكفيه أن قراءة قصيدة من أشعاره الساخرة والطريفة تنتشل الانسان من حالة الاكتئاب : مرض العصر الذي يشكو منه الأجانب ولا يجدون له دواء ، ويشكو منه كثير من العرب وهم يجهلون أن بعض الشعر - كالشهد - فيه شفاء للناس . □

---

* يده ** الرخ والبيدق : من قطع الشطرنج .





بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم) النور ٦٢

في أواخر شوال من العام الخامس الهجري ، خرجت قريش وحلفاؤها الى المدينة في أكبر حشد تجمعه من أجل كسر شوكة المسلمين ، وقد قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مشورة سلمان الفارسي ، بألا يخرج المسلمون من المدينة للقاء العدو خارجها ، وبأن يحفروا خندقا عند المواضع المكشوفة عند حدودها ، بحيث يتعذر على خيل المشركين أن تنفذ منها ، فخطّ النبي (عليه الصلاة والسلام) مواضع الخندق ، ثم قسّمها ، فقطع لكل عشرة من المسلمين أربعين ذراعا ، ووزع العمل على البطون المختلفة ، وكان عليه الصلاة والسلام يعمل مع المسلمين ليشطهم ، يحمل التراب في المكاتل ويطرحه ويضرب بالمعول ويغرف بالمسحاة التراب

وكان الرجل من المسلمين اذا أراد قضاء حاجته أو الانصراف لبعض شأنه يذكر ذلك للنبي ويستأذنه ، فاذا قضى حاجته رجع الى الحفر ، ومع ذلك فقد أبطأ عن المسلمين في عملهم رجال من المنافقين ، كانوا يتسللون الى أهليهم في المدينة بغير علم النبي أو إذنه ، وقد كان هذا الموقف المتذبذب من المنافقين ، بالاضافة الى ما وردت به الأخبار عن ضخامة حشد العدو ، والخشية من حدوث اتفاق بين هذا العدو المهاجم للمدينة من شمالها ، وبين يهود بني قريظة في جنوبها ، من أسباب وجل المسلمين ، وشدة خشيتهم من اختراق العدو للخندق

وبدأ حصار الأحزاب للمدينة في الثامن من ذي القعدة ، وكان المسلمون وأعداؤهم طوال مدة الحصار يُطيفون بالخندق بالليل حتى الصباح يتناوبون ، واذا كان جيش النبي (صلى الله عليه وسلم) يكاد لا يكفي لحماية مثل ذلك الخط

الطويل من الدفاع ، فقد وحد المسلمون صعوبة في ترتيب نوبات للحراسه والراحة ، فلم تتح لهم في الواقع فرصة لراحة حقيقيه ، وكان خوفهم على نسائهم وأطفالهم بالمدينه من بني قريظه أشد من خوفهم من الاحزاب ، فكان بعضهم يستأذنون النبي (صلى الله عليه وسلم) لينصرفوا للاطمئنان على اهلهم في ديارهم بانتصاف النهار ، فينهاهم ، فاذا الحوا أمرهم أن يأخذوا السلاح معهم خوفا عليهم من بني قريظه ، وقد زاد من محنة المسلمين ما كانوا يعانون من فقر شديد ومن جوع ، كما أنهكهم نفسيتهم الدائبه ، فلما اشتدت الوطاه عليهم وبلغت القلوب الحناجر (الأحزاب ١٠) تكلم قوم منهم بكلام قبيح ، وبدأ البعض يتسللون الى اهليهم بغير علم النبي (صلى الله عليه وسلم) او اذنه

واجتمعت بنو حارثه ، فأرسلوا أوس بن قيظي الى النبي (عليه الصلاه والسلام) يقول له « ان بيوتنا عوره ، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا ، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنا ، فأذن لنا فلنرجع الى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا ، فأذن لهم النبي (عليه الصلاه والسلام) بالانصراف ».

وقد كان هذا هو موقف النبي (عليه الصلاة والسلام) دوما حيال ضعاف النفوس ومن في قلوبهم مرض ، حتى ان كان الموقف العصيب ومواجهه العدو تتطلبان توفر أكبر عدد متاح من المسلمين ، فالسيرة تحدثنا أنه حين أراد الخروج في غزوه تبوك عام ٩هـ ، تخير في أن يستعين بالجد بن قيس سيد بني سلمه وأكثرهم مالا ، اذ كان يعلم ما بالجدّ هذا من غرام بالنساء ، فقد قال له مازحا « أبا وهب ، هل لك أن تخرج معنا لعلك تحتقب (أي تحتمل) من بنات الاصفر (الروميات) ؟ » فرد عليه الجدّ بقوله « أو تأذن لي ولا تفتنّي ؟ فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشد عجبا بالنساء مني ، واني لاخشى ان رأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن ! » فما كان من النبي (عليه الصلاة والسلام) الا أن أذن له بالتخلف عن الخروج مع المسلمين ، وهو يعلم أن السبب الحقيقي لتقاعسه هو خوفه من لقاء الروم ، وكراهته التعرض للريح والحر ومشقة السفر

كان عليه الصلاة والسلام يدرك تماما أن النصر ليس مشروطا بالتفوق في العدد والسلاح ، وانما هو معلق على قوة الايمان ، وعلى الصبر الذي هو مقرون بقوة الايمان ، ولو قل العدد وندر السلاح ، وقد تعجب المسلمين كثرتهم فاذا هذه الكثرة لا تغنيهم شيئا ، متى كان في صفوفهم جمهور كبير من المنافقين ، أو من طلاب الغنيمة وحدها ، ومتى كان عدوهم أصلب عودا وأحرص منهم على الثأر والتآلف والوحدة ، وها نحن نراه حين كان يستعد للخروج في غزوه خيبر ، يستثقل الكثيرين من أهل المدينه والأعراب الذين تخلفوا عنه في غزوه الحديبيه ، ولم يستجيبوا لندائه وقتها ، ممن ارادوا الان الاشراك في غزوه خيبر « رغبة الحجاز أموالا وطعاما وودكا » ، فيفرض مطلبهم الخروج معه رغم حاجته الى النفر والسلاح ، ويبعث مناديه ينادي « لا يخرجن معنا الا راغب في الجهاد ، فاما الغنيمة فلا ! » فلم يشترك في هذه الغزوة الجديدة غير من كانوا قد خرجوا معه الى الحديبيه

وقد علمه القرآن وعلم المسلمين في ذلك الزمان أن في القله الصابرة الغناء ، حيث لا تجدي الكثرة ممن استشرى فيهم النفاق ومرض القلوب ، وأن من شأن وجود ضعيفي الايمان في صفوف القلة الصابرة أن يضعف من عزيمه هذه القلة المؤمنة ذاتها ، ومن فعاليتها وجدواها (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) . (فان رجعك الله الى طائفه منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ، ولن تقاتلوا معي عدوا ، انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) □

• قصة قصيرة •

جلسة لتبادل الخبرة

بقلم : الدكتور محمد حسن عبد الله

كعادته ... أومأ لفرّاش المكتب أن يصنع كوب الشاي على حافة المكتب دون تقليب ، لايعرف كيف اكتسب هذه العادة الغريبة التي أصبحت طبعا أصيلا ، يروق له أن يرى قطعتي السكر متعانقتين في قاع الكوب الأحمر ، ويظل يراقبهما وهما تتآكلان بالتدريج عقب أول شفة ساي يلتذ فيها بالمذاق الطبيعي ، حتى اذا بقيت الرشفة الأخيرة في قاع الكوب صنع من حولها موجات وذبذبات حتى يمحي فيها السكر الباقي ، ثم امتصها على مهل ، فتستحيل في فمه الى عسل !!

بعد الرشفة الأولى فتح أول دوسية ، وأمسك بالقلم الأحمر ليضع خطوطا تحت الخلاصة ، رمق ساعة المكتب ، ولاحظ أن الساعة العاشرة والنصف الا خمس دقائق ... لم تكن بين العقربين أية علاقة شكلية دق جرس التليفون الداخلي ، أطلق نفسا حبيسا ، وأمسك السماعة وبادر :

ـ سعادة المدير نهارك سعيد .

ـ أهلا .. تعال عندي دقيقتين من فضلك .

صدمته طريقة الرد ، فكر بسرعة ، لايستطيع قبول المخاشنة بالتجاهل ، أو بمثلها ، فآثر أن يمسك العصا من الوسط .

ـ في يدي بعض الأوراق ، ربع ساعة أو نصف على الأكثر ، وأكون عند سيادتك وبسرعة وضع السماعة كي لايسمع تعقيبا ، حاول أن يعود الى الدوسية فلم يجد في نفسه رغبة ، لمح كوب الشاي لم يعبأ بالياقوتة الحلى بالؤلؤ ، كما يلذ له أن يصف قطعة السكر في الشاي أحس نحات العرق تنثق حول سالفيه ، كما تطفر الدموع فجأة في عيون مقهورة ، يقول له باسترخاء « أهلا ، تعال » فما الذي يحدث لو أنه لعن الزمن الذي جعل من العلماء الأغرار رؤساء عليه ، هو صاحب الخبرة الطويلة في هذه الادارة ؟! صعد سلمها الصعب من كاتب في ادارة التدريب الى أن تسلم مقعد رئيس القسم بعد ربع قرن من العناء والانتظار ، أما هذا الفتى المدلل شبابه ولقبه ، فيظن نفسه قد أحاط بفنون الادارة علما ، ولكن مهلا لايفل الحديد الا الحديد ، قام على الفور ، وكأنما يتأهب لحمل السلاح ، واندفع الى مكتب المدير لايعرف ماذا يريد أو يراد منه على وجه الدقة ، أخذ نفسا على الباب ودخل دون استئذان

ـ خير يا سيادة المدير

كان لايزال واقفا ، ولم يدعه الآخر الى الجلوس .

ـ اذا كان خيرا فمن حظك ، وان كان غير ذلك فلا مناص من التحقيق !!

ـ تحقيق ؟!

ـ انظر هذا المأزق الذي وقعت فيه وسحبتنا معك .

ـ مأزق .. ؟!



ـ هذا تعبير محمف عن فشل دريع واستهانة بالعمل
ـ ما هدا يا سيادة المدير ؟ أعوذ بالله .
ـ تعود بالله كما تشاء ، ولكن مادا تسمى هدا ؟
وسط اعلانا من ادارة التدريب نشرته الصحف مند بضعة أيام ، حين كان المدير في جولة تفتيشية بالأقاليم .
ـ اعلان ، مثل كل الاعلانات التي اعتدنا عليها
ـ يبدو أنك لن تستطيع اكتشاف الخلل . انظر . تمعن . . . عد على أصابعك الشروط .
أحس باللهب يتصاعد من يافوخه ، وبضيق الحزام على خاصرته ، وقرر أنه بحاجة الى ضبط النفس حتى يرى كل جوانب الموقف . . . ثم . .
وقال المدير :
ـ اعلان عن دورة تدريب في المانيا ، في الصحف دون أن يشترط في المتقدم معرفة اللغة الألمانية ؟ ماذا ستفعل في عشرات أو مئات الطلبات التي ستقدم اليك من أشخاص لايعرفون هذه اللغة ؟ كيف ستحكم عليهم ؟

حدق المدير في الوجه الأشيب باستهانة ساخرة ، حتى انبثق العرق كرؤوس الدبابيس من قمة الجمجمة العارية من الشعر . ثم أكمل :
قل لي يا رئيس القسم : كيف يمكنك الآن أن تفاصل بين المتقدمين ؟
« بسحر من كفاءتي اللعين . احكم عليهم بالشكل ، كما أحكم عليك بأن تلقى بنفسك في مزبلة »
عز عليه أن يخرج منديله ليمسح صلعته ، تخيل أن العرق يجري في قنوات مع خطوط الأوردة الزرقاء النافرة في رأسه وجبينه ، تحرك الى الجانب الآخر من المكتب . . تنبه مع الحركة الى أنه لايزال واقفا ، في حين أن مديره الغلام جالس ولم يدعه للجلوس ، المغرور المستعلي بجهله الى موقع الاداري المذعور .
قال :
ـ يا أفندم ، شرط اللغة مفهوم ضمنا . . دورة تدريب في المانيا . . طبعا بالالماني مسألة منطقية !!
قال من أنفه :
ـ وما الذي يجعلها كذلك ؟

قال رئيس القسم :
ـ سيدي . وقد يكون عدم اشتراط اللغة في مصلحتنا .

رمق المدير بنظرة « قارحة » وكأنه ينبهه الى ضرورة أن يفكر قبل أن يتكلم ، ويقلب المعاني حتى يدرك المرمى ، لكن الآخر اندفع بنغمة بين السخرية والتأنيب .
ـ يمكن طبعا على طريقتك في التفكير ، أما طريقتي فلا أرى في ذلك غير اهدار للامكانات .
ـ أوضح لسعادتك .
ـ وضح !!
ـ لنفترض أن عدد المتكلمين بالالمانية لايعطي العدد المطلوب للمنحة .
قال المدير .
ـ محتمل جدا الا تجد حسين متدربا على المستوى الفني المطلوب يتكلمون الالمانية ، أوحتى يفهمونها
قال رئيس القسم وقد استخفه الطرب :
ـ آه . . هنا تلعب لعبتك
ـ ألعب ؟! ما هذه اللعبة العجيبة ؟ هل نحن هنا للعب ؟
ـ حلمك يا بك ، لاتسيء الظن بي ، قصدت أن تعطي الأولوية للذين تؤهلهم لغتهم ، ثم تكمل العدد ممن ترى أنهم « يستحقون » السفر
عادت النظرة « القارحة » المحذرة ، ولكن الاخر اندفع من جديد :
ـ وما الذي يجعلهم يستحقون السفر اذا كانوا عاجزين عن الاستفادة ؟
استمرت النظرة ، مع الضغط على مخارج الحروف
ـ ستجد مائة سبب وسبب !!
ـ ولماذا أبحث عن أسباب ؟ عندي شروط المنحة وفيها كفاية
ـ طبعا ، طبعا والأمر أولا وأخيرا في يد سيادتك ، ولكن يجب أن نحمي أنفسنا .
قال المدير دهشا :
ـ نحمي أنفسنا ؟ ضد من ؟! تحولت النظرة « القارحة » الى اسالة « كهينة » وهو يقول مغمغما
ـ أنت سيد العارفين ، الصحف كل يوم تهاجم الجهات التي لاتستفيد من المنح أو القروض المقدمة لها ، وتتهمها بأنها تهمل توظيف الامكانات المتاحة لها ، ولا ترغب في تطوير أساليب العمل
قاطعه المدير .
ـ و هل أخلق لهم ناسا من تحت الأرض ؟
ومضى الآخر كأنه لم يسمعه
ـ ماذا تتوقع أن يحدث لو عرفت احدى الصحف طويلة اللسان أن المانيا قدمت لنا خمسين منحة فأرسلنا عشرين ؟!
قال المدير مغمغما
ـ وربما أقل اذا تمسكنا بالشروط الدقيقة
ـ سيقولون ضاعت فوائد على الدولة ، ويتحدثون عن أعداء التجديد . والروتين !! حين بدا عرق رئيس القسم يجف ، ويشعر بالنسمة الطرية المنطلقة من جهاز التكييف تداعب صلعته ، كان وجه المدير بدأ يتصبغ بفعل الحرارة الحبيسة في دمائه ، عز عليه أن يسلم بوجهه نظر مرؤوسه ، لكن خاطرا عبر برأسه كالشهاب ، عبر أنه تراجع عنه وقال بثقة
ـ مثلي لايعجز عن الدفاع عن الحق .
قال العجوز ، والنظرة « الكهينة » المواربة تفترس جبينه اللامع
ـ لن تكون المشكلة أبدا في الدفاع عن الحق ، بل في قبول هذا الدفاع ، والعمل بمقتضاه .
ـ يعني ؟
ـ انا مقتنع بوجهة نظرك ، يمكن أن نقول ببساطة مطلقة هذا هو العدد الذي ثبت انه يصلح لاستيعاب التدريب دون قصور او معوقات ، وسيكون معك كل من يرغب في الابقاء على مودتك انصافا أو طمعا . أما الذين يريدون غير ذلك فسيبحثون عن ثغرات تنفذ منها السهام المسمومة !!

كان العجوز قد بدأ يتخلى عن مشاعر المرؤوس المتربص دفاعا ، ارتفعت قامته وسرته ، استعان بكل جوارحه ليصنع منها مؤثرات اضافية للاقناع يداه تصنعان اشكالا وهمية في الهواء ، تدوران كالمروحة ، أو تنقص أحداهما كالساطور ، وتنزلق الأخرى كمطرحة الفران ، وعيناه العائرتان كحجري النرد في ساحة الطاولة ، تنطلقان في كل اتجاه تتباعدان ، تقتربان ، تتنافران ، تتراكبان ، تدوران ، تستقران وحاجبه الأيمن يتلوى كالدودة مؤكدا نوايا الشر من الاخرين ، في حين يمط شفته السفلى ، فيصير له فم ضفدعة يؤكد حيرته العائرة الابعاد

قال المدير :
- استعلم لنا عن العدد الاجمالي ، وما تم بشأن الفرز
قال رئيس القسم
- كل شيء جاهز ، هنا .
أشار الى صلعته ، هز المدير راسه موافقا ، استأنف الاخر
- الاجمالي خمسمائة وسبعون ، منها ثلاثة وعشرون يعرفون الألمانية بدرجات متفاوتة سجل المدير الأرقام على ورقه امامه بالقلم الاحمر ، أخذ يغمغم بلاثة وعشرون .
أقل من نصف المطلوب
- ويمكن ان يكونو أقل ، اذا دققنا في مستوى اللغة
- ا فعلا
تنهد ، استرخى قليلا ، خلع نظارته ، بربش للارقام ، عاد فلبسها
- على خيرة الله
- علام استقر الرأي
- سنختار في حدود الثلاثة والعشرين ، وسنرسل من يصلح فقط
قال رئيس القسم بعشم ما كان يستطيع ابداءه منذ دقائق
- المنحه لخمسين ياسعادة المدير ، لقد أوضحت لك ما يمكن أن يقال
- تسللت مخاوف غامضة ، قال بحدة من يدافع عن حق
- ماذا أصنع ؟ هل أخلق لهم خمسين يتكلمون الألمانية ؟ ما يقدر على القدرة الا ربنا ، اترك مكتبي وأذهب نيابة عنهم ؟
- ولم لا ؟
- حتى أنا لاأصلح لهذه المهمه ، فأنا لاأعرف من الالمانية غير صباح الخير مساء النور .
قال متحمسا في مغامرة محسوبة :
- يابني !!
توقف قليلا ، كأنما يعتذر عن خطأ مقصود ، رمق رئيسه بنظرة من فوق اطار النظارة ، الزهر الان خارج الطاولة ا لكن المدير قد فطن للعبارة ، لكن النظرة ارتضمت برأسه فأيقظته تحركت فيه روح العناد ، قال مقاطعا على الفور :

- اذهب فافعل ما سمعت مني الان
استمات الاخر في موقعه
- معذرة يا سعادة المدير ، لم أقصد ، أنا خائف عليك ، من موقع الحب لك أحادل ، وهدفي حماية الادارة من الشوشرة . السهام المسمومة جاهزة
- سهام مسمومه ؟! لماذا ؟!
- « ولى فيها مارب أخرى »
- أية مارب ؟ الذين يمكنهم الافادة أرسلناهم ، ولم نهدر وقت غيرهم ، ولا أضعنا عليهم فائدة محتملة
استقرت العينان في حانة « اليك » زاويه في طرف العين
- بل اضعت كثيرا من الفوائد
- كيف لكى نعرف هذه الفوائد لابد أن نسلم بالأمر الواقع حتى اولئك الذين يعرفون الألمانيه يعرفون قبلها أشياء أخرى سيسعون الى تحقيقها ، هناك طبعا ، يعرفون تهريب العملة ، البيع والشراء ، أماكن اللهو . قضاء حاجات دون السلطات ، متعة السياحة والفرحة ، هذه خمسة أشياء في مقابلة شيء واحد هو التدريب الفني
-حتى ولو . . . التدريب هو الأساس .
- كلام على الورق لايقوله الا أنت وأنا . .
- لا ، لا مبالغة وتشاؤم لنفترض أنهم سيشترون ويلعبون متوقع هذا متوقع - ولكنهم سيتدربون ويعودون أكثر خبرة في عملهم
- بالتأكيد ياسعادة المدير أكثر خبرة ، ولكن بنسبة واحد الى خمسه ، فعلى أحسن الأحوال سيكون وقتهم موزعا هناك ساعة تدريب تقابلها خمس ساعات « مارب أخرى »
- ياسلام !!
- هذا هو الواقع بكل مرارة .
- والنتيجة
- ان الذي سيذهب دون معرفة اللغة الالمانية سيحقق نسبة عالية من الاهداف الحقيقية للسفر .
- على قولك لن يضيع منه غير واحد مقابل خمسة .
- تمام . . . الله ينور عليك .
- ينور !! اني بهذه الطريقة أكون أطفأت جميع الأنوار . . .
- خلاص ، متأسف ، اغفر لي تطفلي . . .
صرخ المدير :

ـ لاحجة لأحد في الرامي بارسال من لايستطيع التفاهم هناك .

ـ ومن قال أنهم سيهاجمون من هذه الزاوية ؟

ـ وهل هناك زوايا أخرى للموضوع ؟

ـ مالا يحصى من الزوايا ، تخترع حصيصا ، اكتشاف واحد أو أكثر ممن سيتم استبعادهم ويقال انهم حرموا عمدا لأسباب شخصية ، وليس بعيدا أن يكتشف أشخاص لم يتقدموا بطلبات أصلا ، ويؤكدون أنهم تقدموا ، وأسقطت طلباتهم لسبب أو لآخر ، ويمكن أن تناقش أشراط السفر ، ويقال أن المستوى الفني ، وليس اللغوي ، هو الأساس السليم ، وكان على الادارة أن تعين بمترجمين ، وبنفقة المترجم أقل بكثير من الفوائد التي ضاعت على الدولة بارسال عشرين أو ثلاثين بدلا من خمسين ، ويمكن أن نهاجم بأن الخطأ أصلا في توقيت المنحة ، أو بلد المنحة ، أو نوع المنحة . الخ ، الخ . ويمكن صرخ المدير :

ـ كفى ، كفى . من الذي سيقول كل ذلك ؟

ـ أصحاب المآرب الأخرى . . الرؤساء الذين لايستلطفونك لامؤاخذة ، الزملاء الطامعون في مكانك ، المتدربون الذين حلموا بالفرصة وفاتتهم ، أصحاب النفوذ الذين رعوا في ارسال معارفهم وأتباعهم لأداء خدمات خاصة بهم ، أو لتنفيع المعارف والاتباع .

تمتم المدير من رأس ملفع بالضباب :

ـ تنفيع !! خدمات خاصة !!

ـ أخف الضررين ، والا حدثني كيف تطهر المحلات وأشرطة الفيديو المحرمة ؟

ـ ومن أين ينبع المارك في السوق السوداء ؟

ـ لا لا . أنت تالع الذي يسمع كلامك يتصور أنه يمكن أن تخرج مظاهرةتهتف ضدي وتحيط بالادارة لأني تمسكت بشرط لم يرد في الاعلان . . .

ـ ليس هذا بمستبعد ، القرار في يدك ، وتذكر أن المظاهرة ليست شر أنواع المعارضة ، انها على الأقل معارضة معلنة ، أما أصحاب الأغراض فانهم يتظاهرون ، ولكن بعكس ما يريدون ، أعجبه الجناس اللغوي ، وخشي الا يكون المدير قد أدرك النكتة اللفظية فاكمل :

ـ أيهما تفضل . . المظاهرة أم التظاهر ؟!

اختلطت الافكار ، لم يعد يعرف ماذا يريد ، وهل كان الشرط المهمل في الاعلان عن غفلة أو تدبير ، وهل اهماله ميزة أو مصيبة ؟ عز عليه الصمت ، لكن ما منه بد الآن . أحس المحرور أن رئيسه الغلام ملقى على ظهره تحت الشبكة ، وهنا تقدم ليفتح له ثغرة كما في قصة الأسد والفأر . . .

ـ ومع هذا

ـ هه . . سيكون هناك دائما . مع هذا !! هات

ـ ليس مطلوبا ما الآن أكثر من التمهل في الاختيار . ستبدأ بعد أيام موجات الضغوط في الظهور ، ستعرف وأنت في مكتبك حجمها وأنواعها ، ويمكنك في حينها أن تقرر بوضوح ، وستكون ، وهذا رأيي الخاص ، سعيد الحظ لو وجدت مكانا للثلاثة والعشرين الذين توفر فيهم الشرط اياه

ـ الى هذا الحد ؟

ـ وأكثر . . أخشى أن تضحى بعدد منهم ارضاء وتحنا وتملصا . . . الخ . . الخ .

تمهل المدير ، رأى أن هذا أنسب حل لما هو فيه الآن ، فاذا بدا له أن يتراجع لايكون ذلك في مواجهة مرؤوسه وبتأثيره المباشر

قال بنغمة هي مزيج من التعالي المصطنع واضفاء الأهمية على محدثه .

ـ فعلا ، نؤجل اعلان النتيجة ، حتى ندرس الارقام والاحتمالات . .

قال الاخر وقد فهم كل شيء

ـ بالضبط .

بعد دقائق من نهاية الحوار كان رئيس القسم يعود الى مكتبه ، لاتزال الدوسية مفتوحة كما تركها ، وكوب الشاي ، وقد اربد لونه ، وراحت تناوشه ذبابة سمجة طردها بالدوسية ، تطلع الى الساعة . . . كان العقربان في حالة عناق مطلق فوق الثانية عشرة . . .

بعد شهر كان المدير يطير بنفسه على رأس وفد من ثلاثة وسبعين متدربا ، وقد صرح في المطار بأنه تجاوز عدد المنحة حرصا على استيراد التقنية الحديثة ، وتنفيذ الخطة ، وان ادارته ستتحمل نفقات العدد الزائد ، كما أنه قرر أن يصحب الوفد بنفسه ليتابع برنامجهم ، ويرسم مع المسئولين هناك خطة لاستمرار التدريب وتطويره . □

اقوال



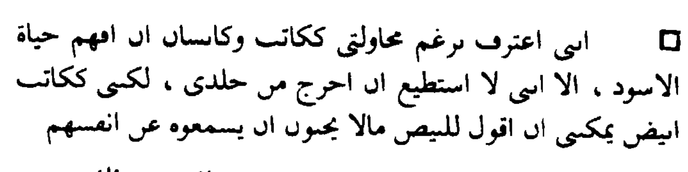
شولوخوف



فيديل كاسترو



محمد شكري



□ انى اعترف برغم محاولتى ككاتب وكانسان ان افهم حياة الاسود ، الا انى لا استطيع ان اخرج من جلدى ، لكنى ككاتب ابيض يمكنى ان اقول للبيض مالا يحبون ان يسمعوه عن انفسهم

اندريه برنك

كاتب ابيض من جنوب افريقيا

□ **لافرق أن تكون محافظا ، أو واقعيا أو اشتراكيا عندما تعانق امرأة .**

شولوخوف

□ **أنا أكتب من أجل أن أمنع ، أنا أومن أن ما أكتبه هو نور ويراه غيري ظلام .**

محمد شكري

كاتب عربي من المغرب

□ **البلد المستقل هو من كان قادرا على حماية استقلاله بنفسه**

فيديل كاسترو

رئيس وزراء كوبا

□ عندما يغيب الشعر عن عقل السياسي ، يتحول الى طاغية

أوكتافيوبات (شاعر مكسيكي)

□ التمني أمر طبيعي بالنسبة للانسان ، لا يقل في ضرورته عن التنفس للحياة الطبيعية .

هيلين جاردنر

ناقدة انكليزية

□ **أنا مؤمن بالمستقبل العربي وبالوجود العربي رغم كل مايطفو على السطح من قتال وتناحر ظالم .**

جاك بيرك

المستشرق الفرنسي

□ **الشخصية حسب خبرتي ليست قناعا لأفكار الكاتب .**

د . عبد الرحمن منيف

روائي واقتصادي



منتدى العربي

حول "قضية التعريب في الجزائر"

مع المفكر الجزائري مولود قاسم

أجرى الحوار : أبو المعاطي أبو النجا

■ لماذا في الجزائر بالذات تعرضت اللغة العربية لهذه الدرجة من المسخ ؟

■ إدجار فور كان يقول : « الجزائر هي لحمنا وعظمنا ودمنا » .

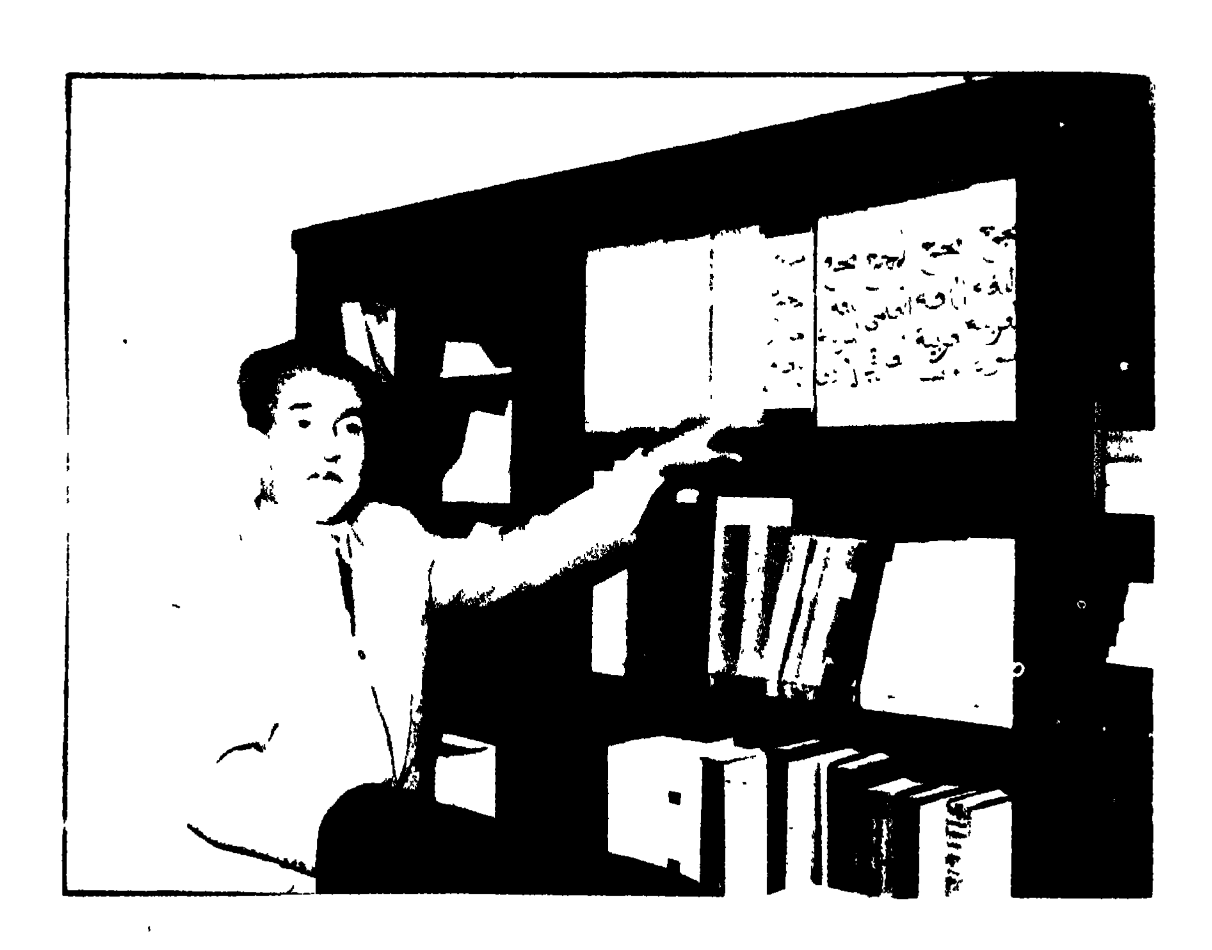
■ معركتنا من أجل التعريب لم تقل ضراوة عن معركتنا من أجل الاستقلال

■ الخوف من تعريب التعليم الجامعي . . . مجرد عقدة !

■ اسرائيل لجأت الى اللغة العربية . . لتنحت مصطلحات علمية جديدة في اللغة العبرية . ؟

■ اسرائيل تدرس علوم الذرة في معهد ويزمان باللغة العبرية . ؟

■ ٩٠٪ من الجزائريين والجزائريات يعرفون اللغة العربية الآن . لأن ٧٥٪ منهم ولدوا بعد الاستقلال .



● قبل أن نتساءل عن قضية التعريب في الجزائر من وجوهها المختلفة أود أن أبدأ بطرح هذا السؤال لماذا كانت الجزائر ـ دون كل الأقطار العربية التي خضعت للاستعمار الفرنسي ـ هي التي تعرضت فيها اللغة العربية لهذه الدرجة القاسية من « النسخ والمسخ والفسخ » على حد التعبير المشهور عنكم ؟

جذور المشكلة

ـ أشكرك على أنك بدأت بهذا السؤال ، لأنه يتيح لي فرصة كي ألقي بالضوء على جذور هذه القضية المهمة

في الواقع كانت هناك عوامل كثيرة وراء تركيز فرنسا اثناء احتلالها للجزائر ، على أن تصبح الجزائر جزءا من فرنسا ، وليست مجرد بلد خاضع لنفوذها ، وفي الوقت الذي كانت الصيغة القانونية لسيطرة فرنسا على الأقطار العربية الأخرى هي صيغة الانتداب ، فقد نص في الدستور الفرنسي على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا

فإذا عدنا لمناقشة العوامل التي تكمن وراء هذه السياسة الفرنسية ، فسنجد أن هناك العامل الديني ، والعامل الاقتصادي ، والعامل الجغرافي ، بالنسبة للعامل الديني ، علينا أن نرجع الى الوراء كثيرا الى ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر في ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ ، أن نعود الى سنة ١٢٧٠ أواخر القرن الثالث عشر ، لنجد أن الملك لويس التاسع (القديس) ، وهو نفس الملك الذي أسر في المنصورة ، إبان حملته الصليبية على مصر ، قد جاء الى المغرب مبتدأ بتونس ، ولكن هذا الملك الفرنسي مات في تونس بالوباء الذي اجتاح المنطقة آنذاك ، هنا نلتقي بشتى دوافع الحروب الصليبية .

ومع أن بلدان المغرب كلها من سيوة الى المحيط الأطلسي وبما يشمل موريتانيا لا يوجد بها

مسيحيون ، فقد كان الهدف وراء هذه الحملات هو هدف صليبي واضح ، وهو نشر المسيحية في تلك البلاد .

ولقد كانت فرنسا تسعى لتحقيق هذا الهدف دائما من خلال المعاهدات التي كانت تنظم علاقاتها بالجزائر ، في الفترة الممتدة من الحملة الفاشلة للملك لويس ، وحتى احتلالها للجزائر سنة ١٨٣٠ ، ولقد أسفرت عن هذا الهدف بوضوح في الرسائل التي بعث بها شارل العاشر ملك فرنسا لملوك أوروبا يقول لهم في الوقت الذي أعلن فيه الحرب رسميا على الجزائر : « ان احتلال الجزائر هو لصالح النصرانية كلها » وقد كانت بريطانيا آنذاك تعارض هذه الحرب لا حبا في الجزائر ولكن جزءا من المنافسة بين الدولتين على استعمار الشعوب كما هو معروف ، هذه مجرد لمحة عن العامل الديني .

أما بالنسبة للعامل الاقتصادي فيكفي أن أشير الى الوقائع التالية ، في الفترة من أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وحتى معاهدة « افيان » عقدت بين فرنسا والجزائر سبعون معاهدة لتنظيم العلاقات، وهذا مؤشر على درجة الاتصال بين البلدين ، يعنينا في هذا المجال أن نشير الى ثلاث معاهدات تخص اعتراف فرنسا بقروضها من الجزائر : المعاهدة الأولى وقعت يوم ٢٨ يونيو سنة ١٧٩٦ بين الداي حسين رئيس الجمهورية ، لأنه كان يتم اختياره بالانتخاب وليس بالتعيين ، وبين القيادة الجماعية للثورة الفرنسية (الديكتوار) ، وتشير المعاهدة الى أن الجزائر قدمت لفرنسا قرضين : الأول قرض اقتصادي هو عبارة عن قمح لم تكن فرنسا تملك تسديد ثمنه آنذاك ، وقد تم تقديم هذا القمح في سنة ١٧٩٣ ، والقرض الثاني نقدا وقيمته ٥ ملايين من الفرنكات الذهبية في سنة ١٧٩٦ بدون فائدة ، وهناك معاهدة ثانية وثالثة تجدد فيها اعتراف فرنسا بهذه الديون ، كانت الثانية في ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٠١ بين الداي مصطفى باشا ونابليون بونابرت ، وقد صادق عليها البرلمان الفرنسي ، وجدير بالذكر هنا (ان الجزائر كانت قد أعلنت الحرب على نابليون بونابرت حين هاجم مصر ، ثم أعيدت العلاقات بين فرنسا والجزائر بعد أن خرج نابليون من مصر) وكانت المعاهدة الثالثة لتجديد الاعتراف بهذا الدين في ٢٤ يوليو سنة ١٨٢٠ ، بين الداي حسين ولويس الثامن عشر ، معنى هذا ان الجزائر كانت في ذلك الوقت تملك اقتصادا نشيطا يعني الكثير لفرنسا ، واجتزىء هنا اعتراف المؤرخ الفرنسي « أنوري دبجرامو » في كتابه تاريخ الجزائر ص ١٣٣ يقول :

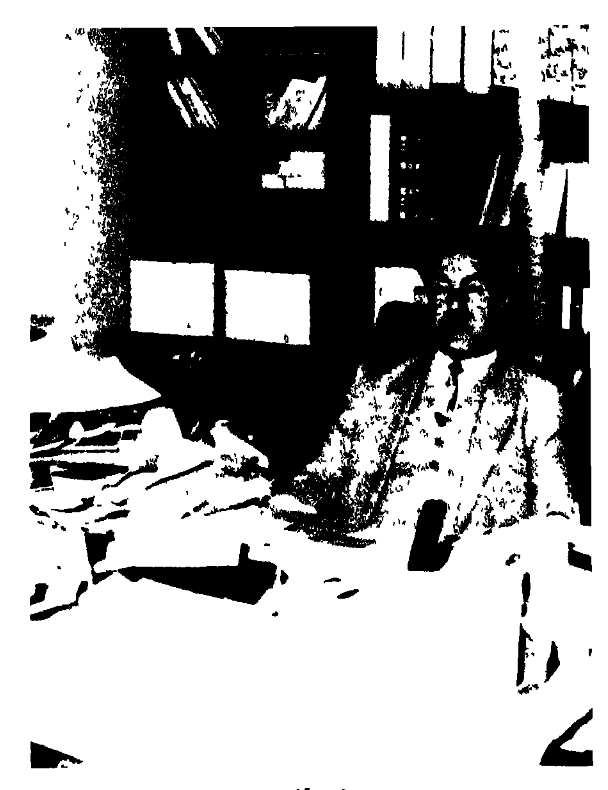
كانت هناك أربع دول انضمت اليها دولة خامسة تتنافس على شراء القمح الجزائري في القرون الثلاثة السابع عشر والثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، هذه الدول هي بريطانيا وهولاندا واسبانيا وايطاليا وانضمت اليها فرنسا .

هذه لمحة أخرى عن أهمية العامل الاقتصادي الذي دفع فرنسا لاعتبار الجزائر جزءا لا يتجزأ منها ، أما العامل الجغرافي فهو واضح ولا يحتاج الى مزيد من التعليق ، فالجزائر تقع هناك في مقابل فرنسا على الشاطىء الآخر من البحر المتوسط ، وهي مفتاح طريقها الى افريقيا ، ولعله من المفيد هنا أن أشير الى ما قاله « ادجافور » رئيس مجلس الأمة الفرنسي في البرلمان في وقت لاحق ، عندما لامه خصومه على انه منح تونس والمغرب، استقلالهما مما يعرض سيطرة فرنسا على الجزائر للخطر ، قال .

« سلمنا في تونس والمغرب لنركز على الجزائر ، لأنها هي القلب وهي لحمنا وعظمنا ودمنا » .

وكان بذلك يرد على ميشيل دوبريه (رئيس وزراء سابق في فرنسا) الذي كان يقول : لابد من الاحتفاظ بالجناحين يعني تونس والمغرب لنحتفظ بالقلب ، وكان هذا الرد يعني انه لابد من ان نضحي بالجناحين لنحتفظ بالقلب ثم نسترد الجناحين فيما بعد .

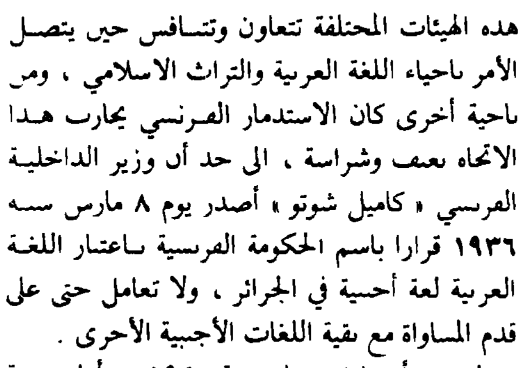
إذ من الضروري (الكلام لا يزال للأستاذ مولود قاسم) أن نوضح هنا أن فرنسا ركزت على الجزائر أكثر ، كمنطلق أو قاعدة ، فبعد أن يتم دمج الجزائر يصار الى دمج تونس والمغرب ، تلك كانت استراتيجيتهم ، ولقد ساعد على نجاحهم النسبي في الجزائر في مسخ اللغة العربية ، طول مدة احتلالهم للجزائر ، وفي الواقع انهم لم يستهدفوا مسخ اللغة العربية وحدها ، ولكنهم استهدفوا مسخ اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ ، وكان مسخ اللغة العربية هو البداية لذلك المسخ الشامل ، لأنهم بذلك يجردون الشعب من « إنيته » وذاتيته كما تسمونها



مولود قاسم

في المشرق ، ونحن في المغرب نسميها بطاقة الهوية ، وبذلك يصبح الشعب أعزل ومعرضا للذوبان ، وفي الواقع ان فرنسا أسفرت عن هذا التوجه منذ الأيام الأولى « للاستدمار » الفرنسي ، ولا اقول الاستعمار ، ولقد كان استاذي المرحوم الدكتور عثمان أمين يسميه الاستخراب ، ولكني اقترحت الاستدمار ووافقني ، أعود فأقول إن فرنسا رغم أنها أمضت معاهدة مع الجزائر عشية احتلالها لها في ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ ، نصت فيها على ضرورة احترام دين البلاد ولغتها وتقاليدها ، الا أنها داست فور هذا الاحتلال الى جامعة « كتشاوا » وحولت مسجدها الى كنيسة ، حيث تم نزع الهلال والنجمة ، ووضع بدلا منها الصليب ، كما كانت تصادر الأموال المخصصة للمدارس الجزائرية التي تعلم اللغة العربية لابناء الشعب وتزج بالمعلمين الأحرار في السجون .

وانتقل - تجنبا للغرق في التفاصيل - الى الفترة التي سبقت ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٤ قبل بدء الكفاح المسلح لجبهة التحرير الجزائرية ، كانت الهيئات السياسية والجمعيات الدينية مختلفة في أشياء كثيرة حول الموقف من الاستعمار الفرنسي ، وأسلوب الكفاح ، ولكنها كانت جميعا متفقة فيما يتصل بضرورة احياء اللغة العربية والتراث الاسلامي باعتبار ذلك خط الدفاع العتيد عن هوية الجزائر ، وكانت جميع



● قضية التعريب في الجزائر

هذه الهيئات المختلفة تتعاون وتتنافس حين يتصل الأمر باحياء اللغة العربية والتراث الاسلامي ، ومن ناحية أخرى كان الاستدمار الفرنسي يحارب هذا الاتجاه بعنف وشراسة ، الى حد أن وزير الداخلية الفرنسي « كاميل شوتو » أصدر يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٦ قرارا باسم الحكومة الفرنسية باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ، ولا تعامل حتى على قدم المساواة مع بقية اللغات الأجنبية الأخرى .

ثم بعد أحداث ٨ مايو سنة ١٩٤٥ ، وأمام موجة من العمل الوطني والعمل السياسي الجارف سنة ١٩٤٧ في الجزائر وفي تونس والمغرب ، ولكن بالأخص في الجزائر ، أراد الفرنسيون أن يخدرونا ، فأصدروا دستورا صدَّق عليه مجلس الأمة الفرنسي ، يقضي بترسيم اللغة العربية في الجزائر ، ولكن سرعان ما عدلت الحكومة الفرنسية عن هذا القرار سنة ١٩٤٨ ، وأصدرت قرارا آخر يمنع كل جزائري أو جزائرية لا يحمل شهادة جامعية فرنسية من تدريس اللغة العربية ، ولو كانت لديه دكتوراة الدولة من إحدى الجامعات العربية .

وفي ٥ مارس سنة ١٩٥٤ ، أي قبيل شهور من اندلاع الكفاح الثوري المسلح ، اجتمع المفتشون في التعليم الابتدائي على مستوى القطر الجزائري وصادقوا على اللائحة التالية :

« حيث أن اللغة العربية ليست ذات مستوى واحد ، بل هي ثلاثة مستويات ، اللغة العربية الفصحى القديمة ، وهي بصفتها قديمة فهي لغة ميتة مثل اللغة اليونانية واللاتينية ، اذن فهي لا تصلح لا للادارة ولا للتعليم

والمستوى الثاني هو اللغة العربية الدارجة وهي بحكم كونها دارجة عامية فهي لا تصلح لا للادارة ولا للتعليم ، والمستوى الثالث هو اللغة العربية الفصحى الحديثة ، وهي ليست موجودة الا في المشرق العربي ، اذن فهي لغة أجنبية بالنسبة للجزائر ، وبالتالي فلا تعليم باللغة العربية في الجزائر » .

***

آنذاك جاءت القهوة ، كان اللقاء بمكتب الاستاذ مولود قاسم نائب رئيس الهيئة الوطنية العليا للتعريب التي يرأسها رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد بمقر

الامانة العامة لحزب جبهة التحرير ، ان متعة الاستماع الى الحديث الطلي المتدفق للمفكر الكبير ما كانت تسمح لي بأن افكر في قطعها الا حين جاءت القهوة ، كان هو احيانا يقطع الحديث ليتأكد من بعض التواريخ أو بعض النصوص التي يحفظها جيدا ، قلت للاستاذ مولود قاسم وأنا آخذ فنجان القهوة المصنوعة بالطريقة الفرنسية

***

● **اعتقد أنه يمكننا الآن أن ننتقل الى نقطة تالية في هذا الحوار عن جهود الجزائر في قضية التعريب (لمواجهة هذا النسخ والمسخ والفسخ الذي تم عبر ١٣٠ عاما من الاستدمار الفرنسي) ، سواء في مجال التعليم العام والتقني أو التعليم الجامعي أو الادارة أو الاعلام أو الشارع الجزائري ؟!**

تعريب التعليم معركة فاصلة

ـ في الواقع ان معركتنا من أجل التعريب لم تكن تقل ضراوة عن معركتنا من أجل استرجاع الاستقلال ، ولعلها بدأت مع حرب التحرير أو قبلها ، فقد أشرت في حديثي السابق إلى أن الهيئات السياسية قبل انشاء جبهة التحرير كانت تتفق كلها فيما يتصل بقضية إحياء اللغة العربية ، بينما كانت تختلف فيما عدا ذلك ، أثناء الحرب كان المناضلون يحرصون كل الحرص على استخدام اللغة العربية في جميع مجالات العمل بجبهة التحرير ، في اصدار البيانات في كتابة الوثائق في الاعلام والمنشورات الخ .

بعد تحقيق النصر واسترجاع الاستقلال ، يمكن القول بأننا بدأنا من الصفر ، كنا نستعين في مجال تعليم اللغة العربية بمن لديهم شهادات ، بمن لديهم بعض الخبرة ، بشيء من التنظيم بشيء من الارتجال ، وطبعا بالبعثات التي استقدمتها الجزائر في ذلك الحين من جميع البلاد العربية ، وفي مقدمتها مصر التي كانت توفر أكبر عدد من المدرسين .

بالنسبة للتعليم العام والتقني سارت عملية التعريب في خطين متكاملين :

الخط الأول : هو ادخال اللغة العربية في أول عام دراسي بعد الاستقلال في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بعدد معين من الساعات يتراوح ما بين سبع ساعات في الأسبوع في المرحلة الابتدائية ، وما بين أربع الى خمس ساعات في المرحلتين المتوسطة والثانوية ، وطبعا هذا الخط كان يمثل مكسبا رمزيا ، لأنه يمثل أول فرصة لادماج اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية

أما الخط الثاني الذي سارت فيه عملية تعريب التعليم العام والتقني ، فقد كان يهدف الى جعل اللغة العربية أداة تدريس لمواد المرحلة التي تدخل فيها ، ويمكن تقسيم هذا الخط بدوره الى عدة مراحل

المرحلة الأولى من سنة ١٩٦٤ ـ سنة ١٩٧٠

وفي هذه المرحلة تم تعريب السنة الأولى والثانية الابتدائية تعريبا كاملا ، كما عربت السنة الثالثة الابتدائية تعريبا جزئيا

أما بالنسبة للمرحلة الثانوية فقد أنشئت فيها ثلاث ثانويات ابتداء من العام **١٩٦٣** معربة تعريبا كاملا ، وكانت مدخلات هذه الثانويات من تلاميذ المدارس الحرة المعربة التي انشأتها بعض المنظمات الوطنية في عهد الاحتلال .

المرحلة الثانية من سنة ١٩٧١ ـ سنة ١٩٧٤

وأهم ما في هذه المرحلة أن خطة التعريب فيها ارتبطت بخطة جديدة لاصلاح النظام التعليمي بما يتجاوز مجرد التطوير الجزئي ، وبما يتمشى مع منطق الاستقلال ، وينسجم مع اختيارات الشعب الجزائري وقد سار التعريب في هذه المرحلة بخطى أكثر رسوخا ، من أهم نتائج هذه المرحلة .

التعريب الكامل للسنتين الثالثة والرابعة الابتدائية ، تعريب ثلث المواد للسنتين الخامسة والسادسة الابتدائية .

تعريب ثلث المواد في مستوى السنة الأولى المتوسطة
تعريب ثلث المواد في مستوى السنة الأولى الثانوية .

المرحلة الثالثة من سنة ١٩٧٥ ـ سنة ١٩٧٩

ومن أهم منجزات هذه المرحلة : انعقاد الندوة الوطنية الأولى للتعريب تحت رئاسة الرئيس الراحل هواري بومدين ، حيث خرجت بمخطط محكم لتحقيق التعريب الشامل في التعليم والادارة والمحيط الاجتماعي والثقافة ووسائل الاعلام

تعريب معاهد تكوين اعداد المعلمين للمرحلتين الابتدائيه والمتوسطة ، وذلك بعد أن تعربت لغة التعليم في مراحل التعليم العام

تكوين ثلاث مدارس عليا تابعة للجامعات لاعداد أساتذة للتعليم الثانوي العام والثانوي التقني في كل من العاصمه ووهران وقسنطينة

المرحلة الرابعة والأخيرة من سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤

وهي مرحلة بداية تطبيق نظام المدرسة الأساسية المتعدده التقنيات ذات التسع سنوات أو المدرسه للجميع ، (دمج المرحله الابتدائية مع المتوسطة باعتبارهما تعليما الزاميا) وهي معربة تعريبا كاملا بكل سنواتها ، وتهدف الى توحيد التعليم وتعميمه واستعادة الهوية الوطنية ، وسوف يتم تعميمها في كامل جهات القطر سنة ١٩٨٩

لعل هذه اللمحة تكفي عن تطور عملية التعريب في التعليم العام والتقني ، ويكفي أن اقول لك ان اللغة الفرنسية تدرس الآن في مراحل التعليم العام كلغة أجنبية ، الى جوار اللغة العربية ، يخير الطالب بينها وبين اللغة الانجليزية أو الاسبانية أو غيرهما

تعريب التعليم الجامعي

بالنسبة لتعريب التعليم الجامعي ، فقد سار هو الاخر في محورين :

المحور الأول : هو ادماج اللغة العربية كلغة ثقافية أساسية في كليات الآداب والعلوم الانسانية ، والحقوق ، العلوم الاقتصادية ، وذلك ابتداء من العام ١٩٦٣/٦٢ .

المحور الثاني : هو جعل اللغة العربية أداة تدريس وتحصيل الى جانب اللغة الفرنسية ، وذلك ابتداء من العام سنة ١٩٧١ في علوم التاريخ ، الفلسفة ، الاجتماع ، التربية وعلم النفس والآداب . والعلوم الاقتصادية والاعلام والصحافة والعلوم السياسية ، بحيث كان هناك في كل تخصص من هذه التخصصات قسم معرب يدرس فيه الطلبة جميع الفروع باللغة العربية ، الى جوار لغة أجنبية وقسم مفرنس يدرسون فيه جميع فروع التخصص باللغة الفرنسية الى جوار بعض الوحدات باللغة العربية

وقد استمر هذا الوضع حتى العام الدراسي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ ، وابتداء من العام ١٩٨٠/ ١٩٨١ ، ووفقا لقرارات اللجنة المركزية ، وفي ضوء الاستراتيجية الجديدة التي تم وضعها لتعريب التعليم الجامعي ، بدأت عمليه تعريب شاملة لجميع معاهد العلوم الاجتماعة والعلوم الانسانية غير المعربة ، وقد انهى تعريب تلك المعاهد بنهاية العام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ ، بحيث تخرجت أول دفعة منها في مختلف الجامعات الجزائرية بشهادة الليسانس في حزيران ١٩٨٤ باللغة العربية وحدها

أما بالنسبه لكليات (وهي تسمى عندنا معاهد في اطار الاستراتيجية الجديدة للتطوير) العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعيه والبيولوجية والطب والصيدلة والفلاحه والصناعة ، والمعاهد العليا للتقنية ، فقد تقرر تدريس اللغة العربيه لهم كوحدات لغوية ، حتى يتمكنوا في المستقبل من استعمال اللغة العربية كأداة عمل في مهنهم

وقد تم الآن تعريب العديد من هذه التخصصات العلمية والعملية ، وتبذل جهود جبارة لاستكمال تعريب بقية التخصصات ، وعلى سبيل المثال اقرأ لك فقرات ـ يمكنك أن تأخذ منها ـ من التقرير الذي قدمته وزارة التعليم العالي الى المجلس الأعلى للغة الوطنية الذي أنوب فيه عن الرئيس .

« فتحت الوزارة عدة فروع علمية جديدة باللغة الوطنية في علم الأحياء والفزيولوجيا النباتية والحيوانية والبيوكيمياء وعلوم الأرض ، في جامعة سطيف والعلوم الدقيقة (الفيرياء والكيمياء المعمارية) في جامعة عنابة ، في وزارة الطاقة والصناعات الكيميائية ، والبتروكيميائية ، تم تعريب كل برامج التكوين (الاعداد) في قطاع المؤسسات الوطنية للكهرباء والغاز والمحروقات الخ .

اللغة العربية ، ورغم وجود العديد من الحوافز والزواجر التي تخدم قضية التعريب ، على كل حال بعد انشاء المجلس الأعلى للغة الوطنية سنة ١٩٨٢ ، فإننا نعتقد أن الأمر قد اختلف ، فهذا المجلس ينسق بين الجهود والخطط التي تقوم بها جهات متعددة ، كما أنه يتابع نتائج الجهود التي تحدث في مختلف المواقع ، ويقوم هذه النتائج ، وله سلطة العقاب على مخالفتها .

هناك أمر آخر نعتقد أنه سيكون له تأثير كبير ، وبخاصة في مجال وضع المصطلحات العلميه ، هو أننا بصدد صدور قرار من رئيس الجمهوريه لانشاء مجمع للغة العربيه في الجزائر ، وتتخذ الآن جميع الاجراءات اللازمة لافتتاحه بعد وقت قريب ، طبعا سوف يستفيد هذا المجمع من جهود المجامع العربيه في مختلف الأقطار العربية ، وقد كنت في القاهرة منذ فترة ، وقابلت صديقي الاستاذ ابراهيم مذكور رئيس مجمع اللغة العربيه بالقاهره ، وباحثت معه في كل ما يتصل بقضية انشاء مجمع للغة العربية بالجزائر ، وقد تفضل مشكورا بارسال هذه المجموعة الضخمه من الكتب والنظم والمطبوعات التي صدرت عن مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والتي ستفيدنا بلا شك في عملنا ، وحتى تكون جهود مجمع اللغه العربيه في الجزائر متكاملة مع جهود بقية مجامع اللغة العربيه في مختلف الأقطار العربية □



منتدى العربي
تعقيبات

الأيّام الأخيرة للسُّلطان عبْدالحميْد

بقلم : الدكتور احسان حقي

منذ مدة واسم السلطان عبد الحميد الثاني يتردد على صفحات بعض المجلات العربيه ، ومنها مجلة العربي ، ففي عدد ابريل ١٩٨٦ مقال للدكتور محمد عيسى صالحية تحت عنوان (الأيام الأخيرة للسلطان عبد الحميد) يقول كاتب المقال انه

استقى معلوماته عن السلطان عبد الحميد من كتاب صدر مؤخرا للأميرة عائشة ، اذا كان وجد مثل هذا الكتاب ، كما أشك في صحة أكثر ما نسب للأميرة في هذا المقال ، لقد عرفت الأميرة عائشة معرفة شخصية ، وأعرف جزءا كبيرا من تاريخ حياتها .

فقد تزوجت الأميرة عائشة سنة ١٩٠٧ من أحمد نامي الذي صار يعرف بعد زواجه من الأميره باسم الداماد أحمد نامي ، وكان هذا اللقب يعطى لمن يتزوج من أميره من أميرات البيت العثماني ، وبحث ان فخري والد الداماد أحمد نامي كان يقطن بيروت ، وكان رئيسا لبلدتها ، فقد ولد أحمد نامي في بيروت وعاش فيها ، وتربى كما تربى اولاد الذوات ، اذ أنه لم يدرس في مدرسة ، بل درس على أيدي أساتذة خصوصيين ، وكان يتقن التركية والعربية والفرنسية ، ولكن أحمد نامي لم يعش مع الأميرة سوى بضع سنين ، ثم افترقا بعد أن أنجبت له ولدين عمر وعثمان

وقد عين أحمد نامي سنة ١٩٢٦ رئيسا لدولة

سوريا ، وقد ربطتني به روابط صداقة ، استمرت الى أواخر الخمسينيات ، ومضت أيام الأربعينيات والخمسينيات كان يزور فيها دمشق كثيرا ، وقد سألته مرة عن أسباب افتراقه عن الأميرة ، فقال لي : انه لم يستطع القيام بواجباتها من حيث الخدم والحشم ، لأنها كانت تريد أن تعيش كما كانت تعيش في دار أبيها ، وهو غير قادر على دلك ، وأنا أعتقد أن هناك سببا غير هذا لا أعرفه .

وحاصل القول ان ما جاء في مقال الدكتور محمد عيسى صالحية نقلا عن الكتاب المنسوب الى الأميرة غير صحيح ، لأن الأميرة لم تعش منفية عن وطنها ٢٨ سنة ، بل خرجت من دار أبيها الى دار زوجها ، ثم ذهبت بعد أن فارقت زوجها وعاشت في باريس .

وحدث أني سنة ١٩٣٦ ذهبت الى باريس لحضور المعرض العالمي ، فلما ودّعني الداماد قال لي : أرجوك أن تزور الأميرة وتسأل عن ابني عثمان ، وأعطاني عنوان الأميرة ، وكانت تسكن في شارع (أوسمن) ، ولم أعد أذكر رقم الدار ، دخلت الى صالون صغير بسيط الأثاث ، ولكن جلب نظري وجود صينية نحاس في وسط الغرفة ، فوقفت أتأملها واذا بالأميرة تأتي .

وعرفت أنه حينما افترقت الأميرة عن زوجها أخذ الداماد ابنه الأكبر وهو عمر ، وأخذت هي الأصغر وهو عثمان ، ولم أسمع من الداماد ولا من غيره أنه كان لها ولد باسم عبد الحميد ، كما أني لم أسمع أنها تزوجت بعد الداماد من غيره ورزقت بهذا الولد ، فقول كاتب الكتاب ان زوجها مات في المنفى غير صحيح ، وانها حارت في تربية أولادها غير صحيح أيضا ، وقصة رسم اللوحات الفنية وبيعها في أسواق باريس غير صحيحة أيضا ، فالأميرة كانت تعيش في منزل صغير بحسب تقديري من مدخله ومن الصالون الذي جلست فيه ، ولكنه منزل في أحسن وأرقى أحياء باريس السكنية ، وعندها خادم ، ولا أعتقد أنها كانت بحاجة أن تمد يدها الى أحد لكي تعيش تلك العيشة التي رأيتها عليها ، ثم ان ابنها عثمان كان يعمل ، ولست أدري فيما اذا كان ابنها عمر يساعدها ، أو كانت بحاجة الى مساعدته .

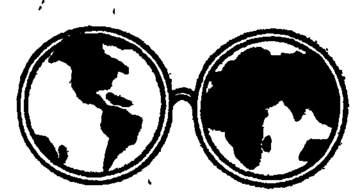
وحدث سنة ١٩٧٠ وكنت أسكن بيروت ، أن زارني صديق ومعه ابراهيم صبري بك ابن آخر شيخ اسلام في الدولة العثمانية ، وسألني ابراهيم يوما : هل تعرف أحدا من الأسرة العثمانية المالكة ؟ قلت : انني لا أعرف الا ابن الأميرة عائشة عمر بك ، وذلك عن طريق أبيه الداماد أحمد نامي قال : في لبنان بضعة أفراد من الأسرة المالكة ، ومنهم أصغر أنجال السلطان عبد الحميد ، وهو الأمير عابد أفندي ، وهو من مواليد ١٩٠٥ ، وهو أصغر أنجال السلطان عبد الحميد الذي كان له ثلاثة أنجال ، توفي الاثنان وبقي أصغرهم هذا ، وقد علمت من الأمير عابد أنه كان بعد خروجه وأخويه من تركيا اثر استيلاء كمال أتاتورك على السلطة زاروا بعض البلاد العربية ومنها بيروت .

وعند حديثي مع الأمير قلت : ان التاريخ قد ظلم أباك كثيرا ، وأنا أريد أن أكتب تاريخ حياته ، ولكن كثرة أشغالي من جهة ، وعدم وجود الوثائق الصادقة من جهة ثانية أخرتني عن القيام بهذا الواجب حتى الآن ، فقال لي . وأنا أيضا آخذ بكتابة تاريخ والدي ، ولكني لا أعرف العربية ، ولا أعرف التركية اللاتينية ، ولذا فاني أكتبه بالفرنسية ، قلت له : وأنا مستعد أن أتعاون معك وأترجم ما تكتبه الى العربية ، وأضيف اليه ما عندي واتفقنا على ذلك ، ومضت بعد ذلك شهور ، نتذاكر ، وكنت خلالها أعرّفه بوجهاء وعلماء بيروت ، ثم حدث أن دعيت لوضع كتاب عن باكستان ، فأخذت الدعوة في مطلع سنة ١٩٧٢ ، ولما رجعت علمت بوفاة الأمير بسكتة قلبية ، ثم جاءت أحداث لبنان ، وسافر ابراهيم صبري بك الى القاهرة ، وأتيت أنا الى دمشق ، وانقطعت صلتي بالناس ، ولست أدري ماذا فعل الله بمسودة كتاب الأمير عن والده .

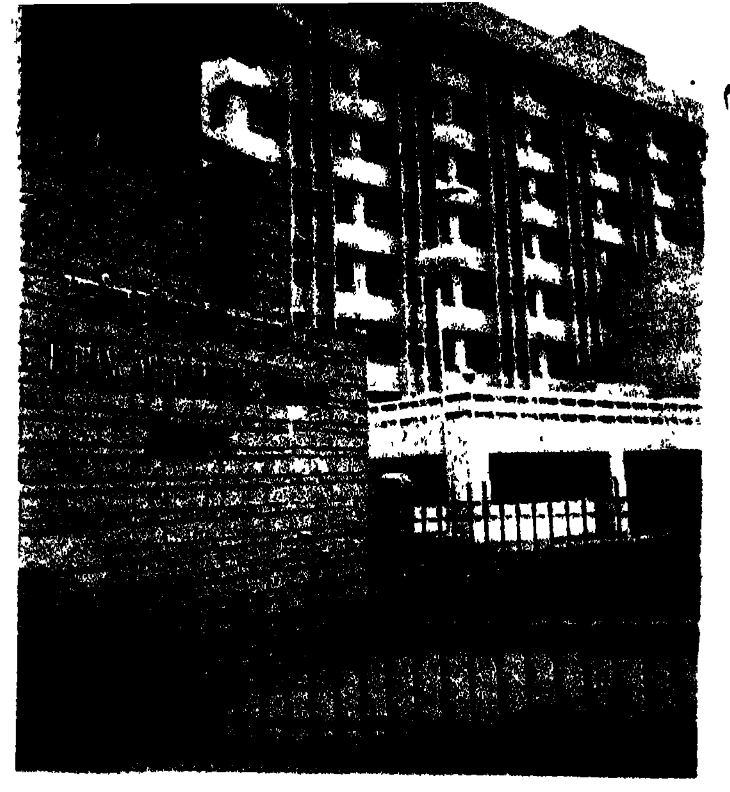
وأما مارواه الكتاب المنسوب الى الأميرة عائشة من أنها كانت في موكب والدها سنة ١٩٠٥ وهو ذاهب لأداء فريضة الجمعة ، فهي على ما أعتقد قضية مختلفة ، اذ أنها ذكرت لتزيين القصة ، فاننا لم نسمع قط أن السلطان كان ينزل الى الصلاة برفقة أفراد أسرته .

وأخيرا أقول حبذا لو كان الدكتور صالحية يعطينا اسم كتاب الأميرة عائشة ، الذي أعود وأكرر بأني لا أعتقد نسبته الى الأميرة ، لأن الأميرة قد قاربت المائة من العمر ان كانت حية . □

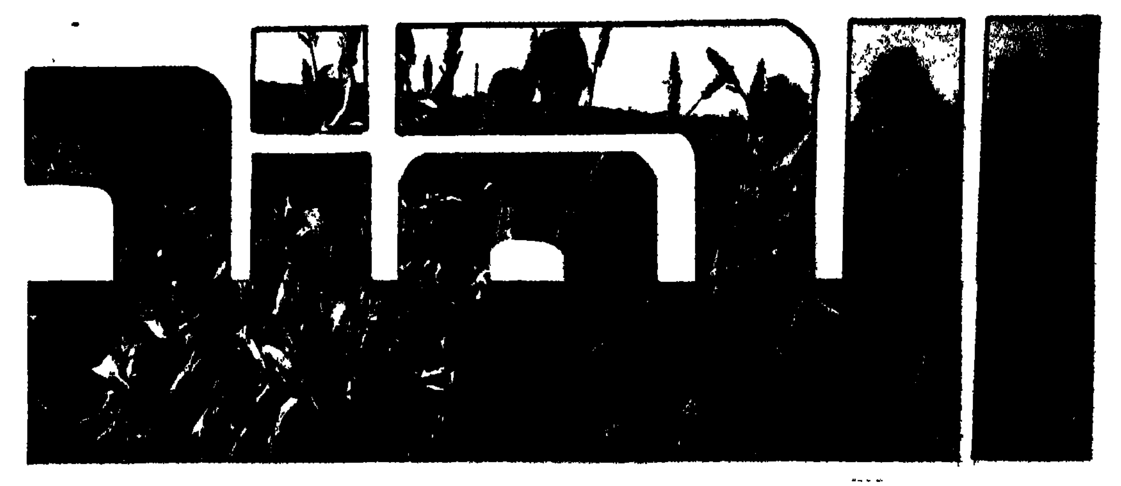
العربي - العدد ٣٣٥ - اكتوبر ١٩٨٦ م



العربي
عيونك
على العالم



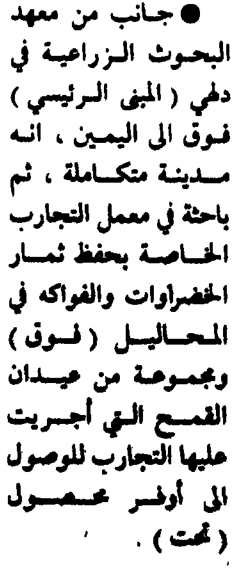
استطلاع :
منير نصيف
تصوير :
طالب الحسيني



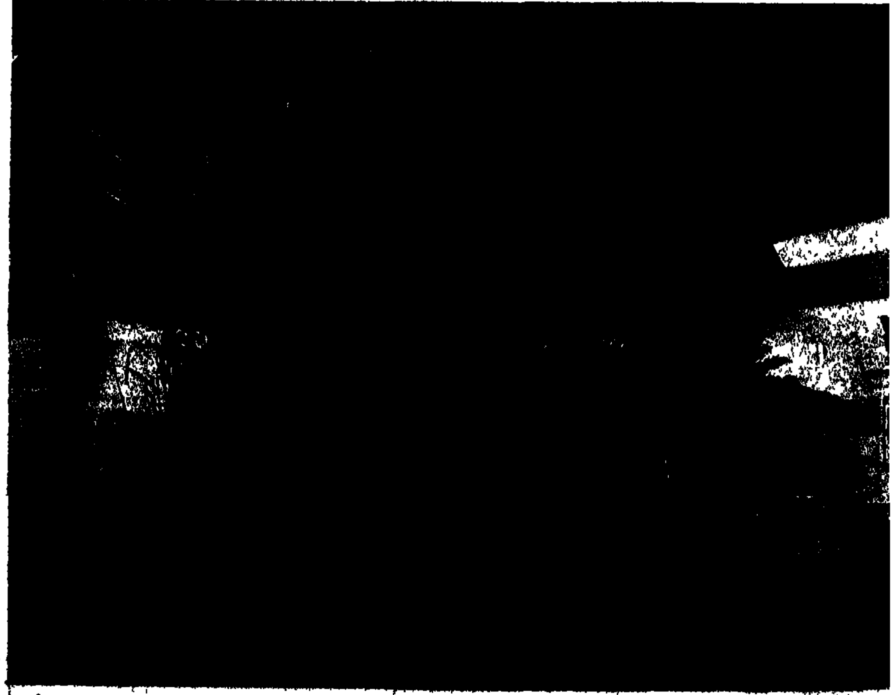
تجني ثمار بحثها العلمي

« كان أبناء الهند لفترة طويلة يقفون موقف المشاهد السلبي ، كان ابناؤها دمى في أيدي الآخرين ، ثم أصبحت المبادرة الآن في أيدي شعبها . . دعونا جميعاً نلحق بهذه المهمة الجبارة ، ونجعل الهند فخر قلوبنا ، نجعلها عظيمة بين الأمم سباقة في فنون التقدم » .

« نهرو »



● جانب من معهد البحوث الزراعية في دلهي (المبنى الرئيسي) فوق الى اليمين ، انه مدينة متكاملة ، ثم باحثة في معمل التجارب الخاصة بحفظ ثمار الخضراوات والفواكه في المحاليل (فوق) ومجموعة من عيدان القمح التي أجريت عليها التجارب للوصول الى أوفر محصول (تحت) .



ربما كانت اسطورة « سيزيف » الاغريقية هي التي حملت العربي هذه المرة الى الهند ،لترى كيف استطاع شعب هذه القارة أن يجد ـ أخيرا ـ نهاية لمتاعب الرحل الذي حكمت عليه الالهة ، بأن يحمل الصخرة الكبيرة ، ويصعد بها الى قمة الجبل !

لقد حمل « سيزيف » صخرته وراح يتسلق الجبل ، وهو يئن من ثقل ما يحمل ، ويحاول أن يثبت قدميه فوق المنحدر الوعر ، حتى اذا ما اقترب من القمة أو كاد ، افلتت الصخرة من يديه ، وعادت لتستقر في السفح مرة أخرى ، ويعود الرجل يهبط الجبل مسرعا ، ليحملها من جديد ويعاود الكرة .. مرة ومرتين وعشرات المرات .. والصخرة تأبى أن تصل معه لتستقر حيث يريد لها أن تكون ، هناك فوق قمة الجبل ...

ثم تحدث المعجزة ، ويستريح الرجل المسكين الذي هدَّه التعب ومزقته الحيرة .. لقد استطاعت الهند أن تضع نهاية لمتاعب « سيزيف » ونجحت الدولة الكبرى بامكانياتها الهائلة في أن تصحو من رقادها ، وتقلب الأسطورة رأسا على عقب ، فقد بلغ الرجل القمة ووضع الصخرة فوقها ، وجلس عليها ، وهو لا يكف عن التطلع الى السفح البعيد الذي لا يريد أن يعود اليه مرة أخرى ..

الحلقة المفرغة :

هكذا كان حال الهند .. سعي دائب ، ولكن بلا جدوى ، من أجل توفير الغذاء لملايين البشر الذين يعيشون فوق هذه الرقعة من الأرض الشاسعة ، ويتزايدون بمعدل مخيف في كل عام .. كان قد كتب على الهند أن تعيش في حلقة مفرغة .. كانت كلما أنتجت مزيدا من الغذاء ، تزايد عدد سكانها ، وتزايدت الأفواه الجائعة ، وبقي الوعاء فارغا أو نصف ممتلىء ، وكان لابد أن تقدمه للآخرين الذين يستطيعون أن يملأوه بما لديهم من فائض !

ومضت الهند في محاولاتها للبحث عن نهاية رحلة العذاب التي تعيشها حتى منتصف الستينيات ، عندما وقف نهرو باني الهند الحديثة يقول :

« أي شيء يمكن أن ينتظر الا الزراعة ! » .

وكان نهرو ، وهو يتحدث عن الزرع والأرض ، يؤمن بأن لا سبيل الى خروج الهند من هذا المأزق الا بالعلم والبحث العلمي ، فهو الأساس الثابت الصلب الذي تبني الأمم عليه كل آمالها .. ثم ذهب نهرو وجاءت إبنته انديرا ، لتحاول أن تملأ الفراغ الكبير الذي تركه والدها .. فلم يكن أحد داخل الهند أو خارجها يتصور أن هذه البلاد الشاسعة يمكن أن تمضي في مسيرتها بدون نهرو .. كان السؤال الذي يتردد دائما على لسان كل زائر للهند هو : « بعد نهرو .. من ؟ » وتصور البعض أن الهند قد ماتت مع نهرو ..!!



القمح .. محصول وفير .. وفرحة على الوجوه

مصباح نهرو ..

ولكن الهند استطاعت أن تنفض أحزانها ، وتعود الى الطريق الذي رسمه لها غاندي محررها ، ونهرو بانيها ، وتمضي بعد ذلك في مسيرتها .. وعندما تولت انديرا الحكم بعد فترة قصيرة انتقل فيها لغيرها ، جلست تضع المزيد من الزيت في المصباح الذي أشعله والدها ...

قالت : « العلم وسيلة وآلة قوية للتغيير الاجتماعي ، ان التحديث لا يعني فقط الانتاج عن طريق التقنية المتطورة ، ولكن معناه أيضا احداث تغير في الفكر القديم عن رفاهية الأمة ، ان العلم ضروري لتحسين الانتاج ، مثلما هو ضروري لخير المجتمع ، وهذا يحتاج الى استخدام الموارد البشرية والمادية والمنظمات الاجتماعية لاشاعة الرفاهية الى أقصى الحدود » .

ولم يكن العلم والبحث العلمي جديدا على الهند . . لقد كان هناك ، ولكنه لم يكن يوجه دائما الى حيث يجب أن يكون . . فلما تغير المسار ، نجحت الهند أخيرا في أن تجد المكان الذي كانت تبحث عنه تحت الشمس . . وامتلأ الوعاء الفارغ أو نصف الممتلىء . امتلأ من أرض الهند وفاض ، ولم تبخل البلاد بالفائض ، فراحت تقدمه هبات للشعوب التي قست عليها ظروف الحياة ، وعضها الجوع بأنيابه النافذة !

قصة البحث العلمي :

وقبل أن نخوض في النتائج التي أوصلت الهند الى واحدة من دول العالم الثالث ، في الافادة من البحث العلمي والتقنية ، وتصديرها الى دول آسيا وافريقيا . . نعود الى قصة البحث العلمي في القارة الهندية ، وكيف بدأت .

والقصة قديمة ، بدأت مع بداية هذا القرن الذي أوشك على الرحيل . . في عام ١٩٠٥ على وجه التحديد ، والهند مازالت ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني ، تقدم رجل أمريكي يدعى (هنري فيبس) ، وكان يعشق الهند وتاريخها وشعبها . . تقدم الرجل عارضا مبلغا سخيا من المال لبناء أول معهد للأبحاث الزراعية ، في قرية صغيرة كانت تسمى (داربانجا) ، ثم أصبحت الآن مقاطعة (ساما ستيبور) في شمال (بيهار) .

وقام المعهد الجديد ، الذي كان بمثابة أول خطوة في سبيل ارساء أساس قوي لتقنية وتطوير الزراعة في الهند ، وأطلقوا عليه اسم معهد « بوسا »أما المبنى الرئيسي أو المعمل فقد حمل اسم مؤسسة « فيبس » إعترافا من الهند بدور الرجل الذي أسهم في بنائه بماله الخاص . . وبدأت البحوث في تنمية الثروة الزراعية والحيوانية وفي الكيمياء ، والاقتصاد الزراعي ، وفي مقاومة الحشرات الضارة والفطريات !

ولكن جهود الباحثين في المعهد لم تستمر طويلا ، فقد شاء القدر أن تتعرض المنطقة التي قام فوقها هذا الصرح العلمي لزلزال مدمر في عام ١٩٣٤ ، أسفر عن تصدع المبنى الضخم وانهياره ! وبدأت دراسات جادة على الفور تستهدف بناء معهد جديد لاستكمال البحوث التي كانت قد توقفت تماما ، بعد الكارثة التي أودت بنتائج البحوث التي استمرت لحوالي ثلاثين عاما .

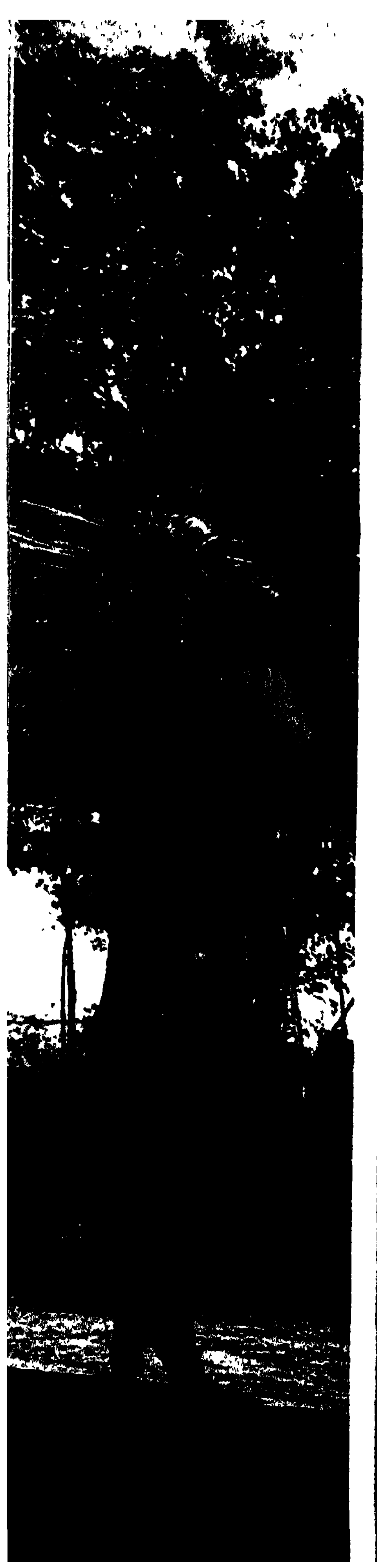
وعلى الفور قررت الحكومة الهندية في ذلك الوقت بناء معهد جديد في نيودلهي ، واستغرقت عملية البناء حوالي عامين كاملين . وقام المعهد ، وقامت من حوله مدينة كاملة متكاملة ، تكلف بناؤها وتزويدها بمعدات البحث الحديثة عدة ملايين من الروبيات . . وأسموها (اياري) ، وهي الأحرف الأولى من اسم المعهد بالانجليزية . Indian Agricultural Research Inst. ، وكانت « العربي » على موعد معها ثالث يوم وصولنا الى العاصمة الهندية . .

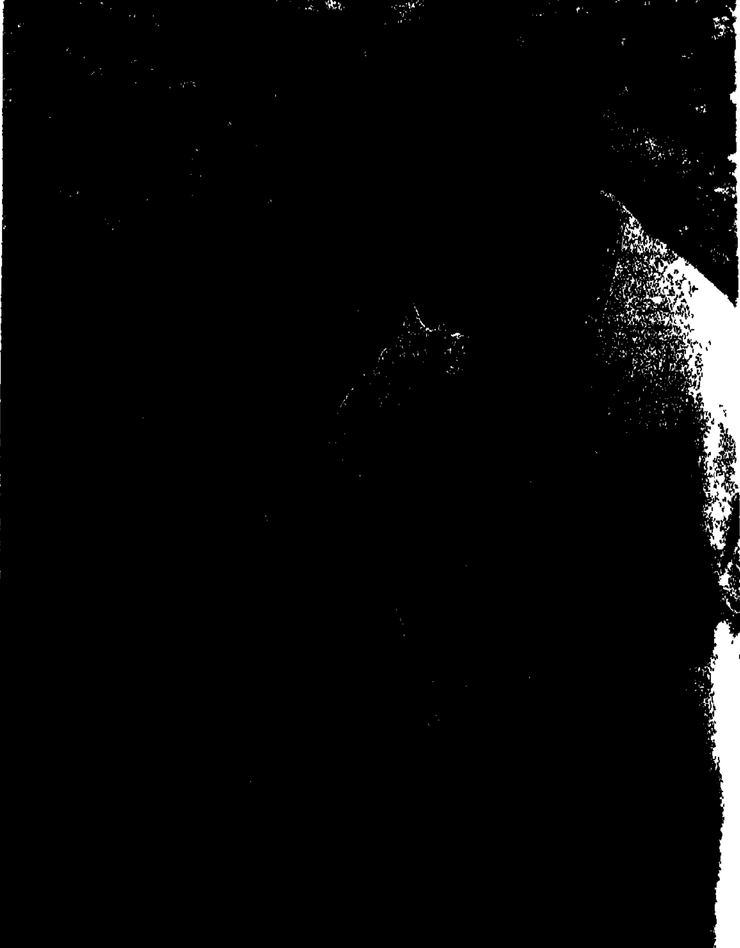
مدينة البحوث :

المباني التي تتألف منها المدينة كلها من طابق أو طابقين ، تنتشر فوق مساحة من الأرض تزيد على الخمسة آلاف كيلومتر مربع . . الطرق مرصوفة ، والمباني تصطف على جانبيها في نظام هندسي دقيق ، يعبر عما يجري داخلها من عمل جاد لا يهدأ ، وبرج الساعة التي تشير ذراعاها الى الوقت بدقة يعلو المبنى الرئيسي . . مبنى المكتبة المركزية التي تحوي أهم ما توصل اليه العلماء والباحثون من نتائج في مجال الزراعة ، الى جانب مجموعة ضخمة من الكتب والمراجع العلمية . . انها المركز الرئيسي الذي تنتشر من حوله جميع المباني الأخرى الفرعية . . المعامل ومساكن الباحثين وبيوت الطلبة الدارسين ، وبيت الضيافة للعلماء الزائرين ، ومساكن أخرى للمزارعين العاملين في حقول التجارب الزراعية ، وعيادة بيطرية لعلاج الحيوانات ، وحول هذه المباني كلها قامت المزرعة التي تجري فيها جميع التجارب الزراعية ، وهي تحتل نصف المساحة الكلية لمدينة البحوث



● في جامعة أريانا بمنطقة هيسار .. يعكف الباحثون على دراسة وفحص الحبوب لاكتشاف مدى جودتها ثم تصنيفها في المعمل ، وكلمات نهرو باني الهند الحديثة التي ما زالت ضوءا ينير لهم الطريق : «كل شيء يمكن أن ينتظر الا الزراعة» .. وفرحة بمحصول القمح الوفير على وجه أحد المزارعين ... وجهاز قياس درجة حرارة أوراق الشجر ودرجة الرطوبة ونسبة فقدان المياه من الأوراق .. وفلاحة في طريق العودة حاملة غذاء حيواناتها ..





العلمية . .

كان (اياري) هو المعهد الأم ، واليوم تنتشر معاهد البحث العلمي في جميع مدن الهند الرئيسية . . والبحوث فيها ليست قاصرة على تنمية الموارد الزراعية وحدها ، وإن كانت الزراعة وكل ما يتصل بها من صناعات أخرى قائمة عليها ، تحظى بالنصيب الأكبر من اهتمام العلماء الباحثين .

قال لنا أحدهم : « لا تنسوا أن الانسان يستطيع أن يستغني عن أشياء كثيرة في حياته اليومية ، ولكنه لا يستطيع أن يقاوم الجوع . . الغذاء هو أول مطلب للانسان مع بداية كل يوم جديد . . فإذا توفر الغذاء هانت كل متاعبه الأخرى » .

التحدي الكبير :

ويقول الدكتور « فنكاتارامان » مدير المعهد : « هناك حقائق لابد من التوقف عندها ، لادراك التغيير الذي حدث في البناء السكاني في الهند ، في البداية - ومنذ سنوات بعيدة مضت - كانت الهند قادرة على انتاج ما يكفي سكانها من غذاء ، مدللة بذلك على أن اتباع الأساليب التقليدية في الزراعة لا يشكل كارثة ، كما يرى بعض خبراء الزراعة المحدثين ، ثم انتزعت الهند استقلالها ، وبدأ السكان يترايدون بسرعة كبيرة نتيجة لعوامل عديدة ، في مقدمتها الرعاية الصحية والخدمات العلاجية التي تقدمها الدولة »

« وفشلت الهند وهي ماضية في الأخذ بطرق الوقاية من الأمراض ووسائل العلاج الحديثة . . فشلت الهند في اجراء التعديلات التي يتطلبها الموقف في المجالين الثقافي والاجتماعي ، وكذلك الاعتراف بأهمية العمل على تحقيق مبدأ قيام الأسرة الصغيرة ، أو تنظيم هذه الأسرة . . وقد كان هذا الفشل - ومازال - هو السبب الأساسي في مشاكل الغذاء التي طفت على السطح ، وكان لابد من مواجهتها بسرعة - وبأسلوب علمي - حتى يمكن التخلص منها ، وقد استطاعت الهند أن تتغلب على هذا التحدي بصورة تبعث على الدهشة حقا ، عندما وقف العلماء والفلاحون والمشتغلون بالتخطيط ، صفا واحدا ، وراحوا يعملون يدا واحدة ، من أجل زيادة انتاج الأرض من الحبوب ، واستطاع هؤلاء جميعا أن يحققوا نتائج لم يسبق لها مثيل ، في أي بقعة من العالم ، خلال العقدين الأخيرين من تاريخ الهند بعد الاستقلال ، فقد انتقلنا من الاناء الفارغ الذي كنا نتسول به ، الى السلة المليئة بالخبز ، حتى بلغ انتاجنا من الحبوب أكثر من مائة وخمسين مليون طن في العام الواحد » !

ويقول مدير المعهد : « لقد نجح علماؤنا في تطوير وتحسين برامج المحاصيل الزراعية لمواجهة احتياجات البلاد ، وفي الوقت نفسه مضاعفة غلة الأرض ، واذن فقد كان التوسع أفقيا ورأسيا في الوقت نفسه . . ولعل قصة القمح وحدها أكبر دليل على الانجاز الذي حققه البحث العلمي في الهند .

فنحن لم نكتف بتحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح ، ولكننا مضينا في جهودنا حتى استطعنا أن نحقق فائضا » من إنتاج القمح ، قدمنا منه هبات لاخواننا الذين عضهم الجوع في افريقيا . . في العام المنصرم قدمت الهند مائة ألف طن ، وفي هذا العام ٥٧ الف طن . . ولن نتقاعس أبدا عن معاونتهم » .

الانفجار السكاني :

وما حدث مع القمح ، حدث مع الأرز ، ونجحت الهند من خلال البحوث العلمية الدائبة في تطوير زراعة الأرز ، ومضاعفة رقعة الأرض المزروعة في مناطق لم يسبق لها أن عرفت زراعة هذا الغذاء الذي لا يقل أهمية عن القمح ، وشهدت ولايات البنجاب وهاريانا وراجستان ودلهي حقول الأرز الغارقة في المياه الحلوة ، لأول مرة منذ قرون طويلة . . .

يقول مدير المعهد : « بالرغم من النجاح المذهل الذي حققته الهند في مجال الزراعة ، الا اننا مازلنا نواجه خطر الزيادة الهائلة في عدد السكان . . وهي زيادة مستمرة ، بالرغم من الجهود التي تبذلها الدولة لتوعية جماهير الشعب ، وشرح أبعاد مخاطر الانفجار السكاني على برامج التنمية . . فنحن نبذل كل مافي وسعنا من أجل تنظيم الأسرة في الهند ، ولكن النتائج لا تبدو مشجعة حتى الآن . . يكفي للتدليل على ذلك بأن أسوق اليكم بعض الاحصائيات ، فالهند في عام ١٩١٢ لم يكن يزيد انتاجها من حبوب الغذاء عن ٤٨,٦ مليون طن ، واليوم ، أو بعد ما يقرب من

السبعين عاما ، أو على وجه التحديد في عام ١٩٨١ ، ارتفع الانتاج الى ما يزيد على المائة وثلاثة وثلاثين مليون طن . . وهكذا بقي نصيب الفرد من الحبوب على ماهو عليه في حدود ١٩٤ كيلو جراما في العام » !

والسؤال الآن : « هل تستطيع الهند أن تستمر في توفير الغذاء لسكانها الذين يتزايدون بمعدل اثنين ونصف في المائة سنويا . ؟ هل يستمر انتاج الحبوب في الارتفاع بحيث يمكن أن يعطي احتياجات الزيادة المرتقبة حتى نهاية هذا القرن ؟ »

ويؤكد مدير المعهد أن هذا ممكن ، ولكن لابد من الوصول الى رقم نتوقف عنده ولا نتجاوزه . . لابد أن تتوقف الزيادة التي تصل اليوم الى ١٥مليون نسمة كل عام ، حتى لا نعود الى الوعاء الفارغ أو النصف ممتلىء ، فنكون بذلك قد أضعنا الثمار التي بدأنا بجنيها ، والتي عملنا طويلا من أجل تحسينها وتطويرها ! »

لقد بلغ تعداد سكان الهند اليوم حوالي ٧٥٠ مليون نسمة ، وهي ثاني دولة في العالم من حيث الكثافة السكانية بعد الصين ، وفي عام ٢٠٠٠ قد يصل سكان الهند اذا استمرت هذه الزيادة بالمعدلات الحالية الى بليون نسمة !!

عندنا وعندهم :

قال لنا أحد العلماء الباحثين في المعهد : « ان ظاهرة الزيادة الكبيرة في تعداد السكان تكون أكثر ما تكون في الدول النامية ، ولهذا فهي تزداد فقرا ، بالرغم من الجهود المضنية التي تبذل للنهوض ببرامج التنمية فيها . . فالدول المتقدمة لا تشكو من هذه الظاهرة ، لأن معدل الزيادة السكانية فيها لا يكاد يذكر ، وان وجد فهو لا يتجاوز النصف في المائة ، وهي نسبة ضئيلة كما ترون ، اذا قورنت بمعدلات النمو الهائلة عندهم في الزراعة والصناعة ، بالرغم من موجة البطالة التي تجتاح الدول الغنية في الوقت الحاضر ، لأنها في رأيي ظاهرة موقوتة ، ثم انها لا تشكل عبئا حقيقيا على هذه النظم الرأسمالية ، واذا كان ما يقال فيها غير ذلك ، فالهدف منه هو البحث عن معاذير يتعلق بها الشمال الغني ، مبررا تقاعسه عن مساعدة الجنوب الفقير ! » .

ولا أدري لماذا قفز الى ذهني أثناء حديث العالم الباحث ذلك الخبر الذي قرأته في احدى المجلات العالمية منذ فترة ، ويقول الخبر الذي ساقه الكاتب في معرض تحليله لما أسماه « بظاهرة التقلص السكاني في أوروبا أمام الانفجار السكاني في العالم الثالث » ، وكان هذا هو عنوان المقال الذي اختار أن ينقل في مقدمته الخبر الذي استوحاه من خياله ، وقد جاء فيه : نحن الآن في عام ٢٥٥٠ ، وبين يدي صحيفة « بكيبج ديلي » أكبر صحف الصين ، انها توزع اليوم ألف مليون نسخة ، وفي ذيل الصفحة الأولى خبر قصير يقول : أن آخر رجل بقي على قيد الحياة في فرنسا ، قد مات . . مات من الوحدة !! »

العيدان القزمة :

ونعود الى موضوعنا . . والى الانجازات التي حققها معهد البحوث العلمية في نيودلهي . وكان لابد لنا من أن نجتاز النطاق الاكاديمي الى الدائرة العملية الواسعة داخل أسوار المعهد ، لنرى بعض هذه المنجزات . . وفي مكتبة المعهد ، أو في المعرض الذي يحوي نماذج لتطور البحوث التي أجريت ، وقفنا نصت باهتمام الى شرح احد العلماء الباحثين أمام عيدان القمح القزمة DWARF. انها اخر ما توصل اليه العلماء من أجل انتاج أكثر وفرة من القمح ، عن طريق استخدام النظائر المشعة ، على التقاوي ، والساق قصيرة يصل طولها الى نصف الساق العادية ، ولكنها تحمل ضعف كمية سنابل القمح التي تجود بها النبتة التقليدية المعروفة . لقد كان هذا التطور العلمي في زراعة القمح من بين العوامل الأساسية التي ساعدت على تحقيق معجزة الاكتفاء الذاتي ، لا في القمح فحسب ، بل وفي المحاصيل الزراعية الأخرى ، والحبوب منها بصفة خاصة ، وحتى الفاكهة ! ففي أرض التجارب الزراعية في المعهد ، شاهدنا شجرة المانجو الصغيرة أيضا التي لا تزيد مساحة الأرض التي تشغلها بفروعها وأغصانها على ربع مساحة الشجرة التقليدية ، ومع هذا فهي تعطي ثلاثة أو أربعة أضعاف ما تعطيه الشجرة الكبيرة من الثمار . .

وفي أحد المعامل المغلقة التقينا بتجارب من نوع آخر . . كان الباحثون مشغولين عنا عندما اقتحمنا خلوتهم ، وشدنا العمل الذي كانوا يعكفون عليه ،







● الحيوانات في الهند في ترايد مستمر وفيها اليوم ٢٠٠ مليون رأس ترعى وتشارك في محصول الأرض من الغذاء وباحثة مع ثمار شجرة المانجو الصغيرة (الى اليمين) وبجوارها طالبة بكلية الزراعة تقوم ببحث على محصول الدرة ، (والى اليسار فوق) الميكنة في الحقول الواسعة ولكن أساليب الحرث التقليدية القديمة ما زالت تعيش مع الفلاح فوق الأرض الطيبة (تحت)

ويستحوذ على كل اهتمامهم ، حتى انهم لم يشعروا بنا ونحن نقف ونتأمل الأواني التي امتلأت بها ثمار البطاطا والطماطم والخيار ، وباقي أنواع الخضراوات التي كانت تسبح في محاليل ذات ألوان مختلفة . . وسألنا « ما هذا ؟ »

وتطوع أحد الباحثين الشبان بالاجابة ، قال « اننا نقوم بتجارب على حفظ الخضراوات بغير الطريقة التقليدية في المعلبات التي تفقدها نكهتها ، الى جانب نسبة كبيرة من الفيتامينات الغنية بها . وقد نجحنا في التوصل الى نوعيات من المحاليل التي يمكن أن توضع فيها هذه الثمار ، وتبقى محتفظة بكل عناصرها الغذائية لمدة سنة كاملة ، وبذلك يستطيع المواطن أن يجد حاجته منها في غير مواسم زراعتها ! انها محاليل غير معقدة التركيب يمكن للفلاح نفسه أن يصنعها في بيته الريفي !

والبحوث داخل مدينة البحوث كثيرة ومتشعبة ، وكلها تتركز في الزراعة وتطويرها وتنميتها . . ولكن تبقى بعد هذا قصة هذا الانجاز وكيف بدأت ؟

ولم يكن عسيرا أن نكتشف البداية ، عندما وجدنا أنفسنا نقف وجها لوجه أمام صورة بالحجم الطبيعي (لجواهر لال نهرو) أول رئيس لحكومة الهند بعد الاستقلال في عام ١٩٤٧ . . فقد جاء نهرو الى الحكم وفي رأسه « تحقيق الاعتماد على النفس في الزراعة والصناعة ، عن طريق أفضل الأساليب التي توصل اليها العلم والتقنية الحديثة . . » .

ولم تكن صدفة اذن أن يقف رئيس حكومة الهند المستقلة بعد أشهر قليلة من انتزاع استقلالها على يد (المهاتما غاندي) . . الرجل الذي عاش ومات من أجل تحرير بلاده . لم تكن صدفة تلك التي وقف العالم كله من حوله يسجلها وهو يفتتح اول سبعة معاهد للبحث العلمي في عام ١٩٤٧ .

فقد عاش نهرو يرقب الهند وهي تصنع التاريخ الذي شارك هو فيه ، وكان يشعر بسعادة وهو يرى كفاح بلاده امام عينيه . . ولم يكن يعرف وقتها على وجه التحديد الدور الذي سوف يضطلع به وهو جالس عند قدمي الرجل الذي كان يحمل عبء تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني . . ولكنه كان يدرك حقيقة واحدة ، وهي أنه ينتمي الى أمة فقيرة جائعة ، ولا سبيل لاخراجها من هذا الفقر الا بالعلم والبحث العلمي

رجل أم امرأة ؟!

وعندما حمل الناخبون في البرلمان ابنته أنديرا الى الحكم بأغلبية ساحقة ، بعد رحيل لال بهادور شاستري الذي خلف نهرو لفترة قصيرة ، وكان يمثل خلالها الرجل الهندي الفقير . وعندما وقفت رئيسة الحكومة الجديدة تتحدث في البرلمان ، وتعلن برنامجها من أجل حياة أفضل لهذا الشعب الفقير ، لم يجد أحد النواب المتحمسين بعد أن استمع اليها وهي تقول « ان تفكيري كله في هذه اللحظة يتجه الى الزعماء الكبار الذين كتب التاريخ أسماءهم بأحرف من نور . . الى المهاتما غاندي الذي نشأت وتربيت عند قدميه ، والى والدي نهرو ، والى لال بهادور شاستري . . هؤلاء الزعماء رسموا لي الطريق ، وأنا أريد أن أسير على خطاهم »

لم يجد النائب المتحمس الا أن يصيح بصوت عال تحت قبة البرلمان « قولي لنا يا أنديرا هل أنت رجل مثلهم أم امرأة ؟! » وهنا ضجت القاعة بالتصفيق والهتاف : « أنديرا زنداباد » أو تحيا أنديرا !

وكان الطريق الذي سار فيه الزعماء الثلاثة الذين اختارت رئيسة الهند الجديدة أن تبدأ أول خطاب سياسي لها بتحيتهم والاعتراف بدورهم في تحرير الهند وبنائها ، هو توفير الغذاء لهذا الشعب الجائع الذي كان تعداده في ذلك الوقت في أواخر الستينيات لا يزيد على ٤٨٠ مليون نسمة . وبالرغم من أن الطريق كان مليئا بالأشواك ، الا أنها استطاعت أن تضع قدميها على البداية التي صنعها والدها نهرو في الخمسينيات ، عندما قام بتنفيذ أول برنامج للاصلاح الزراعي في الهند ، وأصبح الفلاح الذي أمضى حياته كلها يعمل أجيرا في أرض كبار الاقطاعيين ، مالكا للأرض . كان المهراجات يملكون الأرض وما عليها من بشر وحيوانات . وحدد نهرو الملكية الزراعية ، وتدخلت الدولة بكل ثقلها ، لتقف بجوار الفلاح الصغير وتدعمه وتشجعه . ومع مضي السنين بدأ العمال الذين كانوا قد هجروا الأرض

مانحة الحياة !

فالحيوانات في الهند تشكل عبئا كبيرا على الفلاح الصغير ، وعلى الدولة ، ويكفي أن نعلم أن عدد الرؤوس قد حقق رقما قياسيا في السنوات الأخيرة ، فقد بلغ مائتي مليون رأس من الأبقار والثيران والأغنام ، وهي في زيادة مستمرة ، ويرجع هذا الى أسباب كثيرة ، في مقدمتها تلك المكانة التي تتمتع بها الأبقار عند الهندوس ، فالبقرة لا تصدر للخارج ، لأنها « مانحة الحياة » عندهم انها مصدر الحليب الذي يصنعون منه الجبن والزبدة ، ولعلها الحيوان الوحيد الذي « يعيش في الجنة » كما وصفها أحد الصحفيين الأجانب منذ سنوات بعيدة مضت ، فهي تستطيع أن تسير في أكثر شوارع الهند ازدحاما ، دون أن يفكر أحد في أن يعكر صفو الهدوء والشعور بالطمأنينة اللذين يسيطران عليها . فلا أحد يضغط على آلة التنبيه في سيارته لكي يدفعها الى أن تفسح له الطريق وحتى اذا شاءت أن تخلد الى النوم في أكبر ميدان بالمدينة ، فلن يقلقها احد حتى تقوم من تلقاء نفسها اذا شاءت ، لتكمل رحلتها الى حيث تريد !

فهي « مانحة الحياة » حقيقة ، ولكنها أيضا في حاجة الى غذاء كثير من أجل أن تستمر في منح هذه الحياة ، حتى يتقدم بها العمر وتموت !

والحيوانات في زيادة مستمرة أيضا ، لأن نسبة كبيرة من الهندوس الذين يشكلون غالبية سكان الهند ، نباتيين ، لا يأكلون اللحوم . .

لا نريد ان نسترسل ، ولكن ربما كان في حديث أحد كبار أساتذة جامعة هاريانا الزراعية ما يستحق التسجيل ، قال الرجل وهو يستقبل بعثة العربي مرحبا ويدعونا للغداء :

« أريد أن أقول أن عملية التحديث وصلت الى الزراعة ، وهي كما تعلمون عملية تعتمد على المهارة البشرية ، ومن أجل هذا أولينا اهتماما خاصا لمعاهد البحوث والتنمية وهي تضم أكثر من مليون باحث ، الى جانب معاهد التدريب الفني للمهندسين الزراعيين والمشرفين والحرفيين ، وقد أقمنا هذه المعاهد في كل أنحاء البلاد ، وترتب على ذلك أن أصبحت الهند ثالث دولة في العالم ، من حيث توافر القوى العاملة الفنية ، بعد الولايات المتحدة



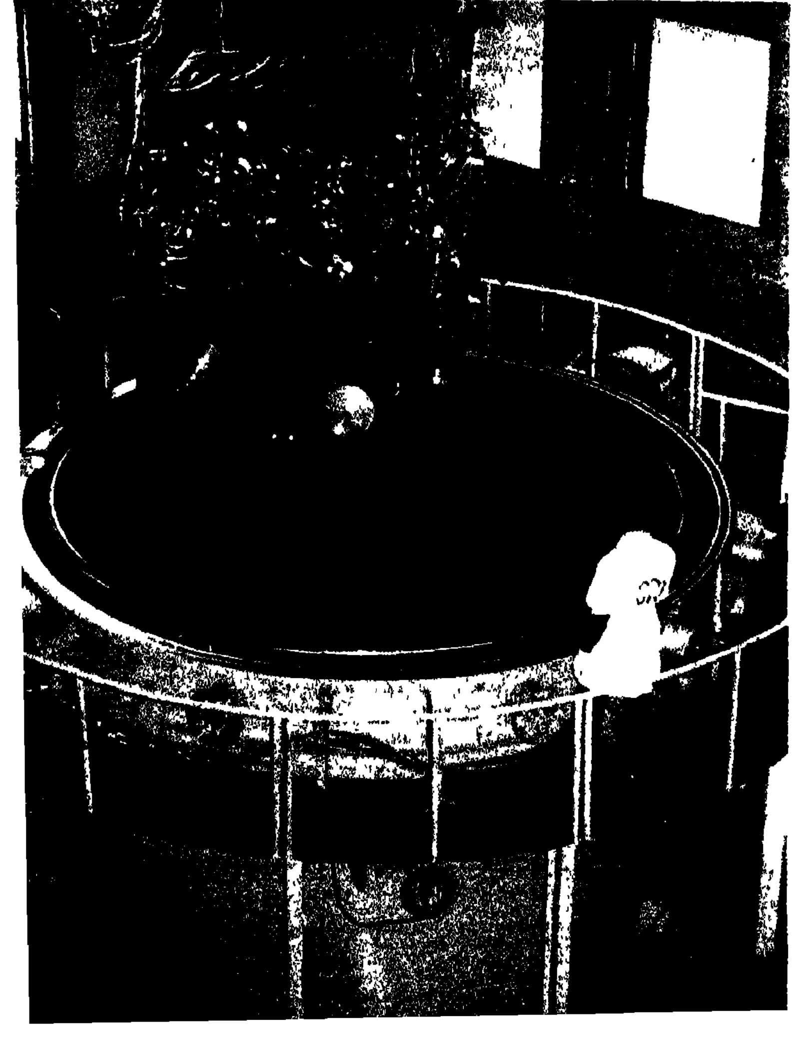
الدكتور فنكاتارامات مدير معهد البحوث الزراعية

هربا من العبودية ، يعودون اليها وترك الكثيرون منهم أعمالهم في المصانع الكبيرة في المدن ، واتجهوا الى الريف مرة أخرى الى الحقول التي لم تعد أرضا قحلة يابسة . فقد سمهم العلماء والباحثون اليها ، ووضعوا لهم أسس العمل المثمر والانتاج الوفير . انهم هنا فوق الأرض التي أصبحت مصدر رزقهم وعيشهم ، لا يقرأون ولا يكتبون ، ولكنهم مع ذلك أذكياء بالفطرة ، وهم قادرون على استيعاب كل شيء مادي محسوس .

واهتم العلماء بالأجيال الصاعدة . . فخبرة الفلاح بالأرض وحدها لا تكفي ، حتى وهم يقدمون له كل ما عندهم من علم وتقنية ، من أجل التوسع في الزراعة أفقيا ورأسيا . ولا بد اذن من خلق جيل جديد متعلم ، وقامت الجامعات الزراعية في كل أنحاء الهند لتخرج أجيالاً من المزارعين المتعلمين ، وفي مدينة « هيسار » التي تبعد عن نيودلهي العاصمة بحوالي مائة وستين كيلو مترا الى الغرب ، كان « للعربي » لقاء باحدى هذه الجامعات . . انها جامعة « هاريانا » التي بدأت الدراسة فيها في اليوم الثاني من شهر فبراير عام ١٩٧٠ ، وهي تضم أربع كليات ، كلية الزراعة ، وكلية العلوم البيطرية ، وكلية العلوم الأساسية ، ثم كلية العلوم الحيوانية . .



بعض ما توصلت
اليه الهند في
الصناعات
الالكترونية



● في بانجالور مدينة الأقمار الصناعية ، والصناعات الالكترونية صاروخان ، الأول الى اليمين يستخدم في اطلاق الأقمار الصناعية الكبيرة والثاني لاطلاق الأقمار الصغيرة ثم باحثة مع القمر الصناعي الذي تستعد الهند لاطلاقه في العام المقبل للاستشعار من البعد والكشف عن الموارد الطبيعية وتحديد مكانها ونوعيتها .

(وفوق) جانب من مركز صناعة الأقمار الصناعية في بانجالور وأخيرا (تحت) معمل اختبار الأقمار بعد انتاجها وقبل اطلاقها للتأكد من صلاحيتها

الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، وهذه الثروة البشرية في تزايد مستمر . »

ويمضي الأستاذ الجامعي : « ان هدفنا هو الاعتماد على النفس ، وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد الهندي ، وقد استطعنا أن نحقق خطوات كبيرة في هذا الاتجاه ، وبذلك تمكنا من التقليل من اعتمادنا على المساعدات الأجنبية ، وتنويع الانتاج المحلي ، فقد انخفضت الواردات من السلع الأساسية ، وعملنا على تنمية الصادرات ، حتى يمكن أن نغطي ثمن الواردات »

التقنية الحديثة في الفضاء :

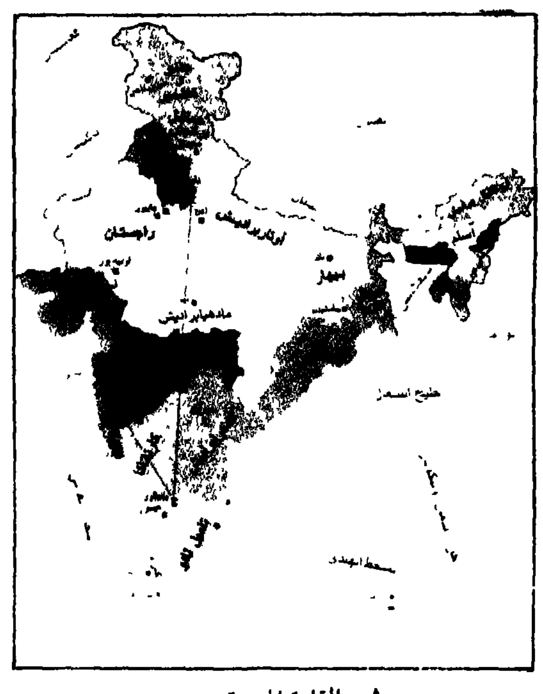
وتنتهي رحلتنا الخاطفة في عاصمة الهند ، ونرحل الى مدينة أخرى من المدن التي اشتهرت باطلاق الاقمار الصناعية من فوق أرضها . انها مدينة بانجالور ، حيث أنشئت هيئة البحوث الخاصة بالفضاء منذ أكثر من عشر سنوات مضت . وكانت العربي هي أول مجلة عربية تدخل مركز اطلاق الأقمار الصناعية في بانجالور ، وأول مجلة يسمح لها بالتقاط صور داخل المركز .

وقبل أن نمضي في رحلتنا الثانية ، نتوقف قليلا لنستمع الى حديث المسؤولين عن الدور الذي لعبته التقنية الحديثة في بناء قاعدة صناعية راسخة ، في هذه البلاد الشاسعة التي تتقدم في ثبات نحو القرن الحادي والعشرين . .

ولعلنا نجد في كلمات راجيف غاندي رئيس وزراء الهند ، المعنى الذي ذهب اليه العلماء والباحثون ، وهم يرسمون لنا صورة لما استطاعت الهند أن تحققه خلال تلك المسيرة القصيرة من عمر الشعوب . . قال راجيف بعد أن تولى أمانة الحكم : « لقد تطورت الهند من دولة لم تكن تنتج ابرة ماكينة الحياكة المستوردة ، الى دولة تستطيع الآن اطلاق الأقمار الصناعية ، وانتاج أسلحتها الدفاعية ، واقامة مشاريعها النووية » .

البناء الصناعي الحديث :

ولم يكن صعبا أن ندرك مدى التقدم الذي حققته الهند من خلال البحث العلمي . . فقد رأينا صورا عديدة تمثل البناء الصناعي الحديث المتنوع الذي



شبه القارة الهندية

توصلت اليه البلاد ، واستطاعت بفضله أن تقلب نمط الانتاج الصناعي رأسا على عقب . فالسلع التقليدية تطورت وأصبحت سلعاً أبعد ما تكون عن التقليد المألوف والمعروف . والمصانع الحديثة تقوم اليوم بانتاج أنواع كثيرة من السلع الاستهلاكية والسلع الرأسمالية والوسيطة . . كل ذلك بفضل التقنية التي اكتسبتها الهند ، واستوعبتها وطورتها ، لتفي باحتياجات البلاد ، وتشكل السلع الرأسمالية اليوم ٤٨٪ من اجمالي الانتاج الصناعي في الهند ، بينما تبلغ نسبة السلع الوسيطة ٢١٪ ، والسلع الاستهلاكية ٣١٪ ، وهذه الأخيرة استطاعت أن توفر للهند اعتمادا ذاتيا

ولقد حققت البلاد أيضا تقدما ملموسا في تطوير قدراتها في التصميم والخبرة الفنية ، كما اهتمت الهند اهتماما خاصا بتطوير العلوم والتقنية ، فقد ساعدت معاهد البحوث والتنمية في الهند في تطويع التقنية المستوردة واستيعابها ، وكذلك في التوصل الى عدد كبير من العمليات الفنية الجديدة ، وهناك أكثر من مائتي مشروع هندي مشترك ، مع أكثر من أربعين دولة افريقية وآسيوية ، وهي جميعا مشروعات صناعية

وهندسية وزراعية . . فقد بدأت الهند منـذ سنوات بعيدة في تصدير خبراتها لهذه الدول الصديقة .

ثلاثون عاما من البحث :

وفي الوقت ذاته تقوم الهند الآن باستغلال حوالي ٣٣٠٤ براءات احتراع لعلماء من أبنائها ، استغلالا تج ‌ريا ، وقـد أصدرت المؤسسـة القوميـة للبحوث وا ‌مة أخيرا التراخيص اللازمة لأكثر من ١٦٠٠ عملية من هذه العمليات ، ثم استخدام العديد منها في ‌ ‌ن أحرى

‌ ‌ه ‌قفزة العلمية لم تأت وليدة الأمس القريب ، لقد مضى عليها أكثر من ثلاثين عاما ، تم خلالهـا انشاء ما يزيد عن المائة وعشرين جامعة ، تضم أكثر من خمسـة آلاف كلية ، وخمسـة معاهـد للتقنيـة ، و ١٥٠ كليـة للهنـدسـة ، و ٣٥٠ معهـدا للفنـون التطبيقية . . ويصل عدد الخريجين من هذه الكليات والمعاهد سنـويا الى ١٥٠ ألف من المؤهلين علميـا وفنيا . . وفي احصائية نشرت في العام الماضي ، جاء أن العدد الاجمالي للعمالة المؤهلة علميا وفنيا في جميع أنحاء الهند ، قد تجاوز المليونين ونصف مليون .

انها الثروة البشرية التي تحرص الهند على تطويرها وتنميتهـا . ومع هـذا الحرص عـلى خلق الكوادر العلمية والفنية ، يعمل المشتغلون بالبحث العلمي عـلى تحـديث القـاعـدة التقنيـة ، حتى تتمشى مـع المستويات الدولية . . وقد لمسنا دفعـة قويـة في هذا الاتجاه في مجال الالكترونات والاتصالات عبر الأقمار



التحذير الذي يطالعك في كل شوارع المدن الرئيسية .
« خطر التلوث يهدد حياتك بالموت البطيء »

الصناعية ومصادر الطاقة البديلة .

وفي (بانجالـور) كان لقـاؤ نا بـاحدى شـركات الالكترونات . . انها شركة (كاراتاتاكا) ، التي تقوم بـانتاج أجهـزة الاتصال المتنقلة التي تعمـل في دائرة قطرها خمسين كيلو مترا ، وقد بدأ العمل في انتاج هذه الأجهزة منذ عام ونصف تقريبا ، بالاشتراك مع شركة (ماركوني) الايطالية ، وبدأ عرض هذه الأجهزة في الأسواق بالفعل ، وبلغت حصيلة عام واحد حوالي عشرة ملايين روبية ، ومن المنتظر أن يصل الرقم الى عشرين مليون روبية هذا العام .

وفي هذه الشركـة أيضا يقـومون بتجميـع أجهزة التلفزيون ، ويجري البحث لانتاج أجهزة الكومبيوتر بالاشتراك مـع الشركـات اليابـانية خـلال العامـين القادمين .

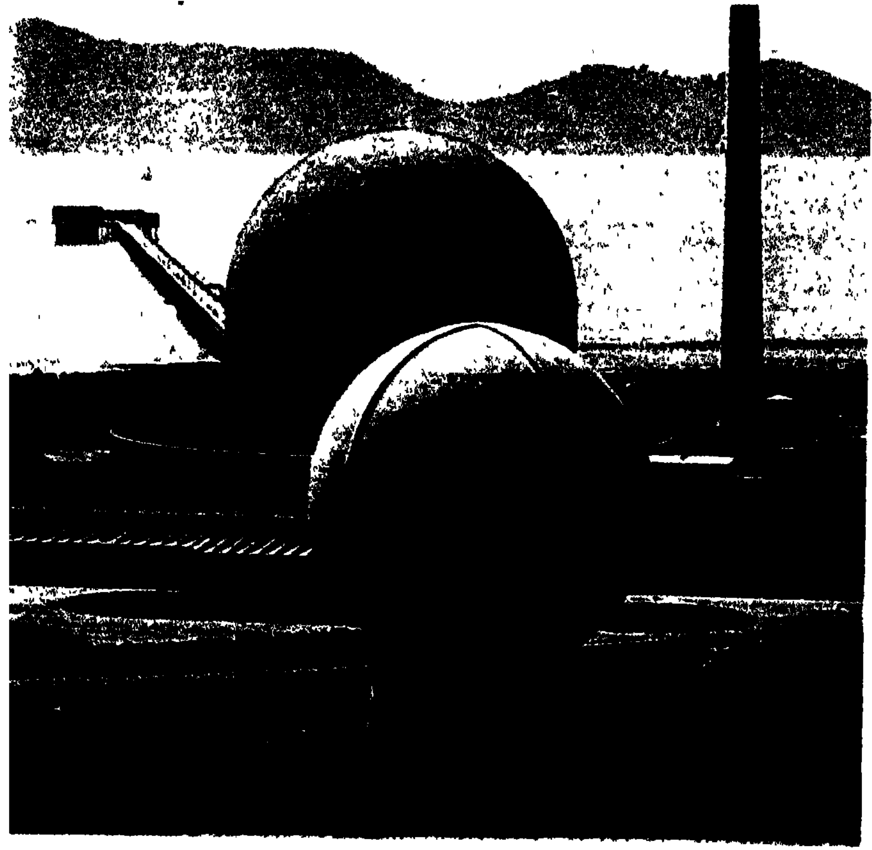
الأقمار الصناعية :

وانـطلاقـا من ادراك الهنـد لأهميـة علوم وتقنيـة الفضاء ، لسد احتياجات البلاد في مجال الاتصالات العامة ، ومسح موارد البلاد ، قامت الهنـد بانشـاء مركز الأقمار الصناعية في (بنجالور) .

وفي هذا المركز وقفنا نستمع الى شرح المسؤولين فيه عن أهداف برنامج الفضاء ، وهي الاتصالات البعيدة المدى ، وبث الصور التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية ، الى جانب اطلاق أقمار الاستشعار عن البعد ، لاكتشاف موارد الأرض الطبيعية والمتجددة ، ورصد الأحوال الجوية .

وقـد أطلقت الهند بمعـاونـة الاتحـاد السـوفيتي ، القمـرين الصناعيـين « اريابهـاتا » و « بهـاسكـارا » اللذين صنعـا بـأيـدي هنـديـة في عـامي ١٩٧٥ و ١٩٧٩ ، ثم جاء عام ١٩٨٠ عنـدما أصبحت الهند الدولة السادسة في العالم في مجال اطلاق الأقمار الصناعية في الفضاء ، مستخدمة في ذلك صـاروخ اطلاق من صنعها ، فـالقمر الصنـاعي « روهيني » الذي يزن ٣٥ كيلو جراما ، أطلق في مداره بواسطة صاروخ الاطلاق (س . ل . ف ٣) مؤكدا بذلك نجاح الهند في الاعتماد على نفسها في مجال اطـلاق الأقمار الصناعية ، وعزمها على تطبيق العلم والتقنية في شتى مجالات التنمية .

وأطلقت الهنـد بعـد ذلـك القمـر الصنـاعي



● في مدينة بومباي ، معمل تجهير النطائر المشعة ISO-TOPES التي تستخدم في كافة المجالات الطبية والزراعية والصناعية والبحوث العلمية وراء أسوار محكمة الاغلاق وتنقل بواسطة « الروبوت » أو الأيدي الآلية (وتحت) الفرن النووي من الداخل ، وفوق الى اليسار محطة الطاقة النووية سماها BHABHA التي شيدت بأيدي هندية وراء تل يحجبها تماما عن المدينة ، و (تحت) صورة من قريب للمفاعل النووي وأجهزة التبريد



مدينة البحوث في العاصمة دلهي ، يعمل فيها أكثر من عشرة آلاف باحث ومهندس زراعي وعامل ، وتضم كلية لتخريج المهندسين الزراعيين .

« الوطني » الأول انسات « أ » في ابريل من عام ١٩٨١ بواسطة الصاروخ الأمريكي دلتا ، ثم القمر الصناعي انسات « ب » في عام ١٩٨٣ بواسطة الصاروخ الأمريكي « تشالنجر » ، وقد فتح هذا الأخير آفاقا جديدة في مجال الاتصالات العامة ، حيث أنه متعدد الأغراض ، ومصمم لتوفير تسهيلات خاصة بالاتصالات السلكية واللاسلكية ، والتلفزيون والاذاعة والارصاد الجوية .

ويقول الرجل المسؤول عن المركز : « أما القمر الأول في سلسلة الأقمار الصناعية للاستشعار عن البعد ، فيجري الآن تصنيعه استعدادا لاطلاقه في نهاية هذا العام ١٩٨٦ ، كما يجري العمل أيضا في تصنيع صواريخ أكثر قوة لاطلاق أقمار صناعية يصل وزنها الى أكثر من مائة وخمسين كيلو جراما . . » .

وقال الرجل وهو ينهي حديثه معنا : « لقد قطعتم مسافة طويلة لكي تجيئوا الينا ، وتروا ماذا نصنع في هذا المكان الصغير من هذه القارة الشاسعة ، واذن لا بأس من أن أستجيب الى طلبكم . تستطيعون أن تلتقطوا ما تشاءون من صور ، خصوصا وأنكم تنتمون الى دولة صديقة ، تربطنا بها علاقات أخوة وصداقة نعتز بها » .

الطاقة النووية من أجل السلام :

وفي مدينة بومباي انتهت رحلتنا الخاطفة في شبه القارة الهندية . . هناك كان لقاؤنا مع وجه حضاري ، برغم ما يحيق به من مخاطر . . انه المفاعل النووي الذي شيدته الهند في ضاحية (ترومباي) التي تبعد حوالي ثلاثين كيلو مترا خارج المدينة . . لقد قصدنا اليه ، وشبح كارثة (تشرنوبيل) في الاتحاد السوفيتي ما زال ماثلا أمامنا ، مع تلك الصيحة التي انطلقت في كثير من المدن الأوروبية في الغرب والشرق على السواء ، بالتخلص من هذه المفاعلات التي تهدد البشرية ، رغم كل ما تحمله لها من خير في مجالات الأغراض السلمية .

والمفاعل النووي الهندي في (ترومباي) كان أول مفاعل من نوعه تنشيه الهند ! بأيدي أبنائها ، ودون أية مساعدة من الخارج ، ولعل هذا هو السبب في اختيارنا له !

شبح مأساة تشرنوبيل :

ولكننا ما كدنا نصل اليه ونجتاز التل الكبير الذي يقع المفاعل وراءه كما لو كان ستارا يحجبه عن العيون ، حتى قلنا نسأل الرجل القائم على هذا العمل الكبير الذي يجري وراء جدران محكمة الاغلاق : « ماذا أعددتم هنا من اجراءات وقائية حتى لا تتكرر مأساة تشرنوبيل ؟ ! » .

وأجاب مبتسما وكأنه كان يتوقع منا أن نوجه اليه مثل هذا السؤال : « لقد وضعنا ألف خبير يعملون طوال الأربع وعشرين ساعة بالتناوب ، لمراقبة كل ما يطرأ من تطورات ، وأود أن أؤكد لكم ، أن الخطر الوحيد الذي نعمل له ألف حساب ، ينجم عن احتلال جهاز التبريد ، فاذا حدث هذا الخلل وقعت الكارثة .

ان الهند تملك اليوم ثلاث محطات للطاقة النووية ، وهي ماضية في بناء محطات جديدة يشرف على تصميمها علماء هنود . . وقد كان للمفاعلات النووية التي تستخدم للأغراض السلمية قصة بدأت مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت النظرة الأولى لهذه القوة ترتبط بالدمار الذي أحدثته القنابل الذرية باليابان . . ولكن الهند ، مثلها في ذلك مثل العديد من الدول الأخرى الآخذة بأسباب التقدم ، كانت لها رؤية أخرى ، فقد كان تفكيرها كله ينصرف الى الاستعانة بالطاقة النووية في تنمية اقتصادها .

ومن هنا بدأ استخدام الطاقة الذرية في الهند ، كما حدده برنامج الطاقة لعام ١٩٤٨ ، وهو التنمية في شتى المجالات السلمية ، واشتمل ذلك على توليد الكهرباء ، وتطويع الاستخدامات النووية في الأبحاث الزراعية والصناعية والطبية وغيرها ، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف قامت الهند بتطوير البنية الأساسية في مجال الأبحاث التي تعتمد اعتمادا كليا على الطاقة النووية .

الرحلة لم تنته :

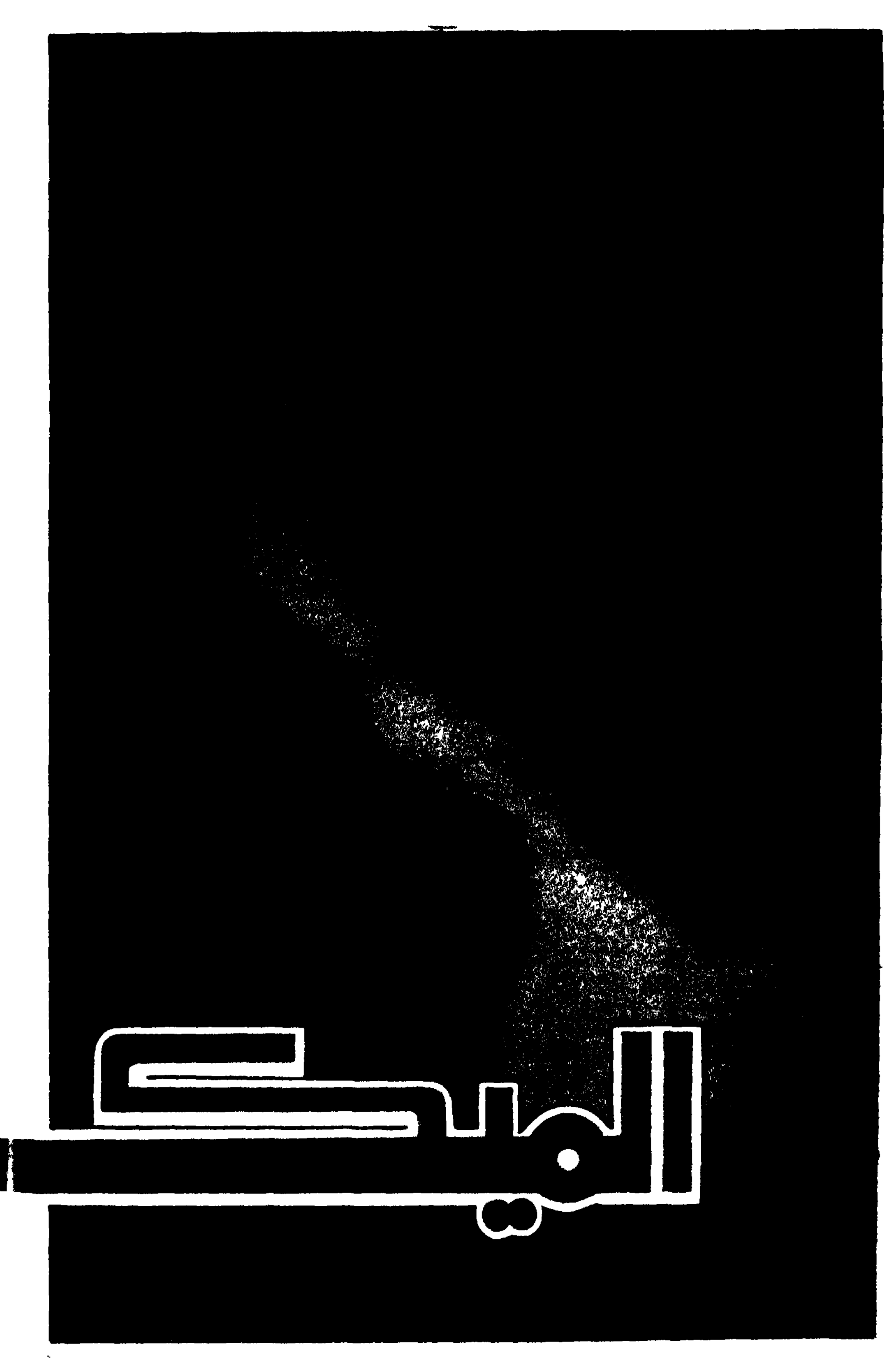
وقامت عقبات عديدة في البداية ، كما يحدث في كل عمل جديد ، ولكن أمكن التغلب عليها ، وطوال المسيرة التي بدأت بعد الاستقلال لم تنحرف الهند يوما عن الطريق الذي اختارته ، والذي أوصلها في النهاية الى انشاء نظام كامل للوقود النووي ، واقامة بنية أساسية سليمة للصناعة ، وخبرة في دعم وتقوية جميع النشاطات التي تشمل دراسات الجدوى والتصميم التفصيلي ، للمشروعات ، والانشاءات ، والتركيبات ، والتشغيل ، وادارة وحدات المصانع المتكاملة التي تنضوي تحت نظام انتاج الوقود النووي .

وهكذا أصبحت الهند واحدة من دول العالم النامي التي استطاعت أن تنشىء نظاما متكاملا للوقود النووي ، بدءا من اكتشاف (اليورانيوم) وتعدينه ، واستخراجه وتحويله ، وانتهاء بتصنيع الوقود النووي وانتاج الماء الثقيل . . واستطاعت الهند بذلك أن تفسح لنفسها مكانا بين الدول الأكثر تقدما في تقنية الطاقة النووية .

وتنتهي رحلتنا مع الهند ، ولكنها لا تنتهي مع البرامج الطموحة التي أخذت الدولة على عاتقها مهمة تنفيذها ، من أجل مستقبل أفضل ، لا فوق أرضها فحسب ، بل وفوق أرض كل الدول الصديقة التي ترغب في الافادة من خبراتها . . فقد وضعت الهند برنامجا للتعاون الفني والاقتصادي ، يشمل توفير التسهيلات التدريبية لمواطني الدول النامية الأخرى ، وايفاد الخبراء الهنود في مهمات قصيرة وطويلة الأمد ، لاجراء الدراسات المناسبة في هذه الدول ، والقيام بأعمال المسح الفني ، وتوفير الخدمات الاستشارية ، وتنفيذ المشاريع الخاصة ، وتقديم الأجهزة الفنية . .

وفي نطاق هذا البرنامج مدت الهند الصديقة يد العون لكثير من البلدان الآسيوية والافريقية ، ودول أمريكا اللاتينية . .

قال لنا مرافقنا وهو يودعنا ، ويتمنى أن يكون لنا لقاء آخر مع وجه الهند الجديد : « لماذا اذن تذهبون بعيدا ! ؟ ان الذي بيننا وبين الأخوة العرب ، أقوى من كل الحدود الجغرافية التي تفصل بيننا . . لا تنسوا أن الشرق سوف يبقى شرقا دائما ! » □


الميك

بقلم : الدكتور سمير رضوان

للغذاء وظيفتان لا تستقيم حياة الا بهما ، فالغذاء أولا هو اللبنات التي تبنى منها أجسام الأحياء ، ثم هو ثانيا الوقود الذي تحرقه هذه الأحياء ليزودها بالطاقة الضرورية لشتى الأنشطة،على أن ثمة علاقة بين الميكروبات وغذاء الانسان . . وذلك هو موضوع هذا المقال .

تتكون أغذية الأحياء من مواد غير عضوية بسيطة التركيب ،وهي متوفرة بكثرة على كوكب الارض ، ومواد عضوية معقدة التركيب ، وهي التي يتسم بعضها بالندرة نسبيا ، ولحسن الحظ أن هناك أحياء على الأرض لا تتغذى الا على المواد غير العضوية السيطة ، ولا يعي ذلك بالطبع أن مثل هده الأحياء تستغني عن المواد العصوية ، إنما كل ما في الأمر أن لها القدرة على تركيب ما يلزمها من مواد عضوية من المواد غير عضوية ، وتمثل هده الأحياء في الواقع مصدر المادة العضوية الأولى على الأرض ، وأحسب أن القارىء قد فطن الى أننا نقصد بدلك النباتات الخضر بصفة عامة ، أما الأحياء الأخرى كالحيوانات بما فيها الانسان ومعظم الميكروبات ، فتحتاج ـ فضلا عن المواد غير العضوية ـ الى المواد العضوية في غذائها ، وغني عن الذكر أن هده الأحياء الأخيرة تنقصها القدرة على انتاج المواد العضوية من أخرى غير عضوية ، لذلك فهي تسطو على النباتات من أجل الحصول على المادة العضوية ، وهي تتصارع فيما بينها على هذه المادة ، ويتضح من هذا البيان الموجز أن النباتات الخضر لا بد قد سبقت الحيوانات في الوجود على سطح الأرض ، وقد أيدت الدراسات العلمية صدق دلك .

« طعامنا من الهواء والتربة والشمس »

والانسان ـ شأنه شأن شتى الحيوانات الأخرى ـ يحصل على غذائه العضوي مما تنتجه النباتات الخضر ، وهده الأخيرة تبني المادة العضوية من ثاني أكسيد الكربون الذي تحصل عليه من الهواء ، ومن الماء والعناصر غير العضوية الأخرى التي تمتصها من التربة ، وتحتاج عملية بناء المادة العضوية الى طاقة ، وقد حبا الله النباتات الخضر ـ دون الحيوانات ـ « ببطاريات » هي ما تعرف « بالبلاستيدات الخضراء » يستطيع النبات من خلالها استعمال طاقة الشمس الضوئية في ربط جزيئات ثاني أكسيد الكربون ، بهدف انتاج مادة عضوية منه في النهاية ، وتعرف هذه العملية « بالتمثيل الضوئي » ، وهي أصل المادة العضوية على كوكب الأرض ، والناتج المباشر للتمثيل الضوئي هو سكر الجلوكوز في أوراق النبات ، على أن هذا السكر سرعان ما يتحول الى مواد عضوية أخرى منها المواد الكربوهيدراتية كالنشا والسيليولوز ومنها الدهنية ، ومنها الفيتامينات والأنزيمات ، ومنها مواد ثانوية أخرى قد تستعمل في الطب والصناعة ، عندما نأكل المنتجات النباتية سواء بصورة مباشرة أو من خلال لحم حيوان اغتذى أصلا بالنبات ، فلنذكر دائما أننا انما نأكل ثاني أكسيد



الكربون من الهواء والماء ، والعناصر من التربة ، والطاقة الضوئية من الشمس التي احترنتها لنا الساتات على هده الصورة

الميكروبات منافس قوى للانسان على الطعام

لسنا وحدنا على الأرض الذين نعتمد على المادة العضوية النباتية كغذاء ، بل تحيى معنا ـ فضلا عن الحيوانات الأحرى ـ أعداد لا حصر لها من الميكروبات تغتذي بنفس المواد ، والميكروبات رغم دقة أحجامها حتى أنها لا ترى الا بعد تكبيرها بالمجهر آلاف المرات ، الا أن نشاطها لا يستهان به على الاطلاق ، فهي تعوّض دقه الحجم هذه بمعدلات تكاثر رهيبة السرعة ، وبأنشطة حيوية لا تستطيع أحياء أحرى مجاراتها فيها ، وللتدليل على ذلك نذكر الاحصائية العلمية التالية ، فقد حسب العلماء أن حلية بكتيرية واحدة تستهلك قدرا من السكر يزيد كثيرا عن ١٠,٠٠٠ ضعف لوزنها ، في فترة زمنية لا تتحاوز الساعة الواحدة ، أما الانسان البالغ فهو يستغرق كي ما يهضم قدرا من السكر يساوي ١٠,٠٠٠ ضعف لوزنه زمنا لا يقل عن ربع مليون ساعة ، أي حوالي نصف عمره أو يزيد ، ولو أن سكر الجلوكوز الذي تنتجه جميع النباتات الخضر خلال التمثيل الضوئي قد أتيح لهذه الميكروبات الاستهلاكية في ساعات قليلة ، لما بقيت مادة عضوية متاحة كغذاء لأحياء أخرى على الأرض ، لذلك فان الجلوكوز فور تكوينه يتحول الى مواد أحرى أكثر مقاومة لأنشطة الميكروبات . فصلا عن أن البيئات التي تحوى الميكروبات حعل الله فيها من الموانع ما يحول بين الميكروبات وبين أن تنشط نشاطا كاملا ،

ومن المواد الناتجة من الجلوكوز والتي تتمتع بدرجة من المقاومة لأنشطة الأحياء مادة السيليولوز التي تدخل في تركيب جذر خلايا النباتات ، والتي تمثل ما يزيد عن نصف أوزان جميع النباتات على سطح الأرض ، وواقع الأمر أن السيليولوز مادة خاملة ، نسبيا ، فيما يختص بقيمتها كغذاء للانسان ، ولكنها يمكن أن تمثل المخزون الاستراتيجي للمادة العضوية الكربونية على كوكبنا ونظرة من نافذة طائرة تعبر فوق غابة ضخمة ، تبيّن مقدار هذا المحزون الاستراتيجي الهائل الذي لم يستغله الانسان حتى الآن ، الا في صناعة الأثاث ، وانتاج الورق وكوقود ، على أن انسان المستقبل سوف يستغل أنشطة الميكروبات في تحويلها الى غذاء وعلف .

وواقع الأمر أن الحيوانات بما فيها الانسان تفتقر الى القدرة على هضم السيليولور ، ومن ثم فهي لا تستطيع الاغتذاء به ، ولا استثناء في هذا المضمار حتى للحيوانات المجترة التي تأكل العشب أساسا ، لولا أنها تحتوى في أجهزتها الهضمية على أنواع خاصة من الميكروبات هي التي تحلل السيليولوز الى سكر الجلوكوز مرة أحرى ، بل وتنتج من هدا السكر بروتينات تصبح متاحة للحيوان المجتر كغذاء ، لو استطاع الانسان احتراع أسلوب اقتصادي لتحليل مادة السيليولور الى حلوزكوز أو الى بروتينات ودهون ، لاستطاع أن يجد حلاً رائعا لمشكلة غذائه . ولقد شرع العلماء بالفعل في هذه الدراسات مستيرين بما يجري في كروش الحيوانات المجترة ، أي أنهم يطمعون في تحويل السيليلوز الى مواد غذائيه من خلال أنشطة الميكروبات

غذاء الانسان

وقبل أن نتطرق الى الحديث عن انتاج غذاء الانسان باستخدام الميكروبات فهيا ننظر أولا في ماهية المواد الغذائيه . يغتدى الانسان بالعديد من المركبات العضوية التى لا يتسنى له تركيبها بنفسه من مواد بسيطة ، أهم هده المواد الغذائية هي البروتينات الحيوانية والنباتية والكاربوهيدرات كالنشا والسكر ، وهي نباتية المصدر أساسا ، والريوت والدهون من النبات أو الحيوان ، ولن نتعرض هنا للفيتامينات التي لا يحتاجها الحسم الا بكميات ضئيلة ، أما البروتينات فتلزم أساسا لبناء الجسم ـ وأما الكربوهيدرات والدهون فهي مهمة أساسا كوقود لانتاج الطاقة ، وهذه المواد توجد في الجسم البشري في صورة ديناميكية ، اذ أن الجسم يحولها بعضها الى البعض الأخر ، وما السمنة مثلا نتيجة لالتهام كميات كبيرة من المواد النشوية والسكرية ، الا أحد الصور الواضحة لمثل هده التحولات ، وقد أصبح اليوم توفير المواد الغذائية الثلاث : البروتينات في صورة

اللحوم ، والكربوهيدرات في صورة الحبوب والسكر ، والزيوت والدهون ، اصبح توفيرها هو الشغل الشاغل لحكومات معظم العالم ، ولا نغالي حينما نقول ان الخريطة السياسية لعالم اليوم أصبحت تحدد معالمها بصورة جزئية حاجات بعض الدول من ناحية ، وانتاجية بعض الدول من ناحية أخرى للمواد الغذائية ، ولسوف يتكثف هذا الأمر في المستقبل القريب ، لذلك كان مما سيتحق الاعجاب والثناء معا أن تحقق دولة مثل المملكة العربية السعودية اكتفاء بل وفائضا من انتاج الحبوب ، برغم كل التضحيات المادية التي بذلت من أجل تحقيق ذلك

توفير الغذاء مشكلة المشاكل

يعاني العالم اليوم بالفعل من نقص الغذاء ، ومع المعدلات الفائقة السرعة التي تتزايد بها أعداد البشر ، سيصبح الاسلوب التقليدي لتوفير غذاء الانسان عاجزا عن ملاحقة هذه المعدلات ، والزراعة بمفهومها الواسع هي ما نقصده بالأسلوب التقليدي لتوفير الغذاء ، وشأن الزراعة في الواقع في حياة الانسان أعمق بكثير من مجرد كونها أسلوبا لتوفير غذائه اذ ما أن تعلم الانسان الزراعة بعد مرحلة الصيد ، حتى عرف حلاوة الاستقرار بعد طول ارتحال خلف الحيوان يصيده تارة ويقع فريسة له تارة أخرى وارتبط استقرار الانسان بإحساسه بالأمان ،

فتنبهت ملكاته الخلاقة ونمت ، وبلغ تطوره الحضاري ما بلغه اليوم ، وليس من قبيل المصادفة أن حضارات العالم قد بنت بذورها على ضفاف الأنهار ، ورغم التطورات المذهلة التي حققها الانسان في شتى المجالات ، الا أنه لم يحدث في الزراعة منذ ابتكرها تطور يشبه في عمقه ما أحدثه في الصناعة مثلا اذ مازال الانسان ـ كما كان قديما ـ يعتمد في انتاج غذائه على عدد جد قليل من النباتات الراقية ، وذلك من بين ما يزيد عن ثلث مليون من أنواع النباتات الراقية التي تعمر الأرض اليوم ، ولا ينكر أحد أن أساليب الزراعة المكثفة واستنباط السلالات النباتية قد زادت من غلة الأرض كثيرا عما كان عليه الأمر قديما ، على أن هذه الانتاجية أوشكت أن تصل الى حدودها القصوى ، ولم تعد قابلة لأية زيادة جدية ، لقد ظل الانسان اذن عبر تاريخه أسيرا في غذائه لأنواع تقليدية جد محدودة من النباتات الراقية ، ووصل بانتاجيتها الى الحد الأقصى ، أو أوشك ، فإذا أضفنا الى ذلك أن جميع الاحصاءات تفيد بأن الرقعة الزراعية على سطح الكرة الأرضية في تناقص بسبب بعض مشاكل مثل التصحر والتوسع المعماري وغيرها ، وأن كمية مياه الري هي الأخرى محدودة ان لم تكن متناقصة ، لاتضح لنا مدى صدق عنوان هذه الفقرة من المقالة .

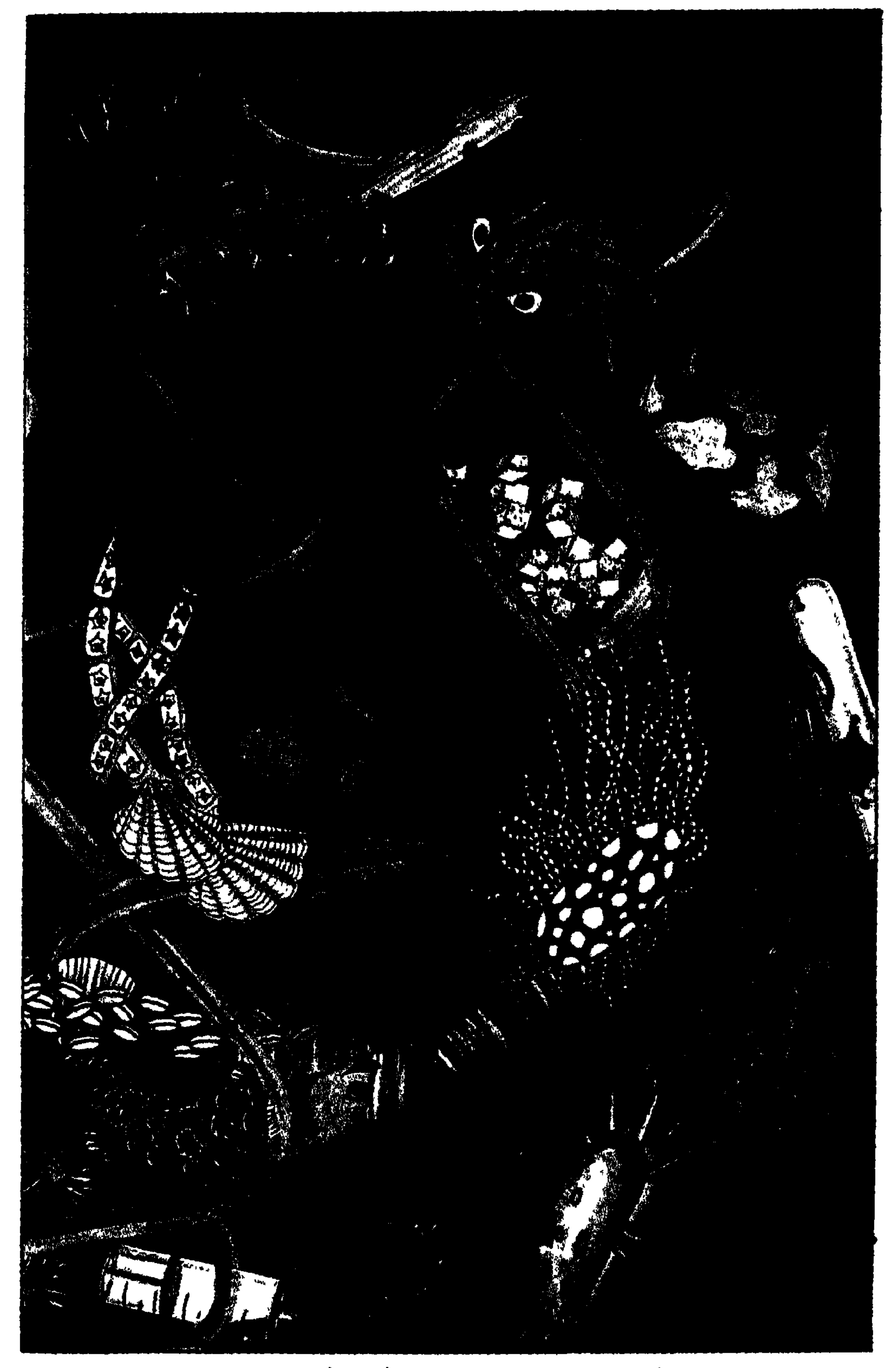
الميكروبات هي البديل المتاح

لم ينظر العلماء الى النباتات الدنيا ـ وبخاصة الى الميكروبات ـ كمصادر جادة للغذاء الا في أزمنة الاضطرار ، وعلى سبيل المثال فقد استخدمت بعض الفطريات الخيطية لتغذية الانسان في دول أوروبية إبّان الحرب العظمى الثانية ، كما أن الألمان اضطروا إبّان الحرب العالمية الأولى الى زراعة الخميرة ، وهي فطريات وحيدة الخلية ، والاعتماد عليها في غذائهم

وعالم الميكروبات الذي يشمل البكتيريا والفطريات والطحالب الدقيقة عالم رحب غير مرئي ، يعج بشتى الأنواع التي لا تخلو منها بيئة على الأرض .

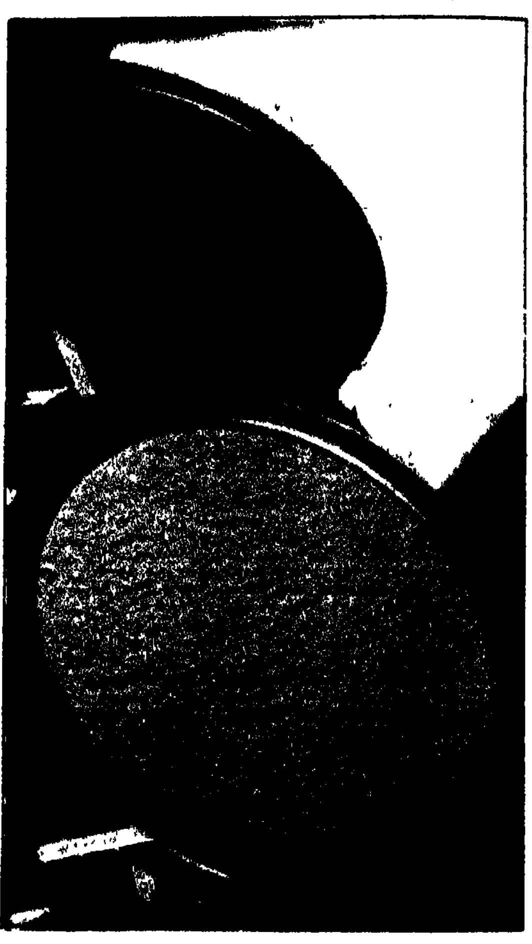
فهي تعيش وتتكاثر في التربة والمياه ، وفي الأطعمة والألبان ، وفي أجواف الأحياء الأخرى ، بما فيها الانسان ، وهي محمولة على قطرات البحار وأسطح حبات الغبار في الجو ، ومعظم هذه الكائنات مسالم لا يسبب أية أمراض للأحياء الأخرى ، وقد روض الانسان الكثير منها واستخدمه في أغراض صناعية ، مثل انتاج المضادات الحيوية والأحماض العضوية وغيرها .

والاستراتيجية العامة في انتاج الطعام تعتمد على أن الانسان يتعهد برعايته أحياء أخرى من النباتات والحيوانات الراقية ، ويزودها بمواد أولية لا تصلح له هو نفسه كغذاء ، لكي تقوم هذه الأحياء بتحويل هذه المواد الأولية الى بروتينات أو كربوهيدات أو زيوت تصلح كطعام للبشر ، بهذا المفهوم يعتبر العلماء الميكروبات أنسب الأحياء على الاطلاق لانتاج غذاء الانسان ، فهي شأنها شأن الأحياء الأخرى في تصنيع



غذاء الانسان بالبروتينات والكاربوهيدرات من الهواء والماء ، والتربة ، و الشمس

هذه الكتل الفطرية التي تشبه قوالب الحلوى ، زرعها الباحث في أوعية من البلاستيك ، ومحتواها البروتيني مرتفع وتصلح كعلف ممتاز للماشية والدواجن



البروتينات والكربوهيدرات والزيوت ، بل هي أنشط الأحياء جميعا في انتاج البروتينات التي تشبه في نوعيتها بروتينات اللحوم الحيوانية ، وتمتاز هذه الأحياء بمعدلات نمو فائقة السرعة ، لا تدانيها فيها أية أحياء أخرى ، ويستطيع الانسان في ساعات وجيزة أن ينتج أطنانا من البكتيريا مثلا بتكلفه معقولة للغاية ، خصوصاً وأن هذه الكائنات تزرع على مخلفات لا تقبلها الأحياء الأخرى في غذائها ، وتزرع الميكروبات فيما تسمى بالمفاعلات الحيوية ، والمفاعل الحيوي الواحد الذي لا يحتل من الأرض الا مقدار ما يحتله مصنع صغير يمكنه أن يدر من المواد الغذائية ما تنتجه عشرات الألوف من الأفدنة الخصبة خلال الزراعة التقليدية ، وزراعة الميكروبات لا ترتبط بفصول السنة الا بالظروف الجوية ، وقد حثت هذه العوامل



هذه الدجاجة غذيت طوال عمرها بعليقة تحتوي على كتل فطرية

جميعها علماء الأحياء على الاعتقاد بأن الميكروبات هي بالفعل بدائل للنباتات والحيوانات الراقية في مجال انتاج الغذاء في المستقبل غير البعيد .

نحن نأكل الميكروبات بالفعل

ربما انتابت بعض القراء درجات متفاوتة من الغثيان حينما يتخيلون أنفسهم وهم يتناولون كتلة بكتيرية مثلا كطعام ، والمسألة هنا ـ على جديتها ـ لا تعدو أن تكون مشكلة نفسية في المقام الاول ، ولا نشك في أن الانسان سوف يتجاوزها حينما تضطره الظروف لذلك ، ولعل كثيرين يعلمون أن الجراد مثلا والضفادع تطهى منها في مطاعم دول متقدمة أطباق شهية لاطاقة بأثمانها الا لميسوري الحال ، بينما نشعر

نحن بالتقزز لمجرد قراءة ذلك ، وبعض فرق الجيوش الخاصة تعود أفرادهـا على أكـل الثعابيـن والسحالي والفئران نيئة .

ونحن نأكل كل يوم دون وعي منا أعدادا لا حصر لها من الميكروبات ، تماما مثل ما كان يفعل أجدادنا الأولون ، فالانسان طوال تاريخه يأكل الخبز والجبن واللبن والأسماك المملحة وغيرها ، وكلها أغذية تشارك الميكروبات في انتاجها وفي تركيبهـا ، وتمثل قدرا لا يستهان بـه من قيمتها الغـذائية ، والجـرام الواحد من الجبن مثلا يحتوى عادة على ما يربو على بليون خلية بكتيرية ، وما الاختلاف بين أنواع الجبن الا نتيجة لاختلاف الميكروبات المشاركة في تكوينها ، وما الرائحـة المميزة لـلأجبان والأسمـاك الا بسبب مركبات طيارة ثانوية تنتجها الميكروبات .

وربمـا قلل من احسـاس الغثيـان لـدى البعض معرفتهم ان شريحة اللحم التي يأكلها الانسان ليست في واقع الأمر سـوى انتاج مبـاشر للميكـروبات في أجواف الحيوانات المجترة ، فهـذه الحيوانـات - كما ذكرنا - تغتذي بالأعشاب الغنية بالسيليولوز الذي لا يستطيع الحيوان نفسه له هضما ، وتنجز هذه المهمة أعداد لانهائية لأنواع معينة من البكتيريا التي تقطن مواطن معينة من جهـاز الحيوان الهضمي ، وتحـول السيليولوز الى جلوكوز ، ثم تحول معظم الاخير الى بـروتينات ، وهي تفعـل ذلك بـالـطبـع كـأسلوب لاغتذائها لا من أجل الحيوان المجتر ، تماما كما نحول في أجسادنا المواد السكرية الى مواد دهنية مثلا ، والى جوار هذه البكتيـريا تـوجد أيضـا أعداد هـائلة من الحيوانات الأولية وحيدة الخلية ، وتحتوى معدة البقرة مثلا على حوالى ٢٠٠٠ مليار حيوان أولى ، تعتمد في غذائها على التهام البكتيـريا المشـار اليها ، وتحـول بروتيناتها الى بروتينات حيوانية في خلاياها ، تماما كما نأكل نحن البروتين الحيواني ونشكل منه بروتينات في أجسـادنا ، ثم في مـوضع آخـر من جهـاز الحيـوان الهضمي تهضم الحيـوانات الأوليـة ، ومـا تبقى من بكتيريا ، وتمتص بروتيناتها ليتشكل منها لحم الحيوان الذي يقدم لنا على الموائد العامرة كشرائح شهية .

تكثفت البحوث العلمية خلال السنوات الأخيرة في مجـال انتـاج غـذاء الانسـان وعلف المـاشيـة من الميكروبات ، وقد وجدت نتائج بعض هذه البحوث سبيلها الى التطبيق فعلا .

ومن أمثلة ذلك أن دولا عديدة في الشرق والغرب أصبحت تنتج أنواعا من الفطريات الشبيهة « بعيش الغراب » في مزارع خاصة ، وتـطرح هذا الانتـاج للاستهلاك الأدمي منذ زمن ليس بالقصير ، وتؤكل من هـذه الفطريـات ما تعـرف بأجسـامها الثمـرية المتشحمة التي تختزن البروتينات وهي شهية المذاق ، وتزرع هذه الفطريات عـلى روث البهائم خصـوصا فشل الخيل ، اذ يعقم الروث تعقيما جزئيا ، ثم تنثر عليه جراثيم الفطر أو خيوطه التي كانت قد زرعت من قبل على حبوب القمح المعقمة وتترك الجراثيم لتنمو في الروث طوال اسبوعين ، يغطي الروث بعدها بطبقة رقيقـة من الرمـل وأوراق النبات المتحللة ، وتنمـو الأجسام الثمرية للفطر خلال هذه الـطبقة ، وتجنى بعد حوالى ثلاثة أشهر ، وروث البهائم يحتوى على السيليولوز واللجنين(مادة الخشب)التي تمثل غذاء الفطر ، وينتج كل قدر من الروث حوالى ثلثه من الفطر .

كما تزرع الخميرة - وهي فطريات - وحيدة الخلية - في مفاعلات حيوية بهدف استخلاص البروتينات والدهون منها ، وتستخدم في ذلك مخلفات صناعية رخيصة الثمن مثل المولاس ونواتـج صناعـة الورق والنفايات الصناعية المحتوية على السكر ، ومن خلال التحكم في نسب السكر والاملاح النيتروجينية ، في هذه المخلفات يمكن انتاج خلايا غنية بـالبروتينـات فقيـرة من الدهـون أو فقيرة من البـروتينـات غنيـة بالدهون ، ثم يمكن استخلاص الدهون بالمذيبـات العضوية ، على أننا نشير الى أن الدهون بالـذات لم ينجح الانسان بعد في انتاجها من الميكروبات بطريقة اقتصادية ، أما انتاج البروتينات من الخميرة فهو يتم بنجاح ، كما نجح العلماء حديثا في زراعة الخميرة على مخلفات النفط بهدف انتاج خلايا غنية بالبروتينـات تصلح كعلف للماشية والدواجن .

اما انتاج البـروتينات من البكتـريا فقـد حـظى باهتمام بالغ خلال السنوات العشر الماضية ، ولقد كان من حسن حظ كاتب هذه السطور أن يرى بعينيه تجربه رائدة في هذا المجال ، وأن يشارك فيها بجهد متواضع ، وذلك بأحد مصانـع الأدوية الكبيـرة في فرانكفورت بالمانيا الغربية ، حيث تزرع انـواع من

بكتريا في وسط يحتوى على الميثانول الذي تحوله في حود مصادر نيتروجينية غير عضوية الى بروتينات ، الميثانول يمكن انتاجه بسهولة من الميثان ، وهو غاز توفر في الطبيعة ، ويمكن انتاجه أيضا من خلال نشطة الميكروبات . كما يصاحب النفط أثناء انتاجه ، وقد تمكن الباحثون في هذا المصنع من فصل البروتينات ، ومن خلال اذابتها في محاليل معينة وضغطها في ثقوب دقيقة ، واعادة ترسيبها من تشكيلها على هيئة تشبه ألياف اللحم الحيواني ، وأشهد أني تذوقت هذا المنتج البكتري فلم أتبين فرقا واضحا بين طعمه وطعم اللحم الحيواني .

تجدر الاشارة هنا الى ان البروتين البكترى هو أقرب البروتينات شبها من ناحية التركيب بالبروتينات الحيوانية .

كذلك يدرس العلماء منذ عدة عقود من السنين زراعة الطحالب وحيدة الخلية كمصادر للغذاء والأعلاف وتتشابه هذه الطحالب مع النباتات الراقية في احتوائها على البلاستيدات الخضراء ، ولذلك فهي تستطيع أن تركب المادة العضوية من ثاني أكسيد الكربون الجوي ، لهذا السبب تنخفض تكلفة انتاج المادة العضوية في الطحالب اذا ما قورنت بتكلفة انتاجها في البكتيريا أو الفطريات مثلا . وتزرع الطحالب في أحواض مفتوحة معرضة لضوء الشمس ، مع تقليب الخلايا أثناء نموها ، بهدف تعريضها الى أكبر قدر من الاضاءة ، ثم تجنى الخلايا وتجفف وتطحن ، ويصلح المسحوق الناتج كعلف جيد للماشية ، أو كمادة أولية لاستخلاص البروتينات .

انتاج كتل الميكروبات كأعلاف للماشية والدواجن

اتجه العديد من العلماء الى دراسة انتاج الميكروبات النامية على مواد أولية رخيصة كأعلاف للماشية غنية بالبروتينات ، وقد اختص جانب كبير من هذه الدراسات بمشتقات النفط كمواد أولية ، وزرعت على هذه المشتقات أنواع عديدة من الفطريات والخميرة على وجه الخصوص ، وقام الدارسون بتغذية حيوانات التجارب بالكتل الفطرية الناتجة غير أن نتائج هذه الدراسات ما زالت متناقضة ، بحيث يصعب استخلاص تقويم نهائي لها ، وتجدر الاشارة هنا الى أن معظم التكلفة في زراعة الميكروبات في المفاعلات الحيوية تكمن في ضرورة أن يتم ذلك في ظروف معقمة تماما ، خشية أن تنمو مع الميكروب المطلوب ميكروبات أخرى غير مرغوبة ، وموجودة باستمرار كملوثات في الجو ، ومنها ما ينتج موادا سامة ، لذلك فأقل عمليات الزراعة هذه تكلفة هي التي يمكن فيها الاستغناء تماما عن عمليات التعقيم ، ولا يتسنى ذلك بالطبع الا من خلال توفير ظروف بيئية نوعية للغاية لا تسمح الا بنمو النوع المرغوب من الميكروبات ، وتحقيق ذلك ليس بالأمر الهين على الاطلاق .

وأود أن أشير في هذا المجال الى دراسة حديثة اجراها تحت اشرافي في قسم النبات بكلية العلوم جامعة الزقازيق الدكتور جمال الدين أحمد هلال ، وحصل بمقتضاها على درجة الدكتوراة في مستهل العام الحالي ، واستطاع من خلالها أن يعزل عددا من الفطريات الخيطية التي تفضل النمو عند درجات ملوحة مرتفعة ، وكان قد حصل على هذه الفطريات من تربة ملحية ، ثم زرعها على المولاس (ما يتخلف عن صناعة السكر) المزود بالبول الغني باليوريا كمصدر للنتروجين ، كلها مخلوطة في مياه البحر التي ركزت بالبخر ، لتصل نسبة الملح فيها الى ١٠٪ ، وبعد أيام تبخرت كتل فطرية غنية بالروتين من خلال عملية لم يجر فيها تعقيم على الاطلاق اعتمادا على أن الميكروبات الموجودة في الجو تقتلها هذه الملوحة المرتفعة ، وقد وصف الباحث طريقة مبسطة للزراعة في أوعية من البلاستيك قليلة العمق قطر كل منها حوالى متر واحد يستطيع الفلاح في الحقل اجراءها بلا خبرة خاصة ، وبلا حاجة للتقنية المتقدمة ، ومن خلال تجاربه على تغذية الدواجن أمكنه الاستعاضة عما يتراوح بين ربع ونصف العليقة المستوردة لتغذية الدجاج بهذه الكتل الفطرية الغنية بالروتينات ذات التكلفة القليلة ، ولست بعد ذلك أحسبني بحاجة الى التعليق على أهمية مثل هذه الدراسات العلمية في حل مشكلة الغذاء ، وأغلب الظن ان القرن الواحد والعشرين سوف يشهد تطبيقات مكثفة لنتائج مثل هذه البحوث العلمية . □

وجهاً لوجه





د. عبد القادر القط و د. علي شلش

- لماذا تجاوزنا الواقعية وعدنا الى الرومانسية ؟
- النقد استعداد طبيعي مثل استعداد الابداع الأدبي .
- محمود سامي البارودي بشير الرومانسية في القصيدة العربية .
- لم يستطع العقاد والمازني وشكرى أن يتخلصوا من انماط الشعر التقليدي .
- كل حاضر من حقه أن تكون له صورته الأدبية والفنية .

الحوار بين اثنين من النقاد المبدعين ، د . علي شلش يحاور الاستاذ الدكتور عبدالقادر القط ، وهو واحد من شيوخ النقد في الأدب العربي. والدكتور القط حائز على جائزة الملك فيصل في الآداب لعام ١٩٨٣ ، وجائزة الدولة التقديرية بمصر ، تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وأشرف على تحرير عدد من المجلات الأدبية مثل (المجلة ، الشعر ، ابداع . . .) ، وهو عضو مجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين) ، وعضو مجلس ادارة اتحاد كتاب مصر ، كما أن له عديدا من الكتب النقدية ، بالاضافة الى العديد من ترجماته لعيون الأدب العالمي في القصة والمسرحية .

والدكتور علي شلش من جيل تال لشيخ النقاد ، أعد رسالته للدكتوراه عن المجلات الأدبية وتطورها في مصر ، ودورها في الأدب العربي الحديث « ١٩٣٩ ـ ١٩٥٢ » ، وعمل فترة بالصحافة والنقد الأدبي ، وقام بترجمة عدد من الاثار الأدبية العالمية ، خاصة في الآداب الافريقية ، وهو عضو مجلس ادارة اتحاد كتّاب مصر .

عن الشعر والنقد والاتجاهات الأدبية الحديثة تحدث الدكتور القط الى د . علي شلش . .

عرفت الدكتور عبد القادر القط عام ١٩٥٨ . وكان تعارفنا على يدى المرحوم الناقد أنور المعداوي

وقد كان الدكتور القط ـ وقتها ـ قد تجاوز الأربعين بقليل ، وكنت أنا قد تجاوزت العشرين بقليل أيضا . ومع ذلك أفسح لى الرجل مكانا في نفسه ، وعاملني منذ البداية معاملة الصديق للصديق ، لامعاملة الأستاذ للتلميذ . ومع أن الأدب كان هواية الجميع من المثقفين المترددين على المقهى ، فقد جمعتنى والدكتور القط هواية أخرى ، هي لعبة الشطرنج ، التي شجعنا المعداوي على ممارستها كل ليلة ، وسط احتدام المناقشات حول الأدب والنقد .

وماهي الاسنوات قلائل ، حتى اختفى الدهر على المقهى ورواده . فقد سقط المقهى تحت سنابك التنظيمات الجديدة في ميدان الجيزة ، واستأذن في الرحيل أمام زحف البنايات الجديدة ، فانتقلنا الى مقهى آخر حديث . بميدان الدقى ، اختار له المعداوى اسم « انديانا » ونقلنا اليه ، فانتقلنا جميعا بالأراجيل والأدب والشطرنج والصداقة والود . ثم ودع المعداوي نفسه الحياة بعد سنوات ، أو على التحديد عام ١٩٦٥ ، فودعنا نحن المقهى ، وتناثرنا كأوراق الخريف ، وشرق بنا الزمان وغرب ، ولكنا أبقينا على الصداقة والود ، وسقيناهما على مر السنين . ومن حق الدكتور القط على أن أعترف هنا بأنى تعلمت منه الكثير . وربما كان التواضع والموضوعية على رأس الدروس التي أخذتها عنه .

في هذا اللقاء على أىّ حال محاولة من جانبي لوصل ماكنا بدأناه يوما ما ، على موائد مقهى الكمال ، من حوارات متعددة الجوانب والزوايا . ولكني سأركز على ثلاثة محاور لحديث الوجه للوجه هذا ، هي : الشعر ، والنقد ، والمجلات الأدبية . والسبب في هذا التركيز هو أنني أرى في المحاور الثلاثة السابقة ثلاثية يمكن أن تلخص عمل الدكتور القط واهتماماته الأساسية . ولعل من المناسب أن أسجل حوارنا حول هذه المحاور الثلاثة ، كما جرى ، في تدفقه الهادىء وانسيابه التلقائي ، بادئا بسؤال من عندى ، مثنيا بجواب من عنده ، وهكذا .

في البدء كان الشعر

● لاحظت أنك بدأت حياتك الأدبية ، في مجال النشر ، بالقصة القصيرة . فقد نشرت قصتين قصيرتين بمجلة « الثقافة »

عام ١٩٤٣ . وكنت فيهما أقرب الى الشعر ، حتى في التناول والمفردات . ولهذا السبب - كما أوضحت لى ذات مرة - اقتصرت في الأعوام التالية على كتابة الشعر . وأذكر أن أول قصيدة لك تأخر نشرها حتى عام ١٩٤٥ ، وبعدها مضيت مع الشعر ، ولم تعد الى القصة الا ناقدا . ومع أنك حققت في الشعر ماكنت ترمى اليه من كتابة القصة ، وكنت - في رأيي - صوتا متميزا وواعدا من الأصوات التي ازدحمت بها ساحة الشعر خلال النصف الأخير من الأربعينيات . ولكن سفرك الى لندن للدراسة عام ١٩٤٦ ، كان أيذانا بالصمت عن كتابة الشعر ، فلم تعد اليه بعد ذلك الا ناقدا ، ثم جمعت مانشرته عامى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ وأصدرته عام ١٩٥٨ في ديوان بعنوان متواضع ، هو : « ذكريات شباب » ، كأنك كنت تريد البعد عن الشعر . وأذكر أنني سألتك ذات مرة ، وأنا أعد رسالتي للدكتوراة :

ما سر توقفك بعد تلك البداية الناضجة ؟ فقلت لى بتواضع : لقد شغلتني الدراسة الجامعية ، ثم شغلني التدريس بعد عودتي عام ١٩٥٠ . هل لى أن أسالك الآن : ألم تشعر عامى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ بأن قصائدك لفتت الانتباه ؟

-.نعم . حدثنى بذلك البعض وقتها . وكان ما لفت انتباههم الى قصائدى هو مستواها الفنى . وأعتقد أن ماحققته فيها من مفهوم الحداثة ، واستخدام الصور الرومانسية الجديدة ، والسيطرة الكلاسكية على اللغة ، ساهم في تقدير الناس لها .

● ألم يكن على محمود طه ومحمود حسن اسماعيل - على سبيل المثال - قد حققا في شعرهما شيئا كبيرا من ذلك ؟

- هما متميزان بالطبع من هذه الناحية برغم خلافهما ، ولكن شعراء آخرين ، مثل ناجي والشابي وايليا أبي ماضى ، كانوا بعيدين الى حد ما عن هذه السيطرة على اللغة ، وهذا التعبير الوجداني بصورة الرومانسية الأصيلة . . .

● ماالذي كان يفرق بين شعرك وشعر محمود حسن اسماعيل مثلا في تلك الفترة ؟ أو لأقل : هل كان فخرى أبو السعود صاحب مزاج « رومانسى » بالمعنى الذي تريده وصياغة كلاسكية ؟

- كان فخرى أبو السعود أميل الى البناء الكلاسيكي التقليدى ، هذا صحيح وقد أشرت أنت الى ذلك في تقديمك لديوانه الذي جمعته له أخيرا . ولكن محمود حسن أسماعيل كان مرتبطا بالتراث أيضا ، برغم روحه الرومانسية ، وما كان يشغله من معانى العدالة والحرية الانسانية .

● ومع ذلك كان محمود حسن اسماعيل يفتقر في كثير من الأحيان الى مايمكن أن نسميه عذوبة اللفظ وسلاسة الصورة . .

- ليست العذوبة وحدها ، وانما تركيب اللغة ، والعبارة الشعرية ، والتصور المجازى المركب للأشياء . . .

● وربما أضيف المبالغة أيضا ، أي الاسراف في الخيال الشعرى . وأذكر الآن تعبيرا طريفا للدكتور مندور حيث وصف طاقة محمود حسن اسماعيل الشعرية وقتها بأنها « طاقة وحشية » .

- نعم .

● ينقلنى هذا الحديث الى شوقى ، والبارودي من قبله ، ففيهما « رومانسية » واضحة ، ولاسيما في مسرحيات شوقى . وقد أشرت أنت بنفسك في كتابك « الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر » الى ذلك .

- البارودى واضح التقليد ، ولكن تجربته في الغربة - وهو شيخ - فرضت عليه العودة الى ذاته ، ولذلك أعده بشيرا للحركة الرومانسية في القصيدة العربية . ثم جاء شوقى . ومع أنه تجاوز البارودي

من حيث الصياغة والعبارة ، وأصبح أكثر حداثة وأصالة ، فقد ارتد في قصائده الى ماتجاوزه البارودي نفسه ، فأصبح شاعرا كبيرا مرتبطا بالأحداث السياسية الكبرى . ومع ذلك ردته المسرحية ، أو الكتابة للمسرح ، الى الذاتية المفقودة ، لأن الموقف المسرحي ألزمه بمثل طبيعة الشخصية ، فحاول الارتداد الى ذاته . وماكان يستطيع ذلك في القصيدة . لأنه كان يستمد فيها الأنماط والصيغ الشعرية من التراث . ولذلك تجد محور نقد العقاد لشوقي غير منصب على الصياغة ولا الصورة الشعرية ، وانما انصب على أن الشعر صورة صادقة لوجدان الشاعر ، فأخذ عليه شعر المناسبات مثلا .

ومع ذلك لم يستطع العقاد والمازني وشكري ـ برغم مآخذهم على شوقي وهي مآخذ فنية ـ أن يتخلصوا من انماط الشعر التقليدي ، مما يدل على أن دعوتهم الى التجديد كانت دعوة نظرية .

● لقد بحثت أنت ذلك بتفصيل كبير في كتابك الذي أشرت اليه قبل قليل ، وأعتقد أنك كنت على حق في تحليلك لمنجزات جماعة الديوان . ولكن دعوة جماعة الديوان في مجملها بدأت قبل ظهور ثالوثها المعروف

ـ نعم .

● بماذا تعلل تخطينا ـ على أيدي ثالوث هذه الجماعة بالذات ـ لمنجزات الواقعية في أوروبا ؟ فأنا الاحظ أنهم أخذوا ـ باعترافهم ـ عن كثيرين من شعراء أوروبا ومع ذلك تجاوزوا الواقعيين ، وعادوا الى الرومانتكيين .

ـ هذا صحيح . وحتى حين ترجمنا من أوروبا تجاهلنا المرحلة الواقعية ، وعدنا الى الرومانسية ومحورها الذات . وأنا أعلل ذلك بأن الاتجاه الرومانسي كان يناسب حاجة المجتمع العربي في ذلك الوقت ، ويتشابه مع بشائر الرواية والأدب القصصي . أضف الى ذلك أن ظهور طائفة من المثقفين العرب تحس بذاتها وعجزها في الوقت ذاته عن الارادة والتنفيذ قد ساهم في سرعة تقبلنا للرومانسية . فالصراع بين الرغبة والعجز عن الوصول الى مايطمح اليه المثقف ، بالاضافة الى الوعي العاطفي بما في المجتمع من تناقضات ومشكلات ، كل ذلك شكل عناصر أساسية في رومانسيتنا ووعينا غير المكتمل بالمجتمع . ولهذا ليس من الغريب أن تترجم قصائد عديدة لبايرون وشيلي وكيتس ولامارتين ، وأن يترجم المنفلوطي بطريقته الخاصة روايات مجدولين والشاعر ، بل أن يعيد المترجمون ترجمة قصائد بعينها أكثر من مرة ، كما حدث مع قصيدة « البحيرة » للامارتين .

● أذكر أيضا أن قصة قصيرة مثل « في ضوء القمر » للفرنسي جي دي موباسان ترجمت نحو أربع مرات متتالية في الفترة من ١٩٣٥ الى ١٩٤٥

ـ هذا صحيح .

● هل تعتقد أن الواقعية تمكنت من الظهور في أدبنا ، حين بدأ الأدباء العرب يدركون الواقع بالنقد أو بالاستشراف لواقع أفضل ؟

ـ نعم والدليل على ذلك أن ادراك مفاسد الواقع بشكل غانم بدأ في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية . وهنا بدأ الواقعيون العرب في الاستفادة مرة أخرى من نظرائهم الاوروبيين وما أظن نجيب محفوظ الا متأثرا بديكنز ولاسيما في روايتي : زقاق المدق ، بداية ونهاية .

● هل تعتقد أننا استجبنا للرومانتكية بجميع جوانبها ؟

ـ أعتقد أنه لابد من ادراك الجانب الايجابي في الرومانسية ، وهو أن الاهتمام الذاتي فيها كان مادة للأديب ، يسقط عليها موقفه من الحياة والمجتمع . وكان الشاعر العربي يجد في تجربة الحب مثلا ، مادة صالحة لتحمل كل الرموز المعبرة عن أشواق الانسان . ولذلك فنحن نظلم الرومانسية دائما ، حين نتحدث عن جانبها السلبي ، ولكن وجهها الأساسي ، بوصفها مذهبا أدبيا كبيرا يعبر عن مرحلة خاصة ، هو التعبير عن الهموم الاجتماعية من خلال التجربة الذاتية .

● نحن نستخدم هنا مصطلحين مختلفين ، فأنت تقول : الرومانسية ، وأنا أقول : الرومانتكية . وأنت تستخدم المصطلح الشائع حاليا بالطبع ، ولكن هذا المصطلح قد يوقعنا - في رأيي - في سوء فهم معين ، لأن الرومانسية قريبة جدا من مصطلح « الرومانسي Romance » المستخدم في اللغات المتفرعة من اللاتينية بمعنى « رواية الفروسية والغرام والمغامرات » ، وأخشى أن يوقعنا هذا في مشكلة ، ولذلك أميل الى استخدام مصطلح « الرومانتكية » مع أن صحة النسبة العربية هي « الرومانسية » وهو ماترجم به المصطلح في الثلاثينيات، ولكن شاع استخدام ترجمة«الرومانسية»، ولا سيما في دراسات أساتذة أقسام الأدب العربي في الفترة الأخيرة .

- أنا شخصيا أفضل « رومانسية » على « رومانتكية » ، لأن الأخيرة تتضمن نسبتين احداهما للمصطلح الأوروبي والأخرى للنبية العربية

● أعتقد أنك لو لم تكن ناقدا لكنت شاعرا ، أليس كذلك

- نعم . وحتى حين حاولت أن أجرب بعض الأشكال الفنية الأخرى ، مثل القصة القصيرة ، وجدتها تنتهي الى شبه قصيدة نثرية

● هل تنطق بهذا الحكم الآن ، أم كنت تعتقد أن ماكتبته من قصص مستوف لشروط القصة النثرية ، أعني هل تقول هذا من موقعك اليوم كناقد ناضج ؟

- هذا صحيح . ولكن المشكلة أنني كنت منذ البداية أملك احساس شاعر ثم جاءت الدراسة الجامعية فربطتني بالتراث ، وتخصصت في اللغة العربية ، ودرست على أيدي أساتذة كبار : طه حسين ، وأمين الخولي ، ومصطفى عبد الرازق ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الحميد العبادي ، وأحمد أمين وغيرهم وكانت أعداد الطلاب وقتها في الجامعة قليلة جدا تصل الى ٧ طلاب في الصف الواحد . ولهذا ارتبطنا بأساتذتنا ارتباطا شخصيا ، فضلا عن الخدمة المكتبية المتفوقة في ذلك الوقت . ثم عملت بعد تخرجي مباشرة أمينا لمكتبة الجامعة لمدة سبع سنوات ، وشاركت في تأسيس قاعة مطالعة كبيرة . ومما يجدر ذكره هنا أن فترة السنوات السبع هذه شاركت في تكويني الثقافي ، مما يعادل سنوات الدراسة الأربع في قسم اللغة العربية .

● كيف ظهر النقد اذن ؟ من أي قناة ظهر ؟

- الحقيقة أن الانسان حين يديم القراءة يجد نفسه متأملا فيما يقرأ ، بحيث يكون فيه رأيا خاصا . وبمداومة النظر والتأمل تتشكل النزعة الى النقد ، ولكنها تظل في تلك المرحلة مرافقة لعملية القراءة . وقد تتحول بعد ذلك الى نشاط أدبي خاص اذا اتخذت صورة المقال أو الكتاب

● هل لك رأي معين في عملية الاستعداد للنقد ؟ من تراه حاسة مثل الحاسة الشعرية أو القصصية ؟

- نعم النقد عندي استعداد طبيعي يشبه الى حد كبير الاستعداد الفني للابداع . فالأديب يستقي تجربته من الحياة مباشرة ، والناقد يستمد مادته من الصورة الفنية للحياة ولكنه - أي الناقد - مدفوع الى النقد بسبب الاستعداد الطبيعي ، الذي يدفع الشاعر أو القصاص الى رصد الحياة ونقدها من خلال عمله الابداعي وغير صحيح مايقوله بعض أدبائنا من أن الناقد أديب فاشل ، لاننا اذا سلمنا بالتصور الذي طرحته فإن الناقد يتساوى مع المبدع في وجود الاستعداد . وهذا الاستعداد تصقله وتنميه الخبرة والممارسة ولاشك أن دور الموهبة في الابداع أكبر بالضرورة من دور الاستعداد الفطري في النقد

فالشاعر قد ينبغ وهو مايزال في سن مبكرة جدا ، معتمدا على موهبته أو سيطرته على اللغة . أما الناقد فلابد أن يؤازر فطرته قدر كبير جدا من الاطلاع على النماذج الابداعية من ناحية ، وعلى أعمال كبار النقاد ومذاهب النقد من ناحية أخرى وقد يضطر الى معرفة كثير من نظريات الفنون الأخرى المتصلة

مثل الرسم والموسيقا .

● هل معنى هذا أن النقد أخذك تماما ، وأقصاك عن الابداع الشعري مثلا ؟

ـ نعم .

● ألم تكتب شعرا وأنت تمارس النقد ؟ هل كتبت شيئا ولم تجرؤ على نشره أو جمعه ، مثلما فعلت في ديوانك « ذكريات شباب » ؟

ـ نعم . عندي بعض القصائد التي لا أرضى عن نشرها . المهم أنني أكتفيت بدوري الجديد كناقد .

● لهذا السبب وجدت نفسك قريبا من أصحاب المحاولات الأولى في الشعر الحر ؟ لقد كنت من أوائل النقاد الذين وقفوا في صف الشعر الحر واستبسلوا في فهمه والدفاع عنه . هل تغيرت نظرتك الآن بعد التغيرات الكثيرة التي طرأت على القصيدة الحرة في السنين الأخيرة ؟.

ـ نعم . كان الشعر الحر من أسرع ألوان الشعر مقدرة على اكتساب أنماط وصيغ خاصة ، والالتفات الى تجارب معينة ، حتى أصبح انتاج رواده بعد سنوات قلائل متشابها الى حد كبير في طبيعة التجربة والتعبير . وقد أحس رواده بهذه الأزمة ، ولعل أبرزهم صلاح عبد الصبور الذي حاول الخروج من الازمة وطريق القصيدة المسدود ، فاتجه الى كتابة المسرحية . أما اليوم فقد ظهرت طائفة من الشباب تتجه عن قصد الى المبالغة في الرمزية ، والتجريد الى الحد الذي يبلغ مشارف السيريالية . .

● ولكن هذا اتجاه يلزمه الكثير من الوعي والنضج . أليس كذلك ؟

ـ بالطبع . فلا ضير فيه اذا كانت تلك هي رؤية الشاعر الفنية ، ولكن المشكلة هي أن ذلك يتطلب وعيا كاملا باسرار اللغة ، وانطلاقا من فلسفة واضحة لدى الشاعر حول معنى الرمزية والتجريد ، والاحساس بقدرة هذا اللون من الشعر على الوصول الى دائرة معقولة من القراء . ولكن مانقرؤه من نماذج هذا الاتجاه ينبىء في أغلبه عن ضحالة المعرفة اللغوية ، واحتذاء بعض رواد الرمزية المعروفين ، والاعتماد على تراث الشعر الحر ، وهو تراث قصير قليل يتسم بطابع التجربة في النهاية ، ولايمكن أن يتخرج عليه شاعر كبير يتجاهل تراث أمته الشعرى ، أو يقصر في معرفة لغته معرفة كاملة . وأنا لي كلمة مأثورة أقولها كثيرا لأصحاب هذا الاتجاه ، هي : كانهم يكتبون للأجيال القادمة .

● شيء طبيعي أن يكتب الشاعر أو الأديب بوجه عام ، للأجيال القادمة ، ولكن الشيء غير الطبيعي أن يكتب بلغة قاصرة وأدوات ضعيفة ، وموهبة ضحلة ، ووعي فج . اليس كذلك ؟

ـ نعم . ولكن كل حاضر من حقه أن تكون له صورته الأدبية والفنية في عصره ، وأن يجد القراء صورة من واقعهم فيما يقرؤ ون من ابداع .

● المشكلة التي ظهرت اليوم هي أن العرب على اتساع رقعتهم وا مكاناتهم ، لم يعودوا يملكون مجلة أدبية قومية مثلما كانت « الرسالة » القاهرية ، أو الآداب « البيروتية » ، وأصبحت المجلات الثقافية ـ وهي كثيرة اليوم ـ تتمتع بمكانة المجلة الأدبية القومية من حيث الانتشار ، في حين أن نصيب الأدب فيها محدود جدا .

ـ ربما كان الكثير من هذه المجلات الثقافية لا يحقق أيضا طابع المجلة الثقافية من حيث التنوع والجودة ، بسبب زحف فنون الاخراج والتصوير على صفحاتها ، ولكن الحلم بمجلة تكون لها شعبية « الرسالة » عسير التحقيق ، لالضعف الامكانات ، أو قلة الأدباء ، ولكن لطبيعة العصر . فقد توزعت اهتمامات الناس في هذا العصر ، وغلب الاتجاه العلمي ، وشغل الناس بالصحافة والاذاعة والتلفاز . وأصبحت طائفة كبيرة ، مثل الشباب ، تفضل التلفاز على قراءة القصة في مجلة أدبية . ومع ذلك فبرغم الطابع المحدود لقراء المجلة الأدبية المتخصصة ، فإن هؤلاء القراء المحدودين لهم تأثير فكري واشعاع في المجتمع الذي يعيشون فيه □



مرض الثعلبة

ليس حكراً على الشعر

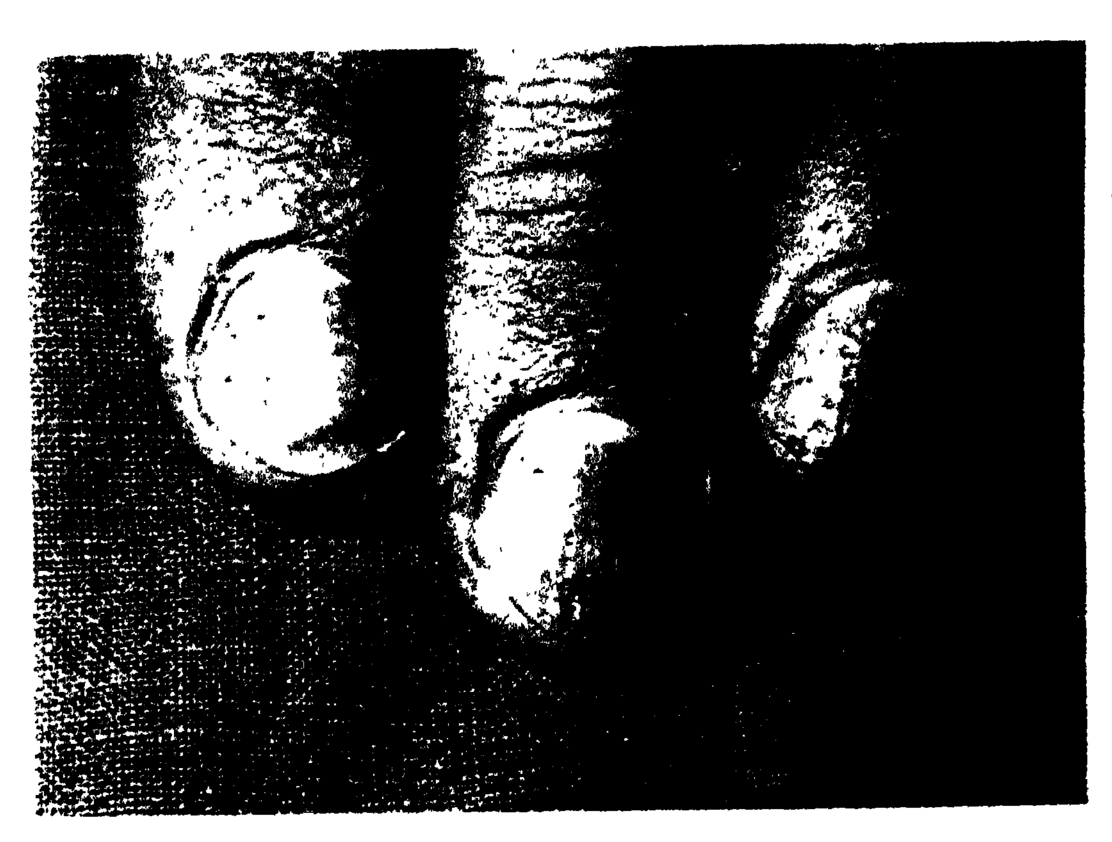
فقد يصيب الظفر والعين أحياناً

بقلم : الدكتور محمد عبدالله المشاري *

تبلغ نسبة الاصابة بمرض الثعلبة ٣٪ من اجمالي المترددين على عيادات الأمراض الجلدية في الكويت ، وقد وردت هذه النسبة في دراسة قام بها كاتب هذا المقال ، مع الدكتورة «علية المنيس» بمساعدة الدكتور «محمد الشايب» المدرس بقسم الرياضيات بجامعة الكويت .

يعتبر مرض الثعلبة مجهول السبب ، إلا أن هناك نظريات كثيرة تتحدث بهذا الصدد ، أهمها نظرية تربط ما بين مرض الثعلبة والعامل النفسي ، حيث تبين أن ٧٢٪ من مرضى الثعلبة قد

* دكتوراة واستشاري الأمراض الجلدية



اظافر مصابة بمرض الثعلبة

تعرضوا الى أزمات نفسية حادة سبقت ظهور أعراض المرض ، هذا ومن الملاحظ بأن المرض يكثر بين الطلاب والطالبات ، خصوصا في فترات الامتحانات ، وذلك لما يصاحب هذه الفترة من ارهاق نفسي وفكري ، وعادة ما تتحسن الحالة باجتياز هذه الفترة النفسية الحرجة .

كما أن هناك نظرية مفادها أنه يوجد نسبة كبيرة من مرضى الثعلبة مصابون كذلك بالتهابات حادة أو مزمنة ، كتسوس الأسنان ، التهابات اللوزتين ، الجيوب الأنفية ، الأذن الوسطى . الخ ، هذا والغريب أنه قد وجد ان بعض مرضى الثعلبة مصابون كذلك بضعف النظر ، حيث تحسنت حالتهم باستعمال نظارة طبية .

وهناك نظرية تفيد بأن مرض الثعلبة يكثر ما بين المرضى المصابين بأمراض الحساسية ، وخصوصا حساسية الجلد « أكزيما » ، حيث تبين أن ١٨٪ من مرضى الثعلبة مصابون كذلك بأمراض الحساسية

بينما هناك نظرية مؤداها أن الثعلبة مرض ناتج عن تفاعل مناعي ذاتي ، حيث لسبب أو لآخر تتكون في جسم المريض أجسام مضادة لبويصلات الشعر ، فيحصل نوع من التفاعل بين هذه الأجسام المضادة وبويصلات الشعر ، تؤدي في النهاية الى تساقط الشعر وظهور المرض ، وقد تبين أن ٨٪ من مرضى الثعلبة مصابون كذلك بأمراض الغدد الصماء كالسكر ، البرص ، الغدد الدرقية ، بعض أمراض الدم ، الدئبة الحمراء ، التهابات القولون التقرحي ، الحزاز ، تصلب الجلد المحدود

ويستفاد من بعض البحوث أن العامل الوراثي ، والاستعداد الشخصي يساعدان على ظهور المرض ، حيث اتضح من دراسة حديثة أن ٢٧٪ من المرضى المصابين بالثعلبة قد أصيب أحد أفراد عائلتهم بهذا المرض

هذا وهناك نظرية قديمة لا تستند الى أساس علمي ، مفادها أن مرض الثعلبة يكثر بين

الأشخاص ذوي الشعر الأسود أكثر من غيرهم .

كما أن مرض الثعلبة يصيب الرجال والنساء بنسبة متساوية ، ويصيب الأطفال أيضا ، وقد تبين من دراسة احصائية أن نسبة الاصابة بالمرض في ما دون سن العشرين تبلغ ٤٤٪ ، بينما هي ١٩٪ عند المرضى الذين تعدوا سن الأربعين ، أما عن معدل الاصابة عند الأطفال ، فتبين ان ١٪ من الحالات تظهر عند الأطفال في ما دون سن الواحدة من العمر ، بينما نجد أن المرض يكثر بين الأطفال عند سن ٤ ـ ٥ سنوات .

من هذا نستنتج أن مرض الثعلبة من الممكن أن يصيب الرجال والنساء ، كبارا كانوا أو صغارا ، ولكن تكثر نسبة الاصابة في ما بين العقد الثاني والثالث .

أعراض المرض

يتميز مرض الثعلبة بتساقط الشعر من منطقة محدودة ، حيث تصبح منطقة الاصابة خالية تماما من الشعر ، ويظهر الجلد ناعما أملس ، وعادة ما تحدث الحالة بصورة مفاجئة وسريعة ، من غير أن يحس بها المريض ، حيث غالبا ما يكون الحلاقون هم الذين ينبهون المرضى بوجود الحالة ، أو قد يستيقظ المريض صباحا ويجد نفسه مصابا بالمرض ، ومن الملاحظ بأن الشعر عند أطراف المنطقة يكون نحيفا عند ملامسته الجلد ، وهو ما يسمى بعلامة تعجب الشعر ،

ومنطقة الاصابة قد تكون واحدة أو في عدة أماكن ، هذا ومن الملاحظ بأن ٦٠٪ من حالات الثعلبة تظهر في منطقة فروة الرأس ، ولكن قد يظهر المرض في أي مكان بالجسم كالذقن ، والشنب ، والحواجب ، والرموش ، والابط ، والصدر ، والعانة ، والرجل ، والساعد ، واليد . وعند تساقط شعر فروة الرأس بكامله يطلق على هذا النوع « الثعلبة الكاملة » بينما تساقط الشعر من كل أجزاء الجسم يسمى بالثعلبة الشاملة ، ولحسن الحظ فان نسبة الاصابة بهذين النوعين قليلة ، حيث لا تتعدى ٥ ـ ١٠٪ من حالات الثعلبة .



مرض الثعلبة

ومرض الثعلبة مثلما يصيب الشعر فانه قد يصيب أعضاء أخرى من الجسم ، كالأظافر مثلا ، حيث كثيرا ما تكون احدى ضحايا المرض ، حيث تبين بأن نسبة اصابة الأظافر عند المرضى المصابين بالثعلبة هي ٣٣٪ ، هذا وقد تبين بأن الأظافر تصاب عندما تكون اصابة الشعر شديدة وسيئة ، وعادة ما تكون اصابة الأظافر على هيئة حفر صغيرة منتشرة على كل أجزاء الظفر ، أو قد تكون الاصابة على هيئة حرف طولي ، أو تلون داكن يظهر على الظفر

ومن الأعضاء التي قد تصاب عند مرضى الثعلبة هي العين ، حيث تكون الاصابة على هيئة مياه بيضاء في العدسة ، وهو ما يسمى « بالكاتاراكت » واصابة العين عادة ما تظهر عند المرضى المصابين بالثعلبة الشاملة ، ولحسن الحظ فان نسبة الاصابة بهذا النوع من الثعلبة قليلة جدا .

علاج المرض

أما بالنسبة للعلاج ، فقد وجد أحد الباحثين بأنه لو ترك المرض دون علاج فان ثلث الحالات سوف

تتحسن حالتهم بعد خمس أو ست شهور ، بينما الثلث الأخر تتحسن حالتهم بعد مرور خمس سنوات ، أما الثلث الأخير فلا تتحسن حالتهم بتاتا .

هذا وتوجد وسائل عديدة تستعمل في علاج مرض الثعلبة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، استعمال بعض الأدوية المهيجة لمكان الاصابة ، حيث تساعد هذه الأدوية على تنبيه واثارة بويصلات الشعر في منطقة الاصابة ، مما يساعد على نمو الشعر ، حيث ثبت نجاح هذا الأسلوب من العلاج ، وهو كثيرا ما يستعمل في علاج مرض الثعلبة ، خصوصا اذا علمنا أنه لا توجد أعراض جانبية عند استعمال هذا الأسلوب من العلاج . « الكورتيزون » هو أحد الأدوية التي تستعمل في علاج المرض ، فقد يستعمل كدهان موضعي ، أو قد يستعمل بحقن الدواء بواسطة جهاز خاص في مكان الاصابة ، وتستعمل هذه الطريقة اذا كانت منطقة الاصابة محدودة الحجم والعمر ، وقد يستعمل « الكورتيزون » في علاج الحالات الشديدة ، كالثعلبة الكاملة والشاملة ، وذلك باعطاء المريض هذا الدواء بجرعات كبيرة ، ولمدة طويلة قد تصل الى عدة شهور .

وقد تستعمل الأشعة فوق البنفسجية في علاج بعض الحالات ، خصوصا اذا كانت منطقة الاصابة كبيرة وشديدة .

هذا ومن الملاحظ كذلك بأن نسبة نجاح علاج هذا المرض تعتمد على مكان ، وحجم وعدد ، وعمر الاصابة . حيث تكون نسبة النجاح أكبر اذا كانت منطقة الاصابة محدودة الحجم والعدد ، وفرصة نجاح العلاج تكون أكبر اذا كانت منطقة الاصابة بالرأس مثلا ، وكلما طال عمر الاصابة كلما قلت فرصة نجاح العلاج ، ومن الملاحظ كذلك أن فرصة العلاج تكون أكبر اذا كان المريض قد تعدى سن البلوغ ، ومن الجدير بالذكر بأن الحالة قد تعاود المريض من آن الى آخر .

هذا ومن خبرتي في علاج مرض الثعلبة أستطيع أن أقول ان فرصة نجاح العلاج كبيرة حيث قد تصل الى ٨٠ ـ ٩٠٪ من الحالات ، اذ عادة يبدأ نمو الشعر بعد ثلاثة الى أربعة أسابيع ، حيث ينمو الشعر في البداية ضعيفا وأشقر اللون ، وسرعان ما يبدأ بالتحول الى اللون والشكل الطبيعي خلال خمسة الى ستة أسابيع تقريبا .

ومن الأدوية الحديثة التي تستعمل في علاج مرض الثعلبة ، دواء جديد يستعمل في الأصل لعلاج مرضى إرتفاع ضغط الدم ، ولكن اتضح بالصدفة بأن المرضى الذين يتعاطون هذا الدواء لاحظوا أن نمو شعرهم قد ازداد كثافة ، وحتى المرضى المصابين بالمراحل الأولية للصلع قد لاحظوا بأن الشعر ابتدأ بالنمو ، ومن هذه الملاحظة استعمل هذا الدواء حديثا لعلاج حالات الثعلبة ، وحالات المراحل الأولية لظهور الصلع ، وذلك باستعمال الدواء كسائل أو مرهم يدلك به منطقة الأصابة .

هذا وقد قام أحد الباحثين بعمل دراسة تتعلق بهذا الموضوع ، واتضح أن ٨٠٪ من المرضى المصابين بالثعلبة قد تم علاجهم بنجاح ، ولم يعرف الى الآن سر هذا الدواء ، ولكن يعتقد بأن له دوراً مهبطاً لجهاز المناعة ، والمعروف بأن لجهاز المناعة دور في ظهور المرض ، كذلك يلاحظ بأن هذا الدواء له دور منشط للدورة الدموية في مكان الاصابة ، وذلك مما يساعد على سرعة الشفاء . □

■ غدا أو بعد غد ، يمارس الناس سيئاتك التي كانوا ينهونك عنها ! (برنارد شو) .

■ كن صديقا . . ولا تطمع في أن يكون لك صديق (فكري أباظة) .

■ الذين يقاومون العقل بالترهات ، انما يضربون الهواء النقي الطليق بسيف صديء (ميخائيل نعيمة) .

من طريف الشعر ونادره

التندر بالحيوان

بقلم : الدكتور توفيق الفيل

عرف القدماء ان الحياة لا يمكن ان تخلص كلها للجد ، وان للطرفة دورا تقوم به في تنشيط النفس ، ومساعدتها على القيام بدورها الخلاق في شتى مناحي الحياة . وقد روى عن ابي الدرداء رحمه الله قوله : « اني لاستجم قلبي بشيء من اللهو لأقوى به على الحق » .

يجعل الاصمعي الطرفة مكملة لدوره العلمي ، فاذا كان العلم قد اوصله الى مكان الصدارة في مجتمعه ، فان الملَح قد جلبت اليه العطايا ، وقد روى عنه قولَه : « بالعلم وصلنا وبالمِلَح نلنا » . اما ابن مسعود رحمه الله فقد روى عنه قوله : « القلوب تمل كما تمل الابدان ، فاطلبوا لها طرائف الحكمة » .

ولأهمية النادرة والطرفة ومايجلبانه من الخير لصاحبها جَدَّ الظرفاء في الوقوف عليها . وقد جاء عن احدهم قوله :«اني لأسمع بالكلمة المليحة ومالي الا قميص واحد ، فأدفعه الى صاحبها ، واستكسى الله عز وجل » وقد كان الشعراء من اكثر الناس تحصيلا للنوادر والطرف وابداعا لها ، وذلك مايكشف عنه قول ابي نواس :-

اني انا الرجل الحكيم بطبعه
ويزيد في علمي حكاية من حكى
أتتبع الظرفاء اكتب عنهم
كيما احدث من احب فيضحكا

ويشير احد الشعراء الى اكتمال ممدوحه ، وصحة نفسه ، وانه يجمع بين الجد والظرف والشدة واللين . فيقول :-

الجدّ شيمته وفيه فكاهة
سمح ولاجدٌ لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقة
لاخير في الصهباء مالم تقطب

ولمعرفة أسلافنا لقيمة الطرف والنوادر ، وظفوا كثيرا من الاشياء في بنائها ، وكان للحيوان نصيب غير قليل من السخرية والاضحاك . ويمكننا ان نرصد ذلك من جهتين :

الاولى : حين تنفق دابة لمن تربطهم به صلة ، فيسارعون الى اتخاذها موضوعا للمداعبة ، واثارة الضحك ، سواء كان ذلك بطريق مباشر ، أو عن طريق ما اطلق عليه البلاغيون « الجد الذي يراد به الهزل » .

ويمثل الظاهرة الاولى تلك المداعبة التي حدثت بين ابي الحسين الجزار واحد اصدقائه فقد نفق حمار لابي الحسين الجزار ، فكتب له صديقه معزيا ومداعبا :

مات حمار الاديب .. قلت لهم
مضى وقد فات ما فاتا
من مات في عزه فاستراح ومن
خلف مثل الاديب ماماتا

ولم يكن الشاعر ليترك صاحبه ، وقد سخر منه ، وجعل الفقيد كأنه والده ، وبأن الاديب قد بقي عوضا عن الفقيد . فأجابه قائلا :

كم من جهول رآني
امشي لأطلب رزقا
فقال لي صرت تمشي
وكل ماشٍ ملقى
فقلت مات حماري
تعيش انت وتبقى

ويمثل الظاهرة الثانية ، وهي التي قلنا أن البلاغيين يعبرون عنها « بالجد الذي يراد به الهزل » ما حدث في حضرة الصاحب بن عباد حين نفق « برذون » ابي

عيسى أحد جلسائه ، فاوعز الى عدد من الشعراء برثاء هذا « البرذون » وأسفر ذلك عن وجود عدد من القصائد التي تستحق وقفة خاصة . ومن بين ما جاء في هذه القصائد ما كتبه القاضي الجرجاني ، حيث يقول :

جل والله ما دهاك وعزا
فعزاء أن الكريم معزى
والحصيف الكريم من إن اصابت
نكبة بعد ما يعز يعزى
هي ماقد علمت احداث دهر
لم تدع عدة تصان وكنزا
قصدت دولة الخلافة جهرا
فأبادت عمادها والمعزا

ويمضي القاضي الجرجاني في بيان عظم النكبة التي اصابت ابا عيسى ، وما يجب عليه من الصبر والتأسي . لكن جهة الملاحة في هذه المرثية تظهر حين يعرف المصاب وانه لا يعدو ان يكون دابة طال عليها الزمن ونفقت ، والمصاب فيها ليس جليلا كما يقول شاعر آخر . هو ابو القاسم بن العلاء .

عزاء وان كان المصاب جليلا
وصبرا وان لم يغن عنك فتيلا
وخفض ابو عيسى عليك . ولا تفض
دموعا، وان كان البكاء جميلا

ولعله مما يكشف عن الغرض في قصيدة ابي القاسم قوله :

بكته جلال الخز، وانتحبت له
مخالي حرير رُحن منه عطولا
اقام عليه آل أعوج مأتما
وأعلى له آل الوجيه عويلا
ففي كل اصطبل أنين وزفرة
تردد فيه بكرة وأصيلا
ولو ولت الجرد العتاق حقوقه
لما رجعت حتى الممات صهيلا
ولو انصفته الخيل ماذقن بعده
شعيرا ولا تبنا ومتن غليلا

ولا يتسع المقام للكشف عن الجوانب المختلفة لما اطلق عليه « البرذونيات » ولهذا أفردناها بدراسة مستقلة ، وحسبنا ما أشرنا اليه هنا .

والجهة الثانية التي اتخذ منها الشعراء الحيوان هدفا لملحهم وطرائفهم كانت سخرية من عجاف « الضأن » وهزاله . وفي هذا الجانب بالغ الشعراء حتى جعلوا الغنم تارة لا تشتمل على غير الاهاب ، واخرى جعلوها تشتمل على العظام ، وأرجعوا سبب ضعفها وهزالها الى حرمانها من الطعام الذي أصبح اغل أمانيها .

وحتى تكتمل الملاحة والظرف لهذا الشعر ، ويصل الى الغاية التي ارادها اولئك الشعراء ، ضمنوه شعرا لغيرهم من الشعراء ، وجعلوا هذه الأغنام تتغنى به ، يقول أحدهم واصفا لخروف هزيل :

ليت شعري عن الخروف الهزيل
ألك الذنب فيه أم للوكيل
لم أجد فيه غير جلد وعظم
وَذُنَيب له دقيق طويل
ماأراني أراه يصلح اذا أص
بح رسما على طلول الطلول
لا لشيء ، ولا لطبخ ولا بيع
ولا بر صاحب وخليل
أعجف لو مطفل نال منه
لغدا تائبا عن التطفيل

أما شرف الدين بن عين ، فيعلل لما كان عليه الخروف من الهزال والضعف ، ويرجع ذلك الى حب اصابه ، وهجره الحبيب ومطله ، فأصبح اثرا بعد عين ، ويسأله عن السبب ولو وقف في شمس الظهيرة ما ظهر منه غير خيال . . والشاعر يحاور هذا الخيال الساري ، ويسأله عن السبب الذي جعله يصل الى تلك الحالة . فيجيبه بأن سبب ذلك يعود الى عدم وجود طعام له حتى لقد اصبح هذا الطعام غاية ما يتمنى . يقول الشاعر :

أتاني خروف ما تشككت انه
حليف جوى قد شفه الهجر والمطل
اذا قام في شمس الظهيرة خلته
خيالا سرى في ظلمة ماله ظل
فناشدته : ماتشتهي؟ قال : فتة
وقاسمته : ماشفه؟ قال لي : الاكل
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى
منعمة ما خص اطرافها فتل
وظل يراعيها بعين ضعيفة
وينشدها والدمع في الخد منهل

اتت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل»

وقد كان « للحمدوني » اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه تضمينات حسنة قالها في شاة سعيد بن احمد . ومن بينها قوله :

أسعيد قد اعطيتني أضحية
مكثت زمانا عندكم ماتطعم
نضوا تعاقرت الكلاب بها وقد
شدوا عليها كي تموت فيولموا
فاذا الملا ضحكوا بها قالت لهم
لا تهزءوا بي وارحموني ترحموا
مرت على علف فقامت لم ترم
عنه . وعنت والمدامع تسجم
«وقف الهوى بي حيث أنت فليس متأخر عنه ولا متقدم»

ويقول عن هذه الشاة في مقطوعة اخرى .

أبا سعيد لنا في شاتك العبر
جاءت وما ان لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت
طعامها الأبيضان الشمس والقمر
لو انها ابصرت في نومها علفا
غنت له ودموع العين تنهمر
يامانعي لذة الدنيا بأجمعها
اني ليفتنني من وجهك النظر

ولا يقف الاضحاك من شاة سعيد عند « الحمدوني » على هذا الشعر ، فهو يتناولها في شعر آخر ، يتحدث فيه عن ضعفها وهزالها ، وذلك بسبب حرمانها من « العلف » الذي تتغنى به وتتمناه ، وهو يختم كل مقطوعة من شعره في تلك الشاة ، بتضمين من شعر أحد الشعراء ، وكأن هذا التضمين هو اللمسة الأخيرة التي يضعها الشاعر على هذه الطرفة أو تلك .

وللحمدوني تضمينات اخرى ، لكنها ليست في الشاة ، بل في طيلسان ابن حرب . ولقد كان احمد بن حرب المهلبي « من المنعمين على الشاعر والمحسنين اليه ، وله فيه مدائح كثيرة » وقد وهب له طيلسانا لم يرقه ، فاتخذ منه موضوعا للاضحاك والسخرية وتدور معانيه في هذا الطيلسان على قدمه ، وبعد الزمان به ، وكثرة تردده على الرفاء لاصلاح ما فسد منه .

وينقل صاحب زهر الاداب عن ابي العباس المبرد ، أن الحمدوني انشدهم في هذا الطيلسان عشر مقطوعات ، وأنهم استحلوا مذهبه فيها ، فجعلها فوق الخمسين ؟ فطارت كل مطار وسارت كل مسار ، فمنها .

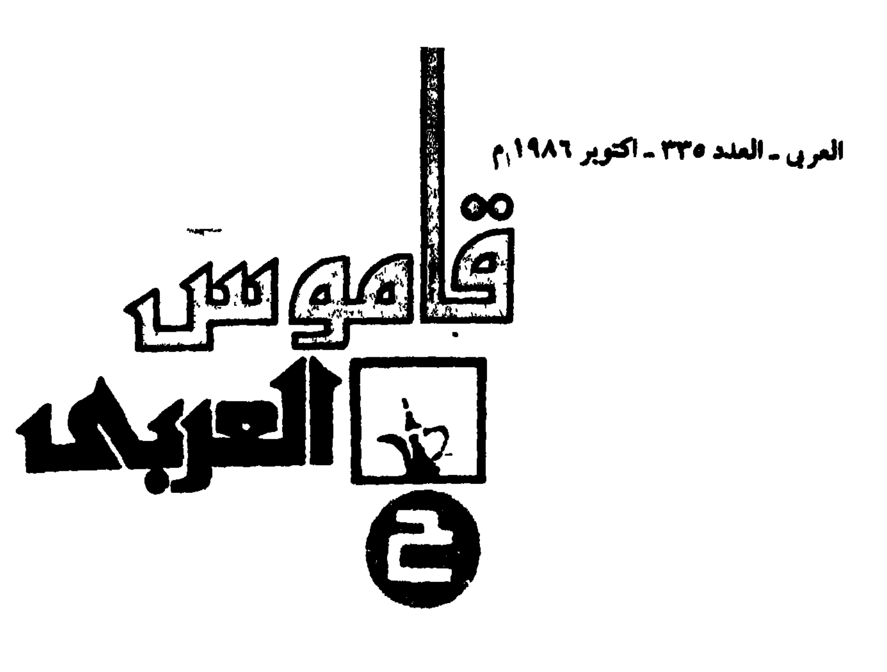
يابن حرب كسوتني طيلسانا
مل من صحبة الزمان وصدا
فحسبنا نسج العناكب قدحا
ل الى ضعف طيلسانك سدا
طال ترداده الى الرفو حتى
لو بعثناه وحده لتهدى

ويكثر الحمدوني في حديثه عن الطيلسان من التضمين ، وخصوصا من القرآن الكريم وذلك على نحو ما نجد في قوله .

طيلسان لابن حرب جاءني
قد قضى التمزيق منه وطره
انا من خوف عليه أبدا
سامري ليس يألو حذره
يابن حرب خذه.. او فابعث بما
نشتري عجلا بصفر عشره
فلعل الله يحييه لنا
ان ضربناه ببعض البقره
فهو قد ادرك نوحا فعسى
عنده من علم نوح خبره
ابدا يقرأ من أبصره
آئذا كنا عظاما نخره

ويطول بنا المقام اذا نحن تتبعنا ما قال الحمدوني في هذا الطيلسان ، أو في شاه سعيد ، ولعلنا في نهاية هذا الحديث نشير الى ما يتميز به هذا النوع من الشعر ، وأول ما نجد فيه من القيم الفنية اختيار الكلام السهل الذي يقترب من لغة الحديث اليومي ، فالشعراء الذين أسهموا في هذا النوع يبتعدون عن جزالة اللفظ وهندسة العبارة ، فغرضهم الاضحاك ، والالفاظ السهلة تؤدي هذا الغرض ، بل انها الصق به واليق .

كما يتميز هذا الشعر بالمبالغة التي نجدها قاسما مشتركا عند شعراء الاضحاك انهم كرسامي الكاريكاتير في زماننا هذا في ابرازهم لامر من الامور ، والمبالغة فيه حتى يصبح لافتا للنظر . □



حرب

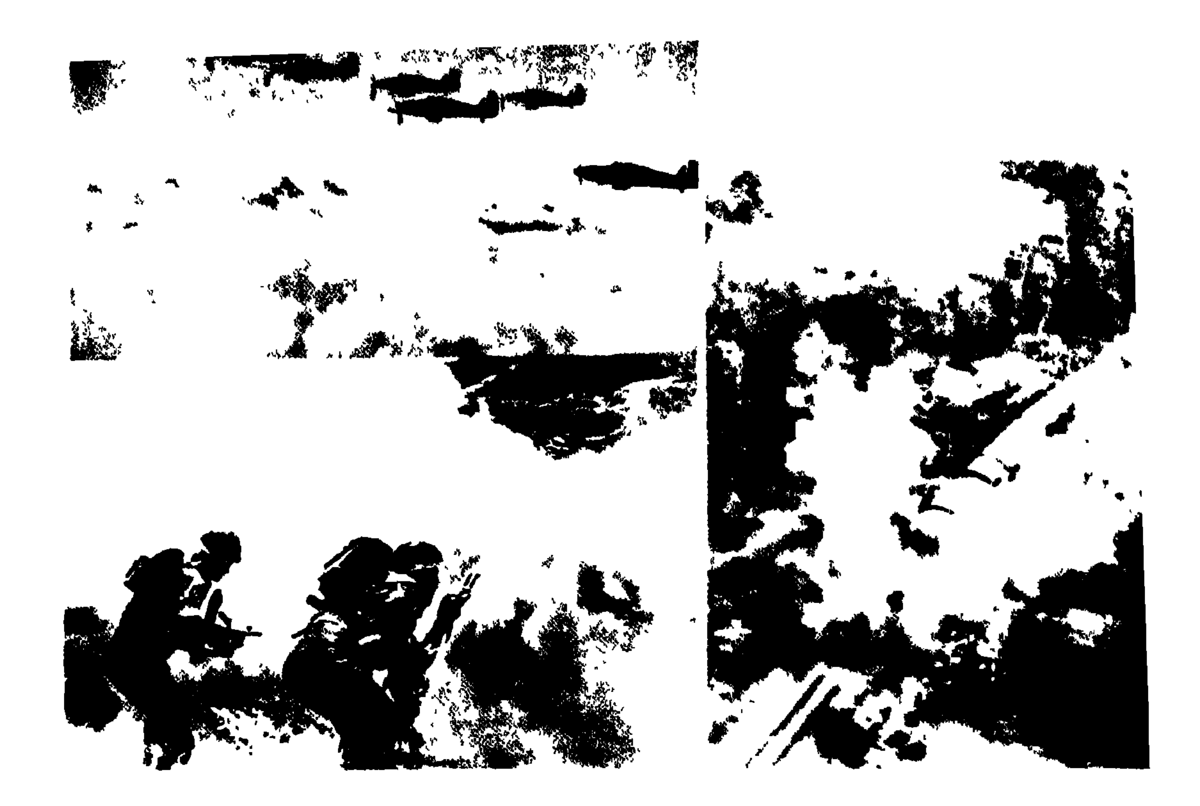
ظاهرة انسانية لازمت الانسان منذ بدء الخليقة ، ويمكن تعريفها ببساطة بأنها استخدام الضعف والقوة والارغام ، لحماية مصالح ، أو تحقيق أطماع ، أو توسيع نفوذ ، أو لحسم خلاف ، ويضع كلاوزفتر المؤلف العسكري الألماني المشهور في كتابه « الحرب » تعريفا محددا للحرب بأنها أداة من أدوات السياسة ، وهي امتداد لها ، مستخدمة وسائل أخرى ، بقصد اجبار الخصوم على الخضوع للارادة .

وتعد الحرب واحدة من أكثر الظواهر الانسانية تعقدا أو تشعبا ، وأكثر الظواهر الانسانية التي كتب عنها ، وطرحت حولها النظريات والآراء ، وهي ظاهرة تخضع لأكثر من زاوية رؤية عند محاولة فهمها .. ففيها وجهات النظر العسكرية الفنية البحتة ، وفيها وجهات النظر والنظريات الاقتصادية والسياسية والقانونية والنفسية والاجتماعية والقانونية .

ولا يختلف تحليل ظاهرة الحرب باختلاف زاوية الرؤية فقط ، بل باختلاف الزمان والمكان ، وبمرور الزمن وتطور الفهم الانساني لحركة المجتمعات وتطورها وصراعاتها ، وفي اطار هذا التصنيف فان الحروب التي تنشأ ـ مثلا ـ لأسباب اقتصادية ، فان حساباتها تتقيد بحسابات الخسائر والأرباح ، وتظل مجرد حرب تقليدية مالم يتسع مداها الجغرافي ، ويمتد شمولها (عدد المقاتلين) وتحسم الحروب الاقتصادية المنشأ بتحقيق هدفها ، أو ادراك طرفيها باستحالة الحسم ، بينما تمتد الحروب التي تخاض على أساس ديني أو عقائدي حتى الاستسلام غير المشروط ، أو نهاية الطرف الآخر ، ومثل هذه الحروب ـ المقدسة ـ يصعب حاليا قيامها على نطاق واسع ، يمتد ليشمل العالم كله ، كما حدث في الحربين العظميين الأولى والثانية .

وتعتبر قاعدة التجنيد الاجباري الذي وضعته الثورة الفرنسية بمثابة مفصل تحول في تاريخ الحرب كظاهرة انسانية ، فقد تحولت من مجرد جيوش صغيرة ـ وفرسان هنا أو هناك محترفي قتال ، أو جيوش نظامية محدودة ، الى ظاهرة تمس المجتمع كله اقتصادا أو حركة انتاج وتركيب سكان وآثارا اجتماعية بخلاف الآثار السياسية والاقتصادية التي تنعكس على الدولة .

وفي سياق تطور تاريخ الحرب فان الثورة الصناعية الكبرى ، وتغير شكل الانتاج في المجتمع الدولي ، والبحث عن تقسيم جديد للعمل ، وترويج للسلع ، وفرص أكبر لاستثمار التراكم النقدي الذي حدث للثروات .. كل هذه العوامل وغيرها جعلت من الحرب أداة ضرورية ـ من وجهة نظر هذه المجتمعات



آنذاك ـ لتحقيق الغزو الاستعماري بحثا عن مواد خام وأسواق لتصريف المنتجات وأيد عاملة رخيصة .

وتختلف المدارس الفكرية في اجتهاداتها لتفسير ظاهرة الحرب ، فالمدارس النفسية تعزوها الى دوافع وغرائز بيولوجية كالخوف والطمع و . . . و . . . بينما ترى المدارس الاجتماعية أن المؤسسات الاجتماعية هي المسؤولة عن نشوء الحرب ، ومن هنا فإن كثيراً من الليبراليين يعتقدون أن التوسع في الحريات المدنية كفيل بايجاد حكومات ترفض الحرب ، وأن التعاون الدولي والتجارة الحرة واسقاط القيود الاقتصادية والسياسية كفيلة بان تجعل المجتمع الدولي يعيش في رفاهية ورخاء ، بينما ترى بعض المدارس السياسية أن فكرة القومية هي سبب الحرب ، فالتعصب والنزعة القومية هما سبب اندفاع الشعوب الى الموت ، وظهرت على مدى التاريخ تيارات وجماعات ضد الحرب ، وأداناتها ، بل وذهب عديد من الحركات الى الغاء الحرب كوسيلة سياسية ، وفي نفس الوقت الذي يطالب فيه « مالتوس » صاحب نظرية السكان المشهورة بتقنين الحرب كوسيلة وحيدة لمنع الانفجار السكاني .

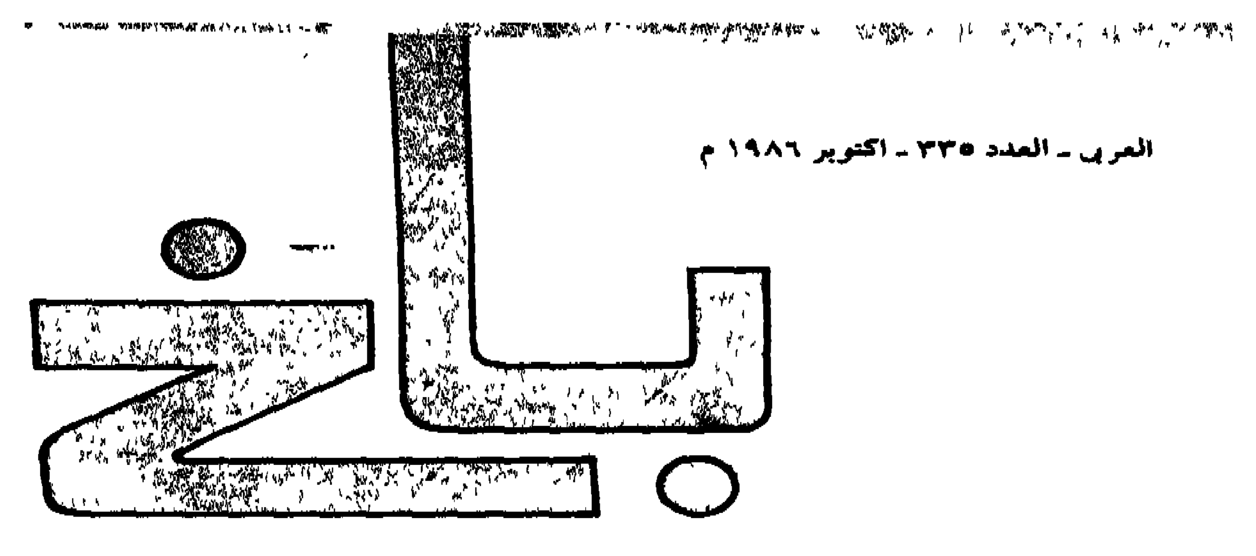
وعلى أية حال فان الحرب ـ كما قلنا ـ ظاهرة انسانية لا تدانيها ظاهرة أخرى في تشعبها وفي ما كتب عنها ، الا أنها تظل وبصدق أسوأ الظواهر الانسانية ، فهي لا تخلف الا الدمار للانسان وللحضارة ، ولكل القيم الانسانية الرفيعة ، ولكل ما أثمر الانسان في مشواره الطويل من خلق وابداع وابتكار . □



بالاجماع

تولى بول هنرى سباك السياسى البلجيكى رئاسة أول جمعية عامة للامم المتحدة ، وعندما انتهت الدورة ، وقف يقول لزملائه ان جدول الاعمال قد أنهك والسكرتير العام ايضا منهك ، وأنا بدورى منهك وهكذا ترون أيها السادة أننا قد وصلنا الى الاجماع فى النهاية !

العربي ـ العدد ٣٣٥ ـ اكتوبر ١٩٨٦ م



من النسيان إلى التكريم

بقلم : الدكتورة سم

في عام ١٦٨٥ ولد ثلاثة موسيقيين عظام هم : باخ وهاندل وسكارلاتي
الماضي ١٩٨٥ عام الاحتفال الدولي بالموسيقيين الثلاثة ، ولكن من بين الثلا
بالجزء الاعظم من الاحتفال والاحتفاء . وتلك صورة لتكريم الموسيقي
اعماله ان تنسى بعد وفاته .

كان عام ١٦٨٥ عاما مثمرا حقا في تاريخ الموسيقا ، فهو الذي شهد مولد اثنين من عباقرة الموسيقا في ألمانيا هما : يوهان سباستيان باخ (الاب) (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) ، وجورج فردريك هاندل (١٦٨٢ ـ ١٧٥٩) ، وفي ايطاليا ولد في نفس العام أحد كبار موسيقييها هو دوميكو سكارلاتي .

وهكذا أعلن عام ١٩٨٥ عاما للاحتفال الدولي بالمؤلفين الثلاثة . الا أن باخ الكبير هو الذي استأثر بأهم وأكبر مظاهر الاحتفالات الدولية ، حتى أن اسمه وموسيقاه قد طغيا تماما على معاصريه هاندل وسكارلاتي . . . وهكذا نال الرجل الذي عاش مكدودا مرهقا ، يعاني من شظف العيش وضعف البصر والموارد ، نال الرجل بعض حقه الطبيعي من التكريم الذي بدأ العالم الموسيقي يحيطه به بعد قرن كامل من وفاته .

رسالة انسانية موجعة

وقد نشطت قبل بداية هذا العا
الموسيقي عن مؤلفات باخ ، وفد
الموسيقيين الالمان ، هولموت ريلنا
حياته وخبرته الفذة في قيادة الك
وخصوصا في مؤلفات باخ ، فسلا
العالم على نوتات لبعض غنائيات
باخ ، التي لم تنشر من قبل ، وا
مجموعة التسجيلات الشاملة لك
الكورالية والتي توفر على اخراجها
استعدادا لهذه المناسبة التاريخية ،
فيها كورال « جيشنجر » الشهير ا
ريللنج بدقته العلمية وموسيقيته ال
العثور على هذه النوتات نبأ دوليا حم

ـيم

ـحه الخولي

ـي،وكان العـام
ـثة استأثر باخ
الـذي كادت

ـام ، أعمال التنقيب
ـلا عشر أحد كبـار
ـلنج ، الذي كرس
ـكـورال والاركسترا
ـلا عثر هـذا الفنان
أي « كـانتاتـات »
استكمـل بـادائهـا
ـل مؤلفـات بـاخ
ا عبر عدة سنوات
وهي تسجيـلات
الذي انشأه ويقوده
ـعالية . ولقد كان
ـلته وكالات الانباء



يوهان سباستيان باخ

في العالم وأشارت فيه الى انه قد أنجز تسجيل جميع أعمال باخ الكورالية على اسطوانات موثقة بتقديم وشرح علمي .

وقد لمع اسم ريللنج هذا في الاعـوام الماضيـة ، لارتباطه ارتباطا وثيقا باسم وبموسيقا باخ ، فهو ينظم منذ بضعة سنوات مهرجانا سنويا في شتوتجارت يحمل اسم باخ ، وهو الذي يدرب فرق الكورال العديدة التي تشارك فيه ، كما يقود الاركسترا والكورال فيه ، ولكن مهـرجان بـاخ في شتوتجـارت هذا العـام كان مهرجانا دوليا بحق ، اذا احتشدت فيه عدة كورالات

ألمانية
ضم ،
وأعد
والترك
في الـ
تقتصـ
بل اتـ
واسـ
قمم
عمية



من النسيان إلى التكريم

بقلم : الدكتورة سمحه الخولي

في عام ١٦٨٥ ولد ثلاثة موسيقيين عظام هم : باخ وهاندل وسكارلاتي، وكان العام الماضي ١٩٨٥ عام الاحتفال الدولي بالموسيقيين الثلاثة ، ولكن من بين الثلاثة استأثر باخ بالجزء الاعظم من الاحتفال والاحتفاء . وتلك صورة لتكريم الموسيقي الذي كادت اعماله ان تنسى بعد وفاته

كان عام ١٦٨٥ عاما متميزا حقا في تاريخ الموسيقا ، فهو الذي شهد مولد اثنين من عباقرة الموسيقا في ألمانيا هما : يوهان سباستيان باخ (الاب) (١٦٨٥ - ١٧٥٠) ، وجورج فردريك هاندل (١٦٨٢ - ١٧٥٩) ، وفي ايطاليا ولد في نفس العام أحد كبار موسيقييها هو دومينيكو سكارلاتي .

وهكذا أعلن عام ١٩٨٥ عاما للاحتفال الدولي بالمؤلفين الثلاثة . الا أن باخ الكبير هو الذي استأثر بأهم وأكبر مظاهر الاحتفالات الدولية ، حتى أن اسمه وموسيقاه قد طغيا تماما على معاصريه هاندل وسكارلاتي . وهكذا نال الرجل الذي عاش مكدودا مرهقا ، يعاني من شظف العيش وضعف البصر والموارد ، نال الرجل بعض حقه الطبيعي من التكريم الذي بدأ العالم الموسيقي يحيطه به بعد قرن كامل من وفاته .

رسالة انسانية موجعة

وقد نشطت قبل بداية هذا العام ، أعمال التنقيب الموسيقي عن مؤلفات باخ ، وفعلا عثر أحد كبار الموسيقيين الالمان ، هولموت ريللنج ، الذي كرس حياته وخبرته الفذة في قيادة الكورال والاركسترا وخصوصا في مؤلفات باخ ، فعلا عثر هذا الفنان العالم على نوتات لبعض غنائيات أي « كانتاتات » باخ ، التي لم تنشر من قبل ، واستكمل بأدائها مجموعة التسجيلات الشاملة لكل مؤلفات باخ الكورالية والتي توفر على اخراجها عبر عدة سنوات استعدادا لهذه المناسبة التاريخية ، وهي تسجيلات فيها كورال « جيشنجر » الشهير الذي انشأه ويقوده ريللنج بدقته العلمية وموسيقيته العالية . ولقد كان العثور على هذه النوتات نبأ دوليا حملته وكالات الانباء في العالم وأشارت فيه الى انه قد انجز تسجيل جميع أعمال باخ الكورالية على اسطوانات موثقة بتقديم وشرح علمي .



يوهان سباستيان باخ

وقد لمع اسم ريللنج هذا في الاعوام الماضية ، لارتباطه ارتباطا وثيقا باسم وموسيقا باخ ، فهو ينظم منذ بضعة سنوات مهرجانا سنويا في شتوتجارت يحمل اسم باخ ، وهو الذي يدرب فرق الكورال العديدة التي تشارك فيه ، كما يقود الاركسترا والكورال فيه ، ولكن مهرجان باخ في شتوتجارت هذا العام كان مهرجانا دوليا بحق ، اذا احتشدت فيه عدة كورالات المانية مع اركسترا ضخم رفيع المستوى دولي التكوين ضم عازفين شبانا من عدة دول ، من بينها مصر ، وأعد هذا المهرجان برنامج موسيقي شديد الكثافة والتركيز ، فكانت الحفلات الموسيقية تزيد على ثلاثة في اليوم الواحد ، في أماكن متعددة من المدينة ، ولم تقتصر الاعمال الموسيقية على مؤلفات باخ وحده ، بل اتسعت الى ما اعتبره المنظمون امتدادا لروح باخ واسلوبه في معالجة التأليف الكورالي والارتفاع به الى قمم شامخة من التعبير الملهم عن معان انسانية ودينية عميقة . ومن هذا المنطلق نرى مهرجان شتوتجارت في

أغسطس ١٩٨٥ بأداء رائع لقداس الحرب من موسيقا بنجامين بريتن (١٩١٣ ـ ١٩٧٧) والذي حمله رسالة انسانية موجعة ، وصرخة ضد الحرب والدمار ! وقد شارك في الغناء الفردي في هذا العمل المؤثر ثلاثة مغنين من كندا وبريطانيا ، كانوا جميعا على أعلى مستوى من الكفاءة الصوتية والتعبيرية . وبهذه المعاني والانغام الحزينة تحول مهرجان باخ الدولي الى دعوة للسلام والاخاء وتعاون عالمي وثيق حول موسيقا باخ .

قدر من النشاز

وعلى الصعيد الاعلامي نظم التليفزيون الالماني الغربي ، من برلين ، صورة طريفة للاحتفال بباخ في أطول برنامج ، استغرق عرضه ست ساعات متواصلة ، وأطرف مافيه انه يقدم باخ بملابس عصره ، وقد عاد للحياة في القرن العشرين ليشهد بنفسه اين وكيف تقدم موسيقاه . . . فيظهر الممثل القائم بدور باخ بملابس العصور بالباروكة البيضاء وهو مشدوه من مظاهر التقدم التي يراها ، حين يأخذونه في السيارات والطائرات وعلى السلالم المتحركة وفي المصاعد ، لكي يستمع الى عشرات النماذج من أعماله ، وتزداد دهشته كلما اتسع نطاق ترديد العالم لموسيقاه ! فمن ألمانيا قدموا عدة فرق للكورال ، وفتاة في الثانية عشرة حازت على جائزة في مسابقة باخ الدولية ، وهي تعزف احدى مقطوعات المتتالية الفرنسية ، ولكن أغرب فقرة هي التي اخذتنا فيها الكاميرا الى الهند وتحت شمسها الساطعة ، لكي نستمع الى مجموعة من الآلات الهندية تقدم بها عزفا لاحدى مقطوعات موسيقا باخ !! وهي مجموعة تخلل عزفها قدر ملفت من « النشاز » !

واختتم هذا البرنامج الضخم بمسابقة حول اسماء وأعمال مرتبطة بباخ وبمعاصريه ، وكانت جائزتها الاولى رحلة حول العالم بالطائرة !

ومن ألمانيا خرج أيضا اوركسترا وكورال ، يقوده هلموت ريللنج نفسه ، الى مدن سويسرا وايطاليا ليقدم اداءه النموذجي للقداس الكبير من مقام « سي » الصغير في عشر حفلات ناجحة تماما .

أما ألمانيا الديمقراطية فقد انتجت فيلما وثائقيا عن حياة باخ ، أبرزت فيه الجانب الانساني من حياة هذا الرجل الصبور المكافح ، الذي كد وجهد حتى نال التعب من نور عينيه ، وكانت حياته حافلة بمشاكل في العمل والمال . . . وقد نجح هذا الفيلم ، في تقريب باخ الانسان لمحبي الموسيقا بل ولمشاهدي التليفزيون عامة في عصرنا ، بما لم يحدث من قبل .

وهناك مناسبتان دوريتان تقيمهما ألمانيا الشرقية بالتناوب كل عام وهما : مهرجان باخ الموسيقي الدولي ، ومسابقة باخ الموسيقية الدولية .

عيد سعيد يا باخ

وفي بقعة بعيدة تماما عن موطن باخ ، في الطرف الجنوبي للولايات المتحدة وبالذات في ولاية فلوريدا ، كان هناك في شهر اكتوبر ١٩٨٥ احتفال شيق بذكرى مولد باخ يستحق الذكر هنا لطرافته . . . فقد قام مدرسو الموسيقا في مدارس تاميا وسانت بطرسبورج بفلوريدا بتكليف تلاميذ المدارس الابتدائية والاعدادية في هذه المنطقة ، بكتابة موضوعات حول ذكرى باخ وحياته وفنه .

وتم انتخاب أفضل هذه الموضوعات ، وفي احدى حفلات الاوركسترا في المدينة اعد قائد أوركسترا الهواة في المدينة ، واسمه لارى كاليسون برنامجا موسيقيا خاصا للاطفال ضم بعض مؤلفات باخ المحبوبة مثل متتالية الرشيقة لآلة الفلوت والوتريات ، ودعى الاطفال الذين اختيرت موضوعاتهم لقراءتها على الحاضرين من زملائهم وأسرهم ، وقام الاطفال أنفسهم بتزيين قاعة المسرح لهذا الاحتفال ، ولعل أجمل ماكتبوه تعبيرا عن براءة الطفولة وعن نجاح فكرة اشراكهم في الاحتفال ، انهم اعدوا لوحة ضخمة كتبوا عليها بالالوان « عيد ميلاد سعيد يا باخ !! »

وبهذه الطريقة المبتكرة نجح الاوركسترا والمدرسون في تقريب الأواصربين الاطفال وبين باخ وموسيقاه ، ونجحوا ايضا في تبديد هالة الرهبة التي كثيرا ما تحيط بموسيقا باخ في اذهان المبتدئين في تعلم عزف الموسيقا .

الصبي الصغير عضوا في كورال كنيسة القديس مايكل في لونبرج ، وبعد اربع سنوات عمل عازفا للأرغن في كنيسة آرنشتات ، وكان يجيد عزف الارغن إجادة فائقة ، ولم يكن من بين معاصريه في المانيا من يباريه في مقدرته على عزف الارغن والارتجال عليه

وباخ لم يحقق هذا التفوق بيسر بل انه تكبد في سبيله مشاق تستحق أن تروى ، فقد كان في عصره اثنان من شيوخ موسيقا الارغن هما راينكن وبوكستهوده وقد سعى باخ الى شمال المانيا في رحلة شاقة سيرا على الاقدام لمجرد ان يستمع الى راينكن ويستفيد من خبرته ، وفي مناسبة أخرى ترك وظيفته طوال اربعة شهور وتوجه الى مدينة لوبيك على بحر البلطيق ، لكي يتتلمذ على يدى بوكستهوده ويستفيد من خبرته الفائقة في العزف والارتجال على الارغن .

وفي عام ١٧٠٤ عندما شغل باخ وظيفة عازف للارغن في مدينة ارنشتات وجدها مقيدة لخياله الابداعى ، كما أن أجره فيها لم يكن يكفيه للحياة المتواضعة التي كان قانعاً بها ، وعندما انتقل في عام ١٧٠٧ الى وظيفة أخرى في موهاوزن استقر فيها بعض الوقت وتزوج من ابنة عمه ماريا باربارا ـ وكان عمله التالي في مدينة فايمار حيث عمل عازفا للأرغن في الكنيسة ومديرا لموسيقا الحجرة لدى أميرها

ولقد كانت فترة عمله في فايمار مزدهرة بانتاج رفيع المستوى ، ليس في الموسيقا الدينية الكورالية وحدها بل وفي مؤلفات الارغن الكبيرة ، التي اكسبته مكانة خالدة في تاريخ الموسيقى وعلى رأسها « التوكاتة والفوجة من مقام ري الصغير » والتي نشرها والت ديزني على أوسع نطاق في فيلمه المبتكر (فانتازيا) وفي فترة عمله لدى أمير فايمار لم يلق مالقيه في ارنشتات من التزمت الديني ، ولذلك انطلقت طاقاته الخلاقة بلا قيود ، وأصبح فريدا بين معاصريه من مؤلفي وعازفي الأرغن في انحاء اوروبا كلها .

وبعد عشر سنوات مجيدة في فايمار ، انتقل باخ لوظيفة مدير الموسيقا في بلاط أمير كوتن ، وقضى فيها من ١٧١٧ حتى ١٧٢٣ وكان هذا العمل من أعلى الوظائف التي تقلدها باخ في المركز الاجتماعي ، ورغم أن ما توفر تحت يديه من الموارد الموسيقية كان محدودا ، الا انه أبدع في هذه الفترة اقوى وأروع ما كتب من الموسيقا للآلات ، بعيدا عن المجال الديني فكتبت متتالياته الجميلة للاركسترا وكتب عددا ضخما من الكونشرتات من النوع السائد في عصر الباروك ، والمسمى « كونشرتو جروسو » لان العزف المفرد فيه لمجموعة صغيرة من الآلات وليس لعازف واحد . في هذه الفترة الخصبة كتب باخ كذلك مجموعة **كونشرتات براند نبورج الستة** ، والتي اهداها الى دون براند نبورج (الذي لم يعرف قيمتها الحقيقية) .



وكتب مجموعة **الصوناتات والسويتات المنفردة لآلات** الفيولينة والتشللو بدون مصاحبة ، كما كتب عددا كبيرا من الكونشرتات لآلة أو اثنتين مع اركسترا صغير ، طبقا للعرف السائد في عصره وبعض كونشرتات باخ كان في حقيقته اعادة صياغة لاعمال لفيفالدي ، أعاد هو كتابتها مضيفا اليها رونقا هارمونيا لم يتوفر لمؤلفها الاصلي

ابداع عظيم و ١٣ ابناً

ولا نستطيع أن نمر بابداع باخ في فترة كوتن دون اشارة الى متتالياته الانجليزية والفرنسية « التي حقق

نيها باخ قمة نهائية لاسلوب عصر الباروك في مؤلفات
لألات . لايباريها الا المجلد الاول من « المقدمات
والفوجات » للكلافير المعدل (وهو الة سابقة للبيانو
في سلسلة التطور التاريخي لهذه الآلة) . وهذا المجلد
يعتبر تتويجا حقيقيا لاسلوب « تشابك الالحان »
المسمى بالبولفونية . والذي بلغ فيه باخ منتهاه في
الحبكة وجمال الابتكار واتساع الخيال . حتى
اصبحت هذه المؤلفات من الكلاسيكيات الخالدة التي
تزيدها السنوات رسوخا

وفي هذه الفترة . وعندما توفيت زوجته الاولى .
تزوج باخ في عام ١٧٢١ ثانية من اناماجدالينا .
وأنجب منها ثلاثة عشر من الابناء . وهي التي ألف
لها باخ خصيصا كتاب المقطوعات السهلة للمبتدئين
باسمها

وأخيرا استقر به المقام في وظيفة مهمة بمدينة
ليبزيج . التي ارتبطت به بعد ذلك عبر تاريخها .

حيث تقلد فيها منصب « كانتور » لكنيسة القديس
توماس . فكان مسئولا عن الموسيقا في كنائس
المدينة . وعن القيادة الموسيقية وتعليم الصبية اللغة
اللاتينية والموسيقا . وظل باخ يشغل هذا المنصب
المهم من ١٧٢٣ حتى عام وفاته ١٧٥٠ . وفي هذه
الفترة أبدع عددا من اعماله الكبرى وعلى رأسها
القداس الكبير من مقام سي الصغير وكذلك عمله
المسمى « القربان الموسيقي » . وتنويعات جولدبيرج « وأعمال الاوراتوريو لعيد الميلاد » . والام
المسيح (طبقا لانجيلي يوحنا ومتى) وفي هذه السنوات
كذلك كتب مجلده الثاني من « المقدمات والفوجات »
التي اصبحت مرجعا في هذا الفن الصعب من
الفوجه . والذي نقله باخ من المجال المدرسي الجاف
الى مجال فني رفيع . مفعم بالشعور والجمال حتى
اصبح فيه حجة الأجيال جميعا

وبعد حياة من الكد والتعب . عانى فيها باخ من
شظف العيش واعتلال الصحة وسوء العلاقات بينه
وبين أغلب رؤسائه . كما عانى من ضعف البصر .
حتى كل بصره ثم كف تماما لعدة سنوات واستعاده
بعدها لفترة قصيرة قبيل وفاته (انتهزها لمراجعة عمله
العظيم « فن الفوجه » ولاتمام نسخ نوتاته) . بعد
هذه الحياة التعيسة التي لم يتمتع فيها بالتقدير
الحقيقي . توفي باخ ١٧٥٠ ودفن في قبر مجهول
بليبزيج ولقيت موسيقاه من بعده الكثير من الاهمال
والنكران . ولم يشفع له في ذلك ان عددا من ابنائه
كانوا هم انجب مؤلفي موسيقى حققوا النجاح
والشهرة . مثل كارل فليب عمانويل . ويوهان
كريستوف . ويوهان كريستيان المعروف باسم باخ
الانجليزي . وفيلهلم فريدمان . بل ان ابناءه هم
انفسهم قد لعبوا دورا في إسدال ستار النسيان على
موسيقى والدهم العظيم . ظنا منهم بأنه كان صوت
عصر مضى وولى وانتهى !

ولكن التاريخ انصف الفنان العبقري واستعاد له
مكانته الحقيقية بين مفكري الانسانية في مجال
الموسيقا . ولم تمض القرون الثلاثة على مولده . حتى
اصبح متربعا بحق على عرش فريد في الموسيقا . لا
يطاوله فيه أحد من معاصريه ولا من الاجيال التالية
وهذا هو المغزى الحقيقي لهذا الاحتفال الدولي
العريض بباخ في كل انحاء العالم □

■ **لا تترك الحق . لانك متى تركت الحق . . فانك لا تتركه الا الى الباطل . ومهما تترك الصواب . فانما تتركه الى الخطأ (من نصائح أرسطو للاسكندر) .**

■ **أعيذها نظرات منك صادقة . أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم (المتنبي) .**

■ **رؤية الوجه الجميل تبعث في النفس الرجاء (لامارتين) .**

أمره الله مع باقي الملائكة أن يسجدوا له ، فهو يرى أن الانسان مخلوق ناقص ، ليس في كمال أهل الجنة ، ولهذا رفض وغواه ، ولهذا أيضا خرج من الجنة هو وآدم وحواء والطاووس والحية ، كل منهم عدو للآخر ، في أرض الله الرحبة ، يمارسون عداواتهم وغواياتهم وانهم بعيدا عن الجنة والانسان مستفز ، والشيطان مستفز وتختفي الحية والطاووس ، حين تصبح الحية جزءا من حواء وحين يصبح الطاووس جزءا من آدم ، وحين تصبح المعركة فوق الأرض ضارية محيطة بين الثنائيات المطروحة . الانسان ضد الشيطان والرجل ضد المرأة ، وجزء الأرض في الانسان ضد جزء السماء فيه

قال الدكتور يونس متأملا .

ـ أنت اختصرت كل الصراعات في هذه الثنائيات العربية ، ولكني مع هذا أراها صادقة

قلت :

ومن خلال هذه الصراعات والتحديات ، يقع الانسان في التجربة أي يقع في الخطأ الناجم عن محدود معرفته ، وعن سابق جهله ، وعن حقيقة تخلفه ، فإذا اجتاز التجربة وتعلم من الخطأ ، فهو أكثر معرفة وأقل جهلا وأكثر تقدما .

قال الدكتور أحمد مرسي

ـ المعرفة اذن نتيجة حتمية للخطأ ، والخطأ نتيجة حتمية لخروج الانسان من الجنة ، والمفاتيح الى المعرفة هي الأسماء التي علمها الله للانسان ، والتجربة والخطأ هي الرسالة التي حملها الانسان على منكبيه وخشيتها الملائكة وتنوء من حملها الجبال

قلت :

ـ لقد لخصت الأمر كله أحسن تلخيص ، فالخطيئة هي جريمة الانسان ولكنها ، ايضا طريقة الى الفضيلة . والخطأ هو ضعف الانسان ، ولكنه أيضا طريقة الى المعرفة .

قال الدكتور يونس :

ـ ومع كل خطيئة يزداد الانسان علما ، وعندما يصل الانسان الى الكشف عن حقيقة وحدة الله وعظمته يشق طريقه الى الجنة من جديد .

قلت :

ـ من هنا اختلف معنى القدر عند الانسان المسلم



د عبد الحميد يونس   د أحمد مرسى

فالقدر رحمة وحكمة ومعرفة ، حتى حين يرى الانسان في عجزه وقلة بصيرته أن ما أصابه شر لايدري له تحليلا ، فهو في ايمانه وقوة حبه لله ، يدرك أن هذا الشر ماكان الا لحكمة لايعرفها وانما الحكمة هي التي صنعتها وقدرتها ، وهذه الحكمة لاتريد له على المدى الطويل الا الخير والرحمة

قال الدكتور يونس :

ـ وما أوتي الانسان من العلم الا قليلا . وما أوتي من الحكمة الا قليلا

قال الدكتور أحمد مرسي :

ـ من هذا المنظور يسعى أن ننظر الى البطل في العمل الشعبي الاسلامي ، فالبطولة هنا بطولة معرفة .

قلت

ـ وهذا مفتاح أساسي لدراسة البطل ، فليس هو البطل الفائق القدرة الشديد القوة ، وانما هو البطل الفائق الايمان بأن الحق في جانبه ، وأن قوى الخير تسانده وأن انتصاره على الشر حتمي ومؤكد قال الدكتور عبد الحميد يونس .

ـ نعم القدر اختلف هنا تماما ، فالقدر لم يعد شيئا مجهولا يفترس الانسان ، بل غدا هو الله المعروف الذي يؤمن به الانسان ويعبده ويسلم له أمره ، والذي يحس أن يده معه دائما في كل معارك الخير ، وأنها تنصره دائما على كل قوى الشر .

قلت :

- الانسان المؤمن في جانب ترعاه قوى العناية الالهية وتيسر له انتصاره على الشر ، فالانسان اذن ليس وحده ، ولا وجود للمأساة أو الفاجعة،ولاوجود للتراجيديا ، فليس الأمر أن الانسان يواجه حائطا أصم مسدودا ، وانما هو في حالة جدل مستمر ، وهو جدل مثمر وفعال ومنتصر دائما .

قال الدكتور مرسي :

- ولاوجود اذن للدراما

قلت .

- الدراما بالمعنى الأرسطي لا ، ولكن الدراما بالمعنى الجدلي الدائم بين قوى الخير والشر نعم .

قال الدكتور يوسى .

- لم يفهم المفكرون العرب ماكتبه أرسطو عن الدراما ، ولذا لم يترجموه ، فتعامل هذا الفن مع الدوافع الانسانية التي تكمن في صراع الانسان ضد الشر لاتتلاءم مع هذا المفهم الانساني الذي ورثوه

قلت ·

- والفنانون المسلمون لم يقدموا الدراما بالصيغة الأرسطية لنفس هذا السبب

قال الدكتور أحمد مرسي .

- ومع هذا تقبلنا التراث المسرحي العالمي وقرأناه وفهمناه ودرسناه

قال الدكتور يوسى

- كل عطاء انساني يسعي أن يدرس ، وأن يترجم ، وأن يتذوق ، وليس الأمر بالضرورة أن يحتذي ، ولو أننا احتذيناه في الكثير من الأعمال الدرامية المسرحية الأولى ، ولو أني أذهب الى أن الكتاب المسرحيين العرب أميل الى الابداع في الفنون المسرحية التي تحطم القالب الأرسطي وتثور عليه ، ومن هنا كان تقبلهم للمسرح الملحمى ، ولمسرح بريخت ، ولمسرح العبث عند يونسكو وبيكت وغيرهما . .

قلت .

- بمعنى أننا نتجه الى الدراما من حيث كونها عطاء فنيا جدليا بين الخير والشر ، دون أن ندخل حتمية النهاية والفاجعة للبطل أو دون أن نبحث عن السقطة والتطهير . . فان وجدت كل هذه العناصر فلا بأس لأنها حصيلة فنية ورثناها عن البشرية كلها في تطورها نحو المعرفة والتعبير الفني ، ولكنها لاتقودنا بالضرورة ولاترغمنا على تقليدها بالحتم .

قال الدكتور يوسى

- ونصل الى اجابة لماذا لم يعرف العرب المسرح الأرسطي ؟

قلت .

- ولماذا استبدلوه بألوان أخرى من العرض المسرحي تتلاءم مع رؤ يتهم الفلسفية للبطل ، وللصراع بين الخير والشر ، ولوظيفة الفن ، ولموقع الانسان من الكون ؟

قال الدكتور يوسى :

- هذا الذي وصلنا اليه يصلح منطلقا للدراسات الجارية ، ووجود المنطلق الواضح لايؤثر على نتائج البحث العلمي ، وانما هو يفيد هذا البحث ويثريه .

وهنا انتهت مناقشتنا ذات ثلاثاء □

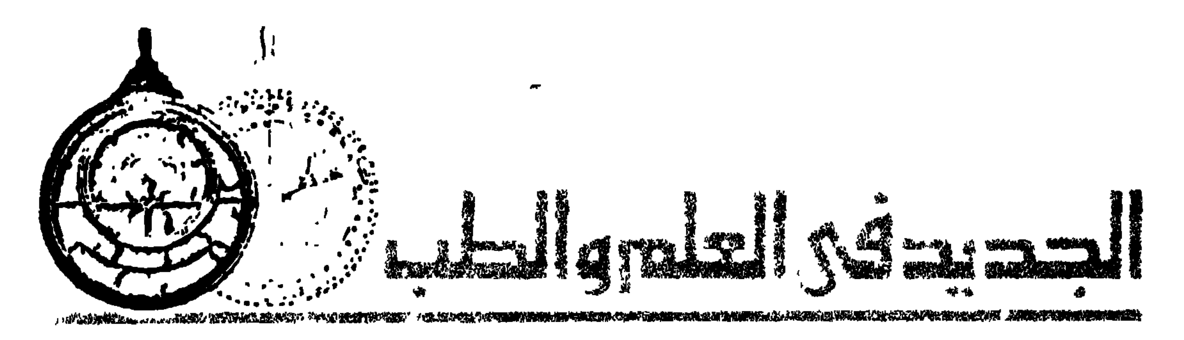
■ ان الشر لا يكافح بالشر (تولستوي) .

■ الذئب ما كان ليكون ذئبا لو لم تكن الخراف خرافا (شكسبير) .

■ الرجل الخسيس ينتقم لخسته من الرجل الشريف (ديستوفسكي) .

■ المرء ابن البيئة التي يعيش فيها (جي دي موتسان) .

■ النفس الانسانية مرآة تتراءى فيها مختلف الصور والألوان (جان جاك روسو) .



نهـــاية مرض الأيدز . . هل باتت قريبة . ؟

تحدثنا في عدد سابق عن مرض الأيدز الفتاك ، وعن اكتشاف مرض أيدز آخر غير فتاك . . وعن المساعى لتطوير فيروس هذا المرض غير الفتاك ، بحيث يصبح لقاح مناعة ضد الاصابة بالمرض . . ولما كان مرض الأيدز الحديد نسبيا (٥ ـ ٦ سنوات) يستأثر بنصيب الأسد من الأبحاث العلمية الطبية التي تجرى هنا وهناك . . كانت النتائج التي تمخضت عنها تلك الأبحاث كثيرة ، وتكاد تحملها الينا أنباء الطب والعلم يوميا . . وقد وصلت الينا في أواخر شهر ابريل الماضى . . أخبار مساع أخرى غير التي سبق ذكرها . . تستهدف تطوير لقاح ضد المرض اللعين . . من معد آخر بعيد عن مرض الأيدز بعداً يكاد يجعل اللقاح المرتقب ضربا من ضروب الخيال العلمي . . .

ذلك أن هذه المساعى الجديدة منصبة على تطوير لقاح الأيدز من مرض الجدرى . . بل قل جدرى البقر على وجه التحديد Compox or Vaccinia Virus .

وهو أخف من مرض الجدرى (smallpox) . . أي أن هذه المساعى تقتفى أثر ادوارد جنر العالم البريطاني الذي استعمل في القرن الثامن عشر (جدرى البقر) لقاحا ضد مرض الجدرى . . فكان له فضل الريادة في الجهود المتواصلة التي نجحت في القضاء على مرض الجدرى أو كادت . . فالفيروس الذي استعمله جنر في الماضى هو نفس الفيروس الذي يبشر بكبح جماح مرض الأيدز في الوقت الحاضر . . وذلك بعد اجراء شيء من التعديل في بنيته .

والغريب هو أن فاعلية هذا الفيروس ضد الأيدز اكتشفها فريقان من العلماء ـ لا فريق واحد ، والفريقان أمريكيان . . . أحدهما حكومي وهو معهد الصحة الوطنى والفريق الآخر أهلى ، وهو عبارة عن شركة تعمل في سياتل ، واختصاصها الهندسة البيولوجية . . وقد توصلا الى نفس الاكتشاف في نفس الوقت تقريبا . . ونشرت نتائج أبحاثهما مجلة ناتشر المعروفة ، ومجلة اتحاد الطب الأمريكي . .

أما التعديل الضروري لتحضير لقاح الأيدز فقوامه جينة DNA يتم ادخالها في لقاح جدرى البقر . . والجينة المذكورة هي حصيلة اصابة كريات الدم البيضاء بمرض الأيدز ، حيث تتحول جينة فيروس الأيدز من RNA الى جينة DNA . .

وهي التي يتم أدخالها في اللقاح ، فهذه الجينة DNA تولد نوعين من البروتين من غلاف فيروس الأيدز . . وهذان النوعان هما اللذان يضمنان تعبئة أجهزة المناعة للعمل ضد الأصابة بمرض الأيدز .

والجدير بالذكر أن لقاح الأيدز الجديد موضع تجارب مكثفة ومتواصلة ، وقد ثبتت فاعليته على الفئران والقردة ١٠٠٪ . . ويتوقع الكثيرون لذلك اللقاح مثل ذلك النجاح في بني الانسان ، ويرجح البعض نزول اللقاح الجديد الى الأسواق في غضون سنة واحدة .

المذنبات . . هي مصدر البكتريا على الارض والفيروسات .

تلك هي النتيجة التي توصل اليها العلماء مؤخرا (مطلع شهر ابريل الماضي) وذلك بواسطة التلسكوب البريطاني - الاسترالي العملاق (١٥٤ بوصة) الذي أقاموه في ولاية نيوسوث ولز في القارة الصغرى . . ويعود الفضل في هذا الاكتشاف الى الفلكيين المعروفين السير فرد هويل **Hoyle** والبروفسور شاندرا ويكراماسينج . . فهما اللذان قاما بدراسة الصور الأولى الملتقطة بالأشعة تحت الحمراء . . وانتهيا الى تأويلها بالاكتشاف الذي ذكرنا . .

والجدير بالذكر أن الصور تحت الحمراء التي ذكرنا ، والاكتشاف الذي تمخضت عنها لم يكن حصيلة اللقاءات التي جرت في شهر مارس الماضي بين مذنب هالى وبين سفن الفضاء الخمس . . وبخاصة جيوتو السفينة الأوروبية التي اقتربت من المذنب كثيرا حتى أصبحت على بعد ٥٠٠ كم من نواته . . أو نحو ذلك ، فقد خطط الفلكيان لصور التلسكوب تحت الحمراء بعد مضى ٣ أسابيع على تلك اللقاءات الفريدة في تاريخ الفلك . . أي ان تلك اللقاءات لم تؤد الى ذلك الاكتشاف ، وان كانت قد مهدت السبيل له . . وقد بينت احدى الصور المرسلة من قبل جيوتو أن لون نواة مذنب هالى هو لون المخمل (أو القطيفة) الأسود . . وأن قوام تلك النواة هو في الغالب مادة الكربون أو مادة أخرى شبيهة بها . . وليس الرصيص الجليدى المغلف بالغبار ، كما أكدت النظرية الأكثر شيوعا منذ منتصف القرن . .

والجدير بالذكر أيضا أن العالمين الفلكيين المذكورين قد رفضا نظرية الرصيص الجليدي ، وأخذا بنظرية النواة العضوية منذ أكثر من عشر سنوات ، فهذه البكتريا والفيروسات التي تجتاح الكرة الأرضية بين حين وآخر ، وتسبب الأوبئة والأمراض الشائعة - كالرشوحات والسعال الديكى وشتى الامراض الحيوانية - انما تأتي الى الأرض من مصدرها الوحيد . . المذنبات التي تأتي من الفضاء البعيد . . وتخترق المجموعة الشمسية حتى تقترب من الأرض كثيرا أو قليلا . . فتمطرها بتلك الكائنات الحية . . البكتريا والفيروسات ، ولا يخفى أن تلك النظرية التي اثبتتها الصور تحت الحمراء مؤخرا والتي أصبحت النظرية السائدة في الأوساط العلمية في الوقت الحاضر ، تتضمن تأييدا غير مباشر لبعض المعتقدات الخرافية التي شاعت في العصور القديمة والوسيطة . . .

ولم يقف العالمان عند شرح نظريتهما القديمة - الجديدة ، بل ذهبا الى اجراء التجارب العملية في المختبرات ، وتخليق مثل المقومات التي تدخل في بناء البكتريا والفيروسات . . وذلك لدى تعريض جزيئات من مادة عضوية لمثل الظروف التي تمر بها وتتعرض لها المذنبات .

ولا يخفى ما تنطوى عليه هذه النظرية الخطيرة من نتائج أبعد أثرا واشد خطرا ، لا عجب اذن أن شغل العالمان الفلكيان في الوقت الحاضر في تأليف كتاب جديد بعنوان « فيروسات من الفضاء » ويعاونهما في وضع هذا الكتاب أحد كبار علماء الجراثيم الدكتور جوب واتكنز . . .

مكتشفون ومخترعون

مخترع المصباح الكهربائي بالاضافة الى ١٠٠٠ اختراع أو تزيد

لقد بلغ عدد اختراعات أديسون ، ان شئت الدقة ، ١٠٩٧ اختراعا أحرزها كلها وسجلها باسمه إبّان حياته . لا عجب اذن أن سموه الساحر . . ساحر منلو بارك ، مختبره ومصنع اختراعاته في ولاية نيوجرسي . نقول « مصنع » لأن اختراعات أديسون كانت كالسلع التي تصنعها المصانع ، أوتوماتيكيا وعلى نطاق واسع . ولم يذكر التاريخ مخترعا تحت الطلب كأديسون . وقد شملت اختراعات أديسون فيما شملت جهازا للصور لا غنى للبورصات وبيوت المال عنه ، وكان أول اختراعاته . وشملت أيضا الفوتوغراف والديكتافون والكاميرا السينمائية وغيرها وهو كثير كثير . ويظل المصباح الكهربائي أهم مخترعات أديسون على الاطلاق . فهو الذي حل محل مصباح الزيت ، ووضع حدا لعصر البخار . وكان بمثابة الضوء الأخضر لظهور حضارة القرن العشرين . وهي حضارة تقوم على الكهرباء أولا وآخرا .

ويعجب المرء لأمر هذا المخترع . فقد ابتكر من المبتكرات ما لم يبتكره المخترعون من أبناء عصره مجتمعين . هذا بالرغم من أنه حرم نعمة الدراسة في المدارس والجامعات ، وعاش طفولته في فقر وعذاب . وحسبك أنه أصيب بالصمم ، ولقي أسوأ معاملة من أبيه . ولعلك تظن أن العبقرية التي فطر عليها أديسون هي السر الذي حوله الى ساحر اختراعات . ويرد عليك اديسون نفسه اذ يقول : أنا مدين للفطرة بنسبة ١٪ ، ومدين للدأب والعمل المتواصل بنسبة ٩٩٪ .

ولد توماس الفا أديسون في ١١ فبراير سنة ١٨٤٧ في مدينة ميلانو في ولاية أوهايو في أمريكا ، وانتقل أهله به وهو في السابعة من العمر الى بلدة هورون في ميشيغان . وهناك ألحقوه باحدى مدارسها ، وفق ما سمحت به مواردهم المتواضعة . ولكن توماس لم يلبث في تلك المدرسة سوى ٣ شهور . . فقد طرده ناظر المدرسة بحجة أنه كان متخلفا ، وأن مدرسته لم تؤسس للمعوقين .

وتولت الأم (نانسي إليوت) تدريس الفتى طيلة ثلاث سنوات . وعلى قصر هذه المدة فانها كانت كافية « لأن تغرس أمي في نفسي حب العلم وتفهمني غايته » كما قال أديسون فيما بعد ، ولو ذكرنا أنه فطر على حب الاستطلاع لأدركنا سر شغفه بالمطالعة .

أما أبوه (صموئيل أوجدن إيدسون) فقد عامله أسوأ معاملة . وقد درج على ضرب توماس ضربا مبرحا ، وأقدم ذات يوم على جلده بالسوط في احدى الساحات العامة ، وعلى مرأى من الجماهير الذين توافدوا الى تلك الساحة ليروا ذلك المشهد الفريد . لقد مزق الأب نفسية ابنه الموهوب من حيث لا يدري ، وزاده صمما ، وكان قد أصيب بالصمم بسبب مرض ألمّ به قبل حين .

لا عجب اذن أن خرج أديسون عن اهله واستقل عنهم وهو في الثانية عشرة من عمره . وكان يبيع الصحف والسكاكر في القطارات وهو أول عمل مارسه طلبا للرزق . غير ان هذا العمل لم ينسه العلم والاختراع . فأنشأ في احدى عربات الشحن مختبرا صغيرا واصل فيه تجاربه . الا أن هذه التجارب ما لبثت أن أفقدته عمله في القطار ، وقد تسببت باشتعال النار في عربة الشحن . . وبالرغم من ذلك فان الأثر الذي تركه الحريق وملابساته في نفس توماس لم يضاهه الأثر الذي تركه حادث آخر وقع له أيام عمله في القطار . فقد تأخر ذات مرة عن



أديسون

(١٨٤٧ - ١٩٣١)

موعد القطار ، فراح يركض في اثره يريد اللحاق به حتى بلغه . ولكنه عجز عن الصعود اليه

واتفق أن كان في مؤخرة القطار بعض العمال الذين شاهدوا توماس وهو يحاول الصعود الى القطار بلا طائل فسارعوا الى مساعدته ولكنهم امسكوا بالفتى من أذنيه ، ثم رفعوه بعنف وقوة ويقول أديسون في ذلك « عندها أحسست بفرقعة داخل أذني ، ومنذ تلك اللحظة وأنا أعاني من الصمم بالكامل » فقد أدى انتشال العمال له الى تمزق في طبلة الأذنين ولكن أديسون وجد في صممه نعمة بالاضافة الى النقمه فقد أتاح له ذلك فرصة الابتعاد عن الضوضاء والثرثرة والتفرغ للقراءة والتفكير في اختراعاته

وكان العمل الثاني الذي مارسه أديسون هو عمل المساعد لأحد المختصين بالتلغراف ، وقد حصل عليه مساعده ناظر المحطة مكافأة له على نجاته ابن الناظر ، ومهما يكن من أمر فقد فتح هذا العمل اعين اديسون على الكهرباء التي أصبحت دينه وديدنه منذ ذلك الحين

أما العمل الثالث الذي قام به اديسون فكان الاختراع والابتكار وقد بنى لنفسه سنة ١٨٧١ ورشه عمل في نيوارك ، يجري فيها تجاربه ، ويستكمل اختراعاته ، لا بقصد الا بيع تلك الاختراعات وقبض أثمانها ، وتطورت تلك الدكان مع الأيام ، حتى اصبحت شركة جنرال الكتريك الشهيره في هذه الأيام

وتجمع لأديسون عدد من الاختراعات في غضون بضع سنوات وبلغ ثمن هذه الاختراعات التي اشترتها منه شركة وسترن يونيون والتلغراف الأوتوماتيكي ٧٠.٠٠٠ دولار وهو المبلغ الذي أنفقه على انشاء مختبره الشهير في منلوبارك في نيوجرسي

ثم جاء اختراع الفوتوغراف سنة ١٨٧٧ ، فذاع صيت أديسون ، وطبقت شهرته الآفاق ولكن الشهرة وحدها لا تكفي للمضي في اجراء التجارب في مجال الكهرباء . ويقصد اختراع المصباح الكهربائي العملي الذي طالما حلم به وللانفاق على نفسه ومعاونيه ومختبره

والتمس المخترع هذا المال من أحد أصحاب البنوك في نيويورك ، المستر مورجان ولما أكد له أن باستطاعته استكمال اختراع المصباح في ستة أسابيع ، عمد مدير البنك سنه ١٨٧٨ الى تأسيس شركة خاصة لتمويل أديسون وطرحت أسهم تلك الشركة في الأسواق . وكان عددها ٣٠٠٠ سهم ولكنها منيت بالكساد ، ولم يبع منها سهم واحد عندئذ لجأ أديسون الى الحيلة ، فكذب كذبته البيضاء ، وأكد في تصريحاته الصحفيه أنه استكمل وأنجز اختراع المصباح الكهربائي ، ولم تمض ايام على تلك التصريحات حتى بيعت أسهم الشركة الجديدة كلها ووضع مبلغ ٥٠,٠٠٠ دولار في متناول المخترع أديسون ، ولم تمض شهور على ذلك حتى كان المعرض الذي أقامه المخترع ، وعرض فيه مصباحه الكهربائي ، وكان ذلك في ١٨٧٩/١٠/٢١ حين لم يجاوز عمره (٣٢) عاما وجاء أديسون الموت □



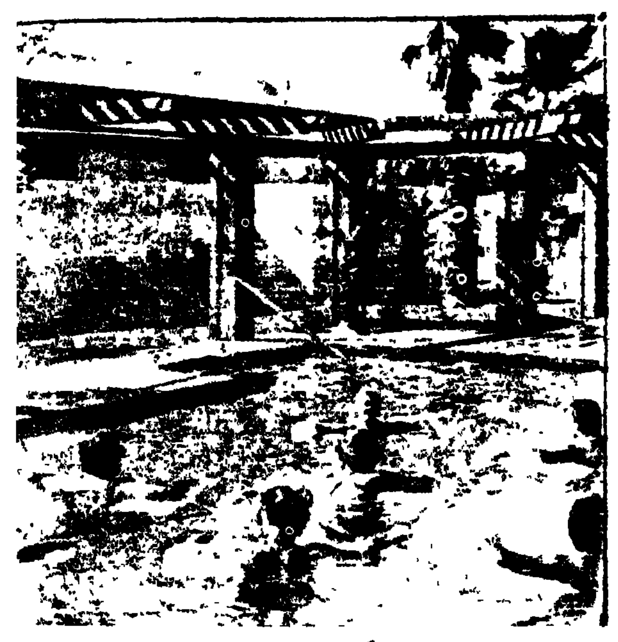
سلامة البشرية في سلامة البيئة

مصحات .. في أمريكا تغسل الدماغ وتشفي من الادمان

■ تحدثنا في العدد السابق عن مؤتمرات السيدات الأوليات .. وعما قالتهبعض المؤتمرات في الادمان وفي المصحات التي تساعد المدمنين على الشفاء من ادمانهم ، بوصفه مرضا فسيولوجيا ذا أبعاد احتماعية ونفسية خطيرة .. ونتحدث اليوم عن أحد هذه المصحات .. وعن السيدة الأولى التي أقدمت على انشائه .. فقد كانت السيدة بتي فورد زوجة الرئيس الأمريكي الأسبق هنري فورد في عداد المدمنين على الخمور والمخدرات .. حتى اذا التحقت بأحد تلك المصحات وخرجت منه في غضون أسابيع قليلة بصحة سليمة ونفسية سوية عز عليها الا تمد يد المساعدة الى الكثيرين من المدمنين . وبخاصة مشاهير الممثلين أو السياسيين وسواهم ....

وبدأت قصة السيدة فورد هذه سنة ١٩٧٨ ، حين أعلنت على الملأ أنها كانت مغلوبة على أمرها ، ومدمنة مخدرات وخمور في آن معا وصرحت أيضا أنها التحقت بأحد مصحات الادمان ، بغية الشفاء من ادمانها المزدوج .. وقد شفيت منه في غضون أسابيع قضتها في ذلك المصح . وشعرت بنعمة كبيرة غمرت حياتها ، وحلت محل النقمة التي طالما غابت فيها وشعرت بالصغار والتفاهة بسببها ..

وشعرت السيدة فورد بدافع الاسهام شخصيا في انقاذ الآخرين ، وتعمل على أن تتيح لغيرها من المدنيين ، مثل النعمة التي أتاحها ذلك المصح لها .. وأن تتيحها بخاصة الى تلك الفئة من الزملاء والمشاهير الذين يتكتمون على ادمانهم خشية تشويه



مركز بتي فورد

سمعتهم والنيل من نجاحهم في أعمالهم . فهم يولون المسز فورد من الثقة ما قد يدفعهم الى مصارحتها فيما درجوا على التكتم فيه .. من ادمان على الخمور والمخدرات وما قد يحملهم على الالتحاق بمصحها طلبا للمساعدة التي مست حاجتهم اليها وتنكروا لها في آن واحد معا ..

وخرج مركز بتي فورد الى حيز الوجود سنة ١٩٨٢ ، وسارع الى الالتحاق به المدمنون من عامة الشعب ، بالرغم من أن الرسوم التي تعاطاها لم تقل عن ـ ١٥٥ دولارا أمريكيا .. ومع ان نسبة المشاهير

ن مجموع الذين انتسبوا الى ذلك المركز لم تجاوز ٥٪ لا أنهم ضموا فيمن صموا روبرت ميتشام .. اليزابيث تيلور .. وتوني كورتيس وهم من مشاهير مثلي هوليود كما هو معروف ....

ويعمل مركز فورد هذا بمبادىء تعرف في الولايات المتحدة باسم (مدمن الأمس) أو المدمن النكرة ، وتهدف هذه المبادىء الى تحييد المدمن ، أو ان شئت ، غسيل دماغه ، أو ما يسمونه في المصح Defoxification .

والمعالجة الجماعية هي الطريقة المعتمدة في هذا الصدد ، ونقطة البدء فيها تكون باعتراف المدمن بأنه مغلوب على أمره وبحاجة الى مساعدة ، أما غرف النوم الخاصة فلا وجود لها في المصح ، وقد حلت محلها قاعات رحبة تتسع الواحدة منها عشرين مدمنا والقصد من ذلك تعويد المدمن على اللجوء الى أخيه الانسان بدلا من الهرب الى المخدرات والخمور ، اذا حلت مصيبة أو اعترضت سبيله مشكلة ..

ويعامل مستشاروا المصح المدمنين بكثير من الحزم ان لم نقل الشدة .. فهم يحرمونهم مشاهدة التلفزيون والفيديو ، ولا يسمحون لهم الا بالضروري من المكالمات الهاتفية .. وانتقد بعضهم نظام المصح وشبهه بالانضباط العسكري ، ويؤكد المستشارون بأنها المحنة القاسية ، وانما هي التي تساعد المدمن على الخلاص من محنته أكثر من أي شيء آخر

ولقد نجح مركز بتي فورد في تخليص الكثيرين من آفة الادمان المدمرة ....

هل يتم القضاء على شلل الأطفال سنة ١٩٩٠ ؟

■ يعجب المرء أكثر ما يعجب لانتشار مرض فتاك بالرغم من انتشار علاجه الرخيص الفعال .

والمرض المقصود هو شلل الأطفال . الذى مازال يودى بحياة نحو (١٠ , ٠٠٠) طفل فى العالم كل يوم .. ويشل حوالى ٥٠٠٠ طفل آخر فى شتى بلدان العالم كل أسبوع .. أما العلاج المقصود فهو ، كما لايخفى ، لقاح شلل الأطفال الذى أصبح متاحا على نطاق واسع منذ أكثر من ثلاثين عاما .

ويصدق هذا أيضا على أمراض أخرى فتاكة ، هى الحصبة ، والسعال الديكى ، والدفتريا ، والسل ، والتيتانوس (أو إن شئت الكزاز) ، ويبلغ مجموع من يموتون بسبب هذه الأمراض ٣,٥ ملايين نسمة سنويا . وفى هذا دليل على مدى التحسن الذى طرأ فى هذا الصدد فى المدة الأخيرة .. وقد بلغ عدد الذين يموتون بسبب هذه الأمراض قبل بضع سنوات ٥ ملايين نسمة

وتنوى منظمة الصحة العالمية تنفيذ برنامج يكفل اتاحة اللقاحات الواقية من تلك الأمراض جميعا للناس جميعا فى كل مكان . وذلك قبل حلول سنة ١٩٩٠ ، هذا ماصرح به فى مطلع شهر ابريل الماضى (١٩٨٦) الدكتور وليم فوج ، المدير المسؤول عن فريق أو وحدة العمل المسماة « بقاء الطفل على قيد الحياة » .

■ اذا أفرغ امرؤ حافظة نقوده في رأسه ، فان أحدا في الدنيا لا يستطيع أن يغتصبها منه (بنيامين فرانكلين) .

■ ان الذين يؤمنون بقدرتهم يستطيعون أن يقهروا أي شيء



صدر العدد الثاني من
مجلة
العربي الصغير
للفتيات والفتيان العرب
مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار
٦٤ صفحة بالألوان
في الأسواق أول كل شهر
احجز نسختك من الآن لأبنائك
لا تدفع أكثر من ٢٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها للنسخة الواحدة
جائزة قيّمة تنتظر طفلك شهريًا في مسابقة
العربي الصغير

الحاسب الالكتروني

وتشخيص السّرطان

بقلم المهندس : سمير صلاح الدين شعبان

كثيرة هي العلوم التي طورها انسان هذا القرن وعظيمة منجزاته ، ولكن الحاسب الآلي يظل في المقدمة ، فلو انك قارنته بالانسان ذاته لأوشكت ان تقول . . كأنه هو ! فمازال يطرق الابواب حتى جاء الطب من بابه الواسع باب التشخيص ، فهل يمكنه ذلك ؟

شهد القرن العشرون انتصارات باهرة في مكافحة الأمراض الانتانية ، المعدية ، حتى كاد بعضها ينقرض من وجه البسيطة الا أن الحضارة التقنية الحديثة ساهمت في تزايد وطأة الأمراض الأخرى غير الانتانيه

ففي عام ١٩٠٠ م كانت أمراض القلب مسؤولة عن ٨ بالمائة فحسب من الوفيات في الولايات المتحدة الأمريكية،وقد ارتفعت هذه النسبة بشكل حاد الى ٢٨,٤ بالمائة في عام ١٩٤٠ م ، لتصل في عام ١٩٧٥ الى ٣٧,٨ بالمائة .

وفي الفترة نفسها تزايدت وطأة السرطان ، أكثر الأمراض اثارة للخوف والهلع في نفوس البشر . ففي بداية القرن الحالي ، لم يساهم هذا المرض الخبيث الا في وفاة ٣,٧ بالمائة فحسب من الأشخاص المتوفين في الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٠٠ م . لكن هذه النسبة ازدادت الى ١١,٦ بالمائة في عام ١٩٤٠ م ، لتقفز بعدها الى ١٩,٥ بالمائة في عام ١٩٧٥ .

وقد دفعت هذه التطورات الى زج أعداد كبيرة من العلماء في المعركة ضد السرطان ـ بأشكاله المختلفة ـ لمعرفة المزيد عن طرق كشفه وعلاجه ، وأسبابه وطرق الوقاية منه .

كما وحدت هذه المعركة الضارية جهود العلماء من سائر الاختصاصات : الكيميائيين ، والبيولوجيين وفيزيائي الاشعة ، والالكترونيين . وغيرهم . وفي نهاية احدى الجولات تبين أن « الكشف المبكر » للسرطان يمثل وسيلة فعالة جدا في شفائه ، أو اطالة عمر المصاب به بشكل ملموس . وهذا ما أوحى بابتكار « أول حاسب الكتروني يشخص السرطان » .

وعند ذكر معالجة المعلومات في أيامنا هذه تقفز الى الذهن فورا صورة الحاسب الالكتروني ، الذي تشغل معالجة المعلومات كل « حياته » وبعد الثورة الصناعية الاولى ، التي خففت العبء عن عضلات الانسان هبت رياح الثورة الصناعية الثانية ، التي تسمى أيضا بالثورة العلمية ـ التقنية ، التي تمخض

عنها الحاسب الالكتروني ، أسرع ابتكارات البشر في معالجة المعلومات .

ولا يتسع المجال هنا للخوض في تفاصيل الحاسب الالكتروني ، ويكفي أن نشير الى مكوناته الرئيسية ، وامكاناته في معالجة المعلومات باختصار شديد .

عمل الحاسب

يستقبل الحاسب الالكتروني المعلومات المقدمة اليه فيقرأها « بعينه » (الدخل Input) ، ثم يعالجها في « مخه » (المكون من وحدة المعالجة المركزية Central Processing Unit والذاكرة Memory) ، وفي الختام يكتب النتيجة (الخرج Output) بواسطة آلة كاتبة (أو راقنة) .

ويلخص الاستاذ (فريدريك فيستر) من جامعة (كونستانس) الألمانية امكانات الحاسب الالكتروني في كتابه « عالم جديد للتفكير . من العصر التكنوقراطي الى العصر السيبرنتيكي » :

١ - تخزين المعلومات واستحراجها عند الطلب .

٢ - تحليل المعلومات ومقارنتها .

٣ - الاستخدام في أعمال التخطيط والتصميم .

٤ - التحكم الآلي .

٥ - عمليات الحساب والتركيب .

٦ - الاستخدام في صنع نماذج مشابهة - من حيث المبدأ - للحياة والأشياء الواقعية ، للتنبؤ بسلوكها في المستقبل

وقد أفرزت هذه الامكانات الكبيرة للحاسب الالكتروني عددا لا يحصى من التطبيقات التي كانت أقرب الى الخيال العلمي في القرون الماضية . ومن بين هذه التطبيقات التي تشد انتباهنا « بنوك المعلومات » التي تنوعت الى حد انشاء « بنوك معلومات علمية متخصصة » بمختلف فروع المعرفة من كيمياء وفيزياء ، وطب ، وهندسة ، وفلك وجيولوجيا . . وغيرها . بنوك المعلومات المتخصصة هذه يمكن الاتصال بها بواسطة الحاسب الالكتروني المنزلي زهيد الثمن ، والحصول على أجوبة على جميع التساؤلات ، لقاء مبلغ رمزي لا يزيد عن دولارين يوميا . وقد توج هذا التطور في عام ١٩٨٤ م بتدشين العديد مما يسمى « بالجامعات الالكترونية » التي يقوم فيها الحاسب الالكتروني بدور استاذ الجامعة .

الحاسب يحاور المرضى

من أفضل الأمثلة على منافسة الحاسب الالكتروني للمختصين ، هو الحوار بين المريض والحاسب ، الذي يسعى خبراء الحاسبات الالكترونية الى تحقيقه منذ ما يجاور ١٥ سنة . ويقول ستيف روزن في كتابه « حقائق المستقبل » بأننا قد ودعنا الماضي ، الذي كان الطبيب يذهب فيه بنفسه الى منزل المريض لتشخيص دائه ، لنقابل المستقبل الذي يجعل المريض يتوجه الى عيادة الطبيب ، وربما لن يرى الطبيب اطلاقا ، قبل أن يبث جميع همومه ومتاعبه الى الحاسب الالكتروني .

عندما يذهب الانسان العادي الى عيادة الطبيب للمرة الاولى ، فانه يعتبر أسئلة الطبيب دليلا على الحكمة وبعد النظر . كما توحي للمريض بأنها تسمح للطبيب بالسير نحو هدفه في تشخيص المرض بمساعدة ذكائه « الخارق للطبيعة » وبعد انتهاء الحوار بين الطبيب والمريض ، يستخدم الطبيب « المعلومات » التي سمعها في اتخاذ القرار بتحديد مرض محدد « تشخيص » يعاني منه المريض ، دون سائر الأمراض الاخرى التي يصادفها في الحياة . ثم يختار الطبيب واحدا من العقاقير من قائمة « لا تنتهي » من أنواع الدواء المتوفرة في الأسواق ، يتوخى فيه شفاء المريض . وفي معظم الحالات يتماثل المريض للشفاء بعد مضي بعض الوقت . وهكذا يثبت المختص بالطب جدارته من جديد .

كل هذه الأشياء تسبب دهشة الانسان العادي . الا أن خبراء الحاسبات الالكترونية يعتبرونها غاية في البساطة : فمن السهل جدا - حسب رأيهم - برمجة الحاسب بحيث يحاور المريض في متاعبه الصحية ، وبحيث يقوم بالتشخيص الأولي للمرض ، وبحيث يتخذ القرار المناسب حول ضرورة اجراء اختبارات اضافية (مثل تحليل البول ، أو صور الاشعة) ، وبحيث يقترح كلا من الدواء والحمية عن بعض أنواع الطعام - ان لزم الامر - ويدعي هؤلاء الخبراء ان سهولة « تدريب » الحاسب على القيام بكل هذه العمليات المعقدة تأتي من كونها « روتينية » ، رتيبة عند معظم الأطباء ، من البشر .

في السبعينيات تم وضع برامج عديدة ، تتمكن

الحاسبات بواسطتها من معرفة تاريخ المريض ، لتشخيص أنواع محددة من الأمراض الشائعة ، وتقدم اقتراحات للتحاليل والصور الشعاعية المطلوبة ، حتى أنها تشخص المرض وتكشفه . والحاسب يقوم بعملية التشخيص بحوار مستحب ، جعل معظم المرضى الذين جربوه ، يفضلون زيارته مرة أخرى بدلا من الطبيب . ويقول (كريستوفر ايفانس) ان هناك اثباتات أكيدة ، بأن العديد من المرضى كان أكثر تمسكا بالصدق عند حديثه مع الحاسب ، وبأن قابلية كشف أسرار حياتهم الخاصة والعائلية ، كانت في حالة الحاسب أفضل منها في حالة الطبيب البشري

تم في مستشفى (غلاسكو) « استجواب » بعض المرضى المدمنين على الكحول من قبل حاسب الكتروني ، تمت برمجته خصيصا لهذه الغاية . وقد اعترف هؤلاء المدمنون للحاسب بشربهم لكمية من الكحول تزيد بحوالى ٥٠ بالمائة عن الكمية التي أقروا بها أثناء حديثهم مع مستشاري المستشفى من أصحاب الشهادات العالية .

انهيار الحواجز

في تجارب أخرى أبدى « روار » العيادات النفسية الحسية رغبة حقيقية في مناقشة متاعبهم الجنسية مع الحاسب الالكتروني . وقد قابل ذلك حرج في مناقشة هذه الأمور مع الطبيب النفساني العطوف ، الذي كان يناقشهم في كل زيارة

ويستدرك (ايفانس) قائلا بعدم جواز تهويل أهمية هذه التجارب ، لكنه يعتقد بأنها كافية لتوحى لنا بأن بعض حواجز الغموض التي تحيط بمهنة الطب قد بدأت بالانهيار فعلا . ويضيف بأنه من المؤكد أن عدداً متزايدا من الأطباء وخبراء الحاسبات سيساهمون في الثمانينيات في نقل مجالات واسعة من الممارسة الطبية وأسرارها الى الحاسب الالكتروني .

من ناحية أخرى ، فقد نقل (ستيفن روزن) في كتابه « حقائق المستقبل » عن أطباء من جامعة (ويسكوسين) الأمريكية قولهم ، ان الحاسب الالكتروني يقوم بدور « شبه كامل » في سماع متاعب المريض ، وفي اعداد التقارير الطبية للتشخيص . فهم يرون أن لدى « الآلة » الوقت الكافي لمحاورة المريض عن حالته الصحية ، دون « الشعور » بضيق الوقت . ويضيفون الى ذلك أن التقرير المطبوع للحاسب الالكتروني أسهل قراءة من الخط « الرديء » الذي يكتبه الطبيب على عجل .

أثناء محاورة الحاسب للمريض تظهر تساؤلات الحاسب عن حالة المريض الصحية على شاشة تلفزيونية . فيقوم المريض بالاجابة عنها بضغط الأزرار ، التي تعني : « نعم » ، و « لا » ، « لا أعرف » ، أو « لم أفهم » . وفي الحالات التي يظهر فيها أن المريض يعاني من بعض المشاكل الصحية الخطرة يقوم الحاسب بطرح المزيد من الأسئلة الاضافية .

ويرى أطباء جامعة (ويسكونسين) أن تاريخ المرض الذي يستخلصه الحاسب الالكتروني مقارب لتقرير « الطبيب العام » ، لكنه غير قابل للمقارنة مع تقارير الأطباء الاختصاصيين بالأمراض الجلدية مثلا .

ويضيف (رورن) أن كثيرا من الناس لا يشعرون بالحرج عندما يطلب منهم عرض مشاكلهم الخاصة على حاسب بدلا من الطبيب . حتى أن بعض الرجال والنسوة أعربوا عن شعورهم بالارتياح في تسجيل أسرارهم ومشاكلهم الخاصة على « بطاقات الحاسب المثقبة » ، بدلا من مناقشتها مع الطبيب وجها لوجه .

ليس هذا فحسب . فقد وجد الطبيبان الامريكيان (وارنر سلا ولوريس كورا)أن بعض البرامج كانت تبعد المرضى عن جو الحوار الرتيب مع الطبيب ، لذا فقد كان العديد من المرضى يجد متعة خاصة في رواية تاريخ مرضه للحاسب . فمن حين الى آخر يتساءل الحاسب : « **أحسنت صنعا حتى الآن : فهل تشعر بالتعب ؟** » . فاذا أجاب المريض : « **نعم** » عندها يرد الحاسب : « حسنا ، هل ترغب في الاستمرار بعض الوقت ؟ » . فاذا أجاب المريض : « لا » ، فاذا الحاسب يقول : « **أرجوك !** » . فاذا أصر المريض على عدم رغبته في الاستمرار في الحوار ، عندها يستسلم الحاسب قائلا : « حسنا . خذ **استراحة** » .

من البديهي أن خبراء الحاسبات قادرون على برمجتها بحيث تقدم المشورة الطبية ، بل وكتابة الوصفات الطبية ، بالاضافة الى محاورة المريض وتقديم تقارير التشخيص . ويرى بعض « المبهورين

بعظمة التقنية » في هذه الامكانيات معرضة « للاستغناء » عن الأطباء ! لكن المثقف الواعي يرى العكس : اذ أن اعفاء الطبيب من الأعمال « غير الاختصاصية » المرهقة ، مثل كتابة تاريخ المرض ، وترتيب الاضابير . . وغيرها ، سيجعل لدى الطبيب متسعاً أكبر من الوقت للاهتمام بالجوانب الهامة عند المريض . ومهما علا شأن الحاسب في المجتمع الصناعي التقني فليس من المقبول اطلاقا أن توضع « حياة البشر رهن اشارته » ، الا باشراف طبيب انسان .

تشخيص السرطان

يمر تشخيص السرطان عادة بثلاث مراحل أساسية . الشك ، ثم الدراسة ، وأخيرا التأكد . وتشير الاحصائيات الى أن حوالى ثلث المرضى الذين يشك باصابتهم بالسرطان في الدول المتقدمة صناعيا ، وتجرى لهم دراسات التشخيص ، يكونون مصابين فعلا بالسرطان .

أنواع الأورام الخبيثة كثيرة ، لذا فليس هناك اختبار وحيد لتشخيص السرطان ، مثل فحص الدم وحده ، أو البول ، أو أية طريقة أخرى مفردة من هذه الاختبارات التقليدية البسيطة ورغم ذلك فهنالك بعض مجموعات المرضى ، يمكن الشك فورا باصابتها بنوع أو بآخر من أنواع السرطان ، حتى قبل أن تظهر عندها أية ملامح أو أعراض تدل على اصابتها بالمرض ويضوي تحت هؤلاء - على سبيل المثال لا الحصر - مجموعات العمال التي تتعرض لأنواع من المواد المصنعة المحرضة للسرطان - مثل الاسبست أو الأشخاص المفرطين في التدخين

يعتمد تشخيص نوع محدد من أنواع السرطان - غالبا - على دراسة خلايا النسيج المصاب تحت المجهر لذا يتطلب الأمر غالبا انتزاع جزء من النسيج البشري (أو ما يسمى أحيانا خزعة) لدراسته تحت المجهر ، من قبل طبيب مختص بتشخيص الأمراض . وفي حالة السرطانات الخارجية (الجلدية مثلا) يمكن الحصول على الخزعة بنزع قطعة صغيرة من الجلد المصاب ، تحت التخدير الموضعي ، ثم تثبت ، وتقص بشكل شرائح رقيقة ، ثم تضاف اليها مواد خاصة ملونة أما عند الشك بوجود إصابة عضو داخلي بالسرطان ، عندها قد يتطلب الامر اجراء عملية جراحية للحصول على الخزعة

أما اذا انتشر السرطان بعيدا عن مركز الاصابة الاصلي ، عندها يمكن أخذ الخزعة من المواقع السهلة المنال بواسطة ابرة . ويقول الاستاذ (البروفسور مايكل شيمكين) في « الدليل السوي للطب والصحة لعام ١٩٨١ م » انه يستعان أحيانا بدلا من الخزعة بموائع الجسم مثل الدم أو البول ، للكشف الأولي عن السرطان ، وكثيرا ما يتبعها دراسة خزعة فعلية ، لأن الفحص المباشر لخلايا الورم ، هو القاعدة المعتمدة لتشخيص معظم أنواع السرطان .

الحاسب يشخص السرطان

ان ثلاثين ألف شخص يصابون بسرطان الرئة سنويا في المانيا الاتحادية وحدها . ويصل عدد وفيات سرطان الرئة - الناتج بالدرجة الاولى عن التدخين - في الولايات المتحدة الامريكية الى حوالى ٩,٢٠٠ سنويا

هذه الأرقام المخيفة دفعت الاستاذ الالماني « الفرد نوكيمع الى البحث عن طريقة بسيطة ومضمونة ، يمكن بواسطتها تشخيص المرض في مرحلة مبكرة ، مما يزيد فرص الشفاء ، أو يؤخر الوفاة بشكل ملموس

في حزيران (يونيو) ١٩٨٤ م نشرت مجلة « صورة العلم » الألمانية نتائج الاستاذ (نوكيع) ويعتقد (نوكيع) أن الطريقة « التقليدية » ، التي تدرس نسيج خزعة مأخوذة من الرئه ، للكشف المبكر عن سرطان الرئة ، عملية مؤلمة وقد تكون لها مضاعفات معقدة . لذا فقد ركز (نوكيع) بحوثه على اختبار الخلايا وأنواعها

عندما يحضر أحد المرضى الى عيادة (نوكيغ) يطلب من المريض السعال والبصق بهذه البساطة يتم الحصول على عينة من « البلغم » ، التي تحل محل الخزعات « التقليدية »

وعلى الفور يتم البدء بالاختبارات التقليدية للخلايا تحت المجهر فاذا وجد الطبيب بعض « الخلايا المشبوهة » ، عندها تتم اضافة بعض المواد الخاصة الملونة ، وتقدم الى الحاسب الالكتروني

وتوضع العينة « المشبوهة » تحت المجهر الآلي ، الذي يعرض ما « يراه » على شاشة تلفزيونية . يصدر



…reich Daher kon…t seine Forschungen

…entwickelten Rechenverfahren wird der DNS-Gehalt verrech-

Die Apparatur besteht aus einem automatischen Mikroskop

An über 400 Patienten wurde bisher die Treffsicherheit des…

…tersuchung von Zellen …rnen … men mit seinem Mit- Dr Wolfgang Auffer- e Bocking das Schwer- …ner Analysen auf die g von Lungenkrebs …llen mit der Sputum- …ung Dazu lassen wir …nten husten und spuk- untersuchen dann den … erläutert der Patholo- Arbeiten … Diagnostische DNS- …metrie beginnt dann … der herkömmlichen …suchungen unter dem …p Entdeckt der Patho… … verdächtige Zellen, … Präparate umgefärbt …färbung) Diese Fär… …pezifisch für DNS …mputer gesteuertes Mi… …sucht dann automatisch …hten Zellen auf Eine … markiert mit einem …el die zu messenden…

net Nur wenige Minuten später gibt ein Drucker die Diagnose und den Grund der Bösartigkeit (Malignitätsgrad) aus Die Meß- und Rechenzeit beträgt zusammen nur knapp 20 Minuten

Aus dem Ausdruck geht nicht nur die Diagnose hervor Auch die Zahl der gemessenen Zellkerne – in der Regel etwa 100 Stück – und der Malignitäts-Index werden angegeben, dazu ein gezeichtes DNS-Histogramm

„Unsere Maschine kann die Diagnose ‚Krebs' schon in einem sehr frühen Stadium stellen", sagt Bocking. „Meines Wissens gibt es auf der Welt kein anderes Gerät, das dazu in der Lage wäre"

Bocking weiß freilich auch um die Problematik seines Verfahrens . Daß hier eine Maschine eine Diagnose stellt, mag zunächst als Sakrileg aufgefaßt werden Aber die Chance, im Früherkennungs Stadium bis zu

Beim Aachener Lungenkrebs-Früherkennungssystem (unten) erscheinen Zellen aus dem Auswurf auf einem Bildschirm. Eine verdächtige, per Lichtgriffel angetippte Zelle (oben links) wird vom Gerät in die Bildschirmmitte gerückt und der Kern mit einer Leerwertmaske (oben Mitte, weißer Fleck) abgedeckt; dann wird um den Kern herum der Leerwert gemessen, als Bezugswert für eine densitometrische Helligkeitsbestimmung. Daraus resultieren DNS-Gehalt und Grad der Bösartigkeit.

الصورة السفلى يعتمد هذا الحاسب الالكتروني على البلغم وحده في الكشف المبكر لسرطان الرئة

الصورة العليا من اليسار الى اليمين اللطخة السوداء الكبيرة هي اشارة القلم الضوئي الى الخلية المشبوهة التي يطلب دراستها بدقة لذا يقوم الحاسب بنقلها الى وسط الصورة (الصورة السفلى) ، حيث تتم تغطية الخلية لتأخذ شكل بقعة بيضاء ـ في الصورة اليمنى يتم قياس الكثافة الضوئية لنواة الخلية نفسها ، يحسب منها تركيز الحموض النووية وبالتالي درجة خبث الورم

الحاسب أوامره الى المجهر الآلي « لمسح » كامل سطح العينة . فادا شاهد الممرض الواقف بقربه صورة الخلايا المشوهة على الشاشة التلفزيونية ، عندها يسلط الممرض « قلمه الضوئي » على الخلية المشوهة في الشاشة . عندها يصدر الحاسب أوامره للمجهر كي يركز على الخلية المراد دراستها . وهنا تقوم حملة تحليل الصور في الحاسب بدراسة نواة تلك الخلية وتحديد درجة تركيز الحموض النووية فيها (أو فلنقل ما يسمى بالحمض الريبي النووي منقوص الاكسجين DNA) . بعدها يشير الممرض الى خلية ثانية وثالثة . . . الخ فيقوم الحاسب بدراستها الواحدة تلو الاخرى .

ابتكر (بوكينغ) أيضا ـ في مستوصف آخر ـ طريقة لحساب تركيز الحمض النووي DNA . فبعد بضع دقائق من بدء الاختبار تبدأ طابعة الحاسب بتقديم تقرير حاو على تشخيص المرض ودرجة خبث السرطان ويقل الزمن الاجمالي للحساب هنا عن ٢٠ دقيقة . وتجدر الاشارة هنا الى ان الطابعة لا تقدم التشخيص فحسب ، بل تدون عدد النوى المفتوحة ـ حوالى ١٠٠ نواة عادة ـ وقرينة الخبث ، اضافة الى مخطط نسيجي

ويقول الاستاذ (بوكينغ) . « بمقدور آلتنا تشخيص السرطان في مرحلة مبكرة جدا . وحسب علمي فهي الاولى من نوعها في العالم كله » .

ومن البديهي أن يعرف (بوكينغ) مساوىء طريقته . لذا فهو يقول : « ربما يبدو السماح للآلة

حف جسده مثل برعمة خضراء لم يروها الماء ، ورواح في الأحايين يستلقي في فراشه في هدوء ، بصورة يصعب أن تقول معها هل هو على قيد الحياة ام لا ، وفي أحايين أخرى يتذكر شدة قسوته على امرأته وهي تتوق الى تدفئة قدميها ، فترعشه الذكرى كمن نخزه شخص بابرة حادة .

حاولت أسرته الا تتركه وحيدا ، حمل حفيده الاصغر العابه الى غرفة الشيخ ، وصار يندفع اليها للعب حالما يؤوب الى البيت من روضة الاطفال ، وكان الحفيد الأكبر يأخذ له صورة ست مرات كل يوم ، بعد أن يرغمه على الوقوف لالتقاطها ، واستأجر ولده سيارة تقله في جولة في المدينة ، كان حكمت يرصح على مصص ويعمعم في مرارة

ـ يوم كانت أمك في الحياة لم يخطر لك في بال أن تأخذنا في جولة .

غسلت الأمطار آخر بقايا الثلج الأسمر الوسخ في الساحة ، وقف حكمت على الرصيف ، مستندا بجذعه الى عمود ، يراقب جداول المياه الثقيلة السريعة تنصب من كل جانب ، على حين غرة وقعت أبصاره على حذاء مطاطي عرفه من فوره ، كان قد قطع عند مشط القدم كيما يناسب قدمي روحات المنتفختين ، رفعه عن الارض ، وأدخله الى الغرفة ، مرة ثانية ملأ فؤاده فراغ رهيب ، مثل ذلك الذي طغى عليه حين حملوا نعشها بعيدا ، فجلس ينتحب حتى انسدال العشية

جافى النوم عيني حكمت ، ابتلع بعض الحبوب المنومة ، ورغم هذا جعل يهب من ضجعته في منتصف الليل ويجلس دون حراك حتى طلوع الصباح ، أو يتجول صامتا في أركان البيت ، كل شيء يذكره بامرأته روحات ، وما أكثر ما يروح يستعيد الماضي ، وفي معظم الأحايين يتخيل أن شيئا لم يتغير ، وأن روحه غابت عن الدار لفترة قصيرة ، ومهما يكن الأمر ، فالي أحمت حركة تهبه من حلم يقظته محملا ، وكان ابنه وكنته يبذلان طاقتهما لادخال العزاء الى قلبه

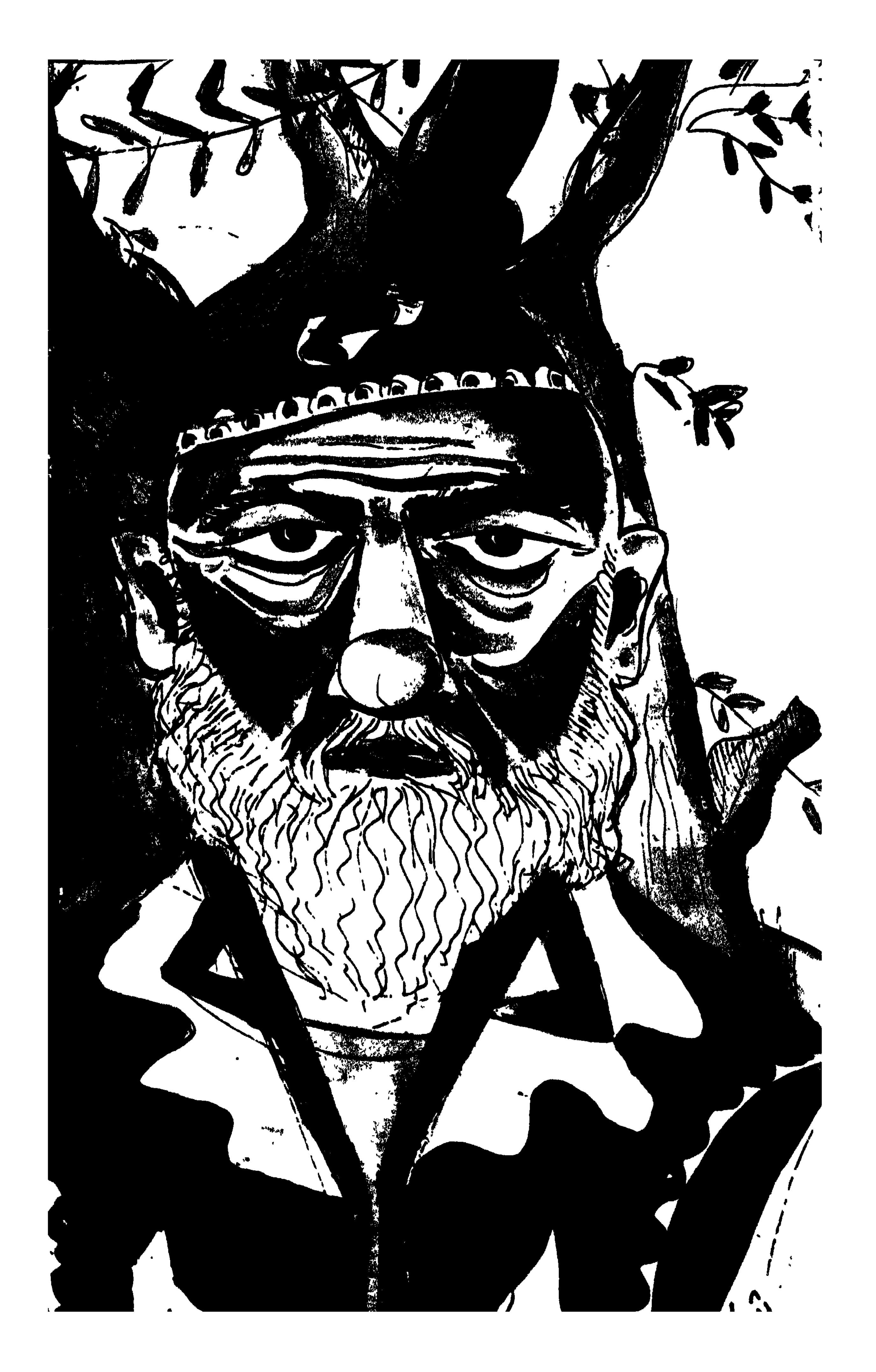
ذات يوم اختفى الشيخ ، فتشوا عنه في كل مكان ، وفي منازل الاصدقاء والجيران ، وزاروا المستشفى لم يخطر لأحد في بال أن يأخذ طريقه الى المقبرة ، كان في المقبرة فهو يزور قبر روحه في أغلب الأوقات ، ويمضي ساعة أو ساعتين هنالك ، أما هذه المرة فانثنى عائدا الى مكتب المدير مباشرة ، وبعد مناقشة طويلة جياشة وافق المدير أخيرا أن يحجز للشيخ حكمت قبرا الى جانب قبر روحات

وعند غروب الشمس اتخذ الشيخ حكمت سبيله الى البيت ، كان شخص يساعده على الدوام في النزول من الباص ويرافقه الى البيت ، لمح الاسكافي المقيم في الزاوية الشيخ يدب على الدرب ، فأسرع يمد له يد العون ، ودعاه على كوب من الشاي

قال الاسكافي ، وهما يحتسيان الشاي

ـ لاتسلم نفسك الى الكآبة ، فالجميع يعرفون أن زوجتك كانت امرأة رائعة . أما رأيت عدد الناس





الذين شاركوا في الحارة ؟ الله ، كان هناك عدد كبير من الناس ذلك النهار ، حتى أن الأرض في ماخالايا انخسفت قرابة متر واحد !

لعل الشاي الداوىء أهرق البهجة في روح الشيخ ، أو لعلها كلمات الاسكافي
سر في فخار :

ـ هذا صحيح ! فالناس لايبرحون يتحدثون عنها اليوم رغم مرور عدد من السنوات على وفاتها . لم ينسها أحد

مرة أخرى وجد الشيخ حكمت نفسه في الشارع محفوفا بحشد من الأقرباء والجيران ، بعضهم يوبخونه ، وآخرون يتملقونه ، وبعضهم الاخر يصعدون زفرات ارتياح ، فقد التقاه طبيب المنطقة قريبا من البيت، نظر اليه وعبس . وشرع يتحدث عن روحات .

ـ تعجز الكلمات عن وصف ما كانت عليه (ورفع اصبعه) ان ما تحتاج اليه ماخالايا هو (سماور) !(سماور) كبير ، (سماور) يمكن أن يستوعب ثمانية دلاء من الماء هذا ما تأكد لنا حين رجعنا من المدفن ذلك النهار .

حملق الشيخ في الطبيب الذي استرسل في نبرة جدية .

ـ وهكذا اقترح أن نجمع مبلغا من المال في مدينتنا ماخالايا ما رأيك في المنحة التي يسعى على كل شخص أن يدفعها ؟
غضب حكمت

ـ ولدي قادر على تسوية الموضوع بمفرده ، انه لن يدمره
قال الطبيب ، وعلى وجهه بسمة .

ـ هذا رائع .

طبيعي أن أفكار الشيخ كانت بعيدة البعد كله عن (السماورات) واحتساء الشاي ، أفلم يطلب تجهيز مدفن خاص به قبل قليل ؟ وعلى أية حال ، وباعتبار أنه أخذ هذا العمل على عاتقه أمام مثل هذا الحشد من الشهود ، فقد سبق السيف العذل ، أعطاه ولده المبلغ المطلوب ، فانطلق حكمت يفتش عن (سماور) كبير ، ثبت أن هذه المهمة على قدر من الصعوبة ، وخيل اليه في بعض الأحيان أن من الأسهل له أن يستحصل على نحاس خام يصنع منه (السماور) بنفسه ، لم يبق مخزن لم يزره الشيخ أو مدير لم يحاوره في الأمر ودهلت أسرته من هذه القوة الجسدية التي انبعثت في كيانه

أخيرا ، وبعد جهد جهيد وزمن مديد ، تم العثور على (سماور) ، قبله رئيس جمعية ماخالايا في اجتماع عام لأهل المدينه ، صفق الجميع حين عبر عن شكره للشيخ حكمت ، وعندها نهض رجل وأعلن أن (السماور) لن يقوم بنصف ما هو مطلوب منه ، وأن ثمة أعياد ميلاد كثيرة وأعراسا كثيرة ، ولقاءات عائلية في كل أسبوع في الجمعية ، والناس على الدوام يضطرون الى استعارة الاطباق وأغطية الموائد والمقاعد والقدور من جيرانهم ، أليس في الامكان جمع مبلغ من النقود وشراء هذه الاشياء جميعا ، ما يكفي منها لاقامه حفل يضم مائة وخمسين شخصا ، ووضعها في خدمة الجمهور ؟

تم التداول في هذا الامر ، وحينما طلب الرئيس تقديم الاقتراحات بخصوص من يأتمنون على مثل هذا العمل ذكر الحضور الشيخ حكمت ، وقف الشيخ على قدميه محتجا ، فغرق صوته في خضم عاصفة من التصفيق ، ولم يكن له خيار سوى الرضوخ .

كان هنالك عددمن العائلات في الجمعية لم يحضروا لتقديم حصتهم ، ووجب عليه أن يزورهم بنفسه مرة أو مرتين ، وكان بعضهم يقولون

ـ تعال غدا

وبعضهم يرددون

ـ جاري أعطى مبلغا صغيرا ، ففيم يترتب على اعطاء مبلغ كبير ؟

وكان هنالك آخرون جلسوا خلال الاجتماع فاغرين أفواههم ، واضطر أن يشرح لهم الموضوع مرة أخرى .

كان الشيخ يبدأ جولاته في بكور الصباح ، يزور جيرانه ، ويجمع مبلغا من المال،ويطوف على المخازن ، لم يتوفر له متسع من وقت يهدره سدى ، وكان قادرا على زيارة قبر زوجه في أوقات مختطفة

حين تم شراء جميع الأدوات وضعها في سقيفة المدرسة وأقفل عليها ، لم يتطلب الأمر زمنا طويلا كيما ـ يتأكد من صعوبة حفظ ثروة الجمعية أكثر من سبل جمعها ، بعض العائلات لم ترجع ما استعارت

من هذه الثروة ، ووجب تذكيرها بضرورة اعادتها ، وبعضها الآخر أعاد علايات الشاي بعد أن كسرت صنابيرها ، وأغطية الموائد وقد أحرقتها أعقاب اللفائف ، وشوكات الطعام وقد انحنت أطرافها .
عار أن يقول المرء ان الأمور سارت على هذا العرار ! وتطلب اصلاح هؤلاء الناس زمنا طويلا ، وسارت الأمور هينة بعد ذلك .

وما أسرع أن حل فصل الصيف ، أنهت المدينة مشروع عرس الأشجار ، ونشرت مقالة في الصحيفة ذكرت اسماء المناطق التي أنجزت العمل الأكثر ، وتلك التي أنجزت العمل الأقل ، وورد اسم ماحالايا بين الأفضل ، حين قرأ حفيد حكمت الأكبر المقالة انفجر ضاحكا ، ذلك أن أكثر التشجيرات التي غرست في العام المنصرم صرعها الذبول

عادر الفسح البيت وجعل يتمشى ذهابا وايابا في شوارع المنطقة بعد الاشجار ، الف وسبعمائة شجرة زرعت في العالم الماضي . لم يعش منها اكثر تماثمائة وست شجرات ، انغرست فانعررت لها في الأرض جذور

قادته قدماه بعد ذلك الى مكاتب تحرير الصحيفة المحلية ، شعر بالخجل أول الأمر وهو يفتش عن الغرفة التي يقصدها ، لكنه ما ان بدا يروي قصته حتى هب يضرب منضدة المحرر بقبضة يده ، طلب اليه ان يجنح الى الهدوء ، وأن يسجل الحقائق خطيا ، بعيد يومين نشرت الصحيفة رسالة الى المحرر بتوقيع « حكمت بورماتوف ، المحال على المعاش »

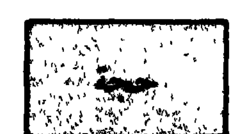
في عصر ذلك النهار جلس الشيخ في الركن يتشمس ، وفيما الاسكافي يلمع له حذاءه انطلق يتحدث عن كيفية فشل المنطقة في مشروع عرس الاشجار وصادف ذلك مرور رئيس المجلس البلدي من أمامه ، يبدو أنه استدعي لتقديم الحساب عن الحال المخزية للأمور ، ذلك أنه ما ان عرف حكمت بورماتوف ، المحال على المعاش ، حتى انفجر يصيح :
- جميع هؤلاء الناس الذين هرتهم السنون يقودونني الى الجنون ! ان احدا لم يسألك رأيك ! وأنت وضعت احدى قدميك في القبر على أية حال ! فيم يحرك الاهتمام بشؤونك الخاصه !

هم حكمت أن يعطيه جوابا ، لكنه امسك فجأة ، رجع الى البيت مضعضع القوى ، ما الذي كان الرئيس يلمح اليه ؟ أتراه علم بحقيقة القبر الذي هيأ لنفسه ؟

وصل الى البيت وجلس يكتب رسالة
« أكتب هذه الرسالة لاخبار المدير وحفار القبور أن القبر الذي حفرناه لي تحت شجرة الدردار لم تبق له من ضرورة ، انا أعيده الى المكتب لاستخدامه حين الحاجة حكمت بورماتوف

وفيما هو يهم بتدوين العنوان على المغلف أيقن أنه يجهل عنوان المقبرة ، لكن ، لعل المقبرة لا عنوان لها ، وضع الرسالة مع مغلفها ، ولعق الصمغ بلسانه ، وأغلق المغلف ، وطلب الى حفيده أن يحملها الى المدير بنفسه □





قيل ان رجلا شهد سوار بن عبدالله القاضي ، فقال له سوار : ما صناعتك ؟ قال أنا مؤدب صبيان .
فقال سوار إنّا لا نجيز شهادة مؤدب الصبيان . قال : لم ؟ قال سوار : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا
قال المؤدب . وأنت ياسوار تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا .
قال سوار : اني أكرهت على القضاء . فقال المؤدب : ياهذا هب أنك أكرهت على القضاء فهل أكرهت على أخذ المال ؟
فسكت سوار ثم قال : هات شهادتك وأجازها .

استزراع

الصحراء

بالمياه المعالجة



ان قصة الزراعه في الكويت هي قصة الكفاح لإعمار الصحراء وترويضها ، ولكن هناك كثيرون ممن يجهلون هذه القصة اولا يولونها اي اهتمام لان الفكرة السائدة بين الناس ان لا امكان للزراعة على ارض الكويت ، وهم بذلك متأثرون بطبيعة ارضها الصحراوية وقسوة مناخها وندرة مياهها . انها قصة ممتعة لانجاز رائع جديرة بالرصد والمتابعة لمعرفة ابعاد النجاح في تحدى الطبيعة ، والجهود التي تبذل من اجل تواصل العطاء واستمراره فوق رمال الصحراء.

لقد عرفت الكويت منذ نشأتها الزراعة البسيطه في بعض الواحات المتناثرة في الصحراء مثل الجهراء والفنطاس وفي جزيرة فيلكا ، فقد كانت تزرع بعض اصناف الخضراوات البسيطة مثل الفجل والبقدونس والطماطم وغيرها من اصناف الخضراوات الاخرى ، الا ان هذه الزراعه البسيطة لا تفي باحتياجات البلاد ، فالكويت تعتمد اساسا على مايرد اليها من الخضر الطازجة من البلدان القريبة والبعيدة لان الانتاج المحلي من هذه الخضر لايعطي استهلاك البلاد ، ولكن لاستيراد الخضر الطازجة مساوىء عديدة منها عدم انتظام عرضها في الاسواق وتعرضها للتلف اثناء النقل مما يؤدي الى الاقلال من جودتها وارتفاع اسعارها

محطة تجارب زراعية

لذلك شعر المسؤولون بالدوله ان تنمية الزراعه تطويرها من الامور الملحه التي تفرضها صيغة الحياة ، فبدا العمل بالخطوه الطبيعيه الاولى وهي اقامه محطة التجارب الزراعيه ، لتأخذ على عاتقها وضع الاسس العلميه في بناء صرح زراعي سليم ، بما تقوم به من تجارب وابحاث في مختلف الميادين الزراعيه من نباتيه وحيوانيه ، وربما تكون الكويت من البلاد الوحيده في العالم التي بدأ العمل الزراعي فيها من بدايته المعروفة ، فجميع البلاد الزراعية زرعت وانتجت ثم التفتت الى ارضها تمسحها وتصنفها ، أما في الكويت فقد بدأ العمل بمسح التربه وتصنيفها اولا وذلك باجراء الدراسات والاختبارات للتعرف على خصائص التربه الطبيعية والكيماوية والوراثيه ثم وضعت خرائط تبين أصناف التربة الموجودة وقدرتها على الإنتاج وكيفيّة استغلالها للاغراض الزراعية ، وبناء على نتائج هذا المسح اقيمت المشاريع الزراعية في البلاد لتغرس كل نبتة في مكانها المناسب وتخصص كل ارض لما تصلح له

« خطوات على الطريق »

ومع بداية النهضة العمرانيه التي شملت نواحي الحياه المختلفة في الكويت كان نصيب الزراعه انشاء محطة التجارب الزراعية في عام ١٩٥٢ ، حيث زودت بالخبرات والكوادر الفنيه لاجراء التجارب في القطاع النباتي والحيواني،تم بعد ذلك انشاء وحده لزراعه الخضراوات بدون تربه بالتعاون مع خبراء منظمه الاغذية والزراعه الدولية . وقد امكن الحصول على معلومات قيمه من هذا النظام الذى ثبت صلاحيته من الناحيه الفنيه . وفي عام ١٩٧٢ اقيم مركز لانتاج الخضراوات المحميه بالتعاون مع البرنامج الانمائي للامم المتحده ومنظمه الاغذية والزراعه الدولية،وقد حقق هذا المركز تقدما ملحوظا في ابحاثه بحيث نجح في ادخال نظم حديثة باستعمال المياه المحلاة ، تم نظام الري بالتنقيط واستعمال هياكل بلاستكيه قليله التكلفه مزودة بوسائل التبريد والتدفئه لحمايه المزروعات من التقلبات الجويه ، تم استخدام الاغطية البلاستيكيه بانواعها المختلفه . وفي عام ١٩٨٢ تم انشاء الهيئة العامه لشؤون الزراعه والثروة السمكيه،حيث اصبح للزراعة في الكويت جهه تتمتع بهيكليه تنظميه وإداريه ، وتمتلك القدرة على وضع الخطط وتنفيذها وتذليل الصعوبات والعقبات التي تعترض المزارعين ، كما اعتبر انشاء هذه الهيئه دليل اهتمام بحاضر القطاع الزراعي ومستقبله في البلاد

وكانت الدوله قد قامت منذ منتصف الستينات بتوزيع قسائم زراعيه على المواطن الكويتي المهتم بالزراعة بمساحه ١٠٠ دونم للقسيمه الزراعيه في منطقه الوفرة و ٥٠٠ دونم في منطقه العبدلي،وهذه الحيازات الزراعيه منظمه ومسجله ، كما قامت الدوله بتقديم الدعم المادي لهذه القسائم الزراعية حيث يصرف نحو ثلاثه الاف دينار لكل مواطن يحفر بئرا ارتوازيا ، وكذلك هناك دعم مادي لاصحاب



الآلات الحديثه تقوم بجمع محصول البرسيم لتوزيعه على مزارع الابقار

الخيارات الزراعيه الذين يستخدمون الزراعه المحسنه

شركة مساهمة زراعية

ومع كل هذا الدعم وتلك التسهيلات التي قدمتها الدوله لهذه الخيارات الزراعيه الا انها لم تقدم نتاجا زراعيا جيدا يرقى الى الطموحات التي تأمل الدوله في تحقيقها . لذلك فكرت مجموعة من المشتغلين بالشئون الاقتصادية في تأسيس شركه مساهمة تكون رائده في المجال الزراعي وتهدف الى القيام بكافه الاعمال الزراعة كاستصلاح الاراضي وزراعتها وتسميدها ثم الاتجار بالبذور والحاصلات الزراعيه والثمار ، وكذلك بيع المبيدات الحشرية والاسمدة على اختلاف انواعها طبيعية كانت او كيماويه بالاضافه الى المحصات الزراعيه، وقد اطلق عليها اسم « الشركه المتحده للانتاج الزراعي » وقد باشرت الشركه أول اعمالها الزراعية بمنطقة الصليبيه على مساحة من الارض تبلغ حوالى ٩٢٠٠ دونم وأطلق عليها « مشروع الري الزراعى الاول » تقوم الشركه بزراعة اكبر مساحه ممكنه بمياه المجاري المعالجة التي تصل من محطة التنقية بمنطقة العارضية ، وقد تمكنت الشركه من زراعه مايقرب من ٧٥٪ من المساحة الكلية للمشروع مستخدمة في ذلك الالات والمعدات الحديثه من التسويه والحراثة والري والتسميد واخصاب ، كما ان الشركة ركزت على تنويع المزروعات كالاعلاف الخضراء والمعمره وبعض انواع الخضراوات والاشجار المثمرة كالعنب والحمضيات والنخيل . ومشروع الري الزراعى الأول بمنطقة الصليبيه استأجرته الشركه من وزارة الاشغال العامه وهو محاط بسور وخلف السور اشجار من الاثل تشكل مصدات للرياح بالاضافه الى صفوف اخرى من اشجار الاثل على جوانب الطرقات الداخليه المحيطه بالقطع الزراعيه . وقد قامت الشركه باستئجار مشروع الري الزراعي الثاني والذي تبلغ مساحته الاجماليه ٨١٥٠ دونما منها ٦٦٥٠ دونما اراضي زراعيه اما الباقي فمنشآت هندسيه ومراعي . والمشروع مجهز بشبكه مياه ارضية وطرق تحيط بالقطع الزراعية بالاضافه الى اربع خزانات مياه سعتها ٧٠ مليون جالون وماكينات ضخ اوتوماتيكية، ان قوه ضخ الماء في الوحده منها تصل الى ٢٧٠ لتر في الثانيه

اعلاف وخضراوات

تهتم الشركة اهتماما خاصا بزراعه الاعلاف كالبرسيم او مايسمى في الكويت بـ (الجت) والشعير والذرة ، وتسد الاعلاف المنتجه محليا نحو ٩٠٪ من حاجة مزارع الابقار والاغنام ، وتقوم الشركة بالاستفاده من الفائض بكبسه وتحويله الى علف جاف مما يسهل تخزينه وبيعه في المواسم التي تقل فيها الاعلاف الخضراء ، وتهتم الشركه كذلك بزراعه





أحد أساليب الري الحديثة التي تتبعها الشركة المتحدة للانتاج الزراعي وتهتم الشركة بانتاج الخيار والباذنجان والطماطم والفلفل والملفوف، كذلك الخضراوات التي تجود زراعتها بالمياه المعالجة

الخضراوات مثل الزهرة والملفوف والبطاطس والبصل الجاف والثوم واللوبيا والباذنجان ، وبجانب الاعلاف والخضراوات تولي الشركة الاشجار المثمرة عناية خاصة وبخاصة اشجار الزيتون والليمون والنخيل والعنب والسدر والبرتقال،كما اعطت كذلك ، اهتماما خاصا للزراعة المحمية التي تروى بالمياه العذبة ، فهي تزرع بهذه الطريقة انواعا من الخضار التي يمكن اكلها مباشرة كالخيار والطماطم والفلفل الحلو وبالاضافة الى ذلك اهتمت الشركة ايضا بزراعة المشاتل والمزروعات التي تلائم مناخ الكويت ، وتجري تجارب على العديد من هذه الانواع مثل زهور الزينة ونباتاتها والاشجار الداخلية ، في محاولة لتوفير هذه الاصناف كليا بعد ان زاد الاقبال عليها في السنوات الاخيرة وتقوم الشركة كذلك بتربية النحل فهناك حوالي ٦٠ خلية بلغ اجمالي انتاجها عام ١٩٨٥ نحو ٨٥٠ كغم ، وبالاضافة الى ذلك اهتمت الشركة بتربية الاغنام لما للثروة الحيوانية من فوائد جمة،فهي تمد المسطحات الزراعية بكميات لا بأس بها من الاسمدة الطبيعية بالاضافة الى ماتدره من دخل لارتباط الاغنام بالاعلاف التي تنتجها الشركة وتستفيد من الفائض منها في طعام الاغنام بدلا من ان تذهب هدرا

يبين الجدول التالي المساحات المقرر زراعتها خلال عام ١٩٨٦

المشروع الأول		المشروع الثاني	
الصنف	المساحة بالدونم	الصنف	المساحة بالدونم
جت	٣٥٠٠	بطاطا	٥٠
شعير	٢٩٠٠	بصل جاف	٥٠
قمح	٢٠	جت	١٩٠٠
ذرة اعلاف	١٠٠	ذرة اعلاف	٢٠٠
خضراوات	١٠٠٠		

ويبين الجدول التالي الكميات المنتجة من الاعلاف والخضراوات خلال السنوات الثلاثة الماضية (مقدرة بالطن)

المحصول	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	المشروع الجديد عام ٨٥
اعلاف	٣٣٤٨٥	٣١٣٧٣	٣١٤٩٠	١٢٨٨/٧٠٠
خضراوات	٢٢٨٢	١٨٥٦	١٩٣٦	٥٧/٧٠٠
الاجمالي	٣٥٧٦٧	٣٣٢٣٠	٣٣٤٢٦	١٣٤٦/٤٠٠

المياه المعالجة

وقد تسأل . من اين تستطيع هذه الشركة توفير تلك الكميات الكبيرة من المياه لزراعه هذه الالاف من المسطحات الخضراء علما بأن الكويت كما هو معروف ارض صحراوية شحيحة في موارد المياه،بل تكاد المياه فيها تكون معدومة ، وحتى لاتقع في حيره من أمرك نقول لك على التو أن المياه المعالجة أو المياه المعامله كما يطلق عليها احيانا هي الوسيله لري هذه الالاف من الدونمات وزراعتها . يقول الدكتور ابراهيم حمدان مدير التكنولوجيا الحيويه في معهد الكويت للابحاث العلمية لقد اثبتت التجارب العلميه أن مياه المجاري المعالجة تصلح للاستخدام في الزراعة،ويمكن استخدامها كمصدر وحيد للري في زراعة عدد كبير من انواع النباتات ، الا ان هذه المياه بها نسبه من الملوحة ونسبه اخرى من المعادن والمواد العضويه السامه التي تنتج من صرف المخلفات الصناعية ، والمعروف ان مياه المجاري تمتاز بارتفاع تركيز مركبات النيتروجين بها ، وينظر الى هذه المواد كنوع من السماد،وان كانت زيادتها تؤثر على نمو بعض النباتات كما يؤدي استخدامها الى زياده تركيزها في الاعلاف واحتمال ان يؤدي الى تسمم المواشي التي تتغذى على هذه الاعلاف ، ومن الشروط التي يجب ان تتوافر لاستخدام المياه المعالجه في اغراض الري بأمان ان تحقق مستويات معينة للجودة،منها التأكد من خلوها من المواد الصلبه العالقة ، فلا بد ان تمر المياه بمرحلتي المعالجة الاولى والثانية قبل استخدامها بأي صورة من الصور ، أما مايلي ذلك من معالجات فيتم على اساسها تحديد نوعية الاستخدام ، والمعروف أن مياه المجاري عاده تكثر فيها مركبات الأمونيا التي تتوافر بصفة دائمه في هذه المياه فيتم تحويلها الى مركبات النترات ويستخدم الأوزون في تعقيم المياه الا ان تكلفة الأوزون مرتفعة لذلك يستخدم الكلور لهذا الغرض مع ان كفاءته في قتل الفيروسات تقل كثيرا عن كفاءة الاوزون

والمعروف ان عمليات استخدام مياه المجاري لاغراض الري في الكويت مرت بعدة مراحل ، فقد بدات باستخدام مياه المجاري التي تنقلها سيارات (المصاص) لري بعض الاشجار التي تستخدم



الري باحدى الطرق الحديثة

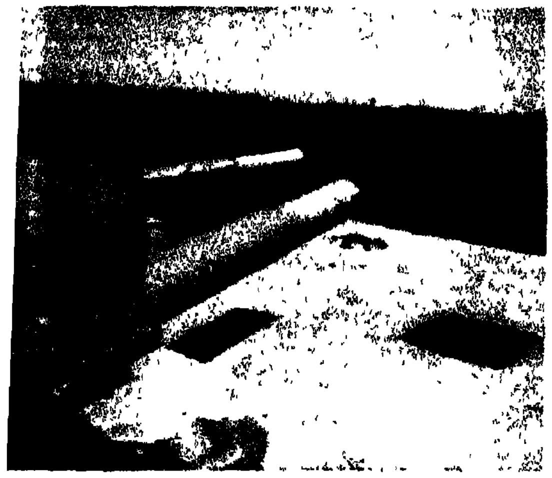


الري المحوري احدث وسائل الري المتبعة

كمصدات للرياح في المناطق البعيدة من العمران ، ثم تلا ذلك استخدام المياه التي تنتج من محطة التنقية بمنطقه العارضية وهذه المحطة تقوم بمعالجة المياه التي تصل اليها باستخدام التهوية والترسيب الثانى ، أما المياه المعالجه المستخدمه في الزراعه وبخاصة تلك التي تروى بها مزروعات الشركة المتحدة للانتاج الزراعي فهي مياه معالجة ثلاثيا،لأنها تتضمن الترشيح



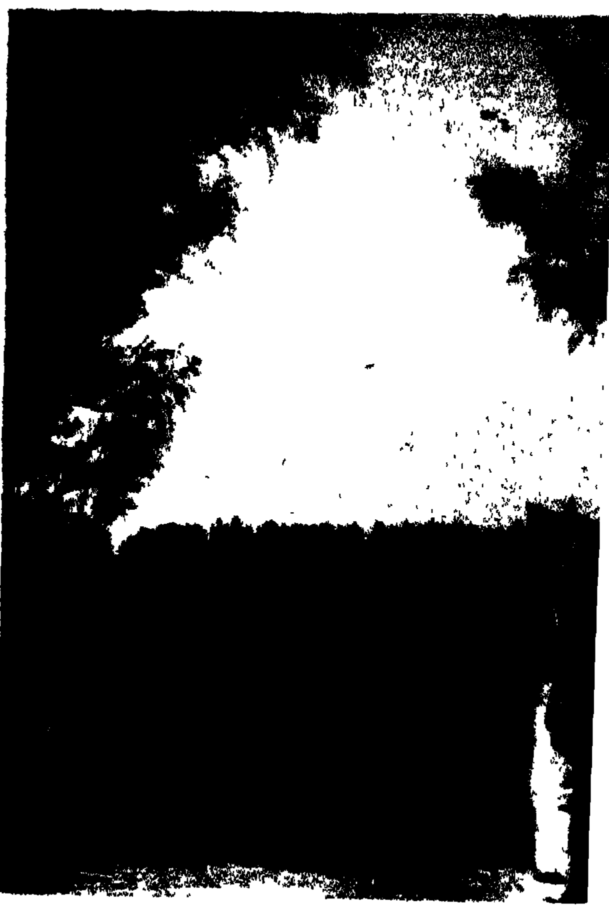
جانب من الاجهزة الحديثة التي تقوم بتنقية المياه



حوض يصب اضواء لاعداد الغبير



التقنية الحديثة تدخل عالم الزراعة



زرعت كميات هائلة من اشجار الاثل ، لتستخدم كمصدات للرياح وحماية للمزروعات

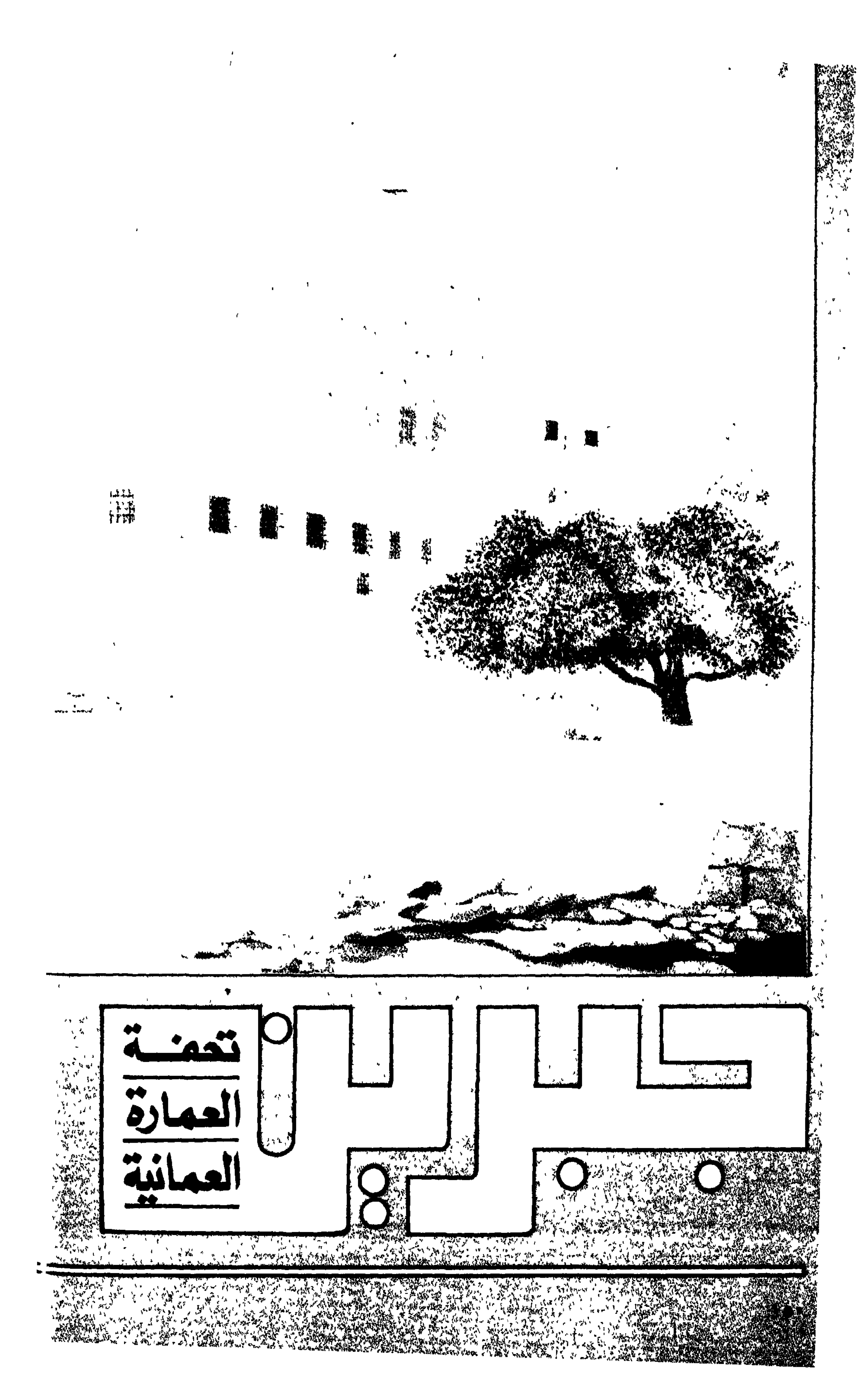
باستخدام الرمل على ان يسبق ذلك ويليه استخدام الكلور في تعقيم المياه

ومن المنتظر ان يتوافر في عام ٢٠١٠م مايعادل ٣٨٠ الف متر مكعب من هذه المياه المعالجه يوميا ، تنتج محطة العارضية منها ١٥٠ الف متر مكعب ومحطة القرى الساحلية ١٦٠ الف متر ، ومن محطة الجهراء ٧٠ الف متر مكعب ، ويمكن لهذه الكمية من المياه المعالجة ري مساحة تساوي ١١٨٢٨ هكتارا منها ٢٥٠٠ هكتارا لزراعة المحاصيل الزراعية والباقي ٩٣٢٨ للتحريج واقامة الاحزمة الخضراء

اما المياه المعالجة فانها تستخدم الان في زراعة ٢٨٦٦ هكتارا من الاراضي بطريقة الرش وذلك لزراعة البرسيم وبعض المحاصيل الجذرية مثل البطاطس والبصل والثوم ، وهي من المزروعات التي يصلح معها هذا الاستخدام ، أما التنقيط فيستخدم في زراعة الطماطم المعلقة والخيار والفلفل والبطيخ والسلة □



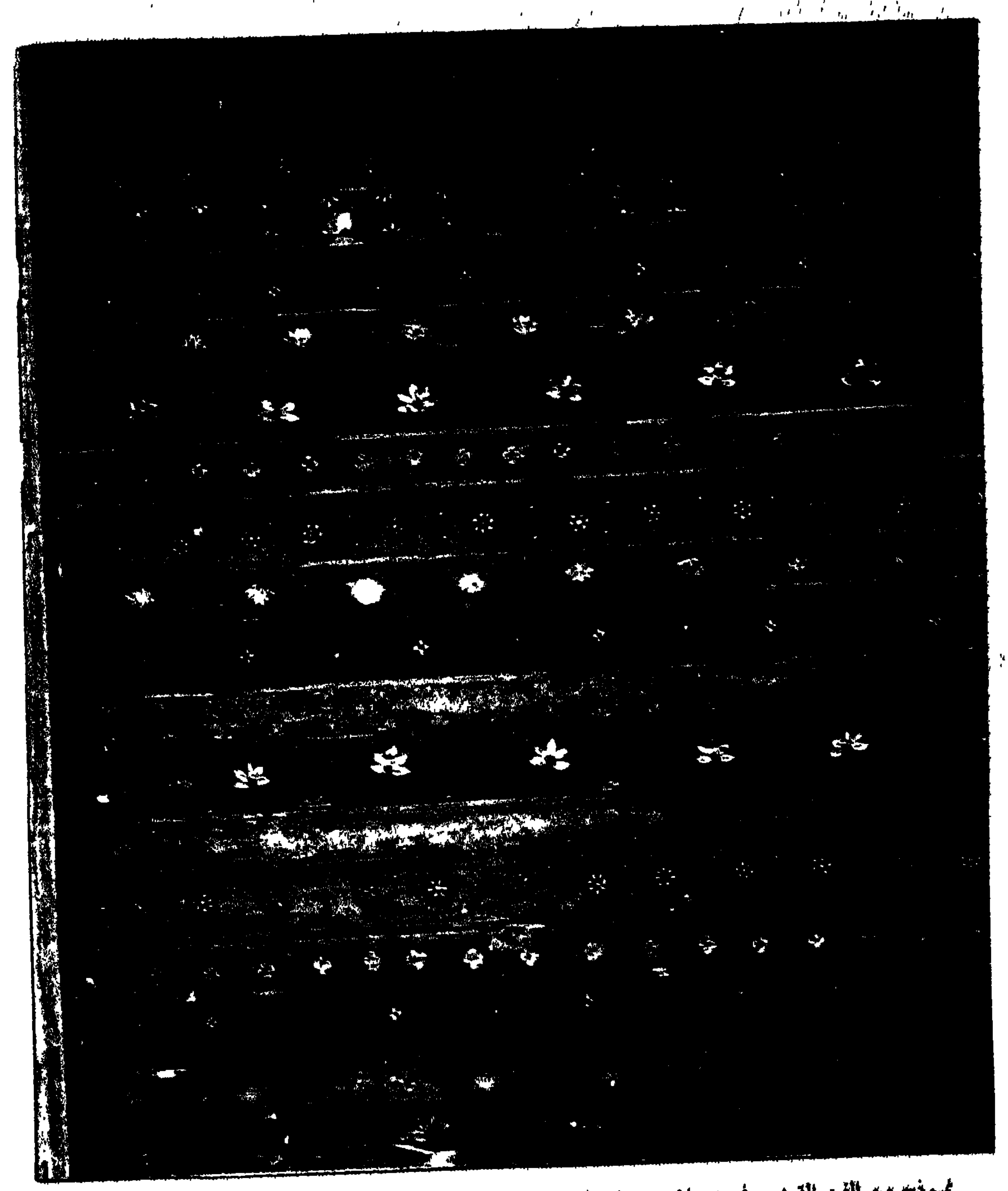
الماكينات الزراعية احدى الوسائل الحديثه لجمع المحاصيل الزراعيه


تحفة
العمارة
العمانية



بقلم : يوسف الشاروني

يعتبر الفن المعماري في أي بلد مرآة تعكس تاريخه وحضارته . وقد عانت عمان من النزاعات الداخلية عدة قرون ـ شأنها في ذلك شأن أوروبا في القرون الوسطى ـ وتعرضت في فترات معينة من التاريخ للاحتلال من جانب قوى خارجية . تركت هذه الأحداث بصماتها على الفن المعماري للبلاد ، [illegible] معالم للفن المعماري ومن ملامح التاريخ في عمان ؟ [illegible]



نموذج من الفن القديم في عمان . سقف في قلعة جبرين يرجع تاريخه الى عام ١٦٨٨ . وترى النقوش المزخرفة بالالوان ظاهرة على السقف المصنوع من خشب الصندل والساج . وهو يعكس صورة الرخاء الذي كانت تنعم به عمان مابين عام ١٦٥٠ - ١٨٥٠ .

ترجع جذور فن انشاء الحصون في عمان الى بداية الحياة المستقرة ، عندما بدأ الانسان يتعلم كيف يزرع ويروض الحيوان ، ويبني المساكن الدائمة ، ويحمي كل هذا مستخدما الأسوار والأبراج .

وكان تصميم الاستحكامات الدفاعية يعتمد على أسلوب الحروب والأسلحة المستعملة فيها ، وأدى ادخال الأسلحة النارية في عمان منذ أكثر من أربعمائة عام إلى تغيير وجه الفن المعماري الخاص بالحصون ، كما حدث في بقية أنحاء العالم .



أحد الاعمدة الخشبية التي ترتكز عليها السقوف المنقوشة

فالمباني التي أنشئت قبل ظهور البارود كانت لمواجهة الاشتباكات بالأيدي والسيوف والرماح والنبال ، ولهذا كانت تلك الأسوار المنخفضة نسبيا والأبراج غير الضخمة تكفي لأغراض الدفاع .

ويعتبر حصن جبرين ـ الذي أنشىء في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ـ نموذجا لذلك الارتباط التام بين التحصينات الدفاعية وأماكن السكن ، فبرجاه يقعان على زكتين متقابلين ، ويميلان الى الانحراف ، بحيث يسمح للمدافع بتغطية الاسوار وحمايتها دون أن

تسبب أي دمار أومخاطر للمبنى

وجبرين بلدة عمانية صغيرة تبعد عن « بهلا » أكثر من عشرين كيلو مترا ، الى الجنوب الغربي ، وتبعد عن العاصمة مسقط حوالي ٢٥٠ كيلو مترا ، وهي تقع وسط سهل واسع عند نهاية السلسلة الكبرى الأولى من الجبل الأخضر

وعندما توفي سلطان بن سيف ـ ثاني أئمة اليعاربة ـ بويع بعده ابنه بلعرب عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م اماما على عمان ، وكان أول ائمة اليعاربة ناصر بن مرشد قد طرد البرتغاليين من مدينتي صور وقريات ، ثم خلفه ابن عمه سلطان بن سيف فطرد البرتغاليين من مسقط ، بل أرسل سفنه الحربية لمهاجمة عمان واستقرارها ، فلما بويع من بعده ابنه بلعرب سار على نفس الطريق يبني ويعمر ، وكان أعظم أعماله بناء قلعة جبرين ، حيث نقل اليها عاصمته من مدينة نزوى ، وذلك عام ١٦٧٠م ، أي بعد سنتين من توليه الامامة ، وأقدم تاريخ وجد حتى الان في القصر مدون على القوس المزخرف عام ١٦٩٢م ، والتاريخ المدون على القوس هو عام ١٠٨٦هـ أو١٦٧٥م، ويعني هذا ان بناء القصر ـ او على الاقل التحسينات والزخرفة والتعديلات التى أدخلت عليه ـ ظلت مستمرة عدة سنوات ، بحيث يرى البعض أن منشآت الدفاع في المبنى أضيفت في فترة لاحقة

معمار الحصن

والمبنى كما هو اليوم له شكل متوازي الأسطح ، أرضه مستطيله الشكل (٤٣×٢٢ مترا) وارتفاعه يتراوح ما بين ١٦ الى ٢٢ مترا ، وللحصن برجان للمدفعية ، يقعان شمال المبنى وجنوبه اسطوانيا الشكل ، متصلان بجدار المبنى الرئيسي ، وبرجان دفاعيان صغيران اخران ، أحدهما في الزاوية الغربية من السور ، والاخر في وسط الجانب الشرقي منه

والبناء من حجارة كبيرة الحجم من الحجر الرملي القائم ، مرصوصة بطين وجص ، تكسوها طبقة سميكة من رمل وجص .

وهناك فلج صغير يأتي من الواحة القريبة ، ويدخل من الشرق ، شاقا المبنى في اتجاه من الشمال الى الجنوب الغربي ، ماراً بجوار قبزبانيه بلعرب بن سلطان ، ومن السمات الخاصه بالحجرات تلك الطاقات العالية المقسومة قسمين مختلفين تماما ، فالقسم الأعلى لاتسده الا شبكة من الجص في الجانب الخارجي تسمح بالتهوية والضوء ، بينما الجزء الأسفل يكاد يكون في مستوى أرض الحجرة ، ويمكن اغلاقه بضلفتين صغيرتين من الخشب ، والجزء الأوسط بين هاتين الفتحتين مسدود ، وتقسمه أيضا رفوف خشبيه الى جزاين ، تستعمل للتحرير

أما السقوف الخشبية فأكثرها مغمور عائم مزخرف مدهون ، وأغلبها محلى بكتابات من آيات قرآنية ، أو ابيات شعر ، والطاقة العليا ذات قوس مستدق الرأس ، وباطن القوس أو الجنبه تكسوه زخرفة جصية ذات أشكال هندسية،ويتم تشكيلها منفصلة ، ثم يتم لصقها في موضعها ، ومازال هناك آثار زخارف من الأزهار مرسومة بالطلاء على التجصيص

وفي الطابق الأرضي ، وعلى امتداد الجانبين الشمالي الغربي والشمالي الشرقي ، ثلاث حجرات خاصة ليس لها منفذ إلى الخارج ، ومما تتميز به السقوف انها مزدانة بحليه من الجص

اما مجلس الامام فهو موجود في الطابق الأعلى من البناء وهو عبارة عن غرفه ذات سقف مطلي بألوان تدل على ذوق اصيل ، وتطل على مناظر طبيعية أخاذة ، تشمل السهول الممتدة حتى مرتفعات الجبل الأخضر الشاهقة

وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة العمانية بتوجيهات من جلالة السلطان قابوس بن سعيد بترميم القصر ، وتكلفت عمليات الترميم حوالي ٤٥٠ ألف ريال عماني

جبرين مدرسة العلماء

وقد كان الامام بلعرب بن سلطان محبا للعلم والعلماء ، وقد رأى أن العمانيين قد اصبح لهم صوت عال في العالم ، الا أن العلم قليل بالنسبة لاتساع الدولة وعلو شأنها ـ بعد هزيمة البرتغاليين وطردهم ـ

ب حاب اتساع رقعتها ، فمالت نفسه الى نشر العلم وكان قد زار عمان في هذه الاثناء أحد علماء ناصية من أهل المغرب اسمه الشيخ عمر بن سعيد بن محمد زكريا الحربي ، فشهد أحوال عمان وتقدمها اتصالها بالعالم الخارجي وحيوتها الصحيحه ، لكنه لاحظ قصور معاهد العلم ، فكتب للامام بلعرب كتابا يدعوه فيه الى الالتفات نحو الناحيه العلمية ، واتفق ذلك مع رغبه الامام بلعرب بن سلطان ،

فاستجاب للدعوه وخصص مدرسه حبرين للعلماء والمتدنين من الطلبه العمانيين ، وقام برعايتهم وخصص الغرف العاليه من القصر لهم ، وهي غرف فاخرة جملة لها اتصال بالفلج الذي في بطن القصر ، ولا يرى من فيها عند دخوله أحدا من أفراد القصر وحدمه ، وكان يقوم بنفسه بتغذية الطلبة وبذل المال وتغذيتهم لاسيما بالفواكه

ويقال انه تخرج من هذه المدرسه بحصن حبرين خمسون عالما ، من بينهم من اشتهر بعد ذلك ، مثل الشيخ خلف بن سنان الغافري ، والشيخ سعيد بن عبيدان ، والشيخ بن خميس الخنس الصرير

نهاية درامية لباني القصر

ثم ثار على بلعرب أخوه الأصغر يوسف بن سلطان ، وانقسم أهل عمان الى فريقين ، بعضهم مع بلعرب وبعضهم مع سيف ، ثم أخذ فريق سيف يقوى على فريق بلعرب ، وكان بلعرب سخيا كريما مواسيا للفقراء ، فلقبوه أبا العرب ، فلما طالت الفتنة بينه وبين أخيه واضطربت احواله صاروا يلقبونه بلاء العرب

وكان الامام بلعرب متحصنا في نزوى ، فلما رأى ما آلت اليه الأوضاع مع أخيه خرج من نزوى وتوجه الى الشمال ، متفقد الاحوال ، فلما رجع الى نزوى منعه اهلها من دخولها ، ويقال ان المنع قرره أخوه سيف ، فلم يستطيعوا مخالفته ، فتوجه الى جبرين اخيه ، وهو مايزال حيا وموجودا ، ويقال ان ذلك كان ايضا خوفا من سيف

واستولى سيف على جميع حصون عمان ، وخاصم كل من كان متعاونا مع اخيه ، ولم يبق بيد بلعرب الا حصن جبرين

ثم جمع سيف جيشا كبيرا وحاصر أخاه حصارا شديدا في حصن جبرين ، ولما عجز بلعرب عن مواجهته ، اجتمع اكابر عمان فعقدوا الامامة لأخيه سيف

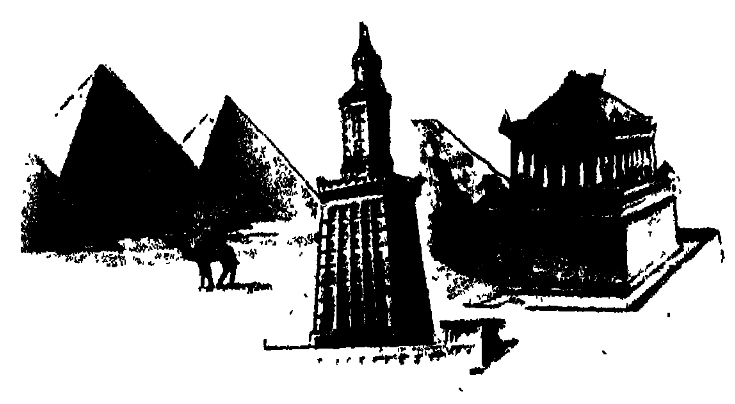
وجعل سيف يضرب الحصن بالمدافع ، وكان مع بلعرب رجال مشهورون بالشجاعه ، فكان كلما دنا جيش سيف من الحصن خرجوا لهم وحاربوهم ، فقتل في تلك الحرب كثيرون ، ثم أن أكابر الفريقين اتفقوا على وقف الحرب وقالوا ان الرأي أن نتوقف عن قتال بعضنا البعض ، فاذا اقتتل سيف واخوه بلعرب وقتل احدهما أخاه صرنا رعية للباقي منهما ،وان أبيا المبارزة مكث كل واحد منا في معسكره ، فإذا طالت على ذلك المده رجع كل واحد منا الى بلدته

ويقال انه لما بلغ بلعرب ذلك توضأ وصلى لله ركعتين وسأل الله أن يميته ، فما فرغ من دعائه الا وقد خر على البساط الذي صلى فيه ميتا ، فبعد ذلك خرج بعض خدمه من الحصن فأخبروا أخاه سيفا بوفاته فاتهمهم وقال لهم اقتلتموه ؟ قاتلكم الله فحلفوا له انه مات قضاء وقدرا ، ثم خرج أعوانه من الحصن ومضوا الى أخيه سيف ، وأكدوا له موت بلعرب ، فمضى سيف الى الحصن وغسل أخاه وكفنه وصلى عليه ودفنه داخل الحصن قرب الفلج ، وذلك في عام ١١٠٤هـ ، وبعد ولاية دامت ثلاثة عشر عاما وقد كتب فوق القبر هذان البيتان .

اتعبت نفسي في عمارة منزلي
زخرفته وجعلته لي مسكنا
حتى وقفت على القبور فقال لي
عقلي ستنقل من هناك الى هنا
□



■ **الامبراطورية التي تقوم على الحرب ، تعيش بالحرب (مونتسكيو) .**





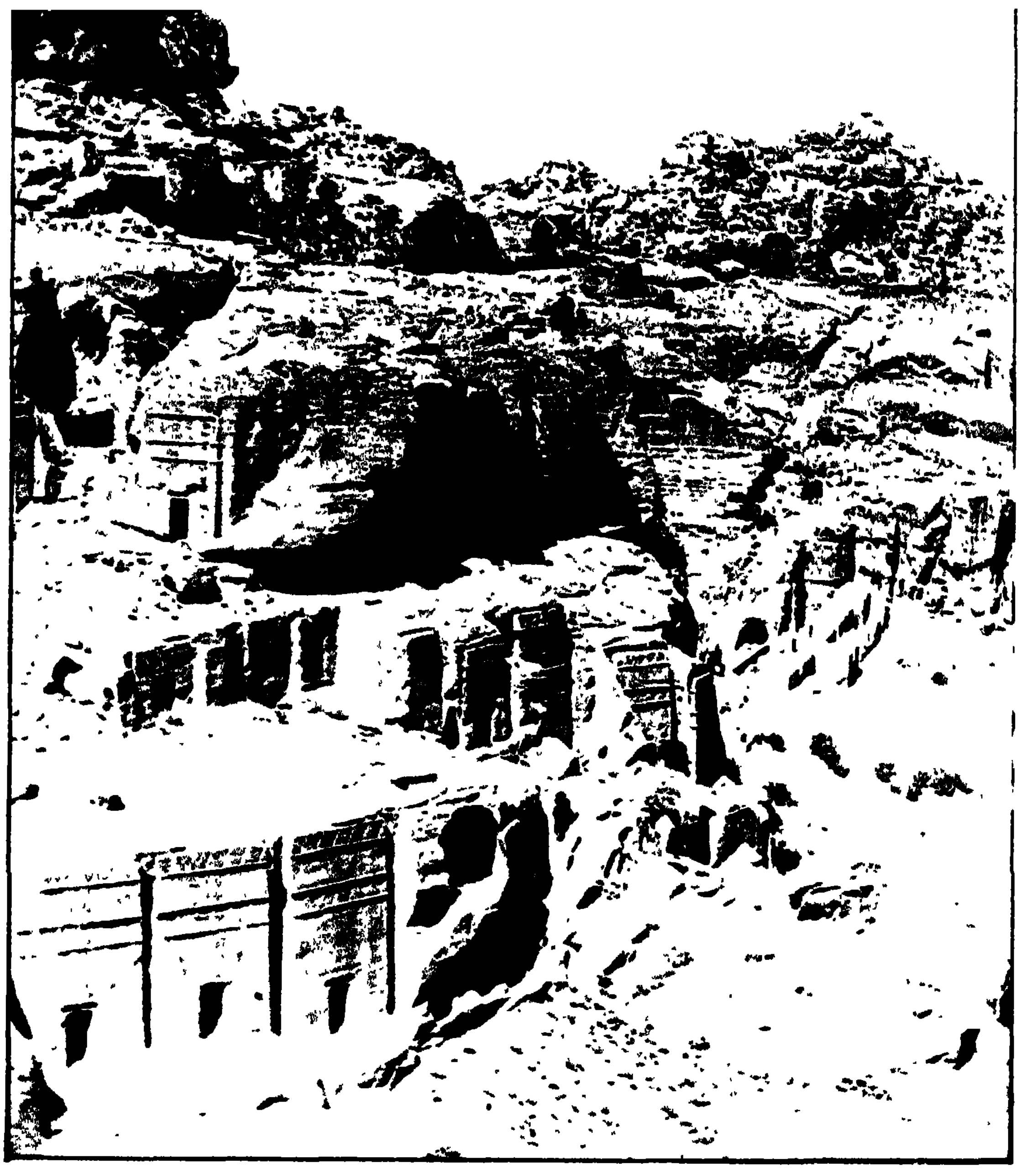
اعداد : يوسف زعبلاوي

حضارة البتراء

حضارة عربيّة صَميمَة

لعلها أعجب حضارات التاريخ كلها هذا هو شعور كل من يزور البتراء ويشاهد الصروح الرائعة التي اقامها الأنباط حفراً في الصخور والجبال زارها الشاعر الانكليزي جون بورجون في منتصف القرن التاسع عشر، فنظم قصيدته المشهورة (البتراء) التي أكد فيها أن لاشيء في أوروبا يضاهيها . وقد أدهشته تلك الصروح - الجبال، كما أدهشت الكثيرين غيره في الماضي والحاضر وبدأت دهشته وهو في طريقه الى البتراء وقبل الوصول اليها حين مر في الطريق الضيق - السيق - وهو الطريق الوحيد الذي يسلكه السياح الى البتراء، سيرا على الأقدام أو ركوبا على ظهور الحمير . والذي شقه السيول في صلب الجبل حتى غدا جبلين يحلقان على ارتفاع ستين مترا او يزيد ، ويضمان ذلك الممر الضيق وكأنه النفق المكشوف وبلغت دهشة الشاعر ذروتها حين شاهد الألوان المختلفة - ألوان قوس قزح كلها - التي تقلبت على جبال البتراء وتلالها عند الغروب لقد غلب عليها حقا اللون الأحمر

من أشهر صروح الصخور في البتراء هذا الصرح الذي يسمونه (خزنة فرعون) يعود بناؤها الى القرن الثاني الميلادي وهي قبر لامعبد . والطراز العمراني الذي يتجلى فيها طراز اغريقي كما يبدو واضحا



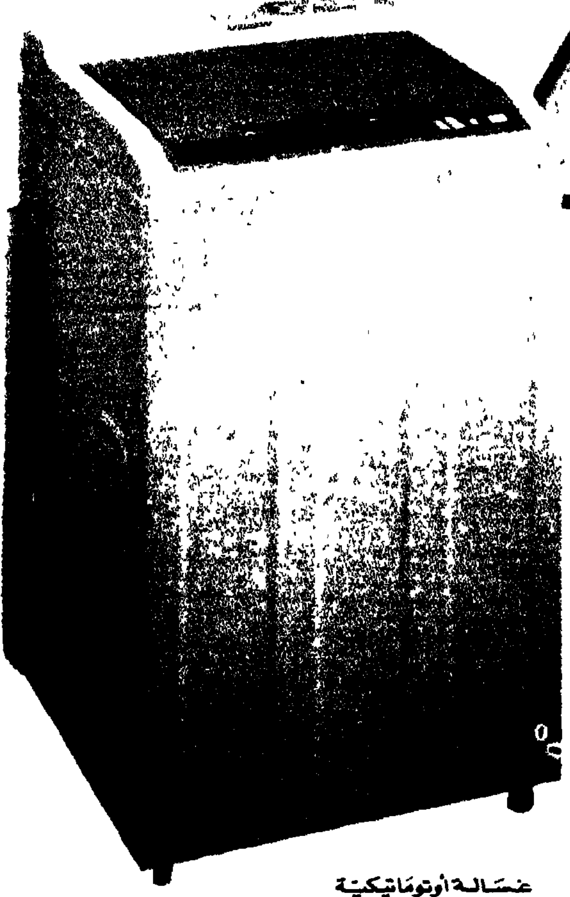
مجموعة من القبور نحتها النبطيون في الجبال والصحور تماما كما نحتوا
الواجهات التي تبدو لك قصورا ، وهي لاتعدو كونها واجهات

الوردي ولكن احمراره كان أكثر اصفرارا هنا وأقل هناك . تبعا لاختلاف الرمال . وتفاوت ذلك الاحمرار أيضا تبعا لاختلاف أشعة الشمس وتغيرها عند الغروب

ويتساءل السائح أول مايتساءل من هم (الأنباط) الذين سووا هذه المدينة العجيبة ؟ . وما أسرع مايأتيه الرد بأنهم ساميون عرب خرجوا من بطن الصحراء فيما بين سنة ٤٠٠ ـ ٣٠٠ ق.. م وقدموا ! الى تلك البقعة الجرداء التي اختاروها لبناء عاصمتهم البتراء ، لقد غلبت عليهم نزعة الحرب حين كانوا في البادية ثم مالبثوا أن استحالوا لنزعة السلم و أعمال البناء ، والاستمتاع بالرخاء ، حينما أصبحوا من سكان المدن ، وشغلوا أنفسهم بالتجارة غير أن معدنهم الصلب بقي على صلابته ، بحيث أمكنهم رد الهجمات العديدة التي تعرضوا لها على مدى التاريخ

ولكن لم اختاروا تلك البقعة بالذات لبناء البتراء وهي البقعة القاحلة الجرداء . وكانهم خرجوا من صحراء الى صحراء ؟ اختاروها لسببين . لموقعها على تقاطع طرق التجارة بين بلدان الشمال وبلدان



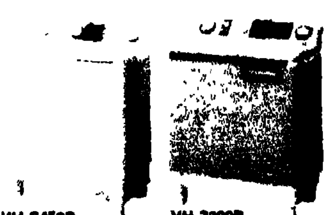


POWER TUB

الحوض الجديد المتحرك في غسالة توشيبا يجري تصميمها المزيد فكامل الحوض الأسفل لحوض الغسيل يدور بقوة باتجاهين بالتناوب ليوفر غسيلا فائق النظافة، حلزونية ويجري التحكم بكل هذا بمعزز لمس لوحة الميكروكمبيوتر الأمامية



- دورات الحوض بطريقة ثورية جديدة
- قوة تنظيف اضافية
- سعة كبيرة اضافية (زائد ٢٠٪)
- تحميه إمكانية تلف الثياب
- تنظيف متساو، يمنع تشابك الثياب



غسالة بحوضين
VH-S450B
• باحص SWING لمنع تشابك الثياب ولتأمين تنظيف افضل وانعم • فلتر دائري فعال للغسالة

غسالة بحوضين
VH 3300B
• توفير للوقت والماء بفضل حركة الشطف الدوار • فلتر دائري فعال للغسالة

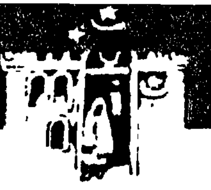
غسالة بحوضين
VH-1300B
• توفير للوقت والماء بفضل حركة الشطف الدوار • فلتر دائري فعال للغسالة

غسالة أوتوماتيكية كاملة
AW SX1E
• دوران الحوض بطريقة ثورية جديدة • تحكم بالميكروكمبيوتر
• تمنع تشابك الثياب وتغسل بنعومة
• تنظيف فعال • سعة كبيرة

TOSHIBA
TOKYO. JAPAN

AL ARABI/NB: 200x130 (mm)


مجلة الأسرة والمجتمع
عادات
الفم السيئة
عند الاطفال



عادات الفم السيئة عند الأطفال

بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون

لاننتبه كثيرا عندما تولد العادات ، فلا يستوقفنا كثيرا مص الطفل لاصبعه أو حركات فمه ـ بدون أن ندري ـ نترك العادة تنمو ، ويمتد تأثيرها ليشمل حياة الطفل النفسية

يمكننا تعريف العادة بأنها التكرار المتواصل لفعل ما بدون مشاركة الارادة ، ومن هنا فان كثيرا من الوظائف والممارسات في حياتنا اليومية تعتبر عادات ، ومن هذه الممارسات اليومية عادة الفم السيئة التي يمكنها الحاق الضرر بالمظهر العام وتخل بالعمل المتناسق للأسنان والفم ، وتظهر جميعها خلال مرحلة الطفولة مسببة عددا كبيرا من اوجه الشذوذ في الأسنان والفكين وبعض هذه العادات الضارة هي

- مص الاصابع
- مص الشفة
- مص اللسان
- مص وعض مخاط الخدين
- عض وقص الأظافر بالأسنان (أكل الأظافر)
- عض الاقلام .
- التنفس من الفم

وعدا عن أوجه الانحراف والشذوذ المختلفة التي تلحقها في الفكين والأسنان ، فيمكن لهذه العادات أن تقوم كذلك بتغيير وظائف الفم المختلفة : المضغ ، والبلع والنطق ، وتؤدي كذلك عادات الفم باحتمالات الشذوذ التي ذكرناها الى الضرر انصا بعالم الطفل الحسي والنفسي ، والى التأثير السلبي على تكوين شخصيته وتطوره الاجتماعي وسعادته كفرد

والموضوع بحد ذاته يتميز بأهمية خاصة ، وقد شغل عددا من أطباء الاسنان ـ بل أطباء الأطفال ، والأطباء النفسيين وعلماء التربية ، والباحثين الاجتماعيين ، وغيرهم

الرضاعة من الأم :

تشكل الرضاعة من الأم عطاء وواجبا منها تؤديه نحو طفلها ، والرضاعة الطبيعية تؤدي عدة وظائف بالغة الأهميه .

١ ـ حليب الأم يعتبر غذاء كاملا للمولود ، لاحتوائه على كافة العناصر العضوية وغير العضوية التي تعتبر ضروريه لغذائه ونموه

٢ ـ ولاحتوائه على أجسام مضادة جاهزة خاصة بالميكروبات والجراثيم التي تعيش غالبا في بيئته والتي تكسب الطفل المناعة ، وهذا يعني بأن الأم من خلال الرضاعة تحمي طفلها من الأمراض التي تتهدده .

يمنع على المصانع التي تقوم بانتاج منتوجات البان للأطفال أن تدون عليها بأنها يمكنها أن تعوض حليب الأم،كذلك فالنشرة تلزم هذه المصانع بالكتابة فوق مسوحاتها بأن . الرضاعة من الأم هي الافضل ، وأن البدائل يجب أن تعطى باشراف الطبيب

وملخص مايمكن قوله في هذا المجال ، هو أن صدر المرأة له بطبيعته مهمة حيوية مهمه وليست جمالية أو جنسية كما يبررها الكثيرون الان

وحين ولادة الطفل فهو يمتلك جميع أعصابه بشكل أولى ضعيف غير قادرة على أداء حركاتها ، باستثناء الفم المزود بامكانيات اضافية ، مثل الاحساس الغريزي القوي بالرغبة في الرضاعة ، لاشباع شعوره بالجوع ، وهو بواسطة شفاهه وفمه لايأخذ الحليب فقط ، بل يتلذذ بأخذه كذلك ويستمتع باتصاله مع امه ، حيث يشعر في حضنها بالدفء والأمان . الأمر الذي يحتاج له بمقدار احتياجه للحليب ذاته،وخلال هذه الفترة ، فالفم يشكل المصدر الوحيد الذي يشبع الطفل من خلاله جميع احتياجاته ، وهو بواسطة فمه يحاول التعرف على العالم من حوله ، وتنمية وتطوير تجاربه،لذلك فهو يقوم بتقريب جميع الأشياء التي تقع تحت يديه من فمه وشفاهه كي يحس بها ، والفترة الزمنية الحسية هذه للطفل التي يسود فيها الفم تعرف باسم « فترة الفم »

وخلال هذه الفترة فالرغبة في الرضاعه تسود على الرغبات الأخرى،لأجل ذلك فالطفل يرغب بتكرارها ، ولان هذا الأمر بطبيعته غير ممكن ، تلجأ كثير من الأمهات لاستخدام « قنينة الرضاعة » ، وما يمكن قوله هنا هو أن أفضل أنواعها ذلك الذي يمتاز بتركيب تشريحي

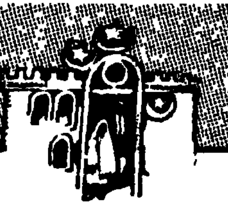
ويختلف طول هذه الفترة بين طفل وآخر ، وتلعب دورا مهما بشكل خاص في النمو النفسي والجسدي لدى الافراد ، فالتجارب والمشاهد التي يعيشها الطفل خلال « فترة الفم » والاحساسية هذه كي ينمي عقله ومنطقه ويقوم بشرح وتفسير الظواهر المختلفة من حوله ، يتم تسجيلها في الجهاز العصبي المركزي وبهذا التشكل يتم وضع الأسس الأولية لنمو شخصيته



وقد ثبت بان امراض الحساسية المختلفة والأكزيما وغيرها تقل لدى الأطفال الذين يرضعون من امهاتهم ، بالمقارنة مع أولئك الذين يتغذون بالحليب الأجنبي ، كذلك فالرضاعة من الأم تقدم للطفل فرص امكانية لنمو الرباط العاطفي بينه وبينها ، مما يعتبر عنصرا مهما لنموه الطبيعي والنفسي والجسدي بعد ذلك كفرد في المجتمع

وهكذا فحليب الأم الذي تقدمه لطفلها خلال عملية الرضاعة ، الى جانب اتصالها معه ، وهو أمر لايمكن تعويضه ، فانه لايمكن لأي حليب مصنع أن يحتوى على العناصر والمزايا التي يحتويها حليب الأم

ولكي تبرز الأهمية الخاصة التي تقدمها الرضاعة للأم والطفل معا ، فقد أصدرت منظمة الصحة العالمية بعد سنوات طويله من الابحاث نشرة خاصه ؛ وزعتها على الدول الأعضاء جاء فيها . بأنه



مص الأصابع :

الحركات التي يؤديها الطفل بأصابعه خلال هده الفترة ، تعتبر سلوكيات غير منظمة أو واعية فهو ـ بطريق الصدفة ـ يضع أصابعه في فمه حيث يمح بذلك الفرص لتجريب شعور قريب للغاية من الرضاعة الحقيقية ، ولأن الحركة هده تعطيه شعورا بالرضاعة ، فهو يقوم بتكرارها مرات كثيرة ، كلما سنحت له الفرصة ، كي يستمتع بها متى رغب بذلك .

وتكرار مص الأصبع فترة طويلة يتم عن وعي ارادي منه في البداية ، وبتأثير العادة بعد ذلك .

ويمارس هذه العادة السيئة التي لاتعتبر ضارة خلال هده الفترة الزمنية أكثر من ٥٠٪ من الأطفال ، ومع تقدم الزمن وبروز الأسنان الأولى ، يبدأ الطفل تعلم كيفية مضغه لطعامه ونطقه للحروف كي يبدأ الحديث

والاهتمامات والتجارب الجديدة التي يكتسبها الطفل الى جانب لعبه ، تخلف له وعيا بذاته داخل المجال العائلي ، مما يؤدي لتخلي الكثيرين من هؤلاء الأطفال عن هذه العادة ، ولايبقي متمسكا بها سوى ١٠ ـ ١٥٪ منهم فقط .

والانحرافات الصغيرة التي يمكن أن تكون قد نجمت خلال ذلك تعالج لوحدها مع وقف العادة ، أما اذا تواصلت الى مابعد سن الرابعة أو الخامسة أو السادسة ، فهي تبدأ ضررها الحقيقي حالقة شذودا في الأسنان وعدم تلاؤم في الشكل

ويتوقف مقدار هذا الشذوذ على عوامل كثيرة مثل قابلية الكائن لذلك ، والشدة التي تمارس بها هذه العادة ، الى جانب الفترة الزمنية التي تستغرقها ، ومقدار تكراره لعمله هذا خلال يومه .

وهنالك كثير من الأسباب التي تعمل على اطالة هذه العادة ، وعلى رأسها النفسية منها ، ويلعب اهتمام الوالدين ـ بانتباههم لذلك ورغبتهم بتقديم



المساعدة والتضامن مع العالم النفسي للطفل بهدف حل مشاكله ـ دورا مهما بذلك ، فالطفل الذي لايشعر برفقة أمه حينما يترك لوحده ، يلجأ لنفسه حين تقطع عنه الرضاعة ، وتحرمه من لذة الاتصال بها ، كذلك فالتطور الاجتماعي وتحرر المرأة قد أوقعها في شرك كبير فهي اما أن تقوم بتربية طفلها في المنزل وسط العائلة ، أو أن تعمل من أجل العيش في المجتمع ، وهو أمر يترك ولابد آثاره على نمو الطفل .

وقد دل بحث أجري على أمهات لايقمن بارضاع أطفالهن ، على أن ٦٤٪ منهن قد بررن موقفهن لأسباب وظيفية ، ١٣٪ لاسباب حالية ، بينما بررت الباقيات ٢٣٪ موقفهن لأسباب الدعاية التي استطاعت اقناعهن بأن الحليب المصنع أفضل للطفل من حليبهن ، وأحد الأسباب الأخرى التي تعمل على اطالة العادة أو زيادة احتمالاتها ، هي ولادة طفل جديد في العائلة ، الأمر الذي يؤدي لاهتزاز شعور الطفل بالأمان والحب نحو والديه ، ويندفع كلية نحو

داته ، وهو حلال دلك يتدكر دلـك الشعور الممتـع بالرصاعة ، مما يحدو به ذاتيا لوصع اصابعه في فمـه للعثور ثانية على لذته الصائعة .

وبالطريقة داتها يلحأ الطفل لمصه ادا عمل والداه على كبح نشاطاته ، وتخليا عنه ، أو ان انتابه شعور بالألم وفقدان المحبة ، مما يخلق لديه ردود فعل تبرر على شكل عيوب وسيئات لديه عند الكبر

الجوع الطبيعي وجوع الفم :

كلنا نشعر في بعص الأوقات بحاجتنا للطعام ، وكلنا نأكل كي نعيش ، فالأكل ظاهرة طبيعية ، وعلى المائدة الواحدة يـأكل البعص حـاجتهم من الطعـام فقط ، ثم ينهصوا بعد دلك ، بينما يواصل آخـرون ملء أطباقهم بلا توقف ، فما سر دلك ياترى ؟ الدين يتوقفون عن الـطعام هم الـدين يمتلكون بـداخلهم عامل الكفاية ، أي شعورهم بالشبع ، وهم بالتالي غير جائعين ، وغير محتاجين للطعام أيضاًبمعنى أنهم يأكلون كي يحافظوا على حياتهم ، وكي يتمكنوا من أداء أعمالهم وتلبية حاجاتهم ، وهده ظاهرة طبيعية ، وأما الفئة الثـانية ، أي تلك التي تـواصل التهـامها للطعام وكأنها « لا تشبع أبدا » فمـن ينتمـون لهـا يشعرون بالحاجة لمضغ شيء في فمهم ، وهم يريدون للأكل والشرب أن يدغدغ شفاههم ولسـانهم وكل مسـاحة داخـل تجويف فمهم ، انهم اولئـك الدين يفتقدون ـ عامـل الكفايـه من الطعـام ـ او الشعور بالشبع والجوع الطبيعي ، فهم يعانون من « جـوع الفم » .

وجوع الفم لدى هؤلاء هو شعور متراكم بالمرارة واليـأس وافتقاد المحبـة ، والالم مند سـنين حيـاتهم الأولى ، ودلك الشعور الذي لم يتمكنوا من اشباعه أبدا .

وهؤلاء الناس يمارسون الأكل المتـواصل ـ كـرد فعل منهم ـ هادفين الى نسيان جـروحهم النفسية ، الأمر الذي يسبب لهم ارتياحا لحظيا ولـدة ، بمجرد النظر للطعام وشمه وتذوقه ، ويتولد لديهم احساس شبيه بما للمدمنين الحقيقيـين ، مطالبين بطعام أكثر وأوفر للاستمتاع باللدة الوحيدة المتبقية لديهم

ومثل هؤلاء الأفراد عادة يتخمون ويسمنون وفي النهاية يتحـرون من كثرة ادمـانهم على الـطعام متنـاسين بـأن الانسان يـأكـل ليعيش ولايعيش كي يأكل

وقـد دلت أبحـاث أجـريـت في دور الأيتـام والمؤسسات الشبيهة ، بأن الاطفال الـدين يعيشون بداخلها والدين هم بعيدون عن والديهم بطبيعة الحال يمـارسون عـادة مص الأصـابـع أكـثر من الأطفـال الاخرين . . .

كذلك فقد دلت أبحاث أجريت على القرود بأن الصغيـرة منها التي عـزلت وأبعدت عن أمهـاتها ، وأحست بفقدانها وفقدان حنانها ، قد انتابها شعـور بعدم الأمان مما دفعها للجوء لمصها ، ومص أصابعها تماما كما يحصل لدى الأطفال

عادات أخرى :

ومن بـين العادات الأخـرى التي تـلاحظ لـدى الأطفال . مص الشفة وخصـوصا السفـلى ، ومص اللسان ، الى جانب مص وعض مخاط الخدين .

وتسبق عادة مص الأصابع مادونها من العـادات الأخرىويفسر دلك بأن الطفل مع نموه وتقدم الزمن لايمكنه ممارسة العادة القديمة ـ مص الأصابع ـ عـلى مـرأى من الآخرين لشعـوره بالحـرج من ضحكهم عليه ، وجرحهم لكينونته ، وبالتالي فهو يلجأ لطريقة أخرى لاشباع رغبته الجامحة ، دون أن تبدو مـرئية للآخرين بهذا الشكل الفاضح

العض على الأقلام :

حين يصل الطفل الى مرحلة الالتحاق بالمدرسة حيث يغادر المحيط العائلي ليبدأ الدراسة والكتابة في



المدرسة ، فالهموم الجديدة تجبره على انماء عادات جديدة ، وهكذا يبدأ بعض الأطفال عض أقلامهم ، وهي عادة تتكرر في كل مرة يصادف فيها الطفل الصعوبات ، أو يجبر على أداء الوظائف المدرسية ، بينما يرغب في داخله باللهو واللعب بشكل حر

والقلم الذي يعضه دوما في نفس المكان ونفس الأسنان ـ فإنه شيئا فشيئا يقوم باحداث ميل في الأسنان خالقا شذوذا في الفم .

قضم الأظافر :

وبمعدل أقل يتكرر الأمر ذاته مع الأظافر ، حيث يقوم الكثيرون من الأطفال بقضم ومضغ أظافرهم ، وهم يلجأون لأظافرهم في كل مرة لايشعرون فيها بالارتياح ، أو حين يتناقضون مع محيطهم

وفي كثير من الأحيان تتحول هذه العادة لرغبة قوية لدى الأطفال ، كي يقوموا بواسطة أسنانهم ليس بقضم أظافرهم فقط ، بل وحتى الجلد في أطراف أصابعهم .

وفي أحيان كثيرة ، وحين لاتساعدهم الظروف على وضع أصابعهم بافواههم يلجأون لأيديهم ذاتها ، حيث تقوم أصابع احداها بقطع أظافر الأخرى ، وهي تصرفات تدل جميعها على حالات قلق وعصبية .

وقد أجرى بحث في بريطانيا على ١٠٠٠ طفل ، تتراوح أعمارهم بين سن ٦ ـ ١٥ سنة ، فوجد أن ٢٧٪ يقومون بمص أصابعهم ، ٦,٦٪ شفتهم ، ١٢,٨٪ لسانهم ، بينما ٢٢,٩٪ يقومون بقضم أظافرهم .

والأطفال الذين يواصلون ممارسة هذه العادات بعد سن الخامسة أو السادسة يواجهون ـ عدا عن المشاكل التي تتولد في فمهم ـ مشاكل نفسية تخلف لديهم اضطرابا نفسيا

الوقاية من عادات الفم السيئة :

ان التفهم الكامل لمشاكل الطفل وسط مناخ من الحب والحنان ، سيجعله يسترد الثقة بنفسه ، ويستمتع باهتمامات حيله ، مما يؤدي لقطع صلاته مع العادات السيئة تلقائيا ، وهذا يتطلب اللطف من جانب الطبيب ، واحاطة الطفل بمشاعر المودة والعطف ، كي يقوم بدوره بمبادلة الطبيب مثل هذه المشاعر

وباكتساب هذه الثقة المتبادلة ، فالأمور تصبح بمجملها سهلة ، ويجب على الطبيب أن يشرح للطفل عواقب هذه العادات السيئة إن أصر على مواصلة ممارستها ، وأن يقنعه بأنه سيساعده على اكتساب أسنان وبسمة جميلة ووجه جذاب

وأفضل عون يمكن أن يقدمه الوالدان في هذه المرحلة الصعبة يكون بعدم تدخلهم بين طفلهم والعمل الذي يسعى الطبيب جاهدا لانجازه

وكثيرا ما يقوم الوالدان ـ سعيا منهم لوقف مثل هذه العادات لدى الطفل ـ بوضع الفلفل على أصابعه ، الى غير ذلك من الوسائل لاجباره على التخلي عنها ومثل هذه المواد المهيجة لاتتجاوز كونها مؤلمة ووسيلة مرفوضة فالمهم في هذه الحالة هو نقل هذه الممارسات التي يقوم بها الطفل بشكل غير واع او ارادي لوعيه كي يملك ادراكا بها .

التنفس من الفم :

وقد يلجأ الطفل بسبب شذوذ في أنفه أو أسنانه بفعل ممارسته للعادات السيئة للتنفس عن طريق فمه ، وفي هذه الحالة تبقى الشفتان متهدلتين ، والفك السفلي في وضع الراحة ، كي يبقى الفم مفتوحا سامحا بمرور الهواء

ويساعد اللسان على ذلك باستقراره في قاع الفم ، وهكذا يتكون لدى الطفل هيئة متميزة واهنة بفم مفتوح وشفة عليا مترهلة ، وسفلى قصيرة ، بينما تبرز القواطع العليا باتجاه الأمام والخارج . □

الطفل والتنشئة الإجتماعيّة

بقلم : حسين أبو زينة *

« تعد عملية التنشئة الاجتماعية ، واحدة من أهم وأخطر العمليات الاجتماعية فى مراحل النمو . . وهى عملية مستمرة متطورة ، لو تمت ادارتها ، والتحكم فى المتغيرات الاجتماعية والنفسية التى تؤثر على مسارها ، لقدمنا الى العالم انسانا ناضجا .

عندما يولد الطفل لايستطيع أن يشارك كعضو فى المجتمع ، إلا بعد عمليات التنشئة الاجتماعية ، التى تصنع منه شخصا قادرا على أداء الأدوار الاجتماعية المتعددة ، ويقوم التعليم بمهمة أساسية ، ولكن يجب أن يلاحظ أن كل تعليم ليس تنشئة اجتماعية بالضرورة . وهنا يبرز دور الثقافة التى تشكل الاطار لكل ما يمكن أن يتعلمه الشخص ويدخل فى صميم تنشئته

تعليم من نوع خاص

من الحقائق الجديرة بالاهتمام أن لدى الطفل القدرة على النمو بصور متعددة ومختلفة ، وعنده استعدادات كافية يمكن بواسطتها أن يتكيف لظروف مختلفة .

والعمليات التى يتعلم عن طريقها الطفل أو البالغ أساليب المجتمع أو الثقافة تعينه على أن ينمو ، ليتمكن من المشاركة فى الحياة الاجتماعية فى مجتمع بعينه .

وتمثل التنشئة الاجتماعية ـ اذن ـ ذلك النوع من التعليم الذى يسهم فى قدرة المرء على أداء الأدوار الاجتماعية ، فهى تعليم ذو توجيه وكيفية خاصة . . ومن زاوية بعض الانساق الاجتماعية تعتبر التنشئة الاجتماعية تعليما مرغوبا وصادق .

فيجب على المربى حينئذ أن يمد الطفل بمعلومات تمكنه من إدراك أن الموضوع الجديد يختلف عن الموضوعات التى عرفها من قبل .

واذا أراد المربى مثلا أن يجعل الطفل يتحكم فى حركات أمعائه ، يجب عليه أولا أن يوضح له المواقف التى يصرح له فيها بقضاء بعض حاجاته ، والمواقف التى لايصرح فيها بذلك ، ولكن يجب على المربى بالاضافة الى ذلك أن يكافىء الطفل على أدائه الصحيح ، ومن ثم فان المكافأة والعقاب تعملان على تدعيم نمط السلوك المرغوب .

المكافأة والعقاب لهما فاعليتهما فى التدريب . . كما أن بعض المجتمعات تعتمد على أحد هذين العاملين أكثر من اعتمادها على الآخر أما المسألة الأساسية

* باحث إجتماعى ـ الاسكندرية ـ مصر



فى هذا الصدد فهى : أيهما أكثر فعالية : المكافأة أم العقاب ؟ .

علينا اذن ـ أن نميز بين العقاب والاحباط ، فتجربة الاحباط ضرورية لكى يحقق التعليم أهدافه . . والواقع أن المكافأة لن تؤدي إلى الأثر المرغوب منها إذا لم تواجه الاستجابات غير الصحيحة بعدم الموافقة ، وبتعبير آخر لن تؤدى المكافأة إلى الهدف المرغوب اذا لم يكافأ الشخص على بعض الاستجابات ويحبط نتيجة لقيامه باستجابات أخرى . . أما العقاب فهو فعل إيلامى ، يرمز إلى اتجاه المربي نحو الاستجابات غير الصحيحة . . كما ترمز المكافأة إلى اتجاهه نحو الاستجابات الصحيحة .

قد يؤدى العقاب إلى كراهية الشخص المربي ، وقد يخلق لدى الشخص المتعلم نوعا من القلق الذى يمنعه من التعبير السوى عن ذاته ، وهناك أسباب وجيهة تبرر عدم تجنب العقاب فى عملية التنشئة الاجتماعية ، لأنه مالم يعاقب الشخص على فعل معين فلن يفهم معنى المكافأة وهدفها .

الاحباط عادة مايحدث أثناء التنشئة الاجتماعية ، ويلاحظ أنه يكون أكثر عنفا أثناء السنوات الأولى من حياة الانسان ، طالما أن الطفل الصغير لايستطيع أن يدرك « الأسباب » التى تجعل الآخرين يحبطونه . .

ومن خصائص الاحباط أنه يؤدى إلى خلق مشاعر عدائية ، وربما يؤدى إلى السخط أيضا . . أما إذا كانت أداة الاحباط محبوبة كالأم مثلا فإنه يؤدى إلى القلق .

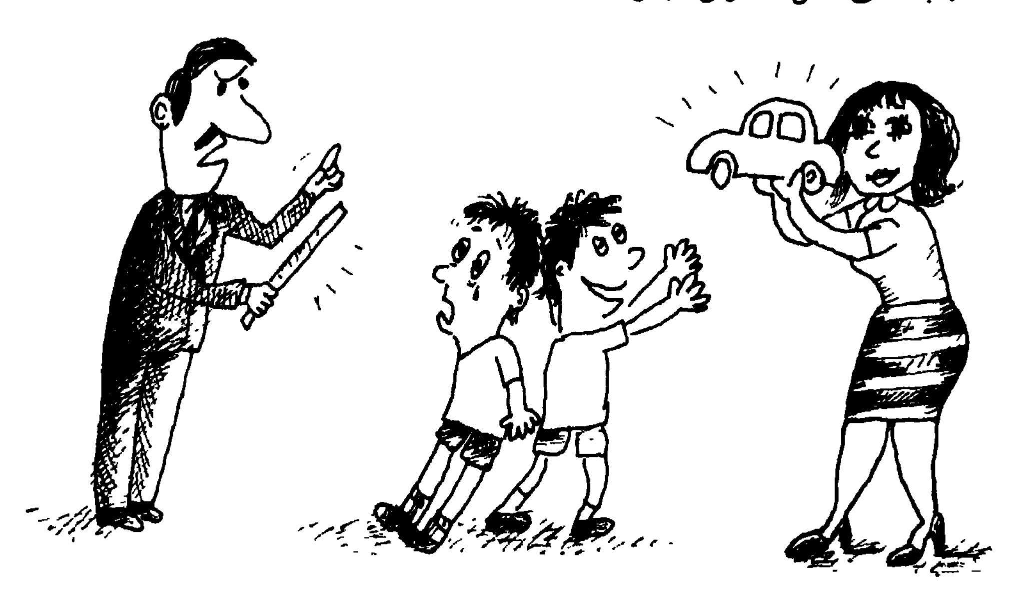
أما قدر الاحباط الذى يجب أن يتعرض له الطفل فى عملية التنشئة الاجتماعية فيتفاوت إلى حد كبير من مجتمع الى آخر .

وظائف متعددة

ومن أهم وظائف التنشئة الاجتماعية تعليم الشخص المشاركة فى الأدوار الاجتماعية . . ولكن لكى يتمكن المرء من أداء أى دور إجتماعى بطريقة ملائمة ، يجب أن يعرف الأدوار الاجتماعية الأخرى التى توجد فى نفس النسق الاجتماعى .

يتعلم الانسان فى عالمه الذى يعيش فيه أشياء كثيرة ، تنعكس فى التعرف على الأشياء الجديدة ، وعلى مشاعره واستجاباته المختلفة السلبية أو الايجابية . . والانسان بطبيعته منظم يكتسب فى حياته مزيدا من الاتجاهات ، تتوافق مع أشياء كثيرة ، وتتزايد يوما بعد يوم ، كلما اتسعت دائرة نشاطه أو علاقاته ، أو مجال إدراكه .

كما تنمو اتجاهات الانسان كلها مما هو نفسه ، ولكن



حياة الانسان لاتنمو منعزلة عن حياة أقرانه الذين يشاركونه نفس الحياة ، وهى فى الظروف العادية لاتتصل فى كل نواحيها بحياة الآخرين .

إن أول ما نشير إليه أن الاتجاهات تنمو من خلال العملية التى تؤدى إلى إشباع الحاجات ، فالانسان عندما يعالج مشاكله ، وعندما يحاول أن يشبع رغباته ، ينمى اتجاهاته فى نفس الوقت . . واتجاهات الفرد تصبح ذات أهمية وقيمة مركزية بالنسبة له ، لأنه ينمى هذه الاتجاهات عندما يستجيب للمشاكل أو المواقف المتعددة ، فى محاولات دائمة لاشباع حاجاته ، ولما كانت الاتجاهات لها خاصية الثبات النسبى والدوام ، فإنها تستخدم بصورة مطردة فى التغلب على عدد من المشاكل المختلفة ، ولاشباع عدد متنوع من الحاجات .

ومن المعروف أن اتجاهات الفرد تتخذ شكلا معينا على أساس نوع الخبرات التى يتعرض لها ، لأن الاتجاهات لاتنمو فقط أثناء محاولة الفرد تحقيق حاجاته ، بل إنها تتخذ صورة معينة على أساس نوع المعلومات التى يحصلها ، ولكن كيفية اكتساب المعرفة بشىء معين تكون ذات أهمية بالغة فى نمو هذا الاتجاه نحو هذا الشىء .

أما عن دور الآباء فى هذا العصر فيتركز فى محاولة الابتعاد عن توجيه النصح أو الارشاد لأبنائهم ، ولايتدخلون كثيرا فى شئونهم ، خصوصا فيما يتعلق بشئون مستقبلهم . .

ولقد كان الأبناء فى الماضى يتقبلون كل مايصدر عن آبائهم بطاعة كاملة ، مستندين فى ذلك الى التقليد المتوارث الذى يقضى بأخذ أقوال الآباء ، على أنها مسلمات لاتحتمل المراجعة ، ويتم قبول ذلك بحكم الأبوة وكبر السن ووفرة ونضج التجارب ، أو ربما لمجرد أن حقوق الآباء على الأبناء تقتضى إتخاذ هذا الموقف .

لكن ما الذى يصلح لمواجهة تطورات الحياة فى العصر الحديث ؟ ففى ظل الظروف الكاسحة السريعة التغير والتقلبات المتتابعة ظهر جيل جديد ، لايحفل بالنظر إلى الوراء ، وإنما يتجه دائما الى المستقبل باقدام أكثر ثباتا وأقوى رسوخا ، وهوجيل عملى لايقتنع الا بتجاربه . . ومع ذلك فهم أكثر مثالية من جيل آبائهم ، وهذا هووجه التناقض ، لأن العصر الحاضر هو عصر الواقعية المتعدد الابعاد ، الذى وصلت فيه المادية الى أقصى حدود تعاظمها . . ولكن من الطبيعى أن يحدث رد فعل فى الاتجاه المناقض إلى مايسمى المثالية المطلقة .

ولعل هذا التحول الخطير هو الدافع الى ظهور مايسمى حاليا بفكرة التنشئة الاجتماعية للكبار . .

وهى الفكرة التى تنادى بأن يعيد الكبار تنشئة أنفسهم الاجتماعية ، لكى يتوافقوا مع الظروف الاجتماعية الجديدة .

وتعد ـ فى رأينا ـ الأسرة هى المصدر الأول للتنشئة الاجتماعية .

وتظهر بعد ذلك أهمية التفاعل الذى يعتبر العملية الجماعية الأساسية . . وهو الذى يعتبر العامل المركزى فى كل حياة الانسان الاجتماعية ، وتظهر أهمية التفاعل حين ندرك أنه يكون وراء كل تنظيم للأنساق السلوكية من الذات إلى المجتمع ، وإذا كان التفاعل الاجتماعى يتم عن طريق وسائل الاتصال المختلفة ، وإذا كان الطفل الوليد يؤهل لحياة المجتمع عن طريق عملية التفاعل التى نطلق عليها اسم « التنشئة الاجتماعية » كان علينا أن نبحث صور هذا التفاعل المتكررة العامة .

والتربية الأخلاقية ـ والتأثيرات الوجدانية ـ والتدريب على الاستقلالية الذاتية ، تأتى متابعة وتراكمية فى عملية التعلم . . فإن بعض أشكال التأثير الوجدانى تبدأ بعد الولادة مباشرة . . كما أن التربية الأخلاقية تبدأ بشكل أولى بعد البدء فى اكتساب اللغة ، وفى وقت لاحق عندما يكون النمو المعرفى قد وصل إلى النقطة التى يصبح عندها الفرد قادرا على فهم علاقته مع الجماعات التى يعيش بينها ، بينما تنمو عملية التوحد مع هذه الجماعات المتنامية ، يبدأ تعميم قواعد السلوك الأخلاقية والمشاعر المتصلة بها ، بحيث تشمل مزيدا من فئات الناس . □

من الحياة

ابتسامة الحياة !

أين نجد السعادة .؟ هل هي في الأخذ من الحياة بالقدر الذي نحس معه بلذة الحياة ، أم هي في العطاء أيضا . ؟ هذه قصة شاب وجد السعادة في الابتسامة التي وضعها هو على شفاه التعساء !

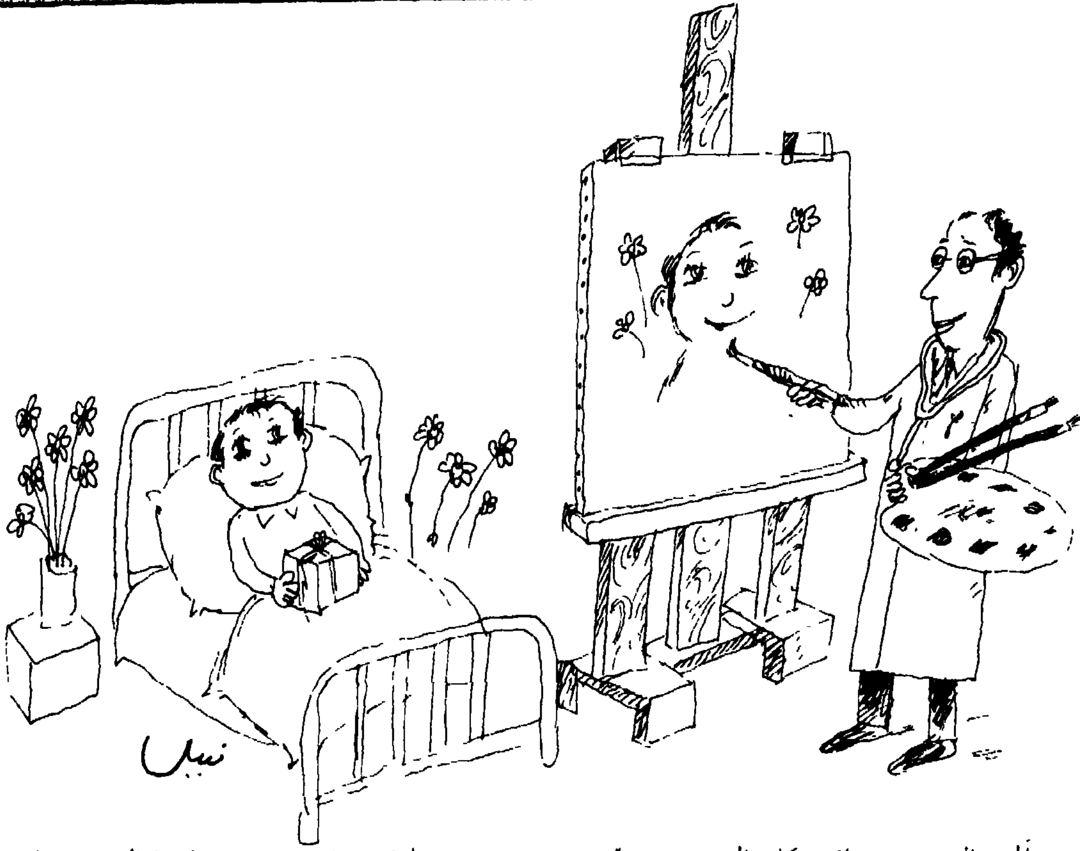
كان يحب الحياة والناس والطبيعة كان يخرج الى الحقول الخضراء قبل أن تصحو مع الشمس في الصباح . ويقف يتأمل المياه وهي تجري في القنوات الصغيرة ، لتمنح الحياة للزرع والبشر والحيوانات التي رافقت الفلاح في رحلته الطويلة مع الأرض . . وكان يجد سعادة كبرى في تأملاته التي كانت تمتد به لساعات طويلة ، قبل أن يقفل راجعا الى بيته ، في المدينة التي لا تبعد كثيرا عن المكان الذي اختاره لممارسة الهواية التي كبرت معه ، وهو لا يدري ماذا يصنع بها .

لقد اختار له والده مهنة ، بعد أن أكمل دراسته الثانوية ، فقد كان الأب يريد أن يرى ابنه يعيش حياة الناس ، ويخفف عنهم آلامهم ، ويمسح لهم دموعهم !

وحقق الابن أمنية والده . وأصبح واحدا من أربعة أطباء في المدينة الصغيرة التي أمضى فيها طفولته وصباه وشبابه . . ولم تمض فترة طويلة على بدء ممارسته لمهنته ، حتى كان حديث الناس كلهم في المدينة التي افتتح فيها عيادته ، وفي القرى الصغيرة المجاورة التي كان معها دائما على موعد في صباح كل يوم .

***

وتمضي السنوات ، ويكتشف الطبيب الشاب نفسه انه ليس طبيبا فحسب ، ولكنه فنان ضل الطريق ، ثم ما لبث أن وجد نفسه يوما يحمل فرشاته الصغيرة وألوانه ، في الحقيبة التي تعود على صحبتها دائما ، كلما دعاه واجبه الى زيارة مريض في بيته . . وكان المريض طفلا في الخامسة من عمره ، جاءت أمه في صباح ذلك اليوم ، وطرقت باب عيادته ووقفت تتوسل : « ابني مريض ياسيدي لا أدري أية علة تلك التي ألمّت به . أرجوك أن تأتي معي . . أتوسل اليك ! . ثم انفجرت تبكي ! ولم تكن الأم في حاجة الى كل هذه التوسلات والدموع ، فقد أسرع الطبيب يجمع حاجاته في حقيبته ويصحبها الى حيث يرقد صغيرها المريض !



وألهمته الصوره فقد كان الصغير يحترق من الحمى التي يعاني منها ، وأمضى الطبيب أياما يردد على الطفل المحموم ، ويقدم له العلاج ، الى أن عاده في صباح أحد الأيام ، فوجده يجلس في فراشه لأول مرة ، وكان الطفل يضحك وأمه جالسة على مقربة منه تداعبه ، وتقدم له وجبة الافطار التى راح يقبل عليها بشهية ، وما كاد يرى الطبيب أمامه حتى أسرع يتعلق به ، ويدعوه الى أن يشاركه طعامه !

وأحس الطبيب بشعور غريب ينتابه في تلك اللحظة من ذلك الصباح . وتذكر اللعبة التي اشتراها لمريضه الصغير وهو في طريقه اليه ، فأسرع يخرجها من صندوقها ويقدمها له !

وانهمك الطفل في تأملها واللعب بها . بينما راح الطبيب يبحث لنفسه عن مقعد صغير بجوار فراش الطفل ، ثم فتح حقيبته وأخرج منها فرشاته وألوانه ، وبدأ يسجل صورة هذه البسمة السعيدة التي ساهم في صنعها على هذا الوجه البريء

***

وكانت أول محاولة له مع هذه الهواية التي عشقها ، ولم تجد منفذا تخرج منه الى الضوء . . وعندما انتهى من لوحته وقفت أم الطفل مشدوهة تتأمل صورة طفلها وهو يلهو بلعبته ، والابتسامة الحلوة تحكي قصة انتصاره على المرض ، وهي ترفض أن تصدق انها من صنع هذا الطبيب الشاب الانسان !

قالت : هل أستطيع ان احتفظ بها ؟

قال : « لا ليس الان . ولكن ربما قدمتها لك هدية فيما بعد » . . !

في هذا اليوم في هذا الصباح كان مولد الطبيب الفنان مع الحياة التي أحبها !

وحمل الطبيب لوحته وعاد بها الى بيته ، وفي رأسه صورة الطفل الصغير الذي أعاد الابتسامة الى وجهه الهادىء الذي عاش مع الألم أياما

وفي مكان بارز من عيادته ، وقف يثبت اللوحة الجميلة التي كانت بالنسبة له نهاية حياة وبداية حياة



حديدة . وفي هذا اليوم قرر الطبيب أن يعلق عيادته ، ويحمل فراشه وألوانه ويرحل !

ولكن الى أين ؟ الى أي مكان ، وفي أي بلد يمكن أن يرى فيها مثل هذه الصورة التي بقيت تعيش في مخيلته سنوات طويلة ، قبل أن يعود مرة أخرى الى بيته الذي أحبه ، والى والديه اللذين ترك رحيله في قلبيهما جرحا لا يلتئم !

وحملته قدماه الى الريف أحيانا . . الى الحقول التي تعود الذهاب اليها مع شروق الشمس في الصباح ، والى المدن القريبة والبعيدة ، حيث كان يلتقي بالناس ويعيش حياتهم ، ويستمع الى رحلاتهم مع الأيام . . ومع كل ما حملته وتحمله لهم . ولكنه لم يكن يتوقف طويلا عند أي صورة تثير في صدره الألم . . كان اذا اصطدم بقصة تثير مشاعره ، وقف يفكر فيما عساه يفعل ، حتى يعيد الابتسامة الى هذا الوجه الذي راح صاحبه يروي له متاعبه وأحزانه .

***

كانت متاعب هؤلاء الذين يسوقهم القدر في طريقه تدور كلها حول الحياة التي قست عليهم وحرمتهم من كل شيء . وكان يضع يده في جيبه دائما ثم لا يلبث أن يخرجها حاملة ما تبقى له من المال الذي كان يرسله اليه والده بين وقت وآخر ، كلما جمع مبلغا استطاع أن يقتصد منه شيئا ليساعد به ابنه الذي كان يبحث عن نفسه ، في وحدته مع المعدمين الضائعين

وكان ينجح أحيانا ، ويخفق في كثير من الأحيان ، عندما تكون المشكلة أكبر من أن تحلها مساعداته المتواضعة

فإذا حالفه الحظ ، أسرع الى فرشاته ، ووقف أمام صاحب الوجه المبتسم الذي كان منذ لحظات شاردا حائرا متجهما ، وراح يسجل الصورة الجديدة السعيدة . صورة الابتسامة التي ساهم هو في صنعها .

ولكنه ما لبث أن أحس بأن جيبه لم تعد قادرة على أن تستمر في العطاء . فقد كان في البداية يقتر على نفسه ويقتصد من أجل هؤلاء . ثم ما لبث أن اكتشف أن الذين يعيشون في هذا القاع المظلم الذي يلفه الفقر والحرمان أكثر بكثير من قدراته المتواضعة . . وتوقفت رحلاته الى الشارع . . لقد أشفق على نفسه من الألم الذي كان يحتويه عندما يخرج اليهم ، ويصطدم بهم في كل مكان يذهب اليه ، وهو يجد نفسه عاجزا عن مساعدتهم . . وتركهم مع المأساة التي يعيشونها ، وحمل فرشاته وألوانه والصور التي سجلها للوجوه التي عرفت الابتسامة طريقها اليها ، ولو للحظات قبل أن تعود إلى حياتها مع الفقر والعوز . حمل ذكرياته كلها مع المعاناه ، وعاد الى البيت الذي كان قد تركه منذ بضع سنوات خلت ، والى عيادته التي هجرها . والريف الذي كان يقضي فيه لحظات اللقاء مع اليوم الجديد من كل صباح . .

***

وسعد الوالدان بعودة ابنهما . ومضت بضعة أيام قبل أن يخرج الى الشارع الذي افترق عنه طويلا ولكنه ما كاد يخطو بضع خطوات ، بعيدا عن بيته ، حتى استوقفه منظر بدا له غريبا . ربما لأنه وجد فيه شيئا لم يألفه . لقد كان هناك بيت صغير بقي مهجوراً لفترة من الزمن ، قبل أن يترك هذا المكان في رحلته التي استغرقت بضعة أعوام من عمره . وكان البيت كما هو لم يتغير فيه شيء

ولكن كانت هناك صبغة جديدة حلت به كانت هناك سيدة تقدم بها العمر ، تجلس على كرسي متحرك في فناء البيت ، وهي لا تكاد تشعر بما يدور من حولها . . واقترب من سور الفناء قليلا ، وراح يتأمل صاحبة هذا الوجه المحفور الذي تركت السنون آثارها فيه واضحة . . وقال يحييها : « أسعدت مساء ياسيدتي ! » ولكنه لم يسمع جوابا . كانت عيناها اللتان تضع أمامهما نظارة سميكة تتطلعان الى الأرض من تحت قدميها ، وقد اسندت رأسها الى أحد كفيها ، وراحت تحدق ، ولكن في لا شيء ، فلم يكن هناك على الأرض التي استأثرت بكل اهتمامها أي شيء يمكن أن يشدها اليه . .

وفتح الشاب باب الفناء واقترب منها وكرر تحيته . وسمعته . . ورفعت رأسها في هدوء ، محاولة أن ترسم على شفتيها ابتسامة باهتة . . وقالت : « انت غريب عن هذه المدينة يابني . . لقد زارني كل جيراني . . جاءوا الي جميعاً مع أبنائهم ، ولكنني لا أذكر أنني رأيتك قبل اليوم !

قال : لا بل أنا ابن المدينة . . وقد غبت عنها فترة ، وها أنا أعود اليها . أنا أيضا لا أذكر أنني رأيتك قبل الآن . ولابد أنك انتقلت للعيش هنا أثناء غيابي !

ـ هذا صحيح يابني . . لقد اشتريت هذا البيت الصغير بعد رحيل روحي ووالد أبنائي ، وانتقلت لأعيش فيه منذ أشهر قليلة فقط !

ورفعت المنديل الذي كانت تمسك به في يدها لتجفف دموعها ثم دعته الى الجلوس ، وفعل

ومضت السيدة تكمل حديثها ، وكأنها تستعيد ذكريات ترفض أن تفترق عنها ، وتود لو أنها عاشت معها حتى آخر أيام حياتها . قالت : « كان زوجي رجلا طيبا وكريما . . كان يحلم باليوم الذي يمتلك فيه بيتا ، ويزرع حوله حديقة صغيرة جميلة ممتلئة بالزهور . وعندما جاء هذا اليوم ، رحل هو . . وحاولت أن أحقق له حلمه في غيبته ، ووقفت وحدي أحاول أن أزرع الأرض التي تحيط ببيتنا الصغير ، ولكنني فوجئت بالمرض يقعدني . . لقد أصبت بالشلل يابني ، ولازمت الفراش شهورا طويلة ، ثم بدأت انتقل فوق هذا المقعد المتحرك . . لقد كنت أريد أن أعيش مع الحلم الذي تحقق ، حتى أستطيع أن أراه معي في كل زهرة تتفتح أمامي . . ولكن الحلم لم يكتمل . . وأخيرا قررت أن أقنع بالتطلع الى الأرض التي التقي بها في صباح كل يوم . . من يدري ، فقد يأتي اليوم الذي أجد فيه بستانيا يعني بالحديقة ، ويكسوها بلون الحياة الذي أحبه زوجي !

***

وتركها مع ذكرياتها ، وعاد الى بيته ، وصورة السيدة العجوز لا تفارق مخيلته لحظة واحدة . .

وجاء الصباح . . ولكنه لم يذهب الى الريف كما تعود أن يفعل ، لقد كان على موعد مهم في ذلك اليوم ، مع مكان جديد لا يمت الى الريف البعيد بصلة . مع فناء بيت السيدة العجوز التي التقى بها مساء اليوم السابق .

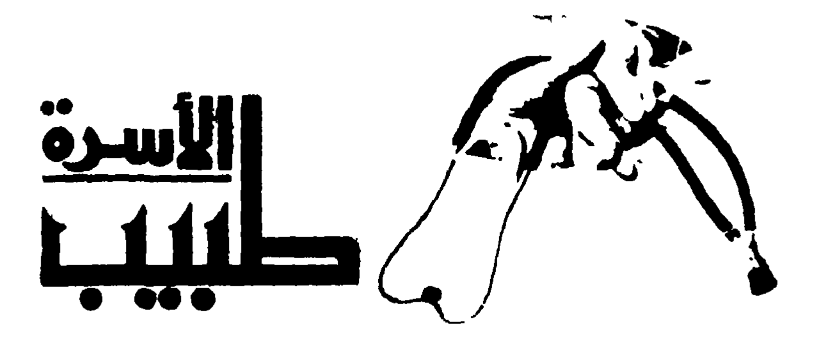
وفتح الباب ودخل دون أن يشعر به أحد ، وراح يعمل في هدوء . . كان يحمل معه شتلات الزهور التي اقتلعها من حديقة بيته هو ، وأخذ يزرعها ويرويها ، ويعطي بها الأرض التي كانت حتى الأمس جدباء قاحلة . .

وتكررت زياراته للحديقة الصغيرة الجميلة ، ونمت أشجار الزهور وكبرت وأنبتت . والسيدة العجوز في حيرة وذهول . . ترى من الذي حقق لها حلمها الجميل ؟! من هو صاحب اليد التي شاءت أن تعيد الى رأسها المتعب ذكريات أجمل أمنية مع الرجل الذي عاشت معه عمرها ثم تركها ورحل !؟

وفي مساء أحد الأيام طرق الطبيب الشاب باب بيت صاحبته العجوز . ولم تكن وحدها في هذه المرة . . كانت تجلس على مقعدها المتحرك في الحديقة الجميلة ومن حولها الزهور التي زرعها هو . . وزهور أخرى زرعتها هي . انهم أحفادها الصغار الذين جاءوا يتمنون لها عيد ميلاد سعيد . . لقد جاءوا ليحتفلوا بعيد ميلاد جدتهم الثاني والسبعين . . واستقبلته مرحة . . وقالت : أرأيت . . لقد تحقق حلمي أخيرا ، ونمت الزهور في حديقة بيتنا الصغير . . ألم أقل لك أن الله سوف يستجيب لدعائي ويحقق أحلامي ، إنه أكثر من حلم كما ترى . . في الحديقة زهور . . وفي البيت زهور . . وكلهم زهور الحياة التي شاركت في زرعها مع روجي !

ولم تدمع عيناها في تلك اللحظة ، وإنما ارتسمت على وجهها ابتسامة جميلة تحمل كل سعادة الدنيا . . أما هو فقد كان مشغولا عن حديثها معه باللوحة الرائعة التي كان يرسمها بفرشاته ، لهذا الوجه العجوز الذي عادت اليه ابتسامة الحياة بين الزهور !!□





قضايا منزلية

الطباخ الآمن

هناك قول ساخر يقول : نصف أمراض البشر سببها الطباخون الجهلة ، والنصف الأخر سببها الطباخون المهرة .

قد نتفق كل الاتفاق مع الشق الأول من هذا القول ، مع التحفظ على الشق الثاني ، اللهم الا اذا كان الطعام الذي يعده الطباخ الماهر شهيا يغرى بالاسراف والافراط ، مما ينتهى عادة الى تلبك المعدة وعسر الهضم ، أو الى السمنة والبدانة ، وكلاهما فيه شر ومعاناة .

على أى حال فاصطلاح الطباخ يندرج على كل من بيده شأن اعداد الطعام أو تداوله ، مهما كان اسمه أو وظيفته وفي أي موقع كان .

والواقع أن هناك مصدرين رئيسيين يتسرب منهما الخطر الى الناس على يد الطباخ هما :

أولا : أمراضه الجسدية المعدية .

ثانيا : عاداته الصحية .

والأمراض الخطرة التي قد ينقلها الطباخ لا بد أن تكون معدية أولا ، وعدواها مباشرة دون وسيط ثانيا ، فالطباخ المريض بالبلهارسيا مثلا لاخطر منه على من حوله ممن يقوم على خدمتهم ، لأن عدوى البلهارسيا تتطلب دورة خاصة ، تستلزم التبول أو التبرز في ماء فيه قواقع ، وكذلك الاصابة بديدان الاسكارس ، لأن بويضاتها تخرج مع براز المريض ، غير ناضجة وغير معدية ، وكذلك شأن الملاريا . والأمراض المعدية التي نخشاها تتسرب من المصاب الى السليم عبر ثلاث طرق رئيسية هي : الجلد ، والجهاز التنفسي ، والجهاز الهضمي ، ولا بد من فحص الطباخ دوريا خلال مدة لا تزيد عن ستة أشهر ، لاستطلاع أي اصابة بمرض معد مباشر .

قد يصعب حصر الأمراض في هذه العجالة ، ولكننا قد نستطيع ضرب الأمثال بأشهر الأمراض الخطرة ، أو مواصفاتها على الأقل ، إن أشهر أمراض الجلد وأخطرها هي الالتهابات والجروح الملوثة ، والقروح مهما صغرت حجما أو شأنا ، حيث تحمل ميكروبات المكورات السبحية ، أو المكورات العنقودية المسببة للتسمم الغذائي .

وأخطر أمراض التنفس هي أمراض التهاب الحلق

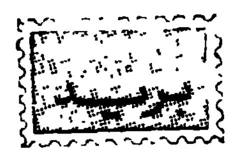
واللوزتين التي تلوث الطعام عبر أنفاس الطباخ المصاب

أما أمراض الجهاز الهضمي فالمصاب الحامل للمرض الذي قد تبدو عليه أعراض السلامة والصحة ، فهذا أخطر من المصاب المريض الذي عادة ما يخشاه الناس ويتحاشونه ، وهو أصلا يطلب العلاج للخلاص من المعاناة ، ولعل أشهر الأمراض هي مرض التيفوئيد وعائلته ، مما يعرف باسم السالمونيلا ، ومرض الدسنتاريا العصوية ، والدسنتاريا الأميبية .

انما الوجه الأخطر للطباخ غير الأمن من مرض الجسم . فهي العادات الصحية التي يتخطاها الفحص الطبي ، ولا يلمسها الطبيب ، ولعل أكثر جوادث التسمم الغذائي شيوعا هي ما تعود الى عادات غير صحية ، يمارسها الطباخ بعيدا عن الرقابة ، كطول الأظافر مثلا ، أو استرسال الشعر ، واللعب بالأنف ، أو حكة الجلد والرأس ، وعدم غسل الأيدي عقب استعمال المرحاض بالماء الجاري والصابون ، بالأضافة الى عدم الحرص على غسل الطعام ، وبخاصة الخضراوات والفواكه بالماء الحاري على الوحه الأكمل الصحيح .

اذا كان فحص الطباخ ومراقبة اصابته بالمرض الجسدي المعدي هي مسئولية الطبيب ، فان مراقبة سلوك الطباخ الصحي هي مسؤ ولية الأسرة ، أو المشرفين على هذا الطباخ ، فما أكثر ضحايا الطباخين المهملين من ذوي السلوك الصحي السيء .

☆☆



طبيب الأسرة

حمو النيل ورعرع أيوب

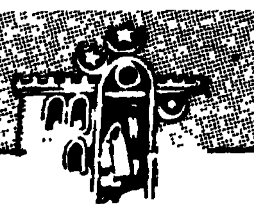
● يعاني بعض الناس من مرض حمو النيل ، فيما ينصح البعض باستعمال رعرع أيوب لشفائه ، فما هي حقيقة الأمر ؟ وهل هم على صواب ؟ اننا نرجو الافادة ولكم جزيل الشكر .

م . س .
أسيوط ـ مصر

ـ مما يضايق الكثيرين في البلدان الحارة وخصوصاً ذوي البشرة البيضاء ، مرض يدعى بالطفح الحراري ، أو الحصف الحراري ، وقد يسمونه الحاروسية أو الدخنية ، وأحيانا يكتسب أسماء أخرى محلية وهي التي منها اسم حمو النيل في مصر .

والواقع أن حمو النيل أو الطفح الحراري ما هو الا عرق محتبس ، نتيجة انسداد قنوات الغدد العرقية في الجلد ، ولما كان رد الفعل لحرارة الجو هو افراز مزيد من العرق ، فان القنوات العرقية تنتفخ بسبب العرق المتراكم الذي فشل في التسرب الى سطح الجلد ، مما ينتهي الى انفجار قناة حويصلة العرق ، وتسرب هذا العرق الى منطقة ما تحت الجلد ، يعقبه تكون حوصلة يحيطها احرار جلدي ، نتيجة تمدد الأوعية الدموية ، مما يضايق المصاب ، ويسبب له شعور الوخز والأكلان المميز للطفح الحراري .

ان الوقاية من هذا الأمر كما هو العلاج يعتمد على توقف عملية فرز العرق ، بالبعد عن الجو الحار ، والالتجاء الى أماكن باردة ، بالاضافة الى التخفيف



من الملابس الثقيلة والمانعة للتبخر ، كالأقمشة الصناعية مثل النايلون وما اليه .

كما يستحسن تفادي الأشربة الحارة ، وتعاطي ملح الطعام ، ولقد لوحظ أن البدين أكثر معاناة بالحصف الحراري من النحيف ، كما أن مدمن الخمر كثيرا ما يقع ضحية لهذه المعاناة أكثر من غيره .

وبعد شفاء الانسان من مرضه ، يعاني من فترة جفاف جلدي ، بسبب تدمير الغدد العرقية وقنواتها ، ولايعود الى حالته الأولى الا بعد أن تستعيد غدد العرق حيوتها ونشاطها .

أما عن رعرع أيوب الذي يشيع بين عامة الناس من أهل مصر ، على أن فيه شفاء مما يسمونه حمو النيل ، فما هو الا حصيلة شائعة يعتقد بها بعضهم ، مفادها أن سيدنا أيوب قد شفي من مرضه العضال عقب استعماله لهذا النبات الذي حمل اسمه من بعده ، وهو نبات قريب الشبه بنبات النعناع ، ينبت على ضفاف الترع ، ومصارف المياه ، بصورة شيطانية وحشية ، ويعمد البعض الى جمعه في ساعات الصباح الباكر من يوم عيد شم النسيم ، ودعك الجسم به عند الاستحمام ، قناعة منهم انه يقوى الجلد ، ويشفى من أمراضه ، ثم امتدت القناعة الى قدرته على شفاء الناس من معاناة حمو النيل ، غير أن الأبحاث العلمية التي قام بها أصحاب الاختصاص في مصر ، لم تصل الى نتيجة ما تؤكد وجود مادة لها أثر فعال في شفاء مرض حمو النيل ، أو أي مرض جلدي آخر

الباسور والناسور

● أرجو التكرم بافادتي عن الفرق بين الباسور والناسور .

نجم الدين عفيف
جدة ـ السعودية

ـ يجرى الخلط عند الناس في أمر الباسور وأمر الناسور ، بالرغم من الاختلاف البين بينهما عند ذوى الاختصاص ، وربما كان اشتراكهما في موضع الاصابة هو الذي أدى الى الخلط والابهام ، حيث انهما يصيبان نهاية القناة الهضمية ، فيما يسمى بالمستقيم وفتحة الشرج ، فالباسور هو شكل من أشكال دوالي الأوردة ، حيث تتضخم الأوردة ، وتتلوى وتحتقن بالدم ، مما يدفع بها الى أن تتدلى في تجويف المستقيم ، وربما تبرز من فتحة الشرج ، وخصوصاً عند التبرز ، مما قد يؤدي الى خدشها مع مرور الكتلة البرازية ، وخصوصاً الصلبة منها ، وهذا ينتهى الى أهم أعراض البواسير ، وهو النزيف ، وعلى عكس ما يتوهم البعض ، فان البواسير لا يصاحبها ألم معين اذا لم يؤد الخدش الى التهاب موقعها .

والبواسير لها مواقع محددة تعارف الأطباء على تحديدها بعقارب الساعة الأول ، منها هو موقع الساعة الثالثة ، والثاني هو موقع الساعة السابعة ، والثالث هو موقع الساعة الحادية عشرة .

وعادة ما تعالج البواسير مبدئيا باستعمال المراهم والتحاليل ، والنصح بتفادى الامساك ، فاذا لم ينفع هذا العلاج الأولي ، فاستئصال البواسير بالجراحة يصبح ضروريا .

أما الناسور فهو التهاب يؤدي الى تكون ثقب انبوبي يصل ما بين تجويف المستقيم وسطح الجلد ، حول فتحة الشرج ، وعادة ما يتليف جدار الثقب الأنبوبي ويلتهب التهابا مزمنا ، لهذا فان أهم أعراضه هو الألم .

ولا علاج للناسور سوى الاستئصال الجراحي ، والتغلب على الالتهاب الذي يصاحبه عادة افراز صديدي .

ردود سريعة

● السيدة م/ ع/ م تعز ـ اليمن

ـ من الأفضل استشارة أخصائي الأمراض الجلدية لفحصك وتشخيص المرض ، ووصف العلاج

● السيد م.خ.أ. عمان ـ الأردن :

ـ لا حاجة بك الى القلق ، وانما أنت رجل حساس ، ولا أثر لمعاناتك على مستقبلك .

الأرض المجهولة

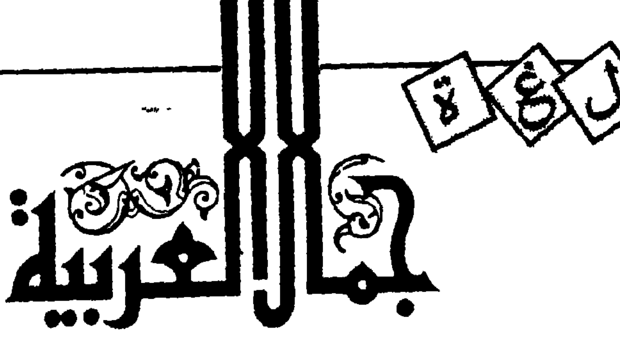
ذهبت الى افريقيا في مهمة عمل قصيرة ، ولكن ظروف شركات الطيران اضطرتني الى ان أتنقل بين أكثر من بلد افريقي ، وأن أمكث خمسة أيام متصلة أنتظر طائرة ، وكانت مناسبة طيبة أن أتوغل قليلا في افريقيا ، هذا البركان الثائر والمجهول . . شديد الثراء وبالغ الفقر ، جمال طبيعي رائع وقسوة حياة موجعة

وتتالت الظواهر أمامي . أول ما يثير الانتباه هذه السيطرة التي يمارسها الهنود على مفاتيح الحياة الاقتصادية ! فالعائلات الهندية مازالت موجودة في افريقيا بمعابدها وريها وتجارتها وسيطرتها ، فمنذ عصور التجارة القديمة جاء آلاف من المهاجرين الأوائل الذين نقلتهم سفن العرب الى ساحل افريقيا الشرقي ، ومنه توغلوا الى كل افريقيا ، ومع الزمن غادر العرب افريقيا وبقي الهنود . الظاهرة الثانية الملفتة للنظر هي أفواج السائحين من اوروبا الى افريقيا ، وبين ثلاث بلدان افريقية ترى في المطار مئات السائحين متنقلين بين بلدان افريقيا المختلفة ذاهبين للسياحة والصيد والتنزه

وتعبت عيناي وأنا أبحث عن وجود أو تواجد عربي وظلت أسئلتي بلا إجابة ؟ لماذا يترك الأوروبيون أوروبا ويأتون الى افريقيا ، ويترك العرب بلادهم وافريقيا يذهبون الى أوروبا ؟ ماذا نعرف نحن العرب عن كثير من البلدان الافريقيه ؟ وماذا نتابع فيها ، وماذا نسمع عنها . والى متى سنظل ننسى هذا البعد الجغرافي والاقتصادي والسياسي الذي يتاخم حدود وطننا العربي ، ولماذا لا تسير رحلات المدارس العربية الى افريقيا كما يفعل الاوروبيون ، يتعايشون ويرون العالم وتتسع دائرة معارفهم

تبدأ الامور في تقديري من البيت والمدرسه ووسائل الاعلام . وتشترك كل هذه المؤسسات في فتح أعيننا على افريقيا . قارة المستقبل ، وحلم العالم ، وموطن الصراع الحقيقي بين كل قوى العصر ، وأرض البكارة والطبيعه الساحرة والقسوة والفقر المركز والفطره الانسانيه والدهشة والبراءة . افريقيا هي امتدادنا الحقيقي وجذرنا ، فهل نوليها مزيدا من الاهتمام والدراسة والمعرفة ؟

محمود عبد الوهاب



بقلم : محمد خليفة التونسي

"أل" معرفة وموصولة

كان السيد / معاولي موسى (العبادله - الجزائر) قد سألنا اربعة اسئلة أولها عن فصاحة كلمة « البقيم » بمعنى معرفه القيمة ، وقد أجبناه بأنها فصيحة (العدد ٣٣١) وثانيها عن « لام التقوية » ، ما سر تسميتها كذلك ، وكيف نعرفها ؟ وقد احبناه عنه (العدد ٣٣٣) وبقى سؤالان نقدم هنا أحدهما ، ومعه جوابه

« أل » معرفة وموصولة

السؤال : « أل » متى تكون معرفة ، ومتى تكون اسم موصول .

والجواب : « ال » إحدى اللواصق التي تتصل بأوائل نوعين من الكلمات ، لاداء معنى من المعاني الصرفية ، مثلها في ذلك مثل الضمائر المتصلة التي تلتصق بآخر الفعل الماضي كالتاء التي تشير الى الفاعل (مفردا أو مثنى أو جمعا) ، فهى لا تقف مستقلة في النطق ولا الكتابة كاستقلال الضمائر المنفصلة (أنا ، ونحن ، وأنت ، وهو . .)

اما هذان النوعان من الكلمات التي تدخل عليهما هذه اللاصقة فهما الاسماء وبعض الصفات فاذا دخلت على اسم فهى معرفة ، واذا التصقت بصفة فهى موصولة (أو ضمير موصول) ولكن علينا بدءا أن نميز الاسم من الصفة ، لأن النحاة في تقسيمهم الثلاثي للكلم (أو الكلمات) الى اسم وفعل وحرف - قد ادخلوا في الاسماء كل كلمة مفردة تدل على صفة ، مع ان الاسم هو الكلمة التي تدل على مسمى، والصفة كل كلمة تدل على موصوف ، فمن الاسماء مثلا ، أسد ، وثعلب ، ورجل ، ونبات ، وإنسان ، ويسمى كل منها « اسم ذات » لدلالته على ذات ، ومن الاسماء ايضا : كرم ، وشجاعة ، ورحمة ، ومحبة ، وعطاء ، ويسمى كل منها « اسم معنى » لدلالته على معنى ذهني هو حدث (ويدخل في هذا ما يسمى عندنا « المصدر » ، وما يسمى « اسم المصدر » ، وهو ليس الا مصدرا)

اما الصفة ، فأنها تدل على موصوف بحدث ، مثل . جالس ، شاكر وعابد ، ومؤمن ، ومأمون ، ومحمود ، وخلاف ، وفتاك ، فاطمة

ولسنا نعلم في أى المعنيين استعملت « ال » أولا ، ثم انتقلت الى المعنى الآخر . فكثير من الكلمات تكون لها وظيفة ما، أو تكون من نوع صرفى ما ، ثم تستعمل في وظيفة أو نوع صرفي آخر ، مثل كلمة « أحمد » فأنها فعل مضارع ، ولكنها تستعمل صفة تدل على التفضيل ، كما تستعمل اسما لتدل على علم ، فهل لهذه اللاصقة ، أصل واحد للدلالة على أحد المعنيين ، ثم انتقلت منه الى الاخر ، أم هما من اصلين التقيا اخيرا على صورة واحدة .

وهل لها صلة بكلمة « ال » التى تدل على اهل ، أو

ـأل التى تبدأ بها الضمائر الموصولة (الذى ، التى) ؟ ذلك لا يعنينا هنا ، لأنه من غيبيات اللغة Meta Linguistic

و أل الملتصقه بالاسم تفيد التعريف أوالتعيين ، وهى انواع عل حسب دلالتها ما بين حسية وعهدية ورابطة ، فالحسية تدل على الجنس كما في قولنا « الاسد اقوى من الثعلب » وهذا لا يمنع ان بعض الثعالب اقوى من بعض الاسود ، والعهدية تدل على العهد ، كقولنا « وجدت حصانا يعرض للبيع فاشتريت الحصان » ، أي فاشتريته ، وهنا حلت « أل » محل ضمير الغائب الذى يعود على المذكور قبله ، فهو عهد ذِكْرِيّ ، والرابطه كقولنا « حرس العشيرة عشيرة شقيق » أى عشيرته ، فهنا حلت « أل » محل ضمير الغائب العائد على جاري قبله

واما أل الموصولة فهى الداخلة على الصفه سواء كانت لفاعل أو مفعول كقوله تعالى « قد افلح المؤمنون » فالصفة هنا صلة « أل » وهى بمعنى الذين يؤمنون وكقولنا « المتعارَفُ عليه في ديننا رَدّ كل تحيه بمثلها أو احسن منها » ، فالمتعارف هنا بمعنى الذى يعورف عليه

وقد دخلت « ال » الموصولة على الفعل المضارع في ندرة ، كما في البيت الاتى (وينسب الى الفرزدق ، وليس في ديوانه)

ما انت بالحكم (التُّرضى) حكومته
ولا الأريب ولا ذى الراى والجدل

اي الذى ترضى حكومته ، وكما في قول ذو الخرق الطهوى

يقول الخنا ، وابغض العجم ناطقا
الى ربنا صوت الحمار اليُجدع ،

أى الذى يجدع اى يقطع بعضه او اذنه . وقوله ايضا

ويستخرج اليربوع من نافقائه
ومن جحره ذو الشيحة (اليتقصع)

أي الذى يتقصع أى يظهر

ومن الفوائد التي تناسب الحديث في « أل » هنا ـ أن نشير الى أن بعض النحاة يرى اللام وحدها هي الأداة ، لأن الهمزة هنا للوصل ، وذلك واضح في كل استعمالاتها ، كما نشير الى أن العرب ـ لكراهتهم توالى الامثال في النطق ، وهي الاصوات المتماثلة أو المتقاربة في المخارج ـ يحذفون بعض الاصوات (الحروف) في أواخر الالفاظ التي تدخل على « أل » أواللام القمرية اذا كانت هذه الأصوات (الحروف) تماثل اللام أو تقاربها في المخرج ، ومن هذه الالفاظ .

١) « من » حرف جر ، تحذف النون منها ، فنقول « أخذت الكتاب (مِلْمُعلِّم أو م المعلم) » أي من المعلم ، ونقول « يستخرج السكر (ملْقصب) » أي من القصب ، وشواهد ذلك كثيرة ، منها قول النابغة الجعدي .

ولقد شهدتُ عكاظ قبل محلِّها
فيها ، وكنت أُعَدُّ (ملْفتيان)

أو (م الفتيان) اى من الفتيان

٢) « على » حرف جر ، فتصير (ع) فنقول « الكتاب علْمكتب » اي على المكتب ، وشاهده قول قطري بن الفجاءة في وصف إحدى معاركه

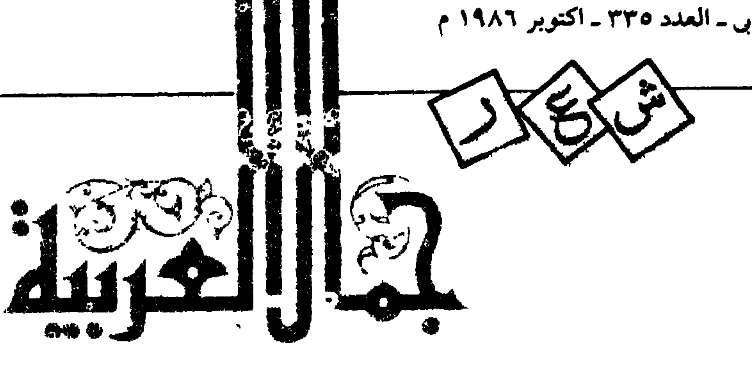
غداة طعت (علْماء) بكر بن وائل
وعجنا صدور الخيل نحو تميم

أو (ع الماء) أي على الماء ، والدارجة تحذف ، سواء دخلت على « ال » القمريه أو الشمسيه ، فتقال « سرت ع الشط » و « والعدو ع النار »

٣) « بنو » ، « بني » فقد قالت العرب « بلْعنبر » و « بلْعنبر » و « بلحارث » ، وبلْهجيم ، اى بنو العنبر . « بنو العنبر » ، و « بنى الحارث » ، « بنى الهجيم » ، ولم يحذفوا مع أل الشمسيه مثل « بنو النجار » و « بنى النابغة » لكراهتهم الجمع بين الادغام والحذف □

---

* اياك أن تأكل قليلا . ولا كثيرا ، فان أكل القليل على غير شهوة أضر من الكثير مع الشهوة ! (الجاحظ)



هكذا غنى الآباء

الخَمرُ السَّماوِيَّة
لابن الفارض

شاعرنا هذا هو عمر بن علي بن المُرشِد ، حموى الاصل ، قاهرى المولد والموطن والوفاة (٥٧٦ - ٦٣٢هـ) ، كان ابوه يتولى في القاهرة منصبا شرعيا رفيعا ، من اعماله كتابة فروض النساء ، ولهذا لقب ابنه « بابن الفارض » ، وكان لعمر حفيد يسمى عليا ايضا ، هو الذي تولى جمع شعر جده في ديوان، وصدَّره ببعض اخباره،وقد وصفه بأنه كان رَبْعَةً في الرجال،ذا وجه وسيم ابيض مشرب بحمرة ، وأنه كان يتنسك ، وفي نسكه ، كان يُغشَى عليه أحيانا فيزيد وجهه جمالا ووضاءة ، وأنه كان في مطلع شبابه ميالا الى التجرد من الدنيا ، فكان يستأذن أباه للانفراد في خلوة مجاورة له في سفح جبل المقطم،ليقيم اياما ثم يعود الى ابيه ، فيسرُّ به ، ويبقى فترة طويلة يتردد بين البيت والخلوة .

ثم عرض منصب القضاء على هذا الاب فرفضه بل استقال من عمله ، ومال الى العزلة كابنه ، واتخذ خلوة له في الازهر حتى مات ، فرجع شاعرنا الى عادته من التنسك والزهد بعد انقطاعه عنها فترة ، ونصحه أحد الصوفية بالذهاب الى مكة لمجاورة البيت الحرام فاقام هناك خمس عشرة سنه ثم عاد الى القاهرة فكان الناس يلقونه بالاجلال والمودة ، ويرعون في التقرب اليه تبركا به ، وفي رحلة للحج ثانية لقى الشاعر الصوفى المشهور عمر السهروردى ، ثم عاد الى القاهرة وأقام فيها حتى وفاته فدفن في سفح المقطم ، ومقامه هناك مشهور يزار حتى اليوم للترحم عليه ، وهو يلقب بين الصوفية « سلطان العاشقين » .

وله ديوان مشهور طبع في القاهرة ، وكله في التصوف ولهذا يروج بين الصوفية حتى اليوم ، وتصدى له كثير من العلماء والادباء بالشرح لغويا او صوفيا ، وله قصيدة تسمى التائية الكبرى مطلعها :

سقتني حُمَيَّا الحب راحة مقلتي
وكأسي محيا من عن الحسن جلَّتِ

وفي شعره غموض العبارات الصوفية ، وأكثره حافل بخصائص الشعر في عصره اي كثرة مايسميه البلاغيون « المحسنات البديعية » كالجناس والطباق والمقابلة والتورية .

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة سكرنا بها من قبل ان يُخلق الكرْمُ[1]
لها البدرُ كأسٌ وهي شمسٌ يديرها هلال ، وكم يبدو - اذا مزجَتْ - نجمُ
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ولولا سناها ما تصوَّرها الوهْمُ[2]
ولم يُبقِ منها الدَّهرُ غير حُشاشةٍ كأن حماها في صدور النُهى كتْمُ[3]
فان ذُكرتْ في الحيِّ اصبح اهلُه نشاوى ، ولا عارٌ عليهم ، ولا إثْمُ
وان خطرتْ يوما على خاطر امرىءٍ أقامَت به الأفراحُ ، وارتحل الهَمُّ
ولو نضحُوا منها ثرى قبر ميِّت لعادتْ اليه الرُّوحُ ، وانتَعشَ الجسمُ
ولو طرحوا في فَيْء حائطِ كرْمها عليلا ، وقد أشْفى - لفارقه السُّقْمُ
ولو قرَّبوا من حانها مُقعداً - مشى وتنطقُ من ذكْرَى مذاقَتها البُكْمُ
ولو عبِقت في الشرق أنفاسُ طيبها وفي الغرب مزكومُ - لعاد له الشَّمُّ
ولو جُليتْ سِرا على أكمه غدا بصيرا ، ومن راووقها تسمع الصُّمُّ[4]
ولو أنّ ركْبا يمَّموا تُرْبَ أرضها وفي الركب ملسوعُ - لما ضرَّه السُّمُّ
يقولون لي « صفها ، فأنت بوصفها خبير » ، أجل ، عندي بأوصافها عِلْمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ، ولطفٌ ولا هوا ، ونورٌ ولا نار ، وروحٌ ولا جِسْمُ
تقدَّمَ كلَّ الكائنات حديثُها قديما ، ولا شكلُ هناكَ ، ولا رَسْمُ
ولطفُ الأواني في الحقيقةِ تابعٌ للطف المعاني ، والمعاني بها تَنْمُو
وقد وقع التفريقُ ، والكلُّ واحدٌ فأرواحنا خمرٌ ، واشباحُنا كَرْمُ

---

١) المدامة والمدام الخمر ، الكرم : شجر العنب
٢) الشذى الرائحة ، الحانة مكان الشرب ، السنا : النور
٣) احشاشة البقية ، النهى العقول
٤) الاكمة المولود أعمى ، الراووق . المصفاة

صبوة لابن الفارض

ياأهل ودّي ، هلْ لراجي وصلكمْ طَمعٌ ، فينعَمَ بالُه استِرواحا
مُذْ غبتمْ عن ناظري ، لي أنةٌ ملأت نواحيَ أرضِ مصْرَ نُواحا
وإذا ذكرتُكمُ أميلُ ، كأنَّني من طيب ذكركمُ سُقيتُ الراحا
واذا دُعيتُ الى تناسي عهدكمْ ألفيتُ أحشائي بذاك شِحاحا
سُقيا لايامٍ مضتْ مع جيرةٍ كانت لياليِنا بهم أفراحا
حيثُ الحِمَى وطني ، وسكّانُ الحمى سَكَني ، وورْدِي الماءُ فيه مُباحا
وأهيلُهُ أربي ، وظلُّ نخيلِهِ طَربي ، ورملةُ واديِه مَراحا
واهاً على ذاك الزمانِ وطيبه أيامَ كنتُ من اللُّغوب مُراحا



أتيت اليكِ يا امرأة
تكادُ تضيعُ من لغتي
أتيتُ اليك محمولاً
على أزهار قنبلتي
وفي صدري نواحُ الشمس
يندب جولة الأمس
يسائلني بكل مرارة المحزون
عن أجراس قريتنا
عن الخروب والتين
عن السهرات في أعراس موسمنا
وعن غابات زيتوني
فتؤلمي الخطايا
في أنين الدم
أصرخ في تلال الريح
أصرخ في جبال الرعد ضَمِّيني
فتربة قلبي الكلمى
تناديني
لأزرعها بنخل النار والاعصار
لأروى جذوة العرق
بماء من شراييني
حنيي قبلة صارت
بحجم الحب والمنفى
حنيى طلقةٌ تسعى
وترر ع جوعها خوفا
فبالله انطري موتي
وصمى نرف أعنيتي
دمي . يا آية الشهداء
يشعل عشب صاعقتي
وبعد الدم غطيي
بورد الروح وانتظري
حروج الشمس من رئتي
أنا الوعد الذي ينمو
على الغضب الفلسطيي

مكتبة العربي



كتاب الشهر

P.D.R.Yemen
Outpost of
Socialist Development
in Arabia

Helen Lackner

اليمن الديمقراطي

موقع متقدم للتنمية الاجتماعية في الجزيرة العربية

تأليف : هيلين ليكنر

عرض وتعليق : جمال وردة

في زمن التيه والعتمة تكتنف الأرجاء . . مازال سراج « ديوجين » اليمني يتوهج في أروقة عدن ، تحترق أصابع حاملة ، لكن الكف الدامية ما زالت تعتصر الظلمة وتقاوم وجه الاعصار . . . حاولت فك طلاسم هذا اللغز الممتد جنوبا فخرجت بلغز يمني آخر !!!

كتاب الشهر

يمن الجنوب !! ذلك البعيد القريب ، عزلته السياسة وأبعدته الجغرافيا ، تجاهله العالم يوم مولده ثم تنكر لأبوته الجميع ، رجموه وردموه حجرا حجرا ، فكانت المفاجأة أن امتص الركام بركانا أبصرته العقول قبل العيون ، وتلمست شظاياه القلوب ، هل جعلت ظروف القهر والحرمان الأسري من فتانا طفلا شقيا متمردا يخرج عن الاعراف والسلطة الأبوية ؟ أم أن الحياة وحب الحياة أكسباه فضيلة الاعتماد على النفس والنفس فقط ؟ لاشك أن الابحار عبر الأوقيانوس اليمني مرعب ومربك ، لكن أشواق المسافر تمهد بالضرورة وعورة الطريق ، فالدرب يقصر مهما طال ، ولابد من عدن وان طال السفر

غداة الاستقلال :

كيف استطاعت حركة وليدة مقسمة على نفسها الوصول الى السلطة في نوفمبر ١٩٦٧ ، حيث كان هناك العديد من الحركات المنافسة مثل اتحاد جنوب الجزيرة الذي كانت بريطانيا تعده لمثل هذه المناسبة ، وجبهة تحرير اليمن المحتل ، وهي منظمة وطيدة الصلة بالنظام الناصري ، ولكنها كانت متأثرة بمنهجية حزب العمال البريطاني ، وقد اقتصر عملها في عدن فقط ، ولم يكن لها أي نشاط يذكر في المناطق الريفية ، أما الطرف الثالث فكان جيش اليمن الجنوبي بقيادته المغموره والمجهولة ، ولارتباطه بالحكم البريطاني ، فلم تكن له أي شعبية ، وبعد هزيمة جبهة تحرير جنوب اليمن على يد الجبهة القوميه ، فر كبار الضباط من الجيش وأعلن الباقون وقوفهم مع الجبهه القومية المنتصره

عشية الاستقلال يمكن اختصار الوضع انذاك كما يلي دولة مفلسه تماما لفقدانها مصادر الدخل الثلاثة في البلاد ، ميناء مغلق ، وطريق تجاري معطل بسبب حرب ٦٧ مع « اسرائيل » ، واغلاق قناة السويس ، اغلاق القاعدة البريطانية ، وتسريح آلاف العمال والموظفين ، وأخيرا وقف المعونة البريطانية

لقد كان توقيت الولادة صعبا مريرا ، رابطة الجنوب والسلاطين المخلوعين وأتباعهم والهاربون يجمعون قواهم للانقضاض على الثورة الوليدة ، ولكن الرحم الثوري الجديد لم يكتف بصد هذه الثورة المضادة في الجنوب ، بل استطاع أن يدافع عن ثورة الشمال ، ويدفع أكثر من ٦٠٠ مقاتل من ميليشيا الجبهة القومية للدفاع عن صنعاء المحاصرة في فبراير سنه ١٩٦٨

في مارس ١٩٦٨ حين انعقد المؤتمر الرابع للجبهة القومية بدأ الصراع مكشوفا ولأول مرة بين جناحي اليسار واليمين ، ولكن المؤتمر حقق نجاحا ساحقا لليسار ، حيث تم اصدار قانون الاصلاح الزراعي ، ثم تطهير مؤسسات الدولة وأجهزتها المدنية والعسكريه ، واعلان تبني الجبهة للخط الاشتراكي العلمي ، وكان لنجاح اليسار الساحق في المؤتمر أن رفض اليمين الحاكم تنفيذ القرارات والتوصيات المذكورة ، وعلى سبيل المثال رفض تعيين عبد الفتاح اسماعيل رئيسا للوزراء ، وهو قرار كان المؤتمر قد اتخذه . لقد انتهى المؤتمر بانشقاق على بين اليمين واليسار ، وبعد اسبوع من تاريخ انعقاد المؤتمر قامت قوات الأمن والجيش بتفريق أحد التجمعات السياسيه المؤيده لقرارات المؤتمر ، وتم اعتقال ثمانية من قاده الجبهة ، بينهم عبد الفتاح اسماعيل وعلي سالم البيض ، و ١٦٠ من رجال الميليشيات ، كما استولت قوات الأمن على الاذاعة ، مما ولد عصيانا شعبيا عارما ، امتد لكل اطراف اليمن الجنوبي ، لقد كانت حركة ٢٠ مارس محاولة من اليمين للاستيلاء على السلطة ، وقد استمر الصراع بين الحزب والدوله ، حتى انتهى بالحركة التصحيحية عام ٦٩ ،

وتشكيل القيادة الحماعيه الحماسية التي كانت تصم سالمين وعبد الفتاح اسماعيل ومحمد على هيتم وعلى عنتر ومحمد صالح العولقي

اليسار واليسار المغامر :

يمكن تسبيب الحبهة القوميه ساسا وأيديولوجيا الى حركه القوميين العرب ، وهي حركه توريه تأسست بعد حرب فلسطين عام ٤٨ ، وقد اتخذت هده الحركه البعد القومي والوحدة العربية هدفا مقدسا لمقاومة الاستعمار ، واقامة الدوله العربية الواحدة لمجابهة التحديات الجديدة التي تعوق حركه الامة العربيه في مسيرتها نحو التقدم والتطور

وتم انشاء أول فرع لحركه القوميين العرب في عدن عام ١٩٥٩ من قبل الطلاب والخريجين العائدين ، وكان من قادة هدا الفرع أحمد السلامي ، طه مقبل ، سيف الدالي ، فيصل عبد اللطيف و الذين انضموا بعد ذلك الى قحطان الشعبي وعبد الفتاح اسماعيل

وحين قامت ثورة اليمن في سبتمبر عام ١٩٦٢ ، هب الاف اليمنيين للدفاع عن الثورة قبل وصول القوات المصرية ، وانخرطوا في الحرس الوطني ، وفي مؤتمر عام في صنعاء عام ١٩٦٣ تم انشاء الجبهة القومية ، وأعلنت ميثاقها الوطني في ٢٢حزيران١٩٦٥ ، ومن أهم ماجاء في هذا الميثاق التركيز على تحرير الاقتصاد الوطني من الاستغلال الرأسمالي والشركات الاستعمارية ، ثم بناء اقتصاد وطني قائم على العدل الاجتماعي

وبعد هزيمة ٦٧ بدأت الاحزاب العربية باعادة تقييم ، ومراجعة شامله لفكرها السياسي والعقائدي ، وبدأ الشباب العربي الثوري بالتأثر بكتابات فانون،وسلوكيات جيفارا ، والتجربة الكوبية والثورة الثقافية الصينية ، وذلك يعني مزيدا من التطرف العقائدي ، وقد انعكس ذلك كله على البنية الداخلية للجبهة القومية ، حيث بدأ الصراع حادا مع منتصف السعينيات بين تيارين داخل الحزب . تيار شعبي عفوي ارتجالي ومغامر ، يمثله سالم ربيع علي ، وتيار منهجي علمي ثوري يمثله عبد الفتاح اسماعيل ، وليس كما قيل صراعا روسيا صينيا .

كان اعتماد سالمين على ميلشياته قد جعله يتجاوز كل الأجهزة والتنظيمات والمؤسسات التي كان الحزبيون والكوادر الحزبية المتفرغة تسعى لترسيخها ، فقد كان يعتمد على رجال الريف ولايؤمن بثوار المدن ، الذين - كما يقول - أفسدتهم البيروقراطية وأجهزة التكييف

وفي ٢٦ حزيران ١٩٧٨ تم تشكيل مجلس رئاسي جديد اثر تصفيه جماعة سالمين من اللجنة المركزية كيسار مغامر

وفي نفس العام تم تعديل الدستور ، وتغيير اسم الجبهه الى الحزب الاشتراكي اليمني ، وهو حزب طريقه الاشتراكيه العلميه وهدفه اقامة المجتمع الاشتراكي ، وقد انضم لهذا الحزب جماعة الطليعة البعثيين وجماعه الاتحاد الماركسيين

قبل الثورة . . . بعد الاستقلال :

ان التحول الاجتماعي الجذري كان هدفاللجبهة القومية منذ أوائل ١٩٦٥ ، وقد تحقق هذا الهدف تقريبا ، فقد أزيلت المراتب الطبقيه القديمة ، كما تم عزل السلاطين والحكام القبليين ، وأصبح للبلد حكام جدد ينتسبون الى الطبقات الدنيا والفئات الكادحة ، ولم تعد الارض والثروة حكرا على فئة وعلى حساب الفلاحين ، كما تمت تصفية كافة وسائل الاستغلال ، وتم تحرير المرأة ، واعطاؤ ها حقوقها كاملة أسوة بأخيها الرجل

ولكن كثيرا من هذه التغييرات الجذريه بحاجة الى مواصلة النضال من أجل ترسيخها ، وذلك من قبل أصحاب المصلحة و المستفيدين منها ، فالتشريع الثوري لايخلق وعيا جماعيا بمفرده ، بل يقدم الدعم لهؤلاء الراغبين بالتغيير ، لقد تم تحطيم أطر الظلم الاجتماعي والاستغلال الطبقي ، ولكن المساواة والعدل الاجتماعي الكامل لا زالايواجهان بعض الصعوبات ، فالفجوة بين الريف والمدينة ما زالت واسعة ، والمرأة رغم كل التشريعات التقدمية لم تمارس دورها كاملا ، خصوصا في المجال السياسي ، وما زالت تعاني من مواقف الاستعلاء والفوقية لدى بعض الرجال ، ولو قمنا بتشريح الفئات الطبقية لليمن الديمقراطي قبل الثورة ، لوجدنا أن طبقه

السادة والأشراف تتربع على رأس هرم السلم الطبقي القديم . وهذه المكانة الرفيعة لهذه الطبقة جاءت لانتسابهم - كما يقولون - الى آل البيت .

وكانت لهذه الطبقة مكانة دينية عالية ، حتى كانت تنسب لها المعجزات والقوى الاسطورية والخرافية الأخرى ، وهم فئة مميزة بلباسها الابيض وعمائمها الخاصة بها ، والجنبيّات (الخناجر) معقوفة الأعماد ، وقد اقتصر دورهم في البداية على التثقيف الديني باعتبارهم حملة مشاعل المعرفة والفقه الديني ، ثم المصالحة والتحكيم لفض النزاعات القبلية والعشائرية ، وقد منحهم هذا الدور سلطة قوية بين القبائل ، حيث اتسع دورهم لفرض الحماية على مناطق شاسعة من حبوب اليمن ، وهكذا زادت سلطتهم وثروتهم ، لدرجة أنهم كانوا يقدمون المساعدات المالية لبعض السلاطين والحكام ، ورغم أن المنزلة الراقية لهذه الطبقة تجعلهم يرتفعون عن العمل التجاري ، الا أن كثيرا منهم والذين هاجروا الى أندونيسيا في القرن الماضي أصبحوا تجارا ماهرين جمعوا هناك الثروات الطائلة ، ويلي طبقة السادة فئتان أخريان قد تتساويان في المرتبة الاجتماعية ، وهما فئة المشايخ ورجالات القبائل ، وكلاهما يرجع بأصله الى قحطان الجد الأول للشعب اليمني ، ورغم أن للمشايخ دورا دينيا مشابها للسادة الا أن نفوذهم الروحي أقل امتيازا من الطبقة الأولى ، ولكن ذلك لايمنع قوتهم وسلطتهم في المدن ، والقبائل هي الطبقة التي ينتسب لها معظم سكان اليمن وتنتشر هذه القبائل في كافة أرجاء البلاد ومعظم رجالها مسلحون ، ودورهم التقليدي هو القتال والنزاع العشائري ثم الفلاحة والرعي ، وهم لايمارسون التجارة ترفعا وخجلا حسب المفاهيم القبلية .

أما المرتبة الثالثة والدنيا في هذا السلم الطبقي فهم فئة الفقراء والمعوزين من سكان المدن والقرى ، ويعملون بالتجارة والحرف اليدوية ، ولا يحملون السلاح أو الخناجر كغيرهم من الفئات الأخرى . وليست لديهم أرض تحميهم أو نسب يدعمهم ، فهم أثناء ترحالهم وأسفارهم بحاجة الى حماية الآخرين ، ويلي هذه الطبقة فئة مسحوقة منبوذة يقال أنهم من أحفاد عبيد أفريقيا ، حيث يمارسون أحقر المهن في المسالخ والمجاري والتنظيفات،وقليل منهم في الزراعة ، ان هذا التشريح للبنية الاجتماعية اليمنية يكاد لاينطبق على عدن نفسها ، حيث كان اليمنيون أنفسهم هم الفئة المسحوقة

من الجمال الى المركبات :

فبعد أن احتل البريطانيون عدن ١٨٣٩ بقيادة كابتن ستافورد هينز ،ولمدة تزيد عن مائة وثلاثين عاما ، كان الانجليز وأعوانهم واداريوهم وموظفوهم الاجانب من ايرانيين وهنود هم الفئات العليا ، لقد كان من أهم أهداف الثورة المعلنة خلق مجتمع جديد يتمتع مواطنوه رجالا ونساء بحقوق متساوية ودون تمييز ، مجتمع قائم على العدل الاجتماعي ، ويستند تشريعيا على قيمة العمل المبذول دون اعتماد على أصل أو نسب ، ولكن حرمان اليمن من المصادر الطبيعية للثروة ، وعدم القدرة على تمويل المشاريع الطموحة ،أبطأ من حركة التغيير ، وجعلها دون السرعة المطلوبة ، وكان من أهم الاجراءات التي اتخذتها الثورة عقب الاستقلال الغاء القبلية بمرسوم المصالحة العشائري الذي صدر في مارس ١٩٦٨ ، والذي يفرض بموجبه مصالحة عامة بين كافة القبائل لمدة خمس سنوات ، يمنع خلالها نزاع قبلي أو سلوك انتقامي أو ثأري بين القبائل والأفراد ، ثم الحقته في نوفمبر ٦٩ بقانون يمنع فيه حمل السلاح دون تصاريح خاصة ، ومن أجل خلق وحدة وطنية ، ثم تقسيم البلاد اداريا الى ست محافظات بعيدة ، كل البعد جغرافيا عن التقسيمات القبلية القديمة ، وهذه المحافظات هي عدن ، لحج ، أبْيَنْ ، شبوه ،

حضرموت ، ومهره ، وكان ذلك من أجل منع اي نمود متزايد لهذه القبائل ، وتعزيزا للمساواة بين المواطنين ، والغاء الامتيازات والمحسوبية

كذلك استطاعت الثورة التغلب على مشكلة البدو الرحل ، والذين يشكلون ١٠٪ من السكان ، وينتقلون في معظم أرجاء البلاد ، فقامت بتوطينهم واعادة تأهيلهم ، وذلك بحفر ابار المياه ، واقامة الصهاريج والمستوصفات والمرافق العامة لهم ، وقد استطاع كثير منهم بالفعل الانتقال الى الزراعه أو احتراف المهن الأخرى ، واقرب هذه المهن المحببه لديهم مهنة قيادة سيارات الأجرة ، وكأن طبيعة حب السفر والترحال ما زالت تجري في عروقهم ، ولكنها ، الان داخل المركبات وليس على ظهور الجمال

انجازات نسائية في مجتمع ذكوري :

يكاد يكون دستور اليمن الجنوبي الوحيد بين بلدان المشرق الذى أعطى للمرأة حقوقها كامله اسوة بالرجل ، وفي كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعيه والاقتصادية ، ورغم أن هذه المساواه الدستورية لم تتعمق بعد في مجتمع ذكوري ، الا أن ملامحها بدأت تبرز للعيان ، فنسبة التعليم لدى المرأه أخذت تتصاعد وبشكل جيد وعلى جميع المستويات ، ففي بداية الثمانينيات على سبيل المثال كان عدد الفتيات يفوق عدد الشباب في بعض الكليات الجامعية ، ففي كلية التربيه كان هناك ٦٣٩ فتاة ، مقابل ٢٤٢ شابا ، وفي كلية الطب كان هناك ٢٢٨ فتاة ، مقابل ٢٣١ شابا ، وقد يعزي ذلك أيضا الى هجرة الشباب الى الخارج وحاجة التوسع في المشاريع الى العمالة المحلية ، وقد طرقت المرأة أبواب العمل في كل المؤسسات والوزارات ، وتقلدت أرفع المناصب ، فمنهن المحاميات والقاضيات ، كما أن نشاط المرأة في الميدان الزراعي ليس جديدا عليها ، فمعظم الاعمال الزراعية كانت منوطة بهن فقط ، وقد زاد هذا الدور بتصاعد الهجرة الى الخارج .

وكان من أهم التشريعات الخاصة بالمرأة قانون الاسرة الصادر عام ١٩٧٤ ، حيث ينظم العلاقة الاسرية على أساس تكافؤ الفرص والمساواة التي ستؤدي حتما الى زياده الانتاج ، وتطوير المبادرة الذاتيه ، وقد حدد القانون سن الزواج للفتاة بستة عشر عاما ، وللرجل بثمانية عشر عاما ، كما يمنع الزواج بين كل من يريد فارق السن بينهما عن عشرين عاما ، الا اذا كانت المرأة قد جاوزت الخامسة والثلاثين ، كما حددت المهور بمائة دينار يمني .

القات والهجرة :

ان اليمنيين يعتزون كثيرا بشخصيتهم المميزة ، فلشخصيتهم ملامحها الخاصة جدا ، وهم يفخرون بثقافتهم وأعرافهم وعاداتهم على مر التاريخ ، ومن الخصائص اليمنية مثلا عادة مضغ القات خلال الاجازات الاسبوعيه وفي سهراتهم يجتمع اليمنيون في مضافاتهم يمضغون القات ويحتسون القشر ، وهو شراب ساخن من قشور البن وحب الهال والسكر ، ويسامرون ويعزفون ويغنون ، يقرأون الشعر ويناقشون أمور دنياهم ، وتعتبر هذه العاده من أخطر القضايا الاجتماعيه التي تحاول الثورة الحد منها ولو تدريجيا فهي عاده مدمره للاقتصاد الوطني . لأن التكلفه العادية لجلسه قات واحدة ولشخص واحد ، قد تصل الى مبلغ خمسه دنانير يمنية . في حين يصل مرتب العامل الشهرى الى ٣٥ دينارا يضاف الى ذلك تأثيرها السلبي على كفاءة الانتاج ، كما أن زراعتها تتم على حساب زراعة البن الذي يمكن أن يكون مصدرا من مصادر الثروة الوطنية للبلاد

وقد قامت الثورة بجهود عظيمة من أجل القضاء على هذه العادة أو التقليل منها من خلال التشريعات . ففي عام ١٩٧٧ صدر قانون القات الذي حدد بموجبه استهلاك القات فقط في امسيات الخميس والجمع والعطلات الرسمية ، كما منعت زراعته في بعض المناطق ، وبالفعل فقد اختفى القات من الاسواق في أيام الحظر ، وتم فرض عقوبات صارمة على المخالفين

ومن مميزات الشخصية اليمنية قديما وحديثا حبها للسفر والاتجاه نحو الهجرة المكثفة للخارج ، وقد ورد ذكر هذه الرحلات في مخطوطات القرن الميلادي الأول ، وفي حكايات الف ليلة وليلة .

وفي الستينيات من هذا القرن زادت الهجرة الى

كتاب الشهر

السعودية وبلدان الخليج العربي ، وهناك جاليات يمنية كبيرة في أفريقيا ـ أوغندة ، كينيا ، تانزانيا والحبشة ، وقدر البنك الدولي عام ١٩٨٢ بأن ثلث الشباب اليمني القادر على العمل من ١٥ ـ ٣٥ سنة هم خارج بلدهم

وقد بلغ عدد المغتربين عام ١٩٨٠ حسب الاحصاءات الرسمية أكثر من ٢١٠,٠٠٠ مغترب ، ومن المفارقات العجيبة لهذا البلد الذي يصدر العمالة الى بلدان الخليج ان أخذ يستوردها لتنفيذ بعض مشاريعه الانمائية ، وحسب احصائيات وزارة العمل سنة ١٩٨٤ ، فان هناك أكثر من سبعة آلاف عامل أجنبي في اليمن الجنوبي معظمهم من الهنود والصينيين .

بناء الانسان :

ومن الانجازات الثورية المهمة في اليمن الجنوبي ، مشروع محو الامية التي كانت نسبتها في ١٩٨٠ تصل الى ٦٠٪ ومن أجل التغلب على هذه المشكلة بالسرعة الممكنة ، قامت الثورة بحملة وطنية واسعة استمرت ستة أشهر ، من يوليو الى ديسمبر سنة ١٩٨٤ ، جندت فيها كل تلامذة المرحلة الثانوية ومدرسيها ، وقد أجلت وزارة التربية افتتاح المدارس للعام الدراسي ٨٤/٨٥ الى بداية شهر يناير ، وذلك حتى يتاح للطلبة المساهمة في الحملة العظيمة وانجاحها ، وكان هدف الحملة القضاء قدر الامكان على الأمية المتفشية بين الرجال من سن ١٢ ـ ٤٠ ، وبالنسبة للنساء من سن ١٢ ـ ٣٥ ، وقسم العمل بين الطلبة بحيث أصبح كل طالب مسؤولا عن تعليم سبعة أميين ، وكل مدرس مسؤول عن خمسة طلاب ويتبع كل مدرسة سبعة مدرسين . وشملت هذه الحملة تعليم ١٩٣,٠٠٠ مواطن ، ومن أجل تشجيع هؤلاء على مواصلة التعليم فقد عملت الدولة على فتح المئات من مراكز تعليم الكبار ، ولاننسى بالطبع قانون الاصلاح الزراعي الذي حدد الملكية الخاصة بعشرين فدانا للشخص الواحد ، وأربعين فدانا للاسرة ، فالاراضي الزراعية في اليمن الجنوبي لاتتجاوز نسبتها ٠,٧٪ من المساحة الاجمالية للبلاد ، كما قامت الثورة بمصادرة الاراضي التابعة لاقطاعيي العهد السائد ، وتوزيعها على صغار الفلاحين ، وقامت كذلك بانشاء مزارع الدولة ، وانشاء التعاونيات الزراعية ، حيث يعمل من ٦٠٠ ـ ٨٠٠ فلاح معا ، ثم يتقاسمون خيرات الأرض الممنوحة لهم وتشجعهم الدولة بالقروض والأسمدة والارشاد الزراعي ، وذلك كله من اجل ترسيخ مفهوم الملكية الجماعيه لوسائل الانتاج ، ومن أجل تحسين العلاقات الانسانيه وتلبية المطالب وحاجات الخطة التنمويه الموضوعة من قبل الدولة

ان التطور الاشتراكي في بلد نام صغير وفقير ليس عملا سهلا في عالم تتحكم به مؤسسات رأسمالية اقليمية وعالميه جشعة ، ولكن البديل ليس بالضرورة العودة الى سطوة الفئه القليلة على حساب الجماهير الكادحة

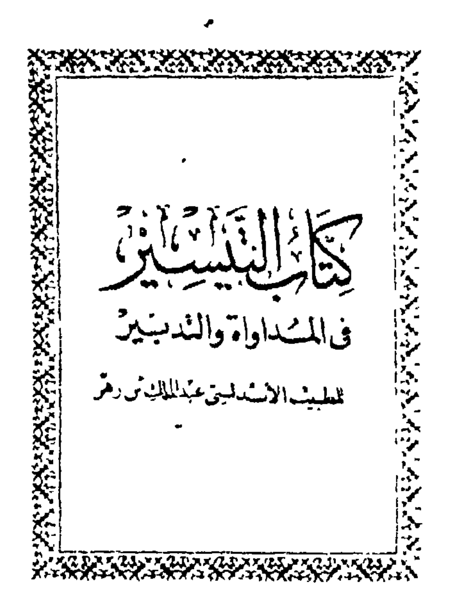
كما أن الاكتفاء الذاتي لبلد صغير يبقى مجرد حلم عابر ، وهذا التناقض تعانيه مرارة التجربة اليمنية للتغلب على التناقضات الجديدة في المجتمع اليمني ، حيث يشكل العمال المهاجرون ـ لسخرية القدر ـ البورجوازية الجديدة القادرة على الشراء والمالكة للمال ، والتي تضغط من أجل سياسة اقتصاديه أكثر مرونة واعتدالا

ولكن التحول الجذري للمجتمع والبناء الاشتراكي العلمي يبقى من أهم أهداف الحزب وهاجس الثورة الدائم ، لقد انجزت التجربه اليمنية الكثير ، ولكن ذلك لايعني أن كل شيء أصبح رائعا ، فما زال الكثير بانتظار الحلول المناسبة ، ولكن الانسان اليمني الجديد يبقى أهم انجازات هذه التجربة . □

من المكتبة العربية

كتاب التيسير في المداواة والتدبير

للطبيب الأندلسيّ عبد الملك بن زهر



بقلم : فاضل السباعى

تنفيذا للخطة التى وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، للعناية بمؤلفات الطب والصيدلة التى صنفت فى ظل الحضارة العربية الاسلامية ، فقد صدر حديثا عن مطابع دار الفكر بدمشق « كتاب التيسير فى المداواة والتدبير » للطبيب الأندلسي ، أبى مروان عبد الملك بن زهر ، وقد حققه الدكتور ميشيل الخورى ، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقدم له الدكتور محيى الدين صابر مدير المنظمة العربية التى عنيت بنشره واصداره .

فمن هو الطبيب عبد الملك بن زهر ؟ وما أهمية الكتاب ؟

يعده بعض مؤرخى الطب أعظم طبيب فى الأندلس ، وواحدا من أعظم من أعطت الحضارة العربية الاسلامية . لم تعرف سنة مولده ، ولكنها قدرت من قبل بعض الباحثين بأنها بين السنتين ٤٦٤ و ٤٨٧ هـ ، وتوفى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) ودفن فى موطنه اشبيلية .

ونحرص على أن نبين أن هناك سمتين تميزان الطبيب الاندلسى ابن زهر .

أولاهما أنه لم يمارس فى حياته عملا أو هواية غير صناعة الطب ، ودلك خلافا لما جرى عليه معظم العلماء والفلاسفة العرب والمسلمين القدامى ، بل تفرغ للطب وأخلص له ، مما جعله يحقق فيه ابتكارات

تذكر له في العصر الأندلسي .

والسمة الثانية : أن عبد الملك كان طبيبا في أسرة أنجبت ستّة أطباء نابغين ، في ستة أجيال متعاقبة ، كان ترتيب طبيبنا الثالث ، بعد جده « عبد الملك » وأبيه « زهر » وتبعه ابنه الطبيب شاعر الموشحات الاندلسية الأشهر « أبوبكر محمد » الذي عرف أيضا بـ « ابن زهر » ثم جيلان آخران .

وذلك إضافة إلى طبيبتين امرأتين : أولاهما ابنة عبد الملك المكناة بـ « أم عمرو » والثانية ابنتها . فيكون العدد ثمانية ، كانوا أطباء لملوك الاندلس ، ثم لأمراء دولة المرابطين ، وبعدها لخلفاء دولة الموحدين ، ومنهم من أصبح عند هؤلاء وأولئك وزيرا .

الطب الوقائي :

ويبدو أن طبيبنا ابن زهر قد فرغ من تأليف كتابه في منتصف القرن السادس الهجري ، وقد جعله في سفرين اثنين ، ألحق بآخرهما كتيبا سماه « الجامع » اشتمل ـ كما يقول ـ « على علاجات بأشربة ومعاجين وأدهان ، مما يحدث في البدن من الأمراض والأعراض ... » ومن ناحية التصنيف الموضوعي يتألف « التيسير » من قسمين ، أو بابين ، كان موضوع ما يمكن أن نطلق عليه « الباب الأول » هو « الأمراض المختصة بعضو عضو » وقد استأثر هذا الباب بالجانب الأكبر من الكتاب (نحو ٣٠٠ صفحة) وموضوع الباب الآخر هو « ما يحدث في جسم الانسان عموما من الأمراض » .

على أن أبا مروان بن زهر بدأ كتابه ، بعد الخطبة (المقدمة) ، بنصائح وتوجيهات تتعلق بـ « حفظ الصحة » أو ما نسميه اليوم « الطب الوقائي » يستهلها بقوله : « الترياق الفاروق » ، وبعد نصائحه ، التي بلغت بضعا وعشرين مفردة ، قصد بها ابن زهر « ادامة أسباب الصحة ودفع أسباب الأسقام » يأخذ في شرح « الأمراض المختصة بعضو عضو ، وما ساقه سياق القول مما ليس بمختص بذلك » .

وفي ما نسميه « الباب الثاني » ذكر المؤلف « ما يحدث في جسم الانسان عموما من الأمراض » . أمراض الجلد ، والأمراض العصبية ، والأمراض الطفيلية ، وأمراض الأوردة ، وأمراض المفاصل والعضلات ، والحميات ، وأخيرا الامراض الوبائية .

وأسلوب ابن زهر ، في كتابه ، لطيف سائغ ، يغلب عليه الطابع التعليمي . يقول المستعرب الفرنسي جبرييل كولان ، الذي كان جعل من حياة ابن زهر وآثاره موضوعا لأطروحة نال بها درجة الدكتوراة من جامعة باريس سنة ١٩١١ ، ان أبا مروان « يشعر قارئه بأنه يحضر درسا عمليا حيا يلقيه أستاذ متمكن ، يوشي حديثه ببعض الطرائف وشيء من ذكرياته الشخصية » .

حوى « كتاب التيسير في المداواة والتدبير » ما تلقاه عبد الملك من علم أبيه ، وتجاربه الشخصية ، وكذلك ضمّ عصره وكل ما عرفه الأوائل السابقون عليه ، وبخاصة جالينوس الطبيب الاغريقي الذي ظل العلماء العرب والمسلمون يجلونه دهرا طويلا .

ولقد كان الأوروبيون ، في ذلك العصر ، يرنون بأبصارهم الى علوم الأندلس وفنونها ، وما تنعم به من آلاء الحضارة العربية الاسلامية ، فيتتلمذون على العلماء المسلمين في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية ، ويترجمون ثمرات الفكر العربي اليانعة الى اللغة اللاتينية مباشرة ، أو عبر مدارس للترجمة عبرية نهض بها يهود في الأندلس .

بالعبرية واللاتينية :

وهكذا تمت ترجمة « كتاب التيسير » الى اللغة العبرية على يد « صموئيل بن سليمان بن ناثان هاميعاتي » ، الذي ينمى الى أسرة يهودية كانت تعنى بالترجمة من العربية الى العبرية ، وقد اشتهر هذا المترجم نحو سنة ١٣٠٦ م . ويتابع « جورج سارتون » في كتابه « المدخل الى تاريخ العلم » (بالتيمور ١٩٤٨) بأن صموئيل هذا سمى الكتاب بالعبرية « موره هاراقواه » ومعناه « مصباح الشفاء » ولكن المستعرب الفرنسي كولان يذكر ، في أطروحته عن ابن زهر أن هنالك ترجمة عبرية أخرى « للتيسير » عرفت في ايطاليا قبل ذلك (حوالى سنة ١٢٦٠ م ، أي بعد وفاة ابن زهر بمئة سنة) .

وما يعنينا هنا أن من الترجمات العبرية هذه تم نقل

« التيسير الى اللاتينية غير مرة ، وأكمل ترجمات الكتاب ـ يقول كولان ـ « تلك التى صنعها الطبيب سارافيشى » عن النص العبرى الذى نقله يعقوب العبدى الى اللاتينية العامية »

وفي عصر الطباعه طبعت بعض ترجمات « التيسير » اللاتينية سنة ١٤٩٠ م ، ثم سنة ١٥٤٤ ، وصدرت له طبعات أخرى عديدة بعدئذ فى سنوات متقاربة نسبيا ، ولم يبطىء تكرار الطبع الا عندما أخذ المؤلفون يلخصون الكتاب ويطبعون الخلاصات فى مواضعها من كتب الطب ، فطبع مثلا ما يتعلق بعلاج الحصى وحده فى البندقية سنة ١٤٩٧ ، وكذلك مايتعلق بالاستحمام طبع بكتاب مستقل صدر فى البندقية أيضا سنة ١٥٥٣

واما الكتاب ، فى لغته الأم ـ العربية ، فلم يقدر له أن يطبع الا سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ ، وجاء فى ٥٦٠ صفحه ، وقد عنى بتحقيقه الدكتور ميشيل الخورى ، معتمداً نسخا من مخطوطات الكتاب استحضر مصورات لها من كل من الرباط ، باريس ، ومكتبه المتحف البريطانى بلندن ، والمكتبة البودلية باكسفورد ، ولم يدخر المحقق وسعا فى المعارضه بين هذه النسخ (وأهمها نسخة باريس ، كمايقول فى مقدمته) ، وفى الاشارة فى هوامش الكتاب المطبوع الى مابين النسخ الأربع من الاختلاف والأخطاء والنقص والزيادة ، كما شرح كثيرا من الألفاظ الغريبة الواردة فى النص من الناحيتين العلمية واللغوية

وقد وجدت فى « التقديم » الذى كتبه الدكتور محيى الدين صابر مدير عام المنظمة العربيهوفى « مقدمة التحقيق » التى وضعها محقق الكتاب ، اشكاليتين جديرتين بالتوقف عندهما ، ومناقشة كل منهما على حدة ، وتدور الأولى على من « دفع » ابن زهر لتأليفه « كتاب التيسير » على حين تتعلق الثانية بما سمى « صحة معتقد ابن زهر » والسعى لنفى زعم جاء به نفر من كتاب الفرنجة قبل أيامنا هذه بأنه يهودى !!

دحض الاشكاليتين :

فى شأن الاشكالية الأولى ، استلفتنى ، وأنا أقرأ « تقديم » الدكتور صابر ، قوله أن عبد الملك بن زهر ألف كتابه هذا « نزولا على طلب الطبيب الفيلسوف ابن رشد ، الذى عاصره وكان صديقا له وأحد المعجبين به »

ومثل هذا ورد عند المحقق الدكتور الخورى ، من ان « ابن زهر ألف كتاب التيسير » بناء على طلب صديقه ورفيقه الفيلسوف القاضى ابن رشد ، ووصف فيه بصورة عامة ما كان معروفا عن الأمراض فى زمانه ، وبما انه لم يتطرق فى كتابه الى التفاصيل فى المعالجة كطبيب سريرى ممتهن ، فانه طلب الى صديقه ابن زهر ان يجعل كتابه مشتملا على اختباراته ومشاهداته فى علمى « الأمراض والمداواة »

لكن المعروف ان ابن رشد هو من مواليد سنة ٥٢٠ هـ ، وأما ابن زهر فقد ولد ـ كما اسلفنا ـ ما بين السنتين ٤٦٤ و ٤٨٧ . فابن رشد كان حين فرغ طبيبا من تصنيف كتابه فى منتصف القرن السادس الهجرى ، فى مثل عمر ابنه أو واحد من أحفاده ، فما كان عمر ابن رشد ليزيد على الثلاثين ربيعا

وقد سبق لى ان بينت ان هذه المقولة التى ظل يرددها الباحثون من عرب ومستعربين وأجانب ، طوال القرون الماضيه ، ويأخذها كل عن سبقه أو عاصره ، انماتعزى الى مؤرخ الأطباء « ابن أبى أصيبعة » قد أوردها فى كتابه الشهير « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » يقول فى ترجمته لابن رشد « وله فى الطب كتاب « الكليات » وقد أجاد فى تأليفه ، وكان بينه وبين أبى مروان بن زهر مودة ، ولما ألف كتابه هذا فى الأمور الكليةقصد من ابن زهر أن يؤلف كتابا فى الأمور الجزئية ، لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل فى صناعة الطب »

ولدى رجوعى الى « كليات » ابن رشد ، رأيته يقول فى ختام كتابه « . . فإن هذه الصناعة (يعنى صناعة الطب) أحق صناعة ينزل فيها الى الامور الجزئية ماأمكن ، الا أننا نرجىء هذا الى وقت نكون فيه أشد فراغا ، فمن وقع له كتابنا هذاوأحب أن ينظر بعد ذلك فى الأمور الجزئية ، فأوفق الكتب له الكتاب الملقب بـ « التيسير » الذى ألفه فى زماننا هذا أبو مروان بن زهر » .

فهل يعنى هذا القول سوى أن كتاب ابن زهر « التيسير » كان مؤلفا قبل أن يفرغ ابن رشد من

تأليف كتابه ؟ وهو حرصا منه على استكمال الفائدة يحيل قارئيه اليه

وأما الاشكالية الثانية ، فان صاحبها هو محقق الكتاب ، الذى رأيناه يستحضر فى مقدمته ، مسألة كان قد تم بحثها قبل قرن من الزمان ، من قبل مستعربين أوروبيين ، وأصدروا فيها رأياحاسمها هى الزعم بيهودية ابن زهر

وهو زعم يبعث على السخرية . فكيف يكون يهوديا من اسمه عبد الملك ، وأبوه زهر بن عبد الملك ابن الفقيه محمد ، وكان هذا الأخير « فقيها حاذقا فى الفتوى ، مقدما فى الشورى ، جامعا للرواية والدراية » ومن كان ابنه أبا بكر محمدا الطبيب ، وشاعر الموشحات الأندلسية الشهير ؟

ونبدأ حديثنا عن هذا الزعم بالاستشهاد بقول للمستعرب الاسبانى سلفادور غومث نوغاليث فى محاضرة له عنوانها « ابن زهر الطبيب الأندلسى » ألقاها فى أسبوع العلم الثالث عشر فى الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٧٢ ، وكان عامئذ رئيسا لقسم الدراسات الاسلامية بجامعة مدريد ، يقول « ونجهل كيف تسرب هذا الخطأ ، الذى نجده لسوء الخط فى أحد مخطوطات الاسكوريال عن ابن زهر » !

وتفصيل ذلك ان من اسمه « ميخائيل الكسيرى » (أو القصيرى) كان قد أعد ، فى زمن مضى ، فهرساوصف فيه أحد كتب ابن زهر المخطوطة ، وهو « كتاب الأغذية » بهذه العبارة المملوءة بالأخطاء « مخطوط بلغة عربية وخط عبرى ، فيه كتاب الأدويه ، وخصوصا تلك التى لا يمكن وجودها ، ويمكن تعدادها بين الأغذيه ، مؤلفه هو أبو مروان بن بن سحار . الطبيب اليهودى الاسبانى الجنسية

ويعقب المستعرب نوغاليث بقوله ·

« أخطاء كثيرة فى أسطر قليلة » · فالكتاب هو « كتاب الأغذية » وليس « كتاب الأدوية » وابن زهر لم يكن أبدا يهوديا ، فالاسبانى غايانجيس وكولان وستشيدر اكتشفوا هذا الخطأ بالنسبة لمعتقد ابن زهر الذى نسب اليه الكسيرى وديربيلو ، أن أهم ما تتصف به عائلة ابن زهر هو نسبه العربى الأصيل ، الذى يبدأ من اياد بن معد بن عدنان أحد الفروع العربية المهمة ، وهذا ما يؤكده ابن خلكان وابن الأبار »

ويتابع المستعرب الاسبانى

« ان أحد البراهين التى يسوقها من يقول بيهودية ابن زهر هو انه لا يبدأ كتبه بالبسملة التقليدية ، وهذا ليس بصحيح ، ان كل مؤلفات ابن زهر تبدا بالبسمله ، قد يكون الناسخون الموجودون أحيانا أزالوا هذه البسملة ، وجروا بعض الباحثين الى الخطأ ، واسلامه يظهر جليا عندما نرى أن جد ابيه كان يسمى محمدا ، وهو اسم لا يمكن ان يوحد بين المسيحيين أو اليهود الاسبان ، كما أن جد أبيه كان فقيها من أشهر فقهاء زمانه فى اشبيليه » الى ان يختم كلامه قائلا « ان يهوديته أسطورة لا أساس لها من الصحة »

ومما جاء فى دائرة المعارف الاسلاميه تحت مادة « ابن زهر » « وجرح سيستيبدر وفستنفلد الطريقة الخاطئة التى يقول بها بعض الكتاب . وهى ان ابن زهر كان يهوديا . وجاء كولان آخر الأمر (١٩١١) فهدمها هدما تاما

ابتكارات ابن زهر ·

ولا أجد ختاما لتعريفى بـ كتاب التيسير » أفضل من أن أستشهد بما يردده الباحثون فى تاريخ الطب والعلم ، من عرب واجانب . لدى حديثهم عن ابتكارات عبد الملك بن زهر تلك التى لم يسبقه اليها أحد

فهو اول من وصف الورم الذى « يحدث فى الصدر . فى الغشاء الذى يقسمه طولا والمسمى اليوم بالتهاب المصف »

وهو أول من وصف طفيلى الجرب . فى حديثه عن الحكة فى الجلد الذي يخرج من مواضع منه اذا قشر « حيوان صغير جدا يكاد يفوت الحس »

وعرف ابن زهر التغذية الصنعية عن طريق البلعوم والشرج وشرح طريقتها يقول فى « مايحدث فى العضل الذى فى المرىء من الخدر والاسترخاء » ، ان العليل يبقى لا يزدرد ولا يدخل معدته شىء ، لا من دواء ينفعه ، ولا من غذاء يغذوه ، فإما أن يبرأ ، وإما أن يموت هزالا »

وهنا يبحث ابن زهر عن طريقة لطيفة لتغدية العليل ، فيجدها في احدى طرق ثلاث -

الأولى أن يدخل في حلق العليل أنبوب ، ثم يصب في طرفه الذي يكون واسعا جدا ، « لبن حليب ، أو حسو ، ليصل الى المعدة فيتغذى به »

الثانية : أن يكون العليل في محبس من لبن حليب أو من حسو ، فيصل اليه بالمسام شيء تغتذى الأعضاء به

الثالثة أن يوضع لبن أو حسو في مثانة عنز أو غيره ، ويربط في فمها انبوب فضة ويدس طرف الانبوب في المقعدة ويشد على المثانة ، فيندفع ما فيها الى المعى المسمى المستقيم ، فينال المعى من ذلك بعض الاغتذاء ويمتصه عنه ويختطفه منه المعى الذى فوقه فينال بعض حاجته »

ويلاحظ ان ابن زهر في استعراضه طرق التغذيه هذه يبدى خشية تجاه الطريقه الأولى ، وشكا في الثانيه ، على حين يمنح الثالثة ثقته التامة

فالعليل الذى نتلطف معه « فندخل في حلقه رويدا رويدا انبوبا إما من فضة واما من قصدير مسدود » يتوقع له ابن زهر انه « لأول ما يرام ادخال الانبوب تتهوع معدته طبعا ، لذلك يصلح بأن يدس منه شيء ثم تخرج قدر ما يمكن ذلك ، ثم يدس هكذا حتى يتعهد الاعضاء ذلك ، ولا ينفر منه ، فيصب في الطرف الواسع (من الانبوب) لبن حليب أو حسو ، ليصل الى المعدة ، فيتغذى (العليل) به ريثما يعالج السبب الممرض فترتفع الشكوى » أجل نصف طبيبنا هذا الوصف الدقيق لمحاوله ادخال الانبوب في حلق العليل ، ولكنه يقدر في الوقت ذاته صعوبة هذه الطريقة أو خطورتها ، فيفصح بعد الشرح عن خشيته « غير ان هذه يتوقع منها ان تحل بقوة أعضاء الحلق ، وربما حدث شيء مؤذ » فيضع بذلك التبعة على عاتق من يقوم بهذه المحاولة

ولدى شرحه الطريقة الثانية ، التي يصل فيها الى العليل « بالمسام » ماتغتذى الأعضاء به ، يبدى شكه بصحتها ، وذلك عندما يضمن قوله هذه العبارة « كما زعم من زعم ، فهو لا يتبنى هذه الطريقة ، وينتهى الى القول في شأن جدواها وهذا وجه ضعيف !

وأما الطريقه الثالثة التي منحها تأييده فقد بدأ بقوله « والسبيل القاصد الذى يقع الاغتذاء به بلا شك ولامريه أن يوضع لبن أو حسو في مثانة عنز »

ملاحظة أخيرة :

وثمة ملاحظة أخيرة على هذا النص ، هي أن عبد الملك بن زهر كان يستعمل في اشارته الى من يقوم بهذه الاعمال الفعل المبنى للمجهول ، وعندما اضطر الى ذكر « الفاعل » سماه « المحاول » يقول « ويكون اخر الأنبوب واسعا جدا مما يلى المحاول لذلك بيده » ويقول ثانية « فيصل في الطرف الواسع الذى يلي الرجل المحاول » ولم يسمه الطبيب ! ذلك أن ابن زهر يأبى على الأطباء أن يمارسوا بأنفسهم هذه الأعمال التي يسميها في كتابه « أعمال اليد » ويرى أن يعهدوا بها الى من أطلق عليهم اسم « صناع اليد » وهم من مساعدى الأطباء عادة . وذلك من « التعاليم » التي تلقاها عبد الملك عن أبيه الطبيب زهر ، ولنا فيها حديث اخر

ان صدور « كتاب التيسير في المداواة والتدبير » هو أمر ذو قيمه تراثية كبرى

ولعل صدوره أخيرا ، محققا هذا التحقيق العلمي ، عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التي أصدرت قبله كتبا في مضمار التراث العلمي الطبي يمهد « لتأليف مرجع أساسي في الطب وآخر في الصيدله ، يكونان مصدرا رئيسا للمختصين ويجرى تبسيطها بعد ذلك للجمهور » □

■ الرجل الحكيم هو الذي لا يأسى على شيء ليس ملكه ، ويحس بأقصى درجات السعادة بما تملك يده ! (ابكتيتس) .

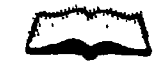
مكتبة العربي

مختارات



الكتاب البنية الصوتية للكلمة العربية
المؤلف : د عبدالقادر جديدي
الناشر : على حساب المؤلف ـ الموزع / دار سيراس ـ تونس .
عدد الصفحات · ٢٢٣ صفحة

تعددت الدراسات الألسنية التي تناولت بالبحث الخصائص الأسلوبية والدلالية والعلاميه والنحوية التركيبية بفروعها ، وظل غائبا عن المكتبة العربية ركن مهم من أركان الدراسة الأساسية للغة العربيه هو الدراسة الصوتية ، والصوتية الوظائفيه ، ويعزى هذا الغياب الى قلة المتخصصين في هذه المادة العلميه المخبرية ، ويثبت مضمون هذا الكتاب مدى أهمية هذا الاختصاص الذي بدأ منذ القرن الأول للهجره خصوصاً عندما طرحت مسألة تعليم القرآن في الأمصار التي دخلها الاسلام حديثا ، ويقول المؤلف انه وضع هذا الكتاب « حتى نحسن التلفظ بأصوات لغتنا ، وحتى نوفق في تعليمها الى غير الناطقين بها ، وحتى نتفنن في تلفظ سلاسلها الصوتية وأشكالها النغمية الثرية »



الكتاب : المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر
المؤلف : بوعلام رمضاني
الناشر : المكتبة الشعبية والمؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر .
عدد الصفحات ٢٦٠ صفحة .

يدرس هذا الكتاب تطور الحركة المسرحية في الجزائر منذ نشأتها ، على يد مجموعة من الفرنسيين سنة ١٩٢١ الى الثمانينيات ، وتنقسم الدراسة الى ثلاثة أقسام ، يبحث الأول منها في ظهور الفن المسرحي ، ويقول المؤلف في هذا المضمار أن الهم الشعبي بدأ يبرز على خشبة المسرح مع الرائدين رشيد القسطيني وعلالو ، أما الهم السياسي فلم يطبع النصوص المسرحية الا في الأربعينيات لما وصلت التيارات السياسية الى أوج نشاطها في اطار الحركه الوطنية ، ثم ولج النشاط المسرحي فترة ركود أثناء الحرب العالمية الثانية .

ويتحدث بعد ذلك عن المسرح في الهجرة أيام الحرب التحريرية ، ثم عن المسرح في ظل الاستقلال ، وفي القسم الثاني عالج المؤلف الجوانب المالية والتقنيه والثقافيه ، ليلاحظ قلة الكوادر المتخصصه ، ثم رصد في القسم الثالث فن « الباليه » الوطني منذ تأسيسه سنة ١٩٦٤ الى اليوم ، مركزا على الفتره الذهبية من تاريخه الممتدة بين ١٩٦٤ و ١٩٧٢



الكتاب الابستيمولوجيا البديل .
المؤلف · أبو يعرب المرزوقي
دار النشر . الدار التونسية للنشر .
عدد الصفحات : ٢٤٧ صفحة
سنة النشر · ١٩٨٦

الابستيمولوجيا هي علم العلوم من حيث شروط امكانها واتساق نظمها المعرفية ، وقد حاول مؤلف الكتاب تقديم هذا العلم الحديث والتعريف بمناهجه

وقواعده في أربعة أبواب هي مسألة نشأة الشكل الأول من العلم . والابستيمولوجيا البديل ، ومحددات العلم شكلا ومضمونا ، والفقه الاسمي

ويؤكد المؤلف في الباب الأول على فكرة ان نشأة العلم ليست خاصة به ، بل هي نشأة المجتمع بما هو كيان تحكمه نظامه السياسي والتربوي والعملي والمدرسي اي الدولة والاسرة والمنشأة والمدرسة ، من ان تكون جهاز انتاج للمعرفة ولتبادلها واستهلاكها

ويوضح في الباب الثاني أن اللغة الطبيعية بما هي وسط ، تكتب وسوتي وتعلم وتبسط ، مصممة الخبرات الالية والرمزية ، ولذلك فيما من لغة طبيعية طوعت نفسها لقول المحددات بحيث كانت اطوع من سواها في عصرها بفضل اصحابها (اي الدول المستعملة للممارسات الاجتماعية) الا وصارت لغة علمية دولية في عصرها

في الباب الثالث يصل الى نتيجة مؤداها أن العلم جزء من المعرفة ، والمعرفة جزء من الظاهرة الانسانية ، وهذه الأخيرة جزء من الوجود الكوني ، وعدّد في الباب الرابع خصائص شكل العلم المتولده من صنعه عناصره المحدده ، فنسبة شكل العلم الى مضمونه والسعي الى تحقيق مطابقة الأول للثاني هي المحرك الاساسي للاستكشاف العلمي ، وهي مجال فقه العلم أو الابستيمولوجيا



الكتاب : ضحك كالبكاء (دراسات في القصة والرواية المغربيتين)
المؤلف ادريس الناقوري
الناشر دار النشر المغربية
سنة النشر . ١٩٨٦

يضم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات حول القصة والرواية في المغرب ، ويقول المؤلف عن موضوع الكتاب « الأدب قد يكون ضحكا صرفا أو بكاء محضا ، وقد يكون مزيجا من الاثنين ، فهو مثل الحياة تجربة ، تبدأ ضحكا وتنتهي بكاء أو العكس الا أن الفرد البشري ليس ضحكا وبكاء فحسب ، انه هذا الوجود الخاص المتميز الحي ، انه العمل والكدح والعلاقات والصراع ، وكل أشكال الحياة الحية ومظاهرها المحدده ويشير المؤلف الى أن مفهومي الضحك والبكاء اللذين يعطيهما أبعادها المرتبطة بشكل من الاشكال بالأدب والحياة بمفهوم شامل ، بما فيهما من مرح الانسان وشقائه ، لم يغيبا عن التفكير والفكر البشري منذ تاريخ بعيد ، باعتبارهما خاصتين اساسيتين ، وقد عرفت الأديان وتراتيل الأمم القديمة للظاهرتين ، كما ألمت بهما الاساطير ، وفسرتهما على طريقتها ، واعتبرتهما الأديان والعقائد من مظاهر الحياة ، ورمزا من رموز الوجود

في القسم الأول من الكتاب المخصص للقصة القصيرة نقرأ الدراسات الاتية مدخل الى مفهوم التحديد في الأدب المغربي المعاصر ، نماذج من تجربة الألم في القصة المغربية القصيرة ، الواقعية والرمزية في القصة المغربية ، القضية الفلسطينية في القصة المغربية ، اما في القسم الثاني المخصص للرواية فنقرأ دراسات نقدية لرواية « الريح الشتوية » و « حريرة العين و « وردة للوقت المغربي »



الكتاب السالب والموجب في الصحافة العربية
المؤلف ياسر الفهد
الناشر مطابع ألف باء ـ الأديب ـ دمشق .
عدد الصفحات ٢٣١ صفحة

ينطلق المؤلف في كتابه هذا من حقيقة أن الصحافة في بلد ما هي المرآة العاكسة لحالة مجتمع معين في لحظة معينة من الزمن ، ويكمل الكاتب بحثه ليقدم صورة لواقع الصحافة العربية ، وما طرأ عليه من تغيرات ، وما دخلته من عناصر جديدة ، كما يقدم تحليلا للممارسات الصحفية العربية ، واقتراحات لتطويرها ، الى جانب عمليات التوثيق والفهرسة التي قدمها الكتاب بامتياز .

كما يقدم المؤلف مسحا مقارنا للمجلات والنشرات التي تصدرها الجهات الرسمية وغير الرسمية في الوطن العربي ، الى جانب عرض تاريخي لأهم الصحف والمجلات التي صدرت في فترات مختلفة من وطننا ، وفي بقاع عديدة منه . □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٣٥
أكتوبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي ١٣٠٠٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٥ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ نوفمبر ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـدد ٣٣٥

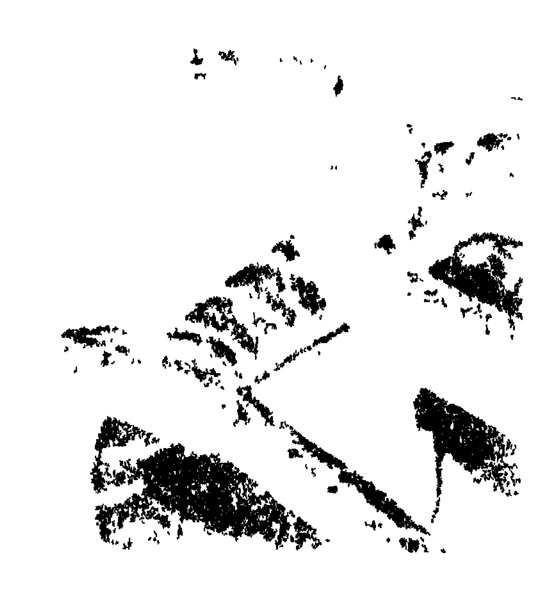
١ ـ يذكر التاريخ حفلة شاى بوسطن وهى من أحـداث سنة ١٧٧٣ التى سبقت حـرب الاستقلال الامريكيه ، ومهدت لها ، ويذكر التاريخ أيضا أن أحدا من الناس لم يدع الى تلك الحفلة وأن الشاى أو أى مشروب آخر لم يقدم فيها علل

٢ ـ من امثال العرب قولهم
تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ويضرب المثـل ـ كما لا يخفى لمن يكـون خبره خيـرا من منظره ترى من أول من قـال هذا المثـل وماهى المناسبه ؟

٣ ـ ما العامل المشترك بين سقراط الحكيم وكليو باتره ؟

٤ ـ الحيـة والعقـرب أيهـما تلسـع وأيهـما تلدغ ؟

٥ ـ كم يبلغ الكون من العمر ؟
* حـوالى ٦٠٠٠ سـنة كـما يقـول التقـويم العبرى



* حوالى ١٠٠٠ مليون سنه
* حوالى ٧٠٠، ١٦ مليون سنة

٦ ـ الصهر هل هو زوج الأخت فقط أم هو زوج الابنه أيضا ؟

٧ ـ الدول الافريقية التى تنتج الماس بكميات تجارية هى الكونغو واتحاد جنوب افريقيا وغانا . . فأى هذه الدول هى الأولى فى انتاج الماس ، وأيها تحتل المرتبة الثانيه وأيّها الثالثة ؟

٨ ـ الهنود يقدسون البقر كما هو معروف ولكن بعضهم يقدس الفئران أيضا ، وقد أقاموا معبدا خاصا بالفئران وسموه (كاراى ما) . فما اسم المدينه التى اقاموا فيها هذا المعبد علما بأنها تقع فى ولاية راجستان ؟

٩ ـ السّمسم معروف فهو النبات الذى يستخرج من حبه الصغير زيت السيرج فما هو السُّمسم ؟ وما هو السَّمسم ؟

١٠ ـ الشعور والأظافر هل تستمر فى النمو بعد موت صاحبها ؟

١١ ـ اذا كانت كل دجاجه ونصف الدجاجة تبيض بيضة ونصف البيضة فى يوم ونصف اليوم فكم عدد البيض الذى تبيضه ست دجاجات فى سبعة أيام ؟

١٢ ـ من أمثال العرب قولهم « سبق السيف العذل » فمن هو أول من قال هذا المثل . . وما المناسبة ؟

حل مسـ...

١ ـ منارة الاسكندرية وقد كانت في سطر القدامى إحدى عجائب الدنيا السبع .

٢ ـ كلاهما مركب من كربون

٣ ـ نعم في الامكان أكل لحم تلك الجثث وأمتاها الدفينة في الجمد السرمدى فالبرودة الشديدة ـ ٤٠ درجة فهرنهايت تحت الصفر أودون ذلك ـ تحافظ على حيوية لحم تلك الجثث

وليس أدل على ذلك من لحم الماموت الذى اكتشفوه في سيبريا دفينا في ثلوجها طيلة ١٠,٠٠٠ سنة أو تزيد .. فقد أقبلت الكلاب على أكل لحم ذلك الماموت واقدمت الجمعية الملكية في لندن على شيّ ذلك اللحم وتقديمه الى أعضائها الذين أكلوه واستمتعوا في أكله .

٤ ـ تكعنش الطائر نشب في الشبكة
تكعنش زيد في الشيء أى عرق فيه .

٥ ـ فحوى المذهب المسيحى المعروف في أمريكا (الدين المسيحى) هو الاعتقاد بامكانية الشفاء بدون دواء .. وذلك باللجوء الى الانجيل وترديد عباراته . فهذه كفيلة بايقاظ الحقيقة في وجدان المريض .. وبشفائه تبعا لذلك . ويعود ظهور هذا المذهب الى سنة ١٨٧٩ ، حين أسست السيدة ! مارى باكر إدى ، أولى كنائسه .. في بوسطن بولاية ماساتشوسيتس، وتجدر الاشارة الى كتاب السيدة إدى هذه ، وعنوانه (العلم والصحة والسبيل اليهما عن طريق الانجيل ، وقد نشرته سنة ١٨٧٥ ، وذلك في أعقاب شفائها من الكسور والرضوض التى حلت بجسمها نتيجة سقوطها على الأرض من مكان مرتفع .

٦ ـ عدد البيض ـ ٧ بيضات وتفصيل ذلك كالتالى
اشترى عدنان ٥, ٣ + ٥, = ٤
واشترى سميح ٥, ١ + ٥, = ٢
واشترى وليد ٥, + ٥, = ١

٧

٧ ـ سمك القرش يبيض ولكن بيضه يفقس داخل الأنثى فتبدو هذه وكأنها تلد لدى خروج الصغار منها

٨ ـ المور

٩ ـ يصاب المرء بمرض برى برى ، المنتشر في المناطق الاستوائية ، اذا تناقص في جسمه فيتامين ب بصفة عامة وفيتامين (ب ١) بصفة خاصة .. ولاعلاقة للمرض بحشرة تسى تسى .. التى تسبب نقل مرض نجانا في الحيوان ومرض النوم في الانسان .

١٠ ـ تكون الشمس أكثر انخفاضا عند الغروب .. ويمر ضوءها بالتالى بمزيد من الهواء . ومن شأن هذه الزيادة في الهواء أن تبعثر أشعة الشمس كلها ما عدا الأشعة الحمراء التى تأتينا وتسقط على أعيننا في خط مستقيم .. ولذلك فاننا نرى السماء محمرة أو حمراء عند الغروب .

١١ ـ ٨٠,٠٠٠ سنة ضوئية .

١٢ ـ الأخوان مونتجولفيير ، جوزيف ميشيل (١٧٤٠ ـ ١٨١٠) وإتيين (١٧٤٥ ـ ١٧٩٩) وقد أطلقا البالون الذى ترى في الصورة في ١٧٨٣/٦/٥ وذلك بعد أن ملآه بالهواء الساخن .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٢ ١٩٨٦

الجائزة الاولى · السيد حسن الفقيه رمضان / نهج زويلة بالمهدية - تونس
الجائزة الثانية · فيصل حسن ياسين / شارع المأمون حي ٢ / كريتر / عدن - اليمن الديمقراطي ·
الجائزة الثالثه · جنان نزار الحشاش / بيروت / طريق الجديدة - لبنان

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - عبد القادر على النعيم / ص .ب (٣٥٢٢) الخرطوم - السودان
٢ - مأمون على اسماعيل/ الفحاحيل الكويت
٣ - زين العابدين اكريم / سوق الساط / الرباط - المغرب
٤ - قاسم حمودة عاشور / المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية
٥ - عبد الغني عبد الهادي / عمان / جبل الحسين - الاردن
٦ - أكرم طه عبد السلام / الباجور / المنوفية - جمهورية مصر العربية
٧ - حيدر طاهر سعيد/ بابل / قضاء المحاويل / الحي الجمهوري - العراق
٨ - فتحي الصادق محمد / ص . ب (٨٣٧٦١) طرابلس الغرب - ليبيا

معركة بلا سلاح

الشطرنج في الكويت

من الأحداث الشطرنجية البارزة المقامة في الكويت بطولة المغفور له الشيخ صباح السالم المفتوحة للشطرنج والتي يعقدها الاتحاد الكويتي للشطرنج سنوياً في مطلع كل عام في مقر الاتحاد القائم في ضاحية الخالدية ، وكذلك بطولة الكويت المفتوحة للشطرنج والتي تعقد مرتين سنويا في نفس المكان وجميعها من المباريات المفتوحة أمام اللاعبين الكويتيين واللاعبين المقيمين في الكويت واللاعبين الوافدين من عرب وغير عرب .

وقد فاز اللاعب الكويتي الشاب عبدالوهاب العثمان بالمرتبة الأولى في بطولة الكويت الأخيرة ، أما المرتبة الثانية فقد فاز فيها اللاعب الباكستاني محمد ناصر في حين حصل اللاعب الكويتي منصور الاستاذ على المرتبة الثالثة

أما بطولة الشيخ صباح السالم السادسة المفتوحة والتي أقيمت مؤخراً من ١٢ يناير الى ٣ فبراير من العام الحالي فقد فاز بالمرتبة الأولى فيها اللاعب اليوغسلافي د . الكسندر كونتشك برصيد قدره عشر نقاط بخسارة دور واحد فقط أمام اللاعب الكويتي المرموق منصور الاستاذ والذي جاء ترتيبه الثالث في هذه المباراة برصيد قدره ٧,٥ نقطة ، أما المرتبة الثانية فقد فاز فيها اللاعب الباكستاني محمد ناصر برصيد قدره ٨ نقاط .

والدور التالي الذي اخترناه لكم من هذه المباراة بين اللاعبين عبدالله عثمان (أبيض) وسعيد سيد أحمد (أسود) من الأدوار الجيدة التي تتميز بالتخطيط السليم وبعد النظر وتحفل بالمناورات البارعة والمفاجآت غير المتوقعة

	□ عبدالله عثمان	■ سعيد سيد أحمد
١	هـ ٤	حـ ٥
٢	حـ ٤	ح - حـ ٦
٣	و ٤	د ٦
٤	ح - و ٣	ز ٦
٥	ف - هـ ٢	ف - ز ٧
٦	. ت	حـ ٥

تمهيدا لمهاجمة جناح الملك

٧	أ ٣	ح - و ٦
٨	د ٣	ف - ز ٤
٩	ح - حـ ٣	ف × و ٣
١٠	ف × و ٣	ح - ز ٤
١١	ف × ز ٤	حـ × ز ٤

مضحياً بالبيدق لتصعيد هجومه

١٢	. و × ز ٤	هـ ٦
١٣	. ف هـ ٣	و - د ٧
١٤	و ٥	هـ × و ٥
١٥	هـ × و ٥	ت ت
١٦	و - ز ٣	ف - هـ ٥
١٧	ف - و ٤	ز × و ٥
١٨	و - و ٣	ح - د ٤
١٩	و - و ٢	و ٦
٢٠	. ح - د٥ رائعة	

٢١	ر (أ) هـ ١	و و ٧
٢٢	حـ ٣	ر - حـ ٥

تشديدا للضغط بالربط بين الأرخاخ

٢٣	م - حـ ١	ر (د) - حـ ٨
٢٤	ر - هـ ٣	ح - هـ ٦
٢٥	ر و ٣	ح - د ٤
٢٦	. ر - هـ ٣	ر - حـ ٤
٢٧	ف - حـ ٢	م - ب ٨
٢٨	ب ٤ ' ـ	[illegible]
٢٩	أ × ب	و د ٧
٣٠	ب ٥	ر (٤) - حـ ٥
٣١	و ٢	ر - ر ٥
٣٢	ر - أ ١	ح × ب ٥ ؟

متلعا الطعم (انظر الشكل)

٣٣	حـ × ب ٥	ف × أ ١
٣٤	ر هـ ٧	و × ب ٥ ؟
٣٥	ف × د ٦ +	م حـ ٨

إحبارية حشية الكتسه المردوحة

٣٦	و - حـ ٢ +	و حـ ٦
٣٧	ر حـ ٧ +	يستسلم

حل المسألة (العدد ٣٣٣) اغسطس ١٩٨٦

١	حـ ٧	ر د ٦ +
٢	م - ب ٥	ر د ٥ +
٣	م ب ٤	ر د ٤ +
٤	م - ب ٣	ر د ٣ +
٥	م حـ ٢	ر - د ٤

مهددا ر - حـ ٤ في حالة الترقية الى ورير ومن تم التعادل بالتحميد

٦	حـ ٨ = رخ	ر أ ٤
٧	م ب ٣	

مهددا مات وطالبا الرخ في آن واحد

الفائزون بحل مسابقة العدد ٣٣٢

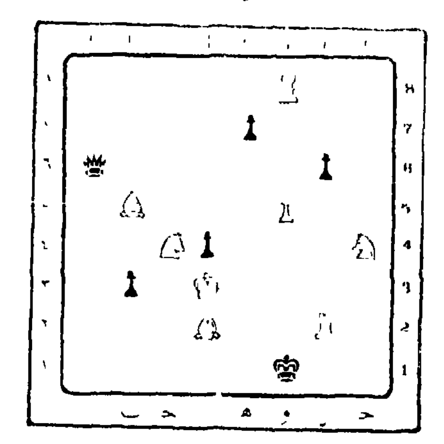
يوليو ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ ممدوح محمد نحاس علي ـ الكويت
٢ ـ حاج أزحاف عبدالمجيد ـ المغرب / سيدي قاسم
٣ ـ نيفين صلاح ـ مصر / السويس
٤ ـ محمد بوعين مهج المنحي سليم ـ تونس / صفاقس
٥ ـ طه علي عبود ـ السعودية / الدمام

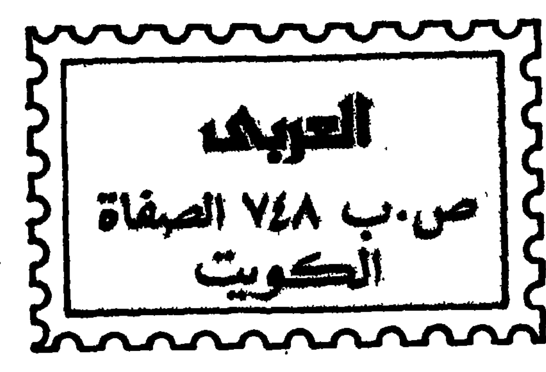
الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ محمد الهدر ـ سوريا / النبك
عبدالسلام علي صالح ـ العراق / الفلوحة
٣ ـ بزير عبدالمجيد ـ الجزائر / بوانت سكاد
محمود محمد سليم ـ الأردن / عمان
٥ ـ سلامة علي القصيري ـ قطر / الدوحة



مسألة العدد رقم (٣٣٥) اكتوبر ١٩٨٦

مات ٢



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"



مشاعر كريمة من قراء العربي

● أود أن أقول كلمة عبر صفحات « حوار القراء » لأن هذا الباب يعتبر بحق المتنفس الوحيد لأراء القراء ، والدافع لكتابتي هو الرغبة في التعبير عن هذا الحزن العميق الذي ألم بي ، اثر سماعي من الاذاعات نبأ تعرض مستودعات النفط في ميناء الأحمدي بالكويت لأعمال تخريبيه وإجرامية ، إن تكرار هذه الأعمال الاجرامية يؤكد أن المخططين والمنفذين لها يستهدفون زعزعة الاستقرار والأمن في الكويت

كما يؤكد أنهم يستهدفون إعاقة الكويت عن الاستمرار في سياسته الخارجية التي تقف دائما مع الحق العربي ، وفي نصرة السلام والعدل الدوليين ، وفي مؤازرة شعوب العالم الاسلامي والعالم الثالث .

ان الكويت علامة بارزة ساطعة على جبين أمته العربية ، وسيظل كذلك رغم أنف الحاقدين ، الذين سولت لهم أنفسهم ارتكاب مثل هذه الأعمال الدنيئة ، التي لا تخدم في النهاية ، سوى العدو الصهيوني الذي يهمه أن يتسلل الوهن الى كل مصادر القوة في الوطن العربي ، وهؤلاء الحاقدون يحسبون أنهم بذلك يحسنون صنعا .

انني أهيب بكل عربي في كل الأقطار العربية ، أن نعمل جميعا من أجل تحقيق الحلم الكبير ، الا وهو الوحدة العربية ، التي لو تحققت ما جرؤ أحد على العبث بمقدرات العرب ، واستنزاف قواهم قطرا قطرا ، ولفكروا ألف مرة قبل أن يقدموا على مثل هذه الأعمال الاجرامية الشيطانية

اكرم طه عبدالسلام
جمهورية مصر العربية
الباجور ـ منوفية

العربي

ـ وصلتنا رسائل عديدة حول الأحداث المؤلمة التي وقعت في الكويت في الفترة الأخيرة ، اخترنا من بينها هذه الرسالة ، واننا اذ نشكر للقارىء الكريم مشاعره الصادقة ، نؤكد له أن مثل هذه الأعمال مهما تكررت ، لن تزحزح الكويت قيد شعرة عن مبادئها ، وسياستها الثابتة في خدمة هذه المبادىء

وجهات نظر مختلفة في قضية واحدة

● حول ظاهرة نشر الموضوع الواحد لكاتب في أكثر من مجلة واحدة ، وصلتنا رسائل عديدة تعلق على اللوم أو العتاب الذي وجهته مجلة العربي في « باب عزيزي القارىء » في صدر العدد الصادر في مايو سنة ١٩٨٦ للكتاب الذين يفعلون ذلك

وقد اختلفت الآراء بين من يرفض هذه الظاهرة ويحمل الكاتب مسئوليتها ، وبين من يرفضها ولكنه

نشرها . ويلقي بجزء من المسئولية على أسلوب بعض المجلات في التعامل مع المادة التي تصلها

وفيما يلي عرض لأبرز الآراء التي وردت في هذه الرسائل ، نوجزها قبل التعليق عليها تجنبا للتكرار

يقول من يلومون الكاتب – ومنهم السيد/ مأمون صافيا من سوريا ، « يمكننا ان نرجع تفشي هذه الظاهرة التي لا تخص مجلة دون أخرى ، الى قلة المردود المادي للعمل الفكري ، والى ازدياد وتضخم عدد المجلات والدوريات في الأقطار العربية ، وضعف توزيع أغلبها على نطاق واسع ، بالاضافة الى تفشي النزعة الاستهلاكية لدى كل الناس حتى الأدباء . ثم ذكر الكاتب أمثلة عديدة بالأرقام والتواريخ لبعض المقالات التي تكرر نشرها في عدد من المجلات ومنها العربي

ويعود من يشركون المجلات في تحمل المسئولية . ومنهم د . جميل أبو حبيب – العمورية/ بغداد

« على الأقل يجب أن يعرف الكاتب هل قبلت مقالته للمجلة أم لا ، عن طريق رسالة موجزة حول ذلك »

من حق الكاتب أن يعيد اليه مقالته اذا [illegible] صالحة ، مع تفسير موجز لأسباب عدم الصلاحية . فقد لا تتصل هذه الأسباب بقيمة الموضوع من الناحية نفسها ، وقد تكون أسبابا [illegible] للكاتب بالافهام مستقبلا

أحيانا يكون موضوع من المقرر نشره ، ولا يعرف صاحبه ذلك . لكن النشر يتأخر لدرجة تدفع الكاتب الى تقديم موضوعه لمجلة أخرى . بعد أن يفقد الأمل ، فتطبع المقالات في وقت واحد في مجلتين . من المفروض على الأقل بالنسبة للموضوع الذي تقرر المجلة نشره أن تخطر صاحبه بذلك حتى لا يسيء فهم تأخر النشر

العربي

ـ لعلنا بنشر هذه الآراء بشيء من الايجاز نكون قد ألقينا بشيء من الضوء على مشكلة تتسم بالدقة والحساسية ، ولا خلاف بيننا وبين القراء حول إدانة من يبعث بمقالة واحدة في وقت واحد لعدد من المجلات مع سبق الاصرار ، كما أنه لا خلاف حول حق الكاتب في خطاب سريع يطمئنه على وصول مقاله ، وهذا ما تفعله العربي كجزء ثابت من نظام تعاملها مع الكتاب

ولعله من حق الكاتب كذلك في حالة الموافقة على نشر موضوعه أن يخطر بذلك ، وان كان تنفيذ هذا الحق يحتاج أحيانا في زحمة العمل الصحفي المستمر الى جهد وامكانات قد لا تملكها المجلة أو الصحيفة ، ولكنه قد يبقى حقا في مستوى الطموح . وما ينبغي أن نعمل جميعا من أجل الوفاء به

حول حقوق المرأة في الاسلام

● نشر الدكتور محمد عمارة في العدد ٣٣٠ من مجلة العربي مقالا تناول فيه حقوق المرأة في الاسلام . ولا يسعني الا أن أشكر الكاتب لما أوضحه فيه ، كما ينفي شبهات المستشرقين وتلامذتهم واستشهد بأقوال لمفكرين اسلاميين لا ينكر أحد مكانتهم في الحياة الفكرية المعاصرة . ومما لفت نظري قول الكاتب

وتيار من الصحوة الاسلامية يقرر في دستور للمرأة من بين ما يقرر « للمرأة في أن تزاول التجارة والصناعة والزراعة ، وان تتولى العقود والمعاملات ، وان تملك كل أنواع الملك . وان تنمي أموالها ، وان تباشر شئونها في الحياة بنفسها . ويجوز للمرأة أن تعين في وظائف الدولة . ومناصب



حوار القراء..

القضاء ، ما عدا محكمة المظالم ، وأن تنتخب وتنتخب في مجلس الشورى ، وان تشترك في انتخاب الخليفة ومبايعته » انتهى .

وكنت اود لو كانت القراءة هنا كامله غير مبتورة ، أي حبذا لو أورد الكاتب ، ما سبق هذا النص مباشره وما تلاه مباشرة في المجال الذي نقل عنه ·

فقد سبق النص مباشرة ما يلي .

« الاصل في المرأه انها أم وربة بيت ، وهي عرض يجب أن يصان ، الاصل أن ينفصل الرجال عن النساء في المجتمع الاسلامي ، ولا يجتمعون الا لحاجة يقرها الشرع ، ويقر الاجتماع من أجلها . »

كما نجد تتمة النص الذى نقله الكاتب ما يلي :

« . . . لا يجوز أن تتولى المرأة الحكم ، فلا تكون خليفة ، ولا قاضيا في محكمة المظالم ، ولا واليا ولا عاملا ، ولا تباشر أي عمل يعتبر من الحكم ، وأيضا تمنع الخلوة بغير محرم ، ويمنع التبرج ويمنع الاختلاط » .

ان ما نقلته هنا لا يقلل من أهمية النص الذي نقله الكاتب ، وانما يضع ما أوضحه من حقوق للمرأة ضمن الاطار الصحيح ، وأكرر شكري للكاتب مرة أخرى ، كما أشكر مجلة العربي لكونها المنبر الذي يتسع لكل ناطق بالضاد

عارف تركماني

كلية الهندسه بجامعه حلب ـ سوريا

المقاومة الوطنية في الصومال

● سيطرت بريطانيا على شمال الصومال ، بحجة حماية الطريق الى مستعمراتها سنة ١٨٨٤ ، وفي الوقت نفسه سيطرت ايطاليا على الجزء الجنوبي من الصومال عام ١٨٨٢ ، ثم سيطرت فرنسا على الجزء العربي من الصومال بعد ذلك واسمته الصومال الفرنسي ، وعندما تحرر اختار اسم جيبوتي ، وهي دولة مستقلة عن الصومال ، وعضو في الجامعة العربية

ويهتم الأدب الشعبي الصومالي بالمقاومة الوطنية في البلاد خلال مراحل الاستعمار الأوروبي التي ظهرت قوية من خلال زعامة محمد عبدالله حسن ، الذى أعلن الجهاد ضد الحكومات الاستعمارية ، واستمر نضاله أكثر من عشرين عاما ، وهو يشبه في مسيره نضاله مسيرة السيد عمر المختار في كفاحه ضد الفاشية الايطالية في ليبيا ، وقد اطلق البريطانيون على ثوره محمد عبدالله حسن ثورة الدراويش واطلقوا على زعيمها لقب المجنون

وقد تحقق الاستقلال للشعب الصومالى سنه ١٩٦٠ ، وكان للدور المصري بقيادة الزعيم الراحل جمال عبدالناصر أثر عظيم في تحقيق هذا الاستقلال

واليكم هذه المعلومات عن الصومال ، القطر العربي الاسلامي

* يقع الصومال في القرن الافريقي في المنطقة المواجهة لخليج عدن والمحيط الهندي

* يمثل الجسر العربي الى القاره الافريقيه

* اعتنق السكان الاسلام ، بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وعبور المهاجرين المسلمين لمضيق باب المندب في العام الأول للهجرة

* أكثر الصوماليين يشتغلون بالرعي ، ويجوبون بلادهم الجافة بالجمال والماعز ، وبجانب المناطق الرعوية تقوم مجتمعات زراعية في وديان نهر شبيلي ، وجوبا،شريان الحياة الزراعية حيث يعيش الفلاح الصومالي على الزراعة .

* اهم حاصلاته الذرة والموز والبطيخ والمانجو

* يأتي الصيادون بعد الرعاة والمزارعين في ترتيب الأشغال في الصومال .

ابراهيم علي حيد

جمهورية الصومال الديمقراطية

برعو/ الاقليم الشمالي

زاوية الرؤية للفنان . . . من يحددها ؟

● تابعت كتابات الدكتور محمد المنسي قنديل تحت عنوان « لحظات من الزمن العربي » وأود أن أعلق عليها بما يلي :

في علمي أن الزمن العربي أو التاريخ العربي فيه الى جوار السلبيات التي يركز عليها الدكتور محمد المنسي قنديل ، الكثير من أمثلة البطولة والشهامة والعدل والايثار والحكمة

يبدو لقارىء مقالات الدكتور المنسي أن تاريخنا هو تاريخ التلاطم على الارث ، والاستمتاع بالنساء ، كما في مقال « السلطان لم ير الشمس » أو تاريخ الغدر والخيانة وشريعة الغاب ، كما في مقال « طقوس بيع ورير سابق »

قد يكون في كتابات الدكتور بعض الحقائق ، ولكن صور الخيال التي يرسمها الكاتب حول كل حقيقة تترك انطباعا بأن هذه الحقائق هي السمة الغالبة في تاريخنا العربي ، كما يجعلها أكثر تأثيرا واقناعا بهذا الاتجاه السلبي

الدكتور لا يشير في مقالاته الى المراجع التي يستقي منها معلوماته ، وبخاصة تلك التفاصيل الدقيقة التي يبدع في وصفها كأنه كان يراها بعينه وهي تحدث.

أحمد قنديل السوريكي
كاليفورنيا ـ الولايات المتحدة

العربي

ـ نشرنا في هذا الباب قبل ذلك رسالة تعبر عن الاعجاب الشديد بالاسلوب الفني الذي يتناول به الدكتور محمد المنسي قنديل مقالاته عن الزمن العربي ، واذا كنا ننشر الآن هذه الرسالة فذلك لأن هذا الباب يؤثر أن يكون مجالا لتبادل الرأي الحر بين الكاتب وقارئه ، وبين القراء أنفسهم ويهم العربي أن تشير الى أن مقالات الدكتور محمد المنسي قنديل هي أقرب في طبيعتها الى العمل الفني ، منها الى المقالات العلمية التي تتحرى تمحيص الحقائق التاريخية .

ولا أحد يملك أن يحدد للفنان زاوية رؤيته للتاريخ او للحاضر ، قد يملك الفنان احساسا نقديا حادا تجاه سلبيات بعينها في الماضي أو في الحاضر ، فيجدها ويبرزها بقوة ليضعنا في موقف الرافض لها ، والثائر عليها ، وليس معنى ذلك أن الحياة كلها سيئة في الماضي أو في الحاضر ، بل ربما يكون العكس هو الصحيح ، حيث أن الثورة على الفساد دليل صحة . ولعل القارىء الكريم يلاحظ انه الى جوار مقالات الدكتور قنديل الحادة النقد لتاريخنا تنشر العربي مقالات عديدة تسلط الضوء على ما هو ايجابي في هذا التاريخ

حول الاستطلاعات

● منذ أن تابعت مجلة العربي منذ خمس سنوات ، واستطلاعات المجلة كلها خارج الوطن العربي الكبير ، فلماذا لا تعود المجلة الى ما كانت عليه في السابق ، استطلاعاتها على الوطن العربي ، لتقدمه في صورته الجديدة ، فالكثير من العواصم والأقطار العربيه التي قدمت عنها العربي استطلاعات في الماضي قد حدث فيها تطور كبير في السنوات الأخيرة ، ومن المهم أن يتعرف القراء على هذه التطورات ، وبهذه المناسبة أتقدم باسمي واسم كل مواطن في محافظة دير الزور بدعوة لمجلة العربي لزيارة هذه المحافظة ، فدير الزور مدينة كبيرة جدا ، وتشتهر بجسرها المعلق ، وقلاعها التاريخية التي من أهمها قلعة « الرحبة » « وآثار الصالحية العظيمة » ، ومملكة ماري بأكملها .

محمد جهاد الراوي
سوريا ـ دير الزور

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم دعوته ، ونوضح أن مجلة العربي لم تقطع استطلاعاتها أبدا عن الأقطار العربية ، ففي هذا العام فقط ١٩٨٦ قامت العربي بعدة استطلاعات من عمان،وعسير في السعودية والسودان،وسيناء في جمهورية مصر العربية ، وكل ما حدث هو أن العربي أرادت أن تمد استطلاعاتها الى خارج حدود الوطن العربي ، لتقديم مزيد من الخدمة الثقافية للقارىء . □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أكتوبر ١٩٨٦ م

المتلاعبون بالعقول

تأليف : د. هيربرت شيلر

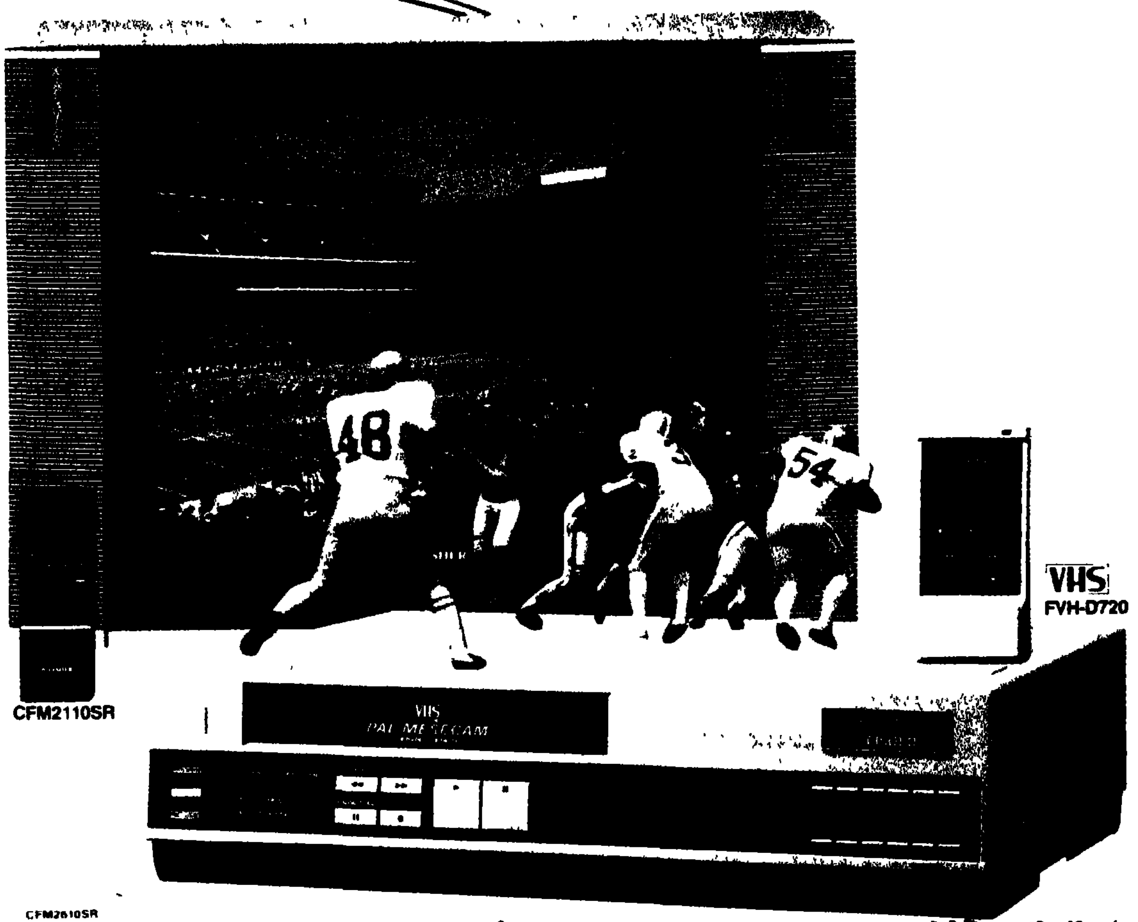
ترجمة : عبدالسلام رضوان



الكتاب ١٠٦

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

نقل حي من استاد فيشر



CFM2610SR

CFM2115R

إستمتع بأفضل المقاعد في الإستاد بدون أن تغادر المنزل.

فيشر، أخصائيو نظام الهاي فاي الأصليين، يقدّمون الآن أجهزة سمعية مرئية ذات أبعاد جديدة في الترفيه المنزلي.

بما أن تلفزيون فيشر CFM2110SR ١٦ نظامًا ذو شاشة مسطحة مربّعة، فباستطاعة كل من في الغرفة الحصول على أفضل صورة حتى آخر زوايا الشاشة، صوت ستيريو ديناميكي وجهاز تحكّم عن بُعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء يجعلك تستمتع بالمشاهدة من أي جهة تجلس فيها.

لمباراة مثالية، إختبر مسجّل الفيديو FVH-D720 بال/ ميسيكام مع مؤقت مبرمج ٩ أيّام لبرنامج واحد وتحكّم عن بُعد بالأشعة تحت الحمراء لراحة أكثر.

فيشر- إنه عالم جديد مدهش.





CFM2610SR

إحصل على كل الحركة مع هذا التلفزيون الملوّن ١٦ نظامًا قياس ٢٦ إنشا مع صوت ستيريو وتحكّم عن بُعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

CFM2115R

مشاهدة مدهشة بالألوان من جميع أنحاء العالم مع هذا التلفزيون الملوّن ١٦ نظامًا قياس ٢١ إنشا ذو الشاشة المسطحة المربعة والتحكّم عن بُعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء

FVH-M540

يحصل الأنظمة الأربعة للتسجيل والمشاهدة والتحكّم عن بُعد ١١ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء. مسجّل الفيديو هذا يضع العالم بين يديك

FVH-D620

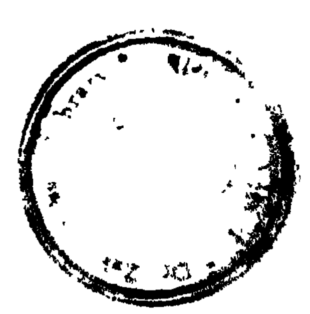
مسجّل فيديو بال/ ميسيكام مع تحكّم عن بُعد ومؤقت مبرمج ٩ أيّام لبرنامج واحد



العدد ٣٣٦ السنة التاسعة والعشرون نوفمبر ١٩٨٦



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت



رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 336 Nov. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٣٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة:

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٢٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

في العدد الذي بين يديك ، وفي زاوية « حوار القراء » نطرح قضية ثقافية محزنة ، بل ومشينة ، يقوم بها بعض مدعي الثقافة . والقضية ببساطة أن هناك من ينقل نقلا حرفيا من مجلات قديمة ، وبالنص ، ثم يرسلها للنشر على أنها من انتاجه . . !

المحزن أن هؤلاء الناس ليسوا عاديين ، بمعنى أنه من المفترض فيهم أن يكونوا قادة رأي ، وأن يكونوا مؤتمنين على أمور أخرى . . بجانب ائتمانهم على الثقافة . فإذا كانوا قد خانوا الأمانة فكيف يمكن الوثوق بهم ؟

إنه مرض أصيب به قلة من المفترض أن نعيش معهم ، ولكن ما يعزينا أن هذا المرض محدود في بعض ضعاف النفوس فقط الذين سرعان ما ينكشفون ويستأصلون من الساحة الثقافية .

وهكذا كان ، وفي حوار القراء تفاصيل ذلك المرض ووجهة نظرنا فيه .

ولكن ، بعيدا عن المرضى والأدعياء ، لنستعرض بعض ما نقدمه لك من جديد .

في هذا العدد تطل « العربي » على الشمال الأسباني إطلالة الباحث عن جذور للثقافة تركها أجدادنا هناك . . وقد وجدناها . . وهي هنا بين يديك . .

وتجد أيضا تصورا جديدا تطرحه « العربي » لدارسة بعض الشخصيات الفكرية العربية من خلال المكان الذي عاشوا فيه . . والبداية في هذا العدد مع . . . العقاد .

ولأن العالم يتقدم معتمدا على الذكاء والمبادرة . . فإننا نعرض عليك شيئا من الذكاء الصناعي . .

. . . ويقدم لنا الدكتور نقولا زيادة كتابا صينيا يتناول « العرب » . . ترى ماذا يرى الصينيون فينا ؟

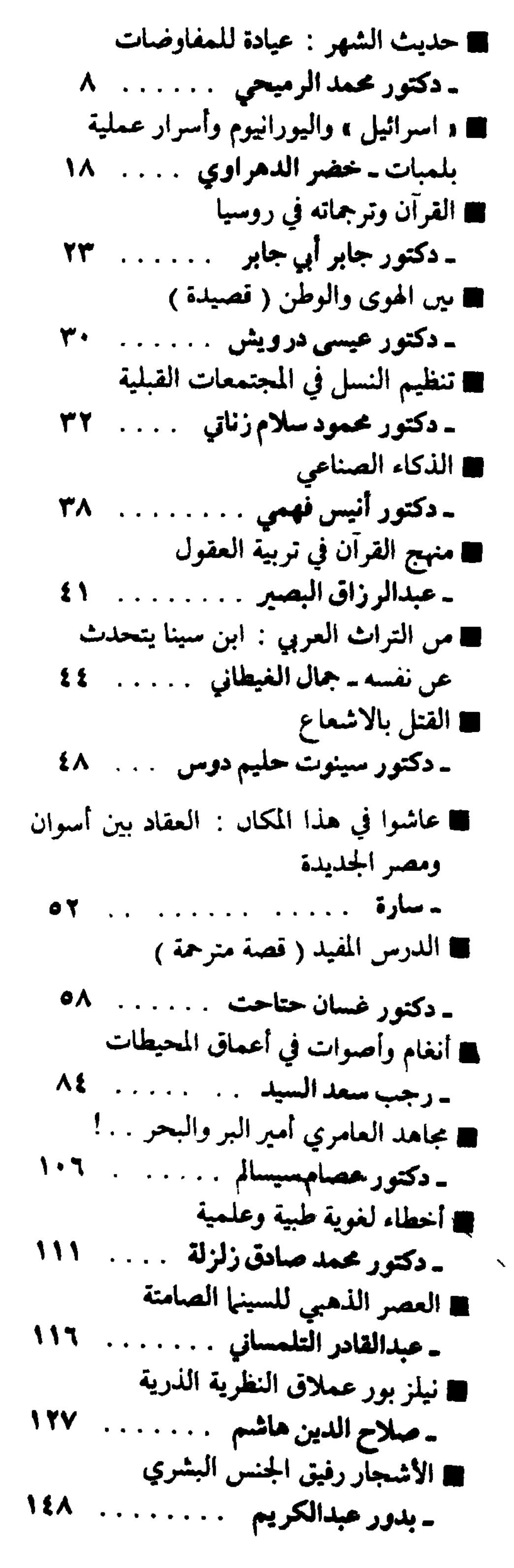
وتنقلك العربي أيضا الى البرازيل . . التي يعتقد الكثير من الخبراء انها ستكون عملاق القرن الواحد والعشرين . . ماذا في البرازيل اليوم ؟

وحول عملية « بلمبات » وحصول الكيان الصهيوني على اليورانيوم تمهيدا لقيام صناعة ذرية فيه ، تنقل لك « العربي » بعض الأسرار والتفاصيل . .

هكذا هو العدد الذي بين يديك . . مترعا بالفكر والثقافة . . كي تمتعك في هذا الشهر . . والى اللقاء في العدد القادم . . □

المحرر

محتويات العدد



■ حديث الشهر : عيادة للمفاوضات
ـ دكتور محمد الرميحي ٨

■ « اسرائيل » واليورانيوم وأسرار عملية بلمبات ـ خضر الدهراوي ١٨

■ القرآن وترجماته في روسيا
ـ دكتور جابر أبي جابر ٢٣

■ بين الهوى والوطن (قصيدة)
ـ دكتور عيسى درويش ٣٠

■ تنظيم النسل في المجتمعات القبلية
ـ دكتور محمود سلام زناتي ٣٢

■ الذكاء الصناعي
ـ دكتور أنيس فهمي ٣٨

■ منهج القرآن في تربية العقول
ـ عبدالرزاق البصير ٤١

■ من التراث العربي : ابن سينا يتحدث عن نفسه ـ جمال الغيطاني ٤٤

■ القتل بالاشعاع
ـ دكتور سينوت حليم دوس ... ٤٨

■ عاشوا في هذا المكان : العقاد بين أسوان ومصر الجديدة
ـ سارة ٥٢

■ الدرس المفيد (قصة مترجمة)
ـ دكتور غسان حتاحت ٥٨

■ أنغام وأصوات في أعماق المحيطات
ـ رجب سعد السيد ٨٤

■ مجاهد العامري أمير البر والبحر . . !
ـ دكتور عصام سيسالم ١٠٦

■ أخطاء لغوية طبية وعلمية
ـ دكتور محمد صادق زلزلة ١١١

■ العصر الذهبي للسينما الصامتة
ـ عبدالقادر التلمساني ١١٦

■ نيلز بور عملاق النظرية الذرية
ـ صلاح الدين هاشم ١٢٧

■ الأشجار رفيق الجنس البشري
ـ بدور عبدالكريم ١٤٨



● الشمال الاسباني بُعدجديد في المآثر العربية الاسلامية يضاف الى الجنوب . فما الذي تركه الأجداد هناك وماذا يقول الحجر ؟ [ص٦٨]

■ العجوز والكلب (قصة)
ـ محمد سمارة ١٥٢

■ درس في القراءة (قصيدة)
ـ إلياس لحود ١٨٦

استطلاعات ومقابلات

■ عندما يتكلم الحجر عن العرب . . في الشمال الاسباني .
ـ حسن محمود عباس ٦٨

■ وجها لوجه : أحمد بن يسف
ـ علاء الدين محسن ٩٣

■ البرازيل : مارد القرن الحادي والعشرين
ـ حسين أحمد أمين ١٣٦

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥

■ منتدى العربي :
ـ قضية : عنصرية جديدة ـ تحليل في الدوافع والأهداف .
ـ فارس المنصوري ٦٢
ـ تعقيب : صور المحاربين في تاريخنا
ـ ابراهيم ونوس ٦٥
■ أرقام . الأبناء أسعد حظا
ـ محمود المراغي ٩٠
■ حكايات شرق وغرب ١٠٢
■ الجديد في الطب والعلم ١٢١
■ مكتشفون ومخترعون : شارلز بارسونز . اختراع وتطوير السفينة الحديثة .. ١٢٤
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة . ١٢٦
■ حضارات سادت ثم بادت · حضارة نمرود داج في الأناضول
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي .. ١٥٦
■ قاموس العربي : بلعور . وعد ! ١٨٠

■ جمال العربية :
ـ صفحة لغة : بين الدل وعطف البيان
ـ محمد خليفة التونسي ١٨٢
ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء : رحلة إلى ليلى السماوية للشهرزوري .. ١٨٤
■ أقوال ١٨٨
■ مكتبة العربي :

ـ كتاب الشهر : العرب وديارهم في كتاب صيني من العصور الوسطى .
ـ دكتور نقولا زيادة ١٩٠
ـ من المكتبة العربية : العلاقات الدولية بعيون عربية .
ـ نجاح عمر ١٩٤
ـ مكتبة العربي : مختارات ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد ٣٣٣ .... ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) .. ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ أنت والآخرون ، زمالة عمل أم صداقة إنسانية .
ـ زينب الكردي ١٦٢
■ العناية بأقدام الأطفال تجنبهم آلاما كثيرة
ـ علي حسين فياض ١٦٦
■ هو .. هي ١٧٠
■ من الحياة .. الطفلة التي عزفت لحن الحياة
ـ منير نصيف ١٧٢
■ طبيب الأسرة ١٧٦
■ مساحة ود : بلا وطن
ـ محمود عبدالوهاب ١٧٩



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

لا بد أن يكون مؤلف هذا الكتاب اسكتلنديا قحا حتى تخطر بباله مثل هذه الأفكار ، فالاسكتلنديون مشهورون بالبخل الشديد ،والكتاب يتناول قضية لها علاقة بالتوفير واستخدام المال بطريقة أكثر رشدا أو قُل حرصا . . فقط عليك باتقان فن التفاوض . . . التفاوض هنا ليس التفاوض السياسي ، ولكنه التفاوض الاقتصادي الفردي ، والتفاوض على قضايا لا تخطر على بال ، مثل التفاوض مع الزوجة قبل أن تهب معركة كلامية أو مع الحبيب عندما تظهر بوادر الجفوة أو مع الطفل ، ومثله التفاوض لشراء منزل أو سيارة أو التفاوض من أجل الطلاق أو الزواج أو من أجل بناء بيت،حتى التفاوض مع خدمك في المنزل . كل ذلك يقدم بين دفتي كتاب سماه مؤلفه « الصفقة الرابحة » * وجعل عنوانه الفرعي : كيف تتفاوض في كل شيء . . من التفاوض مع طفلك الى التفاوض لقضاء اجازة ممتعة . . وكيف تتفاوض مع جيرانك وشركائك أو مع ابنتك أو ابنك في سن المراهقة . . . ؟

في بعض الأوقات تبدو لك معاني الكاتب حول التفاوض وكأنها تعني المساومة ،

* Gavin Kennedy "Superdeal: How To Negotiate Anything 1986.

ولاسيما في الموضوعات الاقتصادية ، وأحيانا أخرى كأنها تعنى التفاوض غير المنطوق والذي يجرى حواره بدون كلام، وبخاصة في العلاقات العاطفية ولغة العيون .

الكتاب مبنى على مجموعة من القواعد الاجتماعية والنفسية ، وليس بالضرورة أن كل البشر وكل البيئات الاجتماعية تشترك في هذه القواعد ، إلا أنها قواعد قد يشترك فيها معظم الناس ، مع هامش من الاختلاف الثقافي هنا أو هناك .

الكاتب منذ البداية يبدد الرهبة من المساومة وخصوصاً لدى الشخص الغربي - فالبعض يعتقد خطأ - كما يقول الكاتب - أن المساومة أو التفاوض هو طريق للمكر والاحتيال ، والأمر ليس كذلك البتة . فالتفاوض والمساومة طريقة حضارية متقدمة لحل المشكلات بين الأطراف المختلفة ، فأية قضية بين طرفين ربما تكون مشحونة ومفعمة بالخطر ، والتفاوض هو أقصر الطرق وأسلمها لحلها .

الكاتب أيضا يقول ان الكثير من الطرق الموصوفة للتفاوض والمساومة في كتابه هذا ، استخلصها من عمله الطويل في عيادته في اسكتلندا ، وهي عيادة تعنى بتعليم التفاوض والمساومة ، أو « عيادة مفاوضات » . وهو يقول ان الناس الذين يأتون اليه ليسوا جنسا آخر مختلفا عن العالم ، انهم بشر عاديون، ولكنهم يريدون أن يحسنوا قدراتهم التفاوضية حتى يحصلوا على صفقات أكثر ربحا ، سواء كانت مادية أو معنوية .

التفاوض الاقتصادي :

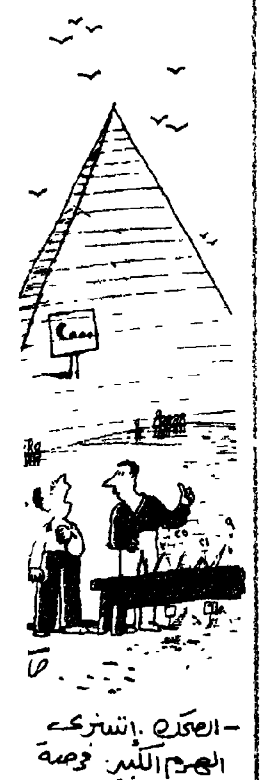
□ البشر في عالمنا ينقسمون الى قسمين أو الى معسكرين غير متكافئين : مجموعة من الناس تستطيع أن تعيش في حدود دخلها وهي سعيدة بذلك ، ومجموعة لا يؤهلها دخلها لأن تعيش معيشة مستريحة ، وهي تريد أن تفعل شيئا لتغير ذاك الواقع .

إذا كنت محسوبا على المجموعة الثانية ، فلا تعجب كثيرا اذا ما عرفت أنك تنتمي الى المجموع الأكبر ، الأكبر كثيرا في عالم البشر . وان أردت أن تفعل شيئا لتغيير ذاك الواقع ، فما عليك الا أن تتابع القراءة . . .

إذا كنت تريد من دخلك الحالي أن يخدمك أكثر لأنك تريد أكثر مما لديك ، أو لأنك تريد أكثر مما تحصل عليه الآن ، فهناك طريقتان فقط لاصلاح الاختلال بين دخلك (المحدود) وحاجاتك الكثيرة :

اما أن تخفض احتياجاتك ، أو أن تستخدم دخلك استخداما أفضل ، فاذا اتجهت الى الخيار الأول - تخفيض الاحتياجات - فإن عليك أن تكون قديسا أو أن تعانى من مستوى متدن من المعيشة وتصبح بذلك مهووسا لأن المهووس هو الذي يقوم بذلك .

أما إذا كنت تريد أن تستخدم دخلك بشكل أفضل فلا بد مِنْ أن تتعلم (المفاصلة) أو المساومة وتكتيكاتها . . .


– الصكة . إشترى الهرم الكبير فرصة

كيف تساوم ؟

☐ إن كنت تقبل أول الأسعار التي تعرض عليك عند شرائك لسلعة أو خدمة ما دون نقاش ، فأنت لا تستخدم دخلك استخداما أفضل ، وإن كنت تدفع عادة مقابل أي بضاعة الثمن الذي كتبه البائع على بطاقة السعر فأنت خاضع لما يفرض عليك لا لما تقرره أنت بنفسك ، إذ كيف ترفض أن تشتري بضاعة بأقل من سعرها المعلن بـ ٥٪ أو ١٠٪ أو ٢٠٪ بينما تستطيع ـ لو ساومت ـ أن تحصل على بعض ذلك التخفيض أو كله .

اسأل نفسك : هل هذه البضاعة لا تتوفر بعد فترة من الوقت في موسم التنزيلات ؟ وانها عندئذ ستكون أقل سعرا بكثير مما هي عليه الآن ؟ فلماذا لا أحصل على جزء من التخفيض الآن لكن بعد المساومة ؟ وتذكر أن الناس ليسوا أسهل المخلوقات للتفاوض والمساومة معهم ، فإن لهم أفكارا خاصة بهم ومصالح وطلبات يصممون على الحصول عليها . . . ولكن تذكر أيضا أنهم بشر مثلك ولا ضرر من أن تطلب منهم ما تعتقد أنه حقك . . فقط حطم العزلة وتشجع .

ليس هناك لحظات أكثر ترددا وقلقا من اللحظة التي تكون فيها في محل للبضائع ، وقبل دقائق من قرارك شراء بضاعة ما ، فالبائع لديه هدف واحد هو أن يجعلك تشتري البضاعة وتدفع الثمن الذي قرره سلفا وكتبه على بطاقة الأسعار .

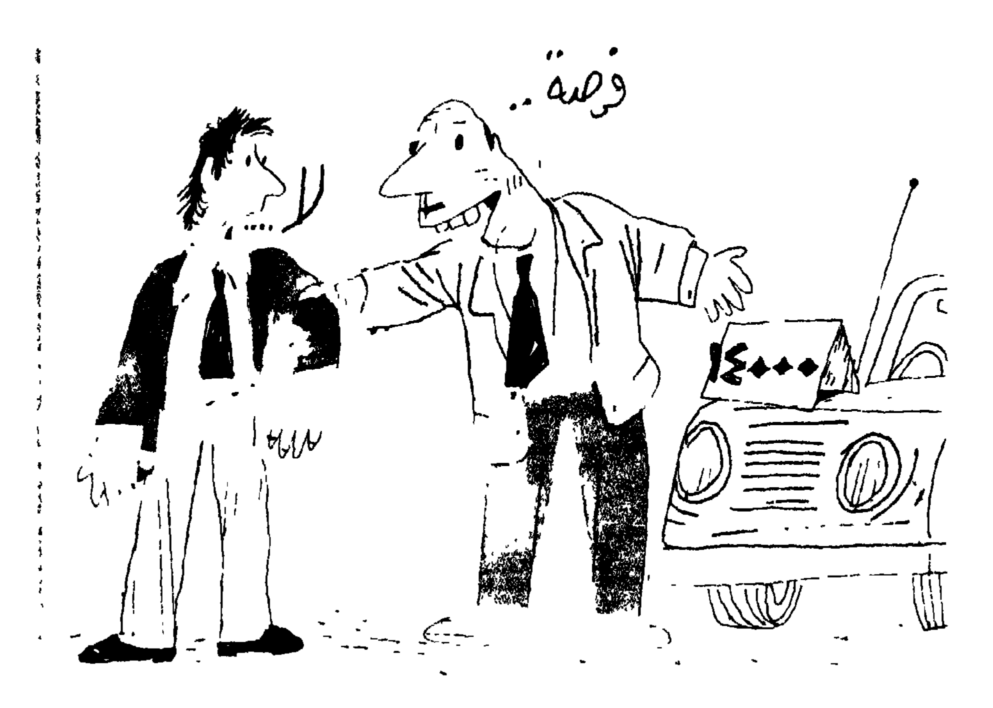
وأنت من جانبك ليس لديك شيء تخافه . . فقط تشجع ، البائع وأنت متساويان ، وبدونك وبدون آخرين مثلك فإن المحل يمكن أن يغلق أبوابه ، تذكر مرة أخرى أن البائع اذا لم يبعك البضاعة الآن فسوف يضطر لبيعها في التنزيلات . . تشجع واطلب تخفيضا . . .

كيف تتفاوض في كل شيء . . .
حتى في شؤون الزواج والطلاق ؟

☐ تذكر القاعدة الاقتصادية التي تقول انه لا يوجد غداء مجاني . . هناك في آخر الأمر من يدفع ثمن ذاك الغداء . ولكن لا توجد قاعدة اقتصادية تقول انك الشخص الذي يجب أن يدفع ثمن الغداء .

تذكر أيضا أنه ليس لديك منجم من المال تنفق منه . . وتذكر انك لا تنفق نفس الدينار مرتين ، لذلك لا تقبل من الآخرين أن يقرروا لك كم تدفع في بضاعة تريد شراءها . من الآن فصاعدا ، تعلم أن تساوم عند شرائك لأي شيء . . فالمساومة هي التي تجعلك تحصل على تخفيض ، وبذلك تستخدم دخلك استخداما أفضل .

لا تتبع القطيع ، فاذا ذهبت الى السوق واشتريت شيئا ودفعت ثمنه كما حدده البائع فأنت تفعل ما يفعله ٩٦٪ من الناس . . ولكن ما الذي يجبرك على فعل ذلك ؟ ، أنك تستطيع أن تخفض السعر الى نسبة قد تصل الى ١٠٠٪ .



ولكن ذلك يحتاج الى قوة حديدية .

فأنت عندما تدخل فخ الشراء تدخله عن طريقين : إما أن تدخله بشكل مزاجي عن طريق مشاهدة إعلان عن بضاعة في « التلفزيون » أو الصحف ، وإما عن طريق تصميم سابق بأنك محتاج الى السلعة التي تريد شراءها . المشتري المزاجي هو المشكلة لأنه يقع في الفخ سريعا ، ومعظم مشتري المزاج هم صنف معين من الناس .. لاسيما النساء .. هذا فستان جميل أريد أن أجربه .. وما ان تجربه حتى تتعلق به ، وبخاصة إذا وجدت بائعة تقول لها : ما أحلى هذا الفستان على هذا القوام الملفوف ، وقد لا يكون ملفوفا أبداً .. فانها تقتنع به على الفور .. وتشتريه ..

المشتري الذي يقرر سلفا ماذا يريد ، يمكنه أن يحصل على تخفيض يصل الى ١٠٠٪ عندما يسأل نفسه : ولماذا أريد هذه السلعة ؟ إن لدى مثلها تماما في البيت ! بهذا القول العقلاني فانه يحصل على التخفيض الأكبر اذ أنه لن يشتري ، وبالتالي فلن ينفق شيئا ..

"الطشيش" .. الخدعة !

□ عندما تكون أسبابك في الشراء موضوعية غير مزاجية ، تكون قوتك التفاوضية مع البائع في ذروتها ، ولكن من الصعب التفاوض عندما تكون أسباب الشراء مزاجية ، وقتها تكون في أضعف نقطة تفاوضية ، فأنت أو زوجتك أو ابنك الكل يريد هذه السلعة .. يريدها فورا ..

والبائعون يعرفون ذلك .. وكذلك علماء النفس المهتمون بالتسويق ، لذلك طوروا تقنية بارعة في أساليب عرض البضائع والسلع والخدمات للايقاع بك .

يقال في إطار حنكة البيع ، ان البائع الذكي الذي يبيع شرائح اللحم (ستيك) هو الذي يبيع (الطشيش) لا اللحم !

(الطشيش) لا يتوجه الى عقلك ولكن الى خيالك والى عاطفتك ، فعندما تطبخ شرائح اللحم وتشم رائحتها وتسمع (طشيشها) تنفتح شهيتك للطعام - لذلك فإن كثيرا من المطاعم الراقية تجهز الطعام قريبا منك . بائع (الطشيش) ليس مقتصرا على بيع شرائح اللحم ، فالمطاعم التي تقدم الوجبات النباتية تتوجه الى رغبة الناس في الصحة الجيدة وليس الى عاطفة الانسان نحو الحيوان المذبوح . إنها حقيقة في عالم التجارة والأعمال ، وقد أثبتها البائعون الذين أصبحوا أغنياء ، إنك تشتري السلع بسبب (الطشيش) ولا تشتريها بسبب حقائق موضوعية لها علاقة بالسلعة نفسها ، وقد يكون هذا (الطشيش) في بعض الأوقات اسما لمصمم أو بيت أزياء أو مكانا لانتاج السلعة .

بالنسبة لك . . هذا (الطشيش) يجب أن يكون إنذارا مبكرا ، فعندما يكون البائع أو البائعة على أصلب أرض تفاوضية وأنت مبهور (بالطشيش) الذي تسمعه أو تراه أو تشمه أو تلمسه ، فأنت تقف وقتها على أضعف أرض تفاوضية ، عند ذلك تكون كالسمكة التي تكاد أن تلتقط الطعم ، فاحذر انه الوقت المناسب لاغلاق فمك والابتعاد الى أرض أكثر أمانا .

إذا كنت تستطيع أن تحصن نفسك ضد « بيع الطشيش » فأنت تستطيع أن تساوم على سعر أفضل ، أما اذا لم تكن محصنا فكان الله في عونك .

أنت فقط تحتاج الى الشجاعة والثقة بالنفس كي تطلب التخفيض في السعر ، وإن طلبته مرة فسوف تجد أنه سهل ، وتتلذذ بطلبه بعد ذلك وسوف تجد كذلك أنه امتحان لثقتك بنفسك . . وربما أيضا امتحان لقواك العقلية . . . . !

كيف تشتري أو تبيع أو تصلح منزلك ؟

□ لا بد أن تبتعد عن المغامرة في تغيير ثلاثة أشياء دفعة واحدة وفي وقت واحد : وظيفتك . . وزوجك . . وبيتك وكذلك موقفك السياسي . . وشريكك . . وجنسك ، ولو غيرت ثلاثة من هذه الأمور في نفس الوقت فلا بد أنك ستصاب بالجنون . . .



شراء منزل أو بيعه ليس بالعملية السهلة ، ربما تعتقد - اذا كنت مشتريا - ان الطرف الذي يملك المال أقوى في موقفه التفاوضي من الطرف الذي لديه حجر (منزل) . . وربما تعتقد - اذا كنت بائعا - ان من لديه حجر أقوى موقفا تفاوضيا من الشخص الذي لديه مال . . فأنت مخطىء في كلا الحالين . . . !

يقول الكاتب بوضوح لا لبس فيه ان معظم بائعي البيوت « لصوص » وكذلك معظم مشتريها !!

الفقراء جدا والأغنياء جدا هم الذين يؤجرون المنازل التي يسكنونها ، أما البقية - وهم معظمنا نحن الأغلبية - فنشتري المنازل التي نسكنها ، وشراء بيت أو شقة أو

المساومة أصبحت طريقة حضارية متقدمة لزيادة دخلك

بيعها ربما يكون أكبر صفقة نقوم بها لصالحنا الشخصي نحن أبناء الأغلبية ، وشراء منزل أو بيعه هو أيضا امتحان لحبك لزوجتك ، فهو يمكن أن يؤدى الى الفشل في الزواج كما يمكن أن يؤدى الى إنقاذ حياتك الزوجية من كارثة ، ومعظم أسباب الطلاق - كما يقول المؤلف - تنبع من الخلاف بين الزوجين على شراء أو بيع بيت .. وذلك في المجتمع الغربي بالطبع ..

إن كنت مشتريا لمنزل فسوف تسمع من البائع أن هناك ثلاثة على الأقل قد فاتحوه في شراء المنزل قبلك ، وإن كنت بائعا فسوف تسمع من المشتري ان هناك مجموعة من المنازل أفضل من منزلك وأقل سعرا .

بائع المنزل يقول نصف الحقيقة ، وقول نصف الحقيقة أسوأ من الكذب ، فهو يشير الى ايجابيات منزله ويتغافل عن عيوبه .. فالسيدة الكريمة التي تطوف بك حول منزلها تصف لك جماله وما يطل عليه من مناظر خلابة ، هي في حقيقة الأمر ذئب في ملابس إنسان ، لسان حالها يقول : هذه فرصة للتخلص من المنزل بأسرع وقت ممكن . أنت في حقيقة الأمر لا تهمها من قريب أو بعيد ، والابتسامة التي رأيتها منذ أن دخلت هي ابتسامة كاذبة فهي تتمنى ألّا تراك مطلقا بعد إتمام الصفقة ودفع أغلى ثمن في منزلها .

ابتسامة المشتري أيضا يجب ألّا تخدعك إن كنت بائعا لمنزلك فهو يريد أن يحصل عليه بأقل الأثمان ، لا تهمه ظروفك المالية أو كم دفعت في المنزل عندما اشتريته ؟ أو ما هي الاصلاحات التي قمت بها ؟

والنصائح التي يمكن أن تقدم للبائع والمشتري هي كما يلي : -

لا تقع في خطأ كشف موقفك التفاوضي ، كأن تقول : لقد حصلت على وظيفة في مدينة أخرى وأريد أن أنتقل اليها ، لذلك أنا أعرض منزلي للبيع ، أو أن عليّ ديونا أريد تسديدها ، فأنت بذلك تقع في الفخ . وأيضا ان كنت مشتريا فلا تقل بأن عليك الانتقال الى هذا الجزء من المدينة لأنه أقرب الى عملك أو أن الأولاد وأمهم يفضلون هذا الحي الهادىء .. فأنت إن فعلت ذلك وقعت في الفخ أيضا .... !

والإصلاح :

☐ شراء منزل أو بيعه على صعوبته ليس بصعوبة إصلاحه ، فبعض المباني ليست كما خلق الله الأرض - كاملة غير ناقصة - فبعضها لا تكاد تدخلها حتى تلاحظ الشقوق في الجدران وانسداد أنابيب الماء وفيضان المجاري .. وعليك هنا بالاستعانة بمجموعة من الخبرات التي أصبحت نادرة - كالسباك والكهربائي والصباغ والنجار والمقاول - هؤلاء لا يمكن أن (تتشطر عليهم) وتدخل في مفاصلة معهم ، فمهما بدا لك انك ربحت ، فأنت الخاسر - كما يقول الكاتب - ، في إطار اصلاح المنزل أنت فقط تريد أن تخفف الضرر ما أمكن لا أن تطمع في وقفه .

حتى تستطيع أن تتجاوز مشكلات البيع والشراء والاصلاح عليك أن تضبط

عواطفك ، وألا تنساق وراء اقتراحات زوجتك أو أصدقائك ، فأنت الـذي سوف تدفع في النهاية من حُرّ مالك ، حدد ما تريد بدقة ووضوح ، في حـالة احتيـاجك لاصلاح المنزل اكتب كل التفاصيل التي تريد تغييرها ومواصفاتها أيضا وحدد برنامجا زمنيا لها ثم اطرح مناقصة صغيرة لمقاولين أو أكثر ، ولا تدفع مقدما ، فالمقاول الذي يريدك أن تدفع مقدما ربما يكون في طريقه الى الافلاس . . . والأفضل أن يفلس دون أن يأخذ نقودك معه . . . !

كذلك اطلب في منزلك أعلى ثمن عندما تريد بيعه ، واعرض أقل ثمن عندما تريد شراء بيت ، أما كم تدفع أو تقبض فيعتمد ذلك على قوتك التفاوضية وكتمان بعض الأسرار .

قوتك التفاوضية ألّا ترتبط عاطفيا بالأشياء التي تريد بيعها أو بالاشياء التي تريد شراءها أو بالناس الذين تتعامل معهم في الحالتين !!

وَشـرَاء سَـيّارة :

□ متى كانت آخر مرة اشتريت فيها سيارة ؟ لا بد أنك قابلت السيد (ناقص زايد) فهو - لافض فوه ومات حاسدوه - . . يقدم لك أقل سعر لسيارتك القديمة وأعلى سعر للسيارة الجديدة ، لذلك سميناه هنا (بالسيد ناقص زايد) .

الفرق بينك وبين بائع السيارات أنه يجرب قدراته التفاوضية أكثر من مرة في اليوم ، وأنت تجربها - إذا ما أتيحت لك الفرصة - مرة واحدة كل أربع سنوات أو خمس .

عندما تقرأ إعلانا في الصحف عن سيارة جديدة أو تـراها في التلفـاز تذهب كي تشاهدها في المعرض ، وبمجرد دخولك تقابلك على الأقل عشـرون سنة من الخبـرة التفاوضية تصاحبها شهية إفطار على زبون مثلك ، دعك من الشخص الأول الذي يقابلك ، فهو هنا في المعرض منذ فترة وجيزة وهو أيضا جسر . فسرعان ما يظهر السيد ناقص زايد ويعرف بطريقته الخاصة أنك زبون ممتاز ، ويبدأ بالتسخين معك .

كيف تواجه مثل هذا الموقف ؟

أولا : يجب أن تعترف بينك وبين نفسك - وهذا مهم - أن خبرتك في هذا المجال ناقصة ، ثم طـور تكتيـك التفـاوض وإلا فسوف تكون تحت رحمة البائع .

قبل أن تفعل أي شيء اسأل نفسك : لماذا تريد سيارة جديدة ، هناك سببان فقط لشراء سيارة جديدة ، سبب حقيقي لأنك محتاج لها ، وسبب عاطفي أنك تريد مجرد التجديد لأنك ربما لا تستطيع أن تجدد شيئا آخر .

السبب الأول يمكن الدفاع عنه ويجعلك في موقف تفاوضي أقوى لأنه عقلاني ، أما السبب الثاني فان موقفك التفاوضي فيه ضعيف ، وغالبا ما يجعلك تدفع مبلغا أكبر في السيارة التي تريدها .

لذلك نجد أن مروجي بيع السيارات والباعة يتجهـون دائما الى عـاطفتك لا إلى عقلك ، وأنت ترى دائما الاعلان عن السيارات في بيئة غير تقليدية ، أمام شاطيء البحر الجميل ، أو أمام قلعة قديمة وتاريخية مصحوبة دائما بامرأة نصف مكتسية ، أو



التفاوض فن الحياة وله تكتيك لابد من معرفته



شاب وسيم لاغراء الجنس الآخر . فرجال التسويق يعرفون جيدا أن عليهم أن يخاطبوا العاطفة والولع بالسلع الفاخرة أكثر مما يخاطبون الحاجة . وغالبا ما يتغلب عليك في النهاية السيد (ناقص زايد) عندما يوهمك أن مركزك وسنك لا يسمحان لك بشراء سيارة صغيرة ليس بها من الزيادات الفنية شيء ، وينتهي في الغالب الى أنه لا يبيعك السيارة ولكن يبيعك تصورك لنفسك . . وستجد نفسك في النهاية تحاول اقناع هذا الرجل الوسيم بأنك قادر على شراء مثل هذه السيارة التي يعرضها لأنك ذو شأن في المجتمع . . فأنت تبيع نفسك له ، وهو يبيعك سيارة مرتفعة الثمن ، وتشرب فنجان القهوة وانت لا تعرف انه أغلى فنجان قهوة يمكن ان تشربه . . !

قبل أن تدخل في هذا الفخ فكر هل أنت حقيقة بحاجة الى سيارة جديدة . . أم أن سيارتك الحالية يمكن ان تخدمك لسنوات أخرى قادمة ؟

التفاوض مع الآخرين :

□ أليس كل الناس الذين تعرفهم يقنعونك بشكل او بآخر بأنهم يعرفون الحلول لكل مشكلات العالم ، فهم يعرفون حلول مشكلات التضخم ومشكلات المديونية العالمية ومشكلات نزع السلاح ، أي أن لديهم أحكاما جاهزة على كل شيء عدا شيء واحد . . هو حل مشكلاتهم الشخصية . . !!

والمفارقة ليست مغزولة فكل سكان لندن مثلا يحبون الخير للانسانية ولكنهم يكرهون بعضهم بعضا !

والكراهية التي يحملها المتعصبون لمن يخالفونهم الرأي في المذهب او السياسة أو الذوق الفني هي من طبيعة البشر ـ النساك وحدهم لا يكرهون ـ لذلك فإن مهمتك مع الناس ليست مجرد أن تعرف كيف تتعامل معهم ، ولكن ايضا ان تساعدهم في التعامل معك .

خدم المنازل مثلا هم احد القطاعات الهامة التي تتعامل معها جماعة كبيرة من الناس ، يتسى البعض انهم بشر مثلهم ، والظاهرة الملفتة للنظر ان الناس يشكون دائما من خدمهم ولكن يحتفظون بهم سنة بعد سنة ، ومعنى ذلك انهم يؤدون عملهم بشكل جيد . معاملة الخدم تظهر اسوأ ما تكون في سلوك الليبراليين ، فهم انسانيون من الخارج ومفرطون في الانانية في منازلهم .

ويعرض الكتاب مجموعة من الأفكار حول التعامل مع المساعدين في المنزل (الخدم) ، أفعالهم التي تراها من وجهة نظرك سلبية ليست بالضرورة كذلك بالنسبة لهم . . فلعلهم تعلموها من مخدومهم السابق . اشرح لهم عملهم مرة واحدة ودعهم يقومون به وحاسبهم على النتائج ولا تقف خلف ظهورهم تراقب كل حركاتهم ، لاتنههم عن التحدث مع خدم الجيران ، فأنت ان فعلت ذلك فسوف تدفعهم لهذا السلوك ، ولا تعتقد بان الخوف منك هو الذي يجعلهم يقومون بعملهم . تذكر أنهم بشر ، والبشر يستمتعون بالعمل خصوصا اذا كانوا يحصلون على أجر عنه . اذا فشلوا في اداء عملهم من وجهة نظرك فاقترح تعويضا مناسبا يستطيعون القيام به ولا ترفع عقيرتك بالصياح .

الأطفال جنس آخر :



□ أقدر المخلوقات على التفاوض هم الأطفال ، ويعتقد الأطفال أن أي شيء يريدونه في الدنيا يمكن الحصول عليه بسهولة . . العقبة الوحيدة امامهم هي والداهم ، لذلك فهو يطلبون ويصرون على طلباتهم ، وفي كثير من الأوقات يخضع الوالدان ويوافقان .

وكل الأزواج يعرفون جيدا كيف يربون الاطفال ، ولكن اطفال الآخرين لا اطفالهم ، ومن السهل ان تصادف خبيرا في تربية الاطفال في السوق أو في الحافلة او في حجرة الانتظار لدى الطبيب ، ولكن من الصعب ان تصادف من يستطيعون معالجة مشاكل اطفالهم بنجاح .

في عالم الاطفال ـ يبدو الآباء والأمهات لابنائهم منجما بلا قاع . . فكل احتياجاتهم تقدم لهم بالمجان . . الاكل والشرب والمأوى والترفيه ، والحب . . وكذلك مشاهدة التلفاز ولدى اقل فشل في اداء احدى تلك الخدمات يطلق الاطفال عقيرتهم بالصياح ، نوبات الصياح في بعض الاحيان تطلق عندما تكون الامور سائرة بشكل معقول ولكنها تطلق للانذار فحسب ، والاطفال يصمتون في حالة واحدة فقط . . هي عندما يقومون بعمل ليس من المفروض ان يقوموا به !!

قوة الطفل التفاوضية تكمن في « عدم المساواة » في القيم بين الطفل ووالديه ، ويحدد الطفل بسرعة في سنوات نموه الأولى ماذا يحبان فيه وماذا يكرهان ، ويهدد بالاخلال بما يريدان منه حتى يحصل على ما يريد .

الاشياء التي يريدها الآباء من الاطفال قليلة الثمن لدى الطفل ، كبيرة لدى الوالدين ، لذلك فان مركز الوالدين التفاوضي يصبح ضعيفا . . !

والآباء الذين يريدون السلامة يشترون هذه السلامة بالاذعان لطلبات الاطفال ، فالطفل يحرج والديه في اوقات يختارها ، في تجمع كبير ، أو في السوق أو عندما يحضر ضيوف . . باختصار يعرف الاطفال متى يضغطون لتحقيق رغباتهم، والمشكلة معهم انه ليس هناك حدود قصوى لضغطهم ، انها ظاهرة الارهاب من الصغار تجاه الكبار ، صحيح ان بعض الآباء يجاهدون حتى لا يخضعوا لهذا الارهاب ولكن معظمهم يفشلون ، لماذا ؟

الطفل يستخدم كل أسلحته التفاوضية مع والديه ويكسب المعركة

لأن العقوبات التي يهددون بها الطفل اكبر من ان يطبقوها :

ـ اسكت عن الصياح والا حرمتك من الاجازة ؟

ـ ان فعلت ذلك فسوف نذهب الى الحديقة بدونك .

وهي تهديدات سرعان ما يكتشف الصغار انها غير جدية ، لذلك فان اول درس للتفاوض مع ابنك ان تهدده بعقوبة معقولة يمكن ان تفرضها دون ان تتدخل الأم والجد او حتى الجيران والمعارف .

هناك ايضا قضية هامة ، وهي ان بعض الأمور التي تعتبرها تافهة هي هامة جدا للطفل ، فلا تتسرع في الرفض ان كان بامكانك ان تحقق الطلب وهو معقول جدا .

اذا كان لديك الصبر والوقت والاستعداد للدخول في حرب استنزاف مع طفلك ، يمكنك ان تتفاوض معه بشكل معقول ، فان لم يكن لديك الوقت والصبر فلا تدخل في صراع معه ، ان قررت ان ترفض طلبه وبدأ بالصراخ ثم وافقت له على الطلب ، فانت تعطيه الدرس الأول في الضغط عليك .

أثناء صياحه تجد نفسك تراجع الامر وتحدد اهمية ما قلته ، وتحاول ان تربح الجولة ، اما هو فانه يستمر في صراخه مستنجدا بأمه وجده وخالته ـ ان وجدت ـ وبكل الناس ضدك الى ان ترضخ .

التفاوض فن الحياة :

□ حقيقة الأمر ان الكتاب يذهب بعيدا في موضوع المساومة أو التفاوض، فيتحدث عن التفاوض في المطعم وفي شركات الطيران وفي الفنادق ، وفي الحب وفي الطلاق وفي الزواج وفي كل العلاقات الاجتماعية . . . في كل هذه المجالات هناك تكتيك للتفاوض لابد من معرفته اذا لم تكن الحياة قد علمتك بعد خطواته ، وان قصرت عليك دروس الحياة فالكاتب يطلب منك ان تحضر الى عيادته !

ألم اقل ان الكاتب لابد ان يكون اسكتلنديا ! □

محمد الرميحي

«إسرائيل» واليورانيوم وأسرار عملية بلمبات!

بقلم: اللواء الركن خضر الدهراوي

«بلمبات» هو الاسم الكودي الذي اختارته المخابرات الاسرائيلية «الموساد» لعملية الاستيلاء على صفقة يورانيوم عام ١٩٦٨، فكيف سارت العملية؟ وهل حصل العدو على الصفقة؟ هذا ما يجيب عنه هذا المقال؟

ظلت اسرائيل منذ قيامها تقبل على مضض أن يتم جانب كبير من تجارتها سرا، لأن القائمة السوداء التي وضعها مكتب المقاطعة العربية كان لها دور كبير في هذا المجال، فالشركات العالمية كانت تطلب من اسرائيل، أن تكون المعاملات بينها سرية، لأنها تخشى من وضعها في القائمة السوداء.

ولذا كان من المحتم أن يتم جانب كبير من معاملات اسرائيل التجارية عن طريق شركات اجنبية خارجها، يديرها أجانب متعاطفون معها، وكان من الضروري أيضا أن تلعب المخابرات الاسرائيلية «الموساد» دورا مهما في البحث عمن يمكن أن يساعدها في الحصول على متطلباتها عن طريق الشركات الأجنبية التي تتم من خلالها المعاملات التجارية.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة الامريكية كانت تمد «اسرائيل» بمعظم احتياجاتها من المعدات العسكرية، الا أنه كان هناك جانب آخر يجب أن تحصل عليه «اسرائيل» من مكان آخر، ففي عام ١٩٦٤ وقع اختيارها على شركة أسمرة كيمي الالمانية للمساعدة في الحصول على اليورانيوم، ولهذه الشركة قصة غريبة نسردها للقارىء.

قصة غريبة !

تأسست أسمرة كيمي في مدينة فيسبادن الالمانية القريبة من فرانكفورت في ابريل ١٩٥٢ كشركة بين هيريرت شولزن وهيريرت سكارى ، وكانت الشركة تقوم بصناعة وبيع المنظفات الصناعية ، أو بمعنى أدق كانت تشتري مكونات الصابون وتخلطها ثم تعبئها وتبيعها ، ولم يكن لدى الشركة مكان لتقوم بأعمال أكثر من هذا ، لأن مقرها كان عبارة عن حجرتين تطلان على فناء صغير ، وفي أوائل الستينيات ، وبمساعدة اثنين من رجال التسويق الممتازين ، تمكنت الشركة من الحصول على عقود لتوريد انتاجها الى القواعد العسكرية الامريكية الموجودة في المانيا ، كما أصبح للمشتركين علاقات صداقة ممتازة مع المسئولين بمكتب التموين التابع للجيش الألماني .

وفي عام ١٩٦٢ دفع هيريرت سكارى بالشركة الى العمل في مجال انتاج المواد المضادة للتلوث النووي ، وحصلت الشركة من المراجع العسكرية السوفيتية على تركيبات مختلف السوائل المضادة لغاز الاعصاب ، والغاز الحارق والغبار الذري المشع .

وبحلول عام ١٩٦٤ كان لشركة اسمرة كيمي مركز ممتاز في سوق المستلزمات الدفاعية ، الى جانب اتصالاتها الواسعة في المجالات الصناعية والعسكرية .

كان هيريرت شولزن هدفا ممتازا للموساد ، وكان يعاني من أثر اصابة قديمة في أثناء الحرب العالمية الثانية ، عندما أصيب في رأسه اصابة خطيرة في احدى المعارك الجوية ، وظل اثر الجرح يسبب له آلاما متزايدة على مدى السنين التالية ، ونصحه الأطباء عام ١٩٦٤ بضرورة اجراء عملية جراحية .

وبعد العملية تلقى دعوة من مصنع للأثاث في تل أبيب لقضاء فترة النقاهة ، و خلال الزيارة نظمت له المخابرات زيارة لمعهد وايزمان للابحاث ، وعندما عاد الى فيسبادن كان قد شفى تماما من ذكريات جرحه ، حاملا معه ذكريات جديدة حارة ، وكتابا مصورا عن « اسرائيل » وضعه أحد معارفه الاسرائيليين الجدد .

ولم يمض وقت طويل حتى أدت زيارة شولزن « لاسرائيل » الى تلقي شركة أسمرة كيمي طلبيات من شركات اسرائيلية ، جاء بعضها مباشرة ، وبعضها عن طريق شركات المانية أخرى ، وكانت هذه عمليات تجارية بحتة ، ومن بينها طلبيات تتعلق بمادة كيميائية تستخدم في صناعة المنسوجات .

في يونية ١٩٦٧ حدثت تغييرات في الشركة ، حيث سلم هيريرت سكارى البالغ من العمر سبعين عاما السلطة الفعلية في الشركة الى شولزن ، وبعدها مباشرة بدأت عمليات الشركة مع « اسرائيل » تأخذ الطابع العسكري الخالص ، فقد زودت الشركة الجيش الاسرائيلي بعدد ٣٠٠ جهاز لمقاومة التلوث ، وبعدها حاولت الشركة أن تبيع « لاسرائيل » معدات للتصوير من الجو .

حصلت الشركة على أكبر صفقة تم ابرامها مع « اسرائيل » في عملية انتزاع ٢٠٠ طن من اكسيد اليورانيوم من أحد المعامل بأوروبا ، فقد وصل أمر توريد اليورانيوم الى مقر الجمعية العامة في بروكسل في مارس ١٩٦٨ ، وهذه الجمعية تابعة لمنظمة عملاقة أخرى هي الجمعية البلجيكية العامة ، ذات المصالح والاهتمامات المتنوعة التي تمتد من الاعمال المصرفية الى الشحن ، الى صناعة الورق الى التعدين ، وقد ورد الأمر الخاص باليورانيوم الى دينس دويز رئيس قسم اليورانيوم في الجمعية .

وكان من ضمن الشركات القائمة بجانب الجمعية شركة التعدين العملاقة « انيون منير » التي كانت القوة الكامنة وراءاستعماربلجيكا للكونغو ، وتمكنت من شحن كميات ضخمة من

اكسيد اليورانيوم الى بلجيكا ، وتم تخزين هذه الكميات في مخزن بالقرب من قرية تقع الى الشرق من انتويرت ، وكانت الجمعية العامة للمعادن تجد صعوبة في ايجاد مشترين لتصريف هذه الكمية من اليورانيوم .

وعندما تلقت الجمعية الطلبية التي تتكلف عدة ملايين من الدولارات من شركة أسمرة كيمي ، لم يكن أحد في الجمعية قد سمع بهذه الشركة من قبل ، ومن الطبيعي أن ديويز كان مهتما بالتعرف على مدى قدرة هذه الشركة المجهولة على الدفع وجاء رد الشركة ليؤكد الثقة بها .

فقد كانت المبالغ اللازمة قد أودعت بالفعل في مصرف بزيورخ ، وصدق البنك على ما قالته الشركة ، ولكن أحدا في الجمعية لم يكن قد سمع بهذا البنك . وطلبت الجمعية اجراء تحريات بشأن المركز المالي للبنك ، وعندما جاءت نتيجة التحريات مرضية قالت الجمعية انها سوف يسعدها أن تتعامل مع شركة أسمرة كيمي .

الخديعة

كان شولزن يصرح بأن الهدف من الصفقة هو أن شركته تنوي انتاج البتروكيماويات على نطاق واسع ، وأنها بحاجة الى اليورانيوم لاستخدامه كوسيط في بعض عملياتها الانتاجية ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك ، فاليورانيوم يتطلب معالجة معينة ، قبل أن يصبح من الممكن استخدامه كوسيط كيميائي ، وقد أخبرت شركة أسمره مستر ديويز بأنها اتفقت مع شركة « شيماجار » للمواد الكيماوية ، ومقرها الدار البيضاء في المغرب ، على معالجة اليورانيوم ، ثم اعادته بعد المعالجة الى فيسبادن ، لقد كان هناك تعامل بالفعل بين شركة أسمرة وشركة شيمارجار ، الا أن هذا التعامل كان قد توقف منذ فترة طويلة ، وكان اختيار شركة شيماجار فكرة ذكية ، لأنه لو انكشف اختفاء اليورانيوم ، فان مسئولية الحادث تقع على الوطن العربي لا « اسرائيل » .

قال ديويز في هذا الوقت ، ان شركةأسمرة قد تجاهلت بأن المانيا عضو بالسوق الأوروبية المشتركة ، وان أي تحركات أو نقل لليورانيوم بين دول السوق الست كانت تتم تحت رقابة وكالة تابعة للسوق تسمى « يوراتوم » ، كما أن تصدير اليورانيوم ولو بصفة مؤقتة للمعالجة الى دولة خارج السوق كان يستلزم الحصول على اذن من الجهاز التنفيذي الأعلى في السوق (اللجنة الاوروبية) ، ولذا حذر ديويز شركة أسمرة من أن الحصول على اذن بتصدير اليورانيوم الى الدار البيضاء لن يكون مسألة سهلة ، ولن يتم بسرعة ، وأفادت شركة أسمرة بأنها ستبحث عن شركة اخرى داخل السوق الأوربية المشتركة ، وكيفية التسليم وغيرها من المسائل التي سيتم تذليل عقباتها .

كانت المفاوضات حتى صيف ١٩٦٨ تتم بالمراسلة أو عن طريق التليفون ، مما جعل الجمعية العامة للمعادن جاهلة بحقيقة شركة اسمرة ، ولذا اقترح ديويز زيارة شولزن في فيسبادن لاجراء المفاوضات النهائية وجها لوجه ، وكانت الزيارة في مقر شركة أسمرة مشكلة صعبة ، لأن ديويز سيرى بنفسه ذلك الفناء المؤدي الى المدخل الضيق للشركة ، وسيدرك استحالة أن يكون لدى الشركة مكان يكفي لتخزين ٢٠٠ طن من اليورانيوم ، واستخدامها بأي صورة من الصور .

لكن شولزن بخبرته الطويلة كرجل تسويق تصرف باسلوب لبق للغاية ، فدعا ديويز الى منزله الواقع وسط تلال مليئة بأشجار الصنوبر في قرية هتنهاين ، على مسافة عشرة أميال من فيسبادن ، والمجهز على الوجه الأكمل بحمام السباحة الموجود فيه ، والكراج بسياراته

لثلاث ، وتم اللقاء بحضور عدد من الرجال حسبهم ديويز من العاملين بالشركة ، وكانوا يتحدثون بالالمانية فيما بينهم ، بينما المفاوضات كانت بالانجليزية ، وعندما أثيرت مشكلة الشركة المغربية أعلن شولزن أنه وجد شركة أخرى في ميلان يمكن أن تتولى الأمر ، واقترح وسيلة النقل بالبحر ، اذا لم تكن هناك مشكلة بسبب ابتعاد شحنة اليورانيوم عن أراضي السوق الأوروبية المشتركة لفترة من الوقت ، وأفاد ديويز بأنه لاتوجد مشكلة لأن الرحلة لاتمثل تصديرا لليورانيوم خارج دول السوق الأوربية المشتركة ، وأوضح ديوير أنه عند عودته الى بروكسل ، ستقوم الجمعية العامة للمعادن بصياغة عقد وتحويله الى وكالة « يوراتوم » للتصديق عليه ، وكان لحسن حظ شولزن أن الجمعية العامة للمعادن لم يكن لديها فضول للتحقق من ماهية شركة أسمرة ، كما أنها لم تهتم بالشركة الايطالية « سايكا » التي اختارها شولزن بسبب صداقة قوية عمرها عشرون عاما ، كانت تربطه بصاحبها فرانشيسكو سيتوريو، ولم تكن شركة « سايكا » ناجحة تماما في بيع الصبغات لشركات صناعة المنسوجات ، وعندما وصل شولزن الى ميلان عام ١٩٦٨ حاملا اقتراحه ، لم يكن فرانشيسكو وشركته في حالة تسمح برفض هذا العرض ، وكانت هناك مخاوف ، لأن شركة سايكا لم يكن لديها معمل لمعالجة اليورانيوم ، كما أن فرانشيسكو لم يكن لديه أدنى فكرة عن العملية المطلوب اجراؤها على اليورانيوم ، لكن شولزن طمأنه بأنه سيبعث بارشادات وتعليمات مكتوبة مع اليورانيوم .

وعند عودة دنيس ديويز من فيسبادن الى بروكسل لتنفيذ الطلبية ، كان هناك فصل آخر من التمثيلية المتقنة تدور أحداثه في زيورخ ، ففي ١٩ أغسطس ١٩٦٨ ، تم تفويض مكتب خاص في زيورخ لمثل هذه العمليات ، وبعد ٢٤ ساعة من تفويض المحامي ، تم تسجيل شركة ملاحية ليبيرية تحت اسم بيسكاين تريدرز كوربوريشن ، ومديرها بورهام ياريسال كما هو مبين في السجلات الليبيرية .

مراحل التنفيذ

في أواخر أغسطس عام ١٩٨٦ ، طلب ياريسال من سمسار البواخر « ميلر » في هامبورج » شراء سفينة حمولة ١٥٠٠ طن ، وبعد ثلاثة أسابيع عرض مولر سفينة الشحن « شيرزبرج » حمولة ٢٦٠٠ طن ، وتم شراؤها بمبلغ ١٦٠ ألف استرليني ، ودفع ثمنها عن طريق بنك هامبورج ، وأصبح لدى شركة بيسكاين تريدرز سفينة بعد خمسة أسابيع من تكوينها ، وتمت الصفقة بسرعة أثارت دهشة مالكي السفينة شيرزبرج ، وهم أصحاب احدى شركات الملاحة في هامبورج ، وقد دار بخلد المسئولين في هامبورج أن شيرزبرج ربما تستخدم في تهريب الاسلحة ، كما تراءى للبعض أنها سوف تستخدم في أي عمل مريب .

ولكى تكتمل التمثيلية المتقنة ، طرد ياريسال بحارة السفينة شيرزبرج في اليوم التالي ، وأحضر مجموعة من البحارة نقلوا من سفن أخرى مملوكة لياريسال ، ولم يصل القبطان الجديد الذي عينه ياريسال الا يوم ٨ اكتوبر ، وفي اليوم التالي ٩ اكتوبر بدأت السفينة شيرزبرج التي سميت شيرزبرج رحلة طويلة الى الجنوب يرفرف عليها العلم الليبيرى ، حاملة شحنة توجهت بها الى ميناء نابلي ، ورغم عدم علم البحارة، فان هذه الرحلة كانت « البروفة » النهائية للعملية ، وبعد اتمام الرحلة الى نابلي تلقى بحارة شيرزبرج - ١ أنباء تفيد بأن ياريسال باع السفينة ، وأن ملاكها الجدد يريدون أن يضعوا عليها بحارة وقبطانا آخر من التابعين لهم ، وتم تنفيذ ذلك بمجرد وصول السفينة الى روتردام يوم ١١ نوفمبر ١٩٦٨ ، حيث تلقي البحارة أجورهم وتركوها .

أواخر القرن الخامس عشر

في أواخر القرن الخامس عشر ترجم الى اللغة الروسية كتاب يتضمن وصفا مسهبا للمدينتين الاسلاميتين المقدستين مكة والمدينة ، ومعلومات مستوحاة من سيرة النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) ، وفي القرون ١٥ ـ ١٧ ازداد ـ الى حد كبير ـ عدد المؤلفات الروسية المكرسة للدين الاسلامي التي تعطي تصورا أقرب الى المنطق وأكثر موضوعية عن جوهر الدين الاسلامي وتعاليمه ، كما تناولت هذه الأعمال تاريخ البلدان الاسلامية الواقعة على تخوم روسيا الشرقية والجنوبية .

وقد تركز الاهتمام الرئيسي على ترجمة ودراسة القرآن الكريم باعتباره كتاب المسلمين المقدس ، والمصدر الأعلى للعقيدة والتشريع في الدين الاسلامي ، هذا بالاضافة الى كونه وثيقة تاريخية بالغة الأهمية .

زد على ذلك متطلبات التعامل مع مسلمي البلاد ، الذين يشكلون قطاعا ملحوظا من رعايا الامبراطورية الروسية ، والذين كانوا بحاجة ماسة الى قراءة القرآن بلغتهم الأم .

ففي أوساط التتار بليتوانيا ، الذين كانوا ينسون تدريجيا لغتهم الأصلية ، جرت ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر عدة محاولات لترجمة القرآن الى لغتهم الأم الجديدة ـ اللغة البيلوروسية ، وان مخطوطات القرآن الواردة من ليتوانيا ، والمحفوظة حاليا في مكتبة كلية الاستشراق بجامعة لينينغراد ، تتضمن الى جانب النص العربي ترجمة موازية بين السطور الى اللغة البيلوروسية مكتوبة بأحرف عربية ، وفي أواخر القرن السابع عشر ظهرت أول دراسة باللغة الروسية مكرسة خصيصا للقرآن الكريم ، وقد أعدت للأمير بطرس (الذي أصبح فيما بعد امبراطور روسيا ـ بطرس الأكبر) ولأخيه الأصغر ايفان ، وجدير بالذكر أن هذه الدراسة بالذات أوحت الى بطرس الأكبر في وقت لاحق ، بضرورة انجاز ترجمة كاملة للقرآن الى اللغة الروسية .

جهود بطرس الأكبر

. والى جانب العوامل الآنفة الذكر جاء التطور الواسع للصلات التجارية والدبلوماسية مع بلدان الشرق في عهد بطرس الأكبر ، والحروب الطويلة التي خاضتها روسيا في أيامه ضد الامبراطورية العثمانية وايران الصفوية ، فأعطت زخما جديدا لدراسة الشرق الاسلامي دراسة منتظمة ، ويساهم بطرس الأكبر شخصيا بقسط وافر في تنظيم مثل هذه الأبحاث ، فقد جهزت ، بمبادرة منه ، بعثات علمية لجمع المخطوطات والنقوش والمسكوكات العربية ،

وجرت في عهده أول محاولة في روسيا لتأسيس مدرسة خاصة لتعليم اللغات الشرقية ، بما في ذلك اللغة العربية ، كما أوعز بطرس الأكبر بانشاء دائرة للاشراف على جمع وحفظ الأعمال والآثار المادية والروحية لحضارات شعوب الشرق ، ظهر على أساسها ، بعد مئة عام « المتحف الآسيوي » الذي أصبح أول مركز للاستشراق العلمي في روسيا ،

وفضلا عن ذلك ، وبأمر من هذا القيصر ، انجزت أول ترجمة روسية كاملة للقرآن الكريم ، طبعت في بطرسبورغ (لينينغراد حاليا) عام ١٧١٦ وصدرت بعنوان « قرآن محمد أو القانون التركي » ، وقد قام بالترجمة العالم الروسي المعروف بيوتر بوسنيكوف الذي عاش في أواخر القرن السابع عشر ، وأوائل القرن الثامن عشر ، وتلقى علومه في ايطاليا وقد اعتمد بوسنيكوف على أول ترجمة فرنسية للقرآن ، التي أنجزها المستشرق والدبلوماسي الفرنسي أندريه دي ريير ، وصدرت في باريس عام ١٦٤٧ . وكانت ترجمة دي ريير هذه تتمتع في حينها بسمعة طيبة وشهرة كبيرة ، فأعيدت طباعتها عدة مرات ، واستند اليها في ترجمة القرآن الى لغات أوروبية أخرى ، وحافظت على مكانتها المرموقة ، الى أن نحتها جانبا ترجمة جديدة ، أدق وأكمل ، قام بها المستشرق نيكولاي سافاري ، ونشرت في باريس عام ١٧٨٣ ، وقد اكتسبت ترجمة دي ريير أهمية إضافية نظرا لأن الترجمتين الروسيتين التاليتين للقرآن الكريم ، اللتين ظهرتا في القرن الثامن عشر ، اعتمدتا عليها بالذات .

ولكن ترجمة بوسنيكوف للقرآن ، على أهميتها ، كانت بعيدة جدا عن روح النص العربي الأصلي ومضمونه ، ولم يقتصر الأمر على تكرار التشويهات الكثيرة ، التي تضمنتها الترجمة الفرنسية ، بل أضيفت اليها أخطاء عديدة ، ناجمة عن عدم استيعاب المترجم للنص الفرنسي الاستيعاب المطلوب ، وضعف اطلاعه على مبادىء الاسلام وتعاليمه .

وجدير بالذكر انه بعد بضعة أشهر فقط من صدور ترجمة بوسيكوف ، تمت ترجمة روسية ثانية للقرآن ، نقلت عن النص الفرنسي ذاته ، وجاءت أكثر وضوحا ودقة ، ولكنها لم تنشر للأسف وبقي أسم صاحبها مجهولا . أما المخطوطة نفسها فلم يعثر عليها الا في مطلع القرن العشرين ، وذلك في شمال روسيا ، وقد ساهمت ترجمة بوسنيكوف في جذب اهتمام العلماء الروس الى دراسة القرآن ، ومن ذلك أن بطرس الأكبر قد عهد بوضع موجز لمضمون القرآن وكتابة بحث عن سيرة الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) الى صديقه الحميم الكاتب دمتري كانتيمير ، الذي عاش مدة طويلة في تركيا ، فكان حسن الاطلاع على أصول الدين الاسلامي ، وجيد المعرفة بعدة لغات شرقية ، وخاصة اللغتين العربية والتركية ، وخلال القرن الثامن عشر ظهرت مؤلفات عديدة حول الاسلام ، نبيه وكتابه ، ولقيت هذه الأعمال رواجا واسعا في أوساط القراء الروس ، مما انعكس في اعادة طباعتها مرات ومرات ، وتحت تأثيرها بدأت تظهر في المجلات والصحف الروسية لمحات من تاريخ العرب ، ونصوص مترجمة من المؤلفات النثرية والشعرية العربية .

للمرة الاولى

وفي عام ١٧٨٧ ، وللمرة الأولى في روسيا ، نشرت مطبعة اكاديمية العلوم ببطرسبورغ النص العربي الكامل للقرآن ، وكان ذلك بأمر من الامبراطورة كاترين الثانية بمناسبة زيارتها الى شبه جزيرة القرم (وكانت قد ضمتها الى روسيا) أملا في أن تساهم هذه المبادرة في استمالة رعاياها الجدد من التتار المسلمين ، وقد قام الشيخ التتري عثمان



اغناطيوس كراتشكوفسكي

ابراهيم باعداد النص وتزويده بالشروح والتعليقات ، وتمت طباعته بحروف عربية مسكوكة خصيصا لهذا الغرض ، بحيث حافظ النص على الخط الذي كتبت به المخطوطة ، والذي يعود الى واحد من أشهر النساخين المسلمين في ذلك العصر ، ويعتبر أفضل الكتابات العربية الموجودة آنذاك في أوروبا ، وجاءت هذه ثالث طبعة للقرآن باللغة العربية في العالم ، وفاقت في جودة الطبع الطبعتين الأوروبيتين السابقتين ، فاستأثرت بالشهرة .

وأعيدت طبعة القرآن هذه في الأعوام ١٧٨٩ و ١٧٩٠ و ١٧٩٣ و ١٧٩٦ و ١٧٩٨ . وأمكن لها ، بعد وصولها الى أوروبا ، أن تزيح من طريقها ، الى حد ما ، الطبعات القديمة التي قام بها ماراتشي وهنكلمان ولقيت استحسانا كبيرا لدى كبار المستشرقين الغربيين ، مثل سيلفستر دي ساسي وكريستوف شنوربير ، أما في روسيا فقد شكلت أساسا لكافة طبعات القرآن اللاحقة التي ظهرت في القرن التاسع عشر .

وفي عام ١٨٠٠ صدر قرار بالغاء القيود التي كانت تفرض في السابق على نشر المؤلفات الدينية الاسلامية في روسيا ، وعقب ذلك افتتحت في مدينة قازان أول

بسم الله الرحمن الرحيم

In the name of God, Most Gracious, Most Merciful.

١ـ حم

1 Ha-Mim[4774]

٢ـ تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم ○

2 The revelation[4775]
Of the Book
Is from God
The Exalted in Power,
Full of Wisdom

٣ـ ما خلقنا السموت والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون ○

3 We created not[4776]
The heavens and the earth
And all between them
But for just ends, and
For a term appointed
But those who reject Faith
Turn away from that
Whereof they are warned

٤ـ قل أرءيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموت ائتوني بكتب

4 Say "Do ye see[4777]
What it is ye invoke
Besides God? Show me
What it is they
Have created on earth
Or have they a share
In the heavens?
Bring me a Book[4778]

4774 See Introduction to S. xl, paragraphs 2-4.

4775 This verse is the same as the second verse of the last Sūra, but the theme is worked out differently in the two Sūras. In S. xlv. was shown how deniers of Revelation will at last be humbled until they can no longer deny its truth and power. In this Sūra is shown how Truth and Revelation will be vindicated by patience and constancy (xlvi. 35).

4776 Cf. xlv. 22. Many things may appear to us in the present world as strange and inexplicable. But everything made by God has a just purpose which must be fulfilled. Nothing in this world is permanent; everything is for an appointed term. The Word of God alone abides. All else will pass away after it has fulfilled its purpose. But Unbelievers refuse to face the danger of which they are [illegible]

٥ـ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غفلون ○

5 And who is more astray[4779]
Than one who invokes,
Besides God, such as will
Not answer him to the Day
Of Judgment, and who
(In fact) are unconscious
Of their call (to them)?

٦ـ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كفرين ○

6 And when mankind
Are gathered together
(At the Resurrection),
They will be hostile
To them and reject
Their worship (altogether)!

٧ـ وإذا تتلى عليهم ءايتنا بينت قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ○

7 When Our Clear Signs
Are rehearsed to them,
The Unbelievers say,
Of the Truth
When it comes to them[4780]
"This is evident sorcery!"

٨ـ أم يقولون افترىه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به

8 Or do they say,
"He has forged it"?
Say "Had I forged it,
Then can ye obtain[4781]
No single (blessing) for me
From God. He knows best
Of that whereof ye talk
(So glibly)! Enough is He

4779 As there is no argument at all in favour of your sham worship, what sense is there [illegible] Either your false gods are senseless stocks and stones which will never answer you to the en[d of] Time, being themselves devoid of understanding; or they are real objects which will disown yo[u]. [If] the last: If you worshipped Self, your own misused faculties will witness against you at the [end]. If you worshipped good men or prophets, like Jesus, they will disown you (v. [116–117]; xli. 20-23). [S]imilarly if you worshipped angels, they will disown you (xxxiv. 40-41).

4780 When the truth is actually brought to their doors, they call it sorcery! Cf. xxxiv. [illegible]

التاسع عشر والعشرين بالذات ظهر القسم الأعظم من الأعمال المكرسة لدراسة الاسلام والقرآن باللغة الروسية . فصدرت الدراسات المتخصصة التي قام بها كبار المستعربين الروس مثل فكتور روزين (١٨٤٩ ـ ١٩٠٨) وفيتالي غيرغاس (١٨٣٥ ـ ١٨٨٧) وفاسيلي بارتولد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠) وأغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٤ ـ ١٩٥١) والكسدر شميت (١٨٧١ ـ ١٩٣٩) وأغافانغل كريمسكي (١٨٧١ ـ ١٩٤١) وترجمات أعمال المستشرقين العربيين الى اللغة الروسية ، ونشر في تلك الفترة عدد ضخم من الدراسات والمقالات التعريفية الاستعراضية عن القرآن والنبي العربي (عليه الصلاة والسلام) والاسلام عموما ، كما اتسع نطاق حركة الطباعة والنشر والصحافة الاسلامية في روسيا خلال السنوات المذكورة فانتشرت المطابع العربية في مدن الامبراطورية الروسية وبخاصة بطرسبورغ وقازان وايرنبورغ وباكو وتفليس وتيميرخان شورا وطشقند ، وجرت آنذاك محاولات لترجمة القرآن الى اللغتين الاذربيجانية والتترية بغية تلبية حاجات مسلمي روسيا القيصرية الذين لا يتقنون اللغة العربية اتقانا كافيا ، ففي عام ١٩١١ أنجز الأديب المعروف موسى بيغينيف أول ترجمة للقرآن الى اللغة التترية ، ولكن لم يكمل نشرها نظرا لاحتجاجات رجال الدين الاسلامي ، جريا على العرف الذي يحرم على المسلمين قراءة القرآن مترجما ومع ذلك نشر محمد كامل تحفة الدين في عام ١٩١٤ بقازان ترجمة كاملة للقرآن الى اللغة التترية مرفقة بالنص الأصلي ، أما بالنسبة لعدد الطبعات العربية للقرآن التي أصدرتها المطابع المذكورة فانه غير قابل للحصر ، ولكن كافة هذه الطبعات الى جانب الطبعات اللاحقة (مدينة اوفا ١٩٢٣ و١٩٦٣) ظلت تستند الى نص الطبعة القازانية القديمة التي بقيت معتمده حتى طبعة طشقند عام ١٩٦٠ (وقد قامت في صلبها الطبعة المصرية المعتمدة ـ ١٩١٩ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٨) .

وضمن المؤلفات العديدة حول القرآن التي ظهرت في العهد السوفيتي يمكن أن نذكر أعمال بارتولد « الاسلام » و« مسيلمة » و« القرآن والبحر » و« حول مسألة الرسالة المحمدية » و« محمد » وغيرها وكذلك الدراسات القيمة للمستعربة كسينيا كاشتاليفا (١٨٩٧ ـ ١٩٣٩) المكرسة لشرح المصطلحات القرآنية ولغة وأسلوب القرآن ، بالاضافة الى مقالات البروفسور اسحاق فريكوف حول رسالة النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) وتفسير بعض الآيات القرآنية

دور كراتشكوفسكي

وفي عام ١٩٦٣ صدرت بموسكو عن « دار النشر باللغات الأجنبية » الترجمة الروسية للقرآن التي قام بها من اللغة العربية المستشرق الكبير أغناطيوس كراتشكوفسكي ، وكانت فكرة الاستعاضة عن ترجمة سابلوكوف بترجمة جديدة كاملة تلبي متطلبات العلم المعاصر قد راودت كراتشكوفسكي منذ مطلع القرن العشرين ، فقد نشر في عام ١٩١١ مقالة تتضمن تصحيحات لبعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية الواردة في الطبعة العربية التي أصدرها المستشرق الألماني غوستاف فلوغيل بمدينة لايبزغ عام ١٨٤٢ .

كما القى كراتشكوفسكي في عام ١٩١٥ أول محاضرة له حول القرآن في كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ .

وقد وضع كراتشكوفسكي في عام ١٩١٧ عرضا شاملا لمجموعة مخطوطات القرآن المحفوظة في المتحف الأسيوي (فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية حاليا) ونشر في الاعوام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ عدة مقالات وأبحاث عن تاريخ ترجمات القرآن في القرون ١٥ ـ ١٧ الى اللغة البيلوروسية في أوساط التتار القاطنين بليتوانيا ، وفي عام ١٩٣٠ صدرت مقالة له حول معنى كلمة « نجم » في القرآن ، وخلال الفترة الواقعة بين العامين ١٩٣٤ و ١٩٤٠ كتب كراتشكوفسكي بعض المقالات حول ترجمتي بوسنيكوف وبوغسلافسكي المذكورتين آنفا .

وكان كراتشكوفسكي قد أعرب في عام ١٩١٩ عن عزمه على وضع ترجمة جديدة للقرآن ونشرها في اطار « مكتبة الآداب العالمية » التي كان يشرف على اصدارها آنذاك الكاتب الشهير مكسيم غوركي . وقد شرع كراتشكوفسكي عام ١٩٢١ بترجمة القرآن من اللغة العربية مباشرة وأخذ في الوقت نفسه بالقاء سلسلة منتظمة من المحاضرات حول القرآن ، استمر فيها حتى الأيام الأخيرة من حياته .

وقد قضى كراتشكوفسكي في ترجمة القرآن الى اللغة الروسية تسع سنوات ، ففرغ من اعداد مسودته في عام ١٩٣٠ ، غير أن ذلك لم يكن سوى المرحلة الأولى من هذا العمل الضخم ، ففي السنوات اللاحقة تابع عمله وهو يدرس بتمعن مجموعة كبيرة من المصادر الأوروبية والعربية حول القرآن ، فان عدد الاستشهادات المستخدمة في الشروح والتعليقات التي زود بها الترجمة الروسية للقرآن قد بلغ حوالي ٤٠٠ مرجع .

لقد استخدم كراتشكوفسكي في ترجمته للقرآن كافة طرق ومناهج العلوم اللغوية المعاصرة ، واتبع في دراسته القرآن اسلوب كبار الفقهاء والمفسرين المسلمين في القرون الهجرية الأولى ، ومن أجل فهم التراكيب اللغوية للقرآن والمفردات والتعابير الواردة فيه لجأ كراتشكوفسكي الى نصوص الشعر الجاهلي وبخاصة دواوين شعراء أواسط وشرق الجزيرة العربية الذين عاصروا الرسول (عليه الصلاة والسلام) وكذلك المجموعات الأولى للأحاديث الشريفة . ولكن المنية وافته قبل أن ينجز عمله كاملا ، ومع ذلك نشرت بعد وفاته ترجمته للقرآن في عام ١٩٦٣ ، وهذه الترجمة من حيث الدقة وطريقة دراسة النص لا تقتصر على كونها أفضل من كافة الترجمات الروسية الأخرى ، بل تفوق بمزاياها العديد من ترجمات القرآن الأوروبية ، القديمة منها والحديثة .

ويرى المستعربون السوفيت أن الأبحاث المتعاقبة التي أجريت في الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الأخيرة حول الاسلام توفر المقدمات الضرورية لتحقيق حلم كراتشكوفسكي في وضع ترجمة أدبية كاملة للقرآن مزودة بالشروح والتعليقات اللازمة .

وعلى هذا الطريق تأتي اعادة طبع ترجمة كراتشكوفسكي مشفوعة بهوامش جديدة خاصة بالتعديلات والتصحيحات المقترحة لبعض أماكن الترجمة ، كما يقوم المستشرق محمد نوري عثمانوف رئيس قسم « الادبيات والآثار الشرقية » بمعهد الاستشراق في موسكو باعداد ترجمة جديدة للقرآن ويلقي ، في الوقت نفسه ، محاضرات حول القرآن على غرار المحاضرات التي كان يلقيها كراتشكوفسكي في لينينغراد ، خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالي ، وطبيعي أن صاحب هذه الترجمة سيستفيد من الخبرة الغنية لترجمة القرآن ودراسته في روسيا . □



بين الهوى والوطن

شعر : الدكتور عيسى درويش

عيناكِ من خُضرِ المروجِ تلوّنتْ ... فرأيتُ في سحر العيون بلادي
تختالُ في الدوح الجميل بلابلٌ ... مزدانةً بأساور وقلاد
ترتاحُ في حضن الطبيعة مثلما ... يرتاح قلب الأم للأولادِ
تتمايلين وملءُ ثغرك بسمةٌ ... تعطي القريضَ عذوبةَ الانشاد

سحرُ الهوى في مقلتيك ـ كلاهما ... شوق المحبِّ وصدُّك المتمادي
والشَّعرُ يفرقه النسيم ضفائرا ... كالصبح يولدُ بعد ليل سواد
مثل السنابلِ توأمان كأنما ... جاءا على بشرٍ وفوق جماد
تاج الشموخ على جبينك سيرةٌ ... تحكي السيوفَ ملاحم الأجدادِ
مُر الهوى حلوٌ اذا بذل الفتى ... للحب كلَّ عزيمةٍ وجلادِ
صنوُ الورود اذا تزين غصنها ... بالشوك صارت حلوةَ الأورادِ
والناهدان المترفان تسابقا ... مثل المها ينزلن نحو الوادي



يرتاح في الحضن الحنون مسافرٌ | أضناه طول تغرُّب وبعادِ
والباسقاتُ من الغصون تراقصت | لَمّا خطرت بقدكِ المياد
تزهين مثل الشمس في ألقِ الضحى | فيطيب عزف العود - للعوّادِ
وتجود دالية الكروم بخمرها | امّا ترنم في الخميلة شادي
لله ما أحلى التفردُ بالهوى | ان كان حب عقيدة وجهادِ
وطني الهوى .. والعشق وجهُ حبيبةٍ | حبّانِ قد جمعا بلا أضدادِ
يشقى المحبُّ .. اذا تواصل حبُّهُ | وأراك فيه سعادتي وسُعادي
حمل الأمانة كالجبال ضخامةً | وانا الضعيف بقوتي وعنادي
فخذي الأمانةَ .. كم يعذب حملُها | وليعطها الابناء للأحفاد
وطني ويا عشقي .. فأنت حبيبتي | فلقد وهبتك مهجتي وفؤادي
رباه لم أحمل ذنوبي كارهاً | إن المحبة غايتي ومرادي
فلأجزيَنَّ بما فعلت فإنني | في وصلِ من أهوى على ميعادِ

البطن شدا محكما بحبل من الليف .

ومنها ما يجري به العرف ، لدى النيانكولي ، من مد قطعة من القماش فوق اطار كبير من الخشب ، كما لو كان المقصود هو تبخير الفتاة الحامل ، وتدخل الفتاة الحامل تحت هذا الاطار ، حيث وضعت جمرة تحترق فوقها عشب معين ، ويستتبع الدخان الناجم من حرق هذا العشب مرض الفتاة وبالتالي الى اجهاض الفتاة لا محالة بعد زمن قصير

يجري العرف ، في كثير من المجتمعات القبلية ، كما سبق أن رأينا ، بالحؤول دون ولادة طفل قبل فطام طفل سابق ، ويتوصل العرف الى تحقيق هذه النتيجة بحظر العلاقات بين الزوجين حظرا كاملا خلال فترة الرضاع ، أو بحظرها خلال مدة معينة ، والسماح بها بعد ذلك على أن تقترن بالعزل .

ومع ذلك قد يحدث حمل قبل فطام الطفل الرضيع ، وفي هذه الحالة قد يفطم الطفل الرضيع اذا كان قد قارب سن الفطام ، أما اذا كان الوقت ما زال مبكرا على فطامه ، فالعادة تجري بالتخلص من المولود الجديد .

وأوضح مثال لذلك ما تجري به العادة لدى البوشمن (في صحراء كلهاري) ، فالبوشمن من المجتمعات التي تعتمد في معاشها على جمع الأعشاب والثمار وقنص الحيوانات ، ولدى البوشمن تضطر الأمهات الى ارضاع أطفالهن حتى الثالثة أو الرابعة ، لعدم وجود غذاء مناسب لصغار الأطفال ، وبسبب عدم وجود وسائل لمنع الحمل سوى الاجهاض ، كثيرا ما يولد طفل أو اثنان قبل فطام طفل رضيع ، وفي هذه الحالة يتخلصون من المولود الجديد ، ويتخلصون منه ، سواء ولد حيا أم ميتا ، بدفنه في أقرب جحر أو حفرة تعدها لهذا الغرض العجوز التي تعاون الزوجة عند الولادة ، وتنفذ العملية ، غالبا ، ضد رغبات الزوج ، فالنساء عنيدات في رفضهن تربية ولدين في نفس الوقت ، وتصر الزوجة على عدم تربية طفل آخر حتى يصبح الأول في غنى عن اللبن

ولدى سكان استراليا الاصليين كان من النادر أن تحتفظ الأم بأكثر من طفلين ، على أن يكون بينهما فارق ظاهر في السن ، ويرجع ذلك الى استحالة أن تحمل الأم عدة أطفال في نفس الوقت أثناء تجولاتها المستمرة ، وفضلا عن ذلك فان امتداد فترة الرضاعة ، بسبب عدم وجود غذاء آخر للطفل ، يحول دون الأم وأن يكون لها طفلان في سن صغيرة

التوائم والتشاؤم

ينظر الناس ، في كثير من المجتمعات القبلية ، الى التوائم بوصفهم نذير شؤم ومصدر شر ، ولذلك فهم يسارعون الى التخلص منهم ، تخلصا من المصائب التي ترتبط بمقدمهم ، وفي بعض المجتمعات لا يقتصر النحس أو الشؤم على التوائم فحسب ، وانما يمتد الى الأم ، وفي هذه المجتمعات كانوا يقتلون الأم كما كانوا يئدون التوائم ، وفي بعض الأحيان كانوا يئدون التوائم ويكتفون بنفي أمهاتهم الى الغابة ، حيث يعشن بعيدا عن الجماعة

ويجري العرف في كثير من المجتمعات القبلية بالتخلص من الأطفال المشوهين أو الذين يولدون بصورة شاذة ، بسبب اعتقادهم أن هؤلاء الأولاد نذير شؤم ، وأن التخلص منهم يجنب أهلهم الكوارث المهددة .

فلدى الاقزام ، في عابات الكونغو ، تقتل الأمهات أطفالهن الذين يولدون مشوهين أو عجزة بمجرد ولادتهم ، ولا يسمح للرجال حتى بالقاء نظرة على هؤلاء الأطفال ، كذلك لا يسمح الجوكون في شمال نيجريا للأطفال الممسوخين أو المشوهين بالحياة ، وانما يتركونهم ليلاقوا حتفهم في الغابة أو في كهف

وفي داهومي كانوا يتخلصون من الأطفال الذين يولدون ولهم ستة أصابع في اليد أو القدم ، ولدى التسوانا كانت العادة تجري بوأد الأطفال الذين يولدون بأقدامهم أولا بدلا من رؤوسهم ، وأولئك الذين تبدو قواطعهم العليا قبل السفلى .

يحظر العرف القبلي كل علاقة جنسية بين بعض الأشخاص بصورة مطلقة ، كما يحظر على بعض الأشخاص الاتصال الجنسي في ظروف معينة ، ومخالفة هذا الحظر تستتبع عادة جزاء يتسم بالشدة البالغة ، ولا يقتصر الأمر في مثل هذه الحالات ، على مجازاة الفاعل أو الفاعلين ، بل يسارع القوم الى التخلص من الطفل الذي جاء ثمرة لهذه العلاقة المحظورة .

وفي مقدمة الأطفال الذين يتم التخلص منهم لأنهم جاءوا ثمرة لعلاقة محرمة ، الطفل الذي تلده فتاة لم يتم ختانها بعد ، أو لم تجر لها شعائر الانتقال أو البلوغ .

لدى الايلا مثلا ، اذا حملت فتاة قبل مرورها بشعائر البلوغ ، يقولون عنها أنها حملت بكائن غير طبيعي ، ولا يسمحون لهذا الكائن بالحياة ، بل يسارعون الى قتله بمجرد مولده .

ويحرم العرف القبلي كل علاقة جنسية بين الأقارب الأقربين ، واذا حولف هذا الحظر وتمخضت العلاقة عن حمل ، لم يسمح للمولود بالبقاء على قيد الحياة .

فلدى قبائل الكونجو كانوا ، فيما مضى ، يحرقون الجناة أحياء ، كما كانوا يمحون ثمرة الجريمة دونما رأفة

وقد يحظر العرف ، في بعض القبائل ، كل حمل سابق على الزواج ، فإذا حملت فتاة قبل زواجها عوقبت ، ولم يسمح لوليدها بالبقاء على قيد الحياة

فلدى الباتيا رواندا والباروندي ، الفتاة التي تحمل قبل الزواج ، تطرد من بيتها ، وأحيانا تغرق أو تنفي الى جزيرة مهجورة ، وكثيرا ما كانت تذهب لتلد طفلها في الغابة حيث تتركه ليلقى حتفه ، ان لم تقتله بمجرد ولادته .

وأد الأطفال . . والنساء

جرى العرف ، في بعض المجتمعات القبلية ، بوأد الأطفال الذين يولدون في أزمنة معينه يرونها شؤما .

ففي جزيرة مدغشقر كانت العادة تجري بوأد الأطفال الذين يولدون في شهر مارس أو ابريل ، أو الذين يولدون في الأسبوع الأخير من الشهر ، أو الذين يولدون يوم أربعاء أو يوم جمعة ، وذلك بسدهم أو خنقهم أو حرقهم أحياء .

بالاضافة الى الحالات السابقة هناك حالات أخرى يجري العرف فيها بوأد الأطفال ، من ذلك مثلا ما يجري به العرف في بعض القبائل من دفن الرضيع مع أمه عند وفاتها أثناء الولادة ، أو أثناء الرضاعة ، ومن ذلك أيضا ما جرى به العرف في بعض القبائل من قتل المولود الأول لكل زوجة .

ان الاناث مصدر النسل ، والاقلال منهن يؤدي بالضرورة الى الاقلال من النسل ، وفي الغالبية العظمى من المجتمعات القبلية ، يحدث الوأد بالنسبة للاناث أكثر مما يحدث بالنسبة للذكور ، فالأب يفضل أن يكون له أبناء يحملون اسمه ، ويخلدون نسبه ، ويرثون أمواله ، على أن تكون له بنات ينجبن أبناء لرجال آخرين .

فلدى الكول ، في الهند ، مثلا لا تحتفظ الأسرة في الغالب بغير ابنة أو ابنتين ، أما ما زاد عن ذلك من بنات فيوضعن حين ولادتهن ، في آنية من فخار ويدفن

ولدى الأرابش ، في غينيا الجديدة ، لا يحتفظ الأب بالمولود الأنثى اذا كان لديه من قبل عدد من الأطفال الاناث ، فالارابش يفضلون الابناء ، فالابن سوف يبقى مع والديه ، وسوف يكون متعة وراحة لها عندما تتقدم بهما السن ، والاحتفاظ بابنة أخرى بعد ابنة أو ابنتين سابقتين من شأنه أن يؤجل فرصة الحصول على ابن مدة طويلة .

وقد أدت كثرة الالتجاء الى وأد البنات ، في بعض المجتمعات القبلية ، بندرة النساء ندرة بالغة مما أدى الى نشوء نمط للزواج يتمثل في اتحاد عدد من الرجال بزوجة واحدة ، وهو ما يعرف بتعدد الأزواج ، ومن الواضح أن اتباع احدى القبائل هذا النمط من أنماط الزواج سوف يؤدي بالضرورة الى عدم تزايد السكان ، أو عدم تزايدهم بصورة كبيرة

مما سبق ، يتضح أن المجتمعات القبلية تعرف الكثير من الوسائل التي تؤدي ، سواء كان ذلك مقصودا أم غير مقصود ، الى عدم تزايد السكان أصلا أو الى عدم تزايدهم بصورة ظاهرة ، على أن هذه العادات ليست هي العامل الوحيد في حفظ عدد السكان ضمن أبعاد معقولة ، فهناك عوامل أخرى كثيرة ، منها مثلا أمراض الطفولة التي تؤدي بحياة الكثير من الأطفال ، ومنها الأوبئة والمجاعات ، ومنها الحروب والغزوات ، وعندما تتغير ظروف هذه المجتمعات ، فتختفي هذه التقاليد والعادات ، ويختفي أو يقل مفعول العوامل الأخرى ، يتزايد السكان تزايدا كبيرا ، يدعو الى القلق ، ويتطلب مواجهة حاسمة ، على أسس علمية وفي اطار خطط مدروسة

□



بقلم : الدكتور انيس فهمي

منذ أن توصل الانسان الى اختراع أول كومبيوتر الكتروني قبل أربعين عاما ، انبهر الناس بالامكانيات المستقبلة لهذه الآلة السريعة التي لاتكل ولاتمل ولاتخطيء في اجراء الحسابات الرياضية ، وتطلع العلماء الى امكانية أن تقوم هذه الآلة بتقليد العمليات العقلية غير الحسابية ، مثل التفكير والادراك والتعلم ، وفهم لغة الانسان اليومية ، والوصول الى التخمين المطلوب عندما لايملك الانسان كل الحقائق بين يديه .

أطلق الناس على الآلات الأولى اسم « العقول الألكترونية » وبعض المخترعين كانوا يطمعون في أن يتوصلوا بأبحاثهم الى تقليد القدرات الانسانية ، مثل تأليف الموسيقا وكتابة الشعر ولعب الشطرنج .

الطريق الى الذكاء الصناعي

في أواخر الخمسينيات من هذا القرن أصبح موضوع تقليد القدرات العقلية البشرية فرعا من علم الكومبيوتر ، أطلق عليه اسم « الذكاء الصناعي » وكانت الابحاث في هذا الميدان قاصرة في البداية على قليل من الجامعات الأمريكية ، ولكنها دخلت في نشاطات مؤسسات كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي دول أخرى من العالم .

والآن يهدف البحث عن الذكاء الصناعي الى تحقيق هدفين أساسين :

الهدف الأول هدف علمي يحاول أن يصل الى فهم أفضل للتفكير الأنساني عن طريق تقليده ، والهدف الثاني هدف هندسي يحاول أن يزيد من امكانيات الكومبيوتر ، بأن يجعله مساعدا للذكاء الانساني ، ويحتاج فقط الى معرفة مايراد منه عمله بدون أن يذكر له كيفية القيام بهذا العمل .

وهذا الهدف الثاني يتفق في كثير من النواحي مع مشروع « الجيل الخامس » للكومبيوتر الذي تقوم به اليابان ، وتتبادل فيه الخبرات والمعلومات مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ولاشك ان اختراع « آلات مفكرة » حقيقية تتفوق في ذكائها على الذكاء الانساني ، يتساوى في أهميته مع الثورة الصناعية التي ضاعفت من قوة العضلات البشرية عدة مرات ، دون أن تحسن من قوة العقل

البشري ، الا انه يبدو حتى الآن أنه ليس من السهل تحقيق الهدفين اللذين سبق ذكرهما ، كما كان العلماء يتصورون في البداية .

التطبيقات الحالية

ان نتائج الأبحاث في ميدان الذكاء الصناعي قد بدأت تشق طريقها في الحياة العملية ، وان مايقرب من مائة شركة أمريكية تعمل بلا كلل في تطبيق أبحاث الذكاء الصناعي في مهمات متنوعة ، وهذه التطبيقات على أنواع متعددة من البرامج المتخصصة التي أطلق عليها اسم « اجهزة الخبرات » وهي تقلد أداء الانسان ازاء أنواع معينة من المشكلات ، وبعض هذه الأجهزة تتفوق على علماء الكيمياء في تفسير قراءة الأجهزة التي تستخدم في التعرف على مواد كيميائية غير معروفة ، وبعض الأجهزة الأخرى تستطيع أن تحدد مخزونات المعادن تحت الأرض أو تساعد في تشخيص بعض الأمراض ، أو ترشد على طريقة اصلاح الآلات المعطوبة ، أو تقوم بعملية التدريس للطلبة .

وبالاضافة الى أجهزة الخبرات استطاع الباحثون في ميدان الذكاء الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأوروبا أن يخترعوا آلات لها قدرة محدودة على رؤ ية العالم من حولها وعلى فهم الأشياء التي تدركها في ذلك العالم والتكيف بالنسبة لها ، ان الانسان الآلي (الروبوت) الذي يعمل في بعض المصانع يستطيع أن يتعرف على الأجزاء المتحركة فوق الحزام الجلدي ويلتقطها ، ويضعها داخل الآلات في مواقعها الصحيحة ، أو يجمعها ليكون منها بعض المنتجات المعينة ، وحتى القدرات المحدودة على رؤ ية الأشياء أو لمسها مع قليل من الذكاء تستطيع أن تحسن كثيرا من قدرة الانسان الآلي على التصرف في المواقف غير العادية ، مثل التقاط الأشياء التي بها خطأ في تشكيلها ، أو في ترتيبها ، على أن الشيء الذي سيعزز من شأن الكومبيوتر بالنسبة للناس . . العاديين هو مقدرته على فهم اللغة العادية التي يستخدمها الناس في معاملاتهم اليومية ، بدلا من المعلومات الجامدة الصعبة التي تختزن حاليا في أجهزة الكومبيوتر .

ان الخدمات الجليلة التي يقدمها الكومبيوتر للانسان مثل الوصول الى مخزونات المعرفة الموسوعية المختزنة في بنوك الكومبيوتر للمعلومات ، لايستطيع أغلب الناس الاستفادة بها، لأنهم يجدون من الصعب عليهم تعلم مصطلحات الكومبيوتر ، أو يصعب عليهم معرفة كيف يسألون الكومبيوتر عما يريدون معرفته

ومن الأسباب التي تجعل من الصعب على الكومبيوتر أن يتعامل مع اللغة العادية ، أن الكلمات في جميع اللغات غالبا ماتكون لها عدة معاني تؤدي الى حيرة الكومبيوتر ، ولذلك فان أجهزة اللغة العادية في الوقت الحاضر تقتصر على مجموعات من الكلمات المحددة المعنى ، ولكن الباحثين يبذلون جهدهم لخلق أجهزة تستطيع أن تقلد لغة الاتصال الطبيعية في الحياة اليومية ، وقد توصل العلماء في جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية لتصنيع جهاز يستطيع أن يترجم مقالات صحيفة اسبانية الى اللغة الانجليزية ، كما نجحوا في تصنيع جهاز آخر يستطيع أن يقرأ هذه المقالات ، ثم يجيب على أسئلة بخصوص الموضوعات التي وردت فيها .

تعليم الآلة

ان الباحثين في الذكاء الصناعي ركزوا محاولاتهم في البداية على محاولة جعل الآلة أكثر مهارة ، وكانوا يأملون في اختراع آلات تستطيع أن تقلد الأطفال البشريين في تطورهم من حيث تعلم اللغة والمعرفة ، واكتساب المهارات التي تمكنهم من التعامل مع العالم الخارجي ، أثناء مراحل نموهم ، ولكن هذا الأمل



ثبت انه من الصعب تحقيقه ، واكتشف العلماء ان من الأسهل لهم أن يبرمجوا الكومبيوتر بحيث يصبح قادرا على تقليد مهارات الكبار مثل لعب الشطرنج . . .

وجدوا أن هذا أسهل من برمجة كومبيوتر لتقليد مقدرة طفل في الرابعة من عمره على تعلم كلمات واكتساب مهارات جديدة ، لقد نجح العلماء حتى الآن في برمجة الكومبيوتر بكميات ضخمة من البيانات والتعليمات الدقيقة ، ولكنهم لم يتوصلوا تماما الى برمجة الكومبيوتر بطريقة تجعله قادرا على الشفرات ، والتصرف في المواقف غير العادية وحل المشكلات .

وكما يدل عليها اسمها فان أجهزة الخبرات تحتوي على معارف الخبراء البشريين ، والتي يعبر عنها عادة في شكل قواعد بسيطة مثل : « اذا كان المريض يشكو من ارتفاع في درجة الحرارة ، وزكام وآلام في الجسم وصداع ، فمن المحتمل أن يكون المريض مصابا بالانفلونزا »

أما برامج اللغات فيجب أن تشتمل على كلمات اللغة وقواعدها بالاضافة الى مادة الموضوع المطلوب معرفته .

المشكلات والآمال المتوقعة

يمتاز الكومبيوتر عن الانسان بخاصية الذاكرة ، والاحتفاظ بالكثير من التفاصيل التي قد لايذكرها الانسان أو قد تغيب عنه ، ففي بعض الأنواع من الأعمال الروتينية والمملة ، أو في الأعمال التي تحتاج الى قرارات بسيطة ، ولكن سريعة ودقيقة ، يمكن لجهاز الكومبيوتر أن يحل محل الانسان ، ان الكومبيوتر يستطيع مثلا أن يقوم بكل العمل للاعداد لاحدى الرحلات ، كما يستطيع أن يتحكم في مفاعل ذري وقت الحاجة ، ولكن الكثيرين من خبراء الذكاء الصناعي يعتقدون في الوقت الحاضر أن أفضل استخدام لبرامج الذكاء الصناعي هو في مساعدة الانسان وليس الاحلال محله ، ففي حالات التشخيص الطبي المعقدة تستطيع أجهزة الخبرات مساعدة الأطباء في استبعاد التخمينات الخاطئة ، ولكن التشخيص النهائي يظل من اختصاص الطبيب

وبالرغم من أن « ثورة المعلومات » قد حولت الذكاء الصناعي من مجرد استكشاف في المعمل الى حقيقة عملية تنمو يوماً بعد يوم ، الا أن اجهزة الذكاء الصناعي تشكل تحديا محيرا اذا استخدمت في ممارسة الذكاء الطبيعي ، فحتى الخبراء البشريين قد يعجزون أحيانا عن التعبير عن المعلومات التي يعرفونها،انهم يعرفون ما يعرفونه ولكنهم لايعرفون كيف يعبرون عنه أو كيف يشرحونه ، لو سألت مثلا سائق سيارة متمرن عن اللحظة التي يجب عليه فيها أن يضغط على الفرامل لكي تقف السيارة قبل اشارة المرور الحمراء ، مع الأخذ في الاعتبار السرعات المختلفة للسيارة وحالة الطريق ، لما استطاع أن يجيبك ، وزيادة على ذلك فإن كل انسان بما في ذلك العلماء يستخدم مايسمى « بالقدرة على التمييز » لكي يتصرف في المواقف المفاجئة وغير المتوقعة ، وهذه القدرة على التمييز تتكون وتنمو وتتطور من الدروس والتجارب التي يمر بها الانسان في الحياة .

لقد اكتشف العلماء أثناء محاولاتهم لبناء آلة للذكاء أن الطريق يعود بهم الى المخ الانساني ، وقد حققت أجهزة الذكاء الصناعي منافع كثيرة في مجال الحياة العملية ، ولكن أعظم ماحققته الأبحاث في ميدان الذكاء الصناعي أنها زودتنا بمفاهيم جديدة عن القدرات المذهلة للعقل البشري ، كما أتاحت لنا الفرصة لمعرفة الكثير عن المواهب المحيرة التي نلجأ اليها في انشطة الحياة اليومية ، مثل المحادثات العارضة ، وادراك العالم من حولنا وممارسة الأعمال المنزلية ، والذهاب الى المدرسة ، أو الى مكان العمل ، وتطبيق الدروس المستفادة من العاب الطفولة على نواحي العمل المختلفة ، ان هذه الأنشطة التي من السهل جدا على الناس أن يقوموا بها ، ليس من السهل على العلماء أن يفهموها وبالتالي من الصعب على أجهزة الكومبيوتر أن تقلدها .

ومع ذلك فمازالت المحاولات مستمرة ، ومازال الكائن البشري يبحث ويواجه التحدي ، لكي يشكل الآلة العقلية بطريقة تحدث تغييرا جذريا في الحياة ، كالتغيير الذي أحدثه اكتشاف الكهرباء واختراع الآلة ذات الاحتراق الداخلي . □

منهج القرآن

في تربية العقول

بقلم : عبد الرزاق البصير

مارست دهري وجربت الأنام فلم ... أحمدهمُ قط في جد ولا لعب
وكم تمنيت أن ألقى به أحدا ... يسلي من الهم أو يعدي على النوب
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت أحسبني ... أحظى به واذا دائي من السبب

الشاعر الطبيب

قائل هذه الأبيات رجل يتمتع بعديد من المواهب ، فهو طبيب حاذق في الطب ، وهو أديب كاتب متمكن من الكتابة ، وهو شاعر لطيف الشعر ، شاء الله له أن يحلب الدهر أشطره ، فلقد جرب حلو الدنيا ومرها ، كان مقربا من الأفضل ملك مصر ، لكن أحقاد أحد حجابه أصلته بنارها ، فأودت به الى الحبس فيما يقول بعض المؤرخين ، أو أنه حاول أن يستخرج سفينة مملوءة بالنحاس ، قد غرقت في البحر أمام الاسكندرية ، لكن محاولته باءت بالفشل في آخر الأمر ، مما أغضب عليه الأفضل ، فأمر بسجنه فيما يقول مؤرخون آخرون ، لأن الخليفة أنفق على تلك المحاولة جمالا من الأموال ، ذلك هو أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الذي جاء من الأندلس الى مصر على أني لا أقصد في هذه الكلمة أن أؤرخ لهذا الطبيب الأديب ـ وانما أردت أن نتعرف عليه بصورة موجزة ، لأني أريد أن أجعل من هذه الأبيات مدخلا لهذه الكلمة ، لهذا يجدر بنا أن نشير الى أن الذي دفعه الى إنشاد تلك الأبيات التي رويتها في صدر هذه الكلمة ، هو أن أحد تلاميذه كان من المقربين الى الأمير الأفضل ، لم يرع حق معلمه ـ صاحبنا الطبيب ـ فبدلا من أن يكون له عونا على نكبات دهره ، أصبح كالسهم يصيب فؤاده ، فقد أخذ يملأ قلب الأمير عليه بغضا وكمدا ، فشق على المعلم الطبيب الأديب أن يبلغ العقوق في بعض الناس الى هذا الحد ، فما هي الا أن نظم ما رويناه من أبيات الشعر ، ثم رفع رأسه الى السماء واغرورقت عيناه دمعا ، ودعا عليه فلم يحل الحول حتى استجيب له .

من تراثنا العربي

يتحدث عن نفسه

اعداد : جمال الغيطاني

« كنت أرجع بالليل إلى داري ، وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل (التي كنت أقرؤها) بأعيانها حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام »

إبن سينا

.. تبدو الترجمة الذاتية في أدبنا العربي لغير المدقق الخبير بجوانب هذا التراث نادرة ، بل قد يقول البعض انها منعدمة ، غير أن الواقع لا يؤيد ذلك ، فإلى جانب النصوص التي كتبت كترجمة ذاتية مباشرة ـ أي أن الكاتب والمكتوب عنه شخص واحد ـ مثل (الاعتبار) لأسامة بن منقذ ، و (المنقذ من الضلال) للامام الغزالي ، والسيرة المؤيدية للمؤيد الشيرازي ،وهناك نصوص عديدة في بطون الكتب ، إلى جانب الشعر العربي القديم الذي نجده في العديد من القصائد ترجمة ذاتية للشاعر ، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث ودراسة مفصلة ، وبالطبع فإنني أتحدث عن الترجمة الذاتية ، أما عن كتب التراجم فما أغنى الأدب العربي بها ، وكتب الطبقات والتراجم يزخر بها تراثنا في مختلف العصور .

من النصوص المندسة في بطون الكتب ، نص فريد يتحدث فيه ابن سينا عن نشأته ، وتكوينه ، أملاه على أحد المقربين منه ، أبو عبيد الجوزجاني وهذا النص موجود في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ، الذي حققه وشرحه الدكتور نزار رضا ، وصدر في بيروت عن منشورات دار مكتبة الحياة منذ عدة سنوات . يقول المحقق في مقدمة الكتاب .

« من أطباء العرب المعروفين ، وأدبائهم المرموقين ، رجل ترجم في كتاب واحد ـ لم يؤلف غيره ـ لأطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى يومه الذي هو فيه ، إنه موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم ، ابن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي » .

ولد في دمشق عام ٦٠٠ هجرية « ١٢٠٣ ميلادية » وكان والده طبيبا ، تلقى علم الطب في دمشق ، والقاهرة ، وذاعت شهرته حتى وصلت إلى أمير

صرحد ، احدى مدن جبال حوران ، فأرسل بطلبه ، فرحل إليه ، وهناك عاش حتى توفي في ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) ، وضع كتابه هذا لأمين الدولة وزير الملك الصالح ، وقد بدأ فيه بترجمة كبار الأطباء زمن الاغريق ، والرومان ، والهنود ، والعرب ، والعجم وترجم لأطباء مصر والشام ، كل قطر على حدة . طبع لأول مرة على يد المستشرق الألماني مولر الذي عثر على نسختين مخطوطتين منه عام ١٨٨٤ ، ثم قامت المطابع المصرية بطبعه مرة أخرى نقلا عن طبعة مولر ، إلا أن العثور على طبعاته القديمة بات صعبا ، ولم يصبح متاحا إلا بعد التحقيق الجديد الذي قدمه الدكتور نزار رضا

تقلبات حياة

ابن سينا ، أو الشيخ الرئيس ، أو إمام العلوم كلها ، ولد عام ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) قرب بخارى ، كان أبوه من أهل بلخ ، أتم دراسته في اللغة والأدب وهو في سن العاشرة على يد رجل مجهول لم تذكره الترجمة التي تتحدث عنها . ويقول الأستاذ محمد ثابت الفندي في تعليقه على المادة التي كتبها المستشرق « دي بور » لدائرة المعارف الاسلامية ان هذا الرجل من المحتمل أن يكون هو أبو بكر أحمد بن محمد البرقي الخوارزمي (كشف الظنون لحاجي خليفة ، الجزء الثالث ، ص ٣٧٦) ، تقول الترجمة انه درس الطب بمفرده ، ومن جهة أخرى يروي أنه تلقاه على يد أبي سهل المسيحي ، وأبي منصور الحسن بن نوح القمري عام ٣٩٢ هـ (١٠٠١ م) ، وبعد سقوط عرش السامانيين بين أيدي أمير غزنة السلطان محمود بن سبكتكين ، خرج من كركانج إلى جرجان عام ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، فارا من وجه سلطان غزنة أيضا ، ويذكر فريد الدين العطار أنه التقى بالشيخ أبي سعيد بن أبي الخير شيخ متصوفة هذا العصر في نفس هذا العام ، في عام ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) يظهر ابن سينا في المدى ، ثم نجده في همدان حيث تولى الوزارة مرتين ، إلا أنه من المؤكد أنه ترك الوزارة عام ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) ، إذ نجد في أخبار هذا العام عند ابن الأثير ذكرا لوزير آخر ، وبعد تركه الوزارة اضطهد من قبل أمير همذان الجديد ، فبث حوله



الجواسيس ، وسجن لفترة ، وأخيرا . فر الى أصفهان عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) ، وعاش مقربا من أميرها علاء الدولة بن كاكاويه ، ثم توفي في عام ٤٢٨ هـ (١٠٣٦ م) . ويروي ابن خلكان في (وفيات الأعيان) روايات مختلفة عن موضع وفاته ، كما ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأنه توفي بالأندلس اثر دسيسة من ابن رشد ، ولكن هذه أقاويل تفتقر الى أبسط الأدلة ، وحتى الآن فان قبره مازال بهمدان يزار .

ملامح شخصية ونفسية

كان ابن سينا قويا ، جلدا ، وفي نص ترجمته صورة حية بليغة ، تصف مواصلته السهر لتحصيله العلم . وسكبه المياه الباردة على رأسه كلما أوشك على النوم حتى يفيق في السادسة عشرة كان قد استوعب الطب ، والمنطق ، والالهيات ، وعندما تمكن من علاج سلطان بخارى نوح بن منصور سمح له بدخول دار كتبه ، ولأنه كان يتمتع بقوة ذاكرة مدهشة ، فقد

استطاع في فترة وجيزة أن يحصل الكثير من العلم ، وفي الواحدة والعشرين بدأ يصنف الكتب .

تعرضت حياته لاضطراب بعد وفاة والده ، إلا أنه كتب أهم مؤلفاته خلال فترات الراحة والهدوء التي كان ينعم بها في بلاط همدان ، وأصفهان ، وقد أتم في هذه الفترات دائرة معارفه الفلسفية (الشفاء) ، ومصنفه الطبي الهام (القانون في الطب) ، وقد تركت مؤلفاته الموسوعية أثرا عميقا على الفكر الاسلامي ، في العصور التالية له ، وبعد موته تكونت له في الأذهان ملامح أسطورية . والترجمة التي نورد نصها تلقي الضوء على بعض سيرته ، وخاصة سنوات تكوينه ، إلا أننا ننبه إليها من زاوية محاولة تسليط الضوء على بعض الجوانب المجهولة في الأدب العربي ، وخصوصاً أن كتابا مثل (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) قد لا ينظر إليه دارسو الأدب العربي باهتمام ، وكثير من المصادر التي يمكن أن تثري أدبنا الحديث في بطون كتب غير مطروقة ، وهذا النص يؤكد وجود شكل السيرة الذاتية في تراثنا العربي والاسلامي .

قال الشيخ الرئيس ابن سينا :

.. إن أبي كان رجلا من أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور، واشتغل بالتصوف ، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميثن » من ضياع بخارى ، وهي من أمهات القرى ، وبقربها قرية يقال لها « أفشنة » ، وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها ، وولدت بها ، ثم ولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى ، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب ، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من كتب الأدب ، حتى كان يقضى مني العجب ، وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي . وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي ، وابتدأوا يدعونني أيضا إليه ، ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه ، ثم جاء إلى بخارى أبو عبدالله الناتلي وكان يدعى المتفلسف ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه ، وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين ، وقد ألفت « طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب » على الوجه الذي جرت عادة القوم به

علم المنطق

ثم ابتدأت بكتاب « إيساغوجي » على الناتلي ، ولما ذكر لي حد الجنس ، أنه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، أخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب مني كل العجب ، وحذر والدي من شغلي بغير العلم . وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيرا منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق . وكذلك كتاب أقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره . ثم انتقلت إلى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية ، قال لي الناتلي تول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرضها عليّ لأبين لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه

علم الطب

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب ، وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره ،

وجمعت بين يدي ظهورا ، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور . ثم نظرت فيما عساها تنتج ، وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة .

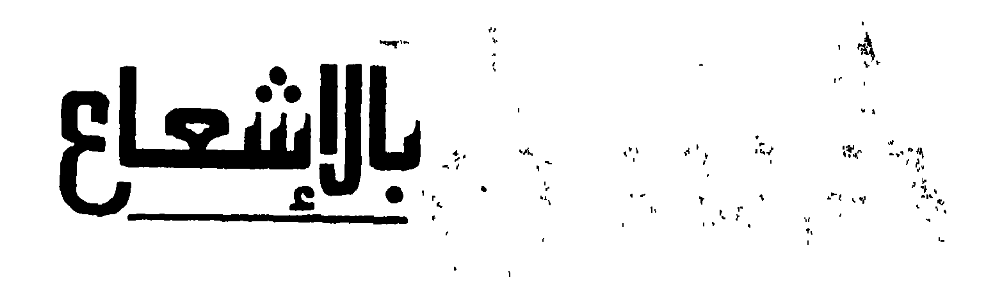
وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي ، وأشتغل بالقراءة والكتابة فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إليّ قوتي ، ثم أرجع إلى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيرا من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه إلى اليوم ، حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي ثم عدلت إلى الالهي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه . حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظا وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه . وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، وبيد دلال مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ فرددته رد متبرم ، معتقدا أن لا فائدة من هذا العلم ، فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعه بثلاثة دراهم ، وصاحبه محتاج إلى ثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة : ورجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظا على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكرا لله تعالى وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور ، واتفق له مرض تحيّر الأطباء فيه وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة ، فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته . فسألته يوما الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض . في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه منها . ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضا من بعد ، فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه اليوم معي أنضج ، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسن العروضي . فسألني أن أصنف له كتابا جامعا في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته به وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة من عمري وكان في جواري أيضا رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل إلى هذه العلوم ، فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتابا سميته كتاب « البر والاثم » ، وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعر أحدا ينسخ منهما ثم مات وتصرفت بي الأحوال . وتقلدت شيئا من أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة الى الاخلال ببخاري والانتقال الى كركانج . وكان أبو الحسن السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيرا ، وقدمت الى الأمير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان ، وأثبتوا لي مشاهرة داره بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى نسا ، ومنها الى باورد ، ومنها الى طوس ، ومنها الى شقان ، ومنها الى سمنيقان ، ومنها الى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها الى جرجان ، وكان قصدي الأمير قابوس ، فاتفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضا صعبا وعدت الى جرجان ، فاتصل أبو عبيد الجوزجاني بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي

لما غلا ثمني عدمت المشتري

الى هنا ينتهي النص الذي ورد في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ويكمل أبو عبيد الجوزجاني قائلا : هذا ما حكى لي الشيخ من لفظه !□



بقلم : الدكتور سينوت حليم دوس*

تبدأ البحوث علمية بحتة نتيجة ظاهرة معينة ، وتتوالى الدراسات عليها ويحاول كل متخصص في فرع من فروع العلم الاستفادة منها في فرعه ليحقق نتائج جديدة ذات قيمة تطبيقية تساهم في التنمية . . فما الذي يحدث بعد ذلك ؟

تأتي ظواهر جديدة وتحاول الربط مع ما هو قائم من نتائج لاحداث طفرات فكرية جديدة ، لها تطبيقات صناعية لم تكن معروفة من قبل وهكذا .

حتى هنا والأمر يسير في قناته الصحيحة المرسومة له ، بحوث . . . تطبيقات صناعية رفاهية للوطن والمواطنين . . . تخفيف لأمراضهم وآلامهم . . تحقيق أقصى أشباع لهم

ولكن تأتي يد محرفة لتختلس التقنية الجديدة لتحقيق أغراض غير مشروعة ، أو أهداف مجرمة قانونا . . . وهنا تصبح الجريمة مرتكبة بيد متخصصة انحرفت عن جادة الصواب . . .

ولعل هذا هو الجانب المظلم في التقنية الحديثة ، ولكن ليس هذا عيبا فيها بقدر ما هو عدم التزام العامل بأخلاقيات المهنة وآدابها وقسمها الذي أقسمه قبل أن يتولى مسئوليتها ، من وجوب استعمال كل معرفة لخير البشرية وأمنها ورفاهيتها . .

وقبل التطرق الى تفاصيل جريمة القتل بالاشعاع ، نعطي مقدمة تاريخية عن الكشف عن النشاط الاشعاعي ، وما يرتبط به من آثار ، وكيفية استخداماته في الطب والصناعة والزراعة .

هنرى بكرل وظاهرة الفلورة :

بدأت بحوث النظائر المشعة منذ تسعين عاما على يد العالم الفرنسي (هنرى بكرل) عندما كان يُجري بعض بحوثه المتعلقة بظاهرة الفلورة لأملاح اليورانيوم ، وقبل ذلك بعام كان العالم الألماني رونتجن قد نشر الخواص المهمة لأشعة اكس ، وبدا واضحا أن هناك علاقة بين الاشعاع وظاهرة الفلورة ، وتركزت بحوث (بكرل) متأخرا على اثبات هذه العلاقة ، وفي يوم ٢٠ فبراير ١٨٩٦ ، أحاط (بكرل) لوحاً فوتوغرافياً بورقتين سميكتين لونهما أسود ، ثم نثر طبقة رقيقة من مادة كبريتات اليورانيوم البلورية ، ثم عرَّض اللوح لأشعة الشمس ، وبعد تحميضه كانت المنطقة التي تغطيها طبقة ملح اليورانيوم منطقة سوداء ، وعند تكرار التجربة بوضع قطعة معدنية بين طبقة الملح اليورانيومي واللوح الفوتوغرافي ، تكونت صورة معتمة للعملة المعدنية ، وكل ذلك تم في وجود أشعة الشمس ، ولكن في يوم ٢٦ فبراير ، وعندما أعاد تجربته رغبة في التأكد من النتائج التي حصل عليها

* استاذ بكلية العلوم الطبية ـ جامعة الملك سعود ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .

سابقا ، كان الجو غيما ، فاحجم عن تكملة تجربته ، ووضع اللوح في مكتبه انتظارا لبزوغ شمس يوم جديد ، وظل الحال كذلك حتى أول مارس ، وعليه قرر أن يبدأ تجربة جديدة خشية أن يكون اللوح الفوتوغرافي قد تأثر لطول الوقت ، ومن باب الاحتياط قام باخراج اللوح من مكتبه وحمضه ، وهنا كانت دهشته ، فلقد ظهر اللوح معتما بدرجة أوضح ، وأحسن من سابقتها ، وكرر تجاربه وفي كل مرة يحصل على نفس النتيجة ، بدون اللجوء الى أشعة الشمس ، حتى مع استخدام أملاح مختلفة لعنصر اليورانيوم ، وليس فقط كبريتاته ، كما اكتشف ان الاشعاعات المنبثقة من اليورانيوم لها القدرة على تفريغ الشحنة الكهربائية من الكشاف الكهربائي واستنتج أنها شبيهة بأشعة اكس ، وحتى هنا يقف دور (بكرل) لتبدأ احدى تلميذاته وهى ماري كوري لمواصلة البحث في خاصية النشاط الاشعاعي ، وتفسيرها لبعض أنواع العناصر ، مثل الراديوم والبولونيوم ، وأكمل العالم الانجليزي ارنست ردرفور المسيرة ، معلنا أن المواد المشعة .. ينبعث منها ثلاثة أنواع هي : جسيمات ألفا ، وجسيمات بيتا ، وأشعة جاما .

انحراف الهدف

والتقطت الدول الأوروبية الخيط الأول للنشاط الاشعاعي ، وبدأت التطورات المتلاحقة في الكشوف العلمية البحتة ، حتى كان البروفسور (هوير سرحر) الرئيس السابق لمؤسسة الكسندرفون هامبولدث لتشجيع البحث العلمي العالمي ، والعالم (اينشتاين) وظهور فكرة الانشطار النووي الذي حفز بعض السياسيين على تكثيف التطبيق العلمي لهذه الظاهرة في اضفاء القوة العسكرية على الدولة التي يرأسها .

وللحقيقة والتاريخ ، فان القنبلتين اللتين القيتا على هيروشيما وناجازاكي صنعتا في المانيا النازية ، وبطريق لم يذكره التاريخ حتى الآن نقلتا الى أمريكا ، ثم كان قرار الرئيس روزفلت . . .

وقد ذكر ذلك صراحة العالم (اوبنهايمر) في مذكراته وكذلك المستر (ساكس) المستشار المالي للرئيس (روزفلت) ، رغم أن اليابان قد بدأت في اعلان استسلامها ولم تكن بحاجة الى هذا الردع .

يذكر ذلك التاريخ . . . ولكن لماذا كان هذا الردع لليابان بالذات وبقنبلتين المانيتي الصنع ؟

لعل هذه نقطة في التاريخ السياسي وبحاجة الى من يتدارسها .

ومع التركيز الكبير في بحوث الانشطار النووي وتركزه في مجال التخريب والدمار ، أعلن الرئيس الامريكي (ايزنهاور) في خطابه الذي وجهه الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وجوب توجيه الطاقة الذرية نحو الاستخدامات السلمية .

ويعتبر شهر ديسمبر ١٩٥٣ م هو التاريخ الحقيقي للاستخدام السلمي للطاقة النووية ، ومع بداية عام ١٩٥٦ ، بدأ الكوبلت المشع والابر الذهبية المشعة في الاستخدامات الطبية في علاج الانسجة السرطانية .

ورغم ذلك فان مخزون العالم اليوم من الأسلحة النووية يقدر بنحو ٥٠ الف رأس نووي ، وتعادل هذه ١٥ بليون طن من مادة (تي . ان تي) شديدة الانفجار ، وبمعادلة بسيطة فان الطاقة التدميرية التي يملكها العالم الآن تعادل خمسة آلاف ضعف الطاقة التي استخدمت في الحرب العالمية الأخيرة .

وتكفي الترسانات النووية الحالية الى ابادة ٢٤٠ الف مليون شخص ، وهو ما يعادل تعداد العالم ستين مرة .

الاستخدام السلمي للطاقة :

عندما اكتشف الانشطار النووي ، وبمقارنة الطاقة المتولدة عن الوقود النووي ، وهو عنصر اليورانيوم ٢٣٥ بالطاقة الناجمة عن الفحم ، يتبين لنا أن انشطار ذرة يورانيوم٢٣٥ ، ينتج عنها طاقة مقدارها ٢٠٠ مليون الكترون فولت ، بينما احتراق ذرة واحدة من الكربون لا يصاحبه سوى طاقة قدرها أربعة اليكترونات فولت ، فطاقة الذرة الأولى تعادل خمسين مليون ضعف الطاقة المتولدة من الذرة الأخيرة .

وقد أشار أحدث تقرير للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، الى أن الطاقة النووية هى التي احتلت قسما رئيسيا من بدائل البترول خلال عام ١٩٨٤ م ، ١٩٨٥ م حيث ارتفعت نسبة استهلاك الطاقة النووية

الى ١٧,٧٪ كبديل لطاقة البترول ، في حين أن الطاقة الناجمة عن الفحم كانت ٣,٤٪ ، أما الطاقة المتولدة عن الغاز الطبيعي فشكلت ٣,٢٪ ، كبدائل للطاقة الناجمة عن البترول .

أما في المجال الطبي ، فأصبح ميسورا عن طريق التحليل الاشعاعي المناعي تقدير الهرمونات بالجسم بوحدات النانوجرام والبيكوجرام والفمتوجرام ، بدقة وسهولة تفوق أي طريقة كانت معروفة من قبل بحوث العالمين (رزوالين يالو) و (بيرسون) والانجليزي (ايكنز) ، كما أمكن تقدير تركيز الدواء بالدم،وتقدير نسبة جرعة السم التي تحدث الوفاة مما أفاد الكثير في مجال الطب العدلي .

وبعد التقدم الذي عاصرته المواد التشخيصية الاشعاعية ، وصل استخدام الطب النووى في التشخيص الى ٩٩٪ من الأمراض المستعصية ، فأصبح تصوير عضلة القلب سريرياً باستخدام الثاليوم المشع ممكنا وميسورا لتشخيص ضيق الشريان التاجي،ومدى التعرض للذبحة الصدرية ، كما أمكن مراقبة وظيفة القلب باستخدام الابر المشعة لكرات الدم الحمراء ، مع مادة التكنشيوم المشع ، وأمكن بذلك علاج أمراض القلب بناء على خلفية سليمة من التشخيص الدقيق

وعن طريق التصوير الطبقي باستخدام الحاسب الآلي أمكن تصوير الكبد والنخاع الشوكي والكليتين ، ومعرفة القصور الذي يعتريهم ، كما أمكن تصوير الرئتين وتشخيص جلطاتها قبل أن يستفحل أمرها .

كذلك أمكن عن طريق التشخيص الاشعاعي تحديد التهاب المفاصل والأنسجة ، ومعرفة مكان الكسور ومدى التئامها ، وكذلك تحديد مكان الالتهابات داخل البطن ، وخصوصاً بعد إجراء العمليات الجراحية .

كما تدخل التشخيص النووي في الجهاز العصبي ، والمخ ، فأصبح من الميسور معرفة مكان الجلطة ومدى تقبلها للعلاج ، وكيف انتقلت أو زالت عقب فترة العلاج أثنائها .

وفي المجال الزراعي استخدمت النظائر المشعة لمعرفة أي العناصر يحتاجها النبات ليزيد المحصول ، وأي الفترات تكون أكثر ملاءمة لزراعته والتغلب على الآفات التي تصيبه ، وكيفية زراعة محصول في غير الفصل المحدد له من السنة .

وفي المجال الصناعي ، تدخلت البحوث الذرية والتطبيقات النووية في معرفة الكثير من أسرار التفاعلات الكيميائية ، وتفسيراتها ، وكيفية اقتصاد بعض الخطوات المكلفة في الانتاج ، والاستعاضة عنها بخطوات أكثر انتاجية ، وكانت قمة الاستخدام النووى في مجال صناعة الصواريخ عابرة القارات ، ومركبات الفضاء ، وأجهزة الدمار في شتى أشكالها

آثار الاشعاع على الجسم :

الأشعة المؤينة تحمل طاقة تفوق طاقة ربط الألكترونات في الذرات والجزيئات عند امتصاص الألكترونات لهذه الطاقة من الاشعاعات المؤينة الساقطة عليها ، فانها تتأين أي تنقسم الى شقين أحدهما سالب والآخر موجب ، والخطورة التي تصيب جسم الانسان من تعرضه للاشعاعات ، بخاصة أشعة جاما ، ترجع الى تأيين محتويات الجسم ، حيث تتفاعل الأشعة المؤينة مع مكونات الخلية الحية (الأحماض النووية) ويؤدي هذا بدوره الى انفصال الروابط الكيميائية في الخلية ، وهذا بدوره يؤدي الى اضطراب في نشاط الخلية الطبيعي .

والأشعة المؤينة (جاما) لا يشعر الانسان بغزوها لجسمه ، ولا يستطيع ملاحظة آثارها بسرعة ، ذلك أنه يكون في بداية الجرعة فلا يلاحظ الفرد أي تأثير آني على خصائص أعضائه ، ولكن هذه الاشعاعات تتراكم داخل الجسم محدثة تأينا لسوائله .

وكلما زادت الجرعة الاشعاعية وقلت الفترات بين التعرض الاشعاعي ، وقربت المسافة بين الجسم ومصدر الاشعاع ، كلما ظهرت التأثيرات التراكمية الاشعاعية على الجسم بصورة أسرع .

وبصفة عامة فان الاشعاع تظهر آثاره المدمرة على الجلد والجهاز التنفسي والغدة الدرقية والخصيتين والمبيضين وباقي أعضاء الجسم الحيوية ، كما يؤدي الى الاصابة بالسرطان والتشوه الخلقي في الأطفال المولودين لآباء أو أمهات تعرضوا للاشعاع ، أو عملوا في مجاله دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة .

كذلك تتسرب المواد المشعة الى النبات ، وتستقر في ألبان الحيوانات التي تتغذى على النباتات أو

الأعشاب المصابة ، ومن ثم تصيب الانسان بطريق غير مباشر .

حوادث التسرب الاشعاعي :

واذا كانت الانفجارات النووية التي وقعت بمحطة الطاقة النووية في بنسلمانيا عام ١٩٧٩ م ، وبعض حوادث التسرب البسيطة التي وقعت في أوك ردج أو بصفة عامة في ولايات كاليفورنيا وتكساس وبنسلفانيا ، وأمكن احتوائها بسرعة دون تصاعد لمخاطرها ، وكذلك كارثة محطة توليد الطاقة الكهربائية بالقوى النووية في تشرنوبيل بالاتحاد السوفييتي في أبريل ١٩٨٦ م ، فان هذه الأحداث تعتبر ضريبة للتقدم البحثي ، واحتمالات الخطأ التجريبي المعترف بها التي تشكل نسبة ١٠٪ في صحة وصدق النتائج .

وان كان أول حادث نووي جماعي يذكره التاريخ هو حادث مصنع الساعات في عام ١٩٢٠ م ، فقد كان أول الاستعمالات الصناعية للراديوم هو الطلاءات المضيئة ليلا ، فعندما يخلط مسحوق الراديوم مع بلورات كبريتيد الزنك ، فان البلورات الأخيرة تضيء نتيجة لامتصاص الطاقة من جسيمات الفا المنبعثة من الراديوم ، وكان جديراً بهذا الاكتشاف الجديد أن يعم العالم ، لما له من استخدامات حربية مفيدة ، خصوصاً في الحرب العالمية الأولى ، بالاضافة الى صباغة أقراص الساعات بطلاء أرقامها بهذا الطلاء الجديد ، ليمكن قراءة الوقت أثناء الظلام .

ومن أجل رسم خطوط رفيعة لأرقام الساعات بهذا الطلاء ـ كان لا بد من فرشاة تكون قمتها مدببة ورفيعة جدا ـ وكانت العاملات في مصانع الساعات يضعن قمة الفرشاة بين شفاههن من أجل تحقيق ذلك ، وفي كل مرة كانت تلامس قمة الفرشاه مقدمة الفم كانت كميات ضئيلة من الراديوم والميزوثريوم تبتلع ، ومع بداية عام ١٩٢٠ ، كانت بضع من العاملات في مصانع أقراص الساعات قد توفين مصابات بأنيميا حادة ، ونقص حاد في نمو عظام الفكين ، الى أن اكتشف مصادفة أحد أطباء الأسنان علاقة طبيعة العمل بالتأثير الاشعاعي على عظام الفكين .

القتل بالاشعاع :

وتصل المأساة الى قمتها عندما يستغل أحد العاملين في مركز الطاقة النووية ببولندا خبرته التي تراكمت على مدى عشرين عاما ، ليتخلص من رفيقة حياته بعد أن ذكر (أن حياته معها لم تعد تطاق) .

أخبر المهندس (كويتار) زوجته بأنه سيكون في مهمة بالخارج لمدة شهر ، وصدقته زوجته ، وقام بوضع مصدر اشعاعي تنبعث منه أشعة جاما في طرد مغلف تحت سريرها ومن جهة وسادتها .

بدأت أعراض الاشعاع الأولى تظهر عليها بعد أسبوع مباشرة ، ذلك لأن مصدر الاشعاع قريب من جسمها ، فلا يزيد عن ٤٠ سم ، كما أن المصدر كان قويا ، بالاضافة الى أنها تتعرض يوميا قرابة العشر ساعات(فترة بقائها في منزلها أو نومها على الفراش الملوث).

وكانت أهم الأعراض التي ظهرت عليها هي الارتفاع في درجة حرارة الجسم ، والغثيان والقيء المستمر ، والشعور بالخوار والتعب ، مع عدم القدرة على القيام بأي مجهود .

واستشارت الأطباء ، وأجريت التحليلات ، واستخدمت المضادات الحيوية ، وفي الأسبوع التالي بدأت تظهر الأعراض بأكثر حدة .

لاحظ أحد الأطباء الجدد بالمستشفى وظيفة الزوج ترتبط بالطاقة النووية ، كما لاحظ أن الأعراض التي تشكو منها هي أعراض التسمم الاشعاعي ، فما كان منه الا أن استأذن رئيسه في وجوب طلب مركز الوقاية من الاشعاع ببولندا لاجراء مسح اشعاعي بمسكن السيدة يونوش .

وكم كانت دهشتهم عندما أشار عداد (حايجر مولر)-وهم خارج المنزل-عن وجود مصدر اشعاعي بداخل المنزل . . . ومع تتبع القراءة الاشعاعية التي أخذت تزداد رويدا رويدا أمكن الوصول الى مصدر الاشعاع الموضوع تحت سرير الزوجة ، وعن طريق الاسعاف المركز أمكن انقاذ الزوجة بترياقات الاشعاع ، والبعد عن المصدر المشع ، وما جاء عام ١٩٨٠ م ، حتى كان الزوج يقضى عقوبة السجن مدى الحياة ، لاخلاله أولا بواجبات وظيفته ، وثانيا لشروعه في قتل زوجته . □

عاشوا في هذا المكان

العقّاد بين أسوان ومصر الجديدة

بقلم : سارة

هناك الكثير من المؤثرات التي تساهم في تشكيل مادة الابداع عند المبدع . . والمكان والزمان هما بعض تلك المؤثرات .

فما هو تأثير هذا العامل عند بعض المبدعين والمشهورين في حياتنا العربية . . وأحد أمثلتهم عباس محمود العقاد ؟

في المدينة التي ذكرها « حرقيال » في سؤات التوراة والتي جاء اليها « هيرودوت » و « دداسترابون » وأقيمت فيها الصلوات لاله النيل وإيزيس وأوزريس و « يهوا » رب الجنود ، وشيدت فيها أديرة الرهبان وصوامع النساك ، وعرفها الشاعر دعبل كما عرفها رهين المحبسين،ووشمتها الحضارات الفرعوبية واليونانية الاسلامية بملامح حلدتها ، وقال عنها كمال الدين جعفر بن ثعلب في القرن الثامن الهجري : « قد خرج من أسوان خلائق كثيرة لا يحصون من أهل العلم والرواية والأدب » .

في مدينة المعابد وبئر إراتستين ، الجرانيت ، أحجار الطواحين والصحور النارية والأركية التي يقول الجيولوجيون أنها أول ما تصلب من قشرة الأرض ، مدينة الشلالات والشمس الساطعة ، فيها ولد العقاد ، في ظهر يوم الجمعة ١٨٨٩/٦/٢٨ ، في بيت من بيوتها العريقة ، في العام نفسه الذي ولد فيه . طه حسين ، نهرو ، هتلر ، سالازار ، شارلي شابلن ، أرنولد توينبي ، عبدالرحمن الرافعي ، جان كوكتو ، ومارتن هيدجر .

البيت العتيق

كان ذلك البيت في تقسيم حجراته وردهاته كغيره من بيوت أسوان . . مدخل يفضي الى صحن الدار والحجرات التي كانت سقوفها على نظام الأقبية ، ومن وراء صحن الدار سلم من « الخرخاش » وهو نوع



● أقدم صورة للعقاد وكان عمره ١٣ سنة

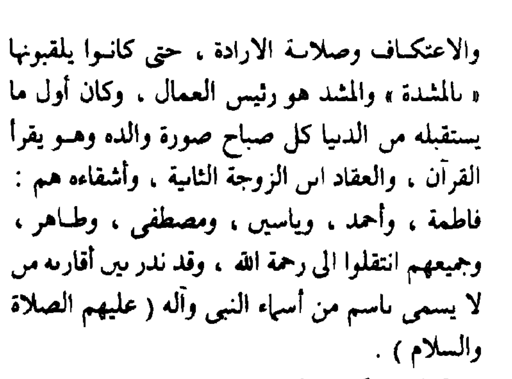




● المنزل رقم ١٣ شارع السلطان سليم

رحو من الحجر الرملي مائل الى السمرة ، يصعد الداخل الى قاعة متوسطة السعة ، رصت فيها بعض الأرائك والكراسى لجلوس صاحب الدار مع صيوفه ، ولذلك كانت تسمى « المقعد » وفي نهايتها حجرة صغيرة مربعة يرتفع سقفها أو قبوها مترا ونصف متر ، سويت أرضها بالبلاط ، وفي مستواها حلق نحاسية صغيرة ، اذا رفعت ارتفع معها بعض البلاط كأنه غطاء تحته مخزن صغير ، كان والده يضع فيه سلاحه الذي كان معدا يومئذ لصد الدراويش الذين كانوا يتهددون أسوان بالغارات ، وبعد انتهاء الخطر صار مخزنا للأواني النحاسية .

كان جده يشتغل بمصنع حرير بدمياط ، فلقب بالعقاد ، وكان أبوه أمينا للمحفوظات بمدينة أسوان ، أما أمهُ فكانت حفيدة لأحد رجال الفرق الكردية التي وجهها محمد على سنة ١٨٢١ الى السودان لتأديب الملك « شندى » وقد ورث عنها حبها للصمت



والاعتكاف وصلابة الارادة ، حتى كانوا يلقبونها « بالمشدة » والمشد هو رئيس العمال ، وكان أول ما يستقبله من الدنيا كل صباح صورة والده وهو يقرأ القرآن ، والعقاد ابن الزوجة الثانية ، وأشقاءه هم : فاطمة ، وأحمد ، وياسين ، ومصطفى ، وطاهر ، وجميعهم انتقلوا الى رحمة الله ، وقد ندر بين أقاربه من لا يسمى باسم من أسماء النبى وآله (عليهم الصلاة والسلام) .

كانت مكتبة والده تتكون من كتب الفرائض والعبادات وبعض كتب التاريخ ، لا سيما السيرة النبوية وتراجم الأولياء الصالحين ، وأعداد صحيفة الأستاذ والطائف للنديم ، وصحيفة العروة الوثقى للأفغاني ومحمد عبده ، وكان بيتهم ملتقى لشيوخ يسمرون مع والده ، في « المندرة » وكان حريصا على وجود عباس معهم وهو في السابعة فأكسبه ذلك وقاراً حتى أنه رفض ـ وهو طفل ـ لبس البنطلون القصير ،



• العقاد مع سارة وهي لبنانية من أسرة داغر

وأصر على رفضه ، وتجلت أهمية هذا المجلس في معرفته بالقاضي أحمد الجداوي ، وكان من أدباء الفقهاء الذين ناصروا الأفغاني وأخذوا عنه لذلك قال العقاد « وقد حببت مجالس الجداوي الأدب الى نفسي لأول مرة ، ورغبت أن اتخذه فنا أضرب فيه بسهم كما ضرب فيه الأستاذ ،وصرت منذ ذلك الحين مهتما بحفظ الشعر ومطالعة كتب الادب »

بقي البيت الذي ولد فيه على حاله بعد وفاة والده عام ١٩٠٧ ، وفي عام ١٩٤٩ فكر العقاد في ازالة البيت القديم ، وبدأ البناء في يوم ١٣ مارس ، وانتهى يوم ٣١ ديسمبر ٤٩ ودخل العقاد بيته الجديد يوم ٩ يناير ١٩٥٠ ، يقع البيت في شارع العقاد « عباس فريد سابقا » ويتكون من ثلاث طبقات ، طليت جدرانه بالطلاء الأبيض ، وأبوابه ونوافذه باللون الجوزي المائل الى الحمرة قليلا ، وأقيمت واجهة البيت على أربعة أعمدة رئيسية ، فيما بينها ثلاثة أبهاء يعلو بعضها بعضا ، ويصعد الداخل اليه ثلاث درجات ، تؤدي به الى بهو مستطيل يبلغ طوله سبعة أمتار تقريبا ، تطل عليه ثلاث نوافذ ، هي نوافذ حجرة الندوة الأسوانية ، وهي حجرة كبيرة طولها طول البهو المجاور لها ، وعرضها يزيد على أربعة أمتار ، وقد حوت ستة وثلاثين مقعدا ، يضاف اليها بضعة عشر كرسيا عند الضرورة ، وعلى الجدار المواجه لباب الحجرة صورة كبيرة للعقاد في شيخوخته ، وعلى الجدران الباقية صور أخرى لمناظر أسوانية ، ومعظم صور البيت للفنان صلاح طاهر ، أهداها اليه بعد بناء البيت ، ومن صور حجرة الاستقبال صورة مقياس النيل والصخور النارية ، وأخرى للخزان والماء يتدفق منه ، ولوحة النيل والجزيرة في أحضانه ، وهناك أيضا لوحتان احداهما لقصر « انس الوجود » وأخرى لفندق كتراكت « الشلال » .

تعقد الندوة الأسوانية مساء كل ثلاثاء وجمعة ، تبدأ في الثامنة مساء ، وتنتهي نحو التاسعة ، ومنذ أول ندوة عقدت في هذا البيت اعتاد العقاد أن يقدم لضيوفه « القرفة الساخنة » التي يعطيها السمسم أو جوز الهند المبشور .

أما في داخل البيت فهناك حجرة المائدة التي تزين جدرانها لوحات منها لوحة لقطط تلعق اللبن ، وأخرى لطبق يحوى فاكهة ، ولوحات قرآنية ، وقد توسطت الحجرة مائدة كبيرة ، رصت حولها الكراسي ، أما بقية الحجرات فهي لنوم أسرة العقاد ، وفي الطبقة الثانية بهو كبير تتوسطه مائدة حولها ستة كراسي ، تحتها بساط أسواني ، وحول البهو حجرات للنوم احداها للعقاد حين يأتي في الشتاء ، والأخرى لضيوفه ، وفي البهو أريكتان كبيرتان ، وعلى الجدران لوحات منها لوحة تمثل شلالا ، والأخرى لطفلة صغيرة تنام في مهدها ، وفي أحد الأركان مذياع وبضعة كراسي من القش ، وسعف النخيل الأسواني ، وهناك حجرة الاسعافات أسماها العقاد بذلك لاحتوائها على كتب ومراجع تشكل اسعافات معرفية له اذا اراد مرجعا في موضوع يهمه ، ومنها أخرج للناس عدة كتب بينها : فلاسفة الحكم في العصر الحديث ، حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، عقائد المفكرين في القرن العشرين ، المرأة في القرآن الكريم ، الانسان في القرآن ، وفيها يجلس العقاد في الصباح الباكر للكتابة والاطلاع ، وربما تطول جلسته الى منتصف اليوم ، بعدها يرتاح بعض



● عيد ميلاده الأخير عام ٦٣

الوقت ، ثم يتناول طعامه حوالي الساعة الواحدة ، وينام حتى الرابعة ، ثم يعود الى جلسته في المكتب بعد أن يشرب قدحا من القهوة ، والعقاد يكتب في كل مكان خلا من الصوصاء . أما اذا لم تقيده الضرورة بمكان معين ، فأكثر ما كتب وهو مضطجع على الفراش ، وثلاثة أرباع مقالاته السياسية كتبت كذلك ، وكان ينظم الشعر - غالبا - وهو يتمشى أو يسير في الخلاء ، واذا شطب كلمة اهتم بطمسها ، ويكثر الشطب اذا كان منحرف المزاج ، أما زمان الكتابة فشرطه الوحيد فيه الا يكون بعد تناول الطعام ، ويفضل الكتابة منفردا ، ولم يتعود أن يستعين بشيء من المنبهات أثناء العمل ، كالتدخين ، وشرب القهوة ، وحتى في الأيام التي كان يدخن فيها ، وقد أتعبته الكتابة بالقلم الرصاص ، فلما ان تيسر له ثمن القلم الحبر حتى عاد من جديد للقلم الرصاص ، ثم اكتشف أن المداد الأحمر ، أريح للنظر في ضياء الليل ، فاستخدمه ، و . . . في حجرة الاسعافات عدة لوحات ! احداها للنيل في أسوان والأخرى للعقاد بريشة صلاح طاهر رسمها عام ٤٢ ، وخلف المكتب ديباجة من النسيج اهداها اليه أحد الأصدقاء ، في نسيجها مقطوعة شعرية له من ثلاثة ابيات .

قالوا الحياة قشور
قلنا فأين الصميم ؟
قالوا شقاء ، فقلنا
نعم ، فأين النعيم ؟
ان الحياة حياة
ففارقوا أو اقيموا .

وفي المساء ينزل العقاد دائما الى الطابق الأول ، ليكون بين أسرته ، وكانت الجلسة في حجرة والدته ، فلما توفيت عام ١٩٥٦ ، ظلت حجرتها مغلقة طيلة اقامته هناك .

واذا ما صعدنا الى الطابق الثالث وجدنا شمس أسوان تحتل أركانه ، وفي الجهة الجنوبية نرى ثلاث حجرات للنوم ، اثنتين متجاورتين في الزاوية الغربية ، وحجرة منعزلة في الزاوية الشرقية ، وفي الجهة الشمالية حجرة مميزة بجدرانها الزجاجية الملبسة بالخشب ، تحيط بها النباتات المتسلقة ، وفي الجانب الشرقي منها أريكة يتخذ العقاد مجلسه عليها دائما ، وحولها بضعة كراسي منجدة ، وفي وسطها منضدة صغيرة ، تحتها بساط أسواني ، وعلى أحد الجدران صورة كبيرة للعقاد في شبابه ، والجالس فيها يستطيع

أن يرى المدينة والنيل ، وعلى ضفته الغربية معابد الفراعنة ، واعتاد العقاد الجلوس فيها للتأمل في الأيام التي لايخرج فيها من البيت ، أو لايكون مشغولا بالقراءة والكتابة .

ويقيم في هذا البيت حاليا أبناء شقيقه أحمد وهم : عبدالعزيز في الطابق الثالث ، وأسرة الراحل محمود في الطابق الثاني ، أما الطابق الأول ـ وهو مغلق حاليا ـ فهو خاص بأسرة الراحل عامر العقاد ، وقد تغيرت ملامح البيت الداخلية كثيرا بعد أن دخلته المكيفات والمراوح وورق الحائط ، وفي الاحتفال بذكراه السنوية الذي تقيمه محافظة أسوان وأسرته ، يستضيف هذا البيت بعض المشاركين في الاحتفال .

المقر الأخير

تخرج العقاد في المدرسة الابتدائية عام ١٩٠٣ ، واستطاع أبوه بماله من صلات طيبة برؤساء الديوان ، أن يوظفه بالقسم المالي في مدينة قنا ، حضر الى القاهرة للكشف الطبي عام ١٩٠٥ ، واستقال من هذه الوظيفة عام ١٩٠٦ ، والتحق بمدرسة الفنون والصنائع ، ثم تركها ، وتوظف في مصلحة البرق ، وبعد ستة أشهر هجرها الى الصحافة ، ومنذ وصوله الى القاهرة تنقل في عدة أماكن للسكن في صاحية الدمرداش بجوار حدائق القبة ، شارع محمد علي ، بنسيون الاهرام في مصر الجديدة ، شبرا ، ثم استقر منذ عام ١٩٢٦ وحتى يوم وفاته ١٢ مارس ١٩٦٤ في المنزل رقم ١٣ شارع السلطان سليم « شفيق غربال حاليا » في مصر الجديدة ، وربما كان سبب اختياره تلك الضاحية شغفه بالخلاء ، وجوها الجاف ، وهو الذي تعرض عام ١٩٢٢ لأزمة صدرية حادة .

وحين كنت أصعد سلالم بيته المتآكلة انتابني تردد حزين واجف ، تذكرت ماقاله : « فهذا البيت قد كتبت فيه خير كتبي، وأحبها الى،هذا المسكن صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ،ثم صعدتها اثنتين اثنتين ، ثم اصعده درجة درجة على غير عجلة ، ولا أكتراث ، وقد استقبلت فيه آمالا واستحييت فيه ذكريات ، ومن غار على ذخيرة آماله وبواطن ذكرياته ، فقد يغار على مواطنها أن تستباح بعده لكل من يشاء » .

قرعت جرس منزله في الطابق الثاني المواجه لمنزل ابن اخيه الراحل عامر أحمد العقاد ، وما أصعب أن نطرق مواطن الذكريات. استقبلني وجه ابراهيم الطنطاوي الأسمر ، الذي تربي بين ايدي العقاد وعامر ، كان أبوه حارسا للمبنى ، وقد مات منذ شهور قليلة ، ويعيش مع أسرة العقاد كواحد منهم ، هو عضو في جمعية العقاد الأدبية ، ويكتب في عدد من المجلات العربية ، ومن أكثر من قابلتهم حماسا لكل مايذكره بالعقاد .

واجهتني ردهة صغيرة لها شرفة أصغر ، كان يحلو للعقاد الجلوس فيها حتى مطلع الفجر ، ردهة عارية الأرض والجدران تفوح منها رائحة عتق واهمال وكآبة ، خالية تماما من خزانات الكتب التي كانت غاصة بالاف المجلدات ، بل ان البيت كله يخلو من أي أثر لكتاب ، وقد أخبرني مرافقي أن الكتب بخزاناتها حجزت عليها الضرائب لمطالبتها ورثة العقاد خمسة الاف جنية ، ونقلت الى دار الكتب ، وقد قررت محافظة أسوان أخيرا دفع هذا المبلغ واسترداد الكتب بعد الفراغ من بناء المكتبة التي تقام حاليا



● في المطبخ مع طاهية

لتضم تراث العقاد . . تتوسط الردهة مائدة صغيرة حولها ستة مقاعد ، وفي أحد الاركان ثلاجة أدميرال صغيرة ، افتقدت « تابوته المقدس » الذي أشار اليه في كتابه « في بيتي » وهو عبارة عن صندوق مربع يشتمل على حاك قديم وبضع مئات من الاسطوانات الموسيقية والغنائية التي عثرت على بعضها ملقاة باهمال في أحد الأدراج مع بقايا ملابس وصحف .

على يمين الردهة غرفتان متحاورتان ، احداهما صالونه والأخرى حجرة نومه التي يتوسطها سريره الضخم ودولابه ، ومشجب الملابس ، وقد احتفت منها متعلقاته التي تتمثل في تسع عشرة بدلة وعشرين حذاء ، أربعين قميصا واحدى عشرة طاقية ،

وأربعين لفاعاً « كوفية » عشرين (روبا) ومئتي ربطة عنق كما احتفت منها أيضا الصور المنسوحة من أصولها كصورة سالومى من تصوير بروسير ، و « زهرة » للاساس فيلاسكية ، وتاييس ، واخرى لسوق رقيق في عاصمة شرقية ، أما الصورة الأصلية الوحيدة في الحجرة وكانت معلقة على الجدار المواجه لسريره وقد رسمها صلاح طاهر استجابة لرغبة العقاد وتمثل فطيرة حلوة يشتهيها الجائع والشبع،عليها صرصور وذباب وهي ترمز للمرأة التي أحبها العقاد وأصبحت مشاعا للجميع هذه اللوحة وجدتها ملفوفة بورق الصحف وقد تعرضت للتلف في مكتب عامر العقاد.أما صالونه الذي كانت تعقد فيه ندوته صباح كل جمعة،وكان يستقبل ضيوفه بالبيجاما والطاقية والكوفية ، ويقدم لهم عصير الليمون والقهوة ، الجلوس فيه كان حسب الاقدمية .

فالأقربون اليه هم الأقدمون ، وعندما ينهض الأكبر سنا يكون ذلك اشارة الى ان الساعة اقتربت من الثانية ، موعد غداء العقاد ثم نومه ، وكان يجد متعة في أن يقارن بين الحيوانات وبين تلامذته أو أصدقائه فكل واحد منهم قد وجدله شبها بالحيوانات .

في هذا الصالون اريكتان واربعة مقاعد ومنضدة ، تحتها بساط أسواني،وفي أحد الأركان تمثال نصفي للعقاد بجواره مذياع تعلوه صورة محمد عبده ، وأيضا هناك أربع صور له من رسم صلاح طاهر ، بينما اختفت لوحة الفنان هدايت وشاطىء الزمالك لشعبان زكي ، وترعة المحمودية لصلاح طاهر ، وأبوقير للبيب تادرس ، وكذلك الساعة والبومتان اللتان تحفان بها .

على يسار الردهة ممر ضيق قصير ، في نهايته حجرة مكتبة وقد تحولت الى غرفة نوم بها ثلاثة أسرة ودولابان ، وانتقل مكتبه الى منزل عامر العقاد ، ولم يعد هناك أثر لصور الافغاني وسعد زغلول وبيتهوفن وكارليل ، وكذلك لوحة « زيارة القبر » لمحمد حسن ، وقد خصها بمقاله في « ساعات بين الكتب »

« والينبوع » لأبحر أما صورتاه بعد الأربعين وبعد الخمسين فهما معلقتان في شقة عامر ، وبجوار حجرة المكتب حجرة كانت لضيوفه ، ومخزنا لثيابه ، تحولت هي الأخرى الى غرفة نوم ، يواجهها مطبخه وحمامه المتواضعان ، سألت « ابراهيم » بأسى عن ما ضاع من مواطن الذكريات فقال:« لقد فقدنا العدد الأكبر والأندر من صور العقاد وخطاباته لتداولها بين الأصدقاء والصحفيين ، ولم يبق من متعلقاته الا بدلتان وحذاءان وكوفية وطاقية وطربوش وعصاه وبعض مؤلفاته وخطاباته في ركنه الخاص بدار الثقافة بأسوان ، بالاضافة الى طاقية وكوفية احتفظ بهما د .

عداللطيف عدالحليم رئيس جمعية العقاد الأدبية ، وضاعت منا ساعته واحدى البومتين ، أما جميع اللوحات،التلفزيون ٢٣ بوصة ، احدى البومتين ، الحاكي ، وبقية الاسطوانات فقد احتفظ بها العقاد في صناديق مغلقة في بيته ، خشية الضياع وخاصة بعد أن تحول بيت العقاد الى مصيف لأسر أشقائه ، بينما يظل طيلة الشتاء مغلقا .

كان البيت يتنفس حرارة ورطوبة ، وكان العقاد يكره الصيف .

صار البيت محاصرا بالضجيج والأبنية الشائهة ، وكان قد احتاره لانه مغروسا كنخلة يتيمة .

كان العقاد يغسل رأسه بالماء الساخن كلما داهمته الكآبة ، فمن لي بماء ساخن يزيل عن نفسي كآبة ما تبدد وما تبعثر من مواطن الذكريات ، ولا ندري ما يفعل الزمن بما حرصنا على أن يستوطن منا العيون وحبات القلوب . □

من قصص الخيال العلمي

الدرس المفيد

تأليف الكاتب الاميـريكي :
ايزاك ازيموف
ترجمة : الدكتور غسان حتاحت

خمسة أعوام مضت منذ بدأ سور من الكتمان يحيط بأبحاث الدكتور آرون رودمان .

وقـد فسروا لـه ذلك بقـولهم : « انـه من أجـل حمايتك ، فلو وقعت أبحاثك في الأيدي الخاطئة . . »

وفكر الدكتور رود مان بأسى : هل الأيدي الصحيحة هي يديه حقا ؟ .

ذلك أن اكتشافه كان بـالتأكيـد أعظم تقـدم في المجال الصحي منذ أبحاث باستور على الجراثيم ، وأعظم سبيل الى تفهم آلية الحياة على الاطلاق .

وقد بدأ الصمت يطبق على أبحاثه بعد محاضرته في أكاديمية الطب في نيويورك ، وكانت في أول يوم من القرن الحادي والعشرين . بحيث منع من التحدث عنها الا الى بعض المسؤولين كـما منع بـالتأكيـد من نشرها .

وقد دعمته الحكومة وزودته بكل ما يحتاج اليه من مال ، ووضعت تحت تصرفه كل أجهزة الكمبيوتـر التي أرادها [illegible] أبحاثه بسرعة حثيثة . وكـان [illegible] الحكـوميون يـزورونـه بـاستمـرار [illegible] أبحاثه ، وقد سأله بعضهم

ـ دكتور رود مان كيف يمكن للفيروسات أن تنتشر من خلية لأخرى ضمن جسم ما ومع ذلك لا تكون معدية لجسم آخر ؟ .

وكان يضجر من التكرار مرة بعد أخرى ، انه لا يعـرف أجوبـة كل الأسئلة . كـما كان يتضـايق من استعمـال مصطلح فيـروس ، ويقول : انها ليست فيروس ، اذ ليس لها نفس التركيب ، بل هي شيء مختلف هو الليبو بروتين .

وعندما يكون السائلون من غير الأطباء ، كان يجد أن الاجابة أسهل عليه ، اذ يستطيع أن يشـرح لهم الأمـور بصورة عـامـة ، عـوضـا عن الـدخـول في التفاصيل الدقيقة فيقول :

« ان كل خلية حية ، وكل تـركيب صغير ضمن الخلية محاط بغشاء . ويعتمد عمل الخلية على نفوذية هذا الغشاء تجـاه المواد المختلفـة ، وعلى نسبـة هذه النفوذية . وان تغييرا بسيطا في الغشاء يبدل طبيعـة العبور من خلاله بصورة كبيرة . ويغير بالتالي الطبيعة الكيميائية للخلية ونشاطاتها .

وتنجم معظم الأمراض عن تغيرات في نشاط هذه

● المترجم : [illegible] تلك حية متناهية في [illegible] ذات تركيب كيميائي معقد . عندما تدخل الى الخلايا تجبرها على أن تشكل التركيب الكيميائي للفيروس [illegible] مسببة كثيرا من الأمراض .

الأغشية . بحيث أن كل آلية تسيطر على هذه الأغشية انما تسيطر على الحياة . فالهورمونات تسيطر على الجسم عن طريق تأثيرها على الأغشية . وان مادة الليبوبروتين التي ركبتها هي هورمون صنعي أكثر منها فيروس . وهي تندمج في الأغشية وتحرضها على صنع ذرات مماثلة لها (تماما كما تفعل الفيروسات) وان كنت شخصيا لا أفهم هذه الآلية . وهذه البنية الدقيقة للأغشية ليست واحدة لدي كل الناس ، بل انها تختلف من شخص لآخر ، وبالتالي فان الليبوبروتين لا تؤثر على شخصين نفس التأثير . فلئن سمحت بنفوذ السكر الى الخلية لدي شخص مامصاب بالسكري فقد تشفيه ، بينما يمكن لها أن تغلق الخلية لدي شخص آخر وتمنع عبور مواد ضرورية اليها فتؤدي لقتلها » .

وهذا الأمر الأخير هو مابدا أنه يثير اهتمامهم ، ذلك أن هذه المادة هي سم قاتل . وكان رود مان يقول : « انها سم انتقائي . فلا يمكن التنبؤ مقدما - دون دراسات معقدة بالكمبيوتر لبنية الأغشية لدى شخص معين - اي نوع من الليبوبروتين سيؤذيه .

ومع مرور الوقت أخذت الحلقة تضيق حول رودمان فتمنعه حريته وان لم تحرمه من الرفاهية ، في وقت أخذت الحرية والرفاهية تختفيان من العالم ، وفتحت الجحيم فاها أمام الانسانية اليائسة .

كان ذلك عام / ٢٠٠٥ / وقد بلغ عدد سكان العالم ستة بلايين . ولولا المجاعات لكان العدد تجاوز السبعة بلايين .

وكان بيتر افار رئيس منظمة الغذاء العالمية يزور مخابر الدكتور رود مان كثيرا . فيقضيان معا بعض الوقت يلعبان الشطرنج ويتناقشان . وكان أفار - حسب قوله - هو الذي أدرك أهمية محاضرة رود مان في الأكاديمية الطبية ، وبسبب ذلك عين رئيسا لمنظمة الغذاء .

وان كان رود مان يرى أن ادراك هذه الأهمية أمر سهل الا أنه لم يقل له ذلك .

كان افار كثير الابتسام ، رغم أن موضوع حديثه قل أن يعطي سببا للابتسام : ذلك أن أي رئيس لمنظمة تهتم بغذاء العالم لابد له وأن يتحدث عن المجاعة .

وكان أفار يقول : « لو وزعنا الطعام المتوفر بالتساوي على سكان العالم لمات جميعهم جوعا » فيرد عليه رودمان : لو كان التوزيع بالتساوي لكانت العدالة المثالية قد تحققت وقادت العالم الى خطة عالمية عاقلة . أما والأمركما هو فإن العالم في يأس وسخط : وفرة أنانية لدي البعض ، وحرمان لدي الآخرين .

وقد سأله أفار : هل ستتطوع لتقدم مايفيض عن حاجتك من طعام .

فرد رودمان : انني بشر وأناني ، ثم ان تصرفي الفردي لن يعني الكثير .

أجاب أفار : انك شاعرى ، ألا تدرك أن الأرض مثلها كقارب نجاة ، اذا قسم مخزون الطعام بالتساوي بين الجميع سيموت الجميع . بينما اذا طرد قسم من شاغلي القارب فإن الباقين سيعيشون . وليس السؤال ما اذا كان البعض سيموت ، ذلك ان البعض يجب أن يموت ، ولكن السؤال هو ما اذا كان البعض سيعيش ؟

سأل رود مان : هل تطالب رسميا بالقتل الانتقائي . أي تضحية البعض في سبيل الباقين ؟ .

رد أفار : اننا لا نستطيع ذلك . فالناس في قارب النجاة مسلحون ، ومناطق كثيرة من العالم تهدد باستعمال الأسلحة الذرية اذا لم يزودوا بالطعام .

هنا قال رود مان : هل تعني أن الاجابة على المشكلة : يجب أن تموت كي أعيش أنا أو اذا كنت أنا سأموت فستموت معي ؟

قال أفار : ليس تماما . فثمة مناطق في العالم لا يمكن انقاذ سكانها ، فقد تزايدوا بكثرة هائلة وهم يعانون من المجاعة . لنفرض أنه أرسل اليهم طعام . ولنفرض أن هذا الطعام أمامهم . فلن تتطلب تلك المناطق أية شحنات أخرى .

سأل رود مان : وكيف تستطيع قتلهم ؟

أجاب أفار : يمكننا معرفة الخصائص البنيوية

للغشاء الخلوي لدي مجموعة معينة من الناس بصورة وسطية . بحيث نستطيع أن نركب ليبو بروتين مصمم خصيصا لهم . يوضع في شحنات الطعام فيصبح قاتلا لهم .

قال رود مان مصعوقا : انه لا يمكن التفكير بذلك .

أجاب أفار : بل يجب التفكير بذلك لن يكون هنالك ألم . فأغشية الخلايا ستتغير .

وسينام المصاب فلا يستيقظ . وذلك لاشك أفضل من الموت جوعا أو من التدمير الذري .

كما أن هذا لن يشمل الجميع ، ففي كل مجموعة سكانية تختلف خصائص الأغشية لديهم ، وعلى أسوأ الاحتمالات فان ٧٠٪ سيموتون .

وسيتم هذا الأمر في مناطق الازدحام السكاني وسيبقى ما يحفظ كل أمة وكل طائفة عرقية وكل ثقافة وحضارة .

رد رودمان : وذلك بقتل البلايين من الناس ؟ .

أجاب أفار : ان الأمر لن يكون قتلا ، بل هو توفير الفرصة للناس كي يموتوا .

أما من هو الفرد الذي سيموت فيعتمد ذلك على الخصائص البنيوية له . وستكون يد الله هي التي اختارته .

سأل رودمان : وعندما يكتشف العالم ذلك ؟ .

رد أفار : سوف لن يحصل هذا في عصرنا ، وعندما سيحصل سيكون العالم مزدهرا وسكانه قلائل . وسوف يشكروننا على العمل البطولي في اماتة البعض لتجنب موت الكل . شعر الدكتور رودمان بالغضب ووجد صعوبة في الكلام وهو يقول : ان أرض الله واسعة ، ومازلنا حتى الآن لم نستغل خيراتها كلها ، ولم نبذل جهدنا في توزيعها بصورة عادلة ، وفي مناطق شتى يهدر الفائض من الطعام . مما يسبب الغضب لدي الجياع .

أجاب أفار ببرود : اني أوافقك . ولكننا لا نستطيع أن نخلق العالم الذي نريده ، بل لابد لنا في العيش في العالم كما هو .

وانتهت المناقشة عند هذا الحد . وكان رودمان يزاريوميا من قبل مسؤولي الحكومة ، وكلهم تبدو عليهم مظاهر التغذية الجيدة .

بحيث أصبح حساسا تجاه مالاحظه من أن جميع من طالب بضرورة قتل الجياع ، هم من الذين يتغذون جيدا .

وقد قال له وزير الزراعة في احدى زياراته : ألا تقبل بقتل قطيع من الغنم مصاب بمرض معد في سبيل تجنب انتشار المرض الى الاغنام السليمة ؟ .

أجابه رود مان : أولا ان البشر ليسوا غنما . وثانيا المجاعة ليست مرضا معديا . رد وزير الزراعة . لكنها كذلك ، وهذه هي النقطة المهمة ، فاذا لم نقض على الانفجار السكاني فان المجاعة ستنتشر الى المناطق غير المصابة . لذلك يجب أن تساعدنا . فسأله رودمان : وكيف ستجبروني على ذلك ؟ بالتعذيب ؟ .

رد وزير الزراعة :ـ اننا لن نمس شعرة من جسمك . فخبرتك في هذا الأمر ثمينة بالنسبة لنا ، ولكننا نستطيع سحب قسائم الطعام .

ـ ولكن الجوع سيضر بي .

ـ ليست قسائمك أنت ، لكننا بما أننا مهيئون لقتل بضعة بلايين من الناس في سبيل الجنس البشري فاننا لاشك مهيئون لأمر أبسط كثيرا وهو سحب قسائم الطعام من ابنتك وزوجها وطفلها .

ـ سكت رود مان بينما تابع الوزير . سوف نترك لك بعض الوقت لتفكر . نحن لا نريد الاساءة الى عائلتك ، لكننا سوف نفعل ذلك اذا اضطررنا . سنمهلك اسبوعا . ويوم الخميس القادم ستجتمع اللجنة كلها هنا . وأعتقد أنك عندها ستكون ملتزما مثلنا بهذا المشروع .

خلال الاسبوع التالي ضوعفت الحراسة على رودمان وغدا كالسجين . ويوم الخميس حضر جميع أعضاء مجلس الغذاء العالمي مع وزير الزراعة وبضعة أعضاء من المجلس التشريعي الى المخبر . وجلسوا حول الطاولة في غرفة الاجتماعات في البناء الفخم الذي بني من أموال الشعب .

وتحادثوا خلال ساعات . ورسموا الخطط ، مسترشدين باجابات رودمان على بعض الاسئلة المحددة . دون أن يسأله أحد ما اذا كان سيتعاون معهم ، ودون أن يتبادر الى ذهنهم أنه لن يفعل ذلك .

وفي النهاية قال رودمان : ان مشروعكم غير عملي . لانه بعد وصول شحنات الحبوب الى المناطق

المعينة من العالم ، سيموت مئات الملايين ، فهل تعتقدون أن الذين سيعيشون سوف لن يعرفوا السبب ، انكم بذلك تخاطرون باحتمال انتقامهم المستميت بالقنابل الذرية ؟ .

هنا أجابه أفار لقد درسنا هذا الاحتمال . هل تعتقد أننا قضينا سنوات في التخطيط دون النظر بعين الاعتبار لاحتمال رد فعل المناطق المختارة للقضاء عليها ؟

سوف لن يعلموا أنهم قد اختيروا لذلك . وسوف لن تكون كل شحنات الحبوب موبوءه باالليبو بروتين . وسوف لن نركز على مكان واحد . وسنعمل على نشر الوباء في الحبوب المزروعة محليا هناك . اضافة الى انه لن يموت الجميع . بل ان بعضهم فقط سيموتون وذلك حسب بنية الأغشية في خلاياهم . وسيبدو الأمر وكأن الطاعون قد عاد .

ـ وهل فكرت في الرعب الذي ستخلفه عودة الطاعون ؟

ـ ان ذلك سيكون درسا مفيدا لهم وسنعلن عن اكتشاف ترياق لهذا المرض ، وسنعمم التلقيح الشامل في المناطق التي نعلم أنها لن تصاب . ان العالم مصاب بمرض يائس ولا بد من الاستماتة في المعالجة ان العالم على شفا موت مريع من المجاعة . لذلك لا مجال للمناقشة في طريقة انقاذه .

قال رود مان : أود أن أسال هل هذه هي الطريقة الوحيدة أم أنها الطريقة السهلة التي لن تتطلب أية تضحية منكم بالذات بل بلايين من الآخرين من البشر . وتوقف رودمان عندما جاءت عربة تحمل الطعام الى الغرفة . وقال : لقد أوصيت لكم على بعض الطعام يمكن أن نتناوله الآن خلال لحظات من الهدنة بيننا ، وأمسك باحدى الشطائر وقال : على الأقل فلنأكل جيدا بينما نناقش اكبر جريمة قتل جماعي في التاريخ نظر أفار الى ماتبقى من شطيرته وقال : هل هذا هو الأكل الجيد ؟ بيض على خبز غير طازج ثم تنهد وهو يقول : لو كنت مكانك لغيرت المطعم الذي أتعامل معه .

راقب رودمان الآخرين وهم يأكلون ، ثم مد يده وتناول الشطيرة الأخيرة وقال :

ـ لقد خطر ببالي أن بعضا منكم سيفقد شهيته بسبب موضوع المناقشة ، لكنني كنت مخطئا . فكلكم قد أكل .

قال أفار : وكذلك أنت . بل انك مازلت تأكل .

رد رودمان بينما كان يمضغ ببطء : نعم وانني أعتذر عن كون الخبز غير طازج ، فقد حضرت الشطائر بنفسي البارحة ، ومضى عليها أكثر من خمس عشرة ساعة .

تساءل أفار : أنت حضرتهم بنفسك ؟ .

ـ نعم كان لابد من ذلك . اذ ليست هنالك طريقة أستطيع أن أتأكد بها من وضع الكمية المناسبة من الليبو بروتين .

ـ ماذا تقول ؟ .

ـ أيها السادة : لقد قلتم لي انه من الضروري أن نقتل البعض لانقاذ الآخرين . ربما تكونون على صواب ، بل انكم أقنعتموني بذلك . ولكن لابد لنعرف تماما ماذا نحن فاعلون من التجربة على أنفسنا . وما الشطائر التي تناولتموها الا تجربة في هذا المجال .

قام بعض المسؤولين من كراسيهم وقالوا : لقد سممتنا .

قال رودمان : ليس ذلك بالأمر الأكيد . فأنا لا اعرف البنية الكيميائية لكل منكم تماما ، لذلك لا استطيع أن أضمن نسبة ٧٠٪ التي تحدثتم عنها .

حدقوا فيه بأعين جمدها الفزع ، بينما تابع رودمان .

ـ على أنه من المرجح أن يموت اثنان أوثلاثة منكم خلال هذا الاسبوع . وماعليكم الا الانتظار لمعرفة من سيكونون . ليس هنالك دواء أو ترياق ، ولكن لاتقلقوا فهو موت غير مؤلم .

وستكون يد الله هي القاضية ـ كما ذكر أحدكم . . وهو درس مفيد كما ذكر آخر . وفيما يتعلق بالذين سيعيشون منكم فقد تتغير آراؤهم حول الموت الانتقائي

قال أفار : انك تخادعنا . فقد أكلت من الشطائر مثلنا .

رودمان : نعم لقد حضرت الليبو بروتين بصورة تناسب بنيتي الكيميائية الحيوية بحيث أن موتي سيكون أكيد وسريعا . وأغلق وهو يقول :

عليكم أن تستمروا بدوني . . . أعني أولئك الذين سيعيشون منكم . □



قضية

عنصرية جديدة !

تحليل في الدوافع والاهداف

بقلم : فارس المنصوري *

في رمضان الماضي نشرت صحيفة « صن » SUN اليومية الواسعة الانتشار «كاريكاتورا» يصور مجموعة من الخنازير وهي تتظاهر بغضب أمام مطابع واينغ (التي تصدر عنها هذه الصحيفة اللندنية) بينما يقول الشرطي الذي يحرس البناية : « المشكلة هي أن الخنازير تحتج على تسميتها عربا !! »

وفيما يلي قصة هذا الكاريكاتور الذي رسمه فرانكلين : قبل فترة صدرت « الصن » وهي تحمل عنوانا رئيسيا في صفحتها الأولى يقول : « خنزير عربي يتسلل عائدا الى بريطانيا ، اركلوه الى الخارج !» والمقصود مواطن ليبي عاد الى بريطانيا ، فاذا بالصحيفة المذكورة التي توزع حوالي أربعة ملايين نسخة يوميا تتهمه بالانتماء الى مجموعة الليبيين الذين رحلتهم السلطات البريطانية من أراضيها ، اثر حادث مصرع الشرطية ايفون فليتشر أمام السفارة الليبية في ابريل ١٩٨٤ .

على أن أحد المواطنين البريطانيين استاء من العنوان العنصري الذي يشتم العرب دونما تمييز ، وقدم شكوى الى مجلس الصحافة البريطاني الذي يشرف على التزام الصحف بالقواعد الاخلاقية والمهنية .

لكن هذا المجلس بعد البحث والتداول في موضوع الشكوى أصدر حكمه بأن عنوان « الصن » لم يكن عنصريا ، مبررا قراره على النحو التالي : صحيح أن العنوان كان مسيئا ومهينا ، وذلك ما قصد به فعلا ، وصحيح أن الصحيفة اتخذت في هذا

* باحث وكاتب عربي يقيم في اقليم الاندلس الاسباني ، له دراسات وبحوث تتناول الصهيونية والمواقف الغربية من القضايا العربية والاسلامية .

العنوان موقفا بعيدا عن الموضوعية المطلوبة في كتابة العناوين ، الا أن عبارة « خنزير عربي » مع أنها شديدة ، ليست عنصرية في اعتبار المجلس ، وبالتالي لن يصدر حكم زجر بحق الصحيفة .

وكانت نتيجة هذه التبرئة ان عادت « الصن » فأكدت على موقفها العنصري المهين للعرب جميعا وللمسلمين بنشرها ذلك الكاريكاتور الذي لم تعرف الصحافة البريطانية مثيلا له في القسوة المتناهية منذ الحرب العالمية الثانية .

هذا الحادث أثار ثائرة العرب في لندن ، وأعادات إحدى الصحف العربية الصادرة في العاصمة البريطانية نشر كاريكاتور فرانكلن ، واضعة اياه في صدر صفحتها الأولى تحت العنوان : « يا عرب .. الى متى السكوت على الاهانات ! »

وفورا وضع العرب اللوم على اليهود والصهيونية ، مشيرين الى مسؤولية روبرت مردوخ صاحب مجموعة الصحف التي تضم « الصن » « والصنداي تايمز » و « التايمز » وهو يهودي صهيوني ، والواقع أن هذا المليارديرالاسترالي الذي يمتلك عددا كبيرا من الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الانتاج السينمائي والتلفزيوني في مختلف أنحاء العالم ، من استراليا الى بريطانيا وأفريقيا والولايات المتحدة وكندا ، ليس يهوديا ، وانما هو ابن قسيس مسيحي بروتستانتي ، ولا تربطه علاقة دم باليهود ، ولو أن العرب قاموا ببحث تاريخ هذا الرجل وأصله وسيرته ، وهذه المعلومات متوفرة في الكتب والمراجع العامة ، لتيقنوا من مسيحيته الخالصة ، لكنهم افترضوا أن مردوخ اسم يهودي ، وغاب عن ادراكهم أنه اسم اسكتلندي قح وشائع بين الاسكتلنديين ، وبين المشاهير الذين يحملون هذا الاسم في الحاضر الروائية البريطانية المعروفة آيريس مردوخ المرشحة لنيل جائزة نوبل للآداب .

ذكرنا أن مردوخ ابن قسيس بروتستانتي ، اسكتلندي الأصل ، على ان هذا لا يعني مطلقا أن موقف صحفه المناهض للعرب ناجم بالضرورة عن خلفيته المسيحية ، فالواقع أن العداء الغربي للعرب يمكن تشبيهه بالسور الكبير الذي تدخل في بنيانه أحجار ولبنات متعددة النوع والمصدر ، ولدراسة ظاهرة العداء وتحليلها بشكل تشريحي موضوعي يستهدف اكتشاف الاسباب الكامنة وراء هذا الموقف الذي تساهم في تكوينه الأهواء العنصرية والدينية والاجتماعية ، والدوافع السياسية والاقتصادية ، لابد من العودة الى أواخر القرن الماضي لتتبع الخيط الى بدايته .

وفيما كان العرب والمسلمون يظهرون بشكل سلبي في السينما والتلفزيون وحتى المسرح ، كان اليهود يقحمون اقحاما في افلام سينمائية وتلفزيونية تمتلىء بالتمجيد والمديح لهم ، ولدينا نموذج على ذلك في فيلم « غاندي » من اخراج البريطاني (غير اليهودي) رشارد انتبورو ، ففي هذا الفيلم الذي يسجل سيرة الزعيم الهندي صاحب مذهب المقاومة بلا عنف ، شاهد مشهدا أقحم اقحاما في القصة ، فان أحد الرجال البيض الذين ينضمون الى صفوف غاندي أثناء مقاومته للتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا في أوائل هذا القرن ، يظهر وهو يرتدي نجمة داود حول عنقه ، لافهام المشاهد أنه يهودي ، اقتنع برسالة غاندي وجاهد معه ، هذا الرجل الذي يظهر مرتين في الفيلم ،دون أن يشكل هذا الظهور أي اضافة للقصة وسياقها ، فضلا عن أن موضة ارتداء نجمة داود لم تنتشر بين اليهود الا ابتداء من الخمسينيات ، بينما يعود المشهدان المذكوران الى فترة تاريخية تسبق ذلك بعشرات السنين . لكن المسألة تتعلق بالتركيز على اليهود ودورهم في صنع الأحداث الكبرى أينما حدثت .

هذه النغمة التمجيدية أصبحت ظاهرة من ظواهر عصرنا ، نسمعها في الاذاعة ، ونشاهدها في التلفزيون والسينما والمسرح ، ونقرأها في الصحف والكتب ، ومؤخرا وجدت هذه الظاهرة واسطة جديدة لها في شكل لعبة منزلية ظهرت مؤخرا واكتسحت العالم وأضحت اليوم اللعبة المنزلية الاولى ، اذ درت على أصحابها الامريكان مئات الملايين من الدولارات ، وفاقت مبيعاتها جميع مبيعات الألعاب المنزلية الأخرى مجتمعة ، وبينها ألعاب كلاسيكية ذات تاريخ طويل وشعبية واسعة ، مثل سكرابل ومونوبولي اخ . . .

وتقوم « انشغالات تافهة » وهذا هو اسم اللعبة على مبدأ بسيط هو : المعلومات العامة ، فاللاعب الذي يمكن أن يتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسبعين

يلعب على لوحة مقسمة الى خانات ملونة عديدة ، وعليه تحريك مركبته عبر هذه الخانات حسب الرقم الوارد في النرد ، وكلما تحط مركبته على خانة يسحب غريمه بطاقة تحمل نفس لون تلك الخانة ، ويطلب منه الاجابة على سؤال وارد في البطاقة ، علما بأن الجواب الصحيح مطبوع فيها الى جانب السؤال ، وتحتوي البطاقات على ستة آلاف سؤال منتقاة من الجغرافيا والتاريخ والسياسة والعلوم والرياضة والفنون والطبيعة وعالم التسلية .

وقد أطلق واضعو اللعبة الامريكان على لعبتهم اسما يوحي بأنها في عداد الهوايات أو الانشغالات التافهة القليلة الأهمية والجدية ، وذلك لتطمين الجمهور وافهامه أن الأسئلة ليست من الوزن الثقيل ، وانما هي خفيفة مسلية . . ومثالية لتمضية أوقات الفراغ مع الاصدقاء .

بيد أن العربي الذي يطلع على الأسئلة في النسخة الاصلية الانجليزية (وهي التي ترجمت عنها النسخ الأخرى) سيجد أن عددا لايستهان به من هذه الاسئلة يتوخى ترويج أفكار مسبقة ذات طابع تلقيني بحت .

وهذه هي الأسئلة المتعلقة بالعرب . . و « اسرائيل » .

فبالنسبة « لاسرائيل » نعثر على الأسئلة التالية :

- ما هي عاصمة « اسرائيل » ؟ الجواب : القدس

ولايذكر واضعو اللعبة أن الدولتين الوحيدتين اللتين اعترفتا بالقدس عاصمة شرعية « لاسرائيل » هما كوستاريكا وليبيريا ، وانهما قد فعلتا ذلك تحت وطأة الضغط الأمريكي الشديد .

- من هو أول رئيس وزراء اسرائيلي ؟ في أي بلاد يقع ميناء حيفا ؟ كم عدد الاشرطة في علم « اسرائيل » ؟

- كم عدد الرهائن الذين قتلوا في غارة عينتيبة ؟ كم عدد الكوماندوس الاسرائيليين الذين قتلوا في غارة عينتيبة ؟

- أين اختطف الكوماندوس الاسرائيليون أدولف ايخمان ؟ على أي عين كان موشي ديان يضع عصابته ؟

- كم عدد الرياضيين الاسرائيليين الذين قتلوا أثناء الألعاب الأولمبية في ميونخ ؟

- ما اسم الدولة المتاخمة للبنان وسوريا والأردن ومصر ؟ ما اسم الدولتين المتاخمتين للبحر الميت ؟

- أي زعماء ثلاثة وقعوا على اتفاقية كمب ديفيد ؟

ثم :

- أي رئيس وزراء اسرائيلي قضى سنتين في معسكر اعتقال روسي ؟ الجواب مناحيم بيغن .

وفي مقابل هذه الاسئلة الموجهة التي تدور حول جغرافية « اسرائيل » وتتناول زعماء « اسرائيل » وبطولات « اسرائيل » ، نجد حفنة من الاسئلة تتعلق بالعرب :

- بأي يد لايأكل البدوي الذي يقطن الصحراء ؟

- كم عدد الأنهار الموجودة في العربية السعودية ؟ الجواب : لاتوجد أنهار .

- ما هي الدولة العربية الوحيدة بلا صحراء ؟ الجواب : لبنان

- أي دولة صحراوية تتاخم السعودية والعراق والخليج العربي ؟ الجواب : الكويت

نرى في هذه الأسئلة عزفا واضحا على الفكرة العنصرية القديمة التي تؤكد على صحراوية الوطن العربي وبداوة الفرد العربي ، واستكمالا لهذه الصورة السلبية التي ترسمها الأسئلة للشخصية العربية ، نجد أسئلة أخرى تضيف تشويها للنضال الفلسطيني الى هذه الملامح الكئيبة .

- من هو الشخص الوحيد الذي ألقى كلمة في منظمة الأمم المتحدة وهو متمنطق بمسدس ؟

وطبعا الجواب معروف سلفا . فالشخص المقصود هو ذلك « الارهابي السيىء الصيت » ياسر عرفات . وهكذا يوضع « الارهابي » عرفات مقابل المناضل في سبيل الحرية والديمقراطية « الذي سحقه الروس في معسكرات الاعتقال القاسية : مناحيم بيغن !

من بين ستة آلاف سؤال تتناول شتى المواضيع في التاريخ والجغرافيا والفنون والسياسة والعلوم والرياضة والطبيعة ، الأسئلة التي ذكرناها هي الوحيدة المتعلقة بالعرب والمسلمين .

وليس من باب الصدفة أن يفوز ليون أوريس الكاتب الأمريكي الصهيوني بحصة الأسد بين اسئلة « انشغالات تافهة » ، فانه الكاتب الوحيد الذي يتناوله أكثر من سؤال واحد ، وهو شرف لم ينله أدباء

س ورن تولستوي وبلزاك وغوته وهوميروس وسرفانتس . رغم ما يشبه الاجماع على ضحالة موهبته الأدبية ، وطبعا أهم سؤال يدور حول كتب أوريس هو التالي : -

- أية رواية من روايات ليون أوريس تناولت مولد « اسرائيل » ؟

والملاحظ أن العرب يركزون ردود فعلهم الارتجالية على مظاهر العداء دون جوهره ، ولا ريب في أن كاريكاتور « الص » جارح ومهين ، الا أنه في نهاية المطاف مجرد وقاحة وتفاهة .

ان الأخطر بكثير من هذا الكاريكاتور وما شابه ذلك « هو الاتجاه المعادي المدروس الذي شاهدناه في لعبة « انشغالات تافهة » الذي يرمي الى النيل من سمعة العرب والمسلمين على صعيد العالم .

فاللعبة المذكورة صدرت حتى الآن في نسخ فرنسية واسبانية وألمانية وايطالية وبرتغالية ويابانية وهندية الى جانب النسخة الانجليزية الاصلية ، وفي كل نسخة من هذه النسخ التي تباع بالملايين ، تتكرر الصورة المعيبة للشخصية العربية ، صورة الشخصية الصحراويه التي تحيا وسط اجواء الارهاب والاغتيال والتخلف الحضاري ، ولاشك أن جيلا كاملا سينشأ في العالم ، بشقيه الشرقي والغربي ، وهو على ايمان تام بأن القدس هي العاصمة التاريخية الشرعية المعترف بها دوليا لدولة « اسرائيل » الديمقراطية المحبة للسلام !

والمفارقة المؤلمة أن شركة « تريفيال بيرسيوت » تعمل حاليا بجد ونشاط على تسويق النسخة العربية المعدة خصيصا لنا ، لو أننا لانظن أنها ستذهب الى حد وضع سؤال عن عاصمة فلسطين ، فالقدس لايمكن أن تكون عاصمة « اسرائيل » وفلسطين في آن واحد ، كما أنها ستدرج بين قائمة أسئلتها أسئلة حول المقاومة الفلسطينية وشرعيتها التي لاتقبل الجدل ، ولكنها على الأرجح ستخصص الكثير من الاسئلة عن التراث العربي الاسلامي ، فهي بعد أن حجبت ذكر أية اشارة الى هذا التراث في نسخها الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية واليابانية والهندية والصينية و. و ستتكرم على العرب بتذكيرهم بأمجادهم في التاريخ من أجل وضع اليد على أموالهم.

وهكذا يمكن القول بأن شركة تريفيال بيرسيوت تستحق التهنئة على شطارتها الفائقة ، فهي بعد أن لوثت سمعة العرب ومرغتها في الأوحال ، جاءت الآن لتنال مكافأتها المادية الدسمة منهم !!!! □

منتدى العربي

تعقيب على مقال : صور المحاربين من تاريخنا

بقلم : ابراهيم ونوس

عودتنا مجلة العربي منذ صدور أول عدد منها حتى اليوم على دقة المعلومات التي ترد في كتاباتها وبأقلام كتابها المرموقين ، واذا ماحدث خطأ ما فمرده الى السهو من المحرر الذي يراجع المقال قبل اجازته للنشر ، وجل من لا يخطىء . . .

أقول هذه الكلمات بعد أن قرأت مقال الدكتور هاشم ياغي بالعدد ٣٣٢ من مجلة العربي بعنوان « صور المحاربين في تاريخنا » . . يستعرض فيه صور

المقاتلين العرب في الجاهلية ، وصدر الاسلام ، وفي مرحلة تمزق الدولة الاسلامية الى إمارات وولايات شبه مستقلة في القرن الرابع الهجري .. وعندما يصل الى رسم الصورة الثالثة للمحاربين ، المتمثلة بجيش الأمير الحمداني سيف الدولة يقول : ص ١١١ من مجلة العربي » :

ـ « أما الصورة الثالثة التي وددت أن أشير اليها من صور المحاربين في تاريخنا فهي صورة جيش الأمير سيف الدولة الحمداني الذي كان يقف رغم صغر امارته على الحدود بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية وقفة شجاعة ، وان كانت تتكيء على جيش يغاير في تركيبه جيش القبائل في الجاهلية ، وجيش المسلمين في الفتوح .. فقد كان خليطا من أقوام متعددة الجنسيات ، في عصر اقطاعي غرق في أسواق الرقيق الذي أفاد منها سيف الدولة ، فأنشأ ذلك الجيش الذي يصفه الشاعر الكبير المتنبي بقوله :

أتوك يجرون الحديد كأنهم
سروْا بجياد مالهن قوائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة
فما يفهم الحداث الا التراجم

والحقيقة التاريخية تخالف هذا القول تماما ، فجيش سيف الدولة كان بغالبيته من أبناء أفخاذ بكر بن وائل ، عشيرته تغلب ، وشيبان وغيرهما ، وأبناء القبائل العربية الأخرى التي كانت تسكن بوادي ومدن شمال بلاد الشام ، كبني كلاب ، وقشير ، ونمير ، وبلعجلان وتنوخ وغيرهم .. وهذه القبائل كانت تسكن المناطق التي تمتد من الموصل ، وديار بكر شرقا ، الى أنطاكية واللاذقية غربا ، و « من حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية شمالا ، حتى بوادي « سلمية » و « تدمر » و« حسباء » جنوبا .. واذا وجد في جيشه بعض الغلمان والقادة من غير العرب ، فهم قلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ، ذكر لنا التاريخ أسماء بعض منهم « يماك » و « قرعويه » و « نجا » ..

والشاعر أبو الطيب المتنبي لم يصف في الأبيات التي أوردها كاتب المقال جيش الأمير سيف الدولة .. بل وصف بها جيش الروم الكبير الذي هزمه سيف الدولة شر هزيمة في معركة « الحدث الكبرى » عام ٣٤٣ هـ

والحدث قلعة قديمة على حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية ، حربها وأحرقها القائد البيزنطي «الدمستق فردس فقاس » سنة ٣٣٧ هـ فقرر الأمير سيف الدولة في ١٧ جمادى الثانية من عام ٣٤٣ هـ ، احتلالها واعادة ترميم حصونها وجدرانها ، كي يجعل منها قاعدة عسكرية متقدمة لقواته ، ويحرم العدو البيزنطي من الاستفادة منها في عملياته الحربية ، وفيما كان سيف الدولة منهمكا مع قادته وجيشه وعماله في بناء حصون القلعة تقدم القائد البيزنطي نحو القلعة بجيش عرمرم من اليونان والبلغار والخزر والصقالبة والروس والأرمن ، زاد عن خمسين ألفا بين فارس وراجل ..

وعندما وصل الجيش البيزنطي الى أرض المعركة ، أعطى القائد أوامره بمحاصرة قلعة الحدث . فتم له هذا ..

تم حصار الروم لجيش سيف الدولة في أصيل أحد أيام أواخر جمادى الثانية من عام ٣٤٣ هـ ، وكان الأمير سيف الدولة قد علم مسبقا ماذا سوف يفعل القائد الرومي ، وقد هيأ نفسه له ، فقرر أن يخوض معركته المريعة في صباح اليوم التالي . فأمر وحدات الصدمة الرئيسية في جيشه أن تتهيأ خلال الليل ، وعددها حوالى خمسة عشر ألفا بين فارس وراجل ، بقيادة ابن عمه الأمير أبي فراس الحمداني ومحمد وهبة الله ابني أخي سيف الدولة ، وناصر الدولة أمير مدينة الموصل في تلك المرحلة من التاريخ ، « ونحيا » غلام سيف الدولة ، وأبقى الأمير سيف الدولة خمسة آلاف من خيالة البدو الخفيفة بامرته لحسم المعركة في الوقت المناسب ..

مع نزوع أول ضوء في سلخ جمادى الثانية ، تقدم أبو فراس بقوام جيشه وهاجم جيش الروم بعنف وضراوة ، ومن مكان لم يكن يتوقعه القائد البيزنطي ، وهو اتجاه حصن من حصون القلعة يسمى « الأحيدب » .. دارت معركة رهيبة جدا لم يذكر التاريخ لها مثيلا في تلك الحقبة .. أبدى الأمير سيف الدولة حنكة ، وفنا قياديا عالي المستوى ، وتخطيطا مدهشا ، وشجاعة فائقة .. وبعد مرور بضع

ساعات على بدء المعركة ، والروم يعتقدون أنهم الغالبون ، وفي الوقت المناسب الذي خطط له الأمير سيف الدولة . . بدأ هجومه السريع بخيالته الخفيفة من فرسان البدو المعروفين بخبراتهم القتالية العالية باتجاه قلب الجيش البيزنطي ، وشق طريقه بهم بين صفوف الجيش المعادي ، ومعه أبو الطيب المتنبي ، حتى وصل الى مقر قيادة الجيش البيزنطي فلم ير أمامه سوى الفرار والنجاة من سيف الدولة . . ففر بسرعة ، وترك جيشه طعما لسيوف جنود سيف الدولة . . وقبل غروب شمس ذلك اليوم ، كان جيش حلب يسيطر سيطرة كاملة على الموقف ، بعد ابادة جيش الروم بكامله تقريبا ، وقتل في هذه المعركة ابن وصهره ، وابن عمه ، وزوج أخته . . وانتشرت جثث عشرات آلاف من القتلى من جيش الروم فوق أرض المعركة . . فأهاج هذا المنظر المريع شاعرية أبي الطيب المتنبي ، فنظم قصيدته التي يصف فيها المعركة ذات المطلع :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وأنشدها أمام الأمير سيف الدولة ، وجنده المنتصرين ، والعمال العرب يبنون آخر شرفة في قلعة الحدث . .

وفي هذه القصيدة يصف أبو الطيب الأمير سيف الدولة أثناء المعركة فيقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

ويصف أبو الطيب جيش الروم ، وليس كما ذكر كاتب المقال جيش سيف الدولة . . فيقول :

١٦ ـ أتوك يجرون الحديد كأنهم
سروا بجياد ما لهن قوائم
١٧ ـ اذا برقوا لم تعرف البيض منهم
ثيابهم من مثلها ، والعمائم
١٨ ـ خميس بشرق الارض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
١٩ ـ تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهم الحداث الا التراجم

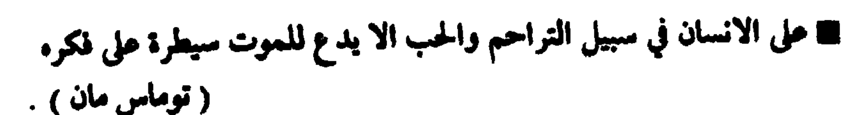
قال أبو البقاء العكبري في شرحه للبيت رقم ١٧ من القصيدة مايلي :

ـ « المعنى : جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد ، والبريق اللمعان ، يفرق بين سيوفهم وبينهم ، لأن على رؤسهم البيض والمغافر ، وثيابهم الدروع ، فهم كالسيوف ، وقد فسره بقوله : « من مثلها » . . أي مثل السيوف ، يريد من الحديد وأشار بهذا الوصف ، أعنى كثرة سلاح هذا الجيش الى قوته ، وبما ذكره عن هذه الهيئة الى شدته ، وسمعت بعضهم ، وكان شيخا يقرأ عليه الديوان يقول : « أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العمائم ، والعمائم للعرب . . وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ » فضحكت من قوله ، وقلت له : « الضمير في « مثلها الى أين يعود ؟ اليس الى البيض وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت » .

وبذا يتبين لنا أن أبا الطيب المتنبي في الأبيات التي أوردها الكاتب في مقاله ، يصف فيها جيش الروم ، وليس جيش سيف الدولة ،فجيش سيف الدولة كانت وحداته متجانسة تماما ـ كما قلت سابقا ـ ويجمع بين الصورة الاولى التي رسمها الكاتب للمحاربين العرب في العصر الجاهلي ، لأن جيش سيف الدولة بمعظمه كان من أفخاذ قبيلة بكر بن وائل ، والصورة الثانية للمحاربين المسلمين الأوائل ، الذين كانوا يقاتلون لهدف سام ، وتأدية رسالة عظيمة خالدة هي رسالة الاسلام . .

وبعد . . أرجو للدكتور هاشم ياغي كاتب المقال التوفيق . . والى مجلة العربي المزيد من السمو والمجد . . لأنها أتاحت لنا مثل هذا اللقاء على صفحاتها ، والله ولي التوفيق . .

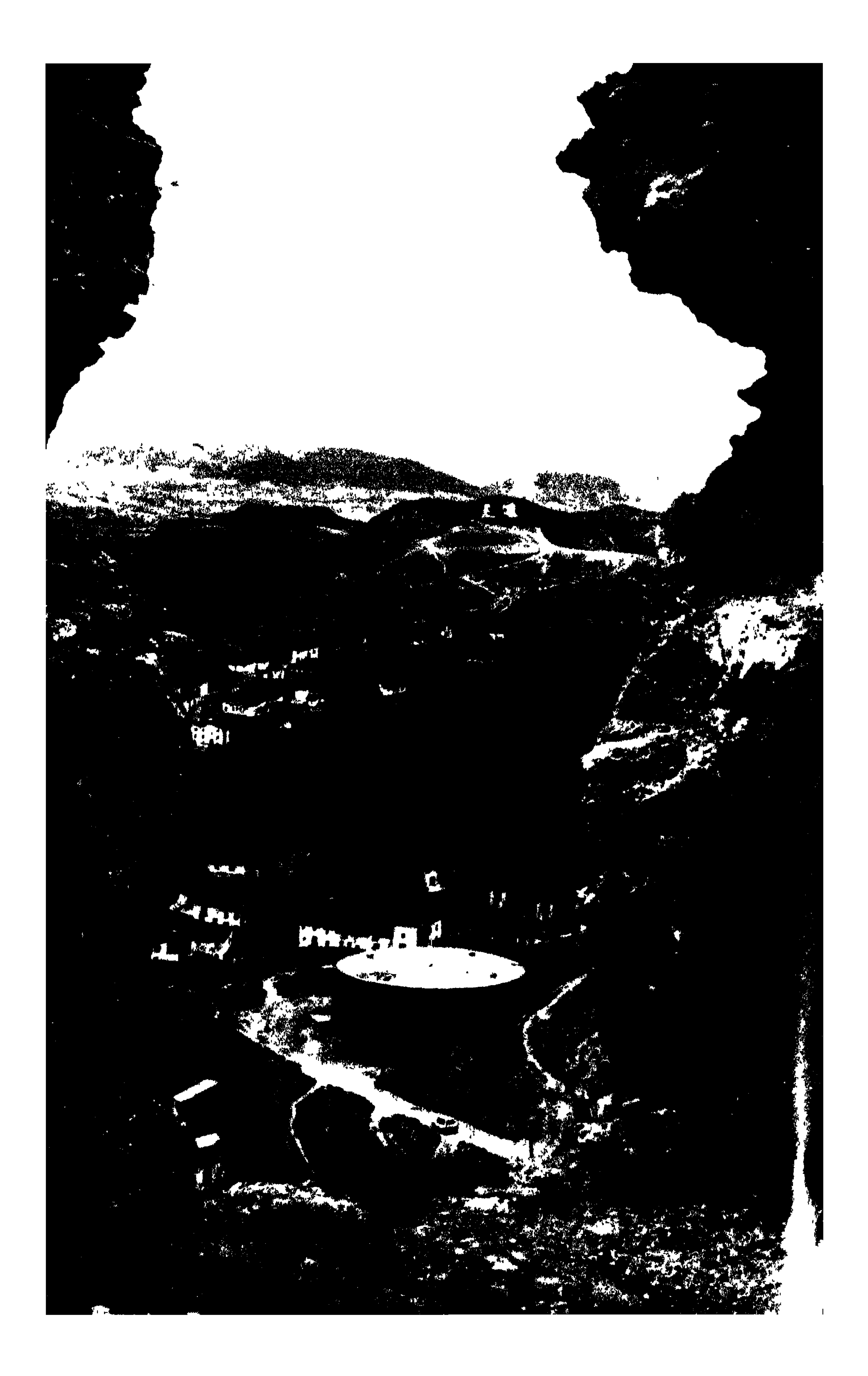
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . □



■ على الانسان في سبيل التراحم والحب الا يدع للموت سيطرة على فكره (توماس مان) .



فوق/ في هذا الموقع اكتشف العرب المياه المعدنية .. وقد شيدت مبان حديثة يؤمها السائحون للاستشفاء .
في الشمال/ قطعة في أحد جدران القلعة العربية ، أكلها الزمن ...



كثر الحديث عن جنوب أسبانيا وآثار العرب في الأندلس ، وامتشق كتاب كثيرون أقلامهم ، وأطنبوا في الوصف والقول ، ولكن . . ماذا عن وجود العرب وآثارهم في الشمال ؟ ألا يجدر بنا أن نقف وقفة تستطلع وتتأمل . . وتروي ؟

أما عن الوجود العربي في الشمال الأسباني فقد كان قصيراً نسبياً اذا قورن بمئات السنين التي قضاها العرب في الجنوب ، ولكنه كان وجوداً فاعلاً مؤثراً . ترى آثاره ماثلة في أكثر من مجال ، وما أبراج الموحدين في طوريل وقصر الجعفرية في سرقسطة وقلعة أيوب في البلدة التي تحمل الاسم ذاته الا شواهد عدل .

كانت بلنسية وجهتنا ، وهي المدينة الثالثة من حيث الأهمية بين مدن أسبانيا ، وتأتي بعد مدريد وبرشلونة . يبلغ عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة ، وترتبط بمدريد بخط حديدي ، وبطريق بري طوله حوالي ٣٢٠كم ، وهي تبعد عن شاطيء البحر ٤كم .

وبلنسية مدينة تشتهر أرضها بالخصب ، وبكثرة الأشجار والبساتين ، وكان العرب يصفونها بقولهم أنها أرض التراب ، لجودة تربتها ، وسعة رقعة الأرض الزراعية فيها ، وهي كثيرة الجنائن ، كانوا ـ أي العرب ـ اذا أحبوا بلدا تمنوا له جنائن بلنسية ونخيل البصرة .

فتحها طارق بن زياد في عام ٧١٤ م ، واستردها الاسبان في عام ١٢٣٨ ، وحفلت حياتها ـ بين هذين التاريخين ـ بأحداث جسام ، وظهر فيها غير قليل من الأدباء والعلماء والشعراء . ظلت بلنسية ـ بعد زوال الحكم العربي عنها وعن اسبانيا بعامة ـ معقلا رئيسيا من معاقل الموريسكيين ـ وهم العرب المتنصرون ـ لأكثر من قرن من الزمن ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تحتفظ الا بالقليل النادر من الآثار العربية ، أما العادات والتقاليد فلا تستطيع أن تنسب للعرب منها شيئا يذكر ، ويلفت انتباه المتجول في شوارعها أسماء عربية كشارع الرصافة الذي يؤدي الى حي يعرف بهذا الاسم أيضا ، فهل أن موقعها الحالي هو ذات الموقع الذي وجدا فيه أيام الحكم العربي للمدينة ؟ توجهنا بهذا السؤال الى السيد (أرتير كلافير) المرافق الذي كلفه بالطواف معنا معهد السياحة التابع لجامعة بلنسية فأجاب :

« نحن نعلم أنه قد كان في بلنسية القديمة (على عهد العرب) شارع وحي يحملان هذا الاسم ، ولكننا الآن ، وبعد مضي ٧٥٠ سنة على زوال الحكم العربي للمدينة ، لا نستطيع أن نحدد المواقع ، وأن نحزم في القول بأن مـ لشارع وذلك الحي يقعان في موقع الشارع والحي القديمين ، فليس لدينا مرشد جغرافي يحدد مواقع المدينة القديمة بدقة ، ولكنني أؤكد بأنهما قديمان نسبيا » .

يمتد شارع الرصافة من حلبة مصارعة الثيران ، ثم يتقاطع مع شارع « خوسيه انطونيو) وهو شارع تجاري مهم ، تكثر في وسطه أشجار النخيل ، يقول السيد (كلافير) : « أما عن النخيل فلا أحد يماري في أن العرب قد جاءوا به الى بلنسية ، والى غيرها من المدن الاسبانية ، تماما مثلما جلبوا لنا أشجار البرتقال وزراعة الأرز وصناعة الحلويات ، والعناية بتربية النحل بغية الانتفاع بالعسل » . ويصحبنا مرافقنا الى عدد من الأحياء القديمة في المدينة ويقول : « ان الطابع المميز لهذه الأحياء هو الطابع العربي ،

فالشوارع الضيقة والنوافذ البارزة ، تحمل طابعا عربيا ملحوظا » .

في السوق :

واتجهنا الى ميدان يقال له « ميدان السوق » وهو سوق عربي قديم ، يقول مرافقنا : « ما زال هذا الميدان يعرف بالسوق العربي ، وقد قلّت أهميته الآن ، ولكنه ظل حتى القرن الثامن عشر مركزا تجاريا مهما ، حيث كان الباعة يأتون اليه بما يحملون من بضائع مختلفة ، ويحتشد الناس هنا في أيام محددة من الأسبوع يتبادلون البيع والشراء » .

ولا تبعد كاتدرائية بلنسية ببنائها القديم الضخم عن السوق كثيرا . ويقال في تاريخها أنها كانت كنيسة في عهد الرومان ، ولكن العرب جعلوا منها جامعا كبيرا ، ولما استرد الاسبان المدينة من العرب هدموا الجامع وبقي منه عمود ، وشيدوا الكاتدرائية في مكان الجامع ، وظل العمود الذي لم يهدم يشغل ركنا من أركان الكاتدرائية .

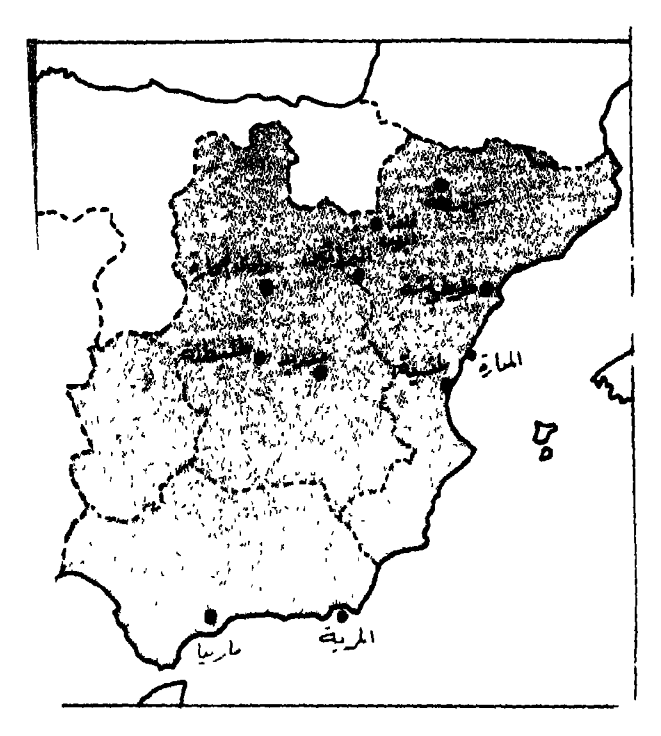
ويشير علينا المرافق بالذهاب الى الحمامات العربية ، فلما بلغناها وجدنا أنها قد تحولت الى نادٍ رياضي ، ولم يبق منها الا باب قديم !

وكان يحيط بمدينة بلنسية سور له أبواب عدة ، منها ما يعرف الآن « بالباب العربي » وقد هدم السور في عام ١٨٧١ ، وزالت الأبواب جميعا ، ما عدا هذا الباب الذي ظل شاهدا على أن العرب قد مروا من تحت سقفه !

في الملبس والمأكل :

قصدنا بيتا من بيوت الأزياء التراثية ، وسألنا عن امكانية العثور على ملابس أندلسية ، فوجدنا منها نماذج عدة ، وهي نسائية في معظمها ، ولكن أحدا من الناس لا يلبسها ، بل تظهر في المناسبات العامة ، كالاحتفالات بأيام مدينة بلنسية من كل عام ، كما تظهر على خشبات دور العرض المسرحي اذا كانت الشخصيات ترجع في زمانها الى عهد العرب .

أما في المأكل فهناك « طبخة » عربية تحظى بشعبية واسعة في بلنسية بخاصة وفي اسبانيا بعامة ، يقول (البلنسيون) انهم هم الذين ورثوا هذه الوجبة عن



المطبخ العربي القديم ، واحتفوا بها وطوروها ، ثم نقلت عنهم الى مدن اسبانيا ، انها « البائية » كما يلفظها الاسبان أو « البقية » كما يعرفها العرب في بلاد الشام بخاصة ، يقال في أصلها العربي انها تتألف من بقايا بعض الأطعمة كالخضار والدجاج والأسماك والأرانب ، كانوا اذا بقي لديهم كميات قليلة من هذه الأطعمة يحتفظون بها ، ثم تجمعْ كلها أو بعضها في قدر واحد ، بعد أن يضاف اليه الأرز لتقدم مرة أخرى ، بعد أن اكتسبت من « جمعها » مذاقا جديدا . أما التطور الذي لقيته على يد الاسبان فهو يتمثل في اختيار نوع واحد من اللحوم يضاف اليه الخضار والأرز ، يمكنك أن تذهب - اذن - الى أي من المطاعم المتخصصة بطبخها ، لتطلب « بائية » بالأرانب ، أو بالدجاج ، أو بالسمك وهكذا ، ويلح الناس في طلبها في أيام الآحاد وفي الأعياد والمناسبات العامة . وقد تذوقنا هذا الطبق الشهي في أحد المطاعم الكبيرة بدعوة من معهد السياحة .

النواعير والبراكات :

ومن آثار العرب الباقية في ريف بلنسية النواعير ، وهي احدى وسائل الري التي أخذ بها الزراع

فوق/ السور الذي بناه العرب حول قرية البراثين وقد بقيت معظم أجزائه

الي اليمين/ أحد الأزقة في قرية البراثين وقد احتفظ بطابعه العربي القديم .

الي الشمال/ برج من أبراج الموحدين الأربعة التي شيدوها في مدينة طوريل وفيها تبدو دقة الزخارف وتناسق الألوان .





العرب ، والتي ما زالت قيد الاستعمال في كل من مصر وسوريا .

وللري في بلنسية قنوات وسواقي تثير الدهشة في كثرة تفرعاتها وحسن تنظيمها ، ان بساتين الريف المحيط بالمدينة تستقي الماء من النهر الأبيض ، منسابا في جداول عديدة وأقنية لا حصر لها ، نذكر منها قناة (مونكادا وتورموسى وراسكانا ومستالا وكورات وروبيلا ، وغيرها ، أما قناة (كورات) فمنتهاها في البحيرة ، وأما القنوات الأخرى فترجع الى النهر الأبيض مرة أخرى ، ثم تتوزع هذه القنوات في البساتين والأراضي الزراعية التي ترتوي منها في شُعَبٍ ومجارٍ يصعب الوقوف على عددها ، والفلاحون وأصحاب البساتين على دراية تامة بكيفية الانتفاع بمياه الري هذه ، وهم ينتخبون لكل قناة هيئة تشرف على توزيع المياه منها ، ويتألف من الهيئات جميعا ديوان الري .

قال محدثنا ودليلنا السيد (أرتير كلافير) وقد كنا نقف أمام أحد أبواب الكنيسة الكبرى في بلنسية : « في هذا المكان يجتمع ديوان الرى يوم الخميس من كل اسبوع ، هنا يلتقي الفلاحون وأصحاب المزارع والبساتين ، ويعرضون مشكلات الري وسقاية الأرض أمام قضاة ثمانية ، كل قاض يمثل ضاحية ، وفي هذه المحكمة العلنية يتم توزيع المياه بالعدل ، وتلك عادة جارية من أيام العرب الذين يرجع اليهم الفضل في تنظيم المياه وتوزيعها على هذا النحو المدهش » .

أما البراكة ويلفظها الاسبان « لابراكا » (وتجمع على براكات) فهي بيت عربي قديم ، كانت المساكن في منطقة « البوفيرة » - وهي تحريف لكلمة البحيرة العربية - تبنى على غراره ، ثم أخذ هذا الطراز من العمارة يندثر ، ولم يبق الآن الا نماذج قليلة لا تزيد عن عشر براكات ، ولعل الذي أغرى ببناء المساكن على هذا النمط أن أرض المنطقة رخوة ، تكثر فيها المستنقعات ، فهي قريبة من البحر ، ولا تحتمل أبنية كبيرة شاهقة . توجهنا الى احدى البراكات وكانت - بالصدفة - من أقدم ما تبقى منها . يسكن البراكة رجل عجوز في التاسعة والسبعين من العمر ، وزوجته البالغة ٧٦ سنة ، سألنا الرجل العجوز واسمه (انطونيو أراندا غارثيا) عما اذا كان قد سبق لوالده أن سكن هذه البراكة فأجاب بنعم ، وعما اذا كانت مساكن البحيرة كلها على غرار براكته فقال : نعم ، كل مساكن البحيرة كانت تتبع هذا النموذج من المساكن ، وقد حدث حريق كبير في منطقتنا أتى على معظم المباني المشيدة على هذا الطراز ، أنتم ترون أن البراكة تأخذ شكل مستطيل ، نقوم نحن بتقطيعه من الداخل الى غرف ومنافع صحية ، أما السقف (وهو على شكل العدد ٨) فيغطى بنوع من العشب يدوم طويلا ، لقد جددت عشب السقف منذ ٥٠ عاما ، أما البراكة المجاورة فقد جدد جاري عشب سقفها منذ ٧٥ عاما ، لقد ورثت هذه البراكة عن والدي ، وأظنها بنيت قبل حوالي ١٥٠ سنة ، لأننا - انا واخوتي الكبار - ولدنا ونشأنا فيها » .

*** هل هناك أناس مازالوا يحرصون على سكنى هذا النوع من المساكن ؟**

- الشباب من الجيل الجديد يعرفون عن سكناها ، ويفضلون البناء على الطراز الأوروبي الحديث ، ولكن السلطات المحلية في بلنسية لا تسمح بهدم ما تبقى من البراكات .

* أين ذهبت البراكات المماثلة اذن ؟

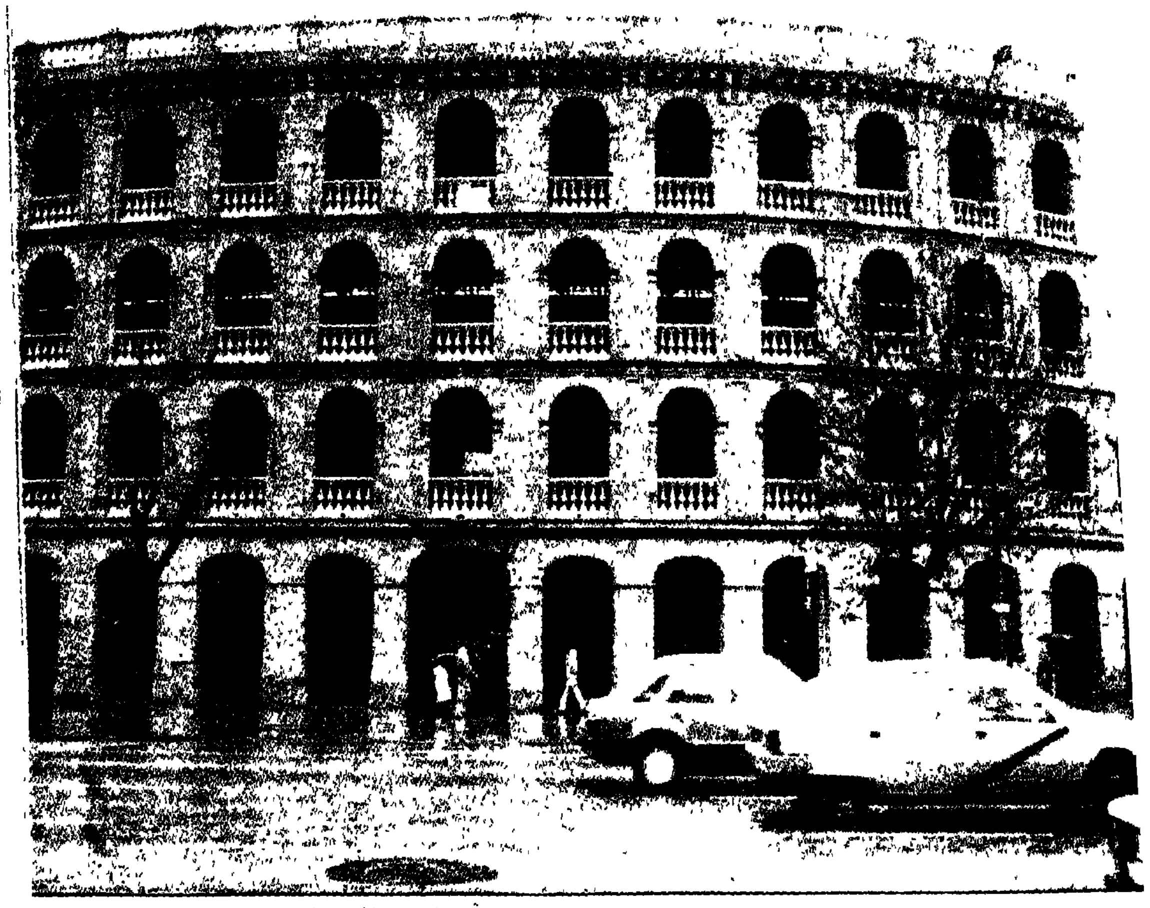
- زال كثير منها بفعل الحريق الذي أشرت اليه ، وقام الاهالي بهدم الجزء الأكبر لتحل محله مبان حديثة ، وقد صدر حديثا قانون يحظر على الناس هدمها ، بل ان بلدية بلنسية تدفع مساعدات مالية لاصلاح البراكات الحالية وترميمها وتجديدها .

*** هل يستطيع أحد من أبناء الجيل الجديد بناء براكة ؟**

- لايعرفون ، ولا يشغلون أنفسهم بها ، أما أنا ومن بقي من أبناء جيلي على قيد الحياة فنستطيع ذلك ، ولكننا لا نطيق بسبب ما ترى من عجز الشيخوخة .

ثم غادرنا البراكة شاكرين للعجوزين حسن استقبالنا ، واتجهنا الى ناحية السوق ، فدخلنا محلا يبيع عصيرا ، وتناولنا شرابا سائغا ، حلو المذاق ، أبيض اللون ، أشار به علينا رفيق دربنا المهندس (عدنان لبابيدي) وهو عربي الأصل من سوريا ، يحمل الجنسية الاسبانية .

سألنا البائع عن هذا الشراب وعن أصله فأجاب :



حلبة مصارعة الثيران في بلنسيه ، وتبدو عليها آثار العمارة الاسلامية .

« يصنع هذا الشراب ـ ويدعى تشوفا بالاسبانية ـ من حب أشبه بحب الحمص ، تنقع الحبوب بالماء ، ثم تدق في جرن ، ويضاف اليها ماء وسكر وقليل من عصير الليمون ، ويقدم باردا . نحن في بلنسية نعرف بأن العرب هم الذين أتوا بهذه الحبوب الينا . »

ويعقب رفيقنا المهندس العربي قائلا :

هذا الشراب شائع في بعض المدن السورية ، وهو يصنع من نفس الحبوب التي يصنع منها في بلنسية ، والناس هناك يدعونها « حب العزيز » .

في الطريق الى سرقسطة :

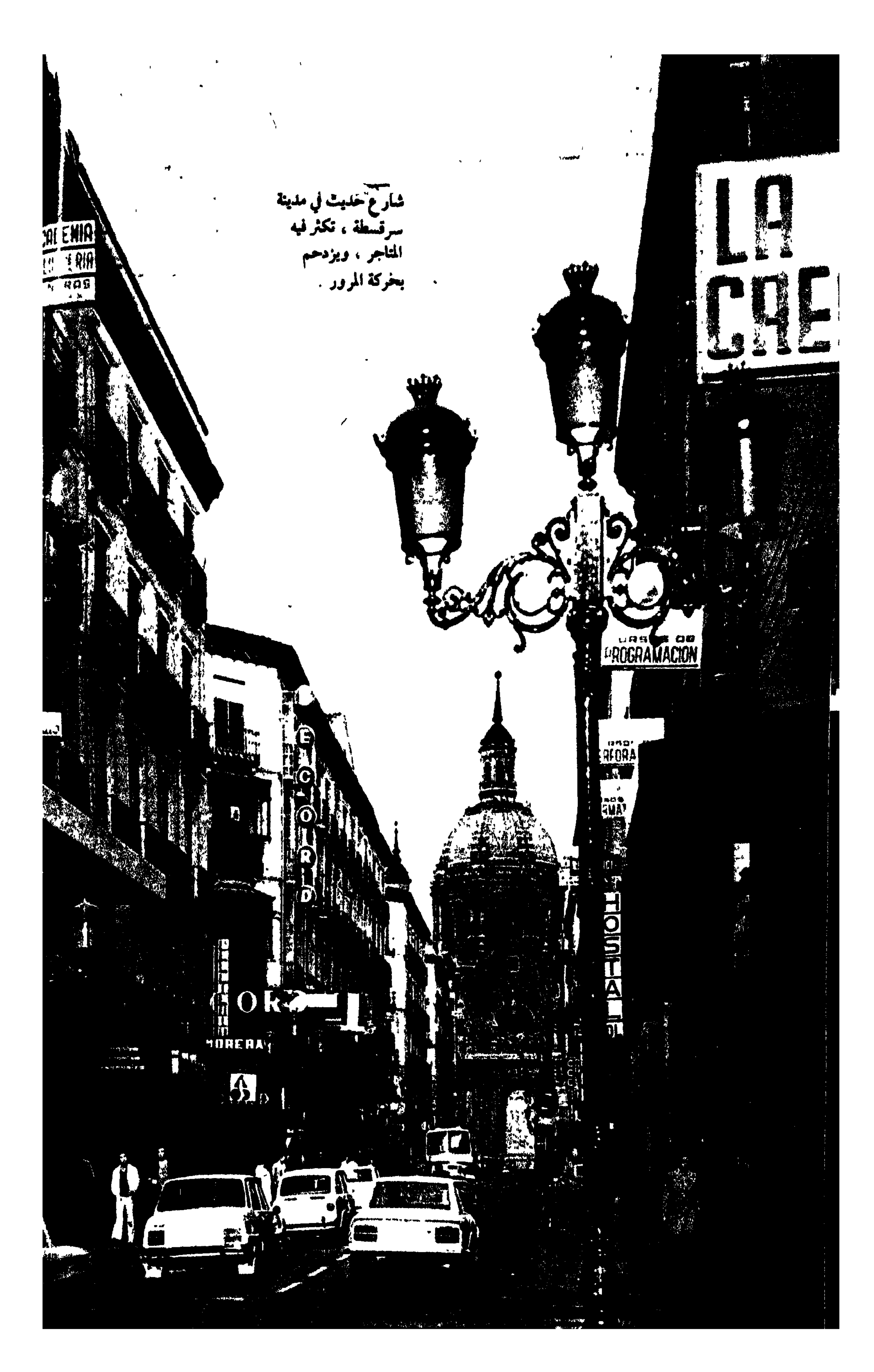
وعندما ادركنا الغاية في بلنسية ـ بقدر ما أسعفنا الوقت ـ توجهنا الى سرقسطة ، ولكن الطريق لايخلو من آثار عربية ، والمسافة بين بلنسية وسرقسطة تقرب من ٣٥٠ كم ، الا أن اجتيازها استغرق منا نهارا كاملا وبعضا من الليل .

كانت قرية (خيريكا) أول قرية توقفنا فيها ، وهي قرية جبلية ، وفي أعلى الجبل الذي تقع عليه عثرنا على بقايا قلعة عربية ، وأمامها برج ضخم ، ولكنهما (البرج والقلعة) مهملان تماما ، ولولا أنهما مشيدان من صخور صلدة ، لما صمدا أمام الرياح العاتية التي تكاد ـ من شدتها ـ أن تطرح الرجل أرضا .

أما البرج فهو على شكل مربع من الخارج ، طول ضلعه ٧م ، وسمك جداره حوالى متر ونصف ، وله نوافذ حربية مربعة من الداخل ، وتظهر له فتحات صغيرة من الخارج ، سقفه قبة نصف دائرية ، تعلوها قبة أخرى بارتفاع ٧م .

أما ارتفاع البرج الكلي فلا يقل عن عشرين مترا ، والبرج والقلعة يشرفان على القرية كلها ، وعلى مساحات شاسعة من الأرض المحيطة ، فهما ـ لذلك ـ يصلحان للمراقبة والدفاع معا .

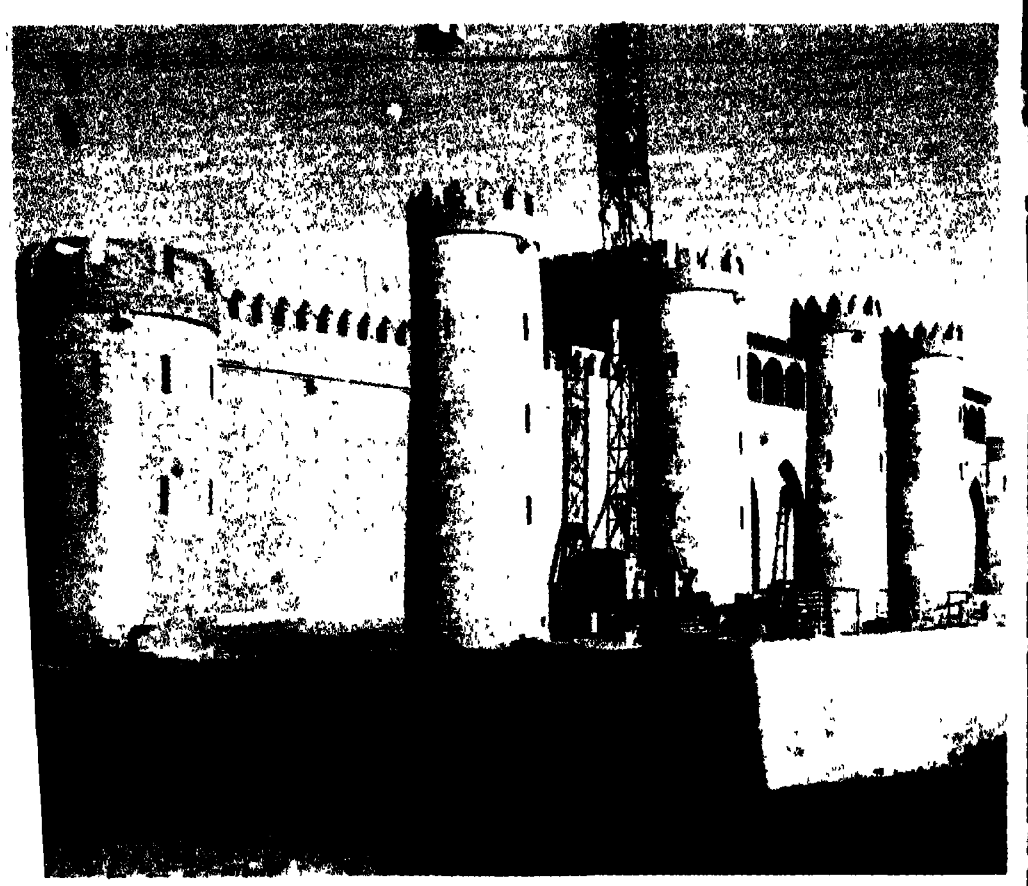
تتكون القلعة من قطع من الصخور ملتصقة بملاط من الطين والحصى ، وهي جزء من السور الذي



شارع حديث في مدينة
سرقسطة ، تكثر فيه
المتاجر ، ويزدحم
بحركة المرور .



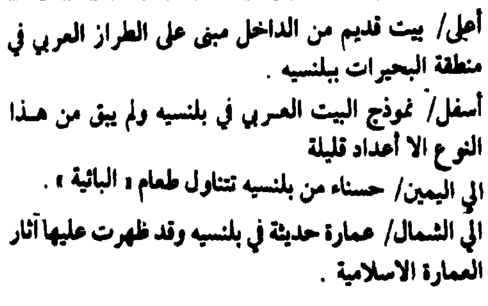
في الساحة الواقعة أمام كنيسة سيدة البيلار في سرقسطة والحمام الآمن ينتشر بين المارة .



جانب من سور قصر الجعفرية في سرقسطة .







أعلى/ بيت قديم من الداخل مبنى على الطراز العربي في منطقة البحيرات ببلنسيه .
أسفل/ نموذج البيت العربي في بلنسيه ولم يبق من هـذا النوع الا أعداد قليلة
الى اليمين/ حسناء من بلنسيه تتناول طعام « البائية » .
الى الشمال/ عمارة حديثة في بلنسيه وقد ظهرت عليها آثار العمارة الاسلامية .



الشرقي للطرقات والأزقة المتعرجة ، وفي بيوتها ذات الطابع العربي ، لقد تقدمت الاشارة الى أنها قرية جبلية ، فهي ترتفع عن مستوى سطح البحر ١١٧١ مترا ، في موقع بديع تطل منه على المنحدرات وعلى نهر وادي الأبيار .

لقد بني سورها فيما بين القرنين العاشر والثالث عشر ، وكانت عاصمة لامارة عربية ، ثم أقيمت فيها دولة مسيحية صغيرة ، بعد انحسار الوجود العربي ، وانضمت فيما بعد الى مملكة سرقسطة في عام ١٣٠٠ .

تحيط بالبراثين سلسلة من الجبال تصد عنها التيارات الهوائية والرياح ، وفي أعلى جزء منها شيدت « مصطبة » منذ عهد قريب ، يستطيع الزائرون بوقوفهم عليها رؤ ية القرية كلها والنهر والمنحدر .

قصر الجعفرية :

ثم يفضي بنا الطريق الطويل المتعرج الذي يخترق كثيرا من الجبال والتلال والهضاب الى سرقسطة ، استولى العرب على المدينة في عام ٧١٢ ميلادية ، وكانت الحملة العسكرية التي ظفرت بدخولها بقيادة موسى بن نصير . ظلت في عهدها العربي كثيرة الثورات ، وقد انتقل الحكم فيها من أسرة عربية الى أخرى غير مرة ، فكانت لذلك مسرحا لحروب كثيرة غدت بدورها وبالا على الآثار العربية في المدينة ، فتهدم جزء كبير منها ، وقد استعادها الاسبان من العرب نهائيا في عام ١١١٨ ، بعد أن مكث الحكم العربي فيها أكثر من ٤٠٠ سنة .

ولعل قصر الجعفرية ـ الذي ماتزال معظم أجزائه قائمة حتى يومنا هذا ـ هو الأثر العربي المهم الذي تعرفه المدينة وتعرف به ، وهو لايقل في قيمته عن قصور اشبيلية ، كما أن زخارفه العربية شاهد على الصنعة الجميلة والذوق الرفيع . يقع القصر شرقي المدينة ، ولايبعد كثيرا عن ضفة نهر (ايبرو) ، يقال انه نشأ قلعة في عام ٨٦٤م ، وقد بناه أبو جعفر فسمي باسمه ، ولم تحدد المراجع التاريخية من هو ابوجعفر هذا ، ولكن هناك رواية تاريخية تقول بأن القصر قد جدد في القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان المقتدر بالله بن هود ـ ملك سرقسطة آنذاك ـ هو الذي أمر بتجديده ، ثم اتخذه مقرا له ، وكان المقتدر يدعى « أبو جعفر » ومن هنا ينشأ احتمال أن يكون القصر



الباب العربي الوحيد الذي بقي من سور بلنسيه

قد حمل اللقب الذي عرف به هذا الملك من بني هود .

يتكون قصر الجعفرية من سور يبلغ طوله حوالي ١٠٠متر ، وفيه ستة أبراج أسطوانية الشكل ، أربعة منها متساوية الارتفاع ، وأثنان في زاويتي السور اقل ارتفاعا ، بحيث يزيدان قليلا عن ارتفاع السور ذاته ، وفي السور قناطر مقوسة تحيط بدهليز مغطى من داخله بقرميد عربي . وفي السور فتحات عديدة ، وكل برج من أبراجه متوج بحاميات دفاعية ، وقد قام الملوك الاسبان ـ بعد زوال الحكم العربي ـ ببناء قصر الى جوار قصر الجعفرية ، بل هو ملتصق به . يحيط بالقصر العربي خندق عميق ، يبلغ عرضه حوالي عشرين مترا ، وعمقه عشرة أمتار ، وعليه جسر متحرك يقطع السير الى الداخل عند استشعار الخطر ، كان الخندق يملأ بالماء من النهر المجاور ، وهو نهر (ايبرو) فيتخذ القصر شكل جزيرة معزولة

عن اليابسة اذا رفع الجسر المتحرك .

مدخل القصر على شكل حدوة حصان ، وهناك برجان على جانبي المدخل ، والى جانب كل منهما قوسان مدببان ، وفيهما فجوتان عمياوان ، وفي الناحية اليسرى برج ثالث دون أقواس ، ثم يأتي برج الزاوية ، وكل من هذه الابراج له ثلاث مستويات ، تظهر فيها النوافذ بحسب مستوى الدرج اللولبي داخل البرج ، أما البرج الأيمن فالي جانبه قوسان مدببا الرأس عمياوان ، وقد شاهدنا القصر وهو في حالة ترميم يحظر معها دخول الزائرين .

قلعة أيوب :

ليس قصر الجعفرية هو الأثر العربي الوحيد في مدينة سرقسطة ، ولكنه أهمها ، وبعد أن غادرنا سرقسطة في اتجاه مدريد مررنا ببلدة ذات أهمية تاريخية ، فيها قلعة عربية مشهورة ، أما القلعة فهي (قلعة أيوب) وأما البلدة فتحمل اسم القلعة ذاته . يقال في نسبة القلعة أن ابن اخت موسى بن نصير ، وهو ايوب بن حبيب اللخمي ، هو الذي بناها ، فهي لذلك تحمل اسمه ، وتوحي معالم البلدة بأنها قديمة جدا ، وأن يد العمران والتطور لم تمتد اليها .

لم تبن القلعة من الصخر كما هو المألوف في القلاع ، لأن المنطقة ليست صخرية ، لقد بنيت بمزيج من الطين والأحجار الصغيرة المدحرجة ، فالطين يؤدي عمل المادة اللاحمة ، وبالكبس والضغط ومرور السنين تتكون للطين نسبة مرتفعة من الصلابة . ان أكثر من ثلثي معالم القلعة قد زالت وتهدمت اجزاء منها ، فهي مرتفعة ، وارتفاعها الشاهق يعرضها الى المزيد من تأثير عوامل التعرية والتآكل ، فاذا أضفنا عامل الزمن وتقادم العهد من ناحية ، وبناءها اللاصخرى من ناحية أخرى ، أدركنا سر تهدم أجزاء من القلعة وزوال معالم الأجزاء الأخرى .

تشرف القلعة على وادي كبير متسع في الطول والعرض ، وعلى بلدة قلعة أيوب ذاتها ، وليس في البلدة آثار عربية أخرى تستحق الذكر ، لقد استرد الملك (الفونس) الأول ملك (اراغون) قلعة أيوب في عام ١١١٩ ، وكانت تتبع مملكة سرقسطة .

الحما . . . والمياه المعدنية :

قد تكون « الحما » تحريفا للكلمة العربية « الحمة » التي يطلقها العرب على ينابيع المياه المعدنية الحارة ، وقد تكون اختصارا لكلمة الحمامات ، والكلمة في كلا الحالين عربية ، تطلق على حمامات المياه المعدنية في منطقة أراغون .

وهذه المياه موجودة قبل العرب ، ولكنهم لفتوا الانتباه الى فائدتها وجدواها ، ودعوا الناس الى التداوي بها ، وأقاموا حولها المنشآت ، ولكن منشآتهم زالت بمرور الزمن ، لتحل محلها منشآت حديثة ، هي فنادق تحيط بالينابيع ، وتوفر سبل الراحة لقاصدي مياه الحمة المعدنية طلبا للاستشفاء .

وقبل دخول مدريد توجد بلدتان كبيرتان تحملان اسمين عربيين ، وهما وادي الحجارة ويدعوها الاسبان (وادي لاخارا) ومدينة سالم وتدعى بالاسبانية مدينة (سالي)

وبعد ، فلقد شاهدنا في طوافنا بشمال اسبانيا آثارا عربية لا تخطئها العين ، ولكن هناك آثارا أخرى معنوية يعددها المؤرخ والمفكر الاسباني الكبير (منديث بيدال) في حديث له مع محمد عبدالله عنان ، ورد في الآثار الاندلسية الباقية ، يقول بيدال :

« أجل ، لقد تركت الأمة الاندلسية (يعني عرب الأندلس) آثارا واضحة في الحضارة الاسبانية ، وفي الحياة الاسبانية العامة ، وفي تقاليد اسبانيا وعاداتها . . دعك من الآثار اللغوية ، فان هذه معروفة ، وهي مماثلة في كثير من نظمنا . . وفي تقاليد الملوكية الاسبانية يبدو أثر التقاليد الملوكية الاندلسية ، فمثلا يقرن ذكر الملك بعبارة حفظه الله ، وهو اصطلاح عربي . ويبدو هذا الأثر في كثير من العادات والتقاليد الاسبانية في التعامل والاسواق ، وفيما ينادي به الباعة على سلعهم ، وهي نداءات مسجعة ترجع الى أصول اندلسية ، وفي الدعوات الجنائزية حيث يقال عن المتوفي (رحمه الله) وفي مظاهر التحية ، وفي قصة « السيد » ان التحية تكون بتقبيل الكتف ، هي عبارة اندلسية ، وهكذا نجد أثر التقاليد والعادات الأندلسية ماثلا في كثير من مظاهر الحياة الاسبانية » . □



سمكة من نوع الخنزير ذي الثلاث شوكات .

أنغام وأصوات في أعماق المحيطات

بقلم : رجب سعد السيد

البحر عالم يفيض بالحياة في كل قطرة من مياهه . ومظاهر الحياة في البحار والمحيطات شديدة التنوع ، من الكائنات وحيدة الخلية ، الى قمة هرم الحياة : الثدييات البحرية،فكيف تمضي هذه الألوان من الحياة في أعماق البحار ؟

ليست أصوات الكائنات البحرية بغريبة على الانسان ، اذ عرفها منذ عرف طريقه الى البحر ، وسمعها بأذنه المجردة .. فقد كانت بعض هذه الأصوات عالية وواضحة . ويروي (أرسطوطاليس ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م .) في كتابه : تاريخ الحيوانات « كل المخلوقات التي تتنفس الهواء مزودة برئات .. والدلفين ينام ومنخاره فوق الماء ، ويغط » . وفي الأربعينيات من هذا القرن ، وبخاصة خلال الحرب العظمى الثانية ، وبعد اختراع أجهزة التقاط الموجات الصوتية من الماء ، تمكن العلماء من التسمع الى الكائنات البحرية ، وتسجيل أصواتها تحت الماء ، وقد أعطانا العلم الحديث والتقدم التقني

* باحث بمعهد علوم البحار والمصايد وعضو اتحاد الكتاب

سلسلة من الأجهزة والتقنيات المتطورة أثبتت أن الكائنات البحرية تسمع أو ـ على الأقل ـ لديها قدرات سمعية .

اللافقريات البحرية

ولعل المتوقع لدى القارىء ، ان تكون عملية انتاج الأصوات واستقبالها قاصرة على الكائنات البحرية الراقية ، كالثدييات البحرية والأسماك ، غير أن التجارب والدراسات أثبتت أن بعض اللافقاريات البحرية تصدر أصواتا ، ولديها امكانيات استقبالها ايضا ، ومن أكثر أنواع اللافقاريات البحرية اثارة للضوضاء ، ذلك النوع من الجمبري الذي يسميه الصيادون (العصاض) وقد أجريت عليه دراسات عديدة ، نظراً لتشابه الموجات الصوتية الصادرة عنه ، والموجات الصوتية التي كانت تبثها الغواصات والسفن الحربية في الحرب العالمية الثانية .

وأصوات اللافقاريات البحرية عبارة عن (تكات) حادة ، وذات ترددات واسعة المدى ، وتستخدم القشريات ، وهي من اللافقاريات ، أجزاء متحركة من هيكلها الخارجي الذي تبنيه من مادة قرنية . . فباصطدام الكلابات ، مثلا تصدر تلك (التكات) ، وتسري في الماء على شكل نبضات يصل ترددها الى ٢٠ كيلو هرتز (الكيلو هرتز ـ ألف سيكل في الثانية) .

وتنفرد الاستاكوزا الأمريكية بين اللافقاريات البحرية بانتاج أصوات تشبه الهمهمة ، نقية النغمات ، منخفضة التردد (١٢٠ ـ ١٥٠ هرتز) ، ويصل زمن النبضة الواحدة الى ثانية كاملة ، ولاتصدر هذه الأصوات من الهيكل الخارجي للاستاكوزا ، ولكن نتيجة لتذبذب المعدة المشدودة !! .

ويظن بعض العلماء أن اطراف بعض الكائنات اللافقارية البحرية التي تستخدم في وظائف ميكانيكية مثل التكيف مع الجاذبية وتحقيق التوازن ، يمكن أن تستخدم كمستقبلات للصوت ، ولكن الصورة العامة لكيفية استقبال الصوت في اللافقاريات البحرية لاتزال غير واضحة .

وتتضح الصورة أكثر اذا ارتقينا بضع درجات في سلم التطور ، لنصل الى الأسماك .

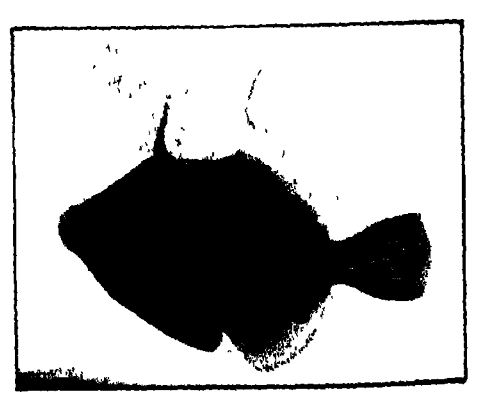
وأسماك المياه الضحلة هي أكثر أنواع الأسماك البحرية انتاجاً للصوت ، أما في المياه العميقة ، فقد أثبتت الدراسات أن وسائل انتاج الأصوات لاتوجد الا في الأسماك التي تعيش في مناطق المنحدرات القاعية . فلهذه الأنواع من الأسماك صفات كل من النوعين : الذي يعيش سابحا في المياه الطليقة ، والذي يعيش على القاع . أي أنها أسماك تسبح بالقرب من القاع شبه المعتم ، ولكنها لاتتخذه بيئة دائمة لها . . وفي هذه المنطقة فوق القاعية ، لاتكون تجمعات الأسماك كثيفة جدا ولكن أعدادها تكون كافية لأن تنشأ بينها علاقات اتصال ، وبذلك يصبح الصوت ضروريا .

المثانة الهوائية

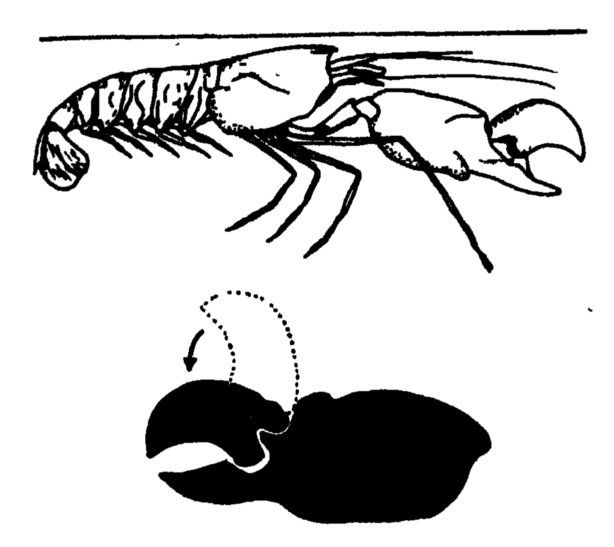
وهناك نوعان من الأصوات يصدران عن الأسماك : الصرير ، والذبذبات الناتجة عن توتر المثانة الهوائية .

والصرير هو صوت احتكاك واصطكاك الأجزاء الصلبة والخشنة مثل الأسنان البلعومية . فلبعض أنواع الأسماك مايشبه الأسنان في منطقة البلعوم ، وهي عبارة عن زوائد أو حبيبات قرنية قوية تطحن الطعام بالقرب من الزور . وفي حالة عدم العمل في طحن الطعام فان هذه الأسنان تصدر أصواتا صريرية نتيجة لانقباض البلعوم ، واحتكاك أسنانه بعضها ببعض .

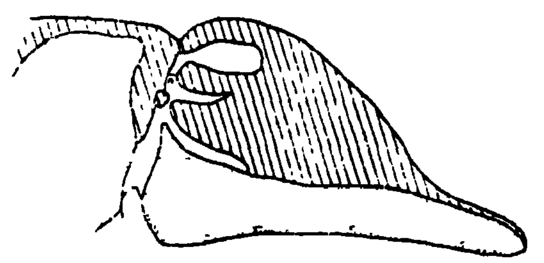
أما الحوصلة أو المثانة الهوائية ، فهي عبارة عن غشاء رقيق تملأه السمكة بالغازات ، ويحقق لها ثبات تواجدها سابحة في طبقة معينة من الماء . وتتصل هذه



سمكة من نوع الخنزير ذي الشوكة الواحدة .



رسم تخطيطي للعضو المسئول عن انتاج الأصوات في الجمبري (العصاض) . . وهو عبارة عن دراع متحورة على شكل (كلابة) ، وتصدر الأصوات نتيجة لتحرك فكي الكلابة



رسم تخطيطي لمقطع في رأس حيوان ثديي بحري ، يوضح الممرات والكييسات الهوائية التي تعمل على تصحيم الصوت .

المثانة ببعض الألياف العضلية التي تتحكم في درجة تذبذب المثانة،وتربطها ـ في نفس الوقت ـ بتجويف الجسم .

والأصوات أو الأنغام التي تصدر عن ضغط العضلات على المثانة الهوائية وتذبذب غشائها يقع ترددها تحت ٢٠٠ هرتز،ويختلف نوع النغمة وطولها بين الأنواع المختلفة من الأسماك ، ولكنهما ثابتان ومحددان تقريبا لكل نوع .

وثمة أنواع مزعجة من الأسماك تصدر النوعين من الأصوات معا : فينبعث صرير أسنانها البلعومية ، وتتبعه نغمات تذبذب المثانة الهوائية ، وقد التقطت الميكروفونات المجهزة تحت الماء هذه الأصوات التي يصل ترددها الى ٨ كيلو هرتز .

واستطاع العلماء تحديد أكثر أنواع الأسماك (ثرثرة) واثارة للضوضاء في مياه البحار والمحيطات ، ومن بينها : الوقار ، والخنزير ، والفرخة ، والقط ، والسمكة الضفدعية .

كيف تسمع الأسماك ؟

واذا كانت الأسماك ـ كما رأينا ـ تصدر أصواتا ، أو (تتحدث) ، فلا بد أنها تسمع فكيف تسمع ؟ .

اذا فحصنا الشكل الخارجي للسمكة ، فاننا لانعثر على عضو يشبه الأذن الخارجية ، وقد أكدت الدراسات التشريحية عدم وجود أذن متوسطة أيضا ، ان الجسم كله يقوم مقام الأذن الداخلية . . فلحم الأسماك يعد موصلا جيدا للموجات الصوتية التي تصطدم به ، وهو ينقلها مباشرة الى الأذن الداخلية .

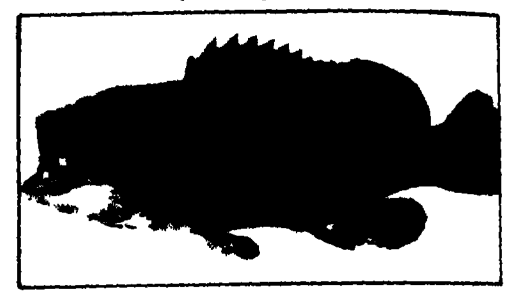
والأذن الداخلية في الأسماك عبارة عن تكوين غشائي تيهي دقيق ، مملوء بسائل خاص ، وينقسم الى ثلاثة كييسات أو جريبات ، بكل منها حصية كلسية دقيقة تسمى (حصية الأذن) أو (حصية التوازن) ، وتقف كل حصية عمودية على شعيرات دقيقة هي في حقيقتها أطراف لخلايا عصبية سمعية ، وحين تتحرك هذه الحصيات بتأثير الاشارات الصوتية المستقبلة تزيح الشعيرات السمعية للأمام وللخلف ، وتترجم هذه الازاحات الى ذبذبات تسري في العصب السمعي الى المخ .

وثمة جهاز استقبال آخر في السمكة وهو مايعرف باسم (الخط الجانبي) وهو عبارة عن صف من الخلايا العصبية يمتد على كل من جانبي السمكة من قرب الذيل الى قرب مؤخرة الرأس ويمكن تمييزه ظاهريا ، وتقتصر الوظيفة السمعية للخط الجانبي على استقبال الأصوات ذات التردد المنخفض .

وكما تقوم المثانة الهوائية باصدار الأصوات ، فانها تعمل في نفس الوقت وفي بعض الأنواع كجهاز استقبال فتتذبذب عندما تصطدم بها الموجات الصوتية التي تخترق الجسم في الماء ، وفي بعض الأنواع المتطورة من الأسماك العظمية توجد توصيلات خاصة لنقل هذه الذبذبات الى الأذن الداخلية . وهذه التوصيلات عبارة عن أربع قطع صغيرة من العظام هي في حقيقتها فقرات عظمية متحورة لتقوم بهذه



سمكة الفرحة الطيارة



من أسماك (الوقار)

الوظيفة الخاصة ، وقد وجد أنه عند ازالة هذه العظيمات بواسطة عملية جراحية فان قدرة السمكة على (السمع) تقل كثيرا .

احاديث الأسماك

وبالرغم من كل الجهود التي بذلت في التسمع الى أحاديث الأسماك ، الا أن مغزى هذه الأصوات لم يتحدد بعد ، وليس معنى هذا أن الاصوات عديمة الجدوى ، والا فما الداعي لتواجد هذه الطرق المتفاوتة التطور لارسال واستقبال الصوت في الأسماك؟

ولدراسة المغزى البيولوجي للأصوات عند الأسماك ، يجري العلماء تجارب لدراسة استجابات السمكة للاشارات الصوتية ، ويستخدمون شرائط بها تسجيلات مسبقة لأصوات أصدرتها الأسماك في ظروف مختلفة ، وأثناء سلوكيات محددة .

وتؤكد دراسات العلماء في هذا المجال على أن السمكة لاتستطيع تحديد موقع مصدر الصوت الذي تستقبله الا في حالة الأصوات ذات الترددات المنخفضة ، والتي يكون مصدرها قريبا من السمكة المستقبلة .

وقد ثبت أن الأسماك تصدر أصواتا معينة عند كل موقف مثل التنافس من أجل الطعام ، أو الدفاع عن

الموطن ، أو عند افتراس ضحية ، أو الصياح عند الهرب أو مناجاة الذكر للأنثى في موسم التكاثر ، ولوحظ أن الأسماك تميل الى الاتجاه صوب المنطقة المليئة بالأصوات الكثيفة .

ومن نتائج الدراسات الحديثة ، نجاح عالمين يابانيين في اجتذاب أسماك (المبروك) المستزرعة في بحيرة صناعية ، وذلك بأن أرسلا في الماء ذبذبات صوت السمكة نفسها ، التي كانا قد سجلاها لها وهي تأكل ، ولوحظت نفس الاستجابة في بعض أنواع الأسماك البحرية

ومن الاكتشافات المثيرة في هذا المجال ، استجابة أسماك القرش ، بالانجذاب الى مصدر ذبذبات متقطعة على هيئة نبضات منخفضة التردد (٢٠ ـ ٦٠ هرتز) ، وعدم استجابتها لنفس الأصوات اذا كانت مستمرة .

التشويش على اتصالات الأسماك

وقد نجح العلماء في (التشويش) على اتصالات الأسماك ، بالتداخل في خطوط الاتصال ، وتسريب ذبذبات تؤدي الى احداث تغييرات في سلوك السمكة فتخفف من حدة عنفها ، اذا كانت ثائرة ، أو تحيل وداعتها الى هياج وثورة !! .

وتنتقل هذه المعلومات والاستنتاجات من حيزها التجريبي المحدود الى التطبيق العلمي في عدة مجالات ، أهمها مجال الصيد والمصايد . فيمكن ، بواسطة أجهزة التقاط الأصوات من الماء ، رصد مناطق تجمعات الاسماك الاقتصادية المهمة بحيث تعطي عمليات الصيد محصولا وافرا ، كما يمكن ، بواسطة اطلاق ذبذبات صوتية خاصة اجتذاب أو طرد أنواع بعينها من الأسماك ، حسب احتياجات وسياسات ادارة المصايد .

فاذا وصلنا الى قمة هرم الحياة في البحر ، حيث تتربع الثدييات البحرية فاننا نتوقع نظما أكثر تعقيدا وتقدما للاتصالات تحت الماء ، ارسالا ، واستقبالا .

والثابت علميا أن الثدييات البحرية كانت تعيش على اليابسة ، ثم هجرتها الى البحر منذ ملايين السنين ، سعيا وراء ظروف أفضل للحياة ، ولابد أنها ـ لكي تنجح هجرتها ـ قد أعدت نفسها للعيش في الوسط الجديد : الماء .

بقلم : محمود المراغي

الأبناء أسعد حظا

يشهد العالم تقسيمات مختلفة ، أقدمها ذلك التقسيم الذي يقول إن البشرية تنقسم الى ذكور وإناث .

وقد تبع ذلك التقسيم العديد من التقسيمات التي ساعد عليها الاحصاء الحديث على المستوى الدولي ، فأعاد تقسيم العالم على أساس الديانة ، أو العمر ، أو المهن أو التوزيع الجغرافي ، أو غير ذلك . . . وبرز بين هذه التقسيمات ما يشير الى أن البشرية أيضا نوعان : أميٌّ وغير أميٌّ . . يجيد القراءة والكتابة أو يجهلها .

ولم يكن ذلك التقسيم الأخير مجرد مؤشر على انتشار التعليم الأساسي ، فالكلمة المكتوبة ـ رغم منافسة وسائل الاتصال المختلفة ـ أداة رئيسية لنقل المعرفة ، وأداة تواصل مع العلم والعالم في وقت واحد . . بل انها كثيرا ما تحدد الموقع الثقافي والاجتماعي والمادي والمهني للفرد . . فالصعود في السلم الاجتماعي . واحتلال مكانة في المجتمع ، وتناقل الخبرة ، وتسجيلها لتصبح ملكا للبشر ، وتراكمها لتصنع تطور البشرية . . كل ذلك يتم عبر أدوات مختلفة أبرزها : الكلمة المكتوبة .

خريطة الجهل :

ورغم أن الكلمة المكتوبة وسيلة واحدة ضمن وسائل عدة لنقل المعرفة ، فان اطلاق كلمة الجهل على من لم يحصلوا على حظهم من الالمام بالقراءة والكتابة لايعتبر مبالغة كبيرة . . فهم جاهلون بذلك الفن الذي اخترعه الانسان منذ عدة آلاف من السنين ، وهو فن الكتابة ، وهم جاهلون بذلك العالم المتسع الذي يضم الكتاب ، والصحيفة ، والمجلة ، واللافتة ، والملصق ، وأوراق الحكومات ، والأوراق الشخصية ، وكل ما يعتمد على حرف مكتوب .

كم يبلغ عدد هؤلاء في العالم ؟

تقول منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في احصاء أخير لها اذاعته في أغسطس ١٩٨٦ ، أن عدد الأميين في العالم : تسعمائة مليون أمي . . . أي أن ما يقرب من خمس العالم ما زال يعيش في الظلام .

وبتفصيل أكثر فإن :

(٩٨) بالمائة من هؤلاء الأميين يعيشون في العالم الثالث . . بينما تتوزع بقية النسبة على دول متقدمة بينها : الولايات المتحدة الأمريكية .

بين الأميين تحتل المرأة المقعد الأول ، فتمثل وحدها ـ في العالم الثالث ـ (٦٠) بالمائة من العدد الكلي .

وعندما ننتقل من النسب المجردة الى الأحجام الفعلية ، فان الأمر يختلف ، لتقف كبرى القارات (وبسبب عدد سكانها) في المقدمة .

ووفقا لأرقام اليونسكو ، فان عدد الأميين في قارة آسيا (٦٦٦) مليونا . . ، وفي افريقيا (١٦٢) مليونا . . ، وفي أمريكا اللاتينية (٤٤) مليونا .

الآسيويون اذن في المقدمة ، اذا أخذنا بالأرقام والأحجام الفعلية ، والافريقيون في المقدمة اذا أخذنا بالنسب المئوية بالمقارنة بعدد السكان .

على أي حال ، وأيا كان السبق لهذه القارة أو
..ـك ، فان تلك الخريطة بما تحمله من ازعاج ومؤشر
..لبي تحتاج الى تفسير .. لماذا يبقى ما يقرب من
..ليار من البشر دون قدرة على القراءة والكتابة ،
ودون قدرة على مطالعة صحيفة . ودون قدرة على
اتمام معاملة .. في نهاية القرن العشرين ؟

الحرب والفقر :

الأكيد أن هناك العديد من العوامل ..
فالفقر والحاجة للأطفال ـ كقوة انتاجية في سن مبكرة ـ قد يكونان سببين للابتعاد عن المدرسة .
والعادات الاجتماعية ، وتخلف مكان المرأة ، قد تكون ضمن الأسباب .

كذلك فإن بقاء مجتمعات منعزلة في أطراف الصحارى والغابات ، بل بقاء مجتمعات لها لغات لم يتم تسجيلها حتى الآن ، واقتصرت على مرحلة النطق دون الكتابة .. حدوث ذلك يؤثر ـ رغم تراجع أهميته النسبية ـ على انتشار الأمية في العالم الثالث .

العوامل متعددة ، ولكن عندما نحاول قياسها بالأرقام ، فإننا لانجد غير مؤشرات محدودة .
وطبقا لتقرير التنمية في العالم الذي أصدره البنك الدولي عام ١٩٨٥ ، فان نسبة ما وجهته الدول منخفضة الدخل للتعليم في عام ١٩٨٢ تبلغ (٥,٥) بالمائة عن اجمالي انفاق حكومات هذه الدول .. بينما خصصت الدول متوسطة الدخل ضعف هذه النسبة .

وبنظرة تاريخية للوراء نجد أن مخصص التعليم في الدول منخفضة الدخل تتراجع أهميته النسبية .. فخلال عشر سنوات (٧٢ ـ ٨٢) تراجعت مخصصات التعليم الى ثلث الأهمية النسبية .. كانت ..تل (١٥,٢) بالمائة من انفاق الحكومات المركزية ..ذه الدول عام ١٩٧٢ ، وأصبحت تحتل (٥,٥) ..المائة فقط كما سبقت الاشارة .. نفس الشيء حدث ..ي مجال الصحة والخدمات الاجتماعية ، أما التفسير ..نجده بشكل جزئي في أرقام الدفاع التي كانت تمثل ..(١٢,٤) بالمائة عام ١٩٧٢ ، فأصبحت تمثل (١٨,٥) بالمائة بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ .
اذن فالأهمية النسبية للتعليم ـ وهو الأداة الأولى لمحو الأمية ـ تتراجع .. و .. مع ذلك فالحقائق لا تكتمل ، لأن هناك أرقاما أخرى تقول انه بالرغم من تراجع الأهمية النسبية ، فان التعليم الأساسي ـ وبالتحديد التعليم في المدرسة الابتدائية ـ يتزايد باطراد .

بالامكانيات المحدودة ، في ظل الاستقلال والرغبة في الخروج من أسر التخلف ، أصبح المقيدون في المدرسة الابتدائية بالدول التي تقع في أدنى السلم وهي الدول منخفضة الدخل : (٨٥) بالمائة ممن هم في عمر التعليم بالمدرسة الابتدائية ، صحيح أن هذه النسبة ترتفع لتتجاوز المائة ، وتصل الى (١٠٢) بالمائة في الدول الصناعية ، وهو ما يشير الى أن الملتحقين بالمدرسة يزيدون عمن هم في العمر المفترض ، ويجذبون لهم أطفالا دون السن ..

ولكن .. أليست نسبة (٨٥) بالمائة من أطفال الفقراء داخل المدرسة الابتدائية نسبة تثير التفاؤل ؟
أظن ذلك .. وإن كانت الأرقام تقول : بان افريقيا ونساء الفقراء أقل حظا باستمرار
ان النسبة ترتفع في الجزء من العالم الأشد فقرا الى (٨٥) بالمائة ، ممن يجب دخولهم للمدرسة الابتدائية .. لكنها تعود وتنخفض الى (٦٩) بالمائة في افريقيا جنوب الصحراء .

أيضا .. وبينما يصل كل الذكور في ذلك العالم الفقير الى المدرسة ، تتخلف الاناث وتلتحق (٧٧) بالمائة منهن فقط بالمدرسة وعالم القراءة والكتابة
قد تبدو الأرقام متضاربة ، فكيف يتقدم التعليم الابتدائي ، وتبقى نسبة الأمية عالية ؟
والتفسير واضح ، فالمدرسة الابتدائية لجيل جديد يتقدم ، بينما تسجل أرقام الأمية كل الأجيال وكل البشر ، ولذا فقد انتشر ما نسميه : برامج محو أمية الكبار .

الكبار (سنا) هم الذين يزيدون النسبة ، وان بقيت الأرقام ذات دلالة واضحة تتصل بالتقدم والتخلف ، كما تتصل بالحقيقة التي تقول : « ان الأبناء أسعد حظا » □

وجهاً لوجه





أحمد بن يسف و علاء الدين محسن

■ الفن موهبة يصقلها البحث والدرس .

■ انني أميز بين الأصالة وبين التقنية .

■ أحترم الاتجاه التجريدي وفنانيه ، ولكن يجب ألا ننسى أن الفن ليس تعبيرا عن الذات فقط .

■ أختلف مع الذين يعدون الزخارف الاسلامية فنا تجريديا .

■ الواقعية تثير في نفسي جروحا وأحاسيس صعبة .

□ رسالتي رسالة العدالة وحقوق الانسان والمساواة .

■ المدرسة الاسبانية أعطتني التقنية فقط ، وما زلت أرسم موضوعات مستقاة من الوطن العربي .

يظهر الرسام المغربي أحمد بن يسف اليوم نغمة غريبة وسط الحركة التشكيلية المغربية المتميز بطغيان الاتجاه التجريدي من جهة ، والرسم الفطري أو الساذج من جهة أخرى . فهو التشكيلي المغربي الوحيد الذي استمر محافظا على اختياره الفني الذي يندرج ضمن التشخيصية التعبيرية ، والذي عرف به منذ بداياته المبكرة . فكيف كانت البدايات ؟

يكمن تميز الرسام احمد بن يسف في أن طغيان التحريد من حوله لم يجعله يعيش في عزلة ، أو يظل مجهولا بعيدا عن مواقع المشهورين في الميدان التشكيلي ، أو يتحول الى مجرد رسام واقعي لا أهمية له . اذ هو على العكس من ذلك تماما ، فأعماله تحظى بتقدير عالمي ، ولعله أكثر التشكيليين المغاربة شهرة في أوروبا ، ولوحاته هي الأغلى ثمنا بين الرسامين العرب الذين دخلوا سوق الفن في الغرب

وهذه المكانة التي وصل اليها بن يسف ، لم يكن طريقه اليها سهلا ، كما أنها لا تقوم على مجرد وهم . فاضافة الى قدراته الفنية ، وموهبته ، درس أحمد بن يسف الفن التشكيلي في المغرب واسبانيا التي يعيش فيها منذ عشرين عاما ، وخلال سنوات دراسته عاش معاناة الغربة والجوع والتشرد ، « الذين يرونني كيف أعيش اليوم في غنى ، وبحبوحة ، قد لا يصدقون أنني عشت سنوات لا عنوان لي غير الحدائق العامة في اسبانيا التي كانت تأويني ليلا ، وفي الصباح كنت أقتات على طعام الكلاب » يقول بن يسف ذلك ولا يخفي أنه اليوم ثرى تتوزع حياته ما بين مراسمه وبيوته في جنوب اسبانيا وشمال المغرب . وهو يختلف مع الذين يعتقدون أن الفن الجيد يصنعه الفقر والمعاناة ، ويقول ان الفنان اليوم لا يمكنه أن يعيش خارج عصره ، وما يدور فيه من تيارات ، اضافة الى ضرورة تمكن المبدع من ثقافة شمولية تعينه على فهم ما يدور حوله وعلى تكوين رأى خاص به ازاء كل ما يجري ، وللأسف فان التمكن من مثل هذه المعرفة ، والاندماج في حياة العصر لا يحصل عليه مجاناً بل يحتاج الى امكانيات مادية اكثر من متوسطة للحصول عليه ، ويقدم أمثلة عن العديد من الرسامين العالميين الذين كانوا أثرياء ، وانتجوا ابداعا لا خلاف حول قيمته ، ويروى أن بيكاسو ذهب يوما لتناول العشاء في أحد المطاعم الراقية ، وفي فترة انتظاره للطعام أخذ يخطط بسرعة بعض الأشكال فوق ورق الخدمة الذي يعطي طاولته ، ثم انتهى من عشائه ودفع ثمنه ، ولما هم بالخروج لحقه أحد خدم المطعم ، راجيا منه أن يضع توقيعه على تلك الخطوط التي خطها فوق الطاولة ، فأجابه بيكاسو معتذرا ، لقد جئت هنا للعشاء وليس لشراء المطعم ، ويعلق بن يسف بأن بيكاسو كان يعرف كم يساوي توقيعه ، أما نحن فلا زلنا نظن أن المعاناة وشظف العيش تصنع المبدع ».

الموضوع .. والشكل

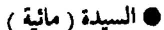
واذا كان هذا الموضوع يشكل أحد مشاغل بن يسف ، فلأنه يريد الرد بشكل غير مباشر على الذين ينتقدون الأثمان الباهظة التي تباع بها أعماله ، وهو يقول بهذا الصدد إنه ليس مسؤ ولا عن تحديد أثمان أعماله ، فمن يقوم بهذه العملية هو صالة العرض الاسبانية التي تحتكر ترويج انتاجه ، وأن هذا أمر معتاد عليه بالنسبة لجميع فناني الصفوف المتقدمة في أوروبا التي تملك أسواقا فنية لها تقاليدها ، وهو أمر نفتقده في الوطن العربي ، وهذا هو الأمر الذي يشرح أسباب الغياب شبه التام للفنان التشكيلي العربي المحترف .

إن الذي أوصل هذا الفنان التشكيلي المغربي الى مكانته العالية هو ـ بدون شك ـ موهبته التي صقلها بالدراسة والتعليم ، انه رسام أكاديمي من الطراز الأول ، وملون مدهش ، وواقعيته وأكاديميته لم تحولاه الى مجرد مصور فوتغرافي ، فهو يتقن فن التعامل مع الواقع بحيث يخرجه من واقعيته الفوتغرافية ، ليضفي



● الحمائم (مائية)





● السيدة (مائية)

على لوحاته تدفقا شعريا ، يشد المشاهد اليها ويدفعه للتأمل فيها ، وسنوات دراسته ، واقامته الطويلة في اسبانيا لم تنسه داكرته المغربية العربية ، فمواضيع لوحاته جميعها تنتمي الى اطار جغرافي ، وتاريخي محدد ، وهو وطنه (المغرب) وبالذات مدينته (تطوان) .

أزقة هده المدينة وطبقتها وناسها المتعمون ، وبناتها الجميلات وعجائزها وصبيانها مادته ، والرؤية المتأملة لأعماله عبر مراحل عمله الفني المختلفة تكشف عن بعض الثوابت والرموز في مسيرته ولوحاته مثل : بيوت تطوان المصبوغة بالأبيض ، والوجوه التي حفر فيها الزمن أخاديده ، وبصماته ، وعتمة المدينة ، ولحظات توهجها، واستقبالها للضوء الذي غالبا ما ترافقه حمامة بيضاء ، أو سرب من الحمام . ان خيط الحزن الذي يلف مجموعة أعمال بن يسف ينكسر ازاء دلالات هذا الطائر الرمز ، ويتسلل فضاء من الررقة ، والتطلع نحو الحرية ، والمستقبل الأجمل الى اللوحة مهما كانت شحنة التشاؤم التي تحملها ، بل يمكن ان يقال ان وراء كل لوحة لابن يسف لوحة مضمرة ، هده القدرة التي تمتلكها اعماله على إثارة المخيلة والتجاور معها ، وهي سر المهنة في نجاحه ، والباعث على التقدير العلمي الذي يحظى به .

ولد أحمد بن يسف في تطوان عام ١٩٤٥ ، وقدم أول معارضه عام ١٩٦٤ ، ومنذ دلك التاريخ وأعماله تقدم في المغرب ، واسبانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وسويسرا ، وانكلترا ، والمكسيك ، والارجنتين . أما على الصعيد العربي فقد سبق له أن عرض في الأردن ، ولبنان ، والعراق ، وحلال وجوده بتطوان التقى به الزميل علاء الدين محسن مراسل « العربي » في المغرب ، ودار بينهما الحوار التالي :

● لااريد النظر ١٩٧٥



● حمامة



● تطوان : أحب هذه المدينة حتى الكراهية !



● مائية



(زيتية)





● فترة ١٩٨٠

*** بن يسف ، كيف اكتشفت موهبة الرسم فيك ؟**

ـ الفن موهبة تحتاج الى الصقل بالبحث ، لقد أحسست بالفن منذ أن أحسست بأنني موجود ، انني لا أعرف متى رسمت أول لوحة ، لكنني أعرف أنني عشت صراعا مريرا ازاء المجتمع فموقف المجتمع العربي الاسلامي من الفنون التشكيلية معروف ، وقد كنت الابن الوحيد لعائلتنا (المحافظة) الذي توجه نحو الميدان الفني ، الا أن هذا الصراع لم يثبط همتي ، بل على العكس جعلني أكثر اصرارا على اختياري الفني ، وبعد دراستي الابتدائية والثانوية التحقت بمدرسة الفنون الجميلة بتطوان ، وبعد أن أمضيت ثلاث سنوات في هذه المدرسة انصرفت لمدة عام للعيش في برية تبعد عشرة كيلو مترات عن تطوان باحثا عن نفسي وعن الطبيعة ، وهنا بلغت معارضة أهلي لاختياري الفني ذروتها ، وكان واضحا لهم أنني لم أختر ميدانا فنيا لا يعرفون كنهه بالضبط فحسب لكنه رغم ذلك مصنف ضمن المحرمات ، بل انني فوق ذلك مجنون ، والا ما معنى أن أعيش عاما كاملا هائما في البراري ؟ والسلاح الذي كان بيد عائلتي لانقاذي من الجنون « والخطر الفني » الذي يرونه يلف بي كان هو قطع كل شكل من أشكال المساعدة عني .

ومما زاد من احساس عائلتي بهول فجيعتها بي أنها كانت ترى جميع أصدقائي قد توجهوا للدراسات العلمية ، ومما ساعدني على الصمود وسط وضع عائلي متوتر كهذا هو ثقتي بنفسي .

بعد عام البحث عن النفس في سنة ١٩٦٦ قدمت عدة معارض ، كان همي فيها البحث عن مدى تجاوب الجمهور معها لأرى اذا كنت مصيبا في ثقتي بنفسي ، وبصحة اختياري . وكانت نتيجة هذا الامتحان لصالحي . وفي العام التالي بحثت عن منحة من جهة ما ، تكفل لي مصاريف دراستي للفن خارج المغرب ، ولكن دون جدوى ، ولكن سرعان ما أصبح هذا الحلم بين يدي عندما بعت عدة لوحات في معرض لي بتطوان ، جمعت ثمنها وحزمت أمتعتي وتوجهت إلى المدرسة العليا للفنون الجميلة باشبيلية .

تقدمت للامتحان ونجحت ، ثم غادرت هذه المدرسة بعد انتهائي من الدراسة ، وقد حصلت على جميع جوائزها ؛ فقد كنت الأول في الرسم والتصوير والمناظر الطبيعية ، ومنذ ذلك التاريخ لم يمر بهذه المدرسة طالب آخر حصل على هذه الجوائز مجتمعة .

تفوقي هذا ساعدني على حضور في الوسط الفني التشكيلي بخاصة ، وعلى بناء نفسي كفنان محترف . ومباشرة العمل أثناء دراستي .

وأتذكر الآن بصدد دراستي الفنية الأولى بتطوان أن مدرسة الفنون بهذه المدينة كانت مأوى للطلبة الكسالى الذين يفشلون في المدارس والاختصاصات الأخرى ، وعندما تقدمت للالتحاق بها استغرب جميع أساتذتها ، وسألني أحدهم وهو الفنان المغربي المكي مغارة عن سبب توجهي لدراسة الفن في هذه المدرسة فأجبته : بأنني أحس أني أمتلك مقدرة على الرسم ، وأريد أن أدرس تقنية الرسم ، فقال لي : ولكن لا أحد يستطيع العيش من الرسم غير بيكاسو ودالي فأجبته : وسأكون ثالثهما .

إلى هذه الدرجة كانت تضطرم في داخلي رغبات التحدي ، والآن عندما أنظر الى تلك السنوات أجد أن رغبة التحدى القوية التي اشتعلت في نفسي آنذاك كان سببها عدم المعرفة ، واندفاع الشباب ، ولكن لحسن الحظ أصبح هذا التحدى القاعدة التي استندت عليها كل مسيرتي الفنية ، وبعد ذلك ازدادت رغبات التحدى في داخلي ، لكنها هذه المرة تمثل تحديا من نوع آخر لا ينحو نحو المحافظة على نجاحي فحسب بل على تعزيزه..

بعد السنوات الخمس التي قضيتها في المدرسة العليا للفنون الجميلة باشبيلية أمضيت ثلاث سنوات أخرى في دراسة فن الحفر ، وأثناء دراستي قدمت العديد من المعارض ، وحصلت على العديد من الجوائز ، وتوالت المعارض والجوائز حتى اليوم .

بين الأصالة والتقنية

*** رغم توجه التشكيليين المغاربة نحو الاتجاهات المعتمدة على اللعب البصري في الفن التشكيلي المعاصر ، وانبهارهم بها ، استمر بن يسف ملتزما بالواقعية التشخيصية . فبماذا تفسر اختيارك الفني هذا ؟**

ـ أكاد أعتبر هذا السؤال اعادة صياغة لسؤال مطروح على نطاق واسع عربيا حول الأصالة في الفن التشكيلي العربي ، وما يمكنني قوله بهذا الصدد ان الأصالة سواء بالنسبة للأفراد ، أو الشعوب لا يمكن



● فت (ريتية)

أن تكون بأي حال من الأحوال غائبة ، اذ هي في حقيقة الأمر مغيّبة وينبغي البحث عنها ، لذا فيما يخصني فاني أعتمد على ما أحسه من عناصر الأصالة في ثقافيا واجتماعيا وحتى دينيا ، وأقدمه بلغة تقنية أحاول أن تكون عالمية ، ويمكنك أن تلاحظ هنا أنني أميز بين الأصالة وبين التقنية ، وهما شيئان متمايزان بداهة ، ولكن من الضروري التذكير بهذه البدهية ، لأن الجميع يتناسونها في العالم العربي ، ونحن ـ تشكيليا ـ قد نقلنا من الغرب تقنيته وأصالته معا ، بدل أن نوظف هذه التقنية ـ ان كنا في حاجة لها ـ في خدمة أصالتنا ،وهكذا صار المشاهد يمد بصره على طول المساحة العربية ، فلا يرى غير الرسامين التجريديين .

أخلص من هذا الى القول بان بحثي قد أوصلني الى أن الأصالة توجد في التشخيص ، وأعني هنا التشخيص بالمفهوم الواسع ؛ أي الانطباعي ، والواقعي ، والرمزي ، والسريالي .

انني أحترم الاتجاه التجريدي وفنانيه كل الاحترام ، ولكن يجب أن لا ننسى أن الفن ليس تعبيرا عن الذات التي أنتجته فقط ، فاللوحة صلة بين الفنان والجمهور ، ومتى ما توفرت عناصر الفهم ، والتفاهم المتبادل بين هذه الأطراف ، كانت اللوحة في نظري أفضل .

اضافة الى ذلك أعتبر أن اختيار التجريد هو الاختيار السهل ، ويمارس اليوم الكثير من الدخل الفني باسم التجريد ، وقد أصبح هذا الاتجاه مأوى للعديد من الفنانين المزيفين ، والعاجزين ، والباحثين عن شهرة وأضواء سهلة

التجريد والحضارة الاسلامية

*** ألا ترى أن التجريد ليس منقطعا عن الحضارة الاسلامية التي خلّفت بسبب موقف الاسلام من التشخيصية تراكما لا يستهان به في الفنون الزخرفية التي هي في النهاية فن تجريدي ؟**

ـ انني أختلف مع الذين يعتبرون الزخارف الاسلامية فنا تجريديا ، وأعتبرها رسوما خاضعة



● سيدة

لتقنية علمية محسوبة بدقة ، أي أنه تشخيص ، اني أقيم في جنوب اسبانيا كما تعلم ، وكلما جلت بصري في أنحاء آثار غرناطة وجدت أن المسلمين قد تركوا تراثا هائلا من الرسوم والنحوت التشخيصية ، بل أكاد أقول من الواقعية المحكومة بتصميم وتفكير ومنطق ، والتجريد عكس ذلك تماما ، فهو يعتمد على التنقائية المطلقة أحيانا

*** بعض من كتبوا عنك قالوا ان اختيارك للتشخيصية جاء بسبب تأثرك بالمدرسة الاسبانية ، ماذا تقول حول هذاالرأي ؟**

ـ انني أحترم هذا الرأي ، وأقول بكل صراحة ان مثل هذا التأثير يمكن أن يكون موجودا ، فمن خصائص الفنان حساسيته ، وأنا قد درست في أسبانيا ، وفي جوّها الفني وعشت فيها مدة طويلة ، اضافة الى العلاقة التاريخية الاستعمارية بين اسبانيا وشمال المغرب الذي يشمل مدينتي (تطوان) ، وسأكون بليدا حتما اذا لم أتأثر بهذا الاحتكاك العميق مع اسبانيا .

ان الحديث عن هذا التأثر لا يخيفني ، ولا أعتبر ذلك ينقص من قيمتي أو قيمة أعمالي ، لأنني لم أفقد هويتي بسببه ، ولم يقتلعني من جذوري ، فأعمالي عندما تعرض اليوم في أي مكان من العالم يعرف مشاهدها بسرعة أنها لفنان مغربي . حتى إن لم يعرف أنها لابن يسف ودون حاجة الى البحث عن توقيع الرسام ، والتحديق فيه لمعرفة هويته ، ولعل السبب في هذا يعود الى أسلوبي الواقعي في عملي الفني ، ولعلك ترى الآن أنني واقعي وصريح حتى في حياتي وحديثي وأنني غير مبالغ ولست مغرورا كما يظن البعض ، وأعتبر صراحتي من جوانب النقص والسلبيات في شخصيتي ، فليس أصعب في هذا الزمن من أن تكون صريحا ، وواقعيا .

الواقعية تثير فيّ جروحا وأحاسيس صعبة كثيرة ، ويهمني الآن أن أقول شيئا فاتني أن أذكره في جوابي على سؤالك السابق ، وهو إنني أعتبر الواقعية الطريق الوحيد الصالح لتبليغ الرسالة .

*** أية رسالة ؟ وما رسالتك أنت ؟**

ـ رسالة الانسان ، والعدالة ، وحقوق الانسان ، والمساواة ، ولفت النظر الى العالم الذي يحيط بنا ، لأنني أعتقد أن جزءاً من وظيفة اللوحة أن تكون وثيقة عن الحياة التي يعيشها الرسام ، ان لوحات القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر تعطي صورة واضحة عن عصرها على مختلف الأصعدة ، اضافة الى قيمتها الفنية .

لقد انحرفت في بداياتي ـ وكنت صغير السن آنذاك ـ الى لوحات لمشاهد عن المغرب ، وطبيعته ، وقد اند... اليوم هذه المشاهد ، لكن لوحاتي لا تزال حية توثق لها ، وتؤرخها ، بل يمكن اعتبارها مرجعا

*** هل تعتقد أن الفن التجريدي ليست له هذه القدرة ؟**

ـ انه يمتلكها ولكن بشكل أقل ، فقيمة اللوحة التجريدية أقل من اللوحة الواقعية .

*** حسنا ، ما دمت تعترف بتأثير المدرسة الاسبانية عليك ، ماذا أعطتك هذه المدرسة باعتقادك ؟**

ـ أعطتني التقنية فقط ، لأن المدرسة كما قلت سابقا لم تغيرني ، فما زلت رغم أنني أعيش في اسبانيا منذ

عشرين عاما أرسم مواضيع مستقاة من الوطن العربي المغربي ـ التطواني .

*** وماذا أعطتك مدينتك (تطوان) ؟**

ـ لم تعطني شيئا !

*** ألم تعطك الذاكرة ؟**

ـ الذاكرة أعطاني اياها أبي وأمي ، لأن تطوان مجرد صدفة في حياتي ، أعني أني ولدت بتطوان بالصدفة ، اذ كان يمكن أن أولد في أي مدينة مغربية أخرى ، وأنا في النهاية مغربي عربي مسلم ، لكن الثابت في حياتي وذاكرتي هو عائلتي ، والوسط الذي عشت فيه وتأثيرهما العميق فيّ .

*** بماذا تفسر اذن حضور تطوان في العديد من أعمالك ؟**

ـ لأنني أحبها ، وهذا أمر آخر يختلف عما يمكن أن تكون قد أعطتني اياه هذه المدينة ، ويمكنك أن تقول أنه حب من طرف واحد ، ما دامت هي لم تعطني شيئا بالمقابل أكثر من ذلك . أعتقد أن تطوان هي المدينة الوحيدة في العالم التي لا تعطي شيئا لأبنائها ، بل هي تمتلك على العكس من ذلك « تقنية » عالية لتحطيم هؤلاء الأبناء .

*** بالرغم من قولك أنك تحب تطوان ، الا أنني أحس من جوابك بكراهيتك لها ، وأجد في ذلك بعض التناقض ؟**

* لأنه ثمة من فرق بين الحب والكراهية ، هناك ما يسمى بحب الكراهية ، وأنا أؤمن بمثل هذا الحب ، وأنا من قوة حبي لهذه المدينة أجد فيها أشياء تؤلمني ، وهو ما يجعلني بحسب وصفك أمقتها

*** لماذا اخترت العيش في اسبانيا ؟**

ـ لست أنا من أختار اسبانيا ، هي التي اختارتني للعيش فيها

*** أعيد سؤالي بصيغة أخرى أكثر تواضعا : كيف اخترتما بعضكما ؟**

ـ كان هناك تجاوب متبادل ، فعندما أنهيت دراستي هناك ، وبدأت بالعمل كفنان محترف في اسبانيا ، وجدت تفهما ، وتجاوبا ، أضف الى ذلك أنني لم أعش في اسبانيا بل في جنوبها ، في اشبيلية التي أحس فيها وكأنني أعيش أيام المعتمد ، ومرسمي في حي عربي بهذه المدينة ، كما أن عيشي في هذه المدينة التي لا تزال تنبض فيها الروح العربية ، جعلني أكتشف أجدادي وقيمة العرب وعظمتهم ، وأكثر من ذلك اشبيلية جعلتني أحب بلادي وأصالتي ، ولا يخامرني شك في أنني لو كنت أعيش في ألمانيا مثلا لما حدث كل ذلك ، ولكنت غادرت دون وداع أو عودة .

ـ أعمالك الأكثر انتشارا تصور فيها وجوه نساء عجائز عامرة بأخاديد الزمن ، لماذا لا ترسم نساء جميلات ؟

ـ رسمت مختلف أشكال النساء ، وفي شتى مراحل حياتهن ، ولحسن الحظ زوجتي تتفهم ذلك ، فالمرأة مهمة في حياتي ، وقد رسمتها في مختلف مراحلي ، لأنني لا أستطيع العيش بدونها مثلما لا أستطيع العيش معها ، واللوحات التي أشرت اليها في سؤالك عرفت في الوطن العربي أكثر من غيرها بسبب الصحافة التي لا يمكنها أن تنشر صورا للوحاتي الأخرى عن المرأة .

*** هل لك طقوس خاصة في الرسم ؟ نريدك أن تتكلم لنا عن علاقتك باللوحة ؟**

ـ حياتي مع اللوحة محكومة بعلاقة صراع ، أحيانا أرسم شهرا كاملا ثم لا ترضيني النتيجة ، وكأنني لست الرسام الذي رسم تلك اللوحات التي أبهرتني قبل أن يعجب بها الآخرون ، إني أعيش تقلبات صعبة في حياتي مع الرسم ، وهو أمر يعطيني راحة نفسية كبيرة ، لأنه يشعرني باستمرار أنني لست آلة تنسخ دون توقف وتنتج دائما لوحات جيدة ، وأتوقع دائما من لوحتي الأخيرة أن تكون أجمل من التي سبقتها لكن هذا لا يتحقق بسهولة ، فالحظ والظروف والمشاكل التي يعيشها الانسان كيفما كانت تؤثر فيه ، فكيف اذن بالفنان ؟ لا تنس أنني أب لثلاثة أولاد ، لدي معهم مشاكل كالتي تحدث لأي أب .

*** ماذا يصلح للنشر من نقاط ضعفك ونواقصك ؟**

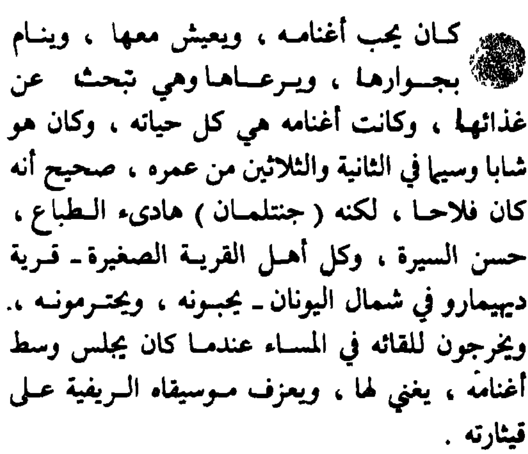
ـ إنها كثيرة ، لكنها لا تصلح للنشر لئلا تؤثر على سعري في سوق الفن التشكيلي .

*** ألم تفكر بعد اقامة عشرين عاما في أسبانيا بالحصول على الجنسية الأسبانية ؟**

ـ أبدا . وليس هذا ادعاء ، فأنا أتمتع باسبانيا بكامل حريتي ، وبجواز سفري المغربي هذا أولا ، وثانيا لو غيرت جنسيتي لما أصبح لكل أعمالي أية قيمة . □

حكايات شرق وغرب

أحب أغنامه حتى الموت !



كان يحب أغنامه ، ويعيش معها ، وينام بجوارها ، ويرعاها وهي تبحث عن غذائها ، وكانت أغنامه هي كل حياته ، وكان هو شابا وسيما في الثانية والثلاثين من عمره ، صحيح أنه كان فلاحا ، لكنه (جنتلمان) هادىء الطباع ، حسن السيرة ، وكل أهل القرية الصغيرة ـ قرية ديبيمارو في شمال اليونان ـ يحبونه ، ويحترمونه ،. ويخرجون للقائه في المساء عندما كان يجلس وسط أغنامه ، يغني لها ، ويعزف موسيقاه الريفية على قيثارته .

لكن الراعي الشاب « ماركوس » كان يبتعد دائما عن الزخرف الزائف لحياة الحضر ، وكانت أسعد حياته هي تلك التي يقضيها بين أغنامه وهو يسوقها أمامه إلى القناة الصغيرة لتشرب ، أو عندما يرقد على مقربة منها لينام ، فلا تلبث هى الأخرى أن ترقد بجوار صاحبها في انتظار قدوم يوم جديد .

ولكن القدر يتدخل ، فيرسل إلى ماركوس فتاة جميلة اسمها « ديمترا » ، ويهيم الشاب بها ، ويعرض عليها الزواج ، وتقبل لكن بشرط أن ينسى ماركوس حياة الريف ، ويبيع أغنامه ، ويتبعها إلى المدينة التي ولدت وعاشت فيها ـ مدينة سالونيك ، ثاني أكبر مدن اليونان ـ وقال ماركوس لخطيبته : امنحيني فرصة للتفكير ، وتركته ليختار بينها وبين أغنامه ، وكانت أقسى وأصعب تجربة يمر بها في حياته .

لم تطل المهلة التي أعطتها الفتاة لخطيبها ، فقد وصل ماركوس إلى قرار بعد ليل طويل جلس فيه



وسط أغنامه يفكر في المصير الذي ينتظرها إن هو باعها ، وتخلى عنها ، وهو لم يفرط في واحدة منها في يوم من الأيام . كان يبيع صوف جلدها ويبيع لبنها ، أما هي فقد كانت تعيش معه حتى يصيبها الهرم ، وتنفق

ماذا يفعل إذن ؟ وكيف ينقل قراره إلى ديمترا ؟ ولم تطل حيرته . . وذهب إلى صديق له واقترض منه مسدسا زاعماً أن هناك ذئبا خطيرا يهدد أغنامه . وحمل المسدس وراح يطلق الرصاص على الأغنام التي بدأت تتساقط أمامه الواحدة بعد الأخرى ، ثم بقيت رصاصة ، وفي سرعة ، وبلا تردد صوب فوهة المسدس إلى رأسه هو وضغط على الزناد وسقط على الأرض ميتا . .

وعندما تجمع أهل القرية ليروا ما حدث للراعى

الشاب الذي أحبوه ، وجدوه جثة هامدة بين جثث الأغنام التي كان منذ ساعات قليلة يرعاها ، ويغني لها ، وعلى مقربة منه وجدوا رسالة صغيرة موجهة إلى الفتاة التي أحبها ، وقرأوها : « عزيزتي . . أنا الآن أرقد بين أغنامي التي أحببتها ، ارقد مستريحا لأنني أعلم أنها لن تشقي وتتعذب بعد اليوم ، لقد كانت أغنامي هي أسرتي التي عرفتها ، وعشت معها ولها ، ولن أفترق عنها ابدا

السحب القاتلة

هل يمكن أن تحمل السحب الموت ؟ هذا هو السؤال الذي مازال يحير العلماء في مدينة جنوا بايطاليا ، فقد حدث أن مرت سحابة في سماء إحدى المدن الصغيرة القريبة من جنوا وتسببت في قتل عشرات الألوف من النحل الذي تشتهر هذه المنطقة بتربيته . وقد اتضح من الاحصائيات التي أجريت ان تسعين في المائة من النحل الذي يعيش في هذه الضاحية الصغيرة التي تعرف باسم « ليفرنو » قد مات مسموماً ، على إثر مرور السحابة القاتلة مباشرة

ويقول المزارعون أن السحابة لم تقتل النحل فحسب ، بل قتلت عشرات الألوف من الطيور الصغيرة ، وبخاصة العصافير التي كانت تتساقط ميتة من أغصان الأشجار ، حتى امتلأت الحقول الخضراء بالطيور الميتة . وحمل العلماء النحل والطيور التي ذهبت ضحية السحابة الغامضة لتحليلها ، وكانت مفاجأة عندما اكتشفوا السبب . لقد كانت تحوي في دمائها نوعا من الغازات التي تستخدم في قتل الحشرات .

كيف وصلت هذه الغازات إلى السحابة المحملة ببخار الماء ؟ لا أحد يدري ، لكن البعض يعتقد أنه ربما تكون هذه المواد الكيماوية الفعالة قد تسربت من أحد المصانع المنتجة لها ، وغطت مساحات من الماء ، في البحار أو الأنهار .

المهم كما قال الكتور جيورجيو ، أحد العلماء الذين شاركوا في تحليل الطيور والنحل - أن خطر هذه السحابة كان من الممكن أن يمتد إلى الانسان نفسه لو أنها بقيت فترة أطول .

موظفو الدولة يصطادون السحالي والتماسيح



حار مدير مصلحة الضرائب في جاوا الغربية « تادجوج سوبيرين » في البحث عن وسيلة لمنع ممولي الضرائب من التهرب من دفع ما عليهم من مستحقات ، لكن الرجل مالبث أن اكتشف أن المسؤول عن انخفاض إيرادات الدولة من الضرائب ليس الممولين ، بل المحصلين ، وقرر بينه وبين نفسه أن يلقنهم درسا .

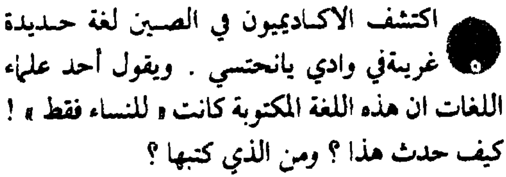
وفي إحدى الحفلات العامة وقف الرجل المسؤول عن جمع الضرائب من الموسرين المتهربين ، وألقى كلمة وجّه فيها اللوم الشديد إلى محصلي الضرائب ، ثم ختمها بأمر إداري يتلخص في خروج المحصلين لصيد السحالي بدلا من « صيد » الممولين ، وأعطاهم مهلة أقصاها أربعة أيام يعودون بعدها بحصيلة

صيدهم . وقال : « إن الممول المتهرب من دفع الضرائب كبير الشبه بالسحلية التي تجيد الهرب والاختفاء ، فهي لاتكاد تظهر حتى تختفي . »

وخرج المحصلون في أكبر حملة من نوعها لاصطياد السحالي ، ومرت أربعة أيام ، وعندما عادوا إلى مكاتبهم كان كل حصيلتهم من السحالي التي تمكنوا من اصطيادها سبعا فقط ! وحن سوبيرين ، فقد كانت السحالي صغيرة هزيلة ، وقد كان يتوقع أن يأتيه موظفوه سحالي سمينة منتفخة تمثل الممولين الأثرياء المتهربين .

قال وهو يستقبلهم في مكتبه ، وكانوا أكثر من مائة محصل : « على أية حال ، لقد عدتم بشيء ، وهو أفضل من لا شيء ، وإذا كنتم قد نجحتم في صيد السحالي ، وهو أمر أصعب بكثير من صيد الممولين ، فلا شك أنكم قادرون على تأدية واجبكم ، لقد قررت أن أمنحكم فرصة أخرى ، فاذا فشلتم ، فستكون رحلتكم القادمة مع صيد التماسيح ، وهي مهمة قد لاتعودون منها أبدا » .

للنساء فقط !



اكتشف الاكاديميون في الصين لغة حديدة غريبةفي وادي يانحتسي . ويقول أحد علماء اللغات ان هذه اللغة المكتوبة كانت « للنساء فقط » ! كيف حدث هذا ؟ ومن الذي كتبها ؟

تقول مجموعة من النساء اللواتي نجحن في قراءة هذه المخطوطات أن صاحبتها فتاة ، كانت تعيش مند عشرة قرون ، وأن اسمها هيواكسيونج ، وأنها كانت إحدى محظيات الامبراطور كينزون ، وكانت تعيش حياة تعسة مليئة بالألم والشقاء وراء جدران قصره الكبير .

وقد أرادت أن تنقل لبنات جنسها صورة للمشاء التي كانت في صدرها ، خلال هذه الفترة من حياتها ، لكن بلغة جديدة لايفهمها أهل الصين ، واستطاعت في النهاية أن تتكر هذه اللغة التي راحت تصف فيها حياة الوحدة والعذاب التي كانت تعيشها في البلاط الامبراطوري .

وعندما سألوهن : « كيف أمكنكن الاهتداء إلى تفسير هذه الرموز ؟ قلن : « إن سر المرأة لايمكن أن يخفى على امرأة مثلها »



المهم أن الفتاة المسكينة كانت تحذر في هذه الرسائل التي كتبتها بخط يدها كل امرأة من الاقتراب من قصر الامبراطور ، أو الظهور في مكان عام ينتشر فيه رجاله .

ومازال العلماء الرجال يحاولون فك رموز هذه اللغة السرية الجديدة التي اختارت لها صاحبتها هذا العنوان « للنساء فقط » .

وحوش ما قبل التاريخ !

أحدث اكتشاف بيض متحجر اهتماما علميا كبيرا ، بالغموض الذى يحيط بانقراض الوحوش التى كانت تعيش على الارض قبل التاريخ . فقد ثبت أن هذا البيض الذى عثر عليه بعض المشتغلين بالاثار لأنثى ، الديناصور ، ذلك الوحش الهائل الذى عرفوه من خلال الهياكل العظيمة المتحجرة في المناطق الباردة ، والذى يؤكد العلماء انه انقرض منذ اكثر من سبعين مليون سنة .

وقد تم العثور على بيض الديناصور المتحجر وسط جبال فيرجانا بآسيا الوسطى ، ولكن الغموض الذى

يكتنف انقراض هذا الوحش مازال يحير المشتغلين بعلم الاحياء . . فهناك من يعتقد أن الديناصور لم يستطع أن يتكيف مع التغيرات التى طرأت على القشرة الارضية والاجواء المحيطة بها ، بينما يرى فريق آخر بأن الجفاف الذى أصاب المستنقعات والبحار الضحلة ، قضى على نوع معين من الاعشاب التى كانت تنمو ويتغذى بها الديناصور .

وثمة نظرية ظهرت أخيرا تقول ان الاشعاعات التى نجمت عن انفجار كوكب في الفضاء هي التى قضت على هذا الوحش بسبب عجزه عن الاختباء نتيجة لضخامته ، بينما استطاعت الوحوش الأصغر حجما وكذلك الحيوانات التى كانت تعيش في تلك الفترة من عمر الارض أن تبحث لنفسها عن مخبأ يقيها خطر هذه الاشعاعات الحارقة .

ولكن يبدو أن هناك رأيا جديدا قد يصبح بدوره موضوعا للدراسة من جانب العلماء ، يؤكد أن الديناصورات وانقرض نتيجة لامتصاص الاعشاب والنباتات البرية التى كان يتغذى عليها ، لكميات كبيرة من اليورانيوم الموجود فى باطن الارض الجبلية .

وصاحب هذا الرأى الجديد هو العالم السوفيتى سيرجى نيروشيف وقد ضمنه كتابه الجديد الذى صدر اخيرا بعنوان « اليورانيوم والحياة فى تاريخ الارض » .

ذكريات في المزاد

كانت الأغنية التي أهداها لأمه هي التي وضعته فوق أول درجات السلم إلى الشهرة والمجد ، فقد كان شابا صغيرا عندما افترق عنها ليذهب إلى الجامعة ، وهناك في مدينة روما ـ العاصمة الأيطالية ـ افتقد الشاب الصغير أمه ، واشتد به الحنين إليها ، فجلس يغني لها أغنيته المشهورة التي كان مطلعها « أمي حبيبتي تعيش بعيدا عني ! » .

إنه مغني الاوبرا الايطالي بنامينو جيلي الذي رحل



منذ سنوات بعيدة ، لكنه فجأة عاد إلى الأذهان من جديد عندما قرأ الايطاليون في الصحف ان البيانو الذي كان يعزف عليه جيلي سوف يباع بالمزاد العلني ، في إحدى قاعات الموسيقا في روما التي شهدت مولد مغني الاوبرا الكبير .

وقد تم بيع البيانو بالفعل بمبلغ يساوي خمسين ألف جنيه استرليني ، لكن المشرفين على المزاد حاروا في أمر هذا المبلغ الكبير ، فهم لا يعرفون أحدا من ذويه يمكنه أن يتقدم لتسلمه . وفجأة تقدمت سيدة عجوز حاوزت الستين وقالت . « أنا رينا جيلي ، ابنته ، ثم أخرجت من حقيبة يدها صورة لها معه ، وأوراقا تثبت صحة نسبها إليه . وتسلمت المبلغ ، وقالت وهي تضعه في كيس نقودها وهي تبكي : « كنت أفضل لو أنكم أعدتم لي البيانو ، فهو الشيء الوحيد الذي يحمل ذكرى أبي ، لكنني أجد نفسي مضطرة لان أقبل المبلغ بدلا منه ، لأنني أعيش على الكفاف ، وقد تقدم بي العمر كما ترون .

وبكى الحاضرون معها ، ثم تقدم أحدهم وجلس يعزف على البيانو الأغنية التي أهداها جيلي لأمه ، ولكن بعد أن حرص على أن يغير كلماتها : « أبي حبيبي الذي أعيش بعيداً عنه وحيداً ، مع ذكراه . » □



بقلم الدكتور عصام سيسالم

طمحت نفسه الى الملك بعد أن تحرر من اسار العبودية ، وأضفى الخيال على اسمه هالة من البطولة والمجد ، وظل اسمه اسطورة من الأساطير ، تناقلها سكان الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط لعدة قرون !

يحيط الغموض بأصل مجاهد ، والأرجح أنه اسباني الأصل عامري الولاء ، نشأ في رحاب الاسلام في قرطبة الزاهرة تحت رعاية الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي اعتنى بتربيته وتعليمه . وبرع في علوم القرآن والحديث واللغة العربية كما برع بالفروسية ، وجمع بين رفقة العلم ومجد الفروسية . وكان مجاهد العامري قبل نشوب الفتنة في بلاد الاندلس كبير فتيان الحاجب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بشنجول ، وقد تخلى مجاهد كبقية كبار قادة الجيش الاندلسي عن « شنجول » عند نشوب الفتنة في قرطبة بقيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي لسوء تصرفات شنجول وحماقته . وظل في قرطبة يتابع الأحداث الدامية في عاصمة الخلافة ، ويتحين الفرص لتحقيق طموحه الى المجد والسؤدد ولاحت الفرصة المواتية بعد مقتل الخليفة الأموي محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي على يد الموالي العامرية ، وعودة الخليفة هشام المؤيد الى سدة الخلافة في « ذي الحجة » ٤٠٠ هـ / ٢٤ يوليو ١٠١٠ . وفي نفس اليوم الذي قتل فيه الخليفة المهدي غادر مجاهد العامري قرطبة على رأس جماعة من اتباعه الى شرق الاندلس لتحقيق طموحاته في ارساء صرح مملكة له ولأعقابه .

نواة المملكة

وبعد جهود مضنية نجح مجاهد في الاستيلاء على ثغر دانية وما حولها في شرق الاندلس ، وكون نواة

مملكة في هذا الاقليم الاستراتيجي المطل على الحوض الغربي للبحر المتوسط والمحاذي لجزائر شرق الاندلس « البليار » التي كان يحكمها آنذاك القائد البحري مقاتل الصقلبي. وقد جذبت شهرة مجاهد العلمية اعداداً كبيرة من العلماء الأندلسيين الى دانية ، خاصة من العاصمة قرطبة التي تعلم مجاهد في معاهدها العلمية مع أعرق فتيان قرطبة أصالة ومكانة ، وليس أدل على ذلك من رسالة ابي عامر عبد الملك بن شهيد ـ وهو من أعرق الأسر القرطبية ومن الأدباء البلغاء ـ التي يقول فيها مخاطبا مجاهد العامري : « كنا تربي صحبة ، وحليفي صبوة ، قد تخلينا عن الانساب وانتسبنا الى الآداب » كما جذبت فروسية مجاهد فرسان الاندلس الذين يتوافدون على دانية زرافات ووحدانا ، فكان مجاهد يختار منهم من اشتهر بالشجاعة والفروسية ويضمهم الى جيشه الذي أصبح بفضل براعته العسكرية من أقوى الجيوش في بلاد الاندلس وأكثرها عددا وعدة .

كما دفعته همته الى انشاء اسطول بحري في دار الصناعة في دانية عاصمة مملكته ، ويعود الفضل في ذلك الى عراقة سكان ساحل الاندلس الشرقي في البحرية ، وتوفر غابات الصنوبر الجيد الصالح لصناعة السفن في المناطق المحيطة بدانية ، خاصة في الجبال المحيطة بحصن قلصة ، وما كانت تدره الزراعة والتجارة عليه من ثروات وافرة .

وأصبح مرسى « السمان » المنيع في دانية الحصينة قاعدة كبرى لاساطيل مجاهد العامري الذي كان يتطلع الى تأسيس مملكة مترامية الأطراف تشمل شرق الاندلس وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط . ومن أجل اضفاء الشرعية على حكمه اعلن بيعته للخليفة هشام المؤيد الذي أقره على ولايته ، وقام مجاهد بصك عملة في « الوطة » على الطريق الساحلي بين دانية وسرقسطة ، تحمل اسمه واسم الخليفة هشام المؤيد ، وبعد اختفاء هذا الخليفة للمرة الثانية قام مجاهد العامري بمبايعة أمير أموي من الوافدين الى مملكته هربا من الفتنة يدعى عبد الله المعيطي ولقبه بالمنتصر بالله . وبعد خمسة أشهر من مبايعة المعيطي خليفة في مملكته أبحر مجاهد العامري على رأس اسطوله وبصحبته الخليفة المعيطي الى جزر البليار ، وتمكن من الاستيلاء عليها في ذي القعدة ٤٠٥هـ / مايو ١٠١٥م . واتخذ مجاهد من هذه الجزر الاستراتيجية في شرق الاندلس قواعد بحرية لاساطيله . ومنذ ذلك الحين ازدادت غاراته البحرية عنفا على سردانية وقرشعة وثغور ساحل ايطاليا الغربي ، وجنوب بلاد الفرنجة ، وامارة قطلونية الاسبانية ، وأصبح اسمه يثير الرعب في الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وتطلعت نفسه الطموحة الى تكوين مملكة كبرى تشمل جزر وسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط ، في وقت اختلفت فيه موازين القوى بعد انهيار الامارة الاسلامية في جبل القلال ، وسقوط قاعدتها الكبرى فرخشنيط في يد حلف صليبي (٣٦٥هـ /٩٧٥م) فقد أدى انهيار هذا السد المنيع الذي استمر شامخا قرابة المائة عام في أعماق بلاد الفرنجة وايطاليا وسويسرة حتى نهر الراين ، الى تعاظم القوة البحرية بنيرة وجنوه ، مما مكنهما منذ ٣٩١هـ / ١٠٠٠م من تزعم حملات بحرية صليبية ، كان هدفها الاستيلاء على جزر شرق الاندلس « البليار » ومهاجمة السواحل الاسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

وكان لظهور أساطيل مجاهد العامري ومجابهتها لاساطيل نيرة وجنوة والبروفانس وقطلونية أكبر الأثر على تراجع تلك الأساطيل الى قواعدها ، وتوقفها عن الاغارة على الثغور الاسلامية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وكانت الخطوة الرئيسية التي أقدم عليها مجاهد العامري دون تبصر لتحقيق تطلعاته الى المملكة الكبرى التي يطمح اليها ، اعداده لحملة بحرية كبرى الى جزيرة سردانية ، لفتحها والاستقرار فيها ، واتخاذها قاعدة لمملكته ، ويشير أبو طالب عبد الجبار ، المعروف بالمتنبي الاندلسي ، في ارجوزته الشهيرة عن ملوك الطوائف في هذه الحملة وكان الاسطول الذي قاده مجاهد العامري لفتح سردانية من أكبر الاساطيل البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط آنذاك ، وكان على متن سفنه خيرة فرسان الأندلس والغزاة المتطوعة والبحارة الأشداء من شرق الأندلس وجزر البليار الذين تمرسوا في البحر وعبروا مسالكه وخاضوا حروبه . وكان يقود سفينته « أبو

خروب » القائد البحري الكبير ، وتحققت الخطوة الأولى من طموحات مجاهد بفتح جزيرة سردانية ، بعد معارك طاحنة ومقاومة ضارية ، تحت قيادة القائد السرداني الشجاع « مالوت » الذي قتل دفاعا عن وطنه على مقربة من (كلياري) عاصمة الجزيرة في معركة من أعنف المعارك ، التي خاضها السردانيون ، واستكان أهل جزيرة سردانية ، وأعلنوا طاعتهم لمجاهد العامري الذي قام بتنظيم شئون الجزيرة ، واتخذ عاصمة له في مكان احدى المدن القديمة المندثرة ، بعد أن قام بتجديدها وتحصينها على يد الأسرى من السردانيين ، وبعد أن اطمأن مجاهد العامري على استقرار دعائم حكمه في جزيرة سردانية ، أبحر على رأس اسطوله العتيد الى ساحل ايطاليا الغربي ، وتمكن من فتح ثغر لوني بسهولة ، واتخذ من هذا الثغر الاستراتيجي في شمال غرب ايطاليا قاعدة للعمليات الحربية في ايطاليا ، وعندما علم من عيونه وارصاده بتوجه أسطول نيرة الى اقليم قلورية « كلابريه » في جنوب ايطاليا للاغارة على ثغر « ريو » التابع للكلبيين امراء صقلية الاسلامية ، قام مجاهد على رأس اسطوله بعبور نهر الارنو ومباغتة نيره بهجوم ليلي ،وبينما كان جنوده يتسللون عبر دروب احياء نيرة الغربية ، تنبهت احدى النساء الى الخطر الداهم ، واسرعت الى قصر حاكم المدينة ، وأبلغته بالنبأ ، ودوي النفير في شتى أنحاء المدينة ، وتتابعت الامدادات من المدن المجاورة ، مما اضطر مجاهد الى الانسحاب من نيرة للمقاومة الضارية التي أبداها السكان من جهة ، وللحرائق الهائلة التي شبت في المدينة من جهة ثانية ، وعمت أنحاء ايطاليا موجة عارمة من الحماس ، استغلها البابا (بندكت) الثامن في تكوين حلف صليبي لمواجهة قوات مجاهد العامري ، ولبت الجمهوريات البحرية الايطالية على رأسها نيرة وجنوة نداء البابا ، وحاصرت القوات المتحالفة ثغرلوني ، مما اضطر مجاهدي العامري الى الانسحاب على رأس أسطوله الى سردانية .

الحشد الكبير

ولم يكتف البابا بهذا النجاح وقام باصدار مرسوم بابوي الى إلجمهوريات البحرية الايطالية والفرنجية والجرمان بحشد القوى المسيحية لطرد قوات مجاهد العامري من جزيرة سردانية وفي الوقت الذي كانت تحتشد فيه الاساطيل المسيحية المتحالفة لمهاجمة القوات الاسلامية في جزيرة سردانية ، كان عملاء البابا يحثون اهل سيردانية على الثورة ومقاومة الغزاة ويعدونهم بالقوت العاجل . واستجاب السردانيون وانقضوا على الحاميات الاسلامية في المناطق الجبلية ـ ولم يتمكن مجاهد من التصدي لهذه الثورة المفاجئة ، وراد من صعوبة موقفه وقوع تمرد غامص في صفوف قواته كما يقول الحميدي الميورقي « واختلف عليه اهواء الجند . » .

وبينما كان مجاهد العامري يحاول جاهدا قمع مقاومة اهل سردانية ومعالجة التمرد الدي وقع بين صفوف قواته وصلت اليه أنباء الحشود البحرية الهائلة التي كانت في طريقها الى حزيرة سردانية من ايطاليا وبلاد الفرنجة ويقول اس الاثير بهذا الصدد : « فسار اليه الفرنج والروم . . » ويذكر اس الخطيب « بان ملوك الارص الكبيرة تداعوا على مجاهد وبلغه مں أمرهم ما لايطيقه »فوقع في حيرة مں أمره ، وقرر بعد تردد مغادرة سردانية على أمل أن يعود اليها ثانية .

(بعد تفرق مں يشغب عليه) وبعد تغير الأوصاع في الجزيرة وزوال الوباء الذي تفشى في المدينة التي اختطها وكان انحار اسطول مجاهد من سردانية في ظروف غير مواتية في شهر ابريل الذي تهب فيه على شواطىء الجريرة الرياح الشمالية العربية الصيفية المعاكسة لتحريك الاسطول المتجه عربا الى جرر البليار . وفي الوقت الدي كان فيه « ابو خروب ، قائد الاسطول يحاول جاهدا الانسحاب عبر مضيق بونبفاشيو الضيق في طريقه الى ميورقة فوجىء بالاساطيل المسيحية المتحالفة تقطع عليه الطريق ، « وجاءت امداد الروم وقد عزم على الخروج . . » كما يقول الحميدي الميورقي ويؤكد نفس الرواية ابن حيان حيث يقول : « فاعجله العدو عن القفول واللحاق بدار ملكه في ميورقة وقطع به . . . » .

ولم يجد مجاهد العامري مخرجا سوى اللجوء الى ثغر احدى الجزر الصغيرة في مضيق بونبغاشيو والتحصن فيه حتى تهدأ العاصفة ، وأمر « أبو خروب » قائد البحريين باللجوء الى ذلك المرسى ، ولكن « أبو

حروب » القائد البحري المحرب نصحه بعدم اللجوء الى ذلك المرسى المكشوف وأصر مجاهد على رأيه مما أدى الى تحطيم معظم سفن الاسطول وأسر وقتل من فيها .

وقد أطلق المسلمون على تلك الجزيرة المشئومة اسم « جزيرة الشهداء » .

وهكذا تعاونت الطبيعة القاسية والقوات المسيحية المتحالفة على تدمير اسطول مجاهد ويصف أبو الفتوح الجرجاني اثر الفاجعة على نفس مجاهد بقوله « وكلما سقط مركب في أيدي الروم جعل مجاهد يبكي من القهر وكان أبو خروب رئيس البحريين يردد قائلا . قد كنت حذرته من الدخول الى هنا فلم يقبل » ولم يبق من ذلك الاسطول العتيد بعد تلك الفاجعة المروعة سوى خمسة مراكب واربعة قوارب ،

أما بقية قطع الاسطول فقد دمرت وقتل من فيها أو أسر ، وكان من بين الأسرى زوجات مجاهد وبناته وأمه واحدى خالاته واحد أخوته وبعض أخواته وولده علي وكان وحيدا آنذاك وعاد مجاهد الى ميورقة يجر أذيال الهزيمة ووصل الى شواطئها في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ / ابريل ١٠١٦م بعد ثمانية أيام من انسحابه من المعركة البحرية الدامية . وعندما اقترب من ساحل جزيرة ميورقة علم من بعض أنصاره بان الخليفة عبد الله المعيطي قد استبد بالحكم وأعلن عزل مجاهد وقرر قتله اذا ما عاد سالما من حملته على سردانية واستعمل مجاهد العامري الحيلة « وبادر المعيطي عند وصوله الى الساحل وهو ذاهل عنه وهجم عليه وأقامه من مجلسه وقبض عليه وعلى من شايعه من أنصاره وتسلم منه سلطانه وعاقبه على سوء ما كافأه به » وخلعه ونفاه في سفينته الى ثغر بجاية في المغرب الأوسط حيث عاش هناك بقية عمره مغمورا يتقوت من تعليم صبيان كتامه البربرية الى أن توفي في ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م

وقد تمكن مجاهد العامري بعد عودته الى ميورقة من « افتكاك من أسر له من بناته ونسائه وأخواته في مدة قريبة الا والدته جود النصرانية فقد اختارت أهل ملتها وتبعتها اختها فأعرض عنهما . . » أما ابنه علي الذي كان في السابعة من عمره حين أكره فقد أعياه فداؤه بالرغم من أنه عرض على الوسطاء عشرة آلاف دينار مقابل اطلاق سراحه ، وكان قد أهدي الى الامبراطور هنري الثاني اعترافا بفضل الامبراطورية الرومانية المقدسة وعرفانا بجميل الامبراطور الالماني لما قدمه لهم من عون عسكري ومالي في مجابهة مجاهد العامري في البر الايطالي وجزيرة سردانية .

العامري في أعين الشعراء

وقد استطاع مجاهد العامري بما عرف عنه من صبر وجلد بناء اسطول جديد انطلق عبر البحر المتوسط في غارات متلاحقة على جزر سردانية وقرشقة وثغور ساحل ايطاليا الغربي وجنوب بلاد الفرنجة ، وكان يقود هذه الاساطيل قادة البحر في ثغور دانية وجزر البليار وعلى رأسهم الاغلب عامل جزر البليار .

وتنسب المدونة البنرية هذه الغارات البحرية الواسعة النطاق الى مجاهد العامري الذي أصبح اسمه اسطورة لدى سكان الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط وقضى مجاهد بقية عمره في حروب متواصلة في البر والبحر واشتغل في الصراعات الدامية بين ملوك الطوائف ، وتمكن في احدى حملاته من الاستيلاء على قرطبة ، ولكنه أخفق في تثبيت دعائم حكمه هناك ، وعاد الى دانية ليثير حربا أخرى على جيرانه من ملوك الطوائف . لقد كان مزيجا فريدا يجمع شتى التناقضات . ويصف ابن بسام الشنتريني شخصية مجاهد العامري نقلا عن ابن حيان قائلا :

أكثر مجاهد التخليط في أمره ، فطورا ناسكا متعمدا متبرئا من الباطل يعكف على دفاتر يقرؤها ، وتارة خليعا فاتكا لايساتر بلهو ولا لذة ولا يستفيق من شراب وبطالة ولا يأنس بشيء من الجد والحقيقة وله ولغيره من ملوك الطوائف في هذا الباب أخبار مأثورة » .

لقد عاش مجاهد العامري حياة حافلة وكانت جزر البليار ودانية من المراكز العلمية الهامة في غرب العالم الاسلامي ، وكان بلاطه يضم نخبة من العلماء والادباء والفقهاء والشعراء من شرق العالم الاسلامي

ومغربه وكان من بينهم الشاعر المشرقي الفتح بن أفلح الذي مدح مجاهد في قصيدة هذا مطلعها :

غرائب مما أغرب الدهر أطلعت
عليك هلال العلم من أفق المغرب

ومنهم أبو الفتوح ثابت الجرجاني العالم اللغوي والفيلسوف الذي صحبه في حملة سردانية وكان من كبار رحال بلاطه وفي دانية شرح الجرحاني كتاب الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي وقد سأله مجاهد عن شخص رآه معه فأجابه الجرجاني على الفور :

رفيقان شتى ألّف الدهر بيننا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

كما كان من رجال بلاطه « ابو العلاء صاعد الربعي البغدادي » العالم اللغوي الأديب صاحب كتاب « العصوص » ألفه للمنصور محمد بن أبي عامر يعارض كتاب الأمالي لأبي على القالي وقد مدح أبو العلاء البغدادي مجاهدا بقصيدة يشكره فيها على عطائه منها :

اتتني الخريطة والمركب
كما اقترن السعد والكوكب
مجاهد رضت اباء الشموس
فأصحبت ما لم يكن يصحب
فقالوا من الواجب المستقل
عقائل يعيا بها الحسب
فقلت فتى اصغري النجاد
يروع به الشرق والمغرب

كما ضم بلاط مجاهد العامري ابن سيده اللغوي المشهور وعبد الله بن يوسف بن عبد البر النمري الوزير الكاتب العالم وأبو حفص بن برد الشاعر الأديب الذي مدح مجاهداً في رسالته المشهورة « برسالة السيف والقلم » يقول فيها مخاطبا مجاهدا :

يا أيها الملك السامي بهمته
الى سماء علا قد أعيت الهمما
لولا طلابي غربت المدح فيك لما
وصفت قبل علاك السيف والقلما
وانما كان تعريضا كشفت به
من البلاغة وجها كان ملتثما

كما وفد الى بلاطه ابو بكر محمد بن قاسم الشاعر الاندلسي المعروف باشكهباط ومدحه بقصيدة مطلعها :

وكم ذا لقيت الجهد قبل مجاهد
وكم أبصرت عيني وكم سمعت اذني

وكان أحد أعلام مجالسه وندمائه الشاعر الاندلسي ابن سقابا الاشبوني ، ومن عرر قصائده القصيدة التالية يصف فيها أحد مجالس مجاهد حيث يقول :

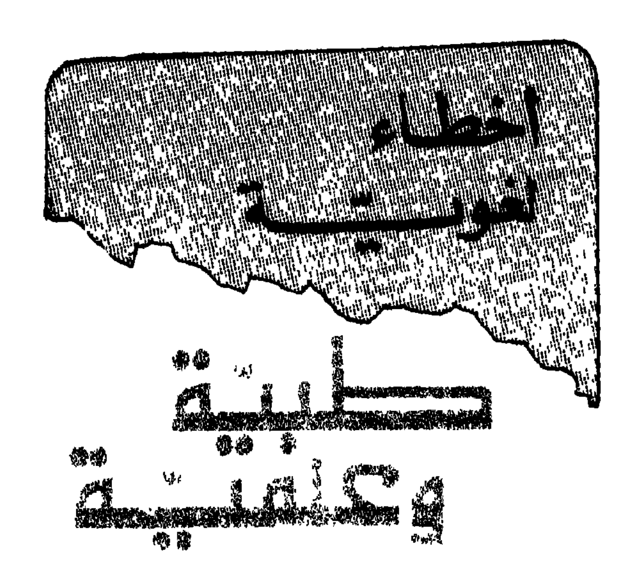
ولما سقتنا بابريقها
لثمنا يديها وخلخالها
وَتبْنَا وباتت على ساقها
تصفق للشرب جربا لها
كأن نجوم الدجى روضة
تجر بها السحب أذيالها
كأن الثريا بها راية
يقود الموفق أبطالها

وكان المعتصد بن عباد أمير اشبيلية وملحقاتها زوجا لاحدى بنات مجاهد العامري كتب اليه يخاطبه في البيتين التاليين بلسان شاعره المشهور « ابن ريدون » :

خِلِي،أبا الجيش هل يُقضى اللقاءَ غداً
فيشتفى منك طرف أنت ناظره
شط المزار بنا والدار « دانية »
يا حبذا الفأل لو صحت زواجره

لقد كان مجاهد العامري فريدا في عصره في كل ناحية ، في شكله وشجاعته وفروسيته وفي علمه وأدبه في تدينه واستهتاره أحيانا أخرى ، في ميزاته وسلبياته .

حقا لقد جمع شتى التناقصات في شخص واحد ، فكان عظيما رغم سلبياته ، عالما وأديبا رغم هفواته قائدا باسلا رغم نزواته ، لقد كان بحق صورة صادقة عن العصر الذي عاش فيه ، ودخل التاريخ من أوسع أبوابه وأصفى الخيال على اسمه هالة من البطولة والمجد وتناقل سكان الثغور المسيحية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط أخبار حملاته جيلا بعد جيل وأصبح اسمه اسطورة من الاساطير لعدة قرون . □



بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

إن كثيرا من المصطلحات العلمية ، والطبية العربية ، المعربة والعربية أصلا ، لا تزال تنطق ، أو تلفظ ، بصورة خاطئة ، وكأن ذلك النطق ، وهذا التلفظ ، أصبح هو اللفظ الصحيح ، وأصبح ما عداه ثقيلا على الأسماع ، يثير الدهشة ، ويسبب العجب .

وفيما يلي بعض هذه الكلمات والمصطلحات العربية والمعربة الخاطئة .

بتقدم العلوم الطبية ، والتقنية ، الحديثة ، ظهرت للوجود مصطلحات ، ومسميات ، كثيرة اقتضتها الضرورة لتسمية ما يستجد في تلك العلوم من أمراض ، وعقاقير ، ومسببات مرضية ، وفحوص تقنية ، ونحو ذلك . وهذا مما أدى الى دخول كثير من تلك المصطلحات الحديثة الى الأكاديمية الطبية العربية ، بألفاظها الغربية كما وضعها علماء الغرب المكتشفون والباحثون . وهذا جاء بسبب تقاعس العلماء واللغويين العرب عن الاسراع في تعريب تلك المصطلحات ، قبل أن تدخل اللغة العربية ـ بلفظها الغريب ـ وتفرض وجودها فيه ، ذلك أن لغة الضاد لا تعجز عن ايجاد ما يقابل تلك المصطلحات من كلمات تعطي معناها ، أو تكون تضميناً أمينا لها ، وليس هذا كل ما في الأمر ، بل ان أمر اهمال المصطلحات والمسميات الطبية ، والعلمية العربية ، وعدم الاهتمام بنطقها نطقا سليما ، بات أمرا اعتياديا ، حتى أن النطق بعض الكلمات العربية العريقة يأتي خاطئا من غير أن ينتبه اليها أحد حتى من الكتاب ، والمؤلفين ، والمتحدثين ، والأطباء ، ومن غير أن يكلف أحد نفسه عناء تصحيح تلفظ تلك الكلمات ، أو البحث عن أصولها ومعناها السوي .

اللِّثة :

تلفظ على الغالب بفتح اللام المشددة ، وفتح الثاء المشددة . وهذا خطأ . أما الصواب فهو : اللِّثَة ، بكسر اللام المشددة ، وفتح الثاء . من اللِّثي ،

ويعنى بها : الريق . وأصل اللُثة : اللّثِيَةُ ، فخفف لفظها . واللُثة هي مغرز الأسنان . وفيها العُمُور ، وهو ما تصعد بين الأسنان من اللثة .

العَقّار :

تنطق كلمة العِقار - بالكسر - أو العَقار - بالفتح - بمعنى الدواء . وهذا وهم ، فالعَقار ، بالفتح مخففا ، هو ما يملكه المرء من منزل ، وبستان ، وأرض ، وضيعة ، ونحو ذلك . أما العُقار - بالضم - فهي الخمرة ، سميت كذلك لأنها عقرت العقل ، وعاقرت الدن ، أي لازمته . وفي الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة معاقر خمر » وهو الذي يدمن شربها . أما الصواب فهو : العَقّار بوزن عطّار وجبّار . وهو ما يتداوى به من دواء . وجمعه العقاقير ، وهي أصول الأدوية .

النزيف :

كثيرا ما يقال : النّزيف من الأنف ، والنزيف من الجرح . وهذا خطأ يقع فيه كثير من الأطباء ، والكتاب ، والمتكلمين . والصواب النّزْف . فيقال النَّزْف الدموي من الأنف ، والنزف من الجرح مثلا أما النزيف فهو الشخص الذي نزف دمه ، أو أصيب بالنَّزْف . فيقال : شخص نزيف على وزن جريح وصريع .

الجُلْطة :

كثيرا ما تلفظ هذه الكلمة بفتح الجيم المعجمة . ويراد بها : الجُلطة الدموية في الشرايين والأوردة . وهذا خطأ . لأن الجَلطة - بالفتح - لها معان أخرى غير هذا المعنى . فيقال : جلط الرجل رأسه اذا حلقه . وجلط الرجل جَلْطة اذا كذب ، أو خرج بكلامه عما يراد به . أما الصواب فهو : الجُلطة ، بضم الجيم المعجمة . فيقال : الجُلطة التاجيةُ في القلب مثلا .

الكُلية ، والكُليتان ، والكُليتين ، والكلى :

تلفظ كلها بكسر الكاف خطأ ، والصواب أن تلفظ بالضم . فيقال : كُلية ، وكُليتان ، وكُليتين وكُلى . والعربية لا تعرف هذه الكلمات بالكسر وانما تعرفها بالضم وحسب .

الصَّرْع :

تلفظ بفتح الراء المهملة خطأ . والصواب الصَّرْع ، بسكون الراء . وأصل الصَّرْع : الطرح على الأرض . يقال : يصرعه صرعا وصرعا ، فهو مصروع ، وصريع . والجمع صرعى . والصَّرْع علة معروفة .

السُعرة ، والسُعرة الحرارية ، والسُعر :

يطلق هذا الاسم على الوحدة المستعملة لقياس الطاقة الحرارية في الجسم . وهو تعبير خاطىء ، لأن معنى السُّعْرة - بالضم - لون يضرب الى السواد فويق الأدمة . ومعنى السَّعر - بالفتح - السعال الحاد ، وتصغيرها . السُّعَيرة . أما الصواب فهو . السُّعر ، بضم السين المهملة المشددة . وجمعه سُعْرات يقال : سعر النار سعرا ، أي . أوقدها وهيّجها وقوله تعالى - عز من قائل - « واذا الجحيم سُعّرتْ » ، أي أوقدت وأُجّجت . كذلك قوله تعالى . وكفى بجهنم سعيرا والسَّعير : النار . والسُّعْر حرها .

المُبْتَسَر :

تطلق عبارة الطفل المبتسر على الوليد الذي يولد ناقص الخلقْ ، أو قبل اتمام أيامه . وقد أخذ ذلك من البَسرْ ، وهو الاعجال . يقال : بَسَرَ الرجل حاجته ، يَبْسُرُها بَسْرا ، وبسارا ، وابتسرها ، وتبسرها : أي طلبها في غير أوانها ، أو في غير موصعها . فأحدث كلمة « المبتسر » فأطلقت على الوليد الذي يولد قبل تمام أيامه داخل الرحم ، وكأنه مستعجل في الخروج الى الدنيا ولا ندري كيف عثر الباحث على هذه الكلمة فاستعارها لهذا المعنى ، ولم يعثر على كلمة : الخديج وهي نص مؤكد لهذه الحالة ، وليست استعارة لها . تقول العرب : خدجت الناقة تخدج وتخدُج خِداجا : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام

ام ، وان كان تام الخلق . فهي : مُخدجٌ وخادِج .
عال للولد : خدُوج ، وخدج ، ومُخدَج ،
حدوج ، وخديج - والخداج : الاسم من ذلك وبعد
ذا كله فلِم تستعمل عبارة الطفل المبتسر .

السُّخْد :

تستعملها بعض الجهات العلمية والأكاديمية على
انها تقابل كلمة Placenta ، وهي العضو اللاصق
في حدار الرحم ومه يتغذى الجنين ، أو الحميل ،
بواسطة الحبل السُّري . وهذا وهم كذلك يقول
« ابن منظور » في « لسان العرب » : السُّخْدُ : هو
الماء الدي يكون على رأس الولد . والسحد ماء أصفر
ثخين ينزل مع الولد . وقيل هو ماء يخرج مع
المشيمة ، قيل . هو للانسان خاصة ، وقيل هو
للانسان والماشية . ومنه قيل : رحل مُسخَد
والرحل المسحد . هو الرحل المورّم المُصْفرُ ، الثقيل
من المرض فيقال : أصبح فلان مُسَخَّداً ، اذا
أصبح وهو مصفر الوجه مورم . والسُّحدُ . الرهل
والصفرة في الوجه . كما ذكر « الفيروزابادي » في
« القاموس المحيط » معنى السحد مما يشبه هذا
المعنى

أما الصواب ، فهو أن توضع في هدا المقام كلمة
المشيمة . يقال : المشيمة للمرأة هي التي فيها الولد .
والجمع . مشايم ، ومشيم .

الرَّخَد ، والكُسَاح :

تستعملها بعض الجهات العلمية الأكاديمية بمعنى
Rickets ، وهو مرض يصيب عظام الطفل الصغير
فيسبب ضعفها ولينها ، ومن ثم تقوسها وتشوهها ،
استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى وهمٌ كذلك . ذلك
أن الرَّخْوَد من الرجال - وهو المصاب بالرَّخَد - هو
الرجل اللين العظام ، الكثير اللحم . فيقال : رجل
رخْودُ الشباب ناعمه ، وامرأة رَخْودة ناعمة ، يقول
الشاعر .

عرفت من هند أطلالا بذي البيد
قفرا وجاراتها البيض الرخاويد

ولعل الدافع لوضع كلمة الرخد مقابل كلمة
Rickets هي عبارة لين العظام المذكورة آنفا .
ولكن لين العظام هنا لا يعني لين مادة العظام بمعناه
الحقيقي ، وانما لين الأعطاف ونعومة الخلقة ثم ان
كلمة Rickets مشتقة من الكلمة اللاتينية
Rhachitis بمعنى : الشكوى الشوكية نسبة الى
القناة الشوكية في العمود الفقري ، وليست من
الكلمة العربية « الرَّخَد » كما قد يتبادر الى الاذهان .

أما الصواب ، فهو : الكساح ، وهي الكلمة التي
ينبغي أن توضع في هذا المقام . والكُساح الزَّمانة
(أي المرض) في اليدين والرجْلين ، وأكثر
ما تستعمل في الرِّجلين . فيقال : كَسِحَ الرجل
كَسَحاً : اذا ثقلت احدى رجليه فراح يجرها جرا في
المشي . والأكسح المُقعد .

الفَيْرس ، والفايروس ، والفيروس :

في سنة ١٨٩٢ ميلادية ، قام العالم « إيوانوسكي
Iwanoski » بوصف حالة خَمج (التهاب) انتقل
بواسطة عامل غير مرئي استطاع المرور خلال مصفاة
جرثومية ، ولم يستطع العالم المذكور آنذاك تحديد
ماهية هذا العامل ، أو معرفة هيئته وتركيبه وكيانه ،
فأطلق عليه اسم Virus . ومعنى هذه الكلمة
باللاتينية : السُّم . وفي أوائل الأربعينيات اكتشف
المجهر الألكتروني ، واستطاع العلماء بواسطته أن يروا
هذه العوامل رأي العين ، وأن يحددوا أشكالها ،
وهيئاتها . ثم أخذوا يطلقون عليها أسماء مختلفة ،
ولكن اسم « الفايرس » - أي السُّم - بقي لاصقا بها
منذ أن سماها به العالم « ايوانوسكي » قبل حوالي مائة
عام . وقد أخذ الكتّاب العرب ، والمؤلفون ،
والمتحدثون في الاذاعة والتلفزة وغيرهما هذه الكلمة
فاستعملوها كما هي : الفايرس ، وفي بعض
الأحيان : الفايروس ، والفيروس ، ونحو ذلك .

وكأن لغة الضاد تعجز عن الاتيان بمسمى لكلمة
أجنبية تعني : السُّم . والصواب أن يذكر اسمها في
العربية ، وهو : الحُمَةُ . ذلك أن معنى كلتا
الكلمتين : الفايرس والسُّم هو : الحُمَة . وهي
ترجمة أمينة دقيقة لكلمة Virus كما أشار الى ذلك
علماء الطب العرب .

البيــولــوجيــا ، والبسيكــولــوجيــا ، والفسيولوجيا :

كلمات لاتينية يستعملها بعض الأطباء ، وصعاف الكتاب ، كما هي ، مع اضافة ألف ليّنة في آخر الكلمة ، من غير أن يكلف بعضهم نفسه عناء البحث عن معناها في العربية . وكأن لغة الضاد تعجز عن ترجمة هذه الكلمات ، أو ايجاد معنى لها ؟

ان كل كلمة من هذه الكلمات ، تتركب من كلمتين ، الثانية منها : Logy ، أو « لوجيا » كما تُلفظ بالعربية من قبل البعض ، ومعناها : عِلْمٌ

والـ Bio ومعناها . الحياة . فيكون معنى المصطلح . علم الحياة . والثانية تتكون من كلمة Logy بمعنى علم ، و Psycho ، ومعناها :

النفساني أو ما يتعلق بالنفس ، وهي مشتقة من كلمة Psyche اللاتينية التي تعني : النفس . فيكون تمام المعنى : علم النفس . وكذلك الكلمة الثالثة فانها تعني : علم وظائف الأعضاء . ومن الغريب أن « مترجم » كلمة Psychology يصر على وضع الحرف P ، الذي يكتب في أول الكلمة اللاتينية ولا يلفظ ، فيكتبها : سيكولوجيا . فتأمل !

البُلعوم :

تلفظ بفتح الباء خطأ ، والصواب . البُلعوم ـ بالضم ـ وهو مجرى الطعام من الفم الى المعدة . ويقال له أيضا : البُلْعُمُ ، والمَبْلع ، والبلعوم . أما البلعوم ـ بالفتح ـ فهو خطأ شائع .

الصِّمام :

• تلفظ بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم . وهذا خطأ . والصواب : الصِّمام ، بكسر الصاد المهملة وتشديدها . يقال : أصْمَمْتُ القارورة . أي سددتها ، وأصْمَمْتُها : أي جعلت لها صماما ، وجمع الصِّمام أصمة . وكذلك يقال صِمامة ، وجمعها : صمامات .

الحَنْجرة :

تلفظ بضم الحاء المهملة خطأ وأحيانا بضم الجيم المعجمة ويقال : الحُنجرة ، والحُنْجُرة والصواب : الحَنْجَرة ، بفتح الحاء المهملة

والجمع : حناجر . ومنه قوله تعالى : وبلغت القلوب الحناجر أي صعدت من مواضعها ، من الخوف ، الى نارئها .

المتــوفى :

بمعنى الميت . تلفظ بكسر الفاء المشددة خطأ والصواب . المتوفّى ـ مبني للمجهول ـ ذلك أن المتوفي (بكسر الفاء المشددة) هو الله سبحانه وتعالى ، لقوله ـ عز من قائل ـ « الله يتوفى الأنفس حين موتها » . أما الميت فهو المتوفّى ، أي الذي حلت به الوفاة ، والذي توفاه الله ـ سبحانه ـ بأجله الموعود

يقول أحد اللغويين مررت في طريق فرأيت جنازة تشيع وسمعت رجلا يسأل « من المتوفي ؟ » ـ بكسر الفاء المشددة ـ فقلت له

« الله تعالى » فضربت حتى كدت أموت وتدل هذه الطُرفة على أن الخطأ ، في لفظ هذه الكلمة قديم عند العامة من الناس ولكن ما بالك بالمثقفين ، والمتعلمين ، والمتأدبين ، في عصرنا هذا

رموش العين :

لا توجد في الفصيحة كلمة رمَش ، أو رمّش أو رموش وانما هي جميعها كلمات عامية كان الفضل في نشرها وتعميمها يعود لبعض ضعاف الكتاب والمترجمين ، حتى رسخت هذه الكلمات في الأذهان وكأنها من الفصيحة والصواب : أهداب العين

وكذلك عبارة في رمْشةِ عين . فانها عبارة عامية كذلك . والصواب : في طَرْفة عين . والطَّرْفَةُ ـ على وزن الطَّلْعَة ـ هي حركة الطَّرْف . والطَّرْف : العين

ـرمَ ، وفَرَمتْ ، والفَرْمُ ، والفِرامُ :

كثيرا ما يستعمل الأطباء كلمة « فرم » ـ من الفَرم ـ بمعنى تقطيع الشيء الى قطع صغيرة غاية في الصغر فيقال ، فَرَم اللحم فرما ، واللحم المفروم ـ

اي المقطع قطعا صغيرة متماثلة . . وهكذا . وهذا خطأ كبير ذلك أن الفَرم ، والفرام ، له معنى بعيد كل البعد عن دلك ، ليس هنا محال شرحه أو بحثه

ومن شاء الاطلاع على دلك فليراجع لسان العرب لابن منظور (الجزء الثاني عشر ، صفحة ٤٥١ في طبعته التي تضم خمسة عشر مجلدا ، أو الجزء الثاني ،

صفحه ١٠٨٩ في طبعته التي تضم أربعة مجلدات كبار) . كما تستعمل كلمة « ثرم » ـ وهي عامية ـ للمعنى نفسه ، أي تقطيع الشيء الى قطع صغيرة ـ

وهو خطأ كذلك اذ أن معنى الثرم . انكسار السن من أصلها . واستعمال هذه الكلمة بمعنى تقطيع الشيء الى قطع صغيرة ، عاميا ، أخف وطأة من استعمال كلمة « فرَم » التي نأمل أن يطَّلع عليها القارىء الفاصل في المطان المذكورة .

شُفِي من مرضه :

تلفظ كلمة شَفَى بالفتح ، وهذا خطأ والصواب أن يقال . شُفِي من مرضه لأن الانسان لا يشفى

من عنده ، وانما يشفيه الله تعالى ويبلُّه من مرضه ـ فهو الذي شماه فَشُفِيَ . فالله تعالى هو الرزاق في حالة

الصحة ، والشافي في حالة المرض ، لقوله تعالى ـ عز من قائل : « هو الذي يطعمني ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين » ☐

الاصطياف هل عرفه العرب ؟

بالرغم من ان الاصطياف ظاهرة حضارية ، الا أن العرب عرفوا الاصطياف منذ عصور سحيقة ، وفقا لدواعيه ، وبحسب مواطنهم الجغرافية ، ومستوياتهم الحضارية من جهة أخرى

فكان حسان بن أسعد أبو كرب الحميري أعظم تبابعة اليمن يصطاف في ظفار ويشتو في مأرب ، وكانت رصافة الشام مصطاف النعمان بن ثابت بن الأيهم من ملوك الغساسنة ، وقد حدد الخليفة هشام بن عبدالملك دلك المصطاف ، وظل يتردد عليه

وكانت الطائف من أجمل المصايف العربية ، واشتهرت بطيب هوائها ، وروعة مناظرها ، وكثرة ثمارها في فصل الصيف ، وقد ذكر البكرى أن بني عامر بن صعصعة كانوا يصطافون فيها ، وقد عبر الاصمعى عن انطباعه بزيارة الطائف بقوله : دخلت الطائف فكأني أبشر ، وقلبي ينصح بالسرور ، ولم أجد سببا لذلك الا لانفساح جوها وطيب نسيمها

وكان الاصطياف في الطائف من مظاهر الترف ، يفخر به السراة ، وفي ذلك يقول محمد ابن عبدالله النميرى في زينب اخت الحجاج بن يوسف تشتو بمكه نعمة ومصيفها بالطائف

كما كانت الشاش من البلدان التي اشتهرت برقة جوها صيفا ، وشدة برودتها في الشتاء ، فقد قال فيها أبو ربيع البلخى :

الشاش في الصيف جنة ومن أذى الحر جُنة
لكنه يعتريني بها لدى البرد جِنّة

كما كانت همدان يستحب الاقامة بها صيفا ولا تحتمل في الشتاء ، يقول ياقوت الحموى انه كان يصطاف في الجبال ليسلم من سمائم العراق ، ويشتو في العراق ليسلم من زمهرير الجبال وثلوجها ، كما كانت بساتين الشام وجبالها مصايف خاصة للاعيان من السراة ، يقضون فيها أمتع أيام العمر



بقلم : عبدالقادر التلمساني

في الثلاثينيات من هذا القرن نطقت السينما ، وكان هذا إيذانا بنهاية حقبة سينمائية كاملة وبداية حقبة أخرى .

لكن هذه النقلة النوعية في الفن السينمائي لم تأت من فراغ ، فعلى مدى عقد من الزمن تكونت الملامح الأساسية للسينما كفن ، وتبلورت المدارس الرئيسية في العالم ، وعاشت السينما الصامتة عصرها الذهبي ، وفي هذا المقال رصد للانجازات الرئيسية في حقل السينما في ذلك العصر .

كان الاتجاه المسيطر على الانتاج السينمائي الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى هو تملق أذواق الجماهير ، بتقديم أفلام روائية ذات طابع تقليدي ، وجملة من الحوادث مثل فيلم « الفرسان الثلاثة » (١٩٢١) ، وفيلم « المعركة » ومع ذلك فمنذ عام ١٩١٩ بدأ تيار جديد يظهر في السينما الفرنسية ، كرد فعل لهذا الاتجاه السائد ، بقيادة (لويس ديلوك) ، وهو روائي ورجل مسرح جاء الى السينما ، و (كانودو) وهو روائي أيضا ، وأول من كتب بحثا في السينما عام ١٩١١ ، وقد جمعا حولهما بعض المخرجين من أمثال السيدة (جيرمين ديلاك) و (مارسيل ليربيه) و (أبيل جانس) ، وذلك بقصد تأكيد القيمة الفنية للسينما وتطويرها وتحسينها ، وبدأ (ديلوك) و (ليون موسيناك) كتابة النقد السينمائي في عديد من الجرائد والمجلات ، كما أنشأ (ديلوك) عام ١٩٢٠ أول نادى سينما ، وكون (كانود) عام ١٩٢١ « نادى أصدقاء الفن السابع » وذلك بقصد تربية ذوق فنى للجماهير ، انها الفترة التي اكتشف فيها المثقفون السينما ، وقد كتب الأديب (جول رومان) في تلك الفترة كتابا هو « دونوجو » استعمل

به وقوع حدثين مختلفين في نفس اللحظة ، وهي طريقة سينمائية خاصة تأثر بها الأدب .

لغة السينما

وقد أنتجت تلك المدرسة ـ التي كان ديلوك منظرها ورائدها الأول ـ أفلاما فنية عديدة نخص بالذكر منها « نفوس المحاسبين » ١٩١٨ ، و « العيد الأسباني » ١٩١٩ ، و « مدام بوديه المتبسمة » ١٩٢٣ ، وهي من اخراج (جيرمين ديلاك) ، وأفلام « حمى » ١٩٢١ ، و « امرأة من لا مكان » ١٩٢٢ من اخراج (ديلوك) ، وتمتاز بأسلوبها البديع الموحي وأفلام « الرجل الكريم » ١٩٢٠ ، و « الدورادو » ١٩٢٢ ، و « المتوحشة » ١٩٢٣ من اخراج (مارسيل ليربييه) وتمتاز بديكوراتها البارزة الشبيهة بديكورات المدرسة التعبيرية الألمانية ، وأفلام « انى أتهم » ١٩١٩ عن قصة (اميل زولا) ، و « العجلة » ١٩٢٣ ، و « نابليون » ١٩٢٧ وهي من اخراج (ابيل جانس) وتمتاز بالمبالغة المفرطة في التعبير الفني الخالص

واذا كانت بعض الأبحاث الفنية « التقنية » « والجمالية » التي تضمنتها هذه الأفلام تبدو لنا اليوم شكلية بحتة ، بل وعقيمة الى حد كبير ، فانها مع ذلك تدل على مجهود واضح لخلق لغة خاصة بالفن السينمائي ، وقد أعطت للسينما الفرنسية في ذلك الحين طابعا فيه الكثير من الجدة والأصالة ، رغم ضيق حدودها من الناحية المادية

وقد تأثرت المدرسة الفرنسية في بعض جوانبها بتيار في احر جاء من ألمانيا ، كان يستخدم أسلوبا جديدا في التعبير السينمائي ، وهذا التيار الذي سمى بالمدرسة التعبيرية الألمانية ، يتميز بتشويه معين للعالم الخارجي ، ويقدم من هذا العالم الرؤية الذاتية للمخرج الفنان ، وأكثر الأفلام تمثيلا لتلك المدرسة هو فيلم « عيادة الدكتور كاليجاري » ١٩٢٠ وقد أخضع مخرج الفيلم (روبيرت واين) الممثلين والملابس لديكورات ذات أسلوب في أعدت خصيصا لكي تتلاءم مع سيناريو يعالج موضوعا مرضيا شاذا يرويه مجنون .

وسوف يعاود الألمان تناول هذا اللون من الموضوعات بعد ذلك مرات عديدة ، وقد اتخذ



شارلى شابلن

(فريتز لانج) ـ هو الآخر ـ الأسلوب التعبيري ، وأخرج فيلم « الأنوار الثلاثة » (١٩٢١) ، ولم يعد الديكور يتكون فقط من لوحات مرسومة ـ كما هو الحال في فيلم كاليجاري ـ ولكنه مع ذلك ظل محتفظا بطابعه التعبيري العميق ، وفي عام ١٩٢٢ بدأ (فريتز لانج) في اخراج ثلاثيته الشهيرة المعروفة « بالنيبلنجين » وهي أفلام مستوحاة من الأساطير التي تعبر عن الروح الجرمانية ، وتسيطر عليها ديكورات

هرقلية ضخمة ، ويبدو فيها بوضوح وامتياز الحس التشكيلي .

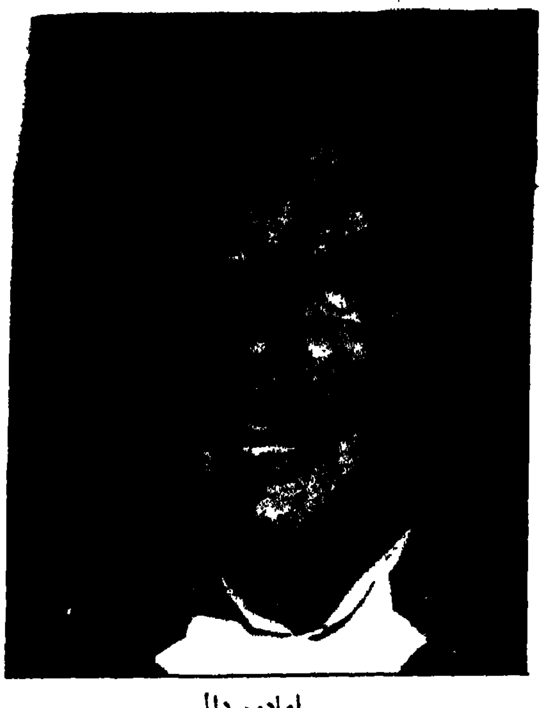
ومن كبار الممثلين للمدرسة التعبيرية الألمانية المخرج (ميرناو) الذي قدم عام ١٩٢١ فيلم « نوسفيراتو مصاص الدماء » . ومن أروع أفلامه كذلك فيلم « آخر الرجال » ١٩٢٤ الذي لمع فيه الممثل الكبير (اميل جانينجز) . . وقد استخدم في هذا الفيلم كل امكانيات الكاميرا في الحركة . . كما طور سيناريست الفيلم (كارل ماير) مضمون مدرسة مسرح الحجرة الى أقصى مداها ، و (ماير) هو مبدع نظريتها التي تتميز بوحدة المكان وبساطة الموضوع ، والتمثيل والوسط الذي تدور فيه الحوادث ، وقد وجهت نظرية « مسرح الحجرة » جزءا من السينما الألمانية نحو الواقعية ، ولنذكر فيلم « ليلة عيد الميلاد » للمخرج (لوبي بيك) وفيلم « شارع بلا مرح » للمخرج (بابست) .

ولقد كان للأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ١٩٢٤ آثار بالغة الخطورة على السينما الألمانية ، فقد أقفلت ستوديوهاتها ، وذهب خير نجومها وفنييها من أمثال (بولانيجرى) و (اميل جانينجز) ، و (ايرنست لوبيتش) ، و (كارل ماير) و (ميرناو) وغيرهم للعمل في هوليوود .

أوروبيون في السينما الأمريكية

لكي تحتفظ أمريكا بتفوقها الذي هدده أفول نجم (جريفيث) و (ماك سينيت) وموت (توماس اينس) وهم مخرجوها الثلاثة الكبار ـ راحت تدعو الفنانين الأجانب للعمل لديها ، ومن بين هؤلاء الأجانب كان النمساوي (اريك فون ستروبم) وهو واحد من أقوى الشخصيات السينمائية التي ظهرت في العالم ، عمل مساعدا (لجريفيث) ثم أخرج عام ١٩٢٢ فيلما كبيرا يتسم بالجرأة الشديدة ، والواقعية الصارخة ، والصراحة العارية من الحياء ، هو فيلم « جنون النساء » . . ثم أخرج عام ١٩٢٣ فيلم « الجشعون » وهو أشد عنفا في واقعيته من سابقه ، بل هو يصل أحيانا الى حد الافراط في تصوير الواقع .

وقد اختصر المنتجون فيلم جريفيث « التعصب » فأصبح مثله عسير الفهم وفشل تجاريا ، وقد رفض



سلفادور دالي

(ستروبم) الاعتراف بالفيلم بعد اختصاره ، وأصبح المخرج ـ بسبب سخريته الاجتماعية العنيفة التي تعبر عنها أفلامه ـ من المشكوك في ولائهم لأمريكا ، لذلك فبعد أن أخرج فيلما آخر قويا هو « لحن الزفاف » ١٩٢٧ اضطر أن يترك الاخراج ويكتفي بالتمثيل .

وقدم مخرج نمساوي آخر هو (جوزيف فون ستيرنبيرج) بفيلم « ليالي شيكاغو » ١٩٢٧ نموذجا جديدا من الأفلام الأمريكية هو فيلم العصابات « الجانجستر » وسوف يجد هذا النوع من الأفلام نجاحا كبيرا فيما بعد .

وقد استطاع الفنانون السويديون الذين جذبتهم أمريكا أن يفلتوا بصعوبة شديدة من سيطرة الأفلام التجارية التي تنتجها هوليوود بالعشرات ، فأخرج (سجوستروم) عام ١٩٢٤ فيلم « الرجل الذي يستقبل الصفعات » وهو من أفضل الأفلام في هذه الفترة .

وهكذا نجد أن أمريكا تدين للأوروبيين بغالبية أفلامها القيمة في ذلك الحين ، ومع ذلك فهناك ميدانان لأمريكا فيهما كل الفضل :

أولا الفيلم التسجيلي ـ فقد أعطى (روبرت فلاهرتي) بفيلمه « نانوك الأسكيمو » ١٩٢١ لهذا

س الأفلام معنى جديدا ، وذلك بأن تناول
ع الفيلم بأسلوب اجتماعي وانساني له مسحة
وح الروائية الشاعرية ، والميدان الثاني الذي
ن فيه أمريكا هو ميدان الفيلم الكوميدي ،
ـ الفضل الأكبر في ذلك الى العبقري (شارلي
س) الذي استمرت موهبته في النمو والازدهار في
مه فترة طويلة ، مزج فيها السخرية الاجتماعية
ضحك الخالص ، ومن روائع أفلامه في تلك الفترة
سم « الصبي » ١٩٢٠ ، وفيلم « الحاج » ١٩٢٣
بكن (شابلن) لم يلبث أن أصبح مثل (ايريك فون
ستروهيم) مريباً في نظر المنظمات الدينية المتعصبة
(السوريتانية) في أمريكا . غير أن نجاحه الشعبي
الرائع واقبال الجماهير على أفلامه قد ضمن له
الاستمرار في العمل والانتاج .

علم النحو السينمائي

في منتصف العشرينيات ظهرت في فرنسا حركة
فنية جديدة استوحت النظريات الجمالية للدادية
والسريالية وقد ساند هذه الحركة جمهور نوادي
السينما وصالات العرض المتخصصة من المثقفين ،
وراحت تبحث عن وسائل تعبير سينمائية مختلفة
ومتنوعة ، والأعمال المهمة التي أنتجتها هذه المدرسة
كلها تقريبا من الأفلام القصيرة المليئة بالصور العجيبة
المذهلة ، وهي تشبه في الغالب تلك الصور التي يمكن
أن نراها في أحلام اليقظة ، وأهم هذه الأعمال :
« الباليه الميكانيكي » للفنان التكعيبي فرنان ليجيه
(١٩٢٤) و « المحارة والقسيس » (١٩٢٨) من
اخراج (جيرمين ديلاك) عن سيناريو للشاعر
(أنطونان أرتو) ، و « نجمة البحر » (١٩٢٨)
للمصور (مان راي) و « الكلب الأندلسي » وهو
الفيلم النموذجي للسينما السيريالية أخرجه (لوي
بونويل) عن سيناريو (لسلفادور دالي) ولا شك أن
كثيرا من هذه الأفلام التجريبية قد تجاوز كل حد ـ من
الناحية الفنية ـ وان لم يتجاوز دائرة محدودة من
المتفرجين ، ومع ذلك فقد أثرت هذه الحركة في أولئك
الذين سوف يعطون للسينما الفرنسية وجها جديدا .

ومن بين الذين جاءوا حديثا الى السينما في تلك
الفترة المؤلف المخرج (رينيه كلير) . وهو أول من
نجح في أن يخاطب بأفلامه الصفوة المختارة والجمهور
الكبير من المتفرجين . . ذلك الجمهور الذي لا
تستطيع السينما أن تعيش بدونه ، فقد تجاوز (رينيه
كلير) أبحاث الطبيعة ، وربطها بتقاليد المدرسة
الكوميدية الفرنسية فيما قبل الحرب العالمية الأولى ، في
أفلامه « باريس النائمة » (١٩٢٣) و « استراحة »
(١٩٢٤) ، وقد اعتبر النقاد هذا الفيلم نموذجا لعلم
النحو السينمائي ، ثم في فيلم « الرحلة الخيالية »
(١٩٢٦) وفيلم « قبعة القش الايطالية » (١٩٢٧)
عن مسرحية الكاتب المسرحي الفرنسي (يوجين
لابيش) ـ ويعتبر هذا الفيلم نموذجا للروح الخفيفة
وللرقة في التعبير الفني .

وأخرج (جاك فيدير) ، بعد فيلم « أتلانتيد »
(١٩٢١) وفيلم « وجوه الأطفال » (١٩٢٤) ،
فيلمه المثير الرائع « كرانكيبيل » (١٩٢٣) عن قصة
الروائي الفرنسي الكبير (أناتول فرانس) ثم ترجم
بالصوره قصة اميل زولا « تيريز راكان » (١٩٢٨) .

وأخرج (جان رينوار) ابن الفنان التأثيري الكبير
(أوجيست رينوار) فيلما جيلا هو « ابنة الماء »
(١٩٢٤) ثم قصة (اميل زولا) الشهيرة « نانا »
(١٩٢٦) ثم « بائعة الكبريت الصغيرة » (١٩٢٨)
للكاتب الدانمركي الشهير (هانز كريستيان
أندرسون) وقدم أحد السينمائيين الهواة في ذلك
الحين وهو (مارسيل كارنيه) فيلما أثار الانتباه اليه هو
« الدوراد والأحد » (١٩٢٠) وأخرج (جان
جريميون) أولى أفلامه عام ١٩٢٧ وهو « في الهواء
الطلق » كما أخرج (ابشتين) فيلما تسجيليا ذا طابع
روائي عن مقاطعة بريتانيا عام ١٩٢٩ وقد أفسحت
الأفلام التسجيلية الخالصة المجال لظهور أفلام قصيرة
ذات قيمة فنية ، مثل فيلم « الكوبعو » اخراج (مارك
اليجريه) ، وأفلام (جان بانليفيه) (المولود عام
١٩٠٢) مثل « الاخطبوط » و « حصان البحر »
وغيرها ، حيث امتزج الشعر بالأهمية العلمية
للفيلم .

ومن الضروري أن نفرد مكانا على حدة لفيلم
عظيم أخرجه في فرنسا المخرج الدانمركي (دراير)
وهو فيلم « عذاب جان دارك » (١٩٢٨) حيث
جعلت الممثلة (فالكونيتي) من دور (جان دارك)
مثالاً لروعة التعبير والأداء .

ان هـذا الفيلم دراسـة عميقـة وأصيلة للقيمـة التعبيرية للوجوه الانسانية ، وقد صورت كلها تقريبا في لقطات كبيرة ودون أي مكياج ، على أن كل هذه الأفلام تعتبر استثناء في الانتاج الفرنسي الذي ظل في مجموعه ضئيل القيمة وتافها ، والذي ظل مستواه في هبوط عاما بعد عام حتى مجيء الفيلم الناطق .

أما المخرجـون الألمان الـذين بقوا في المانيـا ولم يهاجروا الى أوروبا وأمريكا فقدموا بصعة أفلام نالت نجاحا كبيـرا ، وكان لبعضهـا قيمة فنيـة مثل فيلـم « مـمـنوعـات » (١٩٢٥) للمخـرج (ديـبـون) و « الشـارع الخـالي من المـرح » (١٩٢٥) اخـراج (بابست) وبـطولـة (جريتـا جـاربـو) ، وفيلـم « متروبوليس » (١٩٢٦) وقد استخدم فيه مخرجه (فريتزلانـج) من جديـد الديكـورات الضخمة ، ويعتبر هذا الفيلم نهاية السينما الالمانية الصامتة

السيطرة التجارية الأمريكية :

أما في أمريكا فاستمرت هوليوود في تأكيد سيطرتها التجارية بانتاج أفلام ناجحة ، ولكنها أنتجت أيضا بصعة أفلام ذات قيمة فنية حقيقية

وقد أكد المخرج (كينج فيدور)-الذي يعمل في الميدان السينمائي منذ عام ١٩١٨ - أكد براعته الفنية في فيلم من أفلام الحرب هو « الاستعراض الكبير » (١٩٢٥) ، وفي فيلم طبيعي هـو « الجمـاهـير » (١٩٢٨) ، وأخرج المخرج (بول فيجوس) فيلما حسـاسا وجـدانيا هـو « الوحـدة » (١٩٢٨) ، كما ستعاد السويدي (ستيلار) موهبته القديمة في فيلم « الريح » (١٩٢٧) ، وقـدم (جون فـورد) أول أفلامه عام ١٩٢٤ « الحصان الحديدي » ، وهو قصة قاطرة بأسلوب أفلام الغرب (الويسترين) وأكد (روبـرت فلاهيـرتي) ميله للفيلم التسجيلي بفيلم « موانا » (١٩٢٦) ثم بفيلم « تابو » (١٩٢٨)

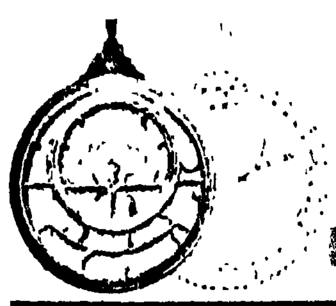
واستمر شارلي شابلن بمفرده تقريبا في الحفاظ على الفن الكوميدي الأمريكي في أعمال مدروسة بدقة مثـل : « البـحث عـن الـذهـب » (١٩٢٥) و « السيرك » (١٩٢٨) ، ومن ناحية أخرى ظهر في أمريكا فـنانون كبـار للرسوم المتحـركة مثـل (بات سوليفان) خالق شخصية القط فيليكس (١٩٢٨) ووالت ديزني الذي راح يقـدم سلسلة أفلامـه عن ميكي ماوس عام ١٩٢٧ .

المدرسة السوفيتية :

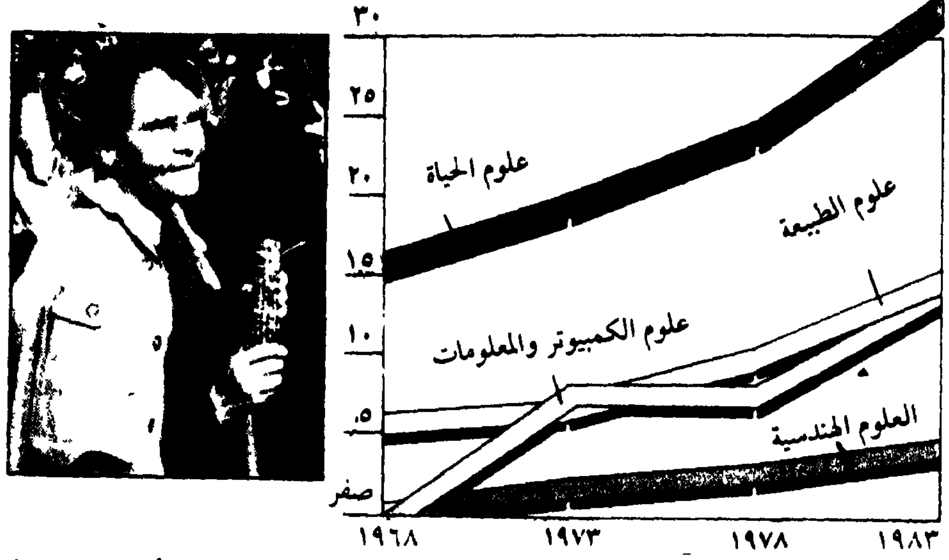
أهم أحداث هذه الفترة ظهور السينما السوفيتية ، خاصة ابتداء من عام ١٩٢٥ ، فمنـذ ثورة ١٩١٧ حتى عـام ١٩٢٢ كان الانتـاج السينمائي الروسي ضئيـل القيمة ، ولكن بمسـاعدة الحكـومة تكونت مدرسة سينمائية جديدة سوف تخرج شخصيات فنية قوية ، ويعتبر (دزيجافيرتوف) أول من عبر عن نظرية (أورجيـال) وهي نظريـة « السينما الحقيقيـة » و « السينما - العين » ، وكان يصور نموذجها الخشن البسيطة العارية ويلتقطها من الحياة ، كما كان يفعل (لوميير) فيما مضى ، ولكن مع استخدام فن المونتاج وترتيب اللقطات واستخراج المعاني من ذلك ، وقد استوحى (أيزنشتين) نظرية (فيرتوف) ، وظهرت بـراعتـه الفنيـة في فيلمـه الأول « الاضـراب » (١٩٢٤) ، ثم أكـدها في فيلمـه الثاني « المدرعة بوتمكين » (١٩٢٥) وقـد نال هـذا الفيلم الرائع اعجابا عظيما في شتى انحاء العالم ، كنموذج فريد لبراعة المونتاج وقوة التعبير في التكوين السينمائي

كما أكد (أيزنشتين) موهبته في فيلم « أكتوبر » (١٩٢٨) وفيلم الخط العام (١٩٢٩) ، وبينما برع (أيزنشتين) في اخراج الجماهير على الشاشة ، نجد أن (بودوفكين) اهتم بابراز الشخصية الخاصة لكل فرد ، باعتباره نموذجا للملايين ، كما هو الحال في فيلم « الأم » (١٩٢٦) المأخوذ عن قصـه (جـوركي) الشهيرة ، وفيلم « نهاية سان بيتر سبورج » (١٩٢٧) وفيلم « عـاصفـة عـلى اسيـا » (١٩٢٨) وظهر المخرج (الأوكراني دو فجينكو) بمزاج مختلف تماما عن زميليه ، فبنى على تيمات خالدة أناشيد غنائية عظيمة ، مثـل فيلم « الترسـانة » (١٩٢٩) وعلى الخصوص فيلم « الأرض » (١٩٣٠)

وسوف يصبح لهذه الأفلام دوي كبير وتأثير حقيقي في العـالم كله لشخصيتهـا الاجتمـاعيـة البـارزة ، ولاستعمالها الذكي لطرائق التعبير المرئية الخالصة ، وقد شاركت هذه الأفلام في بلوغ الفن السينمـائي مرتبة الكمال ، في اللحظة التي أوشك فيها هذا الفن أن ينقلب رأسا على عقب من جـراء ثورة تكنيكيـة جديدة هي ثورة الفيلم الناطق □



جديد في العلم والطب



حصة النساء الأمريكيات من مجموع شهادات الدكتوراه التي تمنحها الجامعات الأمريكية ، خلال ١٥ عاما (١٩٦٨ - ١٩٨٣) ، وذلك في مجالات علمية أربعة ، اعتبرت حتى الآن مجالات أكثر صعوبة

بين الذكور و الاناث من العلماء

كادت دراسة العلوم ان تكون وقفا على الرجال في الماضي القريب ولكن تلك الظاهرة تعرضت لتغير جذري منذ السبعينيات في شتى الدول المتقدمة الراقية بما فيها الولايات المتحدة الامريكية . . فقد بلغ من اقبال النساء على طلب العلوم أن تضاعفت نسبة حملة شهادات الدكتوراه منهن سواء في علوم الحياة او علوم الطبيعة . أو علوم الكمبيوتر والمعلومات . فقد ارتفعت تلك النسبة في تلك المجالات الثلاثة وفي غضون ١٥ سنة (١٩٦٨ - ١٩٨٣) على النحو التالي (انظر الرسم)

علوم الحياة / كانت النسبة ١٥٪ . . واصبحت ٣٢٪

علوم الكمبيوتر والمعلومات / كانت النسبة صفرا ثم اصبحت ١٣٪

علوم الطبيعة / كانت النسبة ٥٪ ثم اصبحت ١٥٪

حتى العلوم الهندسية وهي علوم رجال بحكم طبيعتها ، ارتفعت نسبة حملة الدكتوراه فيها من النساء من صفر الى ٤٪ تقريبا

على أن طغيان الذكور في الماضي يستأثر باهتمام العلماء بل العالمات في الوقت الحاضر من نواح لا تخطر ببال . . فالعالمة (شيرلي مالكولم) وهي احدى المسؤولات في مؤسسة التقدم العلمي الامريكية تتساءل عن اثار ذلك الطغيان في حصيلة العلوم الموضوعية بالذات . .

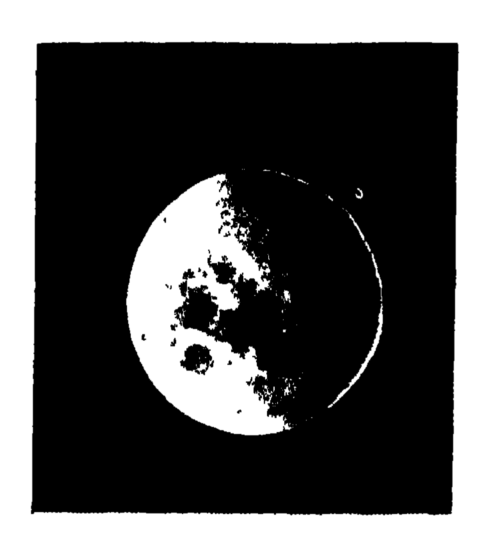
فالآثار قائمة لاشك فيها وقد أثبت وجودها كثير من العلماء منذ مطلع الستينيات ، ونخص بالذكر منهم توماس كوهن في كتابه بنية التوارث العلمية (١٩٦٢) وقد بين فيه ان معتقدات العلماء لها اثر كبير في الحقائق الموضوعية التي تتمخض عنها المشاهدات الموضوعية ، وتجارب المختبرات . . وقل مثل ذلك في الفوارق الجنسية . . الفوارق بين العلماء والعالمات . . فهي الاخرى ذات اثر بالغ في الحقائق العلمية . . كما اثبتت ذلك العالمة ايفلين فوكس كلر في كتابها الجديد الذي صدر في اواخر سنة ١٩٨٥ . بعنوان : « نظرات حول العلم والجنس » .

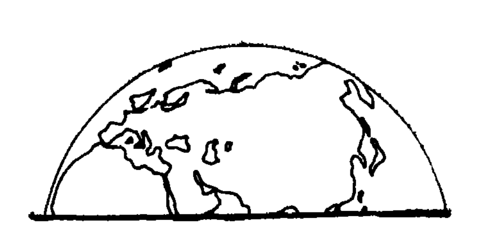
وتذهب العالمة كلر في كتابها هذا الى ان الحقائق العلمية ومها قوانين الطبيعة نفسها لم تصور لنا شفافية موضوعية ١٠٠٪ فقد شابها طابع شخصي . . هو طا العلماء الذكور الذين اكتشفوها ولط انحرف العالم في تفسير تلك الحقائق ـ لم نقل في رؤ يتها بالذات ـ تبعا لكو ذكرا . . وتجلى ذلك الانحراف اكثر تجلى في دراسة القردة . . وقد ركز العل الذكور على دور الذكور من القرود وكأ الدور القيادي بالفعل فالذكر هو الذي يحارب . . ويختار اناثه . . وينحب حي يقرر الانجاب . . هكذا صوروا حياة القردة أو تصوروها . . .

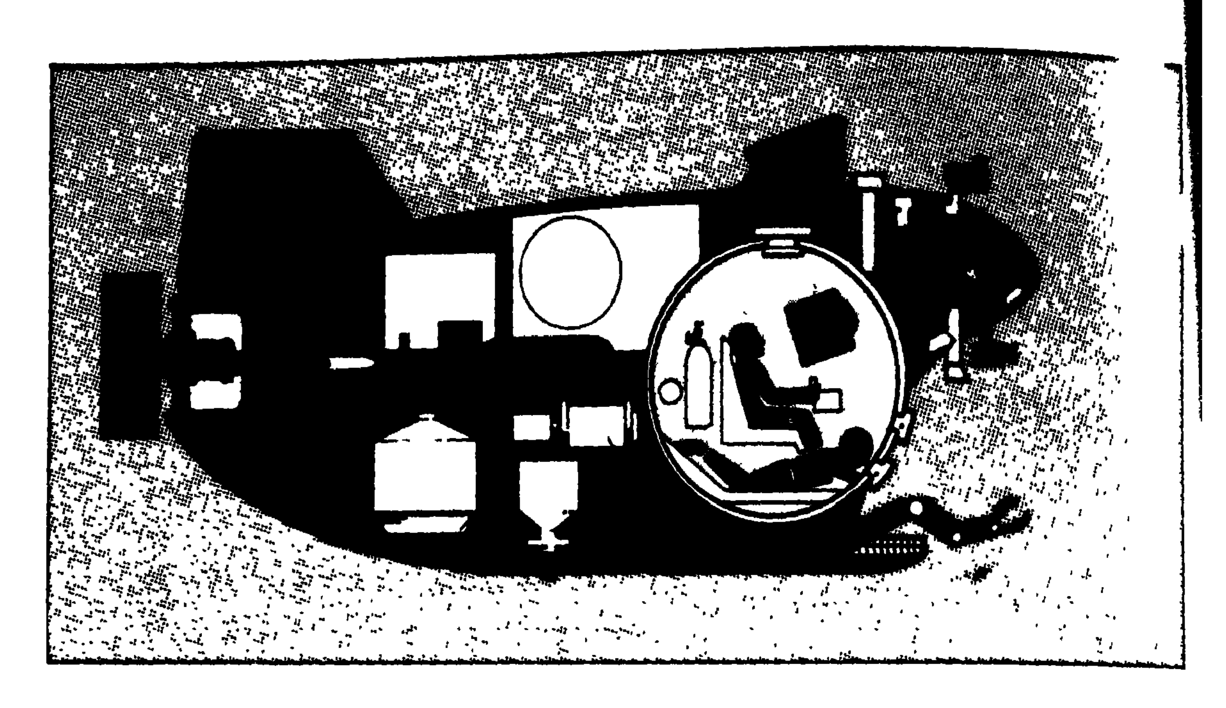
وما اسرع ما انقلبت الصورة رأسا على عقب وذلك على يد العالمات الباحثات اللواتى درسن حياة القردة دراسة ميدانية واسعة . . ونخص بالذكر مهن العالمة سارة هاردى من جامعة كاليفورنيا وقد أثبتت أن دور الانثى من القردة هو الدور القيادي . . فيما يختص بالتزاوج والانجاب على أقل تقدير .

القمر . . وكيف انبثق من الكرة الأرضية

كان العلماء الفلكيون وما زالوا على خلاف حول مولد القمر . وكثرت النظريات التي تعلل ظهوره كتابع للكرة الأرضية . . وجاء الفلكي ريتشارد دوريسن dwrisen بآخر تلك النظريات التي تقول بأن القمر انبثق عن الكرة الأرضية في الماضي السحيق حين كانت الأرض كتلة من مادة ذائبة سائلة غير ثابتة . . ولكنها كانت دوارة . بحيث انسلخت أو انسكبت كمية من تلك المادة الى خارجها . . وراحت تدور هي الأخرى ولكن في فلك حول الكرة الأم . . وفقدت الكتلة المسلخة الكثير من بنيتها ثم استقرت على مضي الزمن فكان القمر . .







الغاطسة الأولى في العالم

هذه هي الغاطسة المأهولة التي تعمل على تطورها (وزارة العلم والتكنولوجيا في اليابان ، اسمها (شكاي ٦٠٠٠) ، وتستطيع الغوص إلى عمق ٢١٠٠٠ قدم ، أي أعمق من أي غاطسة أخرى في العالم ، سيكتمل بناؤها سنة ١٩٨٩ ، وسوف تكون تكاليفها قد بلغت (٧١) مليون دولار ، أما الأغراض التي طورت هذه الغاطسة من أجلها فهي .

١ ـ جمع المعلومات عن الثروات المعدنية في البحار والمحيطات .

٢ ـ دراسة الزلازل ، والشقوق الأرضية الناتجة عنها .

٣ ـ دراسة الكائنات البحرية

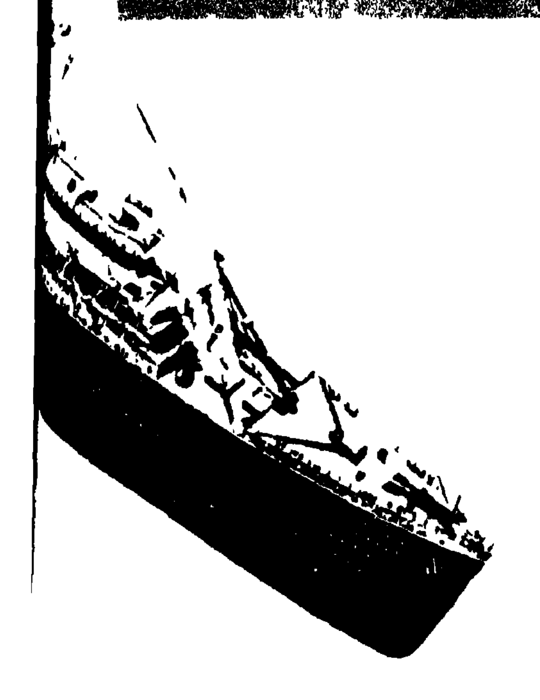
وحجرة القيادة في (شكاي) مصنوعة من خليط معدني خاص ، قوامه التيتانيوم الذي يتميز بمقاومته للضغوط الهائلة التي يتعرض المرء لها في الأعماق ، والغاطسة ذات محرك كهربائي ، يعمل بالبطارية ،

ويستطيع السير بالغاطسة في باطن البحار لمدة تسع ساعات . وهي مجهزة بآلات تلتقط الصور الملونة بأنواعها ، بما في ذلك صور الفيديو المتحركة ، وآلات تسجيل ، وأذرع ضخمة ، تعمل تلقائيا ، كأذرع الانسان الآلي .

مياه البحر الأسود للتدفئة ، والتبريد

● دشن العلماء السوفييت في يالطا (جزيرة القرم) أول جهاز حراري يستثمر طاقة البحر ، وهو بقوة ٢ مليون ميغاواط ، ويستخدم الطاقة الحرارية للبحر الأسود بواسطة مضخختين تبلغ طاقة ضخ الواحدة منهما ٥٠٠ متر مكعب في الساعة ، وتوجهان مياه البحر عبر الأنابيب حيث يكمن لها غاز « الفريون » ، فتبدأ بالغليان ، وعند ذلك يصار إلى ضغط أبخرة غاز الفريون بما يرفع حرارته إلى ما بين ١٠٠ ـ ١١٠ درجات ، لاستخدام الحرارة المتنجة لسد احتياجات تمديدات التدفئة في فندق « دروجبا » خلال الشتاء ، بينما يمد تمديدات التبريد بالهواء المكيف المبرد في فصل الصيف . وفي ضوء نجاح هذه التجربة سيعمم هذا الجهاز لتدفئة وتبريد فنادق أخرى في جزيرة القرم ، المنطقة السياحية الأولى في الاتحاد السوفيتي .

مكتشفون ومخترعون



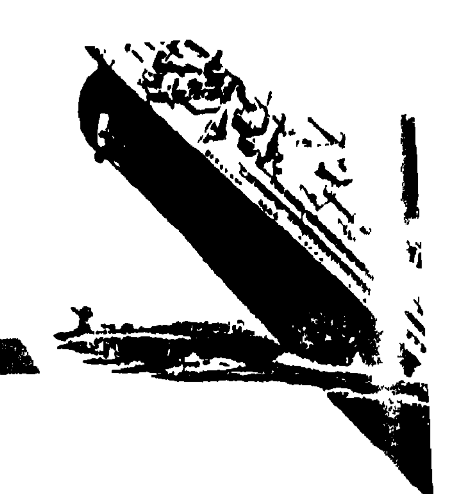
تعتبر سفينة التيتانيك وشقيقاتها في طليعة السفن الحديثة ، سفن القرن العشرين .. ويعتبر السير شارلز بارسونز ، مخترع الطوربين البخاري صاحب أكبر فضل في تطوير تلك السفن حتى بلغت المستوى الرفيع الذي بلغته في الوقت الحاضر ، ومهما يكن من أمر فإن بارسونز هذا لم يكن مخترع السفينة الحديثة الوحيد ، فقد في أسهم اختراعها عدد كبير من العلماء كل في مجال اختصاصه ، لذا وجب التنويه بجهود هؤلاء أثناء سردنا قصة السفينة الحديثة ككل ، والتركيز في النهاية على جهود السير شارلز بارسونز باعتبارها الجهود الحاسمة في تطوير السفينة الحديثة ، كما أشرنا

عرف الانسان السفن منذ فجر التاريخ ، ولكنه عرفها شراعية خشبية حتى أواخر القرن الماضي ، وتجدر الاشارة إلى سفن القلبر **Clipper** التي نجح الأمريكيون في صنعها في أواسط القرن التاسع عشر ، والتي اقتفى أثرهم في صنعها الانجليز والألمان وسواهم . وقد كانت تلك السفن الشراعية الخشبية متوسطة الحجم (٢٠٠ قدم طولا و ٧٠٠ طن وزنا بالمتوسط) وتميزت بكثرة أشرعتها وقد بلغ عددها نحو عشرين شراعا وبلغت مساحتها الاجمالية (١ ½) فدان في بعض الأحيان . وتميزت كذلك بسرعتها التي بلغت (٢٠) عقدة بالمتوسط (أي ٢٣ ميلا في الساعة)

وكانت القفزة الأولى في تطوير السفينة الحديثة ابتكار المحرك البخاري في تسيير السفينة .واعتماد قوة البخار في ذلك بدلا من قوة الريح . . ولكن المحرك ـ أي محرك ـ يولد القوة للسفينة دون أن يضمن لها الاندفاع . . والسير في البحار . . فهي اذن بحاجة إلى معدات الدفع أو الدوسرة التي بدونها لا تسير السفينة أبدا .

وظهرت السفن التي تعتمد على البخار ـ أي البواخر ـ أول ما ظهرت في فرنسا ثم في أمريكا . وذلك في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٨٣ ـ ١٨٠٢) ، وكانت معدات الدفع في تلك السفن دواليب التجديف الضخمة التي ركبوها على جانبي السفينة . .

وكانت القفزة الثانية في استبدال الخشب بالحديد والفولاذ في صنع هيكل السفينة . وقد ظهرت السفينة الأولى التي جمعت بين المحرك البخاري والهيكل الحديدي سنة ١٨٢٩ . . ومع أن مزايا الحديد عن الخشب جلية واضحة وتشمل فيما تشمل المتانة والضخامة فان الاعتقاد الشائع بأن الحديد أثقل من الماء بحيث لا يمكن لسفينة مصنوعة من الحديد أن



سفينة التيتانيك

السير شارلز بارسونز (١٨٥٤ ـ ١٩٣١)
اختراع وتطوير السفينة الحديثة

تعوم على سطح البحر حال دون الاقبال على صنع السفن الحديدية ، هذا بالرغم من أن الاعتقاد المذكور اعتقاد خاطىء ولا يأخذ بعين الاعتبار قوانين أرخميدس المعروفة

ثم جاءت القفزة الثالثة في مروحة الدفع اللولبية التي حلت محل دواليب التحديف السابق الاشارة اليها وكانت المروحة الحديدة تركب في أسفل السفينة بحيث تغمرها مياه البحر فلا ترى ولا تتعرض لمثل المخاطر التي تعرضت لها الدواليب ، وقد صنعت على مبدأ لولب أرخميدس لرفع الماء وأثبتت من الفاعلية والكفاءة ما وضع حدا لدواليب التحديف ، وذلك خلافا للمحرك البخاري والهيكل الحديدي فهذان الابتكاران لم يلغيا السفن الشراعية الخشبية اذ ظلت تصنع وتستعمل حتى يومنا هذا .

ثم كانت القفزة الرابعة . . قفزة الطوربين البخاري الذي اخترعه شارلز بارسونز كما أسلفنا وكانت هذه القفزة هي الأكثر حسما في تطوير السفينة . . وقد ضمنت لها مضاعفة قوتها أضعافا ، وبالتالي مضاعفة سرعتها وحمولتها . .

كان شارلز مهندسا إنكليزيا التحق سنة ١٨٨٤ بشركة دورهام التي صنعت الدينامو الكهربائي وما أسرع ما أدخل المهندس الموهوب تحسينات أساسية على ذلك الدينامو ثم مالبث أن اخترع الطوربين البخاري في نفس السنة التي ذكرنا ١٨٨٤ إلا انه قصر استعمال ذلك الطوربين الأول من أجل إضاءة السفن لا من أجل تسييرها

وأقدم بارسونز على استعمال طوربينه كمحرك للسفينة سنة ١٨٩٥ وقد جهز به إحدى السفن على سبيل التجربة وسمى تلك السفينه الصغيرة نسبيا (٢٤ طنا) طوربينا ، ولم يتردد في تأسيس شركة صناعية لانتاج طوربينه البخاري على نطاق واسع .

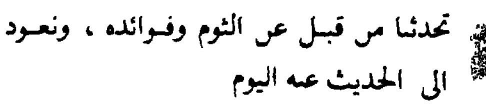
ومن طريف ما يذكر هنا أن الاميرالية البريطانية التي رفضت عروض طوربينات بارسونز الأولى مالبثت أن سارعت سنة ١٩٠٥ إلى استبدال محركات سفن الأسطول كلها بطوربينات بارسونز البحارية ، وقد جاء ذلك في أعقاب العرض العام الذي أقامه بارسونز بمناسبة اليوبيل الفضي للملكة فكتوريا والذي سجل طوربينه فيه سرعة خارقة بلغت ٣٤,٥ عقدة . أي بزيادة سبع عقد على سرعة أسرع المدمرات البريطانية اطلاقا

وحذت شركة كونارد حذو الاميرالية البريطانية فعمدت الى بناء سفنها الجديدة الضخمة التي تليق بمحرك بارسونز الطوربيني البخاري . . وقد شملت تلك السفن سفينة التيتانيك السفينة التي لا تغرق . . والتي غرقت لدى اصطدامها بجبل جليدي سنة ١٩١٢ .

ومهما يكن فإن التيتانيك هذه تعتبر مفخرة السفن الحديثة سفن القرن العشرين ، وقد جاوز وزنها ٤٥٠٠٠ طن وحمولتها آلاف الأطنان وآلاف الركاب وجعلوا سرعتها ٢٢,٥ عقدة فقط وذلك حرصا على الابقاء على مزاياها الأخرى . . وما كان ذلك ممكنا لولا محركات الطوربين البخاري . . محركات شارلز بارسونز التي جهزت بها السفينة .



عودة الى الثوم



تحدثنا من قبل عن الثوم وفوائده ، ونعود الى الحديث عنه اليوم

١ ـ مستحضرات الثوم الموجودة حاليا

تجدر الاشارة أولا الى كبسولات زيت الثوم وهي تستعمل على نطاق واسع في بريطانيا . حتى قدروا ما يبتلعه الانجليز من هذه الكبسولات بحوالى ٣٠٠ مليون كبسولة سنويا ، ولا يخفى ما في هذه الكبسولات من فوائد . ذلك أن أكثر منافع الثوم إنما توجد في زيته الطيار . . أضف الى ذلك أن تناوله ضمن كبسولات يخفف من رائحة الثوم القوية والمنفرة بالنسبة الى الكثيرين . . وفي طليعتهم الانجليز الذين ما كانوا ليلجئوا الى تعبئته على هذا النحو لولا حرصهم الشديد على الحصول على فوائد الثوم مع تجنب رائحته ما أمكن . .

ويصدق هذا أيضا على مستحضر الثوم الياباني المجرد من الرائحة على الطريقة الامريكية . . ويبدو ان اليابان قد صنعت هذا المستحضر خصيصا للأمريكيين . . وقد نزل الاسواق في الولايات المتحدة سنة ١٩٨٢ وبلغت مبيعاته فيها نحو ٢٠ مليون دولار سنويا .

وتظل عشبة الثوم هي الأصل على كل حال . . وقد ضاعفت أمريكا محصولها من الثوم (٣) اضعاف ، فيما بين سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ ، وبلغت محاصيل الثوم العالمية ٢٠٠٠ مليون كيلو سنويا ، أي ما يقدر بحوالى نصف فص من الثوم يوميا لكل فرد من سكان العالم ، البالغ مجموعهم حوالى ٤٨٠٠ مليون نسمة .

٢ ـ مادة الثوم الفعالة

على أن عقار الثوم مازال فيه تطوير في أمريكا وفي غيرها . وهو يختلف عن المستحضرات الموجودة في الأسواق حاليا بان هذه تغلف الثوم أو زيته لتفادي رائحته ، بخلاف العقار الذي يستهدف تقديم المادة الفعالة في الثوم دون غيرها . .

وتعرف هذه المادة باسم الين (alliin) وهي من الأحماض الأمينية الغنية بالكبريت . . والغريب أن هذه المادة بلا رائحة وبلا طعم . . أصلا ولكنها لا تلبث ان تتحول الى مادة اليسين allicin لدى دق فصوص الثوم وهرسها فتكتسب رائحة الثوم المميزة ونكهته . وتجود منافعه ، ومعنى هذا ان رائحة الثوم وفائدته مرتبطتان ارتباطا وثيقا ، وكأن رائحة الثوم المنفرة هي الثمن الذي لا مفر من دفعه للحصول على منافعه ، ويعني هذا ايضا ان هرسه او طحنه نيئا هو خير وسيلة لتناوله بقدر ما هو خير وسيلة لتحويل مادة الألين فيه الى مادة الأليسين . . وجعل الفوائد الكامنة في الأولى منافع مؤثرة وفعالة في الثانية . . .

على أن هذه المنافع لاتزداد بازدياد كمية الثوم التي يتناولها المرء . . كما يظن الكثيرون . . بل انها تقل أو تنقلب الى ضدها اذا أفرطنا في تناول الثوم . . وتقدر بعض الشركات الصناعية المعنية جرعة الثوم المناسبة بنحو ٢,٥ ملغرام من المادة الفعالة ، ولطالما حذرنا أطباء الاعشاب من تناول أكثر من أربعة فصوص من الثوم في اليوم (٢٤ ساعة) ، وهم يؤكدون ان زيادة هذه الجرعة قد تعرض المرء لاضطرابات في الجهاز الهضمي ، فقد تصاب المعدة أو الامعاء بالقرحات.



نيلز بور عملاق النظرية الذرية

بقلم : صلاح الدين هاشم

في اكتوبر ١٩٨٥ احتفلت الأوساط العلمية في العالم كله بالذكرى المئوية لمولد العالم الدنماركي الكبير (نيلز بور) ، ولم يكن بور واحدا من كبار علماء الفيزياء ، وعملاقا من عمالقة النظرية الذرية فحسب ، بل كان شخصية انسانية فذة ، كسب احترام الغرب والشرق على حد سواء ، ووصل في وطنه الدنمارك منزلة البطل القومي .

ولد (نيلز هندريك دافيد بور) في السابع من اكتوبر عام ١٨٨٥ ، بمدينة كوبنهاجن في أسرة مرموقة ، فقد كان والده (كريستيان بور) استاذا للفسيولوجيا بجامعة كوبنهاجن ، كما أن جده وخالته كسبا سمعة عريضة في ميدان التعليم بالدنمارك ، ونشأ (نيلز) مع أخيه وأخته في محيط مثقف يفيض بالحيوية ، مما مهد الفرصة لنبوغه أن ينتعش ويبلغ أقصى الحدود ، فقد استمتع الاطفال منذ سني حياتهم الأولى للمناقشات العلمية ، في جو من العقلانية المشوب بحسن النية ، وتولد لديهم احترام عميق نحو الفكر والمعرفة .

وكانت العلاقة بين (نيلز) وشقيقه (هارالد) شيئا غير عادي ، حتى تركت أثرا كبيرا على منهج (نيلز) في العمل ، فقد تعلم الاثنان منذ أيام الصبا كيف يعبران عن أفكارهما بالدخول في مناقشات حارة ، ونشأت بينهما علاقة (ديالكتيكية) في اسلوب التفكير ، بحيث أسهم كل منهما في تطوير وتنمية فكر الآخر ، وكان من أثر ذلك أن تكونت لدى (نيلز) المهارة في منافسة أفكاره مع الغير ، واستشعر بالتالي ضرورة الدخول في الجدل من أجل التوضيح والاستيضاح .

كذلك تركت العلاقة مع شقيقه أثرها في مجال آخر ، فقد اجتذب (هارالد) شقيقه الى كرة القدم التي كان (هارالد) من أبطالها ، ومعشوق الجماهير

ببلاده التي مثلها في الألعاب الأولمبية ، أما مجال دراسته فكان الرياضيات ، فساعد أخوه (نيلز) منذ البداية في هذا الميدان الذي كان ضروريا لدراسة الفيزياء ، وعلى مدى طفولتهما وصباهما كان (هارالد) ألمع الطفلين ، فقد انتهى من الماجستير قبل (نيلز) وارتحل الى جامعة جوتنجن لاكمال دراسته ، وكانت آنذاك مركزدراسة الرياضيات العليا في العالم ، وعاد (هارالد) منها ليصبح فيما بعد مديرا لمعهد الرياضيات بكوبنهاجن . ورغم ذلك فقد تميز نيلز منذ البداية بعمق الفكر ، وبمنهجه العلمي الصارم ، ومثابرته واصراره على توضيح أصعب المشاكل العلمية .

أحداث فيزيائية

منذ أيام دراسته الأولى اتضح ميل (نيلز) الى الفيزياء ، التي لم تلبث أن غلبت عليه تماما في سني



بور مع اينشتين بروكسل ١٩٣٠

دراسته الجامعية ، وكان (نيلز) محظوظا أن بدأ حيا في لحظة تميزت بأحداث كبرى في تاريخ الفيزياء فقد صاغ (أينشتين) آنذاك نظريته في النسبية الخاصة ، وحدث ذلك بعد أعوام من صياغ (بلانك) لنظرية (الكوانتا) وخلال ذلك كله كانت المدرسة البريطانية للفيزياء بقيادة (ج . ج تومسون) و (ارنست رذرفورد) توالي بحوثها في كشف أسرار الذرة ، وكان (بور) يتابع البحوث من الجانبين، فاختار كموضوع للماجستير البحث في الخصائص الفيزيائية للمعادن ، وقابليتها لتوصيل الكهرباء والحرارة والمغناطيسية

وبعد حصوله على الماجستير أخذ يحضر الدكتوراة ، فقرر الاستمرار في دراسة المعادن ، واختار موضوعا لأطروحته « النظرية الالكترونية للمعادن » التي نال عليها درجة الدكتوراه بجدارة عام ١٩١١ ، غير أن (بور) منذ تلك اللحظة بدأ يستشعر العوائق التي تمثلها الفيزياء الكلاسيكية في وصف سلوك الالكترون ، والحاجة الماسة الى منهج جديد لوصف العمليات الذرية ، ولقد كان عمله في هذه الاطروحة بمثابة ارهاص لأعماله التالية في نظرية الكوانتا ، كما حفزه في ذات الوقت للاهتمام بالفلسفة والابستمولوجيا (نظرية المعرفة) ، وهو اهتمام دعمه بقراءاته في ميداني الفلسفة واللاهوت الى محاضرات استاذ الفلسفة الدنماركي المشهور (هرالد هفدنج) كذلك أخذ يحس من البداية بقصور اللغة في وصف الظواهر والحاجة الى صياغة مفاهيم شاملة ، ساقته بالتالي الى اسهامه الأكبر في مجالي الفلسفة والأبستمولوجيا ، عندما وضع نظريته في التكاملية

وبعد فراغه من العمل في اطروحة الدكتوراة ، قرر (بور) الذهاب الى كمبردج للعمل بمعمل كافندش المشهور مع (ج ح . تومسون) مكتشف الألكترون ، فوصل الى تلك المدينة الجامعية العريقة في خريف عام ١٩١١ ، ولكن يبدو أنه لم يوفق كثيرا في عمله مع (تومسون) الذي كان فقد آنذاك الاهتمام بالموضوع الذي يشغل بال (بور) ، أضف الى هذا أنه لم يكن يتحدث الانجليزية بطلاقة في ذلك الوقت ، على أية حال فقد اجتذبه نشاط (تومسون) الجديد الى البحث في مجال الذرة ، وهو الأمر الذي غلب على نشاط (بور) حتى أصبح من كبار العلماء في

مجال الفيزياء النووية ، وقام في هذا الميدان بمنجزات كبرى .

ذلك أنه عندما بدأ (بور) عمله في فيزياء الذرة ، لم يكن تركيب الذرة قد عرف بعد ، ولما ودع هذه الحياة كانت الطاقة النووية قد أصبحت العامل الأول في مستقبل البشرية ، وذلك عندما جرى استعمالها لانتاج القوة الكهربائية ، وفي علاج الأمراض المستعصية ، بل وأيضا في المجالين العسكري والسياسي ، كأخطر سلاح مدمر تفتق عنه ذهن الانسان

النواة والنظام الشمسي

في بداية عام ١٩١٢ قدم آرنست ردرفورد من مانشستر لالقاء كلمة بمعمل كافندش بكمبردج ، وكان (رذفورد) قد نجح في مايو عام ١٩١١ ، في الكشف عن نواة الذرة ، وساقه هذا الى تصور الذرة على هيئة نظام شمسي يتكون من نواة في المركز أشبه بالشمس ، وتحيط بها الالكترونات أشبه بالكواكب ، وكان كشفا مدهشا في تاريخ العلم ، لأن أحدا لم يتصور أن أصغر أجزاء المادة سيكرر أضخم أجرائها ، وقد ترك (ردرفورد) أثرا كبيرا على (بور) فقرر مغادرة كمبردج في ابريل ١٩١٢ للعمل مع (ردفورد) بمانشستر ، ولقد وضح لردرفورد منذ اللحظة الاولى أن الشاب الدنماركي الذي لايحسن الحديث بالانجليزية يحمل فوق كتفيه عقلا ممتازا ، حتى صرح لأحد مستمعيه ذات مرة « ان هذا الشاب الدنماركي يتمتع بذكاء قل أن إلتقيته »

ونشأت بين العلامة الكبير الذي كان يقف على رأس الفيزيائيين التجريبيين في العالم آنذاك وبين الشاب الدنماركي عاطفة عميقة ، نمت على مدى ربع قرن من الزمان ، في جو من الصداقة والتعاون ، وكانت خير مثال للعلاقة بين الأب وابنه الروحي ، ولقد وجد (بور) منذ البداية بمانشستر جوا ملائما وروحا طيبة ، وكان من عادة البروفسور (رذفورد) أن يجمع مساعديه لتناول الشاي مرة في الأسبوع ، يمهد لهم فيه الجو لمناقشة الموضوعات التي تهمهم ، والتي تنتهي بطبيعة الحال بالتركيز على المنجزات التي تمت في ميدان الفيزياء ، ومما لاشك فيه أن وجود (بور) في هذا المحيط الذي خلقه (رذر فورد)



نيلز بور وزوجه مارجريت في سن الشيخوخة

بمانشستر (وطبقه بالتالي عقب انتقاله الى كمبردج مديرا لمعهد كافندش) قد ترك أثره على (بور) فتأسى خطاه في معهده بكوبنهاجن .

وبعد عمل متواصل بمانشستر خلال ربيع وصيف عام ١٩١٢ ، تبين للشاب الدنماركي الذي لم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من عمره ، أن كشف (رذفورد) لنواة الذرة ، وان ظل بالضرورة حجر الأساس في أي نموذج حديد للذرة ، الا ان الفيزياء الكلاسيكية لم تعد تكفي لتطوير البحث في جوف الذرة ، وانه يجب في هذه الحال تطبيق « كوانتم » العمل الذي تفتق عنه ذهن (بلانك) ففي عام ١٩١٣ نشر (بور) أفكاره هذه في ثلاث مقالات متتابعة « بالمجلة الفلسفية » البريطانية ، وضح فيها محاولته الغريبة للمصالحة بين الفيزياء الكلاسيكية وتصوره لكوانتم العمل ، هذه المقالات الثلاث لم تلبث أن وضعت الأساس لشهرة (بور) المبكرة ، فبدأ الكلام في الدوائر العلمية عن « نموذج بور »

للذرة ، وبطبيعة الحال فان الفكرة قوبلت في البداية بمعارضة شديدة ، شأنها شأن جميع الافكار العلمية عند ميلادها ، رغم اعتراف الجميع آنداك بمسيس الحاجة الى منهج جديد لوصف تركيب الذرة ، حقا ان درة (بور) قد تجاوزها العلم الآن ، ولكنها لاتزال الى اليوم أصدق صورة في أذهان الناس لما يجب أن تكون عليه بُنْيةُ الذرة .

الثلاثية الفيزيائية :

هذه المقالات الثلاث التي عرفت باسم الثلاثة، قال بصددها (فكتور فايسكويف) انه لا يوجد بحث في تاريخ الفيرياء نتج عنه مثل دلك القدر من الاكتشافات التي أدت ـ على مدى فترة امتدت الى عام ١٩٢٢ ـ الى بحوث عميقة على يد (بور) مست موضوعات معقدة ، مثل تركيب أطياف العناصر المختلفة ، وعملية امتصاص الصوء أو اطلاقه ، والعلة في وجود نظام دوري للعناصر ، والتتابع المدهش للعناصر الاثنين والتسعين وكان في هذه الفترة أيضا أن تحولت المواد الكيماوية على يده من كيفيات الى كميات ، اي الى أشياء يتحكم فيها عدد الالكترونات الموجود في كل درة ، ورغم كل هده الأعمال والكشوفات ، فقد حذر (بور) الباحثين المعاصرين له من أن ينساقوا تلقائيا وراء تفسيراته ، وأن الأمر لايزال في حاجة الى متابعة البحث في هذا الميدان .

وفي صيف عام ١٩١٢ قام (بور) بزيارة سريعة الى وطنه ، ليعقد قرانه بالفتاة التي أحبها وهي (مارغريت نورلند) ، وكانت فتاة جميلة مترنة ، لم تلبث أن أصبحت خير عون له في المستقبل ، ورزق منها بستة أولاد ،ثم عاد الى مانشستر ،حيث عرض عليه (رذرفورد) وظيفة محاضر بالجامعة ، شغلها الى عام ١٩١٦ ، وفي ذلك العام والحرب العالمية لايزال يتأجج أوارها ، رجع (بور) نهائيا الى الدنمارك ، ليشغل وظيفة استاذ الفيزياء بجامعة كوبنهاجن

وفي نفس ذلك العام انضم اليه بصفة مساعد فيزيائي شاب هولندي الجنسية يدعى (هندريك كرامرر) وظل يعمل معه بكوبنهاجن حتى عام ١٩٢٦ ، فصار ساعده الأيمن ، كذلك أصبح (أوسكار كلاين) في عام ١٩١٨ تلميده ومعاونه الثاني ، وفي عام ١٩١٧ دخل في مباحثات بالدنمارك من أجل بناء مختبر يكون الأساس لمعهد جديد للنظرية الفيزيائية ، ولكن احتاج الأمر الى أربعة أعوام ليفتح المعهد أبوابه ، ولم يلبث أن أصبح واحدا من أكبر مراكز الدراسات الفيزيائية في العالم ، واشتهر باسم « معهد بور » ، فأمّه عدد من العلماء النابهين ، بصفة طلبة وزملاء وضيوف ، وأدت المناقشات والبحوث التي انبعثت بين جدرانه الى تطوير الفيزياء النظرية بخطوات هائلة وسريعة وكان اعترافا بما قدم للعلم أن منح جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٢٢

أسس الميكانيكا الكوانتية :

وبعام ١٩٢٢ تبدأ الفترة الثانية من نشاطه العلمي التي تمرت بمحاولة متشعبة الجوانب ، شارك فيها عدد من نوابغ العلماء ، بخاصة من بين الألمان ، في وضع أسس الميكانيكا الكوانتية ، ولقد كانت هده فترة في تاريخ الفيزياء لم يشهد مثيل لها من حيث الابتكار والانتاج

ولقد ظل (بور) على مدار العشرينيات يشعل نشاط دوره كمدير للمعهد الذي كان ينمو شيئا فشيئا ، حتى أصبح أشبه بموضع لتصفية البحوث الفيزيائية في العالم أجمع ، وهنا لمعت عبقرية (بور) ومقدرته في التعاون مع مختلف العلماء من مختلف الأقطار ، ممن كانوا في العادة يصغرونه سنا ، ولكن اندفعوا وراء النظريات الجديدة في مجال الفيزياء النظرية فأتوا الأعاجيب ، ذلك أن (بور) استطاع أن يجمع حوله بكوبنهاجن كوكبة من الشباب اللامع في مجال الفيزياء آنداك ، فالى جانب (كرامرر) و (كلاين) ، جاء ليعمل معه اثنان من العباقرة في تاريخ الفيزياء النظرية ، هما (وولفجانج باولي)(فرنر هيزنبرج) من المانيا ، كما قدم اليه (جورج جاموف) وليف لاندو من روسيا الخ ، وهكذا استطاع بمعاونة هؤلاء الشبان اللامعين من تقعيد أسس الميكانيكا الكوانتية ، ولم يكن غريبا أن مبدأ « **اللايقين** » الذي تفتق عنه ذهن هيزنبرج ، قد انبعث ، وجرت مناقشته بمعهد (بور) بكوبنهاجن .

وفي هذه الأعوام كان (بور) يضع الأسس لنظريته التكاملية التي جهد فيها ليجمع بين الفيزياء التقليدية والميكانيكا الكوانتية في نظرية شمولية ،

احتاج الأمر الى أعوام عديدة من العمل المضني والمعاناة النفسانية ، التي انعكست في حداله المستمر مع واضعي أسس الميكانيكا الكوانتيه ، وهم ، (هيزنبرج) و (شرودنجر) و(ديراك) وقد كشف (بور) النقاب عن نظريته لأول مرة في سبتمبر ١٩٢٧ ، وذلك بمؤتمر ذكرى فولتا الذي عقد بمدينة كومو بشمالي ايطاليا ، في عرضه لنظريته تحدث بور عن المسائل الابستولوجية للميكانيكا الكوانتية ، ثم شرح حججه في التكاملية ، ولكن معظم الحضور لم يستطيعوا متابعته

غير أن أفكاره هذه لم تلبث أن وضعت سريعا على محك الاختبار في المناقشات مع (اينشتين) التي حدثت بمؤتمر سولفاي الخامس الذي عقد بعد أسابيع قليلة من اجتماع كومو بلجيكا ، وكان الاختلاف بين وجهتي نظر الاثنين جوهريا ، وامتد لأعوام طويلة ، وشمل أشياء عديدة ، مثل النسبية ومعنى الحقيقة ، ولكنه كان دائما مشوبا بالاحترام والتقدير المتبادل ، وفي الواقع فان (بور) احتاج لسنين عديدة ليبسط بوضوح القواعد العامة لنظريته ويطبقها في ميادين الفسيولوجيا والسيكولوجيا وغيرها من فروع العلم .

انشطار اليورانيوم وبداية الحرب :

لعلّ من أغرب اتفاقات التاريخ أن تحدث عملية انشطار اليورانيوم على يد (أوتوهان) و (فريتس استراسمان) وتفسير تلك الظاهرة بواسطة (ليزا مايتنر) و (أوتوفريش) في بداية العام نفسه الذي اندلعت فيه الحرب العالمية الثانية ، كذلك حدث في ابريل من عام ١٩٣٩ نفسه أن أثبتت مجموعة (فردريك جوليو - كوري) بباريس انطلاق نيوترونات فائضة أثناء حدوث الانشطار ، وبهذا انفتح الباب لامكانية حدوث تفاعل متتابع ، وبالتالي صنع قنبلة ذرية ، وفي أول سبتمبر من ذلك العام - وهواليوم الذي اقتحم فيه الألمان حدود بولندا ، وبدأت بذلك الحرب العالمية الثانية - ظهر مقال « بالمجلة الفيزيائية » يحمل توقيع (نيلز بور) و جون ويلر) معا ، يعرضان فيه التعليل العلمي لعملية الانشطار ، ويؤكدان أن ذرة اليورانيوم - ٢٣٥ هي التي انشطرت ، وليست ذرة اليورانيوم - ٢٣٨ ، لذا فان الانشطار أكثر احتمالا للحدوث في النيوترونات البطيئة دون النيوترونات السريعة .

وفي العامين التاليين كان العلماء في الأقطار المشتبكة في الحرب ، وأيضا بأميركا ، ينظمون صفوفهم للبحث في امكانيات صنع القنبلة الذريه ، ففي بريطانيا أثبت (فريتش)و (بيرايلز) بجامعة برمنجهام أن كمية ضئيلة من اليورانيوم - ٢٣٥ من شأنها أن تسبب التفاعل الضروري السريع من أجل القنبلة ، بل واقترحا طريقة صناعيه لفصله عن بقية كتلة اليورانيوم ، وبعد استسلام فرنسا للألمان هرب اثنان من العلماء الفرنسيين من مجموعة (جوليو - كوري) الى بريطانيا ، وهناك اقترحا أن العنصر ٩٤ (أي البلوتونيوم) بامكانه أيضا أن يحدث انفجارا عاليا بواسطة كتلة حاسمة صغيرة ، وفي تلك الأثناء كان العلماء الألمان يفكرون أيضا في استغلال الانشطار من أجل صنع قنبلة ذرية ، ولكن مشروعهم لم يتقدم كثيرا حتى وضعت الحرب أوزارها .

وأعقب ذلك غزو الألمان للدنمارك ، فوجد (بور) نفسه محصورا في وطنه الذي يحتله العدو ، وكان عقب المقال الذي دبجه بالاشتراك مع (ويلر) يعتقد أنه من الممكن احداث انفجار ذري بواسطة اليورانيوم - ٢٣٥ ، وان كان من رأيه أن الوسائل التقنية لم تتوفر لفصل كميه كافية من اليورانيوم - ٢٣٥ ، وفي أكتوبر ١٩٤١ زاره (فرنر هيزنبرج) واقترح عليه عمل اتفاق بين العلماء من الطرفين المتقاتلين للوقوف في وجه انتاج سلاح خطير من هذا النوع ، وبعض المصادر ينفي هذا ، وان لم يتشكك في حدوث الزيارة .

وفي بدايةعام ١٩٤٣ تسلم (بور) رسالة سرية من الفيزيائي البريطاني (جيمس تشادويك) يدعوه الى المجيء الى انجلترا للمشاركة في البحث العلمي ، غير أن (بور) كان يؤثر البقاء مع بني وطنه في ظروف الحرب ، ولكنه لما علم في سبتمبر من ذلك العام أن السلطات النازية تدبر لالقاء القبض عليه ، هربته المخابرات البريطانية الى السويد ، من حيث بلغ انجلترا في صحبة ابنه (آجا) ، (وكان فيزيائيا بدوره يعمل في مساعدة أبيه) .

ولدى وصوله الى انجلترا قوبل بالترحاب ، وأطلعوه على كل شيء ، وأنه من المتوقع الآن أن يستطيع الأمريكيون انتاج سلاح ذري خلال عام أو

اثنين ، وقد وصل (بور) في لحظة مهمة ، هي التي أعلن فيها البريطانيون تعاونهم التام في مجال الذرة مع الأمريكيين ، وكان هذا في مصلحة البريطانيين ، لأنه لم توجد لديهم الامكانيات المادية والمالية لتحقيق مشروع من هذا القبيل ، ولقد تردد الأمريكيون بعض الشيء في قبول الشراكة البريطانية ، غير أن (ونستون تشرشل) استطاع بمجهود كبير في أغسطس ١٩٤٣ من اقناع (روزفلت) بتوقيع اتفاقية (كويبك) التي مكنت العلماء البريطانيين من القدوم الى لوس الاموس التي كان يجري فيها صنع القنبلة الذرية .

وكان (بور) ضمن مجموعة العلماء البريطانيين التي انتقلت الى الولايات المتحدة للعمل في مشروع القنبلة ، وذلك بعد أن وعد بالاستمرار ضمن الوفد البريطاني ، فوصل هو وابنه (احـا) الى الولايات المتحدة في أوائل ديسمبر ١٩٤٣ ، وارتحلا الى لوس آلاموس للمعاونة في عملية صنع القنبلة ، وهناك التقى (بور) بعدد كبير من تلامذته السابقين ، وقد شارك مشاركة فعالة في كل المسائل المتعلقة بصنع القنبلة ، وتأكد له أنهم سبيل تحقيقها

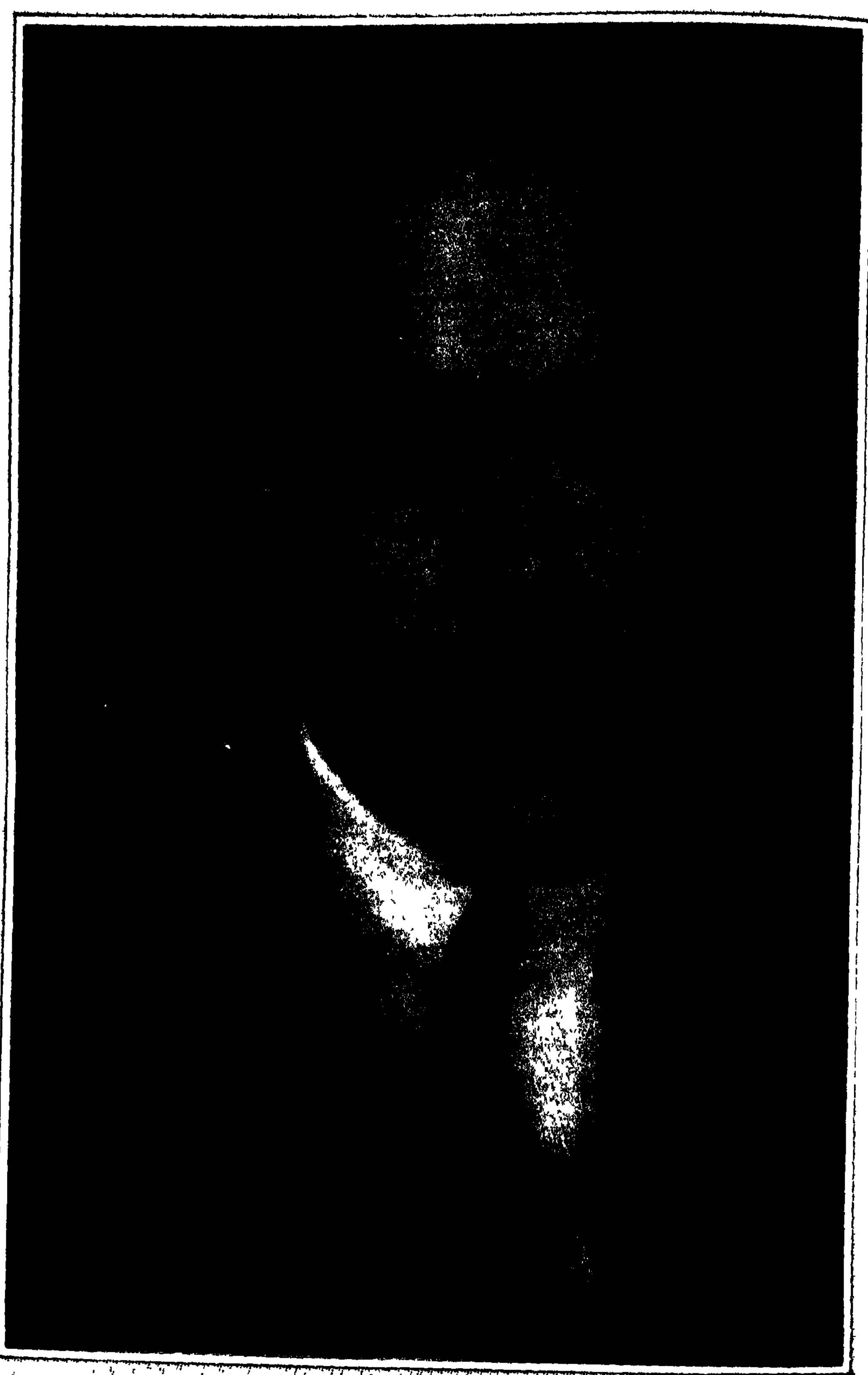
بين أمريكا والسوفييت :

غير أنه منذ تلك اللحظة بدأ يفكر في العواقب المترتبة على صنع السلاح الذري بالنسبة لمستقبل العلاقات الدولية ، فقد وضح له أن مشروع (مانهاتان) ليس سوى البداية في سلسلة من الامكانيات الرهيبة التي سيكشف عنها المستقبل ، خصوصا وأن بعض العلماء بلوس آلاموس كان يفكر منذ ذلك الوقت في صنع القنبلة الهيدروجينية ، وواقع الأمر أن بور لم تشغله آنذاك مسألة استعمال القنبلة في الحرب العالمية الثانية ، بل كان يمد بصره الى ما بعد الحرب ، واحتمالات التنافس في صنع الأسلحة الذرية ، فأخذ منذ تلك اللحظة يفكر في المشكلة المتعلقة بالسيطرة عليها ، وأهمية تبادل المعلومات بين الأطراف المتنافسة ، وجميع هذه تطورات جديدة في العلاقات الدولية ، من العسير تصورها قبل الحرب العالمية الثانية .

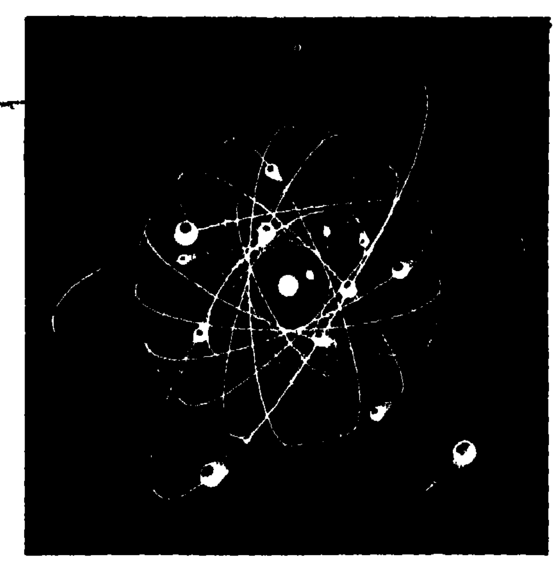
ولم يمض وقت طويل حتى تبلورت أفكاره في اقتراح محدد ، ذلك أن (بور) كان مقتنعا بأنه عندما تضع الحرب العالمية أوزارها ستتزايد حدة التوتر بين الغرب والاتحاد السوفييتي ، وأنه من الممكن احلال الثقة والتعاون اذا ما أطلعت أمريكا الاتحاد السوفيتي على سر القنبلة الذرية قبل استعمالها ، حتى لا يعرفونها بوسائلهم الخاصة ، فتفقد الثقة بين الطرفين ، وتتعقد العلاقات بينهما ، ولمعرفته الجيدة بخبرة العلماء السوفيت ، فقد كان على يقين من أنه لن يمضي وقت طويل حتى يصنع الروس قنبلتهم الخاصة بهم ، وكان مما قوى هذا اليقين في نفسه أنه تسلم في ابريل ١٩٤٤ خطابا من صديقه العالم السوفييتي المشهور (بيوتر كابيتسا) كان كتبه اليه قبل سنة أشهر من ذلك ، يدعوه الى الالتجاء الى الاتحاد السوفيتي ، وقد دعم هذا من اعتقاد (بور) أن السوفييت كانوا على علم بالمشروع الامريكي ، على أية حال فقد أرسل اليه بخطاب يشكره فيه على اهتمامه ، وأطلع السلطات البريطانية على المكاتبات المتبادلة بينهما .

ولقد أصبحت العواقب السياسية للقنبلة الذرية شغله الشاغل ، فأمضى الكثير من وقته يدون المذكرات السياسية ، ويزور المسؤولين والمقربين من أهل العقد والحل ، واستطاع (بور) أن يقنع عددا من الشخصيات المهمة بوجهة نظره ، مثل (لورد هاليفاكس) السفير البريطاني بواشنطن ، و (سير جون أندرسون) الذي ربطته به صداقة عميقة ، و (لورد شورويل) المستشار العلمي لتشرشل ، و (الفيلد مارشال سمانس) وقد شرح له (هاليفاكس) أنه نظرا لأن أمريكا هي التي لها نصيب الأسد في المشروع ، فان أية مبادرة يجب أن تأتي من الرئيس (روزفلت) ، وكان من حظ (بور) أن ربطته رابطة الصداقة (بفلكس فرانكفورتر) أحد قضاة المحكمة العليا بالولايات المتحدة الذي كان صديقا شخصيا (لروزفلت) ، وكان (فرانكفورتر) على علم بمشروع القنبلة ، فنقل وجهة نظر (بور) الى الرئيس الأمريكي الذي رد بأن المسألة فعلا تشغل باله كثيرا ، وأنه سيبحثها مع (تشرشل)

وفي مارس ١٩٤٩ دون (أندرسون) مذكرة طويلة لتشرشل عرض فيها الوضع ، فبين أنه وقد أصبح من المؤكد أن أمريكا ستحوز قصب السبق في صنع القنبلة الذرية ، الا أنه من حظل الرأي الافتراض بأن الاتحاد السوفيتي لن يلج هذا الميدان ، بعد انتصاره



نيلز بور (١٨٨٥ - ١٩٦٢)



نموذج الذرة الذي تفتق عنه ذهن بور

على ألمانيا ، وأضاف أن سر القنبلة والصعوبات المحيطة بصنعها ستزول بالتدريج ، بحيث يستطيع عدد من الدول الاضطلاع بذلك ، وسيسوق هذا الى احدى حالتين ، اما سباق صار في التسلح ، أوضرب من السيطرة الدولية على الأسلحة الذرية ، فان كان الحل الثاني ، فمن الأفضل اذن اطلاع السوفييت في المستقبل القريب بأن أميريكا بسبيل صنع ذلك السلاح الرهيب ، مع تقديم الدعوة لهم للمشاركة في تحضير مشروع لخلق سيطرة من هذا الضرب ، ذلك أنه اذ لم يطلع السوفييت على هذا فسيبلغ علمهم عاجلا أو آجلا سر القنبلة الذرية ، فتقل قابليتهم للتعاون ، غير أن (تشرشل) ظل مصرا على رأيه في أن يظل مشروع صنع القنبلة محاطا بالاسرار ما أمكن ذلك .

لقاء فاشل مع (تشيرشل):

وبعد ضغط من (سماتس) (وتشرويل) و (سير هنري ديل) رئيس الجمعية الملكية ، وافق (تشرشل) على مقابلة (بور) لنصف ساعة في ١٦ مايو ١٩٤٤ ، وكان اجتماعا فاشلا بمعنى الكلمة ، لأن (تشرشل) كان مشغولا للغاية ، بحيث لم يمس النقطة المهمة في الحديث ، كما تكون لديه منذ اللحظة الأولى شعور من النفور نحو (بور) بشعره المشوش وصوته غير المسموع .

غير أنه تحقق خلال ذلك الصيف ان أقتنع تشرشل بضرورة الحديث مع روزفلت حول مستقبل القنبلة عند أول مقابلة بينهما ، وهي تلك التي جرت في سبتمبر ١٩٤٤ ، وقبل حدوث هذه المقابلة كان القاضي (فرانكفورتر) قد أرسل مذكرة مع سبع صفحات كتبها (بور) الى روزفلت حول موضوع القنبلة ومستقبل الطاقة الذرية ، وتخوفه من حدوث سباق التسلح النووي بين الاتحاد السوفيتي والغرب ، وفي ٢٦ أغسطس زار بور روزفلت وتحادث معه لمدة ساعة ونصف

في هذه المحادثةمع الرئيس الاميركي كرر (بور) اعتقاده بأنه توجد الآن فرصة جيدة لقيام علاقات دولية أفضل ، وأنه ينبغي اغتنامها الآن وليس بعد ، ثم وضح الأسباب التي جعلته يرى من اللازم مفاتحة الاتحاد السوفيتي الآن ، ودحض الحجج المضادة ، وأضاف بأنه من الضروري الافتراض بأن السوفييت يعلمون بأن ثمة مجهودات كبرى تجري بالولايات المتحدة لصنع القنبلة ، وأنهم يدرسون المسألة الان ، وسيتمكنون من صنع القنبلة بمجرد الانتهاء من الحرب مع ألمانيا ، ومن المؤكد أنهم سيضعون أيديهم على أعمال العلماء الألمان في هذا الميدان ، فاذا التزمت الولايات المتحدة وبريطانيا الصمت قبل استعمال القنبلة فستثيران ارتياب السوفييت ، وتخلقان مخاطر أكبر عن طريق التنافس في صنع الأسلحة الذرية ، بل وستفقدان ثقة السوفييت حول أي تقارب في المستقبل بين الطرفين ، ثم أكد ضرورة الأخذ بزمام المبادرة باعطاء السوفييت معلومات مفصلة عن القنبلة ، وأنه من الممكن الشروع في هذا فورا ، بتسهيل الاتصال بين العلماء من الجانبين

وكانت المقابلة ـ على نقيض ما حدث مع تشرشل ـ ودية للغاية ، وفهم روزفلت تماما الحجج التي أدلى بها بور ، وقد رفعت المقابلة من الحالة المعنوية لبور ، بل راودته الفكرة بأن يكون هو العالم الذي سيكلف بالذهاب الى الاتحاد السوفيتي ، ليشرح له الموضوع ، غير أن آماله سرعان ما انهارت ، ففي اجتماع تشرشل بروزفلت في سبتمبر ١٩٤٤ بكويبك للمرة الثانية ، ثم بمنزل روزفلت بالولايات المتحدة تحادث الزعيمان حول القنبلة الذرية ، وخرجا بنتائج تناقضت تماما مع نتائج مقابلة بور مع روزفلت ، و

١٨ سبتمبر وقع الاثنان على مذكرة ، وردت بها فقرة تشير الى لزوم اجراء تحقيق حول نشاطات بور ، واتخاذ الاجراءات لعدم تسرب أية معلومات من جانبه خصوصاً الى السوفييت ، وفي حديث خاص مع مستشاره العلمي ، أعرب تشرشل عن رأيه في أنه يجب التحفظ على بور ، أو التوضيح له أنه سبيل ارتكاب جرائم أخلاقية .

غير أن أصدقاء بور مثل تشرويل واندرسون وهالفاكس اسرعوا للدفاع عنه ، وبينوا لرئيس وزراء بريطانيا أنه أخطأ في حق بور ، ثم شرحوا له بالتفصيل الجوانب العلمية لصنع القنبلةالذرية ، وأنها لم تعد ذلك السر الذي يعتقل الناس من أجله ، وواقع الأمر أن تشرشل كان غيورا جدا على سر القنبلة الذرية ، وأهمية حفظها في يد الأميريكان والبريطانيين وحدهم ، كذلك أقنع (بوش) مستشار الرئيس الاميريكي للشئون العلمية ، روزفلت باخلاص بور وأنه لا خطر من تصرفاته

وبعد أن فشل بور مع الزعماء السياسيين حوّل نشاطه الى جهات أخرى ، وكان قد تسلم خطابا في ديسمبر ١٩٤٤ ، من (أينشتين) يعرب فيه الأخير عن تخوفه من حدوث سباق للتسلح بعد انتهاء الحرب ، وأن الزعماء السياسيين يفتقرون الى الدراية لمعالجة المسائل النووية ، واقترح عليه أن يجتمعا معا للقيام بمحاولة للضغط على القادة السياسيين لتعميم الاستفادة من الطاقة الذرية في أعمال السلم ، وايقاف سباق التسلح الذي قد يحدث في هذا الميدان ، عند ذلك ذهب بور لزيارة (أينشتين) ووضح له ما قام به في هذا الصدد ، وكيف كان مصير محاولاته الفشل التام ، وكان بور قد اقتنع تمام الاقتناع بأن الوقت قد ضاع عبثا ، وأن تأجيل أية محادثة مع السوفييت قبل تجربة القنبلة سيبدو وكأنه محاولة لارهابهم ، وأنهم لن يقبلوا ذلك ، كما أكد له مرة أخرى أن السوفييت لا بد وأن يكتشفوا سر القنبلة وكيفية صناعتها ، ولو من خلال نشاط العلماء بألمانيا التي كانت في طريقها الى الهزيمة .

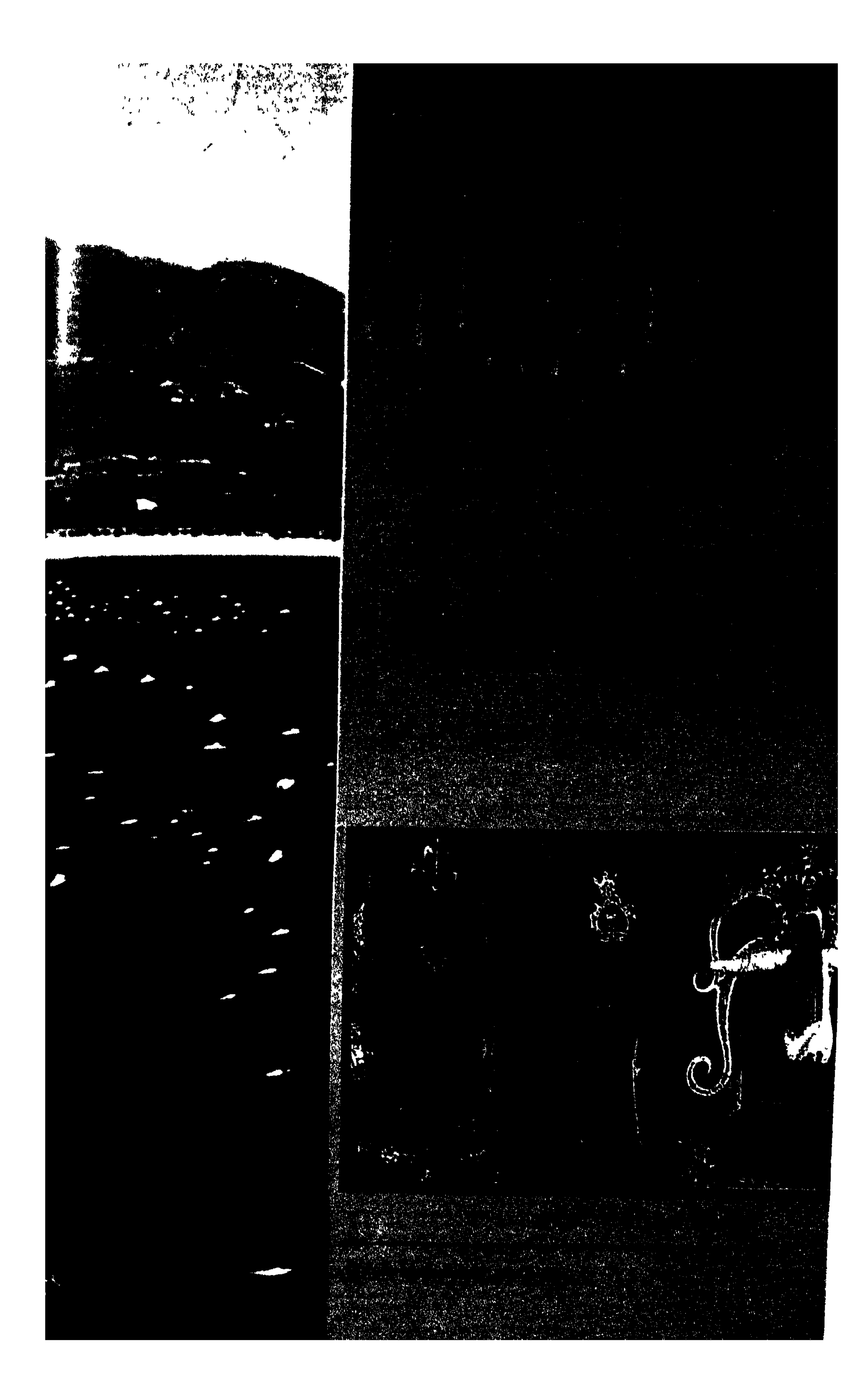
سلاح مدمر للغاية :

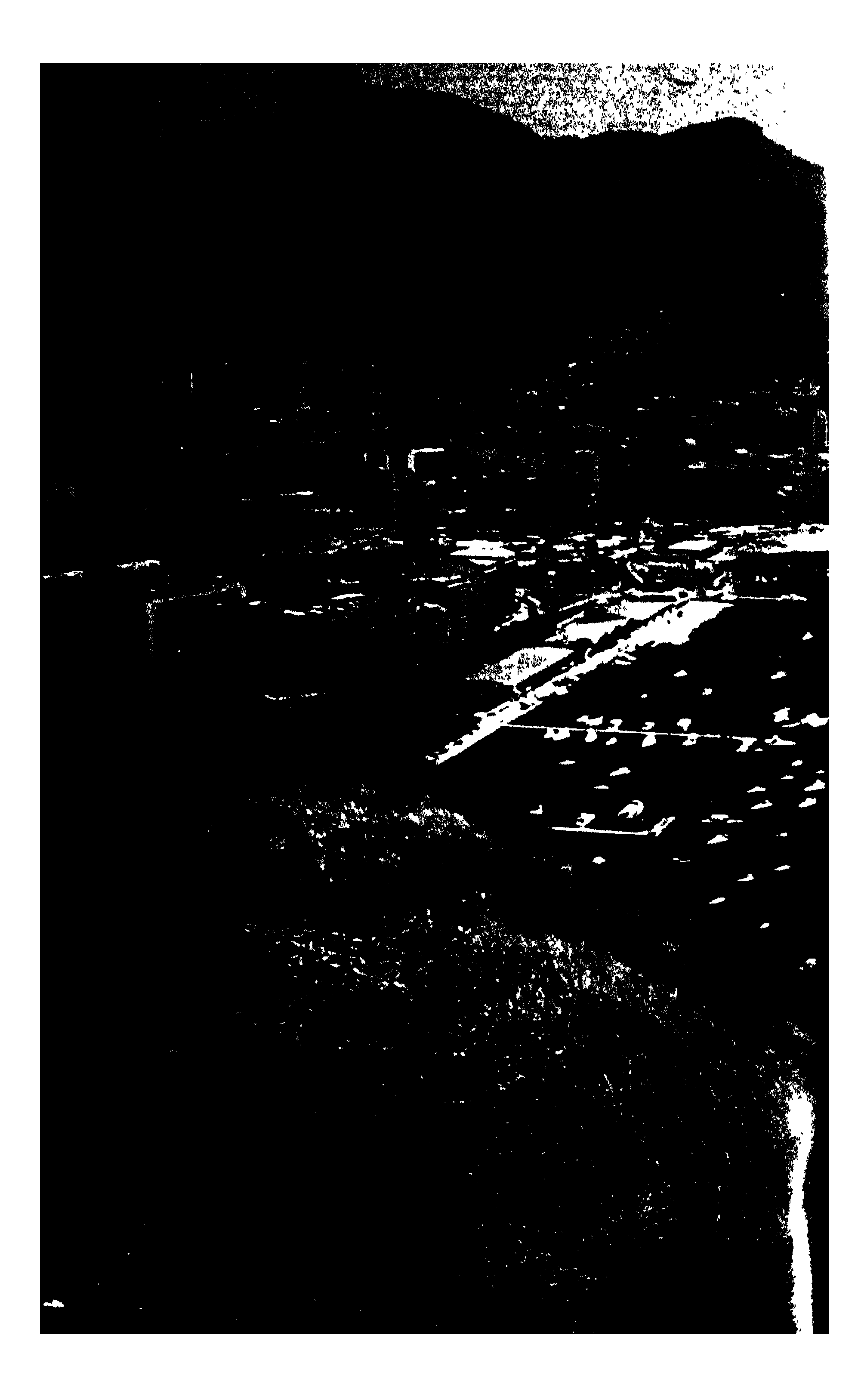
في تلك الأثناء توفي روزفلت ، وفي مايو ١٩٤٥ عقد وزير الدفاع الأميريكي (هنري ستمسون) اجتماعا لبحث مسألة اطلاع السوفييت ، ومستقبل السيطرة الدولية على الأسلحة الذرية ، غير أن غالبية المجتمعين أعربوا عن ارتيابهم من السوفييت ، وبذا تقرر عدم كشف السر لهم الى ما بعد استعمال القنبلة الذرية ضد اليابان وبعد ايام من نجاح القنبلة الذرية (سالاموجودرو) صرح الرئيس ترومان لستالين بتاريخ ٢٤ يوليو ببوتسدام أن الولايات المتحدة تمتلك الان سلاحا جديدا ذا قوة مدمرة للغاية ، ويبدو أن السوفييت كانوا على علم بمشروع (مانهاتان) من جواسيسهم ، وأنهم شرعوا في الاستعداد لصنع قنبلتهم ، وكان من نتيجة صمت حلفائهم هذه المدة الطويلة أن زاد في شكوكهم ، ومهد السبيل للحرب الباردة فيما بعد ، كما توقع بور من قبل

عند ذلك تحول بور الى مخاطبة الرأي العام الدولي ، ففي أغسطس ١٩٤٥ بعد خمسة أيام من تدمير هيروشيما نشر بور أفكاره تلك في مقال بصحيفة « التايمز » اللندنيه بعنوان « العلم والحضارة » وكانت الحرب الكورية قد اندلعت عندما أرسل « خطابه المفتوح » المشهور الى الأمم المتحدة في عام ١٩٥٠ ، لذا فان ذلك الخطاب أيضا لم يجد صدى الا في الدول الاسكندنافية وحدها ، وكل هذا المجهود الشخصي من طرفه ان دل على شيء فانما يدل على أن (نيلز بور) قد سبق زمانه بكثير .

لقد أصبح بور بعد الحرب العالمية الثانيةالمتحدث الأول باسم الفيزيائيين العالميين ، بيد أن الفيزياء نفسها تعرضت خلال ذلك لتغيير جذري ، فقد أصبحت من مهمة الحكومات والشركات الكبرى ، ولم تعد تقبع في أروقة الجامعات والمعاهد العلمية ، ذلك أن تكاليف البحث العلمي أخذت أبعادا هائلة لم يعد بالوسع الاضطلاع بها دون عون الحكومات أو القطاعات الخاصة ، لذا فان معهد بور لم يعد ذلك المركز الاساسي للبحث العلمي كماكان عليه الحال قبل الحرب ، فقد انتقل هذا الشرف الى أمريكا والاتحاد السوفيتي والمركز الأوروبي للبحوث العلمية بجنيف .

أما العلامة الكبير فقد فارق الحياة عصر يوم الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٦٢ ، تاركا وراءه سمعة علمية خالدة ، وذكرى عاطرة على مر الأيام . □





« ان الله خلق جمال الطبيعة في سائر أنحاء الدنيا من أجل البشر ، وخلق جمال البرازيل لنفسه » . « مثل شعبي برازيلي »

أول سؤال يفرض نفسه على زائر هذا البلد هو ما إذا كانت البرازيل تنتمي الى مجموعة الدول النامية أم المتقدمة . ؟ فالنظرة الأولى وخاصة الى مدن الساحل الشرقي والى العاصمة « برازيليا » توحي برخاء جم ، وتقدم في التقنية والصناعة ليسا دون الرخاء والتقدم في دول أوروبا الغربية ، مع امكانيات وثروات لا حدود لها ، وحديث دائم عن أوجه النشاط الانتاجي وغيرها بصيغة أفعل التفضيل ، وهي الصيغة المفضلة في حديث البرازيليين عن بلادهم وعن أنفسهم

هنا دولة تبلغ مساحتها أكثر من مساحة أوروبا العربية والشرقية معا (اذا استبعدنا الاتحاد السوفيتي) ولا يفوقها في الاتساع غير الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والصين وكندا ، وقد اكتشفوا منذ أشهر قلائل أن نهر الامازون أطول من نهر النيل ببضعة أميال ، فبات نهرها أطول أنهار العالم والعاصمة « برازيليا » هي أحدث مدن العالم تخطيطا ومعمارا ، كما أن العاصمة السابقة « ريودوجانيرو » بشهادة الكثيرين ممن يعتد برأيهم ، وعلى رأسهم الكاتب النمساوي الشهير ستيفان تسفايج ، هي أجمل مدن الدنيا قاطبة . والشعب البرازيلي هو أكبر أمة كاثوليكية في العالم ، ولا يفوق تعداده (١٣٥ مليون نسمة) غير تعداد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة واندونيسيا ولا يفوق البرازيليين في فن الطهي غير الفرنسيين والصينيين .

أما في مجال الاقتصاد فان الناتج القومي الاجمالي الذي يقدر بنحو ٢٣٠ بليون دولار ، يحتل المرتبة الثامنة بالنسبة لاقتصاد دول العالم ، وهي الدولة الأولى في انتاج البن والسكر والبرتقال وفي احتياطي الذهب ، والثانية (بعد ساحل العاج) في انتاج الكاكاو ، وبعد الولايات المتحدة في انتاج فول الصويا ، والحديد الخام ، ومن حيث قيمة الصادرات الزراعية والسلع المشتقة من الانتاج الزراعي ، والثالثة في انتاج الذرة (بعد الاتحاد السوفيتي والصين) ، واللحوم (بعد الولايات المتحدة وروسيا) والرابعة في انتاج المحمير ، والخامسة في انتاج القطن والدبابات ، والسابعة في انتاج الألمنيوم والنحاس ، والتاسعة في انتاج الصلب ، والعاشرة في انتاج السيارات والاسمنت وتوليد الكهرباء

فان كان هذا هو الوضع ، فما بال البرازيل صاحبة أكبر دين خارجي من بين دول العالم (١٠٤٫٤ بليون دولار) ورابعة أكبر معدل للتضخم (٢٢٥٪ سنويا) بعد « اسرائيل » وبوليفيا والأرجنتين ؟ وما سر هذه المشكلات الاقتصادية الرهيبة التي تركت بصماتها على الكيان الاجتماعي والسياسي للدولة ، وهذا الفقر الذي تعيش في ظله غالبية السكان ، وحياة الفطرة التي يحياها سكان البلاد الأصليون من الهنود الحمر ، وارتفاع نسبة البطالة الى أكثر من ٧٪ ، ثم ماترتب على الفقر والبطالة من انتشار جرائم السطو المسلح والسرقة والاعتداء على المتاجر ، مما رفع البرازيل الى المرتبة الثانية من بين دول العالم (بعد كولومبيا) في عدد السرقات بالاكراه ، مما كان له تأثيره الضار في قطاع السياحة الذي كان يحتل حتى عام ١٩٨٣ المرتبة الثالثة في الأهمية بالنسبة للاقتصاد البرازيلي ؟

ابن اللورد !

ان مما يساعدنا على فهم طبيعة هذه المشكلات ، تشبه سلوك البرازيل بسلوك ولد لأحد أثرياء اللوردات ، لايزال أبوه على قيد الحياة ، والولد مع قلة ما في يده من مال ، لا يرى وسيلة لتحقيق مراده غير الاستدانة من هنا وهناك ومن كل من هب ودب . والدائنون يقدمون له القروض عن طيب خاطر ، لاطمئنانهم الى قدرته على سدادها حين ينتقل والده المسن الى رحمة الله

يقول المثل العربي « على قدر لحافك مدّ رجليك » وهذا بالضبط هو ما تأبى البرازيل أن تفعله فهنا اطمئنان كامل الى المستقبل ، الى ما سيأتي به الغد من رخاء عميم ، بالنظر الى الامكانيات الهائلة ومصادر الثروة التي لم تستغل بعد ، وهي ما يؤكد عليه الجميع - في الداخل والخارج - انها ستجعل من البرازيل في المستقبل القريب احدى الدول العظمى في العالم ، بل مارد القرن الحادي والعشرين . وعلى أساس هذا الاطمئنان الى المستقبل (رغم ضخامة المشكلات الراهنة وفداحة الدين الخارجي) يتصرف البرازيليون

أراد حكامها منذ عام ١٩٥٦ أن يدفعوا عجلة التقدم في البلاد ، بحيث يحرزون خلال خمس سنوات ما لا يحرزه غيرهم خلال خمسين وهو ما تم لهم فعلا بفضل ترسيخ دعائم الانتاج الصناعي ، خاصة صناعة الحديد والصلب والصناعات الثقيلة ،

وقد كان سبيلهم الى ذلك هو اللجوء الى طلب القروض من الخارج ، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية من أجل استغلال المناطق الداخلية وتعميرها ، بعد أن كانت العناية منصبة في الماضي على المناطق الساحلية في الشرق ، وقد شجعتهم صورة المستقبل المضيء على تجاهل القيود التي يفرضها حجم الموارد الراهنة ، فهم لا يريدون أن ينشئوا مدنا ، أو يؤسسوا صناعات ، أو يضعوا برامج لا تليق بمستقبلهم كدولة عظمى فحين شرعوا عام ١٩٥٧ في بناء عاصمة جديدة في الداخل تكون أقرب الى المناطق المراد تعميرها ، من ريودوجانيرو



البرازيل نصف مساحة أمريكا اللاتينية

الساحلية ، انفقوا على بنائها الملايين من الدولارات ، وكانوا ينقلون الى موقعها أكياس الاسمنت وقضبان الصلب ومعدات البناء الثقيلة بالطائرات عبر مئات الأميال وكانت النتيجة والثمرة « برازيليا » مدينة المستقبل ، مدينة القرن الحادي والعشرين ، لا يفوقها في جمال معمارها أي من عواصم العالم . وهم حين قرروا انشاء مترو الانفاق في ثلاث من المدن الكبرى ، جعلوا منه أكثر نظم مترو الانفاق تقدما في العالم

وقد اطلقت البرازيل أقمارها الصناعية وأدخلت الكمبيوتر في كافة مجالات نشاطها الاقتصادي ، وطورت صناعتها الالكترونية ، بحيث لم يعد لها في سدادها غير القليل من المنافسين ، وحفرت مئات ومئات من الانفاق في بطون الجبال ، وشقت أكثر من مليون ونصف مليون كيلومتر من الطرق المرصوفة حتى عبر الجبال الصخرية الشاهقة ، وأقامت ناطحات السحاب من المباني في المدن الرئيسية .



الكرنفال
موسيقا وغناء
ورقص
دون توقف ، أيام
السنة الاربعة
التي يعيش
البرازيليون من
أحلها



غير أن الأهم من دلك كله هو العناية الفائقة بالصناعة ، فقد تمكنت البرازيل حلال ربع القرن الماضي فقط من تصنيع كل ما تحتاج اليه ، وكل ما يغنيها عن الاستيراد من العالم الخارجي ، من الكمبيوتر إلى السفن ، والطائرات ، والسيارات ، والملابس ، وأجهزة التليفزيون ، والفيديو ، والالات الحاسبة ، والأسلحة والذخيرة ، والأدوية ، والورق ، والصناعات البتروكيمائية ، والميكانيكية ، والمعدنية . وكانت رغبتها الملحة في تصدير فائق انتاجها الى العالم حافرا لها على استخدام أحدث وسائل التقنية من أجل انتاج سلع تفي بمتطلبات السوق الدولية ، وتنافس منتجات الدول المتقدمة

كل هدا كان له الفضل في تقريب البرازيل من مستوى الدول الصناعية الغنية لقد ظلت أمدا طويلا ، وحتى الماضي القريب ، دولة رراعية ، وكان العالم الخارجي لا يكاد يعرف عنها غير انتاجها للس ، وراقصة السامبا الشهيرة) كارمن ميراندا) تماما كما كان لا يعرف عن اليابان عير انتاج الراديو ترانزيستور ولعب الأطفال . أما اليوم فقد بلغت قيمة صادراتها نحو ٢٦ بليون دولار سنويا ، أربعة أخماسها من السلع الصناعية

ايلول الاسود :

ولأجل تحقيق هذه الطفرة الهائله ، كان على البرازيل أن تدفع الثمن ، وهو ثمن باهظ بحده اليوم يرهق كاهلها ويؤرق حكومتها ، دون أن يفقد شعبها ثقته في المستقبل قلنا إنه كان عليها من أجل الانفاق على كل هذه المشروعات الطموحة ، ان تلجأ الى الاقتراض من الحكومات والبنوك الأجنبية ، ومن صندوق النقد الدولي . وكانت معظم هذه القروض قصيرة الأجل ، وذات فوائد بلغت حوالى ٥ر١١٪

وكان سبيل البرازيل الى دفع قيمة الفوائد المستحقه ، الى جانب زيادة صادراتها ، هو طلب المزيد من القروض قصيرة الأجل وذات الفوائد الباهظة . وقد عرفت البرازيل هي الأخرى « ايلول الاسود » وكان أيلولها الأسود (سبتمبر ١٩٨٢) حين وجدت لزاما عليها سداد عشرين بليون دولار من الاقساط والفوائد واجبة الاداء ، منها ١١ بليون دولار فوائد على أصل الدين ، فلم تتمكن من ان تسدد غير ثلث هذا المبلغ ، وكان أن أسفر الوضع عن ظهور أزمة ثقة لدى البنوك العالمية والحكومات الأجنبية في قدرة البرازيل على سداد ديونها ، بل على مجرد سداد فوائد هذه الديون . عندئذ تراجع الدائنون عن منح تسهيلات ائتمانية جديدة لها ، مالم يثبت اقتصادها جدارته بالثقة ، وانبرى صندوق النقد الدولي يحاول أن يفرض على البرازيل شرط اتخاد اجراءات تقشف واصلاح تمكنها من تسديد الديون ، كخفض الانفاق الحكومي ، وتجميد الأجور والمرتبات ، وتخفيض قيمة العملة ، ورفع الضرائب ، والتركيز على الاستثمار في مجالي الزراعة والطاقة دون الصناعة ، والا امتنع عن تقديم قروض جديدة غير أن البرازيل ردت غاضبة بأنها ترفض مثل هذه الوصاية ، وهذا التدخل الأجنبي في سيادتها الوطنيه ، والحد من حريتها في انتهاج السياسة التي تريد ، وبأن من حقها أن تطلب إعادة جدولة تواريخ استحقاق الديون ، خاصة وأن جزءا كبيرا منها كان في صورة أجور للخبراء الأجانب

ومع ذلك فلاشك في أن البرازيل تحرص أشد الحرص على تهدئة مخاوف المموليين الدوليين ، وإقناعهم بتقديم قروض جديدة ، الى حين « وفاة الأب العجوز » ! لذا فقد اتجهت بكل طاقاتها الى زيادة صادراتها الى أقصى حد ممكن ، وتقليل وارداتها الى أدنى مستوى ، حتى توفر فائضا في الميزان التجاري يمكنها من سداد فوائد ديونها على الاقل ولا نعدو الحقيقة إن قلنا أن هذا الهدف الأسمى هو أهم عامل ـ ان لم يكن العامل الأوحد ـ الذي يصوغ سياسات البرازيل الداخلية والخارجية ، فالدولة ذات الحاجة الملحة الى زيادة صادراتها ، تحاول دوما أن تكون على علاقة طيبة وثيقة بالجميع ، وان تبادر الى تسوية أية خلافات تدب بينها وبين غيرها من الدول ، وإن اضطرتها ظروف دولية خارجة عن إرادتها الى التظاهر بالانحياز الى جانب دون آخر ، في نزاع

لاشأن لها به ، حدّدت لها حساباتُها وعلاقاتها الاقتصادية ومصالحُها التجارية أيَّ الاطراف تؤيده في المحافل الدولية . وهو نأييد نادرا ما يأخذ عدالة القضية بعين الاعتبار

فن الاستمتاع بالحياة :

غير أن الذي يبدو واضحا جليا للأجنبي الزائر لهذا البلد ، هو أن الشعب البرازيلي قد ترك لحكومته وسياسييه مهمة القلق ازاء كيفية التخلص من هذه الورطة الاقتصادية ، وانصرف هو بكليته الى ممارسة فن الاستمتاع بالحياة . ولا أعني بقولي هذا عزوفا عن الانتاج والعمل ، والا لما حقق الشعب خلال سنوات قلائل هذه النهضة الاقتصادية الرائعة ، التي لا يكاد يكون لها نظير سوى تلك التي شهدتها المانيا الاتحادية بعد الحرب العالمية الثانية وإنما أعني تلك القدرة المذهلة على الجمع بين الانتاج واللهو ، مع عشق للحياة وإقبال نهم على الاغتراف من مباهجها ، ومرح زائد وسرور طبيعي من كل ما من شأنه تنغيص المتعة ، وتكدير المزاج

تحدث عن جمال الطبيعة في البرازيل ماشئت ، أو عن سحر ريودو جانيرو . غير أن أجمل مافي البرازيل في اعتقادي هو طبيعة شعبها . وقد كان أول ماذكره لي القنصل البريطاني في ريو خلال الاسبوع الأول من اقامتي ، انني لن أقدرّ حق التقدير مدى سماحة هذا الشعب وطيبته ، واستعداده المطلق لمعاونة الغير وخدمته دون انتظار مقابل ، الا حين أترك البرازيل الى بلد آخر ، صحيح أن الأزمة الاقتصادية الراهنة ، والتضخم الرهيب ، وسوء أحوال الأمن ، قد حدَّت بعض الشيء مما عرفوا به من كرم الضيافة والترحيب بالغرباء . غير أنهم لايزالون مع هذا أكرم شعوب الأرض وألطفها عشرة ، وقد مرت بي الآن هنا بضعة أشهر زرت خلالها عشر مدن ، لم يطرق سمعي خلالها صوت غاضب ، ولا رأت عيني شجارا في طريق أو مظاهر انفعال ، الا اثناء مباريات كرة القدم لأدخل مع عائلتي مطعما الا وجدنا مائدة على الأقل قد أتى الجالسون اليها بآلات موسيقية يعزفون عليها ويغنون على أنغامها قبل الأكل وأثناءه وبعده ونذهب الى شاطىء البحر المزدحم دائما طوال أيام الأسبوع ، فإذا العزف والغناء والرقص على قدم وساق ، ولعب الكرة والضحك والغزل ، وليس أمرا نادرا أن تبادرك عائلة برازيلية تجلس على مقربة منك وعائلتك بالحديث ، ثم تبادر بعد الحديث الى دعوتكم لزيارتها في دارها وتناول وجبة طعام معها .

وبوسعنا أن نقول في ثقة ان الرقص والبحر وكرة القدم وكارنفال شهر فراير هي أهم ما يشغل بال البرازيليين ، أما الاهتمام بالسياسة فلا يكاد يخطر بذهن أحد غير من اختار « لسوء حظه ونكد طالعه » أن يشتغل بها . وقد قابلت هنا من الشباب البرازيلي من لا يعرف اسم رئيس جمهوريته ، ناهيك عن اسم رئيس جمهوريتي .

واهتمامهم بشؤون العالم الخارجي ضئيل للغاية ، أو قل هو غير قائم أصلا ، كما أن الصحف ووسائل الاعلام الأخرى لا تخصص لهذه الشؤون من المساحة أو الوقت الا قدرا يفرضه الواجب وتحتمه اللياقة .

فان ذكروا الولايات المتحدة ، فانما يجيء ذكرها بمناسبة قرار مجلس الشيوخ الأمريكي بفرض قيود على استيراد الأحذية أو عصير البرتقال من البرازيل وهو الأمر الوحيد الكفيل بإغضابهم .

وهم على عكس الكثير من شعوب أمريكا اللاتينية الأخرى ، فهم شديدو الكراهية للحروب وكل مظاهر الارهاب والعنف . . شعب وديع يفضل الغناء على الشكوى ، والرقص على الشجار ، خاصة أهل ريودو جانيرو المعروفين باسم « كاريوكا » الذين لا يرون شيئا أهم وأخطر من أن يكون مثارا للمرح ومدارا للضحك . ولم تعرف البرازيل في تاريخها ثورة دموية واحدة ، أو اغتيالا لزعيم سياسي ، أو ارهابا أو حرب عصابات ، رغم حدوث بعض المواجهات في مناسبات معينة ، بين وحدات من الجيش وجماعات من المتظاهرين ، كانت دائما تنتهي بتبادل القبلات والنكات ، قبل أن ينصرف كل من الفريقين الى شأنه ، ودون اطلاق رصاصة واحدة .

كرنفال ـ سامبا ـ ماكومبا

فاما عن (الكرنفال) الأكبر في شهر (فبراير) فهو حدث تفوق أهميته عندهم أهمية عيد الميلاد المجيد ، وعيد الفصح ورأس السنة والبرازيليون يعيشون سائر عامهم على ذكرى (الكرنفال) المنصرم ، واستعدادا (للكرنفال) التالي ، وهو لا يقتصر على حي من أحياء المدينة ، أو على طبقة اجتماعية من الطبقات ، وانما هو بمثابة احتفال صاخب يشارك فيه الكافة في مختلف أنحاء البلاد ، وإنك لواجد أفقر الفقراء هنا ، ومامن هم عنده غير أن يكسب حلال العام ، ويدخر مايمكنه من شراء زي تنكري باهر لهذه المناسبة المحنونة ، التي يظل الناس فيها على مدى أربعة أيام وخمس ليال متتالية لا يعرفون النوم ، ولا يتوقفون عن رقص السامبا ، والغناء ، وعزف الموسيقا ، وقرع الطبول ، والطواف بالشوارع لعرض ازيائهم العجيبة بهيجة الالوان

وأما شاطىء البحر فيلعب هو الآخر دورا رئيسيا في حياة البرازيليين ، من سكن منهم على الساحل أو في مدينة بالداخل وقد لجأت الحكومة الفيدرالية الى عشرات الوسائل من أجل تشجيع البرازيليين على استيطان المناطق الداخلية ، والسكن في العاصمة الجديدة ، كمضاعفة الاجور فيها ، والاعفاء من الضرائب ، وتخفيض ايجارات المساكن

غير أن البحر ظل دائما عامل جذب يحول دون الابتعاد عنه لمسافة طويلة ، أولمدة طويلة ، والحياة على شاطئه تبدأ في ساعة جدّ مبكرة من اليوم ، فمنذ الخامسة صباحا تجد الشباب يلعبون (الفولي) أو كرة القدم ، والكبار يؤدون تمرينات الصباح الرياضيّة قبل توجههم الى مكاتبهم ، ورجال الأعمال يبرمون الصفقات التجارية ويوقعون العقود ، وهم مسترخون على الرمال في ملابس البحر ، والباعة المتجولون يمرون وعلى رؤوسهم (صواني) نحاسية كبيرة ، تحمل جوز الهند والأناناس والبرتقال وعصير الفاكهة ، ورجال الشرطة يراقبون ملابس السابحين في البحر خشية أن يخطفها اللصوص ، والنساء وقد ارتدين (البيكيني) ـ وهو من اختراع البرازيليين ـ يأتين بأطفالهن الرضع في سلال من القش ، للاستمتاع بالشمس ونسيم البحر ، والمربيات يراقبن الصبية والصبايا يمرحون بين الأمواج العالية ، أو يذاكرون في كتبهم المدرسية ، والفتيات يقابلن أصدقاءهن أو يخرجن صديقاتهن على خاتم الخطوبة ، حتى إذا ما اكتملت الدورة ، إذا بصبيَّة الأمس قد جاءت بوليدها الى الشاطىء في سلة من القش للاستمتاع بالشمس ونسيم البحر

غير أن أغرب المناظر طرا وأحفلها بمظاهر الوثنية ورواسبها ، ذلك الذي تراه على الشاطىء ليلة رأس السنة من كل عام آلاف مؤلفة من وثنيي البرازيل ومسيحييها على سواء ، تتوجه في حوالي العاشرة من مساء ٣١ ديسمبر الى شاطىء المحيط في ملابس بيضاء ، يحملون الشموع البيضاء الموقدة في يد ، والقرابين في الأخرى أناس من مختلف الأعمار والأجناس والألوان والطبقات ، قد تبنّى المسيحيون منهم هذا الجانب من عقيدة الوثنيين المسمين (بالماكومبا) ، المتأثرة بدورها بديانات الأفارقة والهنود الحمر حتى إذا ماوصلوا الى الشاطىء شرعوا يرسمون علامات غريبة على الرمال ، ويفرشون المفارش البيضاء ، ليضعوا عليها القرابين التي سيقدمونها لالهة البحر (يمانيا) ، من زهور وعطور ونبيذ ودجاج وأمشاط ومرايا ، وحولها سياج من الشموع المضاءة ثم يشرعون في الترنم بترانيم خاصة ، ثم في الرقص وقرع الطبول ، حتى إذا ما أعلنت دقات الساعة منتصف الليل ، فوجئت بالصواريخ الملونة تنطلق ، والأجراس تدق ، والصرخات تعلو ، وإذا هؤلاء القوم جميعا وقد نزلوا الى البحر بهداياهم وأزهارهم ، فلا يخرجون حتى تأخذها الأمواج بعيدة عن أنظارهم ، حينئذ يطمئنون إلى أن إلهة البحر قد قبلت قرابينهم قبولا حسنا ، وانها ستحقق لهم أمانيهم وأحلامهم خلال العام الجديد . !

هنا إذن ، وعلى نحو شبيه الى حد ما بما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية ، قد امتزجت الأجناس والأديان والعادات والتقاليد في بوتقة واحدة ، بعد موجات متعاقبة من الهجرات من مختلف بقاع العالم . فهنا سلالات السكان الأصليين من الهنود الحمر ، وسلالات البرتغاليين المستعمرين الأول للبلاد ، والأفارقة الذين أتى بهم البرتغاليون قسرا لفلاحة الأرض ، والمهاجرون الايطاليون والألمان والبولنديون واليابانيون والانجليز والأسبان واليهود ، بالاضافة الى ستة ملايين من اللبنانيين والسوريين ، من نسل أولئك الذين تركوا وطنهم في أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن فرارا من سطوة الحكم العثماني ، أو طلبا للرزق في الدنيا الجديدة . وتقدر نسبة البيض هنا بأكثر من ٥٤ ٪ ، يتركزون في المنطقة الجنوبية المماثلة في مناخها لمناخ أوروبا ، أما الزنوج فتقدر نسبتهم بحوالي ٦ ٪ ، يتركزون في منطقة الجنوب الشرقي ،ويعملون في مصانعها ، أما الهنود الحمر فلا يتجاوز عددهم ٢٣٠ الف نسمة ، يعيشون حياة بدائية في الولايات المتحدة الشمالية عند حوض نهر الأمازون ، وأما باقي السكان (أي نحو ٣٩ ٪) فيعرفون باسم « المولاتو » وهي كلمه مشتقة من الكلمة العربية « مولّدون » إذ هم ثمرة التزاوج بين البيض والزنوج والهنود الحمر ، لون بشرتهم أقرب ما يكون الى لون بشرة العرب ، ويسكن معظمهم في المنطقتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية

فإن كنا قد قاربنا وضع الأجناس هنا بوضعها في الولايات المتحدة ، فإن هناك فارقا ضخما يتعلق بالتعايش بينها ، إذ ليس ثمة في البرازيل ما يوحي بوجود تفرقة عنصرية بين أجناسها ، فهنا العشرة الطيبة بين الأبيض والأسود والأسمر والاحترام المتبادل ، والتزاوج غير المقيد أو المنهى عنه ، وغير المغضوب عليه ، مما يجعل من المحال التفرقة بين البرازيلي والأجنبي ، إلا حين يشرع الأجنبي في الحديث بلغة برتغالية ركيكة ، وقد كان للزنوج تأثير عظيم في الحياة البرازيلية ، خاصة في العقيدة والعادات ، والموسيقا والرقص ، وفن التصوير والرياضة ، والاعتقاد في السحر .

كما استفاد اقتصاد البلاد استفادة عظمى من النشاط التقليدي المشهود لليابانيين والألمان الذين توافدت أعداد كبيرة منهم على البرازيل ، في السنوات السابقة على الحرب العالمية الثانية والتالية لها . وقد أبدى هؤلاء جميعا ـ عدا الألمان ـ استعدادا كاملا للانخراط في البوتقة البرازيلية الكبرى ، وهجر لغاتهم الأصلية الى اللغة البرتغالية ، فمن النادر مثلا هنا أن تصادف برازيليا من أصل لبناني أو سوري يعرف العربية ، أو شديد الاهتمام بالأوضاع الراهنة في لبنان وغيره من الأقطار العربية كذلك فان المسلمين البالغ عددهم حوالي مائتي الف نسمة ، لم يعودوا يعرفون الكثير عن دينهم ، والبعض من شبابهم يلبس حول عنقه سلسلة ذهبية تحمل علامة الصليب ، دون أدنى إدراك منه لوجود تناقض ثم من يدري لعل بعضهم يقدم أيضا القرابين في ليلة رأس السنة لإلهة البحر « يمانيا »

نعم قد لانجد الا القليلين من السود البرازيليين في مناصب القضاة ، أو الدبلوماسيين ، أو الوزراء وكبار رجال الدولة ، أو حتى من الأطباء والأساتذة والمحامين وقادة الجيش غير أن هذا يرجع الى المستوى الاقتصادي الناجم عن تباين الخطوط من التعليم والثقافة ، (وهو تباين من ثمار الماضي) ، والناجم أيضا عن تفضيل الزنوج عادة الاستمتاع بالحياة على العمل الشاق ، وقلة حاجاتهم وتطلعاتهم

غير أن الظاهرة الهامة في الأمر كله هي ماذكره لي أحد كبار رجال الحكومة هنا ، من انه في حين كان الرجل البرازيلي الأبيض في الماضي القريب يحاول جاهدا إنكار سريان دم زنجي أو هندي في عرقه ، لم يعد هناك اليوم الا من يصرح علنا وعن طيب خاطر ، بانه رغم بياض بشرته من المولدين ،بل ويفخر بأنه منهم ، وهي دلالة طيبة علي أن مابقى من آثار ضئيلة للتفرقة العنصرية هو في طريقه الى الاندثار .

يقول بريستلي :

« من حق المرء أن يتحدث عن دولة أجنبية ، بعد إقامته بها ، إما لمدة اثنى عشر يوما ، أو اثنى عشر عاماً ، وفيما بين هاتين المدتين لا يجوز له الحديث عنها » .

فهل نعاود الحديث في استطلاع جديد عن البرازيل بعد اثنى عشر عاما حديثا أعمق وأشمل . ! لعل وعسى □



اعداد : بدور عبدالكريم *

بعد أطفال الأنابيب ، اتجه العلماء بابحاثهم الى أعرق رفاق الجنس البشري الأشجار ، وفي هذا الحقل الجديد تحقق الكثير ، وفتحت آفاق لمستقبل يختلط فيه العلم بالخيال ، والمقال التالي عن الأشجار ، ذلك العلم الواسع الذي اقتحمه علم الهندسة الوراثية

هل حقا أن الدنيا مقامات حتى في رحاب العلم ؟

فالضجة الاعلامية التي أحاطت بحادث « أطفال الأنابيب » و « أجنة المختبرات » في طول العالم وعرضه ، لم تتح لتقدم تقني متواضع ، ومثير ، ومن شأنه أن يؤدي عبر تطوير تقنيته ، الى تغيير الملامح المناخية والجغرافية في كثير من بقاع العالم ، وذلك أن هذه التقنيات من شأنها أن تحقق الحلم الانساني ، بتحويل الأراضي اليباب الى غابات ، وزرع الصحراء بالأشجار التي لا تحتاج الى ري وسقاية ، و[؟] الاشجار القابلة للري بالمياه البحرية المالحة ، ومما يشكل اذا سلمنا بمعطيات علم الأحوال الجوية ، بداية تحكم فعلي ، من قبل الانسان بالمناخ . وبالمقدار الذي يتيح تغييره جذريا ، لما فيه مصلحة التنمية الزراعية ، وبخاصة وقف زحف الصحراء على الأراضي الزراعية ، في البلاد ذات الطابع الصحراوي ، وتلطيف الأجواء عبر الاستخدام المكثف لعمليات التشجير . ومن ثم استغلال الشجرة من أجل تنقية الجو ، وتأمين الرطوبة اللازمة للمزروعات ، واستحلاب واستقطاب غيوم المطر

أعرق رفيق

من المسلم به ، أن الأشجار هي أعرق رفيق للجنس البشري ، وانها استطاعت بسبب انشغال العلوم الانسانية ، بمواضيع أخرى ، على أساس تقدم الأهم على المهم ، أن تحتفظ بكثير من أسرارها طويلا . ولكنها لم تستطع أن تصمد حتى النهاية أمام

* كاتبة وباحثة فلسطينية عملت وكتبت في أجهزة الاعلام وصحافة القطر السوري . قدمت رسالة دكتوراه في الاعلام في فرنسا

تقدم التقنية البيولوجية الحديثة ، التي بدأت تسمح بتوليد ما يمكن أن نسميه « غابات الأنابيب » ومما يبيح لعلماء البيولوجيا الزراعية ، وصناع الحبر ، توليد وتحسين افضل وأجمل وأنفع أنواع الأشجار ، ومن ثم مضاعفتها الى اعداد لا نهاية لها

على هذا الصعيد ، يقول لاري توموف ، العالم الاخصائي في اقتصاد التشجير والتحريش بجامعة ميتشيجان في الولايات المتحدة أن التقنية البيولوجية الزراعية هي منطلق حربه « غابات الانابيب » اي تربية نواة الغابة في المختبرات ، وأن هذه التقنية مرشحة لبلوغ أقصى درجات التقدم والنجاح ، وتحقيق ثورة علمية جديدة في الميدان الزراعي عبر التحكم في نمو الخلايا الاساتية مما يحقق هدف استنبات غابات اصطناعية ضمن انابيب المختبرات

وربما كانت الشجرة هي الضحية الأولى ، لحاجات التقدم العلمي وارتفاع مستويات المعيشة والرفاهية ، ذلك أن للأشجار دورها الكبير في سد نهم صناعة الورق والموبيليا والبناء ، وبشكل اختفى معه ما يمكن أن يدعى بالغابات العذراء ، باستثناء القليل من الغابات النائية في حوض الأمازون وأفريقيا الاستوائية

ومن هنا فان تقنية « غابات أنابيب المختبرات » قد تكون البشرى بقدرة الانسان على تعميم معالم وخصائص الكثير من الأشجار ، المثمرة وغير المثمرة ، ومن نباتات الخضراوات ، مع تكييفها بما يبيح لها النمو في أي مناخ

ثمار بعد ٢٢ شهرا :

ترتكز اتجاه تقنية الزراعية العضوية النسوم على استيراد خلايا بعض النباتات والأشجار ، وزرع كل خلية في أنبوب اختبار ، لمحاولة الحصول على كيان وتكوين كامل من هذه الخلية ، التي تؤلف بتكوينها وبوالدها وتجمعها الكيانية الاشكال التي تبرز بها مختلف الأشجار ، على صعيد استنبات نباتات وأشجار كاملة التكوين ، انطلاقا من خلية واحدة ، أو من تجمع خلايا قليلة معدودات ، فإن الباحثين في هذا الميدان ، يستندون كثيرا الى تقنية استنبطها عالمان فرنسيان من علماء « المعهد الوطني الفرنسي للأبحاث الزراعية » وهما ر . موريل وكلود مارتان اللذان كانا قد باشرا منذ ١٩٥٢ ، تجاربهما على أنسجة العقد والبراعم الانمائية التي نراها في تفرعات عساليج النباتات

وتقضي هذه الطريقة باقتطاع جزء من منطقة النمو الاساسي ، وزرعها في بيئة ملائمة ، بحيث يؤدي ذلك ، الى نشوء فسائل وعسالج وبراعم فتية ، تتحول الى تكوينات وكيانات نباتية كاملة

ويبدو أن الغاية الرئيسية لتجارب هذين العالمين الفرنسيين ، كانت تستهدف استحداث نباتات مقاومة للآفات والطفيليات التي تهاجم النباتات والأشجار ، وتعرقل نموها ، ومن ثم تحسين أنواع ونوعيات الأشجار المثمرة

وقد بدأت هذه الأبحاث والتجارب تعطي ثمراتها في عام ١٩٨٠ ، حين استطاع البروفسور مارتان ومساعدوه أن يستنبتوا ثلاثة عشر نوعا محسنا من أنواع الخوخ والدراق ذات الرحيق الحلو السكري الأحمر .

وقد أنتجت أول - ١٣ - شجرة دراق من هذه الأشجار المستحدثة - ١٠ - كغ من الثمار بعد -٢٢- شهرا من زرعها في التربة ، وبديهي أن هذه النتيجة تعد تقدما ملحوظا ومهما ، ذلك أنه من المعروف أن شتلة الخوخ أو الدراق لاتبدأ بالاثمار الا بعد مرور أربع سنوات على زرعها في التربة .

وقد علق على ذلك بيل بيلسون رئيس مصلحة احراش وغابات الراين ، وهو من العلماء الزراعيين المرموقين ، قائلا

« ان أهم ما يمكن أن تحققه التقنيات البيولوجية الزراعية هو تقصير واختصار المدد الطويلة اللازمة لتحسين أنواع ونوعيات الأشجار عبر التقنيات التقليدية ، وبالتالي فان تحسين النوعية بالاضافة الى كسب الوقت ، يؤثر تأثيرا ايجابيا في استثمار الغابات لسد الاحتياجات المتصاعدة ، لصناعة النجارة والورق ، وتحقيق المردود الأفضل ، ذلك أن أثمان الاخشاب والمنتجات الخشبية تتراوح بحسب أنواع ونوعيات الأشجار والنباتات التي أتت منها »

وقد كان من الطبيعي أن تتجه التقنيات الحديثة للبيولوجيا الزراعية ، الى انتخاب واستنبات الجذور الأكثر صمودا للآفات والأمراض التي تسببها الفيروسات والبكتريات والفطريات المجهرية ،



بالاضافة الى هجمات الحشرات القارصة

ثمة هدف بعيد من هذه التقنيات الحديثة ، يكمن في استخدام زراعة الخلايا النباتية من أجل استخلاص المواد اللازمة للطب الحديث ، وبالطبع فان الأمر يتطلب ، كما يقول الخبير الأميركي « توموف » ، التعمق في معرفة الخلايا النباتية ، وبيولوجية الجزئيات الاساتية لأشجار الغابات ، حتى نستطيع الانتفاع بكل الطاقات الكامنة التي بدأت التقنيات البيولوجيه الحديثة تنشر بمولدها

ويشدد « توموف » على وجوب التعمق في معرفة العمليات التي تستطيع فيها البكتريا ، وغيرها من الكائنات المجهرية ، أن تخترق النسيج الداخلي للنباتات ، كما تستطيع اختراق لحاء الأشجار .

وفي هذا الصدد ، وباتجاه مماثل ، يقوم الباحثون باستنباط واستنبات جذور وشتلات أشجار صنوبرية ، تقاوم أكثر أنواع الآفات الزراعية .

والواقع أن الحلم الذي يبدو أنه قد أصبح قريب المنال ، ليس حلم خلق غابة اصطناعية في المختبرات ، انما خلق غابة مزروعه بفصائل وأنواع جديدة ، استنبتها الأبحاث العلمية .

أشجار مراهقة :

قلنا ان الشجرة هي الرفيق الأعرق الذي صاحب الانسان منذ نشوء الحياة وارتقائها ، ولهذا فان بعض أنواع الأشجار تتجاوز بحجمها وعمرها ، جميع الأرقام القياسيه ، التي سجلتها مختلف الكائنات الحية .

مثلا ، شجرة ـ السيكا ـ الاستراليه ، التي تعتبر من المتحجرات الحية ، قد تكون صاحبة الرقم القياسي في طول العمر ، وذلك أن عمرها التقديري الذي توصلت اليه الأبحاث العلمية يتراوح بين ١٢ - ١٥ ألف سنة

والمعروف أن هذه الأشجار تنمو ببطء قاسي بالغ ، بحيث لا تكاد تحقق نموا بطول متر واحد خلال قرن كامل !

على أن بعض علماء النبات الأميركيين ، ينسب الى « صنوبر كاليفورنيا » الرقم القياسي في طول العمر ، ومن خصائص هذه الأشجار ، أنها تنمو على علو مرتفع ، يتراوح بين ٣٠٠٠ ـ ٣٦٠٠ م في جبال « هوايت ماونتن » في كاليفورنيا ، وتتميز أضخم هذه الأشجار ، ويطلق عليها لقب « البطريرك » بقطر يبلغ ١٢ مترا عند القاعدة ، ومع ذلك فانها تعتبر « مراهقة » لأن عمرها لايزيد على ١٥٠٠ سنة

أما أعرق هذه الاشجار قدما في الحياة ، فيبلغ عمرها حاليا ٤٩٠٠ عام ، وقد قدر بأنها كانت قد بلغت أول ألف عام من عمرها في العهد الذي عاصر حياة النبي ابراهيم الخليل ، ثم ما لبثت أن دخلت مرحلة الشيخوخة في زمن المسيح

على أنه قد ظهر لهذه الشجرة ، شجرة يابانية منافسه ، هي شجرة أرز تم تقدير عمرها بـ ٥٢٠٠ سنة ، بالاعتماد على معطيات القياس بعنصر الكربون ١٤ .

ثمة ظاهرة مناقضة ومعروفة ، وهي أن نباتات مناطق اليباب القاحلة ، تضرب الرقم القياسي في بطء النمو ، فأشجار الكاكتوس (الشوكيات)التشيلية المعروفة باسم « كوبياسوا » تؤلف دغلة كثيفة صحمة عندما تبلغ ٥٠٠ سنه من العمر ، ومع ذلك ، فان قطرها في هذه الحالة لايزيد على ٦٠ سم

وثمه أشجار في أميركا اللاتينية ، تدعى أشجار « آبا كانتيروبوس » لا تنمو أكثر من ١٠ سم في القرن الواحد

على أن الرقم القياسي في الطول والحجم ربما كان يعود الى شجرة « الربرلحت » الاسترالية التي يزيد ارتفاعها الوسطي على ١٠٠ م٢ ، ويزيد محيطها عند قاعدة الساق على ٢٠ مترا ، وقد وقعت في القرن الماضي احدي هذه الأشجار العملاقة ، وكان يبلغ طولها ١١٤,٣٠م٢

أما الرقم القياسي في طول محيط القاعدة ، فتصرنة شجره من الفصيله الصنوبريه يمكن مشاهدتها في مدينه « سانتا ماريا دي توليه » في المكسيك اذ يبلغ طول محيطها ٥٠ مترا عند القاعدة ، و ٣٤ مترا على ارتفاع متر ونصف من القاعدة ، وهي ولاشك أضخم شجرة في العالم ، وتلي هذه الشجره في ضخامه الجذع والقاعدة شجرة من نوع « سكوايا » في حديقة سكوايا العامة في كاليفورنيا ، وتلقب هذه الشجرة باسم « الجنرال شيرمان » اذ يبلغ طول محيطها ٢٣,٣٠ مترا على ارتفاع متر ونصف من القاعدة

شجرة تبيض :

وفي سياق ولع الأمريكيين بايجاد معادلات احصائية لكل شيء قال الاحصائيون إن هذه الشجرة تستطيع أن تنتج ٥ مليارات عود ثقاب .

وتتميز هذه الشجرة بلحاء بني قاتم وكثيف ولين ، وهي بالتالي أول شجرة ، منذ نشوء الحياة على الأرض ، لا تؤلم من يضربها بقبضته ، ويقدر وزنها حاليا بأكثر من ٢٠٠٠ طن !

والغريب أن البذرة التي تنبت مثل هذه الفصيلة العملاقة ، لايزيد وزنها الوسطي على ٤,٧ ملغ ، وبالتالي فان البذرة الواحدة تضاعف وزنها ٢٥٠ مليار مرة من أجل أن تقدم لنا شجرة « راشدة » .

وتجدر الاشارة الى شجرة تين من فصيلة ضخمة جدا ، تستأثر بانتباه الباحثين البيولوجيين ، انها شجرة « تين السعال » التي تمتد جذورها أفقيا في التربة ، وتحتل مساحات شاسعة ، لتنبت من المسائل التوائم عددا كبيرا ، وقد بلغت مساحة امتداد جذور احدى هذه الأشجار ٦٠٠ م٢ ، نبتت فيها من جذور الشجرة الأصلية ٣٢٠ فسيلة وشتلة تدعم باساحها ونموها مردود الشجرة الأم ، ولعل من المفارقات أن ثمار هذه الشجرة العملاقة تضرب الرقم القياسي في ضآلة حجم التين الذي تنتجه

ثمة شجرة هي موضع عناية ودراسة كثيفة من العلماء الزراعيين في مختلف بلاد العالم ، انها شجرة يابانية تدعى « جينكو بيلوبا » وقد تميزت بكونها الشجرة الوحيدة التي صمدت لجحيم القنبلة الذرية التي ألقيت على مدينة هيروشيما ، انها من أقدم أشجار هيروشيما عمرا ، ويبدو أنها تتحدى مرور الزمن فهي معركه « البقاء للاقوى » صمد هذا النوع زهاء ثلاثة ملايين سنة منذ نشوئه وبقي حيا حتى الآن ، وقد احتلت اهتماما خاصا لدى داروين الذي قال عنها انها تشبه « متحجرة حية » وانها عايشت عصور الديناصور ، واجتازت نجاح الأزمات الجيولوجية العظمى ، وشهدت بلاشك مولد الجنس البشري

يتميز هذا النوع المرشح للتوليد في أنابيب المختبرات بأنه يقاوم نجاح التلوث الصناعي ، والتلوث الناجم عن التكاثف السكاني ، وبالتالي فهي أفضل شجرة لتزيين أرصفه الشوارع في المدن التي تعاني من أزمة تلوث الجو والهواء ، وقد ثبت أنها تتكيف بسرعة مع مختلف أنواع المناخ ، فقد نجحت تجربة زراعتها في نيويورك ، وأصبحت تؤلف النسبة الكبرى من الأشجار التزيينية المزروعة على أرصفة وجادات مانهاتن ، يضاف الى ذلك أنها تتمتع بحصانة مدهشة ضد الطفيليات المألوفة ، ونادرا ما تستسيغها وتقطنها الحشرات والفطريات ، وثمة جانب فريد فيها ، يكمن في أنها تخلو من البراعم أو البذور ، وان كانت تنتج شيئا ما بين البرعم والبذرة ، يدعوه علماء النبات « بويضة » ، وانطلاقا من ذلك ، يقول العالم الزراعي جان ماري بيلت : « الجينكو » هي ، فعلا ، شجرة تبيض » □

قصة



بقلم : محمد سمارة

كنت أرى الرجل صاحب الكلب كل يوم ، يخرج من غرفته التي تقابل غرفتي ، معتمرا قبعته الرمادية الباهتة ، يتبعه كلبه الأبيض ذو الرجل الأرنبية القصيرة ، حيث يختفيان في شارع يؤدي الى خارج المدينة

في البدء كانت المعرفة فيما بيننا فاترة ، تحيه مقتضبة ، ابتسامة عابرة ، ويمضي الرجل دون أن يعيرني انتباها ، وكنت أراه وحيدا دائما ، لا زوجه له ولا ولد ، هو والكلب الأبيض دائما ، واذ يخرجان يتأكد الرجل أولا من إغلاق الباب جيدا ، يهز القفل مرتين ، ثم يبتسم للكلب علامة ان كل شيء على مايرام ، ويمضيان خارج المدينة ، نقطتان من الماء تذوبان ، واذ يصدف أن يلتفت الرجل ويرى الكلب يتشمم قذارة ما ، يبهره بصوت أجش : تعال هنا يا نوبي ، هل عدت الى قذارتك ؟ يتوقف الكلب مرهفا السمع ، ثم ينتبه الى صاحبه الغاضب ، فيعدو اليه مسرعا ، متعثرا .

في الأيام الأخيرة دفعني فضول عارض الى التعرف الى الرجل ، ثمة رغبة سرية لم أكن لأقدر لها دفعا ، رأيت الرجل يخرج من غرفته يوما ، وكنت أنا أهم بمغادرة غرفتي ، فالتقينا لدى بسطة السلم ، قلت له صباح الخير أراك اليوم وحيدا ، وقبل أن يفتح فمه أردفت ربما كان نوبي يرغب في التنزه هذا اليوم ، تأملني الرجل كما لودهش لوجودي ، آه . . كلا هو هنالك ، وابتسم ورفع قبعته وهم بمغادرتي ، غير انه توقف قليلا . قال :

ـ وهل انت الشرقي الذي يعشق المطر ؟

ـ أجل

ـ وهل تعجبك غرفتك التي لاتتسع لأرنب صغير ؟

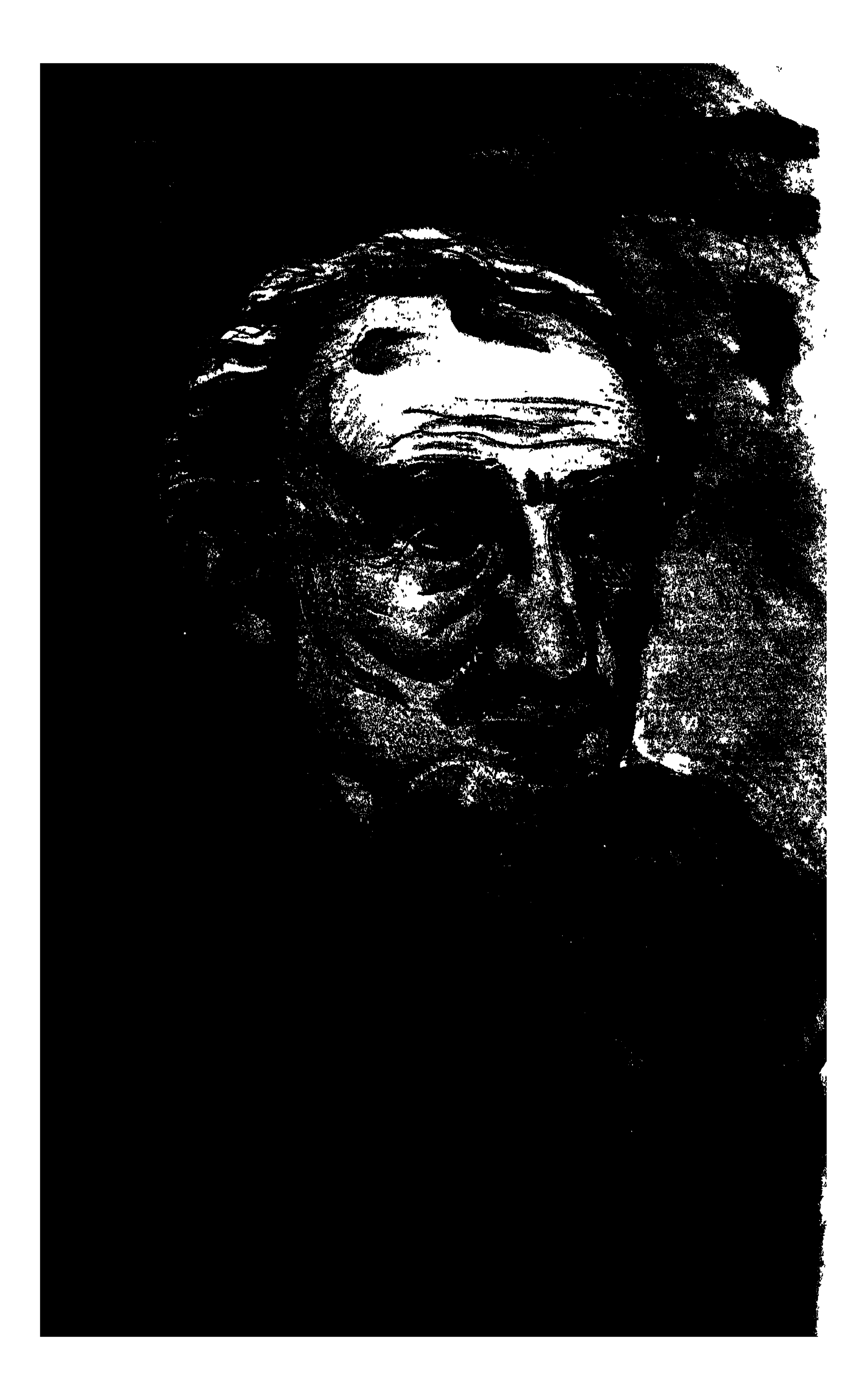
ـ قلت بدهشة : يبدو أنك تعرف كل شيء .

تهلل وجه الرجل لاندهاشي ، قال [illegible] كيف لا أعرف ، وقد شهدت [illegible] عاما ، بل قبل أن تتوسط [illegible] قليلا وأضاف : هل انت [illegible]

ـ هنا منذ شهور [illegible]

ـ آه [illegible] انت مثقل [illegible]

وابتسم من جديد ، [illegible] تشعر بالغربة ؟ اعني الا [illegible]



يهدرك في لحظة خاطفة ، فلا تشعر الا وانت تستيقظ من اغفاءة وهمية ، كما لو أنك كنت تحت وطأة كابوس ؟

في أيام الشباب سكنت لدى امرأة باريسية خمس سنوات ، تصور خمس سنوات في غرفة كجحر الفئران كنت خلالها اشعر أني سأموت ، وعندما حملت امتعتي لأغادر الغرفة ، اكتشف ان الفئران والعناكب قد اكلت أرجل السرير الخشبي الذي كنت ارقد عليه ، فقالت لي المرأة مداعبة ما هذا هل كنت تخبىء الفئران في جيبك يا رجل ؟

وقهقه العجوز ، وطبطب على كتفي بيد حانية ، وقال وأنت . ماذا تحوي غرفتك ايها الشرقي ؟

قلت : كتبا ومعطفا ثلجيا ومظلة

يا إلهي . وهل تعشق المطر الى هذا الحد ؟

- وربما أخشاه ايضا

وجم الرجل كما لو يهضم كلماتي ، قال

رأيتك مرة من النافذة وانت تدرج تحت المطر بلا معطف . بلا مظلة فأدهشني عشقك الغريب للمطر ، وقلت أمجنون هذا الرجل ؟ ومرة رأيتك تقف تحت شجرة يقطر منها المطر كالمياريب ، فخيل الى انك في حالة من النشوة ، فخطر لي أنك ثمل

- بل كنت في أشد حالات اليقظة

ابتسم الرجل : هل هو جنون من نوع جديد ؟

وتمعن في وجهي كما لو كان يبحث عن موضوع جديد ، ثم تنبه الى الكلب ، الذي كان قد اختفى ، تلفت حوله وأشار الى موضع مهجور أسفل السلم قال : ربما كان هذا الشيطان هنا ، انه سيتسخ بالبراميل القذرة حتما . معذرة .

وهرول بحركات بطيئة ، قلقة ، وجاءني صوته من أسفل السلم زاجرا الكلب مؤنبا

سمعت نباح الكلب كما لوانه يعتذر

* * *

بعد هذا اللقاء دعاني الرجل ذات نهار الى غرفته ، وصار يجد بي - كما أخبرني - وجه ابنه الذي قتل في حرب قديمة ، وقال : لولا سمرتك وشاربك لأقسمت أنك هو ، ولكن كيف لم أرك يا رجل ؟

ونهض متأملا صورة ابنه المعلقة على الجدار ، ومالبث أن خطا نحو النافذة هاتفا بانبهار الصغار :

انظر أشجار شابة ، وعروق تمتلىء بأنفاس الحياة ، طيور ترفرف راقصة ، في حركتها عزف الخلود ، فهل يصمت العزف ويسود الوجع القاتل ؟ وطأطأ رأسه كما لو أخذته نوبة بكاء ، رفع رأسه آه لابأس ، لقد شغلتك بأمور خاصة أيها الصديق ، لا أعرف لماذا تأخذنا حالات من الضعف ، فندفن رؤوسنا في الثلج ، ونترك شمس الله تذهب هباء ، لقد كتب لي ولدي ذات يوم : انك يا ابتي شجرة تنبت في صحراء ، غير انك تملك أغصانا وارفة

ابي أفكر أحيانا في ما تعنيه تلك الكلمات الجميلة ، وأقول ان الولد يكتب أشياء عميقة ، أعمق من تجربة أبيه في كهف الحياة ، كنت أقول إن الله يمنح الصغار أحيانا رؤوسا ناصحة ، والا كيف يصغي ولدي لصوت البوق الذي أعلن الحرب ؟ كيف أفكر وأنا أقرأ رسائله أنه كتب السطور على ضوء شمعة أو وهج سيجارة ، فلقد تعلم التدخين في الجبهة ، ولم أشأ أن أخبره في أولى اجازاته أن أسنانه صارت بلون الرماد ، أفلا يكفيه وجع التفكير بأبويه وهو في صحراء الموت ، حيث حرائق الروح ورماد القلب ؟ كان المسكين يحمل عذابات قلبين ، حتى وهو تحت اجراس الحرب ، وصار بوبي - الذي كان جرواً آنذاك - يستقبله على عتبة البيت ، نابحا بصوت كالنحيب ، كما لو أنه يعرف أن ثمة سكينا تختبىء وراء الباب ، ونهرت بوبي مرة ، لكن نباحه ظل كالورم في الخاصرة ، وصار ولدي اذ يدخل البيت يهش للجرو ويبش ، وأغرم به بشكل جنوني حتى انه كان يحتفظ له بقطع البسكويت المملح الذى يجلبه من الجبهة

توقف الرجل ريثما يلتقط انفاسه ، تأمل الكلب الذي أقعى في زاوية الغرفة ، قال : لا أخفي عليك أبي اذ أجلس في الغرفة وحيدا ، وأنظر في عيني الكلب ، ينتابني هاجس بأن في عينيه كلاما ، أشعر أنه يقول بعينيه الصامتتين أشياء بليغة ، فما أبلغ ما ينطق به الصمت أحيانا ، ولولا بقية عقل في رأسي لقلت أنه كان يتحدث فعلا ، وصرت أحادثه كما لوكان انسانا ، أقول له أين ذهب صديقك أيها الكلب المتسكع ؟ فيرمقني بذات النظرات » وترمش عيناه فيخيل الى انه يجيبني ، وأروح أنسج ما يصوره

لي الوهم أنه كلام الكلب ، وكانت المسكينة ـ زوجتي ـ تفاجئني وأنا على هذه الحالة ، فتزجرني كطفل ، وتقول . أجننت يارجل ؟ فأصرخ · لكن ولدي مات يا ماري .

فتقول : لكنه ولدي أيضا .

وماتت المسكينه بعد شهور ، فأدركت كم كانت محزونة تلك المخلوقة الرائعة ، لقد كان في أعماقها ظلام أشد من ظلمة أعماقي ، لكنها كانت مقفلة الصدر كصندوق ، وفي المقبرة دفنتها ، ووضعت باقه من الورد ، وكان نوبي يرقب ذلك بعينين صامتتين ناطقتين ، تماما كما فعل أول مرة اذ دفنت ولدي ، اني اتساءل أحيانا من يضع الورد على قبري حين يداهمني الموت ؟ ومن سيزورني كما أفعل أنا الآن ؟ اني أغادر غرفتي ـ كما ترى ـ وأقطع مسافة ثلاثة أميال لكي أصل الى المقبرة ، وهناك أجلس والكلب نرقب القبرين المتجاورين ، قبر ولدي وقبر زوجتي ، واتخيلهما يرقدان باطمئنان ، وأكاد ارى زوجتي ترمقني باشفاق وتقول . عد الى غرفتك ايها الرجل العجوز ، الثلج لا يرحم العظام الهرمة ، فأكاد انتفض معاتبا · كفى يا ماري ، انها الراحة ، اذ اقطع كل هذه المسافة وأراك الى جوار ولدك ، لا حاجز بينكما الا الورد ، ألا يسعدك ذلك يا ماري ؟

وفي الغرفة أروح أردد مع نفسي مفجوعا . لم يعد ثمة أحد ينتظر عودتي . . لم يعد ثمة من يطرق على الباب متفقدا ، أنا والكلب وحيدان ، شجرتان في صحراء الحياة ، وأنظر الى الكلب وأقول : لم يبق إلاك أيها الكلب الطيب ، فيرمقني بنظراته الناطقة ، كما لو يؤ يدني في ما أقول ، فيسعدني ذلك ، وأغيب في خدر نشوة سرية

والتفت الرجل ، ونظر في وجهي ، وعاد يقول : وأنا من سيزور قبري ايها الرجل الشرقي ؟

* * *

بعد هذا اللقاء مات الرجل العجوز فجأة ، وجدناه محتضنا صورة ابنه ، بينما الكلب في فراغ الغرفة نابحا كما لو يستغيث ، وخرج نزلاء البيت صفا واحدا يمتص سحناتهم شحوب داكن ، وتبرعت صاحبة البيت ـ التي لم أرها الا بضع مرات ـ بكامل مصروفات الدفن ، وكانت تقول · كان المرحوم طيبا ، وقف الى جانبي ايام وفاة زوجي حين كان الآخرون يتفرجون .

وغطى نديف الثلج الوجوه والأرض المعشوشبة ، وذوائب الأشجار ، ووقف الكلب على مسافة يرمق الجسد الهابط الى الظلام بسكون .

وفي اليوم التالي رأيت الكلب ـ من النافذة ـ يتحرك متعثرا برجليه القصيرتين ، مخترقا الشارع المؤدي الى خارج المدينة ، قاطعا ثلاثة أميال ـ قطرة ماء تذوب ، وكان المطر يتساقط □



عندما تتحدث المرأة

التقت إحدى السيدات بالكاتب والمؤلف الانجليزى الساخر برناردشو فى حفل خاص ، وما كادت تجلس معه حتى انطلقت تروى له حكاية طويلة بلا نهاية . . ولكنها ما لبثت أن توقفت فجأة عن الحديث وقالت : « أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك ، فما زال للقصة بقية ! » .

وقال شو مبتسما : أبدا يا سيدتى استمرى فى حديثك ، فأنا مشغول فى التفكير فى القصة الجديدة التى سأكتبها ! هل تعرفين ماذا سيكون عنوانها ؟ إنها قصة من وحى التجربة التى أعيشها هذه اللحظة « عندما تتحدث المرأة الى رجل أصم ! » .



اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة نمرود داج في الأناضول

الاسم هنا لا يدل على شخص بل على جبل هو ذلك الجبل المقدس الذي يقع في منطقة كوماجين في الأناضول . بالقرب من الحدود بين سوريا وتركيا . . ومن مجرى نهر الفرات المحاذى لتلك الحدود .

ومنطقة كوماجين منطقة جبلية تجلى فيها عنفوان الطبيعة وتكثر فيها الجبال الشاهقة الكئيبة ، فهي جبال عارية ترتفع وسط صحراء مقفرة فهي بالتالي قليلة السكان وتكاد ان تكون غير مأهولة هذا بخلاف ما كانت عليه المنطقة في الماضي ، فقد عطتها الغابات وازدحمت بالسكان ، واثرت من موقعها على مفترق الطرق التجارية ومن ثرواتها المعدنية التي شملت الفضة والنحاس والرصاص .

والجبل المقدس أو نمرود داج هو أعلى جبال المنطقة ويبلغ ارتفاعه ٢٠٠٠ متر ، وهو أشهرها بلا جدال ، وقد استأثر بعدد كبير من التماثيل التي تناثرت على سفوحه وفوق قمته ، والتي لا مثيل لها في العالم أجمع ، فهي تماثيل عملاقة تفوق في ضخامتها تماثيل اليونان والرومان ، وتماثيل القمة منها أضخم من تماثيل السفوح اذ يبلغ طول الواحد منها ٩ ـ ١٢ مترا ولا يقل طول الوجه وحده عن مترين أو يزيد ، وهي خمسة نحتت في الصخور بينها تمثال الملك وتحيط بها تماثيل الأسود والنسور

ويتوج قمة الجبل المقدس بناء هرمي الشكل من حجارة مطحونة لايواء جثمان ملك كوماجين الملك انطيوخوس الأول وذلك وفق وصية هذا الملك الذي اختار تلك البقعة لدفنه نظرا لتعلقه بالخلود ولاعتقاده بأن الذرا الشامخة أوثق صلة بالخلود وأضمن سبيلا اليه .

والعجيب في أمر منطقة كوماجين هذه ، أن تاريخها يعود الى القرن السادس أو السابع قبل الميلاد ، وكان المفروض ان تظهر على مسرح التاريخ ، في ذلك الماضي السحيق نظرا لثرواتها



ـ رؤوس التماثيل المنثورة على سفوح الجبل الشرقية والغربية ، والغريب ان هذه الرؤوس تمثل في العالم آلهة اغريقية ولكن غطاء الرأس الذي ترتديه ليس اغريقيا بل انه شرقي . وهو نفس الغطاء الذي يظهر على تماثيل الاله ميثراس .

المعدنية وموقعها التجاري الممتاز . ولكن موقعها السياسي غير الممتاز هو الذي أبقاها طي الكتمان طوال تلك القرون

ذلك ان كوماجين وقعت بين امبراطوريتين عظيمتين هما امبراطورية فارس التي ازدهرت في القرن السادس ق . م وامبراطورية الاسكندر الأكبر التي امتدت عبر القارات في القرن الرابع ق . م ، وقد خضعت كوماجين لكلتا القوتين ولم تملك الا أن تكيف نفسها وفق رغباتها في فترة

أنقرة
تركيا
نمرود داج

خريطة نمرود داج

الصراع النسبي ، فترة القرن الخامس قبل الميلاد . . .

وبدأت كوماجين الخروج من مجاهل التاريخ والتحرر من نفوذ امبراطورية الاسكندر عندما بدأت تلك الامبراطورية في الانحلال ، وذلك في القرن الأول قبل الميلاد ، وشاءت الأقدار أن تكون الامبراطورية الرومانية قد أخذت في الظهور والخروج على مسرح الأحداث لا بوصفها دولة بين الدول ، وانما باعتبارها امبراطورية العالم الوحيدة التي لا ينافسها على حكمه منافس . . وما أسرع ما احتلت جيوش الرومان أقاليم آسيا الصغرى الواحدة بعد الأخرى . حتى اذا ما وصلت تلك الجيوش الى منطقة كوماجين توقفت . . غير ان توقفها لم يكن بسبب حصون كوماجين وقلاعها ، ولا بسبب جيوشها وأسلحتها . . وانما كان تبعا للحكمة أو الدبلوماسية التي تحلى بها ملكها الملك انطيوخوس الأول (سنة ٦٩ ـ سنة ٣٤ ق . م)

ولا يعرف بالضبط ، ولا بالتفصيل الكيفية التي حافظ بها هذا الملك على سفينة وحال دون غرقها في البحار العاصفة التي غالبا ما رافقت



ـ رأس (تيحه) الهة الحظ وهو رأس عملاق يبلغ ارتفاعه مترين وتجتمع فيه انماط الفن الاغريقي والفن الفارسي كما اجتمعت دائما في تماثيل نمرود داغ التي تعود الى القرن الاول قبل الميلاد

حكم الرومان . وثمة دليلان قاطعان على أنه أدى المهمة خير أداء . أولهما خزينة المملكة التي تركها مليئة بالكنوز والأموال عند موته ، والثاني بلدة ارساميا التي أقامها في بطن الوادى الذي يطل عليه الجبل المقدس نمرود داج . أقامها وأقام فيها ـ كما يقول الملك نفسه ـ القصور الجديدة والأسوار . . بقصد تجميلها وتحصينها ، وأقام خزانات للماء حديدة بالقرب من المنازل بحيث تصل الأنابيب بين هذه وتلك ، فينعم السكان بماء الفرات القادم من الينابيع .

ومن أطرف معالم هذه البلدة المندثرة العمود الذي توّجهُ نسر سموه قرقوش (أي العصفور الأسود) ، وقد دلت النقوش والكتابات على ان العمود يمثل صريحا دفنت فيه ثلاث نساء من دماء ملكية .

وغني عن البيان ان المعتقدات الوثنيه هي التي طغت على حضارة كوماجين فالاله ميتراس إله نور الشمس هو إلَهُهُمْ المفضل ، وهو من آلهة الفرس القديمة وقصة هذا الاله باختصار هي أنه لاحق الثور وواصل ملاحقته حتى تمكن منه وذبحه ، وعندها كانت عربة الشمس المضيئة في انتظاره فركبها ميثراس وارتفع بها الى السماء .

وانتقلت عادة ميثراس من كوماجين الى روما ، واكتسحت شتى أرجاء الامبراطورية ، وكان ذلك في الأثناء التي انتشرت فيها تعاليم المسيحية في تلك الامبراطورية ، ولطالما قامت المقارنة أو المفارقة بين السيد المسيح وميثراس في مجالس الرومان ، فهما نظيران في اجتهادهم ، وقد ارتفعا في النهاية الى السموات العُلا . .

ولكن الرومان عبدوا الها آخر ذا صلة بكوماجين هو الاله جوبيتر دوليشوس الذي جاء في دوليش ، وهي الأقليم الواسع الذي يضم كوماجين واشتهرت دوليش هذه بنوع من الحديد درجوا على استخراجه منها . فالاله المذكور انما جاء من دوليش هذه وقد امتطى ظهر ثور كما تصوره الرومان وصوروه .

بيد ان استقلال كوماجين انهار سنة ٧٢ م حين ضمتها روما الى امبراطوريتها واعتبرتها جزءا من مستعمرتها انذاك ، سوريا . وقل مثل ذلك في الجبل المقدس واثاره ، فقد اعتراها الاهمال ولم يغفل عنها جنود الرومان أو لصوصهم .

بقي ان نذكر ان المنطقة مهددة بخطر جديد من نوع آخر انه خطر السد المزمع انشاؤه فيها ، فهو كفيل بالقضاء على آثار المنطقة ما لم تبذل الجهود الفعالة من أجل انقاذها على نحو ما بذلت لانقاذ آثار معابد أبي سنبل حين هددتها مياه السد العالي على أن آثار الجبل المقدس جبل نمرود داج وبخاصة تلك التي تعلو قمته فى مأمن من السد الجديد ومياهه، فمهما بلغ ارتفاع هذه المياه فانها لن تغمر الجبل الشامخ الذي لا يقل ارتفاعه عن ٢٠٠٠ متر □



■ كل ما حققه الانسان اليوم ، لم يكن بالأمس أكثر من مجرد خيال .

« وليم بليك »

■ العلم هو العلاج الوحيد الذي يمكن أن يقضي على الخرافات .

« آدم شميث »

■ الرأي العام قوة خفية لا يمكن مقاومتها .

« نابليون »

73D الجديد

صنع باليابان

TOSHIBA

VHS

إنه فيديو VHS الجديد الذي يوفر أداء توشيبا ذو الجودة العالية مع وظائف أوتوماتيكية ومنظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي. ولكنه ليس الوحيد، فإن مجموعة مسجلات فيديو كاسيت VHS وبيتامن توشيبا ستضيف الجودة والبهجة إلى حياتك، توشيبا تدخل التكنولوجيا إلى حياتك.

V-73D

بال / مسيكام

نظام مزدوج • وظائف أوتوماتيكية (إبتداء التشغيل أوتوماتيكيا، تشغيل أوتوماتيكي، ترجيع أوتوماتيكي، ترجيع وإيقاف التشغيل أوتوماتيكيا) • مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • نظام بحث عن الصورة متقدم • حركة تشغيل بطيئة سرعة ١/٥ • تحكم عن بعد لاسلكيا • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-51D

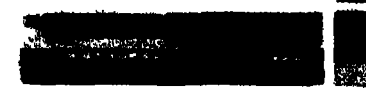


Beta

بال / سيكام

نظام مزدوج • مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام / برنامج واحد • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد ٩ وظائف.

V-53TR



Beta

بال / سيكام / أن تي أس سي ٤٫٤٣ ميجا هرتز

٣ أنظمة • مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • تحكم عن بعد لاسلكيا للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد لاسلكيا ١٤ وظيفة • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-57TR



VHS

بال / ميسيكام / أن تي أس سي ٤٫٤٣ ميجاهرتز

٣ أنظمة • مؤقت مبرمج لـ ١٤ يوم / برنامج واحد • نظام اختيار الفولت • تحكم عن بعد لاسلكيا بعدة طرق.

TOSHIBA

TOKYO JAPAN



مجلة الأسرة والمجتمع
والآخرون.. زملاء عمل.. أم



أنتِ والآخرون

زمالة عمل.. أم صداقة إنسانية..!

بقلم زينب الكردى

« رغم ان المرأة قد خرجت الى العمل منذ زمن طويل ، الا أنَّ علاقتها بزملائها ما زالت قضية ساخنة ، يدور حولها حديث ونقاش واجتهاد لا ينتهى » .

حتى مرحلة زمنية قريبة ، لا تتجاوز الربع قرن ، كانت علاقات المرأة الاجتماعية ضيقة جدا ، ومحصورة داخل نطاق أسرى محدود ، لا يتجاوز دائرة أقاربها من الدرجة الأولى أو الثانية ، على أكثر تقدير . . أما الآن ، بعد أن اتيحت فرص التعليم بجميع مستوياته أمام المرأة ، وبعد أن ساعدها هذا التعليم على اقتحام كل مجالات الحياة العلمية والعملية ، انقلب الوضع وأصبحت علاقات المرأة الاجتماعية تشكل حجر الزاوية فى بناء شخصيتها ومستقبلها مهنيا واجتماعيا ، لذا كان من الطبيعى أن يشكل هاجس احتمال الفشل فى تكوين علاقات قوية ومتوازنة مصدر قلق لا يستهان به بالنسبة لأى خريجة حديثة تقف على أعتاب حياتها العملية لأول مرة . وقد يفسر هذا القلق على أنه دليل ادانة ضد المرأة ، يثبت عدم نضجها وقلة خبرتها بالحياة والناس ، أو عدم أهليتها لتحمل مسئولياتها خارج نطاق البيت ، الا أنه فى تصورى يثبت العكس تماما ، إذ يدل على حدة شعور المرأة بالمسئولية تجاه ما ينبغى أن تكون عليه صورتها فى عيون الآخرين ، كما يعنى وجود رغبة حقيقية لديها فى السعى لتحقيق الأفضل دائما على المستويين المهنى ، والاجتماعى ، خصوصاً فى زمن تكلست فيه قيم الماضى الجميلة . . زمن أصبحت فيه الازدواجية فكرا وسلوكا ، هى الأصل وما عداه استثناء ، ما يقال فى العلن يختلف ـ ربما الى حد النقيض ـ عما تضمره النوايا ، ولم يعد الانسان يأمن ان تأتيه طعنة الغدر حتى من أقرب الناس اليه . . .

مقاييس وحدود

هل يعنى هذا الكلام أن نجاح المرأة العاملة فى تكوين علاقات زمالة سوية تُجنبها ألسنة السوء،أو سوء الفهم مسألة مستحيلة ؟ . . طبعا لا . . فالنجاح ممكن بشرط أن تفرقى ـ عزيزتى المرأة ـ منذ البداية بين الصداقة وبين الزمالة . .

فى الزمالة أنت لا تختارين زميلك أو زميلتك ، فالظروف المهنية وحدها هى التى فرضتهما عليك ، وأيًا كانت شخصية هذا الزميل أو ذاك . . مهما كان التباين بين تركيبتك الشخصية وتركيبتهم ، لا مفر

أمامك من التعامل معهم وفى داخلك حد أدنى من الرغبة فى التكيف معهم وقبولهم بما هم عليه .

الزمالة تتطلب منكِ أن تكونى بسيطة فى تعاملك ، بمعنى أن لا تتعاملى من منطلق سوء النية .. وتذكرى أن أبسط قواعد العدالة تقرر أن الانسان برىء حتى تثبت ادانتـه ، وهـذا لا يعنى أن تمنحى ثقتـك المطلقة .. الاعتدال هوالمطلوب ، الاعتدال هنا لا يعنى الا شيئا واحدا ، هو أن تلتزمى فقط بالأصول فى كل شىء ، وأن تبتعدى عن كل ما يمكن أن يثير ريب الأخرين أو حنقهم عليك،كأن تتعاملى مع زميل من منطلق الشك ، فتثيري غيظه وحنقه عليك ، وربما دفعـه هذا الغيظ الى ايـذائـك فعـلا عنـدمـا تحـين الفرصة .

أيضا فى محيط زمالات العمل لا ينبغي أن يكون هناك أى مجال للانفعال المفاجىء أو المبالـغ فيه .. مثلا لا داعي لأن تحتدى وترفعى صوتـك عاليـا اذا أخـطأ أحد الـزملاء أو الـزميلات .. ضبط النفس لحظة الانفعال مسـألة ضـرورية،ومـطلوب أيضا أن تؤجلى النقاش فى الأمـر برمتـه لليوم التـالى ، حتى تعـطى لزميلك ولنفسـك فرصـة مراجعـة الذات ، وعندما تقررين مناقشة الأمر ، فليكن ، بشرط أن لا يكون داخلك رأى مسبق أو اتهام داخلى بأن الخـطأ كان متعمدا ، أو أن ثمة من حرّض عليه .. الحوار فى هذه الحالة لن يجدى ، لأن ما يبنى على افتراضات خاطئة لن يؤدى الا لمزيد من الأخطاء ، لذا ينبغى أن تنـاقشى الأمـر بشكـل هـادىء ومحـايـد .. ومن يدرى .. قد تكتشفين أنَكِ أنت التى دفعتِ زميلك للخطأ بحسن نية .. أو ربما كنتِ أنت المخطئة وليس هو ، وفى هذه الحالة لا أعتقد أنِك بحاجة لمن يطالبك بالاعتذار وتوضيح حسن نيتك ، حتى لا تتركى فى أعماق الطرف الآخر أى رواسب نفسية قـد تتراكم داخله مع الوقت ، وربما أدى هذا الى تعاطف باقى الزملاء معه وينتهى الأمر بكِ لأن تجدى نفسك محاطة بدائرة من الأعداء الذين سيتربصون بك .

معاملة زملاء العمل :

كيف تتعاملين مع زملائك من الرجال ؟ سؤال قد يبدو من السهل الاجابة عليه ، وقد تكابر الفتـاة ، وترد قائلة بثقة : ليست هناك مشكلة ، لقد التقيت بهم فى محيط الأسرة .. وفى الجامعـة ، وكنت دائما أتصرف بشكل ممتاز ، إلّا أنه رغم هذه الثقة الظاهرية فإن هذه النقطة بالذات تؤرق الفتاة الى حد كبير ، ففى السـابق كان من السهـل على الفتـاة أن تحسم المشكلة بأن ترفض التعامل نهائيا مع الشـاب الذى يضايقها ، أما فى حالة زميل العمـل فالأمـر يختلف تماما .. هنا هي مجبرة على التعامل معه والاحتكاك به يوميا ، وهذا يعنى أنه لا بد من وضع أسس ثابتة تحدد طبيعة هذه العلاقة منذ اللحظة الأولى ....

وبداية علينا أن نعترف بواقع مؤلم ، لكنه حقيقة واقعة للأسف .. تلك الحقيقـة تقول أن ٧٠٪ من شباب مجتمعاتناالعربيـة يرددون ـ فى وجـود الفتاة ـ شعارات براقة وجميلة جدا عن قدسيه الـزمالـة .. وأخوة العمل .. وجـو الأسرة الـواحد و .. و .. و .. الـخ،مجرد كلمـات لا تطبقهـا الا قلة بسيـطة جدا ، وحتى هذه القلة عادة ما تكون من فئة كبـار السن ، ممن تجاوزوا الأربعين ، أو من الآباء الذين لديهم بنات فى طور البلوغ ، وما يحدث هو أنه بمجرد أن تختفى الفتـاة من أمامهم حتى تصبـح لكلمـاتهم التقدمية هذه طعم ، ومضمون آخر ، ولو أتيح لأى فتاة أن تحضر جلسة رجالية خاصة ومغلقة لأصيبت بالجنون ، مما ستسمعه من تعليقات ونكات و ... و ...

لكنك فى النهاية ـ ومهما كانت مرارة هذا الواقع ـ جزء من النسيج الاجتماعى العام ، وليس أمـامك لتحمى نفسـك من سلبيـات هـذه الازدواجيـة ، وسياسة هذه « نقرة » وتلك « نقرة » أخرى ، الا أن تلتزمى بقوانينـك الخاصـة التى هى فى نفس الوقت انعكاس لما يـدين به العـرف والمجتمع ، .. مثـلا لاتنفتحى تماما على مجتمع زملاء العمل الرجال ، ولا تهدمى الحواجزبينك وبينهم ، ودعى حاستك كأنثى تساعدك على ايقاف كل من يحاول أن يتجاوز حدوده معـك عند حـده .. لا تدعى لحظة صفاء عـابـرة تستخفك ، فتمزحين مع هذا ، وتبادلين النكات مع ذاك ، ففى محيط العمـل لامجال لأى حـوار ، إن لم يتحول الى شريحة انتاجية ، والأهم من هذا كله هو أن لا تحتمى فى أنوثتك مهما كانت المبررات .

أوقات الراحة

بعض الموظفات لا يحتملن تأجيل العمل أو التباطوء فى انجازه ، وبالتالى كثيرا ما تجد الموظفة نفسها فى حالة راحة مؤقتة ، مما يدفعها الى ترك مكتبهاوالتجول هنا وهناك ، تسألـهذه عن آخر

الأخبار ، وتلك عن آخر خطوط الموضة ، وتنسى أن هناك عملاء لا يمكنهم أن يستوعبوا الا ما يرونه بأعينهم ولا يعلمون انها انجزت عملها الخاص بها ،

وبالتالى قد يفسرون سلوكها هذا على أنه استخفاف بوقتهم وبمصالحهم .. تنسى أيضا أنها قد تكون الوحيدة التى لديها ماتفعله ، وأن تجولها هذا هنا وهناك يكون على حساب زميلاتها ، ويتسبب فى تعطيلهن ، وبالتالى تعطيل مصالح الناس . . .

وبالمناسبة أحب أن ألفت انتباهك لأهم عيب تعانى منه التجمعات النسائية ، الا وهو النميمة ، . . ابتعدى تماما عن هذا الفخ ، ولا تشجعى أى زميلة لك على الخوض فى سير الآخرين ، ولا تستسلمى لاغراء الاصغاء بدافع خفى من حب الفضول والرغبة فى معرفة أسرار الناس ، وتذكرى حقيقة مهمة جدا ، وهى من تتناول الآخرين فى غيبتهم لن تستثنيك أنت أيضاً فى لحظة ما ، ومن يدري لربما خشيت مغبة أن تنقل أنت ما سمعته لصاحبة الشأن ، فسارعت الى إلصاق تهمة القيل والقال بك ، واتهمتك بكل كلمة قالتها هى لتنجو على الأقل ، لتحمى نفسها فى حالة ما اذا تناثر الكلام هنا أو هناك . . لاتأمنى لهذه النوعية ، وضيقى نطاق معاملاتك معها قدر الامكان ، وحتى لو كانت هناك زميلة تثقين فيها ، تجنبى أن تذكرى أمامها مايمكن أن يسىء لزميل أو زميلة ثالثة ، لأن هذا السلوك غير اخلاقى أولا ، ولأن أصدقاء الأمس قد تتحول مواقفهم وعواطفهم لسبب ما . . أيضا لا تجرحى شعور الآخرين بدعوى أنك صريحة و « دوغرى » . .

هناك دائماخيط رفيع بين الصراحة وقلة الذوق ، ولا أعتقد أن انسانة ذكية مثلك لا يمكنها التفريق بينهماثم ان الصمت أحيانا يكون أبلغ من أى كلام . . .

أنتِ ورؤساؤك

معظم الموظفات - وبخاصة الحديثات منهم - يشعرن بالارتباك فى مواجهة رئيس العمل ، الا أنهن مع تعدد التجارب والاحتكاك اليومى يكتشفن أن نجاح الموظفة فى علاقتها برئيسها مرهون بمدى ثقتها فى نفسها وفى قدراتها ، كموظفة تستوعب كل تفاصيل العمل ، وكلما توفرت هذه الثقة كلما أصبحت علاقاتها بالرؤ ساء جيدة ومتوازنة ويسودها الاحترام . . .

الا أن بعض الموظفات يتبعن - أحيانا - أسلوبا ملتويا فى علاقاتهن برؤ ساء العمل ، ويعتمدن على أشياء كثيرة ليس من بينها الكفاءة المهنية للأسف . . هل تريدين أمثلة . ؟

مثلا هناك موظفة تفوز بوظيفة معينة نتيجة للواسطة ، أو لأنها ابنة فلان أو علان . . هذه الموظفة تنسى أن الواسطة ، وان ساعدتها فى الحصول على وظيفتها ، الا أنها لن تثبت ابدا بعد ذلك أحقيتها فى الاستمرار فيها ، أو حتى فى اكتساب احترام رئيسها بل وزملائها . . .

هناك نوع آخر من الموظفات ، تختار الواحدة منهن أسلوب التبعية الكامل ، كى تحظى بمجرد نظرة رضى من رئيسها ، وما يستتبع ذلك طبعا من علاوات ومكافآت . . الخ ، وقد تصل هذه التبعية الى درجة تجد فيها الموظفة نفسها مضطرة لموافقة رئيسها على كل ما يقوله أو يفعله ، حتى لو كان منافيا لأبسط حقوق العدالة والقانون ، ومع الوقت تتحول الى أداة طيعة فى يد الرئيس الذى عادة ما يستغل هذا لتحقيق مآربه ومصالحه الخاصة ، وبغض النظر عن الضرر الذي يمكن أن يعود عليها ، وما اكثر المآسى التى نسمع عنها ، والتى تدور معظمها عن رجال فى مواقع المسئولية اختلسوا . . وارتشوا وفى النهاية حملوا كل آثامهم وأوزارهم لموظف مسكين ، كان كل ذنبه أنه صمت فى اللحظة التى كان ينبغى فيها أن يتكلم . .

هذا لا يعنى أن تناصبي مديرك العداء ، بالعكس . . مطلوب أن تكسبي ثقته وتقديره بشرط أن لا تخسرى نفسك . . دعى عملك وحده وانضباطك فى كل ما يصدر عنك يفرضك على رئيسك . . قد لا تكونين ذات حظوة كتلك التى اختارت وسائلها الخاصة فى الاقتراب منه . . وقد يستثقل ظلك ، لكنه سيحترمك قطعا أكثر منها بينه وبين نفسه . . لا تتعجلى النجاح ، وخففى من صوت طموحك الجامح ، فما يأتى بسرعة يذهب بسرعة . . لتكن خطواتك متأنية راسخة ، لكنها فى الوقت نفسه قائمة على أساس متين وقوى من التقدير الاحترام . . . .
عزيزتى العاملة . .

ما العمل اذا كان رئيسك يمت اليك بصلة قرابة أو نسب أو ما إلى ذلك . . هل تتصرفين بشكل عادى دون الاشارة لهذا الموضوع وتبذلين جهدا يفوق جهد الآخرين ، أو على الأقل مساوياً لهم ، أم أنك ستجدينها فرصة وتتباهين أمام الكل بهذه الصلة ، ليخافوا منك ويعملوا لك ألف حساب . . .

أعتقد أنك ستتصرفين بالطريقة الأولى ، لأنك لو تفاخرت وتباهيت أمام زملائك ستدفعينهم دفعا الى النيل منك ، مهما كانت درجة كفاءتك عالية ، ومهما بذلت من جهد ، وحتى العلاوات والترقيات التى ستنالينها ، لأنك تستحقينها فعلا ستثيرهم ضدك وسيحاولون الايحاء بأنها نوع من المحسوبية،وتذكرى انك بالنسبة لهم قريبة « البيك » المدير . . أى أنك فى نظرهم عينه التى ترى وأذنه التى تسمع ، وضميره الذى يحكم ويقيم ، وهذا معناه أنهم سيتعاملون معك بحذر شديد ، وسيحاولون اخفاء أى حدث يمكن أن يسىء لواحد منهم ، تحسبا من وشاية مفترضة أو متوقعة ، . . وربما عمد كل منهم الى التقرب منك ، وكسب ودك وثقتك ، لمجرد أن تنقلى انطباعك الطيب عنه للسيد « المدير » مع أنك لست من هذا النوع الذى يقوم بنقل الأخبار والوشاية بزملاء العمل . . فكرة ظالمة ، لكنك مجبرة على معايشة هذا الوضع ، وتلك الفكرة حتى تبرهنى لهم بالتدريج أنك موظفة لا تختلف عنهم فى أى شىء . .

لا تحاولى الدفاع عن نفسك بالكلام ، لأنه لن يجدى ، بل دعى الواقع والتجربة تبرأ ساحتك

المدير . . إمرأة

ثمة نقطة شبه أخيرة في هذا الموضوع ، وأعني بها تلك الحساسية المفرطة اذا كانت الرئيسة امرأة . . .

المرأة « المديرة » موضع سخط الجميع ، فالرجال لا يقبلون برئاستها الا كارهين ، لأن القوامة فى نظرهم يجب أن تكون للرجل وليس للمرأة . . والنساء أيضا يتضايقن منها ، ربما لشعور داخلى فى أعماقهن بأنها ـ بحكم المنصب ـ فى موقف الأعلى والأكثر تميزا . . . وهى حساسية ليس لها ما يبررها بالنسبة للمرأة العاملة بالذات ، لأن السلم الوظيفى مجموعة من الدرجات تسلم كل منها للأخرى ، ورئيستك تلك التى تتهمينها بأنها لا تجيد الا فن الأوامر والنواهى والحركات الاستعراضية ـ هى نفسها مرؤوسة من موظف أو موظفة أخرى . . وهكذا . . . وهذا التسلسل الوظيفى ضرورى لانضباط العمل وتوزيع الاختصاصات والمسئولية لضمان حد أدنى من الأخطاء ، وللحد من الفوضى التى تؤدى لانهيار كيان الدولة وضياع مصالح الناس . . أنت اذن لبنة فى صرح عظيم ، وهى أيضا مثلك لبنة فى نفس الصرح ، كل ما هنالك أن مكانها جاء بحكم تجاربها وخبرتها فى منزلة أعلى قليلا منك .

والآن دعينا نتكلم عنك أنت . . عن مظهرك الخارجى وما يجب أن يكون عليه . . .

ان الكلمة الوحيدة التى يمكن أن تشمل كل ما يمكن أن يقال هى : البساطة .

البساطة فى كل شىء ، فى المكياج ، تسريحة الشعر ، الزى ، طريقة الكلام . . لا تقعي فى الخطأ الذى تقع فيه الكثيرات عندما يذهبن الى مكاتبهن وكأنهم ذاهبات الى عرض أزياء . . كل يوم فستان وكل يوم تسريحة جديدة . . هذه الحركات الاستعراضية تثير سخرية زملائك وتعليقاتهم لا لن تسرحم ، والتى ـ وهذا هو الأهم ـ لن تسمعيها أبدا . □

العناية بأقدام الأطفال تجنبهم آلاماً كثيرة

إعداد : علي حسين فياض

« كلنا قد عانى من آلام الأقدام ، وآثارها ، لكن القليل منا من يعرف أن الآلام سببها عدم الاهتمام بالقدم منذ الصغر » .

لصغار السن أقدام مرنة ، وطرية جدا ، وأرجل قابلة للتشوه بسهولة من خلال عادات النوم غير السليمة ، إذ ليس من الصحيح ترك الطفل نائماً على ظهره وهو مرتد ملابس مشدودة حول قدميه . إضافة إلى ذلك يجب ألا يرتدي الأطفال أية أحذية الى أن يبدأوا المشي دون مساعدة ، فقد تكون الأحذية التي يرتديها الأطفال وهم في عرباتهم عائقا أمام النمو الطبيعي لأقدامهم . لذلك فمن الأفضل إرتداء الجوارب ، أو الملابس ذات القطعة الواحدة التي تغطي القدمين أيضا ، شريطة أن يتم فحصها بصورة منتظمة . للتأكد من كونها مازالت كبيرة الحجم وواسعة . وعند الحاجة لا بأس من ارتداء البدلة الكاملة مع قص الأجزاء الخاصة وارتداء الجوارب تعويضاً عنها .

ويفضل عدم تشجيع الطفل على المشي بصورة مبكرة ، لأن الطفل بفطرته يدرك الوقت الذي تكون فيه قدماه ورجلاه قويتين بصورة كافية . إن خطوات الطفل الأولى هي خطوات قصيرة وقلقة ، فهو يمشي وقدماه مبتعدتان عن بعضهما بصورة ملحوظة ، وعادة ما تنتهي محاولاته الأولى بالاستناد على الارض بمقدمة قدميه . إن مجرد التفكير في هذا الأمر يقود إلى الاستنتاج بأنها طريقة معقولة جدا تلك التي يتبعها الطفل لحفظ توازنه ، وبأنه ليس هناك مايبرر القلق بشأنها . وعندما يصير الطفل في حالة ثقة تامة بقدرته على المشي يبدأ بتقريب قدميه لبعضهما لتاخذا وتيرة المشي الطبيعي .

إن قدمي الطفل الناشىء ليستان ومفعمتان بالنشاط لذلك باستطاعته تحريكهما باتجاهات لايستطيع أن يوجههما إليها الأطفال الأكبر سنا ، أو الناس الناضجون ، إن هذا المدى من الحركة طبيعي ، والمحافظة على نشاط العضلات بهذه الحيوية مسألة هامة لحفظ القدم قوية وصحيحة ، لذلك يجب تشجيع ضروب نشاط القدم الحافية .

أقدام الأطفال القادرين على المشي

عندما يحاول الطفل المشي لأول مرة تبدأ عظام قدميه بالتكون بشكل جزئي فقط ، ولكون قدميه ناعمتين جدا ، وطريتين للغاية ، فإنهما يمكن أن تتشوها بواسطة الأحذية المعوقة للحركة ، والثقيلة ، وغير الملائمة ، كما يمكن أن تتشوها بواسطة الجوارب الضيقة .



جرت العادة على بذل الجهود الحثيثة للفت الانتباه إلى ما يرتكب من أخطاء عند العناية بأقدام الأطفال إذ يبدو للعيان - على سبيل المثال - أن غالبية الأطفال لهم أقدام مسطحة مسحاء ، وذلك لأن قدم الرضيع تبدو ممتلئة لكونها ملبدة بالشحوم لدرجة لايظهر معها قوس القدم ، مع ذلك نلاحظ أن قوس القدم تبرز بوضوح عندما يقف الطفل على أصابع قدميه للحصول على شيء ما فاذا ظهرت على عظم الكاحل علامات الانحدار نحو الداخل بدرجة حادة ، وبدت على الطفل علامات الصكك (أي التواء الرجلين نحو الباطن بحيث تتدانى الركبتان) ، عند ذلك يستوجب الأمر استشارة الطبيب ، لكن بصورة عامة ينمو الطفل الطبيعي دون وجود هذه الأعراض .

يجب غسل أقدام الأطفال كجزء من الاغتسال (الروتيني) اليومي باستخدام الماء والصابون العادي ، واستعمال مسحوق الأطفال (البودرة) بين أصابع القدمين ، مع ضرورة التأكد من ارتداء الجوارب النظيفة يوميا ، كما يجب تقليم أظافر القدمين بصورة منتظمة ، على ألا يتم قطعها بصورة قصيرة جدا ، بل يجب أن تستند الأظافر على حاشية لب الأصبع ، ويجب ألا تقطع زوايا الأظافر مطلقا ، وألاتستخدم آلة حادة أبدا في تنظيف جوانب الأظافر ، فاذا تجمعت الأوساخ على جوانب الظفر أمكن تنظيفها باستخدام فرشاة ناعمة .

وقد تستدعي حالات ظهور مسامير القدم ، والتصلبات الموصعية الأخرى في بشرة أصبع القدم استشارة اختصاصي لمعالجتها . ومن المهم معرفة سبب المشكلة ومعالجته .

فاذا ساورت المرء الشكوك في أن طفله يعاني من وجود نتوء صغير (ثؤلول أو مايصطلح على تسميته باسم فيروكا) ، عندذلك يتطلب الأمر تغطية ذلك



النتوء باللدائن (البلاستيك) اللاصقة ، مع عدم السماح للطفل بالقيام بأية حركة وهو حافي القدمين ، إلى أن تتم معالجة هذه الحالة بنجاح ، فإذا اتبع كل فرد هذه الطريقة سيتم حينئذ التقليل من انتشار عدوى هذه الحالة بصورة كبيرة ، وكلما تمت معالجة النتوء بصورة مبكرة كانت المعالجة أكثر يسرا وسهولة .

الاهتمام بالجوارب

يساعد تنظيف الجوارب يوميا على حفظ الجلد سليما ، وتؤدي الجوارب الضيقة المكمشة إلى نمو عظام الطفل بصورة ملتوية ، لذلك يقتضي أن تكون مختلف أنواع الجوارب التي يرتديها الطفل واسعة بما فيه الكفاية ، كي يتمكن من سحبها لافساح المجال المطلوب لنهايات أصابع القدمين .

إن هذا ينطبق بصورة خاصة على الجوارب المطاطة المرنة التي يتوجب أن تكون مناسبة الطول ، بحيث تلائم القدم دون أن تكون هناك حاجة لأن يمط الجورب نفسه بنفسه . وعندما تغسل الجوارب يجب سحبها ومطها كي تأخذ شكلها الصحيح كما أن الغسل الدائم الذي تبذل فيه العناية اللازمة يطيل في عمر الجوارب .

ما الذي يتوجب أن تبحث عنه ؟

تساعد الأحذية المرنة التي تنطوي بسهولة مع القدم على الخطوة الطبيعية الخفيفة ، فالأحذية يجب أن تكون لينة مطواعة على الأخص لمناطق القدم التي تنحني فيها مفاصل الأصابع ، لكنها يجب أن تكون صلبة عند الساق وقوس القدم ، وتفضل الأحذية ذات المشد (الرباط) ، أو ذات الشريط الذي يمكن تعديله ، وذلك لأنها تحتضن القدم بثبات إلى مؤخرة الحذاء ، وتمنعها من الانزلاق الى الأمام بصورة تؤدي إلى تقييد أصابع القدمين في مقدمة الحذاء .

تصنع جميع الأحذية بقياسات مختلفة ، وبوحدة نصف الحجم لكل قياس ، كي تلائم القدم العنيفة أو العادية أو العريضة . وعندما يتم قياس حجم قدم الطفل يتوجب أن يكون واقفاً ، لأن القدمين يجب أن تقاسا دائما وهما محملتان بوزن الطفل نفسه

أين يجب أن تبحث عن الأحذية ؟

يجب قياس أقدام الأطفال ، وتحديد حجمها بصورة ملائمة من قبل شخص مدرب في هذا المجال ، وعلى الفرد أن يأخذ طفله معه دوما ، ولا يشتري له الأحذية بمفرده ، وإذا كان بالامكان يفضل اختيار محل الأحذية خلال الأوقات غير المزدحمة حيث يكون الشخص المؤهل للقياس قادرا على تخصيص الاهتمام المطلوب لذلك .

متى تبحث عن الأحذية ؟

يجب أن يتم فحص القدم النامية بصورة منتظمة ، لغرض معرفة مقدار الزيادة في الحجم ، وللتثبت من أن الحذاء مازال كبيرا بما فيه الكفاية ، لكن يفضل عند شراء الأحذية أن يؤخذ بعين الاعتبار حجم الزيادة المقرر ، وهو ¾ انج (١٨ ملم) ، كي تبقى ملائمة لفترة أطول ، ولحين نمو القدم ، بحيث تملأ المجال المذكور أعلاه .

إن الفكرة القديمة القائلة بارتداء الأحذية خلال أيام العطل والمناسبات فقط هي فكرة مغلوطة كليا ، إذ يجب ارتداء الحذاء بصورة منتظمة .

وفي الحقيقة تحور أحذية القدم المخصصة للرياضة ، و (الجرامي) (أي الأحذية التي يتخطى أعلاها الركبة) التي تستخدم في مناسبات قليلة على أهمية خاصة ، فهي تتطلب تدقيق حجمها بصورة منتظمة .

قدم المرأة خلال فترة الحمل

عندما تكون المرأة حاملا فإن قدميها ورجليها تتحملان عبء الوزن الاضافي للطفل ، وإن من الأهمية بمكان ـ خلال هذه الفترة ـ ارتداء حذاء ذي رباط أو شريط لمنع تألم القدمين ، كما أنه من الواجب أيضا ارتداء أحذية ذات قياسات ملائمة جدا ، وذات كعوب واسعة الاستناد ، وليست عالية جدا ، على الأخص خلال الشهرين الأخيرين من الحمل ، حيث تكون وقفة المرأة متأثرة بشكل سلبي بسبب الوزن المتزايد للطفل .

إن عناية المرأة بقدميها ورجليها في هذا الوقت تقلل من التعب قبل ولادة الطفل ، كما يضعها في موقع قوي لمسايرة الأشهر اللاحقة .

ومن المفيد جدا استشارة الاختصاصي بصورة دورية ، وبخاصة قبل ثلاثة أشهر من التاريخ المتوقع لولادة الطفل ، إذ أنه أمر يجعل هذه الفترة أكثر راحة لامحالة .

كيف تعتنين بقدميك ؟

أولا : الراحة

يجب أن تخلد الأم للراحة بعد إرضاع طفلها ، وتضع قدميها عاليا ، إذ أنه أنسب الأوقات للتمتع ببعض الاسترخاء ، وعلى المرأة أن تخصص عشر دقائق مرتين يوميا من أجل راحتها ، وعندما تحين فترة الراحة تقوم المرأة بإسناد قدميها على وسادة ، وترفعها إلى أعلى بقدر استطاعتها ، على أن تتمتع خلال ذلك بقراءة كتاب ، أو بالحياكة ، الخ .

ثانيا : تقليم الأظافر

تقص المرأة أظافرها بمستوى حدود أصابع القدمين ، على ألا تتعمق في الزوايا

ثالثا : العادات الصحية

يجب غسل القدمين يوميا ، ورشهما بعد ذلك بالمسحوق ، وتجنب ارتداء الجوارب لفترة طويلة ، شريطة ألا تضيف خلال غسلها لقدميها الملح أو أية مساحيق أخرى إلى الماء .

رابعا : الأحذية

يجب أن ترتدي الأم الأحذية المناسبة للعمل ، وتترك أحذية (الموضة) للمناسبات الخاصة والحفلات فقط ، ويجب ألا يتم ارتداؤها خلال العمل الاعتيادي اليومي في البيت ، كما يجب أن تحاول المرأة الاستمرار بارتداء الأحذية مع نوع ما من المشد أو الرباط حول جزء الحذاء الملامس لمشط القدم ، وذي كعب يقل ارتفاعه عن $\frac{1}{2}$ بوصة □

احفظوا عني ثلاثا

● لما احتضر قيس بن عاصم المنقري حكيم العرب قال لبنيه : يا بني احفظوا عني ثلاثا ، فلا أحد أنصح لكم مني : إذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم ، وعليكم بحفظ المال فإنه منبهة شهرة الكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجال .

هو ... أناقتي !

● لأدري ماذا أصابه ، فجأة أصبح شديد الحرص على المال ، وأمنياتي ورغباتي التي كان يبادر الى تحقيقها ، أصبح يضرب بها عرض الحائط ، ويفكر أكثر من مرة قبل أن يشتري لي شيئا ، أيام خطوبتنا كان هو الذي يبادر ويصحبني الى السوق ، وينتقي لي من الفساتين والملابس أحدثها موضة وأعلاها ثمنا ، وأشهد أنه استمر لفترة طويلة بعد زواجنا ، وحتى انجابي لطفلنا الثاني ، يتعامل معي بنفس الطريقة ، أذهب الى السوق أشتري ما أريد وأعود ويدفع الثمن كاملا دون أن تبدو حتى في عينيه علامة ضيق ، وكثيرا ما كنت أخرج مع بعض الصديقات لمجرد التريض أو لرغبة احداهن في شراء شيء ويحدث أن أرى ما يعجبني ، أو يروق لي فأشتريه وآخذ ثمنه من صديقاتي وأعود ويدفع فورا وعن طيب خاطر

واليوم وأنا أفكر في الحالة التي أصابته أتذكر كل ما اشتراه لي ، وأصاب صديقاتي وأقاربي يومها بالدهشة والعجب . عدد من الفساتين لاأستطيع أن أحصره ، لم تظهر موضة جديدة ولم أجاريها ، أطقم من الذهب واللؤلؤ وعديد من المجوهرات ، لم أترك شيئا عجيبا أو غريبا الا واشتريته ، والآن فجأة أصبح يدقق في كل شيء ، بدأها بأنه لم يترك في يدي فائض نقود مجرد مصروف البيت الذي يكفي الطعام والشراب ، ومصروف يدي ، وكل ما أطلب منه شيئا جديدا يراوغني ، فهو حينا ليس معه نقود ، وحينا آخر يقول أليس كل ما لديك يكفي ؟ ويبدأ في مناقشتي عن الثياب التي عندي ، ومن من زميلاتي وصديقاتي لديها مثل ما لدي ؟ ويبدأ في طرح أفكار بلهاء ، مثل ماذا لو وضعت لك ضعف ثمن هذا الفستان في بنك ، على كل وديعة بنكية أو أي قناة من قنوات الادخار ؟ أصرخ فيه ، مالي أنا ومال هذه الأفكار الخائبة ، بنك واستثمار ووديعة ، أنا أريد هذا الفستان فقط ، ولا دخل لي بكل ما تقوله ، وذات مرة خرجت الى السوق مع بعض الصديقات ، واشتريت عددا من الفساتين ، صحيح أن ثمنها عدة مئات لكنه ليس فوق امكانياته ، فهكذا اعتدت أن أشتري وهكذا عودني ، أخذت النقود يومها من صديقاتي ، على وعد سدادها في نفس الليلة ، أو في الغد على أكثر تقدير . . لقد رفض تماما سداد هذه النقود . . وظللت أسبوعا كاملا لاأجرؤ على رؤية صديقاتي الى أن سددت لهن أخيرا بعد مشاجرة كبيرة ، هددته فيها بترك البيت والأولاد .

هدى

هي....

الاستثناء قاعدة

● قالها أحدهم قديما .. ومازالت مقولة صحيحة الى اليوم « حتى لو كانت في طريقها الى حبل المشنقة فانها ستطلب أحمر شفاه » هذه هي باختصار حالة زوجتي مهما مرت علينا السنوات ، ومر العصر .. وبضحنا وازدادت المسئوليات ، ولكنها لم تتغير ، كما في زمن مضى لا هم وراءنا ولا مسئوليات ، وكنا وقتئذ نبدأ حياتنا معا ، فليس أجمل من أن تحقق لها أمانيها ورغباتها ، ومهما كان ثمن هذه الأماني عاليا ، فأنا أحسب الأمر على النحو التالي . كل ما له ثمن نقدي فهو مقدور عليه ، لأن النقود في النهاية أداة لاسعادنا ، وظللت سنوات طويلة لا أحسب للدنيا حساباً . أكسب كثيرا وأنفق أكثر ، وهي تقتلها « الموديلات » الحديثة والأزياء العالية والذهب . وأنا أشتري . ويكفي لحظة سعادة على وجهها وابتسامة تضيء عينيها .

ولكن بعد عشر سنوات من الزواج .. وطفلين صارت نظرتي للأمور غير ما كانت عليه ، وظلت عندها لاتتغير ، أصبحت أحسب للغد وما يخبئه ، وللابناء واحتياجاتهم ، ولظروف العمل والصحة والعمر . . . وهي كلها متغيرات لاشيء ثابت فيها ، حاولت أن أشرح لها وجهة نظري ، وأن أغريها لكي تغير سلوكها وتتعلم الادخار ، ولكن دون فائدة ، لاشيء يعنيها أكثر من أناقتها ، ومستوى ملابسها . وارتفاع ثمنها . . . ومنظرها العام . . وصيحات الاعجاب ونظرات الحسد من صديقاتها . . صارت مفتونة بهذا . . لاترى أبعد من قدميها . . وكل يوم تزداد حالتها سوءاً ، فما كانت تفعله من قبل على سبيل الاستثناء أصبح قاعدة ، فلم يكن معقولا أن تستدين من صديقاتها لكي تشتري كل ما يعجبها ، ولكن اذا حدث هذا مرة أو مرتين فهي ظروف استثنائية ، ولكنها أصبحت الآن لاتخرج الى السوق أو تذهب الى زيارة صديقة الا تعود وقد اشترت الكثير وبمبالغ تقدر بالمئات .

لفت نظرها ، وحدثتها . . وقلت لها ان هذا يسيء اليها أمام صديقاتها . . . ويورطني في التزامات خارج حساباتي . . لكن عبثا كل ما قلت . . حتى كانت آخر مرة عادت الى البيت وقد اشترت ثيابا بعدة مئات ، صرخت في وجهها ، وتوعدتها بأنني لن أدفع . على أمل احراجها فلا تعود لهذا السلوك . . وبدلا من أن نتناقش جمعت ثيابها وهددت بترك البيت . . ألم أقل ان الاستثناء في السلوك أصبح قاعدة .

هو





من الحياة

الطفلة التي عزفت لحن الحياة !

بقلم/ منير نصيف

هذه قصة فتاة تعيش بيننا . عشقت النغم قبل أن تتعلم الكلام . فلما كبرت وقفت تعزف لحن الحياة .

شعور غريب كان يسيطر عليها ويحتويها كلما وصل إلى أذنيها الصغيرتين صوت الموسيقا الذي ينساب في هدوء مع غروب الشمس في السماء ، وكانت الطفلة الصغيرة التي لم تتجاوز عامها السابع تعيش مع النغم الذي يحمله لها الهدوء الدافىء بضع دقائق ، ثم لا تلبث أن تغمض عينيها وتنام .

وصحت الأم على هذه الهواية ، وأحست بهذا الحب الغريب الذي يربط بين طفلتها وبين الموسيقا التي يعزفها جارهم العجوز على البيانو مساء كل يوم ، فتسرع الطفلة إلى النافذة ، وتجلس وراءها لتملأ أذنيها الأنغام الجميلة ، حتى إذا غلبها النعاس ، قامت من مقعدها ، وألقت بجسمها الصغير على فراشها وهي تحتضن عروستها ، ثم لاتلبث أن تذهب في نوم عميق ، بعد حديث قصير مع « صاحبتها » ، تناجيها وتسألها ، وتتفق معها على الموعد الجديد الذي سيلتقيان فيه مع أنغام البيانو في مساء اليوم التالي .

* *

كانت وحيدة أبويها ، وكانت هي كل شيء في حياتها ودنياهما الصغيرة التي امتلأت بها وحدها ، وكانت الأم تدرك مدى تأثير الموسيقا على صغيرتها ، فقد كانت تحملها - وهي مازالت في المهد - إلى أقرب مكان من جهاز الراديو ، وتبدأ في البحث عن الموسيقا من أي مكان ، حتى إذا وجدتها تركتها معه للحظات ، فلا تلبث الصغيرة أن تغمض عينيها بعد فترة قصيرة ، وتذهب في نوم عميق ، لقد كانت الأم تعرف أن طفلتها كانت دائما على موعد مع النغم قبل النوم ، لكنها لم تتصور أن هذه الصداقة الغريبة سوف تعيش معها وتكبر .

ولم يكن غريبا أن تكتشف مدرسة الموسيقا هذه الهواية ، فألحقتها بفرقة الموسيقا المخصصة للأطفال في المدرسة التي انتظمت فيها منذ ثلاث سنوات ، واختارت الطفلة البيانو ، وفوجئت المدرسة بالتقدم الكبير الذي حققته تلميذتها الصغيرة خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن .

وفي مساء أحد الأيام جاءت الأم كعادتها لتصحب طفلتها عائدة إلى البيت ، ولكنها ما كادت تصل إلى باب المدرسة الخارجي حتى وجدت مدّرسة ابنتها في



انتظارها . قالت المدرسة وهي تقترب منها : « تعالي معي ، أريدك أن تلقي نظرة على ابنتك وهي تعزف على البيانو .

وذهبت الأم ، ووقفت وراء الباب تنصت ، ولم تصدق أذنيها ، هذا النغم الجميل تعزفه طفلتها بهذه المهارة ، وشيئا فشيئا أحست بقدميها تقتربان إلى حيث كانت تجلس الطفلة أمام البيانو ، ووقفت ترقب في هدوء تلك الأصابع الصغيرة وهي تتحرك في رشاقة . لم تكن الأم وحدها ، لقد كانت القاعة كلها قد ازدحمت بأعضاء هيئة التدريس ، وزملاء طفلتها في المدرسة وزميلاتها ، وكان الجميع يجلسون على مقاعدهم ، وقد خيم السكون على المكان ، ولم يعد يرتفع فيه صوت غير صوت هذا النغم الجميل الذي كانت تعزفه طفلتها ، حتى إذا ما انتهت منه دوت القاعة بالتصفيق ، وقامت الطفلة من مكانها ترد التحية ، لكنها ما كادت ترى أمها بين الحاضرين حتى أسرعت إليها وألقت بنفسها بين ذراعيها ، وراحت الصغيرة تبكي ، وهي تضحك ودموع الأم تغرق وجنيتها ، وهي تمطرها بالقبلات . !

قالت تحدث أمها : « لماذا لم تحضريها معك يا أمي ؟ »

أحضر من ياحبيبتي ؟

عروستي الصغيرة ! كنت أريد أن أسمع رأيها في هذه الموسيقا التي عزفتها ، لقد سمعنا جارنا العجوز يعزفها مرات عديدة ، كنت أريد أن اعرف رأيها .

واقتربت مدرسة الموسيقا من الأم وقالت وهي تدعوها لمرافقتها إلى مكتبها : « ابنتك ياسيدتي موهوبة ، ولابد من تنمية هذه الموهبة فيها ، إنني أقترح أن تلحقيها بالمعهد المسائي للموسيقا .

وانقضت بضعة أيام ، لكن قبل أن يمضي الأسبوع كانت الطفلة الصغيرة تجلس أمام البيانو في المعهد ، وأستاذ الموسيقا يقف على مقربة منها يرقب



تلك الأصابع الصغيرة وهي تعزف بلا توقف ، وبلا تردد ، كما لو كانت أصابع موسيقار محترف ، أمضى سنوات طويلة يمارس العزف على البيانو .

ومضت السنوات ، وكبرت الطفلة الصغيرة . كانت تعيش مع النغم ، ومع أصابع البيانو في البيت وفي المعهد ، بعد أن اشترى لها والدها بيانو خاصا بها . كان أستاذها دائما قريبا منها ، يشجعها ، ويدفعها لبذل المزيد من الجهد ، ويشركها في كل الحفلات التي كانت تقام في المعهد ، وأصبحت الفتاة حديث الصحف والناس في كل مكان .

ثمة إحساس غريب كان يحتويها كلما التقت عيناها بعيني الأستاذ الذي وقف بجانبها طوال هذه الرحلة التي دامت لأكثر من تسع سنوات ، كانت تشعر دائما ـ كلما جلست تعزف على البيانو ـ أنها تعزف له وحده ، وكانت كلما انتهت من العزف ، أسرعت إليه لتسمع رأيه هو ، وكان الرجل يجد حرجا شديدا وهو يراها تترك المسرح الذي ازدحم بجمهور المستمعين وتجري إليه مهرولة ، تسأله في لهفة : « قل لي مارأيك ؟ »

وكان يرجوها أن تعود لترد تحية الجمهور ، فتفعل على مضض ، ولكن ما أكثر المرات التي كانت تختفي فيها وراء الستار لتبحث لنفسها عن مكان بعيد عن العيون ، تمضي فيه لحظات مع دموعها . كانت هي نفسها في حيرة ، فهي لا تعرف إذا كانت هذه الدموع دموع فرحتها بالنجاح ، أم هي دموع تسيل بالرغم منها ، لأن أستاذها كان يرفض أن يجيبها عن سؤالها ، ويقول لها رأيه في عزفها قبل أن ترد تحية جمهور المستمعين . حتى عندما فازت بجائزة الدولة التي قدمت لأصغر وأعظم عازفة بيانو ، نسيت أن تصافح اليد التي قدمت لها الجائزة ، وأسرعت تقدمها بدورها إلى الأستاذ الذي أحس بحرج شديد ، وأسرع عائدا يحمل الجائزة ويقوم بتأدية الواجب الذي كان يجب أن تقوم به صاحبة الجائزة !

وتمضي الأيام ، والفتاة الصغيرة تنتقل من نجاح إلى نجاح أكبر ، حتى لم يعد باقيا على تخرجها في المعهد سوى بضعة أشهر ، ثم تحدث المفاجأة التي لم تكن أبدا تتوقعها . .

إذ يختفي الأستاذ من المعهد ، بعد أن وقع عليه الاختيار ليسافر مع الفرقة الموسيقية التي ستجوب أقطار العالم في شرقه وغربه لعزف أحدث ألوان الموسيقا العربية ، وتسأل في لهفة : « ومتى يعود » ويجيبها الجواب : « لاندري ، ولكنها رحلة طويلة »

ويستبد بها قلق هائل ، وتعود إلى بيتها وقد احتواها حزن شديد ، وتلقي برأسها الصغير على صدر أمها وتقول في صوت هامس : « لقد اكتشفت يا أمي أنني أحب أستاذي ، نعم أحبه . اليوم فقط أحسست أنني أقف وحدي في المعهد . أنا أعرف أن الجميع يحبونني ، كل المدرسين والمدرسات في المعهد يساعدونني ويحبونني ، لكنني لا أشعر بوجودهم ، لقد كان هو وحده الرجل الذي أعزف له ومن أجله ، كان هو وحده الذي أنتظر أن أسمع رأيه في كل ما أكتب وأؤلف من موسيقا ، وقد ذهب الآن ، ولا أدري ما سأفعل وهو بعيد عني ؟ إنني أحبه يا أمي ، أحبه أرجوك أن تساعديني .

وأجفلت الأم وهي تسمع من ابنتها آخر ما كانت تتوقعه ، إنه يكبرها بأكثر من عشرين عاما ، وإنها مازالت طفلة ، إنها مازالت تذكر كيف جاءت إليها يوما منذ فترة قريبة لتقول لها : « سأبوح لك بسر كبير يا أمي ، أتذكرين عروستي الصغيرة التي كنت أسألها رأيها في كل ما أعزف من موسيقا ؟ لقد كبرت يا أمي ، ولم تعد لي عروسة ألهو بها ، إنني أرى في أستاذ الموسيقا في المعهد صورة عروستي التي كانت ترافقني دائما في كل رحلاتي . » وقالت الأم تحدث نفسها . « ربما يكون إعجابها به قد صور لها أنها تحبه ، لكن أليس الحب حصيلة لهذا الاعجاب ؟ !

ولم تنم الفتاة في تلك الليلة ، وعندما جاء الصباح ، لم تشعر برغبة في ترك فراشها ، لكنها

تلبث أن قامت في النهاية أمام إلحاح أمها ، ووضعت جسمها الصغير في ثوبها الذي تعودت أن ترتديه كل يوم ، وخرجت تجر قدميها جرا في الطريق الى المعهد .

وحيوها ، لكنها لم ترد التحية ، فقد كان فكرها في رحلة بعيدة مع أستاذها الغائب الذي اكتشفت فجأة أن قلبها الصغير يخفق بحبه ، وتوجهت فورا إلى البيانو ، وجلست أمامه ، ووضعت أصابعها استعدادا لعزف آخر ما كتبته قبل رحيل أستاذها ، وفجأة أفلتت منها صرخة ، وأسرع الجميع إليها وقد استبد بهم الهلع : « ماذا حدث ؟ ماذا دهاك ؟ » ولم تتكلم ، كانت عيناها قد تسمرتا فوق اليدين اللتين بقيتا هناك على أصابع البيانو بلا حراك ، لقد تيبست الأنامل التي طالما عزفت لهم أحلى الألحان ، ولم تعد الفتاة المسكينة قادرة على أن تحرك أصابعها ، وانفجرت تبكي كما لم تبك من قبل في حياتها . نقلوها إلى البيت ، وعرضوها على أشهر أطباء الأعصاب ، ولكنهم حاروا جميعا في تفسير أسباب هذه العلة المفاجئة .

ومضت أيام وأيام والفتاة الصغيرة لاتبرح فراشها ، حتى الطعام لم تكن تتناول منه إلا القدر اليسير إرضاء لأمها المسكينة ، واستجابة لتوسلاتها . وفي إحدى الليالي ، حاولت أن تضع نهاية لحياتها عن طريق ابتلاع كمية كبيرة من الأقراص المهدئة التي نصحها الطبيب بتناولها ، ولكنهم أسعفوها بالعلاج في الوقت المناسب ، ونجت من موت محقق .

كتبت تصف هذه التجربة المريرة التي مرت بها : « حتى الموت الذي سعيت إليه لأضع حدا لعذابي ، أنقذوني منه ، ونسوا أنهم بهذا قد أعادوني لآلامي مرة أخرى ، إنني لا أكره الحياة ، لكنني أكره نفسي ، لقد أصبحت إنسانة عاجزة ، لقد حاولت أن أمضي في الكتابة والتأليف والعزف ، ولكن أصابعي ترفض أن تتحرك ، فلما تملكني اليأس ، عدت إلى نافذة غرفة نومي أستمتع بالأنغام العذبة التي يعزفها جارنا العجوز ، لكنها لم تكن من تأليفه هو هذه المرة ، فقد كان يعزف الأنغام التي كتبتها أنا ، وبكيت وأنا أرى الناس يعزفون موسيقاي .

ويعود الأستاذ من رحلته الطويلة ، ويزور تلميذته الصغيرة في بيتها ، وتمد إليه يدها التي تصلبت منها الأصابع ، ويشد عليها مصافحا ، وتقول هي وقد علت وجهها ابتسامة مشرقة تحمل كل معاني الحب والوفاء : « أرجو أن تكون قد وفقت في رحلتك . لماذا لم تقل لي انك سترحل ؟ ! ويقول الأستاذ : لم أعرف باختياري عضوا في الفرقة إلا قبل سفري بضع ساعات . أرجوك أن تصفحي عني . هل ألقاك غدا في المعهد ؟ لاأظن ، فقد ضاع كل شيء ، لم تعد أصابع يدي قادرتين على الحركة

وانصرف الأستاذ ، وانقضى الليل ، وجاء الصباح ، وسمعت الأم ابنتها تناديها لتساعدها على ارتداء ملابسها فجاءت مسرعة ! !

إنها أول مرة تغادر فيها فراشها منذ أكثر من ستة أشهر . قالت الأم تسأل ابنتها : « إلى أين ياحبيبتي ؟ ! » إلى المعهد يا أمي !

وأمام البيانو الذي عزفت عليه أجمل الألحان ، كان الأستاذ هناك يقف في انتظارها ، كأنه كان يتوقع مجيئها . قال وهو يمد اليها يده مصافحا :

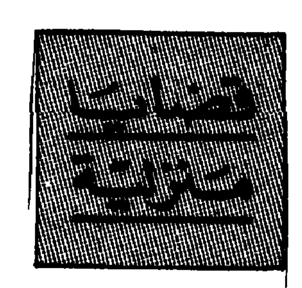
« أنا سعيد بلقائك ، وسعيد بعودتك إلى المعهد » .

وتركها جالسة على مقعد قريب ، ومن حولها الأساتذة ، والزملاء ، والزميلات ، واتجه هو إلى البيانو ، وجلس يعزف مقطوعة من تأليفها ، هي ، وفجأة وجدها قادمة نحوه ، فترك مقعده ، وجلست هي ، ورفعت يديها ووضعتهما فوق البيانو ،وحدثت المفاجأة ، لقد تحركت الأصابع التي بقيت جافة متيبسة شهورا طويلة ، وعندما انتهت من عزف موسيقاها ، كانت عيناها الجميلتان غارقتين في الدموع . قالت وهي تقترب منه كما تعودت أن تفعل دائما : مارأيك ؟ !

قال : هل تقبلينني زوجا ؟ □



طبيب الأسرة



طفل يبلل الفراش .. البوال الليلى

من المألوف أن يبلل الطفل الصغير فراشه ليلا دون أن يدرى ، وهذا ما يعرف بسلس البول الليلى ، أو البوال الليلى ، أو التبول اللاارادى ليلا .

ولكن الأمر دائما يتوقف عند سن معينة ، فما هى هذه السن ، ولماذا يتعداها بعض الأطفال ؟ هذا ما يشغل فكر الآباء والأمهات .

لقد أجريت الكثير من الدراسات الطبية والاجتماعية والنفسية على هذه القضية ، وانتهت الى الاحصائية التالية : ان ٥٠ بالمائة من الأطفال فى عمر السنتين يتوقفون عن بلل الفراش ، وان ٧٥ بالمائة من الأطفال فى عمر الثلاث سنوات لا يتبولون لا اراديا فى الليل ، فيما تصل النسبة المئوية الى ما بين ٨٥ الى ٩٠ من الأطفال الذين لا يعانون من مشكلة البوال الليلى ، ومن هنا يمكن اعتبار سن الخمس سنوات بالنسبة للطفل هو أقصى ما يمكن اعتباره السن الموافق لتبول الأطفال اللاارادى ليلا (البول أو المنن) وبعدها يمكن اعتبار الأمر ظاهرة مرضية ، اذا ما تجاوز الطفل عمر الخمس سنوات مع استمراره فى حالة التبول اللاارادى .

كما قد يتوقف بعض الأطفال عن ظاهرة التبول اللاارادي هذه فترة طويلة ، ثم يعود الطفل الى البل ثانية ، وهذا ما يسمى بالتبول اللاارادى الثانو لسبب طارىء ، أو لآخر يكون قد استجد فى حي الطفل .

لقد لوحظ أن ظاهرة البلل الليلى تشيع بين الأطفا الذكور عنها بين الأطفال الاناث ، بقدر يزيد ع الضعفين ، لأسباب لم تتضح بعد للأطباء .

ولكن الأسباب عامة قد تعزى لمصدري رئيسيين ، الأول عضوى يمثل ١٠ بالمائة من الأسبا تقريبا ، بمعنى وجود خلل أو مرض أو إصابة أو تخلف فى نضوج أحد أعضاء الجهاز البولى ، أو فى الجه العصبى المتحكم فى نظام الجهاز البولى ، والذ منه :

١ ـ التهابات فى الكلى أو فى المثانة أو المجارى البولية

٢ ـ ضيق حجم المثانة وعدم نموها ، الى درجة تستوعب معه كمية البول المتجمع .

٣ ـ خلل فى الجهاز العصبى المتحكم فى ردود فع المثانة التى هي الامتلاء والتفريغ ، وغالبا ما يكون إ اصابة للجزء الأسفل من النخاع الشوكى ، أو تخلف فى نموه ونضوج تطوره .

٤ ـ أمراض عامة تصيب الطفل ، ترتبط بالتبول ، مثل البول السكرى ، أما التسعين بالمائة من باقى أسباب المنن فهى غالبا ما تكون نفسية الجذور ، أو عقلية ، لهذا يشيع التبول اللاارادى عند كبار الأطفال ..

١ ـ المتخلفين عقليا

٢ ـ الأطفال المتميزين بالنوم العميق .

٣ ـ الأطفال الذين يعانون من عدم استقرار نفسى أو اجتماعى ، سواء فى البيت أو المدرسة ، والشعور بالاضطهاد والحرمان .

٤ ـ عند ولادة طفل جديد أو الأزمات الاجتماعية والنفسية فى المجتمع .

هذا وقد لوحظ شيوع ظاهرة المنن وانتشارها عند بعض العائلات ، مما يوحى بوجود عامل وراثى فى الأمر ، ولكن لم تتضح صورته حتى الآن .

علاج البوا الليلى :

١ ـ يجب تقصى الأسباب العضوية أولا ، ثم النفسية ثانيا وعلاجها .

٢ ـ اذا ثبت صغر حجم المثانة عن ما يجب أن تكون عليه ، فيجرى تدريب الطفل على حبس البول نهارا أكبر قدر ممكن ، أملا فى تمدد جدران المثانة . واتساع حجمها .

٣ ـ يراعى الحد من شرب السوائل مساء وخاصة قبل النوم .

٤ ـ ملاحظة موعد التبول اللاارادى ، وايقاظ الطفل قبل الموعد بقليل لافراغ المثانة .

٥ ـ عدم زيادة نسبة ملح الطعام فى أطعمة المساء .

٦ ـ استعمال جهاز التنبيه الكهربائى الذى يثبت فى الفراش ليوقظ الطفل مع أول بادرة لانطلاق البول .

٧ ـ العلاج بالعقاقير

لقد استعمل عقار البلادونا زمنا طويلا ، وحاليا يستعملون المهدئات والمسكنات النفسية ، قناعة من الاطباء أن الأمر يعود الى أسباب نفسية يعانى منها الطفل ، وهى أحق بالعلاج.

بريد طبيب الأسرة

الهرمونات الكظرية

● هل لى أن أعرف شيئا عن مجموعة هرمونات (الجلوكوكورتيدات) وفى أي موضع يفرزها الجسم ؟

شريف ع . م . ـ سلطنة عمان

تقع فوق كل كلية غدة صماء تدعى غدة الكظر ، أو الغدة فوق الكلية ، وهى تفرز افرازاتها المعروفة بالهرمونات ـ شأن كل الغدد الصم الأخرى ـ فى مجرى الدم مباشرة .

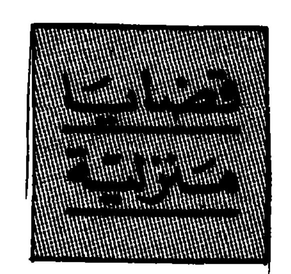
وتتكون هذه الغدة الصماء من جزئين رئيسيين ، لكل منهما مهمة مستقلة هى : ١ ـ لب الكظر ، ويفرز هرمون (الادرنالين) المعروف بهرمون الغضب ، وشقيقه (النورادرنالين) بكميات قليلة ، ولكنهما يزدادان عند التوتر والانفعال ، فينشط القلب ويرتفع ضغط الدم ويتهيأ الجسم للطوارىء .

٢ ـ قشرة الكظر وهو جزء حيوى وضرورى ، لأنه يفرز هرمونات ضرورية للاستقلاب والتمثيل الغذائى ، وهذه الهرمونات تنتمى الى مواد كيميائية تعرف (بالستيرويدات) تكون على ثلاثة أشكال :

أ ـ الهرمونات القشرية السكرية : او الجلوكوكورتيدات ، وفعلها الأساسى هو استقلاب السكريات أو تمثيلها الغذائى ، والبروتينيات ، كما تتولى تكييف الجسم لمواجهة الاصابة ، فتقوى المناعة ، وتكافح الالتهابات ، والضعف العام .

ب ـ الهرمونات القشرية المعدنية : ومفعولها الأساسى هو التمثيل الغذائى لما يعرف بالشوارد

طبيب الأسرة



طفل يبلل الفراش .. البوال الليلى

من المألوف أن يبلل الطفل الصغير فراشه ليلا دون أن يدرى ، وهذا ما يعرف بسلس البول الليلى ، أو البوال الليلى ، أو التبول اللاارادى ليلا .

ولكن الأمر دائما يتوقف عند سن معينة ، فما هى هذه السن ، ولماذا يتعداها بعض الأطفال ؟ هذا ما يشغل فكر الآباء والأمهات .

لقد أجريت الكثير من الدراسات الطبية والاجتماعية والنفسية على هذه القضية ، وانتهت الى الاحصائية التالية : ان ٥٠ بالمائة من الأطفال فى عمر السنتين يتوقفون عن بلل الفراش ، وان ٧٥ بالمائة من الأطفال فى عمر الثلاث سنوات لا يتبولون لا اراديا فى الليل ، فيما تصل النسبة المئوية الى ما بين ٨٥ الى ٩٠ من الأطفال الذين لا يعانون من مشكلة البوال الليلى ، ومن هنا يمكن اعتبار سن الخمس سنوات بالنسبة للطفل هو أقصى ما يمكن اعتباره السن الموافق لتبول الأطفال اللاارادى ليلا (البول أو المنى) وبعدها يمكن اعتبار الأمر ظاهرة مرضية ، اذا ما تجاوز الطفل عمر الخمس سنوات مع استمراره فى حالة التبول اللاارادى .

كما قد يتوقف بعض الأطفال عن ظاهرة التبول اللاارادي هذه فترة طويلة ، ثم يعود الطفل الى البلل ثانية ، وهذا ما يسمى بالتبول اللاارادى الثانوى لسبب طارىء ، أو لآخر يكون قد استجد فى حياة الطفل .

لقد لوحظ أن ظاهرة البلل الليلى تشيع بين الأطفال الذكور عنها بين الأطفال الاناث ، بقدر يزيد عن الضعفين ، لأسباب لم تتصح بعد للأطباء .

ولكن الأسباب عامة قد تعزى لمصدرين رئيسيين ، الأول عضوى يمثل ١٠ بالمائة من الأسباب تقريبا ، بمعنى وجود خلل أو مرض أو إصابة أو تخلف في نضوج أحد أعضاء الجهاز البولى ، أو فى الجهاز العصبى المتحكم فى نظام الجهاز البولى ، والذى منه :

١ ـ التهابات فى الكلى أو فى المثانة أو المجارى البولية .

٢ ـ ضيق حجم المثانة وعدم نموها ، الى درجة لا تستوعب معه كمية البول المتجمع .

٣ ـ خلل فى الجهاز العصبى المتحكم فى ردود فعل المثانة التى هي الامتلاء والتفريغ ، وغالبا ما يكون إثر اصابة للجزء الأسفل من النخاع الشوكى ، أو تخلف فى نموه ونضوج تطوره .

٤ ـ أمراض عامة تصيب الطفل ، ترتبط بالتبول ، مثل البول السكرى ، أما التسعين بالمائة من باقى أسباب المنن فهى غالبا ما تكون نفسية الجذور ، أو عقلية ، لهذا يشيع التبول اللارادى عند كبار الأطفال ..

١ ـ المتخلفين عقليا

٢ ـ الأطفال المتميزين بالنوم العميق .

٣ ـ الأطفال الذين يعانون من عدم استقرار نفسى أو اجتماعى ، سواء فى البيت أو المدرسة ، والشعور بالاضطهاد والحرمان .

٤ ـ عند ولادة طفل جديد أو الأزمات الاجتماعية والنفسية فى المجتمع .

هذا وقد لوحظ شيوع ظاهرة المنن وانتشارها عند بعض العائلات ، مما يوحى بوجود عامل وراثى فى الأمر ، ولكن لم تتضح صورته حتى الآن .

علاج البوا الليلى :

١ ـ يجب تقصى الأسباب العضوية أولا ، ثم النفسية ثانيا وعلاجها .

٢ ـ اذا ثبت صغر حجم المثانة عن ما يجب أن تكون عليه ، فيجرى تدريب الطفل على حبس البول نهارا أكبر قدر ممكن ، أملا فى تمدد جدران المثانة . واتساع حجمها .

٣ ـ يراعى الحد من شرب السوائل مساء وخاصة قبل النوم .

٤ ـ ملاحظة موعد التبول اللاارادى ، وايقاظ الطفل قبل الموعد بقليل لافراغ المثانة .

٥ ـ عدم زيادة نسبة ملح الطعام فى أطعمة المساء .

٦ ـ استعمال جهاز التنبيه الكهربائى الذى يثبت فى الفراش ليوقظ الطفل مع أول بادرة لانطلاق البول .

٧ ـ العلاج بالعقاقير

لقد استعمل عقار البلادونا زمنا طويلا ، وحاليا يستعملون المهدئات والمسكنات النفسية ، قناعة من الاطباء أن الأمر يعود الى أسباب نفسية يعانى منها الطفل ، وهى أحق بالعلاج.

بريد طبيب الأسرة

الهرمونات الكظرية

● هل لى أن أعرف شيئا عن مجموعة هرمونات (الجلوكوكورتيدات) وفى أي موضع يفرزها الجسم ؟

شريف ع . م . ـ سلطنة عمان

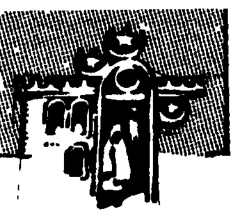
تقع فوق كل كلية غدة صماء تدعى غدة الكظر ، أو الغدة فوق الكلية ، وهى تفرز افرازاتها المعروفة بالهرمونات-شأن كل الغدد الصم الأخرى- فى مجرى الدم مباشرة .

وتتكون هذه الغدة الصماء من جزئين رئيسيين ، لكل منها مهمة مستقلة هى : ١ ـ لب الكظر ، ويفرز هرمون (الادرنالين) المعروف بهرمون الغضب ، وشقيقه (النورادرناليى) بكميات قليلة ، ولكنهما يزدادان عند التوتر والانفعال ، فينشط القلب ويرتفع ضغط الدم ويتهيأ الجسم للطوارىء .

٢ ـ قشرة الكظر وهو جزء حيوى وضرورى ، لأنه يفرز هرمونات ضرورية للاستقلاب والتمثيل الغذائى ، وهذه الهرمونات تنتمى الى مواد كيميائية تعرف (بالستيرويدات) تكون على ثلاثة أشكال :

أ ـ الهرمونات القشرية السكرية : او الجلوكوكورتيدات ، وفعلها الأساسى هو استقلاب السكريات أو تمثيلها الغذائى ، والبروتينيات ، كما تتولى تكييف الجسم لمواجهة الاصابة ، فتقوى المناعة ، وتكافح الالتهابات ، والضعف العام .

ب ـ الهرمونات القشرية المعدنية : ومفعولها الأساسى هو التمثيل الغذائى لما يعرف بالشوارد



الكهربائية ، أو الاليكترولايتز والماء فى الجسم .

ج ـ الهرمونات القشرية الجنسية : وتشمل الاستروجينات أو الهرمونات الأنثوية ، والاندروجينات أو الهرمونات الذكرية ، وقد تم تخليق وصناعة الكثير من هذه الهرمونات للاستعمالات الطبية .

وهذه الهرمونات تقوم على تحويل البروتينات أو الزلاليات الى سكريات ، لهذا تعتبر عاملا مهدما ومقوضا لبناء الجسم ، كما أنها تزيد من احتباس الملح والماء مما يؤدى الى التورم مع ارتفاع ضغط الدم .

ان هذه الهرمونات تثبط عمليات الالتهاب ، وتهبط الحمى ، وتزيل التوعك ، ولكنها تزيد حموضة المعدة ، مما يخاف معه من قرحة المعدة مع طول الاستعمال .

وقد لوحظ أنها تثبط تفاعل الأجسام المضادة مع مثيلاتها ، وهذا هوسر فعلها فى حالات الحساسية والصدمات .

وفى الطب تستعمل هذه الهرمونات فى مجالات عدة أهمها أمراض الروماتيزم وأمراض الحساسية وأمراض قصور الكظر ،ولكن الاشراف الطبى ضرورة تحتمها الأصول الطبية لتفادى المضاعفات الخطيرة لاستعمال هذه الهرمونات عشوائيا .

ردود سريعة

● **الأخت ن . ى . أ . ـ درعا !**

ـ علاج الصدفيةيعتمد على مراهم يدخل فى تركيبها القار والكورتيزون ، ولكن الأمر يحتاج الى صبر واحتمال لأنه علاج طويل يريح المريض من المعاناة والتشوه وتراكم القشور ، ولكنه ليس شافيا لأسباب المرض المجهولة ، ولكن المرض يختفى أحيانا تلقائيا دون سبب ظاهر ، والأمر يحتاج الى اشراف طبى من مختص فى الأمراض الجلدية .

● **السيد ن . ع . م ـ جرش ـ الاردن :**

ـ يصعب تشخيص الحبوب على الجبهة على ضوء ما توفر من معلومات فى رسالتك ،والأمر يحتاج الى فحص طبى من قبل اخصائى الأمراض الجلدية إذ هو أفضل من تستشير .

● **السيد نظيف محمد ـ ليبيا :**

ـ عقار المينو كسديل يفترض فيه انه علاج لارتفاع ضغط الدم ، ولوحظ أن له تأثيرات جانبية تسبب نمو الشعر ، لهذا تجرى الدراسات لاستعماله فى هذا الغرض ، ولكنه لم يطرح فى السوق التجارى حتى الآن .

● **السيد جمال محمد مصطفى ـ أسيوط ـ مصر :**

من الطبيعى أن يتوقف نمو طول الانسان بعد سن العشرين ، ولكنه لا يعقل أن يقصر اطلاقا ، أما أمر الساق القصيرة فيحتاج الى فحص احصائى جراحة العظام ، لتقرير سبب هذه العاهة فهذا أفضل طريق للعلاج ، فكل مريض يعتبر حالة مستقلة لا يسرى عليها حكم الآخرين .

● **محمد . ح . تطوان ـ المغرب :**

ـ الوراثة والاستعداد الشخصى لهما دور كبير فى قضية الصلع ، ويساعد عليها الجلد الدهنى .

وانا إذ ننصح بمواجهة الأمر بقناعة وهدوء ، اذ لا يعتبر الصلع مرضا بالمعنى المفهوم ، ولكن طبيب الأمراض الجلدية المختص ربما يعينك على التخفيف من هذه المشكلة .

● **السيد محمد راعى ـ اللاذقية ـ سوريا :**

ـ حامض الليمون هو (سيتريك أسيد) وهو المتوفر فى الحمضيات ، وبخاصة الليمون الحامض والبرتقال ، ولا نعلم له ضررا محددا سوى أن الاسراف فيه دائما ضرر ، عملا بالحكمة الالهية « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » صدق الله العظيم .

أما فوائده فهى عديدة ، أهمها معادلته لحموضة الدم .

مساحة ودّ

التقيت بها في قلب أفريقيا . . عجوز في السبعين ، كانت صاحبة الفندق الصغير الذي أقمت به ، يونانية ، لاتكف عن الحركة ولا عن الحديث ، وفي ليلة رطبة ، وقطرات المطر تتساقط فوق الأشجار الافريقية الكثيفة ، والليل يلف الدنيا . جلسنا نقطع صمت الليل بكلمات من هنا وهناك . وفي وسط الحديث سألتها فجأة كيف جاءت الى أفريقيا ؟ وحكت لي وسمعت منها :

في أواسط الثلاثينيات كانت أوروبا كلها تعاني من آثار الأزمة الاقتصادية ، والكساد يمتد فيشمل كل شيء ، حتى المطعم الصغير الذي كان يمتلكه زوجها ، وذات يوم قرر زوجها أن يبيع المطعم والبيت ويسافر الى عالم المستعمرات ، حيث ما زال للعملة الأوربية بريقها وللرجل الابيض قوته ، وحزما حقائبهما وذهبا الى أفريقيا . أقاما الفندق وأدارا به مطعما يونانيا يقدم أشهر الأكلات اليونانية ، وكان رواده من كبار الضباط الأوربيين الذين يمارسون عملية النهب المنظم لمستعمرات أفريقيا ، واتسع الفندق وزادت ايراداتهما ، واشتريا مزرعة للبن وأخرى للشاي . وازدهرت بهما الأيام . وكل عام كانا يحلمان بالسفر الى موطنهما ، ويخططان لذلك ، ولكنه ظل حلما طيلة عشرين عاما . . سافرا بعدها لأول مرة الى بلدهما ، وهما يملكان كثيرا من المال وكثيرا من الشوق . . ولكن صدمتهما كانت كبيرة . لم يكن الوطن كما كان حلما في الذاكرة ، ولم تكن الأماكن والطرقات كما كانت محفورة في الذهن في مشهدها الأخير يوم ودعا الوطن ، لا الناس ولا الاصدقاء . لا الأهل . عالم جديد . غريب . غريب .

أحسا فيه بالغربة والوحشة وأنهما أصبحا جسما غريبا وسط عالم متجانس . . . حققت لهما نقودهما كل شيء الا الالتحام والتوافق مع البشر والمكان . . وعادا مرة أخرى ، على أمل العودة في عام قادم . ولكن العام القادم تأخر عشر سنوات . واستقل البلد الذي هاجرا اليه ، وتغيرت أمور كثيرة . . وفقد الأبيض جزءا كبيرا من سطوته ، ولكن المال الذي جمعاه عوض ما افتقداه من سطوة وقوة ، أصبح رواد المطعم كثيرين من الأفارقة ، وقليلين من البيض ، وأصبحت المشروعات مع بعض الأفارقة ، واثنين أو ثلاثة من البيض . تغير المجتمع من حولهما ، وأصبحا فيه أيضا غرباء . سافرا مرة أخرى للوطن . . ازداد التغير وضوحا ، وتكثف احساس الغربة منذ الأسبوع الأول ، لم يكملا اجازتهما . . عادا . مات الزوج ودفنته بجوارها في أفريقيا . . وورثت منه المزيد من الغربة والادراك بأنها صارت بلا وطن . الا حقيبة ثيابها ورصيدها بالبنوك . . فالوطن الذي حلمت به ذكريات وطرقات وأمكنة وأحلاما وعمرا . ضاع في سنوات السفر الطويل والغربة التي لاتنتهي

محمود عبدالوهاب

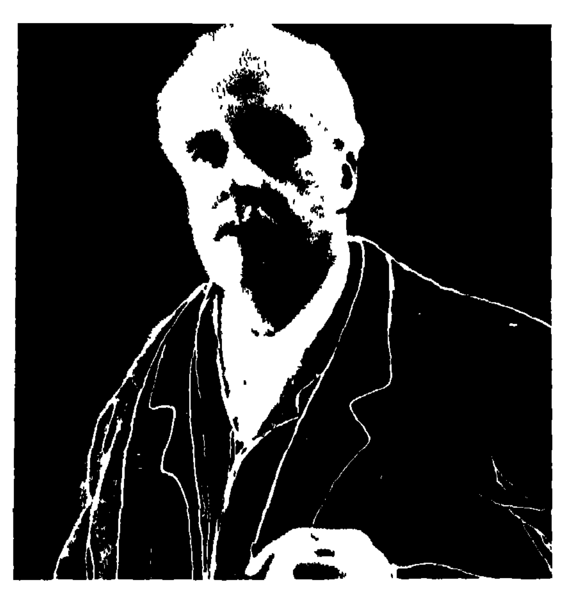


أكثر التصريحات السياسية شيوعاً في الأدبيات العربية، وأخطرها تأثيرا في التاريخ العربي الحديث ، هو نص التصريح الذي أعلنته الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في رسالة شهيرة الى اللورد روتشيلد يقول نصها : « عزيزي اللورد روتشيلد . . يسعدني كثيرا أن أنص اليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي : تعاطفا مع أماني اليهود والصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء ، فان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم بوضوح أنه لن يسمح بأي اجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الجماعات غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

وقد صدر هذا التصريح في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ ، وكان وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت هو جيمس أرثر بلفور (١٨٤٨ ـ ١٩٣٠) الذي نسب التصريح اليه ، ليس فقط لكونه هو الذي أعلنه ، ولكن لاسهامه في الحصول على موافقة مجلس الوزراء البريطاني على المبدأ ، الى درجة أن أدرج التصريح في وثيقة صك الانتداب البريطاني على فلسطين .

ولقد بدأت اهتمامات بلفور بالحركة الصهيونية منذ الصغر ، فقد تلقى تعليما مشبعا بتعاليم العهد القديم ، وهو من المسيحيين الصهاينة الذين يؤمنون ـ نتيجة لمعتقدات دينية ـ بضرورة عودة اليهود الى فلسطين وجبل صهيون ، تمهيدا لهدايتهم الى المسيحية ، وللخلاص النهائي لهم ، وبالتالي للبشرية جمعاء ، بعد أن يكونوا قد كفروا عن ذنبهم بصلب المسيح ، وفكرة الخلاص النهائي هذه هي التي منحت هذا الفريق من المسيحيين هذا القدر من التعصب للحركة الصهيونية ، وقد أثرت هذه التعاليم والثقافة في(ج. بلفور) طوال حياته ، واهتم بعد ذلك بالحركة اليهودية في الفترة من (١٩٠٢ ـ ١٩٠٥) . أثناء توليه منصب رئيس الوزراء ، وعندما بدأت موجات هجرة يهود شرق أوروبا تجتاح أوروبا الغربية ، وبخاصة بريطانيا ، عارضها بشدة ، واتخذ من موجات الهجرة موقفا حادا .

ثم التقى بالزعيم الصهيوني حاييم وايزمن ، ونشأت بينهما علاقة طيبة ، ولعب دورا مهماً في



استصدار الوعد ، متصورا انه يحقق واجبا دينيا وأهدافا سياسية ، تتمثل في ضغط اليهود على الرئيس الأمريكي ولسون لادخال الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى بجانب الحلفاء ، ومن ناحية أخرى تحقيق سيطرة بريطانيا على فلسطين ، كثمن لرعايتها للحركة الصهيونية فيها ، ثم ساعد بلفور الحركة الصهيونية في مؤتمرات السلم والصلح عقب الحرب العالمية ، حتى اشتملت معاهدات ١٩١٩ التي تم توزيع العالم فيها بين القوى المنتصرة ، على ضمان للصهاينة بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، وذلك - كما أسلفنا - بالنص في وثيقة صك الانتداب البريطاني ، وللحقيقة فان صدور الوعد المشئوم ليس انجازا لوزير الخارجية ، بقدر ما كان تتويجا لسياسات البرجوازية العالمية ، ورغبتها بزرع كيان استيطاني في فلسطين ، وهي الفكرة التي دعا اليها بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني عام (١٨٣٩) ، بعد أن أحست أوروبا بتهديد الجيوش العربية لعواصم أوروبا ، بقيادة محمد علي والي مصر الذي نجح في اقامة مشروع للدولة « العربية » القوية في التاريخ الحديث .

في ذلك الوقت كانت البرجوازية العالمية وكبار الرأسماليين لهم مصالح في دفع اليهود - سواء المقيمين أو المهاجرين من أوروبا الشرقية الى أوروبا الغربية - الى خارج أوروبا لتجنب منافسة اليهود الوافدين للبرجوازية الصغيرة في أوروبا الغربية ، خصوصاً أن اليهود - لظروف تاريخية كثيرة - كانوا يسيطرون على مقاليد التجارة وأعمال الصيرفة في أوروبا ، الأمر الذي لمس عصب الحركة الرأسمالية في مرحلة التحول الاقتصادي في أخريات القرن التاسع عشر ، أو أوائل القرن العشرين ، وقد حاولت الثورة البرجوازية الأوروبية كثيرا أن تحمل اليهود على الاندماج في الدولة الرأسمالية القوية ، والتخلي عن الاحتكارات المصرفية والتجارية ، والانتماء الى مجتمع رأسمالي كبير ، يكون نصيب اليهود فيه وفق قواعد اللعبة الاقتصادية ، وعندما فشلت محاولة البرجوازية مع اليهود ، كان البديل هو دفع اليهود لترك أوروبا الى فلسطين ، ليتحقق بذلك أكثر من هدف سياسي واقتصادي ، وقد توحدت هذه السياسات بهذا الوعد الذي أسهم في اصداره وزير خارجية محافظ متعصب صهيوني !

من شابه أباه !

كان ابراهام لنكولن محرر العبيد فى امريكا يسير فى الحديقة العامة كما تعود أن يفعل مساء كل يوم ومعه ولداه الصغيران ولكنهما كانا يبكيان في هذه المرة .

واقترب منه مواطن وسأله : « ماذا حدث لهما ؟ لماذا البكاء ؟

فقال لنكولن : « معى ثلاث قطع من الحلوى ، كل منهما يريد اثنين منها ! »

وفى هذه اللحظة مر صبى زنجى فأسرع الطفل الاصغر يقدم احدى قطع الحلوى الثلاث اليه ! واخذها ووقف الاثنان يرقبانه وهو يأكلها وقد توقفا تماما عن البكاء !

وقال الأب : « هل تعلمان ما الذى أنوى أن افعله الآن . . سأشترى لكما صندوقا مليئا بهذه الحلوى !! »

العربي - العدد ٣٣٦ - نوفمبر ١٩٨٦



بقلم : محمد خليفة التونسي

بَيْنَ البَدَلِ وَعَطْفِ البَيَانِ

السؤال الرابع والأخير من اسئلة السيد مغاوي موسى (العادلة . الجزائر) هو . «كل بدل يكون عطف بيان الا في حالتين . فما هما ؟ والصواب ان يقال . « كل عطف بيان يكون بدلا الا في حالتين . فما هما » ؟

ومعلوم أن التوابع في النحو العربي أربعة : النعت والتوكيد والبدل والعطف . ولا يعنينا منها هنا الا نوع من أنواع البدل ونوع من نوعي العطف . وانواع البدل اربعة : بدل كل من كل كقولنا : « اشتهر الامام علي بغزارة علمه » . وبدل بعض من كل كقولنا « تلألأت السماء نجومها » . وبدل اشتمال كقولنا « تعجبني الفتاة اخلاقها » . وبدل مباين كقولنا : « كتبت بالعصا القلم » . والعطف نوعان :

« عطف نسق » . ويكون بحروف العطف ملفوظة أو ملحوظة . فالملفوظة كقولنا : « من عبقريات العقاد عبقرية محمد . وعبقرية الصديق . وعبقرية عمر . وعبقرية الامام » والملحوظة كقولنا مع التنغيم والتقطيع بين المفردات : « من عبقريات العقاد . عبقرية محمد . عبقرية الصديق . عبقرية عمر . عبقرية الامام .

واما عطف البيان فكقولنا « العباس بن الأحنف شاعر عباسي » ولا يعنينا من كل ذلك الا « بدل الكل من الكل » لأن البدل فيه يطابق المبدل منه . ولذلك يسمى « البدل المطابق » . أو « بدل المطابقة » . ثم عطف البيان . وفيه يوضح العطف المعطوف عليه ويطابقه ايضا . ومن هنا تقترب هذان التابعان وتشابها معنى واعرابا . ولذلك يرى جمهور النحاة ان كل ما يعرب عطف بيان يمكن ان يعرب بدلا . ماعدا حالتين

(١) ان يكون التابع مفردا . والمتبوع منادى مبنيا على الضم كقولنا « يا استاذ محمودا » فكلمة محمودا لابد ان تعرب عندهم عطف بيان . ولا يجوز اعرابها بدلا . لأن البدل لابد ان يراعى معه تقدير تكرار العامل في متبوعه . بحيث يصح ان يوضع العامل قبل البدل ايضا دون ان يختل المعنى أو الاعراب . ولو كررنا هنا العامل « يا » مع التابع فقلنا « يا محمودا » لاختل الاعراب . لأن محمودا علم مفرد يجب ان يبنى على الضم فنقول « يامحمودُ » .

(٢) ان يكون التابع مجردا من « أل » والمتبوع مقترنا بها . مع اعرابه مضافا اليه . والمضاف اسم مشتق اضافته غير محضة كقولنا « أنا المكرم الضيف

سعدٍ » . فلابد عندهم من اعراب « سعد » عطف بيان . لاننا لو اعربناه بدلاً لاختل الاعراب . اذ لا يجوز ان نقول « أنا المكرم سعد » لأن المضاف في هذه الحالة وهو المكرم مقترن بأل فلا تجوز اضافته الى « سعد » . لتجرده من أل

واشتراط صلاحية تكرار العامل مع البدل في هاتين الحالتين تعسف لا مسوغ له . بل هو فرض وهمي محض لا جدوى منه . ولو كجدوى خطوط الطول والعرض الوهمية على الارض أو البروج في السماء وهذا الوهم وامثاله مما زاد النحو عندنا طولا وتعقيدا وتصعيبا .

ولم يتورط نحاتنا فيه الا لاغراقهم في الاعراب والعامل والاكثار من الشروط والقيود . وصدق الله العظيم « كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه » .

ورأيي اخيرا في المسألتين السابقتين كرأي العلامة الرضي . اذ يقول . « أنا إلى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل من الكل . وعطف البيان . بل ما أرى عطف البيان الا البدل » .

واضع كلمة « التقييم »

كنا قد نشرنا صفحة لغوية تحت هذا العنوان (العدد ٣٣١) وصححنا فيها ان كلمة « التقييم » فصيحة . وقلنا « لا ندري اول من اجتهد فاستعمل كلمة « التقييم » في عصرنا الحاضر . أخذا من كلمة « قيمة » على ما هي عليه فهي أفضل ترجمة متميزة لكلمة EVALUATION لبيان القيمة . ونحن نبارك هذا الاجتهاد ونستكثر منه »

وقد جاءتنا رسالة من الاستاذ الدكتور علي الراعي (الدقي / الجيزة / مصر) يذكر فيها أنه هو اول من استخدم هذه الكلمة في أوائل الاربعينيات . في بدء اشتغاله بالكتابة الأدبية . فشكرا له أولا وآخرا .

المرء بأصغريه

كان الصقب النهدي سيد بني نهد ومن أشرافهم ، قيل انه دخل يوما على النعمان بن المنذر ، فلما رآه ازدراه ونبت عينه عنه ، فقال : أأنت الصقب ؟ قال : نعم ، قال تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقال أبيت اللعن ، انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، اذا نطق ، نطق ببيان وان قاتل ، قاتل بجنان .

قال النعمان أخبرني يا أخا بني نهد عن السوءة السوءاء والداء العياء ؟ قال : السوءة السوءاء المرأة السليطة اللسان السلفع « الصخابة البذيئة » القصيرة ، التي تغضب من غير غضب ، وتعجب من غير عجب ، فصاحبها لا ينعم باله ، ولا يصلح حاله ، وان كان مقلا عيّرته ، وان كان ذا مال لم ينفعه ماله ، فتلك التي لا أراح الله منها بعلها ولا متع بها أهلها .

واما الداء العياء فجار السوء ، الذي ان خالطته ظلمك ، وان غبت عنه سبعك « شتمك » وان قاولته بهتك « كذبك » فاذا كان ذلك جارك فاخل له دارك ، وعجل منه فرارك ، فإن ضننت بالدار كنت كالكلب الهرار « كثير النباح » فأقمت بذل وصغار .

شعر

هكذا غنى الآباء

رحلة إلى ليلى السماوية

للشهرزوري

ولد الشهرزوري(٤٦٥هـ/١٠٧٢م) هو أبو محمد، عبدالله بن القاسم بن المظفر بن علي بن الشهرزوري، اشتهر بلقبه المرتضي، وهو بنسبته الشهرزوري أشهر، وشهرزور سهل كبير في منطقة كردستان، في شمالي العراق، وقد اشتهر كثير من أعلامنا بنسبهم اليها، ولكن شاعرنا أشهرهم بها، فهو المقصود بها حين تطلق، وهو من الموصل، وقد عرف كثير من أسرته - لا سيما أولاده وأحفاده - بالفقه والحديث والقضاء والوعظ والشعر، ترجم لبعضهم العماد الاصفهاني في كتابه «خريدة القصر»[1] وذكر نماذج من أشعارهم، فيها تصنع وضعف، كما ذكر لشاعرنا نحو ثلاثين مقطوعة لا تخلو من التكلف كمعظم الشعر في عصره، وقد أقام شاعرنا في بغداد مدة يشتغل بالفقه والحديث ثم رجع الى الموصل وتولى فيها القضاء، ورواية الحديث، الى جانب ما كان له من مواعظ رقيقة مليحة، وخير ما وجدنا من شعره هذه القصيدة (نقلناها من ترجمته في وفيات الأعيان)[2] وهي أشهر قصائده، والصوفيون مولعون بحفظها والتغني بها في مجالسهم، ولا سيما حلقات الذكر، فينتشون بها وجدا، ولا تظهر قوتها الا مع هذا الانشاد.

قال الشهرزوري:

لمعتْ نارُهم، وقد عسعسَ الليـ ... ـلُ وملَّ الحادي، وحارَ الدليلُ

فتأملتُها، وفكري من البَيْـ ... ـنِ عليلٌ، ولحظُ عيني كَليلُ

وفؤادي ذاكَ الفؤادُ المُعنَّى ... وغرامي ذاك الغرامُ الدخيلُ[3]

ثم قابلتها، وقلت لصحبي: ... «هذه النارُ نارُ ليلى فميلوا»

فرمَوْا نحوها لحاظاً صحيحا ... تٍ، فعادت خَواسئاً وهي حُولُ[4]

ثم مالوا الى الملامِ، وقالوا: ... «خُلَّبٌ ما رأيتَ، أم تخييلُ»[5]

فتجنبتهم، وملتُ اليها، ... والهوَى مركبي، وشوقي الزَّميلُ

ومعي صاحبٌ أتى يقتفي الآ ... ثارَ، والحب شرطُه التطفيلُ

وهيَ تعلو، ونحن ندنو إلى أن ... حجزَتْ دونها طُلولٌ مُحولُ

فدنونا من الطُّلولِ ، فحالَتْ ... زفراتٌ من دونها ، وغليلُ
قلت :« مَنْ بالديارُ؟ » قالوا : « جريحٌ ... وأسيرٌ مكبّلٌ ، وقتيلُ
ما الذي جئت تبتغي" قلت : « ضيفٌ ... جاء يبغي القِرَى ، فأين النزول ؟ »
فأشارتْ بالرحْب :"دُونَك ، فاعقرْ ... هَا ، فما عندنا لضيفٍ رحيلُ
من أتانا ألقى عصا السير عنهُ ... قلت : « من لي بها ؟ وأين السبيلُ ؟ »
فحَطَطنا الى منازلِ قومٍ ... صرعَتْهُم قبلَ المذاقِ الشمولُ(٦)
درسَ الوجدُ منهمُ كلَّ رسمٍ ... فهو رسمٌ ، والقومُ فيه حلولُ
منهمُ من عَفى ، ولم يبقَ للشـ ... ـكوى ولا للدموعِ فيه مَقيلُ
ليس إلا الأنفاسُ تخبِر عنه ... وهْوَ عنها مُبَرّأٌ معزولُ
ومن القومِ مَن يشيرُ الى وجـ ... ـد تَبقّى عليه منه القليلُ
ولكلٍّ منهمْ رأيت مَقاماً ... شرحُه في الكتابِ مما يطولُ
قلتُ : « أهلَ الهوى سلامٌ عليكمْ ... لي فؤادٌ عنكمْ بكمْ مشغولُ
وجفونٌ قد قرَّحَتْها مع الدمـ ... ـع حنيناً الى لقاكم ـ سُيولُ
لم يزل حافزٌ من الشوقِ يحدو ... بي إليكم ، والحادثاتُ تحولُ
واعتذاري ذنبٌ ، فهل عندَ من يعـ ... ـلمُ عذري في ترك عُذري ـ قبولُ
جئتُ كي أصطلي ، فهل لي إلى نا ... ركمُ هذه الغداةَ ـ سبيلُ ؟ »
فأجابت شواهدُ الحال عنهمْ : ... كلُّ حدٍّ من دونها مفلولُ
لا تروقنَّك الرياضُ الأنيقا ... تُ فمن دُونِها رُبىً ودُحولُ(٧)
كم أتاها قوم على غِرّةٍ منـ ... ـها ، وراموا أمراً فعزَّ الوصولُ
وقفوا شاخصينَ حتى اذا ما ... لاح للوصلِ غُرّةٌ وحجولُ
وبدت رايةُ الوفا بيد الوجـ ... ـد»ونادى أهلُ الحقائق : « جُولوا
أين مَنْ كان يدّعينا فهذا اليو ... مُ فيه صِبغُ الدعاوي يحولُ »
حملوا حملةَ الفحول ، ولا يصـ ... ـدعُ يوم اللقاء إلا الفحولُ
بذلوا أنفساً سخَتْ حين شحَّت ... بوصالٍ ، واستُصغِر المبذولُ
ثم غابوا من بعدما اقتحموها ... بين أمواجها ، وجاءت سُيولُ
قذفَتْهمْ الى الرُّسوم ، فكلٌّ ... دمُه في طُلولها مطلولُ(٨)
نارُنا هذه تضيءُ لمن يسـ ... ـري بليلٍ ، لكنها لا تُنيلُ
مُنتهَى الحظِّ ما تزوَّد منه الـ ... ـلحظُ والمدركونَ ذاك قليلُ
جاءها من عرفتُ يبغي اقتباساً ... وله البَسْطُ عندنا والسُّولُ(٩)
فتعالت عن المنالِ وعزّتْ ... عن دنوٍّ اليه ، وهو رسولُ
فوقفنا كما عهدتُ حيارَى ... كلُّ عزمٍ من دونها مخذولُ
ندفع الوقت بالرجاء ، وناهيك ... بقلبٍ غذاؤه التعليلُ
كلما ذاق كأس يأسٍ مريرٍ ... جاء كأسٌ من الرجا معسولُ
فاذا سوَّلت له النفسُ أمراً ... حيدَ عنه ، وقيلَ : « صبرٌ جميلُ »
هذه حالُنا ، وما وصل العلـ ... ـمُ إليه وكلُّ حالٍ تحولُ

---

(١) انظر حريدة القصر/ قسم شعراء الشام (٢) وفيات الاعيان لابن خلكان

(٣) الدخيل : العميق (٤) خواسيء : ضعيفة (٥) الخلب : الخادع

(٦) الشمول : الخمر ذات الرائحة القوية (٧) دحول : حفر مائية ، المفرد دحْل

(٨) دم مطلول : مُهدر لا يؤخذ ثاره (٩) البسط : السعة ، والسول : المطلوب

درس في القراءة

شعر : الياس لحود



في ذات يوم
ذاتِ صُبْح لمْ تُعَكِّرْهُ القذائفُ
بَعد الدُّخولِ الى الصفوفِ
وبعدَ ترتيب الكُتُبْ
عبرتْ مُناظِرةُ الدّروس من الزُّجاجِ
وأومأت بكتاب جبرانَ « العواصفْ »
أنْ حانَ وقتُ الابتداء

.. بدأتْ مراجعةُ القراءةِ / والقراءةُ كلُّ درس الأمس
عن « لبنان في تاريخهِ » والأسئلة

قالتْ مُعلِّمتي قفي
فوقفتُ بينَ الطاولات كأنَّني بين السُّحُبْ
وبدأتُ أقرأُ :

.. قطعة من قلب هذا الشرقِ
.. منْ شمْس العرَبْ
.. أمّ اللغاتِ هنا وأوَّلُ مدرسة »
حتى وصلتُ الى : « السِّنين المُقبِلة »
وعلا انفجارٌ حول مدرستي
سقطتُ مع الكتاب معَ « السنين المقبلة »
وخريطةٍ وقعَتْ عَليَّ من الكلامْ
قالت معلمتي : قفي
ووقفتُ تحت الدَّرس أبحث عن رُكامْ
حتى عَلَوْتُ على السُّطورِ إلى « السنين .. المقبلة »
ورأيتُ في العنوان بركاناً من النَّحلِ الضريرِ
صرختُ : مَنْ ؟



وركضْتُ نحو البابِ أفتحُهُ فلا أجدْ « الوطنْ »
لأعود وجهي دمعتان من الشِّفاهِ الى الحروف
صاحت معلمتي : إلى اللوح . اكتبي لي جملةً اسميةً مستعمله
كلمات هذا الدرس . قلت : كما أريدُ ؟؟ فردَّدتْ .
اسميَّة . . وكتبتُ فوقَ اللَّوحِ بالطبشور أحرقهُ الزَّمن
« أمي معلمتـ(ي) الوطن»
وعلا انفجارٌ قرب مدرستي
سقطتُ مع الطباشير الصغيرة
صرخت معلمتي . قفي حالاً . لماذا الياء في
« أمي معلمتـ(ي) الوطن »
فنهضتُ جمَّعت ارتجافاتي ولملمت الحكايا
ووقفتُ تحتَ اللَّوح أكتبُ بالبقايا
- أمي معلَّمةُ الوطن

وعلا انفجار قربَ مدخلِ بيتنا
ورأيتُ أُمّي في الدُّخانِ على ارتجافاتِ المدينة
وبكيت تحت اللوح . صلَّينا ولكني بكيْتِ بكيتُ
صلَّيْنا ولكني سقطتُ مع البكاء على الوطنْ

وكتبتُ بالدَّمعِ المُنشِّفِ فوق تربتِه الحزينة :
« أمي معلمةُ الربيع إليك في هذا العذاب »

ووقفتُ

علَّقتُ الخريطةَ فوق بابِ الصفِّ أمسكتُ الكتاب
ومسحْتُ دمعي بالوطنْ

أقوال


كلود شيسون


ديجول


كورت فالدهايم

■ مهمة الكاتب أن يكتب فقط ، أما حياته الخاصة فهي ملك له وحده ، إلا إذا وجد فيها شيئا يهم الناس !
« صموئيل بيكيت »

■ الرجل العظيم يحب البطء في أقواله والسرعة في أعماله
« كونفوشيوس »

■ العمر لا يقاس بعدد السنين ، ولكن بما تحمل به هذه السنين من عطاء يثريها وينميها .
« حكمة هندية »

■ دول الخليج رفضت أي وجود عسكري للقوتين العظميين ، لأنها لا تريد أن تكون رهينة في يد أي منهما .
« كلود شيسون »

■ إذا أردت أن تعرف ما يحدث في بلدك فارحل بعيدا عنه !
« ديجول »

■ ريجان يعتمد على التجربة والخطأ ، وأوروبا تشوف يستفيد من اضطراب التفكير الأمريكي
« لوس انجلوس تايمز »

■ تسلق الجبال الوعرة يحتاج الى خطى حذرة متمهلة .
« شكسبير »

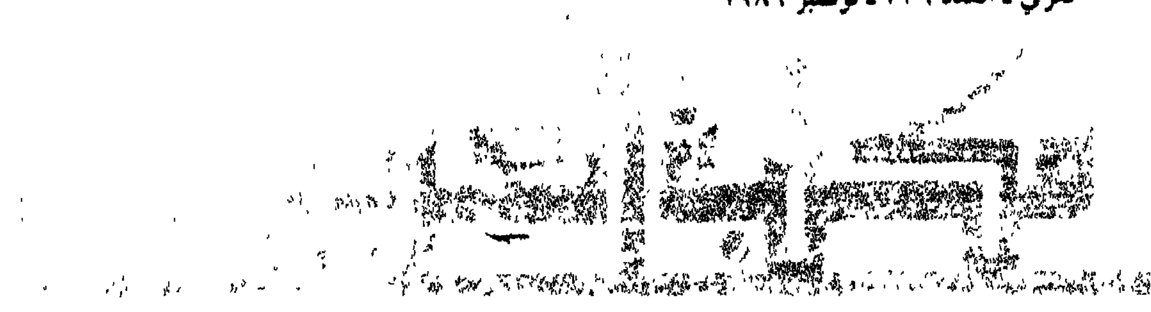
■ الدول الفقيرة تزداد فقراً، والدول الغنية تقف متفرجة .. إن الجنوب يغرق وإذا ابتلعته أمواج الفقر ، فسوف ينتهي العالم !
« كورت فالدهايم »

■ أجود أنواع المساحيق التي يمكن أن تستخدمها المرأة في تجميل وجهها ، هي شعورها بالسعادة .
« كاترين العظمى »

■ عندما كنت صغيرا ، تمنيت أن أكون كبيرا ، فلما كبرت عاودني الحنين الى شبابي
« هوجو »

■ الغضب ريح عاتية تعصف بالعقل .
« صموئيل جونسون »

■ إننا نحب الورد رغم الأشواك التي تعانقه .. وهكذا الحياة !
« لامارتين »





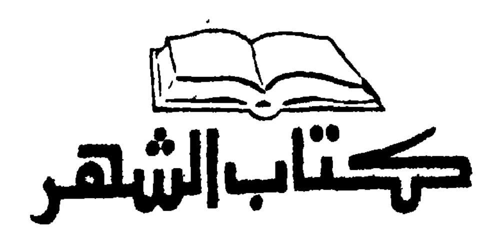
في كتاب صيني من العصور الوسطى

بقلم : الدكتور نقولا زيادة

في عام ١٩١١ نقل رجلان انكليزيان كتابا من الصينية الى الانكليزية ، وطبع الكتاب في مدينة بطرسبورغ التي أصبحت فيما بعد لينينغراد ، وفي الكتاب وصف لديار العرب ، استقاه مؤلفه الصيني من التجار العرب الذين كانوا يصلون الى الميناء الذي يعمل فيه ، كان ذلك في القرن الثالث عشر ، أما اسم الكتاب فهو « وصف الشعوب الأجنبية » .

نشطت العلاقات التجارية بين الصين وديار العرب بدءا من القرن السادس للميلاد بشكل خاص ، وكانت جزيرة سرنديب (سيلان ، سري لانكا) هي مركز التجمع للتجار العرب من جهة ، والتجار الذين كانوا يحملون المتاجر الصينية (بحرا) من الجهة الأخرى ، وقد تنوعت السلع المحمولة من الفريقين ، وكان أهمها ـ من المشرق ـ : الحرير الصيني خيوطا ونسيجا ، والخزف الصيني ، والقيشاني ، والتوابل الآتية من جزر الهند الشرقية « اندونيسيا » ، أما من الغرب فقد كان البخور العربي والافريقي والذبل وقرن وحيد القرن والعاج في مقدمة مايحمل ، وكانت سلع الشرق على العموم أكبر قيمة ـ يومها ـ على نحو ماكانت عليه أيام الرومان ، وكان الغرب ـ على ايدي التجار العرب ـ يدفع الفرق بالفضة ، كما كان يدفعها قبلا (أيام الرومان) بالذهب والفضة .

وبالرغم مما كان هناك من نشاط تجاري ، فاننا لانعرف أن الصينيين خرجوا من ديارهم ليتعرفوا حتى على الأقطار القريبة منهم ، بله ديار العرب ، على



نحو مامعرف من وصول سليمان التاجر الى كشون (خانفو أو كوانغ تشو) ووصفه للطريق البحري وللميناء ، وذلك في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي

وصف الشعوب الأجنبية

ولذلك فاننا نسر عندما نعثر على كتاب يتحدث عن ديار العرب والمتاجر التي تحمل منها الى الصين . والكتاب اسمه بالصينية (تشو - فان تشي) ومعناه «وصف الشعوب الأجنبية» . أما مؤلفه فهو (تشو حو كوا) ، ويعود وضع الكتاب الى القرن الثالث عشر .

وهذا الكتاب استقى مؤلفه مادته من التجار الذين كانوا يحملون بضائعهم الى الميناء الذي كان هو يعمل فيه ، وهو ميناء زيتون (تسيوان - تشو) ، وكان (حو - كوا) يشغل منصب مراقب التجارة البحرية هناك . وقد كانت ثمة موانىء أخرى فيها مثل هذا المنصب ، لكن مؤلفنا حصل على مالديه من المعلومات والأخبار من التجار الذين هبطوا ميناءه . فقد كان على التجار الذين يصلون الميناء أن يبادروا الى تسجيل مالديهم من بضائع ، وكان عليهم أن ينتظروا حتى تصل آخر السفن في الموسم التجاري المعين . كان مراقب التجارة يقتطع ٣٠٪ من المتاجر عينا هي رسوم الميناء ، ويعطي لممثل الامبراطور الحق في أن يختار ما يراه مناسبا لسيده من المتاجر ، وكان يدفع ثمنها ، قبل أن تعرض للبيع ، وعندما ينوي التجار الخروج من الميناء ومعهم ما ابتاعوه من السلع ، كان عليهم أن يقدموا البيانات اللازمة للمراقب ، ثم يترتب عليهم أن يدفعوا رسوم التصدير ، قبل أن يؤذن لهم بالسفر

وفي هاتين الحالتين كان المؤلف يتعرف على التجار ويدون أسماء بلادهم ومايحملون معهم من السلع . وهذه المعلومات هي التي دونها في كتابه .

والكتاب قسمان : يتناول المؤلف في الأول منهما الأقطار والشعوب التي تحمل متاجرها الى زيتون ، والثاني يتحدث عن المتاجر نفسها

وفيما يتعلق بالاقطار والشعوب ، فان (حو - كو) يبدأ بأقطار آسيا القريبة من جنوب الصين ، ثم يتحدث عن كمبوديا فالملايو وسيلان والهند ، ثم ينتقل الى البلاد العربية معددا الموانىء والمدن المهمة ، وهي صحار وعمان ومخا وبغداد والموصل ومصر والاسكندرية ، ويشير الى المغرب الأقصى ، وتشغل أخبار هذه المدن (مع جزيرة قيس في الخليج العربي والصومال وآسيا الصغرى) أكثر من ربع القسم الأول

أما فيما يتعلق بالقسم الثاني - أي المتاجر - فان المؤلف يذكر ثلاثة عشر نوعا من البخور تنقل الى الصين . وفضلا عن تعداد هذه المتاجر وذكرها مفردة ، فانه يعطينا وصفا لطبيعتها وسبل استخدامها ان كانت طبيعية أو مركبة أو عقاقير أو طيوبا

اضطراب الجغرافيا والتاريخ

بلاد العرب والعرب وديار الاسلام والمسلمين يشير المؤلف اليها باسم (تا - شي) (وهو يستعمل هذه التسمية أحيانا للجاليات العربية والاسلامية المقيمة في جاوة وسومطرة) ويقول عن تلك الديار ، « وانها بعيدة عن الصين مسافة كبيرة » ويدلل على ذلك بالاشارة الى أن السفن تحتاج الى مدة تتراوح بين



١٢٠ و ١٣٠ يوما كي تصل الى سيلان (من زيتون) .

ومن الطبيعي أن تكون معلومات (جو - كوا) مضطربة من حيث الجغرافية ، فهو ينقل معلوماته عن بحارة وتجار لم يكن دوما باستطاعتهم أن يزودوه بالأخبار الدقيقة ، لكنها أشد اضطرابا واختلاطا من حيث التاريخ ، ولعل الحدث التاريخي الوحيد الذي لم يخطيء فيه جو - كوا ، أو لعله لم يخطيء في نقله هو أن النبي (ﷺ) ولد في مكة ، وأن الكعبة فيها ، وأنها تكسى بالديباج مرة في السنة .

يحدثنا المؤلف عن مرباط (في الجنوب العربي) ويقول ان بعض بيوتها يتكون من خمسة أدوار ، ويؤكد (جو - كوا) على نشاط التجارة بين عمان والبصرة ، ويتحدث عن قوة العرب ونشاطهم .

ومن البضائع التي يذكرها المؤلف نشير الى البخور بأصنافه وأجودها ما حمل من ظفار والشمر ، ودم الأخوين والذبل (من سوقطرى) ، والزبد (من الحبشة وجنوب الجزيرة) والعاج (من افريقيا) واللؤلؤ ، والجيد منه كان الغواصون يستخرجونه من جزيرة أوال (البحرين) .

ويبين المؤلف المتاجر التي كان التجار العرب ينقلونها من الموانيء العربية (في الخليج العربي وخليج عمان والبحر الأحمر) ولكنها أصلا آتية من الداخل أو من بلاد بعيدة مثل المرجان المحمول من البحر المتوسط ، والبلور الذي كان يصنع - حسب روايته - في بغداد والشام ، وهذا البلور أفضل مما يصنع في الصين ، لأن الصناع في (تارشي) يضيفون (البوراكس) الى المواد الخام ، لذلك يكون أنقى وأنصع من البلور الصيني .

هذا الكتاب نقله الى اللغة الانجليزية (مع هوامش مفصلة فردرك هيرث وزميله و . و . ريكهل وطبع سنة ١٩١١ في سان بطرسبورغ (لينينغراد اليوم) .

على أن هذا الموقف من الأقطار الخارجية تبدل الى درجة كبيرة أيام أسرة (منغ) التي حكمت الصين من سنة ١٣٦٨ الى سنة ١٦٤٤ .

الكونفوشية والتجارة

ولابد لنا ان نشير هنا الى موقف الصين الرسمي ، أي موقف الامبراطور والحاشية من التجارة ، ذلك بأن النظرية الكونفوشية كانت تعتبر العمل بالتجارة محطا ولايليق بابن ماء السماء ، ومع ذلك فان العمل بالتجارة في البلاد كان يتطلب اذنا من الامبراطور ، والامبراطور كان شديد الحرص على هذه السلع الكمالية التي كان البلاط والحاشية والأمراء وكبار التجار يتشوقون اليها ، وهنا جاء الحل - العملي في نظرهم - وهو أن هؤلاء التجار الذين بدأوا يحملون المتاجر من الصين واليها ، في القرن الأول للميلاد ، انما كانوا يحملون ضرائب للامبراطور . واذن فزياراتهم كانت لتقديم الطاعة واظهار الخضوع ، وعندها كان الامبراطور يتلطف ويسمح لهم بالاتجار في بلاده . أي بالاستمرار في حمل الضرائب الى البلاط الامبراطوري !

ولذلك لما خرج الصينيون - أخيرا - الى البلاد المختلفة ، القريبة أولا ثم النائية ، فانهم خرجوا ليسروا الحماية للبلاد التي أظهرت الخضوع للصين ، ولعل هذا مايفسر هذا الظهور ، أو الخروج بشكل ضخم .

ذلك أن الصين أرسلت في الثلث الأول من القرن الخامس عشر ، سبع حملات بحرية لتفقد هذه الأماكن التي كانت تتاجر ، أو يمكن أن تتاجر مع الصين ، وقد كانت بعض الأساطيل (في الحملة الواحدة) تتكون من اثنين وستين مركبا مختلفة الحجوم والأصناف ، وقد اشترك فيها سبعة وثلاثون ألف رجل بين مقاتل وبحار ، وقد وصلت ثلاث من

هذه الحملات السبع الى غرب المحيط الهندي ، وألقت مراسيها في هرمز وفي عدن وفي مخا (على البحر الأحمر) .

وقد وضعت هذه الأساطيل في الحملات بأجمعها تحت قيادة صيني مسلم من ولاية يونان ، كان خصيا في بلاطالامبراطور ، وكان اسمه (تشنغ هو) وقد دون هو أخبار الحملات جميعها في تقارير رفعت الى الامبراطور ، ثم وضعت في الارشيف الرسمي ، لكن هذه اختفت فيما بعد ، وقد يكون الأمر متعمدا ، فقد لاحظ الذين درسوا الأرشيف الصيني تكرار مثل هذه الحوادث في دور المحفوظات (حتى الملكية منها) ، ذلك أن الغيرة والحسد يحملان رجلا فاشلا في محاولاته ، على اتلاف تقارير الناجحين ، وهكذا فان ما دونه (تشنغ هو) ، فقد بأكمله ، الا أن نقشا طويلا نسبيا وضع في الميناء الذي كان نقطة انطلاق للحملات البحرية ، وهذا النقش يحوي خلاصة للحملات من حيث اعداد السفن وعدد الرجال والأماكن التي تمت زيارتها وبعض المعلومات عن تلك الأماكن ، هذا كل مالدينا من معلومات مباشرة عن هذه الحملات .

ففيه نقرأ . « أن البلاد التي تقع خلف الأفق ، وفي أطراف الأرض ، قد قبلت جميعها أن تكون تابعة للامبراطور (وذلك لأن تجارها حملوا الضرائب الى البلاط) ولأن الامبراطور كان راضيا عن ولائهم قابلا باخلاصهم ، فانه أمر (تشنغ هو) وغيره بان يتولوا قيادة عشرات الآلاف من الضباط والجنود ، وأن يكونوا في سفن القيادة ، وأن يتجهوا الى تلك البلاد حاملين لها هدايا من الامبراطور . »

في استقبال الزرافة

ولو أننا كنا نملك التقارير الأصلية ، لكنا حصلنا على الكثير من المعلومات ، لكن مالدينا قليل ، الا أن التقارير التي كتبها أربعة من الخصيان الذين كانوا في حاشية القائد تعوض علينا قسما لايستهان به من الخسارة ، وبعض هذه المدونات تحوي خرائط للمناطق التي زارتها الأساطيل .

هناك أمر مهم ترتب على ارسال هذه الحملات ، وفي الواقع فقد حدث هذا بعد عودة الحملة الأولى ، يومها فتحت مدرسة خاصة لتعلم اللغات التي يستعملها سكان البلاد التي زارتها الحملة ، والمزمع زيارتها فيما بعد ، وقد استمرت هذه المؤسسة في عملها قرونا طويلة ، ولاتزال بعض خزائن الكتب الصينية تحتفظ ببعض الكتب الثنائية اللغة (الصينية مع لغة أخرى) ، لكن لم يعثر بعد على كتب ثنائية اللغة بالنسبة للغة العربية .

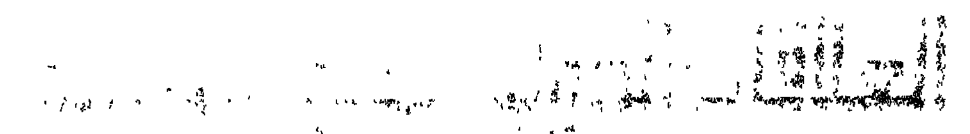
وقد كان للزرافة دور خاص في ذلك ، فالزرافة تسمى بلغة الصومال حرين ، وهذا الكلمة تلفظ بالصينية جلين أو شيلن (لأن اللغة الصينية لم تعرف حرف الراء ، ويستبدل دوما حرف اللام به) ، وكلمة حلين أو شيلن الصينية تعني الحيوان الخرافي الذي له جسم حصان ورأسه ، وخلفيتا وعل ، ويتوسط جبهته قرن واحد . (يسمى باللغة الانجليزية يونيكورن unicorn) وهذا هو حيوان الحظ عند الصينيين ، فوصوله الى مكان مافي الصين كان دليلا على أن الحظ سيطل على البلاد ، فضلا عن أنه يعني أن الامبراطور هو (يومها) رمز الفضيلة ، وهذا أيضا علامة خير للبلاد والعباد .

وبسبب من هذا الالتباس في اللفظ والتسمية اعتبرت الزرافة التي حملت الى الصين من « ملندة » في شرق افريقية حدثا خاصا في تاريخ الصين يومها .

فلما وصلت الزرافة (سنة ١٤١٤) خرج الامبراطور الى الباب الرئيس لاستقبالها ، وخرج رجال الدولة معه .

وهل ثمة هدية أكبر من هذه يبعث بها أولئك الذين كانوا يريدون توثيق العلاقات التجارية مع الصين فيما كان القصر يرى في تقربهم منه رغبة في اظهار الولاء والاخلاص له ! □

من المكتبة العربية



أول تقرير استراتيجي عربي

عرض / نجاح عمر

لفترة طويلة .. ومنذ أن انتبه الوطن العربي الى الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية .. ومراكز الابحاث والمعاهد الأجنبية المتخصصة تركز كل جهدها لرصد مايجرى على هذه البقعة المهمة من العالم الثالث

عشرات بل مئات الدراسات والأبحاث والتقارير التي صدرت مستترة وراء قناع من موضوعية البحث والحياد العلمي . كانت جميعها وعلى اختلاف مصادرها - قد وضعت لخدمة إدارة الصراع في العالم الثالث والمنطقة العربية ، كجزء متميز من هذا العالم لصالح القوى الأجنبية

لهذا السبب . ولأسباب أخرى تدخل في منهجية النموذج الغربي للدراسات الاستراتيجية ، تصاعدت الدعوة لصياغة مفهوم جديد للاستراتيجية والدراسات الاستراتيجية ، يعتمد في الأساس على الملامح المميزة لمشاكل العالم النامي ، ذلك العالم الذي مازالت تشغله قضايا السيادة الشرعية ، وأزمة المشاركة السياسية ، والافتقار الى الموارد ومشاكل بناء الدولة بشكل عام .

من هنا كانت الحاجة الملحة الى صياغة نموذج جديد للتفكير الاستراتيجي .

ويمكن القول أن تباشير ذلك قد بدأت بانشاء المراكز الجديدة في اطار بعض الجامعات العربية

في عمان أنشىء مركز للدراسات الاستراتيجية بالجامعة الاردنية ، وفي بغداد يوجد مشروع إنشاء مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة المستنصرية بالعراق ، وفي القاهرة يواصل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الاهرام دوره في تقديم بحوث علمية للتطورات والصراعات ذات التأثير في الشرق الأوسط عامه . وعلى الصراع العربي الاسرائيلي بصفة خاصة

الاستراتيجية والصراع

على الرغم من أهمية القضايا والموضوعات التي طرحها التقرير الاستراتيجي العربي الأول الا أن المدقق في خريطة الواقع العربي - كما رسمها التقرير -

سوف يقف طويلا أمام تلك المساحة الشاسعه التي يحتلها الصراع في هذه البؤرة المتوترة من العالم الثالث

مبررات ذلك . . قد ترجع الى الهدف المحدد من التقرير وهو « محاولة إبراز الجوانب التي تستحق التأمل والتحليل لدي الحكم على الاوضاع العربيه الراهنه التي لايصح ان يصور رأي أو برنامج أو توجيه بدون وضعها في الاعتبار »

و ربما لأن هذا هو الواقع الفعلي للوطن العربي ، التفتت والتجزئة التي امتدت طوال السنوات الماضية التي كانت سمة مميزة من سمات المجتمع العربي

والذي لاشك فيه أن الصراع العربي الاسرائيلي هو الصراع الأساسي في المنطقة العربية ، لكن ذلك وتلك من نقاط الضعف التي لم تمنع وجود صراعات أخرى بعضها داخلي ، اي بين أبناء الوطن الواحد ، وبعضها خارجي . أي بين قطر ما وجيرانه ، لكنها على اختلافها تعكس نفسها بصوره سلبية على الصراع « الأم » العربي الاسرائيلي ، فكل نقص في القدرات العربية هو بالضرورة إضافة الى قدرات وامكانيات الطرف الآخر ، لذلك لم يغفل التقرير الاسرائيلي في رؤيته لهذه الصراعات ان يسجل تأثيرها على الصراع العربي الاسرائيلي

أما الملاحظات الأساسية على هذه النزاعات العربية/العربية هي أنها تزول تماما في حالة توحيد الدول العربية

وانها في معظمها اما نزاعات طائفية أو نزاعات حدود مما يؤكد أن الصراع العربي الاسرائيلي ليس فقط مواجهة عسكرية لكنه أيضا مواجهة داخل البلدان العربية ، بخلق أنواع متعدده من الصراعات الداخلية ، تضاف في النهاية الى القدرات الاسرائيلية ، عند حسابات استراتيجية الصراع العربي الاسرائيلي

الجانب الآخر من الصورة

الصورة ليست قاتمة تماما ، وكما توجد مواطن ضعف توجد أيضا هياكل قوة في الوطن العربي ، وهي كما جاءت في التقرير الاستراتيجي العربي الأول يمكن تلخيصها في . -

درجة متوسطة من الانتشار المكافىء والوعي لموارد القوة ، مما يعطي أساسا لتكوين نظام توازن القوى أو تعددية الأقطاب ، فمن ناحية عدد السكان نجد أن ٧٢,٥/ منهم يعيشون في خمس دول فقط من اجمالي ١٨ دوله عربيه وسبع دول تشتمل على ٩٠.٦/ من اجمالي عدد السكان في الدول الثماني عشرة ، وترتيب هذه الدول هي مصر ٢٥.٧/ من سكان الوطن العربي ، ثم المغرب والجزائر والسودان بنسبة ١١.٧ لكل منها ، ثم يأتي بعد ذلك العراق ٨.٢/ ثم سوريا والسعوديه

ومهما يكن من أمر فلو نظرنا إلى حجم الجيوش العاملة حتى اول يوليه ١٩٨٥ لوجدناها موزعه بين ثلاث دول فقط تحتفظ بـ ٦٣.٦/ من اجمالي حجم القوات المسلحة في ١٨ دولة عربيه . وهذه الدول هي العراق ٢٤/ ، مصر ٢٠.٧/ ، سوريا ١٨.٧/ فاذا أضفنا المغرب والجزائر لأصبح نصيب خمس دول نحو ٧٨.٤/ من اجمالي حجم القوات العسكرية المتواجدة في الوطن العربي

ويلاحظ أن ترتيب الدول يختلف كثيرا بين نصيبها في عدد السكان وحجم الجيوش العامله فيها وذلك نتيجة لمستوى التعبئه الكبير في كل من سوريا والعراق

ويعطينا حجم أنظمه التسليح الحديثه مؤشرا اخر للقوة العسكرية ، فاذا اعتمدنا على عدد الدبابات وطائرات القتال ، فاننا نحصل على ترتيب آخر فهناك خمس دول عربية تحتفظ بنحو ٨٣.٨/ من حيازة الوطن العربي للدبابات ، وهي سوريا ٢٥.٧/ ، العراق ـ ٢٢.٩/ ، ليبيا ١٧.١/ ، مصر ١٣.٢/ الأردن ٤.٩/ ، أما من حيث عدد طائرات القتال فان الدول العربية الخمس الأولى تمتلك نحو ٧٢.٦ من اجمالي مايملكه الوطن العربي

وخلاصة القول أن البلدان العربية الأكثر تمتعا بموارد القوة العسكرية في الوطن العربي هي على الترتيب . العراق ، مصر ، سوريا ليبيا الجزائر ثم السعودية والمغرب والأردن

وبالطبع سوف نجد أنفسنا أمام توزيع مختلف اذا ما تطرقنا الى الناحية الاقتصاديه □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة
(مساهمة نحو فهم أفضل)
المؤلف / الدكتور رمزي زكي .
الناشر / دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات / ١٣٠ من القطع الكبير

يضم هذا الكتاب ثلاثة أبحاث قدمها الدكتور رمزي زكي في الحلقة النقاشية للمعهد العربي للتخطيط بالكويت عام ١٩٨٤/٨٥

ينطلق الدكتور رمزي زكي من حقيقة أن العالم الرأسمالي يعيش منذ السبعينيات من هذا القرن أزمة طاحنة تعيد للأذهان أزمة الكساد الكبير في بداية الثلاثينيات ، وما تلا ذلك من هزيمة للمدرسة الكينزية التي ساعدت العالم الرأسمالي على تجاوز أزمته من الثلاثينيات وحتى نهاية الستينيات ، ثم يستعرض المدارس الاقتصادية الرأسمالية التي جاءت على انقاض الكينزية لتفسير ما عجزت عنه هذه المدرسة ، ويلقي ضوءا على كل من المدرسة النقدية والاصلاحية والراديكالية ، مع تركيز على الأولى باعتبارها الأهم والأخطر من بين هذه المدارس الثلاث ، ولا ينسى أن يربط الدكتور رمزي كل ذلك بالتغيرات السياسية على الصعيد العالمي ، ليقدم شرحا مبسطا لواحدة من أهم الأزمات التي تؤثر بشكل مباشر على الأوضاع الاقتصادية في وطننا العربي .

الكتاب / في الرواية الفلسطينية
المؤلف / فخري صالح .
الناشر / مؤسسة دار الكتاب الحديث ـ بيروت

عدد الصفحات / ١٥٨ من القطع الصغير

يطمح هذا الكتاب الى الاجابة عن سؤالين حدد الكاتب أولهما بالتساؤل حول وجود رواية فلسطينية تمتلك خصوصيتها وشكلها الخاص بها والثاني حول موضع الرواية الفلسطينية من الرواية العربية عموما ، وللاجابة عن هذين السؤالين ، يبدأ فخري صالح رحلته مع الروايات الفلسطينية التي درسها باعتبارها أيديولوجيا كما هي لدى غسان كنفاني ، ونوعا من كتابة الجراح كما هي عند أميل حبيبي ، ثم كتابة الحدث التاريخي ، كما هي عند رشاد أبو شاور ، وينتقل الى دراسة روايات كتبتها ليانة بدر وسحر خليفة والكاتبة السورية حميدة نعنع

وخلال جولته في عوالم الرواية الفلسطينية لا ينسى الكاتب أن يفرد فصلا تحت عنوان اشكالية الرواية الفلسطينية تحت الاحتلال ، ويختار ثلاث روايات لسميح القاسم وعلى الخليلي وغريب عسقلاني .

الكتاب / ١٠٠ يوم في معتقل أنصار .
المؤلف / سعدون حسين .
الناشر / مؤسسة الرؤى للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .
عدد الصفحات / ٢٠٦ من القطع المتوسط

مع دخول القوات الصهيونية الغازية الى بيروت ، دحل العدو الصهيوني أطول حروبه وأكثرها تكلفة ، ومثلما فعل اسلافهم النازيون اثناء الحرب العالمية الثانية ، قام الغزاة بجمع الأسرى في معسكرات اعتقال كبيرة كان أكثرها « شهرة » معتقل انصار

عن فترة الاعتقال التي امتزجت فيها البطولة والاصرار على التحدي بمواقف الضعف الانساني التي تنتاب هؤلاء الساكنين وراء الأسلاك الشائكة ، كتب سعدون حسين الذي كان واحدا من آلاف ضمهم المعتقل الكبير .

وربما كانت ميزة هذا الكتاب الذي قدم له المفكر اللبناني المعروف حسين مرة ، هو انه رسم صورة الانسان العادي في مواجهة سلطة غاشمة ، لم تستطع بما تملكه من آلة قهرية أن تقضي على ارادة النصر في هذا الانسان .

الكتاب / مبادىء في علم الأدلة .
المؤلف / رولان بارث .
ترجمة / محمد البكري .
الناشر / دار قرطبة للطباعة والنشر ـ الدار البيضاء
عدد الصفحات / ١٨٠ من القطع الصغير .

يحاول المترجم في مقدمته لهذا الكتاب الذي صدر أول مرة في باريس عام ١٩٦٤ ، أن يجيب عن سؤال يطرح نفسه بداهة حول أهمية ترجمة كتاب مضى على صدوره أكثر من عشرين سنة ، رغم كل ماطرأ على موضوع علم الأدلة وعلى المدرسة البنيوية في الوطن العربي والعالم من تطورات ، ويعني ان يكون هدفه احياء للبنيوية في صورتها المستهلكة كما قدمتها النماذج المشوهة للبنيوية في وطننا العربي .

ومهما يكن من أمر فان هذا الكتاب لواحد من أبرز البنيويين الفرنسيين ، يأتي ليسد فراغا في المكتبة العربية التي مازالت تفتقر الى كتب تأسيسية في هذا المجال ، وقد تنبه المترجم الى صعوبة فهم النص من خلال الترجمة العربية فقط ، فأضاف ثبتا للمصطلحات الفرنسية ومرادفاتها العربية ، لتشكل بالاضافة الى المقدمة والشروح في الهوامش عونا على فهم هذا النص الصعب .

الكتاب / رعاة العزلة ـ شعر .
المؤلف / أمجد ناصر .
الناشر / دار منارات للنشر ـ عمان .
عدد الصفحات / ١٥٦ من القطع الكبير .

في كتابه الشعري الثالث يصبح عالم أمجد ناصر الشعري أكثر تعقيدا ، وتستقر مفرداته الشعرية ولغته المقتصرة لتشكل الشخصية الشعرية لأمجد البدوي القادم من الشمال ، المصطدم بنية مجتمعية وانسانية أكثر تعقيدا ، وأقل احتراما للقيم البدوية التي غادرها .

في عالم أمجد الشعري لا يكف البدوي عن الحنين الى عالم مفتقد ، ولا عن المحاولات القوية لاستيعاب العالم الجديد والقيم الجديدة ، فيدخل في حوار لا ينتهي معها ، مسلحا بمفردات شعرية صارمة ومحددة ، ترسم عالما يقارب الحدود السريالية في بعض الأحيان ، لكن مادته اللغوية تبقى على الدوام قوية وناترة .

الكتاب / فضاء المعرفة .
تأليف / الدكتور عادل عبدالكريم ياسين
الناشر / مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .
عدد الصفحات / ٢٦٠ من القطع الكبير .

مادة هذا الكتاب ليست المعرفة من وجهة نظر فلسفية ، بل تمثل وجهة نظر تربوية تتعلق بتدريس مادة الرياضيات الحديثة في المدارس العربية ، ويقول العنوان الفرعي للكتاب الذي هو في الأصل رسالة دكتوراة للمؤلف ، ان الكتاب يبحث عن منهجية خوارزمية لتطوير تعليم وتعلم الرياضيات .

ويناقش المؤلف مادة الرياضيات الحديثة ، كما جرى تدريسها للطلاب ، ويتصدى مدافعا عنها باعتبارها تمثل مواكبة لهذا العصر الذي يشهد اكتشافات واختراعات هائلة في العلوم والرياضيات .

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٣٦
نوفمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٦ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ ديسمبر ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

١ ـ كانت العرب اذا سمعت حديثا لا أصل له قالت : « حديث خرافة » ، فما الذي قصدوه بقولهم أو مثلهم هذا ؟

* قصدوا التشبيه بين ذلك الحديث وبين حديث رجل من بني عذرة اسمه خرافة ادعى مصاحبته للجن ، وأكثر من الحديث عن أعاجيبه
* قصدوا مايدل عليه لفظ (خرف حرفا) أي أن الحديث باطل
* نسبوا ذلك الحديث الى فصل الخريف .

٢ ـ ثمة منطقة من الكرة الأرضية تسمى « سطح العالم » ترى أي منطقة تلك ؟

* القطب الشمالي .
* القطب الجنوبي
* بلاد التبت الواقعة في أواسط آسيا بمحاذاة جبال هملايا

٣ ـ أين ينتهي الغلاف الجوي ويبدأ الفضاء ؟ .

* على ارتفاع ١٦٠ كيلو مترا .
* على ارتفاع ٢٥٠ كيلو مترا .
* على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متر .

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٣٦

٤ ـ من اخترع أول ميزان حرارة في التاريخ ؟

* العالم الألماني فهرنهايت .
* العالم السويدي سلسيوس .
* الملك فرديناند الثالث ملك بوهيما والمجر ، ودلك في القرن السابع عشر ، قبل اختراع الميزانين المعروفين (فهرنهايت وسلسيوس) بعشرات السنين .

٥ ـ لفظ (حِرِّيف) ماذا تعني على وجه الدقة . . ؟

* دو حرافة ، أو طعم يلذع اللسان .
* الرجل الحريف هو الذي يحرف القول ويغيره عن مواضعه .
* هو الرجل الذي يتقن حرفته .

٦ ـ هل يوجد ذهب ذائب في مياه المحيطات ؟

٧ ـ ما هي أقدام الرنقة وما العامل المشترك بينها وبين أهل الصين ؟

٨ ـ ثمة حامعة واحدة في العالم كله متخصصة في تعليم الصم . . أين توحد هذه الجامعة ؟

٩ ـ طالما تمثل العرب بمناعة حصن تيْماء . . فأين تقع تيْماء هده ، ومن بنى حصنها ؟

١٠ ـ ما هي سرعة نمو شعر الانسان . . بالمتوسط . . ؟

* نصف بوصة في الشهر .
* نصف سنتمتر في الشهر .

١١ ـ لاحظت الفتاة أن الساعة استغرقت (٣٠) ثانية لكي تدق الساعة السادسة فسألت أخاها عن الوقت الذي تستغرقه الساعة لكي تدق الساعة ١٢ . . فأجاب ٦٠ ثانية فهل أصاب أم اخطأ . . وان كان قد أخطأ فما هو الصواب ؟

١٢ ـ أيهما الفصيح الثرثار وأيهما الفصيح البليغ ، ألْمِلْبِينُ والألْسُن (أو اللَّبِين) .

١ ـ معبد ديانا . . أو أرتيمس في أفسوس . . وهو المعبد الذي بناه قورش ملك ليديا الشهير بغناه . . وكان المعبد عجيبا في نظر القدامى ، وقد اعتبروه في عداد عجائب الدنيا السبع .

٢ ـ لفظ عنيد يعني في اللغة خالف الحق وهو عارف به .

٣ ـ سعفة جمعها سعوف ، والسعفة الواحدة هي ورقة النخيل لا غصنه .

٤ ـ طول الثوب (٧٠) يردة ولكن عدد القصات التي يحتاجها للحصول على ٧٠ قطعة هو ٦٩ قصة . . الجواب اذن ٦٩ × ٥ = ٣٤٥ ثانية = ٦٠ دقيقة و ٤٥ ثانية .

٥ ـ نعم ، فأصل اللفظ في الفحص هو :
كعا يكعو كعوا . . وهو يؤدي معنى جبن أو انهزم .

٦ ـ كان اسمه الحقيقي شارلز لوتودج دودجسون . . أما (لويس كارول) فكان اسمه المستعار الذي اشتهر به . .
حقا ، اشتهر كارول بكتابة قصص الأطفال ولكنه كان عالم رياضيات في الوقت نفسه ، وقد عمل محاضرا في الرياضيات في جامعة اكسفورد وعاش نحو ٦٦ عاما (١٨٣٢ ـ ١٨٩٨) .

٧ ـ حصلت عليها هدية عرس (دوطة) ، وقد كانت جزءا من الدوطة التي حملتها العروس كاترين رجانزا الى عريسها الملك شارلز سنة ١٦٦٢ . . وكانت بومباي قد سقطت في أيدي البرتغاليين سنة ١٥٣٠ . .

٨ ـ مفردها النوء ، ومعناها المطر .

٩ ـ كلا ، الثلج والبَرَد ماء مطر متجمد . . فقطرات الماء الصغيرة تتجمد وتتحول الى ثلج اذا كان الطقس شديد البرودة . . أما إذا حل التجمد بقطرات المطر الكبيرة تكوّن البَرَد .
وتجدر الاشارة الى أن مطر الصيف قد يرافقه البرد دون الثلج ، وسبب ذلك أن الثلج يذوب بتأثير حرارة الصيف ، وقبل أن يصل الى سطح الأرض ، أما البرد وهو كما لا يخفى كبير الحجم نسبيا ، فيصمد ويصل بَرَدا الى سطح الأرض ، ومن طريف ما يذكر أن حجم البرد يكبر أحيانا حتى يبلغ وزن الحبة الواحدة منه كيلو جراما أو يزيد ويسبب في تلك الحال أضرارا كثيرة . .

١٠ ـ تحتاج الى ٢٠٠٠ سنة بالمتوسط لكي يزداد طولها سنتيمترا واحدا !

١١ ـ دفع السدادة الى داخل القنينة .

١٢ ـ بوينج ٧٤٧ ، وتستطيع حمل حوالي ٤٠٠ راكب أو يزيد .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٣
أغسطس ١٩٨٦

الجائزة الأولى : عبده فاطمة ـ الرباط ـ المغرب
الجائزة الثانية : محمود عبدالحميد سليمان ـ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية
الجائزة الثالثة : خافية التومي ـ نهج الأخوة ـ الجمهورية التونسية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ سلمى علي محمد الملايين ـ دولة الكويت
٢ ـ عوض الجيد المجتبي محمد آدم/ بريد الخرطوم/ السودان
٣ ـ أسامة الطاهر الزنتاني ـ طرابلس الغرب ـ المدينة القديمة ـ الجماهيرية الليبية
٤ ـ سهيل موسى السكر ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية
٥ ـ مأمون عبدالله مطر ـ بشاور ـ جامعة بشاور ـ باكستان
٦ ـ يحيى ناصر حسن الشتوى ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية
٧ ـ فيصل عبدالغني عبدالوهاب ـ بغداد ـ وزارة المالية ـ دائرة المحاسبة ـ الجمهورية العراقية
٨ ـ فخرية محمود نصار ـ الأردن جبل عمان ـ الدوار الثاني ـ المملكة الأردنية الهاشمية

معركة بلا سلاح

الشطرنج والسياسة

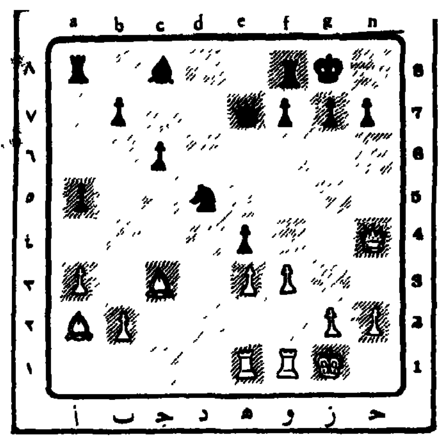
تقضي التقاليد السوفييتية العريقة برعاية لعبة الشطرنج ودعمها في جميع الأوقات وكل الظروف من حرب وسلم وشدة ورخاء ، فهي تحظى باهتمام الدولة وحمايتها منذ مطالع هذا القرن وحتى قبل قيام الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ ، فقد كان كارل ماركس مُنَظِّر الثورة وفيلسوفها من فحول اللاعبين وكذلك لينين الذي لم تكن حماسته للعبة لتقلّ عن حماسة أستاذه . أما ستالين فبالرغم من أنه لم يكن لاعبا بارزا فإن نائبه كريلنكو كان من كبار منظمي اللعبة ومديريها ، وقد ازدهرت اللعبة في عهده.

وقد برزت أهمية اللعبة كسلاح دعائي فعال في نهاية الثلاثينيّات من هذا القرن عندما تألّق نجم اللاعب السوفييتي ميخائيل بوتفينيك وأصبح من أول المنافسين على بطولة العالم للشطرنج التي لم يسبق أن احتلّها لاعب سوفييتي من قبل ، وقد عض الاتحاد السوفييتي على بطولة العالم للشطرنج بالنواجذ منذ ذلك الحين عام ١٩٤٨ ، وظل محتفظا بها حتى يومنا هذا ، ولم يتمكن من اختراق صفوف الأبطال السوفييت سوى اللاعب الامريكي الأعجوبة بوبي فيشر الذي انتزع بطولة العالم من البطل السوفييتي بوريس سباسكي عام ١٩٧٢ ، واحتفظ بها حتى عام ١٩٧٥ عندما خسرها أمام منافسه السوفييتي أناتولي كاربوف بسبب رفضه للدفاع عن اللقب .

وكثيرا ما كان الزعيم السوفييتي بريجينيف يظهر على صفحات المجلات وهو ينحني على رقعة الشطرنج ، وكان لاستقباله الرسمي لأناتولي كاربوف بعد فوزه في البطولة عام ١٩٧٨ ، والصورة التي ظهرت لهما على صفحات كبريات المجلات صدى دعائي كبير يحمل دلالة واضحة على المكانة الرفيعة التي تحتلها اللعبة في روسيا السوفييتية

والدور التالي هو بين ميخائيل بوتفينيك أول بطل سوفياتي للعالم وبين ماكس يو الهولندي بطل العالم بين (١٩٣٥ - ١٩٣٧) وهو من دفاع جامبيت الوزير المرفوض .

□ بوتفينيك	■ ماكس يو
١ - د ٤	د ٥
٢ - جـ ٤	هـ ٦
٣ - ح - و ٣	ح - و ٦
٤ - ح - حـ ٣	جـ ٦
٥ - هـ ٣	ح (ب) - د ٧
٦ - ف - د ٣	ف - ب ٤
٧ - أ ٣	ف - أ ٥
٨ - و - حـ ٢	و - هـ ٧
كان التبييت أفضل للأسود	
٩ - ف - د ٢	د × حـ ٤
١٠ - ف × حـ ٤	هـ ٥
١١ - ت	ت
وليس هـ ٤ لأنها خاسرة	
١٢ - ر (أ) - هـ ١	ف - جـ ٧



١٣ ـ ح ـ هـ ٤	ح × هـ ٤
١٤ ـ و × هـ ٤	أ ٥
١٥ ـ ف ـ أ ٢	ح ـ و ٦
١٦ ـ و ـ حـ ٤	هـ ٤
١٧ ـ ح ـ هـ ٥	ف × هـ ٥
١٨ ـ د × هـ ٥	و × هـ ٥

تضحية البيدق مهدت لسيطرة الفيلين على جناح الملك

١٩ ـ ف ـ حـ ٣	و ـ هـ ٧
٢٠ ـ و ٣	ح ـ د ٥ (الشكل)
٢١ ـ و × هـ ٧	ح × هـ ٧
٢٢ ـ و × هـ ٤	ب ٦

٢٣ ـ ر ـ د١ مهدّدا بكش مات

٢٣ ـ	ح ـ ز ٦
٢٤ ـ ر ـ د ٦	ف ـ أ ٦
٢٥ ـ ر ـ و ٢	ف ـ ب ٥
٢٦ ـ هـ ٥	ح ـ هـ ٧

أملاً بالوصول الى (د ٥) وشلّ حركة الفيلين

٢٧ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢٨ ـ هـ ٦	و ٦
٢٩ ـ ر × ب ٦	ف ـ جـ ٦
٣٠ ـ ر × جـ ٦	ح × جـ ٦
٣١ ـ هـ ٧ + بالكشف	ر ـ و ٧
٣٢ ـ ف ـ د ٥	يستسلم .

حل مسألة العدد رقم ٣٣٤
سبتمبر ١٩٨٦

١ ـ و × ب ٧	٢ × ب ٧
٢ ـ ر ـ ب ٣ +	م ـ أ ٦

٣ ـ ف ـ و ١ كش مات

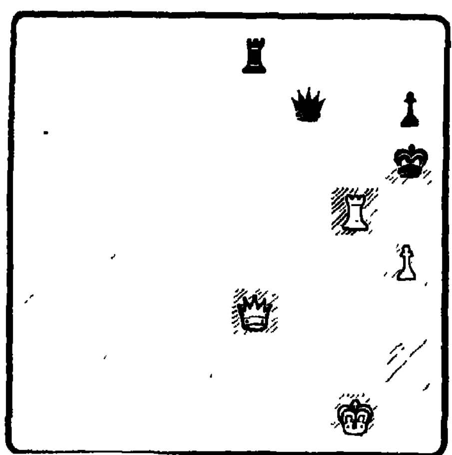
الفائزون بحل مسابقة العدد ٣٣٣
اغسطس ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ سلوى زقوت / الباحة / السعودية
٢ ـ د مدحت حامد / دقهليه / ح م ع
٣ ـ عصمت محمد / السودان
٤ ـ غزلان الزروالي / البيضاء / المغرب
٥ ـ مأمون عوبر / الفحيحيل / الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عزّي أحمد / المليده / الجزائر
٢ ـ طارق ابو الهول / طرابلس / ليبيا
٣ ـ عادل باقادر / أبين / اليمن
٤ ـ التابعي بن صالح / قفصه / تونس
٥ ـ عبد الرحيم عبد الكريم / القاهرة / ح م ع



مسألة العدد رقم ٣٣٦
نوفمبر ١٩٨٦
مات ٢

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

المسئولية الثقافية

● طالعت في العدد ٣٣١ يونيو ١٩٨٦ مقالة طبية للدكتور نبيل سليم علي بعنوان « جلدك هو كنزك » فوجدتها منقولة عن موضوع طبي بعنوان :

« ان لجلدك عليك حقا » والمنشور في مجلة « طبيبك » التي كان يرأس تحريرها المرحوم الدكتور صبري القباني العدد ١٦٣ الصادر في مارس ١٩٧٠ .

واني لأتمنى صادقا أن يعمل كتاب مجلتنا على تفادي هذه الاعمال السلبية لأنها تسيء الى الفكر العربي واخلاقيات الكتاب العرب .

درار مولاي علي
حي الخيام ـ اغادير ـ المغرب

ـ تلقينا رسالتك باهتمام شديد وقمنا بمقارنة الموضوع المنشور بالمقال المشار اليه في مجلة « طبيبك » ، وقد فوجئنا مثلك بأن المقال مقول بشكل يكاد يكون حرفيا من المجلة المشار اليها ، وقد أردنا أن نتابع الموضوع أكثر فوجدنا أن هناك مقالات أخرى لنفس الكاتب مع الاسف .

ونحن اذ نشكر للقارىء اهتمامه بلفت انتباهنا الى هذا التصرف غير العلمي الذي يسيء لصاحبه قبل أن يسيء للآخرين حيث لا تملك أي مجلة أن تتابع كل ما ينشر في الحاضر فضلا عن الماضي ، وانما تعتمد المجلة أساسا على شعور الكاتب بالمسئولية ، ولذلك فاننا نشعر بالاسف على ما حدث وهو أمر يدفعنا الى إعادة النظر في تعاملنا مع الكاتب في ظل مسئوليتنا الثقافية ، ونحن عادة نتوقف كلياً عن نشر أي موضوع لمثل هؤلاء الكتاب . . لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

رسالة من د . عبد المحسن صالح لطالب ثانوي

● كان مفاجأة اليمة . . دلك الخبر الذي تناقلته الصحف عن وفاة الدكتور عبد المحسن صالح في شهر مايو الماضي ، اثر نوبة قلبية ألمت به ، وهو ما يزال في السابعة والخمسين من عمره ، موفور العطاء ، عظيم الأثر . والحقيقة أن ما كتبته المجلات عن د . عبد المحسن صالح ، دلك العالم الدي وهب حياته لعلمه وعمله ، ولم يشغله عنه شاغل من أي نوع ، ما يزال دون ما يستحق الرجل ، فهو لم يكن من دلك النوع من الرجال الدي يثير ضجة في حياته أو في مماته ، فقد كان رحمه الله غاية في التواضع ، جهده كله موجه الى ما ينفع الناس لا الى ما ينفعه ، ويهمني في هذه الرسالة أن اكشف عن جانب من الجوانب الخفية في عظمة الرجل وفي شخصيته ، فأرفق مع خطابي هذا خطابين بخطه موجهين لي شخصيا ، ولست سوى تلميذ في المرحلة الثانوية من اليمن الديمقراطية ، وقد كنت مفتونا بعلمه ، أتابع كل ما يكتبه وأناقشه فيه ، فلا يبخل علي بالحوار والمناقشة والتشجيع ، رغم شغله الكثيف وضيق وقته في البحث والكتابة والدرس ، وهدا جانب هام في شخصية الرجل الذي كان يراسل كل من يتوسم فيهم الجدية والخير ، في الوقت الذي يضن فيه بوقته عن ان يضيع مع رجال العلاقات العامة أو في المجتمعات التي يمكن أن تحيطه بضجيج اعلامي ، في حياته أو بعد موته ، أو تحقق له مصلحة أو فائدة ، فقد كان رحمه الله يؤمن بأن الخير الحقيقي في العمل الدءوب من اجل ما ينفع الناس ، ويرتقي بحياتهم وفكرهم وحث الشباب على الاخذ بالاسلوب العلمي في حياته وفي درسه .

واني بهذه المناسبة اقترح على مجلة العربي أن تقوم بجمع مقالاته التي تم نشرها في العربي لتنشر في سلسلة كتاب العربي الفصلية ، مع الصور الملونة التي تستهوى القارىء ، وتساعد على تبسيط الموضوع ، ولعل ذلك « الكتاب » الى جوار ما يحققه للقارىء من فائدة ، أن يوفي الكاتب الكبير بعض حقه . رحم الله الدكتور عبد المحسن صالح ، وجزاه خير الجزاء على ما قدمه لمجتمعه وأمته .

عبد السلام سالم عبد الله

اليمن الديمقراطي ـ حيّ الرشيد

ـ نشكر للقارىء الكريم حرصه على ابراز هذا الجانب الهام من شخصية الدكتور عبد المحسن صالح ، ونود أن نطمئنه على أن فكرة نشر مقالات الفقيد الكبير في كتاب العربي ، كانت من أول ما فكرنا فيه عقب وفاته ، وأدرجت ضمن خطة النشر في القريب ان شاء الله ، ولشعورنا العميق بأهمية التأثير الذي يمكن ان تحدثه رسالة يكتبها عالم كبير كالدكتور عبد المحسن صالح لتلميذ جاد ومهتم فانه يسرنا أن ننشر هنا فقرات من هذه الرسالة لتكون رسالة لمن يهمه الامر من العلماء والشباب معا .

صورة طبق الاصل من الرسالة الخطية المرفقة

الاسكندرية في ١٢/ ٢/ ١٩٨٥

ابننا العزيز الطالب النابه عبد السلام سالم

تحية مودة ومحبة واعزاز

تلقيت بمزيد من السرور رسالتك الطويلة الرقيقة وكم كانت دهشتي بالغة ، وفرحتي غامرة أنك ما زلت طالبا بالمدارس الثانوية ولك كل هذه الاهتمامات العلمية ، والقراءات المتشعبة ، والاستيعاب المثمر مما يؤكد لي أن مستقبلا عظيما ينتظرك ، ويسعدني ان تكون احد ابنائي الذين أفخر



حوار القراء..

بهم . فكثيرون ممن قرءوا لي ، وهم في سنك ، قد انهوا دراستهم الجامعية بتفوق ، اذ ان الاطلاع الواسع ينير العقل ، ويوسع المدارك . وأنا ما زلت رغم بلوغي سن الـ ٥٧ عاما أقرأ وأتعلم وأستفيد وتزيد حصيلتي من المعلومات . وكل ما أرجوه الا تستنزف قراءاتك الكثيرة كل وقتك بحيث يشغلك ذلك عن دروسك . بل أعط لدروسك حقها ، ولقراءاتك حقها .

المخلص
عبد المحسن صالح

من هم اللاجئون في السودان ؟

● في عدد مايو ١٩٨٦ من مجلة العربي قرأت استطلاعا عن السودان تحت عنوان « صيحة أم صحوة في السودان » وقد تحدث كاتب الاستطلاع الأستاذ سليمان الشيخ عن اللاجئين الذين تدفقوا على السودان من « ارتيريا وأثيوبيا وأوغندة وزائير وتشاد » .

ويبدو أن الكاتب قد استخدم كلمة « لاجئين » نتيجة لأن المسئولين عن شئون اللاجئين قد استخدموا تلك الكلمة .

ويجب أن نوضح أن كلمة السودان كانت تعني عندنا قبل الاستعمار الفرنسي الانجليزي الساحل الممتد من بلاد النوبة جنوب مصر الى السنغال ، وبالتالي فان التنقل بين مناطق هذا الساحل أمر مألوف ولا غرابة فيه . ولو عرف الأخ المستطلع هذه الحقيقة لما استغرب وجود تشاديين أو نيجيريين في المناطق الشرقية أو الوسطى من السودان . هؤلاء يمكن أن نسميهم مستوطنين أو مهاجرين وليسوا لاجئين .

أما كلمة « لاجئين » فلعلها تصدق على هؤلاء الهاربين من ضغط سياسي أو كارثة طبيعية كما هو مشاهد في معسكرات اللاجئين في السودان وغيرها .

على كل حال نقدر جهود مجلة العربي وندعوها الى التوجه غربا من السودان بمعناه الواسع للاطلاع على حقائق الأمور ، لا أن تيمم وجهها شرقا دائما ، وسوف تجد الأصول السكانية المشتركة .

حامد هارون محمد
تشادي مقيم بليبيا / بنغازي

ـ نشكر للقارىء الكريم توضيحه ونود أن نشير الى أن ماتحدث عنه المحرر في استطلاعه انما هو عن واقع السودان حسب الواقع السياسي الآن . وليس كما كان من قبل .

أما بالنسبة لتنقل القبائل بين حدود هذه الدولة أو تلك فان معلومات الكاتب عن هذا الجانب انما استندت كما لاحظ كاتب الرسالة الى معلومات المسئولين المختصين . وفيما يتصل بزيارة العربي لمناطق أخرى من السودان فان « العربي » زارت من قبل بعض هذه المناطق . وهي لاتألو جهدا في زيارة بقية المناطق في اطار تخطيطها لزيارة الوطن العربي والاسلامي والعالم .

مرض عربي .. اسمه الطاعة

● وصلتنا رسائل عديدة تعلق على مقال الدكتور فؤاد زكريا المنشور في مجلة العربي العدد رقم ٣٣٢ (يوليو سنة ١٩٨٦) بعنوان « مرض عربي اسمه الطاعة » .

من اهم هذه الرسائل ما كتبه عبد الرحمن الحسين ـ

بلدية القريات ـ بالمملكة العربية السعودية ، وعبد المنايف المحمود من سوريا حماة ، وا ف من الارد .

ولتعذر نشر هذه الرسائل كلها ، ولتشابه أكثر ما ورد فيها ، نكتفي بعرض الافكار الاساسية المشتركة بينها فيما يلي :

يفهم من المقال أن الطاعة بجميع انواعها رذيلة ، وان التمرد بجميع أنواعه فضيلة ولو كان الأمر كذلك فتلك كارثة

كان من الضروري أن يوضح المقال الفروق القائمة بين انواع من الطاعة وانواع من التمرد ، ومتى تكون الطاعة واجبا وضرورة ؟ ومتى تكون خضوعا واستسلاما وضعفا ؟

ومتى يكون التمرد شجاعة وقوة ؟ ومتى يكون فوضى واحتلالا ؟ وان نجدد المصطلح المناسب لكل حالة من هذه الحالات .

اذ يجب ان نعرف متى وكيف نطيع ؟ ومتى وكيف نتمرد ؟ ورحم الله « ابو بكر الصديق » حين خطب في الناس عند توليه الخلافة قائلا لقد وليت عليكم ولست بخيركم . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله »

بهذه الكلمات القليلة عبر سيدنا أبو بكر تعبيرا دقيقا وصادقا بأن الطاعة بالأساس لله ولرسوله وثم لأولي الأمر ما داموا مطيعين لله ولرسوله ، وثم للوالدين ما دام مطيعين لله ولرسوله حيث قال سبحانه وتعالى « وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما »

الدكتور فؤاد الى العودة الى تناول هذا الموضوع الدقيق بالمزيد من التفصيل والتحديد

المحتالان « من اليونان أم من اليمن »

● لقد فوجئت بعد قراءتي لقصة « المحتالان » للأديب اليوناني ستراتيس ميريفليس المنشورة في العدد رقم ٣٣٣ من مجلة « العربي » بتاريخ أغسطس سنة ١٩٨٦ بأن ثلاثة ارباع احداث هذه القصة معروفة لدينا باعتبارها جزءا من التراث اليمني . وأنا شخصيا استمعت اليها من رجال كبار السن إن بطلي القصة ليسا محتالين ، بل أحدهما فقير (هو مانويللي في القصة اليونانية) والآخر غني بخيل (هو تيودوروس) وأيضا ان الجثة المزعومة لمانويللي لم تنقل الى الكنيسة بل الى احد الكهوف

كيف انتقلت هذه الحكاية من اليمن الى اليونان ؟ أو العكس ، وأنا لا اعتقد انها من تأليف اليوناني « ستراتيس ميريفليس » بل من التراث اليوناني ، والدليل انه بدأ القصة بأسلوب رواية الحكايات القديمة يحكى انه في قديم الزمان الخ

هل بامكان علمائنا المتخصصين في التراث والفلكلور تنويرنا في مجلة العربي حول هذا الموضوع

احمد محمد حسين

صنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية

- نشكر للقراء اهتمامهم ومتابعتهم . وننشر ملاحظاتهم لتكون تحت نظر الدكتور فؤاد زكريا الذي لا نشك ان مثل هذه الملاحظات كانت في اعتباره وهو يكتب مقاله . حيث اشار في بداية مقاله الى ان هناك نوعين من القيم قيم تعزز من ثبات وتماسك الاوضاع في المجتمع . وقيم تدعو الى التغيير وان المناخ العام في مجتمعنا العربي يعزز من قيم الثبات . فلعله اراد ان يكون مقاله صرخة حادة من اجل هز هذا المناخ الراكد . ومن اجل دعم قيم التغيير الى الافضل ولعل هذه الملاحظات تدعو

- من الطبيعي ان الادباء في كل بلاد العالم يستوحون قصصهم احيانا من القصص الشعبي في تراث بلادهم . وهذا لا ينفي عنهم صفة تأليف هذه القصص . لانهم لا يقدمون صورة طبق الاصل من القصة الشعبية بل تكون هناك اضافة ما تفصح عن هدف الكاتب من عملية استيحاء القصة من التراث . والعربي اذ تنشر رسالة القارىء الكريم تود ان تتيح الفرصة لاحد الدارسين المختصين ان يجد في هذا التشابه ما يمكن ان يثري الدراسة المقارنة في مجال التراث الشعبي بين الشعوب □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٦ م

الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية

تأليف: د. محمد السيد سعيد



الكتاب ١٠٧

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية، محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

- تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الانسانية باللغتين العربية والانجليزية، إضافة الى الأبواب الأخرى: المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير
- تحرص على تحقيق دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١
- تصل الى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قارئ

الاشتراكات

في الكويت ٣ دنانير للأفراد، خصم ٥٠٪ للطلاب، ١٤ ديناراً للمؤسسات

في البلاد العربية ٤,٥ دينار كويتي للأفراد، ١٦ ديناراً للمؤسسات

في الدول الأجنبية ٢٠ دولاراً للأفراد، ٦٠ دولاراً للمؤسسات

يرفق قيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد

المراسلات توجه الى رئيس التحرير ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - رمز بريدي 13126 الكويت

المقر: كلية الآداب - مبنى قسم اللغة الانجليزية - الشويخ - هاتف ٨١١٧٦٨٩ ٨١٥٤٥٣

★★

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

- مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الإجتماعية

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب
مدير التحرير: عبدالرحمن فايز المصري

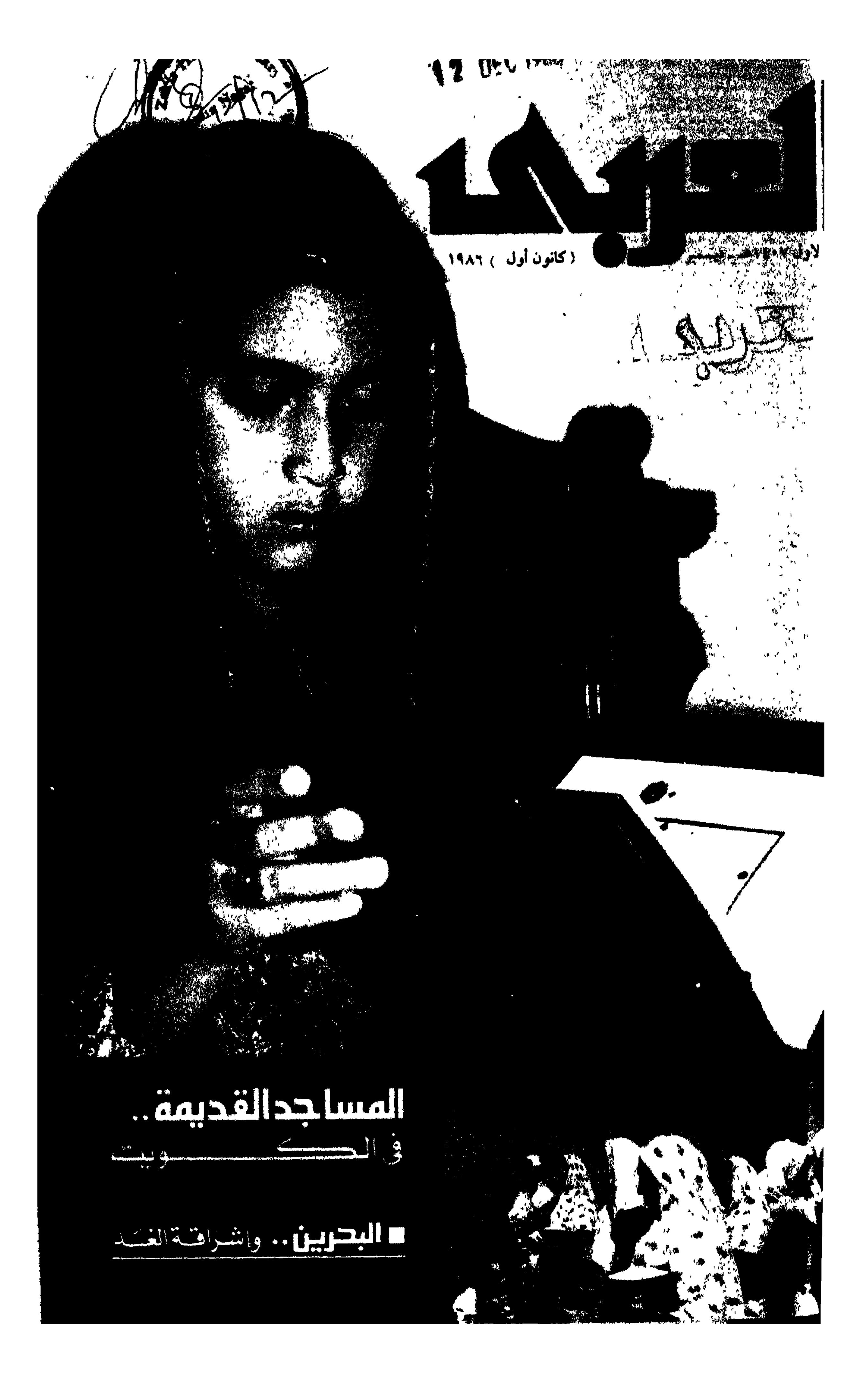
- منبر بارز للأكاديميين العرب
- توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

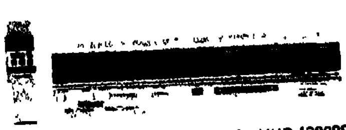
للأفراد:
٣ دينار في الكويت، دينار للطلاب
٣/٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

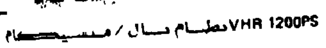
الموزع في الكويت والخارج:
مجلة العلوم الإجتماعية

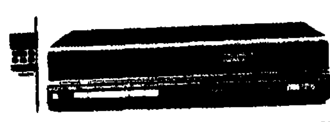
- توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر، ٢٥١٠١٨٨ / ٢٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت


العربي
(كانون أول) ١٩٨٦
المساجد القديمة..
في الكويت
■ البحرين.. واشراقة الغد











العدد ٣٣٧ السنة التاسعة والعشرون ديسمبر ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 337 Dec. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

بهذا العدد الذي بين يديك نودع سنة من العمل ، ونستقبل أخرى ، وننتهز هذه المناسبة لنشركك فى بعض أفكارنا لـلأعداد القـادمة ، فبهـذا العدد تستكمـل « العربي » سنتها التاسعة والعشرين ، ثم تبدأ عامها الثلاثين فى خدمة الثقافة العربية ، ولعل من الفأل الحسن أن يعقد مؤتمر القمة الاسلامي الخامس على أرض الكويت في يناير القادم ، مع بداية دخول « العربي » فى عامها الجديد ، وهي مناسبة عظيمة إذا ذكرنا أهمية التضامن ، والتعاضد الاسلامي ، في عالم يميل إلى التكتلات بأشكالها المختلفة ، ولعلها فرصة للمسلمين ، وقادتهم ، أن يتدارسوا مشكلاتهم ، ومواقفهم من العـالم الخارجي الذي يزداد عنفه ضراوة تجاه أبناء هذه الأمة .

ونحن نقدم لك فى هذا العدد ، وفي عدد يناير الممتاز ، وعدد فبراير « الخاص » ، باذن الله ، سلسلة من التحقيقات ، والدراسات التي تدور كلها حول العالم الاسلامي اليوم ، واقعه ، وظروفه ، وتمنياته لمستقبله ، هـذه المواد نقـدمها ليس فى « العـربي » وحدها ، ولكن فى كتاب « العربي » الذي سيصدر في منتصف يناير القادم خاصا بالقضايا الاسلامية ، كما نقدمها أيضا لأطفالنا في « العربي الصغير » ، ويشاركنا فيها نخبة من كبار الكتاب ، والمهتمين بالشأن العربى والاسلامي .

وجهودنا لتطوير العمل فى مطبوعات « العـربي » للسنة القـادمة قـائمة عـلى قدم وساق ، فهناك تطوير فى الاخراج ، والمادة ، والتحرير ، عملنا ـ نحن أسرة العربى ـ على دراستها ، ومناقشتها بالشكل العلمي ، وأشركنا فيها قطاعا كبيرا من القراء ، حتى يجيء التطوير مناسبا لحاجات المثقف العربي ، وقاريء العربية في كل مكان . وسوف تكون هناك أبواب جديدة ، وسيشترك معنا كتاب يأخذون مكانهم من جديد ، أو يساهمون لأول مرة في مطبوعات « العربي » ، كل ذلك يظهر مدى حرصنا الشديد على تقديم المفيد ، والجوهري الذى يضيف جديدا إلى ثقافة القاريء

وعلى مشارف سنتنا الثلاثـين ، وعلى الـرغم من الظروف الاقتصـادية التى تحيط بالمنطقة العربية ، والظروف الأخرى غير المواتية ، مازال ولاة الأمر في هذا البلد الطيب يعضدون الجهود الثقافية ويدعمونها عن إيمان قوى بأهميتها للانسان العربي في أي بقعة وجد .

ومازلنا نذكر ذاك الموقف الأصيل الطيب ، ونشكر القـائمين عليـه ، وجزى الله الخيرين خيرا مضاعفا .

المحـرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر . اللاساميه الجديدة ما هي وما مقصدها ؟
- د محمد الرميحي . ٨
■ الاسلام والعرب ورياح الشمال
- د عبد العزيز كامل . ١٨
■ مدن . للرحيل (قصيدة)
- فاروق شوشة ٢٨
■ مؤتمرات القمة الاسلامية بين الفكرة والتحقيق
- د احسان صدقي العمد . ٣٠
■ الزعيم الأمريكي الأسود : مارتن لوثر كنج
- د أحمد الأمين البشير ٣٤
■ الجنس الثالث مرض نفسي ام خلل هرموني ؟
- د . نجم عبدالله عبد الواحد ٤٠
■ أصل النفط عضوي أم كيمائي ؟
- د سعود عياش . ٤٦
■ غرفة المخطوطات (قصة)
- سعيد سالم ٥٠
■ قاموس العربي · إرهاب ٦٤
■ البيان في أسباب نزول القرآن
- حسين أحمد أمين ٦٦
■ عالم السماد الوحشي
- حسني محمد بدوي . ٩٢
■ الجرب تنقله حشرة تبحث عن الدفء
- د محمد عبدالله المشاري ١٠٤
■ الاعتراف الأخير (قصة)
- رؤوف وصفي . . ١١٢
■ وقفة تأملية مع المساجد القديمة في الكويت
- عبد الغني محمد عبدالله . . ١٤٧

عدسة وتعليق . عبدالله عيسى صالح



دلال عبدالله عيسى الصالح . وجه يعمره الايمان وقفة تأملية مع المساجد القديمة في الكويت . « طالع ص ١٤٧ »

■ الزمن ذلك السر الغامض
- عبد الأمير المؤمن ١٧٦
■ فهرس سنة ١٩٨٦
- اعداد صلاح صادق ١٨٩

استطلاعات ومقابلات

■ فسيفساء اللعاب والناس في بلاد القفقاس - داغستان
- سليمان الشيخ ٦٨
■ وجها لوجه
د غالي شكري ومحمود الربيعاوي ٩٧
■ الحرير جسر بين أصالة الأمس واشراقة الغد
- ريم الكيلاني . ١٣٢

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥

■ أقوال ٢٣
■ أرقام تحت المليون ـ محمود المراعي ٤٤
■ حكايات شرق وغرب . . . ٥٤
■ **منتدى العربي**

ـ **قصة** نحو دستور اخلاقي عربي موحد في مجال اخبار التلفزيون
ـ **محمد محمود المرسي** ٥٨
ـ **تعقيب** السلطان عبد الحميد الثاني مرة اخرى
ـ **د. محمد عيسى صالحية** ٦٢
■ الحديد في الطب والعلم ١٠٧
■ **مخترعون ومكتشفون**
السير همفري ديفي ١٠٨
■ سلامة التربية في سلامة البيئة . ١١٠
■ **جمال العربية**

ـ صفحة لغة الفصوصاء مذكر ومؤنث
ـ **محمد خليفة التونسي** ١١٦
ـ صفحة شعر هكذا غنى الاباء
عواقب الفجر لكثير عزة ١١٨
■ **من مكتبة العربي**

ـ **كتاب الشهر** مصر ومحمد علي
ـ **د. احمد عبدالرحيم مصطفى** ١٢٠
ـ **من المكتبة العربية** الولايات المتحدة والصراع العربي الصهيوني
ـ **ماجد الشيخ** ١٢٦
ـ **مكتبة العربي** مختارات . . ١٣٠
■ **حضارات سادت ثم بادت**
حضارة نارا اولى حضارات اليابان
ـ **اعداد يوسف زعبلاوي** ١٥٦
■ مسابقة العربي الثقافيه . ١٨٠
■ حل مسابقة العدد (٣٣٤) . ١٨٢
■ معركة بلا سلاح (التسطيح) ١٨٤
■ حوار القراء . . . ١٨٦

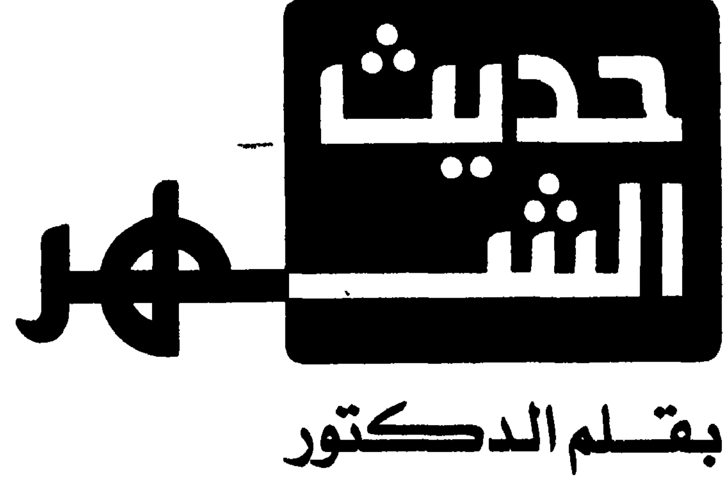
المراسلات باسم رئيس التحرير، والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء.



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ الاحساس بالذنب أو ساورة « التلطيخ بالوحل »
ـ **راجي عنايت** ١٦٢
■ **هو . . هي** ١٦٦
■ **من الحياة** « بين الاباء والأبناء » الصداقة أقوى وابقى
ـ **منير نصيف** . ١٦٨
■ **مساحة ود** . بين عامين
ـ **محمود عبد الوهاب** ١٧٢
■ **طبيب الاسرة**
المسهلات والمليّنات ١٧٣



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

اللاسامية الجديدة
ما هي... وما مقصدها ؟



كل عام - وفي الاسبوع الثالث من اكتوبر - تنشط الصحافة العالمية لمتابعة موضوع هام على المستوى العالمي ، وهو الاعلان عن أسماء الفائزين في جائزة نوبل ، وتوالي الصحافة العالمية متابعة أخبار الفائزين حتى العاشر من شهر ديسمبر ، ذكرى وفاة الفرد نوبل - العالم السويدي المشهور مؤسس الجائزة منذ حوالي تسعين عاما - وموعد تسليم الجوائز الست في قلب استكهولم عاصمة السويد باحتفال مهيب .

الترشيح لهذه الجوائز التي كانت خمسا حتى سنوات متأخرة في الأدب والطبيعة والطب والكيمياء والسلام ، ثم أضيفت لها جائزة سادسة في الاقتصاد ، هذا الترشيح يتم لعشرات المبرزين الذين تقدم أسماءهم اما مؤسسات دولية أو اقليمية أو وطنية ، أو أشخاص سبق أن نالوا الجائزة في وقت سابق .

واذا كانت اللجان السويدية هي التي تقرر من يفوز بالجوائز الأولى الاساسية ، فان جائزة نوبل للسلام تقررها مجموعة من أعضاء البرلمان النرويجي ، فقد كانت السويد

والنرويج تحت علم واحد عند إنشاء الجائزة في بداية هذا القرن ، وتم الانفصال عام ١٩٠٦ ، ولكن لسبب ما أوصى نوبل أن تكون لجنة جائزة السلام من النرويجيين .

الظاهرة الجديدة هذا العام في هذه التظاهرة العالمية أن الجائزة في مجال الأدب حصل عليها أديب افريقي من نيجيريا هو (وول سونيكا) وهذه هي المرة الأولى خلال هذا التاريخ الطويل التي يحصل فيها شخص من العالم الثالث على جائزة نوبل في الأدب .

وان كانت جائزة الأدب مثار كثير من الاختلاف شأنها شأن جوائز الطبيعة والكيمياء والطب الا أنه يمكن تحديد ضوابط علمية يختار الفائز على أساسها بشكل موضوعي الى حد ما .

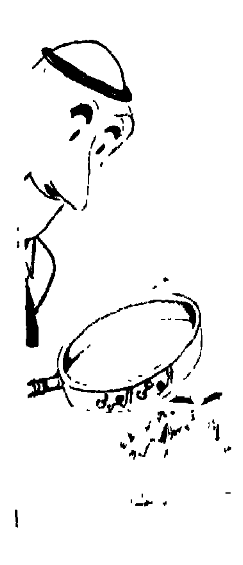
أما جائزة السلام فقد كانت ـ ومازالت ـ محط خلاف ووجهات نظر متباينة ، وفي بعض الاوقات يصل هذا التباين الى درجة اعلان البعض أن الفائز لا يستحق أي جائزة كانت ، فما بالك بجائزة تعني في مضمونها مساهمة الفائز بها مساهمة ايجابية في خدمة السلام العالمي ؟

لقد ظهر هذا التباين أكثر من مرة ، فقد حصل على هذه الجائزة شخص مثل « لخ فاليسا » رئيس حركة التضامن في بولندا ، وكذلك شخص مثل مناحيم بيجن رئيس وزراء « اسرائيل » الأسبق وآخرون مثله . ولبعض الاوساط اعتراض أساسي على أحقيتهم في نيل مثل هذه الجائزة .

السياسة وجائزة السلام :

☐ الواقع يقول لنا أن جوائز نوبل العالمية تتدخل فيها السياسة كما تتدخل في أي شيء آخر ، ولعل السياسة تتدخل بشكل أقوى في تحديد الفائز بجائزة السلام .

هذا العام تخطت جائزة السلام شخصا مثل « نلسون ماندلا » المناضل الافريقي رئيس حزب المؤتمر الافريقي في جنوب أفريقيا ، الذي قضى في سجونها اكثر من خمسة وعشرين عاما وحتى اليوم مطالبا بتحرير أهله ومواطنيه من ظلم الرجل الأبيض ، كما تخطت الجائزة أيضا ـ على سبيل المثال ـ بوب جلدوف ، المغني الايرلندي الشهير الذي نظم منذ سنتين أكبر مهرجان غنائي فولكلوري في قارات ثلاث مستهدفا جمع ما يمكنه من أموال لانقاذ الجياع في افريقيا ، مثل هذه الاسماء ـ وكانت مرشحة ـ لم تفز بالجائزة التي ذهبت الى الكاتب الأمريكي الصهيوني ايلي فايزل . . !



وليس هناك ما يثير دهشتنا كعرب في هذه القضية ، فقد تعودنا في السنوات الأخيرة على عدم الاستغراب تجاه الحملة المنظمة الظالمة فيما يخص قضايانا العربية وبخاصة قضية القضايا فلسطين شعبا وأرضا ، ما يدهشنا حقيقة أن الصحافة العالمية كتبت بايجاز شديد وبشيء من العجالة ، عن الفائز الأفريقي ـ وكان ظاهرة جديدة ـ بينما ركزت جل تعليقها على ايلي فايزل . . !

تقول الصحف في تقريظ الفائز الصهيوني ان كتاباته الكثيرة (كتب خمسة وعشرين كتابا بعضها تحول الى أفلام سينمائية) قد جندها كلها لاظهار ما حل باليهود في معسكرات

النازية ابان الحرب العالمية الثانية ، فهو لذلك « داعية لحقوق الانسان » ومبعوث لانقاذ الانسانية من التعصب والكراهية . . ! ذلك بعض ما قالته الصحافة الغربية عن الفائز ، وأحسب أنها ستقول أكثر خلال هذا الشهر عند تسليمه الجائزة .

ايلي فايزل ولد من عائلة يهودية في قرية على الحدود الهنجارية الرومانية ، لذلك تتضارب المراجع حول أصل جنسيته ، أهو هنجاري أم روماني ، ولكنه دخل مع عائلته معسكرات الاعتقال الالمانية وخرج منها عندما كان في السادسة عشرة ، وانتقل الى فرنسا وعاش فيها فترة عمل خلالها بالصحافة ، ثم ذهب الى « اسرائيل » ولم يطب له المقام فهاجر منها - كما هو التوجه العام لعشرات الآلاف من اليهود - الى الولايات المتحدة في سنة ١٩٥٨ واستقر في مدينة نيويورك يكتب بالفرنسية وتقوم زوجته بترجمة ما يكتبه الى

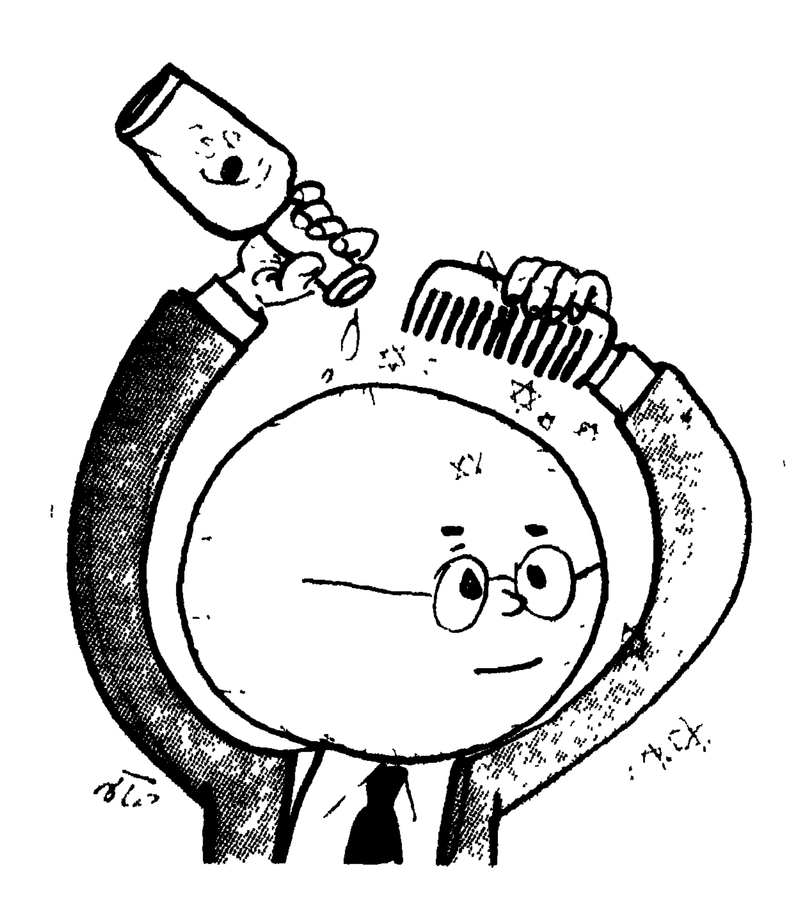
□ أيهما أحق بجائزة السلام العالمي ..
نلسون ماندلا .. أم إيلي فايزل ؟

الانجليزية ، وكل كتاباته تدور حول معاناة اليهود في معسكرات الاعتقال النازية ، وبعضها يصف الحياة في « اسرائيل » . وعلى سبيل المثال فانه في احدى رواياته (شحاذ مدينة القدس) الصادرة عام ١٩٦٨ يتناول عدوان ١٩٦٧ على العرب ويمجد (بطولة) الجنود الاسرائيليين . !

عند اعلان الجائزة قال رئيس اللجنة المنظمة فيما قاله عن ايلي فايزل انه استاذ وقائد روحي وداعية لحقوق الانسان في عصر يتزايد فيه العنف والاضطهاد والعنصرية ! وعندما ظهر فايزل على شاشات التلفاز في الغرب قال بانجليزية مثقلة بلكنة اجنبية : ان حياتي كلها مخصصة لليهود الذين ماتوا في « الهلوكوست » !!

ولكن ما هو ملفت لانظارنا - ونحن نعرف أن الجوائز لها علاقة بالمواقف السياسية - هو أنه في الوقت الذي يسعى فيه العرب جاهدين لاقناع الرأي العام العالمي بالظلم الذي وقع على بني جلدتهم في فلسطين وهم الذين قدموا ومازالوا يقدمون الكثير من أجل السلام ، نجد الاعداء « يسترجعون » بكل قوة وبطريقة ذكية جزءا من التاريخ الماضي لاستثارة العطف على اليهود مما فعلته بهم بعض الشعوب الاوروبية . وذلك من أجل هدف واحد هو تبرير استمرار احتلالهم للأرض وصلفهم في رفض محاولات السلام العربية .

والسؤال : ماذا قدم ايلي فايزل للسلام العالمي ؟ لقد كتب عن ضحايا الابادة النازية وهذا أمر معروف ومكتوب ، ولكن ماذا قدم لضحايا الابادة الاسرائيلية وما موقفه منها ؟ ذلك سؤال معلق بلا جواب



الساميّون واللاساميّون :

□ ظاهرة ايلي فايزل واحدة من ظواهر عديدة لعل أهمها ما أخرجته المطابع أخيرا ، وعلى رأسها كتاب برنارد لويس الذي وضع له عنوان « الساميين واللاساميين » . وبرنارد لويس* هو استاذ دراسات الشرق الاوسط في جامعة برنستون ، احدى أكبر الجامعات الامريكية ، ومؤلف لمجموعة كتب يدور معظمها حول العرب والاسلام ، منها « العرب في التاريخ » و « يهود الاسلام » . . فهو بذلك شخص أكاديمي مسموع الكلمة في أوساط غربية كثيرة ، وهو بريطاني هاجر في الخمسينيات الى الولايات المتحدة واستقر فيها للتدريس والتأليف .

كتابه عن « الساميين واللاساميين » يحمل نفس التوجه في الهجوم على الموقف العربي الذي يعتبره موقفا غير عقلاني في رفض العرب اسرائيل بعد اربعين سنة من وجودها ، ويتهم العرب باللاسامية الجديدة . . !

Bernard Lewis, "SEMITES AND ANTISEMITES", Seidenfeld and Nicolson London 1986.

عندما تحدثت جريدة نيويورك تايمز عن الكتاب في ملحقها الاسبوعي الذي تستعرض فيه الكتب الجديدة ، وصفته بأنه رسالة بالغة الاهمية تحدد (لنا) مصدر العداء السامي الجديد .

برنارد لويس له مفاهيم خاصة ـ وقد تكون غريبة بالنسبة لنا نحن العرب ـ حول قضايا عديدة منها : من هم الساميون ؟

لكن دعونا نبدأ من البداية .

في المقدمة يشير الكاتب الى الحوادث الاخيرة ـ في السنوات الخمس الماضية ـ ضد اليهود خاصة ضد « أماكن العبادة اليهودية » ، ويقول باستهزاء ظاهر ان إحدى الحوادث التي وقعت في فرنسا ضد معبد يهودي جعلت (ريموند بار) رئيس الوزراء السابق يقول : أنهم يستهدفون اليهود ولكنهم يقتلون فرنسيين أبرياء ، ويسخر الكاتب قائلا : ان كلام رئيس الوزراء يعني ان المصلين في الحقيقة لاهم فرنسيون ولاهم ابرياء !

يضيف الكاتب أنه بعد مذبحة صبرا وشاتيلا في ٢١ سبتمبر ١٩٨٢ أضرب مجموعة من الاساتذة في مدرسة فرنسية هي ليسيه فولتير في باريس عن العمل ووجهوا خطابين احدهما لرئيس الجمهورية الفرنسية يطالبون فيه بقطع العلاقات مع اسرائيل والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ووجهوا الخطاب الآخر الى السفارة الاسرائيلية في باريس يطالبون فيه بسحب القوات الاسرائيلية من لبنان . . . ثم يقول الكاتب : ولكن لا يوجد أي شيء يدل على أن هؤلاء الاساتذة اتخذوا نفس الموقف في حوادث بولندا أو أوغندا أو أمريكا الوسطى أو افغانستان أو جنوب افريقيا !

ومما يذكره الكاتب حادث آخر وقع في مطار روما عندما قاطع عمال الشحن الايطاليون طائرات العال الاسرائيلية ، احتجاجا على الاجتياح الاسرائيلي للبنان . مثل هذه الحوادث ـ كما يقول الكاتب ـ « هي بالتأكيد عداء لاسرائيل وربما لليهود أيضا . . انها اللاسامية الجديدة » .

مَن هو اليهودي ؟

☐ حتى يتشرب القاريء وجهة النظر تلك التي قد تبدو علمية ومنطقية على أعلى مستوى ، يناقش برنارد لويس ثلاثة مفاهيم هي : اليهود ، واسرائيل ، والصهيونية .

وهو يذهب الى حد بعيد في خلط الأوراق ، فيقول ان رأي العرب هو أن كل من لايشاركهم فكرة تحطيم اسرائيل وازالتها من الوجود . . انما هو صهيوني . ويستمر في الخلط قائلا ان العرب يرون أن شخصا مثل ديجول ـ برغم انه كان معارضا صلبا لاسرائيل ـ لابد أن يكون صهيونيا ، وحتى الاتحاد السوفيتي يرى فيه نفس الرأي ، فكل من ديجول والاتحاد السوفيتي لم يقرا بازالة اسرائيل من الوجود « كما يريد العرب » !

ويضيف الكاتب « أن الصهيوني في نظر كثير من العرب أيضا يعني ببساطة اليهودي . . فمن هو اليهودي ؟ هناك أكثر من جواب عن هذا السؤال بالنسبة لليهود ولأعدائهم ولأصدقائهم » .

موجـة من الافتراءات تتـهم الكتّاب العـرب "باللاسامية الجديدة"

ويستطرد الكاتب قائلا : هناك جواب واحد يمكن اعتباره صحيحا . فاليهودي بالنسبة للقانون التلمودي هو الذي يولد لأم يهودية أو الذي اعتنق الديانة اليهودية (تهوّد) ، ومهما كان موقفه من الممارسة الدينية فانه يبقى يهوديا ، وبالنسبة للقانون التلمودي يظل يهوديا حتى لو تحول الى دين آخر . في هذه النقطة-يشرح الكاتب - أن القانون الاسرائيلي يختلف مع القانون التلمودي ويعتبر المتحول عن الديانة اليهودية غير يهودي .

يبرر الكاتب هذا التحديد بأنه ليس تحديدا عرقيا ، لأن الأب في التحديد العرقي اكثر أهمية من الأم ؟

لذلك كله فان طبيعة العداء لاسرائيل والصهيونية تخفي تحتها - كما يعتقد الكاتب - موقفا لاساميا .

يرجع الكاتب في فصل كامل الى « الهلوكوست » أو اضطهاد اليهود على يد الحزب النازي في المانيا قُبَيْلَ الحرب العظمى الثانية وابانها . ويقرر أن هذا الموقف قد تم اتخاذه على أساس تفوق العرق الآري على العرق السامي ، لقد اختار الالمان قتل اليهود في شرق اوروبا وفي الأراضي التي احتلوها ، لا من أجل أن يحصلوا على منازلهم ، ولا من أجل أن يساعد ذلك في المجهود الحربي ، بل أنهم اختاروهم للموت لمجرد انهم يهود - فقد كان الالمان فخورين باللاسامية .

لقد قفز الكاتب بسرعة عن حقيقة اضطهاد الغجر من قبل النازيين ، وعن موقف النازيين العرقي من الافارقة والآسيويين ، وبخاصة العرب . . الذين ذهب بعض منظري النازية الى حد تقرير أن ألف ليلة وليلة ليست أدبا عربيا ولكنه أدب آري . . !!

الكاتب عندما يتحدث عن (الارهاب) الذي قامت به العصابات الصهيونية في فلسطين في الاربعينيات - وبعضه موجه الى الجنود والضباط البريطانيين - يبرره بأنه كان يهدف الى مجرد لفت نظر الصحافة ! ففي ٣٠ يوليو ١٩٤٧ قتل اليهود جنديين بريطانيين





كانا أسيرين في حوزة عصابة اريجون ، وأخذت جثتاهما الى غابة قريبة ثم علقا بين شجرتين وفخخت الجثتان ، وعندما جاء البريطانيون لانتشال الجثث انفجرت الجثتان وقتلتا آخرين . هذه الحادثة الارهابية يبررها الكاتب بأنها تمت بسبب شنق اثنين من عصابة اريجون ـ قبل ذلك ـ في سجن بريطاني ، ولم يقل ان هؤلاء أصلا كانا مجرمين .

السائد في السرد أن الكاتب يحمل دول شرق أوروبا مسئولية اضطهاد اليهود ، ويعود مرة تلو مرة الى موقف الاتحاد السوفيتي الذي يصفه بمعاداة اليهود ويجرده تماما من الاعتبارات السياسية ، فهو يتجاهل مثلا أن الاتحاد السوفيتي قد ترك لليهود حرية تطوير ثقافتهم ولغتهم ، كما أنهم كانوا ممثلين في الطبقة الحاكمة السوفيتية بعد الثورة ، بل ان اسرائيل في أيامها الأولى قد مد لها حبل الحياة من خلال صفقة السلاح التشيكية التي ما كانت لتتم لولا موافقة الاتحاد السوفيتي .

يشير الكاتب الى أن ما أخاف موسكو من اليهود ، هو تلك المظاهرة الترحيبية التي واجهت أول سفير اسرائيلي هناك وكانت كلها من اليهود الروس .

الاتحاد السوفيتي قطع علاقته باسرائيل مرتين ، الأولى في يناير سنة ١٩٥٣ بعد اكتشاف مؤامرة على ستالين رئيس الدولة السوفيتية آنذاك واتهم بها مجموعة من الأطباء معظمهم يهود ، وعرفت بمؤامرة الأطباء . وعندما عرفت القضية فجرت قنابل في السفارة السوفيتية في تل أبيب فقطعت موسكو علاقتها الدبلوماسية باسرائيل ، أما المرة الثانية فقد كانت عام ١٩٦٧ بعد الحرب العربية الاسرائيلية التي كان الاعتداء الاسرائيلي فيها واضحا لا لبس فيه ، مثل هذه القطيعة يعتبرها الكاتب لاسامية موجهة ضد اليهود بخاصة اذا أضيف اليها حركة هجرة اليهود السوفيت .

العجيب أن الكاتب يبرر اعتراف السوفيت باسرائيل في الأشهر الأولى من قيامها بأنه محاولة لاضعاف الموقف البريطاني في الشرق الاوسط !

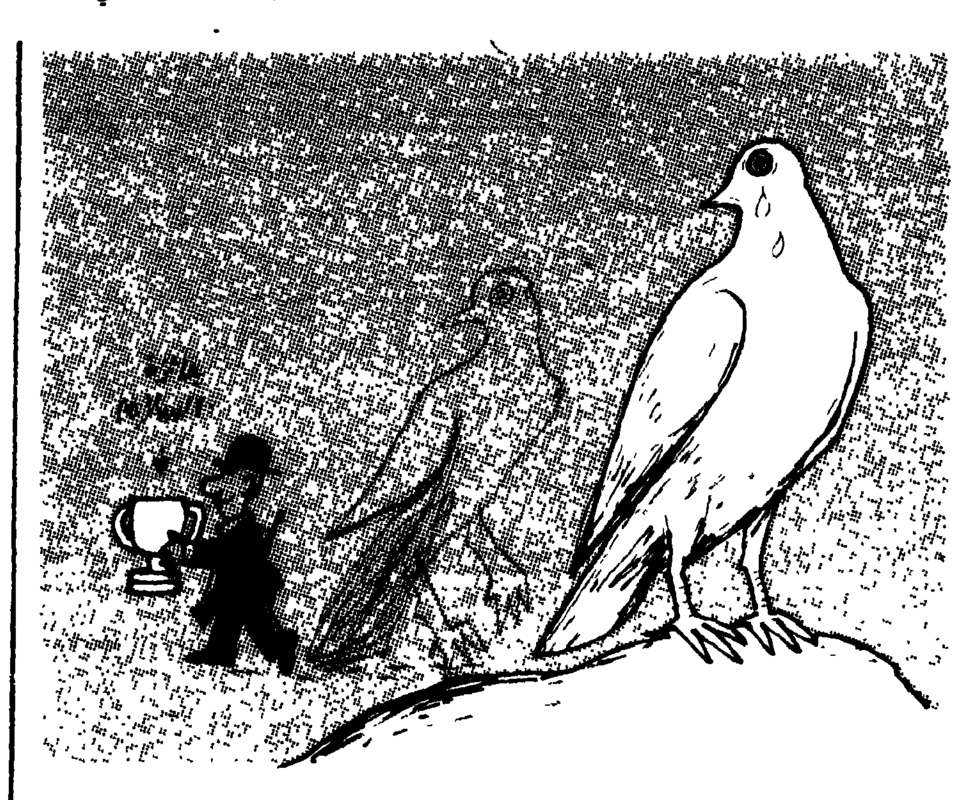
تحوير الحقائق :

☐ عندما يتعرض الكاتب في فصل كامل لشرح (السامية) يضرب بعيدا في تاريخ الاديان واللغات والشعوب ، ويصل الى نتيجة أن (الساميين) ليسوا عرقا بل أعراقا متعددة ، وانما الذي تصوره بعض الدارسين من أن السامية عرق هو خلط بين اللغة والثقافة من جهة وبين العرق من جهة اخرى .

هذا النوع من التبريرات التي يسوقها الكاتب مطولا تلوح لمن يمحص النظر فيها أنها تحقق اكثر من غرض ، أول الاغراض فك الارتباط العرقي بين اليهود والعرب على أساس أنهم ليسوا جميعا (ساميين) ، وثانيها ربط اليهود أو فئات منهم بالشعوب الأوروبية ، وفي ذلك يذهب الكاتب الى النقل من كتاب اوروبيين آخرين في القرن الماضي قالوا بأن يهود أوروبا أصبحوا أوروبيين !

وكي يستقيم المعنى في ذهن الكاتب أو ليبلغ أثره في ذهن القارىء يقول برنارد لويس : (أما الفلسطينيون فقد جاءوا من جزر في البحر الابيض المتوسط واستعمروا





الساحل ثم سموه باسمهم . . حتى هزمهم ملك عبري !!) .

لا يستطيع شخص يحترم ذكاءه العلمي الا أن يلاحظ تشوش المعنى لدى برنارد لويس ـ في هذه النقطة ـ رغم مستواه العلمي المفترض ، وهي فهم الساميين ، فمن الواضح أنه يحور الحقائق حتى تناسب غرضه .

في ثلاثة فصول متتالية يتحدث الكاتب عن اليهود ، واللاسامية ، والمسلمين واليهود .

مناصرو الصهيونية يلوون ذراع الحقيقة لتتناسب مع أهدافهم

في الفصل الأخير لا يستطيع أن يتجاوز الحقائق التاريخية ، فهو لا يشير من قريب أو بعيد الى أي اضطهاد لليهود من قبل المسلمين خلال اربعة عشر قرنا عاشوا فيها متجاورين سواء في الأندلس أو في بلاد المسلمين الأخرى ، ولكنه يصف اضطهاد اليهود في اوروبا بدءا بطردهم من أسبانيا أو اجبارهم على ترك دينهم ، أما في اوروبا الشرقية فكثيرا ما تعرضوا للمذابح المتكررة ، واضطروا الى الهجرة في فترات متتالية من اوروبا الشرقية الى اوروبا الغربية وبالعكس ، ومن فر منهم من مذابح بولندا والمانيا وروسيا القيصرية وجد له مكانا آمنا تحت الحكم الاسلامي ، فقط في المائتي سنة الأخيرة عندما أصبحت القومية هي الصيحة الأيديولوجية في اوروبا أصبح لليهود متنفسا ، ولكن حتى ذلك لم يمر دون اضطهاد جديد كما حدث في المانيا النازية .

حول ظهور فكرة (الصهيونية) يشير الكاتب الى حادثة تاريخية هامة هي حادثة الكابتن « الفرد درايفوس » وهو ضابط يهودي ملحق بهيئة الاركان الفرنسية ، اتهم درايفوس ببيع اسرار عسكرية لالمانيا في أواخر القرن التاسع عشر ، وقدم لمحاكمة

عسكرية (١٨٩٤) . وحضر المحاكمة صحفي نمساوي يهودي ، ولكنه مندمج في الحياة الغربية لا يكترث كثيرا بالتقاليد اليهودية هو « تيودور هرتزل » .

قضية (درايفوس) أثارت ضجة كبرى في الصحافة الفرنسية والغربية استمرت أربع عشرة سنة بين اخذ ورد ، واصبح الرأي العام منقسما ، بعضهم مع درايفوس وآخرون ضده . ورغم انه قد حكم ببراءته في النهاية واطلق سراحه في سنة ١٩٠٦ الا أن تيودور هرتزل قد اقتنع نتيجة تلك المحاكمة بأن الذوبان اليهودي في الحياة الأوروبية غير مجد ، فلا بد من التفكير في وطن لليهود ، دون انتظار « المسيح المنتظر » الذي يتوقعه اليهود الاكثر تدينا .

□ إنهم يتساءلون : لماذا لا ينسى العرب فلسطين .. كما نسوا الأندلس ؟!

□ في الوقت الذي نادى فيه هرتزل بفكرته كان اضطهاد اليهود في شرق اوروبا في قمته ، فتلقفوا الفكرة ، كان بعضهم قد هاجر الى ارض فلسطين هربا من الاضطهاد الأوروبي ، فأصبحت فلسطين العربية المسلمة هي ملاذهم من الاضطهاد الأوروبي الذي يعتقد الكاتب أن له جذورا عميقة متأصلة في الاجابة عن سؤال : من قتل المسيح ؟

الاضطهاد الطويل الذي عانى منه اليهود في اوروبا شرقها وغربها ، قابله تسامح طويل أيضا في الأرض الاسلامية رغم محاولة الكاتب « ثني ذراع » بعض الحقائق ، الا انه اعترف في اكثر من مكان بمظاهر هذا التسامح : من ذلك قوله : (انهم لم يكونوا بعيدين عن التفرقة ولكن نادرا ماكان يتم اضطهادهم) .

(كما أن المسلمين لم يكن لديهم تخوف من اليهود مثل ماكان لدى الغربي المسيحي) .

قضية (درايفوس) التي حركت هرتزل للدعوة الى قيام دولة يهودية كان لها صداها في الصحافة العربية ، فقد نقلت بعضها الموقف المتشدد ضد درايفوس ، الا أننا نجد داعية كبيرا مثل رشيد رضا ـ وهو المثقف والقائد المسلم ـ يقف ناقدا في (المنار) الموقف المهين في اضطهاد اليهود في فرنسا ، ويرى أنه ليس بسبب تعصب ديني ـ ففرنسا بعيدة عن الايمان الديني ـ ولكنه موقف عرقي وحسد لنجاح اليهود . وذهب رشيد رضا الى حد ادانة بعض الصحفيين لسيرهم خلف الفرنسيين ومهاجمتهم لليهود .

لماذا لا ينسى العرب فلسطين ؟

□ حتى ذلك الوقت والى وقت متأخر لم يكن للعرب والمسلمين موقف عرقي او ديني مضاد لليهود ، ماحدث بعد ذلك هو الذي جعل الصراع أمرا لابد منه ، فاحتلال الارض وتشريد الشعب الفلسطيني واقتلاعه من جذوره والمذابح التي ارتكبت بحقه ، كل ذلك

هي صرخة تحذير ولكن لمن ؟

الواقع الأليم ، هو الذي دفع بالعرب والمسلمين لاتخاذ موقف دفاعي ضد الصهيونية .

الكاتب هنا يقفز على المشكلة الرئيسية ليحلل الكثير من الأدبيات العربية ، ويذكر الكثير من الاسماء التي لها موقف في الصحافة والسياسة العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي ، ويعتبر أن ذلك مظهر من مظاهر اللاسامية .

قبل ذلك يعترف الكاتب أن الكتابات الأولى ضد الاستيطان الصهيوني في فلسطين ماهي الا (نقل من المصادر الاوروبية اللاسامية) . ويدعى بعد ذلك مباشرة ان العداء الجديد للسامية ينبع من العرب ! وهو يشير في هذا المقام الى عشرات الكتب والمؤتمرات كما يشير الى اسماء الكتاب العرب وعناوين مقالاتهم أو محاضراتهم ـ ينسب اليهم الموجة الجديدة للاسامية الموجهة ضد اليهود ، يختلط في ذلك ـ كما يقول ـ الشعور القومي بالديني ، وحتى كتب المدارس العربية لا تخلو ـ كما يقول ـ من اشارات سلبية لاسرائيل والصهيونية ويتساءل الكاتب لماذا يرفض العرب الاعتراف باسرائيل ، ولماذا تظل قضية اللاجئين قائمة في الوقت الذي تحتاج فيه بعض الدول العربية الى ايد عاملة ، ولِمَ لا ينسى العرب فلسطين كما نسوا الاندلس او بعض المناطق العربية الاخرى !!

برنارد لويس في كتابه هذا يتابع بدقة شديدة ماسماه « العداء للسامية » الذي يظهر وينتشر الحديث عنه بين الكتاب العرب . ورغم اعترافه ان هذه « ظاهرة جديدة » قادمة أساسا من الغرب المسيحي الا انه لا يترك شاردة ولا واردة مما كتب في الاربعين سنة الاخيرة ، ويذكرها بأسماء كتابها ومكان نشرها ـ وذلك لمجرد أن أحدهم ذكر (اليهود) بدلاً من (اسرائيل) . . وهذا مؤشر كاف لديه لأن يكون الكاتب عنصريا ومعاديا للسامية . . !

بيت القصيد هنا هو الاشارة الى ان هناك نموا في العداء (العرقي) يجب الالتفات اليه في اوروبا وفي الوطن العربي يذكر اليهود بما حدث لهم على أيدي النازية !

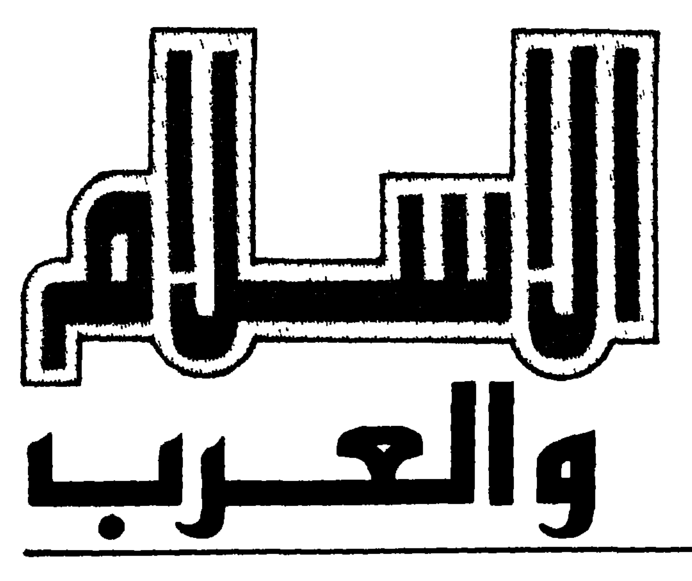
لقد أشارت نيويورك تايمز الى هذا الكتاب بأنه صرخة تحذير ـ يقصد بها تحذير الصهاينة ودعوتهم للالتفات الى ماسمته باللاسامية الجديدة . . ونحن أيضا نقول انها صيحة تحذير . . تحذير لنا ، لأنه يجري تطويقنا اعلاميا ـ نحن العرب ـ والمسلمين بطرق جديدة وذكية ، ففي طرف من الخيط هناك احتفال عالمي « برجل سلام » حصل على اكبر جائزة هي جائزة نوبل للسلام ، يذكر العالم « بالهلكوست » وفي الطرف الآخر يبرز أحد كبار الاكاديميين في كتاب متكامل خطر اللاسامية الجديدة ، مرتكبا من الاخطاء العلمية مايريد في سبيل ذلك .

في الوقت الذي نبقى فيه محاصرين يضيق الخناق علينا . . متفرقين فيما بيننا .

لقد قال وول سونيكا اول أفريقي يحصل على جائزة نوبل للادب وعندما عرف بفوزه بها (انني آمل في افريقيا أن نستحدث جائزة أدبية كبيرة من وزن جوائز نوبل . . ثم ننتظر خمسة وثمانين عاما لنعطيها لأول أوروبي) .

ونقول ـ نحن العرب ـ اننا في سبيل تحقيق هدف أكثر تواضعا علينا أن نقاوم عدونا . . بالعلم . . فهل نحن فاعلون ! □

محمد الرميحي



الاسلام والعرب ورياح الشمال

بقلم / الدكتور عبدالعزيز كامل

من الاتجاهات التي زادت عناية المؤرخين المحدثين بها ، ما يسمونه صورة الآخرين .. ويقصدون به : كيف ينظر أصحاب حضارة إلى حضارة أخرى أو إلى أبنائها إذا كانوا في قطر آخر يعيشون غرباء ، أو أقليات أو يسكنون منطقة هامشية ؟

كان هذا من الموضوعات الرئيسية في المؤتمر العالمي السادس عشر للعلوم التاريخية الذي عقد في مدينة شتوتجارت في المانيا في خريف ١٩٨٥ ونوقش في هذا الموضوع سبعة وعشرون بحثا ، كان أغلبها عن آسيا وأوروبا وأجزاء من العالم الجديد وتناولت بعض الدراسات العالم الاسلامي والوطن العربي في ماضيها وحاضرهما ، بالاضافة إلى دراسات في مناهج البحث .

ومن هذا اللقاء الذي يجمع مؤرخين على الصعيد العالمي ننتقل إلى دائرة أضيق :

لقاء في اليونسكو في صيف ١٩٨٦ : تتابع فيه لجنة علمية إعادة كتابة تاريخ العالم العلمي والثقافي . وهو مقسم إلى سبعة أقسام تبدأ من فجر التاريخ وتنتهي إلى القرن العشرين . وكان اللقاء عن الجزء الرابع الذي يتناول تاريخ العالم ما بين القرنين السابع والخامس عشر الميلادي . وهذا الجزء قسمان : أولهما موضوعي يتناول قضايا البيئة الجغرافية والسكان ومظاهر الحضارة ، وثانيهما إقليمي يتناول الحضارات وتوزيعها .

في القسم الموضوعي تستطيع أن تتخذ الانسان مركزا وتدرس آفاقا تاريخية : كالدين وعلاقاته ، والكون ، والدولة ، والأسرة والمجتمع ، وجوانب المعرفة العلمية والتقنية ، والابداع الفني .

وأنت في هذا تستطيع أن تدرس علاقاتها الداخلية ، ثم التأثيرات المتبادلة موضوعيا ومكانيا وزمانيا .

ولكن عندما تتناول التقسيم الاقليمي ستجد أمامك اختيارات وبدائل كان فيها بعض الحوار - أو قل الصدام - بين « صور الآخرين » .

من أين نبدأ وما أساس التقسيم ؟

تستطيع أن تبدأ من أقصى الشرق . من اليابان وتتخذ مسارا نحو الغرب . وقد يكون هذا - من

الناحية الجغرافية البحتة ـ مقبولا . فآسيا هي القارة الأم ، ولا تزيد أوروبا وأفريقيا ـ إذا نظرت إلى نصف الكرة الشرقي أو العالم القديم ـ عن أشباه جزر .

وأنت بهذا تتجنب النظرة التي انتقدتها كثير من شعوب العالم الثالث ، وعلماء منصفون من العالم المتقدم ، وهي البدء بأوروبا التي كانوا يعتبرونها حضاريا هي القارة المتصدرة ، فالقريب منها قريب . والبعيد عنها بعيد ، وهم الذين أطلقوا أسماء : الشرق الأدنى ، والشرق الأوسط ، والشرق الأقصى . وكان التاريخ الأوروبي يحتل ـ ولا يزال إلى حدٍّ ما ـ مكانا أكبر عند دراسة التاريخ العالمي . والآن بدأ اتجاه إلى تنحية المركزية الأوروبية عند دراسة التاريخ ، وكتابة التاريخ العالمي المتوازن الذي يعطي لحضارات العالم الثالث والحضارات الآسيوية والحضارات العريقة التي استطاع أساتذها أن يكشفوا الجديد من مصادر المعرفة عنها : أن يعطى هؤلاء جميعا مكانا أوسع وضوءا أقوى .

فلنبدأ من اليابان إقليميا ، ولنتجه إلى الصين وإلى الهند ووسط آسيا هنا إلى حد كبير لقاء بين الحدود الجغرافية والطبيعية والحدود الحضارية ، ولكن إذا جئت إلى جنوب غرب القارة ـ حيث مهد الاسلام وامتداده بجناحيه الآسيوي والافريقي ـ ستجد نفسك ـ علميا وعمليا ـ مضطرا إلى الانتقال من الاسم الجغرافي إلى الاسم الحضاري وستتكلم عن « العالم الاسلامي » وهنا اشتد الحوار ، ورأينا صورة عملية وحية من مشكلة : صورة الآخرين .

العالم الاسلامي ، وحوار حول المفهوم

قال قائل منهم :

لقد كان الحديث عن أقاليم جغرافية حضارية ، لكن عند الحديث عن العالم برز المفهوم الحضاري متخطيا حدود القارات ، ومعالم الجغرافيا الطبيعية . ألا ترون في هذا تناقضا في الأساس العلمي الذي يقوم عليه التقسيم ؟ ثم إذا تحدثتم عن العالم الاسلامي فلماذا لا يتحدث غيركم عن العالم المسيحي والبوذي والهندوكي ؟

ألا ترون الحديث عن (الاسلام) و (العالم الاسلامي) يثير حساسية أهل الحضارات والديانات الأخرى ، بل كثيرين ممن لا يؤمنون بدين ويعيشون حياتهم علمانيين لا علاقة لهم بالأديان ؟ واستمعت واستمع معي آخرون ، وقلبت أوراقي وقلت لصاحبي الذي اعترض . هناك حقيقة أولى أود أن تتذكرها : إن التقسيم الذي تقدمت أنت به ، وضعت العالم الاسلامي على رأس القائمة ، ثم تابعت بعد هذا عرض الأقاليم الأخرى .

فقال : كان هذا قولي وقد رجعت عنه .

قلت : وهذا تقريرك المقدم ؟

قال : رجعت عنه !!

وتحدث أكثر من زميل فكان مما قالوا : معنا هنا علماء متخصصون في أقاليم محددة من العالم الاسلامي ، وعلماء يتعاونون معنا ـ وإن لم يحضروا الاجتماع ـ لهم مؤلفات تحمل اسم العالم الاسلامي والحضارة الاسلامية وهنا في جامعة باريس معهد للدراسات العربية الاسلامية ، وأساتذة أمضوا أعمارهم في هذه الدراسات ، وأطالس عن العالم الاسلامي ودائرة معارف إسلامية ، إن العالم الاسلامي حقيقة قائمة ، إنه ليس أمرا مخترعا.أهله يقولون عنه « العالم الاسلامي » ولهم منظمة المؤتمر الاسلامي ، والعالم العربي له جامعة الدول العربية ، والأفارقة لهم منظمة الوحدة الافريقية . هناك إطار واسع يجمع العالم الاسلامي ، وهو إطار مرن يتسع ويضيق ، وفي داخل هذا الاطار وحدات إقليمية بعضها يستغرقها العالم الاسلامي كالوطن العربي ، والبعض الآخر له روابطه بوحدات أخرى صديقة كمسلمي افريقية .

ولا مانع من تعدد الأسس المتخذة في التقسيم ، لتجمع بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية معا ، حسب أهميتها:فقد تكون اللغة ـ كالعربية ـ أو اللون كمسلمي افريقية وجنوب الصحراء ـ أو السلالة والعرق ـ كالأتراك . ومع هذا التميُّز هناك إطار شامل هو العقيدة في أوسع مدلولاتها ـ يجمع المسلمين جميعا .

الوحدة والتنوع والصراع

وقال قائل :

وهذه الحروب التي بينكم كالحرب الدائرة بين العراق وايران وأنتم جميعا مسلمون ؟ ثم إن الدعوة

إلى التمييز بين الاسلام العربي والاسلام الافريقي ليست نابعة من عندنا . إن علماء غرب افريقية لهم تصورهم التطبيقي في الاسلام الذي يجمع بين العقيدة الاسلامية والمواريث القديمة ، أو على الأقل الصالح منها، لكي يتكون منه مع الاسلام نسيج يستطيع أن يستجيب لحاجات الحياة المتجددة عندهم . ثم النزعات العرقية العنيفة والمذهبية في أكثر من قطر . من الأفضل أن يتحدث كل إقليم عن نفسه ، أما البدء بعالم إسلامي فأمر لا يحظى بقبول من الجميع ، وهو محل حوار ينبغي أن نبحث معه عن صيغة جديدة ، قد تكون تحديد أقاليم جغرافية في العالم الاسلامي ، ثم فصلاً ختامياً عن الوحدة والتنوع في أرض الاسلام أو بين الأقاليم الاسلامية . وتواعدنا على لقاء نحاول فيه الالتقاء .

مرصد لرياح الشمال

جاءت عطلة نهاية الأسبوع بعد هذا اللقاء . وخرجت في الصباح وخلوت إلى نفسي في مكان هادىء من حديقة عامة .

لماذا هذا العنف الذي بدا من بعض أعضاء اللجنة عند ذكر الاسلام ؟ ولماذا كان القبول من قبل والهجوم من بعد ؟ إنهم علماء لا يتحركون من فراغ ، ولهم مكانتهم في ديارهم ، ولهم انتاجهم،فهل هذا التحول جزء من تحول أكبر كانت تستره أهداف ، ثم أبرزته أهداف أخرى ؟ حتى العلم فيه (الاستراتيجية والتكتيك) ، وفيه تغيير المواقف بهذه السرعة

ووجدت ذهني يتحرك بين متطورين،أولهما تاريخي والثاني معاصر ، والاثنان متكاملان . قد يغلب على المنظور التاريخي العناية بموجات التاريخ الكبرى ، وعلى المعاصر العناية بالحوادث الفردية القريبة . هما مستويان أو أكثر من الدراسة وليسا وجهين متقابلين لحقيقة واحدة .

ووجدت نفسي أستعيد تقسيم المؤرخ الكبير فرناند برودل الذي أقام عليه كتابه « البحر المتوسط » ، هو من أعمق الكتب التي أثرت في مناهج البحث التاريخي المعاصر ، فلقد وضع لكتابه - وللزمان - تقسيما ثلاثيا :

الزمان الجغرافي : عن علاقة الانسان بالبيئة ، وهو تاريخ بطيء التغيرات ، متكرر الدورات .

الزمان الاجتماعي وتغيراته أسرع : وهو تاريخ الجماعات والتجمعات . هذا يدرس النظم الاقتصادية ، والدول والمجتمعات والحضارات ، وكيف أثرت هذه القوى العميقة في الحروب ..ذلك لأن الحروب لا تحكمها فقط مسئوليات الأفراد .

الزمان الفردي أو زمن الأحداث والتغيرات السطحية : وهي غشاء من الزبد يحمله مد التاريخ فوق ظهره القوى . إنه تاريخ قصير سريع ، عصبي الذبذبات ، شديد الحساسية . ومع هذا هو أشدها روعة ، وأكثرها اجتذابا للنظر ، وأكثرها خطورة .

(مقدمة من الترجمة الانجليزية ص ٢٠ ، ٢١ من الجزء الاول ، ط . كولنز ١٩٧٢)

وعدت إلى موقف بعض الزملاء في لقائنا العلمي فوجدته من « الزمان الفردي » وإن كان يحمل جدورا من الزمان الاجتماعي والجغرافي معا . فأين أضع مرصدي لأسجل قوة رياح الشمال واتجاه الهبوب ؟ من أين ؟ والى أين ؟ وماذا تحمل من مكونات ؟ ولأنظر إلى سلاسلها الزمنية لأرى عمقها الزماني فهي مما أطلق عليه برودل اسم الظاهرات الطويلة الأمد ، وهذا أيضاً من التعبيرات التي انتشرت مع تقسيمه الثلاثي أيضا .

من المدينة المنورة إلى القسطنطينية

ووضعت المرصد في المدينة المنورة ، وعدت إلى عهد النبوة . هذه رسالة من الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هرقل عظيم الروم ، ومن قبل هذا أقرأ قول الله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير (الاسراء : ١) ، فالأمر أقدم من المدينة ، وقد كانت القدس وقتئذ تحت سيطرة الروم ، وكان من الروم من يحاول الاتصال بالمنافقين في قاعدة الاسلام . هل نعود الى أبي عامر الراهب والى مسجد الضرار . وإلى دسائس الروم ؟ لذا كان على الاسلام أن يحمي نفسه ، وخرجت الغزوات على المحور الشمالي : غزوة مؤتة عام ٨ هـ ، غزوة تبوك عام ٩ هـ . بعثة أسامة بن زيد عام ١١ هـ ، وهو أول الأعمال التي قام بها أبوبكر عند توليه الخلافة وذلك

إنفاذا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته . وتوالت بعد هذا الانتصارات : أجنادين واليرموك عام ١٣ هـ ، بيسان وطبرية وفتح دمشق ١٤ هـ وفتح بيت المقدس صلحا عام ١٥ هـ . واستمر الفتح والتقدم . ولننقل الآن مرصدنا من المدينة المنورة ونمر على العواصم الدينية والسياسية في الشام ، ونركز المرصد عند جبال طوروس حيث جبهة اللقاء الجديدة بين الاسلام والروم ، أو بين الاسلام والعرب من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى ، وسيظل المرصد هنا ـ غير بعيد عن جبال طوروس ـ طوال العهد الأموى والعباسي ، نتوغل به أحياناً في الأناضول ونتراجع أحيانا .

ولكن بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر ستهب علينا من الشمال والغرب عواصف عيفة : إنها الحروب الصليبية . هبت برا وبحرا ، واستطاعت أولاها الوصول الى بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وتتابعت الحملات ، وامتدت على الجبهة الاسلامية من الأناضول إلى شمال افريقية ، ولم تستطع الحملة الثامنة على تونس أن تحقق شيئا

وخلفت الحروب الصليبية وراءها سطرا من المرسان المحاربين ، وكانت عواصف محلية ضمن رياح الشمال .

سننقل مرصدنا الان في الأناضول متحركين به ، وبعد السلاجقة ، ومع العثمانيين وأملهم الكبير في الاستيلاء على القسطنطينية ، ذلك الأمل الذي استمر في نفوس المسلمين ثمانية قرون . منذ الحصار الأول عام ٥٢ هـ ٦٧٢م في عهد معاوية بن أبي سفيان . وإذا كان محمد الفاتح قد استطاع ان يضع نهاية لهذا الصراع الطويل بالفتح عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، فان هذا لايرجع فقط إلى بسالة الجند وحسن القيادة وعمق الايمان ، فهذه قوة مشتركة بينه وبين المحاولات السابقة ، وقد كان في أولاها بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن الذي حسم الأمر بالاضافة الى قوة العقيدة هو المستوى العلمي للاستعداد العسكري،خاصة في المدفعية التي أشرف السلطان بنفسه على صناعتها بحيث يكون لها التأثير الفعال على أسوار المدينة ، فضلا عن قوة السلاح البحري والبري وتهيئة الجو السياسي الملائم

لقد كانت المعركة عنيفة ، خاضها الطرفان ببسالة ، وانتصر فيها الاسلام وركز اعلامه ، وأصبحت استامبول عاصمة الخلافة العثمانية . واذا كانت العاصمة التركية تراجعت بعدما يقرب من خمسة قرون إلى أنقرة قبيل إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤ ، الا أن صورة الاسلام في استامبول بعمارتها ومساجدها وقصورها وطابعها تمثل نقطة أمامية حاول العثمانيون التوغل منها إلى شرق أوروبا ووسطها .

ووصل المد ألى فيينا ، وكان الانسحاب من حصارها الأخير عام ١٦٨٣م ، وبقيت جزائر إسلامية في المحيط الأوروبي ، وأضيفت إليها جزر جديدة مع اشتداد الهجرة إلى أوروبا .

من استامبول إلى جبل طارق

سننقل مرصدنا الآن إلى أقصى الغرب : إلى جبل طارق وهو بعد المد والجزر شمالا وجنوبا يمثل حدا بين الحضارتين . كان التقدم منه نحو الشمال عام ٩٢هـ / ٧١١م ، وتوغل المسلمون ـ من العرب والبربر ـ حتى عبروا جبال البرانس وسجلوا انتصارات ، ثم كانت هزيمة في معركة بواتييه عام ١١٤هـ / ٧٣٢م واستشهاد القائد عبدالرحمن الغافقي ، لكن بقى الاسلام بعدها في الأندلس حتى سقوط غرناطة ـ آخر معاقل الاسلام ـ في عام (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) . ولنا هنا وقفة ننقل فيها سطورا ذكرها جفرى باركر في فصل عن الحرب (تاريخ كمبردج الحديث ، الطبعة الجديدة ، مجلد ١٣ ص ٢٠١ عام ١٩٨٠) .

في هذا الفصل عالج تطور الحرب في أوروبا منذ القرن الخامس عشر حتى الآن ، والتحسينات التي أدخلت على الحصون ، ومنها تطوير مدافع الحصار ، وصناعتها من البرونز بعد ان كانت تصنع من الحديد الزهر ، ثم يقول : « إن السبب في سقوط غرناطة بسهولة أمام المسيحيين ـ بعد أن ظلت تقاوم بنجاح سبعة قرون ـ يرجع إلى أن فرديناند وايزابيلا ، استطاعا إحضار قوة تتكون من مائة وثمانية مدافع من مدافع الحصار لمقاومة حصون غرناطة » ، وضرب بعد هذا أمثلة أخرى من التاريخ الأوروبي استطاع تفوق المدفعية فيها أن يحسم الهجوم على الحصون القديمة حول المدن .

ألم يكن هذا هو الدرس الذي وعاه محمد الفاتح وغفل عنه أصحاب غرناطة ، وبين المعركتين نحو أربعين عاما ؟ وكان هبوب رياح الشمال في اسبانيا عاصفا ، فيه قصف المدافع ، وقوة التقدم العلمي ، والهزيمة المحتومة .

والآن : ماذا علينا ؟

لايزال في الموضوع قول كثير : القطاع الممتد من الوطن العربي شرقا إلى المحيط الهادي حتى الفلبين هنا أيضا تهب رياح الشمال.العاصفة المغولية من وسط آسيا وآثارها المدمرة ، ثم تقبل جزء من المغول الاسلام ديناً .

ماذا حدث بعد انسحاب المسلمين من الأندلس ؟ وكيف بدأ ـ في نفس العام ـ نشاط في الالتفاف حول العالم الاسلامي ، ومحاولة الوصول إلى جزر التوابل ؟ إما عن طريق الجنوب وإما عن طريق الغرب ، وأدى هذا إلى الدوران حول افريقيا وكشف العالم الجديد ، وعالم المحيط الهادي ؟ وحدث بهذا تطور من أكبر ما مر على الانسانية ، وانفتح امام أوروبا أكثر من مجال أدى إلى تقدم وتراكم وانفجار في المعرفة ،فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، وهو القرن الذي شهد غارة أوروبا على الوطن العربي والاسلامي واستعمار الكثير من أحزائه . واشتد هبوب رياح الشمال إلى منتصف القرن العشرين عندما حصل كثير من الاقطار العربية والاسلامية على استقلالها أو استكملت الحصول عليه ، وهدأت رياح الشمال قليلا ، ثم عادت لتشتد في أيامنا هده

وجود الحضارتين : العربية الاسلامية ، والأوروبية المسيحية ، حقيقة تاريخية ممتدة ، ونظرة الأجناس الأوروبية البيضاء إلى غيرها من الألوان قائمة ، وإن اختفت أحيانا تحت ستار من المجاملة ، ونظرة العالم المتقدم إلى العالم النامي ووجود الفجوة الحضارية والاقتصادية والعسكرية حقائق موجودة . رياح الشمال مستمرة ولكن بعض الدول الآسيوية استطاعت أن تحطم الطوق ، ومن هذه الدول دول كبيرة كاليابان ، وصغيرة كسنغافورة . إن تغير قوة الرياح حقيقة قائمة ، يدخل فيها مستوانا العلمي ، ومدى قبولنا التحدى الحضارى ، وتكوين القواعد العلمية ، ومكانتنا لن تستطيع أيد غير أيدينا أن تحصل عليها .

ولا طريق سوى اكتساب المعرفة والمشاركة فيها ، ثم الابداع والتفوق . هذا لمن اراد الحياة

فبهذا تقل فروق الضغط الحضاري بين مناطق الهبوب ومناطق الاستقبال . ومع قلة الفروق بين خطوط الضغط الحضاري ستهدأ الرياح ، وتقل حدة العواصف.ولا أريد أن يجمح بنا الأمل لنتصور تغيرا في اتجاه الهبوب ـ وان حدث هذا في أقصى الشرق حيث تهب الرياح من اليابان نحو غرب أوروبا وتهب منها على امريكا عبر المحيط الهادي . هذه أوائل خريطة جديدة تتكون فلا أقل من أن نمنع هبوب العواصف على ديارنا،بأن يرتفع عندنا المستوى الحضارى ، فلا تستطيع أيدي الآخرين أن تحجب عنا شمس المعرفة ، ولا أن تحدد صورتنا ، وترسمها كما تشاء ، وتكون حمايتنا بالعلم والابداع ، مع فتح النوافذ على مجرات الانسانية دون انطواء ولا ذوبان . □

متحف علمي فريد

● اشترت إحدى شركات المنتجات الصيدلية من ورثة الدكتور « سبيترير » المتحف الفريد الذي كان قد أمضى عمره في جمعه ، وصب تماثيله الشمعية لتجسيم غرائب المخلوقات الانسانية والحيوانية . وقد كان ذلك في منتصف القرن الماضي وبالاضافة إلى الدمى الشمعية التي تمثل مختلف الأوبئة الفتاكة ، ومفعولها في الجسم الانساني ، كالسرطان والكوليرا والطاعون ، ومراحل الأمراض التناسلية التي كانت شديدة الفتك في أوروبا حتى أوائل هذا القرن ، فإن محتويات المتحف تضم عددا من المومياءات ، والرؤوس البشرية التي برعت بعض قبائل الهنود الحمر في أمريكا الوسطى في تجهيزها ، كما تضم هياكل عظيمة لأجنة مشوهة التكوين ، بالاضافة إلى جلود بشرية مدبوغة ومنقوشة وتمثل الصورة المرفقة تمثالا من الشمع لتوأمين سياميين ، وللطريقة التي أمكن بها الحفاظ على حياتهما بعض الوقت



اقوال



جمال عبدالناصر



آسيا جبار



يوسف القعيد

■ « ليس لي حلم شخصي ، ليس لي حياة شخصية ، وليس هناك شيء شخصي » .

جمال عبدالناصر

■ « من شاء أن يهاجر ، ثم لمس صعوبة الحياة في الخارج ، وأراد العودة ، عليه أن يفهم ، أن الوطن ليس باحة مرور مفتوحة له في كل وقت »

الجنرال ديفيد دارغونسكي
رئيس اللجنة السوفياتية لمناهضة الصهيونية

■ « هل تتوقع من صحفي مستقيم ، حسن الأخلاق ، ابن ناس ، وناجح في عمله ، أن يكتب تقارير للمباحث بطير أحر ؟ »

ممدوح سالم
رئيس وزراء مصر الأسبق

■ « يفعل الساسة في بعض الأحيان عكس ما كان يقصده المقاتل في ميدان القتال »

يوسف القعيد

■ ان أغلب الافلام المسماة عربية ترضى عن نفسها كونها عربية باستعمالها اللغة العربية ، ومن جانبي لي طموح آخر يقوم على التجديد في الاسلوب ، والبحث عن شكل لايستنسخ تجربة الاميريكيين أو أية مدرسة سينمائية اخرى

آسيا جبار
روائية وسينمائية جزائرية

■ ان الشجاعة في نظري ليست مجرد ميزة انسانية ، بل حاجة ضرورية

قسطنطين سيمونوف
شاعر سوفيتي



حقيقة الأقليات اليهودية في العالم

د. عبدالوهاب محمد المسيري

يدعي الصهاينة أن فلسطين التي يطلقون عليها اصطلاح «آرتس يسرائيل» أو أرض الميعاد هي مركز الوجدان اليهودي ، وهي النقطة التي يتوجه نحوها اليهود معنويا حينما تعوزهم الطريقة للاستيطان فيها ، وهي الأرض التي يتجهون لها فعليا حينما تفتح أبوابها لهم ، ويحاول الصهاينة أن يجدوا تبريرا دينيا أو إثنيا لرؤيتهم هذه ، كما يقدمون رؤية للتاريخ تساند هذه الرؤية ، فإلى أي مدى نجحوا في تبريراتهم هذه ؟

لو نظرنا للرؤ ية الصهيوبية من الناحية الدينية اليهودية لوجدناها تمثل تـريبـا للعقيـدة اليهودية الحقة ، فاليهودية تحرم على اليهودي العودة الى فلسطين ، اذ عليه الانتظار الى أن يأذن الله لـه بذلك ، وأي محـاولة للعـودة هي بمثابـة الهرطقـة ، ولذلك لا يوجد في يهودية العصـور الوسـطى (أي معظم تاريخ اليهودية الديني) أي حديث عن العودة الا باعتبارهـا حدثـا دينيا يتم باذن الله ، أما تعلق اليهودي بصهيون فهو تعلق ديني وحسب ، يشبه من بعض النواحي تعلق المسلم بالأرض المقدسة ولا شك أن هذا التشبيه فيه شيء من التبسيط ، اذ أن الاسلام خلص فكرة الأمة الاسلامية من أي شوائب عرقية أو اثنية،وهو الأمر الذي لم تنجزه اليهودية تماما كنسق ديني الا في صياغتها الاصلاحية التي لم تظهر الا في القرن التاسع عشر بتأثير من المسيحية .

الدين والتاريخ

هذا من الناحية الدينية . أما من الناحية التاريخية فالأمر أكثر تحددا وتعيينا ، اذ يدل تاريخ العبرانيين وتواريخ الأقليات اليهودية ، على أن المسـرح الذي دارت عليه أحداث هذه التواريخ لم يكن فلسطين الا

في فترة قصيرة للغاية ، وحتى حينما كان يوجد فيها حكم يهودي مستقل ، فهي لم تكن دائماً مركزهم واطارهم المرجعي ، اذ أن كل أقلية كان لها ديناميتها المستقلة ، وتوجهاتها التي يحتمها عليها وضعها الاجتماعي والثقافي المرتبط بوضع البلد التي توجد فيه ، ولذا يمكن القول أن الحقيقة الأساسية في تاريخ أعضاء الأقليات اليهودية هو انتشارها في كل أنحاء الأرض ، وليس تمركزها في فلسطين ، وأن القراءة الصهيونية لتواريخ الأقليات اليهودية التي ترى أن اليهود قد تم « تشتيتهم » قسرا من فلسطين ، وأنهم لو تركوا وشأنهم لعادوا تلقائيا وبشكل طوعي اليها ، هي قراءة ايديولوجية بالمعنى السلبي للكلمة . فتاريخ العبرانيين الأسطوري يبدأ بهجرة ابراهيم من أور الى أرض كنعان ومنها الى مصر ، كما هاجر يعقوب ويوسف من بعدهما الى مصر أيضا ، والهجرة من مكان لآخر نمط أساسي في حياة العبرانيين في فترة الآباء (٢٠٠٠ق م) التي تنتهي « بخروج » أي هجرة موسى وقومه من مصر (وقد آثر بعضهم - حسب الرواية التوراتية - الاستمرار في الحياة في مصر بينما خرج مع موسى « اللفيف » أي مجموعات عرقية أخرى غير عبرية وغير متجانسة) . وبعد التسلل العبراني الى أرض كنعان ، واتحاد القبائل (فيما يعرف باسم مملكة داود وسليمان والدويلتين اليهوديتين) ثم تهجير اعداد كبيرة من اليهود الى آشور (٧٢٠ق.م) ثم الى بابل (٥٩٠ - ٥٨٠ق.م) ولكن غالبيتهم العظمى آثرت البقاء خارج فلسطين حتى بعد أن أصدر قورش الأخميني مرسومه الذي سمح بعودة اليهود الى فلسطين ، ويبدو أنه لم يعد سوى الفقراء

خارج فلسطين

وعلى الرغم من اعادة بناء الهيكل وقيام السلطة الكهنوتية في فلسطين (تحت رعاية الفرس أول الأمر ثم اليونان) فقد بدأت هجرة يهودية تلقائية كبيرة في عهد البطالمة من فلسطين ، اذ استعان هؤلاء بالجنود اليهود المرتزقة الذين استقروا في مصر هم وأسرهم ، كما هاجرت أعداد أخرى من اليهود لأسباب اقتصادية - فكان منهم الفقراء والأغنياء والفلاحون والرعاة والجنود المرتزقة والقادة العسكريون . وقد أسس البطالمة مستعمرات في برقة كان يوجد فيها يهود ، كما ظهرت جماعات من اليهود في مدن آسيا الصغرى بعد أن استولى السلوقيون على فلسطين بعد عام ٢٠٠ق.م . فقام انطيوخوس الثالث بنقل عدة آلاف من الجنود اليهود هم وأسرهم من بابل الى آسيا الصغرى ، وكانت توجد جماعات يهودية في اليونان ومقدونيا على شواطىء البحر الأسود والبلقان وبلغاريا وأرمينيا وقبرص وقرطاجة وبرقة ، ويلاحظ أن قيام الأسرة الحشمونية اليهودية في فلسطين - التي تمتعت بقدر من الاستقلال السياسي في بعض مراحلها - لم يغير من هذه الصورة العامة لانتشار أعضاء الاقليات اليهودية خارج فلسطين .

وحينما ظهرت روما كقوة عظمى ، وفرضت اطارا سياسيا موحدا على منطقة البحر الأبيض المتوسط ، يسّر ذلك انتشار اليهود ، فظهروا أولا كعبيد في العاصمة ، ثم هاجرت أعداد منهم وأصبحت مدن جنوب ايطاليا مراكز يهودية مهمة ، بل كانت توجد جماعات يهودية في الغال (فرنسا) وفي المدن الرومانية العسكرية على نهر الراين .

وكانت الاسكندرية تضم جماعة يهودية كبيرة في العصر الهليني ثم الروماني ، يتحدث غالبية أعضائها اليونانية أو اللاتينية . وكانت النقوش التي على قبورهم أساسا يونانية ولاتينية ونادرا ما تكون عبرية ، أما وثائق الزواج والدفن الخاصة بهم فكانت لا تختلف عن الوثائق الخاصة ببقية المواطنين ، وكان لليهود معبدهم القومي الخاص في لينتوبوليس،وكانت جماعتهم الدينية والفكرية مستقلة الى حد كبير عن الهيكل ، ولذا استمرت هذه الجماعات اليهودية في حياتها الدينية والثقافية المستقلة بعد تحطيمه ، ولعل أكبر دليل على أن الاسكندرية كانت مركز جذب أقوى من فلسطين ذاتها انه حينما وقعت بعض الاشتباكات في الاسكندرية بين اليهود والمواطنين الهيليين أصدر الامبراطور الروماني قرارا يحذر فيه اليهود من تشجيع هجرة اخوانهم من فلسطين .

أرقام وحقائق

وقد قدر فيلون الفيلسوف السكندري اليهودي أن

عدد يهود مصر في القرن الأول الميلادي كان مليوناً ، وكان يقدر عدد اليهود في الأماكن الاخرى بمليونين ونصف وقد لا تتسم هذه الأرقام بالدقة البالغة (فهي في معظمها تستند الى التقديرات التخمينية) ، وثمة احصائيات أخرى ترى أن عدد اليهود في سوريا ومصر وآسيا الصغرى كان ٣ ملايين ، وأن مليونا رابعاً كان يوجد في مناطق متفرقة أخرى داخل الامبراطورية الرومانية ، ومليونا في بابل ، أما في فلسطين فيقال انها كانت تضم مليونين فقط ، باعتبار أن من تبقى منهم من سكان فلسطين كانوا مواطنين يونانيين وعناصر بشرية أخرى غير يهودية ، وتذكر الموسوعة اليهودية أن عدد يهود العالم في تلك الفترة كان ثمانية ملايين ولم يكن منهم سوى « ٢½ مليون » في فلسطين ولكن مهما كان الأمر ، فثمة اجماع على أن عدد الأقليات اليهودية خارج فلسطين كان يفوق عدد اليهود داخلها ، وذلك قبل تحطيم الهيكل ، وأن عدد يهود الاسكندرية كان يفوق عدد يهود أورشليم ، وبذا تكون محاولة ربط انتشار الأقليات اليهودية في العالم بواقعة تحطيم الهيكل وسقوط اورشليم واعتباره تشتيتا قسريا هو من قبيل التفكير الأسطوري

وقد استمر وجود الأقليات اليهودية في كل أنحاء العالم مزدهرا بعد دبول الحياة اليهودية في فلسطين ، بل ان هذا الوضع تدعم وتكرس نظرا لاشتغال أعضاء الأقليات اليهودية بالتجارة في العصر الوسيط ، في كل من العالمين الاسلامي والمسيحي ، فكانت توجد مراكز لهم في العرب في اسبانيا وغيرها من الدول ، وكذلك في معظم ربوع العالم الاسلامي .

وقد ظل هذا الوضع قائما عبر العصور الوسطى ، ولا نسمع عن أية محاولات يهودية للعودة الى فلسطين ، ومع طرد اليهود من اسبانيا وجد يهود المارانوس ملجأ لهم في الامبراطورية العثمانية أساسا ، وفي بعض الدول الأوروبية مثل هولندا . وكان اليهود من رعايا السلطان العثماني ، لهم مطلق الحرية في الهجرة الى فلسطين أو منها ، الا أن اللاجئين الأوربيين والرعايا اليهود كانوا ينجذبون الى استنبول والقاهرة ودمشق وغيرها من مناطق الامبراطورية التي كانت تتمتع بأوضاع اقتصادية وسياسية أفضل مما كانت في فلسطين ، أما بالنسبة ليهود الخزر فقد اتجهوا نحو شرق أوروبا الى المجر فبولندا ، بعد تحطيم امبراطوريتهم الصغيرة على يد الروس أولا ، ثم على يد المغول في القرن الثاني عشر ، ولا نعرف أن أي جماعات منهم اتجهت الى فلسطين .

الفكر الاسترجاعي

وقد بدأت في أوروبا المسيحية ارهاصات الفكر الاسترجاعي (أي اعادة توطين اليهود في فلسطين باعتبار أن عودتهم هي التمهيد لعودة المسيح) مع عصر النهضة . وعصر الاكتشافات والاصلاح الديني ، ولكنه لم يؤثر في الأقليات اليهودية بتاتا ، سواء في الشرق أو في العرب ، وظل تفكيرا مسيحيا (بروتستانتيا) بالدرجة الأولى ، ولا نسمع عن دعوات يهودية للعودة الى فلسطين والاستيطان فيها الا

مع الانفجارات الماشيحانية مثل حركة الماسيح اليهودي الدجال شبتاي تسفي في القرن السابع عشر ، وهي الانفجارات التي وقف ضدها حاخامات اليهود ، ثم يظهر فكر صهيوني يهودي لأول مرة في منتصف القرن التاسع عشر ، وحتى بعد أن ظهرت الحركة الصهيونية (اليهودية) في أواخر القرن التاسع عشر ، عارضتها كل المنظمات اليهودية المعروفة في ذلك الوقت ، ولم تتمكن من عقد مؤتمرها في ميونخ بسبب احتجاج الحاخامات ، واضطرت الى نقله الى بازل

ومن المفارقات التي تحرص الصهيونية على اخفائها ، انه حتى بعد أن أحكمت قبضتها على الأقليات اليهودية في العالم ، فان الانتشار اليهودي بعيدا عن فلسطين لا يزال قائما ، وغالبية اليهود التي هاجرت في أواخر القرن التاسع عشر (وهو عصر الهجرة اليهودية الكبرى) وأوائل القرن العشرين ، هاجرت أساسا الى الولايات المتحدة ، ويمكن القول ان هذا لا يزال هو النمط السائد للهجرة من شرق أوروبا أو أي مكان آخر في العالم الى الولايات المتحدة (واستراليا وجنوب افريقيا وفرنسا وانجلترا) أي أنها

هجرة من مناطق متخلفة اقتصاديا نسبيا الى مناطق متقدمة ومجتمعات ذات وفرة واقتصاد حر

العاطفة والايديولوجيا

وبدلا من تسمية الظواهر بأسمائها في اسرائيل ، والحديث عن الهجرة اليهودية الى الولايات المتحدة (أو العالم المتقدم) فإنهم يتحدثون عما يسمونه « بالشتات الجديد » ، وهو رفض جماعات المهاجرين اليهود الاستقرار في فلسطين المحتلة ، وتفضيلهم الانتشار والاستقرار خارجها ، فيهود الجزائر (عام ١٩٦٥) استقر معظمهم في فرنسا ، ويهود أمريكا اللاتينية (منذ الستينيات وحتى الآن) يستوطنون أساسا في الولايات المتحدة ، ويهود ايران (١٩٨٠) لم تستوطن منهم في اسرائيل الا قلة نادرة ، ولكن أكثر الأمثلة أهميه ودرامية الهجرة السوفيتية التي يوجهها الصهاينه ، ويحاولون التحكم فيها دون جدوى ، فهي تأخذ شكلا مغايرا تماما لطموحاتهم الأيديولوجية ويمكن القول أن معظم أعضاء التجمع الصهيوني قد استوطنوا فلسطين لا بسبب أي روابط عاطفية/ ازلية ، وانما بسبب عناصر خارجية ، مثل وجود فرص للحراك الاجتماعي غير متوفرة في أوطانهم ، أو وجود حالة من الارهاب السياسي كما حدث في ألمانيا النازية ، مع عدم وجود منافذ أخرى (اذ أن أبواب الهجرة للولايات المتحدة كانت مغلقة) ، مع العلم بان أعداداً كبيرة من ضحايا العنف النازي لم تهاجر الى فلسطين ، وانما استقروا أساسا في الولايات المتحدة

ومن الطريف أن بإمكاننا الآن أن نتحدث عن التشتت الطوعي أو التلقائي أو الانتشار اليهودي الى المكان الذي توجد فيه فرصة اقتصادية لا عن الهجرة القسرية أو التهجير الى الوطن اليهودي،فهذه هجرة لا تتم إلا في ظروف الكارثة أو في ظروف تفرضها المنظمة الصهيونية ، ويمكننا في هذا الاطار أن نفهم هجرة الاسرائيليين بأعداد كبيرة بل هائلة بالنسبة لعدد السكان ، الى الولايات المتحدة □

●

دور الأصوات الموجهة

إلى الجنين في تقرير مدى لزوم

العملية القيصرية

● توصل فريقان مستقلان من الباحثين الفرنسيين احدهما برئاسة البرفسور كلود سورو ، والاخر برئاسة البروفسور جان كرينان إلى نتائج مثيرة لتبين حالة الجنين في المرحلة الأخيرة التي تسبق ولادته ، أي من الأسبوع السابع والثلاثين إلى الأسبوع الحادي والاربعين . وذلك عبر استقصاء رد فعل الجنين على الاصوات . وقد تبين أن الجنين صحيح البنية يتفاعل مع الأصوات الخارجية عندما تنطلق من مصدر قريب من بطن الأم ، وإذا لم يتفاعل فإن ذلك يؤلف مؤشرا إلى وجوب توليده بعملية قيصرية

هذا ويتجلى رد فعل الجنين على الأصوات الخارجية بتعديل سريع وقصير الأمد على نبضات قلبه ، وقد يرافق ذلك حركة من الجنين في بطن الحامل وقد ذكرت الباحثة السيدة ماري كلير بوزنيل ان الأبحاث تستهدف تعيين ما يسمعه الجنين بالضبط ، وتعيين السن التي يبدأ فيها بسماع الأصوات الخارجية ، ولمعرفة ما إذا كانت ذاكرته تستوعب بعض الأصوات الخاصة وتخزنها ، وما إذا كان الصخب يزعجه ويولف إرهاقا له ومن اجل ذلك يستخدم الباحثون مكبرا للأصوات يضعونه على بطن الحامل ، وعبر هذا المكبر يوجهون نغما أو صخبا لمدة خمس ثوان فقط ، واثناء ذلك تقوم الة جس خاصة بتسجيل ما يطرأ على نبض قلب الجنين من تعديلات



شعر : فاروق شوشة

مدن للرحيلِ ،
الطيورُ تغادرُ أعشاشها ،
والغيومُ التي تتجمعُ تعلنُ عن زمنٍ للعواصف ،

عن مدنٍ لاختلاطِ الفصول ،
أفتح نافذتي ، عبرَ النيل ، يباغتني وجهُ عدوي .
يترصدني ويمدّ ذراعيه تطولاني حيثَ أكون ،
وحيثُ تغيبُ الشمس ،
محُالٌ أن أتحول عن خنجرهِ ،
وهو يغوص ويبدأ فيّ ،
بعضي صار يناجزني ،
يتنكرُ لي ويُباعدني ،
وأنا المذبوح على الحدّين ،

أرد الطعنة . . كيف ؟
أصوبُ ، حين أصوبُ ، للمجهولِ
وجهُ عدوي في نافذتي
في مرآتي ،
في داخل سمي وطعامي
يترصدني ،
لا أتساءل كيف انسل وخيم ثم أقام
لا أتساءل كيف تسور أفقي
أصبح كابوسي ،
قلقي ،
صحوي ، هربي حين أنام
وأنا المنتظر لحظة تنفيذَ الإعدام
لو أملكُ أغلقُ نافذتي في وجهِ الخوف
لو أملك صوتي : أصرخ في البرية
ها ، تقترب الساعة

حين يجف العمر ،
وحين يشيخ النهر ،
وحين يطول القهر ،
وحين . . .
ولكنني ، خلفَ كلِّ الدروب ، ولا من سبيلْ
مدُن للرحيل .
والذي قد تناثر عبر الرياح
وطنٌ مُستباح !

* * *

مدنٌ للرحيل
المدافن شاخصةٌ ،
والغبار الذي قد تكاثف موتٌ ،
والذي قد تكشف فوتٌ ،
وهذي العمائر تزحف في كل صوب ،
تباغتنا مشرعات الأسنة .
غائصة في قرار الحلوق .
والذي نبتني .
مدنٌ للبكاء .

وأقبية للعواء .
وفي باطن الأرض زلزلةٌ ،
تتشقق عنها الوجوهُ ،
وترتجُّ منها القلوبُ ،
ولكننا لا نفيق
مدنٌ في انتظارِ الرحيل .
والمشانقُ تمنعنا أن نجاوز حدَّ البكاء
وحدَّ العزاء
وأن نتصاعد في درجاتِ العويل
نستأذن حتى في الأحزان
ونفْرَق من غضب السَّجان ،
فنعلن أن المضيقَ اتساعُ
وأن القفارَ جنانٌ
وأن الزمانَ زمانٌ . .
وأن المسيسَ الجبانَ . . . صهيل . !

* * *

مدنٌ لاختبار النّوايا
ومهما تصورت أنك جاوزْتهم ،
ونجوتَ بجلدك ،
أنك مؤتمَنٌ وسميع مُطيع
فهم مُوقفوك
فهم سائلوك :
ومن أنت ؟
ماذا تكون ؟
وما تبتغي ؟

* * *

من أنا . . ؟
من أكون . . ؟
وما أبتغي . . ؟
آهِ للوهم ،
كان يُزّين لي أنني قد عبرتُ الحدودَ
وحلّقتِ فوقِ الحواجز ،
شارفتُ كل التخوم ،
وأطللتُ مثلَ انعقادِ السَّماءِ
على وطن منْ نُجوم
وأن الأثير الذي كان يوماً بضاعتنا
لم يضع في السّديم
ولكنه واقف ، كالردى شاخُصٌ ، في عُتو دميم
يُباغتني بالسؤال العقيم :
ومن أنت ؟ ما تبتغي ؟
عدوّ هناك تسللَ فيّ
وآخر عندي عدوٌ مقيم
وبين عدوّين :
ماذا أكون ؟
وما أبتغي ؟
وطنٌ واحدٌ لا يباعُ
وعمرٌ جميلٌ قديم !

* * *

مدنٌ للرحيل
مدنٌ للبكاءِ الطويل
مدنٌ لاختلاط الفصول
فمَن يُمسك الأرضَ ،
من يستميتُ على حدِّ خارطةٍ في الحدودِ
وخارطةٍ في الدماءِ ،
ليُعلنها وطناً لا يضيعُ
ولا يتراجع ،
لا يتقلّصُ يوماً فيوما ،
وشبراً فَشِبْراً
وتطفو بقاياهُ فوق الدموع
فمن يُمسكُ الأرض ؟
من يتجاسرُ أن يزرع القدمين
ويثبت للمدِّ
يُقْسِم .
هذي نهاية موتي
وهذي بداية صَوتي
وهذا طريقي الى المستحيل !

فكرة انعقاد مؤتمر يبحث قضايا العالم الاسلامي ، والنهوض بواقعه الى آفاق أفضل وأرحب مرت بمراحل ، وتطورت من تصور يشغل بال المفكر عبدالرحمن الكواكبي الى لقاءات حية .

بدأت بمؤتمرات تحضرها ، وفود ، وتطورت الى لقاءات يؤمها القادة ، صناع القرار .

مؤتمرات القمة الإسلامية بين الفكرة والتحقيق

بقلم : الدكتور احسان صدقي العمد

ترتبط فكرة المؤتمرات الاسلامية في جوهرها بمبادىء الاسلام ، وروحه ، وتعاليمه المفصلة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، فقد دعت الآيات والأحاديث الى التماسك ، والترابط ، والتعاون بين جميع المسلمين ، ومن الأيات الكريمة في هذا المعنى قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » (١٠/ الحجرات) ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا » (١٠٣/ آل عمران) ، « وان هذه أمتكم أمة واحدة » (٥٢/ المؤمنون) ، « وتعاونوا على البر والتقوى » (٢/ المائدة)

وهناك أحاديث شريفة كثيرة في هذا الصدد من بينها : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، كونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى (مختصر صحيح مسلم/ ١٧٧٣ - ١٧٧٥)

، وموسم الحج مؤتمر اسلامي سنوي كريم ، يهدف الى صلاح المسلمين في الدنيا والآخرة ، فما أحرى أن يتجه اليه كل عام رجال العلم والاجتهاد ، والراي والحزم والسياسة ، ليتدارسوا حاضر المسلمين ومستقبلهم ويعملوا على النهوض بأحوالهم في الاسلام ، ويؤمنوا ديارهم التي يتهددها المعتدون .

أهداف الفكرة

كان من الطبيعي أن يشتد شعور المسلمين بهذه المبادىء ، والدعوة لها في الأوقات التي يتعرض لها العالم الاسلامي لأخطار خارجية ، كما حدث ابان الغزو الصليبي والمغولي للديار الاسلامية ، فقد نادى

نورالدين محمود بمثل هذه الفكرة في المشرق الاسلامي ، وذهب خليفته صلاح الدين الأيوبي الى أبعد من ذلك عندما حاول جمع كلمة المسلمين في المشرق مع كلمة المسلمين في المغرب ، للوقوف في وجه المد الاستعماري الصليبي الاوروبي ، الا أن محاولته الرائدة لم يقدر لها النجاح ، كما صدرت دعوات مماثلة عن مسلمي الأندلس للتوحيد ، والوقوف في وجه القوى الاسبانية البرتغالية ، مما دفع العثمانيين الى التصدي لذلك الخطر الداهم ، والحيلولة دون امتداده الى المغرب الاسلامي

حتى اذا تكالبت القوى الاستعمارية في القرن التاسع عشر على بلاد المسلمين من جديد ، تعالت الدعوات الى التضامن الاسلامي لوقف زحف الخطر الجديد الذي تمثل باحتلال أجزاء من العالم الاسلامي في المغرب والمشرق ، وطالبت هذه الدعوات بادخال اصلاحات جذرية في المجتمعات الاسلامية على أساس من العلم والتفقيه والتقدم حتى تتوفر لها القوة التي تحافظ عليها ، وتعيد أمجادها الغابرة .

الجامعة الاسلامية :

وقد عرفت هذه الدعوة آنذاك بالجامعة الاسلاميه ، وكان جمال الدين الأفغاني من أبرز مفكريها ، والداعين الى توحيد كلمة المسلمين وصفوفهم في كل مكان ، كما دعا الدولة العثمانية الى اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية وحيدة لجميع رعاياها ، حتى تجمع شعوبها الاسلامية رابطتان ، هما رابطة العقيدة ، ورابطة اللغة والثقافة ، وطالب بتحويل تلك الدولة الى دولة اتحادية لامركزية - اذا جاز التعبير - لايمانه أن ذلك يؤدي الى قوة العالم الاسلامي وتماسكه .

وقد أيد هذه الفكرة وعمل لها عدد آخر من المفكرين ، وزعماء الاصلاح في بلاد الشام ، ومصر ، وأقطار المغرب العربي ، أمثال محمد عبده ، ومصطفى كامل ، وعبد العزيز الثعالبي ، وعبدالرحمن الكواكبي ، وعبدالله السهروردي ، وغيرهم وما زالت دعوة تبني المسلمين جميعا لغة الوحي والقرآن أمنية تراود كل عربي ومسلم مخلص ، حتى يتأصل توحيد الشعوب الاسلامية وتقاربها .

دعوات للفكرة

لكن أول دعوة صريحة لعقد مؤتمر اسلامي كبير يشترك فيه ممثلون عن جميع الدول والشعوب الاسلامية ، جاءت على يد عبدالرحمن الكواكبي ، عام ١٨٩٨ ، أي قبيل نهاية القرن الماضي ، فقد وضع في تلك السنة مشروعا متكاملا لمؤتمر اسلامي عالمي يعقد في مكة المكرمة ، ويحضره نخبة من رجال الفكر في جميع أقطار العالم الاسلامي ، وذلك لاستعراض أوضاع الشعوب الاسلامية ، ومعالجة أسباب تأخرها ، مع التأكيد على أن الجهل هو مصدر الخلل الذي نزل بهم ، والتحذير من سوء العاقبة اذا ترك المسلمون أمورهم تجري على ما كانت عليه .

وبالفعل فقد تخيل الكواكبي عقد المؤتمر الاسلامي المقترح ، وأدار بين وفوده حوارا يوضح الأفكار الاصلاحية التي دعا اليها هذا المفكر ، وقد طبع المشروع فيما بعد في كتاب « أم القرى » ، فكان هذا الكتاب أول مؤلف سياسي لمفكر عربي من المشرق الاسلامي في العصر الحديث ، يدعو الى مؤتمر اسلامي للنهوض بالشعوب الاسلامية ، على قواعد وأفكار اسلامية ، وأخرى عربية حديثة .

ولم تمض بضع سنوات على صدور مشروع الكواكبي عن المؤتمر الاسلامي ، حتى أسس عبدالله السهروردي في عام ١٩٠٣ « جمعية الجامعة الاسلامية » في لندن التي أصدرت مجلة تحمل أفكارها ودعوتها باسم (مجلة الجامعة الاسلامية) . وفي عام ١٩٠٧ دعا الكاتب والمفكر الاسلامي اسماعيل جاسبرالي الذي ترجع أصوله الى شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود ، دعا هذا المفكر الى انعقاد مؤتمر اسلامي عالمي حقيقي ، وقام من أجل ذلك برحلة الى مصر والهند للدعوة الى فكرته ، كما أصدر في القاهرة صحيفة « النهضة » لهذا الغرض ، الا أن دعوته لم يقدر لها أن تخرج الى حيز التنفيذ

مراحل التنفيذ ودواعيه

وكان العاهل السعودي الأسبق الملك عبدالعزيز آل سعود ، أول من دعا الى عقد مؤتمر اسلامي

تحضره وفود عن الحكومات والدول الاسلامية ، وقد عقد هذا المؤتمر في مكة المكرمة في عام ١٩٢٥ ، بحضور وفود تمثل مصر ، وتركيا ، وجمعية الخلافة الاسلامية في الهند ، وعدد كبير من علماء المسلمين ، كما عقد المؤتمر دورة ثانية له في العام التالي .

لكن ازدياد الخطر الصهيوني على فلسطين بعد صدور وعد بلفور ، وبدء الحركة الصهيونية في اتخاذ خطوات عملية لتهويد القدس ، والأماكن الاسلامية فيها ، جعل قادة الحركة الوطنية في فلسطين يبادرون الى الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي في مدينة القدس ، للبحث في درء هذا الخطر . وبالفعل فقد عقد أول مؤتمر اسلامي في القدس عام ١٩٢٨ ، حضرته وفود من فلسطين وسوريا ولبنان ، والأردن .

فلسطين محور المؤتمرات :

وازاء استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين وتفاقم الأطماع الصهيونية فيها ، تنادى المسلمون الى عقد مؤتمر اسلامي كبير في مدينة القدس في عام ١٩٣١ ، شاركت فيه وفود من فلسطين والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والعراق ، ومصر ، والسعودية ، واليمن ، وتونس ، وليبيا ، والجزائر ، والمغرب ، والهند ، والقفقاس ، والتركستان الصينية ، ويوغسلافيا ، ونيجيريا ، واندونيسيا ، وسريلانكا .

وقرر المؤتمر ايجاد كتلة عربية اسلامية تقف في وجه مطامع اليهود في فلسطين وأماكنها المقدسة ، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية من قبل جميع الأقطار الاسلامية ، وتنبيه العالم الاسلامي الى خطورة الهجرة اليهودية ، ومؤامرات الصهيونية والاستعمار على فلسطين ، باعتبارها ـ أي فلسطين ـ جزءا لايتجزأ من عالم الاسلام .

وبعد اغتصاب فلسطين في عام ١٩٤٨ ببضع سنوات ، عقد مؤتمران اسلاميان ، أحدهما في كراتشي في عام ١٩٥٢ ، والآخر في مكة المكرمة عام ١٩٥٤ ، كما أنشئت في ذلك العام أي عام ١٩٥٤ هيئة في القاهرة أطلق عليها اسم « المؤتمر الاسلامي » ، بهدف تكوين وعي اسلامي مشترك بين شعوب العالم الاسلامي ودوله ، والتعريف برسالة الاسلام في العالم المعاصر .

وشهدت الخمسينيات والستينيات تصعيدا في سياسة اسرائيل العدوانية في المنطقة ، حيث شنت على الدول العربية المجاورة سلسلة من الحروب ، استكملت خلالها احتلال باقي فلسطين ، وبعض الأراضي العربية المجاورة وبدأت اسرائيل تنفذ سياستها في تهويد باقي فلسطين ، وطمس معالم المقدسات الاسلامية فيها ، وتمثلت أولى الخطوات في الاقدام على حرق المسجد الأقصى في الحادي والعشرين من اغسطس عام ١٩٦٩

مؤتمر القمة الاسلامي الأول :

وعلى اثر ذلك عقد أول مؤتمر اسلامي على مستوى القمة في الرباط في رجب عام ١٣٨٩هـ/ سبتمبر عام ١٩٦٩ ، بحضور رؤساء وممثلين عن ست وعشرين دولة اسلامية . وفي محرم ١٣٩٢ هـ/ مارس ١٩٧٢ أعلن ميثاق المؤتمر الاسلامي ، وقيام منظمة المؤتمر الاسلامي ، وقد حدد الميثاق أهداف المؤتمر الاسلامي من حيث تعزيز التضامن بين الدول الأعضاء ، ودعم التعاون الاقتصادي ، والاجتماعي والثقافي ، والعلمي بينها ، وتنسيق العمل للحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة ، وتحريرها ، ومساندة كفاح الشعوب الاسلامية ، ودعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل

مؤتمر القمة الثاني :

واستضافت جمهورية باكستان الاسلامية بعد ذلك مؤتمر القمة الاسلامي الثاني في لاهور في فبراير عام ١٩٧٤ . واشتركت في هذا المؤتمر سبع وثلاثون دولة اسلامية ، وساهمت الكويت في هذا المؤتمر بدور كبير خصوصا في التقريب والتوفيق بين باكستان وبنغلاديش ، كما قرر مؤتمر لاهور ـ بين أمور أخرى ـ انشاء صندوق للتضامن الاسلامي .

المؤتمر الثالث :

وتفاقمت المشاكل التي يواجهها العالم الاسلامي بعد ذلك اثر اندلاع الحرب الأهلية في لبنان ،

ونشوب الحرب العراقية الايرانية ، وتدخل القوات السوفيتية في أفغانستان ، وغير ذلك من القضايا التي كانت موضع بحث في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد في مكة والطائف في ربيع الأول عام ١٤٠١هـ/ يناير عام ١٩٨١ ، وقد وافق هذا المؤتمر -

بين موضوعات أخرى - على مشروع حيوي تقدمت به الكويت لانشاء محكمة عدل اسلامية ، كما اعتمد انشاء مجمع الفقه الاسلامي

المؤتمر الرابع :

وبعد ذلك بثلاث سنوات ، أي في يناير ١٩٨٤ ، التأمت في المغرب القمة الاسلامية الرابعة التي انعقدت في الدار البيضاء ، في وقت كان العالم الاسلامي يواجه فيه مشاكل وتحديات عديدة في مختلف أقطاره ، وقد تم في هذا المؤتمر الذي شاركت فيه اثنتان وأربعون دولة اسلامية ، بحث القضايا السياسية التي مازال العالم الاسلامي يواجهها ، كما

وافق على توجيه دعوة الى جمهورية مصر العربية للعودة الى شغل مقعدها في منظمة المؤتمر الاسلامي ، اضافة الى بحث موضوعات حيوية أخرى تهدف الى النهوض بالعالم الاسلامي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعلميا

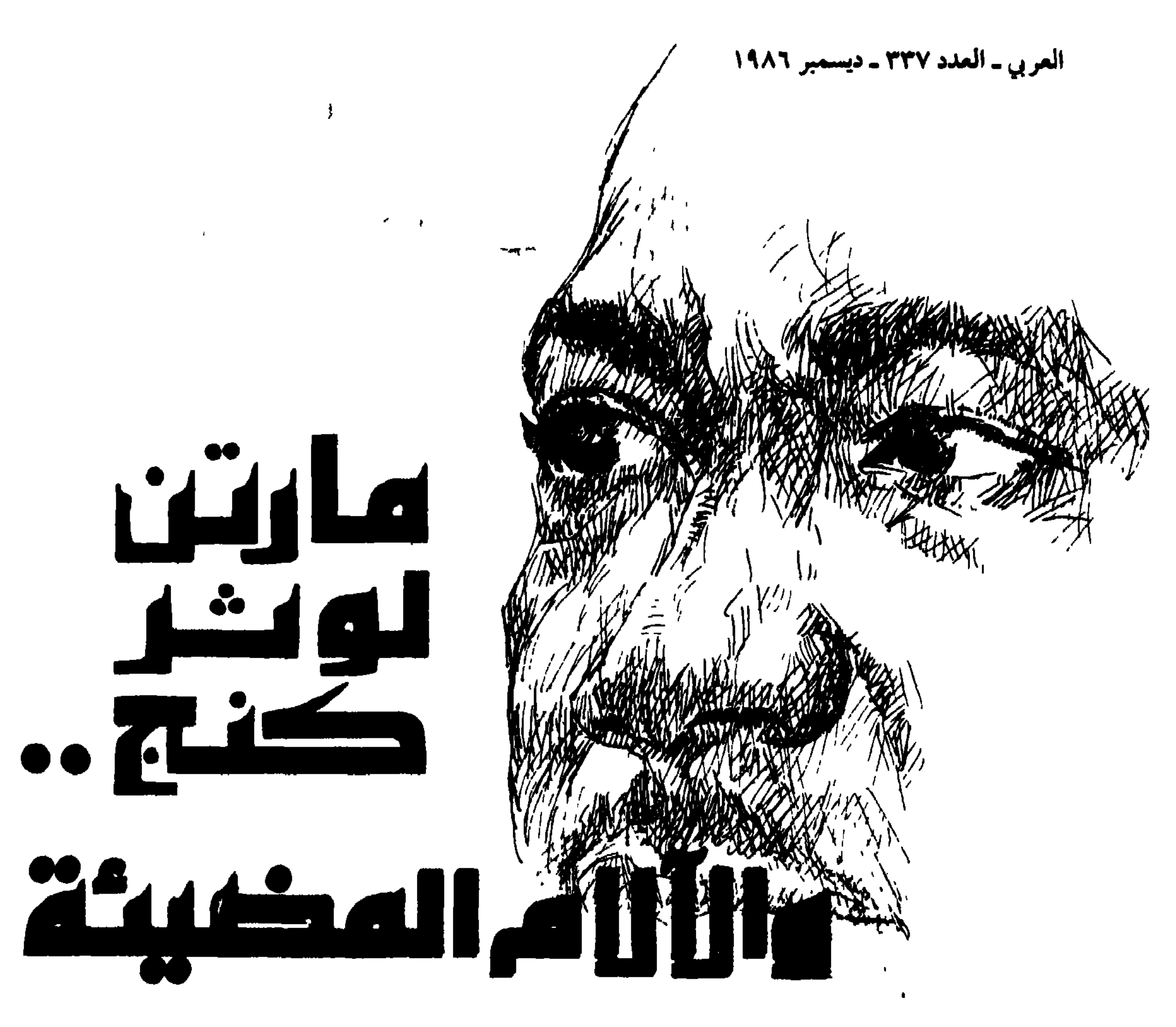
وقد أعرب سمو الشيخ جابر الأحمد أمير دولة الكويت في مؤتمر القمة الاسلامي الرابع عن أمله في أن يكون لمثل هذا المؤتمر تأثيره الكبير في المحافل الدولية على الأخص اذا ماتوحدت صفوف المسلمين ، واجتمعت كلمتهم ، فمنظمة المؤتمر الاسلامي تضم اليوم خمسا وأربعين دولة ، تمثل أكثر من ألف مليون نسمة ، مما يجعل لهذه المنظمة الأهمية والتأثير في الكيان الدولي .

وايمانا من الكويت بواجبها تجاه أشقائها في الدين ، وهو ما حرصت على التمسك به ، والعمل من أجله خلال سنوات طويلة ، فقد دعت الى انعقاد الدورة الخامسة لمؤتمر القمة الاسلامي عام ١٩٨٧ على أراضيها ، مستلهمة بذلك رغبات شعبها لتوحيد كلمة الاسلام ، وتقوية الروابط بين شعوب الأمة الاسلامية ، والأمل كبير في أن تحقق القمة الاسلامية الخامسة في الكويت كل الآمال والأماني المعقودة عليها لخير العالم الاسلامي بدوله وشعوبه . □

أبوة الرسول

● كان النبي صلى الله عليه وسلم مضرب الأمثال في حبه لأولاده وأحفاده ، فيروى أن الأقرع بن حابس زار النبي صلى الله عيه وسلم يوما ، فلما أخذ مجلسه واستقر به المقام ، أقبل الحسن بن عليّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به النبي وضمه إلى صدره ، وقبله بين عينيه ، فتعجب الأقرع من فعل الرسول وعطفه الغامر وحنانه الدافق ، ولم يقدر أن يستر دهشته ، فقال للنبي متعجبا : أتقّبل الأطفال ؟ فقال له النبي : نعم وأية غرابة في هذا ؟ فقال الأقرع : والله إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحدا منهم قط .

وعندئذ قال رسول الله : وما أفعل لك إذا كان الله تعالى قد نزع الرحمة من قلبك ؟ إن الله رحيم يحب الرحماء ، ومن لا يرحم لا يُرحم .



مارتن لوثر كنج.. والآلام المضيئة

بقلم : د . أحمد الأمين البشير

بعد خمسة عشر عاما على اغتياله ، قرر الكونجرس الأمريكي اعتبار يوم مولده عيدا وطنيا ، تعطل فيه كل المصالح في جميع أنحاء البلاد واحتفال يناير المقبل هو ثاني احتفال بهذه المناسبه التي تساوت مع كل المناسبات القومية والوطنية في أمريكا احتفالا بعظمائها .

يزخر التاريخ الانساني بشخصيات وأبطال تجاوزوا حدود وطنهم ، وتاريخ بلادهم ، وتعدّوا نطاق الانتماء الضيق لبني جنسهم وشعوبهم ، وصاروا ملكا للتاريخ الانساني كله ، ومنتمين للانسانية جمعاء ، وبني البشر كلهم

ومهما كانت عذابات هؤلاء البشر وآلامهم واضطهادهم ، وقسوة المعاناة التي يتعرضون لها الا أن آلامهم تصبح كالنور أو النار تمنح للانسان ضوءا وتهديه طريقا ، وتنقل المجتمع الانساني من حالة الى حالة . ويحدد بهم التاريخ الانساني مراحله ـ فيقول ما قبل ، وما بعد !

و د. مارتن لوثر كنج واحد من هؤلاء ، كان يؤمن ايمانا عميقا لا يتطرق اليه شك أن قوة الحق هي الطريق الوحيد المؤدي الى الحرية ، وتجاوز في نضاله المستميت الدفاع عن عنصرية اللون فانطلق في حركة شاملة هزت المجتمع الانساني كله دفاعا عن عنصرية اللون وعن الفقراء والحرية ، والمستضعفين في العالم مبشرا بعالم يسوده الحب والسلام والعدل

ولد د . مارتن لوثر كنج في ١٥ يناير عام ١٩٢٩ في مدينة اتلانتا عاصمة ولاية جورجيا ، والتحق بجامعة مورهاوس وعمره لم يتجاوز الخمسة عشر عاما ، بسبب تفوقه واختزاله للصفين التاسع والثاني عشر من المدرسة الثانوية ، وأكمل الجامعة وهو دون العشرين ، بعد تخصصه في علم الاجتماع ، التحق بعد ذلك بكلية كروزر للدراسات اللاهوتية العليا عام ١٩٥١ ، وأصبح قسيسا في مدينة اتلانتا ، وفي عام ١٩٥٥ حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت (P H D) من جامعة بوسطن ، وكان قد تزوج قبل ذلك بعامين من كورتا اسكوت زميلته بالجامعة .

ولقد تضافرت عوامل شخصية واجتماعية وسياسية عديدة لتجعل من د . مارتن لوثر كنج ، جونير القائد المناسب في اللحظة المناسبة للأقلية السوداء في الولايات المتحدة (حوالى ١٢٪) من السكان .

شب د . كنج في بيت والده القسيس، في الوقت الذي كان يلعب فيه رجل الدين الأسود دورا قياديا مهماً في حياة المجتمع الأسود ، مما أعطاه منذ طفولته حساسية خاصة تجاه مشاكل أبناء جلدته ، وتفهما وتعاطفا معهم من منطلق ديني ، يقوم على ثوابت أهمها التسامح والالتزام بمبادىء العدالة ، والايمان العميق الراسخ بالمساواة بين البشر ، بغض النظر عن اللون أو الدين أو القومية .

وكانت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وبداية الحرب الكورية في مطلع الخمسينيات ، قد شهدت اشتراك الرجل الأسود على قدم المساواة في الواجبات الوطنية ، كالتجنيد في الجيش ، مما عمق من وعيه الوطني ، واصراره على الحصول على حقوق المواطنة كاملة ، في عهد بدأت فيه الحركات القومية في دول العالم الثالث ، وبخاصة أفريقيا ، تطالب بالحكم الذاتي والاستقلال .

وقد واكب هذا الوعي من جانب الأقلية السوداء وعي متزايد من جانب صفوات مهمة في الأغلبية البيضاء ، بأن ثمة تغييرات جوهرية في القيم والبنيات الأساسية للمجتمع قد بدأت تتكون ، مما زاد من جرأة وتطرف العناصر المؤمنة بالتغيير ، وتلك التي ترفضه على السواء ، وكان نتيجة ذلك قيام تحالف مع العناصر اللبرالية التي تؤمن بالتغيير ، وبين زعماء الأقلية السوداء ، مما خلق هامشا عريضا يموج بالحيوية والأمل ، والتطلع الى قيام مجتمع جديد تسوده العدالة والمساواة للجميع ، في هذه البيئة وجد د . مارتن مجالا للازدهار ، وتفجرت « كارزميته » وتوهجت ، وبدأت شخصيته تنمو وتنضج مع دوره المتزايد الفريد ، لأنه يؤمن بأن الحق الى جانبه ، وان رسالته لا تناقض مبادىء الدين المسيحي ، فقد نبذ العنف كسلاح للنضال ، واستعاض عنه بالصلابة والاصرار على المضى في طريق الكفاح ، مهما لاقى من المصاعب والأهوال ، وهكذا أصبح اللاعنف هو الوسيلة والغاية في الوقت نفسه ، ويمكن تقسيم نضال د . كنج الى قسمين غير متساويين ، الأول والأهم يختص بتوفير الحقوق المدنية للسود من خلال تطبيق القانون ، ويمتد من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ ، والثاني يبدأ من أوائل عام ١٩٦٦ وحتى اغتياله ، وفيه يتسع نطاق نضاله ليشمل الفقراء من بيض وسود ومعارضة الحرب الفيتنامية .

لن أبدل مقعدي

ويبدأ نضال د . كنج ضد التفرقة العنصرية بحادثة صغيرة ، رفضت السيدة السوداء روزا باركر التنازل عن مقعدها لرجل أبيض ، والعودة الى مؤخرة الحافلة ، حيث الجزء المخصص للسود ، واعتقلت السيدة يوم ١ ديسمبر ١٩٥٥ ، ووجد د كنج في ذلك الفرصة المواتية للهجوم على قوانين العنصرية في مدينة مونتوقومرى عاصمة ولاية الباما .

ابتدأ مارتن لوثر أولا بتنظيم مقاطعة السود للحافلات العامة في تلك المدينة ، مما أدى الى اعتقاله في أول فبراير ١٩٥٦ ، وهكذا انتقل الصراع الى ساحة المحاكم التي لم تجد مفرا ، في يوم ٤ يونيو ١٩٥٦ ، من اعلان قوانين التفرقة العنصرية في مدينة مونتوقومرى ، غير دستورية ، مما يعنى بطلانها في الحال ، فالدستور هو الأساس .

وما كان لقاضى المحكمة الأبيض أن يأخذ ذلك الموقف ، لولا توفر الجو المناسب ، كذلك وجد د . كنج وأنصاره من الأقلية السوداء وحلفائهم من البيض الليبراليين في ذلك حافزا لهم لمواصلة الضغط على النظام القائم على مستوى المحاكم المحلية

والفدرالية ، وعلى مستوى وسائل الاعلام مع تنظيم المواكب والاضرابات ، ولكم تعرض د . كنج وأنصاره للاهانات والضرب والسجن ولكنهم تحملوا ذلك في صبر وشموخ واصرار ، من غير أن يلجأوا للمقاومة أو العنف ، مما أكسبهم احترام ومساندة قطاعات متزايدة من الرأى العام الأمريكي والعالمي ، في وقت بدأت فيه المستعمرات ، وبخاصة الأفريقية ، تزيد من ضغوطها للحصول على الاستقلال .

وفي فبراير ١٩٥٩ زار د . كنج الهند بدعوة من رئيس وزرائها جواهر لال نهرو ، حيث أمضى شهرا كاملا يتعمق في دراسة فلسفة ومنهج نضال المهاتما غاندي في اللاعنف ، وفي اكتوبر ١٩٦٢ التقى مارتن لوثر بالرئيس كينيدى في البيت الأبيض للتكريم والتفاوض ، فلم يعد من الممكن تجاهله ، واحياء السود في المدن الشمالية ومناطق تكدسهم في الولايات الجنوبية قد بدأت تموج بالحركة والحماس ، وقد نفد صبر ساكنيها ، مما بدأ يهدد بانفجار وشيك ، وكانت منظمة المسلمين السود بقيادة اليجا محمد قد بدأت تستقطب اليها العناصر الشابة ، وتنظمهم في ميليشيات ، وتلقنهم رفض الحضارة الغربية جملة وتفصيلا .

خوفا من الحرب

لم تكن الحكومة الأمريكية ترغب في انفجار حرب أهلية داخلية ، وحرب فيتنام تزداد أوارا وتعقيدا مع اتساع المعارضة لها .

لذلك استجاب الرئيس لندون جونسون لمطالب حركة الحقوق المدنية ، بقيادة د . كنج ، وفي عام ١٩٦٤ أجيز قانون الحقوق المدنية ، وبعد ذلك بعام أجيز قانون حقوق الانتخاب ، الذي جعلها حقوقا عامة لكل المواطنين ، ويعتبر هذا القانون أهم قوانين الحقوق المدنية على الاطلاق ، ولقد دعي د . كنج الى البيت الأبيض لحضور الاحتفال بتوقيع الرئيس جونسون للقانونين ، وكان ذلك بمثابة اعتراف رسمي به زعيماً أوحداً للسود في أمريكا .

وفي سبتمبر ١٩٦٤ قابل مارتن لوثر البابا بول السادس في الفاتيكان ، وحصل بعد ذلك بشهر على جائزة نوبل للسلام ، وكان أول رجل أسود من أصل أفريقي يحصل على تلك الجائزة الرفيعة ، مما يعتبر اعترافا عالميا بدوره وانجازاته في مجال تكريس القانون القائم الى أقصى حد ممكن ، وهكذا انتهت المرحلة الأولى من نضال د . كنج ، وبدأت الرحلة الثانية .

وكان مطلع الستينيات قد شهد نمواً وازدهاراً لمراكز التطرف في اليمين واليسار ، بين البيض والسود على السواء ، نتيجة نجاح حركة اللاعنف ضد التفرقة العنصرية ، في مجال تغيير القوانين ، وتمهيد الطريق للتغيير السلمى المتدرج داخل المؤسسات ، كان اليمين الأبيض غير سعيد بالتغيير بأي شكل ، وكان اليسار الأسود غير مقتنع بالتدرج البطىء ، ولذلك لجأ الطرفان الى استعمال العنف والمواجهة ، واللجوء الى سلاح الاغتيال السياسي ، وكانت الضحية الأولى الرئيس جون كينيدى ، اغتيل يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ ، ولم يكن من أنصار الحقوق المدنية ، وكان الضحية الثانية الزعيم الأسود للمسلمين المستر مالكولم اكس الذي اغتيل في ٢١ فبراير ١٩٦٥ .

وبقى د . مارتن لوثر كنج يعيش في خطر داهم ، ويواصل كفاحه السلمى ، بعد أن برزت الى الساحة مجموعات سوداء متطرفة ، مثل أنصار مجموعة القوة السوداء التي رفضت كل ما هو أبيض ، وحزب الفهود « السود » الذي كان ينادى بالثورة المسلحة لانهاء كل المظاهر العنصرية ، ووجدت المجموعتان ضالتهما في نظرية العنف التي كان ينادى بها طبيب علم النفس المارتنيكي فرانتز فانون ، الذي كان يناضل ويمارس الطب في صفوف الثورة الجزائرية ، وتقول تلك الفلسفة بأن العنف النضالي ما هو الا عملية تطهير للمناضلين ، اذ أنها تخلصهم بشكل نهائي من الاستكانة والانكسار ، وتحيلهم الى رجال أسوياء ، بمعنى أن المناضل عندما يحمل السلاح ويقتل ظالمه المستبد فهو يقتل في الوقت ذاته المقهور المستكين في أعماقه ، واعتبرت هاتان المجموعتان رجل البوليس خنزيرا ، يمثل النظام العنصري الرأسمالي ، وقامت حرب غير معلنة بين الفريقين ، واجتاح الرعب المجتمع الأمريكي ، وضعف نفوذ حركة الحقوق المدنية من خلال اللاعنف . وكان د . كنج قد بدأ يوجه طاقاته الضخمة الى مجالين مهمين أولهما : تنظيم الفقراء من بيض وسود للضغط على النظام القائم ، لتحقيق الحد الأدنى من الحياة الكريمة

للمواطن الأمريكي ، وثانيهما التأثير على سياسة أمريكا الخارجية ، بهدف تنقيتها من الارهاب والعنف ، وكان طبيعيا أن يبدأ بالحرب الضروس الدائرة في فيتنام التي بدأ يفضح عنفها ولا أخلاقيتها وآثارها المدمرة على المجتمع الأمريكي .

وكان عدد الجنود الأمريكيين في فيتنام قد جاوز نصف المليون ، بينما تجاوز عدد القتلى من الجنود الأمريكيين الخمسين ألفا ، والجرحى مئات الآلاف .

يساورني حلم

وفي ٣ ابريل ١٩٦٨ ألقى د . مارتن لوثر كنج خطبته المشهورة ، وهي خطبة ترتفع الى مصاف النبؤة من ناحية المحتوى ، والى مصاف الشعر البليغ من ناحية الشكل ، وفيها ينعى د . كنج نفسه في تحد وشموخ ، ويوصى المجتمع الأمريكي ككل بمواصلة الكفاح ، وفي اليوم التالي اغتيل د . مارتن لوثر كنج ، ولم يكن قد بلغ الأربعين من عمره بعد . .

ويربط أغلب المعلقين والدارسين بين اغتياله وحملته لتنظيم الفقراء من السود والبيض ، لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وهجومه على حرب فيتنام التي كان يدفع الأمريكيون العاديون ثمنها من النفس والنفيس ، بينما يزداد الأثرياء ثراء وقوة ونفوذا ، وهكذا أصبح نضال د . كنج يتناقض تناقضا كاملا مع المبادىء الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الرأسمالي ، وبدأت وكالة الاستخبارات الأمريكية (F B I) تحت قيادة جي . ادجار هوفر تلاحقه وتسرب الى الصحف ما أسمته « خيانته لزوجته » ، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعته مع الرئيس كينيدي .

وتعتبر خطبة د . مارتن لوثر كنج التي ألقاها في يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٣ على أكثر من ربع مليون متظاهر من السود والبيض الذين تقاطروا على العاصمة واشنطن أهم خطبة على الاطلاق لاحتوائها على خلاصة وافية وجيزة لفلسفته وهي في عنفوان وقمة فعاليتها . قال مارتن لوثر : -

كم أنا سعيد بمشاركتكم اليوم ، فيما سيعرف على مدى الأيام بأعظم تظاهرة من أجل الحرية في تاريخ شعبنا .



قبل مائة عام وقع أحد عظماء شعبنا (ابراهام لنكولن الرئيس الأمريكي ١٨٠٩ - ١٨٦٥) الذي نقف تحت ظل تمثاله ، اعلان تحرير الرقيق (١٩٦٣) ، لقد صار ذلك المرسوم الخطير منارة عظمى من الأمل للملايين من الرقيق الزنوج * الذين ظلوا يتضورون في نيران الظلم المشتعلة ، لقد انبثق ذلك المرسوم مثل فلق الصبح لينهي ليل عبوديتهم الطويل .

ولكن بعد كل هذه السنين مازال الزنجي غير طليق ، بعد مائة عام مازالت حياة الزنجي ترسف في أغلال التفرقة والتمييز العنصري ، بعد مائة عام مازال الزنجي حبيس جزيرة الفقر ، في محيط واسع من الرخاء المادى ، بعد مائة عام مازال الزنجي يعانى في زاويا المجتمع الأمريكي ، ويجد نفسه في المنفى رغم أنه في أرضه .

لذلك فقد جئنا اليوم هنا لنضع في قالب درامي هذه الحالة المخزية ، بمعنى آخر لقد جئنا الى عاصمة بلدنا لنصرف شيكا ، فعندما خط مهندسو جمهوريتنا الكلمات الرائعة في الدستور ، وفي اعلان الاستقلال كانوا يوقعون على كمبيالة ، أصبح كل أمريكي وريثا لها ، كمبيالة تقول ان كل المواطنين ، السود كما البيض ، سيكون من حقوقهم الثابتة حق الحياة ،

* استعملنا كلمة زنوج لترجمة كلمة NEGROES هنا رغم اختلاف الأصلين ، كلمة NEGRO لم تعد مقبولة والبديل عنها كلمة أسود أو أفريقي - أمريكي .

وحق الحرية ، وحق السعي لتحقيق السعادة .

انه لمن الواضح اليوم أن أمريكا قد فشلت في الوفاء لمواطنيها السود بحقوقهم المنصوص عليها في تلك الكمبيالة ، وبدلا من أن توفي بالتزامها المقدس ذاك ، أصدرت أمريكا شيكا بلا رصيد ، اننا نرفض أن نصدق أنه لا يوجد رصيد كاف في خزائن الفرص لهذا الشعب ، لذلك فقد جئنا لصرف الشيك الذي سيعطينا عند الطلب ثروات الحرية والأمان والعدل .

وقت للحرية لا الرفاهية

لقد جئنا الى هذا الموقع المقدس ، لنذكّر أمريكا بالأهمية القصوى للحاضر ، ليس هذا وقت الانغماس في رفاهية التريث أو خدر التدرج .

لقد آن أوان تحقيق وعود الديمقراطية ، لقد آن أوان الخروج من ظلام ووحشة نفق التفرقة ، الى ضوء طريق العدالة لمختلف العناصر . لقد آن أوان الارتفاع بشعبنا من وعث الظلم العنصري الى هضبة الاخاء الصلبة ، لقد آن أوان أن نجعل العدالة حقيقة لكل أبناء البشر ، ان تجاهل أهمية هذه اللحظة سيكون خطأ فادحا مميتا ، ان هذا الصيف القائظ بسبب السخط المشروع للزنوج ، لن يمضي قبل أن يتمخض عن خريف منعش بالحرية والمساواة .

إن عام ١٩٦٣ ليس هو النهاية ، وانما هو البداية ، أما هؤلاء الذين يظنون أن كل ما يحتاج اليه الزنجي هو أن ينفس عن نفسه بالتخلص من بخار الغضب ، ليعود الى الاستكانة ... هؤلاء مخطئون ، وهم لا شك سيوقظون من غفوتهم الوقحة ، حينما يحاول هذا الشعب أن يعود لممارسة حياته كالعادة ، لن تكون هنالك راحة أو هدوء في أمريكا حتى يحصل الزنجي على حقوق المواطنة ، ان زوابع التمرد ستستمر في زلزلة أركان شعبنا ، حتى تشرق شمس العدالة .

ولتكن وسائلنا عادلة

لكن لا بد من أن أقول شيئا لأبناء جلدتي الذين يقفون على مشارف الطريق الذي سيقودهم الى قلعة العدالة ، لا بد أن نحرص ، ونحن بصدد استعادة مكاننا المشروع ، على أن لا نأتي أعمالا غير مشروعة ، ويجب أن لا نسعى الى ري ظمئنا للحرية بالشرب من كأس المرارة والكراهية ، يجب أن نقود نضالنا من منطلق الكراهية والانضباط ، يجب أن لا نسمح لاحتجاجنا الخلاق أن يتحول الى عنف جسدي ، يجب علينا الفينة بعد الأخرى أن نرتفع الى الذروة ، بمقابلة العنف الجسدي بالقوة الروحية ، وأن لا نجعل روح النضال الرائعة التي تجتاح مجتمع الزنوج . تقودنا الى عدم الثقة في كل البيض ، فمن الواضح أن الكثير من اخواننا البيض ، كما يدل حضورهم اليوم هنا ، قد بدأوا يقتنعون أن أقدارهم مرتبطة بأقدارنا ، وأن حريتهم لا فكاك لها من حريتنا ، اننا لا نستطيع السير بمفردنا ، وعندما نمضي في سيرنا علينا أن نتذكر بأننا سنمضي قدما ، وان لا ننكص على أعقابنا .

هنالك من يسأل المخلصين في حقل الحقوق المدنية : « متى تبلغون مرحلة الرضا والقناعة ؟ » ونجيب إننا لن نبلغ تلك المرحلة طالما كان هنالك زنجي ضحية ذلك الرعب الفظيع ، الناجم عن وحشية وفظاظة رجل البوليس ، إننا لن نبلغ تلك المرحلة طالما أن أجسامنا المرهقة من السفر الطويل لا تتاح لها فرصة الاسترخاء في النزل المتناثرة في الطريق العام أو فنادق المدن ، اننا لن نقتنع أبدا طالما ظلت حركة الزنجي محصورة بين الغيتو الصغرى والغيتو الكبرى ، اننا لن نقتنع أبدا طالما انتزعت عن أطفالنا ذواتهم ، وسلبت عنهم كرامتهم بلافتات تقول « للبيض فقط * » إننا لن نقتنع أبدا طالما ظل الزنجي في ولاية مسيسبي لا يستطيع أن يمارس حقوقه الانتخابية ، وطالما ظل زنجي في نيويورك يعتقد بأنه ليس ثمة شيء يصوت من أجله . لا . لا ، اننا غير مقتنعين ، ولن نقتنع أبدا حتى تتدفق العدالة مثل الماء ، والفضيلة مثل سيل جارف .

أنا أعرف أن بعضكم قد جاء هنا من محن ورزايا شديدة ، وان بعضكم قد خرج لتوه من زنزانة ضيقة في السجن ، وأن بعضكم قد جاء من أماكن أصابكم فيها بلاء عظيم ، من عواصف العنف الجسدي

* لم تعد هذه اللافتات تعلق نتيجة لصدور قوانين الحقوق المدنية ونتيجة لنضال كنج ورفاقه ، وان كان ذلك لا يعني اختفاء العنصرية بأشكالها المختلفة غير المباشرة .

ووحشية رجال البوليس ، أنتم أيها المتمرسون في المعاناة الخلاقة ، واصلوا عملكم ، وتيقنوا بأن المعاناة دون ذنب ستؤدى الى الخلاص ، عودوا الى ولاية مسيسبى ، عودوا الى ولاية ألباما ، عودوا الى ولاية كارولينا الجنوبية ، عودوا الى ولاية جورجيا ، عودوا الى ولاية لويزيانا ، عودوا الى أحياثكم الفقيرة ، والغيتو في مدن الشمال ، وأنتم مقتنعون أن هذا الوضع بشكل أو بآخر ، من الممكن تغييره ، ولا بد من تغييره ، لذلك يتعين علينا أن لا نتردى في وهاد اليأس .

لقد خلق الله البشر متساوين

أقول لكم أيها الأصدقاء اليوم ، انه يراودني حلم رغم ما يلاقينا من صعاب ، وهو حلم يضرب بجدارة في الحلم الأمريكي ، وهذا الحلم مفاده أن هذا الشعب سينهض ذات يوم ويرتفع الى مستوى عقيدته القائلة « اننا نتمسك بأن هذه الحقائق واضحة لا تحتاج الى برهان : ان البشر قد خلقوا متساوين » لذلك يساورني حلم بأنه ذات يوم ، فوق تلال ولاية جورجيا القرمزية ، سيكون في مقدور أبناء الرقيق السابقين ، وأبناء سادة الرقيق السابقين ، الجلوس جنبا الى جنب حول مائدة الاخاء ، كما أنه يساورني حلم بأنه ذات يوم ، حتى ولاية مسيسبى ، تلك الولاية التي تتلظى بلهيب الظلم والاضطهاد ، ستتحول الى واحة للحرية والعدالة ، وأنا أحلم أن أطفالي الصغار الأربعة ، سوف يعيشون بين شعب لا يحكم عليهم بلون بشرتهم ، وانما بمحتوى شخصياتهم .

نعم يساوني حلم اليوم أنه هناك في ولاية الباما ـ حيث العنصريون الأشرار ، وحيث حاكمها صاحب الشفتين اللتين تقطران بكلمات المعارضة والازدراء لقوانين البلاد ـ سيأتي وقت يستطيع فيه الأولاد والبنات من السود أن يتصافحوا مع الأولاد والبنات من البيض ، كاخوان وأخوات .

يساورني حلم الليلة ، بأن كل واد سيرتفع ، وان كل تل وكل جبل سينخفض ، وان كل موقع ذي أطراف ناتئة سيصبح سهلا ، وان كل الأمكنة غير المستقيمة ستقوم ، وان بهاء الرب سيتجلى ، وأن الجسد سيشهد ذلك مجتمعا .

هذا هو أملنا ، هذا هو الايمان الذي سأعود الى الجنوب به ، بهذا الايمان سنستطيع أن ننحت في جبل اليأس صخرة من أمل ، بهذا الايمان سنجعل تلك الأصوات النشاز في شعبنا تنسجم في سيمفونية رائعة من الاخاء ، بهذا الأخاء سنستطيع أن نعمل معا ، وأن نصلي معا ، وان نناضل معا ، وان ندخل السجن معا ، وأن نتلاحم من أجل الحرية معا ، ونحن على يقين ، من أننا سنصبح أحرارا ذات يوم ، وسيكون ذلك هو اليوم الموعود ، سيكون ذلك هو اليوم الذي سيستطيع فيه كل أبناء البشر أن يغنوا بمعنى جديد « بلادي .. من أجلك .. يا أرض الحرية الحلوة .. من أجلك أغني يا أيتها الأرض التى من أجلها مات أبي .. يا أيتها الأرض التي هي مصدر كبرياء المهاجر .. لتدق أجراس الحرية من كل صوب ، لتدق أجراس الحرية من جانب كل الجبال الشاهقة في ولاية نيوهامشير ، لتدق أجراس الحرية من جبال ولاية نيويورك السامقة
ولتدق أحراس الحرية من قمم جبال ولاية كولارادو المكسوة بالجليد .. ولتدق أجراس الحرية من سهول ولاية كلفورنيا المتناسقة الممتلئة ، ليس ذلك فقط ، بل دع الأجراس تدق من جبل لوك أوت في ولاية تنسي ... ومن كل تل وجبل في ولاية مسيسبى ، لتدق أجراس الحرية من كل جانب جبل ، عندما يحدث ذلك ... عندما نسمح لأجراس الحرية أن تدق في كل قرية وكل دسكرة ، في كل ولاية ، وفي كل مدينة ، سنستطيع أن نسرع بخطا ذلك اليوم ، حيث يستطيع كل أبناء البشر من سود وبيض ، ويهود وسواهم من بروتستانت وكاثوليك ، أن يعقدوا الأيادي ، وأن يرددوا مع الزنوج أنشودتهم الدينية « نحن أحرار أخيرا .. أحرار أخيرا . الشكر والحمد للرب سبحانه وتعالى .... اننا أصبحنا أحرارا في نهاية المطاف .. »

وفي يوم ٢ نوفمبر ١٩٨٣ وافق الكونجرس الأمريكي على اعتبار مارتن لوثر كنج واحدا من زعماء التاريخ الأمريكي كجورج واشنطن ولنكولن ، ووضع تمثاله النصفي مع تماثيل عظماء أمريكا في « روتندا » الكونجرس .. اعترافا بفضل رجل ناضل من أجل الانسان،وحاول أن يزيل بعض العار من وجه أمريكا . □



مرض نفسي أم خلل هرموني؟

بقلم : الدكتور نجم عبدالله عبدالواحد

منذ القدم ، عرفت الذكورة والأنوثة ، وعرفت الخنوثة وهي حالة بين الذكورة والأنوثة . لكننا أخيرا بدأنا نشاهد أو نقرأ عن رجال ونساء شاءوا التحول عن جنسهم ، واختيار جنس آخر ، مستعينين بتقدم الطب والعلم ، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم الجنس الثالث ، وهم جنس ثالث فعلا . فهل هم مصابون بمرض نفسي ؟ أم يعانون من خلل هرموني ؟ في هذا المقال محاولة للاجابة عن هذا السؤال .

كثيرا مانشاهد أو نقرأ عن استرجال النساء ، أو استخناث الرجال ، وهي ظاهرة خاصة بمن يعرفون أحيانا بالجنس الثالث . لا نراها فقط في بلاد الغرب كبريطانيا وأمريكا،بل أصبحنا نشاهدها في بلادنا ، بالاضافة إلى أنحاء المعمورة،واشتد الهوس والجنون عند بعض هؤلاء لدرجة أن أجروا عمليات جراحية كبيرة ، وحولوا جنسهم من ذكر الى أنثى أو العكس ، وكل ذلك انسياقا وراء الشهوة والمتعة ، وبرع الأطباء النفسانيون ، والجراحون ، وأطباء هرمونات التناسل ، وقدموا لهؤلاء مهارات عجيبة تحقق لهم بها ما يشتهون .

وهناك حالات طبية يرجع سببها الى خلل هرموني ، يضطر الطبيب المختص الى اتخاذ قرار حاسم في تحويل جنس الفرد من ذكر الى أنثى أو العكس ، مستعينا بالله وبالمهارات العالية للجراحة التناسلية ، وللعلوم الطبية المتطورة في اختصاص هرمونات التناسل .

وسنحاول هنا أن نلقي ضوءا على هذه الحالات ، وعلى موضوع التخنث عموما .

هناك عاملان مهمان يلعبان الدور الرئيسي في تكوين سلوك الفرد الجنسي هما : الهرمونات التناسلية والدماغ .

أولا : الهرمونات التناسلية وأثرها على خلايا المخ (الدماغ) :

ان تعرض خلايا المخ لهرمونات التناسل (وهي التي تصدر من خصية الذكر أو مبيض الانثى) بالذات في الفترة الاولى من بداية الحمل ، عندما تكون هذه الخلايا في أول مرحلة للنمو والتكون عند الجنين ، سوف تلعب دورا كبيرا في المستقبل في سلوك الفرد الجنسي ، سواء في مرحلة الطفولة أو بعد اكتمال البلوغ ، لذلك نشاهد اختلاف ألعاب الاطفال الذكور عن ألعاب الاطفال الاناث ، وبالمقابل نشاهد ميل الرجل البالغ الى استعمال الشراسة والقوة البدنية أكثر من الاناث البالغات ، وهناك صفات يتميز بها الذكر عن الانثى البالغة ، وهي التي توضح سبب اختلاف التصرفات الجنسية عند الاناث عن الذكور ، وهذه الصفات تجعل من ميل الذكر الى الانثى ، وميل الانثى للذكر أمرا طبيعيا .

وأثبتت الدراسات على بني الانسان ، بأن نسبة وجود الهرمونات التناسلية (التستوستيرون) عند الذكر و (الاستروجين) عند الانثى ، تبدأ في الظهور في دم الجنين منذ الاسبوع الثاني عشر للحمل ، وتصل الى ذروتها في منتصف الحمل (الاسبوع العشرين) ، والجدير بالذكر أنه وجد أن نسبة وجود هذه الهرمونات وهي في ذروتها عند الجنين تساوي وجودها عند البالغ من ذكر أو أنثى ، وأن هذه الهرمونات تلعب دورا كبيرا في تكوين قوابل تتحسس وجود هذه الهرمونات في خلايا المخ في المستقبل ، وأثبتت التجارب على الحيوانات صحة هذه المعلومات ، علاوة على المشاهدات السريرية للحالات الكثيرة والمختلفة للخنثى من البشر .

ثانيا : البيئة وأثرها على سلوك الفرد الجنسي :

هنا نجد عاملين للبيئة ، فتنشئة الفرد على كونه أنثى أو كونه ذكرا له أهمية في غاية الدقة ، وكذلك تلعب البيئة دورا آخر في التربية الجنسية للفرد ، فنجد بيئة الانحلال الاخلاقي تلعب دورا مهما في اشباع الشهوة ، بينما البيئة الصحية ـ ومن بينها الاسلامية ـ تلعب دورا في تحقيق العفة .

خصائص الخنثى :

هناك أسباب متعددة تساهم في ابراز خصائص الخنثى من بينها :

١ ـ يحدث أن يتعرض الجنين الانثى لنسبة عالية من هرمون الذكورة بسبب زيادة افراز هرمون الذكورة من الغدة الكظرية ، وذلك نتيجة الخلل في نقص أحد الانزيمات الذي يتسبب في توقف انتاج هرمون الكورتيزون الذي هو النتيجة الفعلية لسلسلة من التفاعلات الكيماوية بوجود هذه الانزيمات ، وعند نقص أحد هذه الانزيمات ينتج بدلا عن هرمون الكورتيزون زيادة في انتاج هرمون الذكورة ، لذلك سوف تتعرض خلايا مخ الجنين الانثى لنسبة عالية من هرمون الذكورة ، علاوة على زيادة كبر البظر الذي قد يوهم الجاهلين بأن المولود ذكر ، وهنا مربط الفرس فاذا حدث خلل بأن يربي الطفل كولد ، ويتسبب الجهل بعدم أخذ العلاج اللازم لمثل هذه الحالات وهو الكورتيزون ، سنصل الى مرحلة البلوغ خصوصا بعد عمر ١٨ سنة ، حيث سنحتار في تحديد جنس هذه الخنثى ، فان قلنا انها ذكر فليس هناك ما يثبت ذلك لوجود الكروموسومات الانثوية ولوجود المبيض والرحم في أحشائها ، ولكن اذا نظرنا الى سلوك هذا الفرد الجنسي فاننا نجده يميل الى الاناث ، وشكله الخارجي ممتليء بالعضلات ، والشعر قد غطى جسمه ، وعنده من الشراسة والقوة البدنية ما يفوق أي رجل ، وقد نشأ على أنه رجل ، فأصبح الامر حقيقة لا مهرب منها ، لذلك من الممكن في مثل هذا العمر وهذه الحالة أن تجرى له عملية لازالة المبيض والرحم ، واعطائه هرمون الكورتيزون كعلاج لحالته ، بالاضافة الى اعطائه هرمون الرجولة (التستوستيرون) مدى الحياة ، وبذلك يستطيع أن يتزوج كرجل ، وان كان العضو التناسلي الذكري صغيرا لانه البظر أصلا ، ولكن يستطيع يجامع به امرأة بلذة جنسية كاملة له ولها ، ولكنه غير صالح للانجاب .

أما نفس هذه الحالة إن شخصت مبكرا ، وربيت المولودة على أنها بنت ، وأخذت العلاج اللازم وهو

الكورتيزون ، بذلك يصبح من الممكن السيطرة على زيادة افراز هرمون الذكورة ، لأن الامر قد استتب منذ الطفولة على كون جنس المولودة أنثى ، وسوف يصبح سلوكها الجنسي صحيحا وسليما ، حتى وان كانت خلايا المخ عندها في الحياة الجنينية الرحمية قد تعرضت الى نسبة عالية من هرمون الذكورة ، وهنا تلعب البيئة دورا مهما في التنشئة الصحيحة ، ولا خوف على هذه البنت ، وتستطيع أن تتزوج وتنجب كأي امرأة ، وقد يحتاج علاجها الى إجراء عملية جراحية صغيرة للبظر اذا كان حجمه كبيرا ، وتعتبر هذه العملية من العمليات التجميلية .

٢ ـ عند تعرض الجنين الذكر لنسبة عالية من هرمون الانوثة (الاستروجين) ـ وهذا يحدث في حالة نقص (القابل) الذي يتحسس وجود هرمون الذكورة ـ نجد أن هرمون الذكورة موجود ، وبنسبة عالية وطبيعية ، لكن بدون فائدة ، فنسبة قليلة من هرمون الذكورة تتحول الى هرمون الانوثة بواسطة الاروميتيز ، ونظرا لوجود هرمون الانوثة هذا نجد أن السلوك الجنسي لهذا الفرد بالمستقبل سوف يكون أنثويا هذا فضلا عن غياب مفعول هرمون الذكورة ، وان كان وجوده عاليا ، بالاضافة الى ظهور الصفات الجنسية الخارجية الانثوية عند البلوغ ، وذلك بظهور الاثداء ، والتشكل العام المظهري الانثوي ، مع غياب ظهور الشعر ، لانه يعتمد على هرمون الذكورة ، فبذلك تكون الحيرة لهذه الخنثى ، فان قلنا عنها أنها أنثى غاب الدليل على جنسها نظرا لوجود الكروموسومات الذكرية ، ونظرا لوجود الخصية بدلا من المبيض بداخل أحشائها ، ولكن بالنظر الى مظهرها الخارجي ، لا يختلف اثنان على انها أنثى بكل معنى الكلمة ، واذا نظرنا الى سلوكها الجنسي فلا غرابة أن نجدها حواء في كل تصرفاتها وسلوكها .

جميلات ولكن

الجدير بالذكر أن هذا النوع من النساء يكون على قدر كبير من الجمال ، وكذلك نجد عاطفة الواحدة منهن نحو زوجها طبيعية جدا كأنثى ، وكذلك فيما اذا تبنت طفلا تكون عاطفتها نحو الاطفال كعاطفة أية أم .

والافضل عند تشخيص مثل هذه الحالات أن تجري لها عملية جراحية لازالة الخصية ، وتعطى هرمونات التناسل على شكل حبوب منع الحمل للمحافظة على أنوثتها ، حتى تم ولو التشخيص قبل البلوغ .

٣ ـ عند وجود خلل بالكروموسومات فان الخصية والمبيض يتكونان عند نفس الشخص ، وبذلك يظهر البلوغ على شكل ازدواجية الجنس ، فنشاهد بروز الثديين كعلامة لوجود هرمون الانوثة الخارج من المبيض ، وتنمو العضلات كعلامة ذكرية لوجود هرمون الذكورة الخارج من الخصية ، هذا بالاضافة الى وجود ازدواجية الأجهزة التناسلية الداخلية الذكرية والانثوية في وقت واحد ، مع وجود جهاز تناسلي خارجي واحد مبهم كدلالة على كون الشخص خنثى ، واذا نظرنا الى ازدواجية المبايض نجد أحد ثلاثة احتمالات ، اما أن تكون الخصية بجانب والمبيض بالجانب الآخر ، وهذه تحدث في حوالي ٣٠٪ من الحالات ، والطريف في الامر أن المبيض غالبا ما يكون على الجانب الأيسر ، والاحتمال الثاني أن تكون الخصية والمبيض في جانب واحد ، وهذه تحدث في ٥٠٪ من الحالات ، أما الاحتمال الثالث فيكون هناك مبيضان ، واحد على كل جانب ، يحتويان على نوعين من الخلايا ، فهما الخصية والمبيض في وقت واحد وهذه تحدث في ٢٠٪ من الحالات .

أما خلل الكروموسومات الذي يتسبب في تكوين الخنثى ، فوجوده يرجع الى أحد أسباب أربعة :

١ ـ وجود مجموعتين من الكروموسومات الجنسية عند نفس الشخص ، وبذلك كل مجموعة جنسية تكون ازدواجية المبايض (الخصية والمبيض) .

٢ ـ وجود مجموعة واحدة من الكروموسومات الجنسية ، ولكن توجد على غير العادي من هذه المجموعة صفتان من الصفات الوراثية الذكرية والانثوية .

٣ ـ انتقال أحد الكروموسومات الجنسية ليستقر على الكروموسوم الجنسي الأخر .

٤ ـ حصول الطفرة من كروموسوم غير جنسي (أوتوسوم) الى كروموسوم جنسي .

لاشك أن الحيرة في اتخاذ القرار بشأن خنثى من هذا النوع سوف يكون صعبا ، وعلى العموم فان

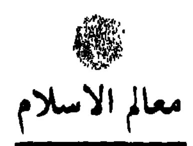
المبدأ هو أن يتم اختيار الجنس الذي يتناسب مع الشخص والبيئة التي نشأ بها ، فاذا نشأ على أساس أنه بنت فالافضل أن تزال الخصية بعملية جراحية ، أو اذا نشأ على أساس أنه ولد فالافضل أن تزال المبايض والرحم وتجرى له جراحة تجميلية في كل هذه الاحوال للمنطقة التناسلية الخارجية لتتناسب وجنس الشخص المطلوب .

رجال تحولوا . . . وأنجبوا :

ومن أمثال هذه الحالات التي نسمع عنها ، أو نقرأ عنها في الصحف ، بعض الرجال الذين تحولوا الى نساء ، وتزوجوا وأنجبوا ، وكذلك بعض النساء اللواتي تحولن الى رجال ، وأنجبن ، فالحقيقة موجودة في تحقيق التناسل والانجاب ، لان هذا النوع من الخنثى يحتفظ بفرصته في التناسل لاستبقاء الخصية أو المبيض ، وهو بحالة طبيعية وفعالة ، وبذلك تكون الفرصة للتناسل والانجاب موجودة ، والاخبار عن هذه الحالات صحيحة ولكن تكون المشكلة صعبة عندما نجد أن المبايض هي من النوع المزدوج ، لوجود خلايا الخصية والمبيض في مبيص واحد ، وهنا يصبح القرار في الغالب بازالة المبيض كليا ، واستبقاء الجهاز التناسلي الذكري أو الانثوي حسب كل حالة وطبعا هنا تفقد القدرة على الانجاب .

أما موضوع المرض النفسي كسبب للخنوثة فنجده في الغالب في البلاد التي تنتشر فيها الاباحية ، لما عندهم من تشجيع للشهوات والميول الجنسية المتطرفة ، والاباحية الجنسية ، ولان الانسان ميال بطبعه الى البحث عن كل مايثير شهوته ، بأي طريقة وبأي ثمن .

لذلك فمن الرجال الذين أثبت الزواج رجولتهم ، وأثبت الاطفال الذين هم من أصلابهم أبوتهم ، نجد من هؤلاء وبدون وجود خلل هرموني من يتخذون قرارا خطيرا بتحويل جنسه من ذكر الى أنثى ، فقط ليستلذ بطعم الجماع كأنثى . ولقد رأيت بأم عيني من أمثال هؤلاء عندما كنت أعمل في أحد مستشفيات بريطانيا ، فمن هؤلاء المخنثين من الرجال من لا يستطيع الاستمرار الا باستعمال هرمونات التناسل وبصورة منتظمة . ومن هذا نجد أن المرض النفسي للخنثى ماهو الا اطلاق العنان للشهوة وبذلك يكون قد اختار لنفسه جنسا لم يكتب له ، وعبث بما لا يجوز أن يعبث به . □



معالم الاسلام

● من خطبة للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها قالت :

إن الله فرض عليكم الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر ، والزكاة تزييدا في الرزق ، والصيام إثباتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والعدل تسكينا للقلوب ، وتمكينا للدين ، وطاعتنا نظاما للملة ، وإمامتنا لمّاً للفرقة ، والجهاد عزاً للاسلام ، والصبر معونة على الاستجابة ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، والنهي عن المنكر تنزيها للدين ، والبر بالوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منماة للعدد ، وزيادة في العمر ، والقصاص حقنا للدماء ، والوفاء بالعهود تعرضا للمغفرة ، ووفاء المكيال والميزان تغييرا للبخس والتطفيف ، واجتناب قذف المحصنة حجابا عن اللعنة ، والتناهي عن شرب الخمور تنزيها عن الرجس ، ومجانبة السرقة إيجابا للعفة ، وأكل مال اليتيم والاستيثار به إجازة من الظلم ، والنهي عن الزنا تحصنا عن المقت ، والعدل في الأحكام إيناسا للرعية ، وترك الجور في الحكم إثباتا للوعيد ، والنهي عن الشرك إخلاصا له تعالى بالربوبية .

بقلم : محمود المراغي

تحت المليون !

تتمتع الصين الشعبية بمقعد واحد في الامم المتحدة رغم أن سكانها يزيدون عن ألف وخمسين مليون نسمة . . وتتمتع الولايات المتحدة الامريكية بمقعد آخر رغم أنها احدى الدولتين العظميين ، ولا يزيد نصيب أي دولة كبرى عن مقعد ، فتلك هي القاعدة .

ولكن . . الى جوار هذه الدول هناك دولة لايتخطى تعدادها (٥٥) الف نسمة ، ودولة ثانية لايزيد فيها السكان عن (٦٥) الفا ، وتتمتع الدولتان بنفس المكانة التي للدول العظمى وسائر الدول ذات الاعداد الضخمة والمساحات الجغرافية الشاسعة !

وقد قام البنك الدولي في تقرير عن التنمية عام ١٩٨٦ بحصر الدول التي يقل عدد سكانها عن المليون نسمة ، وتتمتع بعضوية الامم المتحدة والبنك الدولي ، فجاء الرقم يقول ان هناك (٣٤) دولة على هذا النحو ، صغراها يبلغ عدد سكانها (٥٥) الفا ، وهي « سانت كريستوفر ونيفس . . واكبرها : (٨٧٠) الف نسمة وهي غينيا بيساو . . وبين الاثنتين تقف مجموعة من ٢٦ بلدا . . كلها تحت نصف المليون .

واذا تأملنا اسماء الدول وجدنا أن بينها ما ملأ السمع والابصار من خلال ازمات دولية مشهورة ، فهاهي قبرص ذات الـ (٦٥٤) الف نسمة تقف في هذا الطابور . . وهاهي لكسمبرج ذات الـ (٣٦٦) الف نسمة ، والموقع المتميز في اوروبا بين فرنسا والمانيا وبلجيكا ، وها هي جرينادا التي شغلت الانباء لفترة ، ويبلغ عدد سكانها (٩٤) الف نسمة ، وهاهي سيشل تقع في المحيط الهندي - واستخدمها الاستعمار البريطاني لنفي الزعماء الوطنين العرب- لايزيد عدد سكانها عن (٦٥) الفا . . ايضا : هناك ثلاث دول عربية هي البحرين وقطر وجيبوتي .

ولكن ، الى جوار هذه الاسماء الذائعة هناك من الدول ما قد يتردد اسمها مرة واحدة كل عام،حين يتحدث مندوبها في الجمعية العامة للامم المتحدة . . ومن هذه الدول/ ساوتومي وبرنسيبي ، بليز سورينام ، تونجا ، فانواتو ، سانت فيستي وجرينادين ، وسانت كريستوفر ونيفس . .و . . الاخيرة هي اصغر دولة في العالم اذ بلغ تعدادها (عام ٨٤) بـ (٥٥) الف نسمة . . ومساحتها اقل من الف كيلو متر مربع ، وتقع ضمن مجموعة جزر مستقلة ايضا في امريكا الوسطى بين البحر الكاريبي والمحيط الاطلنطي .

كل هذه الدول يقل عدد سكانها عن المليون . . ولكن يبدو أن العدد يقل عاما بعد عام ، ففي حصر اخر قامت به منظمات الامم المتحدة سنة ١٩٧٩ كان هناك ثمانية وخمسون بلدا تحت المليون . . وبينما تخطى بعضها حاجز المليون مما ساعد على هبوط عدد الدول التي تتحدث عنها الى ٣٤ دولة ، فان بعضها قد تراجع عدد سكانه مثل جرينادا والدومنيكان في امريكا الوسطى .

بقراءة الأرقام والخرائط نلاحظ :

أولا ، انها دول في معظمها على حافة العالم . . جزر أو بقع متناثرة في البحار والمحيطات،والقليل منها يلتصق بالقارات المعروفة ، والأقل يقفز الى البحر لتحتضنه دول اكبر مثل :
لكسمبرج في اوروبا وغينيا بيساو والجابون وغينيا الاستوائية وجامبيا في افريقيا .

ثانيا ، إن معظمها خاضع لنفوذ الدول الكبرى وفي مقدمتها : الولايات المتحدة الامريكية التي تبسط نفوذها على منطقتين اساسيتين: امريكا الوسطى وجزر الباسفيك في الشرق والشمال الشرقي من استراليا
ثالثا : فان معظم هذه الدول واستثناءات محدودة ضئيلة في مساحتها حتى أن بعضها لا تصل مساحتها الى الف كيلو متر مربع . . وبين ٣٤ دولة توجد دول اربع فقط تزيد مساحتها عن المائة الف كيلو متر مربع . . وهي غانا وجابون وسورينام وايسلاند .
رابعا ، يمكن تصنيف معظم هذه الدول أو الدويلات في مجموعة الدخل المتوسط ، وان كان بعضها يهبط فيه متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي الاجمالي الي (١٩٠) دولارا في السنة . . وبعضها يرتفع فيه متوسط الدخل (طبقا لارقام ١٩٨٤) الى (١٩٨١٠) دولارات (قطر)
ويلي غينيا بيساو في الدخل المنخفض : جامبيا والرأس الاخضر وعدة دول تنتمي كلها الى افريقيا . . بينما تأتي الدول مرتفعة الدخل في قارات اخرى حيث تقف لكسمبرج وايسلندا الاوروبيتان في المرتبتين التاليتين لقطر .
هل يمكن أن يكون لهذه الدول ذات الموقع المتميز في معظمها ، والمستوى الاقتصادي المتوسط ، مؤشراتها الخاصة من حيث مستوى صحة الفرد وقدرته على ان يعيش اكثر ؟
تقول الارقام ان العمر المتوقع منذ الولادة للدول الاكثر فقرا منخفض بالضرورة . . فمتوسط العمر المتوقع في غينيا بيساو ذات الدخل السنوي للفرد (١٩٠) دولارا هو : ٣٨ عاما فقط،وفي جامبيا : (٤٢) عاما وفي جيبوتي (٤٨) عاما . . وغينيا الاستوائية (٤٤) عاما . . ولكن هناك عشر دول يزيد فيها متوسط العمر عن سبعين عاما . . ايسلندا في شمال الاطلنطي تسجل اعلى متوسط عمر في العالم وهو (٧٧) عاما والذي تتمتع به دول اوروبية فقط .
ويلي ايسلندا عدد من الدول مثل : قبرص وقطر وبروني وبربادوس ومالطة .
ويطرح السؤال نفسه : هل هناك علاقة بين طول العمر وحياة الجزر وشبه الجزر ؟ . وهل يمكن القول ان هذه الدويلات بموقعها المتميز اقل تلوثا واكثر ابتعادا عما يعانيه العالم من أزمات،رغم ان بعضا منه قد تحول الى قاعدة لدول اجنبية ، واصبح مجرد معسكر أو مخزن للسلاح أو مكان للتجارب ؟
الأسئلة تحتاج الى جواب ، وظاهرة الدول الصغرى التي ينطبق عليها مفهوم « الدول القزمة » تحتاج الى دراسة . . فالمقارنة واضحة بين بلاد ضخمة حاربت عشرات السنوات لتحصل على الاستقلال ومقعد الامم المتحدة ، وجزر لايساوي عدد سكانها عدد سكان شارع فسيح في مدينة عصرية ، لكنها رفعت العلم واحتلت مقعد اكبر منظمة دولية .
وبالطبع فاننا لانعترض ، لكننا نحاول فهم الامر ، فأكثر من عشرين بالمائة من الدول الاعضاء في الامم المتحدة : تحت المليون .

■ أي محاولة للتشكيك في حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره لن تؤدي إلا الى انهيار العلاقات الدولية .

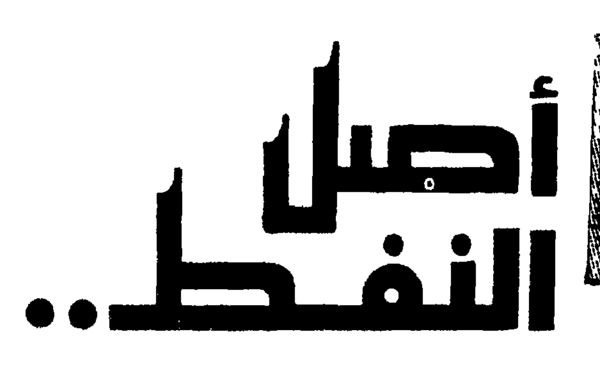
« كلود شيسون »

■ إنني أفكر كثيرا ، لا لأنني فقير فحسب ، بل لأنني عاجز عن مساعدة جاري الفقير .

« مارك توين »



نظرية جديدة



أصل النفط.. عضوي أم كيميائي

د. سعود عياش*

يثور خلاف الآن في الأوساط العلمية والجيولوجية حول أبحاث جديدة تناقض الفكرة السائدة والمستقرة عن أصل الذهب الأسود، ولم يحسم العلماء حتى الآن أي الآراء أكثر دقة وصوابا عن كيفية تكوين النفط.

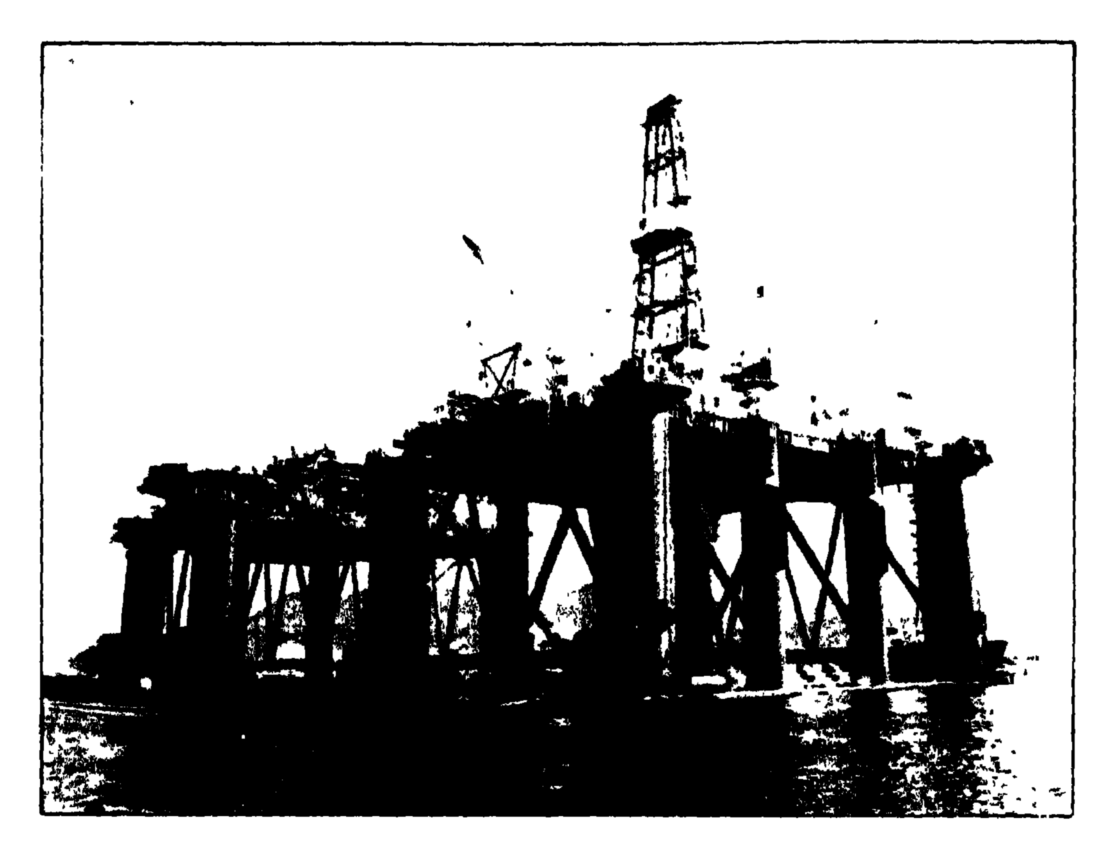
ترسخت في ذهن العامة، النظرية الشائعة والأكثر قبولا في مجال تفسير أصل البترول والغاز الطبيعي، أنهما تكونا من مواد عضوية. وتذهب هذه النظرية إلى أن المواد الهيدروكربونية الموجودة في القشرة الأرضية نشأت من مخلفات نباتية وحيوانية دفنت في الأرض عصورا طويلة، تعرضت خلالها لتأثيرات الحرارة العالية والضغط المرتفع، وتحت هذه الظروف حصلت سلسلة تفاعلات كيماوية، كان من نتيجتها تحول المخلفات العضوية الى مواد هيدروكربونية من ضمنها البترول والغاز.

ولقد بدا هذا التفسير معقولا ومقبولا حين طرح قبل حوالي قرن، في محاولة لتفسير ظهور الموائع الهيدروكربونية من باطن الأرض ـ ومن وجهة نظر كيميائية اندرجت المركبات الجديدة تحت علم الكيمياء العضوية، وهو المصطلح الذي استخدم للاشارة إلى ذلك الفرع من الكيمياء الخاص بالكربون غير المؤكسد. ولم يتخيل كيميائيو ذلك العصر إمكانية أن تكون المركبات الهيدروكربونية في البترول والغاز قد تكونت من مصادر غير عضوية.

كرة المواد المنصهرة

ومن الأمور التي وفرت سندا ودعما لنظرية الاصل العضوي للبترول والغاز الطبيعي ـ الذي يتكون أساسا من الميثان ـ، أن العلماء في أواخر القرن الماضي كانوا يعتقدون أن الأرض في بداية نشوئها كانت عبارة عن كرة من المواد المنصهرة، وأنها أخذت

* باحث علمي بمعهد الكويت للابحاث العلمية



تبرد تدريجيا مكونة قشرة رقيقة ، وحسب هذه النظرية فان ظروف نشأة القشرة الأرضية وتكونها لا تسمح بتكون المواد الهيدروكربونية ، وعلى ذلك لم يكن هناك بديل ـ كما يبدو ـ لنظرية الأصل العضوي التي قبلت بشكل واسع ، ومازالت سائدة في الأوساط العلمية

كانت هناك أصوات معارضة لنظرية الأصل العضوي فقد كتب الكيميائي الروسي الشهير ديمتري ماندليف أطروحة حول أصل البترول ، توصل فيها إلى نتيجة مفادها أن البترول يأتي من أعماق الأرض ، وأنه ليس نتاج مصادر عضوية

ويبدو أن نظرية الأصل غير العضوي للبترول وجدت قبولا لدى قطاع من الكيميائيين على الأخص في الاتحاد السوفيتي ، فقد أكد أحد العلماء السوفيت مؤخرا أن الخزانات الأصلية للبترول والغاز موجودة على عمق عشرات الكيلومترات في باطن الأرض ، وأن البترول والغاز يصعدان من هذه الخزانات إلى المكامن الموجودة على أعماق قليلة تحت سطح الأرض حيث تستخرج من هناك ومعروف أن نظرية الأصل العضوي للبترول تفترض أنه تكون من المكامن الموجودة في القشرة الأرضية ، ومن الصعب على هذه النظرية تفسير وجود النفط على عمق يبلغ عشرات الكيلومترات في باطن الأرض

استمر الخلاف في وجهات النظر بين أتباع النظريتين فترة طويلة ، ومع تطور علم الكيمياء ظهرت شواهد جديدة ، تتعلق بخصائص التركيب الكيميائي للبترول ، وفرت دعما لنظرية الأصل العضوي ، بحيث أصبحت هذه النظرية أكثر قبولا وأوسع انتشارا في الأوساط العلمية ، ورغم الاسناد الذي اكتسبته نظرية الأصل العضوي للبترول فقد بقيت هناك أسئلة بحاجة إلى إجابات ، وشواهد ، وملاحظات بحاجة إلى تفسير ، وعلى سبيل المثال اكتشف الجيولوجيون بمرور الوقت كميات من البترول والغاز ، أكبر بمئات المرات من التقديرات الأولية القائمة على فرضية الأصل العضوي . إذن ، من أين أتى هذا المخزون الهائل من البترول والغاز ، والمواد الهيدروكربونية الأخرى ؟ .

شواهد واثباتات

هناك جملة من الشواهد التي توفر سندا لنظرية الأصل غير العضوي للبترول والغاز ، بمعنى أنهما لم

يتكونا من تحلل مخلفات نباتية وحيوانية ، بل من مصادر أخرى غير عضوية .

اكتشف الفلكيون أن المواد الهيدروكربونية موجودة في معظم كواكب المجموعة الشمسية ، فقد وجدوا أن أجواء المشترى وزحل واورانوس ونبتون تحتوي على كميات ضخمة من الميثان ، ومواد هيدروكربونية أخرى ، واكتشف الفلكيون وجود غيوم كثيفة من الميثان في الجو المحيط بأحد أقمار زحل ، ومعروف أن الميثان يشكل المركب الأساسي للغاز الطبيعي

وجد الفلكيون أيضا أن المذنبات والكويكبات السيارة تحتوي على أنواع مختلفة من المواد الهيدروكربونية ، وأثناء متابعتهم رحلة المذنب هالي حصل الفلكيون على أدلة تشير إلى أن نواة المذنب تحتوي على مادة سوداء كالقار .

من جانب آخر ، ترك العلماء جانبا فكرة أن الأرض تكونت في البداية بشكل كرة من الصخور المنصهرة ، وهم الآن يعتقدون ـ إن لم يكونوا متأكدين ـ أن الأرض تكونت من مواد صلبة ، وقد تكونت قشرة أرضية من الصخور الخفيفة نتيجة انصهار جزئي ، وتميزت هذه القشرة عن الطبقة الصلبة التي تقع تحتها ، وتعرف بالوشاح ، وتشكل أكثر من ٨٠٪ من حجم الأرض .

لاحظ العلماء أن مكامن الهيليوم على الأرض ترتبط عادة بوجود خزانات الميثان أو البترول ، فمعظم مناطق الأرض الغنية بالغاز غنية أيضا بالهيليوم ، وهناك مناطق قليلة على الأرض ذات تركيز مرتفع من الهيليوم بمعزل عن وجود الميثان . ومن الصعوبة تفسير اقتران الهيليوم بالميثان لو أن الأخير تكون من أصل عضوي ، ذلك أنه لا توجد علاقة للعمليات البيولوجية بعملية تركيز الهيليوم ، ومن المعروف أن الهيليوم غاز خامل ، وأنه يتكون بشكل أساسي نتيجة للنشاطات الاشعاعية في الصخور ، ويوجد في الطبيعة بتركيز قليل جدا .

ومن جملة المشاهدات الأخرى أن بعض الانفجارات البركانية تحمل معها حجارة من الماس ، والماس ـ كما نعلم ـ أحد أشكال الكربون النقي ، ويتكون تحت ضغط هائل يحصل على عمق ١٥٠ كيلو متراً أو أكثر في باطن الأرض ، ويشكل هذا دليلا على وجود الكربون النقي غير المؤكسد في باطن الأرض ، ويمكن لذلك توقع وجود أشكال أخرى من الكربون غير المؤكسد .

جملة الشواهد السالفة ، وغيرها ، تشكل تحديات لنظرية الأصل العضوي للبترول والغاز ، وتفسح المجال أمام نظرية أخرى تقوم على فرضية الأصل غير العضوي . فكيف ترى النظرية الجديدة أصل البترول والغاز ؟

الأصل غير العضوي

ترى نظرية الأصل غير العضوي أن الكميات الضخمة من الكربون ومركباته الموجودة في القشرة الأرضية لابد أن تكون قد أتت من باطن الأرض لكن ، كيف تكونت مكامن الكربون في باطن الأرض ؟

تبحث النظرية عن الاجابة في الشهب والنيازك التي تشكل المخلفات التي بقيت منذ تشكلت الأجرام السماوية ، ومن بين هذه الشهب هناك صنف غني بالصخور الكربونية ترى النظرية أنه المسؤول عن جلب القسم الأوفر من الكربون الى الأرض ، وحين تتعرض الصخور الكربونية لظروف الضغط والحرارة في باطن الأرض تنتج الهيدروكربونات المائعة كالميثان ، وكميات قليلة من ثاني أكسيد الكربون ، وتفترض النظرية أن الأرض في بداية نشوئها احتوت على صخور كربونية ، كتلك الموجودة في الشهب والنيازك المشار إليها .

تتكون الموائع الهيدروكربونية على أعماق بعيدة في باطن الأرض ، ثم تبدأ رحلة الصعود إلى الأعلى بتأثير ضغطها المرتفع ، وإذا صادفت في طريقها صخورا منصهرة فسوف تتأكسد بفعل الاوكسجين الموجود في الصخور ، وينتج عن عملية الأكسدة تكون الماء ، وثاني أكسيد الكربون . وترى نظرية الأصل غير العضوي أن الماء الموجود على سطح الأرض تكون ـ جزئيا على الأقل ـ بهذه الطريقة .

من جانب آخر ، إذا صادفت الموائع الهيدروكربونية شقوقا في صخور صلبة فسوف تندفع خلالها إلى أن تصل إلى المكامن الموجودة في القشرة

الأرضية ، سواء بشكل خزانات ، أو صخور رسوبية كثيرة المسام ، حيث تملؤها ، ومن المعروف أن مكامن البترول والغاز عادة ما توجد في مناطق الصخور الرسوبية .

واعتمادا على طبيعة التركيب الجيولوجي للمنطقة يمكن للهيدروكربونات المنبعثة أن تتجمع في أكثر من طبقة أرضية ، وتتكدس بشكل رأسي في مكامن وخزانات تفصلها طبقات صخرية ، ويبدو أن هذا هو ما يدفع أصحاب نظرية الأصل غير العضوي إلى القول بأن حقول النفط والغاز تتحدد كالخلايا ، وأن بالامكان الوصول إلى مكامن جديدة إذا تعمقنا بالحفر .

ترى النظرية أن هذا التصور عن طريقة تكون حقول الغاز والبترول وتجمعها يقدم حلا لظاهرة اقتران مصادر الهيليوم بحقول الميثان ، فحين يندفع الميثان من باطن الأرض يحمل معه الهيليوم المتكون في الصخور ، ويدفعه إلى الأعلى إلى مكامن في القشرة الأرضية

دليل مادي

من الواضح أنه لا يمكن إثبات نظرية الأصل غير العضوي مختبريا ، بسبب تعذر إمكانية توفير ظروف الضغط والحرارة الموجودة في أعماق الأرض البعيدة ، غير أن إثبات صحة النظرية يحتاج إلى دليل مادي ،

ويرى المختصون أن الدليل يكمن في العثور على مكامن للغاز والبترول في مناطق من غير المحتمل أن تكون الترسبات العضوية فيها قد ساهمت في تشكيل الهيدروكربونات . وتبدو بعض مناطق السويد ذات التركيب الغرانيتي مرشحة لاختبار النظرية الجديدة ،

وبالفعل بدأت أعمال الحفر الصيف الماضي بحثا عن الغاز أو البترول تحت صخور اسكندنافيا الغرانيتية .

على أية حال ، إذا ثبتت صحة الأصل غير العضوي للبترول والغاز فقد يغير ذلك من تصوراتنا الحالية عن المخزون العالمي من هاتين المادتين ، وربما يكون لذلك تأثير على مستقبل الطاقة في العالم

بقي أن نقول إن أصحاب نظرية الأصل غير العضوي يرون أن المركبات البيولوجية الأصل ،

الموجودة في البترول ليست دليلا على الأصل العضوي للمواد الهيدروكربونية بقدر ماهي دليل على تلوث بيولوجي ، وقد نشأ هذا التلوث كما تقول النظرية عن البكتريا التي تتغذى على البترول ، أو عن المخلفات العضوية في باطن الصخور الرسوبية . □

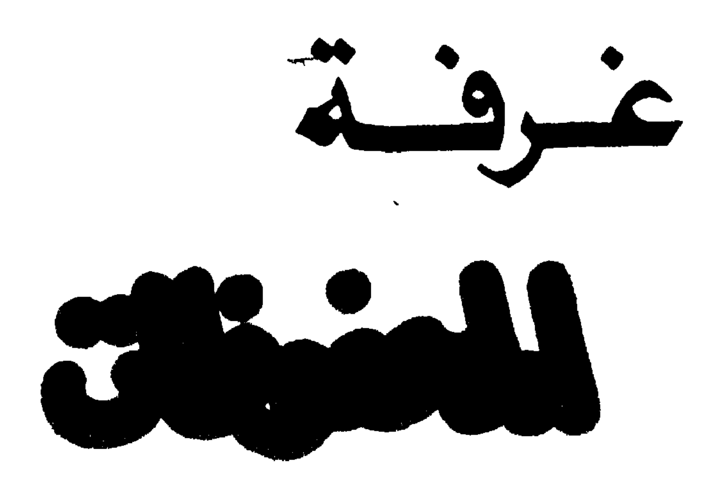
أرنب في القمر

● ظل الاعتقاد بوجود أرنب في القمر من المعتقدات الصينية التي سادت عشرات القرون ، وتمخضت عن رسومات تعبيرية طريفة وشاعرية . ولكن علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان البشرية) لا ينظرون إلى هذه الناحية ، إنما إلى ناحية ارتباطها بظاهرة المعالم المغولية الصينية لبعض قبائل الهنود الحمر في أمريكا الوسطى ، وهي قبائل ازدهرت قبل العصر الكولومبي ، وتركت الكثير من الأساطير ، ومنها أساطير تتحدث عن وجود أرنب في القمر ، وعززوها بمنحوتات تجسد هذه الأساطير .

وإذا كانت هذه المنحوتات المتوائمة مع الأساطير الصينية التي تسبقها بزهاء ألفي عام لا تؤلف دليلا قاطعا على الأصل الصيني المغولي لبعض قبائل الهنود الحمر في المكسيك فإنها تعزز الرأي القائل بأن أمريكا الوسطى شهدت هجرة من القبائل المغولية عبر سيبيريا ثم الاسكا ، انحدارا إلى كندا ، ثم التماسا للدفء والمراعي الخصبة في أمريكا الوسطى .

العربي - العدد ٣٣٧ - ديسمبر ١٩٨٦

قصة قصيرة



بقلم : سعيد سالم

في لحظة من الزمان غائمة ، ساقتني قدماي الى غرفة منكورة من غرف الأرشيف . لم يخطر ببالي يوما أنني قد أتوقف أمام هذه الغرفة ، رغم أنني عبرت العمر المؤدي اليها مرارا من قبل ، لاتستدعي أحوال العمل بشركتنا الكبرى أن تفتح غرفة المحفوظات أكثر من مرة أو مرتين كل عام ، فمن النادر أن يتطلب الأمر رجوعا الى ملف وظيفي مضى على دفنه بها خمسون عاما أويزيد ، ومن النادر أيضا أن ترفع عن الموتى أكفان النسيان الأبدي

وقفت وحيدا أمام الباب ، تهزني رجفة غامضة ، وتشغلني هموم متراكمة عجز الزمان عن ازالتها ، وعجزت عن مواصلة احالتها اليه ، يتجاذبني حنين الى أغوار الماضي ، وجرأة الى استشفاف ماوراء الغيب ، لابد أن أفعل شيئا أو أموت ، فكل ما بالدنيا قد تغير ، وكل الناس تحركت ، وأنا مازلت سجينا مخلصا للصمت والسكون .

دفعت الباب في حرص وتوجس ، أصابني صوت صريره بقشعريرة ضاعف من حدتها رؤيتي للخيوط العنكبوتية المتشابكة في مدخله بكثافة هائلة ، منذ طفولتي لم تبارح ذهني صورة مدرس الدين وهو يحكي لنا بحب شديد وحماس أشد كيف أنقذ العنكبوت سيدنا محمداً (ﷺ) ورفيقه أبابكر من براثن الكفار ، انتشى قلبي بنفحة من الحب خالصة ، وخطوت بحذر وحياء ، كمن يلتمس طريقه الى قدس الأقداس .

كانت الرائحة المنبعثة من مدخل الغرفة كفيلة بدفعي الى التراجع ، ولكني تحاملت على نفسي ودخلت للرهبة على القلب سلطان ، تتتابع أنفاسي بلهفة المكتشف ، وتغوص مشاعري في قلب الأسرار ، مئات الملفات المتربة ، وقد اصفرت





أغلفتها وتآكل البعض منها بفعل التقادم ، والبعض الأخر بأسنان الفئران .

أستطيع أن أؤكد بلا تردد أنني رأيت الزمن يقف أمامي وجها لوجه ، أستطيع أن ألمسه وأشم رائحته ، وأسمع أنفاسه العميقة الواهنة . وكأنه كائن حي متجسد يتسرب الى روحي وأنفذ الى أغواره ، ، توحدنا معا في لحظة حقيقية من الجنون ابكارها . . وقالت لي زوجتي

ـ كانت غلطة العمر .

ـ لكنك كنت تحبينني منذ ثلاثين عاما .

ـ طيش وحمق ونقص تجربة .

كان لابد أن أدبر لنفسي مكانا حتى أستطيع الجلوس ، فقد قررت البقاء بالغرفة ، بانتقاء عشوائي مددت يدا مرتعشة ، وسحبت ملفا يموق في سمكه ما جاوره من ملفات ، أزحت الأتربة عنه بمنديل ورقي في رفق بالغ وحنو شديد . وضعته أمامي وأشعلت سيجارة ، تسللت الى نفسي طمأنينة عجيبة ، أحببت المكان ، ووددت ألا أتركه ، ثم همت في صمت طويل ، تذكرت أن نظارتي بالمكتب ، لو رحت لاحضارها فقد لا أعود ، أنا واثق من هذا ، لأنني أعرف نفسي جيدا . . فتحت الملف .

ـ هف . . لقد مللت حياة الفقر معك .

ـ معقول ؟ . . أنت التي تقولين ذلك ؟

ـ نعم أنا . . لقد خاب أملي فيك منذ زمن بعيد .

ـ وأين ذهبت كلماتك عن الحياة معي . . ولو على حصيرة (ولمبة) غاز ؟

ـ وأين راح طموحك الجنوني وتبددت طاقتك الجهنمية ؟ . . أنت الآن رجل ميت .

على الصفحة الأولى صورة متفجرة بالحيوية لشاب وسيم،تتصدر وثيقة تعاقده مع الشركة للعمل كمحاسب بالادارة المالية ، الراتب يقل عن خمسة عشر جنيها ، في ابتسامته شيء من الثقة ، ودليل على حسن النوايا تجاه المستقبل . منذ عشرات السنين تعجبت كثيرا عندما نصحني أبي يوما ألا أضحك بثقة في كل الأحوال .

بلا تردد وجدت نفسي أتجاوز صفحات الملف السميك لأصل الى صفحته الأخيرة ، مات الأستاذ اسماعيل متولي رئيس القطاع المالي بالسكتة القلبية . آه . هذا هو أنت اذن ، سقطت على مكتبك مودعا الحياة في لمح البصر ، لم تفرح بتسلم أول راتب لك بعد ترقيتك ، كان منافسوك يتحاورون في سرادق العزاء حول الدرجة التي أصبحت شاغرة بوفاتك ، والتي قاتلوك لأجلها من قبل ، يهزون رؤوسهم مع تلاوة القرآن فنحسبهم حزانى على فراقك ، أو متفكرين في فلسفة الحياة وحكمة الموت ، ومغزى ما بينهما من تيه ، لكنها اهتزازات التأرجح بين فكرة وأخرى ، للتوصل الى أسرع وأضمن وسيلة للحصول على درجتك .

ـ التصاقك بالوظيفة حطم حياتي .

ـ ماذا كان بمقدوري أن أفعل غير أن أكون موظفا ؟

ـ كانت الأيام بين يديك ، لكنك تركتها تفلت منك ببلادتك واستكانتك .

ـ ستظلين عاجزة الى الأبد عن حمد الله

صفحة في منتصف الملف ، تحقيق بالنيابة الادارية في الشكوى رقم . . . بتاريخ . . . الواردة من أحد الزملاء . اتهام بالتلاعب في أموال الشركة واستغلال الوظيفة ، ثبتت براءتك وحفظ التحقيق ، صفحة عشوائية بالملف ، ادارة الشئون القانونية بالشركة ، الاعتداء عليك بالسب والضرب لرفضك التوقيع على اذن صرف مالى بمستحقات وهمية لأحد المديرين ، الكبار يتدخلون لتهدئة الموقف ، الصغار يثرثرون في سعادة كما النساء ، شكوى كيدية ، اخطار بميلاد طفلة ، صورة من القرار الوزاري بترقيتك الى درجة مدير عام ، اخطار بوفاة طفل ، صورة من شهادة جامعية تشير الى حصولك على دبلوم الدراسات العليا في المحاسبة ، طلب ذليل بالحصول على سلفة ، طلب آخر باستبدال جزء من المعاش لتزويج احدى البنات ، خطاب شكر من الجهاز المركزي للمحاسبات يشهد بكفاءتك وحسن تنظيمك للعمل ، ثم انكفاءة على المكتب فموت فوري ، أمي تجاوزت السبعين من العمر ، عاشت زمنا عسيرا ، لكنها صمدت أمامه في عزم يفوق عزم الرجال .

ـ المنزل لا تحتمل معيشة أمك بيننا .

ـ وهل ألقى بها الى الشارع ؟

ـ . . . . .

ـ تعلمين أنه لم يعد لها مكان تقيم به بعد انهيار مسكنها القديم .

- وما ذنبي في ذلك ؟
- ماذنبك ؟

انتابني حزن عميق على الأستاذ اسماعيل متولي ، وحين أغلقت ملفه طاف بي خاطر غريب ألهمني صبرا عظيما ، وامتدت يدي الى ملف آخر .

على الصفحة الأولى صورة لفتاة جميلة ذات نظرة ثاقبة أخاذة ، الصفحة الأخيرة خطاب بانهاء الخدمة بسبب الوفاة ، أمضت بالشركة عشرين عاما . دهسها القطار ، كانت جالسة بجوار صديق زوجها في عربته الخاصة ، تناثرت الأقاويل والشائعات ، قال البعض انها كانت ذاهبة الى العمل ، فدعاها للركوب معه ليجنبها مشقة المواصلات العامة ، ناريمان الجندي . تعاملت معها مرات قلائل ، كان الاحترام بيننا متبادلا ، قال آخرون انهما كانا ذاهبين في طريق لايؤدي الى الشركة ، لم يعرف أحد الحقيقة . لم يلتفت نظري اليها الا بعد أن تزوجت واستدار جسمها ، عاشت مع زوجهافي اوروبابضع سنوات ثم عادت الى عملهاحاول زوجها خنق صديقه في المستشفى ، اعترضه الزملاء ، مات الصديق متأثرا بجراحه بعد ساعات قليلة ، لم تأبه بانتقاد زميلاتها العوانس أو الجميلات أو القبيحات أو المحجبات لها ، لأنها لا تتعامل مع الرجال بتحفظ كما يفعلن كانت شديدة الثقة بنفسها ، ورغم حرأتها الشديدة فلم يجرؤ دنئ آدمي على الاقتراب منها ، حين داع نبأها بكاها الرجال والنساء بنفس الحرقة ، بصقت بمرارة على الأرض لأتخلص مما علق بفمي من تراب طال زمنه .

- طلقني
- يبدو أن مرور السنوات قد أصابك بالجنون
- كان لابد أن أتزوج مقتدرا .
- حاولي أن تتذكري أيام الحلم .
- حاول أنت ألا تتشبث بما مضى ولن يعود .

حسنين السيد درويش . ملاحظ عمال فئة ثالثة ، الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة والزمان الفاصل بينهما والعبث الذي يقود المعاني الى جب الأسرار الأبدية ، لحظة سهو أسقطته بين تروس الماكينة الضخمة ، تناثرت أشلاؤه أمام العمال ، قبل زواله بيوم كان يدعو الزملاء لحضور حفل زواج ابنته من ميكانيكي سيارات ، سعيد تغمره النشوة ، كلماته فواحة برائحة الأمل والتفاؤل بالحياة القادمة ورؤية الأحفاد ، يعلم الجميع أنه رفض محاميا بالشركة تقدم لابنته من قبل ، وكان ابني قد فاجأني بقوله :

- بصراحة أنا لا أريد ولا أنوي أن أكمل تعليمي .
- وماذا ستعمل اذن ؟
- أي عمل الا أن أكون موظفا .
- لاتتسرع .
- معذرة يا أبي . أنا أدرى منك بزماني وأحواله .

الزمان موقوت ، والأحوال موقوتة ، وباب السكينة مغلق على أسراره ، ولكل زمان باب ، ولكل مكان باب ، وهذا هو ملف السيد النجار ، أحيل الى التقاعد وهو بصحة جيدة ، لص كبير لم يقع في فخ القانون ، أمضى ستين عاما بنفس الابتسامة الواثقة الساخرة ، أنيق دائما ، صفحات ملفه روتينية ، ليس بها ما يلفت النظر ، أول زمانه كآخره .

مازال تلامذته بالادارة يرتعون في فضاء مبادئه الواسع ، بي فضول شديد لرؤيته ، أريد أن أقرأ في عينيه ما لم أستطع قراءته في ملفه النظيف القذر ، يحج في الانفلات من قبضة القدر ، ثلاث عمارات ضخمة ، وفيلا أنيقة بمرسى مطروح ، ورصيد كبير بالبنك وصحة يحسد عليها . . ومن الأدهى والأمر أنه يقرض الشعر أحيانا ، أما أنا فلم أكن أتوقع أن يأتي على يوم بعد هذا العمر الطويل لأرى أمي تبحث في رحاء عن مأوى ثم أعجز عن تدبيره لها ، تراقصت الأحرف أمام عيني ، ولم أعد قادرا على استبيانها بوضوح ، كان لابد أن أحضر النظارة .

تركت الملفات جانبا وجلست صامتا ، كانت درات التراب سابحة في فضاء الغرفة ، لم تبددها سحب الدخان المنبعثة من فمي ، بل التحمت بها ، وتشكل في الفراغ من هذا الالتحام ما يشبه الهرم الفرعوني الكبير ، ظل الهرم يتحرك ببطء شديد حتى اقترب من النسيج العنكبوتي المهلهل على حافة الباب ، فتشتتت معالمه وتاه في الفراغ ، تبدد احساسي الواهم بالفناء في الزمن ، فما عدت أراه أو أشم رائحته أو أسمع صوت أنفاسه . وجدت نفسي أضحك فجأة ، فألقيت بنظرة تعسة الى الملفات التي فتحتها ، ثم الى بقية الملفات الأخرى . . . . . وبعزم شديد فتحت الباب وغادرت غرفة المحفوظات . □

حكايات شرق وغرب

سرقة مجوهرات تاج القياصرة

● أثار التاج الذي كان يضعه قياصرة روسيا قبل الثورة اهتمام عالم الآثار الروسي فيدروف عندما ذهب في زيارة لاول مرة لمتحف كالجسين المطل على نهر الفولجا . .

وكان من الممكن ان يمر العالم بسرعة على التاج لينتقل الى غيره من الآثار التي امتلأ بها المتحف ، ولكنه وقف مكانه ولم يتحرك ، ثم راح يقترب اكثر فأكثر من «الدولاب» الزجاجي الذي اغلق باحكام حرصا على الكنوز الاثرية التي يحتويها . فجأة صاح في ثورة : « لقد سرقوا جواهر التاج » ، واسرع المسؤولون عن المتحف اليه ، ووقف فيدروف يقول لهم : « ان بعض المجوهرات التي ترصع التاج قد سرقت ووضع بدلا منها مجوهرات زائفة مصنوعة من الزجاج !

وبدأ التحقيق على الفور ، وما لبث أن اتضح أن ثمن المجوهرات المسروقة يقدر بمبلغ يساوي نصف مليون دولار أمريكي .

وحامت الشبهات حول مديرة المتحف وهي سيدة شابة تدعى جالينا ديدروفا » .ولكن أحدا من الذين تولوا التحقيق لم يستطيع ان يجد دليلا يدينها . ونشرت المجلة الثقافية السوفيتية « سوفستكا كولتورا » تفاصيل سرقة مجوهرات التاج ، وكيف اضطرت الشرطة الى تفتيش بيت مديرة المتحف



ومكتبها تفتيشا دقيقا ، حتى انهم ازالوا ارضية غرفة نومها ، ولكنهم لم يعثروا على اثر للمجوهرات المسروقة

وفي النهاية صدرت الاوامر ، كما ذكرت المجلة بحفر حديقة البيت الذي تسكنه جالينا ، وكانت المفاجأة عندما عثروا على صناديق صغيرة من المعدن مدفونة فيها ، وبداخلها مجوهرات التاج المسروقة ! ولكن كان واضحا انها لم تكن كاملة ، فقد اتضح انها باعت بعضها للسفارات الاجنبية في موسكو !

وبدأت وزارة الثقافة السوفيتية اتصالات على نطاق واسع بجميع السفارات في موسكو،ولا يزال البحث جاريا لاستعادة ودفع أي مبلغ يطلبونه مقابل اعادة المجوهرات الى مكانها في تاج القياصرة .

عندما يتحول السجن الى فندق !

● هل يمكن ان تصبح الحياة لذيذة وراء القضبان ؟ يقول رافاييل بارسيلا حاكم مقاطعة « رجيو كلابريا » في جنوب ايطاليا : « نعم ممكن ! ولم لا ؟

فقد قرر الحاكم ان يحول السجن الوحيد في المقاطعة الى فندق من الدرجة الاولى ، يجد فيه النزلاء السعداء كل ما ينعم به اخوانهم خارج السجن !

ترى ماذا فعل ؟ لقد زود عنابر المسجونين باجهزة التلفزيون الملون ، والغى وجبات الطعام الردىء الذي كان يقدم لهم في الافطار والغداء والعشاء ، وراح يقدم لهم الوجبات الشهية التي كان يأمر بشرائها من الخارج . . حتى النبيذ الايطالي الفاخر كان يوفره للمسجونين بشرط ان يدفعوا ثمنه لانه من الكماليات التي تدخل ضمن برنامج « اصلاح المسجونين » كما شاء ان يسميه ! !

ولم يقتصر البرنامج على الوجبات اللذيذة ، والمعاملة الطيبة التي كان المسجونون يلقونها في زنزاناتهم ، وانما امتد ليشمل كل نشاطات الحياة العادية التي كانوا يمارسونها قبل دخولهم السجن ، فقد كان يوفد الحرفيين منهم الى كل بيت يحتاج اصحابه الى اعمال السباكة والنجارة بدون مقابل !

ولكن يبدو ان برنامج الاصلاح الذي وضعه الحاكم واشرف على تنفيذه بنفسه دون الرجوع الى احد من المسؤولين في الدولة قد اصيب بنكسة ، فقد حدث ان دعا الحاكم مجموعة من ضيوفه النزلاء الى حفل عشاء في احد المطاعم الفاخرة ، واكل الجميع وشربوا النبيذ ، ولعبت الخمر برؤوسهم ، واشتبكوا في معركة حامية مع رواد المطعم ، انتهت بتدخل رجال الشرطة الذين القوا القبض على الحاكم واصدقائه ، ونقلوهم جميعا الى السجن في انتظار تقديمهم الى المحاكمة . .

وفي السجن ، ولاول مرة ، شاهد مدير الشرطة النزلاء يأكلون « الديوك الرومي » ! وأذهلته المفاجأة . . وفي صباح اليوم التالي كان المساجين يجمعون حاجياتهم في انتظار نقلهم الى سجن جديد خارج المقاطعة لقضاء باقي مدد العقوبة المحكوم عليهم بها . .

واما الحاكم فقد وجهت إليه تهمة افساد المجتمع ، وتبديد اموال الدولة ، وخاصة بعد ان اطلع المسؤولون على سجلات السجن التي اظهرت ان عدد المسجونين تضاعف عشر مرات منذ بدء « برنامج الاصلاح » الذي ابتكره رافاييل بارسيلا ! !

حياة جديدة

● في مطار هيثرو بلندن شاهد رجال الجمارك سيدة عجوز تجلس بين القادمين على الطائرة الامريكية التي اقلتهم من الولايات المتحدة في انتظار وصول حقائبها !



كان الاعياء يبدو واضحا عليها بعد تلك الرحلة الطويلة التي قطعتها الطائرة عبر الاطلنطي ، وكان وجهها الذي تركت السنون آثارها واضحة عليه يحكي اكثر من قصة ، وربما كان هذا هو السبب الذي دفع احد المسؤولين في المطار الى التوجه اليها والحديث معها . . قال وهو يحييها :

« هل استطيع مساعدتك ياسيدتي ؟ !

واجابت على الفور وهي تبتسم : « نعم . ان لدي خمس حقائب . لا اعتقد انني سأكون قادرة على نقلها الى العربة الصغيرة التي سأقوم بعد ذلك بدفعها الى الخارج . . اكون شاكرة لو استطعت ان تعاونني على حملها ! »

قال . « ارجو ان تكوني قد استمتعت برحلة طيبة!» قالت : « لقد كانت اجمل رحلة قمت بها في حياتي . . كان مجرد شعوري بأني عائدة الى بلدي في انجلترا بعد كل هذه الاعوام التي امضيتها بعيدا

عنها ، ينسيني كل المتاعب التي صادفتها في حياتي !
وهل طالت غيبتك عن بلدك ياسيدتي ؟

وقالت السيدة ماري أرمسترونج ، وهذا اسمها :
عشت في امريكا ٦٥ عاما ثم اكتشفت انني لا احب هذا البلد ؟ ! لقد هاجرت اليها عندما كنت شابة في مقتبل العمر ، واصبحت أما وجدة لأكثر من ثلاثين ابنا وحفيدا ، أبنائي تزوجوا ورحلوا جميعا عني وبدأت اعاني من الوحدة التي تركني فيها زوجي بعد رحيله . . ثم جاء اليوم الذي كان لابد ان ارحل فيه بدوري ، ولكن الى « بيت العجائز » الذي قرر ابنائي ان يحملوني اليه . . .ان احداًمنهم لم يتذكر يوما في ان يأتي لزيارتي ولم اعد اراهم ، عندئذ فقد قررت ان اعود الى بلدي فأنا لست عجوزا كما ترى . . ومن يدري فقد اعثر على بعض اقاربي هنا وابدأ معهم حياة جديدة . . انني اريد ان احتفل بعيد ميلادي المئوي بين اهلي واصدقائي . . من يدري فقد اجدهم حيث تركتهم منذ خمسة وستين عاما ! !

قصة اليابان في بيت نايري

وضع ستين مؤلفا ، سجلت كلها ارقاما قياسية في التوزيع ، ومع هذا كان يقول دائما ان تسعين في المائة من الكتب التي وضعتها والمؤلفات التي كتبتها لاقيمة لها . !

انه موريو كيتا ، الكاتب والمؤلف الياباني الساحر الذي يعود الحديث عنه الآن بمناسبة صدور ترجمة كاملة لواحد من اول مؤلفاته الذي اختار له اسم « بيت نايري » فقد صدر الكتاب منذ اكثر من عشرين عاما في عام ١٩٦٤ على وجه التحديد ، ثم رأت احدى دور النشر الانجليزية أن تترجمه كاملا بعد هذه الفترة الطويلة التي انقضت على صدوره باللغة اليابانية ، ويروي الكاتب فيه فصلا من التاريخ الاجتماعي لليابان من عام ١٩١٨ ، أي بعد نهاية الحرب العالمية الاولى حتى عام ١٩٤٦ بعد الاحتلال الامريكي لبلاده التي منيت بالهزيمة في الحرب العالمية الثانية .

ويحكي « بيت نايري » قصة اسرة يابانية من خلال ثلاثة اجيال ، تمتد جذورها الى فلاح فقير في عهد الامبراطور ميجي ، وكيف كانت هذه الاسرة تدير مستشفى للامراض العقلية مع وصف دقيق لذلك الخليط من البشر الذي كان يعمل في المستشفى ، أو ينزل به للعلاج ، وهذا الخليط في رأيه يمثل نموذجا لاهل اليابان . . ولكنه ينفي تلك النتيجة التي توصل اليها المترجمون ويقول : « لا » . . لم اقصد ذلك . . انما الذي قصدته هو « اسرتي » فقط التي اصيب افرادها بالجنون ، وليس اهل اليابان « وهو يقصد



بهذا افراد الاسرة التي تحدث عنها في كتابه . . افراد اسرته هو ! !

وهو يلخص نظريته حول الشخصية وكيف تتأثر بالتاريخ . وهو كطبيب متخصص في الامراض النفسية لايرى ان التاريخ هو الذي يخلق الشخصية ، ولكنه يؤمن بأن الاحداث تؤثر تأثيرا قويا في الرجال ، وأن هذا التأثير هو الذي يشكل طبيعة شخصيتهم ! لقد كان ابوه ايضا طبيبا للامراض النفسية ، ولكنه كان شاعرا في الوقت نفسه . . وسار في الطريق ذاته فتخرج في كلية الطب في عام ١٩٥٣ ، واختار الطب النفسي وتخصص في دراسة انفصام الشخصية ،أو الشيزوفرينيا وكان يمارس مهنته في المستشفى الذي افتتحه شقيقه . . ولكن الكتابة كانت دائما تأتي قبل علاج المرضى . . وكان يقول : « لكي اعالج مرضاي فلابد ان اقرأ . . واذا قرأت ،

لا اكتفي بالاستفادة بما تعلمته في العلاج ، وانما ايضا نقل ما تعلمت الى القراء ! ولكنه في النهاية مالبث ان هجر الطب ، وتفرغ للكتابة وحدها ، وكان وقتها في الثلاثين من عمره . .

ان « بيت نايري » هي قصة حياة اسرته هو ، أو « سيرة ذاتية » بلغ عدد النسخ التي بيعت منها باليابانية اكثر من مليون ونصف مليون نسخة ، وقال عنها كاتب اليابان الكبير « يوكيو ميشيما » انها من اهم المؤلفات التي ظهرت في اليابان بعد الحرب . وكانت اهم الشخصيات التي نالت الجزء الاكبر من تحليله في كتابه والده ووالدته . . أما الاب فقد كتب عنه يقول : « لقد اعاد بناء المستشفى الذي دمرته القنابل بعد الحرب ، ثم اشرف اخي على ادارته ، تماما كما اعادت اليابان بناء نفسها من جديد !

واما عن امه فقد قال : « لقد كانت امرأة قوية لا ترضخ للاستسلام . . وكانت تعشق الرحلات ، لقد سافرت الى المنطقة القطبية الشمالية وكانت امنيتها ان تسافر الى القمر ! . .

ولكن العمر لم يمتد بها ، فقد رحلت في بداية العام الماضي . . رحلت عن تسعين عاما فقط

لم تشك خلالها من مرض واحد الم بها ! !

ان «بيت نايري » هي قصة كل بيت في اليابان ! . .

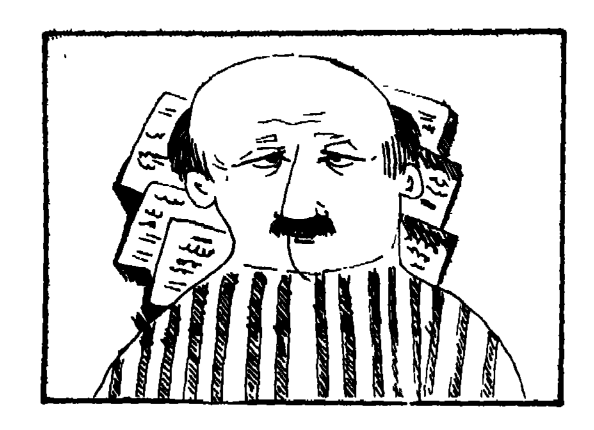
الرسالة الأخيرة

● تقدم به العمر ، فقد بلغ التسعين ، واقتربت رحلة حياته على الأرض من نهايتها ، ولكنه كان سعيدا دائما ، ولم يكن من الصعب على أصدقائه أن يكتشفوا سر سعادة هذا المعمر الذي كانوا يلقونه وابتسامة الرضا تملأ وجهه العجوز ، فقد كانوا إذا سألوه عن سر هذه السعادة التي يعيشها ، قال في هدوء « لأنني لم أتسبب في الحاق الأذى بأي إنسان عرفته من قريب أو من بعيد . . هذا الشعور يملؤ ني بالراحة كلما خلوت الى نفسي ، وأنا اقترب من نهاية الطريق التي ملأتها بشموع الحب لكل الناس »

وكان الرجل ثريا ، يملك الملايين ، فقد كان يعمل مقاولا في مدينة فلورنسا بايطاليا ، وكان جميع سكان المدينة يعرفون الرجل الذي شيد نصف مباني المدينة « جاليانو بولدريني » . . وكانوا يسمونه بالرجل الذي لم يفكر يوما في ايذاء ذبابة !

ولكن جاليانو ، بالرغم من هذا لم يكن واثقا تماما من نفسه . . وكان يقول انه يخشى أن تكون ذاكرته قد خانته ، وأنه ربما يكون قد ألحق الأذى بأناس عن غير قصد . .

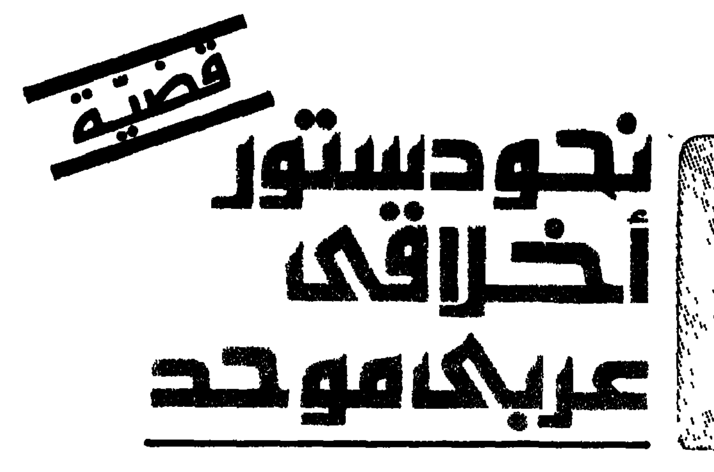
وعندما وقف يحتفل بعيد ميلاده التسعين ، منذ بضعة أشهر ، فاجأ أصدقاءه باعلان كبير نشرته

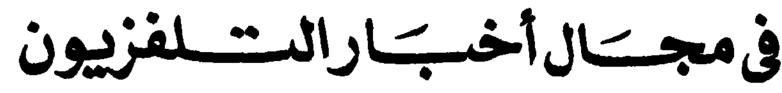


صحف المدينة . . وأمسك الرجل بالصحيفة وراح يقرأ :

« أنا جاليانو بولدريني ، أعد بدفع أيْ تعويض يطلبه مني أي شخص يكون قد تضرر من أي تصرف صدر مني ، على مدى السنوات التي قضيتها في بناء هذه المدينة الجميلة . . انني لا أريد أن أواجه ربي وقد تركت من ورائي نفوسا تعذبت بسببي . . فقد عشت حياتي أحب الناس ، فأحبني الناس ، ولا أريد لهذا الحب أن يموت بعد رحيلي !

وراح الرجل ينتظر . . ومرت الأسابيع والأشهر ، ولم يتلق جاليانو رسالة واحدة . . فلما رحل خرجت المدينة كلها تودعه ! □





بقلم : محمد محمود المرسي*

إن العمل فى مجال أخبار التلفزيون كالعمل فى أى مجال آخر يحكمه العديد من الجوانب الأخلاقية التى يجب أن تراعى ، سواء فى اختيار هذه الأخبار والتأكد من صحتها ودقتها ، أو عند تحريرها وعرضها .

تهدف الاذاعة إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية فى مقدمتها « الاعلام »، والمقصود بالاعلام « الإخبار » ، أى تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة ، التى تساعدهم على تكوين رأى فى مشكلة من المشاكل ، أو واقعة من الوقائع ، بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير ، واتجاهاتها ، وميولها .

ووظيفة الأخبار من الوظائف الأساسية للصحافة ، سواء كانت مطبوعة ، أو مسموعة ، أو مرئية ، ويمكن القول ان الإخبار هو الدعامة الأساسية للعمل الاذاعى ، وأحد الأهداف الرئيسية التى يسعى الراديو والتلفزيون إلى تحقيقها بأفضل الوسائل والامكانيات .

ونظرا لأهمية وظيفة الاخبار فى التلفزيون فقد حرص كثير من المحطات التلفزيونية فى العالم على إصدار مواثيق شرف ، ودساتير أخلاقية ، للعمل الاخباري بها ، ذلك بهدف تنظيم هذا العمل ، وللحفاظ على بعض القيم والمبادىء والأخلاقيات السائدة فيها . كذلك فإن كثيرا من الاتحادات

* مدرس مساعد بقسم الاذاعة - كلية الاعلام ، جامعة القاهرة

الاذاعية التى تضم عدداً من المحطات التلفزيونية ، حرصت هى الأخرى على إصدار مثل هذه الدساتير والمواثيق .

وقبل أن نتطرق إلى المواثيق والدساتير و تلفزيونات الأقطار العربية ، يجدر بنا أن نشير إلى أهم المبادىء الأخلاقية فى مجال أخبار التلفزيون ، التى تأخذ بها معظم الاذاعات العالمية ، كى تحكم نشاطها الاخبارى .

في مجال التلفزيون

تنص غالبية الدساتير والمواثيق الأخلاقية فى مجال أخبار التلفزيون على ضرورة الاهتمام بدقة الخبر ، وصحته ، أكثر من الاهتمام بالسبق الصحفى . على أساس أن الاولوية لا يجب أن تأتي على حساب الحقيقة ، وذلك بالتأكد من أن مصدر القصة الخبرية هو المصدر المناسب لروايتها ، والتأكد أيضا مما يقوله هذا المصدر ، ومن العناصر اللازمة لدقة الخبر ، وصحته .

إن لدقة الخبر قيمة مطلوبة فى العمل الاخبارى بوجه عام ، سواء كان ذلك فى الصحافة ، أو الاذاعة المسموعة ، أو المرئية ، لكن أهميتها تزيد كثيرا فى الاذاعة ، ليس فقط بالنظر إلى حجم جمهور المستقبلين ، وولائهم للخدمات الاذاعية المختلفة ، لكن لأن ما يصدر عن الاذاعة من أنباء غير دقيقة يصعب تصحيحها . إذ أن جمهور المستقبلين يتغير فى حالة الاذاعة ، وهو ليس كجمهور الصحيفة الذى يعتاد قراءتها ، وبالتالى يصبح وصول التصحيح إلى جمهور الصحيفة أكبر احتمالا من وصوله إلى نفس جمهور الاذاعة ، بل إن تصحيح الخبر الخاطىء عن طريق الاذاعة قد يؤدى إلى نتائج أكثر ضررا من إذاعة الخبر الخاطىء نفسه ، لذلك فإن دقة الخبر تعتبر أيضا من أهم القيم الاخبارية بالاذاعة المسموعة أو المرئية .

وبالاضافة إلى أهمية التأكد من دقة الخبر وصحته ، هناك بعض المبادىء الأخلاقية العامة التى تأخذ بها معظم الاذاعات العالمية ، أهمها :-

- تحاشي إذاعة أخبار الجرائم والفضائح الجنسية ، إلا إذا كانت لها أهمية قومية خاصة .

- عدم إذاعة الأخبار بطريقة تؤدى إلى احداث ذعر أو فوضى ، وعدم إذاعة أخبار الحوادث أو الكوارث إلا بعد الحصول على كل التفصيلات المناسبة .
- عدم إذاعة أخبار حوادث الانتحار إلا إذا كانت متعلقة بشخصية معروفة على المستوى القومى .
- عدم إذاعة أخبار اليانصيب أو المقامرة ، أو أية معلومات عن أنشطة مماثلة قد تؤدى إلى دخول الجمهور فى عمليات المقامرة حول نتائج حدث ما .
- يجب ألا تقدم الأخبار الخيالية والخرافية بطريقة توحي بأنها واقعية .
- يجب ألا تتضمن نشرات الأخبار أية نصائح قانونية أو طبية ، إلا إذا كانت جزءاً مكملا للخبر المستقى من المصادر الرسمية .
- يجب ألا يقوم مذيع الأخبار بأيةحركات متعمدة فى صورة تؤدى إلى تغيير معنى الخبر .

الخصوصية والتشهير :

بينما تتناول الصحف والمجلات الاخبارية والراديو والتلفزيون الاخبار ذات الاهتمام العام ، فان كل مواطن لديه الحق أن يعيش حياته الخاصة . وإذا كانت كاميرا التلفزيون تستطيع أن تذهب الى أماكن كثيرة ، وتلتقط العديد من الصور فانه يجب ألا تنتهك حق المواطن فى الخصوصية .

كذلك إذا أذاعت المحطة التلفزيونيةقصة إخبارية غير حقيقية من شأنها أن تعرض شخصا أو مجموعة من الأشخاص للكراهية العامة ، أو السخرية ، أو تؤذى أعمالهم وتضرها ، فان هذه القصة الاخبارية تعد تشهيرا ، وغالبا ماتقود إلى ساحة المحكمة .

إن القذف وتشويه السمعة نتيجة قصة إخبارية يعتبر تشهيرا ، وغالبية حالات التشهير هذه تحدث عند تغطية أخبار المحاكم والقضاء ، وبخاصة أخبار الجرائم ، وهذايدعو إلى أن يكون كاتب الأخبار حذرا فى تناول أسماء المشتبه بهم فى قصص الجرائم ، والتأكد من أن الشخص قد تم القبض عليه قبل إذاعة اسمه على الهواء .

رؤية عربية للمبادىء الأخلاقية :

إن المبادىء الأخلاقية العامة السابق ذكرها ، تأخذ بها غالبية محطات الاذاعة (راديو وتليفزيون) في العالم . فاذا ما انتقلنا إلى المبادىء الأخلاقية للعمل الاخبارى بتليفزيونات الوطن العربي ، فإننا نجد أنه لا يوجد في غالبية تليفزيونات الوطن العربي ميثاق أو دستور أخلاقي خاص بالعمل الاخبارى بها ، رغم وجود هذه المواثيق فى غالبية تلفزيونات الدول المتقدمة ، وانما توجد مواثيق للعمل الاذاعى بصفة عامة متضمنة فى داخلها النشاط الاخبارى .

وأعرض هنا بعض نماذج من مواثيق الشرف الاذاعية فى الوطن العربي مستخلصا منها ما يختص بالعمل الاخبارى فقط .

١ ـ الميثاق الاذاعى العربى :

ينص الميثاق الاذاعى العربي الذى أقر فى الدورة العادية الثانية للجمعية العامة لاتحاد إذاعات الدول العربية ، التى انعقدت فى عمان ما بين ١٩٧٠/١/٢٨ الى ١٩٧٠/٢/٣ فى بنده الخامس على ما يلى :ـ

ـ تلتزم الاذاعة بتوفير خدمة إخبارية وافية .
ـ تنشر الأخبار والمعلومات المطابقة للحقيقة ، وتتوخى الدقة فى اختيار مصادرها ، وأن تكون عادلة وغير متحيزة .
ـ أن تتجنب إذاعة التفصيلات المثيرة أو المزعجة غير الضرورية ، للسرد الواقعى للأخبار .
ـ تقدم الايضاح والتفسير القائمين على أسس واضحة، وتقدم برامج تحليل الأخبار بوضوح تام ، تميزا لها عن الأخبار المباشرة .

٢ ـ ميثاق العمل التلفزيونى فى دول الخليج :

ينص ميثاق العمل التلفزيونى فى دول الخليج فى بنده الرابع على أهم المبادىء الأخلاقية الخاصة بالأخبار والبرامج الأخبارية ، ومن هذه المبادىء :ـ
ـ أن يشعر القائمون بالعمل الاخبارى بمسئوليتهم عن إعلام المشاهد بكل ما يهمه من أخبار بلده ومنطقته ، والأخبار العربية والعالمية بأسرع وقت ممكن ، دون أن يخل الاسراع بالدقة اللازمة للخبر التليفزيونى ، وتتصل بهذا ضرورة الحرص على عدم حجب الأخبار التى لها أهمية من وجهة نظر الجمهور ، وبصرف النظر عن درجة وقعها عليه .

ـ أن يلتزم العاملون فى الأخبار فى اختيارهم لها ، وفى تحريرها وتقديمها الموضوعية والصدق ، وعدم الانحياز إلا فى الموضوعات التى اتخذت فيها دول المنطقة فى اطار المواقف العربية المشتركة موقفا محددا من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الانسانية .
ـ تقدم أخبار رؤساء الدول الخليجية العربية بكل ما يليق بهم من احترام .

ـ اذا اختلفت وجهات النظر السياسية العربية حول موضوع ما ، فعلى التليفزيونات الخليجية أن تلتزم الموضوعية العامة فى عرضها للأخبار أو التعليقات المتصلة بهذا الموضوع ، بعيدا عن الاثارة والانفعال ، وأن تحرص على عدم المساس بروح الانتماء العربى لأي قطر .

ـ الحرص على روابط التضامن والأخوة الاسلامية بين مختلف الأقطار العربية والاسلامية وشعوبها .
ـ الحرص على ألا يظهر فى اللقطات الاخبارية المصورة ما من شأنه أن يجرح المشاعر الدينية أوالاجتماعية أو الوطنية أو الانسانية للجمهور .

٣ ـ ميثاق الشرف الاذاعى المصرى :

لا يوجد فى جمهورية مصر العربية دستور أخلاقى خاص بالعمل فى مجال أخبار التليفزيون ، وإنما يوجد ميثاق الشرف الاذاعى الذى يتضمن مجموعة من المبادىء الأخلاقية والاذاعية ، التى يجب أن يلتزم بها كل من يمارس العمل الاذاعى (راديو تليفزيون) وذلك بهدف وضع أسس أخلاقية للعمل الاذاعى ، ومراعاة تقاليد المجتمع وأخلاقياته ، ويحظر هذا الميثاق على الاذاعيين ما يلى :ـ
ـ أى مساس بالعقائد والقيم ، وأى تعرض لما فيه إثاره بين الطوائف .
ـ أى مساس بالأهداف القومية والتراث القومى .

- أى مساس بنظام المجتمع ، وأى مساس بقيمة العمل والعاملين .
- أى استغلال لغرائز الجماهير ، وأى تجاوز على الحريات المكفولة للغير بالقانون .
- إذاعة اسرار الأمن القومى ، وإذاعة ما يدعو إلى الانحلال أو يدعو إلى الاحباط .
- إذاعة ما يدعو إلى استخدام العنف أونشر الجريمة أو الاثارة الجنسية .

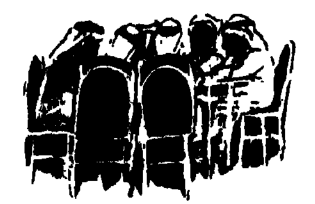
اقتراح لدستور أخلاقى عربي

بعد هذا الاستعراض الموجز لأهم المبادىء الأخلاقية للعمل الاخبارى بالتليفزيون ، وبعد استعراض نماذج من مواثيق الشرف الاذاعية العربية ، يتضح لنا أن الاهتمام قائم على مستوى الاقطار العربية لوضع أسس ومبادىء ومعايير أخلاقية للعمل الاذاعى بشكل عام ، ولكن نظرا لأهمية التليفزيون كوسيلة إخبارية ، وكمصدر من مصادر حصول الأفراد على الأخبار والمعلومات ، ونظرا لأهمية الوظيفة الاخبارية ذاتها ، فانه من الأفضل وضع دستور أخلاقى خاص بالنشاط الاخبارى بتليفزيونات الاقطار العربية ، يلتزم به جميع العاملين ، ويكون بمثابة المرشد لهم فى هذا المجال وخاصة للمبتدئين منهم ، ولا شك أن القيام بهذه الخطوة لا بد أن تتلوها خطوات ، فى سبيل وضع دستور أخلاقى عربى موحد ، يلتزم به جميع العاملين في مجال الاخبار بتليفزيونات الاقطار العربية ، ويمكن القول ان هذه الخطوة بادر بها اتحاد إذاعات الدول العربية وجهاز تليفزيون الخليج ، لكنها خاصة بالنشاط الاذاعى المسموع والمرئى بوجه عام ، ويمكن وضع مثل هذا الدستور الأخلاقى العربى الموحد عن طريق اتباع عدد من الخطوات الهامة منها على سبيل المثال :-

- عقد ندوات علمية موسعة لبحث موضوع « أخلاقيات العمل الاخبارى بالتليفزيون » يشارك فيها الأساتذة والمتخصصون فى هذا المجال من أقطار الوطن العربي ، ويكون من نتائجها التوصل إلى مجموعة من المقترحات حول صيغة مثل هذا الدستور .
- تشكيل لجنة خاصة من أساتذة الاعلام بالجامعات العربية ، والقيادات المسئولة عن العمل الاخبارى والتليفزيونى بالاقطار العربية ، لبحث بنود هذا الدستور
- الاسترشاد بماورد فى المواثيق والدساتير الأخلاقية للعمل الاخبارى بتليفزيونات الدول الأجنبية ، على أن توضع فى الاعتبار الأخلاقيات العربية ، والقيم والمثل التى يجب أن نحافظ عليها .

كيف تستدل على عقل الرجل ؟

● يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها : ميله إلى محاسن الأخلاق ، وإعراضه عن رذائل الأعمال ، ورغبته في إسداء صنائع المعروف ، وتجنبه ما يكسبه عارا ، ويورثه سوء السمعة . وقد قيل لأحد الحكماء : كيف يعرف عقل الرجل ؟ فقال : بقلة سقطه في الكلام ، وكثرة إصابته فيه ، فقيل له : فإن كان غائبا ؟ قال : بإحدى ثلاث : إما برسوله ، وإما بكتابه ، وإما بهديته ، فإن رسوله قائم مقام نفسه ، وكتابه يصف نطق لسانه ، وهديته عنوان همته ، فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها .



منتدى العربي

تعقيبات

السلطان عبدالحميد الثاني مرةً أخرى..

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

Babam
SULTAN
ABDÜLHAMİD
(Hâtıralarım)

Ayşe Osmanoğlu



شدني تعليق د . إحسان حقي المنشور في مجلة العربي ، العدد رقم ٣٣٥ ، السنة التاسعة والعشرون ، أكتوبر ١٩٨٦م ، تعقيبا على مقالي (الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد) المنشور في العدد رقم ٣٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ ، ولفت انتباهي شك الدكتور إحسان حقي ، حول صدور كتاب بقلم عائشة بنت السلطان عبدالحميد الثاني ، وتكراره لعبارتي « غيرصحيح » و « أشك في صحة » سبع مرات ، وجعله ذاكرته ، ومعرفته ، هي الفيصل ، والحكم ، ولا أراني بحاجة لارهاق القارىء العربي بالتنويه على أنه ليس من منهجية البحث التاريخي الجاد اللجوء للاحكام القاسية ، والاعتماد على الذاكرة ، فإن الوثائق هي الفيصل ، وكان من الأفضل ، وحفاظا على منهج الدكتور إحسان حقي نفسه ، أن يقول : « لم يتناه الى علم الباحث » أو « لا علم لكاتب هذه السطور بذلك » ، وانني أرفق صورة من غلاف الكتاب واسمه

Babam Sultan Abdulhamid, (Hatiralarim), Ayse Osmanoglu, Selcuk Yayinlari.

وترجمته : (والدي السلطان عبدالحميد . خواطري. عائشة بنت عثمان أوغلو دار سلجوق)

ونسبة عثمان تعود الى عثمان مؤسس الدولة العثمانية .

وفي ص ٩ من الكتاب تقول عائشة : « أنا عائشة عثمان أوغلو ، عاشرة أولاد السلطان عبدالحميد الثاني ، وسادسة بناته ، ولدت عام ١٨٨٧م في سراي يلدز باستانبول ، ووالدتي هي مشفقة قادين أفندي ، رابعة زوجاته » .

وأما زوجها الثاني الذي اقترنت به ، بعد طلاقها من أحمد نامي ، فهو محمد علي رءوف بك ، وقد عقد قرانهما في استانبول شيخ الاسلام نوري أفندي ، وزوجها الثاني هو الذي اقترح عليها الاقامة في باريس ، وقد توفي في الغربة . انظر صفحتي ٢٤٠ ، ٢٤١ من الكتاب .

أما ولدها عبدالحميد ، فانظر ما كتب عنه في صفحتي (٢٤٣ ، ٢٥٥) وخلاصة ما جاء فيهما أنها حين غادرت الى باريس كان سن ابنها (عمر نامي ١٢ سنة ، وعمر ولدها عثمان ٦ سنوات ، أما ولدها عبدالحميد وهو من زوجها محمد على رؤوف فكان عمره سنتين ، ناهيك عن ابنة توفيت قبل ذلك ، ويبدو أن ولدها عبدالحميد كان معوقا إذ تقول في ص ٢٥٥ : « أما ولدي المسكين عبدالحميد فسيظل طوال حياته محتاجا لرعايتي ، لقد حكم القدر علي أن أعمل ماحييت لراحته ، وستظل نفسي يعذبها حنان الأمومة بسببه » .

كلمة أخيرة :

كتبت عائشة قصة نفيها خلال الفترة (١٩٢٤ - ١٩٥٢م) على حلقات ، في مجلة (الحياة) ، ثم صدرت القصة في كتاب سنة ١٩٦٠ ، ثم أعادت دار سلجوق للنشر - بأنقرة - طبعه ثانية سنة ١٩٨٤ ، والآن يعد الكتاب للطبع بالعربية ، وسيصدر قريبا . □

القانون الانساني

● إن فكرة إدخال الروح الانسانية في الحرب راودت ضمائر المشرعين والقادة المحاربين وعواطفهم منذ قديم الزمان .

وقد جاء الاسلام سواء في القرآن أو السنة الشريفة أو تصرفات الخلفاء بمباديء كثيرة تتعلق بالقانون الانساني ، وكيفية معاملة مواطني العدو بشكل عام ، وأسرى الحرب بشكل خاص ، وقد تقيد قادة الحروب بهذه الأحكام الواردة في القرآن والسنة ، فمارسوا قواعد القانون الانساني ، ووضعوها موضع التنفيذ قبل أن يعرفها العالم .

فقد أمر الخليفة أبو بكر رضى الله عنه عندما وجه جند المسلمين لفتح بلاد الشام قائده يزيد بن أبي سفيان قائلا : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا شيخا كبيرا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيرا إلا لمأكلة ، ولا تغدروا إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا إذا صالحتم ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .



إرهـــاب

هو استخدام العنف ، أو التلويح به لتحقيق هدف محدد ، أو مصالح معينة ، وبمعنى عام هو استخدام الاكراه لاخضاع طرف آخر (أفرادا أو مؤسسات أو دولا) لمشيئة الجهة الارهابية . وتجدر التفرقة بين الكفاح الشعبي المسلح ضد الاستعمار ، والاحتلال الأجنبي ، كوسيلة مشروعة لمقاومة الاغتصاب ، وبين الارهاب الذي يمارسه خصوم الرأي ، أو المصالح .

وأبرز الأمثلة التاريخية على حالات الارهاب فرق الفاشيين بايطاليا التي اغتالت عددا من المعارضين ، والصحفيين ، واغتيالات النازيين بألمانيا قبل وصول هتلر إلى الحكم ، وعمليات التصفية الجسدية التي تمارسها أجهزة الاستخبارات ضد المعارضين ، أو زعماء أو قادة في بلدان أخرى .

وقد شهدت الخمسة والعشرون عاما الماضية ظهور عديد من الحركات الارهابية في العالم ، مثل جماعة (بادر ماينهوف) ، والجيش الأحمر الياباني ، والألوية الحمراء ، وهي جماعات تشترك كلها في صفة أساسية هي أنها رافضة لمجتمعاتها ، ويائسة من إمكانية التغيير ، عبر القنوات السلمية . والشرعية المتفق عليها مجتمعيا ، فجماعة الألوية الحمراء هي عبارة عن تنظيم متطرف ، يمارس العمل المسلح السري ، كوسيلة للاستيلاء على السلطة ، وقد أسسه (ريناتوكورشيو) وهو من مواليد (١٩٤٣) ، وكان عضوا نشطا في الحزب الشيوعي الماركسي الايطالي ، وكان أحد قادة حركة ١٩٦٨ الطلابية . في جامعة (ترانتا) ، وفي تقدير (كورشيو) أن مواقف حزبه غير جذرية ، وغير مجدية ، ولذا فقد انسحب من الحزب ، وتوجه إلى ميلانو عام ١٩٧٠ ، حيث أسس حركته التي قال عنها إنها رد فعل للارهاب الذي تمارسه قوى اليمينين المحافظين (الفاشيون الجدد) الذين مارسوا عمليات ارهابية في ميلانو ، في ديسمبر ١٩٦٩ ، وأدت إلى مقتل ١٦ شخصا ، وجرح مئة .

ورسم كورشيو (استراتيجية) حركته على أنها موجهة إلى « صميم مصالح الدولة البرجوازية » ، لاجبارها على ممارسة دور فعال في توعية العمال ، ليتفهموا مصالحهم ، وكانت أول عملية للألوية الحمراء في ٣ مارس ١٩٧٢ ، حيث خطفوا رئيس مجمع « سيت - سيانس » الصناعي ، وهي العملية التي اعتبرت وقتئذ أول عملية اختطاف سياسي في إيطاليا ، عقب الحرب العالمية الثانية ، ثم توالت العمليات ، فاختطفوا مديري شركتي فيات والفا روميو ، ثم اختطفوا قاضي محكمة جنوا « ماريو سوسي » ، وأخضعوه للمحاكمة ، لمدة ٣٦ ساعة ، في أحد مخابئهم ، ثم اختطفوا « الدو مورو » رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي ، ثم أعدموه ، بالاضافة الى عدد من العمليات الارهابية .

أما منظمة (بادر ماينهوف) الارهابية الالمانية



هتلر . أيام مجده

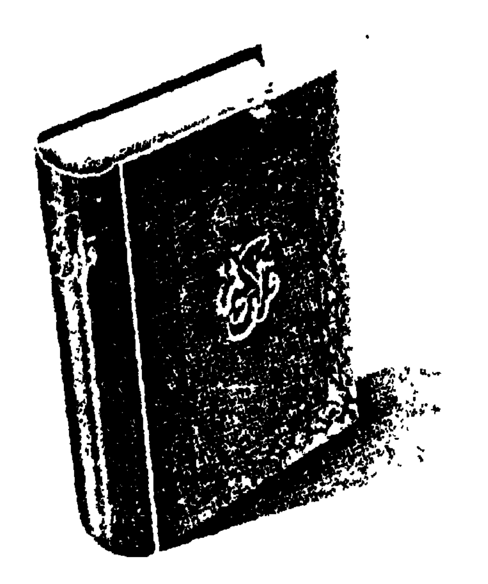
فتؤمن بالنضال المسلح ضد الامبريالية الامريكية والالمانية التي لا مجال للتعامل معها أو للنقاش إلا بضربها في الصميم ، وقد أسس المنظمة (اندرياس بادر ، واولريك ماينهوف) وباسميهما عرفت الحركة ، رغم ان اسمها الرسمي هو « الجيش المسلح الأحمر » ، وقد تمثلت عمليات المنظمة في عديد من الاغتيالات السياسية ، وبعض الهجمات على القواعد الامريكية في المانيا ، ونسف المؤسسات الرأسمالية الكبرى ، والسطو على المصارف ، وكانت أبرز عملياتهم هي خطف « هانز مارتان شلاير » ، رئيس اتحاد الصناعيين الألمان ، وقد ولدت فكرة المنظمة في رأس الآنسة (اولريك ماينهوف) التي تعد عقل المنظمة ، ومخطط عملياتها ، عقب مقتل زعيم الطلبة في مظاهرات ١٩٦٨ برصاص الشرطة .

فقد كتبت تقول « إن الرصاصات التي أطلقت على (رودي) قد وضعت حدا لحلم اللاعنف ، من لا يحمل السلاح يمت ، ومن لا يمت يدفن في السجون ، والاصلاحيات ، وفي المدن الصناعية ، وفي أسمنت الأبراج السكنية » .

وكانت (استراتيجية) المنظمة قائمة على فكرة الرغبة في تدمير المجتمع الاستهلاكي ، والرد على عنف السلطة بعنف ثوري ، وقد أعلن عن انتحار قادة المنظمة باور ، وماينهوف ، والآنسة جوررن انسلين ، ويان كارل راسبي في عام ١٩٧٧ ، عقب فشل محاولة اختطاف طائرة تابعة لشركة لوفتهانزا ، وإجبارها على الهبوط في مطار مقديشو ، وقد اتهم محامي الخاطفين السلطات الالمانية بقتل زعماء المنظمة داخل السجن ، ثم الاعلان عن انتحارهم .

أشهر التنظيمات الارهابية العالمية الثلاثة هو الجيش الأحمر الياباني الذي تأسس عام ١٩٦٩ ، على يد (تاكايا شيومي) الأستاذ المساعد في جامعة (كيوتو) ، وقد تأسس في مناخ عام ساد اليابان وقتئذ ، مناهض للحرب الامريكية الفيتنامية ، وقد رأى (تاكيا) أنه لا فائدة ترجى من المظاهرات السلمية التي تتعرض لقمع رجال مكافحة الشغب ، فوجه الدعوة إلى شن حرب عصابات داخل المدن ، وتوجيه ضربات مركزة ضد أهداف معينة ، فقام أفراد المنظمة بإلقاء قنابل (مولوتوف) على سفارتي الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، ثم القيام باختطاف طائرة ركاب الى كوريا الشمالية ، ثم القيام بعملية مطار اللد التي نفذها عدد من القوات الخاصة التابعين للمنظمة ، والقيام باحتلال السفارة الفرنسية بلاهاي ، ثم اختطاف طائرة ركاب يابانية ، متوجهة إلى (دكا) ، ولم يفرجوا عنها إلا بعد أن حصلوا على فدية مقدارها ٦ ملايين دولار ، وإفراج السلطات اليابانية عن بعض المعتقلين السياسيين .

وهكذا نجد أن حركات الارهاب ومنظماته نشأت للصدام مع مجتمعاتها ، بعد أن فشل جيل كامل في أن يجد وسيلة للتعبير عن سخطه ، وتمرده ، وقسوة حياة مجتمعات الأسمنت والآلة . □





البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين أحمد أمين

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بايمانهن ، فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن) الممتحنة - ١٠

حدثت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (وكانت رغم أمر النبي (ﷺ) بقتل أبيها بعد أسره في وقعة بدر قد دخلت في الاسلام سرا وهي بمكة) قالت : « كنت أخرج الى بادية لنا بها أهلي ، فأقيم فيهم الثلاث والأربع ، ثم أرجع الى أهلي بمكة ، فلاينكرون ذهابي ، فلما أجمعت السير الى المدينة ، خرجت يوما من مكة كأني أريد البادية ، وانتهيت الى الطريق ، فاذا رجل من خزاعة يسألني : « أين تريدين ؟ » قلت : « حاجتي ، فما مسألتك ، ومن أنت ؟ »قال: « رجل من خزاعة » . فلما ذكر خزاعة اطمأننت اليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله وعقده . فقلت : اني امرأة من قريش أريد اللحوق برسول الله ، ولاعلم لي بالطريق ، قال أنا صاحبك حتى أوردك المدينة ، ثم جاءني ببعير ، فركبته . . وسرنا حتى قدمنا المدينة ، ودخلت على أم سلمة زوج رسول الله ، فلما عرفتني قالت : هاجرت الى الله ورسوله ؟ قلت : نعم ، وأنا أخاف أن يردني رسول الله الى المشركين كما رد غيري من الرجال ، وحال الرجال ياأم سلمة ليس كحال النساء ، وقد طالت غيبتي عن أهلي،اليوم ثمانية أيام منذ فارقتهم ، فهم يبحثون قدر ماكنت أغيب ثم يطلبونني ، فان لم يجدوني رحلوا إلي فساروا ثلاثا» .

ودخل النبي عليه الصلاة والسلام على أم سلمة ، فأخبرته خبر أم كلثوم ، فلما رحب بها النبي ﷺ قالت له : يارسول الله ، اني فررت بديني اليك ، فامنعني ولاتردني اليهم يفتنوني ويعذبوني ، فلا صبر لي على العذاب ، انما انا امرأة وضعف النساء الى ماتعرف» .

وقدم المدينة من الغد أخواها الوليد وعمارة ، فقالا للنبي : يامحمد فولنا بشرطنا وماعاهدتنا عليه

في الحديبية »

فقال : ان الله نقض العهد في النساء . ثم تلا « يا ايها الدين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات . . . الى آخر الآية .

ولتفسير طلب الوليد وعمارة من النبي ، نذكر أنه كان قد ورد في صلح الحديبية أن من أتى محمدا من الناس بغير إذن وليه رده اليه ، وان من أتى قريشا من أصحاب محمد لم ترده ، وكان عمر بن الخطاب قد غضب عند كتابة هذا الشرط في الصحيفة وصاح : أترضى بهذا الشرط يارسول الله ؟ ! فقال عليه الصلاة والسلام : من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ، ومن أعرض عنا وذهب اليهم ليس منا بل هو أولى بهم .

وقد حدث بعد عدة أيام من عودة المسلمين من الحديبية أن أتى النبي (ﷺ) في المدينة رجل من مسلمي مكة يقال له أبو بصير ، كان حليفا لبني زهرة ، فلما عرف خبر فراره كتبت بنو زهرة الى النبي ﷺ كتابا يطلبون فيه أن يرد اليهم أبا بصير ، وبعثت الكتاب مع رجل من بني عامر بن لؤي . فلما قرىء على النبي ﷺ ، امر ابا بصير بأن يرجع مع رسول بني زهرة ودفعه اليه ، فقال أبو بصير : تردني يارسول الله الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال رسول الله : يا أبا بصير،انا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ، ولايصلح لنا في ديننا الغدر ، فجعل أبو بصير يردد : تردوني الى المشركين ؟ والنبي ﷺ يقول له : انطلق يا أبا بصير فان الله سيجعل لك مخرجا ، ثم دفعه الى العامري فخرج معه .

هذا عن موقف رسول الله ﷺ من شرط رد المسلمين الوافدين اليه من مكة بغير إذن أوليائهم ، غير أن الآية نزلت بعد ذلك تنقض العهد في المسلمات ، بعد فرار أم كلثوم بنت عقبة من أوليائها ، فلما أبى النبي ﷺ ان يردها الى أخويها رجعا الى مكة فأخبرا قريشا ، فلم تبعث قريش في ذلك أحدا ، فما مضى بعض الوقت حتى تزوج زيد بن حارثة من أم كلثوم هذه ، ثم أقبلت الى المدينة سبيعة بنت الحارث الأسلمية ، وهي متزوجة من مشرك من بني مخزوم ، فلما أقبل زوجها المخزومي طالبا ردها اليه ، استحلفها النبي عليه الصلاة والسلام فحلفت انها انما أرادت الاسلام ، فأعطى النبي زوجها ما أنفق عليها ، وتزوجها عمر بن الخطاب . ذلك أن الآية نصت على أن كفر الأزواج يفسخ الزواج ويسمح للمسلمات بالزواج من مسلمين ، شريطة تعويض الزوج المشرك عن المهر الذي دفعه ، كذلك نصت على فسخ الزواج بين رجال المسلمين وزوجاتهم المشركات ، مع حصم المهور التي كانوا قد دفعوها من المبالغ المستحقة لقريش عن نسائها المهاجرات الى المدينة ، فلما نزلت الآية وفيها « ولاتمسكوا بعصم الكوافر » الممتحنة [١٠] حتى طلق عمر بن الخطاب زوجتين مشركتين من زوجاته ، هما قريبه بنت ابي امية بن المغيرة ، فخلفه عليها معاوية بن ابي سفيان ، وام كلثوم بنت عمرو بن جرول (وهي ام عبيد الله بن عمر) فخلفه عليها ابو جهم بن حذيفة .

ومع ذلك فقد اشترطت الآية المذكورة امتحان المهاجرات الى المدينة لتبين صدق اسلامهن . فقد ذكر الطبري في تفسيره أن البعض منهن انما هاجرن لمجرد خلاف مع أزواجهن أو أسرهن ، بينما جاء بعضهن يهبن أنفسهن للنبي (ﷺ) وقد ذاع صيته بين قبائل العرب ، وأخريات هاجرن طلبا للمغامرة ، غير ان الكثيرات منهن كن صادقات في رغبتهن في الدخول في الاسلام ، وكثيرة هي الحالات التي أثبتت فيها المرأة العربية ـ في ذلك الوقت ـ ان لها من الرأي ما يخالف رأي الزوج كسبيعة بنت الحارث ، أو الأب (كام حبيبة بنت ابي سفيان) ، وأثبتت ان لديها من قوة الارادة وصدق العزيمة مامكنها من مواجهة التحدي ، والتشبث والتمسك بما ترى انه الحق . □



فسيفساء اللغات والناس في بلاد القفقاس!

داغستان

استطلاع: سليمان الشيخ

تصوير: سليمان حيدر







هذه البلاد نعرفها وتعرفنا منذ مئات السنين ، فخيول الفتح وصلتها منذ السنوات الأولى للدعوة الاسلامية ، وحصل الامتزاج وانساح الناس من هنا إلى هناك ، ومن هناك إلى هنا ، وتشابكت حروف اللغة والأسماء ، وأصبحنا أجزاء من عالم موحد كبير مترامى الأطراف ، تجمعه الوحدة الثقافية المشتركة ، ذلك هو العالم الاسلامي ، اما تلك البلاد فهي بلاد شمال القفقاس . . . فما هي حكاية « فسيفساء » اللغات والناس فيها ؟

ليس سهلا أبدا أن يتعلم الانسان من تلقاء نفسه لغةأخرى ، لكن ـ فرحات ـ دليل قلعة مدينة دربند ، المدينة الثانية في جمهورية داغستان السوفيتية ومعناها « باب الأبواب » بالعربية ، و « الباب المغلق » بالفارسية ، استطاع هذا الرجل تعليم نفسه اللغة العربية ، وتولى شرح الكثير من الأمور حول معالم القلعة والمدينة بواسطتها ، فقد كنا نعاين صخورها ودهاليزها وحفائرها ومعالمها ، وهو يستفيض في الشرح ، وتتلحلج بعض الكلمات على لسانه ، فيتوقف صامتا لحظة يحك رأسه ، ويحاول أن يتذكر ، ثم يلجأ إلى المستشرق كوديف الكسندر الذي يشرف على حفريات القلعة ، أو يلجأ إلى مرافقنا الذي يعرف العربية ،وبعد ذلك تعود اللغة إلى انسيابها .

فرحات لم يأت بمعجزة خارقة ، لأن اللغة العربية لم تطو صفحتها من بلاد القفقاس إلا منذ عقود قليلة من السنين ، فلجأ إلى مكنون ماتكون في ذهنه ، وذاكرته ، مما سمعه من جده أو ربما من أبيه ، وما قرأه من القرآن الكريم ، ومن خلال الاجتهاد النابه تشكلت على لسانه الحروف والكلمات .

يشير فرحات إلى شواهد القبور المنصوبة على التلة التي تشرف على المدينة ، ويحكى لنا حكاية القادة العرب الاربعين الذين دفنوا في المقبرة فسميت (مقبرة الأربعين) . لقد خاض هؤلاء حربهم مع دولة الخزراليهودية التي كانت قائمة في المنطقة واستشهدوا ، نغادر نارين قلعة أي « القلعة الصغيرة » ، ونارين كلمة فارسية تعني الصغيرة ـ وندقق في شواهد القبور وفي الحجارة . ونستنطق الصخور ، علها تبوح لنا بشيء عن ملامح الماضي .

إغريق ، ورومان ، وبيزنطيون ، وهون ، وبلغار ، ولان ، وفرس ، وخزر ، وروس ، وأتراك ، وعرب ، وتتار ، وغيرهم ، كلهم مروا من هنا وتركوا بعض الآثار .

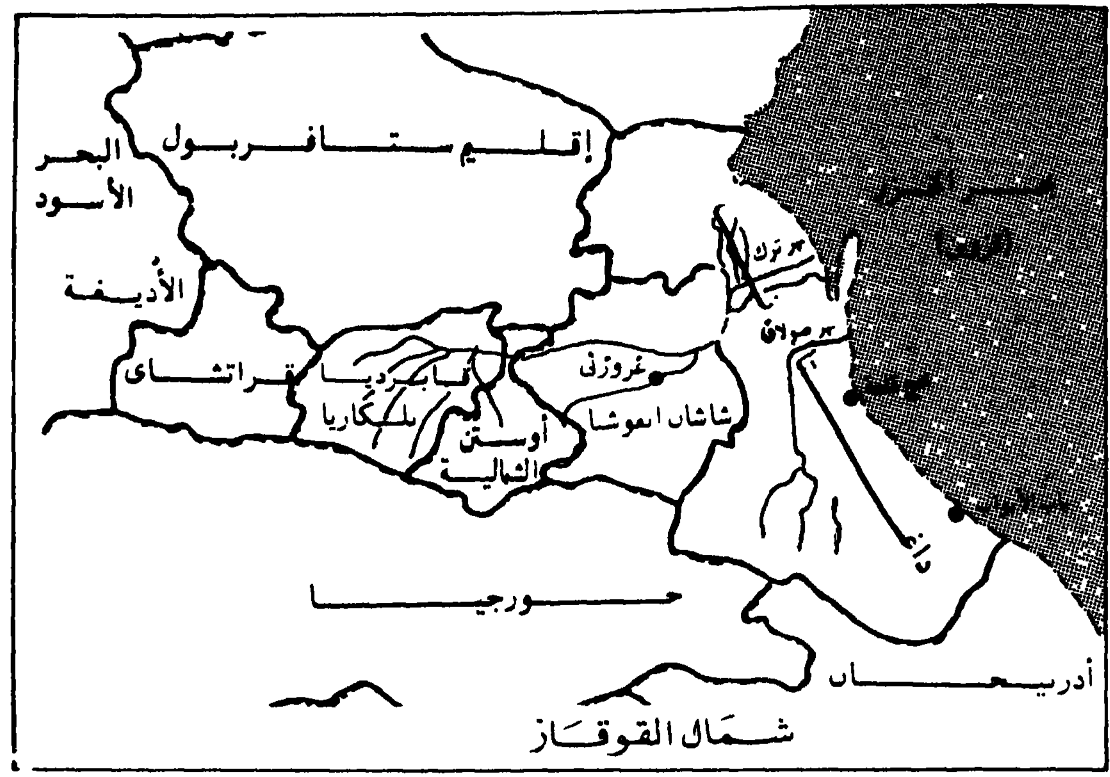
يأتي صوت فرحات : لاتنسوا أن الحفريات تشير إلى أن المدينة ربما سكنها الانسان قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

ذكريات التاريخ

يؤكد المستشرق كوديف أن مدينة دربند سكنها الانسان منذ قديم الزمان ربما منذ عهد السومريين ، وأنها بقيت مأهولة بالسكان منذ تلك العهود ، إنها « باب الأبواب » كما قال عنها العرب ، وهي بوابة اوروبا على آسيا وبوابة آسيا على اوروبا ، وموقعها فرض عليها أن تلعب دور البوابة ، فجبال القفقاس تطل عليها وتحاذيها ، وهي تغسل أرجلها في مياه بحر قزوين أو بحر الخزر كما كان يطلق عليه في السابق ، ومن أراد الانتقال من هذه الجهة إلى تلك فما عليه إلا أن يمربها .

ومرت بها ومن خلالها خيول كثيرة ، وعربات ، وناس من شتى الأجناس لم يكفوا عن المد والجزر ، وحمحمات الخيول لم تهدأ ، ولم تستكن في هذه المنطقة ، وصوان الجبال كان يقدح نارا تحت سنابكها .

وشعب المكان يرتبك ، ويرتعد ، ويقاوم ، ويتجاوب ، أو يستسلم إلى حين ثم يثور ، ويحتج ، ويحتمى بجباله ، ووراء صخوره ، موجة يقاومها وأخرى يحاول أن يتعايش معها أو يخضع لها إلى حين ، ثم تثور زوابعه وبراكينه ، ويتقافز بين



● خريطة الجمهوريات الجنوبية السوفيتيه من بينها داغستان عن كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ »

الصخور والوديان ، وتصهل خيوله في المنحدرات وتتفرق ، فيتشتت قسم منه وتبقى أقسام ، ويهجر أمكنة ، ويتأقلم بغيرها ويتواءم ، الى أن تثور زوبعة شعب آخر ، فيحصل افتراق جديد مع المكان ، هكذا ضربت دوامة الحروب تلك البلاد ، وهكذا كانت تتفرق الكثير من الشعوب التي سكنت المكان .

قبل أن تصل إلى مدينة ماختشكلا « محج قلعة » عاصمة جمهورية داغستان بحوالى ٥٠ كيلومترا من الجهة الشمالية الغربية يستوقفك منظر غريب ، تلال من الرمال تكونت وتكومت وراء الجبال المنخفضة ، وعندما تسأل عن الظاهرة يأتيك الجواب : هي رمال قذفت بها العواصف ، والأعاصير ، والرياح ، من شاطىء بحر قزوين ، وساقتها إلى ماوراء التلال ، فتكونت منها تلال رمل صفراء خلف المرتفعات الجبلية التي تراها . هززت رأسي إعجابا واندهاشا ، ثم هلت في الذهن المقارنة ، فحتى الطبيعة هنا فعلت مافعلته عواصف الشعوب الغازية التي كانت تهب على المنطقة فتذرى ناس هذا المكان وتفرقهم أشتاتا .

محاولة تفسير :

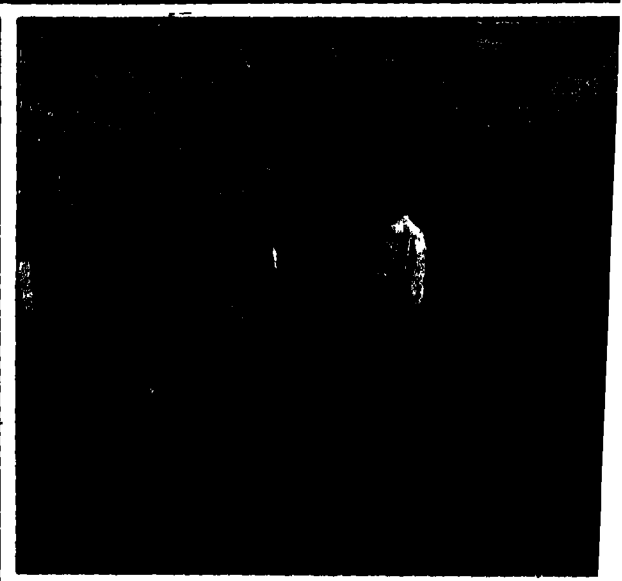
هل هي محاولة لتفسير وجود عشرات اللغات ، وعشرات الشعوب المتوطنة في بلاد القفقاس ؟

نعم ذلك صحيح ، فقد ذكر المؤرخ الرومانى بلينى في القرن الأول الميلادي أن ١٣٠ لغة كانت موجودة في بلاد القفقاس ، وذكر ابن الفقيه المؤرخ العربي أن في بلاد القفقاس حوالى ٧٢ لسانا لا يعرف كل إنسان لغة صاحبه الا بترجمان ، وذكر شاعر داغستان الكبير رسول حمزاتوف تفسيرا مشبعا بالخيال الشعرى حيث يقول في كتابه « داغستان بلدى » المملوء إبداعا ، والغني بحكمة وتاريخ سكان تلك الجبال مايلي :

كان والدى يروى القصة التالية :

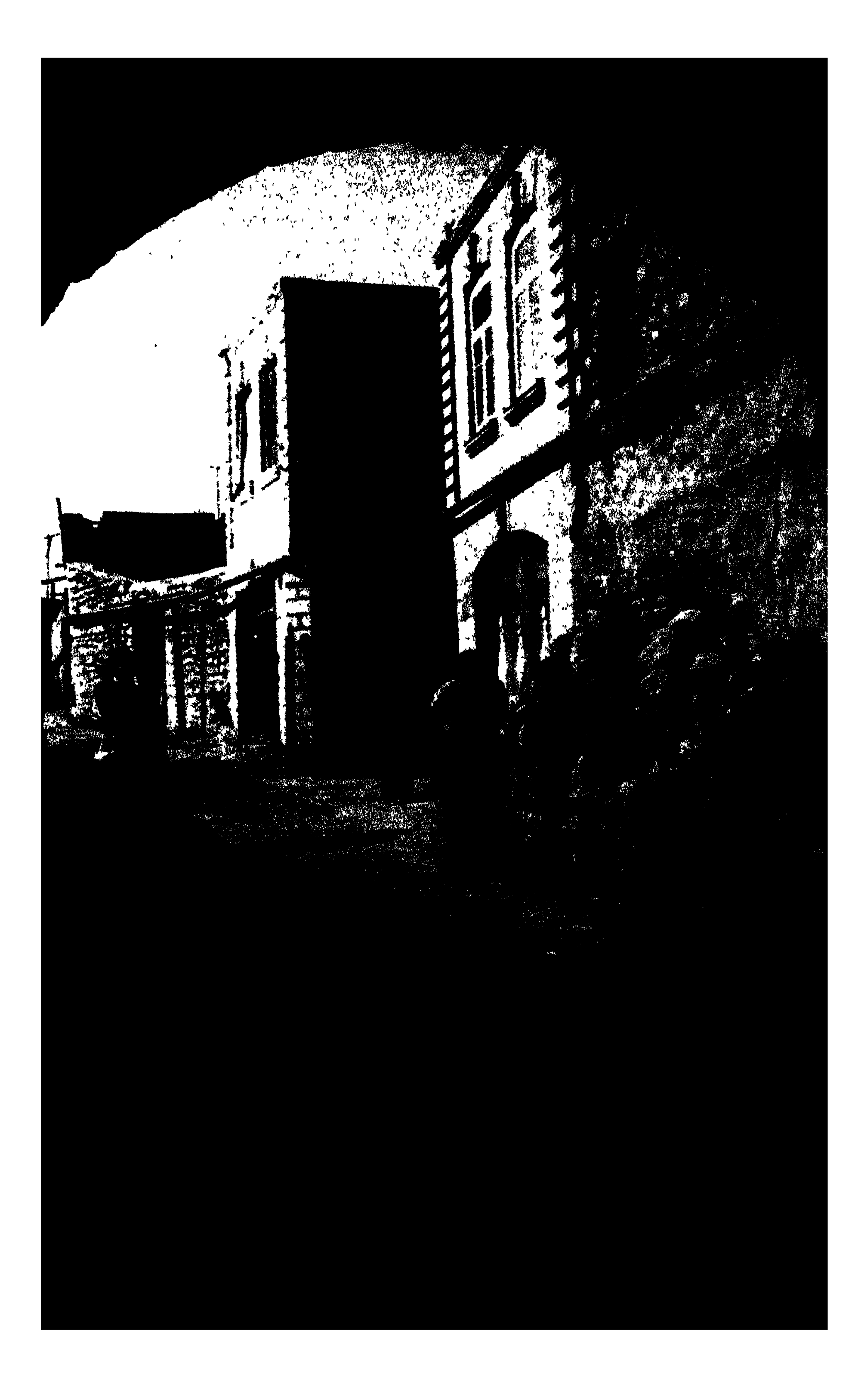
(أخذ موزع اللغات يجوب الأرض على بغله ، ويوزع على الشعوب لغاتها من خرج ضخم ، فزار الصينيين وأعطاهم اللغة الصينية ، وزار العرب





● دربند ـ باب الابواب ـ عراقة وقدم (أعلى)
ـ شواهد وقبور . . بعض علامات التاريخ (يمين ،
القلعة الصغيرة ـ نارين ـ في دربند . (الى اليسار)
حجارة التاريخ ترتصف في الاحياء القديمة .

(الصفحة المقابلة)



وأعطاهم اللغة العربية ، وأعطى اليونانين اليونانية والروس الروسية ، الخ ، وأخيرا وصل موزع اللغات إلى داغستاننا ، لكنه عندما وصل هبت عليه عاصفة ثلجية ، وكان الثلج يدوم في السفوح ثم يرتفع في الجو ، فلم يكن يرى شيئا ، لاطرقة ولاسكنا ، ولم يكن يسمع إلا الريح وهي تصفر في العتمة ، والصخور وهى تنهار بين الحين والآخر .

قال موزع اللغات ـ وقد بدأ شارباه يتجمدان ـ : لا ، لن أتسلق هذه الصخور في مثل هذا الطقس ، وبقى في خرجه مقدار حفنتين من اللغات التي لم يتم توريعها ، ثم أخذ ينثرها على الجبال قائلا : ليأخذ كل منكم اللغة التي يريد .

وهكذا ظهر منذ ذلك الوقت الأفاريون ، الليزكينيون ، والدرغينيون ، والكوميكيون ، والتاتيون ، واللاكيون (قسم من شعوب داغستان) ●

في المصادر التاريخية :

القفقاس ، هكذا يسميها بعض سكانها الآن ، وتسميها بعض المصادر جبال القوقاز ايضا ، إلا أن المصادر العربية وبخاصة ياقوت الحموى في معجم البلدان يطلق اسم « القبق » على تلك الجبال ، وقد جاء في تعريفه :

« قبق » : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره أيضا قاف ، كلمة أعجمية ، وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان ، وهو آخر حدود أرمينية ، وقال الشاعر البحترى عنها :

مُغلق بابه ، على جبل القبق ،
إلى دارتى خلاط ومُكسُ*
حُلَلٌ لم تكن كأطلال سعدى
في قفار من البسابس فلس .

وتعد جبال القفقاس حدا فاصلا بين آسيا واوروبا ، فما يقع منها إلى الشمال يدخل ضمن اوروبا ، وما يقع جنوبا يدخل ضمن آسيا . وتمتد



● الشاعر رسول حمزاتوف

هذه الجبال بين البحر الأسود وبحر قزوين ، ويصل أعلى ارتفاع فيها إلى حوالى ٥٦٣٧ مترا في جبال البروز . وفي جنوب الجبال جمهوريتان اتحاديتان من جمهوريات الاتحاد السوفيتي هما جورجيا وأرمينيا ، تتبع الأولى بعض الجمهوريات والمناطق التي تتمتع بحكم ذاتي ، وفي الشرق جمهورية أذربيجان الاتحادية ، يتبعها عدة جمهوريات ومناطق ذات حكم ذاتي أيضا ، أما في شمال هذه الجبال فإن مناطقها تشمل عدة جمهوريات ذات حكم ذاتي أيضا هي : داغستان موضوع استطلاعنا ، وشاشان ـ انغوشيا ، وكبارديا ـ بلكاريا ، واوسيتا الشمالية ، وولاية قرتشاى الشركسية ، وولاية الأديجا وكلها في الاتحاد السوفيتي الآن .

ولتوضيح هذه التقسيمات فإن الاتحاد السوفيتي يشمل ١٥ جمهورية اتحادية ، و ٢٠ جمهورية ذات حكم ذاتي ، وعدة مناطق ودوائر قومية أخرى .

جاء في كتاب جغرافية الاتحاد السوفيتي

* اسماء قديمة لمناطق في الجبال .



● السيدة ايفا .

« لستروييف » الصادر عن دار التقدم في موسكو : « إن كل جمهورية دولة سوفيتية مستقلة ، بيد أن الجمهوريات جميعها تشكل معا دولة اتحادية واحدة ، ذات هيئات اتحادية عامة للسلطة ، وجنسية اتحادية واحدة ، ويعتبر كل شخص سوفيتي مواطنا في الاتحاد السوفيتي بغض النظر عن مكان ولادته ، أو اقامته في أية جمهورية متحدة .

ينتخب الشعب « سوفيتيات » أو (مجالس) نواب من أجل إدارة الدولة ، و « السوفييت » الأعلى للاتحاد الذي يتألف من مجلس الاتحاد ، ومجلس القوميات هو الهيئة العليا التشريعية لسلطة الدولة . وتتمتع الجمهوريات المتحدة قاطبة بتمثيل متساو في مجلس القوميات الذي توفد إليه كل جمهورية متحدة عددا متكافئا من النواب بغض النظر عن عدد السكان ، أما في مجلس الاتحاد فان كل ٣٠٠ ألف نسمة من السكان ينتخبون ممثلا واحدا عنهم .

تعيش في حدود بعض الجمهوريات المتحدة - ماعدا القومية الاساسية - مجموعات - كبيرة نسبيا ، من الشعوب الأخرى ، وفي الرقعة التي ترتبط بها حياة هذه الشعوب وتاريخها ، أنشئت جمهوريات اشتراكية ذات حكم ذاتي ، وتؤلف القوميات غير الكبيرة مقاطعات ذات حكم ذاتي ودوائر قومية ، وتتمتع الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي بحقوق الادارة الذاتية لشؤون الحياة الداخلية ، والبناء الثقافي والقومي »

وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين - المجلد السابع عن بلاد القوقاز : « القوقاز مأهول بأقوام مختلفي الأجناس ، منهم أقوام يسكنون الجبال وهم الجركس في جهة الشمال من تلك الجبال ، وقوم يقال لهم الليوغيس والتشيتشين والجيورجيان والاوسيت ، والأقوام الذين يسكنون الجهات المجاورة لجبال القوقاز وهم من الروس والترك والكالموك والكرد والأرمن » ، وتفيد بعض المصادر التاريخية بأن سكان شمال القفقاس ينتمون في أصولهم إلى قبائل الشركس ، وهذا الأمر يختلف عليه المؤرخون والباحثون حتى الان .

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد السادس :

« الجركس : اسم عام يطلق على الأقوام التي كانت تسكن فيما مضى القسم الشمالي الغربي من القوقاز ، وقسما من الشاطىء الشرقي للبحر الأسود ، ولم يبق من هذه القبائل التي كانت أكثر عددا قبل الاحتلال الروسى لهذه المنطقة إلابقايا لايعتد بها ، اذ هاجر أغلبها إلى تركيا » .

ضحية موقع :

وحقيقة هجرة بعض هذه القبائل هي حقيقة مؤكدة في التاريخ ، إذ أن الكثير من الشركس أو الجركس ذكروا في تاريخ الدويلات التي قامت على أنقاض الدولة العباسية ، ومنهم الجراكسة الذين حكموا باسم دولة المماليك في مصر بعد سقوط دولة الأيوبيين ، وبعضهم ذكر في تاريخ الدولة العثمانية وتهجيرهم اليها ، ويعود سبب ذلك إلى أن بلادهم تقع بين دول قوية متنازعة وطامعة كروسيا

القيصرية ، والامبراطورية العثمانية ، والدولة الفارسية ، مما حتم عليهم دفع ثمن الحروب التي كانت تقوم بين هذه الامبراطوريات ، وقد كانوا في بعض الأحيان يناصرون هذا الطرف على ذاك ، أو يشقون عصا الطاعة على الدولة الحاكمة مما جعل هجراتهم تتوالى إلى مناطق الدولة العثمانية ، فتوطن بعضهم في تركيا الحديثة ، وآخرون وصلوا إلى بلاد الشام ، والعراق ، وغيرها . وكانت أكبر تلك الهجرات هى هجرة سنة ١٨٦٤م ،ويُحمل بعض الشركس الدولة العثمانية المسؤولية عن نكبتهم نظرا لسياستها في تهجيرهم من مواطنهم الأولى إلى أماكن أخرى ليكونوا حاجزا أمام روسيا القيصرية .

كما أن بقية العناصر المحسوبة في بعض المصادر على الشركس كالشيشان ، والداغستانيين ، أصابها أيضا بعض ما أصاب الشركس من تهجير ، وخاصة أن الداغستانيين كثيرا ماكانوا يثورون مع جيرانهم ـ الشيشان ـ على السلطات الحاكمة من قياصرة الروس واكاسرة الفرس ، وسلاطين العثمانيين .وأشهر ثورة في داغستان هى ثورة الشيخ شامل ضد السلطة القيصرية الروسية التي استمرت حوالى ٢٥ سنة ، وانتهت مهزومة سنة ١٨٥٩ م ، فتوزع بعدها بعض الداغستانيين على مناطق الدولة العثمانية أيضا ، وبعضهم وصل إلى بلاد الشام ، والعراق .

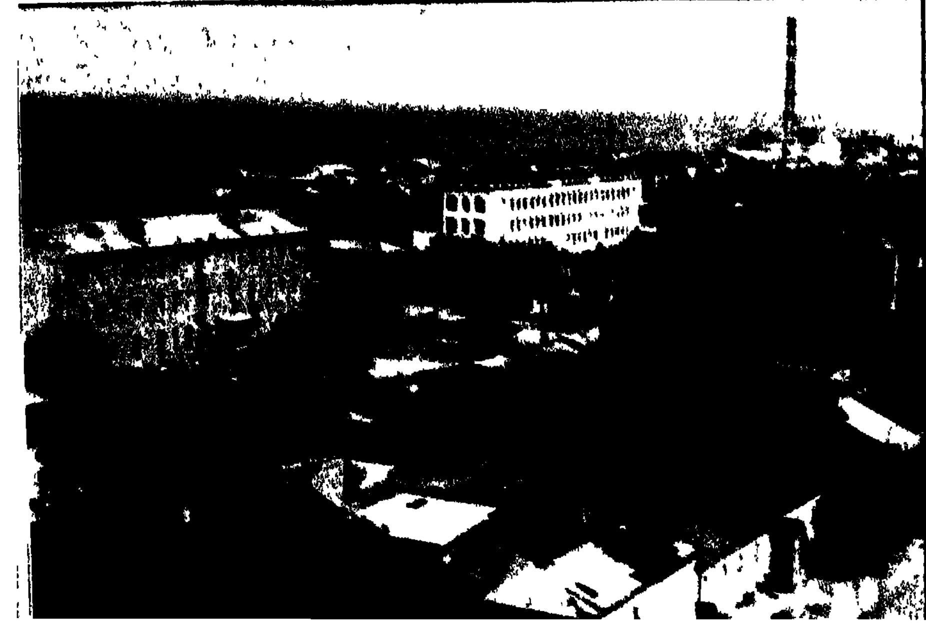
وقد أكد هذا الأمر الأساتذة والباحثون في معهد التاريخ واللغة والأدب في ماختشكلا وهم د . حجى حزاتوف مدير المعهد ، ود . أمرى شيخ سعيدوف ، ود . تيمور ايدييروف ، ود . أمير خان ايسايف ، ومحمد حييف (نائب مدير المعهد) ، عندما قالوا : إن الاكتشافات تشير حتى الآن إلى أنه في قديم الزمان ـ ولسنا ندرى في أية مرحلة ـ كانت هناك لغة واحدة للشعب القفقاسى ، ثم حصل الافتراق ولانعرف ـ إلى الآن ـ متى تم ذلك ، ولكنه يمكن القول بأنه يوجد في القفقاس حوالى ٥٠ لغة تعود ـ في جذورها ـ إلى جذر واحد ، إضافة إلى أن أية لغة من تلك اللغات لانجدها نقية تماماً ، بل يوجد فيها تأثيرات تركية ، وايرانية ، وعربية ، وتترية ، وروسية ، الخ ، ويمكن القول أيضا بأن هناك صلة قرابة بين لغاتنا وبين اللغة التركية .



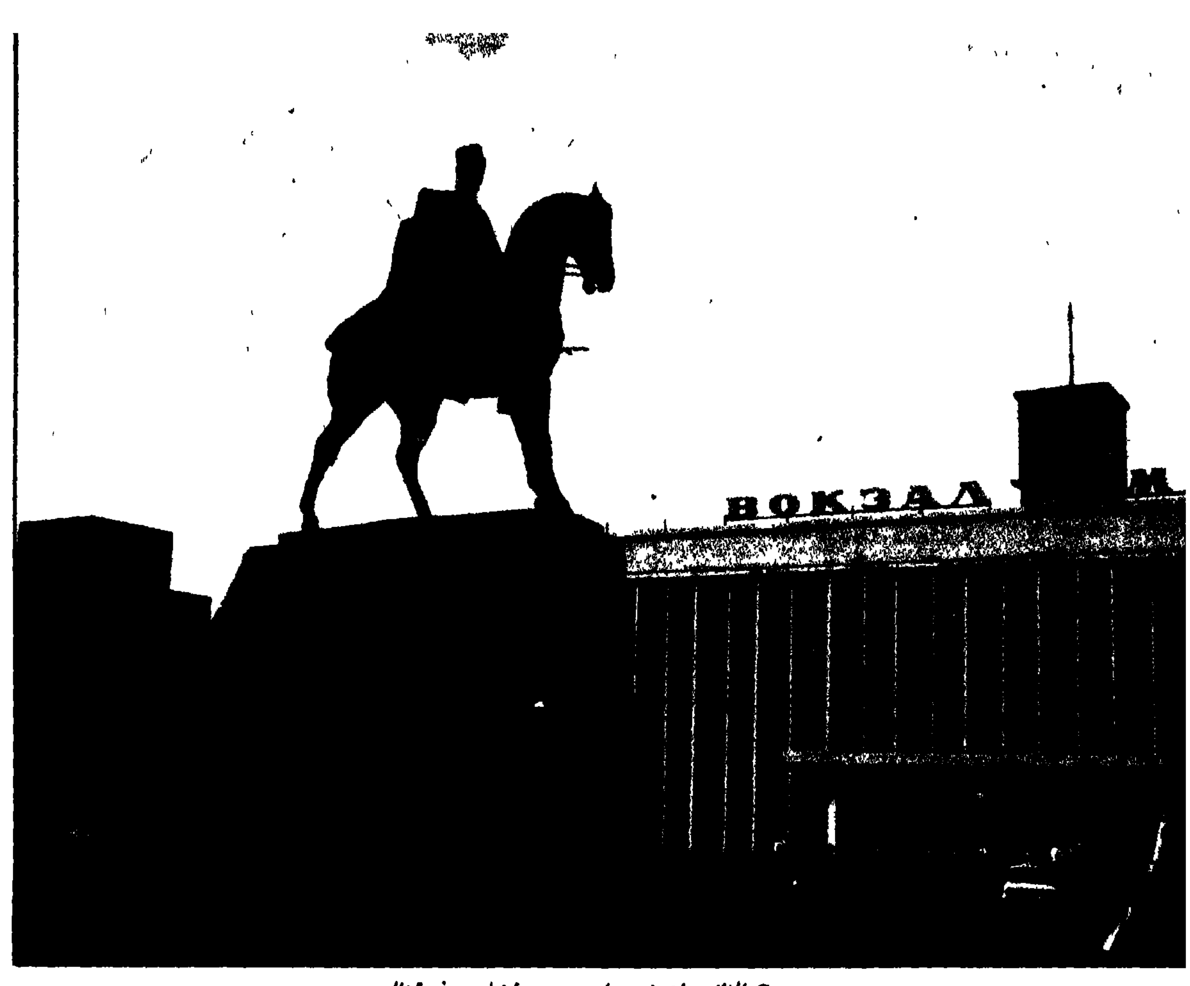
سجل الحاضر

(داغستان) هو اسم مستحدث (أطلق على منطقة بعينها في القرن السادس عشر الميلادي) ، وهو مؤلف من مقطعين ، (داغ) وهي لفظة تركية ومعناها جبال ، و (ستان) لفظة فارسية تعنى بلاد ، فيكون معنى الاسم هو بلاد الجبال .

بعض هدايا الاعراس .. صناعة ايديهم وايديهن



حي من احياء ماخشكلا .



● الثائر ماختش ـ ادى دوره فخلدوه في تمثال .

هذه الثنائية في إطلاق الأسماء أو التي تزيد على ذلك في تركيبها ما هي ـ حسب اجتهادي ـ إلا من باب إقرار حقيقة التعددية القائمة في بلاد الداغستان ، وقد أشرت إلى ماذكره المؤرخون من تعدد الشعوب واللغات قديما في تلك البلاد ، فهل مازال الامر كما كان ؟

نعم إن الامر مازال كما كان . . من حيث التعددية ، هكذا قالت لنا السيدة (ايفا) رئيسة القسم الاداري والتنظيمي في هيئة الرئاسة العليا في مدينة ماختشكلا « محج قلعة » عاصمة داغستان ، وهكذا أكد لنا الدكتور حجي حمزاتوف مدير معهد التاريخ واللغة والأدب ـ معهد الاستشراق سابقا ـ ومجموعة من الاساتذة المستشرقين الذين التقينا بهم في المعهد .

لكن الامر تجاوز تعددية الشعوب والقبائل ليدخل في تنظيم وحدوى جديد ، هو الجمهورية السوفيتية الداغستانية ذات الحكم الذاتي التي أعلن عن قيامها سنة ١٩٢١م . ومازالت إلى الآن قائمة كجزء من الجمهوريات ذات الحكم الذاتي في الاتحاد السوفيتي .

أما قبل هذا التاريخ فإن داغستان ـ كما اشرنا من قبل ـ تم غزوها من قبل كثير من القوى ، وقد تم فتح بعض مناطقها من قبل العرب سنة ٢٢هـ ـ ٦٤٢م ـ زمن الخليفة عمر بن الخطاب ـ ، وتمت السيطرة على مدينة دربند الساحلية بعد ذلك ، تم انتزاع بعض المناطق من الدول التي كانت قائمة آنذاك ـ اي من دولة الفرس ومن دولة الخزر اليهودية ايضا ـ وقد اسقط الروس دولة الخزر اليهودية التي كانت قائمة في المنطقة واتخذت من مدينة اتل ـ بالقرب من مدينة استراخان الحديثة على نهر الفولغا عاصمة لها ـ وكان ذلك في سنة ٩٦٥م ، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك التاريخ ، ويمكن تفسير وجود عدة آلاف من اليهود حتى الآن في بعض مناطق داغستان الى كونهم من بقايا يهود ذلك الزمان ، وخصوصا ان بعضهم يطلق عليهم اسم يهود الجبال .

وبعد ذلك ـ أي بعد سقوط دولة الخزر ـ استمرت المنطقة موزعة على عدة قوى ، كالعباسيين والفرس ، والروس ، وبعض الامارات المحلية ، ثم الدولة العثمانية ، ثم التتار والمغول ، إلى أن أخضعت

روسيا القيصرية المنطقة بأكملها اعتبارا من سنة ١٨٥٩ م بعد إخماد ثورة (الشيخ شامل) ، تذكر دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع ، مايلي :

« ولم يحدث قط أن توحدت النجاد ، والوهاد - في داغستان - التي على الساحل مدة ما في ظل شعب واحد ، أو تحت إمرة أسرة واحدة حتى كان الاحتلال الروسي

داغستان الحديثة :

تبلغ مساحة الجمهورية ٥٠,٣٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها حوالى مليون و ٧٠٠ ألف نسمة ، عاصمتها مدينة « ماختشكلا » أو « محج قلعة » وعدد سكان العاصمة حوالى ٣٠٠ الف نسمة ، والاسم محج أو ماحتش يعود إلى أحد الثوار الوطنيين الدين حاربوا الروس البيض فقتلوه سنة ١٩٢٢ عندما كان يدافع عن السلطة السوفيتية ، وبعدها أطلق اسمه على المدينة ، وكانت تعرف ببورت بتروفسك منذ بداية القرن الثامن عشر وحملت اسم القيصر الروسى بيتر .

تؤلف الجبال حوالى ثلاثة أرباع مساحة الجمهورية ، ومع ذلك فهى مشهورة بالزراعة ، وأهم محصولاتها القمح ، والكرمة ، والدرة ، والخضر ، والفواكه ، وكثير من تلال جبالها تم استصلاحه حديثا ، وتزرع بها الفواكه والحبوب ، وتسقى أراضيها عشرات الأنهار ، ومن أهمها تيرك وصولاق وسومار .

كانت تنتشر فيها زمن الفتح العربي اليهودية ، والمسيحية ، والوثنية ، والزرادشتية - عبدة النار - وقد وجدنا بعض رموزهم في قلعة دربند . واستمر الأمر كذلك بعد الفتح إلى أن دان كثير من السكان بالاسلام ، وخاصة بعد السيطرة العثمانية على بعض المناطق ، ثم سيطرة التتار المسلمين على مناطق أخرى . وبعد سيطرة روسيا القيصرية بدأت محاولات نشر المسيحية الارثوذكسية بين السكان ، إلا أن أكثرهم استمر محافظا على دينه الاسلامي ، وبعضهم هاجر إلى تركيا وبلاد الشام والعراق وغيرها من البلاد كما ذكرنا .

وبعد قيام الحكم السوفيتي بعد ثورة سنة ١٩١٧ ، جاءت المادة ٥٢ من الدستور السوفيتي الذي صدر سنة ١٩٢١ بالنص الآتي :

« تضمن الدولة لمواطني الاتحاد السوفيتي حرية العقيدة ، أي الحق في اعتناق أي دين ، وأداء الشعائر الدينية ، أو القيام بالدعاية الالحادية ، وعدم اتباع أي دين ، وتمنع إثارة العداوات ، والأحقاد بسبب المعتقدات الدينية . والدين في الاتحاد السوفيتي مفصول عن الدولة ، والمدرسة مفصولة عن الدين » .

السيد عبدالوهاب نورلييف - نور الله - رئيس قسم الأديان الشرقية التابع لمجلس الشؤون الدينية التابع بدوره لمجلس الوزراء السوفيتي قال لنا عندما التقيناه في موسكو مايلي : « يوجد في الاتحاد السوفيتي حوالى ٤٠ دينا او اتجاهاً دينيا ، فحرية الاعتقاد مكفولة حسب نص المادة ٥٢ من الدستور ، وقد شاركت لجنة الشؤون الدينية في وضع الدستور ، وقد كان الدين الرسمى للدولة قبل الثورة هو الدين المسيحى الارثوذكسي ، وكانت بقية الأديان تعامل معاملة لاترقى إلى ما يعامل به الدين الرسمى . وعلى سبيل المثال ، فإن بناء المساجد في بعض الحقب القيصرية كان يجب أن يتم من تراب وليس من حجارة ، أما الآن فإن جميع الأديان متساوية ، وممثلو المجموعات الدينية هم الذين يقررون بناء أماكن العبادة بعد موافقة السلطات الرسمية طبعا ، وإذا ما تقدم عشرون شخصا بطلب لانشاء مكان للعبادة ، ووجدت السلطات أنهم جادون في ذلك وقادرون ماديا على الانشاء والتعمير والصرف على الشؤون الأخرى ، فانها توافق على منحهم الأرض تمهيداً للبناء » .

القضاء على الأمية :

في مبنى هيئة الرئاسة العليا في مدينة مخشكلا . . قالت لنا السيدة ايفا رئيسة القسم الادارى والتنظيمى في الهيئة :

« أنا من قرية جبلية اسمها اوسيشا وقد كنت المعلمة الوحيدة فيها في أربعينات هذا القرن ، والآن يوجد فيها ثلاث مدارس ، ويعمل فيها ٨٠ معلما ومعلمة من أبناء المنطقة ، لقد كانت نسبة المتعلمين في البلاد تصل إلى ١٢ ٪ سنة ١٩٢٦ ، وارتفعت بعد حملة محو الأمية إلى نسبة ٨٠ ٪ سنة ١٩٣٩ لتختفى



● نساء ومناجل واغمار حصاد القمح بالغرب من قرية شبشيلي .



● قرية كوباتشي .. وشم الانسان والزمان في قلب الجبال - يسار -
ماالذي توشوشه هذه البائعة للورود في ماختشكلا ؟ يمين .

الأمية تماما في أربعينات هذا القرن ، والآن يوجد في ماختشكلا جامعة فيها ١١ كلية ، ويوجد فيها فرع لأكاديمية العلوم السوفيتية و ٥ معاهد عليا و ٢٨ معهدا تقنيا في مستوى الثانوية ، ويبلغ عدد طلاب الجامعة ٢٦ ألف طالب ، ويبلغ عدد طلاب المعاهد ٢٧ ألف طالب .

عدد السكان سنة ١٩٧٩ م وصل إلى مليون و ٦٢٧ ألفا من بينهم ٦٣٩ ألفا يسكنون المدن ، و٩٨٨ ألفا يسكنون الريف .

أسأل : كيف استطعتم القضاء على الأمية بالرغم من وجود عشرات اللغات المختلفة في بلادكم ؟

استخدمنا اللغة الروسية في البداية وهي اللغة الرسمية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ، ثم بدأنا باستعمال اللغة القومية لكل منطقة وشعب بعد ذلك مع اللغة الروسية طبعا ، هكذا أجابت السيدة ايفا .

وأضافت : تصدر القوانين والقرارات الرسمية بـ ١١ لغة في داغستان ، وتبث أجهزة الراديو بـ ١١ لغة أيضا ، وتصدر الكتب الأدبية بعشر لغات ، ويتم تدريس الصفوف الابتدائية من الأول إلى الثالث باللغات القومية ، ثم بعد ذلك يتم تعليم بعض المواد بالروسية ، وتصبح اللغة القومية إحدى المواد الدراسية فقط . ويتم التدريس في المعاهد والكليات والجامعات باللغة الروسية ، وفي كل منطقة تصدر صحف باللغة القومية اضافة إلى صحف أخرى باللغة الروسية .

وأضاف السيد حجى أرابوف - العربي - رئيس تحرير صحيفة العلم الأحمر في ماختشكلا إلى معلومات السيدة ايفا معلومات أخرى عندما قدم إحصاء بعدد الجماعات القومية المتوطنة في جمهورية داغستان حسب إحصاء سنة ١٩٧٩ وجاء فيه :

الافاريون وعددهم ٤١٨,٦٣٤ نسمة
يليهم الدارغينيون وعددهم ٢٤٦,٨٥٤ نسمة
ثم الكوميكيون - الغوميق وعددهم ٢٠٢,٢٩٣ نسمة
والروس وعددهم ١٨٩,٤٨٤ نسمة
والليزكينيون وعددهم ١٨٨,٨٠٤ نسمة
واللاكيون وعددهم ٨٣,٤٥٧ نسمة
يليهم التباسارانيون والأذربيجانيون والشيشانيون والنوغائيون والروتوليون واليهود ، ثم الاغووليون ، والتساخوريون والتاتيون ويهود الجبال وغيرهم .

من على قمة جبل :

كنا نعتلي جبل تاركى تاو الذى يشرف على ماختشكلا عاصمة داغستان ، فالمدينة تؤاخي البحر ، وتنقل رسائل الجبليين وتحياتهم إليه وإلى جانبه الأخر . تلمع من بعيد نار غازات البترول المشتعلة ، فيقول حسين موظف السياحة في المدينة : ذلك بعض غازنا المحروق ، وتلك في البعيد آبار بترولنا - تم إغلاق بعض آبار البترول البحرية نظرا للحاجة إلى تعميقها بأضعاف أضعاف ما هي عليه ، والمعروف أن داغستان مشهورة بوجود مكامن بترولية فيها منذ قديم الزمان والبترول المستخرج منها هو من النوع الخفيف المستعمل في الطائرات - .

ويضيف : انظروا إلى المدينة . . إن القسم الذي ترونه في شمالها ويظهر كأنه بحيرة انشقت عن البحر ستتحول إلى حديقة عامة ، وأتمعن جيدا في المدينة فأجد أنها كلها حديقة خضراء لايبرز منها إلا بعض المباني العالية .

وتنحدر بنا الطريق إلى الاحياء ، ويهدر حسين بصوته العجول : هذا الحي بناه رجال من جمهورية اوزبكستان ، وذاك بناه الكازخستانيون ، وهذا المستشفى بناه الاوكرانيون ، وهذا الفندق بناه اللييننغراديون . . وهذا . . وذاك . . وذلك . .

* وأساله لماذا ياحسين تم ذلك ؟

- في سنة ١٩٧٠ حدث زلزال في المدينة أودى بالكثير من معالمها ، فجاء الاخوة والرفاق من جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي بامكاناتهم ومساعداتهم التي جمعوها من شعوبهم وأعادوا بناء المدينة . أنظر فلا أرى أثرا لزلزال ، بل مدينة حديثة ، مرتبة ونظيفة ، ليس فيها ازدحام ، تظهر بعض الاشارات على المباني تشير إلى أن سكانها شرقيون ، وذلك من خلال تكرار بعض الأشكال الهندسية على الحوائط والنوافذ والشرفات ، ويظهر أيضا غسيل الناس المنشور (يظهر أن هذه العادة هي عادة شرقية أيضا) لأنني قلما رأيت غسيلا منشورا في المدن الاوروبية السوفيتية .

وماذا بعد ياحسين ؟

- هذا تمثال ماختش الذي أخذت مدينتنا اسمها


● السيد باشا بيكوف اديسون .


● السيد يوسف احمد يوسف


● السيد عبدالوهاب نور الله

من اسمه ، وذاك تمثال محمد حادحييف البطل السوفيتي الذي أغرق كثيراً من سفن الأعداء ، وهذه حديقة الأبطال الستة الذين أعدمهم أعداء الثورة سنة ١٩١٩ وهذه هي تماثيلهم ، وهاهي تماثيل الشاعرين المبدعين حمزة تسادسا ، وسليمان ستالسكى وغيرهم ، وغيرهم .

وعلى ذكر السطولات .. لقد قدم شعبنا الداغستاني مائة ألف إنسان في الحرب العالمية الثانية في ساحات الوغى ، صحيح إن رقمنا متواضع إذا ماقيس بالعشرين مليون إنسان الذين دفعتهم شعوب الاتحاد السوفيتي وقومياته في هذه الحرب ، لكن شعبنا صغير ودم الأبطال غال دائما وأبدا على قلوب الأمهات ، وعلى قلوب الشعوب (الأمهات) أيضا .

ثورة (شامل) :

إذا ذكرت داغستان فإن (شامل) أيضا يذكر معها ، لا لأنه الثائر الوحيد الذي كان فيها ، بل لأنه قاد ثورة الجبال لتحرير كامل داغستان ضد القيصر الروسي ، وقد استمرت الثورة لمدة خمسة وعشرين عاما طوالا اختلط فيها الدم بمياه الأنهار ، وتلاحمت أجساد الرجال بالصخور ، وتعفرت الجبال بالبارود ، ولمعت السيوف في الفيافي والقفار ، وطال الزمان ، وشاب شعر الرؤوس ..

قيل كلام كثير حول الثورة ، بعضهم جعل منها ثورة اسلامية أساسها المريدون الصوفية ، والبعض الأخر جعل منها ثورة وطنية همها كان استقلال داغستان واخراج العزاة الأجانب ، وآخرون قالوا انها ثورة رجعية سيطر عليها دعاة مسلمون متعصبون ، فما هي حقيقة هده الثورة ؟

جاء في دائرة معارف بطرس البستاني ، في المجلد العاشر ، ما يلي :

((شامل : زعيم طائفة من القوقاس ولد في مدينة أول حمرى « غمرا - الآن - » في شمالي داغستان نحو سنة ١٧٩٧ م ، توفي في المدينة المنورة سنة ١٨٧١ م ، مال في صباه الى طريقة قاضي ملا الصوفي ، وحدث في سنة ١٨٢٣ أن عدة قبائل من داغستان انضمت تحت لواء قاضي ملا المذكور ، وجاهدت في سبيل مذهبه ، فتوفي وخلفه أحد مريديه ، فأدركته الوفاة سنة ١٨٣٤ م ، فولت القبائل شاملا ، فأصلح الشؤون ، وشكل حكومة دينية ، وأصلى على الروس حربا عوانا ، فضعضع جيشهم سنة ١٨٤٤م ، وأكمل تشكيل حكومته ، فجمع شتات القبائل ، وسن لهم النظامات والقوانين ، وقرر المكوس والضرائب ، وجعل مدينة دارغو قاعدة لحكومته ، وفيما هو كذلك زحف الامبراطور نقولا بجيشه الى القوقاس ، فجرت بينهما عدة مواقع ، وخرجت عليه - على شامل - سنة ١٨٥٣م عدة قبائل فأضعفت من أمره ، ولما انعقد الصلح في باريس بعد حرب القرم (التي قامت بين روسيا والامبراطورية العثمانية) عاد الروس الى اخضاع القوقاس ، فدافعهم شامل عنها ثلاث سنين متواليات ، ثم أسروه سنة ١٨٥٩م ، فأخذ الى

بطرسبرج ووضع في كلجا ، ثم زايل كلجا الى مدينةكياف سنة ١٨٦٨م وذهب منها الى مكة المكرمة سنة ١٨٧٠ » .

ينقل الشاعر حمزاتوف هذا الحوار بين الأمير الروسي بارياتنسكي - الذي قاد حملة اخضاع الثورة - وشامل في كتابه « بلدي » :

- « عبثا كانت كل جهودك ، كل جهادك !

وأجابه شامل :

- كلا ، لم تكن عبثا ، وستبقى ذكراها في قلب الشعب ، لقد جعل جهادي من أعداء كثيرين أخوة ، ووحد قرى كثيرة كانت تتنازع فيما بينها ، وصب شعوب داغستان الكثيرة التي كانت تتعادى فيما بينها ويردد كل منها « شعبي » « امتي » شعبا داغستانيا واحدا ، لقد غرست الشعور بالوطن ، والشعور بداغستان الواحدة ، وهذا الشعور أخلفه لأحفادي ، فهل هذا شيء قليل ؟ »

لسنا ندري ان كان الكلام السابق هو كلام شامل حقيقة ، لكن يمكن القول بأن الكلام السابق هو كلام حمزاتوف نفسه ، ووجهه نظره في الثورة ، وما تمنى أن تقوله ، وتحققه .

وقد قال لنا عندما التقينا به في ماختشكلا ان ثورة شامل ثورة وطنية ديموقراطية ، ولو جاء الفرس أو الاتراك المسلمون فانهم كانوا سيلاقون نفس المواجهة من شامل وأتباعه » . وعندما طرحنا الأمر على المسؤولين في هيئة الرئاسة العليا . . تصدى للحديث حجي أرابوف رئيس تحرير صحيفة العلم الأحمر وقال :

« الأدبيات الماركسية تثمن ثورة شامل وتعتبرها ثورة شعب مضطهد ضد السلطة القيصرية . وباعتقادي فان الهدف الرئيسي كان تحقيق حرية الشعب الداغستاني وليس اقامة حكومة دينية .

- لكن في تفكير الشيخ شامل وتصرفاته ما كان يفيد بأن منطلقاته اسلامية ؟

باعتقادي أن حلم الحرية والاستقلال هو ما كان يحرك الشعب ، وقد اختلط الوطني بالديني في تفكير الشيخ شامل .





● المصلون يدخلون باب مسجد مدينة باب الابواب

العجوز وسبحتها ولبسها وتمتمات ودعوات





● حتى الفتيات الصغيرات كُن يمارسن عملا مفيدا في قرية كوباتشي

باب الأبواب :

تبعد مدينة دربند أو (باب الأبواب) عن العاصمة مختشكلا حوالي ١٧٠ كيلو مترا من ناحية الجنوب، الطريق اليها تحفه منشآت النفط وبعض المصانع ، تليها حقول الكرمة والقمح والذرة وبعض حقول الخضار والفواكه ، وكما أن هناك قزوين الايرانية ، فان هناك مدينة قزوين داغستانية أيضا ، وهي مدينة على الساحل تماما ، وتقع بين ماختشكلا ودربند حقول النفط المغلقة في البحر ثم تلال تحف بالسهول ، وغابات ، وحقول أزيل حصادها تظهر من بعيد من خلال ثغرات بعض التلال القصيرة . .

تلوح دربند من بعيد ، تغسل ساقيها في البحر ، وتحرسها الجبال . اللغة الثانية في المدينة بعد الروسية هي لغة أذربيجانية ، ودربند ليست بعيدة عن أذربيجان السوفييتية والأيرانية أيضا .

مبانيها قديمة ، وآثارها كثيرة ، ولباس بعض الناس وهيئاتهم لاتختلف كثيرا عن لباس الاذربيجانيين وهيئاتهم ، وقد أفاضت المصادر التاريخية بذكر المدينة ، حتى قبل الميلاد ، واسمها كان كذلك ، ومعلومات هيرودوت تفيد بأن المدينة كانت موجودة منذ٧آلاف سنة قبل الميلاد .

مرت منها واحتلتها شعوب كثيرة ، وقلعتها بنيت كما ذكر المستشرق الدكتور كوديف الكسندر في القرن الخامس بعد الميلاد ، وهي تشبه في تصميمها قلعة حلب كما ذكر الدكتور حجي حمزاتوف شقيق الشاعر رسول حمزاتوف الذي ورد ذكره من قبل . وقد فتحها العرب وجعلوها حصنا ، واختط فيها مسلمة بن عبد الملك كثيرا من المساكن. وتنازع عليها العرب مع دولة الخزر التي كانت قائمة في شمال بلاد القفقاس واستعادها هارون الرشيد العباسي بنفسه سنة ٧٨٩ م وبقي فيها سبعة أشهر .

* ومن التاريخ القديم الى أيامنا الحاضرة . . قال لنا باشابيكوف اديسون رئيس اللجنة التنفيذية للسلطات المحلية في المدينة : انها الثانية بعد ماختشكلا في عدد السكان ، فيها ما يزيد على ٩٠ الف نسمة ، وهي مدينة تجارية وصناعية ، تصنع فيها الكثير من المصنوعات كالزجاج والسجاد ومواد البناء والملابس ، وفيها ٢١ مدرسة ثانوية تستوعب حوالي ١٨ ألف تلميذ ، يدرس فيها حوالي الف مدرس ومدرسة ، وفي المدينة ٥٠٠ طبيب و ١٥٠٠ مساعد وممرضة ، ويعمل في المدينة عمال من حوالي ٤٠ قومية من قوميات الاتحاد السوفيتي (توجد هذه النسبة في معظم مدن الاتحاد السوفيتي) .

يتعايش في المدينة كثير من القوميات الداغستانية من بينهم :

٢٢ ألف أذربيجاني ، ١٨ الف ليزغيني ، ١٤ ألفا من اليهود والتاتيون ، ١٦ ألفا من الروس ، ٩ آلاف من التصاريين و ٤ آلاف من الدارغينيين ، وغيرهم . وفي المدينة ثلاثة مسارح قومية : ليزغيني ، وأذر بيجاني ، ويهودي ، ومسرحان شعبيان ، و ٤ دور سينما ، وكثير من النوادي السينمائية في الأحياء ، وفي المدينة مسجد ، وكنيسة وكنيس .

وتشتهر دربند بالمصنوعات الشعبية ، والصناعة التقليدية منتشرة في البيوت ، وأشهرها صناعة السجاد

مسلم وكفى :

اليوم هو يوم جمعة (١٩٨٦/٨/٨) قلنا لنذهب الى المسجد ونصلي مع المسلمين فيه ، فوجدنا أن المسجد قديم ، بني في القرن الثامن (بناه مسلمة بن عبد الملك في سنة ٧٣٤م) ، وقد تم تجديده عدة مرات فيما بعد ، وعلى بابه الرئيسي كتب « حب الوطن من الايمان » بالعربية ، وأمامه شجرات معمرة عمر احداها ٧٠٠ سنة ، وهي تحت رعاية الحكومة ـ أي أصبحت أثرا تاريخيا ـ . إمام هذا المسجد هو اسماعيل بن عطا ، رجل شاخت به الأيام وتقصف الكثير من أوراق عمره، تكلم في خطبة الجمعة القصيرة جدا بتؤدة عن الخير والشر ، بالعربية أولا ثم بالاذربيجانية . وقد أم المسجد حوالي ٧٠٠ مصل ، معظمهم رجال كبار في السن ، الشباب من بينهم قليلون . وفي المسجد حاجز يفصل مصلى النساء عن الرجال . وصلت قبل دخول المصلين الى المسجد سيارة اسعاف نزلت منها ممرضتان أو ربما طبيبة وممرضة ، قيل انهما تحضران كل اسبوع ، احتياطا لئلا يحصل أي مكروه لأحد المصلين . والمسجد مفروش بالسجاد وتزينه الآيات القرآنية والمصاحف موجودة ، لكن بعضها متآكل من كثرة الاستعمال . بعض

المصلين طلبوا بعض المصاحف لمكهم الخاص . أدى الجميع الصلاة كما هي العادة . قيل لي ان الصلاة في المسجد تجمع المسلمين الشيعة والسنة ، لذلك قلت لمن سألني هل أنت : شافعي ، أم حنفي ؟ أنا مسلم ، وكفى ، واذا ماكنتم شيعة وسنة تصلون مع بعضكم البعض ، فلماذا تسأل عن المذاهب ؟ بعد انتهاء الصلاة وخروجنا الى باحة المسجد ، كانت امرأة كبيرة في السن تحوم حول السيارة التي أتينا بها ، سبحتها طويلة وملابسها لاتفرقها عن أية بدوية في بلادنا وكانت تردد كلاما هامسا ثم تأخذ بلمس السيارة من عدة جهات ، . . ربما كانت تدعو لنا بالسلامة والبركة . . !

كوباتشي

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع أن كوبه معناها الزرد في التركية وجي أوشي قد يكون معناها صانعا ، فيكون معنى المقطعين :

صانع الزرد ، وقد أكد هذا المعنى أهل كوباتشي أنفسهم .

وكوباتشي ، أو كوبه جي هي قرية معلقة في أعالي جبال القفقاس على ارتفاع ١٥٠٠ متر عن سطح البحر في الجنوب الغربي من مدينة ماختشكلا على بعد حوالي ١٦٠ كيلو مترا تقريبا . والطريق طريق جبال ، من يصعده عليه أن يأخذ حذره ، يلتوي هنا ثم هناك ، وترتج بك السيارة ، فالمطب يلحق بالأخر ، والنهر الذي كان يرافقنا الطريق أصبح تحت أنظارنا الآن ، انه نهر أولوتشاي ، وقد حملت القرية التي يخترقها اسمه .

لاتستطيع السيارة أن تتجاوز سرعة معينة ، فالاستدارات واللفات كثيرة ، والارتجاجات تتوالى على اجسادنا ، الا أن منظر غابات الجبال وحقولها وزراعاتها كانت تخفف من بعض معاناتنا ، والاخضرار سابغ ، وأشجار حور وشربين وسرو وأرز وصنوبر ، وأسماء أخرى غير معروفة ، العليق على غدران الماء ، والتوت البري تلمع حمرته كأنه القطوف الدانية ، وأشجار كرمة ، وقطيع بقر ، يتلوه قطيع ماعز ، وعين ماء وسيارات قليلة أخرى ، ورعاة . قليلة هي الصخور التي رأيناها ، وكان معظمها مكسوا بالاعشاب والمزروعات ، والقرى قليلة ومتباعدة ، والغيوم لم تعد بعيدة ، والسماء تطل علينا من بين الغيوم البيضاء زرقاء صافية . وأصوات رخيمة كانت تتوالى في الغناء ، أصوات أنثوية كان ينقل صداها ريح الجبال الخفيف الناعم ، وندقق السطر فلا أحد ، لكن الاصوات كانت تدندن أغانيها . فجأة التمعت المناجل ، وظهرت النسوة ، واغمار قمح كانت تتكون والمناجل تحصد ، وأغاني الحصاد يشتعل حماسها ، وضربة المنجل كانت تعني أن كوما من الحصاد قد أنجز .

قال سليمان مسؤول العاملات اللواتي بلغ عددهن حوالي ٥٠ ، اهن من قرية شيشلي القريبة ، وهن ينتمين الى القومية الدارغونية - وأضاف : من الصعب استعمال الحاصدات الآلية في طبيعة كطبيعتنا ، كما ترى ، فالتلة فوق الأخرى ، والمسافات والمساحات بينها قصيرة وصغيرة ، لذلك فاننا نعتمد على العمل اليدوي في الحصاد .

لقد حان وقت الحصاد ولابد من أياد تحمل المناجل ، والا فالطيور جاهزة لالتهام السنابل .

جاء وقت الانحدار فانحدرنا ، ثم الصعود فصعدنا ، جبال ووهاد ووديان وطرق ممهدة لكنها غير « مسفلتة » وتسأل السائق : ألا يمكن « سفلته » الطريق ؟ فيجيب : لقد حاولوا ذلك عدة مرات الا ان الثلج عندما يذوب فانه يأخذ معه الاسفلت لتبقى الأرض عارية كما هي .

نقوش الناس والزمان

عندنا في القرية مصنع واحد يعمل به حوالي ٦٥٠عاملا وعاملة . هكذا قال لنا السيد أحمد يوسف أحمد مدير المصنع الوحيد في قرية كوباتشي

* وكم عدد سكان القرية ؟

عدد السكان يصل الى حوالى ألفي انسان .

* الى أية قومية ينتمون ؟

- الى القومية الدارغونية ، لكننا عندما نتكلم بلغتنا الكوباتشية فانهم لايفهمون علينا .

* وهل تفهمون لغتهم ؟

- نعم نحن نفهم لغتهم .

حيرني الحال .. فصمت للحظة أسترجع ما سمعت متمعنا في هذه الأحجية .

* قالوا لاتستغرب هذا هو الحال كما سمعت !

تواترت الأسئلة في نفسي : هل هي العزلة وعدم الاختلاط بالآخرين لمدة طويلة ، هي التي ولدت هذه الحالة المتفردة ؟

جاءني الجواب من معلومات الكتب · القفقاس ، وخاصة داغستان مجمع لشعوب وقوميات كثيرة !

* وكيف تتفاهمون مع غيركم ؟

- بالروسية

* وقبل الروسية ؟

كانت العربية ، والفارسية والتركية .

* دائما يوجد وسيط ؟

- لكننا دائما مع مصلحة داغستان الوطن .

صمت واسترجعت معلومات الكتب : لم تعرف داغستان وحدة سياسية الا بعد احتلال الروس لكامل منطقة القفقاس والكيان السياسي لم يتم توحيده حقيقة الا بعد قيام ثورة١٩١٧ .

* أعدت الحديث عن المصنع فقلت : هذا يعني أن كل من هو قادر على العمل فانه يعمل في المصنع ؟

- أجاب المدير : يوجد آخرون يعملون في الخدمات الأخرى بالقرية .

* وما هي مصنوعات المصنع ؟

ان كوباتشي مشهورة منذ القديم بالصناعة بنقشها الخاص وانطلاقا من هذه النقطة فقد تم التركيز على استمرار تقاليد الصناعة الكوباتشية ، وقد تم توجيهها في المصنع لتتخصص في النقش على النحاس ، والخشب ، والتطريز على الملابس ، ان نقشنا معروف في كل أنحاء العالم ، ندخله على السجاد والملابس والصحون ، وغلايات القهوة ، والفناجين والاطباق ، والصواني والجرار والطناجر وغيرها .

* هل تصدرون من ذلك شيئا الى الخارج ؟

- زارتنا قبل أيام قليلة بعثة ايطالية تعاقدنا معها على كثير مما ينتجه المصنع .

* وهل يتم التصدير مباشرة من القرية الى البلد المستورد ؟

- الاتفاقات أصبحت تعقد الآن مباشرة مع المستورد ، لكن التصدير يجب أن يتم عبر موسكو .



● النقش على النحاس في قرية كوباتشي .

* وكيف يتوارث الابناء هذا الفن ؟

- هناك مادة أساسية ضمن مواد الدراسة في كل المراحل الدراسية حتى الثانوية في قريتنا هي مادة الفن الكوباتشي ، وبعد التخرج من الثانوية هناك دراسة متخصصة لهذا الفن فقط ، وقد نال مصنعنا العديد من الجوائز وشهادات التقدير في الكثير من المعارض الدولية ، كما أن صانعنا حجي محمود نال الكثير من الشهادات والجوائز كعامل فني ممتاز . وعندنا روضة أطفال تابعة للمصنع تتسع لحوالي مائة طفل ، ويوجد في القرية مدرسة ثانوية تستوعب ٥٠٠ طالب وطالبة .

ما رأته العيون وسمعته الآذان :

من خلال جولتنا في القرية شاهدنا بيوتا واسعة مؤلفة من طابق واحد أو طابقين ، وأغلبها بطابقين ، احدى الغرف يجب أن تخصص



● حجي محمود والغرفة المتحف في بيته وبيت كل مواطن

كمتحف ، وهذه عادة داغستانية منتشرة في معظم المناطق ، يحتفظ فيها صاحب البيت بالكثير من التحف والصناعات التقليدية التي ورثها والتي جاءت ببعضها زوجته عند زواجها ، فعلى الأب أن يجهز ابنته بالكثير من الملابس والمصنوعات التقليدية عند انتقالها الى بيت زوجها .

*** سألنا السيد أحمد يوسف مدير المصنع . . كم كلفك بناء بيتك ؟**

ـ أجاب : حوالي ٢٥ الف روبل ـ البيت بطابقين من الحجارة والخشب ـ وعلق موسى مسؤول النقابة في المصنع قائلا : « يمكن لأي أمرىء أن يتقدم بطلب بناء بيت ، مع أن الدولة مكلفة بتأمين السكن للعاملين فيها ، لكن القرويين يفضلون أن تكون البيوت ملكية خاصة بهم ، وفعلا فان أغلب البيوت في القرية هي ملك خاص لأصحابها ، وصحيح أن الأرض كل الأرض ملك الدولة ، الا أن كثيرا من البيوت هي لأصحابها ويمكن توريثها للأبناء والأقارب .

*** ان من يصرف ٢٥ ألف روبل على بناء بيت ، فانه يملك أضعاف هذا المبلغ . . هكذا علقت . . .**

سمعت جوابا اشترك فيه عدة أطراف منها مدير المصنع ، ومسؤول النقابة ، ورئيس الادارة في القرية (رئيس الحكومة) والمسؤول الحربي في المصنع وغيرهم :

من يعتقد أننا لا نملك مالا فهو مخطىء ، نعم انا نملك مالا ، لكن مجال استغلاله في مشروعات فرديه تقوم على استغلال جهود الآخرين فهو محظور .

*** الاحظ أنكم في عطلة هذا اليوم (الخميس) ، مع أنني أعرف ، أن العطلة الرسمية في الاتحاد السوفيتي هي يوما السبت والأحد ؟**

ـ لذلك قصة يجدر بك أن تسجلها ، عندنا في القرية سوق اسمه سوق يوم الجمعة ، وهو أحد تقاليدنا القديمة وفيه يحضر الصُناع ما صنعوه وما يريدون بيعه ، وربما أتى البائعون والمشترون من قرى أخرى ، وقد رأى مجلس القرية الابقاء على هذا التقليد ، لذلك فاننا رفعنا مطالبنا الى السلطات ، بجعل يوم الخميس عطلة أي اليوم الذي يسبق يوم السوق ، وأن يستمر العمل يومي السبت والأحد كأيام عمل عادية .

وبدلا من أن تكون ساعات العمل ٨ساعات وهي ساعات العمل الرسمية ، فانها تصبح ٧ساعات لاننا نأخذ يوم اجازة واحدا بدلا من يومين . وقد تمت الموافقة على ما اقترحنا .

*** والصلاة يوم الجمعة ؟**

ـ من يريد أن يصلي فهو حر .

*** والمسجد ؟**

ـ لا يوجد عندنا امام ، وقد تهدم المسجد ولم يتقدم أحد بالصرف عليه واعادة ترميمه .

*** هل أفهم أن المصلين أقلية ؟**

ـ لايتدخل أحد في هذا الأمر ، ولم يتم احصاء في هذا المجال ، ومن يريد الصلاة فانه يصلي في بيته .

*** لكنني لاحظت أنكم لاتشربون المسكر ، وها أنتم تصرحون بأنكم لاتأكلون لحم الخنزير ، كما أن كثيرا من تقاليدكم هي تقاليد اسلامية .**

ـ هي عاداتنا ونحن نحافظ على العادات كثيرا الى

درجة أن كثيرا منا لايدخنون أمام آبائهم أو الكبار في السن .

* **لكنها عادات اسلامية ؟**

- الدين علاقة خاصة بين الانسان وربه وهو أي الدين لايتدخل في تسيير حياتنا .

* **أرى أن المرأة تلبس « نقابا » لايختلف كثيرا عما هو سائد في بعض البلاد الاسلامية ؟**

- هو أحد تقاليد لباس المرأة في قريتنا ، والمرأة في قريتنا قلما تخرج خارج بيتها دون أن تضع النقاب على رأسها (حاول زميلي المصور تصوير امرأة في ساحة بيتها كانت بدون غطاء رأس لكنها طلبت منه التريث ، ثم أحضرت غطاء رأسها) .

* **لكنها لاتغطيه كله ، ان مقدمة الرأس مكشوفة ؟**

- هكذا درجت المرأة على هذا النوع من اللباس منذ القديم .

كنا في بيت العامل الفني الممتاز الحاج محمود محمد الذي كان يطلعنا على بعض أعماله الفنية النادرة ، فاذا بنا نسمع طبلا وزمرا ، قلنا انه العرس ، ان اليوم يوم خميس (عادة موجودة في كثير من البلاد العربية والاسلامية بأن يتم الزواج يوم الخميس) ، فسألنا هل يمكن أن نشاهد هذا العرس ؟

أخذت الاصوات تخفت تدريجيا وأصبحنا نسمعها كأنها صدى .

لقد تحرك الموكب الى بيت العروس

تابعنا الموكب ، نساء ورجال يغنون على توقيعات مزمار وطبول ، كل فرد من بين الجمع كان يحمل هدية ما ، صحون مليئة بالمأكولات ، وصحون مشغولة بشكل فني فارغة ، وأطباق مليئة بالسكر والارز ، وجرار ماء ، وملابس ، وتحف فنية مصنوعة من البورسلان ، أو النحاس ، أو مطلية بالفضة والذهب .

علقت : هي عادة قديمة في قرانا فمن يتذكرها ؟

سرنا مع الموكب . . عدة دقائق ثم كان لابد من مغادرة القرية .

الحان وانغام

بعد حوالي كيلو مترين من القرية . . لم تسر السيارة في طريقها العادي ، بل أخذت تسير على تلة كأن العشب قد زرع فيها وتم تمهيده ، ثم واجهتنا فرقة فنية بأزيائها وأدواتها ، كانت فرقة القرية الفنية ترتدي ملابسها التقليدية ومعها مزمار وطبل ، «وأورغ» صغير وأرجل النساء والرجال توقع على الأرض دقاتها ، وشيخ كبير كان من بينهم وامرأة كبيرة في السن ، مزين ثوبها بعشرات العملات النحاسية والحديدية ، وقليل منها فضي أو ذهبي ، يعود زمان بعضها الى بداية هذا القرن ، أو قبله ، عليها كلمات من لغات متعددة ، وتتوالى الالحان ويتوالى الرقص والدبك ، فهذه الرقصة داغستانية وتلك شيشانية ، وأخرى أوستية ، أو روسية ، وعلى رؤوس الاصابع يقف الشيخ ، وتدور حوله المرأة العجوز ثم يليه شاب تدور حوله صبية شابة ، الالحان شجية واللحظة مشبعة بغنى الالوان والالحان ، نسمة الهواء النقية تتسلل بوداعة وتضفي رونقها على بهجة الحالة .

قال رمضان : مسؤول فرقة الفن في القرية : تم تأسيس الفرقة منذ بداية الستينيات ، وهي تتغير في عناصرها بين فترة وأخرى ، والالحان والكلمات قد نطورها ونغير فيها ، لكن الطابع الشعبي يجب أن يبقى سمة أساسية فيها ، وقد اشتركت الفرقة في كثير من العروض داخل داغستان وخارجها ، وأحيانا خارج الاتحاد السوفيتي ، ونلنا جوائز وشهادات تقديرية كثيرة .

صوت الالحان وتوقيعات الأرجل ، والغناء الشجي ، يطغى على ماعداه . . أوقفنا هدير أصواتنا . . وبقينا مع تجليات اندماج الكلمات باللحن وبحركات الجسد ، وكان لابد من أن ينال الاجهاد الافراد ، وكان لابد من وداع .

العلاقات مع العرب :

أشرنا الى أن العرب فتحوا قسما من داغستان في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، واستمر وجودهم بين مد وجزر ، فما هي التأثيرات التي تركوها في هذه البلاد ؟

يقول وليم الربركي الذي زار الاقليم في نوفمبر - تشرين الثاني من عام ١٢٥٤ م حسب ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع مايلي :

« اللان النصارى يسكنون الجبال ، ويسكن بين الجبال والبحر الاعراب ، أي الليزك المسلمون ، والليزك اسم كان يطلق على كامل بلاد داغستان من

قبل ».

وتجدر الاشارة الى أن معظم أقاليم داغستان قد انتشر الاسلام فيها بعد ذلك التاريخ من خلال تأثيرات العرب والفرس والاتراك ، ثم التتار ، قبل أن يسيطر الروس على البلاد اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر . أما بالنسبة لانتشار اللغة العربية فانه من المرجح أن الأمر سار مع انتشار الدين الاسلامي ، وان كان الأمر قد سار ببطء لا يتساوى بطبيعة الحال مع سرعة انتشار الدين .

يقول المستشرق بارتولد في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد التاسع : « ان معرفة العربية شائعة في هذه الربوع « الداغستانية » أكثر منها في أي بلد اسلامي آخر ليست العربية لغته الاصلية ، ودلك بفضل ما يبديه أبناء الطريقة النقشبندية - طريقة صوفية زاد انتشارها في داغستان في منتصف القرن التاسع عشر - من نشاط ، كما أن عددا من العلماء الذين درسوا في الكعبة شتاء عام ١٨٨٤-١٨٨٥ م ، ودكرهم سنوك هرجرونية قد ولدوا في داغستان »

أما المؤرخ الروسي الشهير كراتشكوفسكي فقد نشر مقالا ضمن مقالات اللغة العربية في شمال القوقاز سنة ١٩٣٦ ، وترجمه د . قائد محمد طربوش ، ونشره في مجلة الحكمة اليمانية العدد١١١- ابريل - مايو١٩٨٤م جاء فيه :-

« تعزز الاهتمام بظاهرة العلاقات اللغوية والأدبية بداغستان في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بالاستخدام الحي لوجود وتعايش عدد كبير من اللغات المحلية المختلفة ، التي لم تملك حروفا كتابية ، ولم تنل معالجة أدبية ، وكانت اللغة المكتوبة الاساسية المتبعة والوحيدة على ما يبدو هي اللغة العربية بشكلها الأدبي الكلاسيكي في الغالب ، وقد أخذ بها كل تعداد اداري عملي ، ودعمتها التقاليد المدرسية ، ومنها نشأت الكتابة المحلية بشكلها النثري والشعري»

وقد ذكر الاساتذة العلماء في معهد التاريخ واللغة والأدب في ماختشكلا . . مايلي :

لقد تم تحقيق كثير من الكتب العربية في داغستان بواسطة علماء داغستانيين ، منها على سبيل المثال .

كتاب للادريسي تم تحقيقه في القرن السادس عشر الميلادي ، ووجدنا قرآنا كريما يعود تاريخ طباعته الى القرن الثاني عشر ، وتم تحقيق كتاب « برهان الحقائق » - وهو كتاب صوفي - في القرن الرابع عشر ، وكتاب المراد الذي تم تحقيقه في القرن الخامس عشر وغير ذلك كثير .

*** وسألت : ما هي حقيقة القول بأن هناك أقلية عربية مازالت تعيش بين قبائل اللزكي ؟**

- الليزك هو شعب داغستاني ، وعاش معه كثير من العرب وتعايشوا معه ، وكان هؤلاء يتكلمون العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد ذلك آل حالهم الى مآل أهل البلاد .

هذا ولابد ان نشير هنا الى أن علماء عربا كثيرين وخاصة من رجال الدين كانوا يأتون الى داغستان ويعيشون بين شعوبها يعلمون الناس ما لديهم من العلوم ، وقد نشر بعضهم بعض الطرق الصوفية ، كما أن علماء من داغستان كانوا يشدون رحالهم الى البلاد الاسلامية والعربية على الأخص لتلقي العلم ، وها هي بعض القرى تحمل أسماء عربية كقرية عريب على سبيل المثال في غرب داغستان .

وبعد : . . . قلنا ان هذه البلاد نعرفها ، وتعرفنا منذ مئات السنين ، المصادر التاريخية قالت ذلك ، وديننا ، ولغتنا ، وكثير من عاداتنا ، وتقاليدنا التي انتشرت هناك تقول ذلك ، وكثير من الآثار الموجودة في متحف مدينة ماختشكلا ومتحف مصنع قرية كوباتشي وكثير من الآثار التي ما زالت قائمة في مدينة دربند ، وشواهد القبور تقول دلك ، وأشعار حمزة تسادسا والد الشاعر رسول حمزاتوف الذي كتب بعض أشعاره بالعربية تقول ذلك أيضا ، نعم هده البلاد تعرفنا ونعرفها تماما ، وكثير من أبنائها أصبحوا مواطنين في بلادنا وكثير منا أصبحوا مواطنين فيها لكن ربما بألسنة أخرى ؟ وحتى لا نبقى مع ذكريات الماضي فقط ، ومع آثاره الدارسة ، فان الحاضر يمكن أن يكون لنا فيه حضور ، قال لنا موسى مسئول النقابة في مصنع كوباتشي ، عندما سألناه عن انطباعاته عنا نحن العرب : قد لا أجيد الحديث عن الماضي ، لكني أعرف انه يجمعنا واياكم الكثير من الاهداف المشتركة في الحاضر والمستقبل أيضا ، ونحن مع أهدافكم المشروعة ، ومع أمانيكم ، لاستعادة حقوقكم وتحقيق وحدتكم ، وتوفير كل سبل التقدم لشعبكم . على هذه الارضية نتعاون ، وفي سبيل السلام وتقدم البشرية نضع أيدينا بأيديكم □



تتغذى كائنات السباخ على نفايات المطبخ وفضلات موائدنا وأوراق الأشجار . . بلايين من الكائنات والحشرات الميكروبية المجهرية تتراكم على الوليمة . . كوم من السباخ ، يخصب التربة الزراعية .

عالم السماد الوحشى

اعداد : حسنى محمد بدوى

« برغم الانتشار الكبير للمواد الكيميائية ، الا أن الأسمدة العضوية ما زالت مادة مستخدمة كما كان الأمر منذ ملايين السنين ، وبين وجود المواد الطبيعية فى حالتها الأولى ، وحتى تحولها الى مادة كيميائية ، تحدث ملايين العمليات الدقيقة ، وهذا المقال يحكى عن هذه العمليات الطويلة المعقدة » .

حين نمشى فوق أكوام من النفايات أو على أرض زراعية مفروشة بالسماد ، هل يخطر ببالنا أن تحت أقدامنا يكمن عالم زاخر بالكائنات ، عالم يموج بمخلوقات دقيقة ، تتفاعل تفاعلات كيميائية عجيبة ، تنجم عنها تحولات باهرة ، اذ سرعان ما تخصب الأرض فتنبت نباتاتها الخضراء الغضة وتثمر ثمارها اليانعة المتنوعة ، وتتفتح الأزهار ذات الألوان البهية البديعة ، فتتحول روائح النفايات العفنة الكريهة الى طيب يفوح بعطر الياسمين والفل والسوسن والريحان ، وهاهى البساتين والحقول الشاسعة ، زاخرة بأنواع شتى من الورود والفاكهة والخضر ، وبمحاصيل القمح والذرة والقطن الخ . . فكيف أينعت الأرض ونضرت وأزهرت بعد ان كانت أكواما من بقايا وفضلات موائدنا ، وركاما من نفايات

وقاذورات الصرف والمراحيض ؟

والتربة الزراعية كما تحتاج الى الماء والهواء والشمس ، لا تستغنى عن التسميد « والتسبيخ » ونعرف ان السباخ يتركب من عدة أشياء ، لكن العلماء اكتشفوا أن هذه (الأشياء) انما تمثل عالما صغيرا عجيبا يموج بكائنات كثيرة ، تقوم بدورها الفعال فى « تكوين » طبيعة الخصوبة وخصائصها التى تكتسبها التربة ، فتعطى عطاءها الجيد الوفير من الثمار والأزهار والخضر والمحاصيل . .

ومقالنا اليوم هو دعوة لنا من العلماء للهبوط معا الى باطن أكوام السباخ ، حيث النفايات والفضلات ، حيث نتعرف على عالم صغير يحوى كل غريب وعجيب . . وسنعرف طريقة « تكوين » أو صنع السماد من أجل تخصيب التربة ، وهذا هدف زراعى اقتصادى جوهرى ، واذا كان العلماء فى عصرنا الحديث ، يصحبوننا فى جولاتهم واستكشافاتهم العلمية الى أرجاء الأرض وأطرافها . . من السفوح الى قمم الجبال ، ومن الغوص فى أعماق البحار الى الانطلاق بالصواريخ صوب كواكب الفضاء ، فلا بأس أن نسبر اليوم معا أغوار ذلك العالم الصغير الغامض ، عالم السباخ ! فلنتحمل معا مشقة هذه الجولة التى نخوض خلالها بيئة من مواد عفنة عطنة ، ذات روائح كريهة ، لكننا سرعان ما ننسى ذلك كله ، ونتغاضى عنه ، وسط غرائب هذا العالم السفلى العجيب !

كائنات مجهرية وطبائخ كيميائية

لنبدأ جولتنا بدعوتك الى غمس يدك ثم ذراعك - حتى مرفقك - فى كوم من السباخ ، أنت بذلك تكون قد مسست حلقة جوهرية من حلقات الحياة ودورتها ، فان تحتك يكمن كون مصغر ، مسكون بكائنات كثيرة لا تحصى . . صغيرة . . صغيرة جدا ، ومع ذلك ، فهى أكثر شراسة ووحشية من الأسود والنمور والضباع .

انه عالم مظلم رطب مشحون بكائنات ذات حركة ناعمة ، تتخالط وتتفاعل فى هدوء وسكون ، وستشعر من خلال يدك وذراعك ان هذا العالم يتميز بارتفاع درجة حرارته ، وكائناته غزيرة ، تقوم « بطبائخ ميكروبية » تسمى



دودة خيطية تشابك جسمها بنسيج الفطريات

« البكتيريا الهوائية » (أى تلك التى تنمو فى الهواء وتستهلك الأوكسجين) ترتفع حرارتها الى درجة ٥٥ مئوية أو أعلى ، خلال الأيام الأولى من وضع الفضلات العضوية ، فى سلال أو أحواض السباخ التى نعدها لتخصيب مساحة من التربة الزراعية ، وهذه الفضلات تتخالط « فتطبخ طبائخها » فى صمت بباطن التربة المظلمة ، وتأخذ دورها فى التحول الكيميائى . . تتعطن وتتعفن بسهولة ، فهى مواد تحوى بقايا موائدنا وثفل (رواسب) القهوة ، ورماد الحرائق ، وأوراق الأشجار المتساقطة ، وجزازات الأعشاب . . ويمكن أن نرى فطريات السباخ بعيوننا المجردة ، بعد عشرة أيام من القاء الفضلات العضوية فى سلال السباخ ، وهى تستمد غذاءها من المواد المتحللة ، ولأنها لا تستطيع تحمل درجات الحرارة المرتفعة التى تنبعث من النباتات والكائنات المجهرية المنحشرة

فى باطن أكوام الفضلات ، فهى تعيش بالقرب من سطح السباخ ، فى نطاق لا يتجاوز سمكه خمس بوصات ، كما أن المواد المتأثرة بالاشعاع (النباتات) هى التى تظهر أخيرا على هذا السطح ، وهذه البكتريا السطحية تختلف من حيث تحمل الحرارة المرتفعة ، عن الكائنات الأخرى التى توجد وسط كوم السباخ ، فالفطريات لا تستطيع تحمل درجات الحرارة المرتفعة ، ماعدا تلك الطبقة التى تأخذ شكل الهَبْوة أو الغُبَيْرة ، وتستكن فى نطاق الدفء الوسيط (فى دفء المحلقة) ، والفطريات والمواد المتأثرة بالاشعاع ، تتراكم فوق مواد السباخ المتحللة ، وتعطيها مظهرا أشبه بحلوى غزل البنات ، وهى تساعد على مزيد من التعفن والتحلل بشكل حيوى ، ونحن نرى أثرها الكيميائى فى نخر سيقان الأشجار ولحائها .

وفى أكوام السباخ ، ترعى الديدان الخيطية الدقيقة ، والديدان الاسطوانية الشفافة ، وهى منتشرة بكثافة طاغية ، ان حفنة واحدة من السباخ المتحلل ، فى يدك ، تحوى ملايين عديدة منها ، ومنظرها العام ـ تحت المجهر ـ أشبه بخصلات صغيرة من الشعر الناعم فى رأس الانسان ، ان مستعمرة الديدان الخيطية داخل تفاحة واحدة عطنة ، يعد تعدادها ، بـ ٩٠,٠٠٠ دودة تقريبا ، وهى تتغذى على البكتيريا والفطريات ، وهناك كائنات بباطن التربة ، تتغذى على خلايا جذور النبات ، اذ تخترمها وتمتص عصائرها .

اعداد السماد

والطريقة المجربة علميا لاعداد السماد ، هى أن نضع فضلات فى حفرة ونغطيها بتراب الأرض ، وبعد مضى فترة (تمتد من ستة شهور الى عام)، ننبش هذه الحفرة ونستخرج محتواها ونثره على حقولنا ، وهى طريقة بطيئة (بسبب نقص الأوكسجين) ، ولكنها طريقة مفضلة عند خبراء الزراعة ، اذ يرى الباحث « سيسيل جونسون » لاعداد صوامع السماد أوسلاله ، ضرورة أن تترك فاصلا بين سلة وأخرى ، بمسافة تتراوح بين ست وثمانية أقدام ، ولا يزيد عمقها عن ثلاث أو أربع أقدام ، لأن الفضلات لا تتدامج بسهولة ، ولا بد أن تعرض سطوحها للأوكسجين ، (فى الهواء الطلق) حتى يصل الى البكتريا ذات الحرارة المرتفعة والكائنات الأخرى .

ولا تكف كائنات السباخ عن التغذى ، وحفر سراديب صغيرة طوال ساعات النهار ، حتى تصل الى القمة خلال الليل لتتزاوج ، وهى تجعل التربة والسباخ أشبه بالاسفنج المهوى (المتجدد الهواء) ، وتمكن ثقوبها على السطح الماء والموادَ المغذيةَ والاكسيجينَ من الترشيح ، كما تتساقط ركائز صغيرة من مواد الثفل أوالبراز الغنية بالنتروجين .

العالم الخفى ، حيوية ونشاط

ان البكتيريا والمواد المتأثرة بالاشعاع والديدان الخيطية والديدان الحمراء ، ليست وحدها العوامل الأساسية التى يتكون منها غذاء التربة (السباخ) ، فهناك « مستودع » خصب لأنواع أخرى من الكائنات ، كتلك الديدان الصغيرة ذات السيقان المفصلية ، تتميز بطباع عجيبة ، وتلتزم بنظام غريب ، كماتوجد فى السباخ « العقارب الكاذبة » فى حجم دبوس بالغ الصغر ، لا تكاد ترى الا بمعرفة الباحثين المتخصصين فى دراسة الكائنات اللافقارية ، وهى منتشرة فى أغلب بقاع العالم ، وقام العلماء بوصف وشرح ٥٠,٠٠٠ نوع منها ، وبوقوفك على احدى هجماتها أو غاراتها ، تستطيع أن ترى كيف تجفل وترفع مخالبها فى تحد ، وهى مؤذية ماكرة ، تختفى فى طوايا أوراق الشجر ، تنقض على فريستها بمخالبها الأمامية الشبيهة بالمناجل ، ثم لا تلبث ان تحقنها بسم غددها التى توجد فى أطراف مخالبها ، وهى تفترس الديدان الخيطية وحشرة العثة واليرقات أو سروة الجراد ، وتبيض من اثنتين الى ثلاثين بيضة ، وتبلغ نضجها خلال عام ، لكنها لا تعمر أكثر من عامين .

وقد أحصى البروفيسور « كينيث أكريستياترن » (استاذ علم الحشرات بكلية

« جرينيل ») عددا كبيرا من هذه العقارب الكاذبة ، حوالى مائة مليون ، وذلك من متر مربع واحد من تربة أحد حقول « ايوا » ، ويقول العالم « هوارد اينساين ايفاتر » (استاذ علم الحشرات بجامعة « كلورادو » ، والأمين السابق لمتحف « علم الحيوان المقارن » فى جامعة « هارفارد) يقول « ان هذا النوع من الحشرات يثرى التركيب الكيميائى للسماد بدرجة لم تكن متوقعة ! والعقارب الكاذبة تمرح هنا وهناك بين ذرات التربة والمواد المتحللة ، ولا تكف عن التواثب والتقافز ، انها تمتاز بكيان صغير أشبه بالزنبرك .

وقد لاحظ العلماء أن الذكر عند بعض أنواعها يغازل الأنثى بالملاطفة والمداعبة وقت التزاوج .

كما يوجد نوع من العثة فى باطن السباخ ، يتغذى على أوراق الشجر والخشب العطن والأزهار الذابلة ، وبعضها يأكل اللحوم والديدان الخيطية ، وبيض ويرقات الحشرات . ان ثلاثين نوعا من العثة قد تم تصنيفها بواسطة العلماء ، ومع ذلك فان ماتم للباحثين المتخصصين احصاؤه منها لا يمثل الا عشر العدد الكلى لأنواعها ، وعثة السباخ أصغر من حبة الرمل وهى كروية الشكل ، ذات شعر خشن ينمو فوق ظهرها ، لها أربع أرجل على كل جانب من جانبيها ، كما توجد فى عالم السماد حشرة البق التي لها جهاز تنفسي رقيق ، يشبه الخياشيم ، يقيها من الرطوبة ، وتتغذى على المواد المتحللة .

وأنت ترى أعضاء أجسام هذه الكائنات ، تلتف وتنطوى باحكام بغرض حماية نفسها . . . وهناك كائنات أخرى شائعة فى أكوام السماد ، مثل الحشرة المسماة « دَخالة الأذن » ويمكن أن نراها بالعين المجردة بسهولة ، وهى لا تظهر الا فى الليل (ليلية ، مثل البومة فى الغابات) ، وتقضى ساعات النهار فى باطن السباخ حيث الرطوبة والظلمة . . وبعض أنواعها مفترس ، غذاؤ ها الرئيسى الخضر المتعفنة ، والأنثى ترعى صغارها لمدة أربعة أسابيع ، تحتضنها تماما كما تحتضن الدجاجة فراخها ، وهى تأخذها فى حضنها وتهرب بها عند أقل بادرة للخطر ، ولها مخالب تشبه الكماشات ، توجد على طرف ذيلها . . تقرص بها من يلمسها قرصات مؤلمة !

أما حشرة « أم أربعة وأربعين » التى توجد أيضا ضمن مواد السماد ، فهى صغيرة ، لكنها قوية مفترسة ، تتحرك غالبا على سمك بضع بوصات من سطح كوم السماد ، تتميز مخالبها الرهيبة بغدد سامة تشل بها حركة فريستها من الديدان الحمراء . . ويتكون جسمها من فلقات أو فصوص كثيرة ، توجد ساقان على كل فص ، ومثل أغلب الكائنات التى تعيش فى السماد ، تفرز حشرة « أم اربعة واربعين » مواد نيتروجينية .

وبمشاهدتنا لدودة النبات الخضراء (الدودة الألفية الأرجل) داخل عالم السماد ، نستطيع أن نراها بوضوح وهى تزحف ببطء وبنعومة ، فوق رغام المواد العضوية المتحللة ، ولو وقع بصرك على مجموعة منها وهى تتحرك حركاتها المتناسقة ، فكأنك تشاهد فرقة « الموسيقا السيمفونى » فى أدائها « الهارمونى » قد يأخذك العجب عندما ترى هذه الحشرة وهى تزحف « بألف رجل » فى اتساق عجيب ، دون أن تتشابك أو تتعقد أرجلها الكثيرة هذه ، ومع أنها تتمتع بأرجل أكثر من أرجل حشرة أم أربعة وأربعين ، الا أنها أشد بطئا منها ، وتتغذى على نسيج أوراق الشجر الجافة ، كما أننا لا ننسى أن بعض الطيور تغذى أكوام السماد بافرازاتها المخصبة ، وفى الظلام تمرح جرذان الحقل فوق السباخ لتتغذى على نفايات وليمة المساء .

ومثل حركة المد والجزر فى البحر فان « التركيبات العضوية » للسماء تعلو وتنخفض فى نظام غريب ، فى تفاعل كيميائى غير ملحوظ ، ان هذا العالم الصغير المحدود . . عالم السماد المكتظ بكائناته الغريبة ، يقوم باعادة تكويناته فى صمت تام ، منطويا على مايشيد من أكوام ، هى غذاء جيد نافع لحقولنا وبساتيننا .

ومن النفايات العطنة والفضلات العفنة ، تنمو الأعواد الخضرة النضرة ، والمحاصيل الزراعية ، والثمار الشهية ، والأزهار الجميلة . □



صدر العدد الحادي عشر من
مجلة
العربي الصغير
للفتيات والفتيان العرب
صفحة ٦٤ بالألوان
مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار
في الأسواق أول كل شهر
احجز نسختك من الآن لأبنائك
لا تدفع أكثر من ٢٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها للنسخة الواحدة
جائزة قيمة تنتظر طفلك شهريًا في مسابقة العربي الصغير

وجهاً لوجه





د. غالي شكري و محمود الريماوي

■ عند نقطة زمنية معينة تصبح الغربة ضد الإبداع !

■ حين تطول غربة المثقف يتحول الى خبير في شؤون بلاده .

■ فوضى ترجمة المصطلحات تسبب عجز بعض تيارات نقدنا المعاصر .

■ ازدهرت البنيوية عندنا بينما يحتضر كيانها المنهجي في الغرب .

■ كما أن هناك أساتذة في تـزييف النقود واللوحـات ، هناك أسـاتذة في تـزييف الحداثة .

■ تفاوت مستوى مؤلفاتي يعود للفرق بين مؤلفات حول موضوع معين وبين جمع المختارات من كتاباتي الصحفية في كتب .

■ اعتاد نقادنا « المحترمون » ألا يتناولوا كتّاباً متوسطي الموهبة .

في « وجهاً لوجه » ، هذه المرة تلتقي « العربي » ناقداً ينتمي إلى جيل عرف يوماً بأنه جيل الستينيات ، وهو العقد الذي يشار إليه في تاريخنا الأدبي المعاصر بأنه عقد ازدهار الفن والأدب والثقافة بمختلف فروعها .

لقد تغير الكثير منذ بدأ غالي شكري الكتابة ناشئاً في الخمسينيات ، ثم ناقداً لامعاً في الستينيات ، فمثقفاً يجمع بين العمل الثقافي العام ، والعمل الأكاديمي في جامعات أوروبا ، وعلى مدى مراحله تلك ، وعلى مدى التغيرات التي شهدتها ساحة النقد الأدبي ، يجري اللقاء مع د. غالي شكري ، القاص والصحفي الفلسطيني المعروف محمود الريماوي الذي برز اسمه ككاتب قصة قصيرة متميزة في الستينيات وما زال يواصل عطاءه في حقلي الأدب والصحافة .

دعنا نبدأ من النهاية ، أعني من اللحظة الحاضرة ، لقد عشت عشرة أعوام حتى الآن في فرنسا . والملاحظ أن اللجوء الاختياري أو الاضطراري إلى أوروبا شكل ما يشبه الظاهرة ، منذ مطلع السبعينيات حتى أيامنا هذه ، فقد نزح عدد كبير من الكتاب والمفكرين المصريين إلى أوروبا ، ولم يقتصر الأمر على المثقفين من مصر بل إن الأمر شمل مثقفين عرباً من سائر الأقطار ، إذا استثنينا هجرة المثقفين العرب المنتمين إلى شمال أفريقيا وإقامتهم بحكم الصلات الثقافية واللغوية التي ما زالت قائمة بين أقطارهم وبين فرنسا .

والسؤال هو : هل هذه الهجرة هي أحد أشكال التحرك الذي يتوخى منه تحسين شروط الأداء الثقافي ولو من الخارج ؟ . أم أنها مجرد تعبير عن المأزق الذي واجهه المثقف والمفكر في مجتمعه ؟ . أم كانت هروباً وتراجعاً منظماً ؟

د. غالي شكري : هناك ظاهرة عامة وهناك ظواهر فردية ، ويجب التمييز داخل الظاهرة العامة بين العلاقات الفردية . إنني مثلاً أرفض تسمية التجمع الثقافي العربي في الغرب بأنه هجرة . إنني وغيري لم نهاجر وإنما نفينا ، وفرق كبير بين المهجر والمنفى ، فالمهجر هو مكان يختاره الانسان بوعيه بقصد الاقامة الدائمة فيه ، أما المنفى فهو المكان الذي يضطر إنسان ما إلى اللجوء إليه بصفة مؤقتة . ليس من شك أن هناك شريحة كبرى من المثقفين العرب كأساتذة الجامعة وكالصحفيين ، قد هاجروا سواء إلى بلاد النفط العربية ، أو إلى أوروبا والولايات المتحدة وهذه فئة دفعتها ظروف عديدة إلى اختيار الرحيل من الوطن الأصلي ، واختيار المهجر كمكان للاقامة سواء لأسباب اقتصادية ، أو لأسباب (اثنولوجية) تخص بعض الطوائف والأقليات التي لم تشعر بالأمان الاجتماعي ، ويئست من أقطارها الأصلية . لكن الشريحة الأخرى التي اضطرت اضطراراً إلى مغادرة أوطانها ـ من المثقفين العرب ـ هي فئة السياسيين والكتاب ذوي الموقف الذي يتناقض تناقضاً أساسياً مع الأنظمة السائدة في بلدانها ، وأظن أني أنتمي إلى الفئة الأخيرة مع ملاحظة أن هناك دائماً فروقاً دقيقة بين الحالات الفردية المختلفة التي تجمعت على نحو من الأنحاء في حفز بعضها على الرحيل .

في البداية توقفت قليلاً في لبنان لاستطلاع الموقف العربي العام عن كثب ، وقد تفضل بعض الزملاء اللبنانيين مشكورين بإتاحة فرصة التعبير لي أثناء وجودي هناك . وتداعت الحوادث فبقيت في لبنان عدة أشهر ، قدم خلالها زملاء آخرون من مصر ، وفجأة وقعت حرب أكتوبر ومضاعفاتها المعروفة ، مما

جعلني أقرر البقاء في هذه البوتقة العربية ـ لبنان ـ للتفاعل مع الأحداث والتعبير عنها بعيداً عن أية ضغوط ، أعني إن تجربتي اللبنانية لم تكن من باب الهجرة والاغتراب وإنما من باب المواطنة القومية الصحيحة . كانت هناك الحركة الوطنية اللبنانية ذات البعد القومي العربي الحاسم ، وكانت هناك منظمة التحرير الفلسطينية بوجهها العربي الناصع ، وكان هناك اللاجئون السياسيون العرب ، وكذلك الذين جاءوا اضطراراً أو اختياراً ، وكان هناك النشاط الثقافي الذي لا مثيل له في أية عاصمة عربية أخرى ليس على صعيد النشر فقط ، وإنما على صعيد الانتاج والإبداع والحوار الخلاق الذي حرص عليه اللبنانيون ، وحرصوا على أن يكون باستمرار نشاطاً عربياً وليس نشاطاً محلياً فقط في هذه البيئة عشت حياتي الشخصية والفكرية كما لم أعشها من قبل ، وكما لم أعشها بعد رحيلي من لبنان . وانتهت تجربتي في لبنان عام ١٩٧٦ عندما أصبح مستحيلاً استمرار المناخ اللبناني كما كان .

وكانت فرنسا هي البديل ، لكنها كانت (المنفى)

فرق شاسع بين رحلتي الفرنسية وتجربتي اللبنانية ، في لبنان كنت في وطني ، أما في فرنسا فكنت ضيفاً ، ومع ذلك فإني أريد أن أقول إن السنوات العشر التي أمضيتها في باريس تخللتها رحلاتي المستمرة إلى مختلف أجزاء الوطن العربي ، وأظن أن المرحلة كلها ـ سواء في شقها الفرنسي أو اللبناني ـ هي مرحلة خصبة بكل المعايير مع ما فيها من أحزان ، وبكل ما فيها من انحسارات ، لقد تعمق انتمائي العربي وترسخ في هذه الرحلة الطويلة ، وتعلمت من المناهج الجديدة في الغرب كيف أتفاعل معها ، وماذا آخذ وماذا أرفض

« غربة ضد الإبـــداع »

* يبدو من حديثك حتى الآن أن هذه التجربة التي سميناها ظاهرة ـ في بداية هذا اللقاء ـ كانت مسألة طبيعية ، أو نتيجة شبه حتمية لطبيعة الظروف العامة في الأقطار العربية .

هل هذا الاستخلاص صحيح ؟

* د. غالي شكري : ستلاحظ في ضوء هذه التجربة أنني وغيري لم نكن بمعزل عن سياق تاريخي بدأ في القرن التاسع عشر . لن ننسى الرحلات العديدة لرواد النهضة العربية الحديثة ، من أمثال رفاعة الطهطاوي ، وخير الدين التونسي ، ولن ننسى أيضاً الرحلات الأخرى التي قام بها أمثال أحمد فارس الشدياق ، وكذلك التجربة الهامة لجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده والعروة الوثقى . . صف طويل من السوريين واللبنانيين والمصريين وغيرهم ارتادوا طريق الهجرة كجبران خليل جبران ، وإيليا أبو ماضي ، وبقية شعراء المهجر وكتابه ، وصحافتهم المعروفة ، وهناك من تعلم وعاد كالطهطاوي ، وطه حسين ، والحكيم ، ومحمد مندور ، ولكن الفرق دائما بين الكاتب والخبير أن الكاتب له دور داخل وطنه ولا يمكن أن يحقق ذاته من خلال هذا الدور إلا في وطنه ، ومن ثم فإن الهدف المستمر أمام أي كاتب في المنفى أن يجعل من رحلة الغربة فرصة استثنائية للتعلم ، وأن يجعلها قصيرة إلى أقل زمن ممكن ، وإلا فسيتحول الوطن إلى ارشيف ، ويصبح الكاتب خبيراً في شؤون بلاده لدى الوطن الجديد وليس كاتباً

* إلى أي حد تعتقد أن وجودكم في فرنسا ساهم بالتعريف بالأدب العربي المعاصر ، وفك العزلة « العالمية » حول هذا الأدب ؟

* د. غالي شكري : إنني وغيري ممن أتيحت لهم فرص الاحتكاك بالمؤسسات الغربية كالجامعات أو دور النشر قد يسرنا ومهدنا بقدر ما نستطيع بعض الطرق للأدب العربي ، فمثلاً كنت شخصياً أعمل في إحدى الجامعات ، وكان أحمد. ع. حجازي ، ومحمود. أ. العالم ، يعملان في جامعة أخرى ، وكانت الثقافة العربية هي المادة الرئيسية التي نقوم بتدريسها لطلاب هذه الجامعات من الفرنسيين والعرب ، وقد كان لذلك أثره في تعريف دوائر الثقافة الفرنسية بثقافتنا عن طريق مباشر لا بواسطة المستشرقين ، لقد كان شيئاً جديدا ، مثلاً شاعر عربي كحجازي يقوم ـ بنفسه ـ بتدريس مادة الشعر العربي ، بينما كان محمود. أ. العالم كمفكر وناقد للأدب يقوم ـ بنفسه ـ بتدريس الفكر والأدب العربيين ، ولذلك أصبح من الممكن أن يدعى بعض

الأدباء العرب كأدونيس ، وعبد السلام العجيلي ، ومحمود درويش ، والبياتي ، ويوسف إدريس ، وآخرون إلى قاعات المحاضرات الكبرى في السوربون ، فيدخلون في حوارات مع المثقفين الفرنسيين ، كما أصبح من الممكن أن تترجم أعمالهم ، وأعمال غيرهم إلى الفرنسية في أكبر دور النشر ، بل إن بعض النصوص العربية الحديثة تدرس الآن في مرحلة ما بعد الدكتوراة .

وأود أن أنبه في هذا المجال إلى نقطة مهمة ، فمن أهم إيجابيات المنفى الأوروبي ذلك التعارف والتفاعل بين أدباء المشرق وأدباء المغرب العربيين

المناهج الغربية والعرب

* . . ولكن كيف تفسر استمرار حضور ونفوذ المناهج الفكرية الغربية الحديثة في بيئتها الأصلية ؟ وما موقع الألسنية والبنيوية بالذات ؟

* د. غالي شكري :

كان أول ما استرعى انتباهي أننا وصلنا إلى فرنسا (١٩٧٦) في وقت كانت المناهج الحديثة فيه في مرحلة الاحتضار ، وأقصد في مجال النقد الأدبي كالبنيوية ، وكنت مندهشاً من ازدهار هذه المناهج الآفلة في الكتابات العربية ، ويبدو لي أن الترجمات التي قام بها المغاربة أساساً وبعض اللبنانيين والمصريين هي التي روجت لهذه المناهج ترويجاً ينقصه الفهم والادراك والاستيعاب والتمثل ، سواء كان ذلك تمثيلاً للسياق التاريخي الثقافي في الغرب ، أو في الوطن العربي ، ونادراً ما كنت أجد نصاً نقدياً سوياً مترجماً ترجمة صحيحة ، ونادراً جداً ما كنت أقرأ نصاً نقدياً عربياً ، وقد فهم كاتبه البنيوية فهماً صحيحاً ، إن فوضى ترجمة المصطلحات وتوحي نقد آدابنا المحلية هما اللذان تسببا في فشل بعض تيارات نقدنا المعاصر وعجزها . إن الكثيرين من النقاد والمنظرين العرب لا يعرفون مثلاً أن (غريمس) قد تراجع عن كثير من عناصر منهجه البنيوي ، وهناك من توقف تماماً عن تطبيق هذه النظرية في النقد ، ومع ذلك تجد أحدهم وقد جمع مصطلحات شتى من مظانها وكأنها ضمن سياق واحد ، وهي في الحقيقة تنتمي إلى تيارات مختلفة ، ومدارس مختلفة ، وعصور مختلفة ، قد تجاوزها البنيويون منذ سنين طويلة .

كيف تفسر كون أكثر التيارات مثاراً للاهتمام هي تلك التي تأخذ بالبنيوية التي وصفتها أنت بأنها تحتضر في منبتها الأصلي ؟ . وهل هذا وحده يكفي لعدم الأخذ بها وخاصة أن المسألة تتعلق بمعصلة أعم ، وهي ما يسمونه المسافة الحضارية بيننا وبين الغرب ؟، إن كثيراً من الأدوات التي نستخدمها في حياتنا وفي تفكيرنا قد توقف استخدامها في الغرب ، لكننا بشكل أو بآخر لا نجد مفراً من استخدامها ، أعني التعامل معها ، ناهيك عن أي تيار كالبنيوية من شأنه الحد من بعض آفات النقد عندنا : كالانطباعية المفرطة أو الهوس بالمضمون على حساب القيمة الفنية ، وهل تعتقد أن الجهد النقدي العربي الذي يعتمد البنيوية في المشرق والمغرب هو جهد بلا طائل ؟ .

* د عالي شكري : إن تيارات البنيوية ، وكذلك الألسنية تفيد الناقد بلا شك قبل قيامه بعملية النقد ، أي أنها مرحلة سابقة على التواصل بين الناقد والجمهور ، وهذه المدارس أشبه ما تكون بمعمل أو مختبر لذبذبات الكلمات وجذورها ، وتركيب البناء من المواد الأسطورية ، واللاواعية ، وأسلوب استخدام المعجم وطريقة اختيار التعامل مع اللغة ، وهذه كلها عناصر تفيد الناقد بنتائجها لكنها لا تصلح ـ بذاتها ـ أن تكون نسيجاً للنقد ـ أي نقد هو علاقة بين الأثر الأدبي والجمهور ، ولا شأن للمختبر الصوتي أو اللغوي أو (الأنثروبولوجي) بالجمهور ، وعندما يقتصر الأمر ـ بشأن هذه المدارس ـ على أن تكون مجرد عناصر معملية فإن الناقد يختار من بينها ما يخدم منهجه وليس مضطراً للأخذ بها ككل لأنها تصبح حينئذ هي المنهج .

ولذلك عندما نقول انها تحتضر في الغرب ، فالمقصود هو كيانها المنهجي وليس عناصرها المعملية .

في النقد العربي الحديث هناك لا شك محاولات تنظيرية كالتي قام بها د. عبد السلام المسدي في

تونس ، وهناك محاولات تطبيقية كالتي قام بها د.كمال أبوديب ، لكن أنجح هذه المحاولات في تقديري هي تلك التي حاولها د. جابر عصفور خصوصا في كتابه القيم عن طه حسين « المرايا المتجاورة » ، لكن هناك نقاداً يستفيدون فقط من هذه الاتجاهات كخالدة سعيد ، ويمنى العيد ، والياس خوري ، و محمد برادة ، لكننا لا نستطيع أن نطلق على هؤلاء أنهم نقاد بنيويون أو ألسنيون فهم حديثون دون الحاجة إلى تلبس الأشكال الأدبية الجاهزة في الحداثة .

* استكمالاً لهذا المحور أود أن أسأل : إذا كانت هذه المناهج في حالة احتضار ، فما الجديد والماثل في الحقبة الراهنة ؟

* د. غالي شكري : هناك عودة إلى تعميق الماركسية الأدبية وتطويرها ، حيث نشهد إضافات مغايرة لاتجاه لوسيان غولدمان ، ويبتعد كثيراً عن المضمون الرئيسي في نقد جورج لوكاش ، حيث يتم تجاوز الستالينية تجاوزاً جذرياً للمرة الأولى ، وليس هناك عمليات (ماكياج) كتلك التي قام بها غارودي في الستينيات ، وإنما هناك إبداع منهجي جديد .

« تزوير الحداثـــة »

* لو انتقلنا الى محور آخر هو محور الحداثة في الأدب العربي لوجدنا أن حركة الحداثة كانت طوال العقود الثلاثة الماضية حركة صاخبة،وربما نستثني العقد الأخير من هذا الصخب . وقد جنت تلك الحركة ثماراً بعضها ناضجة أثبتت السنوات قيمتها الفنية الرفيعة ، وانطوت آثار أخرى في النسيان ، بينما ما زالت بعض الأعمال تبحث عن هوية لها ومستقر ـ ألا يعتقد الآن د. غالي شكري أن هذه الحركة وخاصة في الشعر ـ قد وقعت في أحيان كثيرة في شكل جديد وخطير من التقليد يقوم على تقديس الأشكال ، ومجانية اللغة ، واضمحلال التجربة ، وأن هناك في المقابل وعياً طيباً لدى قطاعات كبيرة من المبدعين العرب ممن ينحون نحو تأصيل هذه الحداثة ، ومحاولة استلهام التراث الحي في استنباط أشكال أكثر ملاءمة لمضامين واقعية جديدة ؟

* د. غالي شكري : باديء ذي بدء تجدني أفرق بين مصطلحات التجريبية والطليعية من ناحية ، وبين مفهوم الحداثة من ناحية أخرى ، فالحداثة هي رؤيا جذرية للكون الفني ، وهذه الرؤيا ليست من قوانين النقد الأدبي ، ولا هي من معايير الأدب ، وإنما نطالب بوجودها ، كالموهبة تماماً ، سواء كانت حاضرة أو غائبة ، ولا نملك أن نسأل أديباً ما : لماذا كانت لديه هذه الموهبة ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ .

فرؤيا الحداثة تنعكس على البنى الفكرية والجمالية للعمل الأدبي ، وهي تختلف في هذا الانعكاس من حضارة إلى أخرى ، ومن بيئة إلى أخرى ، ومن فن إلى آخر . ولعلي أحرؤ على القول انها تختلف من كاتب إلى آخر ، ولذلك فإن برج بابل النقدي الذي يدعي في كل لسان أنه حديث ، وأنه يدعو إلى الحداثة هو السبب في اضطراب الموازين القادرة على فرز الجيد من الرديء ، والموهوب من العقيم . إن أغلب النقد العربي الذي ينادي بالحداثة ليس نقداً حديثاً ـ و أرجو أن أكون واضحاً ـ فالحداثة عندي لا علاقة لها من قريب أو بعيد بنقل المصطلحات الغربية المعاصرة وانتظار آخر كلمة قالها بارت أو غريمس ، الحداثة كما قلت رؤيا جذرية للكون الفني ، ومعنى ذلك أن التحديث الحقيقي في النقد هو اكتشاف القانون الأساسي لمسار حياتنا الأدبية ، واكتشاف القوانين النوعية لفنوننا الأدبية ، وهذا المفهوم للنقد هو الذي يخلق نقداً روائياً ، وآخر مسرحياً ، وثالثاً للشعر ، لا نقداً عاماً للأدب ككل ، هذا المفهوم للنقد أيضاً هو الذي يقودنا إلى إلغاء التصورات القديمة كالشكل والمضمون ، والداخل والخارج في العمل الأدبي ، وهو الأمر الذي لا يتم إلا بالحصول على القيمة المطلقة للعمل الفني بتحليله أو بتحليل عناصره الأولية ، واعادة تركيبها ، ثم بالحصول على القيمة النسبية للعمل الأدبي بمقارنته بغيره من الأعمال المماثلة ، سواء في انتاج الكاتب نفسه ، أو في انتاج زملائه ، أو

في إنتاج الآداب الأجنبية ، هذا وإذا حصلنا على القانون الأساسي لمسار أدبنا العربي الحديث ، وإذا حصلنا على القوانين النوعية لفنوننا الأدبية المختلفة ، وإذا حصلنا على القيمتين المطلقة والنسبية للتجربة الأدبية المحلية ، في هذه الحالة نكون قد وصلنا إلى أبواب الحداثة في النقد ، وبهذا النقد الحديث سوف نكتشف حداثة كل فن أدبي عندنا أو عند الآخرين ، وكذلك حداثة كل كاتب ، وكل عمل . والأهم أننا سوف نكتشف الأصيل من المزيف في هذه الحداثة ، فكما أن هناك أساتذة في تزييف النقود ، وتزوير اللوحات العالمية ، كذلك هناك أساتذة في تزوير الحداثة العربية والأجنبية . ولا يجوز - بأية حال - أن نستخلص من حداثة شاعر كأدونيس مثلاً قواعد وتحولها إلى معيار عام نستخدمه للحكم بقرب الشعر من الحداثة أو بعده عنها ، فهناك مفهوم للحداثة عند أدونيس يغاير مفهومه عند البياتي ، أو درويش ، أو عبد الصبور ، أو حجازي ، أو سعدي يوسف مثلاً ، والحداثة ليست اتجاهاً ، أو مدرسة بعينها ، وإنما هي رؤيا تتعدد فيها المدارس والتيارات ، بل إننا قد نكتشف أن تحديث المسرح العربي يحتاج إلى أدوات تعبيرية لو أنها وجدت في الشعر لاعتبرنا هذا الشعر تقليدياً ، مثلاً فكرة (السامر الشعبي) التي دعا إليها - ذات يوم - يوسف إدريس لو أنها طبقت في مجال الشعر لأدى ذلك إلى إنتاج شعر بالغ التقليدية ، وكذلك الأمر في القصة والرواية ، فإن حداثة كل منها تختلف عن حداثة أي فن أدبي آخر . وأيضاً حداثة سان جون بيرس في الشعر ، وصموئيل بيكيت في المسرح ، وناتالي ساروت في الرواية تختلف عن حداثة أي أدب آخر خارج الثقافة الفرنسية .

.. هل ينطبق هذا الأمر على القصة القصيرة ، والرواية ، التي شهدت تقدماً ملحوظاً في الستينيات والسبعينيات ؟

* د. غالي شكري : الأمر هنا يختلف دون شك ، إننا نشهد منذ منتصف الستينيات إلى اليوم جيلاً أو أكثر في الوطن العربي كله يكتب الرواية والقصة القصيرة بمفاهيم حديثة متقدمة على تجربة الجيل السابق ، لقد بني نجيب محفوظ مثلاً هرماً في تاريخ الرواية العربية ، وكذلك يوسف إدريس في مجال القصة ، لكن هذا الهرم أصبح قاعدة صلبة لبناء رؤى جديدة كلياً لا تخطر على بال هؤلاء . إن ما يكتبه زكريا تامر ، وادوار الخراط ، والطاهر ، وغير هؤلاء في القصة والرواية العربية يحمل تجديداً نوعياً لا ينفصل مطلقاً عن منجزات الأجيال السابقة ، ولكنهم يضيفون ألواناً عديدة من ألوان الحداثة التي أرجو أن يكون واضحاً أنها صنو الأصالة ، ففي جانب من التحديث تأصيل . إن الرواية والقصة تشهدان نمواً متعاظماً في الوطن العربي ، وهناك فوضى إلى حد ما في النقد ، أما الرواية والقصة القصيرة فإنهما في تقديري يتقدمان خطوات واسعة إلى الأمام .

في تصنيف النقـــاد

* د. غـالي أنتم أبعد النقاد عن الخضوع للتصنيفات الرائجة . لكن فئة من النقاد « الاجتماعيين » لا يضعون جهدكم النقدي الكبير في هذا الاتجاه ، بينما يوجه لكم السلفيون اتهامات متناقضة تحيلكم إلى صف الاتجاه الأول « الاجتماعي » ، في حين لا يعتبركم التغريبيون واحداً منهم ، وينعت البعض منهم جهدكم بـ « الانتقائي » ، وانعدام الروح السجالية ... الخ ، فما هو منهجكم النقدي ؟

* د. غالي شكري : أعتقد أن هؤلاء السادة لهم الحق في عدم قدرتهم على تصنيفي منهجياً في إحدى الخانات التقليدية ، وذلك لأن إسهامي الرئيسي هو محاولة التأصيل أكثر من محاولة النقل عن الغرب أو السلف ، والتأصيل هو استكشاف القوانين الداخلية في الأدب العربي من خلال التفاعل بين مادته الإنسانية والفنية وبين مفهومي للحداثة كما شرحته سابقاً ، ولذلك ستجد أن الغالبية العظمى من أعمالي النقدية هي في التطبيق وليس التنظير . حتى في كتابي « الماركسية والأدب » كنت أبحث الجانب التطبيقي وليس النظري ، وهذا يعني أنني لست مولعاً بنقل المصطلحات وإنما بالبحث عنها في تضاعيف التجربة المحلية ، وهذا لا يتأتى إلا بالتطبيق الذي يمكن أن تكتشف من خلاله العناصر النظرية التي أحصل عليها بالعمل المستمر ، ولا يعني ذلك أني أتناول العمل

الأدبي دون بوصلة هادية ، لكن هذه البوصلة تزداد غنى مع الأيام بكل ما أحصل عليه من نتائج في التطبيق . وقد تسألني : ما هي هذه البوصلة فأقول إن شغلي الشاغل هو تحليل العمل الأدبي من داخله ومن خارجه ، ولعلي أكرر القول بأنه ليس هناك داخل وخارج في العملية الابداعية ، ونتيجة هذا التحليل ستكشف القيمتين المطلقة والنسبية في العمل الأدبي كتجربة إنسانية خالصة ، وكرؤ يا فنية للعالم ، ذات استقلال نسبي عن الواقع المحيط ، ولكن دون أن تنفصل عنه لحظة واحدة .

* ثمة ملاحظة أخرى أرجو أن نناقشها بصراحة وهي أن هناك تفاوتاً كبيراً بين مستوى كتبكم ، رغم أن كتبكم الأولى تشهد ببداية جادة وخصبة ، إلا أن زخم هذه البداية أخذ يتفاوت بين كتاب وآخر .

د. غالي شكري : هذه ملاحظة صحيحة . لكن يجب أن تفرق بين مؤلفاتي التي أكتبها حول موضوع واحد في بحوث علمية مستقلة يشكل محتواها اتساقاً منهجياً وموضوعياً في كتاب ، وبين الكتب التي أجمع فيها بعض المختارات من كتاباتي في الصحافة . إنني مدين للصحافة بالوصول إلى قاعدة عريضة من القراء ، كما أنني مدين للصحافة لأنها دربت قلمي على لغة لا تنخفض عن مستوى العلم ، ولا ترتفع عن إدراك القارىء العام . وهذه المختارات تفيد القارىء العام الذي لا يجوز تجاهله ، كما أنها مادة أولية لمؤرخي الثقافة في المستقبل ، حيث ان الأحداث الثقافية سرعان ما تنسى إذا لم تضمنها هذه الكتب التي يختلف مستواها عن مستوى المؤلفات الكبيرة والأساسية . وبالنسبة لي فإن الجمهور بالنسبة للنقد هو الطرف الذي بدونه لا يكون هناك نقد . وقد اعتاد النقاد « المحترمون » أن لا يتناولوا كتاباً متوسطي الموهبة ، أو يختلفون مع الناقد سياسياً ، لكنهم رائجون في صفوف القراء ، وبالتالي فإنهم يمارسون نفوذاً فكرياً واضحاً خاصة على الأجيال الجديدة . بعض النقاد ـ كما أقول ـ يتجاهل هؤلاء بحجة أنهم تحت مستوى النقد . أقول في المقابل : إنه ليس هناك أديب له قاعدة واسعة من القراء ولا يستحق النقد ، بل العكس تماماً ، أنني يجب أن أبحث عن أسرار هذه الظاهرة الاجتماعية ، ويجب أن أحترم الجمهور إن لم أحترم الكاتب وأعتقد أن من واجبي أن أتدخل بين الكاتب من هؤلاء وقرائه تدخلاً لمصلحة الأدب والجمهور على السواء ، ولعلك تلاحظ منذ بداية عملي وأنا أحرص على الكتابة عن الأدباء الموهوبين والذين قد يصلون إلى الجمهور بغير موهبة كبيرة على السواء .

* لعلك تقصد بعض الكتاب محدودي الموهبة أو متوسطيها ، لقد خفت تأثير هؤلاء إلى حد كبير وخاصة على الأجيال الجديدة .

* د. غالي شكري : دون التوقف عند أسماء محددة فإن تأثير متوسطي الموهبة قد خفت كما تقول ، ويعود الفضل في بعض جوانبه إلى إسهامات النقاد الجادين الذين لم يأنفوا من تداول هذه الظواهر التي نتركها في العادة فريسة للنقد الصحفي المتعجل أو الذي يجامل . □

من كتب غالي شكري

- ١٩٦٢ / سلامة موسى وأزمة الضمير العربي .
- ١٩٦٢ / أزمة الجنس في القصة العربية .
- ١٩٦٤ / المنتمي : دراسة في أدب نجيب محفوظ .
- ١٩٦٦ / ثورة المعتزل : دراسة في أدب توفيق الحكيم .
- ١٩٦٨ / شعرنا الحديث .. الى أين ؟
- ١٩٦٩ / أدب المقاومة .
- ١٩٧٠ / ذكريات الجيل الضائع .
- ١٩٧١ / مذكرات ثقافة تحتضر .
- ١٩٧٣ / التراث والثورة .
- ١٩٧٤ / ماذا يبقى من طه حسين ؟
- ١٩٧٥ / من الأرشيف السري للثقافة المصرية .
- ١٩٧٨ / الثورة المضادة في مصر (ثلاث طبعات بالعربية وواحدة بالانجليزية) .
- ١٩٧٩ / غادة السمان بلا أجنحة .
- ١٩٨٠ / سوسيولوجيا النقد العربي .
- ١٩٨١ / الماركسية والأدب .
  محمد مندور : الناقد والمنهج .
- ١٩٨٥ / مواويل الليلة الكبيرة (رواية) .
- ١٩٨٦ / دكتاتورية التخلف العربي (المجلد الأول : مقدمة في تأصيل سوسيولوجيا المعرفة) .

العربي - العدد ٣٣٧ - ديسمبر ١٩٨٦



الجرب تنقله حشرة تبحث عن الدفء..

بقلم / الدكتور محمد عبدالله المشاري

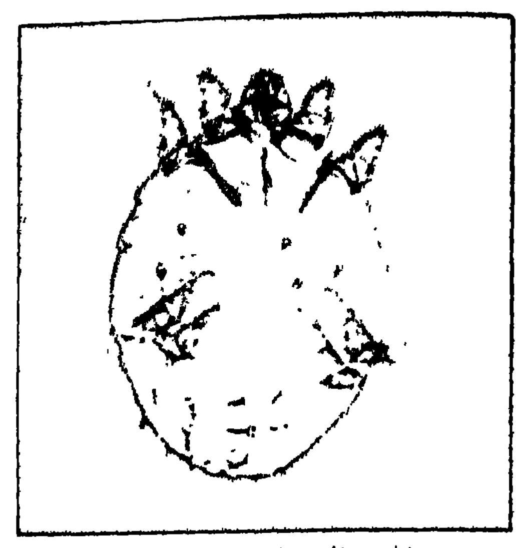
الجرب من أقدم الأمراض الجلدية المعدية التي عرفها الانسان ، وهو ينقل العدوى من الانسان المريض ، وحتى من الحيوان ، وبرغم قدم معرفة المرض إلا أن له قصة،ومازال حوله جديد .

تنتقل الاصابة بالمرض بواسطة أنثى حشرة « سركوبتس سكيبياى » التي تقوم بشق نفق في الطبقة القرنية من الجلد ، حيث تضع بيضها بمعدل ٢ - ٣ بيضات في اليوم داخل النفق ، ولا يفقس من البيض إلا ما يوازي ١٠ بالمائة فقط وذلك خلال ٣ - ٧ أيام حيث تظهر اليرقة التي تعيش على سطح الجلد بالقرب من بصيلات الشعر ، وبعدها تتحول اليرقة إلى حوار ، ثم الى حشرة كاملة ، وتتم هذه العملية (من وضع البيض الى تكوين حشرة كاملة) خلال ١٤ - ١٧ يوما .

ونجد أن دور الذكر هو القيام بعملية التلقيح والتكاثر فقط ، وعادة ما يموت بعد ذلك ، حيث ان معدل عمر الذكر هو ٤٠ - ٥٠ يوماً ، بينما أنثى الحشرة تعيش إلى فترة قد تصل إلى ثلاثة شهور . ويبلغ حجم الذكر ملليمترا، بينما يبلغ حجم الأنثى ٤ ر٠ ملليمتر . ويلاحظ أن الحشرة لها قدرة سريعة على المشي على سطح الجلد،فقد تصل سرعتها إلى ٢ - ٣ سم في الدقيقة،بينما قدرتها على الحفر لتكوين النفق في الطبقة القرنية من الجلد هي ٢ - ٣ ملليمترات في اليوم . وتبلغ نسبة الإصابة بمرض الجرب ١٪ من إجمالي المترددين على عيادات الأمراض الجلدية في الكويت ، وقد وردت هذه النسبة في دراسة قام بها كاتب هذا المقال مع الدكتورة طيبة المنيس بمساعدة الدكتور محمد الشايب المدرس بقسم الرياضيات بجامعة الكويت . ومن هذه الدراسة تبين أن ٨١٪ من حالات مرض الجرب تنتشر بين غير الكويتيين ، بينما ١٩٪ من الحالات بين الكويتيين ، وأن معظم هذه الحالات تظهر في السنوات الثلاثين الأولى من العمر خصوصا في العقد الأول ، والثالث .

حشرة تفضل الدفء :

ويزداد نشاط هذه الحشرة أثناء نوم المريض ، حيث ان الدفء يساعد على سرعة عملها،لكن ارتفاع



الحشرة المسببة لمرض الجرب

درجة الحرارة أو هبوطها لا يناسب الحشرة ، فقد تموت عندما تتعرض الى درجة حرارة تفوق ٥٠ درجة مئوية ، وكذلك عندما تنخفض درجة الحرارة الى مادون ١٢ درجة مئوية . والملاحظ ان عدد الحشرات لا يتعدى العشرين حشرة على جسم المريض .

لقد تبين ان نسبة الاصابة بمرض الجرب بازدياد مستمر في جميع أنحاء العالم ، حيث اتضح أنه عند مرور عدة سنوات يحصل نوع من الانتشار الوبائي لهذا المرض ، آخره كان سنة ١٩٤٥ ، عندما انتشر المرض في أوروبا ، حيث بدأ في فرنسا وبريطانيا ومنها إلى باقي دول أوروبا ومن أسباب انتشار المرض أيضاً الحروب والمجاعات ، والفقر ، وسوء التغذية ، والظروف الصحية المتدنية ، وسهولة التنقل وانتشار الاباحية الجنسية التي تساعد على انتشار المرض كثيراً . وتحدث العدوى عادة نتيجة للملاصقة الجسدية الطويلة ، كاستعمال ملابس شخص مصاب بالمرض أو استخدام سريره ، أو الممارسة الجنسية مع المصابين به .

أعراض المرض

من أهم أعراض المرض الحكة الشديدة ، التي تزداد سوءا في الليل عند النوم . وعادة ما تكون الاصابة منتشرة ما بين أفراد العائلة . وتبدأ أعراض المرض بالظهور بعد مرور حوالي أسبوعين من الاختلاط بالأشخاص المصابين ، حيث تظهر على هيئة نفق متعرج الشكل ، بطول ٣ ـ ٣٠ ملليمترا ، وبعمق عدة ملليمترات ، ينتهي بحويصلة صغيرة ، هي مكان تواجد البيض وأنثى الحشرة . ومن الجدير بالذكر أن نسبة تواجد هذا النفق عند مرضى الجرب لا يتعدى ٧ ـ ١٣٪ من الحالات ، وذلك نظرا للحكة الشديدة التي تصاحب المرض ، والتي تؤدي الى تلف هذه الأنفاق وتمزقها ، أو قد يصاب المريض بمضاعفات على هيئة التهاب بكتيري ثانوي نتيجة تجريح الجلد من الحكة الشديدة ، وقد يصاحب ذلك حساسية شديدة .

أما أماكن الاصابة ،فنجد ان الحشرة تفضل أماكن معينة من الجسم دون غيرها ، ففي ٧٠٪ من الحالات نجد أن اليد والرسغ من أكثر أعضاء الجسم عرضة للاصابة ، على الأخص ما بين الأصابع ، ومن الأماكن المعرضة للاصابة كذلك الكوع ، والابط ، والثدي ، والبطن وخاصة حول السرة ، والاليتين ، والأعضاء التناسلية ، وأعلى الفخذ ويلاحظ بأن اليد هي أول أجزاء الجسم عرضة للاصابة بالمرض .

يصيب المرض الرجال والنساء ، أطفالاً كانوا أو كباراً ، ولكن تبين أن أماكن الاصابة بالمرض تختلف عند الأطفال عنها لدى الكبار ، حيث تختار حشرة الجرب الأماكن التي تحتوي على تركيز أقل من بصيلات الشعر والغدد الدهنية ، لذا نجد أن الحشرة تتحاشى الوجه والرأس عند الكبار ، وذلك لأن بصيلات الشعر في الوجه تزيد بمقدار ١٦ مرة عن الأطراف ، وهذا مما يعوق عملية الحفر لتكوين الأنفاق . لذا نرى أن باطن اليد والرجل ، والوجه والرقبة من الأماكن التي تتعرض للمرض عند الأطفال دون الكبار

أنواع الجرب .

هناك أنواع عديدة من مرض الجرب أهمها :

● الجرب العقدي الذي يظهر على هيئة عقدة بحجم حبة بازلاء ، حمراء أو بنية اللون ، وقد توجد حفرة في وسطها ، قطرها ٦ ـ ١٢ ملليمتراً،أما مكان الاصابة فهو الابط والبطن ، والصدر ، والظهر ، والإليتين ، وكيس الصفن . وتصاحب الحالة حكة شديدة ، وقد تستمر الحالة لعدة شهور . وقد تبين أن ٧٪ من


مرض الجرب

مرضى الجرب مصابون به .

● ـ الجرب الحطاطي : ـ تكثر الاصابة بهذا النوع من مرض الجرب في العقد الأول والثاني من العمر ، فمن دراسة قام بها أحد الباحثين اتضح أن ٦٧٪ من الحالات تظهر في سن ما دون ١٥ سنة ، بينما ٣٪ من الحالات تظهر عند المرضى في سن ما فوق ٣٠ سنة . أما أعراض هذا النوع من الجرب. فهي بثور حمراء أو بنية اللون ، تظهر في منطقة العانة ، والأعضاء التناسلية ، والبطن وخاصة حول السرة ، والصدر ، ولكن لا تظهر هذه الأعراض على اليد أو الرسغ ، وتصاحبها حكة شديدة .

● الجرب الفقاعي : ـ ليس من المألوف أن توجد فقاعة كأحد أعراض مرض الجرب ، ولكن قد توجد هذه الفقاعة كمضاعفات للمرض ، على الأخص عند الأطفال ، وهو ما يسمى بالقوباء الفقاعية ، وهي ناتجة عن التهاب بكتيري ثانوي ، لوجود حدوش بالجلد ناتجة عن الحكة الشديدة .

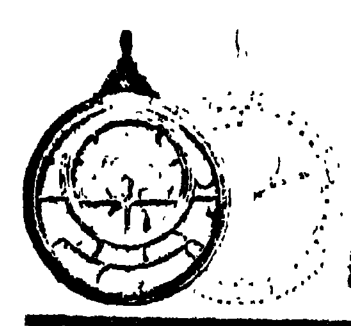
● ـ جرب الحيوانات : ـ في هذا النوع من الجرب تنتقل العدوى من الحيوانات إلى الانسان ، كالكلب ، والقطة ، والجمل ، والحصان ، والحمار ، والأرنب ، والطيور . . . . الخ .

ومما يلاحظ في هذا النوع من الجرب أن الحشرة المسببة للمرض تعيش على جلد الانسان . ولكن لا تستطيع أن تتكاثر ، حيث يشفى المريض من غير علاج بعد ٧ ـ ١٤ يوما من عزل الحيوان المصاب بالمرض . ومن دراسة إحصائية تبين أن ١٪ من الكلاب الموجودة في بريطانيا مصابة بمرض الجرب . والحشرة المسببة لهذا النوع من الجرب لها قدرة على اختراق الملابس ، والوصول إلى جلد الانسان ، لهذا نرى أن أماكن الاصابة بهذا النوع من المرض تختلف عن الأماكن الأخرى ، حيث عادة ما تكون منطقة الاصابة هي الصدر ، البطن ، الفخذ ، الساق ، الساعد ، والوجه . وهي الأماكن التي لها اتصال مباشر مع الحيوان . ومن الجدير بالذكر أن الصفة المميزة لمرض الجرب وهي تكوين الانفاق لا توجد في هذا النوع من المرض .

● الجرب النرويجي : ـ تكثر الاصابة بهذا النوع من مرض الجرب بين المرضى المصابين بالتخلف العقلي ، والمصابين كذلك ببعض الأمراض المزمنة كالدرن ، وسرطان الدم ، ومرض البرى برى ، والتهاب المفاصل المزمن ، وكذلك قد يظهر المرض بين المصابين بفقد حساسية الجلد كمرضى الجذام ، وتكهف النخاع ، وقد يظهر المرض بين المصابين بضعف جهاز المناعة ، والذين يتعاطون أدوية الكورتيزون ، والأدوية المهبطة لجهاز المناعة . ومن أعراض هذا النوع من مرض الجرب أن الحكة عادة ما تكون غير شديدة ، مع وجود زيادة بالتقرن في باطن اليد والرجل ، على الأخص فوق مفاصل الأصابع ، مع تصحم في العدد اللمفاوية . ويتميز هذا النوع من المرض بوجود أعداد هائلة من الحشرة المسببة للمرض ، قد تصل إلى المئات أو الآلاف مما يجعل هذا النوع شديد القدرة على العدوى

● الجرب المتستر : ـ وفي هذا النوع من الجرب ، نرى أن أعراض المرض قد تغيرت ، وذلك لعدم تشخيص الحالة ، مع استعمال أدوية الكورتيزون ، مما يساعد على طمس هذه الأعراض ، فنتيجة لاستعمال هذه الادوية تنتشر الأعراض إلى أجزاء واسعة من الجسم ، حيث قد تظهر الأعراض في أماكن غير مألوفة ، ويفسر ذلك نتيجة لهبوط في جهاز المناعة،وذلك من استعمال أدوية الكورتيرون التي استعملت لعلاج المريض نتيجة لسوء التشخيص .

في الماضي كان علاج مرض الجرب من الأمور المستعصية ، لهذا ما ان تذكر اسم المرض لأي شخص حتى يصاب بالخوف والفزع ، ولكن حديثا يعتبر علاج هذا المرض من أبسط الأمور ، ومن الأدوية التي تستعمل في العلاج : ـ الكبريت ، وجاما بنزين هكساكورايد ، وبنزيل بنزويت ، وكروتاميتون . . . . الخ . □



الجديد في العلم والطب

برنامج (يوركا) مبادرة أوروبية طموحة

شهدت لندن في الصيف الماضي مؤتمرا اوروبيا فريدا ، فقد استهدف وضع الأسس التي تضمن لدول غرب اوروبا مجاراة الولايات المتحدة في (التكنولوجيا) الرفيعة ، ذلك أن مضي إدارة الرئيس ريجان في تطوير الأسلحة التي تتطلبها حرب النجوم كفيل بإحراز الولايات المتحدة المزيد من التفوق على اوروبا فيما يتصل بالالكترونيات وأشعة الليزر والألياف البصرية ، وما إلى ذلك . لاعجب إذن ان ظهر برنامج (يوركا) السالف الذكر في أوائل سنة ١٩٨٥

والجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسي ميتران كان صاحب الفضل في وضع حجر الأساس لبرنامج (يوركا) ، وأن ١٩ دولة اوروبية (غربية) قد انضمت إلى البرنامج حتى الآن ، ، وأن سكرتارية خاصة قد أنشئت لتصريف أعمال البرنامج ، ولاقرار المشاريع والصناعات التي تحقق لأوروبا المبادرة (التكنولوجية) المرجوة ، غير أن هذه المشاريع والصناعات لاتقدمها الدول الأعضاء في البرنامج ، وإنما الشركات المتخصصة العاملة في تلك الدول ، حتى إذا أقرتها سكرتارية البرنامج رجعت تلك الشركات إلى حكوماتها بغية المساهمة في تمويل تلك المشاريع ، وذلك وفق الصيغة الخاصة التي تحددها تلك الحكومة ، ونذكر - على سبيل المثال - أن الحكومة البريطانية قررت المساهمة في تمويل مثل تلك المشاريع بنسبة ٥٠٪ إذا كانت مشاريع بحوث ، ونسبة ٢٥٪ إذا كانت مشاريع تطوير

أما المؤتمر الذي عقد في العاصمة البريطانية في مطلع شهر يوليو الماضي ، والذي كان على مستوى الوزراء ، فقد كشف النقاب فيه عن ٧٢ مشروعا صناعيا بقيمة ٢٠٠٠ مليون دولار أو يزيد ، استكملت السكرتارية دراستها وإقرارها في الشهور الماضية .

نذكر من تلك المشاريع على سبيل المثال مشروع (برومثيوس) الذي يرمي إلى تجهيز السيارات بمجسات وأجهزة كمبيوتر دقيقة بحيث تتمكن السيارات من تحسس الخطر على الطريق مسبقا فتتفاداه تلقائياً ، وتتجنب بذلك حوادث الاصطدام . ويحتاج هذا المشروع إلى ٨ سنوات لاستكمال أغراضه ، وتبلغ نفقاته (١٥) مليون دولار في السنة الأولى ، و (٥٥) مليون دولار في كل سنة من السنوات السبع التي تليها .

ونذكر أيضا مشروع تطوير Chips a lasers وذلك من أجل جعل شبكات الهاتف القائمة حاليا أكثر فاعلية ، بحيث تتضاعف سرعة نقل المعلومات بواسطتها إلى ٢٠٠٠ ضعف . ويعتمد هذا المشروع على الألياف البصرية التي تمكن شبكات الهاتف من نقل الصور ، بالاضافة إلى نقل الكلام ، وتبلغ تكاليف هذا المشروع ١٦٠ مليون دولار ، وقد تقدمت به شركات فرنسية وإيطالية وبريطانية ولن يتأخر إنجازه عن مطلع التسعينيات .



محاولة لتزييف العلم والتاريخ في الفلبين !

هل تذكر قبيلة (تاساداي) ؟ تلك القبيلة التي اكتشفت في جزيرة (مندناو) في الفلبين سنة ١٩٧١ ، وقيل عنها انها ماتزال تعيش في العصور الحجرية الأولى ، فتتخذ من الكهوف مسكنا ، وتستعمل الثمار والجذور طعاما ، ولا تعرف من الثياب شيئا ، إلا مايستر العورات من أغصان الشجر وأوراقها . وهللت الصحافة الامريكية لذلك الاكتشاف ، واعتبره الكثيرون أهم اكتشاف (انثروبولوجي) في القرن العشرين ، وظهرت الاستطلاعات والكتب المصورة والمقابلات واللقاءات ، وراح الجميع يرثون لحالة أجدادنا الأوائل ، سكان الكهوف ، فقد عاشوا حياة حرمان ، وتعرضوا لشتى صروب الفتك من حاسب مر الكهوف وسائر الحيوان ، ذلك أن حياة قبيلة (تاساداي) في القرن العشرين تكاد تكون نسخة طبق الأصل لحياة سكان الكهوف في الألف العشرين قبل الميلاد .

هل تصدق أن الاكتشاف لم يكن سوى كذبة أو خدعة ، افتعلتها حكومة الرئيس فرديناند ماركوس بقصد الدعاية ، وتصيد المكاسب المادية وغير المادية ، فقد بلغ من جشع هذا الرجل أنه لم ير أية غضاضة في تزييف العلم والتاريخ من أجل الحصول على مزيد من الكسب مهما كان قليلا ، ليضيفه إلى ما كنزه من ملايين . !

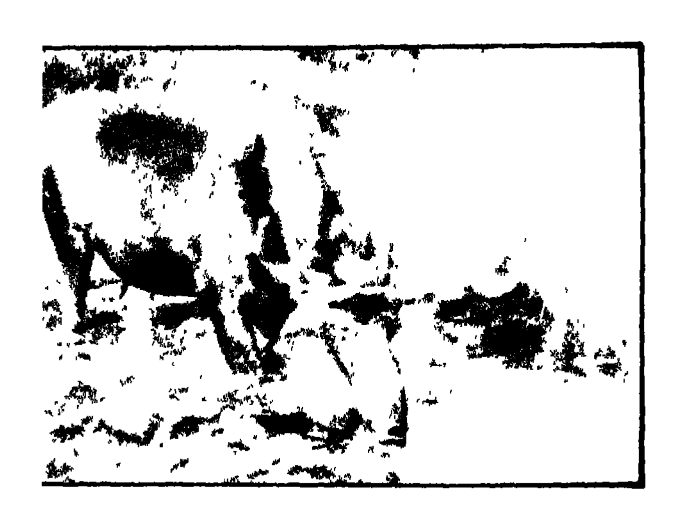
وذهب ماركوس ، وذهب قبله سنة ١٩٨٣ وزيره لشؤون القبائل (عمانويل اليز الدي) ، ومعتمده في أعمال التزييف ، تزييف العلم والتاريخ .

فقد تبين أن أفراد قبيلة (تاساداي) لم يكونوا سوى أفراد قبيلة (مانوبه) Manube وهي قبيلة معروفة ، يتقن أفرادها الصيد والزراعة (البدائية) ، وثبت أيضا أن الأوامر التي صدرت إليهم سنة ١٩٧٠ / ١٩٧١ اقتصت عيشهم بلا ثياب ، وسكنهم في الكهوف ، وذلك لمدة محدودة ، يعودون بعدها إلى أسلوبهم المألوف في الحياة ، ولما انقضت تلك المدة ، وتحققت الأهداف التي توخاها ماركوس من تلك التمثيلية أصدر تعليماته بحظر زيارة كهوف قبيلة (تاساداي) على كافة الصحفيين ، والعلماء الذين قدموا إلى الفلبين من شتى أقطار العالم ، وذلك لسبب بسيط جدا هو أن الكهوف عادت كما كانت مهجورة ، وأن قبيلة (تاساداي) اختفت ، وعادت إلى مواطنها الأولى ، وأصبحت كما كانت قبيلة (مانوبه) التي تزرع ، وتصيد ، وتعيش في أكواخ لا كهوف

ويعود الفضل في الكشف عن هذه الأضاليل إلى صحفي سويسري اسمه (اوزوالد ايں) زار الفلبين بعد فرار ماركوس منها ، وكذلك إلى صحفيين المانيين في مجلة (شترن) زارا المنطقة في شهر مارس (٨٦) ، فوجدا سكان الكهوف العراة قد ارتدوا ثيابا حديثة (انظر الصورة) .

وعادوا يقومون بشتي أعمالهم الزراعية كالعادة ، وهم لم يعرفوا السكن في الكهوف إلا في تلك الأسابيع القليلة تنفيذا لأمر حكومة ماركوس .

الأيل حيوان وحشي يستأنسه العلماء السوفيات



يذكر التاريخ فصلا كبيرا للأقوام البدائية ، ذلك هو استئناس الحيوان . فمع أن هذه المهمة لم تكن شاملة ، بل اقتصرت على نحو ستين فصيلة من مجموع الفصائل الثديية البالغ عددها ٨٠٠٠ فصيلة ، إلا أنها كانت ناجحة ، فقد ألفت الحيوانات المستأنسة بني الانسان ، ولم تعد تخافهم كما فعلت أيام كانت وحشية ، كذلك تخطت تلك الحيوانات القيود الفصلية التي قصرت تناسلها على مرة واحدة في السنة الواحدة ، وأصبحت قادرة على الانجاب في أي فصل ، وبالتالي على تكرار الانجاب وكثرته

ويتساءل العالم عن العوامل التي أدت إلى تلك التغيرات ، وقد رسخت في شتى الفصائل المستأنسة حتى أصبحت وراثية ، تنتقل من السلف إلى الخلف ، فمن شأن تلك العوامل - لو عرفت - أن تمكّن العلماء والمختصين بتربية الحيوان من إعادة تلك التجربة (البيولوجية) الهائلة ، ومن إنجازها لا في عشرات القرون وإنما في حقبة قليلة من السنين ، تتناسب والتقدم العلمي الكبير الذي حققه الانسان في العصر الحديث .

ذلك هو التساؤل الذي طرحه العلماء في شتى البلدان ، فكانت محاولة السوفيات لاستئناس الجواميس البرية ، والوعول ، والنعام ، ومحاولة الامريكان لاستئناس ثيران المسك ، وغير ذلك من محاولات قام بها العلماء في النرويج ، وافريقيا ، واليابان ، ولعل التجارب التي قام بها العلماء السوفيات في محطة التجارب الزراعية في (كوستروما) والتي استهدفوا فيها استئناس حيوان الايل الوحشي جديرة بكل اهتمام .

أما اختيارهم الايل بالذات فيعزى للفوائد الكثيرة التي يتيحها هذا الحيوان لبني الانسان ، ففي الامكان دبغ جلده ، وتجهيز صنوف ممتازة منه لصناعة الأحذية ، ثم إن لحمه لاتخالطه عروق الشحم كلحم البقر ، بحيث لاتزيد نسبة الدهن إلى الهبر في لحمه على ٨, ـ ١,٧٪ وزنا ، وهي تصل إلى ١٠٪ في لحم البقر ، أضف إلى ذلك أن البروتينات في لحم الايل تزيد بنسبة ٥٪ عما هي عليه في لحم البقر ، وقل مثل ذلك في الفيتاميات ، إذ يبلغ مايحتويه من فتامين ، وفيتامين ب[٢] خمسة أضعاف مايحتويه لحم البقر منهما ، وتتضاعف هذه الزيادة لتصبح ٨ ـ ١٠ أضعاف في حالة فيتامين ب[١]

ويتميز الايل فوق ذلك بلبنه ، إذ يبلغ مايحتويه حليبه من دهنيات ١٢,٣٪ ، وبروتينات ٨,٧٥٪ ، وسكريات ٤ ـ ٤,٥٪ فضلا عن الفيتامينات ، والأحماض الأمينية الكثيرة التي نجدها في حليب الايل ، وقد لانجدها في كثير سواه ، هذا إلى جانب الفوائد العلاجية التي اكتشفها البروفسور بروباستين في لبن الايل ، فهو كفيل بالشفاء من القرحة ، إذا تناول المريض جرعاته على مدى ٣ ـ ٤ أسابيع ، والغريب أن في الامكان تركه أياما في جو الغرفة دون أن يفسد .

ولكن ماالذي نجح العلماء السوفيات في تحقيقه حتى الآن ؟

لقد نجحوا في استئناس حيوان الأيل بقدر سمح لهم بإنشاء مزرعة خاصة بهذا الحيوان ، ملحقة بمحطة (كوستروما) الزراعية السالفة الذكر ، يتم استكثار هذا الحيوان المستأنس في هذه المحطة حسب الحاجة ، منه مايصلح للحم ، وماهو أصلح للبن ، وماهو أجود جلدا ، وهكذا . □

قصة من

الخيال العلمي

الاعتراف الأخير

بقلم / رؤوف وصفي

« هل قرارك نهائي ؟

كانت اللوحة التي تتضمن هذه الكلمات الثلاث .. مضيئة بعرض الجدار الرمادي الضخم الذي يمثل المدخل الرئيسي للمبنى . كانت الحروف تتألف باللون الفضي ثم تتحول ببطء شديد الى اللون الذهبي ..

كان باب الدخول الخشبي السميك معطى بالاسماء والتعليقات والتواريخ التي حفرها الذين دخلوا المبنى . ولم يعودوا أبدا .

« هل قرارك نهائي ؟ »

وقف مترددا .. فقد كان عليه أن يجيب عن السؤال التقليدي ولو بمجرد كلمة واحدة .. حاول جاهدا أن يهدىء من ضربات قلبه المتلاحقة . ثم تنفس بعمق . وسيطر على انفعالاته لعدة ثوان ... وقال بصوت هامس مرتعش - « أجل »

استمر الباب مغلقا .. فقد أخذت عين الكترونية متألقة باللون الأخضر . مثبتة في طرفه الأعلى .. ترقب كل حركة يقوم بها ..

كان يتمنى في قرارة نفسه أن يهرب بعيدا عن هذا المبنى الذي يطلق عليه (بيت الموت) .. ولكن [illegible] أصبحت شاقة ، وكل هذه الآلات بمختلف [illegible] واستخدماتها تسيطر تماما على كل نواحي [illegible] القرن الحادي والعشرين .. لقد أصبح العالم .. عالم آلات صماء .. لم يعد للعواطف والأحاسيس [illegible] أي مكان في عالم اليوم ..

[illegible] ابنه الوحيد أثناء اجراء تجربة على سلاح [illegible] يستخدم أشعة الليزر في اطار [illegible] حروب الفضاء [illegible] الآلات والحياة .. فتح الباب ببطء شديد دون أدنى صوت ...

تردد للحظات ثم دخل بخطوات متثاقلة الى بيت الموت . وأغلق الباب من خلفه ، كان من الصعب تحديد أبعاد الغرفة المضيئة التي أصبح في منتصفها فقد رآها لانهائية المساحة . وهذا التأثير أحدثته مئات المرايا المثبتة فوق كل الجدران ، وعلى السقف والأرضية .. وأصبح الأمر كله يبدو ككابوس قاس . وتأكد لديه بأنه حتى الزمن . توقف ...

نظرا الى المرايا ، فشاهد صورة تنعكس اليه بآلاف الأشكال من مختلف الزوايا ، وبأوضاع متباينة .. شعر بأنه وحيد مع نفسه .. وحدة مخيفة مستحيلة ..

كانت كل صورة تنعكس اليه من المرايا تسلبه لحظة من لحظات حياته ، تنتزع منه آماله وأحلامه ..



ولكن لم يعد في أعماقه أي احساس بالخوف أو الأسى . . . واستطاع بالهدوء واللامبالاة التغلب على الشعور المفاجيء بالفراغ . . والوحدة . . تحرك في بطء وكأنه يسير في حلم . . الى مقعد وثير بأحد أركان الغرفة ، وتهالك فوقه . . فشعر بالراحة . .

نظر أمامه . . كان يواجهه كمبيوتر معدني صغير رمادي اللون . . مكتوب على شاشته الخضراء بحروف كبيرة متألقة (الاعتراف الأخير . .)

مرت ثوان . . سمع بعدها صوتا آليا أجش ينطلق من الكمبيوتر .

ـ من أنت ؟

خيل اليه أن الصوت مألوف . . نظر حوله ليعرف مصدره . . لقد خدعته أحاسيسه ، فالغرفة خالية تماما . . الا من الكمبيوتر . . وآلاف الصور التي تنعكس من المرايا التي تغطي كل المساحات . . والمقعد الذي يجلس عليه . .

استند على ظهر مقعده . . وأغمض عينيه . . وغرق في أعماق ذاكرته . . تلاشت المرئيات من أمامه . . ورأى نفسه وهو ما يزال طفلا يجري في الحقول الخضراء تحت سماء زرقاء صافية . . كانت الحياة جميلة في ذلك الوقت . . قبل أن تسيطر الآلات . . .

ـ « من أنت ؟ »

(كان خياله بعيدا يستعيد ذكريات الماضي . . أمه في وسط الحقل الأخصر ، تفتح ذراعيها له وهو يأتي راكضا من بعيد . . وصل اليها ودفن رأسه في ملابسها الدافئة . . ابتسمت له وتحدثت اليه . . انه لايذكر كلماتها بالتحديد . . ولكنه على يقين أن الكلمات كانت رقيقة مفعمة بالحزن . . .

ـ « من أنت ؟»

بذل جهدا خارقا حتى يبعد الذكريات من ذهنه المكدود . . فذابت الأشباح التي تشده للماضي . . واحتفت . . . .

وصاعت طفولته في هوة الزمن السحيقة . .

أجاب بصوت هامس وكأنه يتحدث لنفسه :

ـ« أنا رقم٨٩١٥ مصنف أ . . عضو اتحاد علماء الالكترونيات » .

صمت الكمبيوتر للحظات . . ربما ليراجع ذاكرته الالكترونية ، ويتأكد من المعلومات . . عاد الصوت الأجش الآلي العميق . . يقول بتلك النبرة المميزة القاسية ـ« هل ودعت عائلتك وأصدقاءك ؟

لم يستطع أن يجيب . . ارتعشت شفتاه . . وشعر باختناق مباغت . .

خفض عينيه وابتلع ريقه

ـ « ليست لي عائلة » .

ـ . . . وأصدقاءك ؟! .

ـ « فقدت أصدقائي منذ زمن طويل »

صمت الكمبيوتر لأقل من لحظة .

ـ« اذن من أبلغ عن موتك ؟

أجاب بصوت مفعم بالسخرية

ـ بلغ رئيس علماء الالكترونيات . . سيكون سعيدا بهذا الخبر . . فقد سببت له الكثير من المتاعب » .

ـ « أتريد أن تقول شيئا آخر » ؟

تردد قليلا ثم قال بلا اكتراث

ـ أنا الذي صممت أجهزتك . وكذلك كل بيت الموت » .

ساد صمت ثقيل فرص نفسه

« أتقول الحقيقة ؟ »

« لاأحد يكذب في الاعتراف الأخير . . »

قال الكمبيوتر بسرعة مؤكدا .

ـ أحيانا يكذبون ،

ـ ولكني أقول الحقيقة . أنا رقم ٨٩١٥ مصنف أ . . قد صممت بيت الموت »

أحس فجأة بالاغتراب . . وبأنه لاينتمي الى هدا المكان المروع .

ـ « اذن أنت تعرف ما الذي ينتظرك » .

ـ « أجل »

ـ « أخبرني »

ابتسم في تهكم . الكمبيوتر يجتر معلوماته

ـ « بعد انتهاء الاعتراف الأخير . . تفتح الباب الذي يفصى الى الدرج . . اثنتين وأربعين درجة . إحداها عليها شحنة كهربائية صاعقة . . ثم ينتهي كل شيء في ثوان » .

ـ فوق أي درجة ؟»

ـ أنت تغيرها كل مرة

صمت الكمبيوتر قليلا ثم قال

ـ هل تركت اثاما في حياتك ؟

أجاب بسرعة

ـ أكبر خطيئة أنني صممت بيت الموت . . »
ـ ماذا ؟! انني لاأستطيع أن أفهمك . لقد أصابني الملل . . ان كل عالم الكترونيات يأتي الى بيت الموت يمثل مشكلة لي . . . وبسببهم فقدت اثنتين من حلايا وحدة اتخاذ الرأي في أجهزتي » .
ـ لن تفهم أبدا . . »
ـ حقا ان ذكائي صناعي . . ولكني أريد أن أفهم » .
ـ« أيها الكمبيوتر الغبي . . ماذا تريد أن تفهم ؟ الحياة التي هي فوق كل منطق الحب والكراهية . . السعادة والألم . . أيمكن وضع هذه المشاعر الانسانية في معادلات رياضية ليفهمها الكمبيوتر ؟ »
ـ هل جعلت الناس أكثر سعادة بتصميمك لبيت الموت ؟ »
بوغت تماما فقد استغرقه التفكير . . ونسي وجود الكمبيوتر وسبب دخوله الى هذا المكان .
فكر قليلا .
ـ « في البداية صممت بيت الموت لهذا الغرض . ولكن الأمور تغيرت ، وأصبح بيت الموت رمزا للهزيمة . . كما أنه أصاب الارادة بالشلل ، وسلب القدرة على الصراع من أجل البحث عن معنى الحياة . . ولم يجلب الحرية للحياة بل للموت . . انه شيء محزن ومروع أن يفقد الانسان ثقته بنفسه . . فقد أصبح يسير للهوة السحيقة ، مغمض العينين مسلوب الارادة » .
ساد صمت ثقيل
ـ « أتريد مشروبا منعشا ؟ »
وفي ثوان كان كوب العصير على منضدة ظهرت فجأة . . أخذ يشرب عصير الفواكه المثلج ببطء .
ويتذكر تلك المرأة العجوز التي استوقفته يوما وهو في طريقه الى مختبر الالكترونيات . لمست يده وسألته بصوت ضعيف خافت
ـ أخبرني . . هل يشعر الانسان بالخوف هناك ؟
لم يفهم السؤال
ـ « ماذا ؟»
ـ « أقصدت هناك في بيت الموت »
حاول أن يبتعد عنها . . ولكنها تعلقت بملابسه . وتطلعت اليه بعينين حزينتين تحوطهما التجاعيد . . وتحدثت بسرعة . .

لم يستطع أن يسمع المزيد . . فاندفع بعيدا . . ومرة أخرى ذابت الأشباح في ضباب السنوات المتكاثف . .
انتهى من شرب عصير الفواكه . . ووضع الكوب بعناية شديدة على المنضدة التي اختفت فجأة . . كما ظهرت . .
ردد بصوت هامس . . مفعم بالحزن .
ـ « حان وقت النهاية » .
قال الكمبيوتر بصوته الأجش :
« ما يزال أمامك أربع دقائق »
قال لنفسه :
ـ يمكن أن ينتظرني الموت لعدة دقائق أخرى . فالأبدية قادمة لاريب فيها »
ـ هل تتعجل الموت ؟
نظر الى الكمبيوتر في تحد سافر
بل أتعجل تدميرك
ـ « تدمري ؟! » .
ـ أنسيت ؟! أنا الذي صممتك ؟ »
ـ ولكنك لا تملك أسلحة .
ابتسم في تهكم وقال في هدوء شديد :
ثبت مجموعة من القنابل البلاستيكية الدقيقة في أجزاء متفرقة من جسمي ، سوف تنفجر بمجرد أن ألمس الشحنة الكهربائية الصاعقة فوق الدرج . وهكذا ينتهي بيت الموت . .
ـ لن أدعك تصل للدرج » ,
ـ كل شخص يأتي الى داخل بيت الموت يجب أن ينزل الدرج ، ولا تستطيع أن تمنعه
اقترب من الكمبيوتر وقال بصوت مرتفع
« اني مستعد »
تباعدت المرايا في الجهة المقابلة ، وظهر ممر ضيق مضيء . . ينتهي ببداية الدرج
تحرك ببطء شديد نحو الممر . . قال الكمبيوتر بصوت بدا وكأنه مفعم بالحزن .
ـ هي النهاية لي ولك . وداعا » .
ـ « وداعا . . »
استدار لينظر للكمبيوتر للمرة الأخيرة رفع يده ليلوح بها . فردت عليه الآف من صوره التي تنعكس على كل المرايا وتبدو وكأن لانهاية لها . □

لغة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

الضّوضاء مُذكرٌ ومؤنث

يسر مجلة العربي أن يراجعها كتابها وقرّاؤها فيما يرونه مآخذ على ما ينشر فيها، ومنها مآخذهم اللغوية التي تدل على عنايتهم بتصحيح لغتنا سواء كانت هذه المآخذ صائبة أو غير صائبة

ومن هذه المراجعات رسالة من الدكتور فاضل حسن أحمد (كلية الهندسة / جامعة صلاح الدين / اربيل / العراق) اذ نشرت له المجلة مقالة في العدد (٣٣١) عنوانها « الضوضاء مرض العصر » وبعد اطلاعه عليها منشورة لاحظ أن مصحح المجلة أجرى قلمه على ما يتعلق بكلمة « ضوضاء » ، واعتدها مؤنثة ، وهي في نظره « مذكرة » وقد طلب الدكتور أن تنبه المجلة إلى أن الكلمة مذكرة ، وأن تأنيثها خطأ

ونحن إذ نشكر الدكتور على هذه العناية نشير الى ان كلمة ضوضاء تؤنث وتذكر ، وشاهدنا على تأنيثها قول ابن حلزة في بعض أبيات معلقته يصف اتفاق قوم في ليلة على الرحيل صباحاً ويصف رحيلهم . فيجمع ذلك في بيتين يعدّان آية في بلاغة التصوير الحركي مع الإيجاز،كأنها فِلْمٌ سينمائي سريع شامل ، فيقول :

أجمعوا أمرهم عشاءً ، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ
من منادٍ ، ومن مُجيبٍ ، ومن تَصـ ـهال خيلٍ ، خلال ذاك رُغاءُ

والشاهد قوله أصبحت لهم ضوضاءُ فأنث « ضوضاء »

وفي لسان العرب لابن منظور « الضوضاة والضوضاء : أصوات الناس وجلبتهم » وفيه - نقلا عن ابن سيده - قوله « وعندي أن ضوضاء - هنا - فعلاء ، ضوضيت ضوضاء وضيضاء » وفيه - نقلا عن التهذيب - قوله « الضوضاء صوت الناس ، وهو الضوضاء ويقال : ضَوْضَوْا - بلا همز - وضوضَيت » ، وفي القاموس للفيروزابادي قوله ، « الضّوضى - مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغةٌ في المهموز ، ورجل مُضَوْضٍ مصوِّت »

وقد يكون هذا كافيا ، ولكن لنا عليه تعقيبات نرجو الله أن نكون فيها موفقين ، اذ نلاحظ أن لسان العرب أورد كلمة « ضوضاء » في مادة « ضوا » وأوردها القاموس في مادة « ضوض » كأن جذر الكلمة ثلاثي ثالث حروفه معتل عند اللسان ، وصاد عند القاموس

ورأينا أن جذر الكلمة ثنائي (ضو) تم تكرر ، كما في أمثاله . وسوس ، وسوسة فهو وسْواس والجذر (وس) وهكذا ثرثر ثرثرة فهو ثرْثار ، وقعْقع قعْقعة فهو قعْقاع ، وحشحش حشْحشةً فهو حشْحاس ، وجعجع جعْجعةً فهو جعْجاع ، فوزن ضوضاء هو فعْلاء ، وليس فعْلاء كما نقل عن علامتنا اللغوي ابن سيده ، والهمزة في ضوضاء مقلبة عن حرف علة (الواو) كما في سماء ورجاء وليست للتأنيث ، وإن

عوملت الكلمة معاملة المؤنث كما في سماء لتشابه الهمزتين ، ومع هذا يلاحظ أن شبيهتها « سماء » مع ورودها مؤنثة عدة مرّات في القرآن الكريم - قد وردت مذكرة فيه مرة واحدة « السماء منفطر به كان وعده مفعولا » وقد علّل بعض المفسّرين هنا تذكير لفظ السماء بأن معناها المطر ، وهذا التعليل مع وجاهته لا ضرورة اليه ، لأن الهمزة الممدودة في السماء منقلبة وليست للتأنيث. والعلة الصحيحة أن العرب ذكّروا السماء قليلا ، وأنّثوها كثيرا لأسباب أسطورية

وكما أن الصوصاء على وزن « فعْلال » تكون « صصاء » على وزن « فعْلال » و « صوْصيّت » على وزن « فعْفعْت » و « صوْصى » على وزن « فعْفع » و « مُصوْص » مفوصصا على وزن « مُفعْفِ » و « صوْصوْا » على وزن « فعْفوْا » لسقوط حرف العلة قبل واو الجماعة معاً لالتقائهما ساكنيْن

و « صوْصاء » مذكّر مجازيّ لفظا ولكنه عومل كسماء مؤنثاً مجازياً وهكذا عُومل في شعر « الحارث بن حلزة » كما ذكرنا قبل

ولكن ينبغي أن نلاحظ

أولا أن أسلافنا العرب الفصحاء عدّوا بعض الأشياء مذكرة وبعضها مؤنثة لأسبابهم الأسطورية التي لا نتحققها اليوم ، مع أن هذه الأشياء ليست في الحقيقة مذكرة ولا مؤنثة ، لخلوها من أعضاء الذكورة وأعضاء الأنوثة معا ، ولكنهم أطلقوا عليها من وجهة نظرهم كلمات عدّوها مذكرة أو مؤنثة كما تراءت لهم ، وهي الكلمات التي عدّها علماؤنا مجازية التأنيث (أو التذكير)

ثانيا ان الصوصاء تطلق على صوت مختلط من عدة أصوات ، ولهذا فسرتها بعض المعاجم بأنها صوت (فتذكّر) ، وفسّرتها بعضها بأنها أصوات لاختلاطها (فتؤنث)

ثالثاً « ولننتقل إلى مجال أوسع في أمر التذكير والتأنيث فيما نسميه مؤنثا مجازياً أو مذكرا مجازيا ، أو مؤنثاً أو مذكراً اعتباريا ، فقد نظر أسلافنا إلى الموجودات الخالية من علامات الذكورة وعلامات الأنوثة - كغيرهم من الجماعات البشرية - فاعتبروا بعضها مذكراً وبعضها مؤنثا ، ولا ندري على أي أساس بنوا هذه النظرة الاعتبارية أو الاعتباطية ، ولا شك أن هذه النظرة ناشئة عن ملكة « التشخيص » - « الاستحياء ANEMISM أي اعتبار الأشياء أشخاصاً أو أحياء » وهي ملكة بشرية عامة عند كل الشعوب ، ولها آثارها في كلّ اللغات ومن أظهر مظاهرها الأساطير

وقد أتعب علماؤنا أنفسهم في تقسيم الكلمات إلى مذكرة ومؤنثة اعتبارياً ، وحاولوا حصرها في المفاهيم الخاصة بالمذكر والمؤنث ، كما حاولوا وضع قواعد لها فقالوا مثلاً في أعضاء الانسان : إن كل عضو مفرد كالرأس والبطن والعنق - مذكر ، وكل عضو مزدوج أو متعدد مؤنث كالعين والقدم والرجل والاصبع والضلع ، وإن كانت تخلو من علامات التأنيث فهي مؤنثات معنويات ، لأن العرب نظروا إليها كأنثيات حقيقيات

ورأيي في أمثال هذه الأسما والصفات المعنوية الخالية من علامات التأنيث أن نذكّرها أو نؤنّثها (انظر مجلة العربي العدد ٢٦٨) .

وبهذا نستريح ونريح فلا نكلف أنفسنا عناء حفظ القوائم التي تحوي مئات ومئات من هذا النوع ، وإني أعتمد في ذلك على مرجع هو أشد أصالة من المعاجم جميعا ، وهو كلام العرب الفصحاء ، فلفظ الصوت مثلاً مذكّر ولكن رويشد بن كثير الطائي يقول .

يـا أيهـا الـرّاكـب المـزجـي مـطـيّـتـه
سـائـل بني أسـد مـا هـذه الصـوت ؟

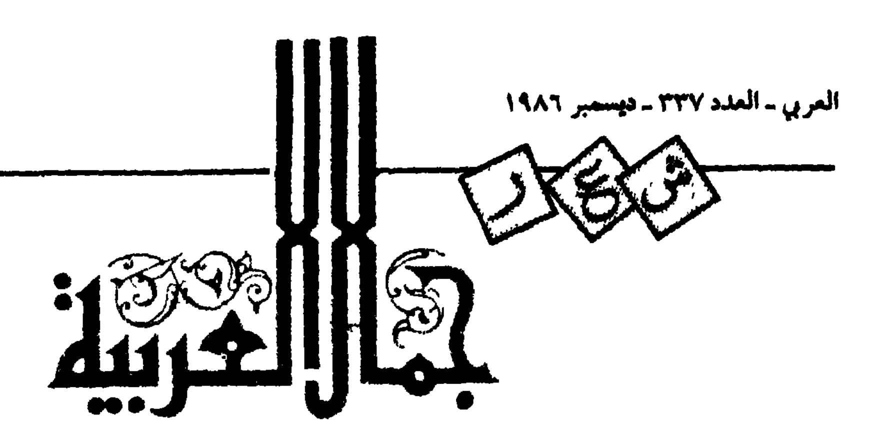
فأنث الصوت باعتباره « صيحة » و « العذر » مذكر ، ولكن حاتماً الطائي يقول في صاحبته ماوية في مطلع إحدى قصائده

أمـاويّ قـد طـال الـتـجـنّـب والهـجـر
وقـد عـذرتـي في طـلابـكـم الـعُـذْرْ

فأنث العذر باعتباره « المعذرة »

وحكى عن عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول : « جاءته كتابي فاحتقرها » قال أبو عمر « أتقول . جاءته كتابي ؟ » قال . « نعم ، أليست صحيفة »

أليس من الأيسر أن نُعدّ هذا النوع مذكراً أو مؤنثاً ما دام يمكن تأويله على هذه الطريقة السهلة ، فنقول مثلاً « الذراع قصير » باعتبار أنه عضو ، ونقول أيضا « العربي » رائح باعتبار اللفظ أو « العربي رائحة » باعتبار أنه مجلة . □



هكذا غنى الآباء

عواقب الهجر

لكثير عزة

تشبيب الرجل بالمرأة - شعراً ونثراً - موضوع قديم قدم الجنسين،ولكن آداب الأمم حفظت من قصائد الشعراء في التشبيب ما لم تحفظه من نثر المتكلمين ، وهذا الشعر في كل أمة - سواء كان صادقاً أو متكلفا - أقوى عون على فهم آدابها الاجتماعية ، وفهم نظرة كل من الجنسين للآخر ، وما يعجب كلاهما من محاسنه خَلْقاً وخُلُقاً ، وقد راج التشبيب في شعرنا العربي في الحجاز خلال القرن الهجري الأول ، وكان رواجه لأسباب لا يعنينا هنا بيانها ، ولكن يعنينا أن نميز بين نوعين منه ، أولهما ما اقتصر فيه الشاعر على التشبيب بامرأة واحدة ، كمجنون ليلى ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وقد اشتهر كل من هؤلاء بالانتساب الى صاحبته أكثر من شهرته بالانتساب الى آبائه وعشيرته ، وجدير بهذا النوع أن نصطلح على تسميته « النسيب » أو « شعر الحب » ، ويغلب فيه حديث الشاعر بعواطفه نحو محبوبته المعينة كأنه متصوف ، وقلما ينزع الى وصف محاسنها الجسدية .

والنوع الثاني ما تعددت فيه النساء اللاتي يشبب بهن الشاعر ، فهو كالنحلة في التنقل من زهرة الى زهرة بلا ألم ولا حرج ، ويبرز في هذا النوع وصف الجوادب الجسدية ، وجدير بهذا النوع أن يسمى « الغزل » لأن صاحبه أشبه بصياد الغزلان ، فهو يغزل أو يفتل ليمسك بما يسنح له منها دون تعيين ، ومن هؤلاء عندنا عمر بن أبي ربيعة ، وعبد الله بن قيس الرقيات ، والأحوص ، وهناك نوع ثالث هو التشبيب التمهيدي أو الافتتاحي الذي يقدمه الشاعر في مطلع قصيدته للتوصل الى موضوع آخر كالمدح أو الوصف أو الهجاء ، بل الرثاء وكل هذه الأنواع الثلاثة تدخل في التشبيب ، أي التنويه بمحاسن امرأة شبَّ الاهتمام بها في نفس الشاعر وكلها تتداخل حتى تبلغ الغموض ، ويعز التمييز بين أمثلتها .

وشاعرنا هنا هوكُثَيِّر بن عبد الرحمن من شعراء الحب وإن اتهم بأنه كانَ دعياً فيه ، وكان قزماً نافر الصورة ، وهذا لا يمنع من أن يكون مخلصاً فيه ، وإن كان غير مقبول عند النساء ، وكان راوية للشاعر « جميل بثينة » ولهما معاً أخبار طوال . وصاحبته هي عزة بنت حميد الضمْري ، وكانت تتابع أخباره وأشعاره فيها ، لأن المرأة تهتم بمن ينوه بمحاسنها وبحبه إياها ، ولو لم تحبه . ولشاعرنا شعر كثير في مدح آل البيت وإن كان قد مدح خصومهم الأمويين أصحاب السلطان يومئذ ، توفي سنة ١٠٥هـ .

خليليَّ ، هذا ربعُ عَزَّةَ فاعقلا ... قَلوصيكما ، ثم ابْكيا حيث حَلّتِ(1)

وما كنتُ أدري قبلَ عزةَ ما الهوى ... ولا مُوجِباتِ الحزن حتى تولّتِ

وكانَتْ بقطع الحَبلِ بيني وبينها ... كناذرةٍ نذراً فأوْفت وحلّتِ(2)

فقلتُ لها : يا عَزّ كلُّ مصيبةٍ ... اذا وُطّنت يوماً لها النفسَ ذَلّتِ

ولم يَلقَ انسان من الحُب مَيْعةً ... تَعُمّ ولا غَمّاءَ إلا تجلّتِ(3)

كأني أنادي صَخرةً حين أعرضت ... من الصُّمّ لو تمشي بها العُصم زَلّتِ(4)

صَفوحاً فما تلقاك الا بخيلةً ... فمن مَلّ منها ذلكَ الوصلَ ملّتِ(5)

أباحَتْ حِمىً لم يرْعَهُ الناسُ قبلَها ... وحَلّتْ تلاعاً لم تكنْ قبلُ حُلّتِ(6)

فليتَ قَلوصي عندَ عَزةَ قُيّدت ... بحبْلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فضلّتِ(7)

وغُودِرَ في الحيِّ المقيمين رحلُها ... وكانَ لها باغٍ سِوايَ فبلّتِ(8)

وكنتُ كذي رِجلَين رجلٍ صَحيحةٍ ... ورجلٍ رَمَى فيها الزمانُ فشَلّتِ

وكنتُ كذاتِ الظَّلع لما تحاملت ... على ظَلْعها بعد العِثار اسْتَقلّتِ(9)

اريدُ الثواءَ عندها ، وأظنُّها ... إذا ما أطلْنا عندها المكثَ مَلّتِ(10)

فما أنصفتْ : أما النساء فبَغَّضت ... إليَّ ، وأمّا بالنوالِ فضَنّتِ

فإن تكنِ العُتبَى فأهلاً ومرحباً ! ... وحَقّت لها العُتبى لدينَا ، وقلّت

وان تكُنِ الأخرى فإنّ وراءَنا ... مَنادِح لو سارت بها العيسُ كَلّتِ(11)

خليليّ إن الحاجبيّةَ طلّحت ... قلوصيكما وناقتي قد أكلّتِ(12)

فوالله ثم الله ، ما حَلَّ قبلَها ... ولا بعدَها مِن خُلّةٍ حيث حَلّتِ

وما مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومها ... وان عظُمت أيامُ أُخرى وجَلّتِ

وأضحتْ بأعلى شاهقٍ من فؤاده ... فلا القلب يسلاها ، ولا العينُ ملّتِ

فيا عجباً للقلب ، كيفَ اعترافُه ... وللنفس لَما وُطّنت ، كيفَ ذلّتِ(13)

وإني وتهيامي بعزة بعدما ... تخلّيتُ مما بيننا وتخلّتِ(14)

لكالمرتجي ظلَّ الغمامةِ كلّما ... تبوّأ منها لَلمقيلِ اضمحلّتِ(15)

---

(1) الربع . الدار ، اعقلا : اربطا ، القلوص الناقة

(2) الحبل . الوصل ، فأوفت وحلت · أدت النذر وتخلصت منه

(3) الميعة : الشدة ، الغماء · الكرب ، تجلت · زالت

(4) أنادي . أحالس ، الصم . الصلبة ، العصم . الوعول ، ازلت . سقطت

(5) صفوح : هاجرة . (6) تلاع · أماكن مرتفعة (7) غر قطع (8) بلت . نجت

(9) الظلع : العرج ، استقلت · اعتدلت

(10) الثواء الاقامة ، المكث : البقاء .

(11) الأخرى · القطيعة ، منادح : أماكن واسعة ، العيس · الإبل ، كلت : تعبت

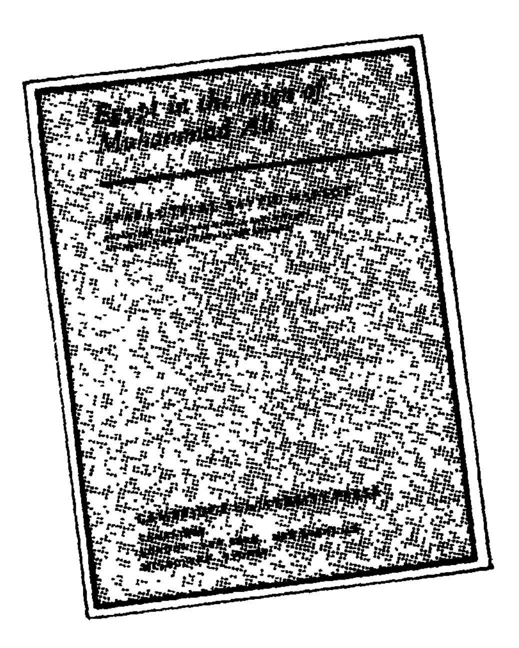
(12) طلحت ، وأكلت · أتعبت

(13) اعترافه : صبره ، وطنت . سكنت .

(14) الهيام : شبه الجنون ، تخلى . ترك

(15) تبوأ · نزل ، المقيل : نوم نصف النهار

مكتبة العربي



مصر في عصر محمد علي

تأليف : عفاف لطفي السيد

(مطبعة جامعة كمبردج ، ١٩٨٤)

عرض وتعليق : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

هناك شبه اجماع على أن محمد علي هو مؤسس مصر الحديثة ، الا أن الحكم عليه ، وعلى الفترة التي حكم فيها مصر (١٨٠٥ - ١٨٤٨) ، قد اختلف فيه اختلافا كبيرا ، باختلاف النظرة التي كانت توجه المؤلفين ، حقيقة أن الكثيرين من الاوروبيين قد كتبوا عن محمد علي ، سواء في حياته أو بعد وفاته ، الا أن جانبا كبيرا مما كتبوه كان يرتبط بنوعية علاقاتهم بسلالته التي حكمت مصر حتى عام ١٩٥٢ . فكيف نظرت المؤلفة لمحمد علي وعصره وماهو الجديد ؟



ان الملك فؤاد الذي - لاشك - كان يدرك أهمية الكتابة التاريخية في تدعيم أركان حكم أسرته ، فقد دعى كثيرا من الكتاب الفرنسيين ، والانجليز ، والايطاليين ، والامريكان وغيرهم ، ممن ركزوا على ايجابيات محمد علي واسماعيل ، وبرروا سلبياتهما ، أما الكتاب المصريون ، فان الكثيرين منهم قد ركبوا موجة ارضاء الحكام من أسرة محمد علي ، حرصا منهم على شغل بعض المناصب القياديه ، أو الحصول على بعض المكافآت المادية

ثم انعكست الآية بعد سقوط النظام الملكي ، بحيث تعرض حكم محمد علي وأسرته لتجريح منتظم ، لم يكن له أحيانا ما يبرره ، على الأخص أن العهد الجديد الذي بدأ باستيلاء الضباط على الحكم في عام ١٩٥٢ قد تبنى وجهات نظر معادية ، تشيد بالانجازات « الثورية » ، وتسلب كل جهاد مصر السابقين أي ميزة ، ولو كانت حقيقية ، مما أدى الى نوع من البلبلة التي عاناها الجيل المخضرم الذي شهد العهدين ، وبدأ يتشكك في الكثير مما كتب ، ان مدحا أو قدحا

وبعد سكون حدة هذه العاصفة ، خرج علينا الدكتورة عفاف لطفي السيد ، المصريه الأصل ، الأستاذة بجامعه كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكيه ، بهذا الكتاب العلمي المتزن الذي سعى الى اعادة تقديم عصر محمد علي ، بالاستناد الى المادة الوثائقية المصرية التي جرى تجاهلها في الماضي ، لحساب الاراء التي كانت تتضمنها المصادر الأجنبيه ، وذلك دون اهمال الوثائق البريطانية ، والفرنسيه ، وغيرها من المصادر الأصلية ، وقد ركزت المؤلفة في الكتاب الذي نعرض له على تحليل تاريخ مصر في عصر محمد علي ، وحاولت البحث عن الأسباب الكامنة وراء الأحداث ، والنتائج التي تمخضت عنها ، كما أنها لم تصطنع التفصيل حين عرضت لادارة البلاد والتعليم والبعثات الخارجيه ، على اعتبار أن مصادر أخرى سبق أن تعرضت لها ، وآثرت ربط عصر محمد علي بالتطورات التي حدثت قبل توليه الحكم ، واهتمت الى حد كبير بالنواحي الاقتصادية والمالية ، وبينت أهميتها بالنسبة الى بعض قراراته

ليس الأول

وقد أشارت المؤلفة في الفصل الأول الى أن محمد علي لم يفرض على مصر نظاما اقتصاديا جديدا تماما ، بل انه أصلح النظام القائم ، ووسع نطاقه ، كما أبرزت أن نظام حكمه كان بمثابة استجابة لمتطلبات هذا النظام الاقتصادي ، وأن تحويل مصر الى دولة حديثة لم يبدأ من فراغ ، بل كانت له سوابق رسمت الطريق الذي يجب السير فيه ، فخلال القرن الثامن عشر كان يحكم البلاد الحلف القائم بين المماليك والتجار الذين كانوا يستقون دخولهم الرئيسية من التجارة الخارجية مع أراضي الدولة العثمانيه ، ومن وضع أيديهم على مساحات واسعه من الأراضي ، في الوقت الذي ازدادت فيه العلاقات الاقتصادية بين مصر وبقيه العالم العثماني وبين أوروبا ، ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ، وتفند المؤلفة ماقيل - وبخاصة من جانب الكتاب الفرنسيين - من أن هذه الحملة قد حولت أوضاع مصر الاقتصادية ، والسياسيه ، والثقافية ، هذا برغم ما أدت اليه من زعزعة قوة المماليك وهيبتهم ، تمهيدا للصراع الدولي على البلاد ، وتدفق الفنيين الفرنسيين عليها

وترصد المؤلفة في هذا الفصل التجديدات التي شهدها عصر محمد علي ، مما بدأ تنفيذه بالفعل في العهود السابقة ، فعلي بك (المعروف بالكبير) كان قد سعى الى اقامة حكومة مركزية ، والى فرض القانون والنظام ، مما أدى الى أمن البلاد ،



كتاب الشهر

واستقرارها الداخلي ، والى التوسع في سوريا والحجاز ، وتكوين جيش من المرتزقة يستعمل الأسلحة النارية كالمدفعية ، كما أن الحملة الفرنسية قد أجرت اصلاحات في حيازة الأرض ، وتنظيم الضرائب ، وضمان جبايتها على أحسن وجه ، الا أن عبقرية محمد على تكمن في تعلمه من أخطاء من سبقوه ، وتنسيقه لأهدافهم ، فيما تطور الى برنامج مترابط ، قطع تنفيذه شوطا طيبا في تغيير القاعدة الاجتماعية - والاقتصادية للمجتمع المحلي - فهو في رأي المؤلفة مجدد ، ومقلد في نفس الوقت ، بحيث اعتبرته « آخر المماليك » ، وسجلت أنه مهد الطريق للتغييرات التي تمت فيما بعد ، حين قضى على النظام المملوكي ، واتجه الى التصنيع ، وتوسع في مشروعات الري ، وضاعف انتاج محصولات التصدير ، ومصّر الجهاز الحكومي ، وتخلص من ذلك كله الى أنه وضع أساس الدولة القومية في مصر .

وفي الفصل الثاني (وعنوانه محمد على الرجل) ناقشت المؤلفة نشأة محمد علي في مدينة قولة ، الواقعة في اقليم مقدونيا (في اليونان الحالية) ، ومحصت تاريخ ميلاده ، ورجحت أنه ولد في عام ١٧٧٠ ، وأنه من أصل ألباني ، ونفت ما ادعاه من أنه نشأ يتيما ، ثم تذكر أنه عمل مع والده في تجارة الدخان منذ بلوغه سن العاشرة ، وأنه حل محله في قيادة القوات العثمانية غير النظامية الموجودة في قولة ، وتعرض لزوجته أمينة وأولاده وبناته ، وتشير الى ميله المبكر الى الاجانب من يونانيين وأرمن وفرنسيين مخالفا بذلك العثمانيين الذين كانوا أميل الى قصر علاقاتهم على بني جنسهم ، وتخلص من ذلك الى استعراض أهم صفاته ، فهو رجل عملي ، يفيد من أية كفاءة متاحة ، كما أنه لايبدي أي تعصب عرقي أو ديني ، هذا بالاضافة الى عبقريته ومكره وقوة عزيمته ، ومتابعته لأهدافه أيا كانت الظروف ، وثقته الشديدة بنفسه ، وايمانه بكفاءته ، وطموحه الى العظمة ، وهدوئه حين يخطط لتحقيق أهدافه ، وعدم لجوئه الى العقوبات الا بعد استهلاكه لجميع الوسائل الاخرى ، لهذا كله كان نظامه موضعا لحب الصفوة ، ومقبولا من جانب الجماهير على الأخص لانه كان يهتم باستطلاع اتجاهات الرأي العام .

وفي الفصل الثالث (وعنوانه بلد بلا سيد) تستعرض المؤلفة الأحداث العاصفة التي شهدتها مصر مابين عامي ١٨٠١ و ١٨٠٥ ، وتلقي الأضواء على إفادة محمد علي من الظروف ، الى أن استطاعت الثورة الشعبية ضد مفاسد الحكم العثماني أن توصله الى حكم البلاد .

سيد في بيته

وفي الفصل الرابع (وعنوانه سيد في بيته) أشارت الى الوسائل التي تخلص بها من جميع خصومه ، ثم الى سعيه الى السيطرة على موارد مصر المالية المستمدة من الأرض في المحل الأول ، ومن ثم تحالفه مع التجار في مواجهة الزعماء الدينيين ، والملتزمين ، الى أن قضى على أهم معارضيه ، وعلى الحلف القديم القائم بين المماليك والزعماء الدينيين والتجار ، ثم استندت سلطته الى حلف جديد يضم الضباط ، والبيروقراطيين ، ومجموعة منتقاة من التجار ، بالاضافة الى بعض المشايخ الدينيين .

وفي الفصل الخامس (وعنوانه : الأسرة والأصدقاء والأقارب) تعرض المؤلفة لما اتصف به محمد علي من هدوء وبطء في التخطيط وحرص على الاستنارة بآراء مستشاريه ، وايمانه بالتخصص ، مع الاستعانة بالفنيين الأوروبيين ، والانفتاح على الغرب - وكل ذلك بالرغم من أن ادارة البلاد الفعلية كانت في أيدي أسرته ، وأعوانه الذين كان عدد كبير منهم من قولة ومن العثمانيين الأخرين - أما المؤسسة العسكرية فقد وقعت في أيدي المماليك (الذين كان بعضهم أبناء للمماليك القدامى الذين جرى التخلص منهم في عام ١٨١١ ، في مذبحة القلعة ، وبعضهم الآخر كان يشترى من أسواق الرقيق الأبيض)وبالاضافة الى ذلك فقد استعان محمد علي

بكبار رجال الدين ، والاداريين من الأقباط ، وبكبار التجار القدامى الذين واصلوا نشاطاتهم السابقة ، فضلا عن تجار الشام ، وما أن تمكن من السيطرة على البلاد بيد من حديد ، حتى اتجه الى مجموعة ثالثة من التجار ، والفنيين الأوروبيين الذين كانوا على صلة بالأسواق الغربية ، وكانت صلاتهم وخبراتهم تتيح لهم توجيه الانتاج المحلي الى المجالات العالمية ، وتؤكد المؤلفة أن محمد علي كان يهدف من كل نشاطاته الى تحقيق الاستقلال

وأما عن علاقته بأبنائه فانه اتجه الى اشراكهم في الادارة منذ شبابهم المبكر ، وكان يبدي لهم عواطفه نحوهم ، مع تأنيبهم اذا مادعت الظروف ، دون أن يصطنع القسوة في معاقبتهم ، كما كان حريصا على أن يتلقوا أكبر قسط من التعليم ، وأن يلتزموا بالسلوك السوي ، ورغم أن الاتجاه الى تعليم الفتاة لم يكن قد تبلور بعد في المجتمعات الاسلامية ، فانه اتجه الى تعليم بناته .

وتنفي المؤلفة مايقال من أن محمد علي قد استرشد بنمط اصلاحي واحد ، بل تؤكد أنه كان رجلا عمليا ، يتصدى للمشاكل التي تواجهه بوحي الساعة لاحسب خطة موضوعة سلفا ، ومن ذلك أنه وجد نفسه ينساق في مجال النشاط الاقتصادي ، وراء الاتجاه (المركنتيلي) الذي كانت أوروبا في سبيلها الى تخطيه ، نتيجة للثورة الصناعية ، وهكذا نجد أن حكومة محمد علي تتجه منذ عام ١٨٠٧ الى تصدير السلع الزراعية ، الأمر الذي أغراه بالسيطرة على الموارد الزراعية اللازمة للتصدير،وارغام الفلاحين على زراعة محاصيل لازمة للتصدير لا للاستهلاك المحلي ، وقد أدى نجاح سياسة التصدير الى أوروبا التي شغلت خلال الفترة الأولى من حكم محمد علي بالحروب (النابليونية) ، الى التوسع في التجارة ، والحصول على مزيد من السلع اللازمة التصدير ، وهذا بدوره أدى الى اجراء تعديل على حيازة الأراضي وتقدير الضرائب ، وتحصيلها ، ثم استثمار الأموال المتحصلة من التجارة والسلع الزراعية في تطوير أساليب الري ، مما أدى إلى زيادة مساحة الأراضي ، وادخال مشروعات الري الدائم في بعض أجزاء البلاد ، مما ساعد على ادخال محصولات جديدة ، كما تم استثمار الأموال التي أمكن تحصيلها من التجارة الخارجية في الصناعة التي بدأت بالصناعات الحربية ، ثم تطرقت الى السلع المصنعة ، وقد وفرت الصناعة بديلا للاستيراد وساعدت على تطوير سلع جديدة ، كانت تعتمد على المواد الخام المحلية لكي يمكن بيعها في الداخل والخارج ، بهدف تحقيق ميزان تجاري مناسب ، ونادرا ما كانت الحكومة تصدر أكثر مما تستورد لأن الآلات اللازمة للصناعة كانت تقتضي زيادة الاستيراد .

وتختم على محمد علي بعد كل هذه النشاطات أن يعمد الى التوسع العسكري ، بهدف توفير أسواق للصناعات التي أقامها ، وضمان مصادر للمواد الخام التي لم تكن توجد في مصر ، وحتى لا تحد التبعية للدولة العثمانية من نشاطه ، وتعرقل مشروعاته ، فانه وضع نصب عينيه تحقيق استقلال مصر

العقل التجريبي

في الفصل السادس (وعنوانه السياسات الداخلية) تتعرض المؤلفة للادارة المركزية ، مبينة أن قرارات محمد علي لم تتعد كونها رد فعل للظروف ، ولو أنها أدت الى اقامة دولة حديثة ، سيطرت على التجارة ، وطورت الزراعة ، وأنشأت الصناعات الحديثة ، ثم توسعت خارج حدود مصر ، وتشير الى تنظيمه للادارة واختياره للكفاءات لتولي مناصبها ، وايجاد الهيئات والمجالس الاستشارية ، برغم بقاء كل السلطة في يده ، كما تشير الى زحف اللغة العربية بالتدريج على الادارة ، وبدء حلولها محل اللغة التركية ، وذلك برغم بقاء الادارة العليا في أيدي الاتراك والشراكسة والالبانيين الذين كانوا يحتقرون المصريين ، ويعتبرونهم جنسا أدنى من الفلاحين الذين تقتصر مهمتهم على العمل تحقيقا لمصلحة سادتهم الحكام،خصوصا أن محمد علي ورجال جهازه البيروقراطي من الاجانب الذين كانوا يعتبرون مصر ملكا خاصا لهم ، وليس معنى هذا أن محمد علي كان متحيزاضد المصريين ، بل انه كان حريصا على حسن معاملتهم ، والاستماع الى شكاواهم ، والاستجابة للمعقول منها ، كما أنه شجع المخلصين والناهين منهم ، ونتيجة لجهود محمد علي توطد الامن العام ، وازدادت أعداد المصريين برغم الأوبئة والحروب ، بحيث بلغ تعداد السكان عام ١٨٤٠

كتاب الشهر

أكثر من أربعة ملايين نسمة ، وان ظلت مصر تشكو من نقص الأيدي العاملة اللازمة لتنفيذ مشروعات الوالي .

وحين تعرض المؤلفة لتشكيل الجيش الحديث ، تنفي الفرية التي ألصقت بالمصريين من حيث عدم صلاحيتهم للجندية، مستشهدة بما قاله ابراهيم باشا لوالده من أن الفلاحين المصريين أشجع من الأتراك ، كما تلقي الأضواء على الثورات التي قام بها الفلاحون وبخاصة في إسنا والشرقية والمنوفية ، كرد فعل للارهاق الذي عانوه من التشدد في فرض الضرائب وتحصيلها ، ومن كثرة الحروب في شبه الجزيرة العربية ، والسودان ، وبلاد اليونان ، والشام

وفي الفصل السابع (وعنوانه التغييرات الزراعية) تتناول المؤلفة سياسة محمد علي الزراعية ، فلقد أدرك منذ بداية حكمه أن الأرض هي مصدر ثروة مصر ، ولهذا أشرف على الأوقاف التي كانت تشغل حوالي خمس الأراضي ، والغى نظام الالتزام ، ووحد كل الضرائب السابقة في ضريبة واحدة هي الخراج ، وحين أعاد توزيع الأراضي استولى على مساحات واسعة منها ، ووزع مساحات أخرى على أسرته وحاشيته ، وبذلك وضع أساس الملكيات الزراعية الواسعة التي أطلق عليها اسم « الاقطاع » في الكتابات المصرية المعاصرة

في الصناعة والتجارة

وفي الفصل الثامن (وعنوانه التجارة والصناعة) تتناول المؤلفة نشاطات محمد علي التجارية والصناعية ، فلقد كان مدركا لطبيعة الأوضاع التجارية في شرق البحر المتوسط ، ومن ثم سعى الى الى الاتجار بمنتجات مصر ، وركز السلطة في يديه ،

ثم اتجه الى التصنيع، وقد ارتبطت مشروعاته الصناعية الأولى بالحرب، فبني أسطولا حربيا أردفه بأسطول تجاري ، أملا في الحصول على نصيب الأسد من تجارة شرق البحر المتوسط ، ثم تحول الى صناعة الذخائر والبارود والأسلحة ، ولم يمض وقت طويل حتى توفرت له مجموعة كبيرة متكاملة من الصناعات الحديدية المتصلة بالجيش مثل ترسانات السفن وأحواضها الى المستشفيات والمصانع والمدارس ، وكل ذلك برغم عدم توفر الفحم والحديد ، وقد أدت الحاجة الى الأسلحة ، والآلات المستوردة ، الى تطورات جديدة ، منها التوسع في التجارة والاستيراد ، وصناعة الغزل والنسيج ، والاستعانة بالأوروبيين والمشارقة ، وارسال البعثات. ثم اتسع نطاق الصناعة ، وبخاصة صناعة الغزل والنسيج ، وأدخلت الآلات البخارية اللازمة لنسيج القطن وغيره من الصناعات ، وحدث كل ذلك في الوقت الذي اشتد فيه ساعد الثورة الصناعية في بريطانيا ، الأمر الذي أدى الى البحث عن أسواق للمنسوجات البريطانية التي كانت حينئذ تشكل نصف صادرات بريطانيا ، في الوقت الذي شكل فيه القطن الخام خمس وارداتها وقد أدى احتكار محمد علي للتجارة الى شكوى التجار الأجانب الذين حرموا من المكاسب التي كانوا يجنوها في السابق ، وهذا برغم أن بريطانيا وفرنسا كانتا تحميان صناعاتهما بفرض الرسوم الجمركية

أهداف التوسع

وفي الفصل التاسع (وعنوانه أهداف التوسع) تشير المؤلفة الى أنه بامكان مصر أن تتحول الى سوق محتمل ، فيما لو جرى توزيع ثروة البلاد بصورة أكثر عدالة ، بحيث يتوفر للسكان سوق لتوزيع منتجاتهم ، وهو ما نادى به بعض الاقتصاديين السياسيين في ذلك الوقت ، الا أن النخبة السياسية لم تبد استعدادا للموافقة على هذا الخيار الذي من شأنه أن يقلل من ثروات أفرادها ، لهذا أصبح الخيار الوحيد المتاح هو السير في طريق التوسع الامبريالي ، المتمشي مع الفكر المركنتيلي ، وهكذا رأى محمد علي أن التوسع العسكري ، والنهج الامبريالي أمران لازمان لنشاطه الاقتصادي الذي ربط به تحقيق الاستقلال ، ولو أن هذا الخيار قد أدى إلى دماره ، لأنه عرضة للاصطدام

بالخطط الامبريالية البريطانية التي لم تكن قد وصلت بعد الى حد التوسع الاقليمي بل كانت لاتزال تركز على التوسع التجاري.

وفي الفصل العاشر (وعنوانه الدمار) تعرض المؤلفة لسياسة (لورد بالمرستون) وزير الخارجية البريطانية الذي كان شديد التنبه الى أهمية الاقتصاد بالنسبة الى الدول ، ومن ثم مناصبته لمحمد علي العداء، وذلك لاعتقاده أن نشاطات حاكم مصر تضر بالمصالح البريطانية ، لهذا عقد مع الدولة العثمانية في عام ١٨٣٨ معاهدة (بالطة ليمان) التي كانت بنودها تسري على أملاك الدولة بما فيها مصر ، ولقد نصت هذه الاتفاقية على حرية التجارة ، والغاء الضرائب الداخلية المفروضة على السلع التي يستوردها الأجانب ، وبالتالي فانها وجهت ضربة قاصية الى احتكارات محمد علي في الوقت الذي شكلت فيه كارثة بالنسبة الى الامبراطورية العثمانية ، لأنها ضيقت نطاق حق الحكومة في فرض الضرائب ، وحين بدأ تطبيق المعاهدة على مصر بعد عام ١٨٤١ ، حصل التجار على حرية الحركة في الاسواق المحلية التي مانئتوا أن سيطروا عليها ، وبالتالي تحولت مصر بمرور الزمن إلى مساهم فقير في السوق العالمية الأوربية وأصبحت مرتبطة بتقلبات الاقتصاد الأوروبي

الفشل والعوامل الخارجية

وفي الخاتمة تناقش المؤلفة ماقيل عن حتمية فشل الصناعة المصريه ، مشيرة الى أن الخبرة أمر مكتسب ، والى أن اليابان قد تقدمت في المجال الصناعي برغم عدم وجود المواد الخام فيها ، بعكس مصر ، كما تؤكد أن فشل الصناعة المصرية ارتبط بعوامل خارجية لاداخلية

وهي ترد على انتقادات الاوروبيين لمحمد علي بسبب اقامته جيشا كبيرا ، مشيرة الى أن الجيش كان حافزا للحراك الاجتماعي ، مما ساعد على تمصير البلاد اذ لولاه لظلت مصر باستمرار تحت رحمة المرتزقة والقوات الأجنبية ، ولما تسنى ارسال البعثات الدراسية ، أو انشاء المدارس التقنية اللازمة لتدريب الرجال الذين كانت تحتاجهم شتى فروع القوات المسلحة ، بالاضافة الى الأطباء والفنيين ، وبفضل الجيش تحول الفلاحون الى مواطنين يرتبطون ببلادهم ، كما وفرت الانتصارات التي أحرزها الجيش على القوات العثمانية مجالا للفخر والاعتزاز بالانتساب الى البلاد ، كما ساعدت على المضي قدما في خطة التمصير ، بالاضافة الى ذلك فقد أدت رغبة محمد علي في الاستقلال عن الدولة العثمانية الى بناء دولته هو ، وانشاء الجهاز اللازم لادارتها ، مما ادى إلى نمو الوعي الوطني ، واشتداد ساعد الحركة الوطنية ، وبخاصة في عام ١٨٨٢ الذي شهد الثورة المصرية ضد التدخل الأجنبي والاستبداد الخديوي

البحث عن الجديد

وملحوظتنا على هذا الكتاب تتركز على صعوبة التطرق الى موضوع سبقت دراسته بوجه عام ، في حين تفرغ بعض الكتاب المصريين ، والأجانب لدراسة ناحية أو أخرى من النشاطات التي شهدتها مصر في عصر محمد علي ، فحكم محمد علي الطويل تناوله كثير من الكتاب في الشرق والغرب ، ولاحساس الدكتورة عفاف لطفي السيد بأن مهمتها ليست بالسهلة ، فانها طفقت تبحث في الوثائق عن كل ماهو جديد ، لكي تؤكد حقيقة أو تنفي أخرى ، ولهذا نجدها تفصل في بعض المواضع ، وتجمل في بعضها الاخر ، بحيث ان كتابها يفتقر الى التناسق والوحدة الموضوعية المترابطة .

الا أن أهم مايضيفه الى تاريخ عصر محمد علي هو اهتمامها بالنواحي الاقتصادية التي جعلت منها محورا لدراستها ، وتفسيرها الجديد لأثر هذه الناحية في عداء (لورد بالمرستون) لمحمد علي برغم التقارير التي وصلته عن استقرار حكمه ، وسيادة الأمن في أملاكه ، وحسن معاملته للرعايا والتجار الانجليز ، ومزايا الاصلاحات التي قام بها ، وهي تساعدنا على فهم أن عداء (بالمرستون) لمحمد علي لم يكن راجعا في المحل الأول الى تهديده للمواصلات الامبراطورية البريطانية ، ولبقاء الامبراطورية العثمانية الذي اعتبره بالمرستون ضمانا لعدم تهديد روسيا للمصالح البريطانية في الهند ، وسائر الشرق الأوسط ، بل انها تركز الأضواء على أن نشاطات محمد علي كانت تهدد التوسع الاقتصادي البريطاني في الشرق الأوسط ، في الوقت الذي اشتد فيه ساعد الثورة الصناعية التي أحرزت فيها بريطانيا قصب السبق . □

من المكتبة العربية



الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي الصهيوني

تأليف : توفيق أبوبكر / عرض : ماجد الشيخ

من نافلة القول أن الاستعمار البريطاني هو الذي وضع اللبنة الاولى في المستوطنة اليهودية الكبرى المسماة « اسرائيل » .

لكن ما هو غير معروف هو خلفيات العلاقة الوثيقة التي تربط الكيان الصهيوني بالولايات المتحدة . وان كان من المعروف أن اسرائيل هي حجر الزاوية في الاستراتيجية الامريكية في منطقة الشرق الاوسط ، فان الخفي هو بدايات وخصوصيات تلك العلاقة التي استمرت بقوة متزايدة عبر عهود كل الرؤساء الامريكيين من ويلسون الى ريغان كما يقول الكتاب الذي بين أيدينا .

إن « اسرائيل » هي الوليد الشرعي للنزعة الاستعمارية لدول الغرب الأوروبي والولايات المتحدة فيما بعد ، وتلك حقيقة لاجدال فيها بالنسبة لنا ، فمنذ إنشاء أول مستوطنة صهيونية في عام ١٨٨٢ في فلسطين ، وحتى الاعلان عن إنشاء الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ ، وحقائق الارتباط العضوي واعتماد « إسرائيل » على أمريكا والغرب ، واعتماد الغرب وامريكا بالمقابل على هذا الكيان

العسكري المدجج بالأسلحة وما تعتبره الولايات المتحدة ـ وما اعتبرته اوروبا قبلها ـ مصالحها الحيوية والاستراتيجية ، حقائق دامغة لايمكن القفز عنها ، ونحن بصدد الحديث عن « اسرائيل » ذلك الكيان الاستيطاني الاستعماری المزروع في قلب الوطن العربي .

الدولة البارجة

العلاقة الامريكية الصهيونية في هذا السياق علاقة دولة كبرى بقاعدة إقليمية رئيسية أو ببارجة حربية متقدمة في الدفاع عن مصالح هذه الدولة الكبرى ، فهي في تحالفها الوثيق مع الكيان الصهيوني في بلادنا أكدت وجود علاقة بالغة الخصوصية بينهما ، ومازالت تؤكدها شراكتهما التاريخية في اقتسام غنائم الحراسة من خلال دور الدولة الصهيونية كبديل أوبائب عن وجود القوات الامريكية المباشر في بلادنا،وهو الأمر الذي جعل كيان العدو الصهيوني في فلسطين وكيان العنصريين البيض في جنوب افريقيا في مقدمة الأدوات المباشرة التي تعتمدها أمريكا كقوى امبريالية إقليمية ، سواء كان في الوطن العربي أو في افريقيا ، لتمثيل ماتزعمه الولايات المتحدة وحلفاؤها الأطلسيون في الحفاظ على « مصالحهم الاستراتيجية » التي يقصدون بها أسواقهم ودولهم التابعة

من هنا يمكن الولوج لفهم حقيقة العلاقة الاستعمارية التي دشنها عهد الاستعمار الأوروبي، وتابعها ـ فيما بعد ـ الاستعمار الامريكي ، تلك العلاقة التي تربط بين دولة كبرى كالولايات المتحدة وكيانات استعمارية استيطانية كالكيان الصهيوني وجنوب افريقيا . وللبحث في هذه البدهية يأتي كتاب توفيق أبوبكر « الولايات المتحدة الامريكية والصراع العربي ـ الصهيوني » كدراسة توثيقية تستهدف ـ كما يقول الكاتب ـ مواكبة المسيرة الامريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني منذ مطلع هذا القرن وحتى توقيع اتفاقات كامب ديفيد التي تمت باشراف امريكي ، للتعرف من خلال المصادر الامريكية ذاتها ، ومن خلال الحقائق المنشورة التي لم تعد محل اجتهادات ونقاشات نظرية ، على حقائق الموقف الامريكي ومكونات هذا الموقف وأسبابه .

وتعود حقيقة الموقف الامريكي من الحركة الصهيونية إلى بداية هذا القرن ، حين وافق الرئيس ويلسون على وعد بلفور ، وعلى تغيير تعبير « العرق اليهودي »ـ الذي ورد في مسودة الوعد ـ إلى تعبير « الشعب اليهودي » وهذا تغيير كبير بالطبع ، لكونه اعترافاً باليهود كشعب وليس كجماعة دينية ، وفي عام ١٩٢٢ عقد اجتماع مشترك لمجلس النواب والشيوخ للمصادقة على وعد بلفور الذي ووفق عليه رغم اعتراضات بعض النواب والشيوخ عليه ، في حين بدأت في أوائل الأربعينيات عملية تشكيل منظمات مؤازرة للنشاط الصهيوني ، إذ تشكلت لجنة فلسطين الامريكية التي ضمت ٦٨ عضوا من مجلس الشيوخ ، وعددا كبيرا من أعضاء مجلس النواب (٢٠٠)،و ١٢ من حكام الولايات ، ودعت اللجنة لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، كما أن روزفلت نفسه ـ وعلى أبواب ترشيحه لفترة ولاية رئاسية ثانية ـ وعد الحركة الصهيونية بتحقيق أحلامها في إقامة « الكومنولث اليهودي » إذا أعيد انتخابه ، ومن أجل خداع العرب كما جرت العادة،صدرت الأوامر للممثلين الدبلوماسيين الامريكيين في الوطن العربي بضرورة اطلاع الحكام العرب على أن ماورد في بيان الرئيس هو تعبير « الوطن القومي » وليس تعبير « الكومنولث اليهودي » ، وأن الحكومة الامريكية لن تجرى أي تغيير في الوضع في فلسطين ، دون التشاور الكامل مع العرب واليهود !! إلا أن ذلك لم يغير من الحقيقة شيئا .

كلب الحراسة :

وحين فاز ترومان في انتخابات الرئاسة الامريكية ، بدأ عهدا مكشوفا من التأييد للصهيونية على أساس من مبدئه الاستعماری ، وقد ذهب بعيدا في حملته المؤيدة للصهيونية ، وذلك عبر بيانه الذي حدد فيه خدمات حكومته من أجل الصهاينة ، وتحدث فيه عن ضغوطه على بريطانيا من أجل تهجير مائة ألف يهودي إلى فلسطين .

ولم يتوان ترومان عن الاعتراف « باسرائيل » بعد الاعلان عن قيام كيانها بخمس دقائق ـ كما يقول ابا ايبان وزير خارجية العدو الأسبق ـ وليس بعد إحدى عشرة دقيقة كما تقول روايات أخرى ، وقد نفى ترومان أن يكون لاعترافه « باسرائيل » علاقة

مكتبة العربي

مختارات



الكتاب / (خمسة أصوات) ـ رواية
المؤلف / غائب طعمة فرمان
الناشر / دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات / ٣٠٢ من القطع الكبير

الطبعة الجديدة للرواية الشهيرة للروائي العراقي غائب طعمة فرمان الذي قدم لنا قبل هذه الرواية رواية (النخلة والجيران) ، وقدم لنا بعدها عددا من أهم الروايات العربية .

و (خمسة أصوات) هي قصة خمسة رجال ، لكل منهم شخصيته ، وطموحه ، وهمومه ، وعالمه الخاص ، لكن هذه الهموم ، والطموحات ، والعوالم الخاصة ، تتداخل ، وتتقاطع ، كاشفة بذلك الاضطراب الاجتماعي الذي كان يمور به المجتمع العراقي ، في مرحلة ما قبل ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ، يقدم لنا هذا الكتاب واحد من أساتذة الكتابة الروائية في الوطن العربي .



الكتاب / (حرب فلسطين ١٩٤٨) ـ رؤية مصرية
المؤلف / اللواء الدكتور ابراهيم شكيب
الناشر / دار الزهراء للاعلام العربي ـ القاهرة
عدد الصفحات / ٥٣٠ من القطع الكبير

هذا الكتاب واحد من الكتب الموثقة بشكل جيد ، المكتوبة بأسلوب يغلب عليه الطابع العلمي الموضوعي ، بدل العاطفة التي تتغلغل في ثنايا كثير من الكتب العربية حول حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

وإن ركز الكتاب على الجبهة المصرية ، خلال هذه الحرب التي اشتركت فيها ست دول عربية ، فإنه لم يغفل أهمية الجبهات الأخرى ، وما دار فيها ، وأثر ذلك كله على مجرى الحرب

وقد أعان المؤلف على إنجاز هذا العمل الكبير خدمته كعسكري ، الى جانب كونه أستاذا في التاريخ ، وقد استفاد من عدد كبير من المراجع العربية ، والانجليزية ، بما فيها المراجع الاسرائيلية ، التي تلقي ضوءا على هذه الوقائع غير المعروفة جيدا في تاريخنا الحديث .



الكتاب / (تطور المكتبات الجامعية بالجزائر)
المؤلفة / بهجة بومعرافي
الناشر / مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات ـ تونس
عدد الصفحات / ٨٠ صفحة من القطع المتوسط

تحاول رئيسة قسم المكتبات والمعلومات في جامعة قسنطينة الجزائرية اعطاء فكرة مفصلة عن تطور المؤسسة الجامعية في الجزائر ، والمكتبات جزء منها ، وقد استندت في تحليلها لهذه الظاهرة العلمية على الكثير من المصادر والمراجع الأجنبية ، لأنه لم يكتب شيء في هذا الموضوع باللغة العربية الى الآن ، وتخص الباحثة فصلا كاملا للتأكيد على أن انصراف الجزائر المستقلة الى مهمات البناء الاقتصادي والاجتماعي قد شغلها مرحليا عن العناية

بالمكتبات ، الا أن إرساء شبكة مكتبات متطورة وعلمية صار اليوم أحد الشواغل الكبيرة ، وبهت الكاتبة في هذا الصدد الى ضرورة الاهتمام بإعداد الاختصاصيين ، ودعم حركة التعارف بين المكتبات ، وإنشاء اللجان الوطنية ، ووضع سياسات لتزويد المكتبات بالمطبوعات على نحو منتظم .

الكتاب : (حقول النفط في غرب الكويت)
المؤلف : محمود العدساني
الناشر : مطبعة حكومة الكويت
عدد الصفحات . ٦٩ من القطع الكبير

يقول المؤلف في المقدمة التي صدر بها كتابه انه وضع هذا الكتاب استكمالا لدراسة متعددة الأجزاء ، سبق أن وضعها هو نفسه حول الحقول النفطية المهمة في الكويت .

ويرى المؤلف أن الكويت يمكن تقسيمها ـ نفطيا ـ الى أربعة أقاليم ، ذكر في الدراستين السابقتين كل ما يتعلق بالاقليمين الجنوبي والشمالي . وفي هذا الكتاب يذكر كل ما يتعلق بحقول النفط في غربي الكويت

ويجمع الكتاب بين المعلومة التاريخية حول تاريخ المسوح الجغرافية ، وبين المعلومات الجغرافية الخاصة بتكوين الأرض ، وطبيعتها ، وتربتها ، الى جانب الدراسة الاحصائية التي دعمت بالجداول ، والرسوم البيانية ، والايضاحية الأخرى .



الكتاب : (اقتصاديات تنمية الطاقة في المملكة العربية السعودية)
المؤلف : د . فاروق صالح الخطيب
الناشر : مركز النشر العلمي جامعة الملك عبدالعزيز ـ الرياض
عدد الصفحات : ٢٠٤ من القطع الكبير .

ينطلق د . الخطيب في كتابه هذا من حقيقة ازدياد الاقبال على استهلاك الطاقة في الدول النامية ، لأسباب تتعلق بالتقدم الذي وصلت إليه ، وبارتفاع مستوى الدخل فيها ، مما جعل استهلاك الطاقة يرتبط ـ بشكل أو بآخر ـ بالتخطيط الاقتصادي العام لتلك الدول .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى التفصيل عن الطاقة في المملكة العربية السعودية ، فيتتبع جهود تنمية الطاقة الكهربائية فيها ، وعلاقة ذلك كله بالمستويات المعيشية والثقافية في المملكة .



الكتاب : (العرب في أمريكا)
المؤلفان . سمير ابراهيم ، ونبيل ابراهيم
ترجمة : سنية الجلالي
الناشر : مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة
عدد الصفحات : ٣٣٠ من القطع الكبير .

يضم هذا الكتاب عددا كبيرا من الدراسات حول الجاليات العربية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدايات هجراتهم ، وأسبابها ، والمناطق التي سكنوها ، والمشاكل التي واجهتهم في بدايات هجراتهم ، والمشاكل التي ما زالوا يواجهونها ، أو التي استجدت عليهم أثناء وجودهم في تلك البلاد .

وقد قام اثنان من المغتربين العرب هما سمير ابراهيم ونبيل ابراهيم بتأليف الكتاب ، وتزويده بالمصنفات ، والجداول الضرورية ، ليجعلا منه مرجعا مهما ، لازما لكل من يرغب في الاطلاع على أوضاع الجالية العربية هناك ، حيث يشمل الكتاب بدراساته المتعددة المعلومات الأساسية حول العرب في أمريكا .

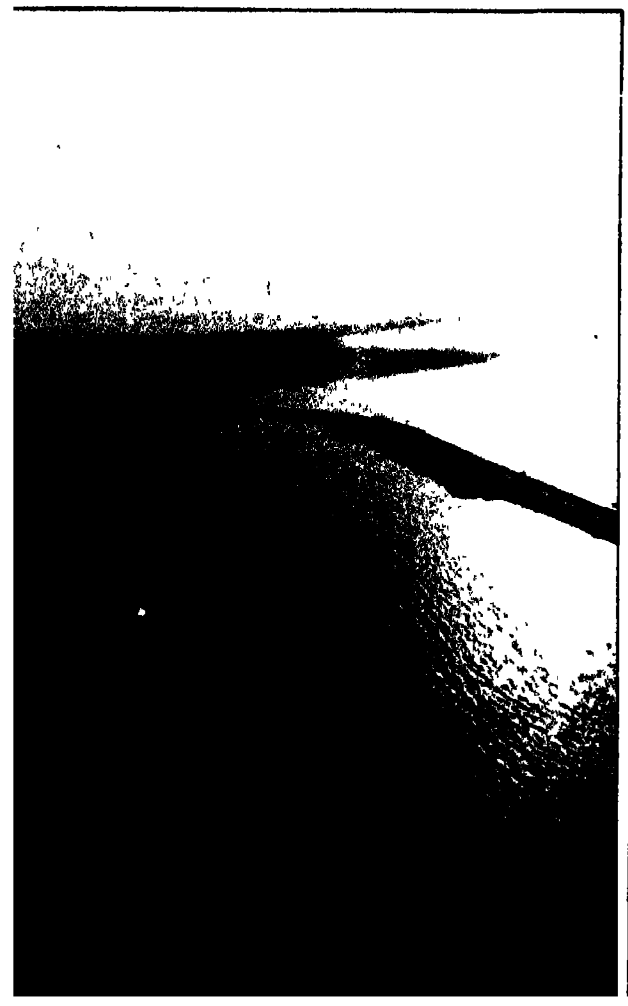
البحرين

جسر بين أصالة الأمس وإشراقة الغد

استطلاع: ريم الكيلاني

تصوير: صلاح ادم

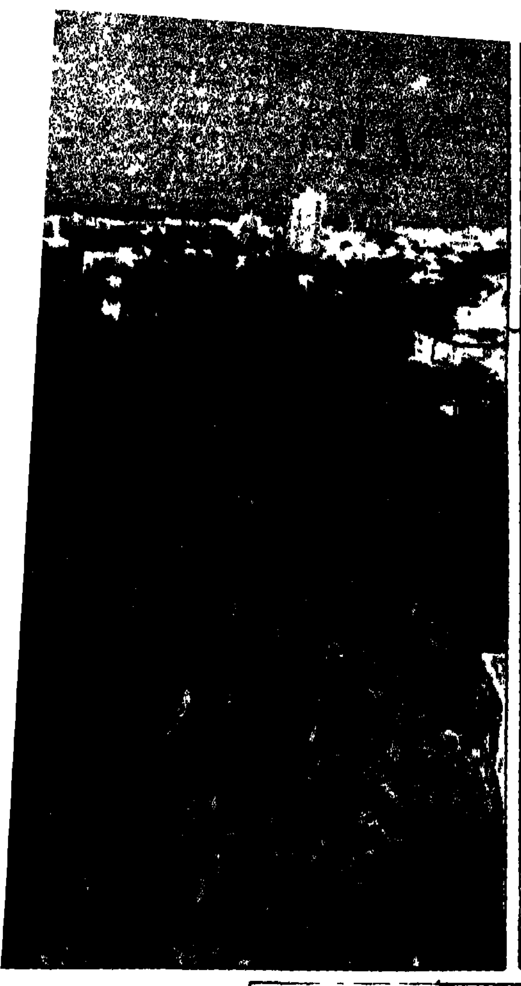




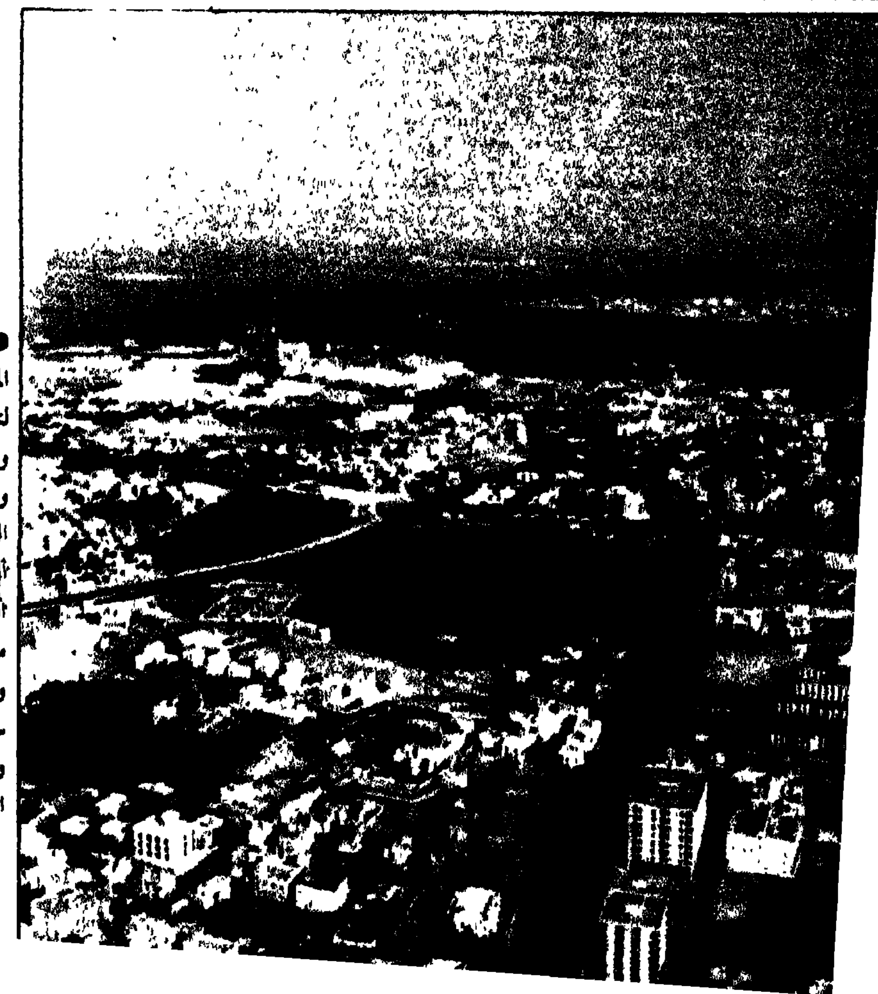




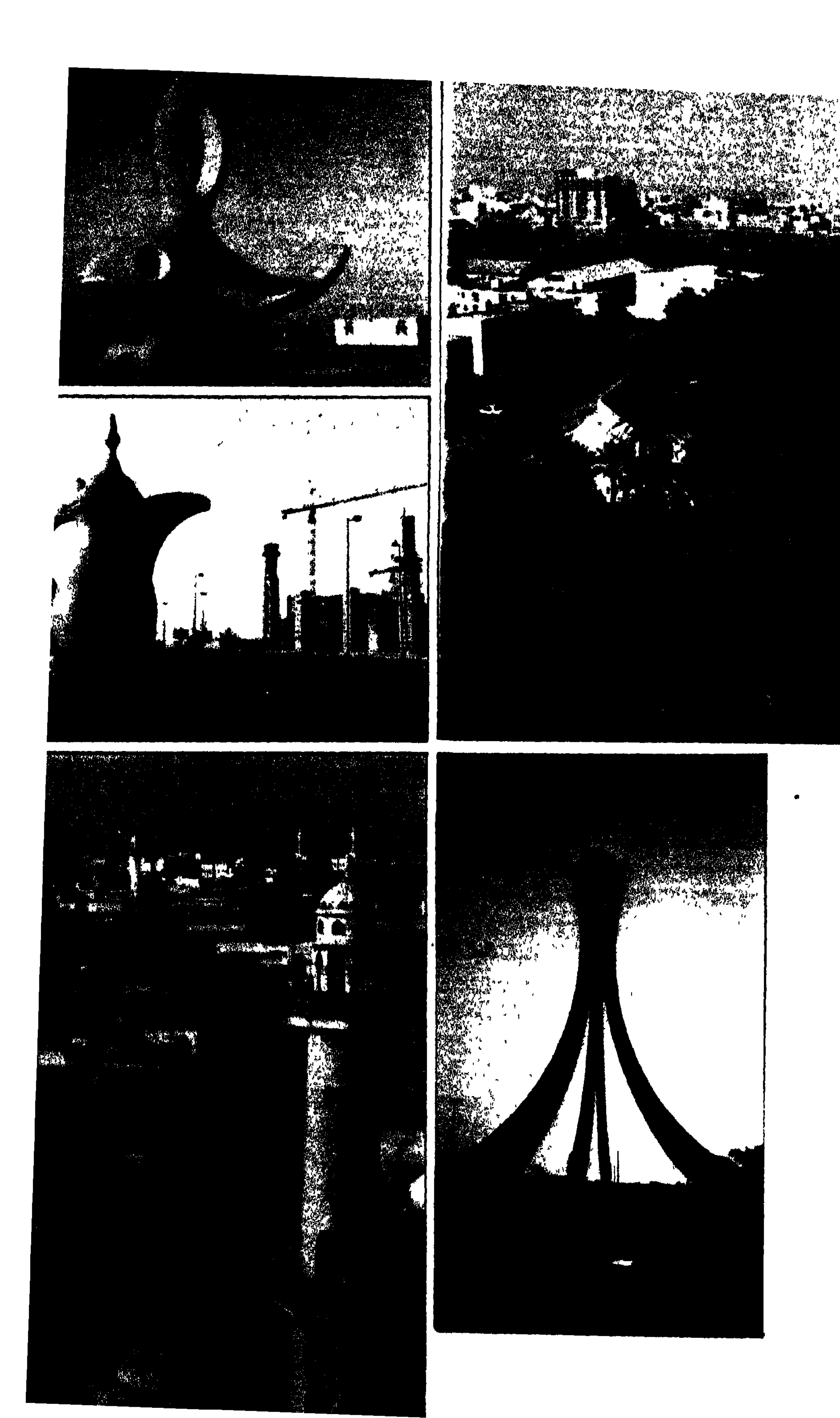
● جسر (السعودية ـ البحرين) وجد لكي يكون رباطا قويا بين الجزيرة الصغيرة والأراضي المقدسة ، وقد بني الجسر على أحدث الطرق الهندسية ، والمعمارية ، وزود بخرائط ، ولوحات ، مرورية لتسهيل مهمة المسافر .







● البحرين ، جزيرة المليون نخلة ، تسعى لتعزيز السياحة ، وزيادة الاقبال عليها ، وتنشيء المدن الترفيهية ، والأماكن التي يقبل عليها السائح ، كما تعتني بكل ما يمت للماضي بصلة . والزائر للبحرين ستدهشه معالم النهضة والرقي الممزوجة بعطر الماضي الفواح .



والانتهاء من العمل بها مشروع « البلاج » (تحسين الشـواطىء) الـذي لايبعـد اكثر من ٤ كم عن العاصمة المنامة،وهـو يعتبر من أكبر الشواطىء في المنطقة الشمـالية من البحـرين ، هـذا الى جـانب المتنزهات والأماكن الترفيهية ، مثل عين عذارى التي ستجد نفسك عندها مشدوها بالخضرة الموجودة حول العين ، وقد فكرت ادارة السياحة بتوسيعها وانشاء مدن ترفيهية مشابهة لها ، مثـل واحة المحـرق قرب مـدينة عيسى، وقمنا فعلا بـاعداد خـرائط ولوحـات تفصيلية للبحرين ، لنوفر للسائح سهـولة الانتقـال وسرعة الوصول للمكـان المطلوب، حصوصا وانـا نتوقع اليوم وبعد انشاء جسر السعودية_البحرين زيادة عدد الزائرين للبحرين وخاصة من دول الخليج

والحقيقة أن عملية خروج العائلة مجتمعة في رحلة قصيرة قد لاتزيد عن بضع ساعات في نزهة برية لدولة مجاورة سيكون له عظيم الأثر في تعزيز السياحة وزيادة الاقبـال عـلى البحـرين ذلـك ان الاختـلاف في العـادات والتقاليـد يكاد يكـون معدومـا فالسيـاحة الخليجية ليست بـدعـة فـإن أغلبيـة العـائـلات تفتقد القدرة على السفر الى بلاد بعيدة ، مما يفرض على الدولة ايجاد سبل ترفيهية بديلة لهم،وقد استطعنا بتكاتف الأجهزة المختصة أن نعمل مشاريع مصغرة ، وصفها البعض بأنها ستكون شيئا عظيما في المستقبل .

ولكن .. هـل اكتفيت عزيـزي القـارىء بهـذا الوصف السريع لأرض الخلود ؟ أعتقد أن القـراءة وحدها لن تكون كافية ، فبلد يجمع أصالة الماضي ويتطلع الى مستقبل مشرق تتحقق فيه نهضـة كبرى ويسعى بخـطوات سـريعـة واسعـة للحـاق بـركب الحضارة والتقدم يستحق منك الزيارة .

دلمون والخلود الأبدي

لقد كان التاريخ خير شاهـد على احـداث كثيرة وقعت فوق ارض البحرين ، وطالما نقل هذا التاريخ على ألسنة المعمرين والمسنين ، ولكن حضارة دلمون اصبحت اليوم حقيقة من حقائق التاريخ التي لا يرقى اليها الشك .

ويعتبر اسم البحرين بـالنسبة لكثير من الناس مرادفا لدلمون بينما يميل الآخرون الى الاعتقاد بأنها ربما كانت مهدا لجنة عدن .

ويورد السومريون في حكـاياتهم الـدينية أسطورة زهرة الخلود أو أسطورة الأرض المشرقة التي تقع وراء الأفق البعيد ، والتي تتحدث عن الالـه إنكى ـ اله الماء ـ وكيف نحا من الفيضان الذي عم الكون،وكيف توجه الى أرض الخلود فسكنها ، والأرض التي سكنها كما تقول الأسطورة هي (دلمون) وتوضح الأسطورة كذلك كيف جاء (جلجامش) بطل السومريين الى (دلمـون) ليلتقى (نانكى) فيتعـرف منه عـلى سر الخـلود ، وأسـرار الحيـاة ، وأخـبر (انـكـى) (جلجامش) عن قاع البحر الذي يمتـزج فيه المـاء المالح بعيون الماء العذب،وفي احدى هذه العيون زهرة بيضاء هي زهرة الخلود،ولو أمسك بها البطل السومري لكتب له الخلود الأبدي ، وألقى البطل (جلجامش) نفسه في الماء ، وغاص إلى الأعماق بحثا عن زهرة الخلود في إحدى عيون الماء العذب ، وبعـد صراع مرير استطاع (حلجامش) أن يحصل على الزهرة ، غـير أن الحية كـانت له بـالمرصـاد فالتهمت الـزهرة البيضـاء ، وكتـب لهـا الخلود ، وربمـا تكـون هـذه الأسطورة مفتاحا للغز قرابين الأفـاعى التي وجدت داحل آنية فخارية مغطاة في دلمون،وكانت تلقى تقديسا واحترامـا كبيـرين ، وهى تحفظ اليـوم في متحف البحرين

وكـما تـروى الكتب فـان البحـرين هى الأرض المقدسة ، فالحفريات التي أجريت منـذ عام ١٩٥٣ أثبتت بدون شك أن البحرين كانت المركز والعاصمة لأرض (دلمون) وسكان دلمون هم الدين بنوا المدينة «دلمون» الكبيرة والمسورة ،والثاوية تحت وحول قلعـة البحرين ، وهم الذين عبدوا آلهتها في معبد بربـارة والقبور المقببة الضخمة في قريـة عالى ، وهي قبـور ملوك دلمون ومواطنيهم الذين دفنوا فيما يزيد على مائة ألف قبر ، وقد كـانت دلمون معـروفة لـدى شعوب ميزوبوتا (وادى الرافدين) من السومريين والبابليين والأشوريين ، وذلك لمدة تزيد عن ألفي سنة ، تمتد من ٢٦٠٠ الى ٥٠٠ ق . م،وقد يتحدث العالم عادة عن عجائب الدنيـا السبع فتشتهـر بابـل بحدائقهـا المعلقـة ، والهند بتـاج محل كـأجمل مقبـرة ، ومصر بأهراماتها الشـامخة ، أمـــا جزيـــرة البحرين فتشتهر بأكبـر مقبرة تاريخية في العـالم كله ، وقد تم الكشف عن هذه الحقيقة منـذ بضع سـوات وهذه

المقبرة الكبيرة عبارة عن مجموعة عديدة من التلال المقببة المتجانسة التي تنتشر في مساحات واسعة في وسط الجزيرة ، وفي الجزء الشمالي منها ، ويتمركز أغلبها حول قرية (عالي) التي بها المقبرة الملكية لسكان البحرين قديما .

انه لغريب حقا وجود أكبر مقبرة تاريخية على أصغر رقعة أرضية في العالم ، وقد علّل العلماء والخبراء ذلك بقولهم ان جزر البحرين كانت أرضا مقدسة لساكني المنطقة الذين كانوا يدفنون موتاهم في الجزء الشمالي من وسط الجزيرة وقد عثر فيها على أوان مطلية بلون أصفر بينما استعمل اللون الأخضر في تلوين حواف الأواني ، ووضعت كلها على شكل مقلوب،وثبتت على ظهر القبر وبداخلها رماد ، كما وجدت أطباق بداخلها أطعمة ووضعت بجوار الميت ، مما يدل على اعتقاد الناس في ذلك العهد أيضا بوجود حياة أخرى بعد الموت .

وهكذا اتضحت معالم حضارة دلمون القديمة في أرض البحرين التي كان الناس لايعلمون عنها شيئا ، وأصبحت اليوم حقيقة واضحة ، تبرز الشواهد عليها في كل مكان من البحرين ، وتتضح معالمها يوما بعد يوم مع اتساع أعمال البحث والتنقيب عن الآثار

أرض المليون نخلة

والبحرين مجموعة جزر منخفضة السطح في معظم أجزائها، وبعض الأجزاء أعلى من مستوى سطح البحر بحوالي ٦٠ م بينما يبلغ ارتفاع أعلى نقطة رئيسية في البحرين ـ وهي جبل الدخان الذي يرتفع من نقطة منخفضة كبيرة في وسط الجزيرة ـ حوالي ١٢٠م فوق مستوى سطح البحر ، ويمتد على طول الشريط الساحلي الشمالي لجزيرة البحرين حتى قلب منطقة المنامة شريط ضيق من الاراضي الخصبة المخصصة للزراعة ، ويضم معظمها حتى الآن العديد من مزارع النخيل والخضراوات . وقد اشتهرت البحرين بشكل خاص كطريق مواصلات ومركز تجاري مهم وممتاز منذ القدم ، وكذلك اشتهرت بثرواتها من السمك واللؤلؤ والنخيل ، حيث يوجد فيها مالايقل عن مليون نخلة ، وظلت كذلك الى أن جاء عصر الكشوف الجغرافية ، واشتداد التنافس الأوروبي على المستعمرات ، وأصبحت البحرين ساحة قتال بين البرتغاليين الذين احتلوها عام ١٥٠٧ وبين البريطانيين .

ان موقع البحرين كجزيرة في وسط الخليج جعلها أكثر انفتاحا على العالم،ومما زاد من أهمية موقعها أنها طريق مواصلات جيد بين الهند من جهة وأقطار الشرق الادنى من جهة أخرى .

ان أي زائر للبحرين اليوم قد تدهشه مظاهر التقدم والعمران ، فبعد أن أصبح النفط من الموارد الرئيسية توالت عمليات البناء والعمران وتعددت ، فأنشيء جسر المحرق الذي يربط بين المنامة العاصمة والمحرق ، ثاني المدن الرئيسية ، وقد ذكر الرحالة والأديب أمين الريحاني عندما زار البحرين وصفا لطريقة التنقل بين المنامة والمحرق سنة ١٩٤٥ جاء فيه :

كان أكثر النساء والرجال اذا ما أرادوا الانتقال من المنامة الى المحرق وبالعكس يشمرون عن سيقانهم ويخوضون في المياه للانتقال من الشاطيء الى السفن التي تقوم بهذه المهمة الصعبة .

« أمين الريحاني من كتاب ملوك العرب » .

كما بنيت المستشفيات والمدارس والمناطق السكنية النموذجية ، وما زالت معالم النهضة والتقدم تتضح يوما بعد يوم .

يعود تاريخ اكتشاف النفط في البحرين الى سنة ١٩٣١ عندما بدأ حفر أول بئر للنفط وسط الجزيرة ، في وقت كان الخبراء لايعتقدون بوجود تجمعات نفطية كافية ، ومنذ اكتشاف أول بئر للنفط في جبل دخان تتابعت عمليات الحفر والتنقيب ، في الوقت الذي كان فيه اهتمام آخر مواز بتطوير الوسائل التقنية الخاصة بضخ النفط واستغلال مخزون الآبار ، وعندما بدأت شركة نفط البحرين في الانتاج بادرت ببناء خزانات لتجميع النفط ومحطة لتزويد السفن بالنفط الخام وعملت على بناء مصفاة صغيرة .

ومع زيادة كميات النفط المستخرجة بدأ الاهتمام يبرز بصناعات جديدة ، غير تلك التي كانت تعتمد عليها من كاستخراج اللؤلؤ وصناعة السفن

القديمة والزراعة والتجارة .

ان اكتشاف النفط في البحرين كان نقطة تحول جذرية في الاقتصاد البحريني ، فقد أخذت الصناعات الحديثة تجذب اليها العاملين في القطاعات التقليدية ، وبازدياد الحاجة للتصنيع في الستينيات ـ ولتنويع مصادر رقعة القاعدة الانتاجية وتوسيعها كان التوجه لصناعات الألمنيوم والصناعات الأخرى المتفرعة كصناعة رذاذ الألمنيوم التي تقوم بتحويل الألمنيوم المصهور الى مسحوق حيث يستخدم في صناعة الأصباغ والمتفجرات وكذلك صناعات كابلات وسحب ودرفلة الألمنيوم .

ومع نمو الحركة الصناعية في البحرين ، وادراكا من الدولة لما للتنمية الصناعية من دور فعال في عملية التنمية وخطتها الشاملة ، فقد برزت فكرة تخصيص منطقة تقع بالقرب من ميناء سلمان تكون مقرا للصناعات المتوسطة والخفيفة ، ومركزا للشركات التي تتخذ من البلاد منطلقا لخدماتها في مختلف مناطق الخليج ، ومن أهم هذه الصناعات صناعة الورق وصناعة الصابون ، وصناعة طحن الدقيق ، وصناعة الليف المعدني والمسامير والرخام والمفارش وغيرها . ويبذل في التجارة والزراعة مجهود مماثل لهذا الذي يبذل في الصناعة،فالبحرين كانت ومازالت ـ بموقعها الاستراتيجي في وسط الخليج العربي ـ محطة تجارية مهمة ، ومركزا رئيسيا للخدمات الدولية ، وكان مما زاد من أهمية هذا الموقع الاستقرار الذي حرصت البحرين على توفيره باتباع النظام الاقتصادي الحر ، والتسهيلات التي أتاحتها لبعث النشاط التجاري والاقتصادي لدعم مركزها المالي ، وقد تمتعت البحرين برواج تجاري وازدهار اقتصادي ، فتدفقت عليها رؤوس الأموال ، وترتب على ذلك قيام علاقات تجارية أوسع مع بلدان مختلفة من العالم وكانت كثير من الدول ـ والى عهد قريب ـ تستورد بضائعها عن طريق البحرين ، حيث يعاد تصديرها الى أقطار الخليج،ولكن الوضع تغير اليوم لعدة أسباب أهمها حاجة سوق البحرين لكثير من البضائع التي كانت تعد قديما فائضة ويعود ذلك بالطبع لتغير طرأ على عادات الناس الاستهلاكية ، وتطلب ذلك انشاء موانئ ومرافق تجارية جديدة تواجه هذا الطلب المتزايد على مختلف السلع المستوردة ، وكان أول ميناء أنشيء لهذه الغاية هو ميناء سلمان البحري ، في عام ١٩٦٢ ويعد منفذ البحرين الى العالم وثغرها الرئيسي ، ولما كان ازدياد البواخر مطردا فقد ازدحم بها الميناء ، واكتظت مستودعاته بالبضائع والسلع ، فكان لابد من توسعته بما يتلاءم مع مقتضيات العصر لكي يكون قادرا على استقبال المزيد من البواخر والناقلات.ويعد ميناء سلمان اليوم من أحدث موانئ الخليج وأكثرها كفاءة .

هنا .. ترسو السفن بأمان

إن احاطة مياه الخليج لجزيرة البحرين احاطة السوار بالمعصم خلقت نوعا من الصلة القوية بين الأرض والانسان والبحر .

وهذه العلاقة أوجدت اهتماما من نوع خاص بكل مايمت للبحر بصلة ، لقد احتضنت البحرين بخليجها الدافئ عبر القرون سفنا وبواخر وأساطيل وناقلات مختلفة الاجناس والأحجام .

لقد كان لهذا التاريخ دور بارز حفر في أذهان المهتمين بتطوير البحرين وتعزيز دورها الملاحي في المنطقة ، فكانت فكرة انشاء أكبر حوض جاف لاصلاح السفن يتخذ من الجزيرة مقرا .

إن صاحبة هذه الفكرة هي الشركة العربية لبناء واصلاح السفن (اسري) وهي شركة تملكها الاقطار السبعة الأعضاء في منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول وهي الامارات ، والسعودية ، وقطر والعراق والكويت ، وليبيا والبحرين .

وقد كان لنا لقاء مع السيد أحمد عبدالله ، مدير العلاقات العامة بمشروع الحوض الجاف ، حيث تحدث الى « العربي » عن نشأة الفكرة وتطورها ، يقول :

كان الحوض الجاف في عام ١٩٦٨ مجرد فكرة ، فقد فكرت (أسري) بانشاء وتشغيل حوض لاصلاح السفن مجهز بجميع المعدات اللازمة ، تتوفر فيه الكفاءة الفنية والسعة اللازمة لارساء ناقلات النفط العملاقة التي تؤم موانئ النفط في الخليج العربي .

ونظرا لما للبحرين من قاعدة صناعية متينة ، ولما فيها من أيد عاملة ماهرة ، اضافة الى موقعها الملائم



● الحوض الجاف أحد الدعائم الأساسية للتعاون الاقتصادي بين الأقطار العربية .

بعيدا عن الأمواج القوية والرياح الشديدة ، ووجود غاطس مناسب ، وحوض كبير يسمح للسفن الضخمة بالحركة ، فقد عهد لشركة «لزناف» البرتغالية في عام ١٩٧٤ بتقديم تصميم شامل لمشروع الحوض الجاف، وللاشراف على الأعمال الانشائية، وتوفير الخبرة اللازمة للادارة ولاعمال اصلاح السفن ، وقد استغرق بناؤه ٤ سنوات بين عمليات ردم الموقع وانشاء جسر ردمي يصل بين المنامة وجزيرة الحوض الجاف وبناء مدارس للتدريب المهني والاكاديمي ، وافتتح الحوض الجاف وبدأ العمل به رسميا في ديسمبر من عام ١٩٧٧ .

وقد بلغت مساحة المشروع ٥٠٠٠٠ م٢ وطول الحوض الواحد ٣٧٥ م بعرض ٧٥ م وعمق ١٢ م ، ويتسع الحوض لناقلات نفط تبلغ حمولتها الساكنة ½ مليون طن الى جانب رصيفين للشحن ، وورش صناعية لصيانة الناقلات ولاعمال الصباغة والكهرباء، ومخزن كبير لقطع غيار محركات الناقلات ، ويضم ٢٥٠٠ قطعة .

نشأ مشروع الحوض الجاف برأسمال بلغ ٣٤٠ مليون دولار ، وهو اليوم أحدى الدعائم الأساسية للتعاون الاقتصادي بين الدول العربية .

« أسري » تعدّ عمالة عربية

لم تتوقف الجهود عند الحوض الجاف بل استمرت في العمل من أجل اعداد أيد عاملة وطنية، ذات خبرات واسعة في مجال اصلاح السفن على أعلى المستويات ، لذلك خصصت أحد المواقع في الحوض الجاف ليكون مدرسة تدريبية لكل من يرغب في العمل في مجال السفن واصلاحها ، وتولى تعليم الراغبين وتدريبهم مدرسون عالميون في هذا المجال ، وقد لوحظ بعد فترة وجيزة زيادة ملحوظة في عدد الموظفين الذين يداومون في المدارس والكليات والمراكز المحلية تحت رعاية (أسري) لدراسة مواضيع متعددة مثل الهندسة التقنية ، وأجهزة الكمبيوتر والاسعافات الأولية ، بينما أمضى آخرون منهم دورات تدريبية في الخارج ، شملت حقول

الهندسة والادارة والانشاءات في النرويج ، والعراق ، وأبوظبي ، والمملكة المتحدة ، وفي الوقت ذاته فان مزيدا من متخصصي اللحام عندنا أضافوا الى فعالياتهم صفة اللحامين المصنفين القادرين على انجاز مهمات على اعلى درجة من الدقة ، كما تم تدريب عدد كبير من العرب والبحرانيين للقيام بعمليات ادخال واخراج الناقلة من والى الحوض الجاف ، وهذه العملية قد تبدو سهلة بسيطة للوهلة الأولى ، ولكنها في حقيقة الأمر بحاجة لمناورات دقيقة جدا لكي تتم بنجاح .

وقد ارتفعت شركة (أسري) بمستوى خدماتها ، بعدما آثرت السير قدما في سياسة التعريب في المناصب الادارية بتعيين موظفين من العرب في مراكز شملت رئاسة الخدمات والأقسام،ونحن بانتظار برنامج عمل تعاوني مكثف يصبو الى إيجاد مهارات تخصصية عالية ، والعمل على رفع كفاءة الموظفين على جميع الأصعدة والمستويات ، ولدينا أكثر من تجربة ناجحة في مجال اصلاح السفن ، فقد كانت السفينة (امبروزيانا) الايطالية أول سفينة تلجأ الى الحوض الجاف في البحرين لاصلاحها،أما السفينة (دايفيد باكارد) الامريكية التي بلغ وزنها ½ مليون طن فقد استطاع ملاح بحراني تنفيذ عمليات المناورة وادخالها الى رصيف الاصلاح بمهارة ودقة ، وتمكن من ارسائها بأمان دون أي خدش ، لتستقر فوق قوالب الخرسانة .

كما تم في عام ١٩٨٣ تغيير خمسة رفاصات لناقلة نفط وعابرة محيطات نرويجية ، وصل وزن الرفاص الواحد الى مايقرب من ٧٠ طناًوعملية الاستبدال هذه غاية في التعقيد والأهمية ، وتتطلب مهارة وصبراً لاينفدان ، ونحن هنا لانعير أهمية للوقت والزمن ، بقدر ما نتفانى في انجاز العمل واعطاء كل سفينة حقها كاملا من الدقة والاتقان .

ويجرى العاملون في الحوض الجاف فحصا كاملا ودقيقا على أي ناقلة قبل دخولها مكان العمل ، وذلك للتأكد من خلوها من المواد النفطية ليتم بعد ذلك اجراء كل مايلزم لها من اصلاحات بأمان تام ولا تزيد مدة اصلاح السفينة وطلائها واجراء الميزانية لها في العادة عن اسبوع واحد ، وتخرج بعدها لتخوض عباب البحار وتتحدى أمواج المحيطات بقوة وصلابة شديدتين .

ويستطرد السيد أحمد عبدالله قائلا : بدأ العمل في الحوض في فترة عانت فيهاصناعة بناء السفن واصلاحها في العالم من الكساد ، وعدم تشغيل كل امكانيات الاصلاح المتاحة ، مما أدى الى زيادة المنافسة ولكن استطاعت (أسري) أن تنجح ، بحيث ظل الحوض الجاف مشغولا بالسفن بشكل شبه مستمر ، وقد تمكنت الشركة من تنظيم طرق عملها بسرعة ، حتى بلغت معدلاتها الانتاجية أرفع المستويات مقارنة بالشركات الكبرى المنافسة والعاملة في مجال اصلاح السفن .

ان ماحققته الشركة من نجاح في مجالات اصلاح السفن خلال الثماني سنوات الأولى أكسب الشركة ثقة أصحاب السفن في جميع أنحاء العالم ، أما اليوم ، وبعد نشوب الحرب العراقية الايرانية ، وزيادة احتمال اصابة السفن ، فقد قل اقبال السفن العالمية على الحوض الجاف ، واقتصرت عمليات الاصلاح على السفن العربية ، والجدير بالذكر ان ٦٠٪ تقريبا من تشغيل الحوض الجاف في (أسري) يعود الفضل فيه الى دعم ومساندة شركات الملاحة العربية .

وقد كان لابد من الاتجاه لصناعة خزانات المياه الضخمة لتغطى احتياجات البحرين ، وليصدر الفائض منها الى أقطار الخليج العربي ، وذلك لتقليل تكاليف استيرادها طالما أن المعدات والآلات اللازمة لهذه الصناعة متوفرة ونحن قادرون على صناعتها محليا بكفاءة واتقان ، ولدينا اليوم مشاريع متعددة مثل مشروع تطوير وتحديث مصافي ميناء الأحمدي وميناء عبدالله في الكويت وبناء صهاريج تخزين ارضية لوزارتي الاشغال ، والماء والكهرباء .

والحقيقة أن مشروع الحوض الجاف لم يعد مربحا اليوم ، ولكننا نستطيع ان نقول أن الربح الحقيقي الذي حققناه فعلا هو تكوين كادر عربي متخصص في صناعة واصلاح السفن .

قد يظن الزائر للبحرين في المرة الاولى انها دولة تتكون من جزيرة صغيرة واحدة ، ولكن بعد يوم واحد على الاكثر تزول هذه الفكرة ليحل محلها افكار كثيرة جديدة خاصة بعد التجول في المدينة والوقوف على أبرز معالمها الحضارية ، فما رأيك بزيارة تصل بها البحرين من فوق جسر المحبة . . جسر المستقبل .□



إعداد : عبد الغني محمد عبد الله

بعدسة وتعليق : عبد الله عيسى الصالح

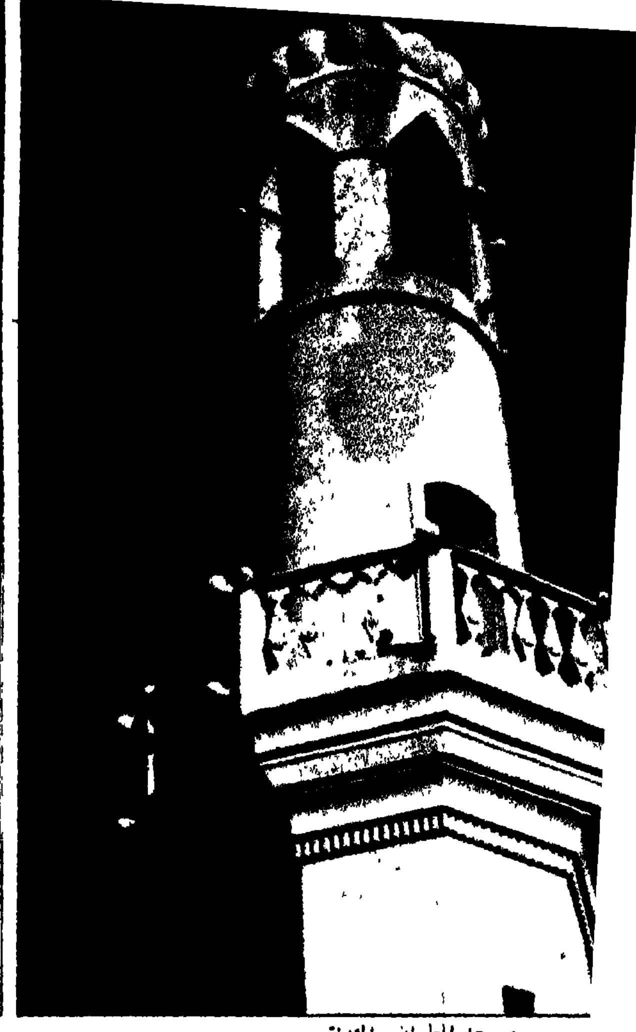
المساجد والجوامع هي العمائر التي شيدها المسلمون لأداء بعض شعائر الإسلام ، ورغم أنها من أحجار مرصوصة ، إلا أنها ذات همس وحس ، قديماً وحديثاً ، ومع امتداد العمران في الكويت كان المسجد والجامع والمئذنة ، فذكر الله دائم .

القديم من المساجد كالحديث ، له همس جمالي ، وحس معماري ، أراد بناؤوه أن يتركوا للأجيال التالية تعبيراً معمارياً ، دالاً على أنهم أقاموا عمارة يعبدون فيها الله ، ويسبحون فيها بحمده . وفي الكويت مع امتداد العمران قديماً وحديثاً ، كان المسجد ، والجامع ، والمئذنة ، وكان المصلون ، فذكر الله دائم في القديم والحديث .

الجديد له سحره ، ومعناه ، وقد يأخذنا شكله ، وأساليبه وأنماطه إلى مرحلة الإعجاب ، إلا أن القديم له أيضاً نفس السحر ، والمعنى ، بشرط أن نؤرخ له من خلال الحياة في زمنه ، ونخضع تقييم عناصره للأساليب السائدة وقت إنشائه .

المهتمون بالقديم قلائل ، يستهويهم ، ويشغلون به لاتصافهم بذوق خاص ، يبحث عن عناصر الجمال في القديم ، ومن خلال تقصي الحقيقة والإصرار على الوصول إليها ، بالصبر دون الاهتمام بالشكل الخارجي ، ودائماً لهم حديثهم وذكرياتهم عنه .

المهندس عبد الله عيسى الصالح أحد أبناء الكويت ، يهوى القديم ، ويعطيه وقته واهتماماته ،



مسجد المطران ـ المئذنة .

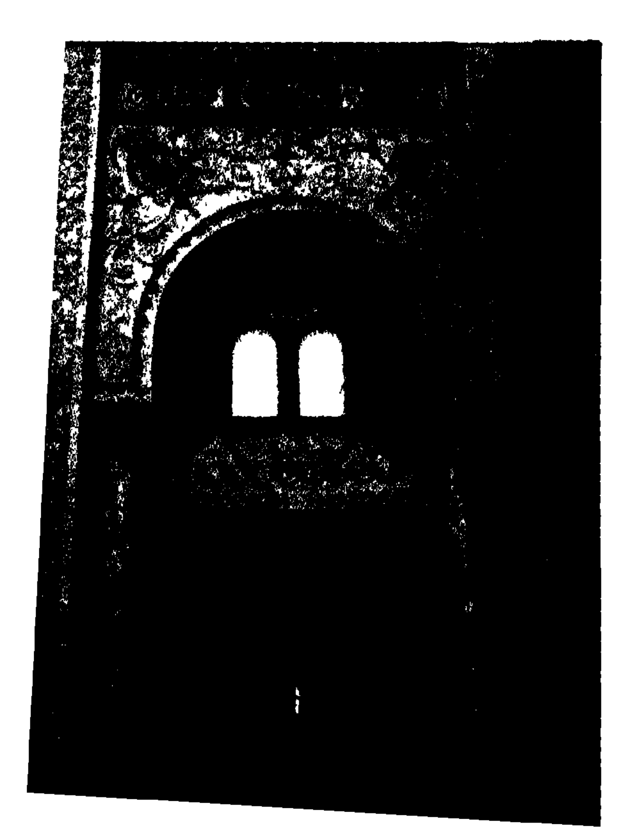


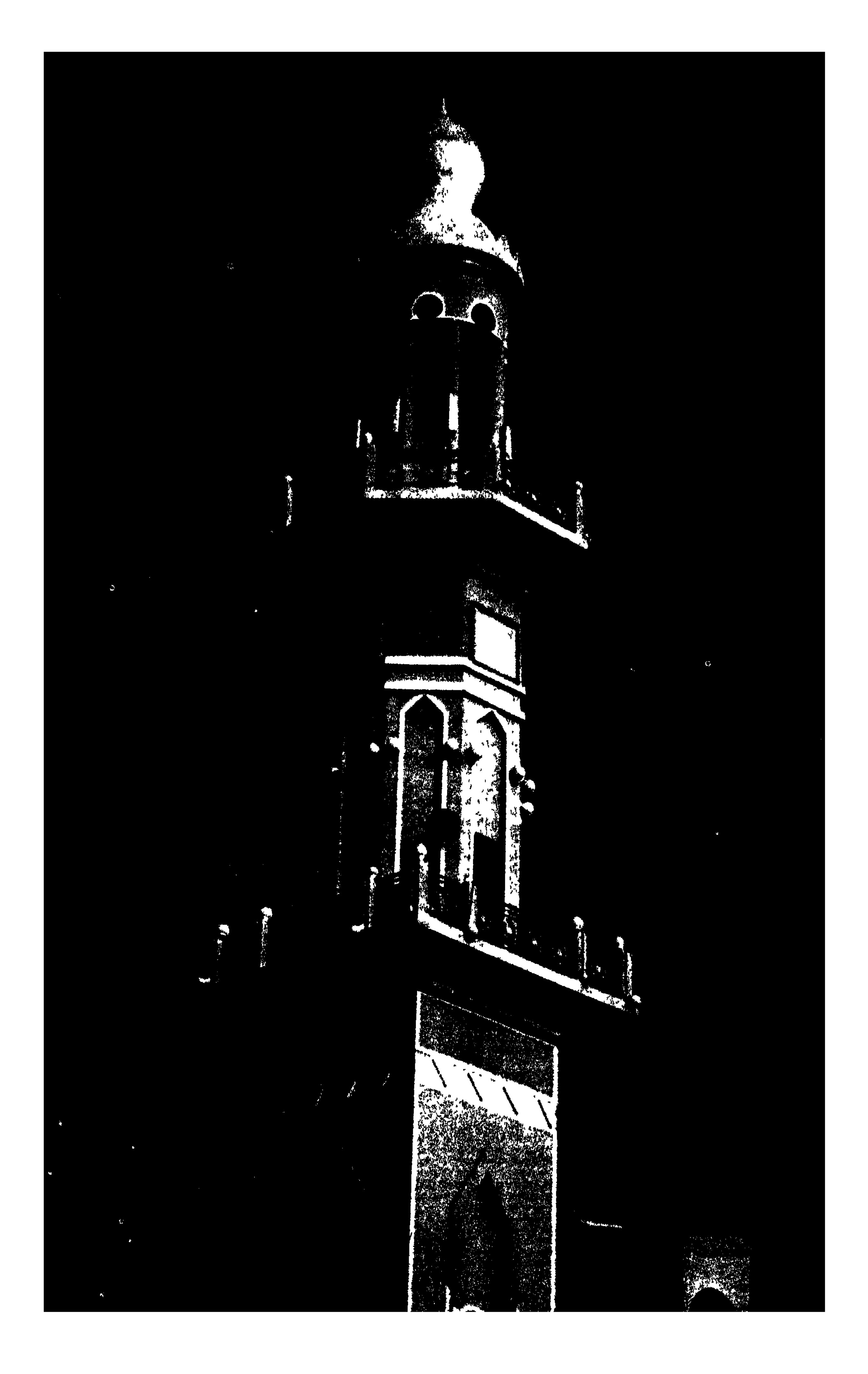


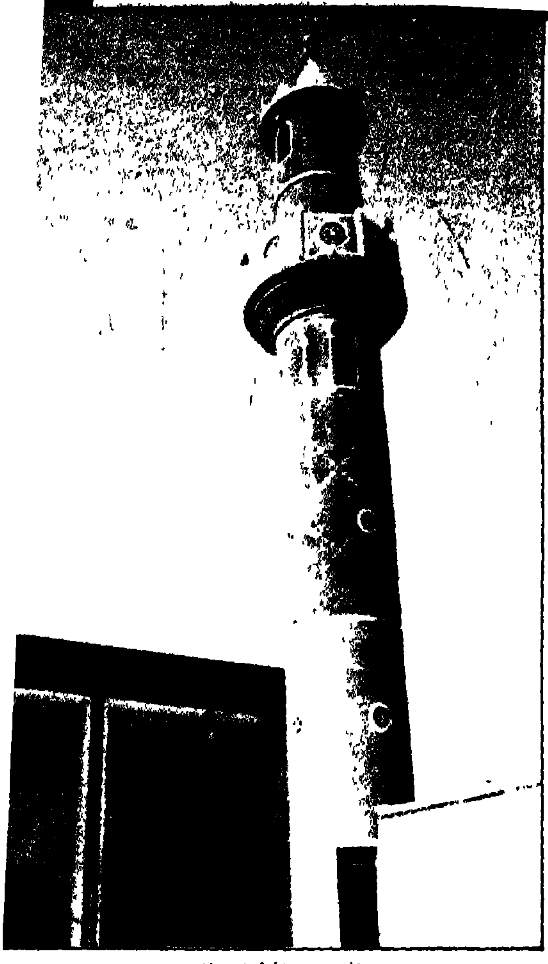
مسجد القطامي ـ المئذنة

وماله ، فداره في ضاحية عبد الله السالم بالكويت تضم بعض التحف الإسلامية ، بعضها من الخشب المطعم بالصدف ، وبعضها من المعدن . ومن بين ما جمعه صور المساجد القديمة ، وأخبارها ، وتاريخ عمارتها ، وهو من خلال هذه الهواية ينظر إلى المساجد القديمة نظرة خاصة ، ويخشى هدمها أو استبدال عمارتها ، ويرى في عمارتها فلسفة معمارية

ولذا انكب في صبر وتؤدة ، يحفظ هذا القديم بالوصف والصورة ، حتى صار لديه مجموعة كبيرة من صور المساجد القديمة ، وأخبارها ، وذلك بالرغم من قلة شهرة المساجد القديمة في الكويت ، ولهذا لم يتعرف الباحثون على وسائل بنائها ، وأساليب بنائها ، ولم يستطيعوا تقديم ما يشبع رغبة الاختصاصيين في عالم عمارة المساجد ، وطرزها ، ولم يستطيعوا أن يتبينوا تاريخ عمارتها ، ولذلك يكون حديث المهندس عبد الله الصالح حديثاً جديداً ، نتعرف به على وسائل بنائها وأساليب بنائيها .







مسجد ناهض - المئذنة والليوان

حول قصر السيف

إن مساجد الكويت قديماً بدأت حول قصر السيف ، بجوار البحر ، ثم امتدت العمارة - ومعها المساجد بطبيعة الحال - إلى عمق البر ، وتأسيساً على ذلك الاستنتاج فإن الأقدم هو ما كان بجوار البحر ، والأحدث هو ما ابتعد عنه .

ومساجد الكويت القديمة كانت تبنى بوسائل وأساليب غاية في البساطة ، وإن كان بناؤ ها لم يخل من فن معماري له قواعده وأصوله ، يرتفع السقف على حوائط بنيت من صخور خاصة ، جلبت من سواحل الكويت ، وأشهر هذه المناطق التي تجلب منها الصخور منطقة « عشيرج » .

وانكب الكويتي على تكسير هذه الصخور الصلبة ، بطرق يدوية خاصة ، ثم تحمل إلى موقع بناء المسجد ، حيث تستخدم في البناء ، وإقامة الحوائط التي تشكل من « مداميك » بهذه الصخور التي تتماسك ببعضها بالطين المستخرج من الأرض الذي تم عجنه بالماء .

والأسلوب الكويتي القديم في تحميل السقف يعتمد على الحوائط ، وتساعدها أعمدة هي عبارة عن كتل ضخمة ، قوية التحمل ، من خشب السنديان الذي كان يجلب من الهند .

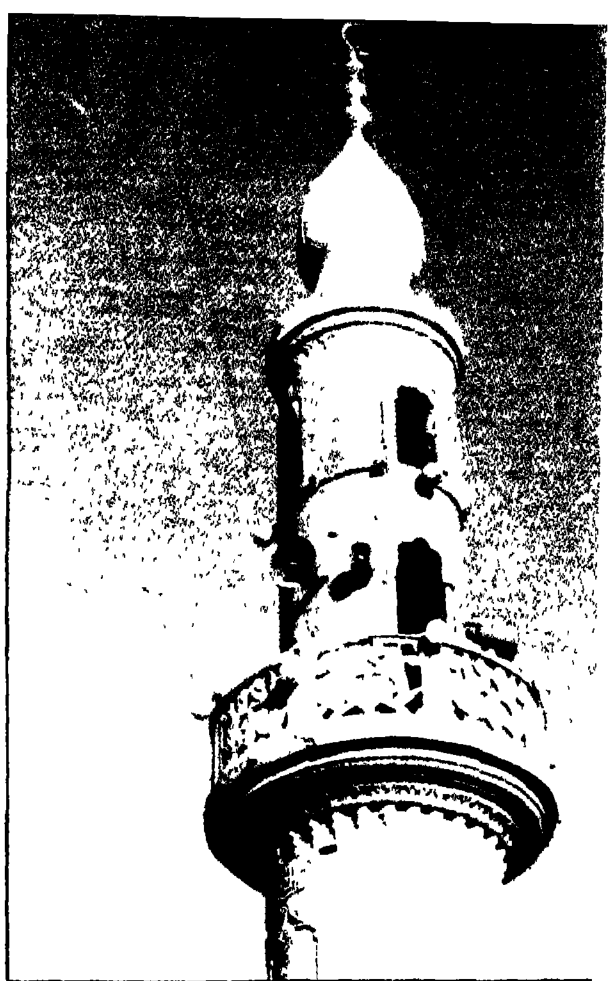
ويجدر بنا أن نلاحظ أن السقف قد بني على عدة خطوات ، أولها مد جسور من الخشب فوق الأعمدة والحوائط ، لتشكل فيما بينها عقوداً مسطحة ، مستقيمة ، تقوم بدور الأقواس في العمارة العادية ، والخطوة الثانية تتمثل في الأعمدة الخشبية ، الاسطوانية الطويلة « الجندل » ذات أقطار في حدود ١٥ سم ، وكانت تجلب في الغالب من أفريقيا . والخطوة الثالثة تتمثل في تعامد أعواد « الباسجيل » فوق « الجندل » ، وهي وصلات من خشب (البامبو) ، وفوق ذلك كله يتم فرش حصيرة « المنقور » لتغطي السقف كله ، وتأتي الخطوة الأخيرة وهي تغطية كل ذلك بالطين ، حيث يتم سد كل الثغرات ، ويراعى الميل لناحية الميزاب لتصريف مياه الأمطار .

أسلوب خاص

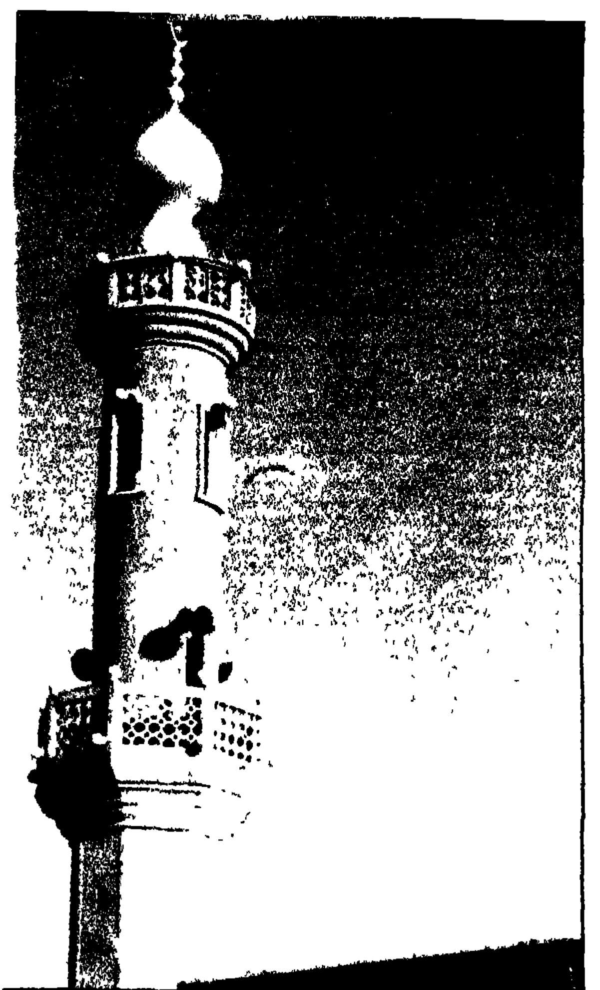
هذا الأسلوب المعماري تميز به أهل الكويت القدامى في عمارتهم ، فقد استغلت خامات البيئة المحلية بقدر الاستطاعة ، واستخدمت الطريقة المناسبة للتعامل مع ظروف المناخ السائد فيها .

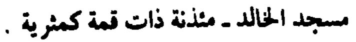
أما الحوائط فقد كسيت من الداخل والخارج (بالجص) الأبيض ، ومع البساطة في البناء ، وعناصره المعمارية ، لم يخل البناء من بعض الزخارف البسيطة ، وبخاصة على المدخل ، أو في منطقة المحراب ، وأبرز الأمثلة على ذلك هو مسجد (السوق الكبير) الذي كان يمثل المسجد الرسمي للدولة قبل إنشاء المسجد الحالي ، حيث نرى تلك الزخارف النباتية والهندسية والكتابية ، البسيطة التكوين ، الرائعة الجمال .

إن المهندس الصالح من دعاة المحافظة على التراث القديم ، وبأي ثمن ، فهو تراث يجب المحافظة عليه ، وعدم التفريط فيه ، وهو يرى فيما يقوم به من جهد لتسجيل تاريخ هذه المساجد نوعاً من السعي للابقاء على البقية الباقية من القديم ، والحث على ذلك وسط التحديث المعماري في الكويت ، وقد بلغ



مسجد السرحان ـ المئذنة





مسجد الخالد ـ مئذنة ذات قمة كمثرية .

من فرط اهتمامه بالقديم أنه سعى للحصول على نوافذ مسجد المطوع وأبوابه ، بعد أن تقرر هدمه بسبب سوء حالته المعمارية ، وذلك في رأيه خطوة على نفس الطريق للمحافظة على القديم ، ومن رأيه أيضاً أننا فقدنا كثيراً من التراث خلال المرحلة السابقة ، في كل مقتنياتنا رغم بساطتها ، ولم نعرف قيمتها إلا بعد مضي الزمن ، حتى أصبحنا نتمنى لو كنا قد احتفظنا بها كلها أو بعضها .

إن ترك تلك العمائر تندثر بهذه الصورة ، أو تمنى تلك المعالم القديمة بإعادة بنائها ، فيه ظلم للقديم ، وظلم لبنائيه ، ومعظم المساجد القديمة أو كلها كانت تبنى على نفقة بعض العائلات الميسورة الحال آنذاك ، وغالباً ما كان يتم بناء المسجد بالقرب من منطقة سكن هذه العائلة أو تلك ، ومع مرور الأيام يشتهر المسجد باسم الأسرة أو العائلة التي أقامته ، وبعض العائلات أضافت الجهد إلى جانب بذل المال في بناء المساجد ، حيث عملوا بأيديهم في البناء ، وحمل أدوات البناء ، وخاماته ، وساعدوا في عملية الإنشاء بجد وجهد كبيرين ، تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، وتبركاً بتلك المساهمة في بناء بيوت العبادة .

وكما يقول تعالى :

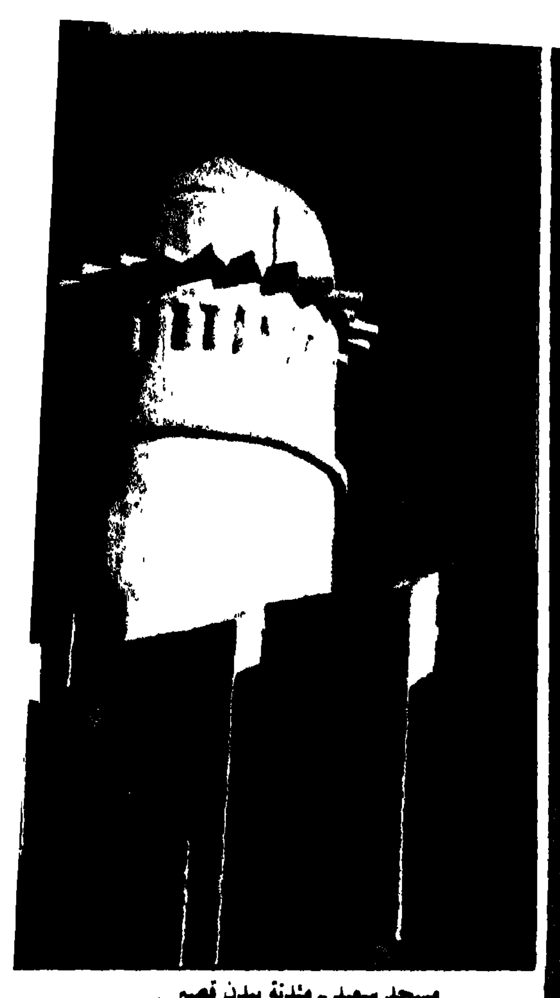
« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

التوبة (١٨)

العمارة من الداخل

وكان المسجد يتكون من حوش ينتهي بـ « الليوان » الذي كان عبارة عن ظلة تتقدم بيت الصلاة ، والحوش هو الاسم الذي يطلقه أهل الكويت على ساحة المسجد أو المنزل ، وفي أحد جوانب الحوش تقوم المئذنة .

والخلوة هي الاسم الذي أطلق على بيت الصلاة أو رواق القبلة ، والخلوة حرم مغلق ، يضم المحراب ، وتتخلل حوائطه الخارجية نوافذ متسعة للتهوية



مسجد سعيد ـ مئذنة ببدن قصير .

مسجد براك الدماك ـ الليوان



مسجد الخليفة ـ المئذنة .

القرو . لوحة بريشة الفنان ايوب حسين .

مسجد ابن خميس ـ الخلوة





المهندس عبد الله عيسى الصالح .

والاضاءة ، وبسبب اتساع هذه النوافذ فقد تم إضافة أعمدة من الحديد إلى فتحاتها لتمنع استعمال النوافذ للدخول أو الخروج .

وغلبت البساطة على المحراب القديم في الكويت ، وكان عبارة عن فتحة في حائط القبلة ، يغلق عليها حائط من الخلف ليكون فراغاً هو المحراب ، ويكون مكان المحراب بروزاً في الحائط الغربي للمسجد ، وهو أمر أعطى للمعماري الكويتي الحرية الكاملة في إضفاء السعة والعمق على المحراب .

و « القرو » عند أهل الكويت هو الميضأة ـ وتنطق القاف كالجيم المصرية ـ وقد أبرز المهندس الصالح ذلك خلال وصفه للميضأة التي كانت تلحق بكل مسجد ، وكان « القرو » عبارة عن غرفة صغيرة ملحقة بالمسجد ، بها بئر ماء مالح في أغلب الأحوال ، مثبت فوق فوهته بكرة تتصل بدلو بواسطة حبل يسمح بوصول الدلو إلى مستوى سطح ماء البئر ، ويمكن عن طريق لف البكرة سحب الحبل ، ليأتي الدلو مملوءاً بالماء .

ويرفع الماء إلى خوان علوي صغير ، اسمنتي حيث يمكن تخزين كمية من الماء تكفي لاستحمام شخص واحد ، وللخزان عند قاعدته فتحة صغيرة لها سدادة من الخشب تسمح بمرور الماء ، وتقوم مقام الصنبور ، ويمكن التحكم فيها بواسطة تلك القطعة الخشبية .

وفي وسط غرفة الميضأة (القرو) وبطولها تقريباً ، قناة اسمنتية ترتفع عن الأرض ، ولها فتحات من الجانبين تقوم كل فتحة مقام الصنبور ، ويمكن التحكم فيها أيضاً مثل الخزان ، وبالماء المنسكب من خلال هذه الفتحات يتم الوضوء . وقد أبرز الفنان أيوب حسين صورة « القرو » في لوحة فنية من بين لوحاته عن الحياة في الكويت .

ويلحق بالمسجد دورة مياه ، ومخازن هي عبارة عن عدة غرف صغيرة ، وغالباً ما تكون دورة المياه ، والميضأة « القرو » عند مدخل المسجد ، حتى يكون الداخل للمسجد قد توضأ ، وتطهر .

المئذنة

المآذن القديمة في الكويت كانت ذات نمط معماري مميز ، قد بنيت من الحجر والطين ، معظمها ذات بدن قصير نسبياً ، وإن كانت عناصرها متكاملة (البدن ـ الشرفة ـ القمة) إضافة إلى نوافذ للتهوية والإضاءة ، ودرج للصعود ، ويمكن التعرف على نوعين من المآذن من خلال رأس المئذنة وشكلها العام ، وإن كانت تميزها البساطة والبعد عن التعقيدات ، والنوع الأول منها عبارة عن بدن تعطيه قبة مخروطية ، بقمة ذات زاوية حادة وجوانب متسعة ، بشكل مخروطي لتشكل قبة جالسة فوق البدن (قاعدة متسعة وقمة مدببة) . أما النوع الثاني من المآذن فعبارة عن بدن يحمل قبة ذات قطاع نصف دائري ، أو مدبب ، أو بصلي ، أو بشكل كمثرى مضلعة من الخارج في شكل فصوص طولية أو ملساء ، وفوق قبة المئذنة ـ أياً كان طرازها ـ هلال من المعدن فوق عمود معدني قصير ، تزينه بعض الأشكال الكروية أو الكمثرية ، (وقد كان هذا الهلال يصنع محلياً) .

مساجد ومساجد

الحديث طويل ومشوق ، ويعطي الكثير من التفصيل عن المسجد القديم في الكويت ، وما زال هناك الكثير عن تاريخ المساجد ، وعمارتها ، وزخرفتها ، ووسائل إنشائها ، وأساليب بنائها ، وهي معلومات لا يتسع الحيز المتاح لسردها جميعاً ، وقد قدم لنا بعض أسماء تلك المساجد نختار منها الآتي ذكره ، وقد كانت جميعها تقع داخل سور العاصمة .

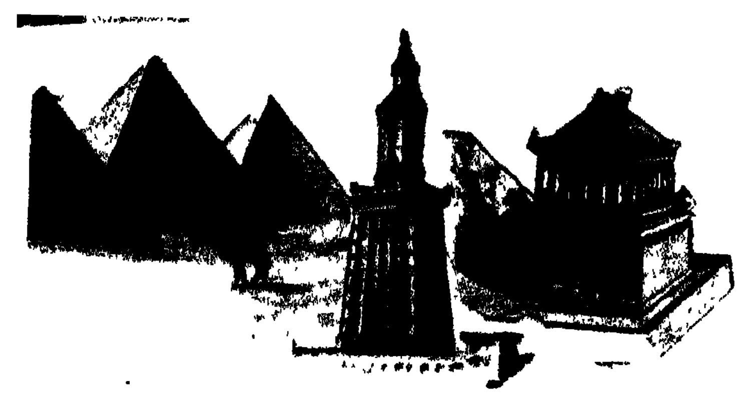


مسجد ناهض ـ الخلوة

اسم المسجد	اسم الشهرة	تاريخ التأسيس	المكان
محمد الجلاهمة	ابن خميس	١١٨٦هـ	الشرق
بطي بطي الجلاهمة	النصف	١١٩٠هـ	الشرق
صالح الحديثي	الحداد	١١٩٠هـ	وسط المدينة
مبارك « هدم »	مبارك	١١٩٧هـ	وسط المدينة
ياسين القناعي	سرحان	١١٩٩هـ	وسط المدينة
محمد حسين رزق	السوق الكبير	١٢٠٩هـ	وسط المدينة
عبد الرزاق		١٢١٢هـ	وسط المدينة
حنيف النومان	النومان	١٢٢٢هـ	وسط المدينة
مرزوق البدر		١٢٢٥هـ	القبلة
خليفة بن دعيج الخليفة	الخليفة	١٢٢٦هـ	وسط المدينة
يعقوب يوسف الغانم	الخالد	١٢٣٥هـ	القبلة
ملكة محمد الغانم	القطامي	١٢٥٠هـ	الشرق
محمد الحمـــدان	حمدان	١٢٦٠هـ	وسط المدينة

إن معظم هده المساجد ما زالت قائمة تؤدي دورها حتى الآن ، بعضها رمّم ، وبعضها هدم وأعيد بناؤه بشكل حديث ، الكثير الكثير ما زال كما هو ، يحكي قصة هؤلاء الرجال الذين جلبوا صخر البحر ، وقاموا بتكسيره ، وبنوا به بيوتاً للعبادة ، والأسماء كثيرة وعديدة ، مسجد (الناهض) ، ومسجد براك الدماك ، ومسجد هلال ، ومسجد المطوع ، ومسجد سعيد ، ومسجد المطران ، ومسجد السابر ، وغير ذلك كثير ، وما زالت تلك العمائر باقية تثبت لنا أن الآباء والأجداد قد تركوا لنا تعبيراً معمارياً دالاً على أنهم أقاموا عمارة عبدوا فيها الله ، وسبحوا بين حوائطها بحمده . □

حضارات سادت ثم بادت



اعداد : يوسف زعبلاوي

حضارة نارا.. أولى حضارات اليابان

لعل اليابان هي الظاهرة العجيبة الفريدة بين الدول جميعا ، ولعل الحديث عن حضارتها كيف نشأت ؟ وأين نبتت ؟ ليس حديثا ثابتا في هذا الباب ، ولعل السؤال الذي يطرح دائما ويلح في طلب جوابه هو : هل كانت حضارة اليابان أصيلة أم مقتبسة ؟ ثم كيف نجحت اليابان في تأصيلها ان كانت مقتبسة ؟

من المعتقدات الاسطورية الشائعة في بلاد اليابان أن السماء هي التي خلقت جزر اليابان دون غيرها ، وأنزلتها الى سطح الكرة الأرضية ، ونثرتها في البحر ، بالقرب من ساحل الصين ، والحقيقة هي أن الصين هي التي صنعت اليابان ، صنعتها سكانا وقد كانت جزرا ، غير مأهولة منذ القدم ، حتى استوطنها القادمون من البر الآسيوي ، في الألف الأولى قبل الميلاد ، والصين هي صانعة اليابان حضارة ، وقد بدأ أثرها منذ سنة (١٠٠ ق . م) ، وبقي أثرا محدودا ، وصل الى اليابان عبر كوريا ، ودلت عليه قطع النقود ، والمرايا ، والمصنوعات الخزفية ، والبرونزية التي عثروا عليها في اليابان ، حتى اذا حل القرن السابع الميلادي تحول التعامل التجاري الى استيراد حضاري محكم ومنظم ، وسرعان ما أعقبه اجتياح الصين لليابان اجتياحا حضاريا شاملا ، وهكذا عمد أهل اليابان الى نحت حضارتهم الخاصة نحتا ، وقد توافرت لهم الخامات كلها ، حتى اذا اكتملت أعمال النحت والبناء كانت الحصيلة صرحا يشبه صرح الصين ، ولكنه مختلف شكلا ولونا وصيغة ، انه صرح اليابان الذي ليس كمثله صرح .

في سنة ٦٠٧م ظهرت بعثة اليابان الأولى على عتبات قصر الامبراطور ، (ينجدي) وهو من سلالة (سوى) في الصين . وأراد رئيس البعثة (أونو - نو - أيموكو) اطراء الامبراطور فقال : « أطيب التحية يزجيها امبراطور البلاد التي تشرق فيها الشمس الى امبراطور البلاد التي تغرب فيها الشمس » وغفل عن القدح الذي انطوى عليه مديحه ، وكادت أن تحل القطيعة بين الدولتين من قبل أن يلتقيا ، خصوصا أن اليابان كانت بمثابة بلد الأقزام في نظر أهل الصين ، ولكن الروية والمرونة حالتا دون تفاقم الموقف ، فنجحت البعثة ، وعاد رئيسها (ايموكو) ، وبصحبته مبعوثان من البلاط الصيني .

وأوفد (أيموكو) ثانية الى الصين ، في السنة الثالثة (٦٠٨م) ، وكان يرافقه هذه المرة جمع غفير من رجال الدين والموظفين والطلاب ، ذلك أن البعثة الثانية لم



راهب صيني اسمه جانجين قدم الى اليابان سنة ٧٥٤م ، وكان من رواد بناة النهضة فيها ، واسس مذهبا بوذيا جديدا ، ومدرسة في الفن المعماري ، وانشأ مزرعة للاعشاب والنباتات الطبية ، وقد صنعوا له هذا التمثال عقب وفاته سنة ٧٦٣م .

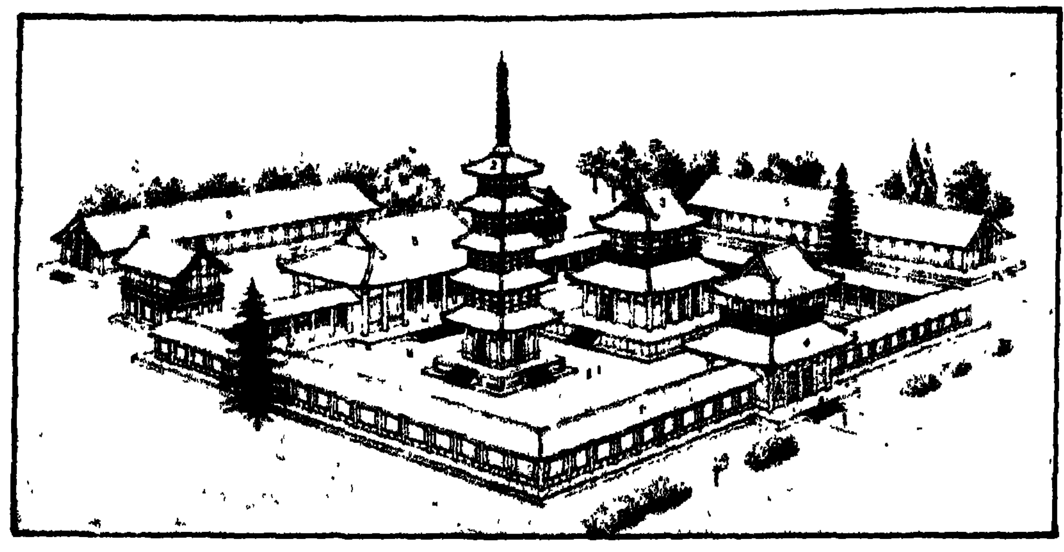


- لوحة لأحدى الاميرات ووصيفاتها تعود الى عصر تانج (٦١٨-٩٠٢) ،وقد عثروا على هذه اللوحة في أحد القبور الموجودة في ضواحي نارا .

تكن بعثة استطلاع كـالأولى ، وانمـا بعثـة نقـل واقتباس ، وقد أمر أعضاؤ ها جميعا بأخذ كل ما يمكن أخذه عن حضارة الصين ، وما أن عـاد هؤلاء بما سجلوه ودونوه حتى ظهرت في اليابان بـوادر نهضتها الأولى ، فقد أعيد تنظيم البلاط اليـابابي عـلى غرار بلاط الصين ، وسنت الشريعة المكتـوبة الأولى التي عرفها تاريخ اليابان ، وقد اقتصرت على (١٧) بندا ، وكانت أقرب الى التعاليم والمواعظ منها الى القوانين ، وغلب عـلى تلك التعاليم والمـواعظ طابـع المذاهب البـوذية والكـونفوشيـة ، الى جانب طـابـع مـذهـب الشنطوية ، دين اليابان القديم ، والاعتقاد بالارواح المتجسدة في شتى قوى الـطبيعة (كـامى) هو قـوام الشنطوية ، وهـو الاعتقاد الـذي غالبـا ما تجـده في الأقـوام البدائيـة ، كالقبـائل التي تختفي في أدغـال (الأمزون)أو مجاهل إفريقيا ، وشتان مـا بين هـذا المذهب البدائي وبين مذاهب البوذية والكونفوشيـة التي جاءت الى اليابـان من الصين ، وقـد نضجت وتشعبت وبلغت ذرى مرموقـة في الاخـلاق وسلوك الانسان .

وتكررت بـعـد ذلـك بـعثـات اليـابـان الى الصين ، وبعثات الصين الى اليابان ، وقد كـانت أضخم وأكبر عددا وأكثر شمولا ، ويذكر أن احدى تلك البعثات الصينية ضمت بين أعضائها الأطباء ، ورجـال الـدين ، والمنجمـين ، والنحـاتـين ، والرسامين ، والنحارين ، والحداديں ، والخزافين ، الخ ، حتى بلغ عددهم ٥٠٠ رجل ، أو يزيد ، وقد استقر الكثيرون من هؤلاء في اليابان ، وقـرر أهل اليابان أن يكون لهم عاصمة كأهـل الصين ، حقـا كـانت (اسوكـا) مقرا لابـاطـرتهم في أكـثر الأحيان ،ولكنها لم تكن العاصمة الثابتة اللائقة ، فوقع الاختيار على موقع مناسب للعاصمـة ، ابان حكم الامبـراطور (جميـو) ٧٠٧-٧١٥م، وكـانت الرسوم والمخططات للعاصمة (نارا) بحيث تصبح نظيرة (تانج) عاصمة الصين آنذاك ومـا أسرع أن وضعت المخـططات مـوضـع التنفيـذ ، فكـانت القصور ، والأديرة ، ومسـاكن النبلاء الضخمـة ، وغير ذلك .

وتجلت الانمـاط الصينية في هنـدسـة (نـارا) العمـرانية ، وبلطت أرض الغـرف في المباني العـامة والمنـازل بالحجـارة ، وأقيمت السقوف عـلى أعمدة



- دير (هوريوحي) دير بودي بني سنة ٦٠٧م ، على بعد ١٨ كم من مدينة نارا ، ويعتبر هذا الدير أقدم صرح خشبي في العالم

حشبية مدهونة ، ورصفت ببلاط على غرار ما كانت عليه الصين ، وانشئت الأسواق ، والمستودعات في (نارا) عاصمة اليابان وبدت وكأنها (تابج) أو عيرها من المدن الصينية العريقة

ثم قرر أهل اليابان أن يكون لهم تاريخ ، فجمعوا أشتات المعلومات القديمة ، وكتبوها بلغة يابانية ، الا انهم دونوها بحروف أهل الصين ، وأدى ظهور ذلك السجل الى قيام حركة أدبية نشطة ، فظهرت مجموعة (مويبوتشو) الشعرية وكان قوامها ٤٠٠٠ بيت شعر

واقتبس أهل اليابان بعد ذلك صناعة الورق والأحبار ، فساعدت على ظهور فن الخطوط اليدوية التي طالما اشتهر بها أهل اليابان

صادف أن تمشى وباء الجدري في اليابان سنة ٧٣٥ فقضى على أفراد من الأسرة الحاكمة ، فكان لابد من العمل لاسترضاء الآلهة ، بل قل بوذا وقديسيه ، وهم الذين حلوا محل الأرواح الشنطوية القديمة وأدخلوها في معتقدات اليابان البوذية وهكذا قرر الامبراطور شومو (٧٢٤-٧٤٩) اقامة تمثال لبوذا ، يكون من البرونز عملاقا ، يرتفع في الهواء١٨مترا ، وقد اكتمل بناء التمثال ، وأحيط بقاعة رحبة.

وفكر أهل اليابان فيما عساهم أن يفعلوا ليستكملوا بناء حضارتهم الجديدة ، فكان متحف (شوسوين) الذي شيدوه سنة ٧٥٦ ، والذي كان من أقدم متاحف العالم جميعا ، ان لم نقل أقدمها اطلاقا ، وقد صم فيها ضم الأعشاب الطبية ، والمخطوطات المقدسة ، والبحوث التقنية ، واللوحات البوذية ، والآلات الموسيقية ، والأسلحة ، فضلا عن الأواني العديدة .

ويعجب المرء لاصول تلك المحتويات ، فبعضها كان فارسيا ، وبعضها الآخر بيزنطيا أو أوروبيا ، ولكن أكثرها كان صينيا

بقي أن نشير الى عامة الشعب من أهل اليابان ، مجموعة من السكان يقدر تعدادها بستة ملايين نسمة ، لا يمكن أن تكون كلها أباطرة ، ونبلاء ، ولا بد أن يكون أكثرها من الفلاحين ، والبسطاء ، وهذا صحيح ، وان لم يرد ذكر هذه الكثرة في وثائق ذلك الماضي البعيد ، ولا في شعره وأدبه ، فالنظام الارستقراطي طغى في اليابان ، بحيث بدت الاكثرية وكأنها بهيمية لابشرية ، هذا بالرغم من أن الأباطرة ، النبلاء اعتمدوا اعتمادا كليا على ما زرعه الفلاحون ، وما أنتجه العمال الصانعون .

ونعود مرة ثانية الى السؤال الذي كان يطرح ، ويلح في طلب الجواب عنه ، كيف نجح أهل اليابان في تأصيل الحضارة التي اقتبسوها من أهل الصين ؟! □

الإحساس بالذنب
أو مناورة
«التلطيخ بالوحل»





الإحساس بالذنب

أو مناورة "التلطيخ بالوحل"

بقلم : راجي عنايت

من بين المناورات الضارة التي قد تفرضها الأم ـ دون أن تدري ـ على طفلها الصغير ، فتصبح خطة ثابتة في تعامله مع افراد العائلة ، ثم تصبح بعد ذلك خطة للتعامل في حياته المقبلة ، مناورة « التلطيخ بالوحل » وهي تعتبر ـ شأنها شأن غيرها من المناورات الضارة ـ شكلا فاشلا من اشكال التعامل لابد من الانتباه لها والاسراع بالتخلص منها .

الاحساس بالذنب يزرع في نفس الشخص احساسا دائما بالقلق ، وهو احساس موحش مصحوب بمشاعر الفشل وفقدان أي قيمة للحياة . والآلام الناشئة عن الاحساس بالذنب تؤثر على العديد من التصرفات البشرية .

وقد يستخدم الشخص احساسه بالذنب كأداة للتحكم في الآخرين ، وتلجأ الأم في بعض الأحيان الى استخدام الاحساس بالذنب لافزاع طفلها ، وإرغامه على الخضوع لها ، والامتثال لأوامرها . وهكذا يشب الطفل وسط عاصفة من عبارات التأنيب . . « افعالك هذه تصيبني بالصداع » . . او « هل تريدين ان تهدمي هذا البيت بالمشاكل التي تثيرنها بيني وبين والدك ؟ . . او « احترس . . انت ستصيب اختك بعاهة مستديمة اذا ما مضيت تضربها بهذه الطريقة » ، « أنت ولد شرير ، وسيعاقبك الله على ما تسببه لي من معاناة » . . الى آخر هذه الاتهامات المؤلمة .

مناورة تلطيخ الطفل بالوحل واشعاره بالذنب عن طريق القاء اللوم عليه ، غالبا ما تحقق غرضها ، وترغم الطفل على انماط السلوك التي تطلبها منه والدته . ومع ذلك فان استخدام هذا التكتيك كل ساعة وكل يوم في تربية الطفل ، غالبا ما يصيبه بالقلق ، ويجعله رازحا تحت اعباء الذنب ، مما يعرضه لأنواع متعددة من المشاكل العاطفية ، التي تلاحقه حتى بعد بلوغه .

ظاهرة تعاملية :

والاحساس بالذنب ، ظاهرة تعاملية ، اي انه لايحدث للشخص فيما بينه وبين نفسه ، لكن الشخص ينميه في نفسه لأن شخصا آخر يفرضه عليه .

وبمجرد أن يتأسس الاحساس بالذنب في شخص ما ، فمن الممكن ان يصبح صفة لصيقة بشخصيته . فالاحساس بالذنب الذي ينشأ نتيجة للتعامل مع شخص آخر او مع اشخاص آخرين ، يمكن ان يصبح صفة خاصة ثابتة ، بحيث يحمل الشخص ذنبه هذا ، وهمومه من جراء ذلك الاحساس بالذنب ، الى كل علاقة بشرية جديدة يمر بها . فالشخص الذي زرعت في نفسه مشاعر الاحساس بالذنب خلال سنوات طفولته ، يميل الى الاحساس بالذنب عندما تنشأ مشاكل في حياته الزوجية ، او في عمله ، أو بين اصدقائه ، او غير ذلك من احتكاكاته بالآخرين .

وهو في كل مرة يسأل نفسه السؤال الخاطىء « ما





هو يا ترى الخطأ الذي ارتكبته ؟ » بدلا من أن يسأل نفسه « ما هو الخطأ في العلاقة التى بيني وبينه ؟ والسؤال الاول خاطىء لأنه عادة ما يمنع الانسان من حل مشاكل تعامله مع الآخرين باعتبار أنه مصدر الخطأ المجهول . فالمشاكل غالبا ما يكون مصدرها كل طرف من طرفي العلاقة ، وربما يكون مصدرها الطرف الاخر بشكل أساسي .

أداة تحكم :

وقد يستخدم الطفل زرع الاحساس بالذنب كأداة للتحكم في والديه . ويغلب ان يحدث هذا عندما يكون الوالدان معرضين للاحساس بالذنب ، نتيجة خلل عاطفي يحملان جذوره منذ طفولتهما . يساعد على هذا ان الأب والأم في الوقت الحاضر ، على عكس الاب والام في الجيل الاسبق ، يكون لديهما الاستعداد للاحساس بالذنب تجاه اطفالهما عندما تنشأ أي مشكلة . . ثورة غضب لطفل في الثانية من عمره ، او تصرف جنسي غير لائق من ابن السابعة عشرة من عمره . . عادة ما يسأل الوالد نفسه هذه الايام « ما هو الخطأ الذي ارتكبته ؟ » . . كيف أسأت تربية ابني ؟ » أما الوالد منذ ثلاثين او اربعين سنة ، فقد كان غالبا ما يسأل نفسه » ماذا سأفعل لكي أعيد هذا الابن ثانية الى سواء السبيل ؟ . . كيف اقنعه بأن تصرفه هذا معيب ؟ . . » هذا التغير في تفكير الآباء ، يكون له تأثيره الكبير على تكوين شخصية الطفل

النجاة من المحاسبة :

وبصرف النظر عن سلامة هذا الموقف من الناحية النظرية ، فان استعداد الآباء المعاصرين للاحساس بالذنب نحو مشاكل ابنائهم قد اشاع بين الابناء ممارسة مناورة « التلطيخ بالوحل » . ما أسرع ما يتشمم الطفل قدرته على التحكم في والديه بالقاء تبعه أخطائه عليهما . ويتدرب على اعذار من قبيل« لقدفعلت ذلك لاني كنت خائفا منك » . . أو « انت الذي دفعتني لفعل ذلك » . . تلك الاعذار التي غالبا ما تشيع الشلل في ارادة الوالدين ، وتمنعهما من اتخاذ الاجراء المناسب .

وهكذا يتحول انتباه الوالدين ـ قسرا ـ من التركيز على ذلك التصرف المعيب الذي ارتكبه الطفل ، الى البحث في سلامة موقفهما ، بوحي من احساسهما بالذنب . ونتيجة لذلك ، ينجو الابن من محاسبته على فعلته . وعندما يتكرر هذا الموقف في تربية الطفل ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، يتأسس لديه بشكل ثابت في شخصيته استخدام الاحساس بالذنب كنمط في تعامله مع الناس .

أنت كذاب :

دعنا الآن نوضح طبيعة هذه المناورة من خلال المشهد التالي الذي يدور بين الأب والأم وابنهما سعيد الذي بلغ الرابعة من عمره ، والذي أصبح غالبا ما يمارس مناورة « التلطيخ بالوحل » .

سعيد : (لابيه) انت كذاب !

الأم : سعيد . لا يليق ان تقول مثل هذا لابيك .

سعيد : انتما تقولان ذلك لبعضكما .

الام : اننا نادرا ما نفعل ذلك . لكنك اصبحت تردد مثل هذه الاقوال طوال الوقت .

سعيد . اذا كنتما تقولان ذلك . . لماذا لا أفعل مثلكما ؟

الأب : (للام) لابد لنا أن نكون اكثر حرصا فيما نقوله امام الاولاد .

الام : (للاب) فعلا . . لابد ان نكون نموذجا طيبا لهم .

لاحظ في هذا المشهد ، كيف انه سرعان ما غابت تماما المشكلة الرئيسية وهي سب سعيد لأبيه ، عندما تمكن سعيد بمهارة من تحويل الاحساس بالذنب الى والديه ، ومن صرف انتباههما عن سلوكه السيىء الأخير ، الى سقطاتهماالعارضة القديمة . وفي اغلب الأحوال ، سيواصل سعيد ارتكاب نفس الخطأ في المستقبل ، ناجيا من العقاب بنفس المناورة .

الفاصوليا المؤلمة :

في المشهد التالي نرى كيف استطاع سعيد أن يقوم بمناورته على صورة أخرى :

الأم : سعيد . . كل ما في طبقك من فاصوليا .

سعيد : انها تسبب لي ألما في بطني لماذا ترغميني على أكل أشياء تؤلم معدتي ؟
الأم : الفاصوليا لا تؤلم المعدة .
سعيد : لماذا اذن أذهب الى دورة المياه كثيرا اذا اكلتها . . بل انني أتقيؤها في بعض الأحيان ؟
الأب : (للأم) انواع الاكل على المائدة كثيرة يا عزيزتي . . ربما كان الولد لديه حساسية خاصة بالنسبة للفاصوليا .
سعيد . (منتصرا) لا افهم لماذا ترغمينني على أكل الفاصوليا .
الام : هل تحب ان تأخذ بعض السلطة الخضراء ؟
سعيد : اعتقد ذلك .

ليس عدلا :

وتنويعات مناورة « التلطيخ بالوحل » تأخذ اشكالا متنوعة ، احدها يمضي هكذا :
الأم . سعيد . كفاك تحطيماً للأشياء آنية الزهور هي ثالث شيء تحطمه هذا الاسبوع
سعيد : لم اقصد ذلك لقد حدث رغما عني
الأم : على أي حال يجب أن تكون حذرا . وعقابا لك ستحرم من مشاهدة التلفاز هذا المساء
سعيد : هذا ظلم . اتعاقبيني على شيء حدث رغما عني ؟ أمن العدل أن اعاقب على شيء لم اقصده ؟ .
الأب (للام) عزيزتي . انه مجرد طفل في الرابعة . والذين في مثل عمره يكسرون الاشياء عادة .
سعيد : وانتما تعاقبانني دائما على أشياء صدرت رغما عني .
الأم : (للأب) فعلا ، ليس من المناسب ان نعاقبه على أشياء طبيعية تحدث لمن هم في عمره
سعيد : (منتصرا) هذا ليس عدلا لايجوز ان اعاقب على شيء لم اقصده . .
الأم : ربما تكون على حق . . .
الأب . ولكن يجب أن تكون اكثر حرصا يا سعيد
سعيد : سأحاول يا أبي
الأم : لن نعاقبك هذه المرة لكن اذا كسرت شيئا آخر ، فسأحرمك من مشاهدة التلفاز لمدة يومين

ويعلم سعيد ان هذا مجرد تهديد فارغ . لانه تعود على ممارسة مناورة « التلطيخ بالوحل » على مدى عامين ، بنجاح كبير . .

نعم . . نتآمر :

والآن سنطرح نفس المشهد بافتراض أن والدي سعيد قد ادركا المناورة التي يقوم بها . . سيمضي الحوار كما في المشهد السابق حتى يقول سعيد :
سعيد : هذا ظلم . اتعاقبيني على شيء حدث رغما عني ؟ أمن العدل أن اعاقب على شيء لم اقصده ؟ .
الأم اسمع ياسعيد هذه الطريقة التي تتبعها بالقاء اللوم علينا كلما ارتكبت خطأ لن تستمر بعد اليوم .
سعيد (مبهوتا) هيه ؟!
الأم : ألاحظ أنك تعودت على لومي ولوم والدك على ما تخطيء فيه . لقد انتهى ذلك .
سعيد : أنتما معا تعاقبانني دائما على أشياء لا أملك فيها شيئا
الأم : لن يفيدك هذا بعد الأن . لن نسمح لك بأن تمضي في القاء الوحل علينا ، كلما ارتكبت خطأ حتى اذا حاولت ذلك ، فلن يجديك نفعا .
سعيد . انتما تظلمانني . . انتما تعاملانني بقسوة . . انتما .
الأم : (مقاطعة) ها أنت تعود ثانية الى القاء الوحل . أنا لست كاملة ، ولا أحد يكون كاملا . بل ربما اكون مخطئة في بعض الاحيان ، لكن القاء تبعة كل خطأ ترتكبه على والديك لن يستمر بعد ذلك . . هذا لن يفيدك . . ولن يفيدنا .
سعيد : (وقد بدأ يبكي عاليا) أبي .
الأم . ولا فائدة من التجائك اليه . . لقد ناقشنا هذا الموضوع معا ، واتفقنا على ذلك لن نسمح لك بعد ذلك بالقاء اللوم علينا .
الأب : والآن اذهب الى حجرتك لمدة نصف ساعة يا سعيد . . وفكر جيدا فيما قالته والدتك . .
سعيد : أنتما تتآمران علي . .
الام . نعم : لكي نساعدك . .
وهذا تصل أيام ممارسة سعيد للمناورة الضارة الى نهايتها . مما يعود بالفائدة عليه وعلى والديه □



هو.... تطور

لايريد أن يتطور ، سيظل حبيس أفكاره وتقاليده وعاداته ، وكثيرا ما حاولت أن أغير منه وأطوره . . واقول كيف يجب أن يتصرف ويرتدي ويتحرك ، ولكنه يصر على الا يغير عاداته الموروثة من أيام الفقر .

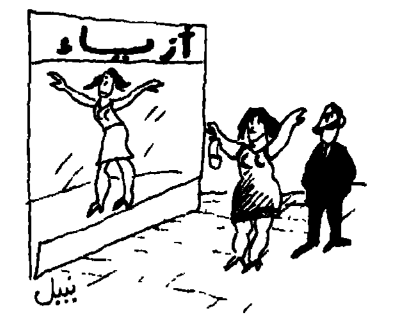
عندما تزوجنا كانت مواردنا محدودة ، وكنا ضمن رقم كبير يطلقون عليه الأسر المستورة الحال ، التي لا تملك في الحياة الا عائد عملها ، وساعدتنا الظروف . سافر زوجي وعمل بالخارج سنوات طويلة ، اجتنى فيها اموالا كثيرة وعاد الى الوطن ليتاجر في الطعام والسلع الغذائية ، وتوالدت الاموال بسرعة ، بدلنا السكن الذي كنا نقطن فيه الى سكن آخر في حي أرقى ، وجيران أكثر ثراء ، وحديقة حول المنزل بدلا من منزلنا القديم الذي كان الاولاد يلعبون فوق درجاته فيزعجوننا دائما . وجاراتي لايثرن اعصابي مثل جارات الزمن الماضي ، فلا يتحدثن عن تربية الاولاد ولا عن الطهو ، ولا عن مصروف البيت ، ولا يأتين لاقتراض ثمرتي بندورة أو ملعقة سمن . صارت ايام حياتي أكثر رخاء ، وصارت احلام الأمس قابلة للتحقيق . . كل ما كنت أراه وأحلم به ، وما كان يفتنني الى حد الهوس ، صار ممكن التحقيق ، سهل المنال ، ولكنه لايشعر بهذا التغير الذي حدث في حياتنا ، ولا بهذه النقلة التي انتقلناها ، ولا بهذا المجتمع الجديد الذي اصبحنا ننتمي اليه ، صحيح انه قد عدّل من مظهره كثيرا ، ولكن ليس الى درجة الاناقة الكافية ، ورغم ان اوضاعه المالية قد تحسنت كثيرا الا انه لا يعطي لكثير من المظاهر الضرورية حقها . اقول انه ينبغي ان يكون لديه عدد مناسب من البدل والقمصان واربطة العنق بحيث يرتدي مساء مالم يرتده في الصباح ، كما ينبغي أن يكون لدي من الفساتين والحلي ما يسمح لي بألا أكرر نفس الملابس في فترة قصيرة ، واعترف بانه قد اطاعني في تحقيق افكاري هذه ، وساعدني على ذلك ، انه لم يكن يسألني كثيرا عما افعل بالنقود التي أطلبها ، الى أن كان خلاف بيننا ، طلبت منه نقودا لأشتري ثلاثة فساتين جديدة ، وعندما احتد بسبب طلبي (المتواضع) هذا ، اوضحت له أن لدينا ثلاث مناسبات اجتماعية ، وانا لا استطيع ان اظهر في أي منها الا بفستان جديد ، ثار وهاج . . واسمعني كلاما جارحا ، واخذ يترحم على ايام مضت . . وتحدث عن السفه والتبذير وعدم دوام النعم ، وقال أشياء كثيرة تنم عن عقله الذي لم يتطور وعاداته التي لم تتغير . . ادركت ان اي محاولة لتطويره ستضيع عبثا ، وانه سيظل حبيسا للافكار التي ترعرعت أيام فقره . . تركته وأدرت رقم هاتف محل الازياء وطلبت من البائع ان يرسل لي الفساتين على البيت ويرسل الفاتورة اليه بالمكتب .

هدى



هوس

كأنها فقدت ذاكرتها ، فانقطعت صلتها بكل ما كان في حياتها من قبل ، وانطلقت في هوس محموم تشتري كل ما يلزمها وما لا يلزمها ، لم تعد أبدا كما كانت ، وكأن تغير حالنا ونعمة الله التي غمرنا بها اصابتها بمس من الجنون . كانت ايامنا التي مضت رغم قسوتها حينا ، فيها احساس لا يعوض .. كنا نشعر اننا بشر ، لنا مشاعر وعلاقات حميمة في أمسيات الصيف او الشتاء . كنا نجتمع نحن سكان البناية في منزل واحد منا ، نحكي ونتسامر ونتعاطف ويحمل كل منا هم الأخر وحلمه ، وكنا ايامها قادرين على الحلم ، فقد كان هناك دوما شيء لا نستطيع الحصول عليه ، وشيء نحلم به ، وتغير الحال ، نسيت ايامنا الماضية ، تنكرت لجيراننا الذين كانوا في مكانة الاهل ، ارتبطت بصداقات جديدة تتحدث عن (الموضة) ، وانتقاء اماكن الاصطياف ، عن المجوهرات والحلي ، حتى حياتنا الخاصة امتدت اليها يد غريبة ، فقد اصرت ان ينام كل منا في غرفة ، فقد رأت بعض صديقاتها الجدد يفعلن هذا ، واصبح حديثي معها يجب ان يكون وفق قواعد ومواعيد ،



ففي الافطار لا يتناول حديثي هموم الاولاد ومشاكلهم ، فقط تخبرني عن برنامجها الصباحي ، وماذا ستعد على الغداء ، ويجب بعد ذلك أن اقرأ الجريدة وانا اتناول افطاري .. حاولت ان افهمها انني لا اعرف الجمع بين القراءة والطعام ، ولكن دون جدوى .. وبدأت المشاجرات تزداد حدة بيننا ، حاولت ان اضع في رأسها بأن نعمة الله علينا يجب الا تنسينا ماضينا واهلنا وأصدقاءنا . وان الاغراق في التقليد الغبي لطبقة اخرى كفيل بأن يجعل منا مادة تندر لأبناء هذه الطبقة ، واقول لها ان صديقاتها يبتسمن اثناء محاولتها الساذجة استخدام مصطلحات اجنبية ، وان طريقة نطقها للكلمات تنبيء بعدم معرفة لأية لغة ، ولكنها تتهمني بالتخلف والغيرة ، وانني أغار منها لأنني غير قادر على أن اطور نفسي مثلها ، واصبح الحوار بيننا مستحيلا ، وخاصة ان هوس الثراء يزداد عندها يوما بعد يوم ، وانبهارها بالمجتمع الجديد الثري يزيد من تصرفاتها حماقة ورعونة ، ومنذ يومين ثارت واحتجت لأنني اعترضت على رغبتها في شراء ثلاثة فساتين جديدة لكي تحضر ثلاث مناسبات متتالية .. فهي - حفظها الله - لا تريد ان يراها الناس بفساتين سبق أن رأوها بها .. وكل مناسبة تأتي تشتري لها فستانا خاصا ، وعندما ازدادت ثورتي اتصلت بالمحل طالبة منه ان يرسل لها الفساتين ويرسل لي الفاتورة ، ولكنني لن ادفع الا بعد أن أجعل البائع يكره اليوم الذي باع لها فيه ، فلا يرسل لها شيئا بعد الآن .

هو



من الحياة

"بين الآباء والأبناء" الصّداقة أقوى وأبقى

بقلم : منير نصيف

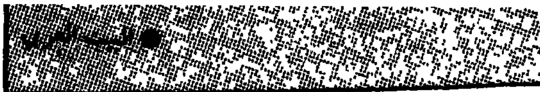
لماذا نصطدم بهذا الجدار العالي الذي يقوم بيننا وبين أبنائنا في سن المراهقة ؟ هل نستطيع الوصول الى قلوبهم . وكيف نصل ؟

كانت تشعر بفشل كل محاولة تقوم بها لاسعاد ابنائها . . وكان هذا الشعور يتزايد يوما بعد يوم ، وسنة بعد أخرى ، فقد كان الابناء يكبرون . كانوا يمرون بأحرج مرحلة في حياتهم . . فقد بلغ أكبرهم سِنّ المراهقة ، وبدأ أحواه الصغيران يقتربان منها بخطا سريعة . . لقد تغيروا ، انهم لم يعودوا أطفالا كما كانوا بالامس القريب . . انها تعرف ذلك . وتدركِ تماما ماذا يعني بلوغ الطفل هذا السن ، ولكنها لاتدري لماذا يبتعدون عنها . . ؟ لماذا لايستمعون اليها . . ؟ انها تريد أن تمد اليهم يدها . . تريد أن تساعدهم ولكنهم يعرضون عنها ، وكأنهم لايرون تلك اليد الحانية الممدودة اليهم . .

ولم يكن الاب دائما هناك ، فقد كان مشغولا عن بيته وأسرته بعمله الذي يستغرق كل نهاره وحيزا كبيرا من الليل . . كان بعيدا عنهم وعن مشاكلهم ، إلا لانه يريد أن يبتعد ،ولكن لأنه لم يكن يجد الوقت الذي يستطيع أن يعطيه لهم . . حتى عطلة نهاية الاسبوع التي تنتظرها الأسرة ، كل أسرة ، لم يكن ينعم بها مثل بقية الأباء . . فقد كان واجبه يدعوه الى الذهاب الى المستشفى الذي يعمل فيه لعيادة مرضاه . . كان طبيبا ناجحا ، وكانت هذه هي بعض ضريبة النجاح .

ولم تشأ الأم أن تثقل على زوجها ووالد ابنائها . كانت تشفق عليه وهي تراه عائداً من عيادة متعبا ، فلا تلبث أن تنسى كل متاعبها هي . . وكانت النتيجة أن ظل الاب بعيدا عن هموم اسرته ومشاكل أبنائه .

ولكن الام مالبثت أن احست بأنها غير قادرة على الاستمرار في تحمل المسؤولية وحدها . . فقد كانت تشعر انها تفني شبابها وصحتها وحياتها من أجل ابنائها ، فهي ماضية في السهر على راحتهم وتربيتهم واعدادهم للمستقبل ، ومع هذا فهي تشعر أن كل الجهود التي تبذلها من أجل اسعادهم لا تلبث أن تصطدم بهذا الجدار الذي كانت تراه . ويعلو ويعلو كل يوم حتى أصبح حاجزا يفصل بينها وبين عالمهم الجديد الذي يخطون فيه وحدهم ، في قلق وثورة على البيت وعلى المجتمع الصغير والكبير الذي يعيشون فيه .





وانتوت الام امرا ، حملت متاعبها ودهبت تطرق باب احد اصدقاء زوجها ، وهو رميل له في المستشفى الذي يعمل بـه ، وقد تخصص في عـلاج الامراض النفسية ، وخاصة تلك التي يعاني منها الشاب في هذه السن المضـطربة .. سن المـراهقة . وجلست الام تروى له متاعبها : « انني في حيرة ياسيدي ، لا ادري مـاذا افعل .. انهم يـرفضـون بصـائحي . انهم يعيشون في عالم آخر لا يمت الى عالمنا بصلة . انني قلقة مضطربة لا اعرف من أين ابدأ،ولا كيف امضي في هـذا الطريق الـدي امتلأ بـالشوك الـذي أدمى قلبي . انني أشعـر في بعص الأحيـان انني غـريـبة عنهم ، أو هم غرباء عني .. حـديثي اليهم اصبح شيئا مملا لايريدون أن امضي فيه .. حتى الطعـام الذي اقدمه لهم اصبحوا يعـرضون عـه .. لم اعد اعرف شيئا عن حياتهم خارج البيت،وفي المدرسة أو حتى في نرهاتهم ولهوهم .. التقاريـر التي تصل من المدرسة تقول ان مستواهم في هبوط مستمر . أنت ادرى بظروف والدهم،وعمله الذي يأخذ كل وقته .. قل لي ماذا افعل،فقد بدأت اعصابي تنهـار،وأنا ارى ابنائي يسقطون في هده البئر السحيقة ، وأنا عاجزة عن انقاذهم !

* * *

وتكلم الطبيب : « ان ما يقع فيه الشاب يا سيدتي من اخـطاء في هده السن ، هي في واقـع الحـال ، ليست باخطاء كما تـصورين ، وانما هي نتائج لأعمال وتصرفات جاءت حصيلة لتفكير سريع متهـور،بعيد عن النضج والروية ..

لابد لنا أن ندرك حقيقة هامة ، وهي انه يجب الا نتـوقع ان يـأتي الينا أبنـاؤ نا بمتـاعبهم ، فقد اثبتت الدراسات التي اجريت على الشباب والفتيات في هذه السن التي تضطرب فيها المفـاهيم عندهـم أن نسبـة ضئيلة لا تتجاوز العشرين في المائة منهم ، يلجأون الى الآبـاء طـالبـين الصفـح ، سـاعـين وراء التـوجيـه والارشاد .

« وادن فالاغلبية يا سيدتي تتصرف وفقا لمـا يمليه عليهـا تفكيرهـا .. أو لما يقـدمه اليهـا غيـرهـا من



الاصدقاء والزملاء . . وتكون النتيجة أن يجد الآباء انفسهم وجها لوجه امام الاخطاء التي يرتكبها الابناء ، وقد استبد بهم القلق،وهم يرون ابناءهم يسيرون في طريق الألم والدموع !

ويكمل الطبيب حديثه ، والام جالسة امامه تستمع في صمت واهتمام : « ولكن حتى في هذه المحنة ، يجب الا نفقد الامل ، فالتسليم بالامر الواقع ، والخضوع للهزيمة يقتل الامل في نفوسنا ، ويقضي على كل رغبة لنا في الاستمرار في الحياة . . وقد لاتعلمين ياسيدتي ان كثيرين من هؤلاء الذين ضلوا الطريق في صباهم دخلوا التاريخ بعد ذلك من ابوابه الواسعة !

« السؤال الآن هو ماذا يفعل الآباء ليجنبوا ابناءهم طريق الضلال ، ويحولوا بينهم وبين الانحراف والفشل ؟

« ان الوقاية لا تأتي الا عن طريق العلم . . وعلى عاتق الآباء وحدهم تبصير الابناء بحقائق الحياة وامورها في مرحلة المراهقة . . ولكن كيف ؟ وما هو الاسلوب الذي يجب ان نلجأ اليه في نقل تجاربنا وخبرتنا الى رؤوسهم المضطربة التي تزدحم بكل المتناقضات ؟

ان اكثر ما يكرهه الشاب في هذه السن هو أن يشعر بأنه يقف أمام شخص نصب نفسه وصيا عليه . . فهو لا يريد هذه الوصاية ، لانه يشعر في داخله انه اصبح رجلا . . وحتى الفتاة المراهقة تريد بدورها ان تسمع دائما ما يؤكد لها انها قد اصبحت امرأة مكتملة النضج والانوثة . .

« ومن هنا يبدأ دور الابوين . . فأي تصرف من جانبهما يجعل الابناء يشعرن انهم يعيشون في عالم آخر لايمت الى العالم الذي يعيش فيه الكبار بصلة ، يدفعهم الى التمرد والثورة . . فنحن الذين نخلق عندهم هذا الشعور ، ولذلك فلابد ان نساعد ابناءنا على الاحساس دائما بأن مشاكل الحياة واحدة ، وكما ان لهم مشاكلهم فللآباء ايضا مشاكل ربما تختلف في طبيعتها وتفاصيلها ، ولكنها في النهاية مشاكل لاتقل خطورة ولا اهمية عن المشاكل التي تعترض حياتهم . . المهم في هذا كله أن يعمل الآباء على تنمية الشعور بالثقة في نفوس ابنائهم ، وان يعاملوهم كما يعامل الكبار وان يشجعوهم على التفكير حتى ولوجاء خاطئا غير متزن ، فاذا بدأنا في تصحيحه لهم ، حرصنا على صياغته في شكل اقتراح ، لا امر يجب أن ينفذ ويطاع !

* * *

« وهل استطاع الكبار أن يخلصوا انفسهم من مشاكل الحياة ؟ ان الشباب اذا اخطأ ، فهو خطأ ناتج عن تفكير غير ناضج ، وهو امر يختلف اختلافا تاما عن اخطاء الكبار واسبابها ودوافعها . . ثم أليست الحياة بعد هذا مجموعة من العقد والمشاكل والازمات ؟ وان متاعب الانسان هي أول مظهر من مظاهر وجوده وانفعالاته ، واكبر دليل على انه حي ؟ .

ولم ينته الطبيب من حديثه بعد ، فقد قال : « ثم لا تنسى أن المبالغة في الشعور بالقلق لأي شيء ، ولابسط شيء يصيب الشاب يجعله في هذه السن يشعر بأنه قد عاد طفلا من جديد .

ويروي الطبيب قصة أم جاءته يوما يصحبها ابنها الذي لم يكمل بعد عامه الرابع عشر ، وكانت تبدو قلقة مضطربة وهي تتحدث اليه في عصبية ظاهرة ، وتشكو من سوء تصرفات ابنها ومعاملته لها ، فهو يرفض نصائحها ويهرب منها ، ويهرب من نفسه ومن الناس ، وهي في حيرة من امرها،لا تدري ماذا حل بهذا الصبي الذي بدا وكأنه يريد أن يتحدى العالم كله !

ثم يقول : « وتطلعت الى الابن ورحت ارقبه دون ان يلحظ نظراتي اليه ، فوجدته يجلس في هدوء على مقعده ، وكأن شيئا مما تقوله الام لايعنيه من قريب أو من بعيد . . ولكن ما حدث في الدقائق القليلة التالية ، كان كافيا لان يفسر لي سر المشكلة القائمة

بين الام وابنها . . فقد سعل الصبي فجأة ، وهبت الام واقفة وأمرت يدها الى رأسه تداعب شعره ، وانحنت تطبع قبلة على جبينه في محاولة لمعرفة ما اذا كان يشكو من ارتفاع درجة حرارته ، ثم قالت تسأله في لهفة : هل اصبت بالبرد يا عزيزي ؟ دعني اتطلع الى وجهك وعينيك . . يجب ان نعود حالا الى البيت لاوفر لك الدفء ، لابد ان تستريح في الفراش !

ولكن الابن بقى جالسا صامتا في مقعده لم ينطق بكلمة ، وكان كل ما فعله هو ان رفع يده في هدوء ليبعد يد أمه عنه ، واخيرا تكلم ، قال : « لست مريضا يا امي . ولست في حاجة الى الراحة كما تقولين ، ارجوك ان تتركيني وشأني ! وانهى الطبيب قصته : « ولم اكن في حاجة بعد ذلك لادرك الاسباب الحقيقية التي تكمن وراء تصرفات الابن ومعاملته لامه . . ان لهفتها عليه هي السبب . انه يكره أن يرى امه تعامله كما كانت تفعل وهو طفل صغير . انه يريد ان يقول لها انه كبر ، وانه اصبح رجلا . . وهو يريد ان يسعل دون ان يقدم لامه تفسيرا لما فعل . . ولكنها ترفض ان تتركه يغيب عن عينيها لحظة واحدة ، فهي تريد ان تعرف اين يذهب ، وماذا يفعل ، وكيف يقضي وقت فراغه . . ؟ انها ترقب كل تصرفاته منذ اللحظة التي يصحو فيها من نومه في الصباح حتى يعود لفراشه بالليل لينام . . فهي امه ، وهي مربيته ، وهي معلمته وطبيبه الخاص « ولايمكن لاحد ان يلوم الام على مشاعرها نحو ابنائها ، ولهفتها عليهم ، ولكن الذي يجب ان تتعلمه كل ام هو ان تفعل كل هذا دون ان تجعل ابناءها يشعرون بأنهم قد اصبحوا ملكا لها . . انهم اشبه ما يكونون بالشعوب الصغيرة التي تسعى الى الاستقلال والحرية . .

ان الابناء في هذا السن المضطربة الحرجة يتغيرون تغيرا جذريا وهو تغير ذهني وعاطفي ونفسي . . انهم يتحولون الى نماذج أخرى من البشر لا تمت الى النماذج الصغيرة التي عرفها آباؤهم في طفولتهم بصلة . . وفي هذه القفزة الى مرحلة المراهقة لا يكفون عن محاولاتهم للتخلص من تلك الصورة الماثلة امامهم . . صورة طفولتهم بين احضان آبائهم . .

ان الابناء في مراهقتهم يعتبرون المساعدة تدخلا في شئونهم،وينظرون الى اهتمام آبائهم بهم وبحياتهم الخاصة على انه عودة الى سني الطفولة ، أما النصيحة ، مهما اختلفت المناسبة التي تقوم فيها ، فهي في رأيهم ، محاولة من جانب الآباء للسيطرة عليهم من جديد !

* * *

كيف يكون التعامل مع الابناء اذن في هذه السن المضطربة ؟

يجيب علماء النفس : « اذا كنا حقيقة نريد أن نجنب انفسنا الدخول في معارك مع هؤلاء الذين نحبهم،ونعمل ونعيش من اجلهم،فلا بد لنا من ان نكون اصدقاء لابنائنا . . لابد لنا ان نعاملهم كما نعامل اصدقاءنا خارج البيت . . فاذا قامت هذه العلاقة بين الأباء والأبناء ، استطعنا أن نفعل معهم كل ما نريد ان نفعله دون أن ندعهم يشعرون للحظة واحدة أننا نفرض عليهم آراءنا . . تماما كما يفعل الطبيب الذي يقدم لمريضه حبة الدواء المر في غلاف من السكر !

الصداقة بين الأباء والابناء أقوى وابقى من كل علاقة أو رباط . ◻



■ العالم صغير . . . مهما كانت مساحته كبيرة .
اذن . . . لماذا لانعيش فيه بسلام ؟

من أغنية تترية قديمة

مساحة وُدّ

بين عامين

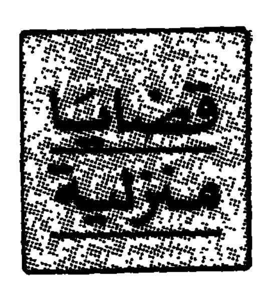
عام بأكمله أوشك أن ينصرم ، زاد عمرنا عاما ، ونقصت أعمارنا عاما ، بأيهما نبتهج : بالعام الذي زاد ومر ، وأضاف إلى رصيد سِنيّ حياتنا رقما ، أم بالعام الذي نقص وخصم من المتبقي لنا رقما ؟

عام يرحل بكل خيباته ، وهزائمه ، وأفراحه ، وأحزانه ، ليفسح مكانا لعام جديد ، لاندري ماذا ينتظرنا فيه ؟ وماذا يحمل لنا ؟ أكثر من جيل في وطننا العربي الواحد يحمل ذات الهم ، ونفس القلق ، والاحباط ، فمازالت الهموم كما هي ، والتطلعات كما هي ، والأحلام كما هي ، حتى أحلامنا الصغيرة تتآكل ، بفضل قسوة الأيام وحدتها ، ولم تعد الأيام عظيمة ، ثائرة ، هادرة كما كانت ، ومع مرور الأعوام تنتهي أحلام ، ورموز ، لم يعد حلمنا القومي كما كان ، ولم يعد مبدعونا كما كانوا ، ولا كتابنا ، ولا قادة الرأي ، ولا حتى ظروف حياتنا اليومية بأسعارها ، وأخلاقها ، وتعاملها .

ثمة تغير حاد يحدث في وطننا العربي كله ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، وهو تغير يمس عصب حياتنا ، وأطرافها . قيم تتبدل ، وتعقيدات حياة تتراكم ، وأزمات تحتدم ، ونزاعات تتوسع ، ولايبدو في الأفق حلم واضح بالخلاص ، إلا أمل واحد لاطريق غيره ، هو أن يستمر جيل كامل في التضحية ، وينسى أحلامه ، وأمانيه ، ويهب عمره لجيل فتيان وفتيات قادم ، ويعصر جيلنا عمره كي يعلم هذا الجيل القادم ، ويوسع مداركه ، وآفاقه ، ويرقى بذوقه ، ووجدانه .

. فليتعلم الجيل القادم أن الاقتصاد هو مخ السياسة ، وأن من يطعمك يمكنه أن يقهرك ، وليعرف أن الفن هو ارتقاء ، وثقافة ، والثقافة هي التي تمنح الانسان قدرة على فهم أوسع ، وأعمق ، لحركة الحياة حوله . جيل بأكمله عليه أن يعوض عن قصور مؤسسات التربية والتعليم التي تكتظ بالطلاب ، وعن نقص المدرسين المؤهلين ، فيجعل من المنازل قاعات تعليم مستمر ، مدركا خطورة ترك جيلنا القادم فريسة لأجهزة التلفاز ، ووسائل الاعلام اليومية ، تأكل عقله ، وتشكل ثقافته ، ورؤيته . جيل بأكمله مطلوب منه أن يفتح حوارا ، ونقاشا ، مع الجيل القادم ، ويعلمه ، أن الحوار هو جسر انتقال الأفكار بين العقول الناضجة المتحضرة ، وأن الاقناع العقلي هو الفارق الحقيقي بين عقل الانسان وقوة الحيوان . على جيل بأكمله أن يهب عمره ، وخبرات حياته ، وفشل احلامه ، إلى الجيل القادم ، كي لا نتحسر بعد ذلك على أعوام مضت .

محمود عبدالوهاب



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

المُسَهِّلات والمُلَيِّنات

لقد احتلت قصية الامساك ركنا مهما من أركان الطب القديم ، حينما كان الأطباء القدامى يرون في الامساك مرضاً تصدر قوائم الأمراض ، غير أن الطب في هذا الزمان قد عزل الامساك عن زعامة الأمراض ، اد اعتبره عرضا لأمراض لا مرضا قائما بذاته .

ومن هنا أقفل الطب الحديث خزانة المسهلات والملينات ، ولم يعد لها موضع في علاج الامساك ، بل اتجه أطباء اليوم الى معالجة السبب ، لامعالجة العرض .

والمسهلات تستعمل أصلا للتخلص من الكتلة البرازية المستعصية على الخروج ، سواء لصلابتها ، أو لوجود عائق مؤلم ، أو ربما لوجود آفة ما في المستقيم أو الشرج .

وربما استعملت الملينات في أعراض شتى ، خلاف ما ذهبنا اليه ، مثل منع الزحار ، أو في أحوال فتق البطن ، تلافيا لزيادة الضغط المصاحب للاحراج المعتاد .

كما انها قد تستعمل عند ارتفاع ضغط الدم العالي ، وفي الفترة الأخيرة للحمل ، وقبل العمليات ، أو مع مرض انسداد الشرايين التاجية للقلب ، هذا بالاضافة الى عادة استعمال المسهلات عند بعض الناس ، الذين يعتقدون بصحة غسيل الأمعاء بين حين وآخر .

والمسهلات يقسمونها حسب تأثيرها الى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

أولا المسهلات المريحة ، وهي التي يكون تأثيرها من خلال « تحرش » القناة الهضمية ، وزيادة حركتها ، مما يؤدي الى سرعة دفع محتويات الأمعاء .

هذه المسهلات قد يصاحبها مغص شديد ، وتؤدي عادة الى اسهال حاد ، وهي انواع شتى منها : أ ـ المسهلات الغلوكوسيدية : وأهمها السامكة والصبر والكاسكارا .

ب ـ المسهلات الراتينية : وأشهر ما يعرف منها هو الحنظل .

ج ـ المسهلات الزيتية : التي يشتهر منها زيت الخروع .

د ـ المسهلات الأخرى التي تضم الفينولفثالين والبسكوديل .

ثانيا : المسهلات الحجمية التي يعتمد تأثيرها على زيادة حجم محتويات القناة الهضمية .



ومن أشهر أنواعها ما يلي

(أ) المسهلات الملحية : وهي أملاح غير عضوية لاتمتصها الأمعاء ، لهذا فهي تمتص الماء من الأمعاء ، مما يسبب اسهالا مائيا ، وأشهر هذه المسهلات ما يعرف باسم الملح الانجليزي ، أو ملح ابسوم الذي يتركب من كبريتات المغنيسيوم ، وأكسيد المغنيسيوم .

(ب) المسهلات الغروية : وهي مواد تمتص الماء وتنتفخ ، فتملأ تجويف الأمعاء ، وأشهر ما عرف من هذا النوع من المسهلات هو الاغار والسليولوز (الخشب) .

ثالثا : المسهلات الملينة المطرّية : وهي التي تعمل من خلال تزييت القناة الهضمية ، فتلين محتوياتها ، ومن ثم يسهل مرور الكتلة البرازية ، كما هو الحال مع زيت البرافين وزيت الزيتون أو زيت القطن .

ومع توفر المسهلات والملينات وتعدد الأنواع ، فإن الطب الحديث عزف عن استعمال تلك المواد الا عند الضرورة القصوى ، وهي غير مستحبة ، لما لها من تأثيرات جانبية ضارة ، هذا الى أنها تعالج القضية شكلا لا موضوعا ، ويمكن طرح حجة الطب الحديث في إعراضه عن المسهلات والملينات في النقاط التالية .

أولا : يمكن احلال وسائل طبيعية تعالج السبب ، بدلا من هذه المسهلات الضارة التي تعالج الأعراض فقط .

ثانيا : ان أغلب المسهلات تؤدي الى التعود والادمان ، لأنها تضعف عضلات الأمعاء التي تتواكل على المسهلات في عملها .

ثالثا : المسهلات تمنع امتصاص المواد الغذائية المهمة ، مثل الفيتامينات والأملاح المعدنية

رابعا : المسهلات تضر بالتوازن الحيوى في الأمعاء .

خامسا : المسهلات تؤدي عقب استعمالها الى حالة من الامساك (امساك لاحق) ، ويمكن في هذا المقام عرض خصائص بعض أنواع المسهلات الشائعة الاستعمال في البيئة العربية .

الصبر

عصارة جافة لنوع من نبات الصبر الذي ينمو في افريقيا وجزر الهند الغربية ، وهي تلون البول بلون أحمر ، يبدأ تأثيرها بعد ٨ ـ١٢ ساعة من تناولها ، ولكنها قد تلهب الأمعاء والكلى ، كما لا ينصح باستعمالها عند الحمل أو مع الرضاعة ، أو الاصابة بالبواسير ، أو تضخم البروستاتا .

السنامكة

هي اوراق جافة ، أو ثمار نبات يسمى خيار شنبر ، وهو مسهل شائع في الأقطار العربية، وله تأثير حاد يفرغ الأمعاء دفعة واحدة ، لهذا فان مغصا شديدا يصاحب استعماله ، وجرعته المعتادة ما بين نصف غرام وغرامين فقط .

الحنظل

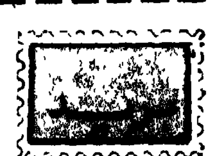
هو اللب الجاف لنبات الحنظل . . مسهل « محرش » يسبب مغصا وقيئا واسهالا مائيا شديدا ، ولكنه نادر الاستعمال ، لأنه قد يؤدى الى الهذيان والاعياء الشديد .

زيت الخروع

هو زيت بذور الخروع الذي ينحل في الأمعاء ، فينطلق منه حامض اسمه الريسونوليك المهيج ، فيحدث الاسهال فيما بين ساعتين الى ثماني ساعات ، وجرعته مابين خمسة الى عشرين سنتيمترا مكعبا ، ولكن الزيادة منه لاتزيد من قدرة الاسهال أبدا ، هذا الى انه محظور على مرضى قرحة المعدة ، لضرره بسبب تأثيره المهيج على غشاء الأمعاء المخاطىء .

الملح الانجليزي

انه ملح شائع الاستعمال ، ولا تمتصه الأمعاء ، لهذا فانه يحتفظ بالماء ، كما يمتص الماء من جدار الأمعاء ، وبهذا يملأ البطن وينشط الحركة الدودية ، ومن هنا يجب شرب كميات كبيرة من الماء لتعويض الجسم ما ينقصه منه ، ولما كان هذا الملح شديد المرارة والملوحة ، فقد تضاف اليه بعض الملحيات ، ولكنه أقل المسهلات ضررا على أية حال .



طبيب الأسرة

ردود سريعة

● خ. أ. م. الجيزة ـ القاهرة :
ـ عمليات تجميل الأنف يفتي فيها جراح التجميل ، ولا نظن أنها تتعارض مع التعاليم الاسلامية ، فالله سبحانه جميل يحب الجمال

● السيد الفاضل محمد ـ المغرب .
ـ أنت شاب غزير الشعر على ما يبدو (مشعراني) ولا حيلة لك الا حلاقة شعر الرقبة كما تحلق ذقنك ، فليس هناك ما ينفع لازالته على الصورة التي تنشدها .

● السيد محمد ابراهيم محمد علي/ فاقوس ـ مصر :
ـ يحسن بك استشارة أخصائي في الأنف والأذن والحنجرة ، فربما كان هناك التهاب في الأنف ، وخصوصا في جيوبك الأنفية .

● الانسة ر. ر. ت. أ. ـ الجماهيرية الليبية :
ـ لسقوط الشعر أسباب متعددة لا يمكن الحكم عليها الا بالكشف الطبي ، وربما تكون المعاناة وهما لا حقيقة ، لهذا يجب استشارة احصائي الأمراض الجلدية .

● السيد م. م. م. ـ القاهرة :
ـ من الأفضل أن تشاور طبيبا مختصا في الأنف والأذن والحنجرة من المشهود لهم بالمهارة والخبرة من أساتذة كلية الطب ، والأمر أهون مما تتصور .

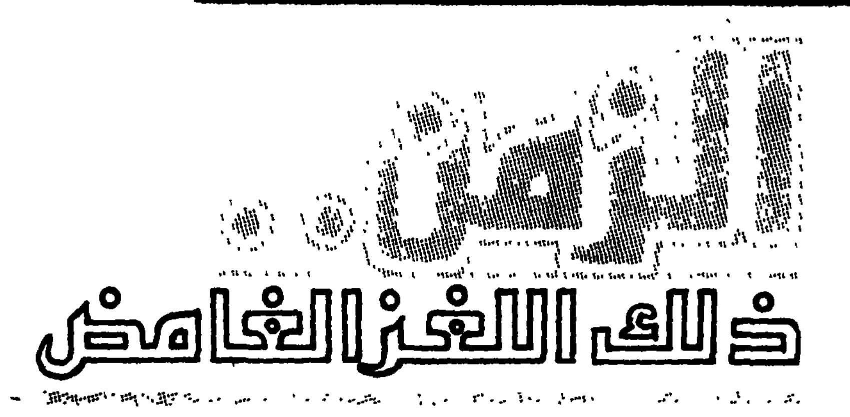
● الأخت فاطمة ابراهيم ـ عمان ـ الأردن .
ـ من الأفضل أن تستشيري طبيبا آخر لاجراء اختبار جديد ، فلم نقتنع بنتائج الاختبار الأول .

● السيد/ م. ل. فاس ـ المغرب :
ـ علاج اثار حب الشباب (حب الصبا) التي تشوه الوجه قد يفيدها عمليات صنفرة الجلد أو كشطه ، يتولاها جراح تجميل مختص ، وقد حققت درجات عالية من نسبة النجاح .

● الأخت أ. أ. ـ مراكش ـ المغرب :
ـ ألم الأسنان عند شرب الماء البارد دليل على تلف الأسنان دون جدال ، وهذا يتطلب استشارة طبيب الأسنان للكشف وعمل اللازم .

● السيد محمد بن حسن العمر ـ معرة النعمان ـ سوريا .
ـ نأسف اذ نقول أنه لا يوجد مفصل صناعي دائم على الصورة التي تشتهيها . □

البحث عن الزمن . . سيظل دائما محور حياة الانسان . . فكل شيء في هذه الحياة له حساب وتوقيت . . وفي هذا المقال رأى جديد حول الزمن . . صورته . . وطبيعته . . وفلسفته .



الزمن ذلك اللغز الغامض

بقلم : عبد الأمير المؤمن

البحث في مسألة الزمن أمر شاق ، لأنه لا يخضع للمقاييس العلمية التجريبية ، شأنه شأن القضايا الميتافيزيقية الأخرى التى تقع في الجانب المظلم من الوجود . فكما لم يستطع الباحثون الاجماع على أصل الجاذبية،وكنه الكهرباء،ومسألة الروح وغيرها من القضايا التى تقع فيما وراء الحس ، لم يستطع الفلاسفة والعلماء أن يقدموا صورة واضحة عن حقيقة أو طبيعة الزمن ، بل كل الذى استطاعوه أن أثاروا نقاطا غامضة تراكمت أمام الباحثين ، لتولد تعقيدات أكثر للأجيال اللاحقة من العلماء والمفكرين .

كلنا يعيش الزمن ويحس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والسنين ، وخصوصا عندما تكون حاسمة ، أى متميزة بحدث مسر أو محزن ، فالمسر قصير والمحزن طويل ، وهما نقطتان زمنيتان واضحتان في الخط الزمنى الذى يعيشه الأنسان .

وكلنا يحس به من خلال التتابع والتغيرات الطبيعية التى تتحرك حوله ، البناء ، الهدم ، النمو وغيرها .

وكلنا يحسب حساباته بالزمن ويبنى آماله على المستقبل .

وكلنا يدركه بالفطرة والحدس . . . .

ولكن . . لا أحد يستطيع أن يحدد طبيعته ، ويحدد الفواصل التى تربط بين نقطة وأخرى من نقاط الزمن المتسلسلة ، الماضى والحاضر والمستقبل ، وهل تختلف مكونات هذه النقاط الثلاث عن بعضها ؟ وأين الماضى ، وما هو الحاضر ، وما معنى المستقبل الذى لم يقع بعد ؟ وما هى أصغر نقطة من نقاطه المتسلسلة ؟ وكم تستوعب منه ، وهل تتحد به ؟ وتتعقد الأسئلة لتصبح أكثر عسرا على العقل عندما تثير أمورا من قبيل : هل للزمن وجود حقيقى أم أنه مجرد فرض ؟ وإذا كان وجوده حقيقيا ، فمتى كانت البداية ومتى ستكون النهاية ؟ وماذا قبلها ، وماذا بعدها ، أى هل هناك زمن قبل الزمن ، وزمن بعد الزمن ؟

الحركة والزمن

لقد وقف الأنسان ضعيفا أمام هذه التساؤلات منذ القدم ، منذ أن بدأ يفكر ويتفلسف ، لاحساسه بغموض طبيعة الزمن من جهة ، ووقوعه تحت تأثيره هو وماشيته ومزرعته وكل ممتلكاته من جهة أخرى . فبدأ يفلسف هذه الظاهرة . فالفلاسفة الطبيعيون

الذين سبقوا سقراط ، ربطوا بين الحركة والزمن ، ورأوا أن ماهيته تقوم في الحركة . وهى نظرة سليمة بالرغم من بساطتها ، أما أرسطوطاليس ، فقد توسع في هذا المفهوم ، فلاحظ أن الأجزاء التى يتألف منها الزمن : أحدها كان ولم يعد الآن موجودا ، والثانى لم يأت بعد ، والثالث لا يمكن الأمساك به ، فأجزاؤه أعدام ثلاثة ، وما يتألف من أعدام يبدو من المستحيل أن يشارك في الوجود . والمراد من الأجزاء الثلاثة ـ كما هو واضح ـ الماضى والمستقبل والحاضر . وقد وصفها بالأعدام لأنها غير واضحة لديه ، وبالتالى من الأمور المستحيلة . هذا وقد تأثر بفكرة الحركة وعلاقتها بماهية الزمن ، ففى تعريفه له ، جاء مقدار عدد الحركة بحسب المتقدم والمتأخر . وبهذا ربط بين الحركة والزمن باعتباره عددا للحركة ، لأن في الحركة تقدما وتأخرا ، وهو تعريف غير دقيق ، لأن التقدم والتأخر لا يكونان الا بافتراض وجود الزمان مسبقا .

وعلى هذا فالمعلم الأول (أرسطو) وهو أشهر اسم في تاريخ الفلسفة اليونانية ـ لم يستطع ان يقدم لنا صورة واضحة لطبيعة الزمن ، ولو انتقلنا الى الفلاسفة الاسلاميين لوجدنا صورا أخرى من الاجابات نتيجة للتطور الحضارى الذى عاشوا في ظله فمحمد بن زكريا الرازى وهو فيلسوف وطبيب اسلامى (٨٦٤-٩٢٣م) يصف الزمان بأنه جوهر يجرى ، وفرّق بين نوعين من الزمان ، المطلق وسماه « الدهر » ، وهو أزلى وفي حركة دائبة ، والثانى « المحصور » وهو زمان حركات الأفلاك والشمس والنجوم ، وقد أراد بهذا التمييز أن يبين أن حركة الكواكب والنجوم هى المظهر الخارجي والواضح للزمن ، بينما حقيقته أعمق من هذه المظاهر بكثير .

أما ابن رشد الفيلسوف العربى الأندلسى (١١٢٦-١١٩٨م) فيرى أن الزمان ليس عرضا لأية حركة وانما عرض لحركة السماء الأولى فقط .

وفي العصر الحديث كرس هنرى برجسون الفيلسوف الفرنسى (١٨٥٩-١٩٤١) ـ وهو أشهر من بحث هذه المشكلة حديثا ـ جهودا كبيرة لهذه المسألة، فلا يخلو كتاب من كتبه من البحث في مسألة الزمن . وقد ميز بين نوعين من الزمن : الزمن الحيوى ويسميه « المدة » وهو المدة الحقيقية ، كيفى لا متجانس ينفذ بعضه في بعض ، والثانى « الزمن



الفيرياوى » وهو مقياس للطول على غرار المكان ويتسم بالكم والتجانس وعدم النموذ .

الغموض واحـــد

هذه نماذج قليلة من الأجابات الكثيرة التى قدمها الفلاسفة كتفسير لمسألة الزمن ، وهى مقتطفة من العصر اليونانى والاسلامى والحديث ، كأمثلة لحضارات مختلفة . وقد اتفقت جميعها على أن الغموض واحد رغم المئات من السنين الفاصلة بين عصر وآخر ، وكأنهم اتفقوا على النتيجة رغم اختلاف التفاصيل ، فالمتأخرون كرروا ذات المشاكل الرئيسية التى طرحها المتقدمون ، الا أن نتائجهم خلقت مشاكل أعقد ، وأسئلة أكبر ، مما جعل الجميع يشتركون في العجز ، والوقوف صفا واحدا أمام هذا السر الغامض . ولقد ربط جلهم الزمن بالحركة وعدّوها عنصرا هاما وأساسا متينا لبحث هذه المسألة . ولكن هذا الربط لم يستطع إسعافهم بإجابات شافية ، ووضع حلول للمعضلات التى أثاروها ، فكان على العلماء أن يقوموا بالمهمة لما حقق العلم من إنجازات عظيمة في الفترة الأخيرة ، وبالرغم من أن العلم لم يكن يملك إجابات شافية ، الا أن نيوتن ـ العالم الفيزيائى الانجليزى ـ استطاع أن يضع مفهوم الزمن في قالب علمى واضح في هذا النص : « ان الزمن الرياضى الحقيقى المطلق ،

بنفسه وبطبيعته الذاتية ، يجرى بالتساوى دون أية علاقة بأى شىء خارجى » . في هذا النص لم يأت نيوتن بجديد يقلب به المفاهيم التقليدية ، فهو كمن سبقه من العلماء والفلاسفة ، يؤمن بأن الزمن وحدة مطلقة ، يجرى بالتساوى في جميع أرجاء الكون .

وفي أوائل القرن العشرين ، بدأت ثورة على المفاهيم الفيزيائية القديمة . فبعد أن ساد الاعتقاد أن الكون تحكمه أبعاد ثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) طلع علينا البرت اينشتاين العالم الفيزيائى الألمانى (١٨٧٩ـ١٩٥٥) ليقول : « ان هناك بعدا آخر ، بعدا يختلف لونه عن الأبعاد التقليدية الثلاثة ، هو الزمن ، وقد تداخل في الكون بشكل غامض ليكون بعدا رابعا مع أبعاده الثلاثة » وقد اعتبر هذا الزمن نسبيا ، وليس مطلقا ، كما كان معروفا . وبهذا قلب كل النظريات والآراء التى وضعها الفلاسفة والعلماء في هذا الصدد .

ومعنى نسبية الزمن ، هو عدم جريانه بالتساوى في الأماكن المختلفة فلكل مكان زمانه الخاص ، الذى يختلف به عن غيره ، فنكون أمام عدة أزمنة في هذا الكون . ونحن لم نشعر به لولا حركة الأرض حول نفسها ، وحركتها حول الشمس ، وقد اصطلحنا على الحركة الأولى ، باليوم ، وقسمناه الى اجزائه (الساعة ، الدقيقة ، الثانية) والحركة الثانية اصطلحنا على تسميتها بالسنة (ومقدارها ٣٦٥ يوما وربع اليوم) وهذه المقادير الزمنية تختص بالأرض ولا تنطبق على سواها . فلكل كوكب من مجموعتنا الشمسية يومه الخاص وسنته الخاصة ، ففي عطارد يصبح اليوم (وهو دورته حول نفسه) ١٨٠ يوما ، وسنته (وهى دورته حول الشمس) ٨٨ يوما من ايامنا . وفي زحل يصبح اليوم عشر ساعات ، و ١٢ دقيقة ، وسنته ٢٩,٥ عاما من أعوامنا ، وهكذا في بقية كواكب هذه المجموعة ، والأجرام السماوية الأخرى .

الماضى عبر الحاضر

كل شىء في الكون ، في حركة دائبة ، ومع حركته يحمل زمنه ، وكلما كانت الحركة أسرع كان الزمن أبطأ ، وعندما تصل الى سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية) يتوقف الزمن ويصبح صفراً ، فلو افترضنا ان المستقبل أسعفنا بصاروخ تقترب سرعته من سرعة الضوء ، واتجه به رواده نحو (الفا قنطورس) وهو نجم يبعد عنا حوالى ٤,٥ سنة ضوئية ، فان سريان الزمن يكاد يتوقف بالنسبة لهم ، فاذا عادوا الى الأرض ، اكتشف أهلها ان أعمار الرواد لم تزد شيئا يذكر ، قياسا الى الأرض التى سجلت حوالى ٩ سنوات من عمرها . فأين اذن الثمانى سنوات في عمر هؤلاء ؟ لقد اختزلتها السرعة .

ولو افترضنا ان الصاروخ انطلق بسرعة الضوء (وهى فرضية غير ممكنة لأن الجسم يتلاشى في هذه السرعة) لما ازدادت أعمار الرواد لحظة ، ولأصبح زمنهم صفرا في أثنائها ، وهو أمر غريب ، لم تقبله عقولنا التى اعتادت على الزمن الأرضى . ليست السرعة وحدها تبطىء الزمن ، بل تشاركها الكتل الكبيرة . ففي المشترى ـ مثلا ـ يجرى الزمن أبطأ مما يجرى على الأرض ، وفي جرم أكبر منه يصبح الزمن أكثر بُطْئاً وهكذا .

أما الماضى والمستقبل فلم يعدا حالتين ، حالة مضت وانتهت ، وحالة لم تأت بعد ، بل حالتين يمكن أن تتداخلا مع الحاضر . فالأحداث التى تقع في الأجرام السماوية لا نستطيع أن نراها حين وقوعها ، وانما بعد أن يصل الضوء بسرعته الهائلة الى الراصد الأرضى ، وحينئذ يرى هذا الراصد الماضى ، وهو في الحاضر ، فاذا حدث حادث في القمر ، فلا يعلم بوقوعه إلا بعد ثانية وثلث الثانية ، وفي الشمس بعد ٨ دقائق ، وفي نجم (الفاقنطورس) بعد أربع سنوات ونصف السنة ، وفي نجم يبعد عنا مليون سنة ضوئية ، لا نرى الحادث الا بعد مليون سنة وهكذا . وبهذا سيرى الراصد من الأرض ، حال هذه الأجرام المرصودة ، لحظة انطلاق الضوء منها لا اللحظة التى وصل منها الينا ، ومعنى هذا انه يرى الماضى عبر الحاضر الذى هو فيه .

ولو تصورنا أن راصدا رصد أرضنا من منطقة قريبة من نجم الفاقنطورس فسيرى ماضينا (قبل أربع سنوات ونصف) وليس الحاضر الذى نحن فيه ، فالحاضر بالنسبة لنا ولشمسنا لا يعنى الحاضر بالنسبة له ، وانما هو مستقبل .

وبهذا ارتبكت النظرة التى قدمتها الفلسفة والعلم ، وبات على المعنيين بمسألة الزمن أن يعيدوا النظر في كثير من الاجابات التى سبقت النظرية

النسبية . لقد طرقت هذه النظرية أمورا غريبة على عقل الانسان ، وغيرت كثيرا من المفاهيم الثابتة ، عن الكون وظواهر الكون ، فبعد السنين الطويلة من القناعة الراسخة بمطلقية الزمن . طلع علينا اينشتين ليقول انه نسبي ولا وجود للزمن المطلق

ولكن هل أجاب على كل الأسئلة المطروحة ؟ بالطبع لم يجب ، ولكن قدم لنا شيئا مهما ، ومهما جدا ، فتح به بابا من الممكن أن يفتح أبوابا أكثر إثارة . فبعد أن كانت الفيزياء الكلاسيكية مقتصرة على الأبعاد الثلاثة ، أدخل بعدا جديدا يختلف نوعا عن تلك الثلاثة ، وهو بعد لا يخضع للمختبر والأدوات العلمية التقليدية ، فكان لزاما على العلم أن يضيف هذا العنصر رغم غموضه كأداة ضرورية ، في سبيل الوصول الى نتائج دقيقة . وبهذا اقترب العلم في بعض جوانبه من الفلسفة

قبل اكتشاف البعد الرابع ، كانت الابعاد التقليدية الثلاثة هي المرتكزات الأساسية لكل التطورات العلمية منذ الخليقة ، وهذه التطورات كانت بطيئة جدا قياسا للزمن الهائل الذى استغرقته ، بينما بلغ التطور العلمي رقما قياسيا بعد اكتشاف هذا البعد الجديد ، قياسا الى ثلاثة ارباع القرون التي مضت عليه . مما يدل على أننا في أول الطريق ، وامامنا ـ على مايبدو ـ أبعاد اخرى تنتظر عقلا كبيرا يحل بها المعضلات التي لم تحل بعد وفي هذا الصدد وجد علماء الرياضة ان بعض الحقائق لايمكن شرحها الا بعد افتراض سبعة ابعاد أو أكثر

القرآن والزمن

مما سبق يتضح أن طبيعة الزمن سر يلفه الغموض ، أثارته الفلسفة قديما ووضع العلم له في أوائل القرن العشرين اللمسات الأولى ، ولكننا كمسلمين لا بد أن نشير ـ ولو اشارة مجملة ـ لما يقوله القرآن الكريم في هذه المسألة .

من المعلوم أن القرآن قد اشار الى عدد كبير من المسائل التي لا تدخل المختبر ، أشار اشارات مجملة دون أن يدخل في التفاصيل . وقد يصل الاجمال الى حد يقف الباحث معه أمام بحر لا محدود من الاحتمالات والتصورات ، فالاية الشريفة « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » لم تكشف ماهية الرؤية ، ومدى عمقها ليصبح البصر إزاءها حديدا ، ولم تحدد أي بعد هذا الذى يكمن وراء الانكشاف ولكن لا شك أن عالما جديدا ، عالما أوضح ينتظر الانسان بعد أن ينبثق من أسار الجسد ، ليدخل عمقا كونيا جديدا يرى ما لا عين رأت ، ويسمع ما لا أذن سمعت ، يختلف في كل شيء عما ألفه ، فالأرض غير الأرض ، والسماء غير السماء ، والنجوم غير النجوم ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في الآية الشريفة في سورة إبراهيم « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » وبتفصيل أكثر في سورة التكوير « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت » .

وطبيعي أن يتبع هذا التغيير تغير في الزمن لأننا سنستنتج أن تلك الحياة لا تمت الى الحياة الأرضية بصلة ، فلا نعرف أين مكانها ، وكم من السنين الضوئية تبعد عنا ، وما هي طبيعة وحجم وسرعة الكتلة المكانية التي تحتضنها . وهي أمور ـ كما عرفنا ـ تحدد هوية الزمن وتميزه عن الأزمنة التي تنتسب لأماكن أخرى .

اذن لا بد أن يكون هناك زمنان ، لاختلاف طبيعة الحياتين ، وقد جاء في القرآن الكريم في وصف يوم القيامة من حيث طوله في سورة السجدة « ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » أي أن ٢٤ ساعة في مكان ما تعادل ألف سنة أرضية ، وهذا الفرق الهائل بين مقدار ذلك اليوم واليوم الأرضي ، يتفق والنظرية النسبية التي قالت بوجوده في كوننا الواسع ، فالظروف المختلفة بين جرم وآخر تحمل أزمنة مختلفة أيضا . اذن كيف بنا بعالم نجهله تمام الجهل ؟

لكي نقترب من فهم الفرق بين المقدارين الزمنيين ، لا بد من فرض بعد او ابعاد جديدة تضعنا على عتبة الطريق . فاذا كان اكتشافنا للبعد الرابع قد هتك بعضاً من أسرار الكون ، فلا بد من اكتشاف أبعاد اخرى لكشف الأسرار الأكثر عمقاً والأكثر غموضا . لكننا مازلنا في بداية الطريق ، وما قاله العلم في أوائل القرن العشرين اشار اليه القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي يوم نزل على صدر محمد ﷺ مما يدل على أن الانسان رغم انجازاته الكبيرة مازال بطيئاً جداً في مسيرته العلمية إزاء أسرار الكون اللامحدودة والبحر المتلاطم من الألغاز المتداخلة □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٣٧
ديسمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي ١٣٠٠٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٧ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يناير ١٩٨٧ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العــدد ٣٣٧

١ - « حكاية مملة » قصة شهيرة ، قديمة ، ، ظهرت في روسيا سنة ١٨٨٩ . ترى من هو كاتبها ؟
* تولستوي ؟
* دوستويفسكي ؟
* انطون تشيكوف ؟

٢ - أين يعيش إنسان الثلج الوحشي ، أو الحيتي ، كما يسميه أهل المنطقة التي يعيش فيها ؟
* في كينيا على سفوح جبل كليمنجارو ؟
* في سويسره على سفوح جبال الألب ؟
* في نيبال على سفوح جبال هملايا ؟

٣ - اشتهر ابن خلدون بكتابه « المقدمة » ، كما هو معروف ، وقد سماه بهذا الاسم لأنه كان بالفعل مقدمة لكتاب آخر ، وإن كانت مقدمة طويلة ، تملأ مئات الصفحات . فما اسم الكتاب الذي قدم له ابن خلدون « بمقدمته » « تلك ؟

٤ - رتب الدول التالية من حيث اعتمادها على الطاقة النووية في محطات توليد الكهرباء ·
الولايات المتحدة الامريكية . .
الاتحاد السوفيتي .
بلجيكا .
السويد .

« تستطيع الاجابة عن هذه الأسئلة بالرجوع إلى أعداد العربي الصادرة في سنة ١٩٨٦ »

٥ ـ (لابو لابو) . هو اسم البطل الذي خاض معركة حامية في مياه شواطىء بلاده ، وذلك في ٢٧ ابريل سنة ١٥٢١ ، وقد نجح (لابو لابو) هذا في قتل أحد كبار المستكشفين الاوروبيين في تلك المعركة . فمن هو هذا المستكشف ؟ وأين قامت تلك المعركة ؟

٦ ـ الأخوان رايت ، مخترعا الطائرة ، الامريكيان ، المعروفان ، كانا مدينين بفضل كبير لأحد الطيور في تطوير اختراع الطائرة . ترى أي الطيور هذا ؟

* الحمام الزاجل ؟
* الوطواط ؟
* الصقر ؟

٧ ـ من القائل :

« حكم الشعب لصالح الشعب من أجل الشعب » ذلك هو الديمقراطية ؟

٨ ـ من المعروف أن الحمام الزاجل يستطيع الاهتداء إلى وطنه والعودة إليه مهما كانت الطريق طويلة ، ومجهولة . ترى أي الكائنات التالية تشبه الحمام في ذلك ؟

* الدب الأبيض ؟
* البطريق ؟
* النحل ؟
* الدولفين ؟

٩ ـ اسماعيل بن يوسف ، الطلاء ، المنجم ، شيخ الكيماويين في القيروان في زمن مضى ، لقبوه بالمنجم لاشتغاله بعلم التنجيم . لكن لم لقبوه بالطلاء ؟

* لاتقانه تحضير الطلاء (الدهان) الذي تحتاجه جدران المنازل ؟
* لاتقانه تحضير الصباغ الذي تحتاجه الأقمشة ؟
* لاتقانه فن التجميل ، وتحضير مايتطلبه من مساحيق ، ودهون ، وعقاقير ؟

١٠ ـ أين يوجد نفق الشهيد أحمد حمدي ؟ علما بأن إنشاءه استغرق خمس سنوات ، واكتمل سنة ١٩٨٢ ، بكلفة ١٢٠ مليون جنيه .

١١ ـ أي المحطات الاذاعية في العالم كانت الأولى في الاعتماد على الطاقة الشمسية على نحو مباشر ؟

* محطة الاذاعة التي أقيمت في جنوب ايطاليا ؟
* محطة الاذاعة التي أقيمت في الصحراء الاسبانية ؟
* محطة إذاعة بريان في ولاية اوهايو الامريكية ؟

١٢ ـ ثمة كتابان شهيران من كتب تراثنا الفكري ، أحدهما هو « تهافت الفلاسفة » ، والثاني هو « تهافت التهافت » . ترى من هو مؤلف كل من هذين الكتابين ؟

١ ـ الفقرة المذكورة مقتطفة من كتاب عجائب المخلوقات للقزويني .

٢ ـ صواب ، إنها صفادع « السهام السامة » كما سماها الهنود الحمر ، سكان امريكا الجنوبية الأصليون ، وقد درجوا على غمس سهامهم في سم هذه الضفادع لتصبح سهاما قتالة ، فتاكة . ويقدر الخبراء أن مقدار السم الذي يوجد في جسم واحدة من تلك الضفادع يكفي لقتل (٢٢٠٠) رجل .

٣ ـ الدليل على وجود الجاذبية الكونية هو بقاء أجرام الفضاء في مواضعها ، فهذه الأجرام تتجاذب ويشد بعضها بعضا ، ولولا هذا التجاذب لاختلطت الكواكب والنجوم ، وآل الكون إلى انهيار

٤ ـ أبو العتاهية هو الشاعر المحل الذي قال . (وددت أنه لي نصف شعري) حين قرأ بيتا لأبي نواس هو .

لن ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

٥ ـ شقائق النعمان : نسبوها إلى النعمان بن المنذر ، نظرا لما يروى عنه من أنه خرج ذات يوم وقد اعتم ستة بين أخضر وأصفر وأحمر ، فقال : ما أحسنها ، احموها ، فحموها ، فسميت شقائق النعمان

٦ ـ الجنرال سماتس (١٨٧٠ ـ ١٩٥٠) كان من البوير ، ومن مواليد مقاطعة الكاب موطن البوير الأصلي ، درس الحقوق ، وتخرج في جامعة كامبردج ، وتقلب في مناصب مختلفة ، حتى شغل منصب رئيس الوزراء في أنحاء جنوب افريقيا ، وذلك منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٨

٧ ـ الرحل الفرنسي سيمون دي مونتفورت : هو الذي دعا لانعقاد مجلس العموم البريطاني في دورته الأولى ، وشارك في الحروب الصليبية ، ثم جاء إلى بريطانيا سنة ١٢٣٠ حيث منح ولاية ليستر ، وبدأ مقاومته لحكم الملك هنري الثالث ـ وكان حكما فاسدا ـ حتى هزم الملك ، وأسره سنة ١٢٦٤ ، وفي سنة ١٢٦٥ دعا مجلس العموم الأول لعقد جلسته الأولى .

٨ ـ التسمية يونانية ، أي أن لفظ دلتا يوناني ، وهو الاسم الذي يطلق على أحد حروف الهجاء اليونانية ، يرسم على شكل مثلث ، ولما كانت الدلتا التي تتكون عادة عند مصب الأنهار مثلثة الشكل كحرف الدلتا أطلقوا عليها اسم الدلتا

٩ ـ أفصح من سحبان وائل
أبصر من زرقاء اليمامة
أبلغ من قس (قس بن ساعدة ، أسقف نجران)

١٠ ـ الفيل الافريقي هو الاكبر آذانا ، والأكبر أنيابا أيضا

١١ ـ المسافة التي قطعها الفلاح حتى استكمل قطف كل محصوله ، ووضعه في السلة هي (٥) أميال و (١٣٠٠) ياردة .

١٢ ـ الملسون هو الكذاب حلو اللسان بعيد الفعال .

مسابقة العدد ٣٣٤ سبتمبر ١٩٨٦

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٤
سبتمبر ١٩٨٦

الفائزة الأولى   انور يوسف محمد حمار/ عمان - مخيم الوحدات - الاردن
الفائزة الثانية   انتصار كامل محمد علي/ المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية
الفائز الثالث   محمد سعيد عبدالحميد/ طرابلس - الجماهيرية الليبية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - هشام بن حسن بن سعيد/ سوسة ٤٠٠٠ - الجمهورية التونسية
٢ - روضة دياب محمد/ حيطان الخديدة - دولة الكويت
٣ - يوسف عبدالله سعد عبدالله/ المحرق - دولة البحرين
٤ - صالحة أحمد سالم/ كريتر/ عدن - اليمن الجنوبية
٥ - سعيد ابراهيم العابد/ صور - لبنان
٦ - عاطف عبدالله فرهاد/ اربيل/ شعبة ريازي - الجمهورية العراقية
٧ - مرح مروان حمل/ جامعة دمشق/ كلية الآداب/ دمشق - الجمهورية العربية السورية
٨ - فاطمة شلبي عبده حشمة/ بور سعيد - جمهورية مصر العربية

معركة بلا سلاح

□ مباراة الثأر

لا يزال الصراع على بطولة العالم للشطرنج محتدما حتى كتابة هذه السطور بين بطل العالم جاري كاسباروف الروسي (٢٢ سنة) ومواطنه أناتولي كاربوف (٣٣ سنة) بطل العالم السابق . وقد جرى الجزء الأول من هذه المباراة والذي يشتمل على اثني عشر دوراً في فندق بارك لين الفحم في العاصمة البريطانية فيما بين الثامن والعشرين من شهر يوليو الحالي والأسبوع الأخير من شهر أغسطس ، أما الجزء الثاني من المباراة الذي ابتدأ منذ مطلع شهر سبتمبر فيجري حالياً في مدينة لينتغراد السوفيتية ، وقد انتهت الجولة الاولى من المباراة لصالح بطل العالم الحالي بفارق نقطة واحدة فقط (½ ٦ ، ½ ٥) .

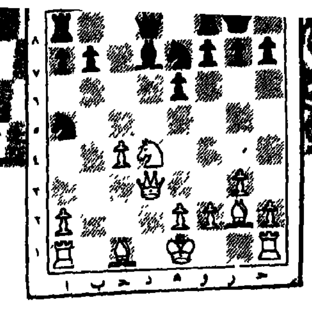
وتتميّز المباراة الحالية بالتجديد والتنوّع والاثارة على العكس من مباراة البطولة الاولى التي كانت تبعث على الملل في رأي الكثيرين . وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد عشية المباراة أعرب رئيس الوفد الصحفي المرافق للمتحدي وهو يوغوسلافي الجنسية عن استيائه من تحيّز الصحافة البريطانية والغربية عامة لكاسباروف بالرغم من أن كاربوف قد اثبت جدارته بالفوز بثماني جوائز كبرى في العقد الذي تربع فيه على عرش الشطرنج (١٩٧٥ - ١٩٨٥) . وقد ألقت السيدة تاتشر رئيسة الوزارة البريطانية كلمة طيبة في حفل الافتتاح اثنت فيها على البطلين وأشادت بالمستوى الرفيع الذى حققه الابطال البريطانيون الذين يحتلون المرتبة الثانية في العالم بعد اللاعبين الروس، كما أفرد البرلمان البريطاني جلسة ناقش فيها أوضاع الشطرنج في البلاد والخطوات الواجب اتخاذها لتقديم المزيد من الدعم المادي والمعنوي لهذه اللعبة النبيلة

والدور التالي الذي اخترناه لكم هو الدور الرابع من الجزء الاول من مباراة الثأر وهو من دفاع نيمزو الهندي Nimzoindian

□ كاسباروف	■ كاربوف
١ . د ٤	ح - و ٦
٢ . جـ ٤	هـ ٦
٣ . ح - جـ ٣	ف - ب ٤
٤ . ح - و ٣	جـ ٥
٥ . ز ٣	جـ × د ٤
٦ . ح × د ٤	ت
٧ . ف - ز ٢	د ٥
٨ . و - ب ٣	ف × جـ ٣
٩ . ب × جـ ٣	ح - جـ ٦
١٠ . جـ × د ٥	ح أ ٥ !

لاحتلال جـ ٤ وعزل البيدق جـ

١١ . و - جـ ٢	ح × د ٥
١٢ . و - د ٣	ف - د ٧
١٣ . جـ ٤	ح - هـ ٧ (الشكل)
١٤ . ت	ر - جـ ٨
١٥ . ح - ب ٣ !	ح × جـ ٤
١٦ . ف × ب ٧	ر - جـ ٧



التبادل الذي تم في صالح الأبيض كما سنرى

١٧ . ف ـ أ ٦ — ح ـ هـ ٥
١٨ . و ـ هـ ٣ — ح ـ جـ ٤
١٩ و ـ هـ ٤ رافضاً البيدق ح ـ د ٦
٢٠ . و ـ د ٣ — ر ـ جـ ٦
٢١ . ف ـ أ ٣ — ف ـ جـ ٨
٢٢ . ف × حـ ٨ — ح د × جـ ٨
٢٣ . ر و ـ د ١ — و × د ٣
٢٤ . ر × د ٣ — ر ـ هـ ٨
٢٥ ر أ ـ د ١ — و ٦
٢٦ ح ـ د ٤ — ر ـ ب ٦
٢٧ ف ـ جـ ٥ — ر ـ أ ٦
٢٨ ح ـ ب ٥ — ر ـ حـ ٦
٢٩ ف × هـ ٧ ! — ح × هـ ٧

لو أخذ بالرخ لوقع ضحية كشّه مزدوجة

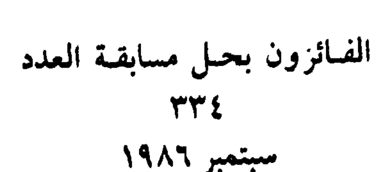
٣٠ ر ـ د ٧ — ح ـ ر ٦
١٣ . ر × أ ٧ — ح ـ و ٨

لمنع الرخين من احتلال السطر السابع

٣٢ أ ٤ — ر ـ ب ٨
٣٣ . هـ ٣ — حـ ٥
٣٤ م ـ ر ٢ — هـ ٥
٣٥ ر ـ د ٣ — م ـ حـ ٧
٣٦ ر ـ حـ ٣ — ر ب ـ جـ ٨
٣٧ ر × حـ ٦ — ر × حـ ٦
٣٨ . ح ـ حـ ٧ — ح ـ هـ ٦
٣٩ . ح ـ د ٥ ! — م ـ حـ ٦
٤٠ أ ٥ — هـ ٤
١٤ أ ٦ — (ح ـ جـ ٥) يستسلم

حل مسألة العدد رقم ٣٣٥
اكتوبر ١٩٨٦

مفتاح الحل ١ م × د ٤
ثم كش مات بالكشف



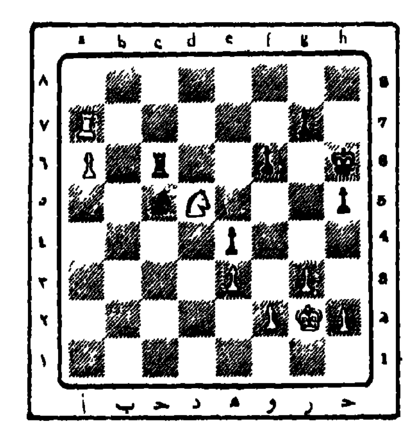
الفائزون بحل مسابقة العدد ٣٣٤
سبتمبر ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ فاطمة طهماز ـ عنيزة/ السعودية
٢ محمد شحده ـ صويلح/ الاردن
٣ سلامة لوندي ـ المينا/ ح م ع
٤ د محمود زايد ـ الكويت
٥ ليلى المسعودي ـ باردو/ تونس

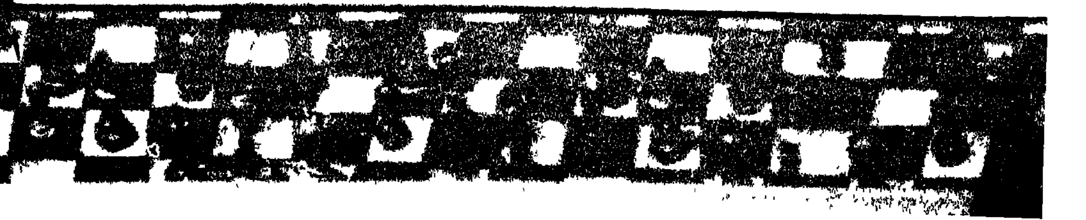
الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ تامر عبدالستار ـ الكويت
٢ علي صالح ـ الانبار/ العراق
٣ أيوب المصطفى ـ الدار البيضاء/ المغرب
٤ عبدالرحمن زواوي ـ بيروت/ لبنان
٥ ابو بكر محمد ـ مصراته/ ليبيا



مسألة العدد رقم ٣٣٧
ديسمبر ١٩٨٦

ما هي نقلة الابيض التي وجد كاربوف نفسه بعدها مضطراً للاستسلام ولماذا ؟



حوار القراء..

السيد الرئيس .... من أين ؟

● قرأت في عدد مارس ١٩٨٦ من مجلة العربي تحت عنوان « مساحة ود » للاستاذ محمود عبدالوهاب عن رواية « السيد الرئيس » للأديب ميغيل انخل استورياس أرجو تزويدي بسدة عن دار النشر التي أصدرت هذه الرواية أو عنوانها ، حتى يمكني الاطلاع على هذه الرواية مترجمة الى اللغة العربية مع تحياتي وتقديري .

أحمد محمد على
ح . م . ع القاهرة

العربي

ـ يمكن للقارىء الكريم الحصول على نسخة من الرواية من الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ص . ب (٥٤٦٠ / ١١) بيروت .

النهر الصناعي العظيم في ليبيا

● تعليقا على ما ورد في باب « وجها لوجه » في العدد ٣٣٣ من مجلة العربي أغسطس سنة ١٩٨٦ من ملاحظات للدكتور فاروق الباز على مشروع « النهر الصناعي العظيم » الذي تقوم به ليبيا ، ومع احترامنا وتقديرنا للدكتور فاروق الباز ، فإن بعض ملاحظاته يفهم منها أن الغرض من المشروع هو نقل المياه من جوف الأرض في جنوب ليبيا إلى الشمال ، لتستخدم في الفنادق على ساحل البحر المتوسط ، ليستحم بها السيّاح ، وإنه من المهم هنا أن تسمحوا لنا بتوضيح الأهداف الحقيقية للمشروع .

يهدف المشروع في مرحلته الأولى إلى تحقيق الآتي :

ـ « تخصيص ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه لاقامة مشروع انتاجي ، لزراعة محاصيل الحبوب ، والأعلاف المروية ، على مساحة تقدر بحوالي ٥٠ ألف هكتار ، بمنطقة جنوب غرب بنغازي التي أوصحت دراسات التربة ملاءمتها لتلك المحاصيل ، كما يتم إنشاء مشروع انتاجي آخر ، لتربية قطعان من الأبقار ، والأغنام ، يعتمد في تغذيتها على إنتاج المشروع الزراعي من الأعلاف » .

ـ « توفير ٢٠٠ مليون متر مكعب من المياه لري مشاريع الوديان الزراعية بالمنطقة الوسطى .

ـ استخدام مائة مليون متر مكعب من المياه المتبقية في تزويد المدن الساحلية القائمة ، والمخطط لاقامتها ، في المنطقة الوسطى ، بمياه للشرب وللأعراض الصناعية .

بعد إنجاز المشروع نهائيا يتحقق الآتي :

ـ ري ٨٥ ألف هكتار في فصلي الشتاء والربيع ، وري مائة ألف هكتار في فصل الصيف .

ـ تربية مليوني رأس من الغنم ، على المساحات التي ترويها هذه المياه ، وكذلك تربية ٢٠٠ ألف رأس من البقر .

ـ إنتاج حوالي ٧٥٠ ألف طن من الحبوب سنويا .

ـ إقامة ٣٧ ألف مزرعة في حدود ٥ هكتارات مروية للزراعة .

ومن المعروف أن منطقة الكفرة ، وتازربو ، والسرير ، تمثل ٨٠٪ من إمكانات المياه بالجماهيرية .

الشريف عبدالله عمر ـ سرت/ ليبيا

العربي

نشكر للقارىء الكريم اهتمامه بإيراد هذه الصورة الواضحة عن مشروع النهر العظيم في ليبيا ، وما ورد ضمن ملاحظات الدكتور فاروق الباز إنما يمثل رأيه ، لا رأي مجلة (العربي) التي يهمها أن توفر الفرصة لكل الآراء والملاحظات .

****

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

٢٠٧ أول ديسمبر ١٩٨٦

ماريوس

تأليف : مارسيل بانيول
ترجمة وتقديم : محمود زمزم
مراجعة : د. على درويش



INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
ull cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
نيدو الأفضل طعمًا، الأ
ذوبانًا، الأضمن نتي
الأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوب
ضمانة أكيدة لنمو أولاد
Nestlé
تضمنه نستله